الهلال



الزهور
الملحق الأدبي للهلال
عدد خاص
السحر
والسحرة
جبران خليل جبران
١٥

الهلال

ذو الحجة ١٣٩٤
يناير ١٩٧٥

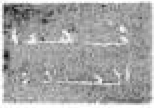
مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال - أسسها جورجي زيدان سنة ١٨٩٢ - العدد الأول - السنة الثالثة والثمانون - أول يناير ١٩٧٥ ١٨ ذو الحجة ١٣٩٤

الاشتراكات

ثمن العدد : في جمهورية مصر العربية ١٥٠ مليما .

قيمة الاشتراك السنوي : (١٢ عددا) في جمهورية مصر العربية وبلاد اتحادي البريد العربي والافريقي ١٥٠ قرشا صاغا . في سائر أنحاء العالم ٦ دولارات أو ٢٫٥ جنيه . والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال . في جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية . في الخارج بشيك مصرفي والأسعار الموضحة بالبريد العادي - وتضاف رسوم البريد الجوي والمسجل على الأسعار المحددة عند الطلب .

الادارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب - القاهرة .
تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »




البرتو مورافيا


د. سيد نوفل


أحمد الحوفى

بسم الله الرحمن الرحيم



كلمة الهلال

في كل شيء جميل ، شيء من السحر ! ..

... في الكلمة الملهمة ، في الوجه الوضيء ، وفي بديع صنع الخالق الاعظم : سمائه ومائه ، والشمس ، والمغيب ، والغسق ، والليل ، والقمر !

والسحر بهذا المعنى ، موجود قبل وجود السحر بمعنى ما يصنع السحرة من تهاويل الخوارق والخفايا والغيبيات ...

على ان سحر الكلمة كان دائما وسيبقى ، هو الاعلى والابقى ، و ... « ان من البيان لسحرا » ...

اما سحر السحرة ، وهو ظاهرة مؤثرة واكبت مسيرة الانسان القديم ووجهت حياة الناس ـ فقد تراجع وانحسر امام تقدم العلم وروح العصر ... بيد انه خلف وراءه تاريخا طويلا حافلا ومثيرا ...

في رحاب هذا التاريخ الحافل والمثير ، نطوف مع قراء « الهلال » في رحلة ممتعة ، نرفع الاستار عن الخفايا والاسرار في عالم السحر والسحرة ، ونتزود بذخائر من العبرة ، والمعرفة وعصير تجارب الناس والحياة في الماضي البعيد والقريب ...

والان ، وبين ايدي الاعزاء قراء « الهلال » هذا العدد الخاص ـ فاننا نتاهب لمرحلة جديدة يستقبلها « الهلال » مع عيد ميلاده الثالث والثمانين ...

ومن اكرم البشريات ان يجيء عيد « الهلال » ونحن نحتفي بملتقى الاعياد . الاضحى ، والميلاد ، والهجرة ... ونعيش اياما عربية مجيدة المواقف ، ظافرة للعروبة والاسلام بنصر الله ...

● صالح جودت ●

د. سيد نوفل

إنّ من البيان لَسِحْراً

ليس من شك ان اللغة العربية هي ارقى اللغات السامية ، وانها بلغت من التقدم والرقي مالم تبلغه أي من زميلتيها السوريانية والعبرانية ... وليس من شك كذلك أن اللغة العربية هي اهم اللغات الحية ، التي يتحدث بها الناس في ارجاء المعمورة ، وتفي بمطالب الحياة في حركتها وتجددها الدائبين ، وبمصطلحات العلوم والفنون في افاقها المتسعة على الزمان .

واذا كانت السوريانية قد بادت ، فان العبرانية قد تخلفت عن الحياة مثلها ، وبادت قرونا طويلة ... ومع الجهد الصهيوني السياسي المتصل منذ نهاية القرن التاسع عشر لاحياء العبرية بعد مماتها ، ومع ادخال الكثير من التطويرات التي باعدت بين الجديدة والقديمة ، فانها لا يمكن ان ترقى الى مصاف اللغات الجديرة بالحياة والبقاء ، ولا تزال اللغة الانجليزية تفرض نفسها على قادة اسرائيل والمقيمين فيها ...

والبيان العربي ، في حضارته ورقيه ، أعرق الوان البيان الاخرى جميعا التي تتكلم فنونها الامم والشعوب المتقدمة في الشرق والغرب ، والتي لا يعدو عمرها قرونا قليلة ...

ومن الاقوال المعروفة لمؤرخي الاداب والعلوم والفنون أن مدنية الفنون قد اكتملت عند الصينيين ، ومدنية العلوم قد اكتملت عند اليونانيين ، وأن المصريين القدماء جمعوا بين الامتيازين ، على حين اكتملت مدنية اللغة والبيان في اللسان العربي على نحو فريد منذ دهر طويل ..

تعريف بالبيان

والقصد من البيان هنا ما يدل عليه معناه العام ، وليس بالمعنى الاصطلاحي الذي تعقد على أيدي السكاكي واضرابه بالاستغراق في

إن من البيان لسحرا

البحث الفلسفي الرياضي عن ألوان التشبيه والمجاز والكناية وما اليها ...

وقد سئل جعفر بن يحيى عن البيان ، فقال : « أن يكون الاسم يحيط بمعناك ، ويجلى عن مغزاك ، وتخرجه من الشركة ، ولا تستعين عليه بالفكرة . والذى لا بد منه أن يكون سليما من التكلف ، بعيدا من الصنعة ، بريئا من التعقيد ، غنيا عن التأويل » .

وأوجز الاصمعي ، فعرف البليغ المبين بأنه « من طبق المفصل ، وأغناك عن المفسر » .

وعرف الجاحظ البيان تعريفا عاما ، فقال : « أنه اسم جامع لكل شيء كشف قناع المعنى وهتك الحجب دون الضمير ، حتى يفضى السامع الى حقيقته ويلم بما فيه » .

وشرح هذا وعلل له بأن مدار الامر وغاية القائل والسامع انما هو الفهم والافهام ، فبأى شيء بلغت الافهام وأوضحت عن المعنى ، فذلك هو البيان .

وعرفه فى هذا الموضع نفسه تعريفا آخر ، فقال « أنه الدلالة الظاهرة على المعنى الخفى ، وأن البيان بهذا المعنى هو الذى دعا اليه الله ، ونطق به القرآن ، وبذلك تفاخرت العرب ، وتفاضلت على أصناف العجم » ...

ومهد لهذا التعريف بذكره أن المعانى مستورة مكنونة وموجودة فى معنى معدومة ، لا يعرف الانسان ما فى ضمير أخيه الانسان منها ، وحياتها فى ذكر الناس لها واخبارهم عنها واستعمالهم اياها ، وبهذا تقرب من الفهم وتظهر وتؤلف . وأقدار المعانى وظهورها متصلة بأقدار الدلالات ووضوحها والاشارات وصوابها والايراد وحسنه ...

وبعد أن يورد هذا وذاك ، يذكر أصناف الدلالات من لفظ واشارة وعقد وخط وحال اذ جميعها تدل وجميعها تبين .

وويعقب الجاحظ على تعريف جعفر بن يحيى بقوله: «وهذا هو تأويل قول الاصمعى : « البليغ هو من طبق المفصل وأغناك عن المفسر » .

وفى جميع هذه التعاريف ترى نزعة الى تمام الافهام وحسن التجلية للمعانى ، كما أن حديث الجاحظ لا ريب عن المعانى وموتها وحياتها ، وحظ الالفاظ بخاصة والدلالات بعامة فى البيان عنها — فيه تفكير وعمق وفتنة .

سلطان البيان فى الجاهلية :

وكان للبيان فى الجاهلية اعلى سلطان ··· لمية اتصال العرب بجيرانهم من الفرس والروم وفاضلوهم ، ويسحره فتن الناس حتى كان الشاعر هو المقدم فى قومه والذائد عن حياضها ، ومن ثم يعتبر ظهوره مفخرة ··· وترهموا فى ابداعه وتخيلوا حتى اعتبروا قوله وحيا من وراء الطبيعة يلقى به اليه رئى او شيطان .

وكانت لاقوال الخطباء والكهان البليغة الموجزة قوة توجه الناس فى حياتهم الخاصة ، وتوجه القبائل فى علاقات بعضها ببعض . وكانت الاشعار هي حافز العربي فى الحرب والسلم على السواء ، وكانت المفاضلة بين الوان البيان شغلهم الشاغل ···

وروى أن النابغة كانت تضرب له قبة من أدم بسوق عكاظ ، فيأتيه الشعراء وينشدون أمامه الشعر ليحكم بينهم . ويظهر انهم كانوا يتفاخرون بما فى شعرهم من تشبيه ومجاز . فالخنساء تنشده قولها :

وان صخرا لتأتم الهداة به … كأنه علم فى رأسه نار

ويعجب النابغة به ، فيغيظ هذا الاعجاب حسانا ، فيثور ويتحدى النابغة وأباه والخنساء أن يأتوا بمثل قوله :

لنا الجفنات الغر يلمعن فى الضحى … وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

لكن النابغة لا يعجبه هذا التصوير فيقول له : أقللت جفانك وأسيافك — يعنى أن الجفنات لأدنى العدد والكثير جفان ، وكذلك أسياف لأدنى العدد والكثير سيوف ، وقلت : « يلمعن بالضحى » ولو قلت «يبرقن بالدجى» لكان ابلغ فى المديح ، لان الضيف فى الليل اكثر ، وقلت « يقطرن من نجدة دما » فدللت على قلة القتل ، ولو قلت يجرين لكان اكثر لانصباب الدم . ثم يتيه النابغة عليه بحسن بيانه فى قوله :



خطاطيف حجن في حبـال متينة　　تمـد بها أيـد اليك نوازع

ويقول ابن رشيق في اول حديثه عن المبالغة: (والناس فيها مختلفون منهم من يؤثرها ويقول بتفضيلها ، ويراها الغاية القصوى في الجودة ، وذلك مشهور من مـذهب نابغة بني ذبيان ، وهو القائل : اشعر الناس من استجيد كذبه واضـحك من رديئه)"

وهناك شيء آخـر في الجاهلية يتصل بسلطان البيـان . ذلك هو تجويد الشعر وتنقيحه ، وما قد يدل عليه من المعرفة بمقاييس بلاغيـة يطبقها الشاعـر على قوله ويخضعه لها . فقد عرف زهير بن أبي سلمى بتهذيب الشعر وتنميته فقصائـده الكبار بالحوليات . يؤلف كلا منهـا في شهور ثم يتوفر عليها عاما بالتنقيح وقد ذكـره الجاحظ في معـرض القول عمن يتحرون المطـابقة بين الكلام ومقتضاه .

وسـار على قاعدته جماعة من بعده ، كالحطيئة الذى يقول : خير الشعر الحـولى المنقح ، والبعيث الشـاعر الخطيب القائل « اني والله ما أرسـل الكلام قضيبـا خشيبا ، وما أريـد أن أخطب يوم الحفل الا بالبائت المحكك » .

ويظهـر أن الحطيئة قد أسرف في التنقيح . ولهذا عابه الاصـمعي بقوله : « الحطيئة عبد لشعـره » لعابه حين وجد شـعره كله متخيرا منتخبا مستويا لمكان الصنعة والتكلف فيه . فقد تحدث الجاحـظ عن المجودين الجاهليين ، فذكـر انهم كانوا يصنعون ذلك « اتهاما للعقل، وتتبعا على النفس ، ووضعا للعقـل حاكما في الرأى وللرأى عيارا على الشعر ، واشفاقا على الادب » .

وتحدث صاحب الصـناعتين عن النابغة ، وكيف كان شعره ضعيفـا متكلفا ، ثم برىء بفضل اقامته من يثرب وعلمها ونقل عنه قوله :

« دخلت في يثرب فوجـدت في شعرى ضـعفا ، فخرجت منها وأنا اشعر العـرب » وروى عن خطباء الجاهلية وأبنائها شدة اعتـزازهم بالبيان وتفضيله على كل ما عداه من مقومات الانسـان . وفي هذا قال ابن ضمرة : « انما المرء بأصغريه : بقلبه ولسانه ، ان صال صال بجنان، وان قال قال ببيان » .

في دعوة الاسلام

وأتى الاسـلام ، فكان عاملا قويا في اعـزاز البيـان ودعم سلطانه ...

إن من البيان

لسحرا

وكان القـــرآن معجزة الرسول حجة بلاغية ، تحدى العرب بل الانس والجن أن يأتوا بمثـــله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا · وحين افحم المشركون زعموا أنه ســحر وليس وحيا ··· ولعل الموازنة بين أسلوبه واسلوب غيره قد اســتدعت التنبه الى الميــزات اللفظية والمعنوية ، والتأمل فى طرائق البيان ·

وقد أكثر القرآن من ضرب المثل وألوان التشبيه والمجاز والكنـــاية والبـــديع ، حتى كاد المتقـــدمون والمتأخرون يجـــدون لكل نوع بلاغى يهتدون اليه مثالا فيه ·

وكان تفهمه مدعاة الى ظهـــور البحث البلاغى ، فألفت فى العصور الاولى كتب كثيرة فى معانى القرآن ومجازه ونظمه واعجازه · فواصـــل ابن عطاء والكســـائى والاخفش والرؤاسي ويونس بن حبيب والمبـــرد وقطرب النحوى والفراء وأبو عبيدة وابن الانبارى والزجاج وخلف – كل هؤلاء ألفوا فى معانى القرآن ·

وأبو عبيدة ألف فى مجاز القرآن، وللجاحظ كتاب نظم القرآن ، وكتاب المسائل فى القرآن ولبشر بن المعتمر كتاب فى متشابه القرآن ، ولمحمـــد ابن يزيد الواسطى كتاب اعجـــاز القرآن فى نظمه وتأليفـــه ، ولابن الاخشيد كتـــاب نظم القرآن ، ولابن الراوندى كتـــاب فى رد الطعن على نظم القرآن ·

وكانت آيات القرآن موضوع درس الجاحظ فى كتابه عن الايجـــاز والاستعارة الموصوف بقوله : « ولى كتاب جمعت فيه آيا من القـــرآن ، لتعرف بها ما بين الايجاز والحذف وبين الـــزوائد والفضـــول والاستعارات » ·

وكان المجاز فى القرآن مدعـــاة للجدل الطويل بين المثبتين والنافين، حتى ألف مؤرخ السدوسى كتاب الرد على من نفى المجاز فى القـــرآن · وقد عرض الجاحظ لهذا الجدل فى مواضع عدة من كتبه ، كالذى ذكره من زعم ابن حائك ، وناس من جهال الصوفية ممن ينكرون المجـــاز فى القـــرآن ويفسرون بظـــاهر اللفظ – ان النحل أنبياء ، لقوله عز وجل : (وأوحى ربك الى النحـــل)، وان الحوار بيين أنبياء لقـــوله تعالى : (واذ أوحيت الى الحواريين)· ثم يسخر منهم فيقول : « بل يجب أن تكون النحل كلها أنبياء ، لقوله عـز وجل على المخـــرج العام : « وأوحى ربك الى النحل) ولم يخص الملوك والامهـــات واليعاسب ، بل أطلق القول اطلاقا · وعزا الجـــاحظ هذا الى عدم العلم « بوجوه اللغة وفقه بعضها من بعض »· وعـــرض لقوله تعالى « يخـــرج من بطونها شراب » فقال : « فالعسل ليس بشراب،وانما يحول بالماء شرابا أو بالماء نبيذا »، ثم قال : « وهذا الباب هو مفخـــر العرب فى لغتهم ، وبه قال وبأسبابه اتسعت »·

إن من البيان
لسحرا

وهكذا ترى القرآن قد أثار البحث في المجاز العربي وفهم أسراره، وأنهم كانوا يرونه مفخرة للعرب لا يشاركهم فيها أحد سواهم ·

وظلت البلاغة متصلة بالقرآن على هذا النحو، حتى اذا كان القرن الرابع رأينا أبا هلال العسكري يقرر أن علم البلاغة هو الوسيلة لمعرفة اعجاز القرآن، ويقول: «··· وقد علمنا أن الانسان اذا أغفل علم البلاغة · لم يقع علمه باعجاز القرآن، من جهة ما خصه الله به من حسن التأليف وبراعة التركيب، وما شحنه به من الايجاز البديع والاختصار اللطيف ···»

وكان في الاسلام مجالس أدبية تشبه المجالس الجاهلية ويستأثر فيها حديث البيان بأوفر نصيب ·

ومن المجالس الاسلامية الطريفة مجالس النساء كمجلس عائشة بنت طلحة، ومجلس سكينة بنت الحسين· فيروى أن عائشة كانت تفد على هشام، فيأتي مشايخ بني أمية الى داره ويسمرون عنده، فلا يتذاكرون شيئا من أخبار العرب وأشعارها وأيامها الا أفاضت معهم فيه ·

وكانت سكينة برزة تجالس جلة قريش، ويجتمع اليها الشعراء والمغنون · وقد عرفت بذوقها الفني والادبي ونقد الشعر والغناء، وكان رواة الشعر يتحاكمون اليها، وكانت تجيز الشعراء على ماتراه حسنا من قولهم ·

وكانت مجالس الخلفاء والولاة كعبة، يحج اليها الشعراء والعلماء فيعرضون أشعارهم، فيتناظرون في آرائهم ومعارفهم · وكانت هذه المجالس موضعا لاثارة كثير من المسائل الادبية والفنية، وللنظر في ألوان الادب وما فيها من جمال التصوير ·

ومن مواطن الادب مربد البصرة ومسجد الكوفة · فكان جرير والفرزدق يذهبان الى المربد للتهاجي· وكان للراعي والفرزدق واتباعهما حلقة بأعلى المربد يجلسون فيها ،ويعرضون على الناس انتاجهم الغزير ·

وكانت مساجد الكوفة والبصرة ميدانا لنشاط المحدثين واللغويين والنحاة والنقاد والمتكلمين والقصاص، يتذاكرون فيها ويتجادلون، ويدلي كل بما عنده لاصحابه، فيتزلون كلامه بالنقد والتجريح · ولهذا كان الخطباء والمحدثون يتحرون سلامة التعبير، وحسن الاداء، والبعد عن عيوب البيان ·

سحر البيان

وروى صاحب « البيان والتبيين» أن البيان يعني الغلابة في التعبير ، والايقاع في الحبائل ، والاقتدار صاحبه على نصرة رأيه بالحق والباطل .

واستشهد على ذلك بقول مالك بن دينار انه سمع الحجاج يخطب ، ذاكرا ما صنع به أهل العراق وما صنع بهم ، فيقع في نفسه انهم يظلمونه ، وانه صادق فيما يقوله لقوة حجته وروعة بيانه ... ثم يقول الجاحظ : فالذين كرهوا البيان ، انما كرهوا مثل هذه المذاهب » .

وفي ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« انما انا بشر مثلكم . وانكم تختصمون الي . ولعل بعضكم أن يكون الحن (١) بحجته من بعض ، فاقضي له بنحو ما اسمع . فمن قضيت له بحق اخيه ، فانما اقطع له قطعة من النار ... »

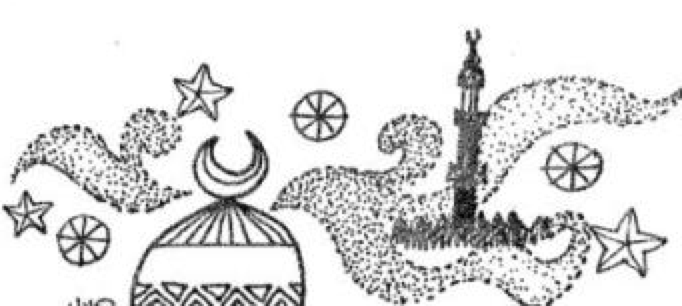
كما روى قول الاعرابي :

برئت الى الرحمن من كل صاحب — أصاحبه الا حماس بن ثامل
وظني به بين السماطين انه — سينجو بحق او سينجو بباطل

كما روى قول كلثوم بن عمر العتابي ، من علماء القرنين الثاني والثالث للهجرة : « فاذا اردت اللسان الذي يروق الالسنة ويفوق كل خطيب ، فاظهار ما غمض من الحق ، وتصوير الباطل في صورة الحق » .

وروى أن غيلان بن خرشة الضبي مر مع عبد الله بن عامر بنهر ام عبد الله الذي يشق البصرة . فقال عبد الله بن عامر : ما أصلح هذا النهر لأهل هذا المصر ! فقال غيلان : اجل والله ، ايها الامير — يتعلم فيه العوم صبيانهم ويكون لسقياهم ، ومسيل مياههم ، وياتيهم بميرتهم .

ثم مر غيلان يساير زيادا على ذلك النهر — وقد كان عادى ابن عامر — فقال له : ما أضر هذا النهر لأهل هذا المصر فقال



غيلان : أجل ـ والله ، أيها الأمير ـ تثنى منه دورهم ، ويغـــرق فيه صبيانهم . ومن أجله يكثر بعوضهم . لكره الناس مثل هذا البيان .

ويعلق على هذا ابن رشـيق ، فيقـول : « والذى أراه أنا أن هذا النوع من البيـــان غير معيب بأنه نفاق لأنه لم يجعل الباطل حقا ، على الحقيقة ، ولا الحق باطلا ، وإنمـا وصف محاسن كل شيء مرة ثم وصف

مساويه مرة أخـــرى . كما فعل عمرو بن الأهتم بين يدى رســـول الله صلى الله عليه وسلم وقد سأله عن الـزبرقان بن بدر فأثنى خيرا ، فقال : مانع لحـــوزته ، مطاع فى أنديته (ويروى فى أدانيه) فلم يرض الزبرقان بذلك ، وقال : أما أنه قد علم أكثر مما قال ، ولكن حسـدنى لشرفى (وفى رواية أخرى حسدنى مكانى منك يخاطب النبى صلى الله عليه وسلم .) . فأثنى عليه عمرو شرا وقال : أما لئن قال ما قـال ، لقد علمته ضيق الصدر زمر المروءة ، أحمق الأب ، لئيم الخـــال ، حديث الغنى . ثم قال : والله يارسـول الله ، ما كـذبت عليه فى الأولى ، ولقد صدقت فى الآخـــرة . ولكن أرضانى فقلت بالرضا ، وأسخطنى فقلت بالسخط . فقال رسـول الله صلى الله عليه وسلم إن من البيـــان لسحـرا .

.. قال أبو عبيد القـــاسم بن سلام : وكان المعنى والله أعلـم أنه يبلغ من بيانه أنه يمدح الانسان ، فيصدق فيه حتى يصرف القلوب الى قوله ، ثم يذمه فيصـدق فيه حتى يصرف القلوب الى قوله الآخـــر . فكأنه سحـر السامعين بذلك . وقال صـــلى الله عليه وسلم للعلاء بن الحضرمى ، وقد سأله : هل تروى من الشعر شيئا ؟ فأنشده :

حى ذوى الأضـــغان تسـب عقولهم تحيتك الحسنى ، وقد يرقع النعـل
فان دحسوا بالكره فاعف تكـــرما وان حبسوا (١) عنك الحديث فلا تسل
فإن الذى يؤذيك منه ســــماعه وإن الذى قالـــوا وراءك لم يقل

فقال صلى الله عليه وسلم :

«إن من الشعر لحكما أو حكمة» على اختلاف الرواية .

وهذا اللون من البيـــان ، الذى يشبه السحر فى جريانه مجـــرى التمويه والخداع والاحتجـاج للحق والباطل ، قد عنى به أدباء العـرب واســـتخدموه دلالة على تمكنهم فى البيان والفكـــر ..

---

(١) وفى رواية : وإن خنسوا عنك

إن من البيـــان لســحـرًا

ومن أبرز الامثلة على ذلك كتاب المحاسن والاضداد للبيهقي ، وكتاب المحاسن والمساويء للجاحظ ..

وكانت براعة الجاحظ في هذا اللون من سحر البيان لا يشق لها غبار . فهو يكتب رسالة بارعة خلابة عن ذم الخبر . ثم يقول له صاحبه ما طلبت ذمها ولكن طلبت مدحها فيكتب له رسالة أخرى في مدح الخبر ومحاسنها لا تقل روعة وخلابة عن سابقتها . ومثل ذلك حديثه عن القيان محاسنهم ومساوئهم ، وعن المعلمين والوزراء والتجار والبخلاء وغيرهم .

وهكذا اتسعت فنون البيان لتشمل هذا الضرب من ضروب المهارة في العرض والمقدرة على التمويه والخداع ...

وبعد ، فان البيان قد استولى على الافراد والمجتمعات ، ووجه سحره الحياة العربية الخاصة والعامة قرونا طوالا ...

فالخلفاء والملوك والامراء ظلوا منذ القدم حتى العصور الحديثة ، وبأقدار متفاوتة ، يقربون الكتاب والخطباء والشعراء ويرونهم ضرورة لممارسة شئون السياسة والحكم ، ويتجاوزون في سبيل بيانهم ، والرغبة في الظفر بتأييدهم ، عن جميع مساوئهم ونقائصهم ...

وقد نطالع في العصور الاسلامية الاولى من اغدق على شاعر اعجبه مائة الف درهم ، بل الف الف درهم أو مليونا ... ومن يطالع كتاب الاغاني ، وغيره من موسوعات الادب العربي ، يعجب كيف كانت للبيان الكلمة العليا في شئون السياسة والحكم ، وكيف كان أصحابه هم الولاة والكتاب والوزراء ومن بيدهم الثواب والعقاب ...

ولقد ظل البيان صاحب الكلمة العليا في السياسة حتى مرحلة الحرب الباردة التي امتدت الى منتصف الستينات لهذا القرن .

ومع ذلك فلا يزال للبيان كلمته ومكانته في شئون السياسة الوطنية والقومية والدولية لهذه الأيام .

وما حرب الاعلام ووسائله من الصحافة والاذاعة المسموعة والمنظورة ، ووكالات الانباء في ارجاء العالم ومنابر الامم المتحدة والمحافل الدولية - وما هذه كلها سوى ادوات لألوان البيان وسحره، يحاول كل منها ان يعلي كلمته ، ويبلغ الهدف الذي يسعى لبلوغه .

الطيبات

« اني ذقت الطيبات كلها ، فلم اجد اطيب من العافية ...
« وذقت المرارات كلها ، فلم اجد امر من الحاجة الى الناس ..
« ... وقد حملت الصخر والحديد ، فلم اجد اثقل من الدين .
« ... الا فاعلم ان الدهر يومان : يوم لك ، ويوم عليك ...
فان كان لك فلا تبطر . وان كان عليك فاصبر - فكلاهما ينحسر ..
(علي بن أبي طالب)

د. أحمد الشرباصي

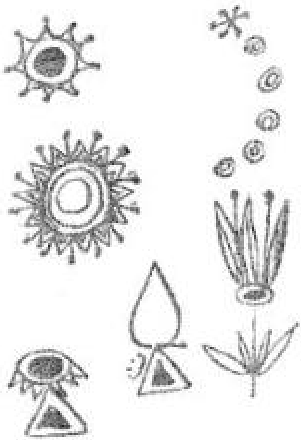
حديث السحر في القرآن

كلمة « السحر » لفظة تكاد تسحرنا بكثرة معانيها وتلون مغازيها : فقد تطلق على دقة الفعل ، وقد تطلق على قوة التأثير .. فقد قالوا ان الطبيعة ساحرة وتحدثوا عن سحر العيون وسحر الجمال ، وسموا الغناء سحرا لانه يلطف تأثيره ، وقال سيد البلغاء رسول الله عليه الصلاة والسلام : « ان من البيان لسحرا » أى منه ما يصرف قلوب السامعين اليه ، وان كان غير حق ، وقيل : معناه ان من البيان ما يكتسب به صاحبه من الاثم مايكتسبه الساحر بسحره ، فيكون بمعرض الذم ، وقيل : يجوز ان يكون في معرض المدح ، لانه يستمال به القلوب ، ويترضى به الساخط ، ويستنزل به الصعب .

يقال سحره أى صرفه عن وجهه وخدعه ، ومن ذلك قوله تعالى في سورة الاعراف : « وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين » ، وقوله في سورة المؤمنون « قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون؟ سيقولون لله قل فأنى تسحرون » ؟ أى فكيف تصرفون عن الحق وتخدعون؟

واصل السحر هو صرف الشيء عن وجهه أى صرفه عن حقيقته الى غيرها وكأن الساحر لما أرى الناس الباطل في صورة الحق وخيل الشيء على غير حقيقته ، فقد سحر الشيء عن وجهه ، أى صرفه .

والسحر عند العلماء عمل يتقرب فيه صاحبه الى الشيطان ، ويستعين بالشيطان فيه ، لاخراج الباطل في صورة الحق ، بدقة صنع ولطف مأخذ ، وقد ورد ذكر « السحر »



في القرآن الكريم كثيرا ، بمعنى الخداع والتخيل ، ومن ذلك قول الله تعالى في سورة الانعام : « ولو نزلنا عليك في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين » اى تخييل لا حقيقة ، وخداع للبصر والحواس

ويقول القرآن في سورة يونس : « فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين » . وفي سورة هود : « ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين » .

ولان السحر يقوم على التمويه والتضليل قال القرآن في سورة طه : « ولا يفلح الساحر حيث اتى » ويعلق احد المفسرين بقوله : ان الساحر لا يفلح انى ذهب ، وفي اى طريق سار ، لانه يتبع تخييلا ويصنع تخييلا ولا يعتمد على حقيقة ثابتة باقية ، شانه شان كل مبطل امام القائم على الحق المعتمد على الصدق .

ويعرف مفسرو القرآن السحر بانه قول او فعل يترتب عليه امر خارق للعادة ، ويعتمد على وسائل من الرقى والعزائم وما اشبهها . ولقد تحدث الرازى المفسر المشهور عن انواع السحر ، فذكر منه سحر اصحاب الاوهام والنفوس القوية ، وسحر يستعين اصحابه بالارواح الارضية ويقصد بها الجن ، وسحر التخيلات والاخذ بالعيون ، لان المشعبذ الحاذق يظهر عمل شيء يشغل اذهان الناظرين به ، ويأخذ عيونهم اليه ، حتى اذا استفرغهم الشغل بذلك الشيء والتحديق نحوه ، عمل شيئا اخر بسرعة شديدة فيبقى ذلك العمل خفيا ، لتفاوت الشيئين : اشتغالهم بالامر الاول ، وسرعة الاتيان بهذا العمل الثانى ، وحينئذ يظهر لهم شيء اخر غير ما انتظروه ، فيتعجبون منه جدا ، ولو انه سكت ولم يتكلم بما يصرف الخواطر الى ضد ما يريد ان يعمله، ولم تتحرك النفوس والاوهام الى غير ما يريد اخراجه ، لفطن الناظرون لكل ما يفعله ، فهذا هو المراد من قولهم ان المشعبذ يأخذ بالعيون لانه بالحقيقة يأخذ بالعيون الى غير الجهة التى يحتال فيها ، وكلما كان اخذه للعيون والخواطر ، وجذبه لها الى سوى مقصوده اقوى ، كان احذق في عمله ».

وكلما كانت الاحوال التى تفيد حس البصر نوعا من انواع الخلل اشد ،كان هذا العمل احسن ، مثل ان يجلس المشعبذ في موضع مضيء جداً ، فان الضوء الشديد يفيد البصر كلالا واختلالا ، وكذا الظلمة الشديدة ، وكذلك الالوان المشرقة القوية تفيد البصر كلالا واختلالا ، والالوان المظلمة قلما تقف القوة الباصرة على احوالها » .

ويضيف الامام الرازى ما يسميه سحر الاعمال العجيبة التى تظهر من تركيب الالات المركبة على النسب الهندسية ، الخاصة ، وهناك سحر

حديث السحر

الاستعانة بخواص الادوية، كاستعمال بعض الادوية المزيلة للعقل ، أو التى تسبب تبلد الذهن ، وهناك سحر « تعليق القلب » ، بأن يوهم الساحر مسحوره بأنه يعرف « الاسم الاعظم» فيعتقد المسحور الضعيف العقل بذلك، ويتعلق قلبه به ، فيتحكم فيه الساحر، ويوجهه الى ما يشاء ، وهناك سحر السعي بالنميمة والوقيعة بوجوه لطيفة خفيفة .

واذا كان الامام الاصفهاني يجعل أنواع السحر ثلاثة فى كتابه « مفردات القرآن » ، وهى اولا الخداع والتخيلات ، وثانيا استجلاب معاونة الشيطان بضرب من التقرب اليه وثالثا ما كان بقوة تغير الصور والطبائع ، ولا حقيقة لذلك عند المحققين ، اذا كانت أنواع السحر عند الاصفهاني ثلاثة ـ فان المفسر الجليل ابن كثير يجعلها ثمانية ، وهى :

١ ـ سحر الكذابين الذين كانوا يعبدون الكواكب السبعة السيارة ، ويعتقدون أنها مدبرة العالم ، وانها تأتي بالخير والشر .

٢ ـ سحرأصحاب الاوهام والنفوس القوية ، لان الوهم هو الذى يؤثر فى الانسان ، فيجعله يعتقد انه يمكنه أن يمشي على الجسر الموضوع على وجه الارض ، ولا يمكنه المشى عليه اذا كان ممدودا على نهر أو نحوه ، والنفوس خلقت مطيعة للاوهام .

٣ ـ سحر الاستعانة بالارواح الارضية ، وهم الجن ، ومنهم كفار ومؤمنون ، واتصال النفوس الناطقة بهم أسهل من اتصالها بالارواح السماوية ، لما بينهما من المناسبة والقرب ، وهذا النوع هو المسمى بالعزائم وعمل التسخير .

٤ ـ سحر الشعبذة والاخذ بالعيون، واذهال الناظرين ، مع الاعتماد على السرعة الشديدة ، ومن هذا النوع ما ذكره القرآن فى قوله : « فلما القوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم » وقوله : « يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى »

٥ ـ سحر الاعمال العجيبة القائمة على استخدام خواص المواد . واستغلال تركيب الآلات الخاصة بنسب هندسية خاصة ، ومن هذا القبيل ما ذكره المفسرون فى قصة سحرة فرعون ، حيث عمدوا الى حبالهم وعصيهم ، فحشوها زئبقا . وجعلوا من أسفلها حرارة خاصة ، فصارت تتلوى بسبب ما فيها من ذلك الزئبق، فيخيل الى الرائى أنها تتحرك وتسعى باختيارها .

٦ ـ سحر الاستعانة بخواص الادوية فى الاطعمة والدهون الخاصة

٧ ـ سحر تعليق القلب ، حيث يدعى الساحر المخادع ان الجن يطيعونه وينقادون له فى اكثر الامور عن طريق معرفة « الاسم الاعظم » فاذا اتفق ان السامع لذلك ضعيف العقل قليل التمييز ، تعلق قلبه بذلك وحصل فى قلبه نوع من الرعب والمخافة ، فاذا حصل الخوف ضعفت القوى الحساسة ، فيتمكن الساحر حينئذ ان يفعل ما يشاء .

٨ ـ سحر السعاية والنميمة ، عن طريق التحريش بين الناس ، ويتوقف هذا النوع على مدى ذكاء القائم به. ونخلص من هذه التقسيمات والتفريعات الى أن أصل السحر هو التمويه بالحيل والتخاييل ، بأن يفعل الساحر أشياء يخيل للمسحور انها بخلاف ما هى به ، كالذى يرى السحاب من بعيد ، فيخيل اليه انه

ماء ، وكراكب القاطرة السريعة يخيل اليه أن ما يقابله من الاشجار والجبال يسير بسرعة .

ففى السحر اذن معنى الخداع والخفاء ، والاستمالة والتمويه بالكذب ، وهو اما حيلة وشعوذة ، واما صناعة علمية خفية يعرفها بعض الناس ، واما تأثير نفس انسانية فى نفس أخرى ، يقول « تفسير المنار » : « وقد اعتاد الذين اتخذوا التأثيرات النفسية صناعة ووسيلة للمعاش أن يستعينوا بكلام مبهم وأسماء غريبة اشتهر عند الناس أنها من أسماء الشياطين وملوك الجان ، وأنهم يحضرون اذا دعوا بها ، ويكونون مسخرين للداعي ،ولمثل هذا الكلام تأثير فى اثارة الوهم عرف بالتجربة ، وسببه اعتقادهم الواهم أن الشياطين يستجيبون لقارئه ويطيعون أمره ، ومنهم من يعتقد أن فيه خاصية وانما تلك العقيدة الفاسدة تفعل فى النفس الواهمة ما يغني منتحل السحر عن توجيه همته وتأثير ارادته ، وهذا هو السبب فى اعتقاد الدهماء أن السحر عمل يستعان عليه بالشياطين وأرواح الكواكب » .

ويرى فريق من السلف أن السحر لا أصل له ، ويرى البعض أنه وسوسة وأمراض ، ويرى بعض اخر أنه حق وله حقيقة ، يخلق الله عنده ما يشاء ، ومنه ما يكون بخفة اليدين ومنه ما يكون كلاما محفوظا ، ورقى من أسماء الله تعالى ، وقد يكون من عهود الشياطين ، ومنه ما يكون أدوية وأدخنة وغير ذلك .

ومذهب أهل السنة أن السحر ثابت وله حقيقة ، ومذهب المعتزلة بخلاف ذلك ، وهو أن السحر لا حقيقة له، بل هو ايهام لكون الشيء على غير ما هو به ، واستدلوا بقول القرآن : « يخيل اليه من سحرهم انها تسعى » حيث لم يقل : تسعى حقيقة ، بل قال: « يخيل اليه » وبقوله : « سحروا أعين الناس واسترهبوهم » .

ويميل « تفسير المنار » – وهو تفسير عصرى عقلى يمثل مدرسة الاستاذ الامام محمد عبده – الى تكذيب السحر ، وانه شيء منتحل ، يستخدمه أصحابه ليفتنوا العامة ، ويشغلوهم عن طلب الاشياء بأسبابها الظاهرة ومناهجها المشروعة، وهؤلاء الدجالون ما زالوا يتلون أقساما وعزائم ، ويخطون خطوطا وطلسمات ويسمون ذلك خاتم سليمان وعهود سليمان ، ويزعمون أنها تحفظ حاملها من اعتداء الجن ومس العفاريت .

وترى هذه المدرسة العقلية فى تفسير القرآن الحكيم أن السحر أعمال غريبة من التلبيس والحيل ، تخفى حقيقتها على الجماهير لجهلهم بأسبابها فمتى عرف سبب شيء منها بطل اطلاق اسم السحر عليه .

ويستوى فى هذا أنواع السحر الثلاثة : ما يعمل بالأسباب الطبيعية من خواص المادة المعروفة للعالم بها، المجهولة عند المسحورين ، كاستعمال الزئبق فى تحريك الحبال والعصى الذى روى أن سحرة فرعون قد استخدموه فى سحرهم .

أو ما يقوم على الشعوذة القائمة على البراعة وخفة اليدين فى اخفاء بعض الاشياء واظهار بعض أخر .

أو ما يقوم على تأثير النفوس ذوات الارادة القوية فى النفوس الضعيفة صاحبة الامزجة العصبية القابلة للاوهام والانفعالات

وفى كتاب « فى ظلال القرآن » ان القوى المجهولة فى الكون كثيرة ،وقد نحس بها ، أو نشاهد بعض آثارها ، ولكننا لا نستطيع تجلية حقائقها أو طرائقها أو كنهها .. فالتنويم المغناطيسى مثلا ، والتخاطب على أبعاد ومسافات طويلة (التليباثى) ،وأحلام التنبؤ التى تقع فيما بعد كما رئيت ، من هذا الوادى . والسحر من قبيل

هذه الامور ، وتعليم الشياطين للناس من قبيل هـــذه الامور ، وقد تكون صورة من صور القـــدرة على الإيحاء والتأثير ، اما في الحـواس والافكار، واما في الاشياء والاجسام، ولا مانع أن يكون مثل هذا التأثير وسيلة للتفريق بين المرء وزوجه ، وبين الصديق وصديقه ، فالانفعالات تنشأ من التأثيـــرات ، وان كانت للوســـائل والاثار ، والاســباب والمسببات ، لا تقع عنها الا بإذن الله

وعلى الرغم من اختلاف الائمة في حقيقة السحر نراهم يجمعون على أن السحر لا يؤثر بذاته في نتائج او عواقب ، وانما يخلق الله تعـــالى الاشياء المتعلقة بالسحر عند وجوده، كما يخلق الشبع عند الاكل ، والري عند شرب الماء ·

وكما تكلم السلف عن حقيقةالسحر تكلموا عن حكمه ·

يقول الامام القرطبي في تفسيره : من السحر ما يكون كفرا من فاعله ، مثل ما يدعون من تغيير صور الناس واخراجهم في هيئة بهيمة ،وقطـــع مسافة شهر في ليلة ، والطيران في الهواء فكل من فعل هذا ليوهم الناس انه محق فذلك كفر منه » ·

وجمهور العلماء يرى قتل الساحر، لانه كالمدعي للنبوة ، وكالمزرىبالانبياء:

يرى الامام مالك والائمة ابن حنبل والشافعي وابو حنيفة وغيرهم ، أن المسلم اذا سحر بنفسه ، بكلام يكون كفرا يقتل ولا يستتاب ولا تقبلتوبته، لان الله تعالى سمى السحر كفرا ، كما يقول عن الملكين المعلمين للسحر :

« وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر » ·

واستدلوا على ذلك بحـــــديث ــ ضعفوه ــ يقول : « حد الساحر: ضربة بالسيف »·

ويقول ابن المنذر : « واذا أقــــر الرجل أنه سحر بكلام يكون كفرا وجب قتله ان لم يتب ، وكذلك لو ثبتتبه عليه بينة ، ووصف البينـــــة كلاما يكون كفرا »·

وان كان الكلام الذي ذكر أنه سحر به ليس بكفر لم يجز قتله · فان كان أحدث في المســـحور جناية توجب القصاص اقتص منه ان كان عمـــد ذلك ، وان كان مما لا قصاص فيه ففيه دية ذلك »·

ويروى أنه كان عند الوليد بن عقبة ساحر يلعب بين يديه ، فكانيضرب رأس الرجل ثم يصيح به فيرد اليه رأسه ، فقال الناس : سبحان الله ، يحيي الموتى ·

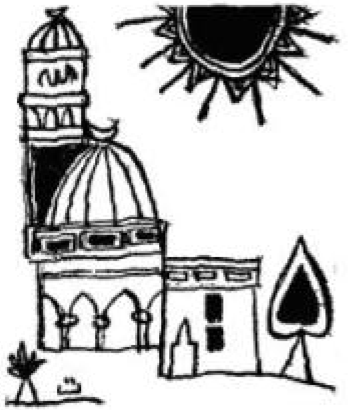
ورآه رجل من صالحي المهاجرين، فلما كان الغد جاء الساحر مشتملا على سيفه ، وأخذ يلعب لعبه ذلك ، فرفع المهاجر سيفه ، وضرب به عنق الساحر ، وقال عنـــه : « ان كان صادقا فليحي نفسه »· وتلا قول الله تعالى : « أفتأتون الســـحر وأنتم تبصرون » ؟ ! ·

حـــــديث السحر

وحين يدور حديث الســـحر في القرآن ، يرد سؤال له اهميته في هذا المجال

أصحيح ما يزعمه بعض المفسرينأن لبيد بن الاعصم اليهودي ســـحر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن الله جل جلاله شفاه من هـــذا السحر ؟

انهم يوردون هذه القصة عنـــد قول القرآن الكريم في سورة الفلق: « ومن شر النفاثات في العقد » ، وبعض المحـــققين يطعنون في ذلك



الخبر ، ويرون أن تمكن ذلك الشخص من سحر الرسول لا يليق بمكانة الرسول وهو المعصوم المؤيد من ربه سبحانه ، وعلى رأس هؤلاء المنكرين لقصة سحر الرسول الاستاذ الامام محمد عبده ، وله فى ذلك الموضوع بحث يفيض بالحرارة والغيرة على مكانة الرسول عليه الصلاة والسلام ومما جاء فيه :

« قد رووا هاهنا احاديث فى أن النبى صلى الله عليه وسلم سحره لبيد بن الاعصم ، وأثر سحره فيه ، حتى كان يخيل له انه يفعل الشيء وهو لا يفعله ، او يأتى شيئا وهو لا يأتيه ، وأن الله أنبأه بذلك ، واخرجت مواد السحر من بئر ، وعوفى صلى الله عليه وسلم مما كان نزل به من ذلك ، ونزلت هذه السورة (سورة الفلق) .

ولا يخفى أن تأثير السحر فى نفسه عليه الصلاة والسلام حتى يصل به الامر الى أن يظن انه يفعل شيئا وهو لا يفعله ، ليس من قبيل تأثير الامراض فى الابدان ، ولا من قبيل عروض السهو والنسيان فى بعض الامور العادية ، بل هو ماس بالعقل آخذ بالروح ، وهو مما يصدق قول المشركين فيه « ان تتبعون الا رجلا مسحورا » .

وليس المسحور عندهم الا من خولط فى عقله ، وخيل له أن شيئا يقع وهو لا يقع ، فيخيل اليه أنه يوحى اليه ولا يوحى اليه .

وقد قال كثير من المقلدين الذين لا يعقلون ما هى النبوة ، ولا ما يجب لها : ان الخبر بتأثير السحر فى النفس الشريفة قد صح ، فيلزم الاعتقاد به وعدم التصديق به من بدع المبتدعين لانه ضرب من انكار السحر ، وقد جاء القرآن بصحة السحر .

فانظر كيف ينقلب الدين الصحيح والحق الصريح فى نظر المقلد بدعة ! نعوذ بالله ، يحتج بالقرآن على ثبوت السحر ، ويعرض عن القرآن فى نفيه السحر عنه صلى الله عليه وسلم ، وعده من افتراء المشركين عليه ، ويؤول فى هذه ولا يؤول فى تلك ، مع أن الذى قصده المشركون ظاهر ، لانهم كانوا يقولون : ان الشيطان يلابسه عليه السلام وملابسة الشيطان تعرف بالسحر عندهم وضرب من ضروبه وهو بعينه أثر السحر الذى نسب الى لبيد ، فانه قد خالط عقله وادراكه فى زعمهم .

والذى يجب اعتقاده أن القرآن مقطوع به ، وأنه كتاب الله بالتواتر عن المعصوم صلى الله عليه وسلم ، فهو الذى يجب الاعتقاد بما يثبته ، وعدم الاعتقاد بما ينفيه ، وقد جاء بنفى السحر عنه عليه السلام ، حيث نسب القول باثبات حصول السحر له الى المشركين أعدائه ، ووبخهم على زعمهم هذا ، فاذن هو ليس بمسحور قطعا .

وأما الحديث — على فرض صحته فهو آحاد ، والآحاد لا يؤخذ بها فى باب العقائد ، وعصمة النبى من تأثير السحر فى عقله عقيدة من العقائد لا يؤخذ فى نفيها عنه الا باليقين ، ولا يجوز أن يؤخذ فيها بالظن والمظنون . على أن الحديث الذى يصل الينا

حديث السحر

من طريق الآحاد انما يحصل الظن عند من صح عنده ، أما من قامت له الادلة على أنه غير صحيح ، فلا تقوم به عليه حجة ، وعلى أى حال قلنا – بل علينا أن نفوض الامر فى الحديث ولا نحكمه فى عقيدتنا ، ونأخذ بنص الكتاب وبدليل العقل ، فانه اذا خولط النبى فى عقله – كما زعموا – جاز عليه أن يظن انه بلغ شيئا وهو لم يبلغه ، أو أن شيئا نزل عليه وهو لم ينزل عليه . والامر هنا ظاهر لا يحتاج الى بيان .

ثم ان نفى السحر عنه لا يستلزم نفى السحر مطلقا ، فربما جاز أن يصيب السحر غيره بالجنون نفسه، ولكن من المحال أن يصيبه، لانّ الله عصمه منه ».

واذا كان السحر حقيقة عند من يقول من الائمة بوجوده ، فما الحكم فى علاج المسحور من السحر ؟

اجاز بعض العلماء ان يقوم الانسان بعلاج المسحور ، عن طريق مايسمونه « النشرة » ، وهى ضرب من الرقية يعالج به من كان يظن أن به مسا من الجن . ويقرر الامام ابن كثير فى تفسيره للقرآن العظيم ان انفع ما يستعمل لاذهاب السحر هو ما انزل الله تبارك وتعالى على رسوله فى اذهاب ذلك ، وهما المعوذتان : أى سورة الفلق : « قل أعوذ برب الفلق، من شر ما خلق ، ومن شر غاسق اذا وقب ، ومن شر النفاثات فى العقد ، ومن شر حاسد اذا حسد » .

وسورة الناس : « قل أعوذ برب الناس ، ملك الناس ، اله الناس ، من شر الوسواس الخناس ، الذى يوسوس فى صدور الناس ، من الجنة والناس » .

ويذكر الحديث النبوى الشريف : « لم يتعوذ المتعوذ بمثلهما » .

وكذلك قراءة آية الكرسى ، فانها طاردة للشيطان .

هذا وقد فرق مفسرو القرآن الكريم بين السحر والمعجزة ، بما يلى :

١ – السحر يمكن ان يقع من الساحر ومن غيره ، والمعجزة مقصورة على الرسل عليهم الصلاة والسلام .

٢ – المعجزة لا يمكن الله احدا ان يأتى بمثلها أو يعارضها ، بخلاف السحر .

٣ – السحر لا يكون معه ادعاء للنبوة، والمعجزة تكون مقترنة بادعاء الرسول أنه رسول من عند الله .

٤ – المعجزة حق يجريه الله على يدى رسول ، والسحر تمويه وخداع غالبا .

ولقد ذكر القرآن الكريم موقفين من مواقف السحر ، أولهما يتعلق بالسحر فى عهد سليمان ، ويتعلق بقصة هاروت وماروت ، والموقف الاخر يتعلق بسحرة فرعون فى قصة موسى عليه السلام .

الموقف الأول جاء فى شأنه قول الله تعالى فى سورة البقرة : « واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان، وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ، وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ، وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر ، فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ما له فى الآخرة من خلاق ، ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون » .

يخبر الله تعالى بأن من سيئات اليهود انهم نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم وأعرضوا عنه ، واتبعوا السحر واتبعوا كتابا فيه صنعة « آصف » كاتب النبي سليمان ، واتبعوا سحر هاروت وماروت ،وهما كانا يعلمان الناس السحر اختبارا وابتلاء ، ووصفوا سليمان بأنه ساحر وليس نبيا ، فكذبهم الله في ذلك ، وأبان أن الشياطين هم الذين افتروا على سليمان وموهوا على الناس بالتلبيس والخداع فكانوا من الكافرين .

وكان هاروت وماروت يقولان للناس : « انما نحن فتنة فلا تكفر » وكانا يعلمان الناس السحر تعليم من يحذر منه لا تعليم من يدعو اليه ويقولان للناس : لا تفعلوا كذا وكذا ولا تحتالوا بكذا ، لتفرقوا بين المرء وزوجه

ويرى الامام محمد عبده أن قوله تعالى « فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه» لا مانع ان يكون المراد منه تلك الطرق الخبيثة التي تصرف الزوج عن زوجته ، والزوجة عن زوجها ، ولا يبعد أن يكون مثل هذه الطرق مما يتعلمه الناس ويطلبون له الاساتذة ، ونحن نرى ان كتبا الفت ودروسا تلقى لتعليم أساليب التفريق بين الناس ، لمن يريد أن يكون من عمال السياسة في بعض الحكومات .

وقد يكون ذكر المرء وزوجه من قبيل التمثيل ، واظهار الامر في اقبح صورة : أي بلغ من أمر ما يتعلمونه من ضروب الحيل وطرق الفساد ، أن يتمكنوا به من التفريق بين المرء وزوجه ، وسياق الآية لا يأباه ،وذكر الشياطين لا يمنعنا من ذلك :بعد أن سمى الله خبثاء الانس المنافقين بالشياطين . قال : « واذا خلوا الى شياطينهم » وقال « شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض » .

وينفى القرآن الكريم ان يقع شيء في هذا الكون الا باذن الله ، فيقول في الآية السابقة : « وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله » .

والموقف الثاني الذى عرضه القرآن عن السحر هو موقف سحرة فرعون مع موسى عليه السلام ، وقد تحدث القرآن عن هذا الموقف في سورة الاعراف ويونس وطه والشعراء والقصص ، وغيرها ، ويحسبنا أن نذكر الآيات التى وردت في سورة الاعراف عن هذا الموقف فهى تقول : « وجاء السحرة فرعون قالوا ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين ، قال نعم وانكم لمن المقربين ، قالوا يا موسى اما أن تلقى واما ان نكون نحن الملقين، قال القوا فلما القوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم ، وأوحينا الى موسى أن الق عصاك فاذا هى تلقف ما يأفكون ، فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون » وقوله « استرهبوهم » اى حاولوا ارهاب الناس ، والقاء الخوف في قلوبهم ، بما فعلوه من تخييل ، وبما موهوا عليهم ، حتى خيل الى الناس ان عصيهم وحبالهم تسعى ، وانما الامر في الحقيقة تلبيس واحتيال .

ولعل من ادق ما يصور موقف القرآن الحكيم من السحر والسحرة، ما جاء في سورة طه على لسان موسى وهو ينصح السحرة: «قال لهم موسى لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى » . وقول القرآن بعد ذلك : « انما صنعوا كيد ساحر ، ولا يفلح الساحر حيث اتى» وقوله في سورة يونس عن السحرة مع موسى : « فلما القوا قال موسى : ما جئتم به السحر ان الله سيبطله ، ان الله لا يصلح عمل المفسدين ، ويحق الله الحق بكلماته ، ولو كره المجرمون » .

د. أحمد
الحوفي

ألوان من استكناه الغيب في العصر الجاهلي

يتفشى في الامم البدائية وفي الشعوب الجاهلية ربط المسببات بغير أسبابها الطبيعية ، فيعتمد الناس في جلب النفع وتدفع الضرر وفي محاولة معرفة المستقبل على وسائل كثيرة لا تعتمد على يقين او على أساس ثابت يقره العلم أو يزكيه العقل .

وقد دان العرب في العصر الجاهلي بوسائل شتى لاستكناه الغيب المحجوب .. منها :

(١) العرافة والكهانة

١ ـ اختص بعض الدارسين العرافة بانها التكهن بما خفي من أحداث الماضي ، واختص الكهانة بانها التكهن بما عسى ان يحدث في المستقبل ، ولكن هذا التخصيص ليس له ما يبرره ويعززه ، لان العرافة والكهانة بمعنى واحد ، الا أن العراف كان أقل شأنا من الكاهن ، وكان الناس يقصدونه لمعالجة بعض امراضهم ، اما الكاهن فكانوا يفزعون اليه لتعرف الحوادث ، ويحتكمون عليه في الفصل بينهم اذا ما تفاخروا وتنافروا .

٢ ـ وقد اشتهر بالعرافة رباح بن عجلة باليمامة والابلق السعدى بنجد ، وهما اللذان عناهما عروة بن حزام حبيب عفراء في قوله :

جعلت لعراف اليمامة حكمه … وعراف نجد ان هما شفياني
فقالا : نعم نشفي من الداء كله … وقاما مع العواد يبتدران
فما تركا من رقية يعلمانها … ولا سلوة الا وقد سقياني (١)
فقالا : شفاك الله والله ما لنا … بما ضمنت منك الضلوع يدان

(١) السلوة ما يزعمون انه يشفي من الحب

٣ ـ ومن مشهوري الكهان في العصر الجاهلي شق بن أنمار النزاري وسطيح ابن مازن الغساني وسواد بن قارب الدوسي .

وقد ذكر الرواة من تكهن سواد بن قارب أن خمسة من عقلاء قبيلة طيىء أحدهم الشاعر عارف، قصدوا الى سواد ليختبروا معرفته ، وأخفى كل واحد منهم شيئا ليسأله عنه ، فلما دخلوا عليه سأله كل منهم عما أخفاه ، فأجابه عنه ودله عليه كأنه هو الذى أخفاه بيديه ، ودار الحوار طويلا مسجوعا، فغادروه بعد أن قالوا: صدقت ياسواد، وأنت أعلم من تحمل الارض ، وقال شاعرهم عارف أبياتا منها :

الا لله علم لا يجاري ... الى الغايات في جنبي سواد
أتيناه نسائله امتحانا ... ونحسب أن سيعمد بالعناد
فأبدى عن خفي مخبآت ... فأضحى سرها للناس باد
كأن خبيئتنا لما انتحينا ... بعينيه يصرح او ينادى
لقد حزت الكهانة عن سطيح ... وشق والمرفل من اياد

(٢) الزجر والعيافة

١ ـ كان من عاداتهم اذا ما خرجوا لسفر او لشأن ذى قيمة ان يتفاءلوا او يتشاءموا بأسماء الطير التي يرونها ، وبطيراتها يمنا او شمالا . وكان الذى يعتمد على الطيور فى هذا يسمى العائف .

وقد شاع فى عرب الجاهلية زجر الطير والوحش وإثارتها ، فما تيامن منها سموه سانحا ، وما تياسر سموه بارحا ، وما استقبلهم فهو الناطح ، وما جاء من خلفهم فهو القعيد .

لكنهم اختلفوا فى الاصطلاح من حيث اليمين واليسار ، لان الزجر خرافة ووهم تابع للمصادفة البحتة ، فمن زجر طيرا وتصادف أن طلبته قضيت تفاءل بالاتجاه الذى رآه ، ومن لم يقض اربه تشاءم بهذا الاتجاه نفسه .



٢ ـ على انهم بداوا بالطير ثم انتقلوا الى غيره من الحيوان ، ثم جاوزوا الحيوان الى ما يحدث فى الجماد من كسر أو صدع ٠

وليس فى الارض شيء يتشاءمون به انكد من الغراب ، ولا ابشع اخبارا ، ولا اشنع آثارا ، فلماذا خصوه بهذا؟

لعل السبب امور راجعة الى لونه ، والى عمله ، والى اسمه ٠

فهو اسود أو ابقع ، وهو يؤم الاماكن الخربة ويتقمم مواضع الخيام عند الرحيل ، وهو ينقر قروح الابل نقرا يكشف عن العظم ، وهو والغربة والاغتراب والغريب من مادة واحدة ٠

لهذا كنوا عنه بالاعور ، مع أنه مشهور عندهم بصفاء العين ودقة الابصار ٠

يدل على تشاؤم الشعراء بنعيبه قول عنترة ان الغراب انذره بفراق احبابه، وهو غراب كريه المنظر ، متسول الريش ، مولع بتفريق الاحبة ، كان فكيه مقص يقطع الاواصر :

ظعن الذين فراقهم اتوقع　　وجرى ببينهم الغراب الأبقع
حرق الجناح كان لحيى راسه　　جلمان بالإخبار هش مولع
فزجرته الا يفرخ عشه　　ابدا ويصبح خائفا يتفجع (١)
ان الذين نعيت لى بفراقهم　　هم اسهروا ليلى التمام فاوجعوا

وكذلك توجس النابغة الذبيانى فى قوله :

زعم العوائل أن رحلتنا غدا　　وبذاك تنعاب الغراب الاسود

وبقى التشاؤم بالغراب الى ما بعد الاسلام ، وما زال بعض الناس يتشاءمون به وبالبومة الى اليوم ، قال عمر بن ابى ربيعة :

نعب الغراب ببين ذات الدملج　　ليت الغراب ببينها لم يشحج (٢)

وقال جرير :

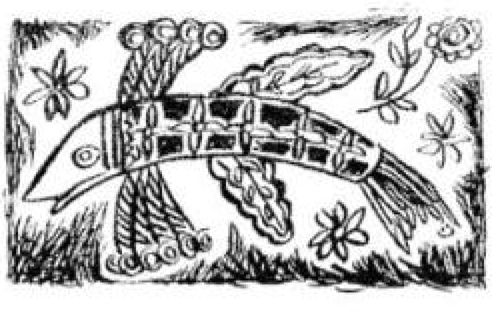
ليت الغراب غداة ينعب دائبا　　كان الغراب مقطع الاوداج

٣ ـ وهم تشاءموا بالجراد لان فيه معنى الجرد، وتشاءموا ببعض الحيوان كالثور المكسور القرن أو المقطوع الذنب أو الظبى الذى يجيء من الخلف وتشاءموا ببعض الكلاب ، ذكر الطبرى وياقوت الحموى ان السيدة عائشة

---

(١) حرق الجناح : متقطع الريش متسول ـ اللحيان : جانبا وجهه الجلم : المقص الكبير

(٢) يشحج : يصوت



الغيب

سارت الى البصرة لتشترك في موقعة الجمل ، فلما مرت على ماء الحواب نبحتها كلابه ، فقالت هى ومن معها : أى ماء هـــذا : ؟ فقيل لها : ماء الحواب ، فصرخت السيدة باعلى صـــوتها ، ثم ضربت عضد بعيرها فأناخته ، ثم قالت : انا والله صاحبة كلاب الحواب ، ردوني ... قالت ذلك ثلاثا ، وأناخت بعيـــرها ، وأناخوا حولها ، فغـــالطوها وقالوا لها أنه ليس ماء الحواب ، حتى كان الغد مجاءها عبد الله بن الزبير فقال: النجا النجا ، فقد ادرككم على بن ابي طالب ، فارتحلوا . ويبدو من هذا أن العرب كانوا يتشاءمون بكلاب الحواب أن نبحتهم ، ويتفاءلون بها ان لم تنبحهم وظل وهمهم هذا الى ظهور الاسلام .

٤ ـ ولم يقف تشاؤمهم عند هذا ، بل انه تعدى الى بعض الاحداث ، فاذا انكفأ من امرأة اناء وصب ما فيه تشاءمت واستعاذت بقولها : دافق خير .

ولقد تفاءلوا بالطير التى تطيـــر كما سبق ، وتفاءلوا بالهــــدهد الى ابعد حد ، لانهم زعموا انه كان يهدى سليمان عليه السلام الى مواضع الماء في اعماق الارض ، وزعمـــوا ان الله تعــــالى اثره بالقنزعة التى على رأسه مثوبة له على بره بامه ، لانها لما ماتت جعل قبرها على رأسه، فهذه القنزعة عوضته عن تلك الوهدة ويروون قصيدة في ذلك للشـــاعر الجاهلى الكبير « امية بن ابى الصلت »

٦ ـ لكن الزجـــر لم يكن قانونا يدين به جميع العــرب ، لانه وهم ، ولا يستند الى منطق العقل والحوادث، ولهذا ندد به كثير من الشعـــراء ، وسفهوا المتشـــائمين بخاصة ، لان التشاؤم يدعو الى الكف والاحجام ، أما التفـــاؤل ـ على أنه وهم ايضا ـ فانه يدعو الى الانجـــاز والاقدام .

يقول المرقش :

لا يمنعنك من بغـــــا ء الطير تعقيــد التمائم
لا والتشـــاؤم بالعطا س ولا التيمن بالمقاســم
ولقد غـــدوت وكنت لا اغدو على واق وحـــاتم
فاذا الاشـــائم كالايا من والايامن كالاشائم (١)

كذلك نصـــح افنون التغلبى من يعتزم الرحلة الا يثنيه زاجر الطير ، والا يعوقه الغراب ولا الوعول الاتية من الخلف :

يا ايها المزمع ومك النـــوى لا يثنك الحازى ولا الشـــاحج
ولا وعول تجشـــت كنســا خارجهـــا من غمرة والج (٢)

وافتخر ربيعة بن مقـــروم باعتماده على الله ، فلا يثنيه طير ولا غراب ، وقد خص السانح بالذكر لانه على مذهب اهل العالية في تشاؤمهم بالسانح :

أصبح ربى فى الامر يرشـــدنى اذا نويت المســـير والطلبا
لا سانح من ســـوانح الطير يثنينى ولا ناعـــب اذا نعبـــا

---

(١) البغاء : طلب ـ العطاس : كان بعضهم يتشاءم به ـ المقاسم : من يقاسمك ـ الواقى : طائر ضخم الراس الحاتم : الغراب

(٢) الحازى : زاجر الطير . الشاحج: الغراب . تجشت : ثارت . كنس : تجىء من الخلف . غمرة : جماعة ظباء او وعول

الغيب

ويشير لبيد الى أن مفاتح الغيب بيد الله وحده :

لعمرك ما تدرى الطوارق بالحصى ولا زاجرات الطير ما الله فاعل

وكان من الطبيعى ان يكون شعراء الاسلام أكثر تنديدا بالزجر والزاجرين لأنه يفل العزائم ، ويحسر عن الأعمال ، ويكل علم الغيب الى غير الله تعالى علام الغيوب . ومن الطف ما قيل أبيات لأبى الشيص يبرىء فيها الغراب من الطيرة ، ويقول اذا كان الناس يتطيرون منه لأن اسمه متصل بكلمة الغربة فأولى بهم ان يتطيروا بالابل لانها مطايا الفرقة والغربة :

الناس يلحون غراب البين لما جهلوا
وما على ظهر غراب البين تطوى الرحل

ولا اذا صاح غراب فى الديار احتملوا
ما فرق الاحباب بعد الله الا الابل

وما غراب البين الا ناقة او جمل

ويتفق معه فى هذا الكميت فى قوله :

ولا انا ممن يزجر الطير همه أصاح غراب ام تعرض ثعلب
ولا السانحات البارحات عشية أمر سليم القرن أم مر أعضب

ويعلن ضابىء بن الحارث ان الانسان قد يترجس شرا من أمر لاضير فيه ، وأن الرجل الذى لا يوطن نفسه على تحمل الرزايا انما هو رجل ضعيف العزيمة :

وما عاجلات الطير تدنى من الفتى نجاحا ولا عن ريثهن يخيب
ورب أمور لا تضيرك ضيرة وللقلب من مخشاتهن وجيب
ولا خير فيمن لا يوطن نفسه على نائبات الدهر حين تنوب

(٣) تمائم للوقاية من الحسد والجن

اعتقد كثير منهم ان التمائم تحفظ حاملها من الحسد ومن الجن ، ومن تمائمهم :

١ ـ تعليق كعب الارنب ، اذ كانوا يعلقون على اجسامهم كعب الارنب ، معتقدين انه وقاية من السحر ، وأن الجن تنفر من الارنب لانها تحيض ، جاء فى أبيات لامرىء القيس قوله لهند :

ليجعل في ساقه كعبها حذار المنية ان يعطبا

٢ ـ تعليق سن الثعلب وسن الهرة وحيض السمرة اى ما يسيل من شجرة الطلح كصم الغزال ، قالت امرأة تصف ولدا :

كانت عليه سلة من هرة وثعلب والحيض حيض السمرة

٣ ـ كذلك زعموا أن تعليق اقذار نجسة وقاية من العين والجن ، وانشدوا للممزق العبدى :

ولو ان عندى من قريم رجاله بيض الوجوه ألبسونى الكمنا
ولو كان عندى حازيان وكاهن وعلق انجاسا على المنجس
اذن لاتتنى حيث كنت منيتى يخب بها هاد الى معرس (١)

لكن البيئة لم تخل من عقلاء يستخفون بهذا الزعم ، فقد علقت امرأة على ولدها نجسا فلم يحفظه من الموت ، فقالت :

نجسته لا ينفع التنجيس والموت لا تفوته النفوس

وقال المرقم :

لا يمنعك من بغا ء الطير تعقيد التمائم

وقال آخر :

ولا ينفع التعشير ان حم واقع ولا ودع يغنى ولا كعب ارنب(٢)

٤ ـ وكانوا يحصنون الابل من الحسد اذا بلغت الفا بأن يفقأوا عين الفحل ، فان زادت على الالف فقأوا العين الاخرى ، قال شاعرهم

فكان شكر القوم عند المنن كى الصحيحات وفقء الاعين

وقال آخر :

وهب لنا وانت ذو امتنان تفقأ فيها اعين البعران

وهكذا يتشقق الحديث ويتنوع المقال ، فحسبنا هذه اللمحات ٠

---

(١) الحازى : الخبير بالامور والمراد الطبيب الحاذق ، معرس : قالب
(٢) التعشير : النهيق مثل الحمار عشرا زعموا انه وقاية من الجن والوباء

من مأثوراتهم

● قد يكون الحب هو العذاب ، ولكن الحرمان من الحب هو الموت ! .. (شكسبير)

● كلما زاد ايمانك بذكائك ، كلما سهل على المرأة ان تخدعك ـ (بايرون)

● الوطنية تطلب دائما ، ولا ترجو ابدا ! (جمال الدين الافغانى)

علي أدهم

مع السحرة الچوكية

يروى لنا الرحالة المغربي المغامر الجرىء ابن بطوطه الذى قام برحلاته بين سنه ١٣٢٥ ميلادية وسنه ١٣٥٥ ، أنه حينما وصل الى الاسكندرية قادما من طنجة لقى بعض علمائها ، وكان فيمن لقيهم العالم الزاهد الورع برهان الدين الأعرج أحد كبار الزهاد ، ويقول ابن بطوطة « دخلت عليه يوما فقال لى : اراك تحب السياحة والجولان فى البلاد ، فقلت له : نعم انى احب ذلك ، ولم يكن حينئذ خطر ببالى التوغل فى البلاد القاصية من الهند والصين ، فقال لابد لك ان شاء الله من زيارة أخى فريد الدين بالهند وأخى برهان الدين بالصين فاذا بلغتهم فابلغهم منى السلام » ويسترسل ابن بطوطة فيقول « فعجبت من قوله والقى فى روعى التوجه الى تلك البلاد ، ولم ازل أجول حتى لقيت الذين ذكرهم ، وابلغتهم سلامه » .

ونستخلص من هذه الرواية ان ابن بطوطة ترك الاسكندرية وغادر مصر قاصدا القيام بفريضة الحج الى مكة ، وقد عقد العزم على زيارة الهند والصين كما اوحى اليه الزاهد المتعبد برهان الدين الاعرج المدفون بالاسكندرية فى ضريح معروف وهو يعد من الأولياء المشهورين .

ولما كان ابن بطوطة يتجول فى الهند زار مدينة صغيرة اسمها برون (بفتح الباء وسكون الراء وفتح الواو) وعلم من اهلها ان السباع كثيرا ما تدخل اليها ليلا وابوابها مغلقة فتفترس الناس حتى قتل من اهلها الكثير ، ويقول ابن بطوطة ان بعض اهل المدينة اخبروه ان الذى يفعل ذلك ليس بسبع وانما هو آدمى من السحرة المعروفين بالجوكية يتصور فى صورة سبع ، « ولما اخبرت بذلك انكرته ، واخبرنى به

الكسندرا دافيد : لقاء مع اللاما



جماعة ».

وتحدث بعد ذلك عن السحرة الجوكية فقال « وهؤلاء الطائفةتظهر منها عجائب منها ان احدهم يقيم الأشهر لا ياكل ولا يشرب ، وكثير منهم تحفر لهم حفير تحت الارض وتبنى عليه فلا يترك له الا موضع يدخل منه الهواء ويقيم بها الشهور وسمعت ان بعضهم يقيم كذلك سنة، ورأيت بمدينة منجرور رجلا من المسلمين ممن يتعلم منهم قد رفعت له طبلة وأقام باعلاها لا ياكل ولا يشرب مدة خمسة وعشرين يوما ، وتركته كذلك . فلا ادرى كم اقام بعدى ، والناس يذكرون انهم يركبون حبوبا ياكلون الحبة منها لأيام معلومة أو اشهر فلا يحتاج فى تلك المدة الى طعام ولا شراب ويخبرون بأمور مغيبة ، والسلطان يعظمهم ويجالسهم ، ومنهم من يقتصر اكله على البقل ومنهم من لا ياكل اللحم ، وهم الاكثرون ، والظاهر من حالهم انهم عودوا انفسهم الرياضة ولا حاجة لهم فى الدنيا وزينتها ، ومنهم من ينظر الى الانسان فيقع ميتا من نظرته ، وتقول العامة انه اذا قتل بالنظر وشق عن صدر الميت وجد دون قلب ويقولون اكل قلبه ، واكثر ما يكون هذا فى النساء والمرأة التى تفعل ذلك يقال لها كفتار » .

ويروى لنا بعض مشاهداته لاعمال السحرة الجوكية فيقول « بعث الى السلطان يوما وأنا عنده بالحضرة فدخلت عليه وهو فى خلوة وعنده بعض خواصه ورجلان من هؤلاء الجوكية ، وهم يلتحفون بالملاحف ، ويغطون رءوسهم لانهم ينتفونها بالرماد كما ينتف الناس اباطهم ، فأمرنى بالجلوس فجلست ، فقال لهما ان هذا العزيز من بلاد بعيدة فأرياه ما لم يره ، فقالا « نعم » فتربع احدهما ثم ارتفع عن الارض حتى صار فى الهواء فوقنا متربعا فعجبت منه وادركنى الوهم فسقطت على الارض فأمر السلطان أن اسقى دواء عنده ، فأفقت وقعدت وهو على حاله متربع،فاخذ صاحبه نعلا له من شكارة كانت معه فضرب بها الارض كالمغتاظ فصعدت الى ان علت فوق عنق التربيع وجعلت تضرب فى عنقه وهو ينزل قليلا حتى جلس معنا ، فقال لى السلطان ان التربيع هو تلميذ صاحب النعل ، ثم قال له « لولا انى اخاف على عقلك لامرتهم ان يأتوا بأعظم مما رأيت ».

ويروى لنا ابن بطوطه انه لما نزل بجزيرة صغرى بالهند اسمها جزيرة سندابور وتجاوزها الى جزيرة أخرى صغيرة قريبة منها وجد بها جوكيا مستندا الى حائط بدخانة وهى بيت الاصنام ، وهو فيما بين صنمين منها وعليه أثر المجاهدة ، ويقول ابن بطوطة « فكلمناه فلم يتكلم ، ونظرنا هل معه طعام فلم نر معه طعاما ، وفى حين نظرنا صاح صيحة عظيمة فسقطت عند صياحه جوزة من جوز النارجيل بين يديه ودفعها لنا ، فعجبنا من ذلك ودفعنا له دنانير ودراهم فلم يقبلها، واتيناه بزاد فرده ، وكانت بين يديه عباءة من صوف الجمال مطروحة فقلبتها بيدى فدفعها لى ».

وتحدثنا السيدة الكسندرا دافيد نيل – وهى سيدة من اصل مختلط من الفرنسيين والنرويجيين فى كتابيها « رحلتى الى لهاسا » و « مع المتصوفة والسحرة فى التبت » عن الكثير من مشاهداتها لاعمال السحرة والمتصوفة فى بلاد التبت ، وقد درست فى جامعة السوربون بباريس وقامت برحلات فى اوربا وشمال افريقية ولكنها

مع السحرة اليوكية

اكثرت من التجوال في آسيا وبخاصة في بلاد التبت ، وقد مكنتها دراستها لهذه المنطقة من مخالطة الكثير من الهنود المتصوفين والنساك المتعبدين والسحرة وزيارة المعابد والأديرة والصوامع والمناسك والكهوف المنعزلة ، وعاشت مع روادها كواحدة من المقيمين بها ، والمعلومات التي تقدمها في كتابيها المذكورين وفي غيرهما من مؤلفاتها العديدة تعد من المراجع الهامة الموثوق بها .

ويقول العلامة المشهور دارسونفال في مقدمته لكتابها عن « التصوف والسحرة في التبت » ان هذه المختصة الجريئة المعروفة لبلاد التبت تجمع في نفسها الصفات الجسمية والاخلاقية والعقلية المطلوبة في من يتصدى لملاحظة مثل هذا الموضوع واختباره ، وهي تعرف لغة بلاد التبت وتتحدث بها وتكتب بها ، وقد قضت بها اربعة اعوام ، واعتنقت الديانة البوذية واستطاعت بذلك ان تظفر بثقة اللامات » (وهم الكهنة البوذيون) .

ولكن السيدة المذكورة ظلت مع ذلك متأثرة بآراء ديكارت ، وكلودبرنار وغيرهما من الفلاسفة المتشككين ، وقد أهلها ذلك لملاحظة اعمال السحرة والمتصوفة ملاحظة موضوعية ، وان ترد الكثير من تلك المشاهدات المستغربة والالاعيب السحرية الى التجارب النفسية والممارسات الوجدانية الجديرة بالبحث والدراسة ، وقد لا تتبين حقيقة النظريات والمبادىء التي تقوم عليها تلك المشاهدات والممارسات ، ولكن مهما يكن من شأنها فانها خليقة بالدرس سواء من الناحية النفسية او الناحية العضوية الطبيعية أو من الناحية الفكرية الخالصة ، أضف الى ذلك أهميتها في تعرف الكثير من المعتقدات المستولية على عقول الكثير من البشر وأخيلتهم سواء في الامم المتخلفة حضاريا أو الامم التي اخذت بنصيب موفور من الحضارة والرقي والتقدم .

وتتحدث السيدة الكسندرا عن الدالاي لاما - وهو كبير الكهنة في لهاسا - فتقول انه حينما اقتحمت الحملة البريطانية عاصمته في التبت برغم وجود مشاهير السحرة والعرافين ادرك ان هؤلاء الاجانب الهمج المستوحشين قد أصبحوا السادة في المألوف المادي للحياة بحق ما أوتوا من القوة ، وأكدت له المخترعات والكشوف التي شاهدها في خلال رحلة له في الهند قدرة هؤلاء القوم على السيطرة على عوامل الطبيعة المادية ، ولكن هذا لم ينل من اعتقاده بتفوق عقلية طائفته على الجنس الابيض ، وتقول انه كان في ذلك يشترك مع الاسيويين جميعا من سيلان الى منغوليا .

وحينما عرف الدالاي لاما انها تعرف العقيدة البوذية ادهشه ذلك واكبره وعجب كيف تمكنت سيدة من الغرب أن تكون لها دراية بهذه العقيدة ، وبدا له ذلك في صورة امر غير متوقع ، وحينما تأكد من ذلك ووثق به سألها في ادب عن استاذها الذي هداها الى الوقوف على اسرار المذهب البوذي لانه كان يفترض انها لا يمكن ان تعرف شيئا من هذا القبيل الا في ضوء ارشاد كاهن بوذي أسيوي ، ولم يكن من

السهل اقناعه ان الكتب البوذية المقدسة قد نقلت الى اللغة الفرنسية قبل ان تولد وقال لها « اذا كان قد اتيح للقليل من الاجانب ان يتعلموا لغتنا ويقرأوا كتبنا المقدسة فانه لابد ان يكون معناها قد خفى عليهم »·

واغتنمت هى هذه الفرصة لتقول لهم « اننى كنت اشتبه فى ان بعض العقائد السائدة فى التبت قد اسىء فهمها ولذلك سعيت للمثول بين يديك لاستنير » ·

وكان لهذا الكلام وقع حسن فى نفسه ، فرد على الاسئلة التى وجهتها اليه واعطاها بعد ذلك بيانا مكتوبا مطولا لشرح موضوعات متنوعة من العقيدة البوذية ·

وتختلف الطريقة التى يحيى بها الدالاى لاما اتباعه حسب مراتبهم الاجتماعية وهو يحيى اصحاب المقام الرفيع بأن يضع يديه على راسهم وفى حالات اخرى يضع يدا واحدة او اصبعين او يكتفى بوضع اصبع واحدة ، وهو يمنح بركته بأن يلمس الراس بلمسة خفيفة بأشرطة ملونة ملتصقة بعود قصير ، وهذه اللمسة لها اهميتها فى التعاليم اللامية لانها تنقل الى المريدين بعض القوى المباركة الخارقة المنبعثة من اللاما ·

ويصطف عدد كبير من الناس فى كالمبونج ليلمسهم الدالاى لاما ، ويستغرق هذا الحفل ساعات ويأتى فيه وفود من نيبال والبنغال من اتباع العقائد الهندوسية ·

ولحظت السيدة الكسندرا مرة رجلا جالسا على الارض حول راسه عمامة وقد انتبذ جانبا وهو فى هيئة النساك الهندوسيين ، ولكن ملامحه كانت مختلفة عن ملامحهم ، وكان يرتدى ثيابا خلقة ، وقد وضع هذا الأفاق الجوابة الى جانبه خرجا صغيرا ، وبدا انه ينظر الى الجمع الحاشد نظرة تنم على السخرية والاستخفاف ·

فسألت السيدة الكسندرا احد الادلاء عن هذا الدايوجين الهيمالاوى وماذا عسى ان يكون ، فذهب اليه وبادله الحديث ، وعاد اليها وقد بدت على وجهه علامات الجدية والاهتمام وقال لها « ان هذا اللاما من ناسكى بوتان المتجولين ، وهو يعيش هنا وهناك فى الكهوف ، وقد توقف اياما هنا فى دير صغير »·

ففكرت السيدة الكسندرا فى ان تذهب الى الدير الصغير الذى يقيم به وتغريه بالحديث معها ، لانها ارادت ان تتبين سبب سخريته ، فهل كان ذلك من قبيل الاستهانة بأمر الدالاى لاما ومريديه ؟ واذا كان الامر كذلك فما سببه ؟ · وقد يكشف ذلك عن اشياء شائقة ·

ووافق الدليل على ان يصحبها ، ولما دخلا عليه فى الحجرة التى تحوى التماثيل والصور المقدسة وجداه جالسا على وسادة ، وقد امتلأ فمه بالارز الذى كان يتناوله · ورد على تحيتهما الوقرة بصوت خفيض ينم بعدم الارتياح ·

وحاولت السيدة الكسندرا ان تكسر الثلج وتبدأ الحديث ، ولكن الرجل العجيب الشأن شرع فى الضحك وهمس بكلمات يسيرة اربكت الدليل ، فسألته السيدة الكسندرا عما قاله ، فاعتذر لها قائلا « ان لهؤلاء النساك فى بعض الاوقات كلاما خشنا ، ولست ادرى هل استطيع ترجمته ؟ »

فقالت له السيدة الكسندرا رجائى ان تحاول فقد جئت لادون ملاحظاتى عن كل ما يحدث ، فاجاب معتذرا ، انه يقول « ما سبب حضور هذه البلهاء الى هنا ؟! »

ولم يضايق ذلك السيدة الكسندرا

فقد كانت تعـــرف ان اكثر هؤلاء النساك يسـيئون من يقترب منهم ، وقالت للــدليل « قل له انني جئت لأساله عن سبب استخفافه بجماعة المريدين الذين جاءوا يلتمســـون البركات من الدالاى لاما »·

فتمتم قائلا وقد استشعر اهميته وجلالة شأنه « انهم حشرات تتحرك فى الاقذار !

وكانت هذه الكلمات الغامضـــة فى المتنظرة من امثال هذا الـرجل فى رأى السيدة الكســـندرا التى اجابته قائلة « وانت ، أترى نفسك مطهرا من الادناس ؟ » ··

فضحك بصوت مســـــموع وقال « الذى يحاول الخـروج من المأزق يتورط فيه اكثـــر فاكثر ،، وانى لأتقلب فى اعمـــاقه مثل الخنزير ، واهضـمها واحولها الى تراب ذهبى والى جـــدول من الماء النقى ، ان تكوين النجوم من روث الكـلاب هو العمل العظيم » ·

فقالت السيدة الكسـندرا « هل هؤلاء المريدون ليسـوا على حق فى محاولة الاستفادة من حضـــــور الدالاى لاما ـ والحصـــــول على البركات ؟·· انهم قوم بسـطاء ليس فى قدرتهم الطمـــوح الى معرفة التعاليم الاسمى »·

فقاطعها الناسك قائلا « لكى يكون للبركات اثر فعـــال لابد ان يكون من يمنحها يملك القدرة التى يدعيها على منحها ، اترى هذا الســـامى العالى القـــدر (الدالاى لاما) فى حاجة الى جنود لمحاربة الصـــينيين او غيرهم من الاعداء اذا كان يملك مثل هذه القوى ؟ ·· الا يســـتطيع ان يطرد من البلاد كل من يريـــد ابعادهم ويحيط البيت بحـــاجز غير مرئى لا يستطيع أحـــد اختراقه ؟·· ان المعلم الذى اتبعـــه ـ وقد عاش فى التبت فى القرن الثـامن ـ كان يملك مثل هذه القـــدرة ، وكانت البركات التى يجود بها تصـل الى الذين يقصدونه برغم انه كان يعيش فى بلاد بعيدة عنهم ، ولست سـوى احـــد تلامذته المتواضـــعين ، ومع ذلك ··· »

واتبع قوله « ومع ذلك بنظـــرة توحى الكثير من الاشياء ···

وبدا على الدليـــــل القلـــق والاضطراب ، فقد كان يحترم الدالاى لاما احتراما عميقا ويكره أى نقد يوجه اليه ، ولكنه فى الوقت نفسه شـعر بالخوف من الــرجل الذى يستطيع خلق النجـــوم من روث الكلاب !

ويظن اهل التبت ان مظاهـــر الظواهر الجوية من عمل الشياطين والسـحرة فالعواصف العارمة من أسلحتهم ، والرياح الشديدة الهبوب الثلجية تعوق قصـــاد الحج الى الاماكن المقدســـة ، وبذلك يمنع الفضـــوليون وضعاف الايمان من الوصول الى الصوامع وامـــاكن العبادة ·

وتقول السيدة الكســـندرا انها بعد اسابيع من قدومها اعترف لها الدليل انه بعد وصولها استشـــار الدليل العراف فى مســـألة هجوم الامطار والثلوج على غير انتظـــار فى يوم وصولى الذى كان مشمسـا صافى الاديم ، فقال العـــراف ان اللامـــــات والالهة المحلية لم تكن معادية لى ، ولكننى بـــرغم ذلك ساواجه مشكلات جمة اذا حاولت ان اعيش فى ارض الدين كما يســـمى

مـــع السحـــرة الجوكية



ابن بطوطه: حديث من السحرة الجوكية

اهل التبت بلادهم ، وقد تحقق ذلك !

وتقول السيدة الكسندرا ان البوذيين المحافظين يحرمون الشعائر التبتية ، ويعترف اللامات انهم لا يستطيعون ان يمنحوا الاستنارة الروحية وانها لا يمكن اكتسابها الا ببذل المجهود الشخصي الفكرى ، ولكن الاغلبية مع ذلك تعتقد ان بعض طرائق الطقوس والشعائر تشفى المريض وتوفر الرخاء المادى ، وتمكن من التغلب على الشر ، والانتصار على الاشرار ، وترشد ارواح الموتى فى العالم الاخر .

وحينما ذهبت السيدة الكسندرا الى مدينة سيككيم توجهت فى اليوم التالى لوصولها الى دير متواضع قائم على منحدر احد الجبال ، ولم تجد شيئا شائقا فى هذا المعبد ، وحينما همت بالانصراف لمحت أحد اللامات واقفا على مدخل الدير ، وكان فى شكله والملابس التى يرتديها ما يستوقف النظر ، ونظر الى السيدة الكسندرا دون ان يتكلم وكانت اذ ذاك قليلة المعرفة بلغة التبت ، فلم تجرؤ على محادثته ، واكتفت بان حيته وخرجت ، ولكن الدليل الذى كان فى صحبتها حينما رأى هذا اللاما ينزل على درج الرواق ركع امامه ثلاث مرات ، واثار ذلك دهشتها لانها لم تعهد فيه الاسراف فى الاحترام او المغالاة فى الاكبار والتبجيل ، ولم يسبق لها ان شاهدته يقدم مثل هذا التقدير لأحد ، فلما عاد اليها سألته عن هذا اللاما ، فأجابها أنه من عظماء اللامات وان احد الكهنة أخبره وهو فى السير ان هذا اللاما امضى سنوات فى كهف بالجبل ، وان الشياطين والمردة تطيع أمره وانه يصنع المعجزات ، ويقال انه يستطيع ان يقتل الرجال وهو بعيد عنهم ، ويمكنه ان يطير فى الهواء ..

واثار ذلك حب الاستطلاع عند السيدة الكسندرا حينما سمعت هذه الروايات وكانت قد سمعت الكثير من امثالها ، ووجدت هذه فرصة مناسبة للاستزادة من المعلومات ، ولكن كيف تستطيع محادثة اللاما ؟. وكان الدليل المصاحب لها يجهل الاصطلاحات الفلسفية التبتية ولا يمكنه ذلك من ترجمة أسئلتها ، وضايقها ذلك واهمها ، فلم تنم نوما هادئا واتعبتها الاحلام المضطربة ، وسمعت انغاما عرفت انها نغمات تبتية ، فمن كان هناك فى الليل يعزف هذه الانغام الموسيقية ؟... وعقدت العزم على لقاء اللاما ، فارسلت اليه طالبة لقاءه فى اليوم التالى ، وكانت الحجرة التى يقيم بها فى الدير ملأى بالصور والرسوم ، واستعانت بالدليل الذى صحبها على توجيه أسئلة فى موضوعات شتى الى اللاما، وكان دليلها الشاب لا يستطيع ان يجد الالفاظ المعبرة عن المعانى التى

مع السحرة الجوكية

قصدتها ، وقد تحدثت فى كتابها عن الكثير من مشاهداتها وما سمعته من الراهبات البوذيات عن قدرة اللامات على شفاء الامراض وانزال الامطار وحماية الاراضى المزروعة .

ويمكن ان نستخلص من حديث ابن بطوطة عن السحرة الجوكية ومن مشاهدات الباحثة الكسندرا لماذا اتجه الباحثون فى علم الانسان الانثروبولوجى والباحثون فى العلوم السيكولوجية الى النظر فى العلاقة بين نشأة السحر ونشأة الدين ، وللدين عند كبار المفكرين والعلماء والفلاسفة تعاريف تختلف فى بعض تفاصيلها وتتفق فى جوانب اخرى ، ويمكن القول انها بوجه عام تنقسم الى قسمين رئيسيين ، ففريق منهم يرى ان الدين هو الاعتراف بوجود لغز فى الكون يضطرنا الى محاولة تفسيره او انه ناحية من التفكير تدعو الى الاعتقاد بوجود امكانيات تعلو على قدرة الانسان وتتجاوز طاقته ، وفريق آخر يرى أن الدين هو الشعور بالاعتماد على اله او انه موقف الاكبار لتلك القوة المجهولة الذى نسميه التقوى والعبادة .

وقد قللت البحوث النفسية الحديثة من قيمة هذه التعريفات والرأى الذى له الغلبة ان جميع جوانب الشخصية الانسانية تشترك فى تكوين الدين فالارادة والشعور والعقل لازمة ، ولا يمكن فصل اى جانب منها فى العناصر المكونة للدين ، ولكن هذا لا يدل بالضرورة على الفهم الصحيح للعلاقة الوظيفية لكل مظهر من مظاهر الحياة النفسية الثلاثة المذكورة .

وقد يعرف الانسان ان الدولة قائمة على القوة التشريعية والقوة التنفيذية والقوة القضائية ، وبرغم ذلك قد نخطىء اشد الخطأ فى عدم فهم العلاقة الوظيفية بين كل جانب من هذه الجوانب والجانب الاخر ، فبعض الباحثين يرى للشعور المكان الاول فى الدين وانه مدار الوعى الدينى ، وبعضهم يرى ان الدين محاولة لتفسير الاشياء جميعها سواء الاشياء المادية الطبيعية او الاخلاقية ، ورأى باحثون آخرون ان الدين هو محاولة استرضاء قوى اعظم من قوى الانسان للاستعانة بها فى سير الحياة البشرية

ويرى العلامة النفسى وليام جيمس انه يمكن ان نقول آن الحياة الدينية مكونة من الاعتقاد بأن هناك نظاما خفيا وان اسمى ما نطمح اليه من الخير هو ان نجعل حياتنا مطابقة لاحكام هذا النظام ، وان هذا هو الموقف الدينى للنفس ، وان موقف السخرية والاستخفاف عند فولتير وامثاله يلزم نبذه ومجافاته ، وان الدين يستلزم موقفا جديا نحو الحياة والانسانية .

وفى كل مجتمع من المجتمعات مجموعة من المعرفة التجريبية ، وفكرة أن الانسان البدائى تسيطر عليه اراء صوفية لا عقلية ، فكرة غير سليمة ، ففى تفكير الانسان المتحضر وتفكير الانسان البدائى عنصر من عناصر اللامعقول ، والفرق بين المتحضر والبدائى ليس كامنا فى عمليات التفكير والاستنتاج المنطقى ، وانما هو فى المقدمات والمعتقدات التى كونها كل منهما عن الدنيا .



ديكارت



وليم جيمس

والحياة تحوى باستمرار عنصر عدم القدرة على معرفة المغيب والمتوقع ، ومن ثم الهم الذى يخالج نفس الانسان ، وتبدو هذه الحالة بوجه خاص عند الانسان البدائى الذى ينقصه الكثير من الوسائل التكنولوجية الميسرة للانسان المتحضر ، والمرض والموت من الجوع والكوارث الطبيعية اكثر حدوثا وابعد عن صحة الفهم فى المجتمعات البدائية . ومثل هذه المجتمعات قد تكون مجموعة من المعتقدات فيما تسميه العوامل غير الطبيعية التى تسترضى بالقربان والعبادة والتوسل ويمكن ان يقال ان وظيفة المعتقدات فى هذه الحالة هى تخليص الانسان من الجهل والهم ، وهذا علة بقاء المعتقدات المخالفة للعقل فى المجتمعات المتقدمة ، ففى الكثير من المجتمعات يعزى المرض او الكوارث الشخصية التى تصيب الناس الى غضب الارواح الشريرة او الى اعمال السحر او الاخفاق فى مراعاة الشعائر والطقوس ، وكل علة من هذه العلل تقدم تفسيرات مقبولة وتصف العمل الذى تسلكه فى علاجها ، فقد تقدم ضحية لروح الاب انتقاما من عمل الساحر او للاعتذار عن التقصير فى القيام بالشعائر .

والانسان يمارس السحر لتحقيق بعض الاهداف ، ولوحظ ان العمل السحرى مكون فى المألوف من ثلاثة عناصر، الرقية او الالفاظ المستعملة، والآلات المستعملة مثل الادوية والعقاقير ، والشعيرة وهى ما يقوم به الساحر ، وقد تختلف الاهمية النسبية لكل عامل من هذه العوامل الثلاثة حسب حالة المجتمع الذى تمارس فيه ، ولابد لانجاز السحر من توفر العوامل الثلاثة .

والمعتقدات الدينية السحرية تقدم وسائل لفهم المجهول والمغيب من امور الحياة واحوال الدنيا ، وبذلك تخف وطأة الهم والقلق ، وتزداد الثقة بالنفس والامل فى الحياة ، ومن الصعب فى المجتمعات البدائية فصل مجالات الدين عن مجالات السحر ، ولكن يمكن ان نميز الدين بالمعتقدات فوق الطبيعية التى تتضمن الاشارة الى كائنات روحية مهما يكن تصورها وتمييزها عن غيرها من الكائنات التى ليست كذلك .

وفى الواقع ان المعتقدات الدينية والاعتقاد بالسحر بينهما علاقات لا يمكن قطعها ، ولم تعرف بعد جماعة بشرية لم يكن لها نوع من الدين والعبادة ، وقد يصل مجتمع الى الاعتقاد بإله سام وانه المحرك الاول للكون ، وقد يصل مجتمع اخر الى الايمان بالارواح والشياطين او ارواح الموتى السالفين ، وتستلزم ممارسة الدين اشتراك الجماعة ولذلك يعمل الدين على تقوية الروابط بين من يدينون بالعقيدة نفسها ، ومراعاة الدين قد تستلزم ان يكون العقل فى حالة حسنة وتستبعد المشاعر غير الاجتماعية ولذلك يحدث التوازن الاجتماعى .

والبحوث عن اصول الدين ونشأة السحر كثيرة ومتنوعة ولا تزال فى تطور مستمر كلما تكاثرت المعلومات واتسعت البحوث .

السحر في المؤلفات العربية

محمد
عبد الغني
حسن

لم يكن غريبا حين تناول القرآن الكريم موضوع السحر والسحرة في كثير من السور والآيات ، وحين جاءت في صحيح البخاري قصة اليهودي الذي سحر النبي عليه الصلاة والسلام، أن يهتم علماء المسلمين ومفكرو الاسلام بموضوع السحر ، وأن يتناولوه في مؤلفاتهم بالدراسة والتعليق

تناول العلماء والباحثون موضوع السحر والسحرة من زوايا مختلفة ، فالامام الغزالي في كتابه (احياء علوم الدين) يؤمن بوجود السحر،ويعده من العلوم المذمومة ، لانه قسم العلوم الى محمودة ومذمومة · والعلم المذموم لا يذم لعينه ، وانما يذم لما فيه من ضرر للشخص نفسه أو لغيره أو لان الخائض فيه لا يستفيد فائدة علم ·

وشر أنواع العلم المذموم هو ما يحمل الضرر فيوصله الى المرء أو الى غيره ، كعلم السحر،والطلسمات والنجوم ·

اما ابن خلدون فقد جعل السحر من العلوم التي تحمل الضرر ولهذا حرمته الشريعة ،لان الشارع اباح لنا في الافعال ما يهمنا في ديننا الذي فيه صلاح آخرتنا أو في معاشنا الذي فيه صلاح دنيانا · والسحر من هذه الناحية محظور لما فيه من الضرر الذي لا يرضاه الله لعباده ·

ويرى التهانوي صاحب كتاب (كشاف اصطلاحات الفنون) ومن علماء القرن الثاني عشر الهجري ، ان علم السحر هو علم يستفاد منه حصول ملكة نفسانية يقتدر بها على افعال غريبة بأشياء خفية · وانه لا نزاع في تحريم عمله وتعلمه · وانه يعلم ليحذر ، لا ليعمل وأن بعض مفكري الاسلام ذهبوا الى ان تعلم السحر فرض كفاية ، حتى يكون هناك في الامة الاسلامية من يكشف

سحر ساحر اذا ظهر وادعى النبوة فهو علم لا للممارسة ، ولكن لكشف سحر السحرة المدعين وابطال دعاويهم فيما يتعلق بادعاء النبوة .

ولم يكتف مفكرنا ابن خلدون بانه جعل السحر من العلم المذموم ، بل جعل معالجته كفرا ، لان رياضة السحر كلها عنده انما تكون بالتوجه الى الافلاك والكواكب والعوالم العلوية والشياطين بانواع التعظيم والعبادة والخضوع والتذلل ، وهي - لذلك - وجهة الى غير الله وسجود له ، والوجهة الى غير الله كفر . ومن هنا كان السحر كفرا في رأيه .

ويدير ابن خلدون في مقدمة الكلام على « السحر » من جهات كثيرة ، ويناقش الرأي في كونه حقيقة ام تخييلا فهو واقع على كل حال ، وله اثره في نفس الرائي وفي المسحور .

وابن خلدون شديد الاعتقاد بالاثر النفسي في السحر ، وقد افاد رأيه هذا من كلام الفلاسفة ، فان الماشي على حرف حائط او على حبل منتصب اذا قوى عنده توهم السقوط سقط بلا شك . ولهذا نجد اناسا يعودون انفسهم الا يؤثر التوهم النفسي فيهم ، فتجدهم يمشون على حرف الحائط والحبل المنتصب ولا يخافون السقوط ، لانهم نفوا عن انفسهم وهم السقوط .

والغرائب التي رآها الرحالة ابن بطوطة في بلاد الهند من هذا القبيل كثيرة ، فقد شاهد بعينيه سحرة الهند الذين يتسلقون الجبال وهي قائمة منتصبة دون ان يسقطوا . وليس ادل من ذلك على صلة التوهم بالسحر وما اليه ...

ويقودنا الحديث عن عجائب السحرة في الهند الى الحديث عن بعض المؤلفات العربية التي تناولت عجائب السحرة في بلاد كثيرة . وقد ذكر ابن النديم صاحب كتاب « الفهرست » بعضا من هذه العجائب نقلها في كتابه عمن يثق بفضله ، وقال فيها « وللصين حيل وسحر من طريقة اخرى . وللهند خاصة علم التوهم ، ولها في ذلك كتب ، قد نقل بعضها الى العربي . وللترك علم من السحر . وقال لي من اثق بفضله انهم يعملون عجائب من هزائم الجيوش ، وقتل الاعداء ، وعبور المياه ، وقطع المسافات البعيدة في المدة القريبة ...

ومن السحرة فريق يعرفون في بلاد المغرب «بالبعاجين» يأتون من الاعمال السحرية ما تندهش له العقول ، ويقال انهم يشيرون الى الكساء او الجلد بأيديهم من بعيد فيتخرق . ويشيرون في الهواء الى بطون الغنم بالبعج فتنبعج - اي تنشق . وقد كان الواحد منهم الى عصر ابن خلدون يعرف باسم (البعاج) لان اكثر ما يرتكبونه من اعمال السحر كان بعج الانعام . وكانوا يفعلون ذلك ليرهبوا اصحاب الانعام فيعطوهم من فضلها، ويفعلون ذلك سرا لا علانية خوفا على انفسهم من مؤاخذة الحكام لهم ومعاقبتهم .

احمد زكي : تسمية كتاب غاية الحكيم



السحر

وقد لقى مؤرخنا ابن خلـــدون من هؤلاء البعاجين السحرة جماعة وشــاهد بعينى رأسه افعالهم وذكر ذلك فى المقدمة وهو يتحدث عن السحر والطلسمات . وحين ذكر ابن خلدون بعض عجائب السحر وأشار اليهـا بالسماع فانه ذكر أعمال البعـاجين بالمشاهدة والمعاينة لانه رآها بنفسه فى المغرب .

وكانت تصحب أعمال الســحرة أقــوال وكلام مهمـوس فى السر . ونفث من الريق بعد اجتمــاعه فى الفم . وقد اشــار ابن خلـدون الى ذلك وهو يحدثنا عن السحرة المغاربة الذين يشيرون الى بطون الغنــم فاذا بها منبعجة فأمعاؤها ساقطة من بطونها الى الارض ...

وقد اشــار ابن النــديم الى أن الســاحر يتوصل الى ابنة ابليس بالعزائم ومتى فعل لها ما تريد وصل اليها وأخدمته من يريد من الشياطين وقضت حوائجه . كمـا اشار الامام الغزالى فى « الاحياء » الى كلمات يتلفظ بها الساحر . ويتوصل بسببها الى الاستعانة بالشياطين (ويحصل من مجموع ذلك ـ بحـكم اجراء الله تعالى العادة ـ أحـوال غريبة فى الشخص المسحور ...) (١)

ويمثل الغـزالى قمة التفكير عند علماء المسلمين فى الايمـان المطلق بالسحـــر والاعتقاد به على الرغم من انه علم مذموم . ويرى أن هناك فى الكون أمورا غريبة من قبيل السحر وأن هناك فى « الاعـــداد » خواص عجيبة مجربة . كتلك الخـواص التى تستعمل فى تجربة معالجة الحـامل التى عسر عليها الطلق . ويشير الى ذلك المربع الذى يعرف بمربع (بدوح) وهو شكل فيه تســعة بيوت ـ أو خانات ـ يرقم فيها ارقام مخصوصة بحيث يكون مجموع ما فى جـدول واحــد خمسة عشر . سواء قرأته بالطول او العرض او على التاريب . وقد تناول الغزالى هذا الموضوع فهو يتحدث عن « سر النبوة » فى كتابه (المنقذ من الضلال) (٢) .

وليس عجيبا ان يتكلم الغــزالى عن السحر وهو فى معرض الحديث عن النبوة . فان للنبى معجــزات يبرهن بها لقومه على صدق رسالته . والمعجزات اعمال خوارق للعـادة والطبيعة . فما الفـــرق بينها وبين السحر . ومن هنا كان تنــاول الغزالى للقضية . على ان مفكــرنا ابن خلدون قد تناول الموضوع بتفصيل وتدقيق اكثر حينما تكلم عن «السحر» فى المقدمة . لأنه لما كانت المعجـزة بامداد من روح الله فانه لا يعارضها شىء من السحــر فان سحر فرعون وسحرته لم يستطع ان يقف امــام معجــزة العصــا التى تلقف ما يأفكون .

وبالطبع قد تعــرض المتكلمون لموضوع الفرق بين المعجزة والسحر فى مؤلفاتهم . فالســحر يقع من كاذب . والمعجـــزة لا تقع الا من صادق لأنها تحمل معنى التحدى .

واذا كان المتكلمون من علمــاء المسلمين قد نظــروا الى موضوع السحر والمعجزة من وجهة نظر الصدق والكذب . والتحدى وعــدمه . فان حكماء المسلمين قد نظــروا الى

(١) علوم الدين ـ ج ١ ص ٥٠ ـ طبعة لجنة نشر الثقافة الاسلامية .
(٢) المنقذ من الضلال للغزالى ـ ص ٥٢ طبعة بيروت ١٩٥٩
(٣) مقدمة ابن خلدون ـ طبعة لجنة البيان العربى ص ١١٢٢



أحمد حسن الزيات :
تاريخ الف ليلة وليلة

الموضوع من ناحية الخير والشر . فالفرق بين السحر والمعجزة هو فرق ما بين الشر والخير . فالساحر لا يصدر فى أعماله عن خير ولا يستعمل فى أسباب الخير وصاحب المعجزة وهو النبى طبعا لا يصدر منه الشر ولا يستعمل فى أسباب الشر . وكأنهما على طرفى النقيض فى أصل فطرتهما .

ويقودنا موضوع المعجزة وكونها بامداد من الله الى موضوع الكرامة عند رجال التصوف وأصحاب الكرامات ،وهو موضوع لم يفت المؤلفين من علماء المسلمين أن يتحدثوا فيه .

ولم يقصر ابن خلدون عن دخول الميدان كعادته فى البحث ، فذكر أن لبعض المتصوفة وأصحاب الكرامات تأثيرا فى أحوال العالم ، وليس هذا التأثير معدودا من جنس السحر، وانما هو بالامداد الالهى ، لان طريقة الصوفية وتحلقهم هى من آثار النبوة وتوابعها ، ولهم من المدد الالهى حظ على قدر حالهم وايمانهم وتمسكهم بكلمة الله (٤) .

واذا كنا شاهدنا أخيرا وفى مباراة كبرى لكرة القدم اقيمت فى القاهرة فى أكتوبر ١٩٧٤ بعض العمل الذى خبأه لاعب افريقى قرب مرمى الهدف لفريقه ، فان المؤلفات العربية لم تغفل الحديث عن « العمل » السحرى لكسب المحبة والسيطرة . ويشير المؤرخ المفكر ابن خلدون الى عمل الطلسمات من الاعداد المتحابة لكسب المحبة . فيكون (للعمل) بطريقة مخصوصة تأليف عظيم بين المتحابين، حتى لا يكاد أحدهما ينفك عن الآخر (٥) .

ولا نذهب بعيدا بين المؤلفات العربية فلى كتاب (الف ليلة وليلة) نماذج وعجائب من هذا القبيل .

وقد سبقت اشارتنا الى ابنة ابليس والتوصل اليها بالعزائم ، على ما ذكره ابن النديم فى كتابه « الفهرست » . ومن الغريب أن مؤلفى كتاب « الف ليلة وليلة » قد استغلوا هذه « الجنية » أو الشيطانة فى قصصهم فى مواضع كثيرة ، وجعلوا لبعض ملوك الاسلام سلطانا عليها ، وزعموا أن الخليفة هارون الرشيد قد بعث الى هذه « الجنية » بمرسوم — واسمها سعيدة بنت الملك الاحمر — يأمرها فيه بقبول الصلح بين رجلين وأخويه ، ليرتفع عنهم العقاب ، ويهددها بأنها اذا لم تنفذ أحكامه ، فانه سينفذ فيها أحكامه وحكم الله ... وعلامة طاعة هذه الجنية أن ترفع سحرها عن هذين الاخوين (٦) ...

---

(٤) المقدمة . ص ١١٢٢
(٥) المصدر نفسه ص ١١١٩
(٦) المنتخب من كتاب الف ليلة وليلة للمستشرق هنرى بيريس ، وما نجيون — طبع دار المعارف بمصر

ويصادفنا في جمهرة كثيرة من المؤلفات العربية تعريف للسحر يختلف ما بين مؤلف ومؤلف ، ولكن هذه التعريفات تلتقي في أن السحر هو علم بكيفية استعدادات خاصة ، تقتدر بها النفوس البشرية على التأثير في عالم العناصر ، اما بغيرمعين،او بمعين من الامور السماوية ، ولما كان في السحرقدرة على تغيير الطبائع الكونية ، وخواص العناصر المألوفة في الكون ، فان بعض مفكري الاسلام قد نظروا الى عالم كيميائي مثل (جابر بن حيان) كأنه ساحر ، نظرا لما يحدثه في العناصر من تغييرات ... فترى مفكرا مثل ابن خلدون يصف جابر بن حيان بأنه في الشرق يمثل كبير السحرة في هذه الملة ، لانه (تصفح كتب القوم واستخرج الصناعة ، وغاص على زبدتها واستخرجها ، ووضع فيها غيرها من التآليف ، واكثر الكلام فيها وفي صناعة السيمياء لانهامن توابعها ، لان احالة الاجسام النوعية من صورة الى اخرى انما يكون بالقوة النفسية لا بالصناعة العملية ، فهو من قبيل السحر ...) (٧)

واذا كنا هنا قد اشرنا الى الحديث عن السحر في مؤلفات ابن النديم ، والامام الغزالي ، وابن خلدون ، فان عشرات وعشرات من الكتب العربية قد تناولت موضوع السحر واولته جانبا من اهتمامها .

ولا يكاد يخلو كتاب من كتب تفسير



د. سهير القلماوي :
اشــارة ذكية .

القرآن الكريم من الحديث عن السحر والسحرة ، في معرض الايات التى اشارت الى السحر ، فخذ تفسير الطبرى ، وابن كثير ، والبيضاوى ، والطبرسى ، والقرطبى ، والجلالين ، والفخر الرازى ، والزمخشرى ، وابن عطية الغرناطى الاندلسى فى القديم ، وخذ تفسير ابى السعود ، والالوسى، والشيخ طنطاوى جوهرى ، والسيد محمد رشيد رضا ، والعلامة جمال الدين القاسمى ، ومحمد عزت دروزة ــ بارك الله فى عمره ــ واحمد مصطفى المراغى ، وسيد قطب فى كتابه (فى ظلال القرآن) وغيرها من عشرات التفاسير ، فانك واجد فيها تعرضا لموضوع السحر فى معرض الايات التى تحدثت عن السحر .

ولم تكتف كتب تفسير القرآن الكريم فى القديم والحديث بتناول موضوعات السحر ومعالجتها من وجهات نظر مختلفة ، ولكن كتب الدراسات القرآنية والاحكام قد دخلت الميدان وأدلت فيه بدلوها ، فنجد عالما فقيها مفسرا مثل ابى بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن

السحر

(٧) مقدمة ابن خلدون ، ص١١١٤

العربي المتوفى سنة ٥٤٢ هـ وهو غير المتصوف محيي الدين بن عربي المتوفى سنة ٦٣٨ هـ يتحدث في كتابه (أحكام القرآن) المطبوع في القاهرة ١٩٥٧ عن السحر في معرض الحديث عن أحكام الآيات القرآنية في سورة البقرة (٨)

وقد أحال ابن العربي في خلال شرحه لآية السحر في سورة البقرة، على كتاب له عنوان كتاب «المشكلين» وأخذ منه واستأنس به، وحكم على أعمال السحر كلها بأنها كفر وحرام، حتى السحر الذي يجمع فيه الساحر بين المرء وزوجه، ويسمى «التولة» ولا ينظر ابن العربي القاضي الى السحر باعتبار المنفعة فيبيحه، واعتبار الضرة فيحرمه، ولكنه يحرمه كله على الاطلاق ويظهر أن كتاب «المشكلين» هذا مفقود على قدر علمي – أو غير مطبوع –.

واذا كان الفخر الرازي قد تناول موضوع السحر والسحرة في تفسيره المشهور، فان له كتابا اخر قائما بذاته في هذا الموضوع، اسمه «السر المكتوم»، وقد أشار اليه المؤرخ ابن خلدون، وذكر انه بالمشرق يتداوله المشارقة، ولكن مؤرخنا لم يقف عليه باعترافه، ويحكم على الفخر الرازي بأنه لم يكن من أئمة الشأن في هذا الموضوع (٩). وللفخر الرازي كتاب اخر غير السر المكتوم هو «الملخص»، وفيه حديث عن السحر أيضا، وهذان الكتابان لا يزالان مخطوطين كما أشار الى ذلك بروكلمان.

ويشيد ابن خلدون بكتاب (غاية الحكيم) لمسلمة بن أحمد المجريطي في السحر والاته، ويصفه بأنه (هو مدونة هذه الصناعة، وفيه استيفاؤه وكمال مسائلها)، ومسلمة المجريطي هذا من علماء المسلمين في القرن الرابع، وكان امام علماء الرياضة والفلك وحركات النجوم في وقته، وتوفي سنة ٣٩٨ هـ، وذهب بعض الباحثين القدامى الى ان مسلمة المجريطي هو مؤلف «رسائل اخوان الصفا» ومنهم العلامة ابن حجر، وصاحب كتاب «جلاء العينين» الذي تابع ابن حجر على رأيه، ولكن المرحوم أحمد زكي باشا نفى هذا القول في مقدمة الرسائل المطبوعة بمصر سنة ١٣٤٧ هـ (١٠). وكثيرا ما يسمى كتاب «غاية الحكيم» باسم «الغاية» وحسب، على سبيل الاختصار.

ولم يفت مؤلفة في العصر الحديث – وهي الدكتورة سهير القلماوي – أن تتحدث عن الخوارق وعن السحر في قصص الف ليلة وليلة، وذلك في دراستها القيمة الرصينة التي عنوانها «الف ليلة وليلة»، والتي هي موضوع رسالتها للدكتوراه، وقد نشرتها دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٩.

وكانت اشارة الدكتورة سهير القلماوي الموجزة الى السحر في كتابها عن (الف ليلة وليلة) اشارة واعية ذكية وخاصة في تصوير السحرة، ووصف أعمالهم بالشر، ووصف وجود السحرة – بجانب الاتقياء الصالحين – (يصورون القدرة الخارقة، ولكنهم الى تصوير ناحية الشر منها أقرب، ويصورون الحقيقة التي تؤلم، وهي أن قوما لا يتقون، ولا هم صالحون يتمتعون بمباهج الحياة، وجاءت صورة سيدنا سليمان عند الشعوب الاسلامية خاصة، امتزجت بين الصورتين.

---

(٨) احكام القرآن لابن العربي ج ١ ص ٣١.
(٩) المقدمة ص ١١٢٠
(١٠) الاعلام للزركلي ج ٨ ص ١٢١

السحر

وقربت السحر – ولو في بعض الاحيان – من الصالحين ، فقد كان سيدنا سليمان نبيا مسلما صالحا) (١١) .

وكان ضروريا بالطبع أن تتناول الدكتورة « سهير » موضوع السحر في قصص الف ليلة وليلة ، لان رسالتها كانت واسعة محيطة ،تشمل القصص من كل جوانبها ، ولو أنها أغفلت موضوع السحر في الف ليلة وليلة لكانت رسالتها غير كاملة .

اما الاستاذ أحمد حسن الزيات، فلم يتعرض في كتابه (أصول الادب) لموضوع السحر والسحرة والجنيات وهو يتحدث عن (تاريخ حياة ألف ليلة وليلة) ومن هنا جاء بحثه عن الف ليلة وليلة خاليا من الحديث عن السحر والسحرة ، وهي عنصر واضح في هذه القصص (١٢) .

ولا يفوتنا ان نشير هنا الى ان حاجي خليفة صاحب « كشف الظنون» لم يفته أن يتحدث عن علم السحر وعلم الطلسمات في موضعين من كتابه وفي تمهيده للحديث عن كتب السحر ذكر لنا تعريفا بعلم السحر وذكر لنا منفعته للاحتراز عن عمله، لانه محرم شرعا .وهو هنا ينقل عمن سبقوه ، وقد ساق لنا أسماء طائفة من الكتب المؤلفة في هذا العلم ، منها كتاب « الإيضاح » ، وكتاب « بغية الناشد ، ومطلب القاصد » ، وكتاب « غاية الحكيم » لمسلمة المجريطي الذي سبق الحديث عنه . وفي حديث صاحب « كشف الظنون » عن أسماء كتب علم الطلسمات ، مهد في بضعة أسطر للكلام عن الطلسم واشتقاقه ومعناه ، **وأشار مرة ثانية الى كتاب مسلمة المجريطي في هذا الفن ، وقال عنه انه (أبدع، لكنه اختار جانب الاغلاق والدقة لفرط ضنه ، وكمال بخله في تعليمه) ، كما أشار الى كتاب آخر للعلامة السكاكي في هذا العلم (١٣)**

ومن الانصاف أن نشير الى أن « دائرة المعارف الاسلامية » قد بسطت القول في موضوع السحر والسحرة باسهاب كثير ، فطالت مادة (سحر) في هذه الموسوعة الاسلامية الى ست وعشرين صفحة كبيرة ، وقد حرر هذه المادة المستشرق البريطاني : د . ب . ماكدونالد المتوفى سنة ١٩٤٣ ،وأفاض فيها افاضة واسعة ، بحكم مؤلفاته ، ودراساته المتعددة عن علم الكلام في الاسلام والدين والحياة في الاسلام وعقيدة الوحي في الاسلام وتطور فكرة الروحانية في الاسلام . والف ليلة وليلة وغيرها .

ولقد جمع ماكدونالد في دراسته العميقة الشاملة عن السحر في المكتبة العربية وفي التفكير الاسلامي طائفة من الكتب المتصلة بموضوع السحر في القديم والحديث ولكنه حشد بل حشر فيها طائفة من الكتب الرخيصة في التنجيم ، والطوالع الفلكية ، وتسخير الارواح ، ومربع الغزالي في خواص الحروف والاعداد التي سبقت اشارتنا اليه،وكتاب أبي معشر الفلكي في طوالع المواليد على البروج في طبيعة الرجال والنساء وأمزجتهم وحظوظهم ، والكتب الرخيصة في علم الركة . وقد بالغ « ماكدونالد » في تتبعه لهذه الكتب والكتيبات ، وفي التعريف

(١١) الف ليلة وليلة . للدكتورة سهير القلماوي ص ١٢٩

(١٢) انظر « في أصول الادب » لاحمد حسن الزيات .

(١٣) كشف الظنون ، طبع استنبول ج ٢ ص ١٠١

بأصحابها من المعاصرين والمحدثين ·

ويظهر أن لفظة « السحر » كانت – ولا تزال – لها جاذبية خاصة ، وأثر خاص ، على العقول ، فلجأ اليها بعض المؤلفين لتسمية كتبهم ولو أنها بعيدة عن السحر بعد ما بين السماء والارض ·فنجد في القديم كتاب « حدائق السحر ، في دقائق الشعر » الذى ألفه بالفارسية الكاتب الشاعر رشيد الدين الوطواط ،ونقله الى العربية المرحوم الدكتور ابراهيم أمين الشواربي ، كما نجد كتاب « سحر البلاغة ، وسر البراعة » لابي منصور الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩هـ، وهو قطعا ليس في موضوع السحر، شأنه في ذلك شأن كتاب رشيد الدين الوطواط ، كما نجد كتاب « سحر العيون » ، وهو كتاب في العيون وعللها وأمراضها ، وطبها وعلاجها، وأوصاف العيون وما وقع فيها من الامثال والاشعار ، كما نجد كتاب (السحر الحلال ، في غرائب المقال) وهو في فقه الشافعية للامام محمود ابن احمد الزنجاني المتوفى سنة٦٥٦ هـ ، وهى السنة المشئومة التى سقطت فيها بغداد في يد التتار بقيادةزعيمهم هولاكو ···

أما في الحديث فنجد كتاب « المدينة المسحورة » لسيد قطب . وهو استئناف لاحاديث شهر زاد في ألف ليلة وليلة ، بعد أن صمتت عن الحديث تسعا وتسعين ليلة ··

وقد حظيت المكتبة العربية في عام ١٩٥٧ بكتاب للمرحوم احمد الشنتناوى ، احد المشتركين في اصدار « دائرة المعارف الاسلامية » باللغة العربية ، وعنوان الكتاب : « فنون السحر » ، وقد عالج فيه مؤلفه فصولا مختلفة ، منها : السحر في الامم القديمة ، والسحر عند قدماء المصريين، وسليمان الحكيم بين النبوة والسحر ، والسحرفي الاسلام، والرقى والتعاويذ ، وعقاب السحرة

ولم يزل موضوع « السحر » يغرينا الى هذه الساعة ، بما فيه من غرائب وعجائب وخوارق لا يكاد يصدقها العقل ، حتى رأينا مجلة «الهلال » تخص السحر بعدد خاص، أعددنا له هذا المقال · ومن يدرى ؟ فقد يكون ضمير الغيب في المستقبل كتبا ودراسات عن « السحر » الذى كان شاغل الانسان ، من قديم الآباد والازمان ··

قبلة القمر !

ومهفهف كملت محاسنه   حتى تجاوز منية النفس
تصبو الكئوس الى مراشفه   وتضج في يده من الحبس
أبصرته والكأس بين فم   منه وبين أنامل خمس
فكأنه ، وكأن شاربها   قمر يقبل عارض الشمس
(ابن الرومى)

د. مختار الوكيل

هلال الفجر

متى رآه الناس قالوا محال !

أساعة الفجر يلوح الهلال !

ومن يراه غير حادي الغرام

من يسهر الليل ويحيي الظلام !

يحشو الأغاني فوق هذي الجبال !

***

يأيها الصاعد فوق القمم !

بلغت ما لم تستطعه القدم !

فههنا الصمت يلفه الجليد

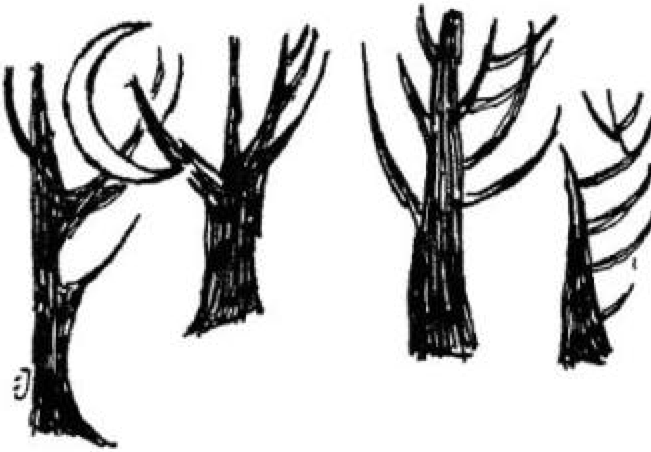
وينبت الأشواق حمر الحدود !

من دمها يستاف ثغر الجمال !

***

هتفت والشمس بدت في السماء

وطفاء لثغاء تشيم البهاء !



يرب أفعم مهجتي بالحياة
وأترع العين بنور الصفاء !
والسمع فاغمره بنور جلال !

***

مشيت ، والفجر إلى جانبي
يرتل في الأضواء كالراهب !
يصغي للحن الحب صافي الجلال
تشدو به الأطيار عبر التلال
فتنتشي الروح بخمر الجمال !

***

وههنا في الصمت كوخ الحبيب
كأنه في الكون قلب القلوب !
لما بلغنا بابه في الصباح
نامت بصدري ثائرات الجراح !
وغرد الحب ، وأعطى ونال !



هدية العدد صورة جبران خليل جبران

● ولد في ٦ ديسمبر عام ١٨٥٣ بقرية بشرى احدى قرى لبنان ، لكن أصله من دمشق .

● تلقى علومه الاولى في بيروت وانتقل في صباه الى باريس حيث اقام فيها بضعة اشهر ، ومنها رحل الى الولايات المتحدة الامريكية عام ١٨٩٥ مع بعض أقاربه ، واستقر فترة من الزمن في مدينة بوسطن ولكنه لم يوفق في حياته فعاد الى بيروت .

● ظل اربع سنوات في بيروت ثقف نفسه خلالها باللغة العربية ورحل بعد ذلك الى باريس التي استقر بها ثلاثة أعوام وحصل في نهايتها على شهادة التفوق في التصوير .

● رحل بعد حصوله على هذه الشهادة إلى الولايات المتحدة الامريكية واقام في نيويورك الى ان توفى في ابريل عام ١٩٣١ ونقلت رفاته الى مسقط راسه « بشرى » .

● برز في الرسم كفنان مبدع فقبلت رسومه في المعرض الدولي الرسمي الذي أقيم في فرنسا ، كما اختير عضو شرف في جمعية المصورين الانجليز .

● يعتبر نابغة الكتاب المعاصرين في المهجر الامريكي ، وقد امتاز بسعة خياله وعمق تفكيره ، كما اشتهر بانه شاعر في نثره واتسمت كتاباته بالتدفق والعذوبة وسمو العاطفة وجمالها .

● أحب وطنه الام لبنان واستوحى من طبيعته وجماله الكثير من كتاباته كما برزت روح الشرق في ادبه .

● زود المكتبة العربية بمؤلفات كثيرة اتسمت بجمال الأسلوب وعمق الفكرة منها : « دمعة وابتسامة » و « عرائس المروج » و « الارواح المتمردة » و « الاجنحة المتكسرة » و « العواصف » و « المواكب » وهو شعر .

● كان جبران يجيد اللغة الانجليزية اجادة تامة وله بها كتب مشهورة منها « السابق » و « المجنون » و « النبي » وقد ترجمت جميعها الى اللغة العربية .

● يعتبر كتابه « النبي » افضل ما كتب من حيث عمق الفكرة وجمال التعبير ، وقد ترجم الى اكثر من عشرين لغة .

● ارخ له صديق حياته في المهجر « ميخائيل نعيمة » في كتاب بعنوان «جبران خليل جبران» كشف فيه اللثام عن كثير من المواقف والاسرار في حياة جبران ، ويعد هذا الكتاب من اجرأ الدراسات في ادب السير والتراجم .

د. سيد كريم

السحر والسحرة



عند قدماء المصريين

السحر قديم قدم الانسانية نفسها ، وأقدم من الحضارة التى انبثقت عنها .. عرفه الانسان عندما أحس بوجوده ، عرفه باحساسه عندما نظر الى الطبيعة حوله فوجد نفسه محوطا بقوى خفية خارجة عن نطاق فهمه وبعيدة عن مدى ادراكه

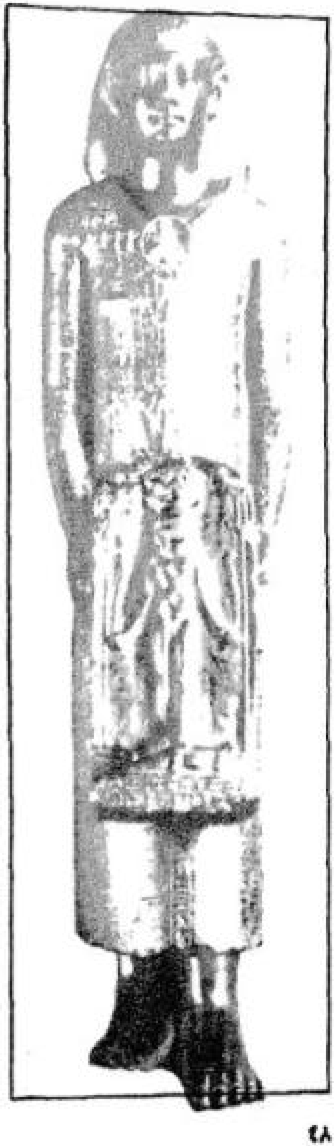
لم يكن فى استطاعته مقاومتها بما فى متناول يده من وسائل وامكانيات .

حاول أن يستميل تلك القوى بالتضرع تارة وبالحيلة والفنون تارة أخرى . فالعقيدة والسحر وليدا هذا المجهود الانسانى المزدوج، وليدا ضرورة واحدة ، فكان من الطبيعة أن يتقابل الدين والسحر فى أكثر من جانب من جوانب حياة المجتمع ، لذا فقد تركز السحر فى المعابد واعتبر علما من علوم الكهنوت الذى تخصص فيه الكهنة وحدهم ، كما ان الكثير من الطقوس الدينية ارتبطت بالسحر وتعاليمه ، وتداخل السحر والدين معا فى كتب الموتى والمتون الدينية وعلاقة « الآلهة » القديمة بالبشر .

وقد تغلغل السحر فى الكهنوت ، كما ذكر عالم الآثار الكبير الدكتور سليم حسن :

« انه من العبث ان نبحث اذا كان السحر وليد الدين او الدين وليد السحر ، فالاعتقادان قد ظهرا فى ميدان واحد املاهما مظهر العالم وظواهر الطبيعة » . كانت نظرة الناس الى السحرة كنظرتهم الى رجال الدين لان كلا منهما يمثل قوة الهية .

ارتبط السحر منذ نشأته بأساطير الخلق ـ خلق الحياة والوجود . والعوامل المكونة لهما ، والقوى المحركة والمسيطرة عليهما ، وقد نسب قدماء المصريين السحر ونزوله على الارض الى « الاله تحوت اله العلم والمعرفة وحامل العلامات الالهية والمعبود القمرى لمدينة هرموبوليس . أول من انزل كتب السحر المقدسة ووضع طلاسمه الباهرة فانزل الحرف والنطق والكلمة وكل منها تمثل قوة لها تأثيرها وفاعليتها ، وفى كل منها وضع سرا من أسرار الكون والوجود . فالخالق خلق الاشياء بنطق أسمائها وعلم مخلوقاته النطق للتعارف



والتخـــاطب ، والحرف او الرمز للصورة »*

ان تلك البردية من برديات تحوتى (هرمس) فى الحـــرز الخاص « بأسرار الــكون » تفسر الكثير من نواحى السحر ووسائله ، فارتكزت العقيدة فى السحر · أن لكل من الحرف والاسم والنطق طاقة ســحرية لها فاعليتها منها قوى الخير ، ومنهـــا قوى الشر ، فأسماء الالهة والمعبودات مثلاً وذكرها فى الدعاء او ترديدهـــا لها اثر سحرى فى مد الانســـان بقوى الخير وحمايته او حفظه من قوى الشر ·

فالسحر وعناصره وطقوســـــه تعتمد على تلك « الهبات المقدســة الثلاث » التى وهب الساحر القوة الخارقة فى كيفية استخدامها سواء فى التعاويذ او الطلاسم والتمائــم والرقى والاحجبة والطقوس وغيرهـــا مما عرف من طرق السحر ·

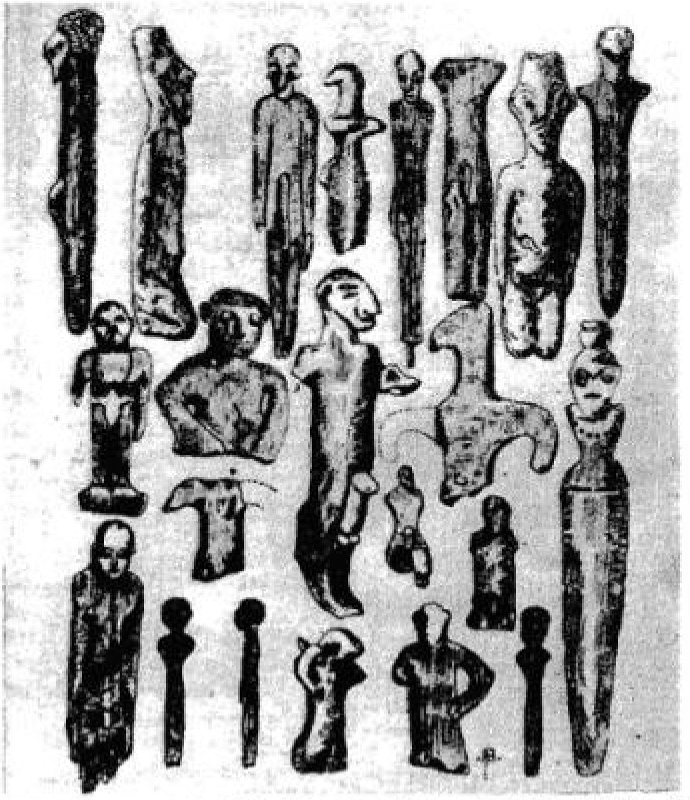
وقد ذكر « ماسبيرو » ان مدارس الســحـــــر وجدت من اقـــدم العصـــــــور بجانب مدارس الكهنـــوت فى بيوت الحياة الملحقة بالمعابد · ويعود بعضها الى ما قبل الاسرات كجامعة اون « عين شمس » وكان ملوك الفراعنة وخاصـــة فى الدولة القديمة يعدون من مفـاخرهم وضـــع تلك المدارس تحت رعايتهم ويشملونها بعنـــايتهم ، وبلغ من تعظيم كل من سنفرو وخوفو ٢٦٨٠ ق · م انهما ضما الى القابهما لقب رئيس السحرة ·

وكان الطالب الذى يكرس حيـــاته لدراسة السحر ويحصل على درجات النبوغ والتفوق التى تؤهله لحمل لقب « شرحب » اى الذى اتم الاطلاع على الكتب الالهية وعرف اسرار الــكون ومنحه الإله تحوت الســيطرة على القوى المحركة للوجود واخضــاعها لصالح البشر ودفع عناصر الشر ، كان



لا يحمل هذا اللقب الا اذا اختير امام فرعون واقر له بالكفاءة وسمح له رسميا بمزاولة السحر ·

ومن اشهر بيوت الحياة التى كانت تدرس السحر فى مصر القديمة كل من جامعات ومعابد : اون (عين شمس)، وابيدوس ، وخنت مين (اخميم) ، وسايس ، وطيبة ، وسيوة ، ثم ظهرت مدارس الاسكندرية ونشرة فى عهد البطالمة ، ومدارس الالهـــة ايزيس



بعض التماثيل والتمائم السحرية التي ترجع الى ما قبل الاسرات « ... » سنة ق.م »

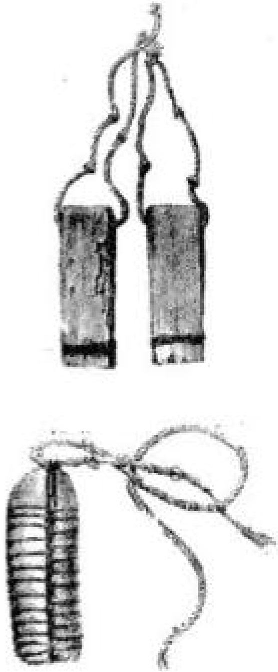
التي اعتبرت في ذلك الوقت حامية السحر وأطلق عليها الرومان اسم « ربة السحر ومعبودة السحرة » .

● كان للسحرة مركز مميز ومكانة خاصة في كل من الدولة القديمة وخلال الاسرات الثانية عشرة والثامنة عشرة وتقلد بعض السحرة المعروفين أعلى مناصب الدولة أو مستشارين للفرعون وأعضاء في مجلس الحكماء . كما كان الكثير من كبار الكهنة والعلماء والاطباء يفخرون بحمل لقب ساحر بجانب مهنتهم الاصلية .

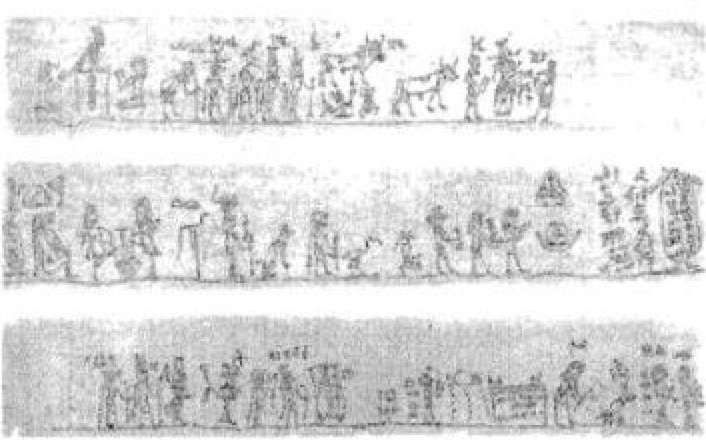
ولم يقتصر السحر على السحرة من الرجال فقط بل كان لبعض النساء معرفة تامة بالسحر والاتصال بالارواح وبعضهن حملن لقب « عرافة المعبد » وقد خلد التاريخ أسماء الكثير منهن

امثال ميليت ، وانهاى ، وحنت تاوى ورورى ° وبعضهن كن ملكات وأميرات وقد ذكر ديودور الصقلى أن بعض الملكات تعلمن السحر من الكهنة وتخصصن فيه ، وأن الملكة كانت تجلس بجانب الملك على العرش وتلازمه فى زيارته للمعبد محافظة عليه من السحر المضاد ، وهو ما يظهر فى بعض الرسومات والتماثيل عندما تظهر الملكة وهى تضع ذراعها على كتف الملك او خلف ظهره لتحميه من اعداء الخفاء ، بينما تحميه الكوبرا أو الافعى الناشرة التى تتصدر تاجه وجبهته لتحميه من العين الشريرة والاعداء المواجهين له ·

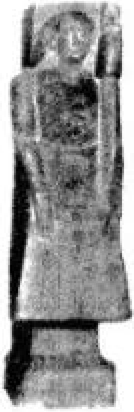
وكان الساحر يرتدى زيا خاصا مميزا ، ومنهم من كان يرتدى جلد الفهد اذا كان من سحرة المعبد ،كما كان الساحر يحمل عصا سحرية على شكل حية أو تحمل رءوس بعض الحيوانات الخرافية ورءوس الالهه ·



نماذج الاحجبة والنقوش السحرية التى وجدت بداخلها « العهد العتيق ٢٢٠٠ ق·م »







وكانت كل عصا تمثل المعبد الذى ينتمى أليه أو تخرج منه وهو الذى يمنحه العصا عند السماح له بمزاولة المهنة .

● لقد سيطرت عقيدة السحر على المصريين القدماء كسيطرة العقائد الدينية نفسها ، فكانوا يستعينون به فى شئونهم الدينية والدنيوية معا كما كانوا يستعينون فى مختلف أحوال حياتهم ، وقد مارس السحرة جميع أنواع السحر بمختلف صوره التى عرفها العالم القديم أو المتداول منها حتى الآن ابتداء من التعاويذ والطلاسم والتعزيم وكتابة الاحجبة بأنواعها ، ومزاولة الطقوس السحرية والروحانية والرقى وسحر التمائم ، كما مارسوا تحضير الارواح بجانب ما اشتهروا به من الربط بين الفلك والسحر والتنجيم وقراءة الطالع والبروج السماوية والواح المصير وقراءة الكف وكشف الغيب عن طريق وعاء حورس المقدس ، وهو وعاء كان يملأ بالماء ويغطى بطبقة من الزيت يتلو عليه الساحر تعاويذه الخاصة فيظهر الإله حورس على شكل ضوء على سطح الزيت ويعكس على سطحه صور ما يسأل عنه من خبايا وأسرار وهو ما يطلق عليه اليوم اسم « المندل » .

● ومن معتقدات السحر عندقدماء المصريين أن لكل انسى قرينا من الجن يلازمه فى الحياة ويتبعه فى الموت ، ويسمى باللغة المصرية القديمة « كا » وكان يرمز له بذراعين مرفوعين ، فالدنيا وفقا لعقيدتهم مملوءة بقوة الارواح المؤثرة ، ويجب على الانسان اتقاء ما يخشاه فيهامن مختلف انواع الشر ما استطاع بنفسه أى بقوةايمانه ومناعته أو بمعونة الغير فى مقاومة ومطاردة ما يهدده أو يحل به — كما نصت برديات السحر فى الدولة القديمة على وجود الجان وعلاقتها بالبشر ، وملازمتها للسكان فى بعض الاحيان وما يمكن عمله لارضائها أو لاتقاء شرورها ، ومازال الكثير من تلك المعتقدات سائدا فى كثير من اذهان الناس .



قرط وغطاء الرأس لاحدي الاميرات بالدولة القديمة ـ تحمل فوق الجبهة رمز الصقر وعلى جانبيها الأفعى الناشرة التي تحميها من الحسد والارواح الشريرة بما تنفثه من سم كالنار



● ان تماثيل الاوشبتى (المجاوبة) التى يطلق عليها خدم الاخرة ، والتى تحمل رموز الطــلاسم والتعاويذ السحرية وتوضع بجوار الميت والتى وصل عدد بعضها فى بعض المقابر ٣٦٥ دمية أو تمثالا تمثل ايام السنة باكملها ... ويعتقد القدماء أن تلك التمـــاثيل بفضـــل القـــوى الســـحرية التى زودت بهـــا خليقة بأن تدب فيها الحيـاة فتسرع الى اجابة الميت فى رحلة العالم الاخر اذا دعاها للعمل .

● بجانب ما كان للسحرةمن مكانة عند السماح بممارسة مهنتهم المقدسة من حماية كل من الملك والمعبد وتقدم لهم العطايا والهدايا بســخاء من الحكومة والشــعب لما يقومون به من خير للانسانية وخدمات للنــاس من دينية ودنيوية ، فان ممارسة السحر المعاكس او السحر الاسود الذى يقصد به الضرر بالغيركان يعاقب من يقوم به بالاعدام ...

وفى بردية « لى » بمتــحف « المكتبة الاهلية بباريس » وصف لما قام به ساحر أراد الانتقـام من قوم فصنع تماثيل من الشمع وقرأ عليها عزائم سحرية ، وخصص كل تمثال منها بنوع من الاذى والضرر ، فأصيب الاشـــخاص بالانواع التى خصصها لكل منهم ، فرفعوا امرهم الى الملك ، فأمر بالقبض على الساحر وأمـــر باعدامه ونفذ فيه الحكم علنـــا فى سوق المدينة ، كما امر بمنع جميع السحرة عن هذه الاعمال .

كما وصفت بردية هاريس المؤامرة التى دبرها بنتاءور احد أبنـــاء الملك رمسيس الثالث بالاشتراك مع أمه ، ومع بعض الســـحرة الذين بثوا فى القصر بعض الكتابات والتعـــاويذ

السحرية ، وأعدوا تماثيل من الشمع كتبوا عليها تعاويذ تشل أعضاء الملك وتقضى عليه ، واكتشفها الملك بعد ان هربت الى مخدعه ... وتصف البردية كيف احبطت المؤامرة وحوكم السحرة والمتآمرون فاعدم جميع السحرة الذين اشتركوا في المؤامرة ، وسمح لقائد الجيش ورئيس الحرس واثنان من رجال البلاط بأن ينتحروا فى المحكمة امام القاضى .

المعجزات .. والسحر

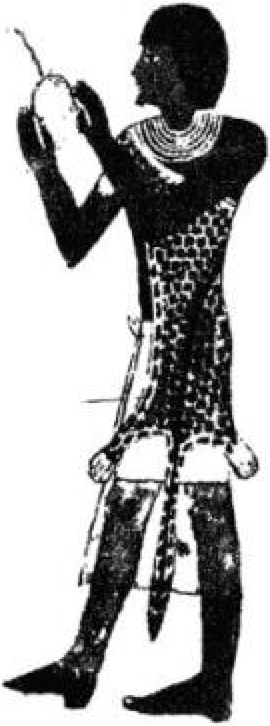
لقد تخصصت كل مدرسة من مدارس السحر القديمة بنوع معين من السحر وما يرتبط به من معجزات يحتفظ بسرها الساحر الاعظم أو رئيس الكهنة ، فاشتهر معبد زايس (صالحجر) بسحر الافاعى ، وفى مقدمته تحويل العصا أو حزام الوسط الى افعى بعد القائها الى الارض ، وقراءة التعاويذ السحرية عليها ، كما كانت لهم قوة السيطرة على الافاعى بالتعزيم عليها حتى تأتمر بامرهم فيخرجونها من جحورها ، ويبطلون فاعلية سمومها أو يوجهونها الى أى مكان يريدون لتنتقم من أعدائهم . وكانوا يعتبرون الافاعى نوعا من الجن الذى يتشكل بشكل الافعى وكان بعضها يؤمر فيطير من مكان الى اخر أو الى بلد بعيد لتنفيذ ما يؤمر به .

ومعبد زايس المذكور هو الذى تعلم فيه سيدنا موسى ودرس اللاهوت والحكمة ، وفاق بمعجزته بقية السحرة أمام فرعون عندما ألقى بعصاه فتحولت الى افعى اكلت افاعى بقية السحرة

كما اشتهر الكاهن الاعظم بمعبد حورس القديم (الليد المحرق) بمعجزة شفاء الابرص وهو الذى قام بشفاء الاميره بتراشيد بنت بختان



تمثال القطة بست التى كانت لها القوة السحرية بما تحمله من تعاويذ تقتل الافاعى وارواحها الشريرة من الاسرة الثانية ٢١٠٠ ق.م



وأخت فرعون مصر بعد ما عجز كبار الاطباء من شفائها ، كمـا ورد في احدى برديات تورين.وكانت المعجزة الثانية التى تخصص فيها وهى المعجزة التى قام بها عندما قام الخلاف بعد موت رمسيس الثـالث الذى كان قد أوصى مجلس الحكماء أن يتولى ابنه الاصغر رمسيس الرابع الحكم بدلا من ابنه الاكبر قائد الجيش ، فاستدعى الكاهن الاعظم الذى قام « باحياء » الملك الذى سئل عن وصيته فى حضور أولاده ومجلس الحكماء،فنطق برغبته واشار الى ابنه رمسيس الرابع الذى نودى به ملكا وبذلك انتهى الخـلاف ... كما ورد فى برديات رولان ولى

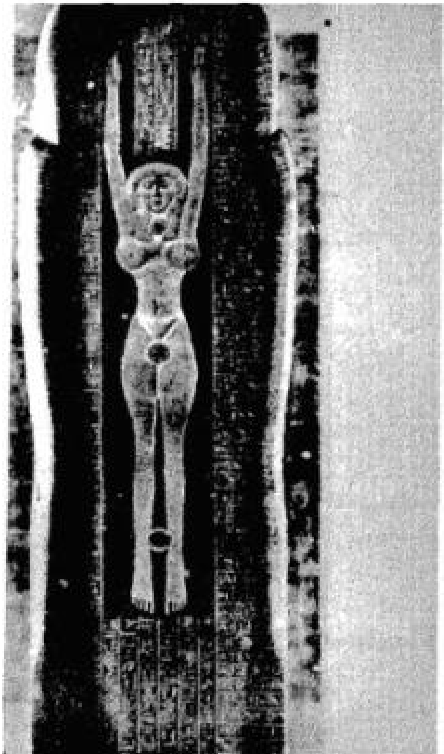
ومما يجدر بالذكر ان ذلك المعبد هو الذى اقام به سيدنا عيسى عليه السلام اثناء هروبه واقامته فى مصر .

كما اشتهر كهنة اهناسيا بمعجزات ما اطلق عليه سر الاحلام الخاصــة بتفسير الاحــلام وقراءة الغيب والوساطة والاتصال الروحى عـن طريق الاحلام وتمكين الرؤيا للاطلاع على المجهول . وتحوى برديات تورين الكثير من صفحات كتب سحر الاحلام وكتاب مفتاح الاحلام .



وفى هذا المعبد درس سيدنا يوسف الرياضيات والفلك وعينه فرعون كاتبا بالقصر وأمينا على المخازن بعــد نبوءته المشهورة فى تفسير الاحلام .

كما حــوت برديات وستكار التى ترجع الى الاسرة الخامســة « المعجزات » التى كان يقوم بها الكاهن «جدى» أحد سحرة معبد هيليوبوليس أمام الملك خوفو حيث كان يفصــل رءوس الطيور عن اجسامها ويضعها فى اركان القاعة الاربعـة ، ثم يتلى عليها تعازيمه الســحرية فتلتحم الرءوس بالاجساد وتعـود الطيور



المعبودة نوت الهة السماء كما نقشت على غطاء تابوت الاميرة عنخ نفرابيرى وتحمل الرموز والطلاسم السحرية التى تحمى بها جثة الاميرة وتصب اللعنة على من يمسها بسوء

للتحليق وهى تصيح وتغرد ...

كما روت نفس البردية كيف قام الساحرجدى فى حضور الملك وابنائه وحكماء القصر باحضار ثور كبير وضرب رأسه فسقط على الارض بعيدا عن جسده،ثم تلا عليه عزائمه السحرية فقام الثور وراءه وخرج الساحر من القاعة يتبعه الثور وهو يخور ...

وفى هذا المعبد اقام سيدنا ابراهيم فترة من الزمن ودرس الكثير من اسرار سحرهم .

كما اشتهر كهنة معبد بتاح بمنف بمعجزة الاخفاء والاختفاء حيث كان الكاهن يحمل تميمة اطلق عليها عصا بتاح السحرية كان يقرأ عليها بعض التعاويذ فيختفى بجسمه من وسط المجلس او يظهر فجأة فى وسط الغرفة المقفلة ليفاجيء الموجودين بحضوره كما كانت له القدرة على احضار الاشياء الموجودة بالخزائن السرية المحصنة وعرضها على الحاضرين أو اخفاء الاشياء الموجودة أمامهم بالقاعة

واشتهر كهنة معبد امون فى سيوة بمعجزة تحريك تمثال امون من مكانه واجابته على الاسئلة التى تتلى عليه وهى المعجزة التى قام بها التمثال عند زيارة الاسكندر الاكبر للمعبد حيث تحرك التمثال الضخم بايماءة من رأسه واشار الى الاسكندر برفع يده مخاطبا اياه بقوله « انك ابنى وانى اعطيتك الشجاعة . وامرتك أن تحضر لزيارتى ، وانى امنحك السيطرة على كل البلاد ، وهى المعجزة التى أله المصريون بعدها الاسكندر ، ونودى به ابنا لامون، كما ذكر المؤرخ شرابون الذى ذكر انه شاهد معجزات التمثال بنفسه .

وتحوى المؤلفات التى كتبت عن السحر عند الفراعنة عددا لا يحصى من المعجزات التى كان يمارسها كهنة وادى النيل فى كل معبد من المعابد أو معهد من معاهد السحر الملحقة ببيوت الحياة .

ومن البحوث التى ظهرت حديثا عن علاقة السحر عند المصريين القدماء ومعجزات الانبياء والسحرة الذين زاروا مصر واقاموا بها فى مختلف العصور كتاب « المصريون .. أبناء الالهة » للكاتبة و . هولز .



تاوريرت احدى تمائم ما قبل الاسرات وتمثل فرس النهر ، تحمى الحامل والمولود من الارواح الشريرة والجسد كانت توضع على جسد الميت لتحميه عند ميلاده الجديد فى العالم الاخر - تحولت الى معبود فى الاسرة الرابعة

السحر .. والادب

يعتبر الادب المصرى القديم من اقدم أنواع الادب فى العالم ، وهو يتميز بأصالته التى تعبر عن حضارة شعب مصر وقد وضع الاســـاس الذى يهتدى به الادب فى كثير من الحضارات القديمة ، ولعب دورا فعالا فى نشأة الادب العبرى والاغريقى القديمين .

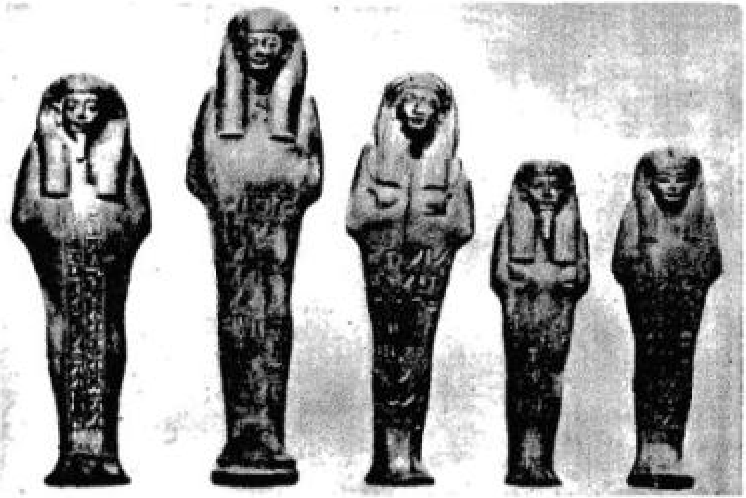
فبفضل السحر كعقيدة ، وتغلغله فى جميع مقومات حياة الشعب المصرى ، فقد لعب خيال الاديب المصرى دورا خلاقا فى صياغة قصص السحر فى الادب التصويرى والقصصى والفلسفى والـديني ، بل وفى الادب المسرحى الذى كان للمصريين القدماء الفضل فى ارساء قواعده . كما امتد السحر الى أدب الاغانى والاناشـــيد وأدب الحرب والفروسية ، كذلك أدب الحكم والامثال .

وكان الاديب المصرى القديم يعنى بكتابة قصصه شعرا أو نثرا بالاسلوب ألقوى الجميل الذى أتهم بالبســاطة مع التحليق بالخيال ومحاولة صبغه بالواقع .

ومجلدات الادب المصرى القـــديم

السحرة فى الازياء التنكرية للاله تاو اثناء ممارســـة طقوس السحر





نماذج لتماثيل « اوشاويتي » التي تخدم الميت في العالم الاخر

ترجمت الى كثير من لغات العالم ، وتحتفظ ببردياتها الكثير من المتاحف العالمية .

من اشهر برديات قصص السحر برديات وستكار التي ترجع الى الدولة القديمة ۲۸۰۰ ق م ، وهي من اشهر البرديات التي ابدع فيها الاديب المصرى القديم في الخروج من الواقع الى الخيال ووصف خوارق الاعمال وتشبه الى حد ما في طريقة سردها وتسلسلها – قصص الف ليلة وليلة .

ومن امثلة قصصها قصة « قرط الاميرة والساحر » جاجام عنخ » وتحكى القصة كيف خرج الملك سنفرو للتنزه في بحيرة القصر مع الاميرة مروى في سفينته ذات المقصورة الذهبية – التي ابدع الاديب في وصف سحرها – وقام بالتجديف عشرون وصيفة من اجمل العذارى لواحاجمل الصدور والجوارح ، ولا يستر أجسامهن سوى غلالات من شباك الصيد وكن يجدفن بمجاديف مكسوة برقائق الذهب على أنغام القيثارات ...

وتشرح القصة كيف فقدت الاميرة قرطها في الماء – وكان على شكل سمكة من الذهب والفيروز – بينما كانت تتغزل في جمال وجهها المنعكس على صفحة الماء ، وكيف تشاءمت الاميرة وانتابها الحزن ، فاستدعى سنفرو الساحر جاجام عنخ ساحر معبد آمون بمنف الذى تلا عزائمه السحرية وضرب سطح الماء بعصاه فانشق ماء البحيرة الذى كان عمقها اثنى عشر ذراعا ، فانكشف قاع البحيرة وظهر القرط الذهبي الذى نزل سنفرو والتقطه بنفسه وسلمه للاميرة ، فعادت الافراح وكافأ فرعون جاجام عنخ مكافأة سخية وعينه ساحرا خاصا لقصر فرعون .

ومن القصص التي حوتها نفس

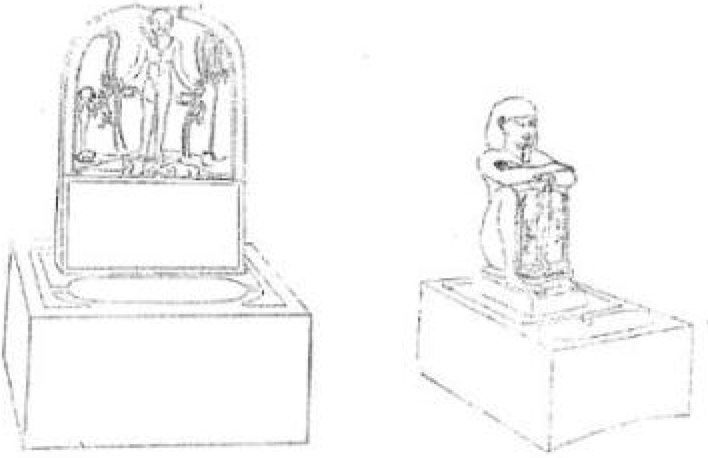
برديات وستكار قصة الزوجة الخائنة والتمساح الشمعى ، التى تحكى كيف صنع الساحر « أوباأونر » تمساحا من الشمع طوله نصف ذراع والقاه فى البحيرة التى كانت الزوجة الخائنة تقابل فيها عشيقها أثناء غيابزوجها فى رحلاته مع الملك ... وكيف تحول تمثال الشمع الى تمثال حى ضخم قبض على العشيق وغطس به تحت الماء عدة أيام حتىأتى الكاهن وأمره بالخروج به ليراه زوجها والشهود ، ثم أمره بالفتراسه ، ثم تحولالتمساح مرة أخرى الى تمثـــال صغير من الشمع حمله الساحر معه فى صندوق خشبى خاص به ، ثم أمر الزوجـة الخائنة بأن تلقى بنفسها فى البحيرة لتلحق بعشيقها ...

كما تحـوى برديات هاريس التى تعود الى الاسرةالثانية عشرة عشرات القصص المماثلة التى تعتبر من أروع امثلة أدب السحر والاساطير القديمة

كما اشتهر ادب القصة وعلاقتـه بالسحر بصفة خاصـــة فى الدولة الحديثةفى الاسرةالثامنة عشرة ١٥٧٠ ـ ١٣٠٠ ق٠م ، ومن اشهرها قصص سحر الاستخارة التى كان يقوم بها الملوك والقواد وسجلت جـــزءا من تاريخهم ، منها ما ذكر عن كامسالذى خرج لقتال الهكسوس بناء على امر امون ذى الراى السديد ، وما ذكرته حتشبسوت من انها ارسلت بعثتها الى بلاد بونت بوحى من امون وتحتمس الثالث واستخارته للاله امون الذى حدد له ميعاد غزواته وما سيلقـــاه فيها من نصر .



ابناء حورس الاربعـة ـ تمثل اركان الدنيا الاربعة ـ وحارسة اعضاء الجسم بعد الموت من الكانوبات تصنع منها اغطية الاوعية التى تحفظ فيها القلب والرئتين والامعاء والمعدة



نماذج لاحواض ماء السحر المقدس والهة السحر الحارسة

تمثال المعبود انوبيس الذي يحمى المعبد بسحره وجنوده من الارواح الشريرة حتى لا تدخل المعبد وتعاكس الهته



التمائم والاحجبة في السحر القديم

تعتبر التمائم والاحجبة العنصر المادى فى فاعلية قوى السحر ، أو الواسطة التى تنقل التأثيرية الفعالة لحماية الانسان فى حياته الدنيوية، وفى رحلته فى العالم الاخر أو الحياة الابدية ٠

كانوا يحملونها وهم احياء ويضعونها على اجساد الموتى اعتقادا منهم بأن لها من القوى السحرية ما يدفع عنهم الارواح الشريرة ، بل وتجلب لحاملها الحظ السعيد والحياة الهانئة وتحمى مختلف اعضاء الجسم

كان للتمائم المقام الاول فى نفوسهم فوضعوها فوق اعتاب المنازل ، وتحت عتبات الابواب ، او داخل حجرات البيت ٠ كانوا يضعونها فى أماكن نومهم وتحت وسائد رءوسهم أو فى أماكن ممارسة أعمالهم اليومية ٠

صنعوا منها وسائل زينتهم فكانت المعلقات التى تتوسد الصدور أو تتدلى حول الاعناق أو تتوج لباس الرأس

والتمائم عبارة عن اشارات رمزية اصطلاحية لكل منها تعبير خاص ،



لوحات الإله حورس اله السحر وحماية المعابد



وتقوم كل منها باداء دور معلوم ، بعضها يمثل رموزا هيروغليفية تدل على صفات معنوية كالحياة والقوة والسعادة والبقاء والثبات والاتزان والحكمة والجمال ، وهي النعوت التي كان يستحب التمتع بها بنوع خاص ويعضها يمثل تماثيل الالهة لما تملكه الالهة من قوة سحرية تخصصية يستجيب كل منها لدعاء معين ويلبي طلبا خاصا .

● كانت صناعة التمائم من أهم الصناعات الرائجة في مصر القديمة وبخاصة في العهد المتأخر من تاريخ البلاد ، كان بعضها يصنع في المعابد نفسها ، وقد تخصص فنانو المعابد في صنع التمائم التي ترتبط بالهة ومعبودات المعبد نفسه كلوحات حورس السحرية التي تصنع في معبد ادفو ، وتمائم حاتحور للحب والجمال التي اشتهر بها معبد دندرة، وتماثيل « الاوشابتي » الصغيرة التي تحمل الدعوات وتخدم الموتى والتي اشتهر بصنعها معابد منف .

وللمادة التي تتألف منها التمائم علاقة بقوة ونوعية فاعليتها ، فالذهب معدن يرمز الى البقاء ، وهو سلطان المعادن وصفوا أن أصله من شعاع الشمس المتجمد ، ومنه تصنع عادة التمائم التي تمثل الالهة ...

ويليه في المعادن البرونز الذي يرمز الى الصلابة والقوة الدائمة . كما كانت تصنع التمائم من الاخشاب القمسة كالبلسم والابنوس أو العاج والعظام والفخار المطلي والقيشاني ، كذلك مختلف الاحجار الكريمة والكرنالين والهمتيت والبشب واللوسيات وغيرها من الاحجار النصف كريمة .

كما كان للالوان دورها التأثيري السحري بالنسبة للتمائم . فاللون الاخضر لتمائم الصحة والشباب ، والازرق لمنع الحسد وطرد الارواح الشريرة ، لذا كان الكف الحارس

(الخمسة وخميسة) واوزات (العين المقدسة) ـ تصنعمن القيشاني الازرق اللامع او حجر الفيروز واللازوردى ، واللون الابيض للطهارة والخلاص ، واللون الاسود لجلب الحظ والخير، والاحمر لتمائم الشر . ولقد ربط شارل لكمسا فى موسوعته والسحر فى مصر القديمة ، العلاقة بين نوع التميمة وشكلها الرمزى وخواصها والمواد التى تصنع منها والالوان التى تتالف منها واثرها على التميمة كمادة موصلة للقوى السحرية المفيدة للانسان او كمادة مانعة وعازلة للقوى الشريرة الضارة به.

ويقوى تأثير التمائم اذا احتفظت بقوة الصيغ السحرية التى يتلوها صانعها او يلقن حاملها كيفية تلاوتها

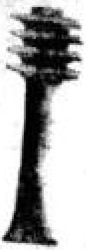
لقد قام كل من لكمسا وبورخارت وموريه فى بحوثهما عن « التمائم والسحر » بحصر انواع التمائم ونماذجها وتطور اشكالها خلال مختلف العصور الفرعونية من عهود ما قبل الاسرات الى العصر الرومانى ، فوجد انها تزيد



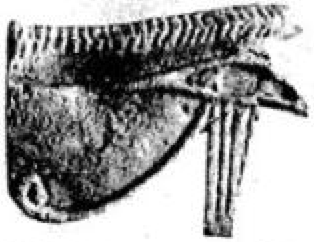
نموذج للرموز السحرية الخاصة بكل من تميمة رد ـ شجرة الخلق او تميمة الاله بتاح والتميمة ست « عقدة الالهة ايزيس » برديات رموز التمائم السحرية الاسرة ١٢



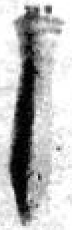
تميمة الاله «من» اله التناسل لاعمال السحر الخاصة بالعقم والخصب لحلها او ربطها ..



زد شجرة الخلق



اوزات العين المقدسة



واز نبدول باب البردى

على الخمسة الاقيمتيم كل متحف من متاحف الاثار المصرية فى العالم الثلث منها ، ولكن اشهر التمائم الرئيسية التى لعبت دورا كبيرا فى حياة المصريين القدماء ، ينحصر فى التمائم التالية :

١ ـ تميمة عنخ علامة الحياة، واتخذ شكلها من رجل يفتح ذراعيه ، وهى اقدم تميمة ظهرت وكانت موضع تقديس فى مختلف العصور .

٢ ـ اوزات : العين المقدسة ـ رمز العين السليمة الطاهرة تمد حاملها بالراحة والحفظ وتمنع الحسد .

٣ ـ بست : عقدة ايزيس ـ تحمى حاملها الشرور بقوة الالهة ـ اذا حملها الميت تفتح له ايزيس ابواب الجنة ويعطى قوة القديسين .

٤ ـ وازت : الحية الناشرة او الكوبرا المقدسة ، اوريس ـ تحفظ حاملها من شر الاعداء والخيانة والحسد ، وتمنح حاملها القوة والسلطان .

كانت توضع على جبهة التاج او غطاء الراس لتحميه من الاعداء بما تنفث من سم كالنار .

٥ ـ ايب القلب ـ تحمى حاملها من قول الزور والسنة الناس ـ توضع مع الميت بدلا من الجعران لشهادة الحق وطلب العفو من الاله

قلادة توت عنخ امون ، مجموعة لتمائم الحفظ والوقاية .



٦ ـ واز ـ عمــــود البردى تميمة الفلاح وتجديد الحياة ـ النمو الدائم والشـــباب الدائم الاخضرار النجاح والنصر ٠

٧ ـ اورس ـ مســـند الراس ـ تميمة لرفع راس الشـــــخص فى الحياة الدنيا والآخرة ، وتمنع ان يتعرض الانسان للاذى ٠

٨ ـ خا ـ مائدة القــرابين ، القناعة والستر وعدم الاحتيـاج الى الناس ٠

٩ ـ الكا ـ راحة النفس وحفظها من ارتكاب الشر ٠

١٠ ـ مانى ٠ تميمة المعبـــود « من » ـ تكسب حاملها الصـحة الجنسية وقوة الاخصاب ، وتمثــل نمية تجمع بين اعضاء التناســـل الذكر والانثى وتحمـل رمز « من »

١١ ـ دت ـ الكف (الخمســـة وخميســـة) تصد الارواح الشريرة وتقى الحواس الخمس ، وترمـــز للطالع الحسن ٠

١٢ ـ زبعوى ـ الاصـــبعان ، رمز رع وحورس حاملا ســـلم الصعود الى السماء ـ تميمة تمد حاملها بالحظ والعلو والرفعة ٠

١٣ ـ الزاوية والميزان ـ تكسب حاملهـــا الاتزان والتفكير المنظـــم

١٤ ـ بس ـ تميمة حماية الوالدة والمولود من العين الشريرة ، كمــــا يحملهـــا الناس فى حفلات اللهو والشراب لدوام الفرح والخير ٠

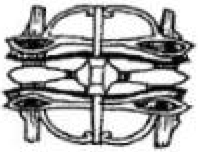
١٥ ـ ماعت وتحـوت ـ تميمة تكســـب حاملها الحكمة والعدالة وتحفظه دائما فى جانب الحق ٠

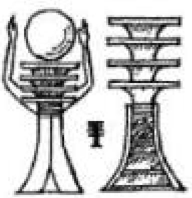
١٦ ـ حتحـــور ـ تميمة الحب والجمال وحمـــايتها من الزوال والحســد ٠

هناك مجمــوعة أخـــرى من التمـــائم التى تمثل التيجان التى تكسب حاملها القوة والسلطة والجاه وترفع مكانتـــه وتحميــه من كيـد الاعداء ، كذلك التمائم التى تحمـل

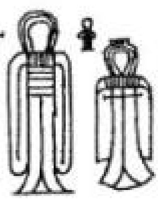


٢

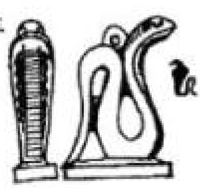




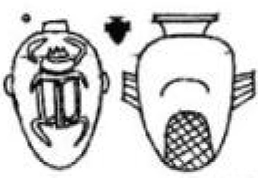
٣

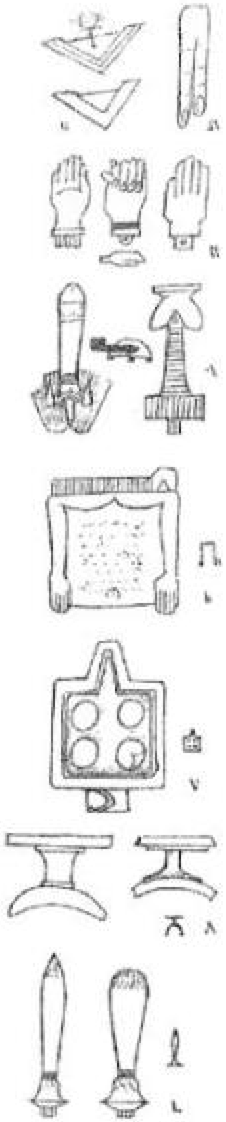


٤



٥





شكل الحيوانات التي تكسب حاملها خواص تلك الحيوانات نفسها كتميمة رو (الاسد) التي تكسب حاملها القوة والسطوة وبس (القط) الوداعة وحراسته من الحشرات السامة وجقن (الضفدعة) التي تمد حاملها بالحفظ كما تعتبر تميمة لزيادة النسل والاخصاب

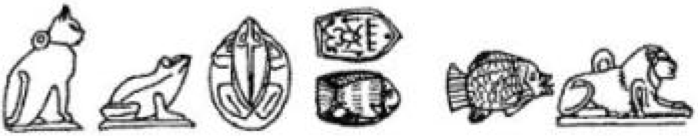
ومن اشهر التمائم تميمة نثر التي تشبه العلم وتجمع بين السماوات السبع والهة الكون التسعة والثالوث المقدس لتذكر حاملها بايفاء النذر للآلهه عند استجابة دعواتهم ، وهى التي اتخذ منها اسم النذر وتقاليده المعروفة ..

أما الاحجبة فكانت تصنع من لوحتين صغيرتين من الخشب يكتب فى داخلهما صيغ وتعاويذ خاصة ، او تحفظ بينها اوراق من البردى والنسيج تحمل مجموعة من الرموز والطلاسم السحرية . كما كانت تصنع بعض الاحجبة من جلود الحيوانات او الحشرات ، وكانت تكتب بالحبر الاسود ويستعمل الحبر الاحمر لرموز الشر .

وكانت الاحجبة تلف برباط سبع لفات او تعلق بخيط به سبع عقد . كما كان بعضها يثبت حول الجسم او العضو بنسيج من شباك الصيد لطرد الارواح الشريرة ومنعها من الوصول الى الجسم ، ومازال الكثير من تلك التقاليد وطقوسها متداولا عند عامة الشعب

السحر .. والطب

كان المصريون القدماء يعتقدون أن كل داء من أعمال الارواح الشريرة التي تتسلط بقواها الخبيثة على الاجسام فتصيبها بالامراض وهذه القوى الخبيثة عند مقابلتها بالتأثير الاقوى تنهزم امامها وتخرج من الجسم فيشفى المريض وقد ارتبط السحر كوسيلة من وسائل العلاج على التأثيرات الروحية والتي كانت نواة



تماثيل الإلهة والاسماك والضفدع والقط

الطب النفساني والطب الروحاني الحديث .

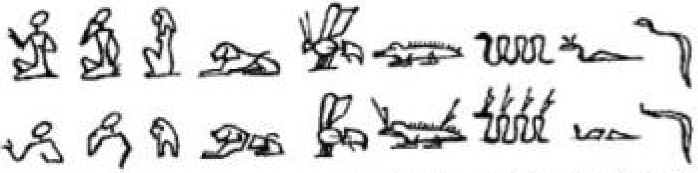
وكان السحر من العلوم المعترف بها وتدرس فى مدارس المعابد او مايطلق عليها بيوت الحياة بجانب الطب والكهنوت ويحمل الساحر الذي يصرح له بمزاولة المهنة شهادة ولقبا من المعبد لا يسمح له بمزاولة مهنة بدونهما

وكان كثير من كبار الاطباء يدرسون السحر بجانب الطب ويحملون لقب ساحر بجانب مهنتهم . وكان لكتب السحر وبردياته مكتبات خاصة ملحقة بالمعابد وا لكثير منها مرتبط بكتب الطب والدين وقد اشتهر كهنة معبد منف بالذات بالجمع بين الطب والسحر بطريقة العلاج التي تجمع بين استعمال العقاقير الطبية المعروفة ومتابعتها نفسيا بالسحر والتعاويذ التي تعطي للدواء فاعليته وتأثيره بأمر الاله تحوت الذى كان يعتبر الها للمعرفة والسحر والطب فى آن واحد .

ومما ذكر فى برديات منف الطبية انهم كانوا يشفعون كل عقار بالصيغ السحرية والتعاويذ التى يجزم بفائدتها فى علاج المرض وكان اغلب الكهنة على علم بتأثير الروحيات على الماديات ويرجع ذلك الى قوة العقيدة الدينية وانقياد الناس اليها .

وقد ورد فى برديات ايبرس الطبية بأن الرقية والدواء يفيدان ويكمل كل منهما الاخر .

كما ذكر ديودور الصقلى عن سحرة مصر ، انهم كانت عندهم القدرة على التنبؤ بالامراض والاوبئة قبل حدوثها ويتخذون العدة للوقاية منها ومقاومتها قبل وقوعها وانهم كانوا يلتجئون فى ذلك الى علمى الفلك والتنجيم وهى من العلوم التى كان السحرة يدرسونها ويتخصصون فيها علميا كمادة من مواد دراسة السحر كما كانوا يحددون الامراض التى يتعرض لها الشخص فى حياته وطرق وقايته منها تبعا لتاريخ ميلاده وعلاقته بالبروج والكواكب وقد سجلت برديات ساليير ۱۳۰۰ ق . م الكثير من الجداول التى تنبأت لمواليد كل يوم من ايام السنة بما سيتعرض له من



رموز الكائنات الحية فى حروف الكتابة الهيروغليفية ويظهر اسفلها طريقة استخدامها فى السحر بعد بتر بعض اجزائها



تمائم التيجان - تكسب حاملها القوة والسلطة والجاه



١٦

حتحور تميمة الحب والجمال



١٥

ماعت وتحوتي - تميمة الحكمة والمعرفة

أمراض في حياته ومواعيد اصابته بها وما يمكن للطب والسحر من تقديم الوسائل التي تحميه من الأرواح الشريرة التي تصيبه بتلك الامراض.

ولما كان السحر كغيره من مختلف علوم مدرسة الحياة وجامعات المعابد العلمية كعلوم الطب والفلك والرياضيات والفلسفة تخضع للبحث العلمي المتقدم الذي احتفظ الكهنة بأسراره ولم يكشف منه للعالم القديم الا الجوانب التطبيقية فليس هناك من شك بأن السحر وعلاقته بالطب يخضع بدوره لنظريات علمية متطورة (وهو ما كشفت عنه بعض البحوث العالمية الحديثة ومن بينها على سبيل المثال استعمال البندول الفرعوني السحري في تشخيص الامراض وعلاجها والذى ثبت أخيرا بعد أن خضع للبحوث التكنولوجية الحديثة أنه علم متطور قائم بذاته وانه يرتكز على الذبذبات والاشعاعات وألوان موجاتها التى يصدرها الجسم الانساني فقد أنشىء معهد خاص لبحوث البندول فى باريس (معهد شاموريه) وأصبح البندول - أو التميمة الفرعونية - وسيلة علمية معترفا بها عالميا للتشخيص والعلاج ويوالي عالم الطب سنويا بعشرات المؤلفات في طب البندول .

كما كشفت البحوث الحديثة عن سر آخر من أسرار السحر الفرعوني هو الابرة العاجية السحرية التى تحمل مختلف النقوش والتعاويذ التى يقرأ عليها الساحر تعاويذه ويحيطها بطقوسه السحرية ويأمرها بعلاج المريض أو تخديره وتخفيف آلامه .. وما تلك الابرة السحرية سوى الابرة الصينية المعروفة في العالم والتي أصبحت بدورها علما طبيا قائما بذاته . وما ينطبق على البندول والابرة الصينية سينطبق على الكثير من وسائل السحر الفرعوني القديم بعد ما تكشف البحوث التكنولوجية الحديثة عن أسرار علم السحر المصرى القديم كما اعترف العالم الحديث بالطب النفساني والروحاني القديم والذى

أعدت له كليات خاصة في معظم الجامعات وخاصة فيما يرتبط بتحضير الارواح والاستعانة بها في علاج كثير من الامراض المستعصية ووصل بعضها الى الاستعانة بها في اجراء العمليات .

ان تلك الاكتشافات العلمية الحديثة في علاقة السحر المصرى القديمبالطب تحتم علينا آن نعيد النظر في تقييم حضارة الفراعنة وتراثنا الحضارى والنظراليها من زاوية اخرى غير تلك النظرة السطحية التي تعودنا ان نرددهاخلف ما يلقننا اياه مؤرخو الغرب .

السحر .. والحب

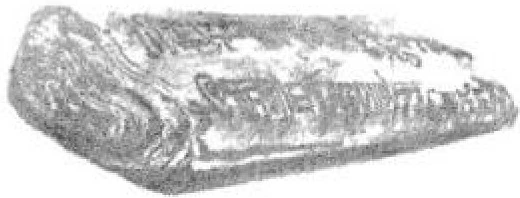
كان لعواطف القلب وارتباطها بعالم السحر أهمية خاصة عند قدماء المصريين . لاعتقادهم بأن الحب قوة خفية متقلبة لا يمكن السيطرة عليها . ويظهر ان السحرة قد تأخروا في هذا المضمار الذى اختلفت فيه المجهودات الانسانية البحتة .

لقد كشفت حفريات الدولتين القديمة والوسطى بصفة خاصة عن الكثير من برديات السحر المرتبطة بالحب . وتحوى العديد من الوصفات السحرية وطقوسها وتعاليمها ووسائلها . وقد ارتبطت معظمها بألتون الدينية وكتب الموتى .

ومن اشهر المراجع « كتاب الطريقين الى العالم الاوزيرى » الذى وجدت صفحات منه مدونة في مقابر الدولة الوسطى . ويرجع بعضها الى عهد امنحمت الاول في الاسرة الثانية عشرة ١٩٩٠ ق . م والتي يرجع الفضل في كشفها الى المؤرخ الكبير الدكتور سليم حسن ودونها في موسوعته عن « مصر القديمة وتاريخ الفراعنة » .

تحوى برديات كتاب «الطريقين» الكثير من الوصفات والصيغ السحرية التي وضعت في خدمة اله الحب والمحبين والتي نسبت الى اله المعرفة والسحر تحوتى والهة الحب والجمال حتحور .. وقد ذكر أن مجرد تلاوة صيغة معينة من صيغه العديدة وممارسة ما يرتبط بها من طقوس وتعاويذ كان كافيالان تقع المرأةفي هوى من يتلو الصيغة . ومن الطرق المشهورة التي كان الساحر يمارسها **جرعة الساحر او جرعة الحب ، كان اشهرها ان يؤخذ بعض قطرات من الدم من بنصر العاشق او العاشقة ويذاب في اناء السحر بعد ان تقرأ عليه تعاويذ خاصة ويعطى لمن يراد التأثير عليه ، فيعمل السحر على استمالة قلبه وخضوعه لمحبوبه أو عودته اليه بعد فراق . كما كان يستعمل دم البنصر**





احدى برديات السحر القديم « متحف المتروبوليتان »

او الكف في الكتابة على ورق البردى الذى يذاب في المـــاء الذى يشربه الطرف الآخر كما كان يستعمل دم البنصر في كتابة الاحجبة التى تدفن تحت عتبة باب المحبوب او في مكان نومه للتوم بنفس الغرض

هناك بعض احجيـــة الحب التى كانت تكتب بدم بعض الطيـــــور كالهـــدهد وذكر البط ، ومن بين التعـــاويذ التى وجدت مكتوبة في احجبة الحب والوصـــال ما وجد مكتوبا لفتى لجلب محبة حبيبتـــه واستمالتها ــ « يا حور ، اجعل (فلانة بنت فلان) تتبعنى كما يتبع الثور علفه ، ويتبع القطيع راعيه ، وسرب البط قائده »

او ما وجد مكـــتوبا لفتاة في تعويذة مماثلة « قم واربط من أهواه ليكون حبيبى .. ليبقى كالقـــلادة حول عنقى والاسورة حول معصمى ، ولاتجعل عين الشر تفصل بيننا او تبعده عنى » .

كذلك كانت الدمية الشـــمعية والعـــرائس التى تقص من الورق وتجرى عليها اعمال السحر وتخطط عليها الرموز والتعـــاويذ ثم تقطع أطرافها وتطعن أعضـــاؤها بالابرة السـحرية وتدفن في الارض ، من الطرق المعروفة التى يمارســـها الســـحرة للتفرقة بين المحبين أو الازواج وتصحب بجرعات الحب المعروفة لاستمالة المحبوب بعد أبعاد المنافس أو الغريم .

كما وردت بعض الصيغ السحرية في برديات شـــستربتى التى تمكن العاشق من الظهور في احلام حبيبته بحيث يظهر في صور خلابة تخضع المحبوب لســـلطانه ولا تفارقه في احلامه حتى يهيم به ويخضع لارادته وهناك وصفات أخرى ليشـــاهد المحب محبوبه الغائب في احلامه ويتـــابع احواله واخباره ، لقد اشتهر السحرة بممارسة اعمالهم السحرية بصفـــة خاصة في اعياد المعبودة حتحور الهة الحب والجمـــال ، وذلك في مختلف معابدها حيث يجتمع الشبان والفتيات ويتهافتون على الحصول على تمائم الحب التى تحمل صورة المعبـــودة ويكتب على بعضها اسم الحبيب ــ او احجبة الحب والرقية التى يعـــدها لهم السحرة لتحقيق امنياتهم .

السحر .. فى الفنون

الفن هو المرآة الصادقة التى تعكس الصورة الكاملة لابعاد حياة المجتمع ، فتعبر فى جوهرها واساليب اظهارها على البيئة ومقوماتها ووسائل ممارسته لها فى حياته العامة مع ما يتفاعل معها ويحيط بها من مؤثرات .

لقد اتسمت الحضارة المصرية القديمة بسيطرة الدين والمعتقدات على جميع مقومات حياة المجتمع . ولما كان السحر كما ذكرنا سابقا هو توأم الدين فقد وضع بصمات قبضته على العلوم والآداب ، وظهر دور السحر واضحا فى ممارسة الطب والفلك والتنجيم والكيمياء والرياضيات بل وفى فن العمار نفسه .

وقد انعكس تأثير السحر على الفنون بأنواعها من تصويرية وتشكيلية وتطبيقية ، ولعب دورا حيويا فى الخلق الفنى من ناحية الابتكار والتكوين والتعبير سواء فى الجوهر أو فى الاسلوب ، فمن ناحية الجوهر كانت نظرة الفنان لرسم الصورة او حفرها او تجسيمها بالنحت ان يلازم بجانب التأثير الجمالى بالفاعلية السحرية اى التعبير عن شخصية صاحبها او قواه غير المنظورة ، اعتمادا على أن الصورة الكاملة تمثل صاحبها كاملا حتى ان تصدعها او محوها او تشويهها يؤثر على صاحبها . لذا كان السحرة يعتمدون على الصور والتماثيل فى السيطرة على الشخص والقوى السحرية المؤثرة عليه او يمكن بها التأثير عليه .

واذا القينا نظرة على الفنون الزخرفية والتشكيلية فى صناعة مختلف ادوات الزينة والمصاغ التى برع فى تصميمها وصنعها قدماء المصريين نجد انها لا تخرج فى اشكالها وتكويناتها والوانها عن تكوينات من التمائم قصد بها أن تجمع بين التأثير الجمالى وفاعلية السحر .

ولا يخرج تاج فرعون الذى تتصدر جبهته الحية الناشرة ورأس الصقر ومختلف رموز السحر كذلك قلائده وصولجانه ومختلف أدوات زينته . عن كونها تشكيلات متكاملة من تمائم السحر ، لكل منها رسالة خاصة وقوة سحرية خاصة أبدع الفنان المصرى فى صياغتها فى تلك القوالب الفنية الرائعة .

وما ينصب على الصورة ينصب على الحرف والكلمة كما ذكر تحوت عندما وضع « السر فى الحرف والصورة والنطق » فالحروف والاسماء المكتوبة بها لها نفس الفاعلية والتأثير . وتشويه اشكال الحروف ورموزها الانسانية والحيوانية والنباتية كما تظهر فى البرديات السحرية وبرديات التعاويذ والتعزيم كان يقصد به ابطال تأثيرها او محو فاعليتها لمنع قوى الشر التى بها ان كانت ضارة أو محو قوى الخير ان كانت نافعة تبعا لمقتضيات السحر .

وقد ذهب بعض الباحثين الى القول بأن الحروف الهيروغليفية التى اطلق عليها النقش المقدس ظهرت كرموز وطلاسم ، فى السحر القديم قبل ظهورها كحروف للكتابة، وهو ما يفسر بقاءها مدة طويلة كحروف وكتابة سرية مقصور استعمالها وفهمها والتخاطب بها على الكهنة ، ولم يستعمل الشعب الا الكتابة الديموطيقية والهيراطيقية

حوار مع الحب

أحمد
عبدالمجيد



إن قلتُ للحبِّ زدْني ! . قال قد نفِدتْ
حدائقي عن غرامٍ طابَ أغصانا
بذلتُ ما في يدي للعاشقين ومَن
أقام للعشق أمجاداً وسلطانا
وأنتَ بددتَ ما أعطيتهُ فغدتْ
يداكَ تطلبُ منّي اليوم احسانا
أين الذي يا صبُّ ، مَنْ عيناه أقسمتا
على الحفاظ على ما صار نسيانا
أينَ الذي يا صبُّ ، مَنْ قد باتَ موضعه
ما بينَ عينيك يا مُشتاق انسانا
مازلت تنشده ليلاً إذا اختلجتْ
لواحظُ النّجم إن ما باتَ سهرانا
النّجم والعاشق الولهانُ مافتِئنا
كواكبه في الدُّجى ، بالوجد يزدانا ؟
أينَ الذي يا صبُّ ، مَنْ يسلو خمائلنا
عند الغدير الذي أشجتهُ نجوانا
ياما هتفنا على شطّيك أغنيةً
يانيلُ صارتْ حكايا من حكايانا

ورنحتَ تعزفُ « سيمفونيةً » ملأتْ
سَمعَ الزمان بلحنٍ من شكاوانا

أينَ الذى يا صبُ ، فى الأزمان ضيّعنى
من عهدِ رُوميو وقيسٍ منذ أزمانا

لولا الهوى والجوَى فى الناسِ مانظموا
شعراً ولا أرسلوا فى الليل ألحانا

ولا تسَرْبَل صبٌ بالدجى ومضى
فى البيد يذكى من التذكار نيرانا

ولا اشتكى ، وجوَاهُ بعضَ غربته
إن المحبَّ غريبٌ أينما كانا

فان تنسم عطراً من أحبته
شدا كمن باتَ طول العمر نشوانا

تخاله من رقيقِ الحسُ فى طربٍ
ولا يَبيتُ على مافات حسرانا

قد كان يشفقُ من نأىٍ يطولُ به
وها هو اليومَ كلَّ النأى قد هانا

لئن تضوعَ من ذكرِ الحبيب شذىً
كما يُبشر صوتُ الماءِ عطشانا

يا ليت يا عاشقاً ، أبقيتَ بعض الذى
ترجوه منّى وما فى الكف قد كانا
بدَدتَ كلَّ الذى أعطيتهُ وغدَتْ
يداك تطلب منّى الآن إحسانا

د. أنجيل بطرس

يعكس الادب عادة الكثير من الافكار والمعتقدات التى يدين بها الناس فى العصور التى يكتب فيها ، والتى يصورها الادباء كجزء من تصويرهم للتجربة الانسانية التى هى الموضوع الاساسى للادب .. ولما كان الايمان بالسحر يختلف قوة وضعفا باختلاف العصور ، ونتيجة لعوامل حضارية وثقافية ليس هنا مجال الحديث فيها ـ فان السحر كاحد مكونات الخلفية الفكرية او العقائدية يظهر فى ادب بعض العصور بينما يكاد يختفى تماما فى عصور اخرى . ففى أدب العصور الوسطى وفى ادب عصر النهضة فى انجلترا مثلا يلعب السحر والسحرة دورا هاما ، بينما يكاد يختفى تماما فى ادب القرنين الثامن والتاسع عشر ثم يعود فيظهر مرة اخرى فى بعض الاعمال الادبية فى العصر الحديث .

السحر فى الأدب الإنجليزى

ولعله ليس من الغريب مثلا أن نجد من الشخصيات الرئيسية فى رواية للأديبة الانجليزية المعاصرة « أيريس مردوك » من يهتم بالسحر ويجرى طقوسا مشبوهة فى قبو أسفل مكان عمله الرسمى . فبينما كان السحر احد عوامل الخلفية العامة فى العصور الوسطى وعصر النهضة ، فمن الملاحظ أن هناك عودة الى الاهتمام بالمسائل الروحية فى العصر الحديث . ولعل المادية التى سادت العالم فى عصرى الثورة الصناعية وازدهار العلوم قد أخذت تفسح المكان أخيرا لتلك الرغبة الدفينة فى نفس الانسان والتى تدفعه لمحاولة استكشاف تلك العوالم الخفية التى يتناولها السحر وتحضير الارواح وغيرها .

ومن الطريف ان بعض العلوم قد ارتبطت فى بدايتها فى اذهان العامة

السحر في الأدب الإنجليزي

بالسحر ، وخاصة علوم الكيمياء والطبيعة والفلك ، وكان يصور العلماء في بعض الاعمال الادبية في ثياب السحرة وخاصة من غير المسيحيين . ومن الطريف ايضا أن السحرة كانوا يتخفون في مسوح الرهبان زيادة في التمويه والتحايل على ضحاياهم من البسطاء .

وبالرغم من أن النظرة العامة هي أن السحر يعتمد على الصلة بين السحرة وأرواح شريرة يسخرونها للتأثير في مجرى الاحداث أو صنع أعمال خارقة ، أو كشف النقاب عما يخبئه المستقبل، أو ما يحدث في أماكن نائية لا تصل اليها عين الانسان ـ الا انه يمكن التفريق في الثقافة الاوربية بين نوعين من السحر : السحر الاسود وهو الذي يراد به انزال الضرر بالانسان ويقوم به الاشرار من البشر تعاونهم في ذلك الارواح الشريرة ... والسحر الابيض وهو الذي يراد به درء اذى تلك الارواح وحماية البشر منها ، ويعتمد على معاونة الارواح الخيرة .

ويعكس السحر في الاداب الاوربية بوجه عام فكرة الصراع بين قوى الخير والشر من ناحية ، وبين طموح الانسان وتعطشه للمعرفة الكاملة والقدرة اللانهائية ، وبين خوفه من الخروج على ارادة الله ومن العقاب الابدي نتيجة لذلك من ناحية أخرى .

وفي الادب الانجليزي امثلة عديدة لذلك سنختار منها مثلين او ثلاثة . اما اول هذه الامثلة فهو « قصص الملك ارثر » التي جمعها واعاد صياغتها توماس مالوري تحت عنوان : « موت ارثر » ونشرت بعد موته في ١٤٨٤ ، وان كانت تعالج اسطورة الملك ارثر وفرسان المائدة المستديرة في القرن الخامس، الا انها قد أصبحت جزءا لا يتجزأ من المخيلة الانجليزية والاسطورة التي وجد فيها الدارسون والشعراء مصدر الهام لاينضب .

وتعالج قصص الملك ارثر وفرسانه الشجعان احداثا تكاد تشبه لفرط بساطتها ووضوحها قصص الجان . ولكنها تشكل موقفا انسانيا أساسيا، وتقدم صورة رائعة لمبادىء الفروسية التي كانت تقوم عليها مملكة ارثر ويدافع عنها فرسانه فمملكته الخيرة يهددها الشر من الداخل في صورة بعض الاعداء الذين يحاولون الاستيلاء على السلطة من ناحية والغزاة القادمين من الخارج والذين لا يدينون بما يدين به أهل مملكة الخير من مثل ومبادىء من ناحية أخرى .

وفي هذا الصراع بين قوى الخير ممثلة في الملك الشرعي وأعوانه وقوى الشر ممثلة في اعدائه يلعب السحر دورا اساسيا بمستشار الملك ومعلمه ساحر طيب هو مرلين . واخت الملك المتآمرة عليه مورجانا، ساحرة شريرة ماكرة تستخدم جميع فنون السحر وحيله بينما يعمل مرلين على ابطال فاعلية حيلها ومعاونة الملك وفرسانه على التصدي لها .

اما مبادىء مملكة الخير التي يعلنها الملك ارثر مطالبا فرسانه التمسك بها قبل تفرقهم سعيا وراء المغامرات وبحثا عن الكأس المقدسة

التى شرب منها المسيح فى اخر عشاء له مع تلاميذه فيلخصها كما يلى :

« لا تأتوا أى فعل منكر ، ولا تقتلوا ولا تصنعوا شيئا يتسم بالقسوة أو الشر . اهربوا من الخيانة وجميع أنواع الكذب وانواع التعامل التى لا تتسم بالامانة والصدق . قدموا الرحمة لمن يطلبها أو امتنعوا عن الجلوس الى هذه المائدة المستديرة . وقدموا العون دائما ما وسعكم الجهد الى السيدات والانسات واذهبوا لنجدة الزوجات والارامل، واتركوا ما فى ايديكم من عمل مهما كان امره فى سبيل رفع الاذى عن اية سيدة فى العالم . والا كان الموت والعار الابدى جزاءكم ولا تقاتلوا من أجل الحب أو الربح ، ان لم يكن قتالكم قتالا فى سبيل العدل والخير . »

شكسبير السحر فى مسرحياته



ويبارك مرلين هذه المبادىء ، ويحث الفرسان على العمل بها لتستمر مملكة الخير على الارض ، مؤكد أنه حتى ولو أدركهم الموت جميعا فى سبيل ذلك فستبقى مبادئهم حية وستظل مثلهم قائمة الى الابد . ثم يخبر الملك أرثر ان أيامه على الأرض وشيكة على الانتهاء وأنه سيذهب لينام ، أما هو فمملكته ستهزمها قوى الشر فى النهاية ، وأنه سيخر صريعا فى أحدى المعارك ، ولكن وان طال الامر فمملكة الخير ستعود الى الارض ، ويوصى مرلين الملك بعدم التخلى عن مبادئه ويوصى به نيمو الساحرة الخيرة التى ستوليه رعايتها بعد اختفاء مرلين من حياته .

وتتوالى احداث الصراع فنرى العديد من الحيل السحرية الماكرة التى تهدف الى الايقاع بالفرسان الابطال والتغرير بهم . من هذه الحيل ظهور فتيات جميلات يطلبن العون والمساعدة والقصاص ممن اساء اليهن مما يضطر الفرسان الذين اقسموا على مساعدة النساء ونصرتهن ان يصدقوا ذلك فيجدوا أنفسهم بعيدا عن طريقهم الاصلى تارة ، وفى السجن تارة اخرى ،أو فى مواجهة فرسان اشرار تارة ثالثة . ومنها ايضا ظهور سفينة جميلة تسمع بها موسيقى رقيقة تنساب على الماء دون ان يوجد بها من يقودها ، ثم تقف مقابلة بعض الفرسان تغريهم بركوبها والاستمتاع بجوها الساحر . ومنها ايضا الحيلة التى تسلب بها مورجانا سيف الملك أرثر الذى قيل انه نتيجة لتعويذة سحرية خيرة ، لن يهزم أبدا وهو يقاتل به ، وتتركه يحارب بسيف عادى فيكاد يقع قتيلا لولا قيام نيمو الساحرة الخيرة بحيلة مضادة تعيد بها السيف الى يد

صاحبه وتنقذه من خصمه ومن أطرف تلك الحيل ظهور الفارس الاخضر الذى يحمل رأسه على صدره ثم يعيده الى مكانه وكأن شيئا لم يحدث ، مع ما يحمله ذلك لشاهديه من رعب وخوف ·

وهكذا نرى ان السحر كان يرى فى تلك القصص كعامل مؤثر فى الحياة اليومية وكقوة خارقة تعين الخصم على خصمه وتعمل على تحقيق ما قد تفشل فى تحقيقه القوة البشرية المجردة ·

أما اذا انتقلنا الى عصر النهضة فسنجد مثلا اكثر نضجا وروعة لتصوير السحر كعامل من العوامل المؤثرة فى الحياة الانسانية وذلك فى مسرحية كريستوفر مارلو الشهيرة « دكتور فاوستوس » · ولعل احد أسباب خلود تلك المسرحية هو ان السحر فى هذه المأساة انما هو رمز لتلك القوى الخارقة الغامضة التى يسعى الانسان لتطويعها لارادته ليحقق المعرفة والقوة التى توفرها له ، وما يمكن ان تحققه او لا تحققه تلك القوة من اشباع او معاناة ، والى ان السحر كما يصوره مارلو فى عصر النهضة وسيلة فعالة للحصول على تلك القوة · ومن الغريب أن عصر النهضة الذى شهد بداية حركة الاصلاح الدينى فى انجلترا شهد ايضا اهتماما كبيرا بالسحر

ويفسر البعض ذلك بالقول بأن الجرأة الفكرية التى تميز بها ذلك العصر قد حركت بعض المعتقدات القديمة الاولية والكثير من المخاوف من قوى الطبيعة الغامضة · كما ان حركة الاصلاح قد أدت الى التحرر الذى أدى الى الشعور بالنشوة والقدرة على تحقيق الاحلام ، بحيث أحس جيل مارلو انه لم يعد هناك شىء مستحيل ، كما لم يعد هناك شىء مقدس لا يمكن نقده أو غزوه وامتلاكه ·

« ودكتور فاوستوس » عالم أعيته الحيل للحصول على المعرفة والقدرة التى يتوق اليها فعقد صفقة مع الشيطان يمنح بمقتضاها كل ما تصبو اليهنفسه طوال فترة اربع وعشرين سنة ، فى مقابل تسليمه روحه فى نهايتها · وتخبرنا الجوقة فى بداية المسرحية أن فاوستوس عالم ضليع قد حصل على درجة الدكتوراة فى اللاهوت ولكن الغرور قد ركبه فحلق بأجنحة من الشمع فكان مصيره السقوط · فبعد أن أخذ كفايته من العلوم المختلفة اتجه الى دراسة السحر الذى وجد فيها اكثر الدراسات اقناعا ·

وعندما يظهر فاوستوس على المسرح يؤكد لنا انه وجد أن دراسة الفلسفة والمنطق والطب والقانون واللاهوت ، دراسات لا طائل تحتها أما كتب السحرة فهى الكتب التى يجد فيها ضالته ؟

« الخطوط والدوائر والرسوم والحروف والارقام ،

نعم ، تلك هى الاشياء التى يريدها فاوستوس حقا ·

اه ، ما أعظمه عالم ،عالم الفائدة واللذة ، والقوة ، والمجد ، والقدرة الكاملة ،

السحر في الأدب الإنجليزي



أيريس مردوك · نماذج للسحر

ذلك العالم الذى يوعد به الدارس لهذا الفن ·
كل تلك الاشياء التى تتحرك بين القطبين الساكنين ستكون جميعها تحت امرتى : ان الاباطرة والملوك لا يطاعون الا كل فى امارته ،
ولا يستطيعون ان يقيموا الريح أو يفجروا السحب ، اما مملكة ذاك الذى يبرز فى هذا الفن فتمتد بعيدا بامتداد عقل الانسان ؟
ان الساحر الحق اله جبار ·
والآن ، فلتشحذ ذهنك ايا فاوستوس لتفوز بالالوهية ! »

(الفصل الاول ، المشهد الاول)

وفى المشهد الثانى يجسد لنا مارلو الصراع الدائر فى نفس فاوستوس قبل آن يسلم نفسه نهائيا للشيطان ، عن طريق الحديث الدائر بينه وبين ملاكين ملاك طيب ينصحه بأن يلقى بعيدا بكتب السحر اللعين لئلا تغريه بالسقوط وتجمع غضب الله على رأسه ، ويشير عليه بقراءة الكتاب المقدس ، مضيفا أن ما يفعله انما هو كفر ، وملاك شرير يحثه على المضى فى سبيله ، والتمسك بذلك الفن الذى يحوى جميع كنوز الطبيعة ، ليصبح الها على الارض وسيد هذه الارواح وآمرها ·

• وعندما يأتى الالمانيان فالديس وكورنيليوس لزيارته يخبرهما أنه قرر بناء على كلامهما ونتيجة لرغبته الخاصة أن يمارس السحر والفنون الدفينة ، فقد خلبت لبه ويطلب منهما كتبا فى السحر وما يلبث أن يأخذ فى مزاولته فيفلح فى استحضار مفيستوفوليس ، مساعد لوسيفر أو ابليس · ويطرب فاوستوس لنجاحه فى استحضار هذا الشيطان الذى يخبره انه انما استجاب لدعوته بمحض الصدفة وانه لا يفعل ذلك عادة الا بأمر من ابليس ذاته الذى يحاول دائما اكتساب أرواح جديدة الى مملكته · ولكنه يعده بأن يكون عبده والمؤتمر بأمره شريطة أن يمضى عقدا بدمه يتعهد فيه بتسليم روحه لابليس فى نهاية حياته · وبالرغم من أن فاوستوس يتردد فى بادىء الامر مدركا خطورة الخطوة التى يغريه مفيستوفوليس باتخاذها الا انه يوافق على مطلبه ، ويطعن ذراعه فيسيل الدم ويأخذ فاوستوس فى كتابة العقد المطلوب الا أن الدم يتجمد ولا يستطيع أن يفعل ذلك ومرة أخرى تعاوده الشكوك ويتساءل ما الذى يعنيه تجمد الدم ، ولكن مفيستوفوليس يهون عليه ويذهب لاحضار بعض النار ليسيل الدم وما يلبث أن يسيل الدم مرة أخرى ويكتب فاوستوس الصيغة المطلوبة: « يعطى فاوستوس روحه لك » ومرة أخرى تتوقف يده عن الكتابة وكأن شيئا يمسك بها ، فيتساءل مرة أخرى « ولم لا يفعل ذلك ؟ أليست روحه ملكا له ؟ » وأخيرا ينتهى من الكتابة، ولكنه يرى على ذراعه كلمات مكتوبة تقول : « اهرب ، أيها الرجل ، فيظن

السحر في الأدب الإنجليزي

أن خياله قد صور له ذلك ، ولكنه يرى الكتابة واضحة ، ويدرك أن فاوستوس لن يهرب . وكأن ميفستوفوليس يدرك ما في نفسه من تردد وتخوف فيحاول الترويح عنه بدعوة عدد من الشياطين التي تظهر حاملة تاجا وملابس فاخرة ثم تأخذ في الرقص امامه قبل أن تبرح المكان

ومن الواضح أن فاوستوس بما يهم عنيه يتذكر مسيحيته ويتحدى الدين الذي يمنعه من الخضوع للشيطان والتعاون معه وذلك بتسليم روحه له في مقابل الحصول على المعرفة والمتعة. ومن هنا كثر تردده وتخوفه قبل الاقدام على فعلته الشنعاء ولقد برع مارلو الذي استخدم الخطوط الرئيسية لأسطورة معروفة موضوعا لمسرحيته في تصوير الصراع الدائر في نفس فاوستوس بين رغبته المسيطرة في استخدام السحر لاشباع رغباته وبين تردده في دفع الثمن الذي يطلب اليه في مقابل ذلك وهو الخروج عن طاعة الله وانكار المسيح والتسليم بالعذاب الابدي بعيدا عن رحمة الله . فصور لنا فاوستوس موزعا بين ما يهمس اليه به الملاك الطيب تارة والملاك الشرير تارة اخرى ، ثم بين نصح طلبته واصدقائه من ناحية وبين تهديد الشيطان وتوعده من ناحية اخرى ، بعد أن ادرك عظم جرمه وتفاهة العطاء الذي حصل عليه . واطلعنا على رغبته في التوبة وفي التضرع الى الله ليغفر له لولا خوفه من ابليس وملائكته الاشرار الذين يقفون له بالمرصاد ، يمنعونه من ذلك بالتخويف والتعذيب . كما عمل على ابراز تفاهة الجزاء الذي حصل عليه فاوستوس في مقابل بيع روحه الخالدة فمثل له بزيارة الى روما وفترة من الزمن في صحبته ، هيلين ، ملكة طروادة الفاتنة ، واخيرا في تصويره للعذاب المرير الذي يتحمله في ساعته الاخيرة قبل أن يحضر ابليس لتسلم روحه والنزول به الى الجحيم الى الابد ، وذلك في مشهد من أروع مشاهد التراجيديا واكثرها كشفا عن عمق تلك التجربة الانسانية الفريدة ، والمفعمة بلذة الانتصار والاحساس بالقوة في بدايته ، ثم بالالم والمرارة والندم والرغبة في التوبة حيث لا مكان للتوبة في النهاية

ولكن الزمن يمضي وما تلبث أن تمضي نصف الساعة الاخيرة من حياته فيصيح :

« آه لقد مضى نصف الساعة !
وستمضي الساعة كلها عما قليل
يا الله .
اذا لم ترد أن ترحم روحي ،
فمن اجل مسيحك الذي فداني بدمه
ضع حدا لالمي الذي لا يتوقف
ولتجعل فاوستوس يقضي في الجحيم
الف سنة .
مائة الف سنة ، ثم يخلص في
النهاية .

وتصور هذه السطور التي تثير الرعب والشفقة في نفس القارىء أو الشاهد ما يدور في نفس فاوستوس من مشاعر اليمة نتيجة انزلاقه في طريق السحر والشر والخضوع لابليس

اما مثلنا التالي للدور الذي يلعبه السحر في الادب الانجليزي فسنجده في « ماكبث » احدى تراجيديات شيكسبير الخالدة . فبالرغم من اختلاف الاراء حول مدى اهمية الدور

الذى تلعبه الساحرات الثلاث فى هذه المأساة ، فمما لاشك فيه انهن يلعبن دورا هاما في حياة البطل وفى سقوطه فى النهاية . فالمسرحية تبدأ بمشهد يتفقن فيه على لقـاء ماكبث وتنتهى وكلماتهن على لسانه وهو يقاتل بيأس وقد هاله مدى الخداع الذى تضمنته نبوءاتهن .

وتدور المأساة كما نعلم حول جريمة شنعاء يرتكبها ماكبث القائد الشجاع مدفوعا بطموحه الطاغى فى الوصول الى العرش ، تحثه على ذلك زوجـته التى لا تقـل عنه طموحا ، وسرعان ما يجد نفسه يخوض فى بحر من الدماء ينتهى به الى المصير المحتوم لكل طاغية مستبد . فماكبث احد قـادة جيش الملك دنكان ، ملك اسكتلندا ، الطيب الرقيق المسن ، يعود منتصرا بعد أن أخضع الثوار وقضى على حركة تمرد ضـد الملك ، ليجد الملك فى انتظاره يغدق عليـه التكريم والجزاء ، فلا يثنيه ذلك عن تنفيذ خطته المنكرة بقتل الملك والصاق التهمه بحارسيه نيـابة عن ابنيـه الاميرين اللذين يلوذان بالفرار خوفا من أن يلحقهما مصير أبيهمـا ، ثم يعتلى هو عرش البلاد ، ولكنه عرش قائم على الدم والخوف والشك ، فما يلبث أن ينهار ليعود الحكم الى الوريث الشرعى ويعود الامن الى البلاد .

ولعلنا لسنا بحاجة الى أن نضيف أن هذا الملخص الذى أوردناه انمـا هو الهيكل العارى لاحداث المأساة التي يعرض فيها شكسبير لمأساة انسانية مروعة تبرز فيها شخصية البطـل وزوجته وقد كشف النقاب عما يجول بنفسيهما بعد أن ارتكبا جريمتهمـا ضد مليكهما وقريبهما وضيفهما دنكان بحيث فارق النـوم أعينهما وانتهت الملكة الى ما يشبه الجنون ثم الانتحار وغـدا الملك طاغية يحـاول قتل كل من يشك فيه من رجال مملكته الواحد تلو الاخر خوفا على عرشه ، وتزيده نبوءة الساحرات طغيانا ، ظنا منه بأنه يأمن من الاعداء والمولدين من النساء .

أما الدور الذى تلعبه الساحرات فيتلخص فى أنهن ينتـظرن ماكبث عند عودته من المعركة بصحبة قائد آخر ، هو بانكو ويبادرنه بالتحيـة قائلات :

« تحية لماكبث لورد جلاميس
تحية لماكبث لورد كودور
تحية لماكبث ، من سيكون ملكا فيما بعد » .

ولما كان ماكبث فى تلك اللحظة لورد جلاميس فقط فانه يجفل قائلا : « أن لورد كودور مازال حيا » ، ولكنـه سرعان ما يأتيه رسول ينبئه بأن الملك قد خلع عليه لقب لورد كودور بعد أن ثبتت الخيانة على صـاحب اللقب الاول . ويعجب ماكبث عما اذا كانت النبوءة الثانية ستحقق كما تحققت الاولى ، ويكتب الى زوجته ينبئها بما حدث ويسر اليها بأن الملك قد قرر تشريفه بالزيارة ويطلب اليها الاستعداد



للقائه ٠ويحدث أن ينتهز الملك فرصة وجود رجاله بعد الانتصار في المعركة فيخبرهم بأنه اختار ابنه الاكبر وريثا لعرشه ، فيدرك ماكبث أن نبــوءة الساحرات لا يمكن أن تتحقق بالطريق الطبيعي ودون تدخل منه كما تحققت نبوءتهن الاولى ، ويأخذ في التفكير في التخلص من الملك أثناء وجوده في قلعته وأثناء نومه ، ولكنه يعود فيستكبر الامر ويقرر التراجع عـــن خطته ولكن زوجته تحثه على المضي قدما معايرة اياه بجبنه ، فيقدم على جريمته ثم يقاسي من عذاب الضمير ما يجعل منه انسانا قاسي القلب لا تهمه الا سلامته فيمعن في القسوة واراقة الدماء ٠

وهنا يمكن طرح سؤال طالما طرحه النقاد والدارسون وهو هل كانتنبوءة الســاحرات هي الحافز على جريمة قتل الملك التي يرتكبها ماكبث ، أم أنها لاقت هوى في نفسه لانها لمست رغبة دفينة في داخـــله ، فان كانت الاجابة بالايجاب على الشـــق الاول من السؤال ، فلا يمكن أن يعـــد ماكبث مسئولاعن جريمته التي تحرضه عليها الساحرات ، وان كانت بالنفي، كانت الاجابة على الشق الثـــاني بالايجاب وهو ما يبرزه النص المسرحي وتجمع عليه الاراء ٠ ذلك أن ماكبث يجفلعند تلوهقول الساحرات بالنبوءة الثانية ، ويلحظ ذلك رفيقة بانكو ٠

كذلك يشغله قول الساحرات بحيث يكاد ينسى من حوله ويضطر رجاله الى لفت نظره الى أنهم ينتظرون أمـــره بترك المكان ومواصلة السير ، ذلك بينما يختلف تماما رد فعل بانكوالذي لا يأخذ نبوءة الساحرات ، « بأنه لن يكون ملكا ولكنه سيكون أبا للوك، مأخذ الجد ، ويحـذر ماكبث قائلا :

سولكنه من الغريب

انه كثيرا لكي تستميلنا قوى الظلام

الى ما يضر بنا ، تخبرنا

بأشياء حقيقية ٠

حتى تكتسبنا بتفاهات صادقة

لتوقع بنا في نتائج وخيمة » ٠

وواضح أن هذه الكلمات التي تحمي بين طياتها مفارقة درامية تنبيء بما سيحدث بالفعـــل لماكبث ٠ كذلك فان ماكبث وقد تحققت النبوءة وأصبح ملكا يسعى للقاء الساحرات مـــرة أخرى ليعرف منهن ما يخبئه لهالقدر وهنا تخدعه بأقوال تبدو مطمئنـــــة في ظاهرها ولكنها كاذبة في جوهرها وذلك حين تحثثته بأن يكون جريئـا ولا يخشى أحدا لانطرزيتال منه مولود من امرأة ولن يصيبه سوء حتى تتقدم غابة بيرنام الى قلعة دنيسينين ٠ ثم يكتشف في نهاية المسرحية أن ماكدوف الذي ذبح هو زوجته وأطفاله والذي أقسم أن يقتص منه لم يولد بالطريق الطبيعي وأن جنـــد الوريث الشرعي للملك يقتربون من دنيسينين حاملـين فروع أشجار غابة بيرنام ٠

وهكذا نرى بوضوح أن الساحرات تغرين بمــاكبث ان لم يكن في المرة الاولى ففي المرة الثانية التي يسعى هو فيها اليهن بعـــد أن تلوثت يداه بالدماء البريئة ، ومن هنـــا فهن يمثلن بعض قوى الشر في المسرحيـة فبينما يمثلن قوى الشر في المسرحية يمثل طموح ماكبث وقســـوته الشر

السحــر في الأدب الإنجليزي

الخارجي ، وعندما تتحد هذه القوى بفضل تأثير نبوءة الساحرات على ماكبث ، ينطلق الشر فيفسد النظام القائم وتحدث المأساة التي تنتهي بسقوط البطل .

ومما لاشك فيه أن وجود الساحرات والنبوءات التي يغرين بها ماكبث انما هو جزء من الجو العام للمأساة التي تلعب فيها العوامل الخارقة للعادة دورا كبيرا . فهناك نذر شر تملأ السماء وتفسد سكون الليل ، اذ

يسمع صوت نحيب في الجو وصرخات غريبة كصرخات الموتى ، وصوت نعيب البوم وصراخ خيل دنكان وهي تدمي بعضها البعض ، ونعيق الغربان والصقور . ثم هناك الخنجر الذي

يراه ماكبث يشير الى حجرة دنكان ثم يختفي ليظهر مرة أخرى يقطر دما . وهناك شبح بانكو ، وسير ليدي ماكبث اثناء نومها وتمثيلها لاحداث ارتكاب الجريمة .

أما الساحرات أنفسهن فكائنات غريبة تثير الرعب والاشمئزاز في النفس فهن يظهرن فجأة ويختفين فجأة ومع أن لهن شكلا كالنساء الا ان لهن لحى واشكالهن مخيفة لا ترى بوضوح في جو يشوبه الظلام يكشف عنها لهيب نار يعلوه مرجل في كهف

مظلم . وفي هذا المرجل تلقى الساحرات باشياء لا تقل غرابة واثارة للرعب: أصبع وليد تقتله أمه ساعة مولده وقطرات دم سائلة من مشنقة قاتل واصبع قدم ضفدعة وجناح خفاش ولسان كلب وجناح بومة

وشوكة ثعبان وذيل دودة عمياء . كل ذلك لتصنع منه تعويذة شريرة قوية . أما حديثهن فتسوده نغمة شريرة تدل على طبيعتهن الشيطانية، تتحدثن عن الزوجة التي رفضت أن تعطي احداهن بعض ثمار القسطل :

(أبو فروة) فتحكم على زوجها البحار أن يتعذب في عاصفة تثيرها بسحرها ، لا يذوق طعم النوم أسابيع طويلة عقابا له ولزوجته .

وتتفق طبيعتهن الشريرة مع جو الشر والظلام والدم الذي يسود المسرحية وكما يقتل دنكان في ليلة عاصفة ، تظهر الساحرات في جو عاصف وعندما يتحدثن يتنبأن بالعواصف التي تغرق السفن وتقتلع الاشجار وتسقط القلاع ومع ذلك فهن،

كما يقدمهن شيكسبير تبعا للفكرة السائدة في عصره عن الساحرات ، لسن سوى نساء قد حصلن على بعض القوى الخارقة عن طريق تسخير الارواح التي يحتفظن ببعضها في شكل بعض الحيوانات كالقطط . وترجع أهمية الدور الذي تلعبه الساحرات

في المسرحية لا الى الكشف عما بداخل ماكبث من أفكار دفينة تطفو الى السطح عند سماعه الى نبوءاتهن بل الى تعميق وتأكيد الاحساس بالخوف والرعب والغموض الذي يسود جو التراجيديا ويؤكد وجود الشر داخل الانسان وخارجه .

اما اذا اردنا صورة اكثر اشراقا ورقة لما يمكن ان يفعله السحر الابيض ببعض الكائنات فعلينا بقراءة بعض كوميديات شيكسبير مثل « حلم منتصف ليلة صيف » أو « العاصفة » . اما

في هذه الاخيرة فنجد مثلا رائعا للساحر الطيب أو الأمير العالم ، امير نابولي الذي يدرس السحر ويستخدمه ليحرر الارواح الطيبة من سيطرة الهجر الاسود مثل أيريال ، ثم ليلهو

بأعدائه بعض الشيء قبل أن يتأكد له ندمهم على ما ارتكبوه في حقه من خطأ وتوبتهم واستحقاقهم للخلاص من الموت غرقا في العاصفة كما ارادوا له هو وابنته من قبل .

د. محمد
أبو الأنوار

هوامش وتعليقات حول

التعاويذ والرقى والطلاسم والأحجبة في الأساطير الشعبية

ان نزعة السيادة في الحياة لدى الانسان نزعة فطرية ، ويبدو أن الانسان في أوائل سيرته على درب الحياة ، وقدرته على الادراك الفطري البسيط الذي عززته التجارب والحت عليه المطالب ، كان شديد الرغبة في تفسير ما يحيط به ويعجز عن ادراكه ، وايضا كان شديد الرغبة في قهر الصعوبات والتغلب على المخاطر واتقاء الشرور ولكن وسائله بغير جدال كانت محدودة للغاية ، وتدل سيرته على انه لم يستسلم للعجز التام ، بل تصدى نفر قليل في هذا المجتمع او ذاك للخروج بالانسان الى ما يريد ويرغب ذلكم النفر هم السحرة او الكهان ...

فيما يبدو فان الانسان أول الامر نسب – على سبيل الاعتقاد – الى الكائنات صفات انسانية ، فهي تغضب وترضى وتعطي وتمنع وتنفع وتضر ، ومن هنا البسها روحا خاصة وأسند اليها ارادة كاملة وأخذ يحدد علاقته بها لانها كائن قادر على التدخل في حياته اليومية ، وبلغ به الخوف منها – وربما الحب لها – ان الهها واخذ ينسج حولها الحكايا والاساطير .

ثم تطورت العلاقة للتعامل معها ومع كل القوى المحيطة به التي لا يعرف عن اسرارها شيئا ، واضطرته ظروف بعضها اجتماعي والآخر نفسي عاطفي الى ضرورة التعامل مع هذه الكائنات : السماء لا تمطر وهو محتاج الى الغيث ، الريح تزمجر وهو ضحية العواصف ، هذا الطريق او ذاك مهلك لكل من يرتاده او بعضهم يذهب فلا يعود



اوجست كونت: السحر أول العلوم ... وكيمياء الشعوذة مصـــدر علم الكيمياء .

ولا غنى له عن السلوك في طلبها للرزق والحياة ... اذن فليتعامل مع هذه الكائنات بوسائل أخرى ، فليخاطبها ولكن بلغة خاصة ، ومن هنا كانت الرقى والتعاويذ والطلاسم والاحجبة في أساس نشأتها ومراحل تطورها، وهي في هذه النشأة صدى للرغبات العاطفية وتجسيد حي للرغبة والارادة معاً في عصور العجز والتخلف » (١) .

وأصبح الساحر أو الكاهن رمزاً للمعرفة وصاحب المشورة بل القدرة احيانا . وللمرء أن يتخيل حقاً أن المجتمعات البسيطة كانت تسال وعلى الساحر أو الكاهن أن يجيب مهما تكلف من كذب أو ادعاء حتى ينجو بنفسه خاصة اذا كان السؤال من مركز قوة وجبروت كرئيس الجماعة وسيدها

ومن هنا كان الساحر مضطرا الى بذل محاولات مهما قيل في ضحالتها وضآلتها وجهالتها فانها والعلم معاً يرميان في النهاية الى هدف واحد هو سيطرة الانسان على الطبيعة بكل قواها وأبعادها .

ولا عجب مع ذلك ان نرى من العلماء امثال « اوجست كونت ، ودوركيم ، وفريزر » (٢) من يقول:ان السحر أول العلوم ، وان كيمياء الشعوذة كانت مصدرا لعلم الكيمياء، وان علم التنجيم كان اصلا لعلم الفلك ، وان الطب تطور عن فن نقع الاعشاب ... بل ان « فريزر » يقول : « ... ان الفكرة الاساسية التي يعتمد عليها السحر هي نفس الفكرة التي يعتمد عليها العلم الحديث . وهي اعتقاد أن الطبيعة تخضع لنظام ثابت لا يتغير .

(١) مبادئ علم الاجتماع الديني تأليف روجيه باستيد . ترجمة د. محمود قاسم ط. الانجلو : ص ٢٩ وما بعدها .
طب وسحر: د. بول غليونجي ــ المكتبة الثقافية رقم ٥ : ص ٣ــ٥
(٢) مبادئ علم الاجتماع الديني ص ٤٢ وما بعدها .
البطل في الأساطير : د. شكري عياد ط ــ دار المعارف : ص ٧٦ ، ٧٩ وما بعدها .

فالساحر يعتقد اعتقادا جازما ان نفس الاسباب ستؤدى الى نفس النتائج ... » (٣)

ولكن الساحر كان يحتفظ بتسويغ مقنع عندما تكذب النتائج بين يديه ، وهو اعتقاده بأن ساحراً آخر قد تدخل واعترض سبيله وافسد نتيجته .

وينتهى فريزر الى القول : « واذن فوجه الشبه قوى جداً بين كل من فكرة السحر والعلم عن الكون ، ففى كلا الامرين يظن أن الحوادث تتتابع على نحو مطرد واكيد تماما ، لانها تخضع لقوانين ثابتة يمكن التنبؤ بها وتحديدها بدقة » . (٤)

وقد ذهب « روجيه باستيد » فى كتابه «مبادىء علم الاجتماع الدينى» الى عرض هذه الافكار ومناقشتها والرد عليها ، ولكن رده فى الحقيقة كان يميل أحيانا الى تقرير بعض الاحكام التى يصدرها وليس الى تحليلها كما فعل « فريزر » اى عرض فكرته . على ان لمح وجه الشبه بين العلم والسحر ليس قولا مطلقا ، فهما من الغرابة فى عصر العلم بحيث لا يختلط أحدهما بالاخر كما يرى روجيه باستيد : « فالصفة الاولى للعلم هى روح النقد ، ولم يولد العلم الا منذ اليوم الذى استعاض فيه الباحثون بحكم العقل عن رأى السلف ، أما السحر فمقيد بالحدود التى رسمتها التقاليد » . (٥)

وثمة فروق أخرى ليس هنا مجال عرضها وفحصها ، من أخطرها أن السحر كان عقبة أمام العلم وهذه الحقيقة ذاتها تدل على أن السحر أحس خطر العلم عليه، وهذا اعتراف بأنه البديل له ، ولكنه البديل الذى يحمل صفات الصحة والسلامة التى يعرى بها وجه الزيف والباطل فى ذلك الشىء الذى حل العلم محله وشغل مكانه وهو السحر ، ومن هنا نلمح وجه الشبه فى طبيعة الدور لكل منهما أو كما يقول فريزر نفسه « أن النظام الذى يعتمد عليه السحر ويحسب حسابه ليس الا امتدادا على أساس القياس الخاطىء للنظام الذى تتمثل به الافكار فى عقولنا ، فى حين أن النظام الذى يقرره العلم مبنى على الملاحظة الدقيقة الصابرة للظواهر نفسها » (٦)

وهذه العبارة تحدد وجه الشبه والمخالفة معا وتحدد المعنى المقصود فى قول من يقول : « وهكذا فالسحر أخ هجين للعلم » . (٧)

لكن الذى يعنينا الآن الكشف عن أهم الأسباب النفسية للايمان بالسحر لدى الانسان ، وفى مقدمة هذه الاسباب اعتقاده بوجود قوى خفية كامنة فى الاشياء أو وراءها وأنه اذا تمكن من السيطرة عليها أو التعامل معها تحققت أغراضه التى يتطلع اليها ، وفى سبيل ذلك أخذ يخترع أو يتوهم الروابط بين الشىء وشبيهه أو بين الشىء واسمه، من ذلك مثلا أن العقار اذا شابه عضوا فانه كما توهموا يشفيه أو يقويه ، فأكل المخ والاذن والعين كل

---

(٣)،(٤)،(٥) : مبادىء علم الاجتماع الدينى : ص ٤٢ ـ ٤٤ .
(٦) الظل فى الاساطير : ص ٧٩ .
(٧) مبادىء علم الاجتماع الدينى ص ٤٣ .

منها يفيد في شفاء أو تقوية نظيره عند الانسان ، وابتدع للأشياء التي لا يعرف لها نظيرا أو لا يسهل عليه العثور على نظيرها شكلا هندسيا .. ولعل ذلك يفسر لنا تعدد الاشكال الهندسية داخل الاحجبة والتمائم التي ما زال بعض العوام يلجأون اليها والتي تزخر بأشكالها كتب الحروف في مخازن دار الكتب .

ولعل تراكم الاعتقاد بعناصر القوى الخفية هو الذي يجعل بعض الناس حتى اليوم يؤمن بخواص الارقام فيتفاءل مع الرقم (٧) ، او يتشاءم مع الرقم (١٣) ، بل ان بعض الكلمات عندما تذكر يفزع منها الانسان كأسماء الامراض الخطرة ، ويحرص البعض على ذكر كلمات بعينها اتقاء من الشرور المتعلقة بالكلمة المذكورة فيقول الناس مثلا : « الشر بره » او « عدوك » او « بعيد عنا وعن الحاضرين والسامعين » الخ ..

على ان فكرة البعث بعد الموت كما وضحت لدى قدماء المصريين (خاصة في اسطورة أوزوريس) كانت سببا في العناية بخلق مزيد من الطقوس ادى الى تقديم الاطعمة والملابس ومخاطبة الموتى بعمليات تكتسب صفات الطقوس السحرية في كثير من جوانبها (٨) .

واذن فجملة القول ان الخوف الداخلي من جهة والرغبة في الحصول على سبب ييسر الصعب ويحقق الامل، والاعتقاد بأن الاتصال بمن يذهب الى العالم الاخر عن طريق الموت أمر مرغوب فيه لان علاقتنا به لم تنقطع ، كل هذا دفع بالقوى النفسية والعاطفية للانسان أن تتعلق بالغيبيات وكانت وسيلتها في هذا التعلق السحر باعتباره اللغة التي امكن التوصل اليها في مخاطبة هذه القوى الغيبية والتعامل معها ، وفي سبيل ذلك مكن الانسان لخديعة نفسه وهو جد راض وسعيد فابتدع التعاويذ ، والرقى ، والطلاسم ، والاحجبة باعتبارها الوسائل او الاركان التي يقوم عليها السحر ، وقد أحاط هذه الطقوس بقوانين صارمة من الغموض والاتباع ، فهي غامضة مع ادعاء الساحر فهمه لها ، وهي خاضعة لاساليب متوارثة بحيث يعتقد الساحر نفسه أن « اقل تعديل يغير من طبيعتها ويفقدها فاعليتها بل كان يؤدي - تبعا لعقائد بعض القبائل - بحياة من أخطأ في القائها» ولذا فان منطق التعاويذ لم يتغير على مر القرون بل ان بعضها في مصر كان ولايزال يلقى بلغة أجنبية (٩) .

● الاسطورة ينبوع المعرفة ●

هنا نتقدم خطوة واسعة عندما نتناول الاسطورة الراقية اذ يبدو بحق انالانسان محتاج دائما الى تقديم تفسيرات لشتى الظواهر التي يعجز عن ادراك حقيقتها ، وعندما تقدم الانسان على درب المعرفة والرقي نسبيا ادرك انه لا يحيا بدون الخير ، ومن هنا كثرت لديه الاساطير التي تحببه في الخير وتنفره من الشر ، وهذا يدل حقيقة على أن الانسان يستطيع أن يعيش طويلا بدون العلم التجريبي المتقدم الذي نشاهد اثاره العملاقة اليوم ، ولكنه لا يستطيع ان يعيش بدون القيم والمثل والاحساسات النبيلة

---

(٨) طب وسحر : ص ٦ - ٩ . وعن دلالة اسطورة اوزوريس راجع : الحكاية الشعبية د. عبد الحميد يونس المكتبة الثقافية رقم « ٢٠٠ » : ص ٢١ ، ٢٨

(٩) طب وسحر : ص ١٢ - ١٣ ، وانظر الفصل الثاني من مباحث علم الاجتماع الديني .

التى تتوفر له الخير فى علاقته بالآخرين ، ومن ثم نرى الانسان قد أعطى فى الاساطير تفسيرات انسانية ترضى فيه جوانب نفسية واخلاقية ...

فمثلا هناك اسطورة تقول ان الشمس والقمر كانا فى أول خلقهما أو وجودهما متساويين فى الحجم ، ودرجة الحرارة ، وقوة الاضاءة ، ولكن الطمع ساور القمر وأراد ان يأخذ لنفسه نصيبا اكبر من نصيب الشمس ليتميز عليها ، فذهب القمر بحيلة ماكرة الى الخالق وقال له : انك خلقتنا متماثلين تماما والناس قد التبس عليهم التمييز بين الليل والنهار ، وهم لا يفرقون بين الشمس والقمر فلو جعلت أحدنا اكبر من الاخر لتميز بالحجم والضوء ودرجة الحرارة . والخالق يعلم بواطن الامور بحكمته ـ مادام خالقا ـ فعرف المكيدة التى يقصد اليها القمر ، ومن ثم اجاب الخالق قائلا : حسن ، لا بأس من اجابتك الى مطلبك . سوف نبقى الشمس ونجعلك انت اقل حجما وضوءا وحرارة ، وبك يعرف الليل ، وبالشمس يعرف النهار ، ومن ذلك الحين تمت ارادة الله وأصبح القمر اصغر حجما واقل ضوءا وحرارة !.

ان الانسان القديم ـ فيما يبدو ـ اخذ يقارن بين الشمس والقمر ثم اراد ان يعطى تفسيرا لطبيعة الفرق بينهما ليريح حيرته امام جهله بالحقيقة ، ولكن ذلك لم يتم منفصلا عن جانب انسانى هام برز فى الاسطورة هو الجانب الاخلاقى حيث صورت الاسطورة ان المنافق الحقود يفقد دائما المكان الاول ، وان من حفر حفرة لاخيه وقع فيها .

ويحسن بنا ان نستطرد هنا الى القول بان الانسان ما زال حتى اليوم حريصا على اعطاء هذه التفسيرات فى عصرنا حيث نجد الاديب يقفز من الحقيقة الثابتة التى يجليها العلم ويوضحها الى تفسيرات انسانية ذات مغزى اخلاقى نبيل ، ونماذج ذلك فى الاثار الادبية أجل من أن تحصى ، ومن ارق نماذجه واوضحها قصيدة « مناجاة القمر » للشاعر الدكتور احمد زكى ابو شادى التى مطلعها :

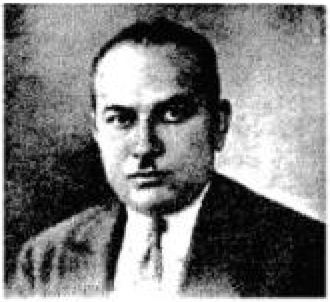
تطوف شوقا حيال الارض بالقمر
كعاشق دائب يلهو به القدر

فقد انتهى فيها الى تأكيد أن الارض عاشقة للقمر وكيف لا وقد كانا معا وحدة ذائبة فى المجموعة الشمسية ! ثم عقد الشاعر قرابة عضوية ذات مغزى انسانى الطابع بين الانسان والقمر ، لان الانسان خلق من تراب الارض ، شقيقة القمر وحبيبته ، ومن ثم فالقرابة قائمة بين الانسان والقمر وهذه القرابة العضوية تفسر شغف الانسان بالقمر وحبه له . ومن ثم يقول الشاعر مخاطبا القمر :

فانما نحن اخوان وتربتنا
فينا لها دائما من عطفنا اثر

وهكذا يبرز الشاعر لنا ان الحاجة الى التفسير الانسانى مازالت باقية وستظل . واذا كانت الحاجة الانسانية فى الاسطورة السابقة قد جعلت الغاية الانسانية المرتبطة بها غاية اخلاقية بسيطة ومباشرة فان شاعرنا تطور فى هذه القصيدة غايته بما يتفق مع تطور الانسان الفكرى والحضارى .

التعاويذ والرقى والطلاسم والأحجبة



لـ. عبر الشاعر في هذه القصيدة عن حنينه الابدى للوحدة مع الوجود ، وهو موقف صوفي فلسفي، وهل هناك أعظم من احساس الانسان بأنه جزء في وحدة الكون يؤثر فيه ويتأثر به شعوريا ونفسيا وليس ماديا فقط ؟ كيف به وقد أصبحت الكائنات الكبرى والصغرى احباءه وأقاربه يتبادل معها نوازع الشوق وتجارب الهوى وعلائق المودة ؟! ان هذا الشعور الدافق بالوجدانيات الانسانية الودودة على هذا النحو يكفي لان يكون الانسان خيرا مع كل شيء في الحياة من حيوان ونبات وجماد ، ومن هنا يظل الانسان حريصا على تصحيح موقفه وسلوكه ازاء كل شيء ويبقى باحثا عن الحق حتى لا يتعاطف مع شيء على حساب آخر ، وفي سبيل ذلك لابد ان يفهم كل معنى من شتى وجوهه ، ومن كل هذه السبل سوف يكون الشخص الباحث عن الحق متحليا بكل فضيلة لان هدفه ينحصر في البحث عن الحق لذاته مرة ثم في حمل النفس على العمل به اخرى ، ولو قدر لقصيدة شعرية أن تهدينا الى مثل هذه الغايات الانسانية العليا فانها تكون قد اهدتنا الف نظرية علمية والف درس اخلاقي ، بل ان هذه أو تلك لا تستطيع أن تمنحنا مثل هذا الوجود الجميل للانسان وذلك النفاذ الصادق الى الحقيقة الذى يسمو بنا الى هناك حيث نلتقي في آخر المسيرة مع شوق الصوفي ، وحكمة النبي ، وكلمة الحق المتوهجة في أفئدة دعاته والشريدة امام ظلم المادة وجبروت الأنانية .

ولعلنا لا ننسى حتى الان أن هذا الشعر العالي تطور رفيع لأهداف الاسطورة الراقية التى كانت تزرع الخير وتحارب الشر . (١٠)

● السير الشعبية وروح التمرد والانتصار ●

في السير الشعبية او الملاحم ما يوضح لنا حقيقة التعبير عن روح الانسان في صراعه من أجل تحقيق آماله وامانيه ، وليس من حقنا أن نسخر من أحلام اليقظة والمفارقات البارزة في أنماط الخيالات المجنحة والخرافات الكثيفة والأساطير الخالدة (١١) لأن الذى يجب أن يلفت نظرنا حقيقة هو البحث عن جوهر الانسان القابع خلف تلك الحكايات .

ان الانسان الذى يحس القهر والحرمان والعجز لابد ان يوازن بين واقعه الأليم وأحلامه الضائعة ، والمخرج السهل الوحيد الذى يملكه

---

(١٠) القصيدة ــ ديوان الشفق الباكي : د. احمد زكي ابو شادي ، وللكاتب المقال دراسة خاصة عن القصيدة والاسطورة التى ذكرت بين يديها ، لم تنشر بعد . .

(١١) الأدب المقارن د. محمد غنيمي هلال . ط ــ ٣ : ص ١٤٣ ، الكلام عن الملحمة . .

التعاويذ والرقى والطلاسم والأحجبة

هو الهروب من هذا الـــواقع المهلك الى رحاب الخيال يســـتظل بظله ويســـتروح بما فيه من ســـعادة موهومة ... ولذلك وجد السـواد الاعظم من الناس على اختـــلاف العصور والبيئات سعادة غامرة فى الاستماع الى تلك السير وقراءتهـــا لانها تعزى النفوس وتهون عليهـــا وتســـعدها فى ظل الخيال الحالم . ولعل فى هذا نوعا من التطهير الذى يمدها بالقدرة على مواصلة المسير والتحفز لنيل شىء مما ضاع منها . وهى هذا كما يقول الاســـتاذ فاروق خورشيد « محاولة لتفســـير موقف الانسان من الحياة تفسيرا وجدانيا » (١٢) .

ان الانسان المقهور يريد أن يحقق ذاته بالانتصار على اى نحـــو مهما كان هينا وتافها . وكذلك المحـــروم يريد أن يحقق ذاته بالثراء والمقدرة، وقد اشبع القاص الشـــعبي فى أســـاطيره وملاحمه روح التمرد والتطلع لدى السواد الاعظم . ولذا تعلق العامة بالبـــطل الذى يحقق الاحلام بينما هو فى الاصل رجل من عامة الناس . ولكن لكى ينتصر هذا البطل على المســـتحيل لابد له من اســـلحة . فكان الســـحر وكانت الاســـــاطير التى هى فى الحقيقة الصـــــورة التعبيرية أو التمثيلية القولية والحركية للعمل الســـحرى كما يشير الى ذلك « فريزر » (١٣).

وليس همنـــا البحث عن تاريخ الاســـطورة او منطقها (١٤) . ولكن عنايتنا موجهة الى الكشف عن أبرز الدلالات التى تكشف لنا ارتبـــاط الانســـان بالخوارق التى تحفل بها الاساطير وبالطقـــوس الســـحرية المتعـــددة من حيث انها تحقق له ما يريد ،وليس من حيث الشـــكل او الاسلوب الذى اتبع . فنحن لا نجـد فى السير الشعبية حوارا أو جـدلا يقوم حول نقد هذه الطـريقة او تلك فى اجراءات السحر والشـــعوذة ، بل هذه الاجراءات نفسها ثابتة ــ فى الاعـــم الاغلب ــ وهى التى تلعب اخطر الادوار فى تطوير الاحـــداث الى غايتها التى تنتهى عادة بارضـاء المشاعر والرغبات الحبيســـة فى اللاوعى العام للجماعة التى اساسها الفرد . وليس هذا القول انتصـارا لمذهب « فرويد » ولكنه افادة حقيقيـة من فكرته عن ارادة الشـــيئين المتعارضين وما ينجم عنها من آثار فى نقل الدافع النفسى من موضـــوعه الاصلى الحقيقى الى موضـــــوع ظاهرى . (١٥)

---

(١٢) اضواء على السيرة الشعبية للاستاذ فاروق خورشيد المكتبة الثقافية رقم ١٠١ : ص ١٠ .

(١٣) البطل فى الاساطير ص ٨٥ .

(١٤) البطل فى الاساطير .

اسطورة اوريست والملاحم العربية د. لويس عوض ــ دار الكاتب العربي .

الاسطورة والدراما للاستاذ سعد عبد العزيز ط ١٩٦٦ .

الاساطير فى بلاد ما وراء النهرين تأليف صـــمويل هنرى هوك ، وترجمة الاستاذ يوسف داود عبد القادر ، ط. وزارة الثقافة .

الاسطورة اليونانية للاب فؤاد جرجى بربارة . ط . دمشق ١٩٦٦.

(١٥) البطل فى الاساطير ص ٧٧ ــ ٧٨ .

لقد تحرك البطل في اتجاه السير الشعبية ليجرى فوق السحاب ، ويذهب الى أطراف الارض القصية في غمضة عين وليحول الماء الى ذهب والتراب الى زمرد ويحول الانسان الى حيوان والعكس ، والمارد الجبار الى فار والعكس ، وانتصر على المردة والشياطين وهم قبائل عديدة ... لابد للبطل في انتصاراته هذه من اسلحة يحقق بها ما يريد . لم يكن لديه الصاروخ ليذهب الى القمر ، او القنبلة ليحطم جموع الجيوش الزاحفة ، فلتكن لديه قوى اخرى غيبية كامنة في طقوس السحر والشعوذة ، في التعاويذ ، في الرقى ، في الطلاسم ، في الاحجبة، فهذه الاشياء اذن ليست هينة القيمة في دلالتها على أمل الانسان ، انها تعبير غائم عن امله في أن يملك من الوسائل والاسباب ما يقهر به المستحيل ويستعلى به فوق كل الصعاب يحقق احلامه المسرفة بايسر السبل وابسطها .

اذن هذه الاساليب السحرية والظواهر الايجابية التي تنجم عنها في خيال القاص انما هي رموز للاماني والآمال القابعة في اللاوعي العام أو القابعة في الاعماق السحيقة لرغبات الانسان التي لم يكن يحسن رؤيتها او تصورها أو التعبير عنها في لغة علمية ومنطق فكرى .

ويبدو لى انه يمكن القول بان الانسان حاول في مسيرته الطويلة أن يصل الى تحقيق ما كانت تحققه له الاحجبة والرقى والتعاويذ وسائر الطقوس السحرية ، لأنه عندما تحول عن السحر الى العلم حقق ما كانت تتطلع اليه احلامه الساذجة ، فطار في الهواء وتجاوز أعلى طبقاته وصعد الى القمر وغاص في أعماق البحار وحقق ابعاد الاساطير والخوارق بوسائله العلمية المعاصرة .

ترى هل من حق الذين يؤرخون للكلمة الادبية في تاريخ الانسان القول بأن الانسان مدين في تقدمه اليوم لذلك الامس السحيق ، حيث كانت الاحلام والامانى تتجسد في الوسائل السحرية وتصبح قانونا في الاسطورة ، ثم سيرة في الملاحم أو السير الشعبية ؟... وهل من واجبنا في ضوء هذا الاستنتاج ان نعترف بأن الحياة في نهضتها العلمية الذاهلة مدينة للحس الادبى والفكر الادبى لدى الانسان في كل العصور، ذلك الحس الذى دفع آماله ورغائبه الى التطلع والى تحقيق ذاتها في تلك الحكايات المغرقة في السذاجة والتخيل الطليق ، والتى كانت الاسطورة واساليب السحر اقوى وسائلها لتحقيق ما تريده من احلام ورغائب ؟

على سبيل المثال فان قصة « الحصان المسحور » في الف ليلة وليلة (١٦) نرى فيها تجسيدا للآمال التى تحققت في عصر العلم ، فقد دخل على الملك الجبار في سالف الازمان ثلاثة من الحكماء مع اولهم طاووس من ذهب يرفرف بجناحيه ويؤذن بصوته كلما مضت ساعة من النهار . والطاووس على هذا النحو هو المعادل الموضوعى لكل الاجهزة الحاسبة للوقت في عصرنا وأبسط صورها الساعة الدقاقة !!

ومع الثانى بوق من النحاس اذا وضع على باب مدينة أخرج صوتا مدويا كلما دخلها عدو من الاعداء وبذلك يمكن امساكه واتقاء شره .. أليس ذلك ما توصلت اليه الاجهزة الالكترونية التى اصبحت شائعة في

(١٦) الف ليلة وليلة . ط. دار المعارف بتحقيق الاساتذة حسن جوهر، ومحمود برانق . ج ٩ ص ١٤٧ .

المطارات والموانى وبعض المواقع الهامة التى تحتاج الى اساليب محكمة وتفوق العادة فى مسائل الحراسة والتفتيش ؟!

ومع الثالث فرس من العاج والابنوس وهذا الفرس ان ركبه انسان طار به فى الجو وذهب به الى حيث يشاء ، لا يعجزه طول المسافة ولا يلحقه وهن أو كلال ... أليس ذلك تجسيدا حيا لمركبات الفضاء ؟!

ترى هل من حق الادب ان يعتز بانه يمسك بقيادة الانسانية الى آمالها وامانيها مهما كانت ممعنة فى التخيل والغلو والمبالغة الى حد السفه والجنون ؟!

● وغاية اخرى للادب ●

اذا صح الادعاء بأن الادب قاد الانسانية الى واقعها المزدهر فى العلوم والصناعات ، فان صراع الادب مع الحياة فى تدعيم القيم والحقوق والحريات اقوى واظهر ، بل يمكن القول بأن صوت الادب خفت أو ضعف فى المضمار الاول ، بينما قوى وعمق فى المضمار الثانى الذى نتحدث عنه الآن .

لقد حفلت السير الشعبية بتصوير البطولات التى تنتزع للانسان حقه الضائع وحرماته المهددة ، فمثلا سيرة عنترة بن شداد تعتبر « بحق أول صرخة فنية يطلقها الضمير الانسانى فى عمل أدبى كبير (٢٥٥٤ صفحة) ضد العبودية وضد التفرقة العنصرية »(١٧) التى مازالت تعانى مآسيها وويلاتها المجتمعات الامريكية الحديثة .

فعنترة جاهد ليضع المقياس الحق لشرف الانسان ورفعته ، وليوضح أنه ليس الحسب والنسب بل ما تملكه ذات الانسان من القدرة مع تحمل المسئولية والمشاركة فى الحقوق والواجبات ، وبعد صراع خرافى انتزع عنترة لنفسه وللانسان فى كل عصر ومكان مقياسا عادلا فى تقييم الحرية الانسانية ، فليس الحسب والنسب وليس اللون هما مقياس الشرف والفضل ، وهما ثمن السيادة والحرية حتى لو كان صاحبهما ممتلقا لأحط الصفات وأحسها ، بل المقياس الحق هو ما يملك الانسان فى ذاته من صفات عليا وقيم نبيلة وقدرة على تحمل المسئولية مع التزام اخلاقى أمام الجماعة وامام الفرد الحر نفسه ، وكما يقول الاستاذ فاروق خورشيد : « وتصبح سيرة عنترة ، بهذا أكبر وثيقة ادبية واول صرخة فنية تدافع عن قضيتى الرق والتفرقة العنصرية ، وتضع حلا لهما مطالبة المجتمع الانسانى باتاحة الفرص امام الصالحين من ابنائه ليقدموا جهدهم للخير العام دون النظر الى لون او الى عوامل مفتعلة ترفع بعض الناس وتذل بعض الناس ، كما تؤكد للانسانية انها لن تستطيع ان تشرك ابناءها فى المسئولية الا اذا اشركتهم جميعا فى الحقوق » (١٨)

وفى سيرة الأميرة ذات الهمة يبرز المغزى اولا فى الدفاع عن المرأة العربية التى تحافظ على عرضها حتى الموت والتى تدين بالوفاء المطلق لمن تحب

التعاويذ والرقى والطلاسم والأحجبة

(١٧)ص(١٨)ص(١٩)ص(٢٠)ص : اضواء على السيرة الشعبية - والنظر عن عنترة بن شداد ، البطل فى الاساطير ، .



والتي ترتفع عندها حاسة الامومة لتغطي على جميع الحواس الاخرى بحيث نراها تذوب في كيان الابن محققة فيه كيانها ...

وثانيا في فكرة مساواة المرأة للرجل فيما يعتز به من صفات، فهي مثله أهل للتصدى لكل الصفات العليا وحمل تبعاتها من الشجاعة والاقدام بحيث يمكنها ان تحتل مكان الصدارة في الحرب والقتال وقيادة الجيوش، وهي جديرة أيضا بالارتفاع الى مصاف الاولياء الصالحين (١٩).

ونجد غايات اجتماعية وانسانية كبرى في الظاهر بيبرس، وعلى الزيبق، وسيف بن ذي يزن، وقد عنى بالكشف عنها وابرازها وتحليلها الاستاذ فاروق خورشيد (٢٠).

ولكن البطل لا يصل الى غايته في كل هاتيك الادوار دون الاعتماد على قوى غيبية تلعب فيها الخوارق وانماط السحر مع اختلاف الدرجة واللون دورا غير قليل، وذلك كله يعني ان الانسان كان يحقق آماله الضائعة بالطرق الممكنة وليس كخيال الانسان مسعدا ومغنيا ومعينا.

وتعلق الدكتورة سهير القلماوي على موضوعات السحر في الف ليلة وليلة فتقول بعد عرض لانواعها واتجاهاتها: « وهكذا تقوم هذه الكنوز بدور تحقيق التعادل بين كفتي الميزان، ويصبح الصعلوك الفقير ملكا بترضاه الملك القديم وحاشيته، ولقد أراد القاص بهذا النوع من القصص أن يصور ابتسام الحظ المفاجيء في الحياة، ولكنه أراد بالاكثار من هذا النوع التفنن في أن يعزى نفسه ونفوس سامعيه عن حالهم وأن يستخف في قرارة نفسه بما لم ينل (٢١).

ترى هل من حق الفن الادبي ان يفخر بما حققه الانسان في مجالات العلوم باعتبار ان هذا الانتصار ابن شرعي للفكر الادبي؟.. وهل من حق الادب ان ييأس لانه لم يستطع بعد أن يرسي دعائم العدل والحق والانصاف والحرية بين المجتمعات على شتى أنواعها وانما هو في هذا السبيل يخوض مسالك شاقة وعسيرة رغم كل ما اسفرت عنه الحياة من نظام دستوري واوضاع قانونية تحمي الانسان، وتسعده ورغم أن الادب بذل في سبيل العقل الاجتماعي اضعاف اضعاف ما بذله في سبيل النهضة العلمية..

واخيرا، أليس من خير الانسان أن يعنى كثيرا بالبحث عن الدلالات في تراث الانسانية الادبي والفكري ليصل في النهاية الى ادراك المدى الذي تحقق أوضاع منها، وليحمل رسالته في وجوب تجاوزها والنهوض بها الى غايات تليق بالانسان الذي تسلح بالعلم وبالرسالات السماوية التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها.

---

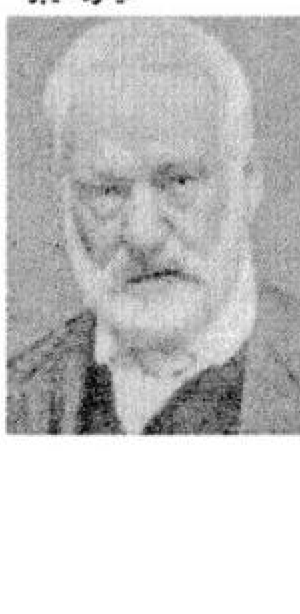
(٢١) ألف ليلة وليلة للدكتورة سهير القلماوي ط: دار المعارف. ١٥٢

د. سامية أحمد
أسعد

فيكتور هيجو يحضر الأرواح

فيكتور هيجو الشاعر والكاتب الروائي والمسرحي والناقد، والعاشق، والمناضل السياسي، الخ... معروف للقارئين في العالم اجمع .. فمن ذا الذي لا يعرف «احدب نوتردام» مثلا أو «البؤساء»؟.. لكن، لعل المتخصصين وحدهم هم الذين يعرفون انه كان مولعا بتحضير الارواح عن طريق الموائد الدائرة

فيكتور هيجو



عندما نفي فيكتور هيجو الى جزيرة جرسيه، كان ينظم جلسات لتحضير الارواح أحيانا وأحيانا أخرى يحضرها فقط. ولقد نشر بعض محاضر هذه الجلسات فأثار كثيرا من الفضول. مما دفع الناقد «جوستاف سيمون» الى جمعها ونشرها في كتاب عام ١٩٢٣، أي بعد موت الشاعر بفترة ليست بالقصيرة – وكان أحد الذين حضروا هذه الجلسات قد قال انها يجب أن تنقل في يوم ما الى الجمهور لانها تطرح أسئلة على كل الاذهان المهتمة بمعرفة الحقائق الخالدة

أما هيجو نفسه، فعبر عن رأيه في هذه الجلسات، عام ١٨٥٤، عندما قال انها «ستكون توراة المستقبل».. بالتأكيد لانها لن تنشر في حياتي أو حياة الذين حضروها، أولئك الذين



جوته

تحدثوا الى كائنات العالم الاخر الغامضة ..

ولقد ظلت محاضر هذه الجلسات بالفعل ما يقرب من ثلاثين عاما في حيازة الشاعر الذى لم يرد أن يربط نشرها بتاريخ معين ، بل فضل تركه للظروف المواتية . ولم ينشرها « ج . سيمون » بالفعل الا عندما بدأ الناس يهتمون بالظواهر النفسية التي لا تخضع للمعرفة العلمية . ولو أن هيجو كان حيا عندما بدأ هذا الاهتمام لما ظل بمنأى عنه ، ولشجع أولئك الذين يشتاقون الى معرفة خبايا المجهول ، لان تلك كانت رسالته كشاعر ولما رأى أن من حقه أن يبقى في الظلام وثائق قد تلقى شيئا من الضوء على عالم المجهول الغامض ، وهو الذى لام العلم على تراجعه أمام مالا يستطيع فهمه عندما قال : « خاف العلم من موضوع تحضير الارواح الغريب ، خاف من التنويم المغناطيسى ، ومن الرؤية عبر الحواجز .. لم يقم العلم بواجبه العلمي الذى يحتم عليه فحص كل شيء ، والقاء الضوء عليه، ونقده ، وتحقيقه .. »

وتشتمل محاضر هذه الجلسات التي حضرها اناس ينتمون الى كافة الاتجاهات والديانات وجمعها اناس حسنو النية ، تشتمل على ابيات شعر جميلة ، وآراء في كتاب القرن التاسع عشر ، ومشاهير الكتاب والفنانين في العالم اجمع ، ومناقشات في الادب والمسرح والشعر ، والدين ، الخ ..

كان فيكتور هيجو نفسه أهم الشخصيات التي تحضر هذه الجلسات أو تديرها ، ذلك لانه كان مولعا بالعلم الى جانب أعمال أخرى كان يؤثرها على غيرها ... لقد كان شاعرا عظيما . وكان يمكن أن يصبح عالما مرموقا ، بفضل حدسه وقدرته على التنبؤ ، لو أن عمره قد طال اكثر مما طال ... لنذكر ، على سبيل المثال ، انه تنبأ منذ عام ١٨٤٣ ، بنظرية الاشعاع . ومن يقرأ أعماله بامعان ، يدرك أن العالم الاخر قد شغله ، قبل عام ١٨٤٣ بكثير . والاسماء التي أعطاها لبعض كتاباته دليل على ذلك ، مثال ذلك « الميل الى التأمل » (١٨٣٠) . و « ما هي نهاية كل شيء ؟ » (١٨٣٧) الخ ... وكثيرا ما عالج موضوع « العوالم المتعاقبة » ، ذلك الموضوع الذى أقلقه منذ أمد بعيد . ويشتمل ديوانه « التأملات » على قصيدة بعنوان

فيكتور هيجو

« زحل » كتبها عام ١٨٣٩ ، وصور فيها « هذا الكوكب البغيض المنعزل » كوكب العقاب ، لكن هذا العقاب ليس ابديا ، لان هذا الكوكب الملعون لن يتحفظ على الاشرار خلال الفترة التي يريد لهم الله فيها العقاب ، وكان يرى أن الحياة الحقيقية تبدأ عند القبر أى مع الموت :

« وعندما يجعل القبر نفسه منا احياء
قد نذهب جميعا ذات يوم ، في الفضاء القرمزى
لنقرأ العمل اللانهائى ، والقصيدة الخالدة » .

لكم ود أن يقرأ بضع صفحات من هذه القصيدة في حياته ! .. ومنذ ماتت ابنته تحولت رغبته في النفاذ الى الاسرار الكامنة وراء القبر الى رغبة ملحة آمرة ... وربط من ناحية أخرى ، بين موضوع السموات الغامض ، والقضايا العلمية في عالمنا الارضي . ولنسق مثالا لذلك ، ما قاله عام ١٨٥٥ عندما تنبأ باختراع الطائرة :

« انها ثقل محرر طائر
انها القوة المتحالفة مع الانسان البراق ،
قوة ابية ، تنتزع الطين من سلسلته الخالدة ،
انها المادة السعيدة ، العظيمة ، فيها شيء .
من العاصفة البشرية ، وتحلق عبر
دهشة السموات الهائلة التي انفتحت اخيرا ! » .

وفي المقدمة الفلسفية لرواية « البؤساء » ، تلك المقدمة التي قال عنها هيجو أنها تلخص فلسفته الشخصية ، تناول كافة الموضوعات تكوين الارض ، حركة الكواكب ، تاريخ الديانات ، تقدم العلم ، الخ ... وعاد الى موضوع الطائرة ، قائلا جملة غريبة تعلن عن بناء الطائرات التي نعرفها اليوم : « قد يتمثل الحل ايضا في محاكاة الطير » . ولم يكن أحد يفكر آنذاك في محاكاة الطير او في جهاز ذى جناحين بل كان الاهتمام كله منصبا على المنطاد .

كان من الطبيعى اذن ان يهتم هيجو — نظرا لقدرته على التنبؤ — بكل الوسائل التي قد تمكنه من اكتشاف سر ما بعد الموت أو معرفته . ولم يكن ليسعه ، في الفترة التى اخذ الناس خلالها يهتمون بتحضير الارواح ، والتى بدأت خلالها الموائد الدائرة تدير الرءوس . لم يكن ليسعه أن يهرب من التجارب التى كان يدعى اليها ... لقد رأى ، بالطبع ، شيئا من الغرابة في المائدة التي تلعب دور الوسيط ، رأى فيها شيئا أغرب من الحلم ، والرؤى ، والتنبؤ ، وكلها أمور بعيدة عن عالم المحسوس .. لذا كان يقف ، أثناء انعقاد الجلسات الاولى موقف المتفرج الذى لا يكترث كثيرا بالامر ، ثم اخذ ينصت الى

ما يقال ، ثم اخذ يهتم بالتجارب ، ثم استهوته الظاهرة استهواء · وفي كل جلسة ، كان يزداد اهتماما بها ، ويكتب ما تمليه عليه المائدة · واخذ يسال الموائد اسئلة تطول جدا ، احيانا يدفعه حب الاستطلاع والمعرفة الى التحدث الى كبار المفكرين ، والدخول في مناقشات فلسفية ، بل وادبية وتاريخية معهم · وبعد الجلسة ، كان يعمد احيانا الى التعبير كتابة ، عن اختلافه في الرأى مع « محدثه » ،

وكان يهتم اهتماما كبيرا ببعض الاكتشافات الغريبة التي تقود الى سؤال المائدة عن فروض افترضها ، محاولا ان يعرف ما اذا كانت احلام شاعر فحسب أم لا ، وبالرغم من كل ذلك ، احتفظت امور كثيرة بغموضها

تساءل الباحثون في هذا الموضوع عن مدى تاثير فيكتور هيجو على الموائد ومدى تاثيرها عليه · قال بعضهم ان هيجو الف ، لاشعوريا ، الاسئلة والاجوبة ، وان روح المائدة

جورج صاند



ليست ، بالتالي سوى روح الشاعر نفسه · لكن الد اعداء تحضير الارواح لم يشكوا لحظة واحدة في سلامة نية الشاعر ، واستبعدوا فكرة خداعه للاخرين ، ولم يتحدثوا الا عن سذاجته ، وميله الى تصديق كل ما يقال ويرى ···

واكتشف آخرون ان هيجو كان يناقش ، ويسال ، ويرد ، لا شعوريا ، عن طريق الوسيط ، وكثيرا ما كان يلعب دوره ابنه شارل هيجو· وساقوا دليلا على ذلك ، ان الشعر والنثر ـ ايا كانت الروح التي يعبران عنها ـ كانا يتفقان دائما والشكل والمفهوم الذى الفهما الشاعر ، وقال آخرون ان شخصية هيجو كانت تخضع ، اثناء انعقاد هذه الجلسات ، للازدواج وان روح هيجو كانت ترد على الاسئلة التي يطرحها هيجو ، او ترفض الرد عليها ، او تنفي الحجج التي تسوقها ، او تسخر منه ···

كل هذا بالشكل والاسلوب اللذين اعتادهما الشاعر الا ان الشكل والاسلوب كانا يظلان كما هما ، حتى عندما لا يحضر هيجو الجلسات ···

وقيل ان الجلسات كانت تعقد في بيت هيجو ، اى في مكان كانت الاشياء فيه مشبعة بوجوده ، بعبارة اخرى في مكان شاعت فيه نفحات من روحه · وبالتالي ، عكست الموائد شيئا من شخصية الشاعر ·

ولو ان كبار المفكرين ، والفلاسفة والعلماء ، والكتاب ، والفنانين بعثوا ، لقالوا لنا الكثير عما دار في هذه الجلسات التي لم يغب عنها ،

على سبيل المثال ، موليير ، واسخيلوس ، وشكسبير ، وسرفنتس ، وافلاطون ، وجاليليو ..وكان يتدخل أحيانا في هذه الجلسات متحدثون لم يتوقع حضورهم الحاضرون . هذا ما حدث ، مثلا عندما سال أحد الموجودين الروح ، فردت بقولها :

« انا الراوية » ، أو « انا المأساة » ، أو « انا الدراما » ، أو « انا الموت »

لكن ، من ذا الذى جعل هيجو ، وأصدقاءه المنفيين في جزيرة جرسيه يستشيرون الموائد الدائرة ؟ انها مدام دى جرردان !... كانت امرأة مؤمنة تقية . وهذا ما يتضح لنا عندما نقرأ الرسائل التى تبادلتها معهيجو . كانت قد حضرت الى الجزيرة عام ١٨٥٣ . ولم يكن بوسع هيجو أن يقاومسحرها وسحر تفكيرها . كانت بمثابةرسول للموائد وكان هيجو ميالا بطبعه الى التعاطف مع الرسل . أو لم يكن هو أيضا رسولا في ميدان الشعر ؟

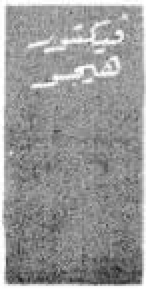
وفي الجزيرة ، التفت حول مدام دى جرردان مجموعة من الاصدقاء الراغبين في العلم والمعرفة . كانوا لا يرون أية غضاضة في التجربة ،بل كانوا ميالين الى الشك . ومما لا يقبل الجدل انه قيل لها أن مثل هذه الجلسات تحتاج الى الحياد على الاقل ان لم تحتج الى الايمان .

ذكرنا من بين الشخصيات التى كانت تحضر هذه الجلسات ، هيجو نفسه وابنه شارل ، ولنذكر أيضا ، زوجته التى كانت تؤمن بالله وبالروح الخالدة . كانت تود ، بلا شك ، أن تأتى اليها الموائد بايضاحات عن العالم الاخر . لكنها كانت تتمتع بذهن ايجابى عملى ، وعندما كانت تلمس تناقضا في ردود الارواح ، كانت تبرزه . كما كانتتهتم بالمناقشات الفلسفية والجدل الادبى ، الا انها كانت تسعى بصفة خاصة ، الى الاتصال بمن تحبهم ، وتهتمبمعرفة ما يمكن أن يكون في العالم الاخر ، وما تصير اليه الروح بعد موتها ، والشكل الذى يتخذه الراحلون عن عالمنا الارضى ، وهكذا نرى أن مدام هيجو لم تكن تيسر للارواح مهمتها .

ومن الصعب أن يقال انها كانت متواطئة مع الموائد ، لانها كانت لا تقنع بردودها الغامضة المبهمة ، والقارىء لمحاضر هذه الجلسات يدين لها بكثير من الايضاحات .

كان هيجو لا يحضر كل الجلسات لكنه كان أكثر المهتمين بها . كان مصرا على تجربة كل شيء للاتصال بالموتى . وعمل جاهدا على اكتشاف أسرار عالم اللامرئيات والمجهول . ولم يتخل أبدا عن فكرته تلك ، بل كان يجد فيها ضمانا لصدقه في البحث والتجربة ..

ونلاحظ أن الجلسات كانت تعقد في حجرة الصالون . وأن عدد الموائد





بلزاك



سرفانتيس

كان كبيرا ، نسبيا ، وفي البداية ، لم تكن الامور مستقرة · كانت المائدة تتحرك ، بعنف احيانا · وكانت تسأل فترد ردودا موجزة ، ومبهمة احيانا ... كانت الاسئلة تطول ، والاجوبة تقصر ، بالتالي : « نعم » أو « لا » وكانت « النعم » و « اللا » تتناوبان باستمرار ... لم يعرف الحاضرون، في البداية كيف يديرون الموائد لكن ، ما من أحد منهم استطاع أن ينكر انها تتحرك ... هكذا ثار الفضـول · ووجد المتحدثون المجربون السبيل الى استبعاد الاجابة بنعم ولا ؛ وعرفوا كيف يدفعون الموائد الى الاجابة باسهاب ، بل كيف يدفعونها الى الجدل وأدركوا أن المسألة مسألة « تأثير سحري » ، يلعب فيها الوسيط الدور الاعظم ·

ولم يدركوا ، في البداية ، أن لشارل هيجو مثل هذا التأثير ·وتثبت دراسة مخطوطات هيجو ، بوضوح ، وكتابة ،أن هذه الظاهرة كانت حقيقية ·

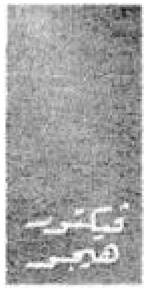
كان هيجو ، أو زوجته ، أو أحد الحاضرين يمسك بالقلم ، ويكتب تباعا الحروف التي تمليها المائدة · لكن الكاتب كان لا يفهم الكلمة الا عندما تكتمل حروفها · وأحيانا ، كانت الروح تملي كلمات يكتب بعضها تلو البعض الاخر ، فيدرك الحاضرون بعد سطرين أو ثلاثة ، ان هذه الكلمات تكون ابياتا من الشعر ·

وأيا كانت أهمية محاضر هذه الجلسات وقيمتها ، فهي تهم فئات مختلفة من القراء ، والشعراء ، والادباء والعلماء ، وعلماء الدين والمؤرخين · كما اننا نقرأ فيها ، كما قلنا ، اشعارا جميلة ، ومناقشات أدبية ودينية ونقدا لاذعا ولمحات عن الحياة في المستقبل، وأحاديث صحفية — اذا أردنا استعمال هذا المصطلح الحديث مع اشهر الشخصيات · وقد تجذب هذه المحاضر من يؤمن ومن لا يؤمن على السواء .. لكن ، لا ينبغي أيا كان الحال ،أن تروح ضحية للنسيان ·

كان هيجو من المعجبين بشكسبير الذي كان له أعظم الاثر على صياغته لنظرية الدراما الرومانسية ، ولا نبالغ اذا قلنا ان شكسبير كان مثالا يحتذى في نظر الرومانسيين جميعا · ولقد أفرد له هيجو كتابا كاملا يحمل اسمه وكان من الطبيعي أن يحضر روحه في جلسة عقدها وحضرها كل من ابنه وزوجته ، وصديقهم شارل فاكري ·

وكان الحديث التالي :

« — اسمك ؟



ـ شكسبير .

هيجو ـ تعلم أنك في نظرنا ، واحدا من الكبار الاربعة أو الخمسة الذين خلقوا الانسانية ... هلا قلت لنا ما الذى حدث في القبر ، وأى لقاء تم في ٢٣ ابريل ١٦١٦ ؟

ـ قبلت كبرياء الناشىء .

هيجو ـ لم أقل ١٦٠٦ ، بل قلت ١٦١٦ ركز ، وابحث عما اذا شكسبير قد قابل في ذلك اليوم ممثلا عظيما آخر للفكر الانسانى .

ـ لا ...

هيجو ـ لكن ، في ٢٣ ابريل ١٦١٦ مات سرفنتس في نفس اليوم ، وفي نفس الساعة تقريبا التي مت انتصفيها الم تقابله ؟ هل تريد الرد ؟

ـ لا ...

هيجو ـ تقول أنك لا تريد الرد ، أم أنك لم تقابله ؟

ـ لم يمت سرفنتس في الساعة التي مت فيها .

هيجو ـ لكنه مات في نفس اليوم . ولابد أنكما تقابلتما ، حيث ذهبتما . كان على عبقريين مثلكما ان يتحاببا ماذا قال كل منكما للاخر ؟

ـ عندما يموت الانسان ، يأخذ فجأة عمر كل الموتى ، أى الخلود . لا يوجد في السموات أول القادمين او آخرهم . للجميع ثانية حياة ، وتدوم هذه الثانية مائة مليون عام وسؤال الميت منذ متى جئت الى السماء ؟ يتساوى مع سؤال الشعاع : منذ متى جئت الى الشمس ؟ فالروح اخت لا تكبرها أخت . ما اللا نهائية بالاخت الكبرى للحب . وما الخلود بالاخت الكبرى للعبقرية .. كل الافئدة العظيمة توائم ... وللفكرة ابناء ، لا أحفاد . اذا سألت الشعاع عن عمره ، قال لك : سل البرق . واذا سألت البرق ، قال لك : سل الشعاع .. رأيت سرفنتس مرة واحدة ، وحياني وحدثني على النحو الاتي : ما رأيك في دون كيخوته ، أيها الشاعر ؟ وكان موليير مارا فقال : هو دون جوان . وقلت أنا : هو هاملت . فدون كيخوتة يشك ، ودون جوان يشك ، وهاملت يشك ، ودون كيخوته يبحث ، وهاملت يبحث ، ودون جوان يبحث ودون كيخوتة يبكى ، ودون جوان يضحك ، وهاملت يبتسم . وثلاثتهم يتعذبون في الجمجمة التي يمسك بها هاملت ، دمعتك يا سرفنتس وضحكتك يا موليير . يكشر هيكل الشك تحت جمال مؤلفات ثلاثتنا . نحن نصنع الدراما ، والله ينهيها ، انظروا الى السماء ، انها الفصل الاخير . وحجر القبر الذى يفتح على أرواحنا ، ستار يرفع ويرينا الخاتمة . صفق يا سرفنتس ! صفق يا موليير !.. صفق يا شكسبير ! .. لك اهتز الله خشبة المسرح ! » .

وعندما سأل هيجو روح شكسبير



موليير

عما اذا كان الكاتب العظيم يواصل الخلق والابداع بعد مغادرته الارض، ردت بنص شاعرى جميل جاء فيه :

« يخلق البشر الحياة الانسانية، ويخلق الخالق الالهى حياة السموات الخلق ، ذاك هو العمل • التأمل ، ذاك هو الثواب ••• فى الارض ، يخلق كبار المفكرين للوعظ ، اما فى السماء ، فكل شيء اخلاقى ، كل شيء طيب ، كل شيء عادل ، كل شيء جميل ولو أننى خلقت شيئا لما اكتملت السماء •• محكوم على بالاعجاب ، انا المعجب به• انا ضائع وسط حشد المتفرجين ، انا الخالق •• كنـــا جالسين متأملين ، امام نور الخالد •• النور يضيئنا ويبهرنا • والحياة تسحرنا وتفيض عنا • ولو انك سألتنى عما اذا كنت أخلق شيئا • لا ، انا انظر ، لا ، انا اسمع ••• لا ، انا ذرة متنبهة امام الفضاء الواسع •• •• انا انسان عظيم يتنـــازل امام اللانهائية ، عدت ملاكا • وهبطت صغيرا من مكان التمثال ، والقيت بهالتى •• انا حلم يتقله الموت • كان الفـــن لى ، آما الان فالحب لى • ترك ابداعى جناحيه فى القبر ••• والحب لن قد بعث ، ويسهر الفزعند باب السماء ، ولا يدخل منه الا الحب وحده • والسعادة « مكة » خالدة يحج اليها الفن ، وملاكها الحب » ••

وفى جلسة اخرى ، دار حديث بين هيجو والموت • سأل الاول الثانى عما اذا كانت هناك وسيلة اخرى ـ غير ماكشفت عنه الموائد ـ لمعرفة المستقبل المجهول وايضاحه ، فالتنبؤ وحده لا يكفى ، ولا بد من شيء اخر لكى يصدق الناس ما قاله الشاعر بعد مماته•••

ورد الموت بأبيات يصــعب على من يقرؤها الا أن يلمس فيها روح هيجو وأسلوبه ،وتحمل بصماته الى اقصى حد :

ادرس الفلك الانسانى • فهو ملآن ببذور الحقائق التى تســتطيع أن تستخلص منها حقائق اكبر على سبيل المثال ، يمكنك ان تسمى بالتحـديد مجموعة الكواكب فى العوالم السعيدة والعوالم الشقية ، حسب بعـدها عن الشمس • فقانون السماء متفق مع قانون الارض • وهذا القانون اللامتناهى اخلاص الكبير للصـغير ، والطيب للشقى ، والثرى للفقير ، والجميل للقبيح ، والعادل للظالم ، والفــرح للحزين ، والمبتسم لمن يقطر دما •••

انه فداء الظلمة بالنور ، والفجـر بالليل ، انه حجر الصليب الشهيد يخلص حجر المشنقة الاثم ، انه الزرع العطـــر يخلص الـــزرع السام ، انه الحيوان القوى ، انه الحيوان الرقيق يخلصان الحيـوان

المقدس ، انه الانسان البرىء يخلص الانســان المجرم · انه روح نالت الثواب تخلص روحا منيت بالعقاب ··· انه الفكرة الحقة تخلص الفكرة الزائفة · انه ، اخيرا ، النجــم اللامع يخلص النجم الباكى ، وتضحية الجثة الهائلة من اجل الجحيم ».

ومن أطرف الجلسـات تلك التى حضر هيجو فيها روح « النقــد » وراح يسألها عن رأيها فى بلزاك ، وجورج صاند ، وفولتير ، والفريد دى موســيه ، والنقد والنقـاد ·

وفيما يلى ، جزء من الحديث الذى دار بين « النقد » والحاضرين :

« – من هناك ؟

– النقد ·

– ألديك شىء تقوله لنا ؟

– نعم ·

– تكلم ···

– سل !

– ما رأيك فى بلزاك ؟

– انه مفتاح القلب الى ان جاء ، كان قلب الانسـان مغلقا · وكان باب روح الانسان مواربا · كان كل من شكسبير ، وهيجو ، وجـوته ، قد فتحوا باب الحب على مصراعيه لكن الالام الصـغيرة لهذا الالم العظيم ظلت مجهولة · وكان بلزاك المتحضر النبيـل الذى أحصى أنواع اليأس · لقد القى على روح المرأة الغربية المخدوعة نظرة عميقة جنونة ··· والتقط المنديل المبتل بالدمع ، والشريط الذابل ، وشــم الزهــرة الساقطة من باقة الحفلة الراقصة · وقبل القفــاز المعطر الذى هجره الحب ، ولم يهجره العطر ·· ورأى كل شىء فيما لا يرى ، ووجد كــل شىء فى المجهول ، وسمى كل شىء فى اللامعروف ···

– حدثنى عن جورج صاند

– امرأة ساقطة فقدت المرأة

– ساقطة بأى معنى ؟

– فى نظر المرأة التى تفديها ·

– لنتحدث بمزيد من الوضوح ·

– النساء يحتقرن ج · صــاند وهى التى رفعتهن من سقطتهن · منذ قدم الخليقة ، كانت الامتيازات للرجل ، والاعمـال للمرأة · كان العرش للرجل ، كان الملك ، والسيد، والمبدع ، والشــاعر ، وكثيرا ما فضل التغنى بالرجل ··· كانت المرأة أمة عند الاقدمين ، وخــادمة فى العصر الوســيط ، ومحظية فى العهــد البائد ، ومواطنة أثنــاء الثورة وأنثى فى عهد الامبراطورية





جاليليو

•• ولسوف تكون المرأة في المستقبل • وجورج صاند رسول مستقبل النساء ، لم ير بلزاك في المرأة الا الجانب الانساني • اما صاند فرأت فيها الجانب الاجتماعي ايضا ••• »

وفي النهاية ، نورد هذا النص الذي يتحدث روح المسيح فيه عن الثورة الفرنسية •

– هيجو – من هناك ؟
– روح المسيح •••

هيجو – سلام عليك ••• استمر في حديثك عن الاشياء العظيمة التي تقولها لنا •

– قال دين الفاطميين : آمنوا • وقالت المسيحية : آمنوا •• وجعلت كلماتهما اجيالا كاملة تجثو على ركبتيها • لكن ، ذات يوم ، دخل المعبد فجأة مجهول يلبس اسمالا بالية ، منفوش الشعر ، حافي القدمين ، أسود اليدين ، عالي الجبين ، ممسكا بعصا المستقبل الهائلة • وكان الشحاذ هو « العقل البشري » • كان المسافر في الضيق، كان السائر في الظلام ، كان المتنزه في الهوة السحيقة ، كان راعي الاسود ، كان راعي النمور ، ••• كان الكائن الذي لا يؤمن ، لكنه يفكر ، كان محدث الله العظيم ••• كان من يفض الحقيقة ، السائل المتمرد ، المحارب ، كان المجروح على متراس السماء المنيع الدامي ، حامل جرح الشك واثر جرح الفكرة كانتله اسماعيل ، جبينه اسمه موسى ، ونظرته سقراط ، وفمه لوثر ، وجراحه جاليليو ، وآثار جراحه فولتير • كان آتيا من الصحارى الاربعة : صحراء اسخيلوس ، وصحراء دانتي ، وصحراء شكسبير ، وصحراء موليير ••• كان يأتي حركات تخيف الاعمدة الرخامية ، ويهز قطعا من السحاب عندما يفتح معطفه • كان المتشرد الهادر الملتهب • كان اشبه بالصاعقة في طريقها الى سدوم • دخل وقال : « قفوا أيها الجاثون ! • أنتم تضيعون وقتكم هنا • سيروا يا من توقفتم ! •• لقد بدأ العالم الى العمل يا من ترتاحون ! •• الايمان نوم ، والعبقرية يقظة • أنا الفجر انهضي يا قبور ، انهضوا يا عبيد ! استيقظوا يا بكم ••• الى الامام أيتها الاشباح ! اسرعن أيتها التماثيل • ونهضت الجماهير المتشددة ، وتعد الفرسان السود ، وسمع صهيل ١٧٨٩ ، وقفز الشعب قفزة واحدة ، وامتطت المثل العليا صهوة الجواد •• »

ختاما ، ما الذي يمكن أن تقوله روح هيجو عن عالمنا الحاضر وما فيه لو أن أحدا فكر في تحضيرها ؟ •

حافظ
جميل

مع النديم

واصل منادمة العقار ... وحذار من صحو حذار
دع قصة الاحياء والموتى ... فمالك من خيار
ما الكاس كيف نعتهما ... سبب البقاء او البوار
كل امرىء وكتابه ... ما فى المنية من فرار
هات التى لولا محبتهما ... لما طال انتظارى
هات التى ان فارقتنى ... ساعة نفد اصطبارى
هات التى لم اقترف ... اثما بها لولا اضطرارى

هات التى اطفى بهما ... ماق حشاى من الاوار
هات التى توحى الى ... الشعر فطرى ابتكار
هات التى يحلو بها ... ان عربدت خلع العذار
بيضاء تسطع فى دجى ... ليل بطلعتها منار
ما زادها كر السنين ... سوى شباب وازهار
لو شمها ماش تيقن ... انه بجوار دارى
ولظل طيلة يومه ... سكران من مس اتجدار
ولرب مفتخر على ... بشربها جرح افتخارى

عب الزجاجة وارتمى ... وصحا يئن من الخمار
قلت التزيد اذا رغبت ... فلم يزد غير اعتذار
يا ويحه من مدع ... محروم علم واختبار
وانى بسابق معنما ... فى الليل يشرب والنهار
لم يدر انى قد تركت ... ابا نواس فى غبارى
او لم يكن للشيب فى ... راسى قليل من وقار
لبرئت من اهلى اذا ... لم يشربها ونهرت جارى
وصرخت فى وجه الالى ... لا يشربون على غرارى



ووقفت أسقى العابرين
وجعلت بيتى حانة
يا كأس مدى للفقير
لا شىء أعجب من هواه
منى عليه برحمة
يكفيك خالى بيته
ولطالما افترش العراء
يا كأس يا ذات الحباب
من لف جسمك باسمى
يفديك ورد العقيق
او لم تكونى نطفة
من أحرقوك وعلبوك
يا كأس ارهقنى الضنى
ما بال من عاداك يمعن
هيهات يفلح ان يرى
للصالحين شعائر
هم يعبدون الله من
وانا الذى اهواه لا
اهواه يرحم من يتوب
اهواه فى سرى واعلن
ان كنت لم انس بغيه
لا شىء أطلب غير عفو
والله غفار الذنوب

● بغداد ●

من الكبار الى الصغار
لتؤول بعد الى مزار
جميع أسباب اليسار
يصد فيك عن النضار
لا بائع فيها وشارى
من خاتم او من سوار
بلا وساد او دثار
لتر يهزا بالعوارى
وجلاك بيضاء الازار
وعند مى الجلنار
عذراء من نطف الثمار
وحولوك الى شرار
نصبا فكونى فى جوارى
فى احتقارك واحتقارى
وجهى حيالك فى ازورار
ليست بافضل من شعارى
خوف وذل وانكسار
عن جنة وعذاب نار
اليه من زلل العثار
عن هواه فى جهارى
شهادتى يوم احتضارى
الله فى دار القرار
كبير حول واقتدار

● حافظ جميل ●

د. سوزان إسكندر

يشير لفظ « السحر » فى الايطالية .. حسب ماورثته عن اللغتين اللاتينية واليونانية ـ الى الحركات والاشارات والالفاظ التي يقوم بها شخص يعتقد فى قوته الخارقة للطبيعة . ويقال له ساحر ، او عراف . او عالم فى العلوم الخفية ، بغية التوصل الى نتائج عجيبة لا يمكن الحصول عليها بالاساليب العادية ..

فالسحر هو « فن » الاقتناص والتحكم فى القوى الخفية للطبيعة والحياة ، واذ يتسع نطاقه نجد انه يشمل ايضا علم التنجيم بعالمه العقائدى القديم والمبنى على تجارب وتأثير الكواكب والاجرام السماوية على العالم الارضى ..

وينقسم السحر الى نوعين : سحر ابيض، كما يسميه الايطاليون ، ويهدف الى مقاصد طيبة ، وسحر اسود ويهدف الى اغراض شريرة تتعاون فى تحقيقها الارواح والجن ..

كان الاعتقاد فى السحر يشكل عنصرا هاما فى حياة أهل اليونان والرومان فقد كان الرومان يؤمنون بتأثير القمر على الاشياء ، فكانوا يعتقدون أن الازدياد المضطرد للهلال النامى يؤثر بدوره على الزرع والعكس بالعكس تتضح هذه العقيدة لدى الكتاب ممن اهتموا بامور الزراعة مثلا ، حيث أن كل العمليات التى تختص بالنمو وبانتشار البذور يجب أن يقوم بها الفلاح مع الهلال الجديد ، وكان ثمة جاذبية وتعاطفا غامضين يربطان بين نمو الكوكب ونبت الزرع ، وعلى الفلاح أن يطوع تأثيرها لصالح زرعه باختياره التوقيت المناسب . كما وأن عمليات قطع

دانتى : عاقب السحرة فى كتاباته



الشجر وتهذيب أفرعه ، كان يلزم القيام بها أيام خسوف القمر ، وكان حالة القمر في غيـــــابه تؤثر ما يماثلها من اثر على الزراعة ٠

من انواع السحر ايضا ما يقوم به الســـاحر من اعمال على جزء مكون لشيء ما ، فيسرى مفعـــول السحر على الجسم كله ، باعتبار ان ما يسرى على جزءيسرى على الكل ، فقصاصات الشعر او الاظافـــر او نقاط الدم المأخوذة مثلا من شخص يستفيد بها المشعوذ في اتمام عمله السحرى ، وكل ما يؤديه تجـاهها من تصرفات كالحرق او الاغراق او التمزيق او غيرها من الاعمال الضارة او النافعة ايضا ، تعود بنفس التأثير على الانسان صاحب هذه الاجـزاء الصغيرة ، واخذ بهذه « العقيـدة » كان الرومانيون يخفون اية اشـياء تخصـــهم فلا تقع في أيد قـــد تؤذيهم ٠

حتى الاسم نفسه يعتبر جزءا مكونا للانسان ، بل هو روح الانســـان ذاتها ، فمن يتعرف على الاسم يتمكن من ندائه ومناجاته متى شاء ، وعلى ضوء هذا المفهوم يمكن تفســـير الظاهرة المنتشرة بين البدائيين والتي تتمثل في فزعهم من الافصـــاح عن اسـمائهم الحقيقية ، وتخفيهم وراء اســـماء مستعارة او صفات متعارف عليها ، من هنا قدم لنا التـــراث الخرافي اللاتيني القديم سلسلة من الاقاصيص تعتمد في حلول مشاكلها على معرفة الاسماء ، ومن هنا ايضا كان الكهنة الرومانيون القدماء يخفون الاسم الحقيقي لروما ، خشـــية ان يستخدمه اعداؤها في محـــــاولة الاضرار بها وبقوتها وسطوتها ٠

وتتعدد مفاهيم وأســاليب وأغراض الســـحر عند الـــرومان ، كما هو الحال عند غالبية الشعوب المعاصرة لهم ، ورغم التطورات الحضارية التي طـــرأت على الاراضي الـــرومانية ، وتتوسطها شبه الجزيرة الايطـالية ، ورغم انتشــــــار الاديان السماوية وعملها على تغيير هذه المفاهيم ، الا أنها لم تمح كلية من اذهـــان بعض الناس ، بل تركت احيانا اثارها في الفولكلور ٠

واذا ما تصـــفحنا مؤلفات الادب الايطالي نجد موضوع السحر مطروقا لدى الكثيرين ، فقد التقى «دانتي» (١٢٦٥ ـ ١٣٢١) في كوميـــديته الالهيه مثلا بمعشـــاهير العرافين والنجمين ، فيصور لقاءه معهم في الجحيم ، حيث يتلقون عقـــوبتهم الابدية ٠ ففي الانشودة العشرين من « الجحيم » يراهم دانتي من فوق : « في القاع الغارق في بكاء مرير »٠٠ « اناسا ، تسير صامتة ، دامعة »٠ وحيث انهم قد غالـــوا ـ بلا شك ـ في حياتهم فمدوا ابصارهم الى الامام لكيما يتكشفوا عالم الغيب والمستقبل كتب عليهم ـ والى الابد ـ بدوران رءوسهم ووجوههم الى الخلف !

من بين العـــرافين والمنجـــمين والسحـــــرة ، الذين قابلهم دانتي ورأى عذابهم ، نذكـــر « تيريزيا »

عراف «طيبة» المشهور ، الذى كان يمارس « فنه وعلمه » على جيوش الاغريق أيام حرب الملوك السبعة ضد طيبة ، يقول «دانتي» اذ يراه :
« رأيت تيريزيا ، الذى غير شكله فتحول من ذكر الى أنثى ، وبدل أعضاء جسمه كلها ، ثم عاد ليضرب ، بعصاه الحيتين المتعانقتين ، فعاد الى هيئة الذكر »·

« ودانتي » اذ يستعرض المعذبين فى هذا الوادى الحزين يقول أيضا « رأيت اللعينات ، ممن تركن الابرة، والمغزل وكن عرافات ، والشر فعلن بالعشب والصور »·

وواضح أن « دانتي » كان يذكر فى هذا المجال الساحرات ممن كن يستخدمن فى فنهن عصارات الاعشاب أو الصور المصنوعة من الشمع أو من أى مادة أخرى ويقمن بتحطيمها أو حرقها بغية الحاق أشخاص معينين بضرر مماثل ·

ويكفينا الاستشهاد بألفاظ هذه الأبيات الشعرية الثلاث ، فهى تعبير صادق عن احساس شاعر العصور الوسطى تجاه عالم السحر والسحرة، ولم لا ؟·· ان دانتي ، رغم علو مكانته بين كبار الشعراء ، لا يخلو فنه من نبرات المعلم المصلح ، الذى يرسى للانسانية دعائم السعادة · والسعادة ، التى يتمناها « دانتي » مبنية على السير فى الطريق القويم والبعد عن كل ما يتنافى ويتعارض مع التعاليم الدينية والمثل العليا والمبادىء الاخلاقية ·

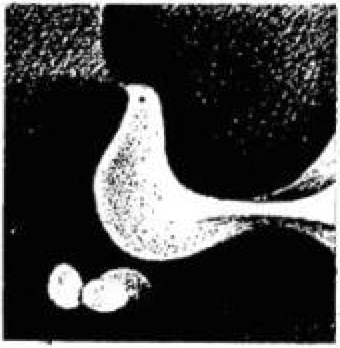
واذا ما كان « دانتي » قد عاقب السحرة فى كتاباته ، فهناك كتاب اخرون عالجوا هذا الموضوع باسلوبهم المخالف تماما لهذا المفهوم·
فاذا ما قرأنا « أورلاندو الثائر » لكاتبه « لودوفيكو اريوستو » (١٤٧٤ ـ ١٥٣٣) وهو من أعظم الشعراء ممن كتبوا بروح النهضة الايطالية ، فى أوج نضجها الادبى ، نلاحظ الفارق الشديد بين الاسلوبين·
وديوان الشعر المعنون « أورلاندو الثائر » ينتمى ـ من حيث الاسم ـ الى « أشعار البطولة »، التى ترنمت ببطولات فرسان الامبراطور شارل الاكبر ، والتى أصبحت تقليدا أتبعه شعراء العصور وأستمر حتى القرن السادس عشر ·

نسج شاعرنا وقائع روايته الخيالية على أرض معارك قامت بالقرب من باريس ، وطعمها بالعديد من المصادفات ، والاحداث ، لكيما يتغنى ـ ضمن ما تغنى ـ ببطولات ومغامرات « برادامانتي » (المحاربة البطلة) « وروجيرو » (الفارس القوى) اللذين أنجبا عاهل « عائلة امراء ايست » حاكمة فيرارا ·

يرتكز الحدث الرئيسى للرواية على عذاب أورلاندو (أشهر فرسان شارل الاكبر) من أجل هروب انجيليكا

وبحثه عنها بلا جدوى . تهـــرب انجيليكـــا من قصر الامبراطـــور شـــارل الاكبـــر حتى لا تقيم حبيسة به ، وحتى لا تحـــول بفتنتها دون الانتصارات التى يجب ان يحققها اقوى واشجع فرســـان الامبراطور وهما اورلاندو وابن عمه « رينالـــــدو » اذ وقع كلاهما فى حبائل حبها .

تتعرض انجيليكـــا فى تجوالها الى سيل من المغامرات تنتهى بزواجهـــا من « ميدورو » المحارب العربى . يتحقق اورلاندو من الامر فيثـــور ويصل به الامر الى الجنون ، فيترك البلاد الى اسبانيا يطوف بها هائما، فاقد الادراك ، ويظل على هذا الحال حتى يعمل « اســـــتولفو » على استرجاع عقله،فقد سعى «استولفو» الى القمر على متن « حصان طائر » وهناك وجد عقـــول الادميين المفقودة فى اقتفاء اثار اوهام واهية . يعثر بينها على عقل اورلاندو فيحملـــه له عند رجوعه على الارض !..



من الواضح ان من يقرأ صفحات « اورلاندو الثائر » يعيش فى اجواء من الخيال العجيب ، اراد الشاعر ان يحيط بها شخصـــيات ومواقف كتابه ، فما يلبث شـــاعرنا حينما يبدأ أبيات قصصه حتى يحدثنا عن نبعين مسحريين فيقول متحـــدثا عن مفعول مشروبيهمـــــا على مشـــاعر « انجيليـــكا » و « رينالدو » يحب رينالدوا انجيليكا « اكثر من الحياة، بينما تكرهه وكأنه أبشع من العقاب ويستطرد مفسرا فيقول :

« وكان ان كرهها اكثر من الموت ،
وأحبتـــه هى : والان تغير كل شيء
حركهما نبعان ،
فى مائهما مختلفين .
كلاهما فى « اردينا » وليسا ببعيدين
يملأ احدهما القلب بالحب ،
ومنه يحرم من يشرب من الاخر ،
فيصير ثلجا ما استعر وما اضطرم
تذوق رينالدو من الاول،فحطمه الهوى!
نهلت انجيليكا من الاخر،تكرهه،تنشد الهرب »

وهكذا يتحول الحب « والكـــراهية » الى نبعين ، الى مشروبين سحريين ، وهكذا ينظر شاعرنا الى الانســـان وكأنه لعبة تلهو « الطبيعة » بها .

واثناء هروب انجيليكـــا من مكان الى اخـــر تتقابل مع فرســـــان ومحاربين من كلا الجيشين المتحاربين فتفتن بجمالها من يـــراها ، ومن بين من قابلتهن وشـــــغفوا بها نرى « ساكريبانتى » وكانت تبادله مشاعره حتى اثار ذلك غيرة رينـــــالدو .

ويتبارزان حتى يغلب احدهما الآخر فيحظى بانجيليكا ، الا ان انجيليكا تخشى غلبة رينالدو فتستأنف الهروب حتى تلتقي بشيخ يعيش متوحدا ...

تسأله عن ثغر على البحر ، حتى تتمكن من الخروج من فرنسا وتحاشى رينالدو فتنهي مأساتها ، الا ان الشيخ ، ويتضح انه عراف ، يهدىء

من روعها ثم يخرج من جيبه « كتابا سحريا » ... والا يكمل الشاعر

حديثه يقول ! « اخرج كتابا واظهر قدرة عظيمة ، فما ان قرأ اولى

صفحاته ، حتى انطلقت من الكتاب روح لها هيئة الخادم » . يمثل هذا

الخادم امام سيده لينفذ اوامره ، فيرسله الشيخ ليقف بين المتحاربين

ويحول دون تماديهما في المبارزة ، فيفهمهما ان اورلاندو قد اصطحب

الفتاة الى باريس . يقول لهما

الخادم : « اود ان يشرح لي احدكما ما جدوى ان يقتل احدكما صاحبه »..

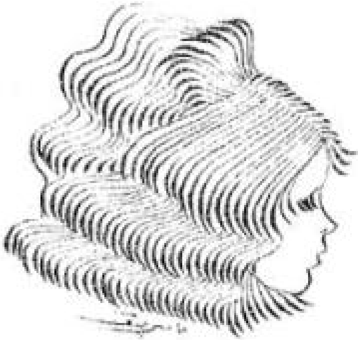
ودون عراك او مصارعة صحب اورلاندو الى باريس من من اجلها تتصارعان » .

وكان ان اضطرب الفارسان لهذا

النبأ واقسم رينالدو ان يثأر من اورلاندو فترك العراك في الحال

وامتطى جواده وانطلق مندفعا كالسهم نحو باريس .

قد تتداخل الاحداث مع بعضها



فيتوقف شاعرنا حينا عن تتبع خطوات هذه الشخصيات لكي يستأنف

هذا الامر فيما بعد ، فهو مضطر لاخلاء المجال الى ابطال آخرين فرضت مغامرتهم المثيرة اهميتها . هكذا نلتقي بـ « روجيرو » و

« برادامانتي » في صراعهما وبطولاتهما ، ويحتل « روجيرو » في

شعر « اريوستو » مكانة واهمية لا تقل ابدا عن اهمية اورلاندو الذي

سمى شاعرنا مؤلفه باسمه . واذا ما كان قد علا شأن اورلاندو الفارس

البطل الذي حقق انتصارات عظيمة في جيوش الامبراطور شارل الاكبر

حتى اصبح اسمه اسطورة يتغنى بها في كل مكان حتى في ايطاليا ، فربما

اراد شاعرنا الايطالي تخليد اسم سلالة مدينته « عائلة ايست » وكان

يعمل سفيرا من قبل هذه العائلة الحاكمة لمدينة فيرارا .

فلا عجب اذا ما نسب اريوستو اجمل الصفات واقوى البطولات حتى الى « برادامانتي » الجميلة الرقيقة

التي تتقمص ثوب الرجال وهي تناضل بجوار حبيبها « روجيرو ».

ويحكى لنا أريوستو فى كتابه أن الساحر « أتلانت » اذ يخشى على حياة روجيرو فى ميدان القتال واذ يعمل على الابقاء على هذا البطل العظيم الشأن يخفيه داخل قصر مسحور ... تفتقده برادامانتى ولا تكف عن البحث عنه بين الفرسان .

ويحدث أن تلتقى بامرأة قال عنها شاعرنا « امرأة روحانية » .

تلتقى اذن ، برادامانتى بالساحرة « ميليسا » التى تقودها نحو قصر « أتلانت » وترشدها للطريقة التى تمكنها من اخراج روجيرو من سجنه. فتشرح لها كيف تستطيع الحصول على الخاتم السحرى « الذى يخفى الاجسام عن الابصار وهو فى حوزة « برونيلو » حارس القصر .

وبعد أن تعطى ميليسا لبرادامانتى أوصاف الحارس حتى تتعرف عليه بسهولة ، تناشدها أن تباغته لتقتله قبل أن يخفى نفسه عن عينيها تقول لها : « ... فسيختفى عن عينيك ، فور أن يضع الخاتم المقدس فى فمه ».

هكذا يستطرد شاعرنا فى شعره القصصى يصور لنا مشاهد روايته المعقدة المتشابكة . واذا ما تبعناه التقينا هنا وهناك ، وعلى مدى الرواية كلها ، بمواقف ومشاهد وأحاديث يحركها عالم السحر ، سواء كان هذا ممثلا فى الاشخاص التى تدين به وتمارسه كالسحرة والعرافين والمنجمين والمشعوذين مثال « أتلانت » ، « الشينا » « ميليسا » أو فى الوسائل التى تخدمه « كالكتاب السحرى » « والخاتم السحرى » « والنبع السحرى » ، حتى الاماكن نفسها لم تخل من السحر فهو يتحدث عن جزيرة الشينا السحرية ، وقصر أتلانت الساحر ، ويتناول هذه الاماكن بوصف دقيق مشوق .

ونجد أنفسنا محاطين بجو خيالى عجيب مسحور ، واذا بشاعرنا يبتسم مازحا وراء أبيات شعره ..

لقد تناول موضوعا طالما تناولته أقلام الكتاب والشعراء وهو موضوع الفروسية وما كان لها من شأن فى العصور الوسطى ، الا أنه يتناوله بشىء من المزاح اللطيف ، لم يعد شاعرنا — وهو المعبر عن العقلية الايطالية فى عصر النهضة — يهتم بمثل فقدت رونقها من زمن ، وغدا ذكرها وكأنه خرافة .. كالسحر تماما .

ربما أراد شاعرنا — كما سبق وذكرنا — تخليد ذكر حكام مدينته ، فاختار هذا الاطار ، وربما ترفع شاعرنا عن أن يقحم نفسه فى لون من ألوان شعر الحماسة التقليدى الذى قد لا يتناسب وطبيعته فهو قبل كل شىء شاعر غنائى. لذا ارتفع فى شعره بالأحداث والشخصيات التاريخية وتخطى بها الحدود الجغرافية والزمنية ، فما يرويه ويتغنى به فى قصيدة لا يختص بفرسان الامبراطور شارل الاكبر أو بعاهلى عائلة « ايست » فحسب ، ولكنه يشد انتباه أى قارىء ، يقرؤه فيفهمه ويتأثر له ، فهو نابع من عمق انسانى لا يؤمن الا بالانسان ، فلا ريب اذن لو اختلطت الاحداث التاريخية بالخرافة ، والواقع بالخيال لدى شاعرنا « أريوستو » الذى كان يؤمن بالفن كوسيلة وغاية .

عاطف مصطفى

السحر في عالمنا المعاصر

حوار مع لفيف من العلماء والمفكرين



الشيخ احمد حسن الباقوري

حول السحر والسحرة تثور مناقشات كثيرة . تختلف الآراء وتتباين ، وتثور المناقشات وتحتدم ، وعلى الرغم من ورود السحر فى القرآن غير مرة ، فان الفقهاء يدعون بوجه عام الى تركه ، لما فيه من اساءة الى الناس وتعريض حياتهم الى المخاطر نتيجة الوهم الذى يصيبهم لوقوعهم تحت تأثير أنواعه المتعددة .. الدجل ، والشعوذة ، « والعمل » ، والاحجبة والرقى .

وفى هذا اللقاء يتحدث لفيف من علمائنا ومفكرينا حول السحر فى عصرنا الحديث ودلائل وجوده علميا ، لتضع الامور فى نصابها الصحيح ، ولتتسم حياتنا بالعلمية دون ان نوغل فى الخيال ، ونجرى وراء الاوهام .

موجود يقينا ولكن !

يقول فضيلة الشيخ أحمد حسن الباقوري : أما أن السحر موجود حقيقة ويقينا فهذا ما لا يستطيع أحد أن ينقضه ، فالنصوص الواردة في الدين الاسلامي أو غير الاسلامي تعترف به ، وتؤكده ، وتنهى عنه ، وتحذر منه ، ويروى لنا القرآن رواية المؤرخ والمحذر والمنذر صورا من السحر عند قدماء المصريين في سياق رواية لمعجزة موسى في ابطال سحر سحرة فرعون .

وثمة في القرآن سورة صغيرة هي سورة « الفلق » تستعيذ بالله من شر ما خلق ، ومن شر غاسق اذا وقب ومن شر النفاثات في العقد .. أي الساحرات ينفثن في العقد سموم التعاويذ المجهولة ويبغين بها الشر المستطير .

فالذي يذكر السحر يتصدى لمعاندة القرآن بلا حجة ، ولست أرى في العلم الحديث ما يمنع من قبول هذا ، اذا لاحظنا حقيقة يقرها الواقع ولا يشك فيها احد ، وهى أن بعض البلاد تكتشف فيها احجار منقوش عليها نقوش غامضة معينة ، وما دام هذا الحجر مدفونا في منطقته التي هو فيها تحت الارض وبحالته التي هو عليها فلا يدخل هذا البلد عقرب ، حتى اذا وقع الحجر أو كسر ، امتلأت البلد بالعقارب ، وهذه واقعة رأيتها في بلدي فلا أكذبها ، الا اذا كذبت نفسى ، وهى موجودة في صعيد مصر في مدائن حول البلينا كما أخبرني بذلك الاستاذ الدكتور محمد قناوي استاذ اللغة العربية في الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة الآن .

فاذا ثبت هذا ، وهو عندي ثابت، فبماذا أعلل عدم دخول العقرب اذا كان فيه حجر، ودخول العقارب اذا خلا البلد من هذا الطلسم ؟

فاذا انت قبلت هذا سحياك اللغ ولابد من قبوله مع عدم وجود أمر مادى ملموس فيه فلن يسعك أن تنكر السحر ، وقد كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ بالله من الشرور وفي ذروتها السحر والحسد ، وكان يعوذ الحسن والحسين وكل من يتقدم اليه من أبناء المسلمين والمسلمات .

وفرق بين السحر والتبرك أو التفاؤل أو التطير ، ثم فرق بينه وبين التعاويذ والتمائم وآيات القرآن التى يحتفظ بها بعض الناس على سبيل البركة ... على أن الاحتفاظ بالقرآن كله أو آيات منه ان لم يكن على سبيل الرجوع اليه

د. سعيد عبده



السحر في عالمنا المعاصر

والاستفادة منه وتلاوته ، فهذا مالا فائدة فيه ، فالقرآن انزل ليقرأ لا ليستخدم تمائم واحجبة .

ثم يبقى بعد ذلك موقف العلم من السحر ، والعلم يرتكز على المادة ، والدين يعتمد على تغلغله في الروح ، ومنهج العلم غير منهج الروح ، فالروح لا تنقلب الى مادة ، كما أن المادة لا تنقلب الى روح ، وهذا هو السبب في ان هناك فارقا بين منهجين ، والواقع أن كلا منهما يمثل شارعا أو دربا قائما بذاته ، فالسائر في احدهما لا يمكن ان يسير في نفس اللحظة او المكان في الاخر .

فالعلم الذى وصل بالصواريخ الى القمر قائم على امور مادية ملموسة ومدروسة ، أما السحر فانه موصول بمعان روحية ، فمن الظلم ان تكلف المعاني الروحية ما كلفته المعاني المادية . ومهما يكن من أمر الايمان المطلق بالاسلام ، يتضمن الايمان بكل ما نص عليه القرآن ومنه السحر ، وان كان السحر مكروها ، بل ان الساحر واجب قتله شرعا لأن الساحر يفسد عقول الناس ويقتحم حياتهم وينكد عيشتهم .

السحرة كانوا يحرقون !

والدكتور مجيد عبده لا يؤمن لا بالسحر ولا بالسحرة ، والاشياء المنسوبة الى السحر والسحرة هي دعايات يقوم بها اشخاص لانفسهم ويقع في الايمان بها اشخاص جهلة او متجاهلون ، او مرضى . ولعل في هذا الايمان ما يستطيعون استغلاله كل فيما يهمه . فالمريض مثلا من ايمانه بالسحر ، ومن تصوره لساحر ما يستطيع ان يفيده ، قد يجد فائدة فعلية في هذا الايمان ، وهذه هي الطريقة التي كانت سائدة في عهد مصر الفراعنة حيث كان الاطباء هم الكهان ، وكان هؤلاء الكهان يعينون المريض للعلاج عادة بشيء من السحر أو من التراتيل والصلوات ، وبشيء من التمائم والتعاويذ ثم يصنعون له مع ذلك الدواء الذى يرونه حسب معارفهم في ذلك الوقت .

وكانت السكينة التى تغرسها هذه الطرق كلها في نفس المريض تؤدى وظيفة هامة فعلا في الشفاء، شأنها في ذلك شأن ما يستطيع الطبيب الآن أن يمهد به نفس مريضه لعلاجه الحديث بالكلمة الطيبة والوجه المشرق ، والامل الذى يبدو من كل كلمة يقولها او تعبير يظهر على وجهه .

اما عن الجهلة فاغراؤهم بالسحر ميسور تماما ، فانهم مريعو التصديق بكل ما يخرج عن دائرة معارفهم ، وما السزار في الوقت الحاضر الا صورة من صور هذا الجهل الذى استطاع أن يستعبد اتباعه واشياعه ويجعلهم فرائس سهلة في ايدى مجموعة من الدجالين والمشعوذين ...

ولعل امر السحر من حيث المرض ومن حيث الجهل شيء يمكن تفسيره. انما الذى لا يمكن تفسيره بحال من الاحوال هو امر العلماء المتجاهلين الذين يحاولون استثارة الناس بما يقولون أو يكتبون في

هذا الشأن مستترين به الاتقياء أو التعظيم أو الاعجاب والتقدير ، أو المخالفة للنواميس العامة بقصد الشهرة عن هذا الطريق .

واعتقد ان السحر الذى ذكر فى القرآن كان له هدف آخر غير الاهداف التى نفهم بها السحر فى الوقت الحاضر ، ولعل ذلك السحر كان ينبنى على قوة الشخصية ، وشىء مما يمكن ان نسميه بالتنويم المغناطيسى الذى يستطيع بقوة هذه الشخصية ان يجعل من هم اضعف منه يرون ما يراه .

وفى قصص القرآن الكريم آيات كثيرة تشير الى السحر بالنسبة للأنبياء ، والواقع انه بالنسبه للنبوة فان الاعجاز الذى يصدر عن الانبياء والخوارق التى يمكن ان تتم على ايديهم فهذا امر تختص به النبوة دون سواها .

والعلماء والاطباء القدامى الذين كتبوا تاريخ العلم والطب لم يبد من أى منهم ايمان بما تحدثوا عنه فى هذا الصدد . واذا كان السحر قد اتخذ فى القرون الوسطى ، قرون الجهل والكلمة طابعا معترفا به من مجتمعات هذا الزمان، فاننا لا ننسى على الاطلاق أن السحرة كانوا يحرقون ، وكان يمثل بهم شر تمثيل ، وليس هذا مما يدعو الى أى اطمئنان لما كان يروى عنهم من معجزات لا يمكن أن تتفق مع العقل ولا مع الناموس العام .

العلم اقوى من السحر

يقول الدكتور مصطفى محمود حول مدى تصديق الجوانب التنفيذية فى المشاهد السحرية التى يراها : اننى لا أستطيع أن افتى فى هذا الموضوع برأى قاطع ، لانه يحدث أن ارى امامى حروفا من السحر . ولا أستطيع أن اجزم بصدقها ، ومن الجائزاننى مخدوع بخفه يد الساحر أو بمسائل غيبية لا أستطيع أن اراها مثل الذين يقومون بتحضير الجن وتسخيرها وتفسيرها ومن أين اتى بهذا الجزم فيما اراه كائنا وحقيقة ...

قد يجىء ساحر ويأخذ منى ورقة مالية قدرها عشرة جنيهات ويحرقها ثم يعيدها مرة ثانية فهل هذا صحيح أو استبدلت بأخرى بطريقة خفية ، وما احرق فى الحقيقة هو الورقة ذات العشرة جنيهات .. فخدع هؤلاء كثيرة ومتشعبة .

وان الذين يزعمون بتحضير الجن يعترفون فى النهاية صراحة بأن ما يحرق اثناء الجلسة يكون مواد مستبدلة وليست هى الورقة الصحيحة .

والمسألة كلها عماء فى عماء ، وانا ارى أمامى خوارق ، ولكن هل الخوارق لها أصل فى الحقيقة أم هى خدع ؟.. اننى لا أستطيع أن اجزم بهذا .

وهذا القول لايعنى أننى اطعن فى وجود الجن أو الغيب أو السحر ، فالسحر نفسه حقيقة وردت فى القرآن الكريم، لكن أساليب السحر وهو علم قديم اندثر ، واكثر الذين يدعونه مشعوذين .

العلم نفسه اندثرت أصوله والذى يعرفه قلة نادرة قد تصل واحد فى المليون ، وهذه القلة القليلة كانت تعيش فى بابل ، اما الكثرة الموجودة الان فهم مدعون ومشعوذون ، ولا اشجع احدا بالجرى وراء السحر والسحرة . فنحن فى عصر العلم اعطانا وسائل اقوى بكثير من

السحر . فالعلم أعطانا الصاروخ الذي نصل به الى القمر ، فأى سحر من الممكن أن يوصلنا الى القمر بمسافة ممكنة .

ولا اعتراف ابدا بأن هناك سحرا الى جانب ما أعطانا الله من علم ، فلا يصح ان نشجعه ابدا ، والله سبحانه وتعالى يقول : « لا تقفوا ما ليس لك به علم ، ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا ».

ومعنى هذا ان نؤمن بالواقع البين المحسوس ولا نجرى وراء الغيب ، وانا لا اطعن في الغيب « الملائكة والجن » فهى حقائق ثابتة ، لكن الله نصحنا ان نسير وراء المعلوم ونترك المجهول ونستغير حواسنا المتعددة التى وهبها الله لنا « السمع والبصر والفؤاد ».

وحتى على فرضان بعض السحرة صادق فيما يفعل فيجب الا نؤمن بهذا لاننا نملك الوسائل الاقوى .. ومادام الله قد اعطاها لنا « العلم ومستحدثاته » فيجب ان نؤمن بالواقع ونبتعد عن الغيبيات ...

دجالون لابتزاز المال !

يقول الدكتور رءوف عبيد : ان هناك اشخاصا كثيرين يؤمنون بالسحر والسحرة ، ومنهم علماء ولا تخلو بعض المراجع العلمية من اشارات عن ظواهر غريبة يعجز عن تعليلها العلم المادى ، وهذه الظواهر سجلها كثيرون من الرحالة في بلاد أواسط افريقيا وفي الهند ايضا ، خصوصا عند فقراء الهيملايا وتثبتوا من حدوثها مثل سير بعض الاشخاص على النار دون أن تلحقهم بأى أذى ، وقد شاهدت فيما مضى ، حاويا ، معروفا كان يعيش بمدينة الاقصر يدعى موسى الحاوى كان يأمر العقرب بالحركة فتتحرك او بالوقوف فتقف ، وقد كتب عنه عدد من السائحين العلماء فيما كتبوه عن زيارتهم للاقصر .

واذكر ايضا أن المرحوم حبيب جاماتى عندما زار الهند منذ حوالى ثلاثين او اربعين عاما سجل ظاهرة وقوف الحبل العادى منتصبا الى أعلى كالنخلة تحت تأثيربعض فقراء الهنود وتسلق احد الصبية الصغار هذا الحبل كما يتسلق الناس نخلة بالضبط ولكى ينفى خداع الحواس التقط عدة صور لهذه الظاهرة ونشرها فيما اذكر مع وصف دقيق في احدى المجلات المصرية .

فهناك ظواهر كثيرة يعجز العلم المادى عن تعليلها ولا يمكن رفضها متى ثبتت بالأدلة الثابتة الناقدة ...

ولكنني أضيف حقيقة هامة في موضوع السحر حتى لا يضطرب في عقول الناس ... فالسحر مستقل تماما عن موضوع الظواهر الروحية ، وصلته بها كصلته بعلم النفس او الاجتماع أو بأى علم آخر من العلوم الانسانية لدرجة أن جميع المراجع الروحية خالية من الحديث عن السحر ، ولكن هذا لا ينفى أن الظواهر الروحية بصورها غير



د. مصطفى محمود



د. رءوف عبيد

مألوفة وان كانت مستقلة تماما في مصدرها وفي تأصيلها وفي تحليلها وفي آثارها عن ظواهر السحر ان وجدت واقول ان وجدت لأن الظواهر الروحية لم يعد مشكوكا فيها واصبحت محل دراسات جادة في جميع الهيئات العلمية في الخارج تحت اوصاف شتى مثل « الباراسيكولوجي » وما وراء الروح وعلم الروح · أما ظواهر السحر فهي لا تزال محل نفي واثبات ، ولا تزال محتاجة الى دراسة كافية لكي نثبت أو ننفي وجودها بطريقة حاسمة ونهائية · ومع العلم بأن العلم الحقيقي لا يصح أن يهرب من دراسة اية ظاهرة غريبة قد يمر بها الآن الظواهر الغريبة مهما بلغت تفاهتها اذا كانت صادقة وبعيدة عن الشعوذة او الخرافة قد تكشف عن حقائق خطيرة تمس المعطيات السائدة في دوائر العلوم المادية وما وراء المادية ·

ومما استرعى انتباهي وأنا اقرأ مئات المراجع الاجنبية عن الظواهر غير المألوفة ·· انني لم اجد اشارة واحدة لشيء اسمه « العمل » أو الكتابة او الحجب بالمعنى الشائع في بلادنا ، ومما لا ريب فيه أن هناك في مصر دجالون كثيرون يشعوذون على السذج والبسطاء ويبتزون اموالهم باسم عمل «حجاب» أو «كتابة» أو ما أشبه . وللاسف الشديد فهذا الموضوع يجد في بلادنا رواجا غريبا ، وتصديقا شائعا ، ولكني لا أعتقد أنه يستند الى أي اساس من الواقع وأن الموضوع كله عبارة عن ابتزاز لاموال الضحايا ، وقد انتشر الاعتقاد في « العمل » في بلادنا لعوامل كثيرة منها انتشار الجهل والسذاجة والخرافة ، ومنها للأسف العظيم انتشار الاحقاد ، وعدم بلوغ الاخلاق الى المستوى المطلوب في كثير من الحالات ، ولا ريب أن كل افعال عمل الحجب والتمائم وما اشبه تخضع لاحكام قانون العقوبات بوصفها من صور الاحتيال المعاقب عليه ولا ريب أن كل مجتمع راق علميا وخلقيا ينبغي أن يدين مثل هذه الامور والا يسمح لها بالانتشار ، وكم لها من ضحايا ·

وقد يعتقد الناس أن بعض صور « العمل » أو السحر تنتج اثرا فعالا عند الشخص المقصود بهذا العمل ·· وردى على هؤلاء :

لنفرض جدلا أن « عملا » عمل مثلا لكي يمرض الشخص المقصود ، ومرض فعلا هذا الشخص المقصود ، فكيف نثبت وجود رابطة السببية أو ارتباط العلة بالمعلول بين الامرين . ان كل الناس عرضة للمرض ، وكل شخص لا بد أن يمر بأدوار متعاقبة من الصحة والمرض فلا يوجد دليل علمي مقبول على أن هذا « العمل » هو العلة الحقيقية للمرض ، فمحتمل اذن أن يكون الامر محض مصادفة بل محض مصادفات وعندما تتحقق بالفعل يذهب الناس في تأويلها مذاهب شتى قد يخدم بعضها للاسف العظيم انتشار الخرافة والشعوذة .

واحب ان اؤكد مرة اخرى ان موضوع الروح والدراسات الروحية التي جرت والتي تجري الآن مستقلة كل الاستقلال عن موضوع السحر ويعنيني ان اؤكد هذا بوجه خاص لان موضوع الدراسات الروحية لا يزال محوطا بسوء الفهم عند بعض المثقفين حتى الآن . فالظواهر الروحية ليست اكثر من ظواهر نفسية كان يهرب فيما مضى علم النفس القديم من تحقيقها ، ولما خضعت للتحقيق اقتنع بها صفوة العلماء والفلاسفة في الغرب ووجدوا فيها ضالتهم المنشودة لاثبات روحانية الانسان والكون وبوجه خاص لاثبات دوام الحياة بعد الموت وخلود الروح الانسانية ووجود نواميس خلقية طبيعية ،ووجود امكانيات لا حصر لها لتعزيز الايمان بالله تعالى وبالاعتقاد الديني في انقى صوره ، وايضا في تأييد النقد في أسلوب الفلسفة الوضعية للوصول الى حقائق الوجود وفك بعض الغازه واسراره وكل هذا مستقل تماما عن دعاوى السحر وما يرتبط به من امور .

الجن .. ورؤية غير المنظور !

ويضيف الدكتور مصطفى الديواني قائلا : أن الحديث عن السحر يشدني الى عالم الارواح والى أسطورة الجن والجان ، والجان هو أبو الجن، كما أن ادم أبو البشر ، وليس ادل على وجود الجن من تكرار ذكره في القرآن الكريم ، ولنقرا سويا الايتين ٢٦ ، ٢٧ من سورة الحجر اذ يقول سبحانه وتعالى: « ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون ، والجان خلقناه من قبل من نار السموم » أى انه سبحانه وتعالى خلق الجان «أى أبو الجن » قبل ادم عليه السلام « وهو أبو البشر » ثم انظر الى الايتين ١٤ ، ١٥ من سورة الرحمن « خلق الانسان من صلصال كالفخار ، وخلق الجان من مارج من نار . فبأى الاء ربكما تكذبان » ثم اقرأ الايتين ١ ، ٢ من سورة الجن ، والايات ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٢ من سورة الاحقاف ، والاية ٣٩ من سورة النمل التي تقول« قال عفريت من الجن أنا اتيك به قبل أن تقوم من مقامك » .

والجن عالم من العوالم المستورة مكلفون كالبشر باتباع الرسل ومنهم المؤمنون ومنهم الكافرون . الم تركيف يأمر الله رسوله في سورة الجن : «قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن» أى قل يا محمد للناس أنك اخبرت بالوحى من الله تعالى أى أن محمدا



د. مصطفى الديواني

صلى الله عليه وسلم نفسه لم يرهم وهم يتناسلون ويطعمون ، ولهم القدرة على الخروج من صورتهم الى صور اخرى ، والشياطين منهم يوسوسون للناس والبشر ويستطيعون أن يدخلوا جسم الانسان ويجروا منه مجرى الدم وينفردوا بالسيطرة على تصرفاته ، ويهبوه القدرة على رؤية غير المنظور ، بجانب قدرات أخرى.

ولقد صادفت في حياتي اشخاصا يحدون على الاصابع لديهم القدرة على الاتصال بهذا العالم الشاسع وهم الذين يقال عنهم انهم قد اخوا الجن ومن خلال ذلك يقومون باعمال تثير الدهشة ولا يتطرق الشك الى كونها في غير مقدور البشر العادي. ويمكنك أن تسمي هذا سحرا اذا شئت . ولكني مهما حاولت ربطها بالفكر العالمي المعاصر الذي يحاول احيانا الترفع في تحد عن تصديق هذه الاساطير فاني متمسك دائما بأبي القاسم جمعاء . القران الكريم والذي تحدث عن الروح والجن ، وليس امام ابن آدم العاجز عن ادراك اسرار هذا الكون وما وراءه مهما اوتي من العلم الا ان يصدق او لا يصدق .

السحر عند العرب القدامى

ويحدثنا الدكتور أحمد كمال زكي عن وجود السحر فيقول : السحر كما يقرر العلامة فريزر صاحب الغصن الذهبي مرحلة حضارية لابد من تقديرها وأساسها علم لم يكن يملكه الا جماعة خاصة ، والاصل الحقيقي لنشأة هذا العلم ضاع في ضباب الازمنة الموغلة في القدم ، ولكن يمكن الاعتماد على بعض القصص الخرافية التي يؤازرها أصحاب « علم الانسان » او الانثروبولوجيا ، ويرونها تنتمي الى تلك الطائفة الضخمة من الاساطير التي صيغت كي تهيء احدى الشعائر الدينية المخصصة للتسلط على ظواهر الطبيعة .

وقديما صور الحيوان على جدران الكهوف لامتلاكه كي يقضي عليه ، وبمقدار ما تضمن هذا النقش من قوى سحرية صار للكتابة القدرة على التأثير في كل الكائنات . وكان شرط الاحتفاظ بمهابة الملك القديم أن يكون الملك ساحرا . كاهنا . وقامت الواجبات الكهنوتية على علم خفي لا يعرفه سوى الملك ، وهذا العلم هو السحر .

وحين نقول ان الملوك القدماء كانوا كهنة وفي الوقت نفسه كانوا على علم بأسرار السحر ، فاننا لا نستثني العرب الاولين ، وعرفت الجزيرة العربية أكثر من مركز توارثه ملوك كهان وحكموا شعوبهم على أساس الجمع بين السلطتين الزمنية والروحية وقاموا بواسطة سحرهم باستمطار السماء ، واخماد النيران اواشعالها، وشفاء المرضى ، وتنبأوا، ومنهم من



د. احمد كمال زكي

عاش قرونا تقدم لهم القرابين كآلهة قادرين ٠

وقبيل الاسـلام كان هؤلاء مناط أرواح العرب في طلب السعادةوتحقيق الراحة النفسية ، ولعل هذا ما دفع المستشرق مارجليوث الى ان يقرر أن نظرية الانساب العربيـة قامت على تاليه الجد الاول ، ومن لم ينتسب اليه كشق وسطيح ـ وكانا ساحرين ـ جعل مستشارا للملك الذي يحكم ٠ على أن بعض الكهنة الرؤسـاء تمكن بسحره وبمسجوعاته الغامضة من أن أن يجبر قومه على عبادته ، فكاهن بني أسد يخاطب عشيرته في « يوم حجر » بيا عبادي ! وكان نصـحهم بالايقتلوا أبا امرىء القيس الشاعر: وجاءت قبيلة بكر في يوم « الزوريين » بساحر مصر وجعلوه الاها ، وتاليه المصرين السحرة ارتبط بفكرة طـول العمر حتى لقد رجع بعضهم بميلاده الى عهد عاد وارم ، يقول الشاعر :

جاءوا بزوريهم وجئنا بالاصم
شيخ لنا من عهد عاد وارم

وثمة السحـــر التشــاكلي أو أو سحر المحـاكاة ، وهو ضرب من التعاويذ والاحجبة أو التمائم أساسها ما سماه فريزر بالسحر الاتصالي ومن قبيله نقش صورة الحيوان أو رسم دمية لعدو ، وبغرس الدبابيس فيهـا يعجز عن ايذاء القائم بالسحر ، ولكن من مهمات السحر التعاطفي أيضـا المحافظة على موارد الطعام واستنزال المطر أيام الجفاف ٠

إننا لا نريد أن ندخل في متاهات هذا العلم الذي يعـــترف به الانثروبولوجيون وبخاصة عنـــدما يسـخر لصالح الجماعة والافراد ، وجعل من هنا بداية الفلسفة ، وقيل أنه بتشكيله لمجموعة ضـــخمة من الاساطير القديمة يعتبر دائما منطلقا للبحث عن بدايات الحضـــارات وانتشارها ٠ غير انه بمرور الزمن وبارتقاء الفكر الانســاني تقلص سلطان السحر وانسحب الى أركـان المشعوذين وزكائب الدجـالين ٠٠٠ وظلت له « طقوسه » اذا صـح هذا الاستخدام فالبخور وتدقيق النظر في السماء ، وببعض التعازيم الغامضة يتسلط ساحر اليوم على الجهال لينال منهم مايريده ، وأحسب أن راسبوتين كان سيد سحرة العصر ، وأكثر دجالي الريف في عصرسدنته ، وقراء الطالع والكف يستندون الى مخلفات تقـوم على فكرة « القوة الخفيـة » وراء الكلمة ، والارادة غير المحدودة في استحضار الارواح ٠ وكل ذلك هباء، وما أحسب أن عقولنا اليوم تقبل ان يقف بيننا متكهن ساحر يناديننا بقوله « يا عبادي ٠٠٠ اذهبوا الى الجحيم!

رحلة الشهر



في
العدد القادم

صالح جودت

يلتقي بقرائه في «رحلة الشهر»
كما عودهم كل شهر....

من روائع القصص العالمي

على الشاطئ

للكاتب الإيطالي الكبير
البرتو مورافيا
ترجمة :
محمود عزت موسى

تركا السيارة في ارض فضاء تتلخمها الاشجار تحت ظلال شجرة صنوبر ، وسارا بين كثبان الرمال نحو البحر ، وكانت تتقدم زوجها سرجيو وهي تعدو فرحة منتشية فوق الرمال المحرقة ، بينما كان سرجيو يتبعها عن كثب حاملا سلة الطعام وحقيبة لوازم البحر ..

واختفت زوجته فجاة وراء تل رملي صغير .. وكان سرجيو يتبعها مسرورا ، اذ بدا له ان السعادة تشتملها ، وكان متاكدا انه عندما يصلا الى قمة التل ، سيراها مندفعة لتوها للاستحمام في البحر ، بيد انه عندما تطلع الى القمة ، تبين له ان زوجته قد توقفت في سيرها ، وان الشاطىء لم يكن مقفرا ، كما كان يامل بل كان هناك رهط من الناس وجماعة من الصيادين نصف عراة وبينهم رجل في بزة عسكرية يقف وسطهم في حالة من الارتباك ... وعن يمينه ، وبين اغصان بعض الاشجار التي غرست في الرمال ، كان يبدو شيء ابيض .

واتجه سرجيو ببطء نحوهم ، وعندما اقترب من غصون الاشجار المغروسة سال زوجته : « ماذا ؟ » وتطلع سرجيو ... كانت الاغصان قد اذبلتها حرارة الشمس للتو ، وقد ارخت اوراقها الذابلة فوق مستطيل ملفوف في ملاءة فتذكر الجثث الفرعونية المحنطة في المتحف .. ولم تكن الملاءة تلف جسد الميت لفا محكما ، بل كانت تنم عن ملامحه من قدميه الى راسه ، حتى يمكنك ان تتبين ركبتيه وذراعيه مضمومتين على صدره ، وذقنه منحدر الى اسفل ، وخارج الملاءة لم يكن يبدو سوى شعره الاسمر المصقول وهو لا يزال حيا نديا .

وقال الرجل ذو الزى العسكرى ، وهو مفتش الشرطة ، بينما يرفع قبعته مجففا العرق عن جبينه : لقد غرق منذ ساعة تقريبا .. ولسنا نعرف من هو .. اذ لم نجد معه اوراقا .

وبعد ان القى سرجيو نظرة خيرة على الجثة ، مضى هو وزوجته نحو البحر . ولاحظ انها تسير ببطء نحو المياه الضحلة القليلة الغور ، وقد غشاها الوجوم . بينما تدلت ذراعاها مسترخية ومستقبلة ببطنها مياه البحر التي تبدو كما لو انها تغلى تحت اشعة الشمس اللاذعة .

كانت تلك اول مرة



فى السنة يذهبان فيهـا الى البحر ..

وكانت كلارا بيضـاء البشرة ، باردة البياض .. وكان سرجيو يدرك انها سريعة الانفعال حتى لتتحول فى لمح البصر من صفائها الى انفعال مروع ، فينقلب بياضها الى احمرار قان دفعـة واحدة ..

ولم تكن كـلارا على اكمل تكوين ، اذ كانت مضمومة الفخذين ولكن لها ساقين مكتنزتين ، وكتفين نحيلتين، وراسا كبيرا .. ومع ذلك فان هيئتهـا كانت تنم عن خشـونتها وتحفظها وطباعها المسترية .

اما سرجيو فقـد ابتسـم ، وهو يبدو متعلقا بها ، واندفـع يجرى وراءها ليمسـك بها ، ولكن بينما كان يعدو على الرمال، تعثر فى العشب البحـرى وسقط عليها مرتطما بها فوقعت، بيد أنها نهضت لتوها وقالت له بخشونة « اننى لا احب مثـل هذه الالاعيب ف الماء »

فاجابهـا سرجيو : « اننى اسف ... لقـد تعثرت »

فقالت له موبخـة : « ارجو الا تكرر هـذا ثانية » .

وكبح سرجيو جماح نفسه وهو يرقبها وهى تتباعد عنه ...

كانا قد تزوجا منـذ ستة أشـهر فقط ، بيد أن زواجهمـا لم يكن سعيدا ... وكان التوتر يشوب علاقتهما ، الا أن سرجيو كان يعـزو شرودها الى عدم توافر التفـاهم بينهما لحداثة العهد على معيشتهمـا، معا ، راجيا كل يوم أن يذلل نفورها .

ومضيا فى السباحة صامتين، وهى تتحاشاه وقد ساءهما جـو من الانقباض ، وهما تحت اشعة الشمس الحارقة ، والمياه الضحـلة تبدو راكـدة ... ومع ذلك فقد كان الشاطىء يظهر من البحر جميلا ، مقفرا على مدى البصر ،ممتدا فى اتجاه واحـد حتى يرى من بعيد شبح برج سـاعة اثرى ومن الناحية الاخرى كانت المياه تبدو متعـرجة مخـترمة الشاطىء الصخرى الذى تكتنفـه الغابات

وكان الهواء الحـار الخانق المشبع بالرطوبة يحجب الافق بسـحابة رملية ، وكـانت غابات الصـنوبر فوق الرمال الصفراء تتخللهـا

وتتخلل فيها على هيئة ضباب ...

وقال سرجيو فجاة قاطعا حبل الصمت : اليس هذا مكانا رائعا؟

فاجابته زوجته فى رنة عابسة : انه يبدو لى مروعا ...

فقال: ولكنك انت التى رغبت فى الحضور الى هنا ...

فقالت : حسنا .. وماذا فى ذلك ... لقد اخطات ، وهذا كل شىء ولكن هذا لا يبدل الحقيقة بان المكان ليس جميلا على الاطلاق !

فالتزم سرجيو الصمت اذ رأى انه مهما يقول فان زوجته ستعارضه .

واخيرا خرجا من البحر وتوجها الى مكان على الشاطىء كانا قد تركا فيه حوائجهما على مسافة قريبة جدا من الجثة ... وكان الشاطىء الان مقفرا ، ولم يكن هناك احد سواهما والرجل الميت الذى تجلله الاغصان ، وكان الصيادون ومفتش الشرطة قد مضوا خلف الكثبان الرملية .

وكانت هيئة كلارا تعبر عن الاشمئزاز والقرف وهى تجفف ذراعيها وساقيها .. وقال سرجيو: الا يمكننا ان ننسحب قليلا .. فالمكان واسع رحيب ، فاننا ملاصقين للرجل الميت ...

فقذفت بمنشفتها سخطا واجابته : ان الموتى لا يبعثون فى نفس الاشمئزاز ! ..

قال لها سرجيو متحديا : الاحياء فقط هم الذين يبعثون اشمئزازك !

فاجابته زوجته فى قسوة : لماذا تريد دائما ان تتحرش بى وتخلق مشاحنة ؟ ... لقد قدمنا الى الشاطىء للاستمتاع. ولكن لا .. بالمرة ، فانك دائما تبدأ الشجار ... وانت الان تجعلنى اقول لك اننى مشمئزة ... قرفانة منك !

فقال سرجيو قانطا : كنت افضل ان تقولى العكس !

فاجابته : حسنا ... على اية حال انك فى الحق تقرفنى .. عندما تبدأ تعارضنى من اجل ان تناقضنى فحسب... انك تقرفنى اكثر من اى رجل ميت .. الان هل رضيت ؟!

فآثر سرجيو الصمت وقد غمرته دهشة عارمة من حديثها الحاقد ... بينما تمددت كلارا منكفئة الرأس وهى تلم حاجاتها ، طامرة صدرها العارى وبطنها فى الرمال الملتهبة ،ولم تكد تفرغ من ذلك حتى سالت بصوت متضجر : « لماذا .. كم الساعة ؟» بدلا من ان تقول « كم الساعة ؟ » كما بدا ذلك لسرجيو متعجبا ... فأجابها: « انها الحادية عشرة » فكانت اجابتها الداوية المعقبة : « ليس هذا ممكنا ! ... » اما سرجيو فانه دون ان ينطق بكلمة وضع معصمه الذى فيه ساعته امام عينيها ـ فقالت بصوت حزين: « حسنا، حسنا ... » بينما استفاضت دهشة سرجيو من جديد .

كان منظر الرجل الميت تحت ستر الاغصان التى تداريه يثير الغثيان فى نفس سرجيو ... احس أن سرا يتوق أن يتكشف وينتزع الملاءة التى تلف جسده ، وتحت الاغصان التى تظلل الجثة كان يبدو الجو اشد قيظا من اى مكان اخر حتى ليمكنك أن ترى نسمة مرتعشة تهب من الابخرة المتداعية ... واتجه تفكير سرجيو صوب تلك الحشرات الخضراء والذهبية التى كانت تحوم حول الجثث ابان

الحرب ... فضاق ذرعا ، وقال مغضبا : « في الحقيقة .. اريد أن أعرف لماذا نظل هكذا ملاصقين لجثة رجل ميت ! » .

وجاءت اجابتها وهي تخفي وجهها متوسدة ذراعها : « اذهب بعيدا حيث تشاء .. وسأظل هنا ... اذ لا يوجد الى جواره أحد لحراسته ... سابقى هنا على الاقل » .

وتجمد الموقف ، وكانت الشمس تضرب باشعتها الحارقة كل شيء تحتها ، وكان توهج الرمال يغشى البصر ...وظل سرجيو بلا حراك فترة قصيرة وهو يحس بالحرارة ، بيد أن الامر كان فوق احتماله فانتصب على قدميه وجرى نحو الشاطىء ملقيا بنفسه في الماء . وقد انعشته هذه الغطسة ، وان كان الماء قد بدا له أشد سخونة عن ذي قبل .. وعندما انتصب واقفا مرة أخرى، رأى زوجته قد نهضت هي الاخرى وانها تحوم في حذر حول الاغصان التي تظلل الرجل الميت .

عندما رآها عن بعد استماله واستهواه من جديد قوام زوجته ... وراقت له فكرة أن يبدي لها لونا من الوداد والتقدير .. متسائلا نفسه : لماذا يمضي زواجنا على نهج سيىء لماذا ؟ انني سامضي لفوري اداعبها واغازلها كما كانت فتاة عندما قابلتها ... لا بد أن افعل ... وسأقيم لها مأدبة حافلة هذا المساء ...

وداعبته الابتسامة على هذا المشروع الذي طاف بذهنه وخرج في بطء من الماء .

أما زوجته فانها بعد أن طافت حول جسد الرجل الميتبعض الوقت عادت ورقدت علىرمال الشاطىء مولية وجهها الى جانب حقيبة ملابسها ، وتمدد سرجيو الى جوارها واضعا ذراعه حول خصرها هامسا لها : « اعطني قبلة ! »



فأجابت زوجته دون أن ترفع رأسها : « ولماذا؟ ... ماذا جرى لك ؟ .. هل أنت مخبول ؟ »

فقال : « تعالي ، تعالي ... الا يمكنني أن أسالك قبلة ؟ »

فقالت : « كلا ... ليس الان ، وليس هنا »

فأجاب: «ألسنا زوجا وزوجته ؟ »

فقالت « ولكن هذا يعتبر علانية هنا ... وعلى أي حال فلا بد أن تقيم اعتبارا للميت»

فقال سرجيو : « أوه .. يا للجحيم .. ألم أسالك أنتنأى بعيدا ؟!»

فقالت فيصوت مفعم بالحزن دون أن يبدو فيه الغضب: «أن اذهب بعيدا ... يمكنك أن تذهب أنت ، وسأظل هنا ! »

ورقد سرجيو باسطا جسمه وظل كذلك تحت الشمس نحو عشرين دقيقة ، صامتا ثم نظر الى ساعته فوجد أنها قد آذنت الثانية عشرة والنصف. فقال مغتصبا الابتسامة مقتربا من سلة الطعام مقترحا عليها : « ماذا لو تناولنا شيئا من الطعام ؟ » .

فصاحت زوجته وهي تخفي وجهها بين ثنية ذراعها « ولكن لميحن الوقت بعد .. »

وفي هذه المـــرة كان صوتها مفعما بالعبرات

وكما فعل سرجيـــو من قبل ، لم يرد بكلمة ، سوى أن وضع معصمـــه أمام عينيها ، فتطلعت الى ســـاعته وقالت : « تناول طعامك أنت اذن ... اما انا فلســـت جائعة ! »

وفتح سرجيو الربطة ، واخرج قطعة اسطوانية من اللحم المجهز ، وبينما يأكل بشهية طيبة حول تلك اللحظة ظهر موكب صغير عند قمة الكثبان الرملية .. كان مفتش الشرطة في المقـــدمة ، ووراءه رجلان يحمـــلان محفـــة ، ثم لفيف من النساء والرجـــال وعدد من الاطفال ... وكان الموكب يدنو من التـــل فوق المنحـــدر الرملي متجها الى الرجل الميت ، فقال سرجيو وفمه ممتلىء بالخبز والسجق : « لقد حضروا لاخذه والتصبت واقفا وسار هو ايضـــا نحو الجثـــة ، وبسرعة فائقة قفزت زوجتـــه وعدلت ثيابها وحذاءها الخفيف وجرت في اعقاب زوجها .

ووصل الموكب الصغير الى غايته أمام الغصـــان

وعد عند الشاطئ

الشجر التي تظل الجثة وتوقف حـــاملا المحفة وانزلاها على الارض ، واصدر المفتش الذي كان يضيـــق ذرعا من فرط القيظ والملل ، اوامره : « هيا اذن القوا جانبا هذه الاغصـــــان ، ثم ارفعوه ... اثنان عند الذراعين واثنـــان عند القدمين ... وضـــعوه على المحفة ، هيا ! » ..

وتســـاءل أحدهم : « هل نرفع الـــملاءة ؟ » فاجـــاب : « لا .. اتركوا الغطـــاء عليه »

واستبد الاستطلاع بسرجيو ، وظـــل يرقب المنظـــر وهـــو لا يزال ممسكا بيده ببقية لفافة اللحم الاســـطوانية .. مشرد الذهن لتصرفه هذا غير اللائق ، ولم يكن بوسعه ان يعيد الطعام الى السلة بعـــد فوات الوقت . وابتلع السجق الذي في فمه بدلا من مضغه في لقمة واحدة .. اما زوجتـــه التي كانت تحوم مضـــطربة حول حاملي المحفـــة ، فانها مالبثت ان اتجهت نحو احدهما وســـألته بصـــوت أجش : « هل يمكنك ان تخبـــرنا من هو ؟ »

فقال الرجـــل الذي انتزع بعنف اغصـــــان الشجر المفروشـــــة في الرمال دون أن يلتفـــت اليها : « لا نعرف ... فليس معه اية اوراق تنم



عن هويته ، فقالت : « ولكن كيف حضر الى هنا ؟ »

فقال : « توجـــــد دراجته البخـــارية عند الاجمة هناك .. »

ولم يســـتطع سرجيو الا ان يقول منفعـــــلا من تصرفات زوجته : « يبدو انه كان شخصا طائشا ! » فقالت زوجته صـــارخة في وجهه : « لا تكن احمق ! »

وســـمع أحد حملة المحفة تعقيبها المهيـــــن وادار بصره فيهمـــــا متعجبا .

وقال المفتش : « هيا احملاه » .

وقـــــام اربعة من الحمالين كل اثنين عند طرفي المحفة يرفعـــون حملهـــــم الابيض ، وأودعوه فوق المحفة ، بيد أنه في اثناء ذلك

انحدر رأس الميت ، فانكشف بعد أن انزاحت عنها الملاءة ورأى سرجيو وجهه قاتما ، بديع القسمات بيد أنه يبدو عاميا ، في نحو سنه تقريبا ...

وجرت زوجته مسرعة نحو حقيبتها والقت بنفسها ووجهها في الرمال منتحبة .

وتحرك الموكب في الاتجاه والترتيب الذي قدم منه .. المفتش في المقدمة ثم حملة المحفة ، ثم رهط من الصيادين والنساء والاطفال .

وكان سرجيو لا يزال ممسكا بلفافة اللحم ، واتجه نحو زوجته التي كانت تنتحب ووجهها مغمور في الرمال ، وقال :

« لماذا يا كلارا ... التي اعرك تماما ان المتكلم قد ضايقك ، ولكن مع ذلك فانه رجل غريب عنا » ..

وعندئذ صدر صوتها المحطم من بين ثنية ذراعيها التي تحجب وجهها : « انك لن تفهم اى شيء ... انك لن تفهم شيء ! »

فقال مبهوتا : « ماذا ؟ » فقالت : « كان كل منا يحب الاخر ! .. وفي هذا الصباح اتفقت معه على موعد للقاء هنا .. وهو الان ميت ! »

القصة والكاتب ......

ولد عام ١٩٠٧ وكان والده مهندسا معماريا ..

عاني البرتو مورافيا في طفولته منذ التاسعة من عمره حتى شبابه الباكر بعض الامراض وتعلم الفرنسية والالمانية والانجليزية في حداثته ، وفي عام ١٩٢٥ عندما بدأ يكتب أولى رواياته كان يعمل مراسلا لبعض الصحف الايطالية في لندن وباريس وغيرهما .

وفي اواخر الحكم الفاشي بايطاليا صودرت كتبه ، وكان يكتب موضوعاته باسم مستعار ، وفي غضون الاحتلال الالماني لايطاليا اختفى في الجبال حتى حررت ايطاليا في مايو عام ١٩٤٤

ويعيش البرتو مورافيا متنقلا بين روما وكابرى ، ويعتبر اليوم في طليعة كتاب القصة في العالم

من اشهر رواياته وقصصه حكايات رومانية ، وامرأتان ، وامرأة في روما ، وشبح في الظهيرة ، وامرأة ثرية جدا ، وحياة عائلية ، والرقيب ،والحلم والخلاص ، والحجرة ، والشرع والشاعر والطبيب والحياة في غاية وغيرها من عشرات الروايات والقصص القصيرة .

وفن مورافيا «يمتاز بالواقعية، وهو يعد من أبرع كتاب القصص في تحليل وبسط غرائز المرأة ونزواتها ، ويمتاز أسلوبه برقة وصف الاشياء — وخاصة الطبيعة — وعباراته القصيرة المركزة ، معالجا مشاكل العصر الحديث من خلال قصصه الاخاذة .

وهذه القصة التي نقدمها تعد من روائع نماذجه في فن القصة القصيرة .

القلب الذي غنى لنا..

حسين خريس

تحية وفاء إلى زكي مبارك في ذكراه

يا أميرَ العشقِ يهنيكَ الهوى
والعيونُ الخضرُ واللونُ الخضيبْ
والغوادي والشوادي والشذا
والمجالُ الخصب والأفقُ الرحيب
والنجومُ الزهرُ في آفاقها
والسواقي فوقَ مخضرِ الكثيب
كلها تهنيك يا شيخَ الهوى
قلبه من محضِ إحسانٍ وطيب
كم فؤادٍ طالما واسيته
ولكم أجريتَ مِن دمعٍ صبيبْ
كنتَ في دنياكَ لحناً ساحراً
تبعثُ الفرحة في القلبِ الكئيبْ
وتواسي كلَّ مجروحٍ وآنْ
عزَّ في دنياكَ إلفٌ وحبيبْ
أيُّ عينٍ ما همتْ مِن وجدِها
أيُّ قلبٍ لمْ يعاودْه وجيبْ
أيُّ نجمٍ لمْ تشهدْ هذهِ على
لهفةِ الأشواقِ في الدهرِ العصيبْ

أيُّ فـــوح لم تُنَشِّره عــلى
هضـــباتٍ كُلّهــا رفٌ رطيبْ
ماليَـــلاكَ التى ناجيتهـــا
بالنثيرِ الحـــلوِ والنظْم العجيبْ
لا تجيبُ اليــومَ نجـــواكَ فَسكم
كُنتَ للقـــاصِى وللدانى مُجـيب
أيهـــا القلبُ الذى غنّى لنـــا
فغنينــا عـــن دواءٍ وطبيـب
أيهـــا العقـــلُ الذى طافَ بنـــا
كلَّ أفقٍ وتحــدّى كــلَّ ريب
أيهـــا الروحُ الذى فلّ عـلى
ظامىءِ الأرواحِ يهمِى ويَصُــوب
فى ســبيلِ الحــقِّ مالاقيتَ مِن
عَنَتِ الدهـرِ ومنْ خصـمٍ مُرِيب
فى ســبيلِ العُــربِ كانتْ رحلةٌ
لكَ ما بــينَ شروقٍ وغـــروب
فى ســبيلِ الهــدفِ الأسمَى الذى
صُــنتَه بالروح والعمــرِ الخصيب
أيهـا الشيـخ الذى دُســتورُه
أنْ تعيشَ العمــرَ حُبّــاً وحَبيبْ
كنتَ فى دُنيـــاكَ فرداً واحـــداً
تتـأبّى الظلم لا تخشى الخطــوبَ
فلتعشْ فينا حضــوراً مُطْلقـــا
شمسَ فــكرٍ عن دُنانا لا تغيب

أنور الجندى

مالك بن نبي

المفكر الإسلامى الذى قدم الإسلام إلى الفكر الغربي وصاحب نظرية.. الإنسان والتراب والوقت

إنما تمثل حياة مالك بن نبي نموذجا خاصا فريدا في حيوات المفكرين والباحثين والنوابغ في العالم الاسلامى من حيث خطتها ونموها ، ومن حيث التحديات التي واجهتها ، ومن حيث روح الصمود على الحق الذى امن به واعتقده دون ان يراوده ذلك النفس الكبيرة التردد ازاء مطامع الحياة ومطامع النبوغ ، ذلك أن مالك بن نبي هو ثمرة تلك الارومة الجزائرية العربية الاسلامية التي تتميز بالاصرار العنيد ازاء ما تعتقده . وقد تمثل هذا منذ اللحظة الاولى التي عبر فيها مالك ابن نبي البحر من شاطيء الجزائر الى شاطيء فرنسا حيث كانت الجزائر قد أمضت يومذاك تسعة أعوام بعد المائة تحت نير الاحتلال الفرنسي الذى لم يكن يعتبرها مستعمرة فحسب ، بل كان يعتبرها حسبما ورد في الدستور الفرنسي : « فرنسا الجنوبية » .

ولكن مالك كان قد عرف كل شيء واستوعب كل شيء وتجاوز الازمة لانه منذ نشأ في رحاب قسنطينة كان يعرف الطريق الى كسر هذه القيود كما رسمه امام الجزائر وقائدها الفكرى الاكبر :عبد الحميد بن باديس منذ عاد من الشرق ومن مكة ومن الازهر عام ١٩١٣ ومنذ صدع بدعوته في رحاب الجزائر وفوق منابر مساجدها سنوات طوالا حتى اعلن دعوته في العام الثلاثين بعدالتسعمائة والالف ، في نفس الوقت الذى كانت صيحة الاستعمار تردد كلمتها الحاسمة : نحن نحتفل بمرور مائة عام على احتلال الجزائر . الجزائر التي « تفرنست » ، هناك قال ابن باديس : اللهم لا ، بل استبقت الجزائر كيانا مستقلا هو غير فرنسا ، عقيدة ولغة ووطنا ..

ولقد عايش مالك بن نبي منذ صباه هذه المعركة حتى اوفى على الثلاثين وعبر الى فرنسا ليؤكد أن الشخصية الجزائرية العربية المسلمة قادرة على أن تصل الى أعلى درجات العلم التجريبي فدرس الهندسة والتكنولوجيا



سنوات طوالا حاول خلالها الاستعمار ان يختبره أو يحتويه ولكنه عجــز امام ذلك الاصرار العجيب ، الذى لم يكن يبالى شيئا ازاء تمسكه بايمانه بدينه وامته ووطنه • ومن ثم لقى من العنت الشيء الكبير ••

ولما اتم دراسته وأحـرز اجازته وعاد ، كانت تنتظره تلك الصـورة القـاتمة المظلمة ، حيث اغلقت فى وجهه كل ابواب التدريب والعمل جزاء على انه لم يستسلم ولم يمض فى ركاب الاستعمار حيث يشاء •• وما أبعد الفارق بين هذا وبين اولئك الذين استسلموا وتابعوا بالولاء والعبـودية لاوطانهم وانفسهم وحصلوا من بعـد على ارقى الوظائف واعلى الدرجات، اما مالك بن نبى فقد عزل وعـزل والده عن كل نفوذ •••

ولم يكن يملك التردد او يحاول ان يغير اسلوبه لذلك كله فى نظره فتات تافه لا اهمية له ، وانما هوتعلم ودرس ليكون صـاحب أداة قادرة على أن يقدم الاسلام الى الغرب بلغة يعرفونها وبأسلوب رفيع يهز نفوسهم •

وكذلك انتقل مالك الى مكة فاعتكف فى البيت الحرام يدرس الاسلام فى اصوله الاصيلة ويستقصى قيمــه ومفاهيمه ، ثم يبدأ كتاباته التى كانت فتحا جديدا فى بابها ليس للغربيين فقط ، وانما لابناء وطنه المسلمين أيضـا ، فلم تلبث هذه المؤلفات ان ترجمت واعجب بها الباحثون •واليوم وقد انتهت تلك الحياة العريضـة الخصبة ،لا نقول ان الانسانية فقدت او ان يد المنون اختطفت وانما نقول كما علمنا الاسلام ان رجلا آتاه الله علما وقد اوفى الى الغاية وقدم ما عنده وأتم الله له النعمة ، وانتهت رسالته مع آخر انفاسه • وقد قدم الكثير والخصيب ، وقدم نموذجا من الحيـاة هو اعظم أثرا ومثلا للذين يؤمنون بالقيم ويضعونها فوق كل المغانم والاهواء ••

ولقد هدت كتـابات مالك بن نبى الكثير من المثقفين الغربيين ،وخاصة كتابه «الظاهرة القرآنية» الذى وصف بانه اوقد شرارة فى أعماق الفـكر الاوربى ، وانه فتح نافذة اطل منها العديد من المثقفين والقراء الفرنسيين على القرآن الـكريم وعلى الدين الاسلامى ثم اعلنوا اسلامهم مسجلين فضـل مالك بن نبى ، ومن هؤلاء الدكتـور على سليمان بنوا المسلم الفرنسى الحائز على درجة الدكتوراه فى الطب حيث يقول فى شرح العوامل التى قادته الى اعتناق الاسلام :(١)

« اما مركز الثقل والعامل الرئيسى فى اعتناقى الاسلام فهو القـرآن الكريم الذى بدأت قبل ان اسلم فى دراسته بالعقلية الغربية المفكرة الناقدة، وانى مدين بالشيء الكثير للكتـاب

---

(١) صحيفة الندوة (١٧ شوال ١٣٩٣)

مالك بن نبي

العظيم الذى ألفه المفكر مالك بن نبى وسماه « الظاهرة القرآنية » والذى اقتعنى بأن القرآن كتاب وحى منزل من عند الله » .

دعوة الى الثقافة الاسلامية ●

ويحمل مالك بن نبى فى تضاعيف انتاجه دعوة الى انشاء الثقافة الاسلامية التى تتشكل فى قالب تربوى وتتضمن قيما أربع هى :

القيمة الاخلاقية ـ القيمة الاجتماعية ـ القيمة العملية ـ القيمة التكنية .

ويقرر مالك بن نبى أن القيمة الاخلاقية هى عامل أساسى فى مختلف المجالات وان فقدانها من شأنه ان يدمر النظام الاجتماعي كله ويحول بينه وبين الصمود والاستمرار والتقدم .

ويقرر مالك بن نبى أن العالم الاسلامى اليوم يعيش مرحلة (ما بعد الحضارة) وأن المسئولية الملقاة على الجيل الاسلامى المعاصر هى العودة بالمجتمع الاسلامى الى (عالم الحضارة) بحسبان أن المسلمين امة رسالة وأمة مسئولة تجاه نفسها وتجاه الانسانية ككل . ويرى ان القضية اليوم تنحصر فى ايجاد الدوافع والمبررات الجديدة التى تجدد فى المسلم شعور الطموح والرسالة : شعورا يجعله ينظر الى نفسه كصاحب رسالة والى نبيه كمثال ، ذلك لانه يرى أن الانسانية فى سيرها الحاضر انما تتجه نحو الايمان اكثر من اتجاهها نحو الالحاد .

ويوضح هذا المعنى حين يقول : « لقد تبين لى من خلال ما نشاهده اليوم من مظاهر الحيرة والقلق فى نفوس الشباب فى البلاد المتقدمة ان المستقبل لن يحقق استقرار الجيل المقبل الا بمراجعة القضية الانسانية بحيث ان من المتوقع ان الدراسات والاهتمامات ستتجه أكثر الى الدين والى البحث عن الحقيقة فى الاديان، وان لدى الاسلام منهجا حيويا متكاملا لتحقيق الخير والعدالة والمساواة للانسانية جميعا » .

ويرى مالك بن نبى أن المذاهب والايديولوجيات التى تحاول ان تعالج المشكلة الانسانية من الجانب المادى وحده قد عجزت وستعجز عن أن تحقق مطالب الاجيال الحاضرة والمستقبلة

ولذلك فان الاسلام وحده هو أمل الامم والشعوب اليوم بعد أن فقدت هذه الامم أملها فى الايديولوجيات الغربية بشطريها .

يقول : أرى أن الامة الاسلامية مختلفة اليوم ، أما مستقبلا فان المستقبل لها لانها الامة التى تحمل فى صدرها وأرواحها تجسيد وعد الله : «وكان حقا علينا نصر المؤمنين» .

ويرى مالك بن نبى أن رسالة المسلم اليوم ، وبوجه خاص المسلم المثقف ليست رسالة علوم ولكنها رسالة أخلاق .

ويرد مالك بن نبى عوامل الضعف القائمة الان فى العالم الاسلامى الى عوامل عدة أهمها :

أولا : اننا فقدنا الصلة بيننا وبين ثقافتنا الاصيلة .

ثانيا : ان طليعتنا المثقفة لم تذهب للجامعات الاجنبية لتستكشف آفاقا ثقافية ، وانما ذهبت من اجل العودة بشهادات تحقق لها مراكز اجتماعية مرموقة ، هذا على أحسن تقدير ـ أو لتجد فى اوربا فرصا ومناسبات للتسلية بكل انواعها ،هذا على أسوأ تقدير . وفى كلا الحالين فان الطالب المسلم اليوم محروم من

ثقافة ماضية - غير متصل بالثقافة الغربية الاصيلة

نظرية الانسان والتراب والوقت

ويقرر مالك بن نبي أن الحضارة تبنى من عناصر ثلاثة هى الانسان والتراب والزمن ... ولكن هذه المواد لا تستطيع أن تلتئم وتحقق عملها الا اذا تحركت فى اطار الدين فهو الذى يربطها فى الحركة ويعصمها فى نفس الوقت من الانهيار .

وقد رأى مالك بن نبي فى القرآن الكريم النص المبدئى لتكوين الامم والمجتمعات وذلك فى قوله تعالى : (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)

ويستطرد فى توضيح مفهومه للحضارة فيقول « من المعلوم ان جزيرة العرب لم يكن لها قبل نزول القرآن الا شعب بدوى يعيش فى صحراء مجدبة يذهب وقته هباء لاينتفع به لذلك فقد كانت العوامل الثلاثة : (الانسان والتراب والوقت) راكدة خامدة ، وبعبارة اصح مكدسة لا تؤدى دورا ما فى التاريخ حتى اذا ما تجلت الروح بغار حراء - نشأت من بين هذه العناصر الثلاثة المكدسة حضارة جديدة ، فكأنما ولدتها كلمة (اقرأ) التى ادهشت النبى الامى وأثارت معه وعليه العالم ، فمن تلك اللحظة وثبت القبائل العربية على مسرح التاريخ حيث ظلت قرونا طوالا تحمل للعالم حضارة جديدة وتقوده الى التمدن والرقى ..

« ومما هو جدير بالاعتبار أن هذه الوثبة لم تكن من صنع السياسيين ولا العلماء الفطاحل بل كانت بين أناس يتسمون بالبساطة ورجال لا يزالون فى بداوتهم . غير أن انظارهم ترجهت فى هذه اللحظات الى ما وراء أفق الارض او الى ما وراء الافق القريب ، فتجلت لهم ايات فى أنفسهم وترامت لهم انوارها فى الافاق

ومن هنا ندرك سر دعوة القرآن الكريم المؤمنين الى التأمل فيما مضى من سير الامم وذلك حتى يدركوا كيف تتركب الكتلة المخصبة من الانسان والتراب والوقت » .

وينطلق مالك بن نبى فى دراسته لازمة الفكر الاسلامى المعاصر من واقع الجزائر ومن قضية كبرى ذات خطر وهى مدى قدرة الجزائر على التحرر من القالب الحديدى ، والدائرة المغلقة التى حاول الاستعمار الفرنسى أن يفرضها عليه ويصهره فيها .

وقد استطاعت دعوة ابن باديس أن تكسر هذا القيد بأسلوب مختلف عن الاساليب التى عرفتها الامم ، فقد كانوا يقولون أن اللغة هى منطلق القدرة على استعادة الذات والكيان ولكن تجربة الجزائر خالفت ذلك واثبتت ان العقيدة هى اقدر واقوى واشد عزما ونفاذا وأن اللغة تابعة لها .

ان صدق مالك بن نبى فى فهم الاسلام : دينا ونظام مجتمع وفهم القرآن كرسالة شاملة للبشرية ، وعمق ايمانه بقدرة الاسلام على تجديد هذه الامة ، ومقدرة القرآن على اعادة صياغتها من جديد - هو وحده الذى حفظ مفاهيمه من ان تنصهر فى مفهوم التغريب الذى سيطر على الكثيرين ، وبالرغم من ان دراساته لم تكن فى معاهد الدين أول الامر فانه كان خيرا ممن درسوا فى هذه المعاهد ، ثم جرفتهم زيوف التبشير والاستشراق ، فبرروا مفاهيم الغرب وحولوا مفاهيم الاسلام الى ما هو بعيد عن اصالته ومنابعه الاصيلة .

ويبدو مالك بن نبى قريبا فى منهجه من محمد اقبال ، فكلاهما واجه مفاهيم الفكر الغربى والفلسفات الاوربية وحاول أن يكشف عن ان ما فى الاسلام اصدق منها واعمق منها ، ليس للمسلمين وحدهم ولكن للبشرية كلها .

الشاعر

قالت : سمعت الزهر فوق غصونه
بالامس يبعث باللحـون سـواحرا
حركن ما بى من صـدى متعطش
وتركننى فى الليـل حلما حائرا
فاجبتها .. كان النسـيم معطـرا
يسرى .. فيرتسم العبـير خواطرا
قالت .. ففيم اذن يكون تعجبى ؟
انى سمعت القول سـمحا سافرا
الحرف فيه تجسـدت خفقـاته
كلمـات حب ، ينتفضن تحـاورا
فاجبت حسـبك ليس ما ترويـنـه
لغزا .. فانك قد سمعت الشاعرا

***

وبدا الصباح رؤى تموج مفاتنـا
فكان سـاحرة تحاور سـاحرا
وانا .. وعينـاها تكاد تضمنى
واكاد اعتنق الحنان النـاضرا
ارنو ، فيسبح بى الخيال الى مدى
لم الق فيه الكـون الا خاطـرا
فتعيـدنى بجفـونها لتقـول لى
الشعر فى عينى ؟ ام فيما ترى ؟
يا حلـوة العينين ، رب قصـيدة
نمت عن السر الخفى سـتائرا
ان الذى ابتـدع الخليقة قـادرا
قد صاغ جوهرها : فكان الشـاعرا

***

وتالقت شمس الضحى .. فتلالات
زمـر ابين الحسن الا سـافرا
اقبلن فى مرح الطيـور ورحن فى
نسق الزهور ، وجئن فنا باهـرا
وهتفن باللحن الابى ... فلم اعد
ادرى .. الحمل خافقـا ام طائـرا

يروين قصــة امــة مغــــلوبة
ثارت فاودت بالطغـــاة جبـــابرا
حتى حسبت دمى ، وقد انســيته
لهبا ·· تدفق ، فى عروقى ثـــائرا
واذا بصاحبتى ·· يحلق همســها
فى مسمعى ·· مرحى وجدت الشاعرا

***

وجلســـت اقرا والخـــريف يظلنى
والبحر من حولى يدمدم هــــادرا
فشهدت ثمة زورقا متارجحـــــا
فوق العباب يكاد يقفـــز طافـــرا
ورايت ثمـــة عاشـــقين به على
اصفى الشراب تساقيا وتســـامرا
حتى اذا انتشـــيا تفلت منهمـــا
المجداف فانقلب الامــــان مغــاطرا
ورايت ظل المـــوت مد جناحــــه
فصرخت : ويحكما ··اليقا ··حاذرا
واذا اصابعهـــا تـداعب جبهـــتى
فعرفت انى : قد صحبت الشـــاعرا

***

وافقت · فاتجهت الى تقـــول لى
ماذا جرى ؟ فاجبتها ، ماذا جـرى ؟
قالت ·· لقد غرب الشعاع وانت فى
ســـنة : واعولت الرياح مواطـرا
والزهر جف ، وتكست اغصـــانه
فوق التراب ·· وكن قبل قيـــاثرا
والطير غلف بالدمـــوع نشـيده
من بعد ما ملا الصباح بشـــائرا
لرايت كيف طوى الشعور كتـــابه
وارتد منزوف الـــلامح حـــاسرا ؟
فهتفت والشـــجن الـــلح يذيبنى
رفقا ·· فانك قد نعيت الشــــاعرا

عبد العليم
القبانى

وكانت النهاية..

لم يشعر بكفه عندما أخذها بين ساعديه بكل رفق، وأوثقها بذراعيه في حنان، وقد فاضت مشاعره، وأحس كل منهما أنه مرتبط بالآخر وملتصق به ولا يريد أن يفلت من بين ذراعيه...

وبغتة احتدمت في جلستها، رفعت وجهها يديها، وقالت في ضيق:

— لم أعتذر لنفسي من قبل، كما أعتذرتها اليوم...

ومضت لحظات وهو معتصم بالصمت يديم إليها النظر في ... ثم قال ... الله ... التي عكستها من التفتيش إلى التفتيش؟

— اعتذر لما سببته لك أن كان عذري هذا يرضيك ويعيدك إلى ما كنت عليه..

فبادرته ودموعها ثم ليهنئا معاً، ولي اعتذارهما تساقطت نظراتهما...

وذهل عندما رآها تك عبرات وجهها في



لتميل على وجنتيها دون أن تغير من وضعها:

— هذه هي هكذا، وانظر الموضوع واعتبره كأنه لم يكن؟.

وسكتت.. وسكت هو أيضاً، ولفهما صمت ثقيل، وامتد بهما الوقت وهما على هذه الحال، ثم راح يرقبها وهي تعقد بأناملها في عصبية على سوارها الذي يلتف حول معصمها، وانفرطت حباته البيضاء، وتبعثرت على الأرض، وسرعان ما انحنى هو على ركبتيه، كما انحنت هي أيضاً، يجمعان ما تبعثر من الحبات، متحاشيا، فسألها عما بهما، فأجابته وهي تجاهد في إخفاء ما بها، وقد تغيرت سحنتها وازداد توهج وجنتيها:

— لا شيء.. لا شيء!

ثم عاد يسألها وهو يحتويها بنظرة حانية:

— سألتك ما بك؟ لماذا تكسرين الآلام وتصارحيني...

فأمسكت عن الجواب هنيهة، ثم رفعت عينيها إلى وجهه، وقالت في نبرات حزينة:

— أرى أن يكون اليوم هو فصل الختام لعلاقتنا!..

سكت هذه الكلمات سمعه، لفرط دهشته، وتحمل ذلك وهيئتاه تكاد تتفجران بحيرتها:

— ألهم من جديد. هذا الذي لن نلتقي بعد اليوم... أليس كذلك؟

قالت في اقتضاب، وقد التمعت عيناها ببريق الدموع:

— نعم كذلك... لابد من نهاية.

تطلعها عابساً، وكأنما يحدث نفسه، وعيناه شاخصتان إلى عينيها السوداوين اللتين تظللهما أهداب طويلة:

— صدقت، إن لكل شيء نهاية، ولكن أنت لم تحسني اختيار الوقت المناسب لهذه النهاية، أنا لا أستحق أن....

فقاطعته بحدة:

— سأحاول أن أنسى كل ما مر بنا. حاول لا بد أن تتناسى كل ما حدث في غيبة النسيان...

ونظر إليها طويلاً ثم أطرق برأسه، ومرت دقائق، ثم رفع وأعاد النظر إليها، وقال:

— كما تشائين... والأمر لك، لقد صنعت البداية، ثم صنعت النهاية، هل

بسام كيلاني

نسيت ؟ هل أصبحت علاقتنا سرابا ؟

فأومأت اليه بالايجاب وهى مطبقة الجفنين ، تفرك اصابعها بعصبية

.. واعتراه الدهش ، واحس بالضيق ، ثم

تابع حديثه فى صوت متخافت ، ساهم النظر وهو يعتصر احدى يديه بالاخرى :

ـ اما انا فلن انسى ما حييت انك كنت بالنسبة لى الانسانة الوحيدة التى استطاعت ان تمسح عن نفسى

الامها ، وما دمت تصرين على هذه النهاية ، فلك عندى امانة حتم على ان

اردها اليك ، فها هى ذى صورتك التى اعطيتنى اياها ذات يوم ...

فقالت على الاثر :

ـ اذا لم ترغب فى حفظها معك فمزقها ..

وامسك عن القول ، وحنا راسه فى قنوط واغتمام ، ساترا وجهه بكلتا يديه ...

وغشيتهما سحابة صمت كثيفة ، واستغرق فى التفكير

فى كلماتها ، وانسرحت به الافكار لحظات ،

وتواردت المشاهد على مخيلته ...

وهمس فى نفسه على غير توقع منه .. الم يكن يعيش بين

اسرته الصغيرة العدد ، الكبيرة المشاكل ، وهبها شبابه دون مقابل ، بل لم يكن يفكر

فى هذا المقابل ، لان كل ما كان يدور فى

خلده ، ويملأ عليه

فكره ، ويشغل وجدانه ان يسعد والديه بكل شىء ، ولو كان على حساب نفسه ، وقد شاءت له الاقدار ان

يكون وحيدا بين اختين كل منهما مشغولة

بنفسها ، وبأسرتها دون ان يحظى منهما

بأى شىء يعيد اليه معنى الحياة المطمئنة .

بل ربما كانتا وسيلة لارهاق نفسه وانشغاله

بأمورهما دون ان يلتفت الى نفسه بشىء . كان

يحاول ان يرضيهما ، ولكن لم يظفر برضائهما

لقد رضى بما قسم له ، واغلق ابواب قلبه ، حتى دفع القدر

بها الى طريق حياته ، فاحبها واستوثقت

بينهما المودة ، واصبحت بالنسبة له كل شىء ،

وانه لا يستطيع الاستغناء عنها ، كان

يريدها له وحده ،

يريدها ان تكون زوجة له ، رغم انها قالت له ذات يوم وهما يسيران

جنبا الى جنب ، ويدها فى يده :

« ثق اننى لا اوافق على الزواج ممن احب

حتى لا تتغير صورته فى قلبى بعد ان تلقى

الحياة اعباءها على كل منا ... »

وتملكته دهشة طاغية وهو يصغى

لحديثها ... ولم يصدق ما تسمعه اذناه ...

وعلى مر الايام حاول ان يقنعها بما

استقرت عليه نفسه من

الاقتران بها حتى وافقته ...

●●●

وعرض الامر على مجلس الاسرة فكانت

النتيجة رفضا ، واصرارا ، وعنادا ،

ولما سئل عن اسباب الرفض ... اجابه

وكانت النهاية



والده أنه تم الاتفاق مع عمه لان يكون زوجا لابنته حفاظا لما تقتضيه عادات الاسرة وتقاليدها ، ولما حاول الهرب من هذا الزواج، افهمه والده أن هذا الموضوع قد انتهى وقت المناقشة فيه ، فلقد عوده والده منذ صغره الامر والطاعة العمياء ، ووصل الامر في النهاية الى التهديد بالحرمان من الميراث ، بل واقسم ان هذا امر لا رجعة فيه ...

واصبحت حياته دوامة من الفكر والحزن العاتي ، وسأل نفسه لماذا يتحكم ابوه في كل كبيرة وصغيرة من شئونه ؟ .. انه لم يعد ذلك الطفل الصغير ؟ لماذا ؟ لماذا ؟؟

ووقف وقد لاكته الحيرة بين شدقيها ، والقت به الى صمت يتكلم في داخله ، ويهز كيانه هزا ...

« فهل يضحي بما الفه من الطاعة لوالديه، او يجرفه العصيان فيطاوع قلبه فيمن أرقاها ؟ » .

وعقد العزم على ضم



تلك الانسانة التي كانت بالنسبة له الجنة التي يتنسم فيها اللحظات الحلوة من حياته ، والتي رسم معها مستقبله بأحلام وردية زاهية ...

وحينما افضى اليها بمخيلة نفسه ، وانه سيعلن زواجه دون اعلان أهله ، لم تشاركه الرأي في هذا لانها ترى ان أسرتها لن ترضى هي الاخرى بذلك ...

وقالت له وفي صوتها رنة حسرة واخفاق ، والالم ينطق من وجهها :

— انني متأكدة من شعورك نحوي ، ولكن هذا هو القدر ، وليس لنا الا ان نرضخ لحكمه ، فسوف يرقى حبنا ، فسوف يصير صداقة طاهرة خالصة حتى ولو لم نلتق بعد اليوم ...

واتفقا أن يتركا نفسيهما للقدر يفصل في قضيتهما ، فحكمه لا مرد له ...

ولم يحدث فراق .

واتصلت اسباب المودة بينهما ، حتى تم هذا اللقاء الخاطف، وفي نتيجته الخاطفة حكم القدر ، وأعلن نتيجة الحكم الذي لا نقض فيه ولا ابرام ...

●●●

وأفاق من غيبوبته ، فاذا هي تقول في صوت لين النبرات :

— لكن ايامنا الماضية التي طويناها ذكرى والهاما ...

ولما مدت اليه يدها مودعة ، امسك بها يضغطها متشبثا بها ، وسألها وهو يطيل في محياها النظر :

— اما زلت مصرة على الا اراك ثانيا ؟

فجذبت يدها بلطف وتحركت شفتاها تقول في صوت مختنق :

— واني لمصرة ... وافترقا ... كأنما لم يلتقيا !

ألحان لغوية

إبراهيم علي الكرار

● يقولون لقد بلغت شهرته عنان السماء بكسر العين ، وهذا لحن لغوى ، صوابه عنان السماء بفتح العين · والعنان الذى بلغته الشهرة : السحاب مفرده عنانة بمعنى سحابة ...

اما العنان بكسر العين فهو لجام الفرس ، وجمعه أعنة ، وجمع لجام لجم ، على وزن كتب ...

● ويقولون : خطر ماثل للعيان ، وكان شاهد عيان ، بفتح العين ... وهذا لحن ، صوابه : عيان بكسر العين ، مصدر عاين الشيء عيانا ، رآه بعينه ولم يشك في رؤيته ...

● ويقولون : عطانا كذا ، وعطاهم مما عطاه الله · وهذا لحن ، صوابه : أعطانا وأعطاهم مما أعطاه الله · فالفعل أعطى يعطى اعطاء ، بمعنى قدم عطاء ·

أما الفعل عطا يعطو عطوا ، فهو عكس أعطى فى المعنى · ومعناه أخذ وتناول ، ومنه التناول برفع الرأس واليدين كما تفعل الشاة أو الماعز ، ترفع رأسها ويديها لتتناول أوراق الشجر ·

قال الشاعر العربى ارقم اليشكرى:

ويوما توافينا بوجه مقسم   كان ظبية تعطو الى وارق السلم

ويوما تريد مالنا مع مالها   فان لم ينلها لم تنمنا ولم تنم

أى فيوما تأتينا بوجه جميل كأنها ظبية تتناول أوراق شجر السلم ، ويوما تأتينا بوجه عابس ، تريد المال فان لم ينلها ما تطلب اذتنا وأرقتنا، وأرقت نفسها ·· والكاف هنا حرف جر وتشبيه ، وأن زائدة ، وظبية مجرورة بالكاف ·

ذكرت احدى الزميلات أن شوقى أمير الشعراء نشأ فى حى الحنفى ، وكان لأبيه جار صديق اسمه « عطا بك » وله شقيق اسمه « حسيب بك »

هذه مكتبة نادرة ، يستعير منها الصبي شوقي الطالب بالمدرسة الخديوية ويروي ظمأ نفسه بالقراءة.

وفوجىء الصبي شوقي بالعم « حسيب بك » يسترد الكتب المعارة خوفا عليها من التلف في يد هذا الصبي ، فلجر الغيظ شاعرية الفتى الكامنة ونطق ببيتين ، كانا اول نظم له ، وهما :

حسبت حسيبا زاده الله رفعة لما نظرت عيناى فيه اخا عطا
فخالف ظني ما رأيت فانه لكالدهر ذلاب من الناس ما عطا

وما عطا هنا من « الفتى » شوقي لحن صوابه ما أعطى ... والخروج من بعض قواعد اللغة واصولها يجيزه النحويون في الشعر ، ويعدونه من الضرورات مراعاة للوزن .

وهو يقبل من « الفتى » شوقي صبيا ، وامير الشعراء كهلا ...

ويسيغه مراعاة الجناس التام بين عطا العلم ، وعطا الفعل . والتورية في اخا عطا ... والتورية لفظ له معنيان ، ويراد أحدهما . وقد أراد الصبي « شوقي » بأخا عطا : العطاء لا حسيب بك اخا عطا بك ...

● تردد خلال انعقاد مؤتمر القمة العربي بمدينة الرباط في اكتوبر ١٩٧٤ ذكر الرباط وبعض الاذاعيين اذاعها الرباط بفتح الراء المشددة ، وبعضهم اذاعها بكسر الراء المشددة. والرباط بتشديد الراء المفتوحة لحن والصواب : الرباط بالكسر والتشديد

والرباط الذى سميت به المدينة واحد الرباطات التى تبنى في الثغور وتربط فيها الخيل ، وتعد للقتال، وصد الاعداء ، او يقام فيها الجنود ايضا مرابطين ، ملازمين ، مجاهدين ... فالرباط ياتي بمعنى البناء ، وياتي بمعنى المرابطة والمثابرة والمدافعة « يايها الذين آمنوا اصبروا ، وصابروا ورابطوا » .

والرباط أيضا الحبل الذى تربط به الدابة ، أو تشد به القربة ، وجمعه ربط أو ربط بسكون الباء وضمها . وفي جميع معاني الرباط ، بالكسر والتشديد ولم يرد الفتح والتشديد.

● جاء في العدد الماضى :

« آجداد النور عرب قح » والصواب الذى لا يحتمل جدلا « عرب أقحاح » ..

و « حانة » وقعة المبارى » والصواب « وحانت »

« ان الاناث من الخنافيش تفحض » والصواب « يفحضن »



مع قراء الهلال

... والصحافة المصرية ترسي قواعدها ، متفتحة على حياة المجتمع النامى ، فى حقبة الثلاثينات وما تلاها - لم تكن تخلو صحيفة أو مجلة من « بيان - هام » تنشره فى كل عدد وفى مكان بارز يستلفت اهتمام القارئين والكاتبين - معلنا :

« الرسائل والمقالات لا ترد لاصحابها سواء نشرت أم لم تنشر » ...

ولقد تأكد مفهوم البيان فى أذهان الجميع حتى أصبح بديهية وعرفا ، وتقليدا سائدا فى علاقة القارىء والكاتب بالصحيفة ... بعدها ، وعلى مر الأيام ، فقد نشر البيان الهام أهميته !

ولأن الدنيا تدور ، واختلاف النهار والليل ينسى - فان صحفنا اليوم ، وبعد السنين الطوال منذ الثلاثينات حتى الآن - تتذكر ما كان ، وتفكر فى اعادة نشر مثل ذلك « البيان الهام » !

ان تغير الأجيال ، وديناميكية العصر ، وزحام العيش - قد أضاف الكثير الى الروابط الوثيقة بين الناس والصحف !... والبريد اليوم ، يكاد ينوء بما يحمل للصحف كل يوم من رسائل حافلة بهموم الناس واهتماماتهم ، بالمشكلات ، بالقصص ، بالشعر والمقالات ؟ ...

وفى غمرة هذا الزحام البريدى العظيم ، يتوافد من الشباب ومن القدامى أيضا ، من يطالب غاضبا باسترداد قصة أو قصيدة أرسلها منذ شهور طويلة !

وللشباب فى ذلك عذره ... فان أحدا لم يقرئه « البيان الهام » اياه : الرسائل والمقالات لا ترد لاصحابها ، سواء نشرت أو لم تنشر ... ولم يلفته أحد الى أن ذلك تقليد معمول به أيضا فى الصحافة العالمية ...

... ليت الشباب الآن ، والكبار أيضا ، يحتفظون منذ الآن بصورة أخرى مما يكتبون ويبعثون للصحف من عطاء مواهبهم فى القصيد ، والقصة قصيرة وطويلة ...

... أما ما يكتبون ويبعثون به أسئلة ، واقتراحات ، وشئونا أدبية وثقافية - فلها هنا الملتقى ، والتعارف ، والحوار ولكل سؤال جواب - تحت هذا الشعار العريق ، المتجدد ، الجديد: « مع قراء الهلال »

و ... مع أجمل المنى ، والملتقى ...

● نصر الدين ... ●



تحية ... لقارىء عظيم

... فى رحلتى الى الواحات ، وانا قارىء قديم للهلال ، سمعت ، ولم يتح لى ان اقرأ ماجاء فى «الاخبار» تصريحا، او حديثا للرئيس الجزائرى الكبير هوارى بومدين ، عن حرصه على قراءة « الهلال » ... هل تقدمون ملمحا من نص هذا الحديث ، تلبية لرغبة قارىء قديم ، وتحية ... متى ومن « الهلال » لقارىء عظيم ؟

مهندس : على فوزى

ـ كان ذلك فى الرباط حيث ينعقد مؤتمر القمة العربى السابع ... وقبيل بدء الجلسة الافتتاحية ، وكما كتب الاستاذ اسماعيل النقيب ـ كان يقف فى الصالون الملحق بقاعة المؤتمر ، الرئيس الجزائرى هوارى بومدين بقامته المديدة الرائقة ، ويقف بجانبه الشيخ زايد بن سلطان رئيس دولة الامارات ، ومحمود رياض ، امين الجامعة العربية ، والدكتور سيد نوفل الامين العام المساعد .

وقال الرئيس بومدين، يسأل الدكتور سيد نوفل : « متى تجد الوقت الكافى لتكتب مقالاتك فى مجلة « الهلال » التى أحرص على قراءتها دائما ؟.» فيرد الدكتور نوفل مبتسما : « مثلما تجد انت يا سيادة الرئيس الوقت الذى تقرا فيه » . ثم تطرق الحديث الى مناقشة الوان الكتابات والقراءات والفاضلة بين السياسة والادب ..

سحر الفجريات

● انتظر بالشوق عددكم الخاص من « الهلال » الذى اعلنتم انه سيكون عن « السحر والسحرة » ... وبالمناسبة ، اسالكم : انا رئيس حسابات ، واهوى الصحافة والادب ، ولكن فجرية بارعة تنبات لى اخيرا بانى ساكون وزيرا ... ما رأيكم ؟ ..

● على عبد القادر ●
● الاسكندرية ●

ـ لا تصدقها ! .. فمنذ عشرين عاما تنبات فجرية مثلها فى فرنسا للصحفى الفرنسى المعروف « رينى مورى » بانه سينتقل قريبا الى رحمة الله ! .. وأراد الرجل ان يتفرج على الدنيا

قبل الرحيل،فبدأ القيام بسلسلة من المغامرات والرحلات الصحفية عبر المغرب العربي والشرق الاوسط وافريقيا والهند الصينية ، استمرت عشرين عاما !

وقد احتفل « ريني موري » اخيرا بهذه « المناسبة » فألف كتابا صدر هذا الشهر في باريس عن مغامراته وذكرياته خلال عشرين عاما من نبوءة تلك الغجرية « البارعة » بقرب وفاته !

ملحمة بنت العشرين

● اين اجد الكتاب الجديد « ملحمة بنت العشرين » الذى قرات انه صدر اخيرا للشـــــاعر الجزائرى الكبير مفـــدى زكريا ؟ ...

● سعيد شوقى ●
● اداب المنيا ●

ـ « ملحمة بنت العشرين » ليست كتابا ، انها قصيدة كبرى يتجاوز عدد ابياتها مائة وثلاثين بيتا ، نظمها الشاعر الجزائرى الكبير ، تحية للذكرى العشرين لثورة الجزائر المجيـــدة ... وسنقدم فى أعدادنا القادمة مختارات من هذه الملحمة .

مع الجمال والجلال ...

● اقترح أن تتبنى « الهلال » دعوة لانشاء مؤسسة عربية كبرى ، تسمى «مؤسسة القرآن » تكون لها فروع فى كل عواصم الوطن العربى ، لتشرف على طبع المصاحف وتصحيحها وتوزيعها وتنظيم مسئولية الحماية الواجبة لكتاب الله ، ضـــد مفتريات الصهاينة والملحدين ، ومؤامرات الدس والتزييف ... .

ويشرفنى بهذه المناسبة أن أرفق برسالتى هدية لمكتبـــة « الهلال » ، هى مصحف جديد نادر صـــدر اخيرا عن الدار التونسية للنشر ، نقل بالتصوير عن مخطوط طريف مزين بالالوان البديعة والنقوش الفريدة ... وهو برواية حفص عن عاصم ، ويتميز عن سائر المصاحف المطبوعة بجمال الخط ، والرســـم البديع ، والضبط الدقيق ، كما يمتاز بصدوره فى ستين صفحة، كل حزب فى صـــفحة واحدة ، ومع ذلك فالخـط واضـــح تماما ، يقرأ بسهولة ويسر ...

وفى هذا المصحف الانيق ، اشير الى حرف الالف باللون الاحمر والى الهمزة القطعية بنقطة ذهبية ، والى الهمزة الوصلية بنقطة زرقاء وفى «الطرة» اشارات الى اوائل الارباع والانصاف ونهاية

الاحزاب بالحروف التاليــــة « ر » للربع ، « ن » للنصف ، « ح »للحزب ...

انه ، وكما ترون ، تحفة نادرة ، جديرة بما تضم بين دفتيها من الجمال والجلال فى كلمات الله وقرآنه المجيد ...

ليت من يقتنون مخطوطات وتحفا قرآنية نادرة كهـــــذه يقدمونها للطبع والنشر .

● الاخضر بن حميده ●
● تونس ●

● دروس موضوعات ●

يبدو أنه ...

كان نسران واقفين على قمة شاهقة ، فمـــرت فى السماء طائرة نفاثة ، يتطاير من وراء محركاتها شرر اللهب ...

فقال النسر الاول : ... يبدو أنه مستعجل !

أجاب النسر الثاني : وأنت ماذا كنت تفعل لو اشتعلت النار فى ذنبك ؟!

البلبل والليل

بعد ليلة مؤرقة قضاها المثال الشهير « بريو » ـ وكان فاتر الاهتمام بتذوق الموســـيقى ـ كتب فى مذكراته : « كان البلبل ينبح طول الليل » !

التاريخ والأسعار !

● أسوأ مافى التاريخ أنه فى كل مرة يعيد نفسه ، تزداد الاسعار ارتفاعا !

عبء عظيم !

« قل لي يا مستر راسل » ... هكذا قال شاب صغير ، يسأل الفيلسوف الانجليزى برتراند راسل : « ... ما هو أكبر عبء يحمله الانسان فى هذه الحياة ؟ »

بعد لحظات تفكير ، أجاب الفيلسوف الكبير : « ... عندما يشعر الانسان يا بنى أنه لا يحمل عبئـــا على الاطلاق ! ... فالفراغ هو أضخم عبء فى حياة الانسان ، أى انسان ، رجلا كان أم امرأة ! »

مع قراء الهلال

ثلاثون الف سهرة !

● احتفلت اخيرا الاوساط الثقافيةوالفنية بالذكرى المئوية الثالثة للكاتب المسرحي العظيم « موليير » الذى تعرفه جماهير المسرح العربي عندنا ، ولا يخلو موسم لفرقنا المسرحية من احدى روائعه المترجمة الى العربية ...

تمنيت لو ان « الهلال » قدم لقرائه فى ذكرى موليير العظيم ، ولو كلمات عن حياته ومسرحياته..

● فؤاد لحود ●

● بيروت ●

— توفى « موليير » فى سن الثانية والخمسين ، منذ ثلثمائة سنة ... وهو ينفرد بين جميع المؤلفين الكوميديين بالرقم القياسى فى عدد المرات التى مثلت فيها مسرحياته ، لا فى فرنسا فقط بلفى العالم اجمع ...

وفى دار « الكوميدى فرانسيز » بباريس ، او « دار موليير » ، مثلت مسرحياته ثلاثين الف مرة ، وكانت مسرحية « طرطوف » او المنافق ، اروج مسرحياته ، ثم يليها مسرحية « البخيل » وكذلك « طبيب رغم أنفه » ...

وقد نقلت مسرحيات « موليير » الى ٢٧ لغة ، وبلغ عدد طبعات مجموعة مسرحياته خمسمائة طبعة مختلفة ، وصدرت عن حياته ومسرحياته مؤلفات يزيد عددها على ثلثمائة كتاب ..

من مأثورات « موليير » عن المسرح الكوميدى ، قوله « : ليس أصعب على الانسان من اضحاك الناس بغير اسفاف ولا ابتذال ... »

● محمد عثمان محمد — ايديال »

— الحديث عن جوائز السينما ، فات اوانه ...

وانتاجك القصصى تقرؤه لجنة الفحوص فى « الزهور » ...

● أحمد بسباس ــ تونس :

ــ باكورة انتاجــك : مقطوعة « احبك » ، متواضعة بالفعل كما وصفتها في تقديمك لها .. وتحمسك لتخليد ذكرى عميد الادب العربي الدكتور طه حسين جدير بالتقدير والاهتمام ..

● السيدة جميلة هوارى ــ الجزائر :

ــ سوف نرسل لك ما طلبت ، صورة فقيد الشعر العربي عزيز اباظة ...

● حسن محمد على ــ سوهاج :

ــ لمتصلنا الرسائل التى تتحدث عنها ، ومرحبا بانتاجك ومقترحاتك

● نوار الامين ــ دمشق :

ــ الحق مع استاذ اللغة عنــدكم بالنسبة للقصيدة « عود بلا وتر » ... والقصيدة الثانية ــ من بحر المتدارك ، وبعنوان لمن » ــ ليست جيدة ، ولكنها محاولة واعية ...

● سالم البحبازى بنزرت :

ــ نعم يا أخى .. يمكنك ، ويمكن لمن يشاء من قراء « الهلال » ان يسأل من يحب ويؤثر من الاساتذة كتاب « الهلال » عما يعن له فيما يتصل بشئون العلم والفكر والادب ... كما يمكن بالطبع أن ينشر اى سؤال والجواب ، في هذا الباب ...

● سعيد عزت ــ القاهرة :

ــ انه شاعر الهند الكبير طاغور والترجمة الاصح لتلك المأثورة من خطراته الشعرية الرقيقة ، كما يلى :
« ... فى صباح يومشمس ، سمعت صخرة تقول لموجة البحــر : انك تطوفين العالم كله ، تشاهدين كل شيء ، وتتمتعين بكل شيء ... لكنك تضربينني قبل أن تذهبي وتضربينني عندما ترجعين ! ... »

● محمد أحمد كشك ــ كفر الشيخ

ــ ليس هناك ما يدعو لتساؤلكحول اختيار « كثير ــ عزة » موضوعالمقال الدكتور أحمد كمال زكى فى عــدد الشهر الماضى من « الهلال » .. ولو أن هناك سرا ، فهل تعرفه ؟ ..

أما « الفقاعات الثلاث » التى تقول انها تطفو علىالسطح وتريد أن تفرغها بمجدافك ــ فأرجو أن تعيد النظر فيها متمعنا ــ وأنت ماجستير فى الادب العربى ــ وسوف ترى انها مما يدخل فى باب التعليق والملاحظات .

● عزت محمدياسين ــ الزقازيق:

ــ الرأى ، كما تطلب « بصراحة وان كان مؤلما ... » انها ــ القصة ــ محاولة اولى، فيها كل عيوب المحاولات الاولى ! ..

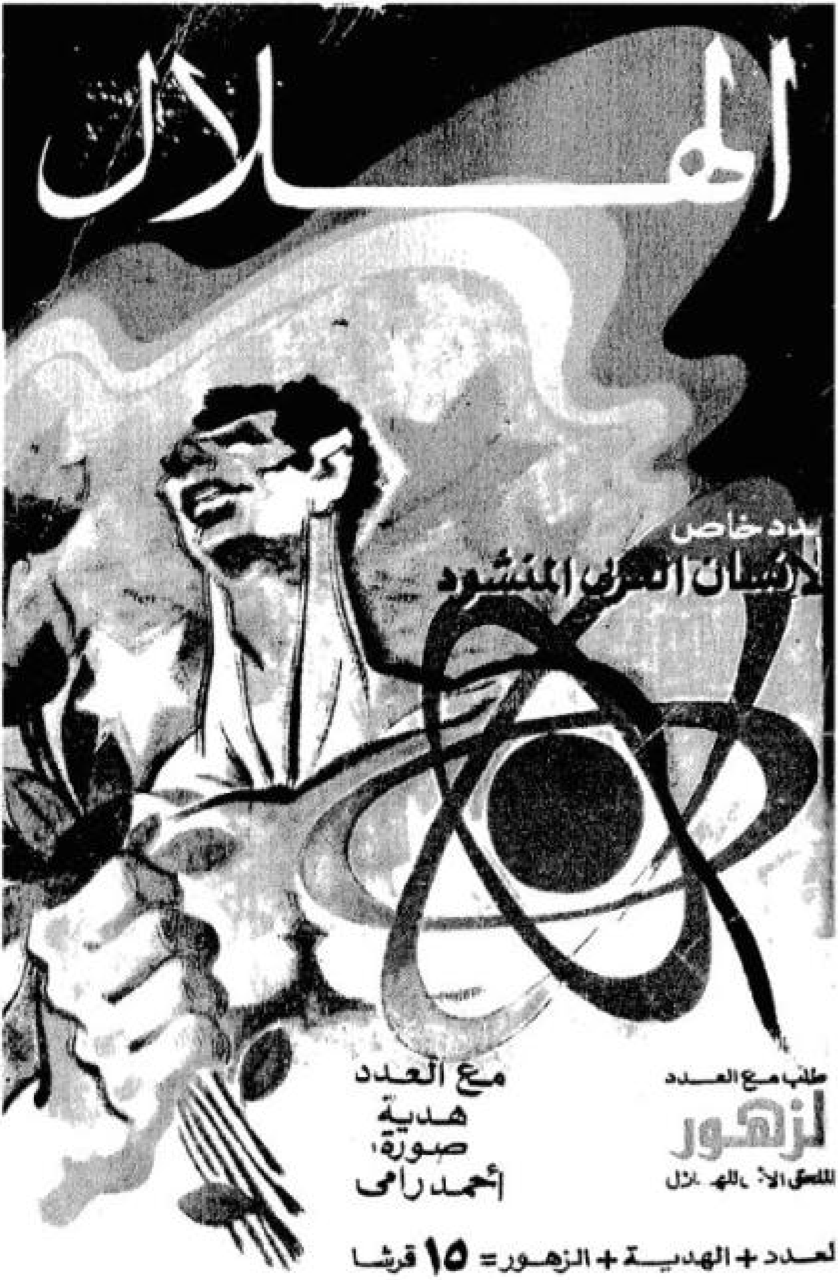
ورد .. من الورد

حين اهديتها على الغصن وردا
مستعيرا من خدها الارجوانا
جزعت ان تشمه - وهو عطر -
ومن الورد ما يروع الحسانا
قالت النار فيه - ام - فيه قلب
يبعث النار ؟ .. ثم مالت حنانا
قبلته ... فقبلت كان زمانا
ذلك الورد ... ثم صار مكانا
سألت : ان حملته - كيف يلقى
حامل الاحمر المثير امانا ؟
اين يحيا بين العذارى ؟ اليست
تهمة ان اضمه - وامتهانا ؟
قلت : يحيا ما بين نهدين زادا
هذه الارض فى الهوى دورانا
كيف تنسين ان خدك اشهى
من ورود الدنيا واعتى افتتانا ؟
فاقبلى الورد : انه مستعير
منك روحا ، او ملهم خفقانا
واقبلى القلب . انه حقل حب
اى حب لا ينبت الايمانا ؟

● سليم الرافعي ●







الهلال
عدد خاص
للإنسان العربي المنشود
مع العدد
هدية
صورة،
أحمد رامى
اطلب مع العدد
الزهور
العدد + الهدية + الزهور = ١٥ قرشا

الهلال

محرم ١٣٩٥
فبراير ١٩٧٥

مجلة شهرية تصدر من دار الهلال ـ أسسها جرجي زيدان سنة ١٨٩٢ ـ العدد الثاني ـ السنة الثالثة والثمانون ـ أول فبراير ١٩٧٥ ـ ٢٠ محرم ١٣٩٥

الاشتراكات

ثمن العدد : في جمهورية مصر العربية ١٥٠ مليما .

قيمة الاشتراك السنوي : (١٢ عـــددا) في جمهورية مصر العربية وبلاد اتحادي البريد العربي والافريقي ١٥٠ قرشا صاغا . في سائر انحاء العالم ٦ دولارات او ٢٫٥٠ جنيه والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال . في جمهورية مصر العربية والسودان بحـــوالة بريدية . في الخارج بشيك مصرفي والاسعار الموضحة بالبريد العادي ـ وتضاف رســـوم البريد الجوي والمسجل على الاسعار المحددة عند الطلب ×

الادارة : دار الهلال ١٦ شـــارع محمد عز العرب ـ القاهرة ×
تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »



عبد الحليم محمود



د. سيد كريم



د. عبد الحليم منتصر

بسم الله الرحمن الرحيم



كلمة الهلال

نحن في مطلع عام ١٣٩٥ الهجرى ..
اى اننا بعد خمسة اعوام - الا قليلا - سنستقبل القرن الخامس عشر الهجرى
فباى وجه تلقى الامة العربية - بله الامة الاسلامية عامة - مطلع القرن الجديد ؟

ماهى مواصفات المواطن العربى الذى ينبغى ان تحتشد جهود الدول العربية جميعا لاعداده لاستقبال القرن الخامس عشر الهجرى ؟

وما هى الوسائل الكفيلة بتحقيق بناء هذا المواطن ؟

كيف ننزع عن الانسان العربي ثوب البداوة الجاهلية ونلبسه ثوب الحضارة المعاصرة ، دون أن يفقد ايمانه بعقيدته وتراثه ومثله والكريم من تقاليده ؟

لعل انسان ٦ اكتوبر - ذلك الانسان الذى اعتزم واصر وتقدم وبذل وعرف كيف يستخدم السلاح وكيف يحطم الاكذوبة وكيف يرفع هامة وطنه - هو الانموذج المصغر للانسان العربى المنشود .. هو الانموذج الذى يجب ان تحتشد الجهود العربية لتطويره ذهنيا وروحيا وجسديا لاستقبال القرن الخامس عشر الهجرى
انه انسان التكنوجيا .. الذى يستطيع ان

يستوعب مستحدثات الحضارة ويحسن استخدامها وهو الانسان المثقف .. الذى يطلب العلم لوجه العلم، ويوجه الثقافة لخير الانسانية

وهو الانسان الفنان .. الذى يحسن ادراك القيم الجمالية ويحس لمساتها فى كل مجال من مجـــالات العمل

وهو الانسان صحيح الجسد .. القادر على مواجهة الحياة ، والتغلب على مشاقها ، وانتاج جيل عــلى جديلته فى قوته وسلامة بنائه

وهو الانسان الاخلاقى ، الذى يترسم فى مسـيرة حياته خطة قائمة على الحب والايمان والايثار والوطنية والانسانية

وكل ما امامنا ـ حتى ندرك القرن الجديد ـ خمس سنوات قد لا تستطيع الجهود المجتمعة خلالهـــا ان تصنع المعجزة .. معجزة تحويل الانسان العربى المعاصر الى الانسان العربى المنشود ، ولكنها تستطيع ـ على الاقل ـ ان تبدأ المسيرة بابناء الحلقة الثانية فى كل بلد عربى فهؤلاء هم ـ بعد خمس سنوات ـ شباب هذه الامة المرجوون لصنع مستقبلها وبناء غدها المنشود .

● صالح جودت ●

فضيلة الإمام الأكبر
الدكتور عبد الحليم محمود
شيخ الأزهر

مستقبل الإسلام

ان الازدهار فيما يتعلق بمستقبل الاسلام يرتبط بأمرين :

١ ـ الأمر الاول : هو تحقيق الخلافة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

٢ ـ الأمر الثانى : هو تكوين الداعية الاسلامى كما أحب الله ورسوله ٠

ونتحدث عن الامر الاول :

ان الخلافة لرسول الله صلى الله عليه وسلم تعنى القيام بالدور الذى حدده الله سبحانه وتعالى لرسوله

لقد رسم الله سبحانه وتعالى دور رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المجتمع فى آيات كثيرة من القرآن الكريم ، منها :

« لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلو عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين »٠ (١)

وفى سورة الجمعة يبين الله سبحانه أن ما فى السموات وما فى الارض ينزهه سبحانه، اذ أنه يسبح له ويذكر سبحانه من صفاته : الملك ، القدوس ، العزيز ، الحكيم٠٠ ثم يقول :

«هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم اياته ويزكيهم

---

(١) ال عمران : ١٦٤

ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين » (١)

ويقول سبحانه فى سورة البقرة:

« كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم اياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة • ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون » (٢)•

ويقول الله جل شأنه :

« الر • كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد »•

ومن دعاء سيدنا ابراهيم وسيدنا اسماعيل عليهما السلام وهما يرفعان قواعد البيت :

« ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ، انك انت العزيز الحكيم » (٣)

ودور رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ كما هو واضح من الايات السابقة ــ انما هو :

التزكية والتعليم •• تزكية النفس ، والله سبحانه وتعالى يقول :

« قد افلح من زكاها » • (٤)

التزكية على أسس من هدى الله تعالى ، وعلى مبادىء من وحيه سبحانه ، ولن يكون ذلك الا ممثلا فى الايمان بشعبه التى تقرب من السبعين شعبة بحسب الحديث الشريف الذى يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بصيغ عدة ، والذى يدل على أن الايمان بضع وسبعون شعبة أفضلها :

شهادة أن لا اله الا الله ، وأدناها اماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الايمان •

ولقد تحدث القرآن الكريم عن الايمان وعن شعبه فى كثير من اياته الكريمة موضحا ومبينا ومفسرا ، وحاثا وموجبا ، ومن ذلك هذه الآية الجامعة :

« انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ، وجاهدوا باموالهم وأنفسهم فى سبيل الله اولئك هم الصادقون » (٥) •

ومن ذلك قول الله سبحانه فى أول سورة « المؤمنون » :

« قد افلح المؤمنون ، الذين هم فى صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون ، والذين هم لفروجهم حافظون ، الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين ـ فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون ، والذين هم على صلواتهم يحافظون ، اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون »•

---

(١) الجمعة : ٢
(٢) البقرة : ١٥١
(٣) البقرة : ١٢٩
(٤) الشمس : ٩
(٥) الحجرات : ١٥

مستقبل الإسلام

ويقول سبحانه :

« انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون »· (١)

والآية الجامعة الفاذة هي :

« ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون »· (٢)

على انه لا يتاتى فى هذا المجال الا أن تذكر أيضا آية البر وهى من درر التوجيه الالهى :

«ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب· واقام الصلاة ، وآتى الزكاة ، والموفون بعهدهم اذا عاهدوا ، والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون »· (٣)

هذه قطرات من التعبير القرآنى عن التزكية !

واذا كنا ذكرنا عن التزكية من العبير الزكى القرآنى فان السنة النبوية الشريفة لها عطرها الأخاذ فى هذا المجال

لقد سئل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن الاسلام فقال :

« أن يسلم لله قلبك ، وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك »·

وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الايمان فقال :

« الاخلاص »·

ومن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم – فيما رواه الامام البخارى : –

« المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه »·

وفيما رواه الامام البخارى عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » ·

وصورة البيعة وصيغتها آية من آيات السمو فى التوجيه :

« عن الزهرى قال : أخبرنى أبو ادريس عائذ الله بن عبد الله أن

---

(١) الانفال : ٢
(٢) النحل : ٩٠
(٣) البقرة : ١٧٧

عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، وكان شهد بدرا ، وهو أحد النقباء ليلة العقبة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وحوله عصابة من أصحابه ـ : « بايعوني على ان لا تشركوا بالله شيئا ، ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا اولادكم ،ولاتأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وارجلكم ولا تعصوا في معروف ، فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له ، ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله ، فهو الى الله ان شاء عفا عنه ، وان شاء عاقبه ، فبايعناه على ذلك ».

وافشاء السلام من الاسلام ، وقال عمار :

«ثلاث من جمعهن فقد جمع الايمان:

« الانصاف من نفسك ، وبذل السلام للعالم ، والانفاق من الاقتار » !

وتتمثل الانسانية الجميلة في القصة التالية :

عن المعرور قال : لقيت أبا ذر بالربذة وعليه حلة وعلى غلامه (خادمه) حلة ، فسألته عن ذلك فقال :

اني ساببت رجلا فعيرته بأمه فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم :

« يا أبا ذر أعيرته بأمه ؟! ، انك امرؤ فيك جاهلية ، اخوانكم خولكم جعلهم الله تحت ايديكم ، فمن كان اخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فان كلفتموهم فأعينوهم » !

والاساس الوثيق في الاعمال انما هو الإخلاص ، اخلاص النية لله تعالى :

عن عمر رضي الله عنه فيما رواه الامام البخاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« انما الاعمال بالنيات، وانما لكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه » .

والان بعد أن ذكرنا ملامح من التزكية مسترشدين بالكلم الطيب من القرآن الكريم والسنة المطهرة ـ نتحدث عن الشطر الثاني من الدور الذي كلف رسول الله صلى الله عليه وسلم به ، الا وهو : العلم . والعلم اذن في الرسالة الاسلامية شطرها ، بل هو شطرها الاساسي أي الشطر الذي تقوم عليه التزكية ، اذ لا تتأتى أن تقوم التزكية على الجهل ..

لقد نشأ الاسلام حليفا للعلم ، ولعل مما يبين الاهمية الكبرى التي منحها الاسلام للعلم أن نرجع بنظرة سريعة الى اللحظات الاولى التي أشرق فيها فجر الرسالة الاسلامية .

روى البخاري نضر الله وجهه بسنده ان ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها روت عنها كتب السنة حديث بدء الوحي وهو حديث طويل ، وفيه أن رسول

الله صلى الله عليه وسلم بينما كان فى غار حراء يتعبد جاء الملك فقال:

« اقرأ ... !

قال : ما انا بقارىء

قال : فاخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم ارسلنى فقال :

اقرأ ...

قلت : ما انا بقارىء

فاخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ، ثم ارسلنى فقال :

اقرأ ...

فقلت : ما انا بقارىء !

فاخذنى فغطنى الثالثة ، ثم ارسلنى فقال :

« اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » .. سورة العلق .

وحينما فسر المرحوم الشيخ محمد عبده هذه الايات عقب عليها قائلا:

« لا يوجد بيان ابرع ، ولا دليل اقطع على فضل القـراءة والكتابة والعلم بجميع انواعه من افتتاح الله كتابه وابتدائه الوحى بهـذه الايات الباهرات .! لقد افتتح الله الوحى

مستقبل الإسلام

فى الدين الاسلامى بهذه الايات المعجزة الخالدة التى تذكر القراءة والكتابة والعلم ، والتى تتردد فيها مادة العلم اكثر من مرة » .

وبعد ان نزلت هذه الايات الكريمة نزل قوله تعالى :

« ن ، والقلم وما يسطرون »

وفى هذه المرة الثانية من الوحى بدأ الله سبحانه بحرف من حروف الهجاء واقسم بالقلم والكتابة فكان اول قسم فى القرآن الكريم هو القسم بالقلم وما يسطر القلم ...

اما اسم الكتاب الموحى به ، فانه: القرآن !

يقول الراغب الاصفهانى :

« قال بعض العلماء :تسمية هذا الكتـاب قرآنا من بين كتب الله لا لكونه جامعا لثمرة كتبه ، بل لجمعه ثمرة جميع العلوم ، كما اشار الله تعالى بقوله :

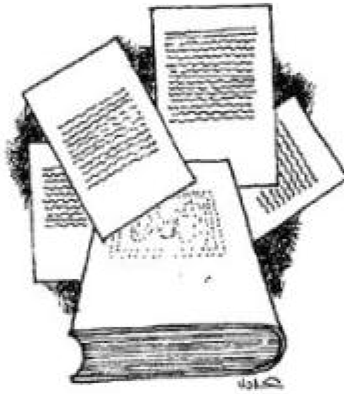
« وتفصيل كل شىء »

وقوله تعالى :

« تبيانا لكل شىء »

والقرآن بتسـميته ، وباول ايات نزلت منه ، وباول قسـم فيه يوجه الانسان بطريق مباشر وبطـريق ايحائى الى الاتجاه نحو المعـرفة قراءة وكتابة وعلما .

اما عن تكوين الداعى فانه لا بد من معاهد متخصصة لتـكوينه على اساس من هدى الاسلام وهذا الاساس رسمه الله تعالى فى أياحسن كتـابه



العزيز ، يقول سبحانه لرسوله صلى الله عليه وسلم :

« قل هذه سبيلي أدعو الى اللهعلى بصيرة انا ومن اتبعني وسبحان الله وما انا من المشركين » (١) ٠

والبصيرة تتضمن معــاني كثيرة جوهرها العلم بالدعوة نفسها ، العلم بها خالية من الشوائب ، صافية نقية، ومنابعها الاصيلة هي :

١ ـ كتاب الله تعالى ، ومن أحسن ما كتب في التفسير : تفسير الامام ابن كثير ، وتفسير الشيخ جمال الدين القاسمي المسمى محاسن التأويل ٠

٢ ـ وكتب السنة الصــحيحة وفي قمتها كتــاب الامام البخاري وكتاب الامام مسلم وكتاب رياض الصالحين وكتب السيرة النبوية الشريفة ، ومن أوثقها كتاب السيرة لابن كثير ٠

وكتب الدعوة أمثال كتاب احيـاء علوم الدين ٠

على أن كلمة البصيرة اذا كانت تتطلب العلم بالدعوة فانهــا تتطلب العــلم بالتيارات المنحــرفة التي لا تسير في تيار التدين الصادق مثل الوجودية ، والبهائية، والقاديانية ، ودعوة حزب التحرير التي تنهى عن الجهاد في العصر الحــاضر ، ولو احتل المستعمرون كل بقاع الاسلام ، وانه لمن الواضح أن هذه الدعوةانما انشاها ونماها وأنتق ، ولا يزال ، عليها ، الاستعمار وهو يغذيهــــا لتصرف المسلمين عن الجهاد فيسبيل الله ، وبذلك يمكن دعاة هذا الحزب بدعوتهم لاسرائيــل ولكل مستعمر ، والدعوة الى تحريم الجهاد والى عدم حمل السلاح في وجه المعتدين على الاسلام دعوة يشترك فيها : حــزب التحرير ،والبهائية ، والقاديانية ،وهي دعوة آثمة ومن انكر الجهــاد فهــو كافر ، فهؤلاء كفار لا يشك في ذلك مسلم ، ولقد أثلج صدور المسلمين ما قررته حكومة الباكســـتان من ان القاديانية اقلية غير اسلامية في باكستان ، ويصدق هذا على حــزب التحرير ، وعلى البهائية ٠

والبصيرة هي السمة الاولى من سمات الداعي ،أما السمة الثانيــة فانها ما عبر الله تعالى عنهابقوله :

« الذين يبلغون رســالات الله ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله ، وكفى بالله حسيبا » (١)

---

(١) يوسف : ١٠٨

(١) ٣٩ ٠

مستقبل الإسلام

وهذه السمة من اهم السمات التى يجب أن تتوفر فى الداعى ، ويجب من اجل توافرها كاملة غير منقوصة أن نؤمن للداعى حياة كريمة ٠

مما لا شك فيه أن الداعى الذى تتوفر له هذه السمة هو الداعى الذى يؤمن بمفهوم الاية الكريمة من أعماق قلبه ، ولا يتأتى أن يكون داعيا الا اذا كان يخشى الله وحده ، ولا يخشى أحدا الا الله ، وهذه الاية الكريمة تتضمن أمرين :

١ ـ التحلى عن عقيدة ، بالخلق الاسلامى الفاضل ، فاذا لم يتحل به فانه لا يصدق عليه انه يخشى الله والفطرة الكريمة وان الخلق الاسلامى الفاضل يتكون من فطرة طيبة ، ومن تربية زكية تصقل هـــذه الفطرة وتهديها الى الصراط المستقيم ٠

ومن اجل ذلك فانه لا بد من اختيار الدعاة اختيارا دقيقا حتى لا يدخل فى نطاقها أصحاب الفطر المنحرفة والاختيار ليس عسيرا فانه يقوم به فى دقة : المعاهد الاوربية والامريكية التى تقوم لتكون الدعاة المسيحيين على أسلوب مدروس ، ولقد زرت بعضها فدهشت من هذه الدقة التى تراعى فى هذه المعاهد من حيث :

١ ـ اختيار الطلبة ٠

٢ ـ اختيار هيئة التدريس ٠

٣ـ اختيار المناهج التى تدرس ٠

٤ ـ اختيـــار الكتب التى تعلم وتربى

٥ ـ اختيار الجو الملائم ٠

لا بد من تكوين معاهد للدعاة على غرار هذه المعاهد ، يتخرج فيهـــا الداعى مؤمنا بانه يؤدى رسالة ويقوم بجهاد فى سبيل الله ، وقد كفلت الدولة له حياة طيبة ، وامنته على نفسه ، ويسرت له سبل الدعوة فى الداخل وفى الخارج ٠

اما السمة الثـــالثة : من سمات الداعى التى بينها الله سبحانه وامر بها ، فانها تتعلق بأسلوب الدعوة وقد عبر عنها الله سبحانه بقوله :

« ادع الى سبيل ربك بالحكمة ، والموعظة الحســـنة ، وجادلهم بالتى هى احسن » وهى سمة غير محتاجة الى شرح مستفيض ، ولذلك قال الله سبحانه لرسوله صلى الله عليه وسلم

«ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك »

وقال سبحانه لموسى وهارون عليهما السلام حينما ارسلهما الى فرعون :

« فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى » ٠

ومن طريف ما يروى فى هذا المجال ان داعيا فظا ـ أى داعيا مزيفا ـ وعظ احد الخلفاء بأسلوب جاف حاد عنيف فقال له الخليفة :

ان الله سبحانه قد ارسل من هو خير منـــك ، الى من هو شر منى ،

وأوصاهما الله تعالى بقوله :

« فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى » .

والواقع ان الداعي الفظ الغليظ القلب يكون عنده دائما مركب نقص: اما لصفة في جسمه تجعله غير سوى أو نقص في علمه ، أو لفساد في خلقه ، فهو يحاول أن يعوض ذلك بهذا النوع الذي عبر الله عنه بقوله :

« فظا غليظ القلب »

هذه هي الصفات التي يجب ان تتوافر في الداعية ، ولن يتأتى ذلك في صورة تشبه أن تكون مكتملة الا عن طريق معاهد الدعوة التي يجب ان تنشأ من الان في البلاد العربية : مصر ، والسعودية ، وليبيا ، والكويت ، وقطر ، وامارات الخليج وغيرها .

والان نتساءل : ماذا فعل المسلمون ؟ ماذا فعل السبعمائة مليون أو السبعمائة مليون مسلم في العالم من أجل الاسلام ؟

لا شيء .. أن كل دولة ، بل كل دويلة في الغرب ، ترسل ارساليات في كل أقطار العالم الاسلامية أو الوثنية .

وفي مقابل ذلك لم ترسل دولة اسلامية من يبشرون بالاسلام ،

وهذه البعثات التي تخرج من البلاد الاسلامية الى غيرها ، انما هي بعثات تعليمية ، انها تعليمية بحتة، حتى لقد خلت من فكرة أن تكون بعثات تربوية .

انها تعليمية ، تعلم الحساب والجبر والهندسة ، أو تعلم الحروف الهجائية ، وليس في اذهان المبعوثين مسألة الدين أو الخلق أو التربية الاسلامية .

وبعد : فانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ، وان الامل الكبير في أن يوفق الله الامة الاسلامية لاتخاذ طريقه قولا وعملا ، فاذا حققوا ذلك ، فانهم يومئذ يفرحون بنصر الله .

« ولينصرن الله من ينصره ، ان الله لقوى عزيز »

وان من تباشير التوفيق أن تبدأ — في مصر — دولة العلم والايمان ، وهي دولة لنا كبير الامل في أن تتخذ خطواتها على أساس من العلم في كل مجال من مجالات العمل المثمر ، وعلى أساس من الايمان في مختلف نظم المجتمع ، سواء في عقائده ، أو في اخلاقه ، أو في تشريعه .

وبعد : فاننا اذا حققنا الدور الذي رسمه الله لرسوله صلى الله عليه وسلم :

« العلم والتزكية » واذا خرجنا الداعية المسلم فاننا بذلك نكون قد ارضينا الله ورسوله .. ، وكفلنا بذلك النصر ، والفوز ، والعزة ، والكرامة:

« ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم » .

الإنسان في القرآن

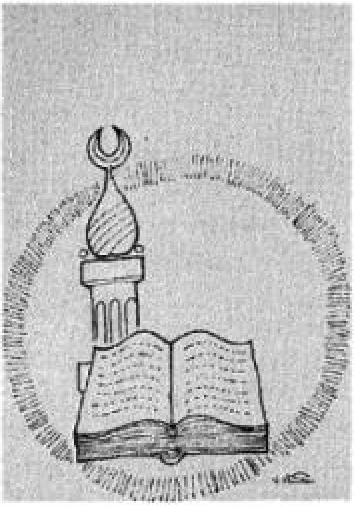
د. أحمد الشرباصي

حينما قال اللغويون : الانسان يطلق على الذكر والانثى من بنى ادم أرادوا تعريف ذلك الكائن الحى المسوى من لحم ودم ، واعصاب والياف ، ولكن كلمة « الانسان » كسبت من استعمالها مع الايام مجموعة من المعانى صار بها ذلك الانسان « انسانا » حتى أن العامة نفسها تقول : ان فلانا رجل « انسان » ، اى يتصف بصفات تجعله اهلا لحمل ذلك الوصف الكريم الاصيل •

ولقد ذكر الراغب الاصفهانى فى « مفردات القرآن » أن الانسان سمى بذلك لان الله خلقه خلقة لا قوام له فيها الا بأنس بعض أفراده الى بعض ، ولذلك قيل : الانسان مدنى بالطبع من حيث انه لا قوام لابنائه الا اذا كان بعضهم لبعض ، ولا يمكن لفرد منهمأن يقوم وحده بجميع أسبابه •

والانسان القويم فى الانسان هو انسان العقل والعلم والايمان والعمل ، وهو شيء كبير فى جوهره واثره ، وان بدا ضئيلا فى جسمه وحجمه ، ولم ينل كائن من المخلوقات ما ناله الانسان من تشريف ، ولقد بدأت سلسلة التشريف الالهى للانسان — كما حدثنا القرآن — بأن خلق الله بيده آدم عليه السلام ، وهو الاب الاول للانسان ، وأطلق عليه اسم « الانسان » كأنه علم له ، وكأنه النموذج الدال على سلالته وذريته ، فقال القرآن : « لقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون » وقال « وبدأ خلق الانسان من طين » وقال : « الرحمن ، علم القرآن ، خلق الانسان ، علمه البيان » •

ولم يكتف الله جلجلاله بأن يخبرنا ويحدثنا عن خلقه آدم كمظهر من مظاهر قدرته ، بل حدثنا أيضا عن حكمته فى هذا الخلق ، فاذا عنوان آخر من عناوين التشريف لهذا الانسان ، واذا هو يختاره خليفة فى كونه ، وتغيب هذه الحكمة حينا عن الملائكة الاطهار ، حتى يعلن الله عنها بعد قليل فى هالة من الاحتفال والتكريم : « واذ قال ربك للملائكة



انى جاعل فى الارض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟ قال انى أعلم ما لا تعلمون ».

هذا الخليفة هو آدم أبو الانسان او الانسان الاول ، فقد حسب الملائكة أن هذا الخليفة سيكون مثل من كان قبله فى الارض من أحياء ، ولكن الله صحح فهمهم فقال : انى أعلم ما لا تعلمون .

واذن فالمشيئة العليا تريد - كما يقول بصير من المفسرين - « أن تسلم لهذا الكائن الجديد فى الوجود زمام هذه الارض ، وتطلق فيها يده، وتكل اليه ابراز مشيئة الخالق فى الابداع والتكوين ، والتحليل والتركيب ، والتحوير والتبديل ، وكشف ما فى فى هذه الارض من قوى وطاقات ، وكنوز وخامات ، وتسخير هذا كله - باذن الله - فى المهمة الضخمة التى وكلها الله اليه ».

واذن فقد وهب هذا الكائن الجديد من الطاقات الكامنة ، والاستعدادات المذخورة ، كفاء ما فى هذه الارض من قوى وطاقات ، وكنوز وخامات ، ووهب من القوى الخفية ما يحقق المشيئة الالهية .

واذن فهنالك وحدة او تناسق بين النواميس التى تحكم الارض ، وتحكم الكون كله ، والنواميس التى تحكم هذا المخلوق وقواه وطاقاته ، كى لا يقع التصادم بين هذه النواميس وتلك ، وكى لا تتحطم طاقة الانسان على صخرة الكون الضخمة .

واذن فهى منزلة عظيمة منزلة هذا الانسان ، فى نظام الوجود على هذه الارض الفسيحة ، وهو التكريم الذى ذهاه له خالقه العظيم .

هذا كله بعض ايحاء التعبير العلوى الجليل : « انى جاعل فى الارض خليفة ». حين نتملاه اليوم بالحس اليقظ والبصيرة المفتوحة ، ورؤية ما تم فى الارض على يد هذا الكائن المستخلف فى هذا الملك العريض »!.

وانسان القرآن انسان قد أفاض عليه ربه نعمة العلم .وبالها من نعمة وتزداد قيمة هذه النعمة حين نتذكر أن الله قد أفاض عليه هذه النعمة فى فجر ميلاده ، والحياة على الارض لم تبدأ بعد « وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئونى باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ، قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم ، قال يآادم انبئهم باسمائهم فلما أنبأهم باسمائهم قال الم أقل لكم انى أعلم غيب السموات والارض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ».

وما أروع أن يقدم الله جل جلاله هذا الانسان الذى خلقه بيده، على الملائكة ، ويعلمه ما لا يعلمون ،

الإنسان في القرآن

حيث أودع نفسه علم جميع الاشياء من غير تحديد ولا تعيين ، وعلمه كل شيء يزينه أن يعلمه ،

وطلب من الملائكة أن يذكروا علمهم ، فاذا هو لا يبلغ مبلغ العلم الموهوب لآدم أبي الانسان ٠

وتكونُ النتيجة الطبيعية لهذا التفضيل أن يقر بها الملائكة ويعترفوا ، وان يعبروا عن هذا الاعتراف باظهار فضل آدم عليه كما

أمر ربهم وربه : «واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين »٠

وهكذا بعد أن ظهر فضل آدم بالعلم ، أراد الله أن يظهر تكريمه فأمر الملائكة بأن يسجدوا لآدم

سجود اظهار الفضل ، لا سجود عبادة ، فأطاعوا جميعا وكانوا

منصفين ، الا ابليس فسق عن أمر ربه وعصى ، فكان من المجرمين الملعونين !٠

وسجود الملائكة للانسان ممثلا في أبيه الاول ــ آدم ــ يعد أروع صورة للتكريم . فقد ارتفع الانسان بهذا

التكريم فوق الملائكة ، وهم عباد مكرمون لا يعصون الله ماأمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، ولقد آتاه الله قبل ذلك فضل الخلق الالهى له، وفضل نفخ الروح فيه ، وبعد ذلك فضل العلم والمعرفة ٠

وأكد القرآن الكريم كثيرا وطويلا نعمة العلم هذه ، فقال هذه الآيات :

« علم الانسان ما لم يعلم »٠

« وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما »٠

« وقل رب زدنى علما » ٠

« يرفع الله الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات »٠

«قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون »٠

« ونفصل الآيات لقوم يعلمون » ،

« انما يخشى الله من عباده العلماء »٠

وانسان القرآن العالم يجعل الله له رائدا وقائدا هو العقل قرين العلم ، ولذلك تكررت مادة العقل

ما يقرب من خمسين مرة في كتاب الله الحكيم ، مثل : أفلا تعقلون ٠

لعلكم تعقلون ان كنتم تعقلون أفلم تكونوا تعقلون ؟ ومايعقلها

الا العالمون ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون ٠٠٠ الخ ٠

ولقد روى الحكيم الترمذى عن أنس رضى الله عنه قال : أثنى قوم على رجل عند النبي صلى الله عليه

وسلم حتى بالغوا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم كيف عقل الرجل ؟

فقالوا : نخبرك عن اجتهاده في العبادة وأصناف الخير ، وتسألنا عن عقله ؟!

فقال صلى الله عليه وسلم ان الاحمق يصيب بجهله اكثر من فجور الفاجر ، وانما يرتفع العباد

غدا في الدرجات الزلفى من ربهم على قدر عقولهم ٠

وعن عمر رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : ما اكتسب رجل مثل فضل عقل يهدى صاحبه الى هدى ، ويرده عن ردى ،

وماتم ايمان عبد ولا استقام دينه حتى يكمل عقله ·

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قلت يارسول الله ، بم يتفاضل الناس فى الدنيا ؟·
قال : بالعقل ·

قلت : وفى الاخرة ؟ ·
قال : بالعقل ·

قلت : اليس انما يجزون باعمالهم؟

قال صلى الله عليه وسلم : وهل عملوا الا بقدر ما أعطاهم الله عز

وجل من العقل ، فبقدر ما اعطوا من العقل كانت اعمالهم ، وبقدر ما عملوا يجزون ·

وانسان القرآن انسان يعلن ربه التكريم له على الملا ، ويسجله فى

كتاب يبقى بقاء الزمن ، ويدوم دوام الدهر ، ويعدد مظاهر هذا التكريم

بقوله : « ولقد كرمنا بنى آدم ، وحملناهمفى البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » ·

ويهب الله جل علاه الانسان نفسا تنطوى على خصائص وقوى تحار فيها العقول . ويطول حولها

البحث ، حتى يقول القرآن : « وفى انفسكم افلا تبصرون »· ويشير الى ذلك الشاعر فيقول للانسان :

وتزعم انك جرم صغير
وفيك انطوى العالم الاكبر

وانسان القرآن انسان عمل موصول وحركة دائبة ، وهو لا يعمل مطلق عمل ، بل يطالبه ربه بأن يكون عمله صالحا ، لذلك تكررت عبارة « آمنوا

وعملوا الصالحات » عشرات المرات فى القرآن ·

ويقول القرآن فيما يقول : « وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى »، ويقول : « ومن أحسن

قولا مما دعا الى الله وعمل صالحا» ويقول : « من عمل صالحا فلنفسه »

ويقول : « وقل يا قوم اعملوا على مكانتكم انى عامل » ويقول : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » ويقول : ولا تعملون من

عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه »·

***

وانسان القرآن انسان كبير كبير بفضل الله وانعامه وتوجيهه ·

انه كبير صلح ليكون خليفة من الله فى الارض كما رأينا : « واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة »·

انه كبير صلح ليكون منه أنبياء ورسل : « الله أعلم حيث يجعل رسالته » ··

انه كبير صلح منه – وهو رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم

الذى مكنه ربه من تحطيم المسافات والحواجز كما رأينا فى حادث الاسراء والمعراج :

« سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد

الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير »·

« علمه شديد القوى ، ذو مرة فاستوى ، وهو بالافق الاعلى ، ثم دنا فتدلى ، فكان قاب قوسين أو أدنى » .

انه كبير صلح لكل ما أظهر الله على يديه ، ومكتسبه من اختراعه وابتكاره وتسخيره ، ومن كشف أسرار الطبيعة التى جعلها الله أمام الانسان قرآنا منظورا : « قل انظروا

ماذا فى السموات والارض » . ووهب الله الانسان فى هذا المجال قدرة هائلة على السير وعلى التفكير وعلى التدبير والله هو صاحب الفضل العظيم .

***

والانسان كما يصوره القرآن حى عاقل شاعر حساس مسئول محاسب على ما يفعل ، مجزى بما يعمل ، « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » ،

وهذا يعطى الانسان احتراما وشخصية وكيانا له استقلاله وحريته وتبعته ، ولذلك يقول الكتاب الحكيم : « بل الانسان على نفسه بصيرة ولو القى معاذيره » فنفس الانسان ـ كما يقول أهل التفسير ـ موكولة اليه تابعة له ، من واجبه ان يرشدها ويسدد خطاها ،وأن يباعدها عن الشر

قدر طاقته وامكانه ، وأن يهديها الى الخير ما استطاع الى ذلك سبيلا ،

الانسان فى القرآن

وهو مسئول عنها ، ولن يقبل الله منه عذرا اذا فرط فى صيانة هذه النفس وتوجيهها نحو سبيل الله .

وقد منحه الله فرصة التمييز والاختيار : « انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا » ، « ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها » ، « من عمل صالحا فلنفسه ، ومن أساء فعليها ، وما ربك بظلام للعبيد »

الانسان فى تصوير القرآن مطلوب منه النهوض بتبعته الفردية ، يتحملها وينهض ، وهو مخلوق راشد رشيد، وكل جزء من سعيه محصى عليه

مراجع فيه ، وسينال هذا الانسان جزاء سعيه وافيا بلا نقص ولا هضم، يقول القرآن ، «وان ليس للانسان الا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الاوفى » .

ومن هنا يفجر القرآن فى حوساة الانسان ينابيع الادراك والشعور والوجدان ، ويحرك فيه اوتار القلب

واللب والروح والنفس ، ليتفكرويعلم ويفقه ويعتبر ، ويخشى ويتعظ ، فيتحدث كثيرا على النمط التالى :

« ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار»

« لقد كان فى قصصهم عبرة لاولى الالباب » .

« ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى » .

« وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون » .

« قد فصلنا الايات لقوم يفقهون».

« ونفصل الايات لقوم يعلمون ».

ومن هذا الوادى فان القرآن المجيد جعل حياة الانسان قائمة علىزوجين



هما المرأة والرجل ، ولم يجعل العلاقة القائمة بين الزوجين مقصورة على لذة الجنس، أو متعة الحس أو شهوة النفس ، بل جعل عماد هذه العلاقة سكينة وطمأنينة وألفة قلوب، فقال : « هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها » · وقال : « ومن أياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة أن فى ذلك لأيات لقوم يتفكرون » ·

●●●

ومن عناية القرآن الكريم بالانسان ان القرآن حذر الانسان عدوه اللدود وخصمه العنيد ، وهو الشيطان المريد ، وأكد القرآن التحذير حتى لا يبقى للانسان عذر يعتذر به اذا وقع فى شراك هذا الشيطان ·

ان القرآن يتحدث هنا على هذا النحو :

« ان الشيطان للانسان عدو مبين »

« ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا » ·

« يا بنى ادم لايفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة » ·

« واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم»

« ان الشيطان ينزغ بينهم »

«يا ايها الذين امنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان » ·

« وكان الشيطان للانسان خذولا » ··· الخ ·

ونحن لا ننسى ــ ولا ينبغى لنا أن ننسى أن القرآن قد نسب الى الانسان كثيرا من السيئات ، وهذه أوصاف خاصة بالانسان الذى اعرض عن ربه وانحرف عن طريقه ، واستجاب لنزغات الشيطان ، ولو احتفظ الانسان بفطرته الاصيلة ، واستمسك بالايمان والعمل الصالح والحق والصبر فى طريق هذا الحق ، لما استحق شيئا من هذه الصفات التى يشوه الانسان بها فطرته ·

وهذا بدليل قول الله سبحانه : « والعصر ، ان الانسان لفى خسر ، الا الذين امنوا ، وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق ،وتواصوا بالصبر»

على هذا الاساس نستطيع ان نتفهم المراد بأمثال هذه الاصناف المنسوبة الى الانسان بعد انحرافهواعتسافه :

الإنسان في القرآن

« إن الانسان لظلوم كفار » .

« وكان الانسان عجولا » .

« وكان الانسان قتورا » .

« وكان الانسان اكثر شيء جدلا » .

« انه كان ظلوما جهولا » .

« ان الانسان خلق هلوعا » .

« ان الانسان لربه لكنود » ... الخ .

على أن القرآن المجيد – وهو كتاب الرءوف الرحيم – قد استبقى روح الترفق، فى خطاب الانسان ، حتى فى مواقف المحاسبة والمعاتبة والمراجعة ، فجاءت طريقة الخطاب شفافة متلطفة فى مثل قول الله تبارك وتعالى : « يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم الذى خلقك ، فسواك فعدلك، فى أى صورة ما شاء ركبك » .

يعلق الاستاذ محمد عبده على هذا النص الالهى الكريم فيذكر أن الله خاطب الانسان بقوله : يا أيها الانسان » ، ولم يقل : أيها المخلوق، أو العبد . وفى الانسان معنى العاقل المتفكر الذى أوتى من قوة ، وبسطة القدرة فى العمل ، ما لا حد له ينتهى اليه ، حتى صار بذلك أفضل المخلوقات واكملها ، ونال بفضل ما أوتيه قوة السلطان عليها ، ولم يكن ذلك كله الا منحة من ربه الكريم الذى احسن كل شيء خلقه .

وهذا الكريم انما يليق به أن يوفى كل مرتبة من الوجود حقها ،فالانسان الذى خص بهذه المنزلة من الكرم الالهى ، لا ينبغى أن يعيش كما يعيش سائر الحيوان ، ويموت كما يموت الوحش وصغار الذر، وانما يتساوى مع بعضها فى الحياة الاولى ، من حيث قصر المدة وسرعة الفناء ، ولكن الذى يليق بعقله وقوة نفسه الناطقة ، ان تكون لحياة أبدية لا حد لها ، ولا فناء يأتى عليها » .

واذا رجعنا الى تفسير الايات السابقة فى كتاب « فى ظلال القرآن» نجد هذا التصوير البيانى الادبى لكلمات النص الربانى المعجز :

« ان هذا الخطاب : « يا أيها الانسان » ينادى فى الانسان اكرم ما فى كيانه وهو « انسانيته » التى بها تميز عن سائر الاحياء ، وارتفع الى اكرم مكان ، وتجلى فيها اكرام الله له ، وكرمه الفائض عليه .

ثم يعقبه ذلك العتاب الجميل الجليل : « ما غرك بربك الكريم » يا أيها الانسان الذى تكرم عليه ربك ، راعيك ومربيك ، بانسانيتك الكريمة الواعية الرفيعة . يا أيها الانسان ما الذى غرك بربك ،فجعلك تقصر فى حقه ، وتتهاون فى أمره ، ويسوء أدبك فى جانبه ، وهو ربك الكريم ، الذى اغدق عليك من كرمه وفضله وبره ، ومن هذا الاغداق انسانيتك التى تميزك عن سائر خلقه، والتى تميز بها وتعقل وتدرك ماينبغى وما لا ينبغى فى جانبه ؟

ثم يفصل شيئامن هذا الكرم الالهى الذى أجمله فى النداء الموحى العميق الدلالة المشتمل على الكثير من

الاشـــارات المضمرة فى التعبير يلمس شيئا من هذا الـــكرم الالهى المغدق على الانسان المتمثـــل فى انسانيته التى ناداه بها فى صـــدر الاية فيشير فى هذا التفصـــيل الى خلقه وتسويته وتعديله ، وهو القادر على أن يركبه فى أى صورة وفق مشـــيئته فاختياره هذه الصورة له منبثق من كرمه وحده ومن فضـــله وحـــده ومن فيضـــه المغدق على هذا الانسان الذى لا يشكر ولا يقدر، بل يغتر ويسدر :

« يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك »!؟

انه خطاب يهز كل ذرة فى كيـــان الانسان حين تستيقظ انسانيته ،ويبلغ من القلب شغافه وأعماقه، وربه الكريم يعاتبه هذا العتاب الجليل ، ويذكره هذا الجميل ، بينما هو ســـادر فى التقصير، سيىء الادب فى حق مولاه الذى خلقه فسواه فعدله .

ان خلق الانسان على هذه الصورة الجميلة الســـوية المعتدلة ، الكاملة الشكل والوظيفة ، امر يستحق التدبر الطويل ، والشـــكر العميق ، والادب الجم ، والحـــب لربه الكـــريم تفضلا منه ورعاية ومنة ، فقد كان قادرا أن يركبه فى اى صورة اخرى يشاؤها ، فاختار له هذه الصـــورة الســـوية المعتدلة الجميلة .. وان الانسان لمخلوق جميل التكوين ، سوى الخلقة ، معتدل التصـــميم ، وان عجائب الابـــداع فى خلقه لأضخم من ادراكه هو ، واعجب من كل ما يراه حوله !

وان الجمال والســـواء والاعتدال لتبدو فى تكوينه الجســـدى ، وفى تكوينه العقلى ، وفى تكوينه الروحى سواء ، وهى تتناسق فى كيـــانه فى جمال واستواء !!»

ويقول القرآن الكريم عارضا كرامة الانسان القرآنى السوى العالى ،وخيبة الانسان الشيطانى الهاوى ، وطريق النجاة والوقاية للانسان الوفى لعهده مع ربه ، فيقول سبحانه : « لقـــد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم ، ثم رددناه اســـفل سافلين ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجـــر غير ممنون » .

ان الله تبارك وتعالى قد خلق كل شيء باحسان واتقان ، ولكنه مع هذا كرر النص فى كتابه على انه سبحانه أحسن خلق الانسان ، ولا شك أن هذا يدل على فضل مزية للانسان ، ومزيد من التكريم له ، وهذا يرمـــز الى أن الانسان له عند ربه شـــأن خاص لان الله أبدع تكوينه فى ناحية الحس والنفس ، وناحية العقـــل والروح ، وهذا الانسان يرتفع شأنه فى حمى ربه الى أعلى عليين ، حين يحافظ على سلامة فطرته وطهارة روحه، وتوطد ايمانه .

ولكن الله المنتقم ممن يســـتحق الانتقام يرد ذلك الانســـان الى الحضيض والى اسفل سافلين اذا ضل أو أضل ، فيهبط الى مســـتوى البهـــائم والانعام ، لانحرافه واعتســـافه ، بعـــد ان كان فى مستوى الملائكة بنور ايمانه وسمو يقينه ولا يسلم من هذا الانتكاس ، الا اهل الايمان والعمل الصالح ، فهؤلاء لهم ثوابهم العظيم ، وجزاؤهم واجرهم الطيب الموصول غير المقطوع « فلهم اجر غير ممنون » .

المثقف العربي

كما ينبغي أن يكون

د. سيد نوفل

وليس من شك ان نظرية افلاطون والفارابي ، ومن نهج نهجهما ، لم يكتب لها التطبيق كاملا .. بل ان بعض الخلفاء الاسلاميين ، مثل عبد الله بن المعتز ابن الخليفة المعتز بالله وكان حجة في الثقافة ، والعلم والشعر والبلاغة ، لم يستطع الاحتفاظ بالخلافة التي وليها سوى يوم واحد .. وزعم البعض ان ثقافته كانت من عوامل اخفاقه ، وأن مؤهلات الحكم غير مؤهلات العلم ...

منذ اربعة وعشرين قرنا خلت ، دعا افلاطون الى ان يكون المثقفون اعلى درجات الثقافة او الفلاسفة هم الحكام، وان يكون رئيس الدولة هو الفيلسوف الاكبر .. وذهب الى ان المجتمع السليم مؤلف من عقل مفكر، وشجاعة حارسة ، وعفة منتجة . وبين ان عقل المجتمع هم صفوة المثقفين او الفلاسفة ، وانشجاعته الحارسة هم الجنود المحاربون الشجعان ، وان عفته المنتجة هم الصناع والفلاحون المخلصون .. ومضت من بعده القرون ، وتشيع اراءه الناشئون . وحمل ابو نصر الفارابي ، فيلسوف الاسلام للقرن العاشر الميلادي الدعوة ذاتها ، فنادى بان يكون رئيس الدولة المثالية او المدينة الفاضلة هو الفيلسوف او المثقف الاكبر ، واكد ان حاجة الدولة الى المثقفين ضرورة اجتماعية واخلاقية ..

وقد يفسر ذلك بان سيادة الثقافة رهن بنضج الضمير البشرى ، وباكتمال المجتمع الذى تسود فيه كلمة الرشاد ، ويعلو سلطان العقل والمنطق . ومادام ذلك لم يتحقق للمجتمعات البشرية ، فستظل دون حكم الفلاسفة والمثقفين ..

لكن الفلسفة أو الحكمة أو الثقافة العالية ظلت مع ذلك كله هى صاحبة السلطان فى شئون الحكم والحياة جميعا ، وظلت ولا تزال تحكم الامم والشعوب بطرائق غير مباشرة ... فمنذ القدم كان الفلاسفة والكتاب وسائر المثقفين هم الذين يوجهون شئون الحكم والحياة فى الحضارات القديمة والوسطى والحديثة . ولا يزال المثقفون هم حكام العالم ، أو صناع السياسة ومكونو الرأى العام الذى يتحكم فى مجالس الوزراء والنواب والقضاة والحكام ، سواء توفر لهم حظ مذكور من الثقافة او لم يتوفر ، يعتمدون كل الاعتماد على المثقفين ، يرسمون لهم الخطط ويتابعون تنفيذها كل فى ميدانه ..

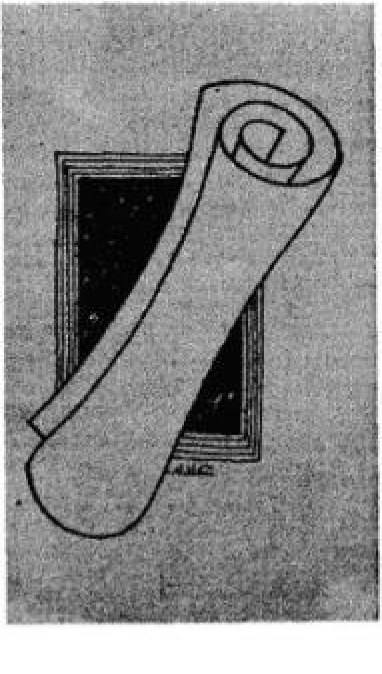
والسلطة التشريعية المنتخبة يدير شئونها عدد قليل من المثقفين ، ويلتف حولهم جمهرة النواب الذين يسمون ارقاما او (نمرا) ، لا يعدو دورهم حساب الاصوات او تكملة النصاب القانونى للتقرير .

وكان ملوك مصر القديمة حريصين كل الحرص على تثقيف الحكام فى الداخل والولاة فى الخارج ثقافة خاصة ممتازة ، تؤهلهم لحمل المسئولية فى دولة الحضارة العالمية لذلك الزمان . وكان الاسكندر الاكبر يفخر بانه من تلاميذ ارسطو ويقف خافضا جناح التواضع طالبا الرأى من اهل الحكمة فى عصره ..

وحين اختار الله محمدا ، صلى الله عليه وسلم ، لهدى البشرية ، اوحى اليه اول ما اوحى بالعلم ، واداتى الثقافة من القلم - او الكتابة والقراءة - وكان المثقفون من الرواة والعلماء والشعراء هم اصحاب الولاية والوزارة والكلمة النافذة فى حكومة الحضارة العربية لفجر الاسلام حتى ضحاه .

وقد عمل الاستعمار جاهدا لحرمان من ابتلوا به من نور الثقافة؛ والمعرفة، بل عمد الى اشاعة الجهالة فيهم حتى يطمئن سلطانه فى عماها،

وعمل يائسا لكى يبدل بثقافة المثقفين الوطنية ثقافته الاجنبية الاستعمارية ... واسرائيل تركب كل صعب من اجل حرمان العرب فى الاراضى المحتلة من نور الثقافة



العربية ، وتحارب في يأس لتبديلها وتحريف مبادئها عن مواضعها الصحيحة .

الثقافة بين الطبيعة والوراثة

والحق أن الانسان يتميز بأمرين أساسيين ، هما الشكل الجسماني والتراث الاجتماعي أو ما يسمى الثقافة وقد تستخدم كلمة الثقافة مرادفا لكلمة الحضارة ، لكن الحضارة تعني على وجه التحديد مرحلة متقدمة للثقافة ، فتدل الثقافة على ما يتوارثه الانسان ويستحدثه من المعارف والفنون والصناعات والقيم والعادات . وفي هذا النطاق يفهم التنظيم الاجتماعي بوصفه جزءا من الثقافة، يجتمع فيه الذاتي والمكتسب، ويصنع فيه الانسان القدر الاعظم.. وأعمال الانسان ابتداء من نحت الكهوف في الصخور والادوات الحجرية الى الاقمار الصناعية والمسيرة في الفضاء ، هي جميعا من صنع الانسان ومكتسباته النامية على الايام ، وتتألف منها ثقافته ..

فالثقافة ليست نظريات ، وانما هي حقائق فعالة برزت الى الوجود لسد حاجات الانسان ، ومطالب البيئة التي يعيش فيها ... وبهذا يتميز الانسان في بيئة ما بشكله وثقافته معا ، وتؤلف الثقافة من الافراد مجموعات منظمة متناسقة ، تعطيها استمرارا ابديا مطرد التطور والنماء .

ويقول علماء الاجتماع ان الثقافة تطور مكتسبات الانسان أعظم تطوير ... وهي اذ تفعل ذلك لا تمنحه المزايا والصوالح فحسب ، وانما ترتب عليه كذلك المطالب والالتزامات ، وفي مقدمتها التضحية ببعض الحريات الذاتية في سبيل رفاهية الجماعة واكتمال صوالحها .

انها تفرض على الانسان ان يخضع نفسه للقانون والنظام العام ، وأن يتعلم التقاليد الموروثة ويسير على نهجها ، وان يطوع أوتار حنجرته للكثير من الاصوات ، وأن يروض جهازه العصبي على مختلف العادات . ولا ضير في ذلك ما دام يعمل للغير ويعمل الغير له ، ويعتمد على مجتمعه ونظامه كل الاعتماد .

مدلولات الثقافة

وللثقافة استخدامات كثيرة، يمكن ايجازها في استخدامين رئيسيين . فهي تدل على ثمرات الحضارة المتقدمة ، مثل الفنون والاداب والفلسفة . ومن هنا يوصف بها الاشخاص المتعلمون تعليما عاليا ، فيقال انهم اشخاص مثقفون . كما يستخدمها علماء الانسان في الدلالة على الصفات الانسانية ، من الافكار والعادات والقيم التي تنمو وتتكاثر، في اطراد حتى تصبح من مسمات البيئة والمجتمع المميزة لهما عن غيرهما من البيئات والمجتمعات .

وهذا الاستخدام العلمي التاريخي للثقافة يبدو في ثلاثة مفاهيم :

المفهوم الاول هو المتطور ، اى الصفات التي تميز الانسان عن

الحيوان . وكان علماء التاريخ الجيولوجي يقدرون ، الى وقت قريب ، ان هذه الصفات قد برزت في المليون عام الاخيرة، بعد تطورات استغرقت ملايين اخرى من السنين .. وكانت جميع الحفريات الانسانية لا تتجاوز في القدم العصر الجليدي... لكن الاكتشافات الحفرية للانسان في الاشهر الاخيرة قد ارجعت عصر الانسان، في صورته الحالية او قريبا منها الى اكثر من ثلاثة ملايين عام ... اما النشاط البشري المتمثل في العمل للسيطرة على البيئة باختراع الادوات ،او ما يسمى الملامح المركبة للثقافة ، فيعود الى سبعمائة الف عام ... وهكذا تعتبر الثقافة جهازا فريدا للانسان يرتفع

به على سائر الحيوان .فالمخلوقات الاخرى تتكيف مع البيئة وتنقاد لها، ولكن الانسان هو الذي يستطيع أن يكيف بيئته ويتحكم فيها ، ويبتكر أمورا تصبح بالتوارث عادات وتقاليد كما يستطيع أن يخضع بالثقافة العادات والتقاليد للتطور والارتقاء الدائبين ...

والمفهوم الثاني للثقافة،هو الوصفي ـ واذا كانت كل مجموعة بشرية تتخذ ماتراه صالحا من الافكار والتقاليد والوسائل الفنية والمادية ، فان هنالك تنوعا كبيرا بين المجتمعات في مجال الثقافة البشرية ... ومن هنا كان تعدد الثقافات .. واذا كانت المجتمعات تتصل وتتلاقى ، فقد نشا تأثير الثقافات في بعضها البعض، وتبادل المعارف او التثاقف، وكان التقرب بين الثقافات البشرية ناميا بمقدار نمو وسائل الاتصال بين الشعوب . ولعله قد بلغ في هذا العصر مبلغا لم يخطر ببال الانسان فيما قبل هذا القرن العشرين ...

والمفهوم الثالث : هو طريقة الحياة او السلوك البشري . فطريقة حياة الانسان او سلوكه منحته القدرة على تخيل اشياء غير موجودة ، وتصور مستقبل مختلف تمام الاختلاف عن الماضي والحاضر. ومن هنا نجحت الاعمال الفنية الكبرى ، والتفكير فيما وراء الطبيعة .

والثقافة ، في هذا المجال ، تعني مقدرة الانسان على أن يطوع العصر والبيئة لأهدافه ، وان يتدبر معنى الحياة والطبيعة ...

ومن ذلك يبين في جلاء ان الثقافة هي دعامة السلوك البشري . وما دامت من صنع الانسان فمن الممكن اخضاعها لسلطانه . لكن هذا الاخضاع يستلزم امرا جديرا بأعظم العناية ، وهو ممارسة هذا السلطان دون التضحية بالقيم والمبادىء السامية الموروثة ...

الثقافة في المفهوم العربي

واذا كان لفظ « الثقافة » قد استعمل في الانجليزية وسائر اللغات الاوربية بمعناه الحالي في القرن الثامن عشر ، فان عرب الجاهلية وصدر الاسلام استعملوا لفظ الادب في الدلالة على معنى الثقافة ... وكان يعني الالمام بمعارف العرب والتفوق في لغتهم مع خلق نبيل ذي اثر في حياة الافراد والمجتمع ... ومن الاقوال المأثورة ، التي جرت مجرى الحديث النبوي : كاد الادب ان يكون ثلثي الدين .

وفي القرنين الثاني والثالث للهجرة تأثر معنى كلمة الادب بالثقافات الاجنبية ، التي امتثلها المجتمع الاسلامي الكبير . فأصبح يعني جملة المعارف التي تسمو بالعقل والسلوك معا ، وتصلح

العلاقات الاجتماعية ، وتساعد الوزراء او الكتاب ومعاونيهم على النهوض بمسئوليات الحكم والمشورة على الخليفة • وفي مقدمة هذه المعارف اللغة والشعر واخبار العرب،

بوصفها الوعاء الاساسي للمقدرة على التعبير وممارسة شئون العلاقات الانسانية ••• وفي ذلك الفت الكتب العديدة في اداب الكتاب والوزراء • ويقابل الادب ، وان لم ينفصل عنه ، العلم مثلا في علوم القرآن من حديث وفقه وتفسير • كما يضاف الى الادب صفات اجتماعية كالمهارة في الرياضة والالعاب الدخيلة على العرب •

ويبدو الاثر الاجنبي في قول الحسن بن سهل ، المتوفى في العقد الثامن للقرن الثالث الهجري : الآداب عشرة ••• ثلاثة شهرجانية ، وثلاثة انوشروانية ، وثلاثة عربية ، وواحدة أربت عليهن ••• فأما الشهرجانية فضرب العود ولعب الشطرنج ولعب الصوالج • واما الانوشروانية فالطب والهندسة والفروسية ، واما العربية فالشعر

والنسب وايام الناس• واما الواحدة التى أربت عليهن فمقطعات الحديث والسمر وما يتلقاه الناس بينهم في المجالس •»

وقد اضيف الى فنون الاداب الدقة الفنية والمهارة الصناعية • كما ادخل اخوان الصفا في علوم الادب الكيمياء والفلك والسحر والكهانة ••

ومن ذلك يبدو أن الثقافة العربية كانت تعني ما تعنيه الثقافة في العالم المتقدم ، من الاحاطة بالمعارف والعلوم والفنون وسلامة السلوك

الاجتماعي ، وحسن الممارسة للعلاقات الانسانية ، فضلا عن التفوق اللغوى •••

وليس بعيدا عن هذا المعنى القولة العربية المأثورة •

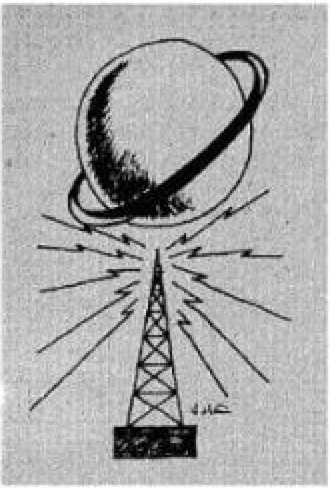
« الادب ، أو الثقافة ، هو الاخذ من كل شيء بطرف » •

سمات المثقف المعاصر

والثقافة ، في عالمنا المعاصر ، قد اتسعت آفاقها اتساعاً بعيد المدى •• فالعلوم المستحدثة لم تخطر بالفكر الانساني من قبل ••• واتساع آفاق العلوم المتوارثة والمستحدثة جميعا ، قد ساير فتوحات الانسان التى تجاوزت كوكب الارض الى كواكب المجموعة الشمسية ، بل الى آفاق المجموعات الكونية الأخرى ••• ووسائل المواصلات المختلفة ، والاذاعات المسموعة والمتطورة ، قد أزالت فواصل المكان بين الامم والشعوب ، وجعلت المقيم في أى قطر او مكان من العالم يحيط بالاحداث والاعمال والاقوال التى تجرى في أى من اقطار المعمورة الاخرى ، وفي ذات الوقت الذى يحيط فيه أهل المكان او القطر الذى تجرى فيه تلك الاحداث أو تدور الاعمال والاقوال •••

وشئون العيش أو الامن الوطني أو التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، وهي دعائم الحياة الفردية والجماعية ، لم تعد مستقلة في نطاق قطر او دولة او مجموعة من الدول، وانما أصبح الاعتماد المتبادل

المثقف العربي



هو السمة الاساسية لحياة عصرنا ، وأصبح الاستقلال التام بل المنقوص أشبه ما يكون بالذكريات الماضية .

والتجمعات الاقليمية أو القومية أصبحت ضرورة من ضرورات العصر الذى يتنبأ فيه المفكرون بغد تصبح فيه الدنيا مدينة واحدة ، وتصبح القارات أحياء كبيرة فيها ، وتصبح

الدول شوارع صغيرة أو كبيرة فى هذه الاحياء ، ويحكم المدينة كلها نظام واحد للحياة الفردية والامن الجماعى والتقدم الاجتماعى ...

ومن هنا فان السمات او القسمات الاساسية لثقافة العصر ، والثقافة دائما فى سبيل الحياة ، يتعين أن تتسم بهذه السمات الاساسية :

الوطنية ، والقومية ، والعالمية ...

ويمكن فى ايجاز القول بان الثقافة اصبحت عالمية ، وان كل مثقف فى اى قسم من اقسام العالم يجب ان

يحيط بثقافة عصره الممثلة فى هذه الأنهار الثلاثة التى تتلاقى فى مصب واحد ، تتجمع الامم والشعوب من حوله ، وتحاول كل منها ان تحصل على اقصى ما تستطيع من بره ورفده ...

لكن المثقف العربي المعاصر ، او المثقف المعاصر فى اى امة اخرى ، لن يشهد وحدة العالم كما يتنبأ بها المتنبئون ... فتحقيقها يستلزم ان سارت البشرية مسيرتها الحالية ، الاجيال والحقب التاريخية .

وامرنا سيظل لذلك محكوما طوال حياتنا بالعمل الوطنى ، والتضامن القومي والتعاون الدولى او الاعتماد المتبادل . واذا كان الامر فى هذا التصور يبدو مقبولا فان المثقف العربي ، مع حاجته الى الثقافتين العربية والعالمية ، ينبغى ان يبذل جهدا فى الالمام بالثقافة الوطنية والقومية اعظم من الجهد الذى يبذله فى الالمام بالثقافة العالمية ، او ان الثاني ينبغى ان يتحرى القدر الذى تحدثه الآثار العالمية على الشئون الوطنية والقومية ..

وهذه الاثار ليست ثابتة على قدم واحد ، وليست مستقرة على وضع لا يتغير .. ولهذا ينبغى أن تكون الحركة الثقافية للمثقفين يقظة راصدة متجددة ، تتشكل حسب الدواعى والمقتضيات ، وتواجه مختلف التيارات ، وأن تكون جمعيات المثقفين العرب هى اجهزة المتابعة والرصد والتوجيه على وجه متصل دائب ، يجارى حركة الحياة ، فى مرودها المتصل الدائب ..

وابرز مثل على ذلك هو التحول الكبير فى قواعد الثقافة السياسية الدولية منذ عام ١٩٥٨ ، وحين أطلق الاتحاد السوفييتى قمره الصناعى الدولى . فلم تعد قواعد السياسة الدولية قائمة على المفهوم القديم الذى يدرس فى معاهدها ، وانما صبحت تعنى بقواعد اخرى لها

المثقف العربي

الاهمية الاولى ، وهي التفوق التكنولوجي للقوة السياسية التي تسعى لاعلاء كلمتها ·

وقد شهد العالم في السنوات الثلاثين الماضية ، تحولات في العلم والسياسة لم تشهدها البشرية في تاريخها الطويل ·· وفتحت تبعا لذلك افاق في الثقافة السياسية الدولية تساير الافاق التي فتحها العلم في اجواز الفضاء والعوالم الكونية الاخرى ·

ولعل اوضح تعبير عن هذا التحول الثقافي في السياسة الدولية هو قول العالم الامريكي فردريك شومان : « لقد كان رد الفعل الامريكي بالنسبة للتحدى الروسى ، وحتى قبل ان تطلق روسيا قمرها الصناعي الاول – في عام ١٩٥٨ – هو ضمان الامن عن طريق التسلح لا عن الطريق الدبلوماسي · لهذا نهيب بطلبة العلوم السياسية الا يدرسوا مشاكل السياسة العالمية مستهدفين حلها بالوسائل السلمية ، انما يتعين عليهم دراسة علوم الرياضيات والطبيعة والهندسة ، مستهدفين تحقيق التفوق للامريكيين على الروس في فن الابادة المتبادلة ، سبيلا لحل المشاكل السياسية الدولية » ··

الثقافة الوطنية

ولا بد من كلمة وجيزة في مجالات الثقافة الثلاثة : الوطنية والقومية والدولية · فالثقافة الوطنية تستلزم الفقه في اللغة العربية والتفوق في الاداء بها والمعرفة بمختلف علومها وفنونها وتطويرها للوفاء التام بكل جديد في هذه العلوم والفنون ·

ويتصل بهذا أمر لا مناص منه ، وهو تيسير المنهاج الذي تعلم به اللغة العربية ، حتى يستطيع المثقف الالمام بها الى جانب مطالب الثقافة المتنوعة المتشعبة الاخرى ·· فلا بد مثلا من تبسيط علم النحو ، اكثر مما بسطناه ، بقدر مستلزمات الصحة في البيان ·· ولا بد من الاقتصار في تدريس فنون الشعر القديمة لغير المتخصصين على ما يلائم حياتنا منها ، ويخدم اخلاقيات المجتمع المعاصر وسلوكه السليم ·· وذلك ينطبق على تعليم الحضارة القديمة ، فينبغي ان نقتصر على الخطوط الكبرى والملامح الاساسية الى جانب المعرفة بالاثار الحضارية التي تشكل مصدرا من مصادر الدخل القومي من السياحة ··

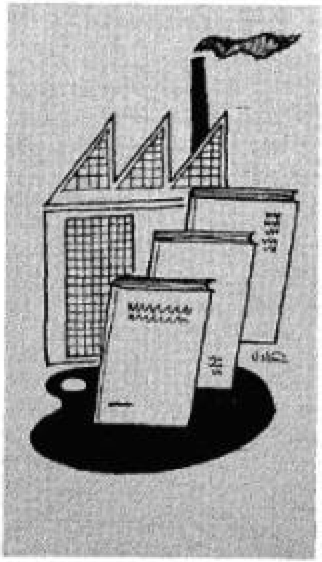
والثقافة الوطنية تستلزم ، لكي يقوم المثقف بدوره ، المعرفة التامة بالحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لوطنه ابتداء من الحي والقرية الى المدينة فالقطر كله · فما دام المثقف اسهم في صنع السياسة ، وما دامت السياسة اليوم اقتصاد واجتماع وتنمية شاملة فلا مناص من معرفة المثقف بمجالات الحياة التي يعيشها ، حتى يؤدي رسالته خير اداء – ويخدم مجتمعه كما ينبغي ان يؤدي المثقف واجبات الخدمة اليه ··

الثقافة القومية

والثقافة القومية تقتضي المثقف

العربي العلم التام بما ينمي فكــرة الوحدة العربية ، بوصفها ضرورة قوميـــة ، بل ضرورة من ضرورات الحياة المعاصرة التي تقــوم على التجمعات الدولية : اقليمية وغيـر اقليمية ، ولا حياة فيها للقــوى الصغرى بل للقوى الكبرى التي تعيش بمعزل عن غيرها ٠٠ فلا بد له من العلم بتاريخها في مختلف العصور ، وانجازاتها الكبرى واخفاقات الامة حين افتقرت الى التضامن والوحدة، والقوى العدوانية التي تتربص بها الدوائر ٠

ويترتب على هذا العلم بالحيـاة الاجتماعية والاقتصادية لاقطـار الوطن العربي ، واسباب تكاملها ، ووسائل تضامنها ، وكذلك مقتضيات امنها ،وخطط التنمية والفرص المتاحة لها ، لكي تســتطيع الامة العربية دعم حريتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ٠ وهي حريات اصبحت تؤلف وحدة متكاملة الاجـزاء ، ولا سبيل لفصل أي منها عن سائرها ٠



الثقافة الدولية

وفي عصر المجتمع الدولي ، والمواطن العالمي ، والاعتماد المتبادل بين الامم والشعوب : كبيرها ووســـيطها وصغيرها ، لا مناص للمثقف العربي من الثقافة الدولية ، حتى يستطيع أن يخدم وطنه الصغير ووطنه العـربي الكبير ٠٠ فحرية اي منهما ، وتنميته الاجتماعية والاقتصـــادية ، رهن بالاستفادة من الاوضاع والعـلاقات الدولية ٠ بل أن المصالح الاقتصادية والعلاقات التجارية هي التي تحـكم العلاقات الدولية في عالم اليوم ٠٠

والقوى الكبرى ، رغم تصـفية الاستعمار ، لاتزال متشبثة بالحصول على مكاسب الاستعمار بوســـائل واسماء اخرى شتى ٠

والدول الكبرى لا تزال تســتكثر على الدول المتخلفة ، أو ما نسميها تجوزا النامية ، أن تحقـق التنمية الاقتصادية والاجتماعية التي حققت للدول الصناعية ، ويهددون باحتلال مصادر الطاقة اذا استخدمتها الدول الضعيفة المالكة لها بما يخدم حريتها واقتصادها واجتماعها ٠

وهنا لابد من العلوم السـياسية الدولية ، وتجمعات الدول الصناعية وغير الصناعية ، ووسائل الظفـر بقوة دوليةتتصدى لقوى العدوان ، وتخدم مبادىء الحرية والعــدل والسلام التي تنادي بهـــا الامة العربية ٠

وهكذا تتشعب مسـئوليات المثقف العربي المأمول ، وتتشعب تبعـــا لذلك مستلزمات ثقافته ، فضلا عن الاخلاص في العمل والتفـــاني في خدمة مجتمعه الصغير ووطنه الكبير، والسلوك المستنير القويم ٠

د. عبدالحليم منتصر

الإنسان العربي في القرن الخامس عشر الهجري علمياً وتكنولوجياً

ماذا عسى ان يكون حال الإنسان العربي في القرن الخامس عشر الهجري الذي يبدأ فجره بعد سنوات معدودات، ولعلنا ان نحدد مجال التكهن بحاله، من الناحية «العلمية والتكنولوجية».

لقد مضى على هذا الانسان العربي قرابة اربعة عشر قرنا مذ نعم بنعمة الاسلام الحنيف، وان معجزته الكبرى كتاب هو القرآن الكريم، وان اول آية «اقرأ باسم ربك الذي خلق» وان كثيرا من آياته الكريمة لتحض في دأب على طلب العلم والتفكير في ملكوت السموات، وفي الكون والكائنات كقوله تعالى «هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون» وقوله: «انما يخشى الله من عباده العلماء» وقوله «يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات» وقوله: «افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت» وقوله «وما أوتيتم من العلم الا قليلا».

ومن اقوال الرسول (ص): «غدوة في طلب العلم احب الى الله من مائة غزوة» وقوله: «يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدماء الشهداء» وقوله: «لموت قبيلة أيسر من موت عالم» وقوله: «الناس من أمتي ثلاث فئات، عالم، ومتعلم، والباقي همل» وقوله: «لا خير فيمن كان من أمتي ليس بعالم ولا متعلم» وقوله: «اطلبوا العلم ولو بالصين» وقوله: «لا يزال طالب العلم عالما حتى اذا ظن انه علم فقد جهل» وقوله: «اطلبوا العلم من المهد الى اللحد».

وكان الخلفاء فى العصر الاسلامى يعدون انفسهم حماة للعلم ويرون ان قصورهم يجب أن تكون مراكز تشع منها الثقافة والعرفان ، ومثابة يلتقى عندها العلماء والادباء .. ومنهم من خصص فى قصره دورا ومساكن ومقاصير يرتب فى كل موضع رؤساء كل صناعة ومذهب من مذاهب العلوم النظرية والعلمية،

ويجرى عليهم الارزاق السنوية ليقصد كل من اختار علما او صناعة رئيس ما يختاره فيأخذ عنه ، وقد بدأت بقصر معاوية الخليفة الاموى الاول ، وازدهرت فى عصر عبد الملك ابن مروان ، والوليد بن عبد الملك فى العصر الاموى .

وفى عهد الدولة العباسية اتخذت هذه الصالونات العلمية اهميتها لتتناسب مع اهمية ذلك العصر ، واصبحت الاجتماعات العلمية تعقد فى اوقات منتظمة ، وشملت قصور الامراء والعظماء الى جانب قصور الخلفاء ، واتخذ لها الاساس الفاخر والرياش المناسبة لرفاهية هذا العصر ، وتنوعت هذه الصالونات ،

فقد كان منها الادبى ومنها العلمى والفنى والموسيقى ، وظلت صالونات العلم والادب ، فيما يروى الاغانى ارفعها قدرا ... وفى عهد الرشيد وكان واسع الثقافة ، جمع حوله صفوة من العلماء والادباء . وكذلك فى عهد المأمون بلغت هذه الصالونات وتلك المجالس العلمية ـ بلغت الذروة .

يقول « هوجز » ان عصر المأمون ازهى عصور النهضة العلمية فى العصر العربى الاسلامى ، اذ كان الخليفة نفسه عالما من اساطين العلماء واختار اصحابه ورجال الدولة من صفوة الافذاذ فى الشرق والغرب ، هذا الى جانب الاساتذة والمشيرين والمترجمين والمفكرين الذين علا بهم بلاطه وزين ملكه ...

ويقول سيد أمير على ان بلاط المأمون كان يموج بجمهرة عظيمة من رجال العلم والادب المتمدين والشعراء والاطباء والفلاسفة الذين استدعاهم المأمون من كل ارجاء العالم المتمدين وشملهم جميعا بعنايته مهما اختلفت مشاربهم وجنسياتهم ... وبلغ بيت الحكمة اوجه فى عصر المأمون ، وتقاطر المترجمون على بغداد، ونقلت العلوم المختلفة من اللغات اليونانية القديمة والقبطية والهندية والسريانية الى اللغة العربية التى كانت اللغة العلمية فى العالم الاسلامى ، وامتدت رقعة الامبراطورية العربية من حدود الصين شرقا الى حدود فرنسا غربا ، فكل من أراد أن يكتب علما تقرؤه الناس لجأ الى اللغة العربية فكتب والف ...

وكذلك كانت منازل العلماء وقصور الخلفاء والامراء ودور الكتب ، بيت الحكمة فى بغداد ، ودار الحكمة فى القاهرة ، ودار العلم فى الموصل .كما كانت المساجد : المنصور فى بغداد ، والاموى بدمشق ،والازهر بالقاهرة، والقيروان فى تونس ، والقرويين فى المغرب ، وقرطبة فى الاندلس ، والكبير فى صنعاء ... كل هذه كانت قبل انشاء المدارس تؤدى فى العصر العربى الاسلامى ما تؤديه الجامعات ومعاهد العلم فى العصر الحاضر .

وكان تقدير الدولة للعلم والعلماء والانفاق بسخاء على العلم والعلماء هما طابع هذا العصر الذهبى الزاهر ، وحتى بعد ان انقسم

العالم العربي الى دويلات بقي تنافس الحكام والولاة في رعاية العلم والعلماء قائما .

ومن العلماء من كان يتخذ التدريس مهنته ، ومنهم من كان يعمل متطوعا لتثقيف الناس وتعليمهم عن طريق حلقات تعليمية أو بتأليف الكتب ونشرها . وكانوا اغلب الامر موضع تقدير العامة والخاصة ، وقد نصح احد الخلفاء برسالة جاء فيها : « واعلم أن مواقع العلماء من تلك مواقع السرج المتالقة والمصابيح المتعلقة ، وعلى قدر تعاهدك تبذل الضياء وتجلو بنورها الاشياء » .

وقيل لاحد الخلفاء هل بقيت لك بقية لم تنلها ، قال بقيت واحدة هي اعلى من جميع ما نلته وافخم من كل ما باشرته ، بل لم تقرب منها ، فضلا عن أن تساويها متعة أو مرتبة ، تلك هي أن اجلس مجالس العلماء املى واشرح وافيد ...

وكان ابو الاسود الدؤلي يقول ليس شيء أعز من العلم ، الملوك حكام الناس والعلماء حكام الملوك . وكذلك تهيب والي المدينة أن يمشي الى الامام مالك ليقدم اليه الامام الشافعي قائلا : « مشيي من جوف مكة الى جوف المدينة ، حافيا، راجلا ، أهون علي من أن اقف بباب مالك ... »

تلك كانت سمة العلماء في هذه العصور الاسلامية الزاهرة ...

يقول ابن جبير : « وتكثر الاوقاف على طلاب العلم في البلاد الشرقية كلها ، فمن شاء الفلاح من نشء مغربنا فليرحل الى هذه البلاد فيجد الامور المعينات كثيرة وأولها فراغ البال من أمر المعيشة »

وكذلك كان الحال في مصر : يقول « لين » يجتمع في الازهر الطلاب من البلاد المختلفة من العالم الاسلامي من ساحل الذهب في غرب افريقيا الى الملايو في شرق آسيا . وقد حدد رواق خاص لكل قطر من الاقطار ويتلقى الطلاب دروسهم على شيوخ أجلاء ورعين ... وليس التعليم بالمجان فحسب ، بل ان الطلاب يتلقون جرايات وأطعمة من أوقاف تسد حاجتهم ، فالازهر في رأي « لين » مثال نموذجي لمجانية التعليم ، تلك المجانية الممنوحة لجميع الطلاب على اختلاف جنسياتهم ولغاتهم من غير أي تميز لعنصر أو طبقة من الطلاب ... وفي العهد الايوبي كان كل تلميذ بمصر يلقى سكنا يأوي اليه ، ومدرسا يعلمه ، وراتبا يقوم بجميع أحواله ...

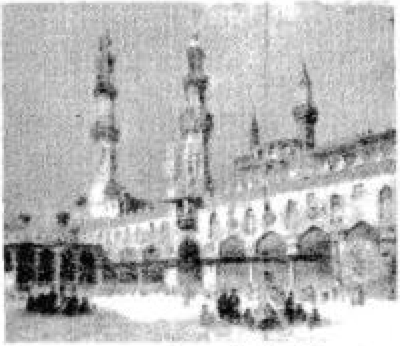
ومن ذلك نرى أن ما يتيه به العصر الحديث من مجانية التعليم وتكافؤ الفرص وتقديم المنح والجوائز . كل ذلك ليس من مستحدثات العصر الحديث ...

وكذلك كان معروفا ما نسميه بالبعثات العلمية وذلك منذ الجيل الاسلامي الاول ، وذلك حين تفرق علماء الصحابة في الاقطار واقام كلا منهم مركزا علميا في البلد الذي حل فيه ، فحلقة في اليمن ، وثانية

فى الكوفة ، وثالثة فى مصر ، ورابعة فى البصرة ، وخامسة فى المدينة ··· وهكذا

واصبح لكل مدرسة طابعها ، المميز ، فكان الناس يسعون الى حلقات هؤلاء الاساتذة لينتفعوا بعلمهم ، وفى الجيل التالى كانت العلوم قد تشعبت وظهرت نواحى لتخصص لم تكن معروفة قبلا ، واشتهر كل استاذ بتخصص معين يدرسه فى حلقة المسجد ، وزادت الحلقات فى المسجد الواحد ، وزاد عدد المساجد فى المدينة الواحدة ، وغدت القيمة العلمية للطالب تتناسب مع عدد الرحلات التى قام بها لطلب العلم والشيوخ الذين حضر عليهم ، واذا لاحظنا أن وسائل الانتقال لم تكن ميسرة كما هى الحال الان ، قدرنا الجهد الذى بذله هؤلاء الرواد فى طلب العلم وتدوينه ··· يقول نيكلسون : « كان طلاب العلم يرحلون فى حماسة بالغة عبر القارات الثلاث ثم يعودون الى بلادهم كما يعود النحل محملا بالعسل ، ثم يعكفون على التدوين فيخرجون كتباً هى بدوائر المعارف اشبه ، وهى المصادر الاولى للعلوم الحديثة بكل ما تحمله كلمة العلوم من معنى » .

وتروى عن هذه الرحلات قصص هى الى الاساطير أقرب ، فمنهم من عبر القارات وقطع الوف الاميال على ظهها بعيد ··· ومنهم لم يكن يملك سوى قدميه فسار راجلا ··· ورحلة يحيى بن يحيى الليثى من قرطبة الى المدينة ليسمع من مالك ثم الى مكة ليسمع من شعبان بن عيينة ، ثم الى مصر ليسمع من الليث بن سعد ، ثم يكر راجعاً الى



الأزهر الشريف ادى دوره فى نشر الثقافات والعلوم

الاندلس ··· ورحلة البخارى فى جمع الاحاديث التى استغرقت ستة عشر عاما ··· كذلك رحلات حنين ابن اسحاق ، ورحلة البيرونى فى الهند التى عاش فيها اربعين عاما يطوف بين أرجائها الشاسعة ويدرس لغاتها وعاداتها وتاريخها وجغرافيتها ودياناتها ··· وكذلك يروى عن ابن مندة انه قام برحلة علمية طويلة ، جلس فيها الى الف وسبعمائة شيخ وجمع جملة من الكتب كانت عند عودته أربعين حملا ! ··

وفى القرن الخامس الهجرى كانت الرحلات الى المدارس التى ازدهرت فى هذا العهد حيث يجد الطلاب المقام والمأوى والاساتذة الذين يطلبون لديهم العلم ، واشتهرت رحلات اخرى قام بها علماء ممتازون زاروا مختلف البلاد وسجلوا ملاحظاتهم ودراساتهم فى كتب الرحلات التى تعتبر من اغنى المصادر ، مثل ياقوت ، وابن جبير ،

وابن بطوطة ، والمقدسي وغيرهم ٠ وكان هؤلاء الرحالة سواء من طلاب العلم او شيوخه يلقون حيث يحلون اكراما وكرما بالغين ٠٠٠

***

ولم يكن حظ المرأة في هذه العصور باقل كثيرا من حظ الرجال، على تفاوت فرص التعليم بين المرأة والرجل ، فقد اشتهر كثيرات من النساء بالعلوم الدينية ورواية الحديث والادب ، والطب ، ومنهن ، من كن شيخات لبعض الشيوخ تعلموا عليهن ورووا عنهن وحضروا عليهن الدروس وعد ابن عساكر من بين شيوخه واساتذته الذين تلقى عنهم احدى وثمانين امرأة وكان المأمون اول من نادى بالا يكون نشاط بيت الحكمة متوقفا على سخاء الخلفاء والامراء ، فهيأ للعلماء ارزاقا سخية يتقاضونها في اوقات ثابتة يفيض ريعها عن التكاليف لهذه المؤسسة العظيمة ، وكذلك جرى العمل من بعده على أن يكون لكل معهد او مدرسة وقف ثابت يفي بنفقاتها ، وكذلك فعل الحاكم بأمر الله حين اوقف على دار الحكمة كما اوقف على الازهر اوقافا ثابتة وكان يقول اريدها اوقافا ابدية لا تزول بزوال الحاكم ٠٠ وروى عن بعض الحكام ، انهم كانوا يقسمون الخراج اثلاثا ، ويجعلون الثلث للتعليم ٠

وكذلك نتبين كيف سطعت الحضارة العلمية الاسلامية في هذه العصور، وكيف هيأ الخلفاء والحكام والامراء ورجالات الدولة الاسباب لنشر نور العلم والعرفان في ارجاء الوطن العربي ، مما مكن لامة العرب أن تستعلي في هذه الاحقاب الموغلة في القدم ، وتدل بعلماء من امثال ابن الهيثم ، وابن سينا ، والبيروني ، والكندي ، والجاحظ ، وابن مسكويه والفارابي، وابن النفيس ، وجابر ، والرازي ، وغيرهم ممن يقرنون الى اعاظم العلماء في كل عصر وآن وكذلك استطاعت الامة العربية أن تكون هذه الامبراطورية الشاسعة في اقل من قرن من الزمان واستعلت الامة العربية بالاسلام اولا وبالعلم ثانيا٠ الاسلام بقيمة من جد وأمانة واخلاص ووفاء والعلم بما يعطى من قوة دافعة ٠ فالقوة دائما في ركاب العلم ٠٠٠

***

تلك كانت حال الامة العربية في العصر الاسلامي ، وذاك كان حال الانسان العربي في عصر الحضارة العلمية الاسلامية ٠٠٠ أعطى ، وكان مسرفا في عطائه ، اشع على العالم كما تقول المستشرقة ، سيجريد هونكه نورا وعلما ومعرفة ، وقدم لاوربا زاد نهضتها العلمية عن طريق الاندلس ، حيث بقي الانسان العربي سبعة قرون متصلة ، وعن طريق صقلية حيث حكم زهاء ثلاثة قرون ، وعن طريق الحروب الصليبية التي استمرت زهاء قرنين من الزمان ، وعن طريق الامبراطورية العثمانية حين غزت شرق اوربا ٠

وظلت كتب العلماء العرب في العصر الاسلامي مراجع معتمدة في جامعات اوربا عدة قرون ، وظهر من يقول من المؤرخين المنصفين انه كان لابد من ظهور ابن الهيثم ،

والبيروني ، وابن سينا ، وجابر ، والرازي ، والصوفي ، والبتاني ، لكي يتسنى ظهور كبلر ، وجاليليو وكوبر نيو .. وانه لولا اعمال العلماء العرب في العصر الاسلامي لاضطر علماء النهضة الاوربية ان يبداوا من حيث بدا هؤلاء ، ولتاخر سير المدنية عدة قرون ..

ويقول اخرون لو لم تصبنا محنة المغول والتتار والترك والاستعمار لكانت هذه النهضة التي تفاخر بها اوربا من نصيب الامة العربية ومن صنع الانسان العربي وتتقدم عليها في التاريخ بضعة قرون وتكون لغتها هي العربية ، ولكنها ارادة الله ان نزرع نحن ليجني غيرنا الثمار ...

ولعله درس لنا وعبرة وعظة ان ننهض من هذه الغفوة التي طالت واستطالت بضعة قرون ونحن الالى تكلمنا في الجاذبية قبل نيوتن ، وتحدثنا عن التطور قبل داروين ، ومارس علماؤنا واطباؤنا التشريح قبل علماء اوربا بقرون ... وعرفنا الدورة الدموية قبل هارفي ، وتكلمنا في العناصر والذرة وضغط الغازات قبل تورشيلي وشارل وبويل .. وعرفنا البندول قبل جاليليو . وقلنا بان الشمس مركز الكون قبل كوبر نيو .. انها حقائق علمية ليس الى نكرانها من سبيل ، سبق بها الانسان العربي ، الانسان الاوربي ... ولكنه الزمن الدوار وهي القوة في ركاب العلم دائما ولقد كنا اقوياء عندما كنا علماء ، وعندما كانت لدينا حرية راي علمي الى ابعد الحدود ، وعندما كانت الدولة ترعى العلم والعلماء الى ابعد الحدود ، وتنفق على العلم والعلماء بسخاء منقطع النظير ، وعندما كان الانسان العربي العالم يستعلي بعلمه الى ابعد الحدود ويسعى اليه حيث كان ...

والان لن تجد من يماري بان الانسان العربي متخلف يحاول جاهدا ان يلحق بالركب في عصر الذرة والالكترون والحاسبات الالكترونية وسفن الفضاء وغزو الفضاء والوصول الى القمر ومحاولة الوصول الى الكواكب الاخرى، عصر الحضارة العلمية والتكنولوجيا العلمية التي تستغلها الدول المتقدمة في كل مرفق من مرافق الحياة ، في الاكل والشرب والملبس والاتصالات السلكية واللاسلكية ، وفي سلمها وحربها ، في مواصلاتها عبر البحار، وعلى متن الهواء بالطائرات الاسرع من الصوت ، والغواصات ... عصر الصواريخ عابرة القارات ، وعصر النوادي الذرية التي يتزايد عدد اعضائها يوما بعد يوم وسنة بعد اخرى .

●●●

وان نظرة الى المجتمع العربي في الوطن العربي بعامة نجد ان القاعدة العريضة امية او تكاد ، بل ان رصيدنا من الامية يزداد عاما بعد عام وذلك لان الزيادة في السكان لا تقابلها زيادة في عدد المتعلمين او ان الزيادة في عدد المتعلمين لا تتناسب مع الزيادة الهائلة في السكان ، وكذلك ارتفعت نسبة الامية في السنوات العشرين الاخيرة من ٥٠٪ الى ٨٠٪ فكيف نفهم هذه

القاعدة العريضة الامية – وقد اجتمع عليها الجهل والفقر ، كيف تفهم مشكلات العصر وكيف تستجيب لاحداثه ؟

ان اهمية التعليم في المجتمعات الحديثة ليست بالنسبة للموهوبين فحسب ، ولكن ينبغي ان يكون الكل قادرا على القراءة والكتابة كل ساعة من كل يوم حتى يكونوا قادرين على الحكم على الاحداث وفهم مجرياتها والتصرف بمقتضاها . واذا لم توجد هذه القاعدة العريضة المتعلمة فلن يرتفع البناء وحتى لو ارتفع الى حين فانه سينهار وشيكا . ثم ان هذه القاعدة العريضة المتعلمة هي وحدها القادرة على تقبل ومساندة هذه القمة من الموهوبين الممتازين حتى يكون ثمة توازن في المجتمع العربي بين القاعدة والقمة ، بشرط ان يكون التعليم وفق احتياجات المجتمع من المتخصصين الدارسين من زراعيين ومهندسين واطباء وصيادلة او كيميائيين او باحثين علميين او جيولوجيين في مختلف فروع المعرفة الاساسية او التطبيقية ، وان يكون ذلك وفق تخطيط مدروس بحيث لا يكون هناك فائض عاطل يكون عبئا على المجتمع .

ومن الخير انشاء معاهد متخصصة لتخريج الفنيين والتقنيين كل حسب استعداده وميوله ، وليس من المفيد ان نوجه كل هذه الحشود نحو تعليم جامعي اكاديمي قد لا يكون متفقا مع رغباتهم وميولهم ، اذ ليس من المعقول ان يكون كل مواطن جامعيا .. نعم ينبغي ان تكثر من المعاهد التكنولوجية المختلفة ، ويجب ان يكون لكل منها طابعه وشخصيته ومجالات تفوقه ، ولا ينبغي ان يخجل المواطن من الانتماء اليه او الانتساب له مادام انتاجه مرموقا مقدرا ومطلوبا ومادام يعمل جاهدا للتفوق في الاداء ، اذ ان النهضة تحتاج الى جهود كل فرد وتفوقه في الاداء ايا كان تخصصه .

وها نحن نخطو الى عتبات القرن الخامس عشر الهجري ولنا هذا التاريخ المشرق الوضاء ، وها هي الدول العالمة القوية المتقدمة تسبقنا باشواط واشواط ، ويبدو ان ليس من قطعها من سبيل .

وها قد افاء الله على الانسان العربي بثروة بترولية هائلة يتحلب لها ريق الدول القوية ، وها هي ثروات بعض الدول العربية تقدر بارقام فلكية تفوق كل تقدير ، وانها لفرصة سانحة لعل الانسان العربي ان يهتبلها بكل ما يستطيع من سرعة ومن قوة فيلجأ الى تعليم ابناء الامة العربية جميعا . فالعلم والتعليم هما اولا وثانيا ... وعاشرا . والسبيل الوحيد الى القوة والمجد . وينبغي ان يكون ذلك وفق خطة مدروسة متكاملة فتنشأ المدارس في كل قرية بل كل عسكرة ، وتنشأ المعاهد التكنولوجية في كل مركز وتنشأ الجامعات والمعاهد المتخصصة في كل قطر حسب احتياجاته وعدد سكانه ، وتنشأ مراكز البحث العلمي في كل قطر وفي كل صقع حسب الاحتياجات الزراعية او الصناعية او المعدنية ..

وها هي النهضة المنزرعة والقابلة

للزراعة فى حالة احتياج الى أموال لاستصلاحها واستزراعها ، وما هى الارض الصحراوية المنبسطة والتى تبلغ مساحتها تسعة أعشار مساحة الوطن العربى كله فى حالة احتياج

الى اعذاب المياه الملحة المحيطة بها فى البحار والمحيطات ... وثمة ثروات وموارد معدنية مخبوءة فى باطن الارض هنا وهناك تحتاج الى العلم والخبرة لاستخراجها

واستنباطها .. وما هم أبناء الوطن العربى على أهبة الاستعداد لخدمة أوطانهم ما وجدوا التقدير والتوفير اللازمين ... فلا تجذبهم الدول القوية المتقدمة بما تسبغه عليهم من

تقدير وما تقدمه اليهم من أسباب وما يجدونه لديها من امكانيات علمية وسادية ومعملية ومكتبية وما تهيىء لهم من وسائل البحث العلمى المنظم .

وما لنا وقد افاء الله علينا من نعمائه هذا الثراء الواسع العريض، وما لنا لا نجتذب تحن الخبرات الاجنبية فنستوردها لترفع من امكانياتنا وتزيد فى خبراتنا وتمكن للانسان العربى فى أرضه اولا، وانه لقادر بعد ذلك ان يستعلى بقوته وان يدل بعلمه فياتى الينا العلماء من كل حدب وصوب يعاونون فى استغلال ثرواتنا المعدنية والزراعية والصناعية والعمرانية والعلمية .

ما اشد حرصى على ان أرى هذا الذى ادعو اليه واقعا ، فيتعلم المائة مليون عربى الذين يقطنون ارض الوطن العربى من المحيط الى الخليج ... تسلحوا بالعلم والخلق والقيم التى دعا اليها الدين الحنيف

من صدق واماننوجد واخلاص وتفان فى سبيل الواجب ، وعمل مثمر بناء فى سبيل رفعة الانسان العربى وقوته ومنعته ، وهو فى طريقه الى مشارف القرن الخامس عشر الهجرى .

والله المستعان وهو الموفق وعلى الله قصد السبيل ...

الوصايا التسع ..

اوصانى ربى بتسع اوصيكم بها ، أوصانى بالاخلاص فى السر والعلانية ، والعدل فى الرضا والغضب ، والقصد فى الغنى والفقر ، وان اصل من قطعنى ، واعطى من حرمنى ، وأعفو عمن ظلمنى ، وان يكون نطقى ذكرا ، وصمتى فكرا ، ونظرى عبرا ...

(حديث نبوى)

محمد عبد الغني حسن

لقد جاءت لفظة (الانسان) في معجم الفكر العربي دائرة على معان كثيرة . وسواء أكانت كلمة : (الناس) التي هي جماعة (الانسان) مشتقة من الانس الذي هو ضد الوحشة، او من (نوس) بمعنى : تحرك ، او من نسي التي هي ضد التذكر ، فان استعمال (الانسان) ، و (الناس) قد تناوله التفكير العربي من وجوه مختلفة تتفق مع المعنى الذي يريده القائل ، شاعرا كان ام كاتبا .

الإنســـــــــان..

يلفت النظر - عندما نعود الى العصر القديم نستقرى ما جاء فيه من شعر حول كلمة (الانسان) - أن الشاعر الاموى قد رفع صوته بالشكوى من صوت الانسان ، فهو يستأنس بالذئب وعوائه حين يعوى ، ولكنه يضيق أشد الضيق بصوت الانسان حتى ليكاد يطير منه هولا وفزعا . ويكفي أن شاعرا واحدا من مخضرمي الدولتين الاموية والعباسية - هو الاحيمر السعدى المتوفى سنة ١٧٠ هـ - كان أول من وصل الينا صوته مجلجلا بالشكوى من الانسان وظلمه وشدته في قوله السائر المشهور :

عوى الذئب فاستأنست بالذئب اذ عوى   وصوت انسان فكدت أطير

وهذه المفارقة العجيبة التي تخيلها الشاعر الاحيمر - أو خلقها خلقا - بين الذئب والانسان ، تذكرنا بمفارقة جديدة مثلها صنعها الشاعر المهجرى المعاصر الياس فرحات حين قال في « أحلام الراعي » :

قضيت يومي حائرا مقايسا   بين ذئاب الغاب والاسواق
هذى ترى الدنيا لها فرائسا   وتلك ترضى بالغذاء الواقى
فريسة الإنسان ما يحوى الثرى   والجو والضحضاح والعباب
ويدعى العفة والعين ترى   والعقل يروى انه كذاب ...

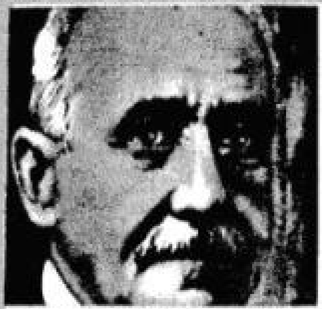
واذا كانت لفظة (الانسان) تصادفنا في معجم العصر الأموى عند شاعر متشائم سيىء الظن بأخيه الانسان ، فانها تصادفنا قبل هذا في العصر الجاهلي عند شاعر هو (المتلمس الضبعي) الذى يقول من قصيدة في ديوانه الذى حققه أخيرا الشاعر المعاصر حسن كامل الصيرفي :

لذى الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا   وما علم الانسان الا ليعلما

والحق ان لفظة (الانسان) في هذا البيت الجاهلي لا تحمل معنى اكثر



مصطفى كامل



أحمد شوقى

فى معجم الفكر العربى!

من معنى لفظة : المرء ، أو الشخص ، أو الرجل ، التى ترد كثيـــرا فى الشعر والنثر على الســواء · كقول القائل القديم :

وطول مقام المرء فى الحق مخلـق لديبـاجتيه ، فاغترب تتجـــدد
فانى رأيت الشــمس زيدت محبة الى الناس ان ليست عليهم بسرمد

او كقول الشاعر الجاهلى الآخر :

وما المرء الا كالشهاب وضـوئه يحور رمادا بعد اذ هو ساطع

او كقول الشاعر القديم :

كل امرىء راجع يوما لشيمتـه وان تخلق اخــلاقا الى حين

او كقول زهير بن ابى ســلمى :

ومهما تكن عند امرىء من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم

والحق اننا نجد لفظة (انسان) او مؤنثها : (انسانة) مستعملتين بكثرة فى الشعر العربى القديم والحديث بمعنى : امرىء ، وشـــخص ، وفرد لاغير ، وليس لها من معنى وراء ذلك الا هذه الدلالة على الشخصية ·

فالشــاعر القديم يتغزل فى امرأة جميلة يخجل البدر من حســنها ، فيقول :

انســـــانة فتانة .. بدر الدجى منها خجل ...

وليس المراد انهــــا تحمل معنى « انسانيا » غير عادى لكن المراد انها امرأة فتانة وكذلك الشاعر الذى قال : « احب شىء الى الانســـان ما منعا » لا يريد اى معنى غيـــــر جنس الانســـان ، ونستطيع ان نحـــذف كلمة الانسان هنا ونضع مكانهــــا كلمة : الشـــخص ، أو المرء دون أن يتغير المعنى فى قليل أو كثير ، وان كان الوزن الشعرى سيختل بالطبع ·

وكذلك حين قال الشـــاعر القديم فى بيان قيمة الدراهم فى قضـــاء



المتنبي

الحاجات :

ما ارسل الإنسان في حاجة ... اقضى من الدرهم في كمه

فانه اراد بالانسان هنا اسم الجنس ، ويقصد الشخص ، أو المرء وكذلك حين قال شاعرنا شوقي من مرثيته للزعيم الخالد مصطفى كامل :

مملاذا دهاني يوم بنت فعقني ... فيك القريض وخانني امكاني

هون عليك فلا شمات بميت ... ان المنية غاية (الإنسان)

فانه لم يقصد شيئا غير جنس الانسان ، أى أن الموت غاية كل واحد من الناس ... ولم يعد شوقي في استعماله لفظة (انسان) هذا المعنى حين قال من شعره الغزلي :

يا صورة الحور في جلباب فانية ... وكوكب الصبح في أعطاف انسان

والحق أن شوقي في استعماله لكلمة (انسان) بمعنى : أحد من الناس لم يكن الا جاريا على النهج اللغوى الذى جرى عليه الشعراء من قبله . فانا تصادفنا في « لزوم مالا يلزم » عند أبى العلاء المعرى التفاتة الى هذا الاستعمال اللغوى للفظة انسان في قوله من احدى لزومياته :

يخبرونك عن رب العلا كذبا ... ومادرى بشئون الله (انسان)

أى : مادرى بشئون الله أحد من الناس .

ويصادفنا في قصيدة أبي البقاء الرندى النونية التى نسبها الشهاب الخفاجى وهما الى الشاعر يحيى القرطبى استعمال لفظة « انسان » مرتين بمعنى : أحد ، أو واحد من الناس ، وذلك في قوله في مطلع قصيدته المشهورة التي يرثى بها مدن الاندلس التى أخذت تزول وتسقط في يد الفرنجة بلدا اثر بلد :

لكل شيء اذا ما تم نقصان ... فلا يغر بطيب العيش (انسان)

وقوله بعد ذلك بأبيات كثيرة العدد :

واين بسطة دار الزعفران ؟ فهل ... رأى شبيها لها في الحسن انسان

أى : فهل رأى أحد من الناس شبيها لها في الحسن ؟

على ان الشاعر الساخر ابن الرومى أراد أن يجرى في سخريته بالحطيئة الى ابعد الحدود ، فجعل للحظ كيمياء اذا مس كلبا أحاله بقدرة قادر الى واحد من الناس ، وأخرجه بهذه القوة السحرية من حظيرة الكلاب فقال في ذلك بيته المشهور :

ان للجد كيمياء اذا ما ... مس كلبا أحاله انسانا !

وتذكرنا قصيدة « الرندى » النونية المشهورة في رثاء الاندلس بقصيدة مثلها في الوزن والقافية للشاعر أبى الفتح البستى ، ولكنها ليست

في الرثاء والبكاء على الامجـــاد الزائلة ، بل في الحكم والنصــائح التى اشتهر هذا الشاعر بها ومطلعها:

زيادة المرء في دنياه نقصــان وربحه غير محض الخير خسران

ويبدو أن قافية هذه القصيدة النونية قد جلبت لفظة (الانسان) في أحـد ابياتها ، كما جلبتها في قصـــيدة الرندى · ولكن الشــاعر أبا الفتح البستي لا يستعمل لفظة (انســان) بمعنى : واحد من الناس،بل يستعملها بمفهوم « انساني » جديـد يبدو أنه كان بداية الاستعمال الانساني لكلمة انسان في الشـــعر العربي ، حيث يقول :

ياخادم الجسم كم تسعى لخدمته اتطلب الربح مما فيه خسران ؟
أقبل على النفس واستكمل فضائلها فانت بالنفس ـ لا بالجسم ـ انسان

واذا كانت « النفس » وما يتبعها من لوازم الروح ، وخصــائص الفكر قد بدأت تظهر بهذا المعنى الذى كان أبو الفتح البســتي ســـابقا اليه ، فان الشاعر أبا الطيب المتنبى ـ قبله كان أول من قـــرر من شعراء العرب أن « العقــل » هو المــزية التى تشرف الانسان ، ولولا هذه الجوهرة الغالية لكان أصغر سبع ، أو أحقر أســـد أقرب الى الشرف من الانسان · وذلك حيث يقول :

لولا العقـــول لكان ادنى ضيغم ادنى الى شرف من «الانسان »

وهكذا نرى المتنبى يعلى جدا من قيمة « العقل »، كما يعلى الشــاعر أبو الفتح البستي من قيمة « النفس » · ولا عبرة عند الشاعرين بالقوة المادية او بالجسم الترابي للانسان ·

واذا كان الشــــاعران المتنبى والبستي ، قد جعلا ـ وهما على حق ـ القوة الروحية من خصائص الانسان التى بها يسمى انسانا ، فاننا نصادف شاعرا آخر يدعي تفسيرا لتســـمية الانســـان لذلك اللفظ وذلك لانه ينسى وقد جعل هذا الشاعر الانســـــان مشـــتقا من النسيان ، وصـحة الاشتقاق هنا مشكوك فيها ـ بل هي مجرد مغالطة صريحة مكشوفة، يحاول بها الشاعر ان يسوغ كثرة النسيان عند الانسان بقرب الاشـــتقاق بين اللفظين · واذا صح مثل هذا التعليل في قوله أن القلب سمي هكذا لسرعة تقلبه ، فانه لا يصـــــح في تعليله للنســـيان عند الانسان · وعلى كل حال فان بيت هذا الشاعر :

وما سمي الانســــان الا لنسيه ولا القلـــب الا انــــه يتقلب

هو من الابيـــــات التى يلعب فيها اصــحاب البديع بعقــــول الناس ، ويخلقون بها العلل غير الصـــحيحة للاشياء التى لا تعلل ···

على أن بعض شـــعراء العرب القدامى ـ وتبعهم بعض المحدثين ـ قد حاولوا أن يؤكدوا في قصـــيدهم حتمية الفناء وعدم البقاء للانســـان فهذا الشــاعر أبو الطيب المتنبى يقول في بائيته الفلسفية :

نحن بنــو المـوتى ، فما بالنا نعـــاف ما لا بـــد من شربه ؟

تبخل ايدينـا بارواحنـا على زمـان هن من كسبه
فهذه الارواح من جـوه وهذه الاجسـاد من تربه
لو فكـر العاشق فى منتهى حسـن الذى يسبيه ، لم يسبه
يموت راعى الضـان فى جهله ميتة « جالينـوس » فى طبه
وربمـا زاد على عمـره وزاد فى الامـن على سربه

واذا كان المتنبى لم يصرح فى هـذه الابيات بلفظة (الانسان)، بل كان حديثه بضمير (نا) للمتكلمين ، فان الراغب الاصـفهانى – وهو يجمع وينسق ويصنف ويعنون مواد الفصول الطريفة لكتابه العظيم : (محاضرات الادبـاء ؛ ومحاورات الشعراء) – قد جعل لهذا الشعر الجليل الحكيم ونظائره عنوانا هو :(مرجع الانسان الى ما خلق منه)٠

واذا كنا قد راينا ابا العلاء المعرى قد استعمل لفظ (انسـان) فى بعض لزومياته بمعنى احـد من الناس او شـخص من الاشخاص ، فانه فى لزومية اخرى يؤكد قدرة الله على ان يجعل من الازمان مشـبها لها ، ومن الانسان بديلا له فى قوله :

والله يخلف ازمـانا بمشبهها كما يبدل « انسـانا » بانسان

وهذا مذهب للمعرى يقرر فيه القدرة المطلقة على كل شىء للكائن الاعظـم واذا كان المناطقة يصفون الانسـان بانه حيوان ناطق ، فان الشـاعر محمد بن حسن المعـروف بالحر العاملى – من شعراء القرن الحادى عشر الهجرى – قد جعل «الجود» هى الصفة التى تعد من خير – بل خير – ما يوصف به الانسـان ، حيث يقول فى قصيدة وصـفها المحبى المؤرخ الاديب بانها جيدة :

فضـل الفتى بالبذل والاحسان والجود خير الوصف للانسـان

وقد جعل الشعراء المتاخـرون من المعـاصرين والمحـدثين – لفظة « الانسانية » من الصفات الدائرة فى الشعر « الانسـانى » الذى يتناول الانسـان فى ارفع واسمى وانبل مايكون عليه من الصفات ٠ ولقد كانوا يستعملون لفظة « الادمية » فى مقابل لفظة « الانسانية » السـائدة اليوم ٠ ولقد وصف اعرابى رجلا فظا خشنا بقوله : (ليس فيه من الادمية الا انه يسـمى ادميا ٠٠) ، ولكن الراغب الاصـفهانى الحكيم العالم الاديب المتوفى سنة ٥٠٢ هـ ٠ جعل فى كتابه «محاضرات الادبـاء» من كلمة الادمية لفظة (الانسانية) بـديلا لها ٠ وهو اختيار موفق يدل على فضـل هذا الرجل فى السبق الى استعمال كلمة (الانسانية) بالمعنى الذى يراد منها اليوم او قريبا منه ٠

ويبدو ان لفظة (انسـان) ومنها انسان العين ، قد اغـرت كثيرا من شـعراء المحسنات اللفظية على ان يستعملوها دائما فى معرض التورية ولم تسلم من ذلك العصـور العربية الاولى ففى العصر الامـوى وهـو



ايليا ابو ماضى



رشيد سليم الخورى

قريب جدا من عصر صدر الاسلام ـ نرى الشاعر جريرا يستعمل هذه التورية فى قوله :

ان العيون التي طرفها حور ... قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به ... وهن اضعف خلق الله «انسانا»*

وكذلك نجد شاعرا اديبا مثل حسن البوريني ـ من شعراء القرن الحادى عشر يستعمل هذه التورية فى قوله :

خيالك فى عيني لتخفى عن الورى ... لذلك قالوا ان فى العين «انسانا»

وقد شاعت لفظة « انسان » كما شاعت منها لفظة « انسانية » فى الشعر الحديث ، بعد أن اتجه شعراؤنا من شعر المناسبات الى شعر المعانى الروحية ، والقيم الفكرية . وقد لاحظنا أن لشعراء المهجرين الامريكيين : الشمالى والجنوبى حظا كبيرا من ذلك * ولسنا هنا بسبيل ذكر الأسباب التى دعتهم الى ذلك، ولكننا نشير هنا الى اننا عالجنا الموضوع فى كتاب « جوانب مضيئة من الشعر العربى » ، كما عالجته الدكتورة عزيزة مريدن فى كتابها : « القومية والانسانية فى شعر المهجر الجنوبى»، والدكتورة ثريا ملحس فى كتابها : « القيم الروحية فى الشعر العربى قديمه وحديثه »*

ونلاحظ أن الشعراء فوزى المعلوف وشفيق المعلوف ، وايليا ابو ماضى ، والشاعر القروى ، وشكر الله الجر، ونعمة قازان ، ونصر سمعان، ويوسف صارمى ، وجورج صوايا ، وتوفيق برير ـ وكلهم ـ الا ايليا آبا ماضى ـ من شعراء المهجر الجنوبى ، قد اشاعوا لفظة (الانسان) فى اشعارهم ، كانهم يؤكدون دائما على كيانه ، سواء رأوا فيه الخير ، ام تمثلوا الشر فيه * وبالطبع لا ننتظر من الشعراء أن تستوى نظرتهم الى (الانسان)* فالشاعر فوزى المعلوف يرى فى ملحمته الرائعة « على بساط الريح » أن «الانسان شر كله » وأنه عبد لأمور كثيرة لا ارادة له :

انا عبد الحياة والموت امشى ... مكرها من مهودها لقبوره
عبد ما ضمت الشرائع من جو ... ر يخط القوى كل سطوره
انا عبد القضاء تملأ نفسى ... رهبة من صغيره وكبيره

عبد عصر من التمدن للهو ... ضلة عن لبابه بقشوره
عبد مالي أحظى به بعد جهد ... فإذا بي أفوه من ثقل نيره
عبد اسمي ذويت روحي وجسمي ... طمعا في خلوده وشهوره
عبد حبي انزلته في فؤادي ... فكوى أضلعي بنار سعيره

وكذلك نرى شقيقة الشاعر شفيق المعلوف – مد الله في عمره – حيث يصور الانسان وكأنه شر من الشيطان حيث يقول :

ويحك يا انسان ... ألق عصا سحرك
ذعرت فينا الجان ... لعنن بالشيطان
من شرك ...

ولن تنسينا غمرة شعراء المهجر أن نذكر الشاعر المصري المعاصر « محمود أبو الوفا » الذي آمن بالانسان ، كما أمن به الكاتب الاسلامي المعاصر : الاستاذ عبد المنعم خلاف . فشاعرنا قد تصور من الانسان القوي القادر انسانا جديدا أسماه « انسان الفصل الخامس »، وأشاد به في قصائد « عنوان النشيد » و « النشيد » و « الايمان » ، وتمنى أن يكون الناس جميعا في العصر الجديد على غرار هذا الانسان القوي. وهي فكرة قد علق عليها عباس محمود العقاد في جريدة الأساس سنه ١٩٥٢ بمقال عنوانه : « دين القوة » أشاد فيه بالشاعر وفكرته .

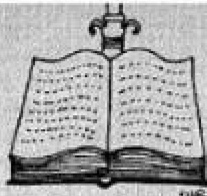
ويكفي أن شاعرا مصريا معاصرا كأبي الوفاء يخص «الانسان» بملحمة فاتنة ، ويجعله مدار قصائد ثلاث تعلي من قوته وطاقات قدرته حيث يقول :

إن في الانسان طاقات اقتدار ... آه لو يعرفها كيف تدار ؟!
آه لو يقوى اعتدادا وإرادة ... لاستحق الارض أفقا وسيادة
أنت « يا انسان » للأرض الملك ... كيف لا تحكم فيما تملك
بينما الدنيا جميعا هي لك ؟!

والقوة هنا ليست بالطبع القدرة على التدمير والتخريب بلا حدود ، و ليست الاستعلاء الذي يحسه القوي نحو الضعيف ، ولكنها القوة العاقلة الخيرة التي تحفظ التوازن ، ولا تحل العنف محل الرفق والسماحة . وهما وصفان لا يتعارضان مع القوة المذخورة والمأمولة في الانسان . وكذلك قوة « المادة » لا قيمة لها ولا غناء فيها ما لم تكن مصحوبة بالانسانية . ومن هذا المنطلق المفهوم للقوة ، عبر الشاعر رشيد الخوري (الشاعر القروي) عن عدم غناء الانتصار والاثراء ما لم تكن معه جوانب من الانسانية حيث قال :

كن إله النصر ! إنك عندي ... لست شيئا ما لم تكن «انسانا»

وهذا قول – من وجهة نظر القيم الروحية السليمة – صحيح الى ابعد الحدود ...



كتاب في صفحة

الحضارة العربية والفكر الغربي

ظاهرة بعيدة الانتشار في الفكر الاوربي المعاصر ... في المصنفات والدراسات التاريخية ، بل وفي المؤتمرات والندوات ايضا – كلما ذكرت الحضارة العربية او عرضت للبحث فان ما يكتبون وما يقولون يتركز عادة حول الاثار العمرانية لهذه الحضارة خاصة جوامعهـــا ، وبالذات جامع قرطبة ! ..

... وكلهم – الا القليـــل – يعرفون ، ولا يعترفون ، ان هـــذه الاثار الرائعة بما كان فيها وما بقي منها ، ليست سوى مظهر من مظاهر هذه الحضارة المتكاملة ، والمتميزة بالشمول والتنوع في ميادين العلم والفن ، والادب ، والفلسفة والتاريخ والهندسة ، والرياضيات ، والطب ، والفلك ...

من هذا القليل ، الفرنسيان : : « جان فولف » و « بيبرهايم» مؤلفا كتاب : «الحضارة العربية في عصر بهائها » الذى صدر بالفرنسية خلال هذا العام في باريس ، والذى تناول امتداد الحضارة العربية وثقافتهـــا في الزمان والمكان معا ...

لقد استطاعت هذه الحضارة ان تستوعب على التوالى محتـــوى الحضارات العريقة كالاشـــورية والبابلية والسومرية ، ثم استوعبت الحضارة اليونانية واخرجتها موسومة بسمات عربية اصيلة ...

وعلى امتداد خمسمائة عام، فيما بين عامى ٧٠٠ و١٢٠٠٠ – « عاشت الحضارة العربية ابهى ايامها ، وكانت الدنيا باسرها تنهل من المعين العربي ،وقلما سبق الحضارة اخرىان تكتنف مثل هذا الامتـــداد في الزمان والمكان ... » .

ومن افضال هذه الحضـــارة العربية ، انها قد صانت ثم نقلت الى الغرب محتوى الحضارات القديمـــة بعد ان وسمتها بطابعها الخاص ...

« واذا كان ابن سينا قد تشبع بالطب اليونانى ، فانه قد جـــاء بطب جديد مختلف عن طب جالينوس وابو قراط »

، واذا كان ابن رشد قد تأثر بمذهب ارسطو ، الا انه قد فسر واضـــاف الكثير من عنده ... ولقد كان اول فقهاء المسيحيـــة – توما الاكوينى – يقول عن ابن رشد كلما ذكره او كتب عنه : « قال المعلم ... » .

● .... ●

الإنسان العربي المبدع

فاروق خورشيد

منذ مطلع النهضة الحديثة والانسان العربي يحاول ان يجد نفسه ، وان يعرف حقيقة مكانه من الحضارة الانسانية التي ينظر الى معطياتها الحديثة مبهورا خائفا مترددا ، والتي تنكر عليه على لسان ابنائها الذين تسنموا القمة بالثروة والمال والعلم والقوة اى مكان في صفوف الصدارة فيها ، وكذلك اى مكان في صفوف العاملين في بنائها وارساء كيانها الحالي المتضخم العظيم ...

ونهضة العرب الحديثة سبقتها قرون من الظلام المقيت فصل بالفعل بين ابنائها وبين تحرك الانسانية خطوة خطوة في بناء الحضارة ، ذلك ان الامة العربية بل الشرق الاوسط كله انعزل في ظلال الحكم العثماني ومعارك المماليك ، عن المشاركة الفعلية في اي تيار حضاري معاصر له .. ولذلك لم يكن غريبا أن يقف الانسان العربي بعد أن انزاح عنه الكابوس العثماني الجاهل مبهورا أمام ما يرى من تقدم علمي وحضاري ، ومن ثراء فكري وثقافي تعيشه الدنيا حوله دون أن يفهم هو كيف كان هذا ولا متى كان، فقد كان الانسان العربي في كهفه المظلم الكئيب يجتر القشور ويعيش على الكفاف الثقافي مكتفيا بما عنده من سقط المتاع ،



الجبرتي

ممنوعا من ممارسة حرية الفكر المتطلعة الى التطور أو التجريب ، فقد كان سلطان العسف والقوة يلقى عليه بأستار من الجهل والتخلف تحجب عنه كل رؤية وتمنعه من كل حركة في الطريق الصحيح ..

ونحن نشهد هذا الموقف المبهور المندهش من معطيات الحضارة الحديثة منذ اللحظة التي يلقى الانسان العربي بظل العثمانيين بعيدا، ومنذ اللحظة الاولى لاحتكاكه بالنور المشع حوله في كل مكان . نشهد هذا الموقف عند الجبرتي في حوالي عام ١٨٠٠ ميلادية اثر انشاء الفرنسيين للمجمع العلمي المصرى الذى كان أول نافذة يطل منها انساننا العربي على ما تم من منجزات علمية وحضارية وثقافية في العالم أثناء غيبته الطويلة وذلك عندما يقول الجبرتي في عجائب الآثار : « وعند تورت الفلكي وتلامذته في مكانهم المختص بهم الآلات الفلكية الغريبة المتقنة الصنعة، وآلات الارتفاعات البديعة العجيبة التركيب الغالية الثمن المصنوعة من الصفر المموه ، وهي تراكيب ببراريم مصنوعة محكمة ، كل آلة منها عدة قطع تركب مع بعضها البعض برباطات وبراريم لطيفة بحيث اذا ركبت صارت آلة كبيرة أخذت قدرا من الفراغ ، وبها نظارات وثقوب ينفذ منها الى المرئى واذا انحل تركيبها وضعت في ظرف صغير .... وكذلك نظارات للنظر في الكواكب وارصادها ومعرفة مقاديرها وأجرامها وارتفاعاتها واتصالاتها ومناظراتها ... وأنواع المنكابات والساعات التي تسير بثواني الدقائق الغريبة الشكل الغالية الثمن وغير ذلك ... »

ووصف الجبرتي لاقسام المجمع المصرى الاول غريب ومسهب، ولكني اخترت هذه الفقرة بالذات لانها دالة على حالة الدهشة والانبهار التي وقع فيها انساننا العربي حين التقى لاول مرة بهذه المعطيات الاولية من معطيات الحضارة الحديثة . فوقفته الثالثة في وصف الميكروسكوب ووقفته الثانية امام التليسكوب تعطينا صورة حقيقية لموقف مفكرى العصر وعلمائه المنبهر المندهش من أبسط صور العلم والحضارة والصناعة في الغرب المتحضر الآخذ في النمو الحضارى بخطوات سريعة حثيثة ..

***

ونفس الموقف الذى نجده عند الجبرتي نجده بعد ذلك عند رفاعه رافع الطهطاوى في احتكاكه من نوع

اخر ، ذلك الاحتكاك الذى ينشأ من التقاء كل هذا التخلف ببؤرة النور الحضـــــارى فى عصره ، أعنى باريس ·· وينعكس هـــذا الموقف

واضحا فى كتابه « تخليص الابريز فى تلخيص باريز » الصادر عـــام ١٨٣٤ اذ يقف فيه وقفة الدهشة فكريا وحضاريا واجتماعيا وثقافيا ،ولكنها وقفة الضيق أيضا ، الضيق بهذه

السنوات العديدة التى ضــاعت من عمر انساننا العــربى فاجبرته على النظــــر الى ما هو حق طبيعى له باعتباره انســانا فعالا وقادرا نظرة العاجز المتخلف ···

يقول رفاعة فى تخليص الابريـــز مظهرا الفارق الاجتماعى بين مجتمعه والمجتمع المتحضر الجديد : « وحيث ان كثيرا ما يقع السؤال من جميع الناس عن حالة النساء عند الافرنج

كشفنا عن حالهن الغطاء··وملخص ذلك أيضا ان وقوع اللخبطة بالنسبة لعفة النساء لا يأتى من كشفهن أو ســـترهن · بل منشأ ذلك التربية

الجيدة والخسيســة · والتعود على محبة واحـــد دون غيره ، وعـــدم التشريك فى المحبة والالتئـــــام بين

الزوجين ··· وقد جـــرب فى بلاد فرنسا ان العفة تستولى على قلوب النساء المنسوبات الى المرتبة الوسطى

من النساء دون نساء الاعيـــــان والرعاع ، فنســـاء هاتين المرتبتين تقع عندهن الشبـــهة كثيرا ويتهمن فى الغالب » ···

واذا كان الجبرتى قد وقف مبهورا امام معطيات العلم فرفاعه هنا يقف مبهورا امام المعطيـــات الخلقية فى المجتمع الغربى ·· فلم يكن التطور

الحضارى مقصورا على العلوم وحدها وانما شمل الاخلاق والعادات وشمل القيم الاجتماعية والفكرية أيضا ··

ومن هنا كانت وقفة أحمد فارس الشدياق فى كتابه « الســــاق على

الساق » امـــام المجتمع الانجليزى فى لنـــدن ، أو المجتمع الفرنسى فى باريس بالمقارنة بمجتمعات الشـــام أو مصر - تماثل وقفة رفاعة رافع

فى هذا اللقاء المباشر بين العالمين·· ولكن لقاء رفاعة لم يكن مقصورا على الصورة الاجتماعية وحدها ، وانما ارتبط هذا اللقاء باصــــول هذه الوقفة الاجتماعية وجذورها ·

ويحكى رفاعة فى تلخيص الابريز فيقول : « وقد قرأت كثيرا من كتب الادب فمنها مجمـــوعة نويل ومنها عدة مواضــــــع من ديوان فولتير

وديوان راسين ، وديوان روســــو خاصة مراســــلاته الفارسية التى يعرف بها الفـــرق بين اداب الافرنج والعجم وهى اشـــــبه بميزان بين الاداب الغربية والشرقية »·

ويقول ايضا : « وقرأت ايضا مع مسيو شـــوالية جزءين من كتاب يسمى روح الشرائع مؤلفه شهيربين الفرنساوية يقال له منتسكيو ، وهو

اشبه بميزان بين المذاهب الشرعية والسياسية··· ومبنى على التحسين والتقبيح العقليين ، ويلقب عنـــدهم

بابن خلدون الافرنجى ، كما ان ابن خلدون يقال له عندهم منتسكيو الشرق ··· اى منتسكيو الإسلام »

عند رفاعة اذن تحدد الموقف الجديد للمفكر الشرقى ، وهو يلتقى بنهم واضح بكل هذه المعطيات التى انفرد بها الغرب فى فترة التكهف التى اصيب بها انساننا العربى ·· وجهد رفاعة العظيم فى بدء حركة الترجمة وتنظيمها ومتابعتها · ثم جهده فى التأليف من كل مجال امكنه أن يتناوله من هذا الخضم الهائل من العلوم والفنون الذى وجد نفسه يواجهه والذى يعرف اهمية كل نقطة فيه فى اعادة الدماء الى الجسد الهامد ، هذا الجهد يعنى ان الاحساس بالتخلف كان عميقا عند الانسان العربى وهذا الاحساس بالتخلف هو سر موقف الانبهار عند الجبرتى وعند فارس الشدياق ، وهو نفسه سر الدعاوى الاصلاحية الرائعة التى بدأها رفاعة ومحمد عبده والافغانى فى محاولة جادة وسريعة للحاق بالركب المتقدم المتطور السريع الحركة · والذى تخلف الانسان العربى عنه بل وطال تخلفه

ولكن هذه الدعاوى رغم جديتها واصالتها ، بل لعل الامر انه سبب جديتها واصالتها ، اتخذت موقفا باعد بين انسان العصر المتطلع وبين الانسان العربى الذى انحدر منه انسان العصر المتمرد وتبدت لنا هذه الظاهرة فى عدة ملامح هامة ··

أول هذه الملامح الاتجاه الى الوطنية المحدودة فى مقابل الدعوة الاسلامية ·· وقد ظهر هذا الاتجاه كرد فعل طبيعى لاحساس مفكر العصر فى مطلع النهضة بما سببته له الدولة العثمانية من تخلف وانعزال وتبعية ، وقد ارتبط هذا الاتجاه بما تركته الحملة الفرنسية فى مصر من افكار ومبادىء عن معنى الوطنية والاعتزاز بالانتماء الى الوطن، كما ثبتته حملات عنيفة قامت بها الصحافة الموالية للانجليز بعد الاحتلال البريطانى لفصل مصر عن بقية العالم الاسلامى بعامة والعربى بخاصة ··· وخطورة هذا الاتجاه تتمثل فيما ينتج عنه من محاربة للعربية الفصحى ومن دعاوى متتالية لاحياء العامية واستعمالها لغة للكتابة والتاليف الادبى ، وما نجم عن هذا من معارك ضارية بين انصار العامية والفصحى ، استمرت من مطلع النهضة واحتدمت على مدى سنواتها ، وما زلنا حتى الان نعانى من بعض اثارها ·

كما تتمثل خطورة هذا الاتجاه أيضا فى دعاوى التغريب التى ذهبت اولا الى تقليد معطيات الحياة الغربية بصرف النظر عن ملاءمتها لظروف الحياة الجديدة التى يعيشها الانسان العربى الجديد ، ثم اتجهت اكثر الى ربط حاضره بماضى الاخرين ···

وقد وضحت معالم هذا الاتجاه فى كتاب مستقبل الثقافة فى مصر للدكتور طه حسين اذ ذهب فيه فى صراحة الى الدعوة الى تقليد الغرب تقليدا كاملا فيقول : « ان سبل النهضة واضحة بينة مستقيمة ليس فيها عوج ولا التواء ، وهى أن نسير سيرة الاوربيين ونسلك طريقهم لنكون لهم انداداً · ولنكون لهم شركاء فى الحضارة ، خيرها وشرها وحلوها ومرها وما يحب منها وما يكره ، وما يحمد منها وما يعاب ··· ومن زعم لنا غير ذلك فهو خادع او مخدوع ».

وكما قلنا تطور هذا الاتجـــاه الى محاولة فصل الانســان المصرى مثلا عن ماضيهالعربى وعن ارتباطه بالانســـان العربى القــديم فيقول الدكتور طه حسين فى نفس الكتاب : « العقــل المصرى ليس عقلا شرقيا ، وقد نشأ هذا العقل المصرى متأثرا بالظروف الطبيعية والانســانية التى احاطت بمصر وعملت على تكوينها، فاذا كان لنا ان نتلمسللعقل المصرى أسرة نقره فيها فهى أسرة الشعوب التى عاشت حول بحر الروم » .

وواضــــح من موقف الدكتور طه حسين هذا عمق الاتجاه الذى تمرد على ما احدثه الحكم العثمانى لمصر من تخلف فثار لا على الحكم العثمانى أو الانتماء الى الخلافة الاسلامية فقط، وانما امتدت ثورته لتشـــمل افكار الارتباط العربى العقـلى لمصر . فى محاولة لنزعمصر نهائيا من الارتباط بالتراث العربى كله . ويبدو اصرار الدكتور طه حسين والكثيرينمن أبناء جيله على هذا الاتجــاه فى قوله فى نفس الكتاب « العقل المصرى منـــذ عصـــــوره الاولى عقل تأثر بشىء فانما يتأثر بالبحر الابيض المتوسط » .

وهذه النظرة الوطنية كانت تحمل فترة الوحدة الاســلامية المتمثلة فى حكم الرجل المريض وحكم المماليك كل ما أصاب الانسان العربى من تخلف ومن خلال هذا تجاوزت فى حكمهـا لتشمل اتهام الانتماء العـــربى كله محاولة الصاق كل عيوب الحـــكم العثمانى بالانتماء العربى نفسه ولعل جملة الدكتور طه حسين فى هـــذا الكتاب نفسه وهى الجملة التى ادت الى احراق كتبه فى دمشق تفسر هذه الظاهرة ، فيقول الدكتور طه حسين « ان التاريخ يحدثنا بأن رضاء مصر عن السلطانالعربى بعد الفتح لميبرأ من السخط ولم يخلص من المقـاومة والثورة ، وبأنها لم تهدأ ولم تطمئن الا حين أخذت تسترد شــــخصيتها المستقلة فى ظل ابن طولون » .

وفى احدى مقالاته فى جريدةكوكب الشرق عام ١٩٣٣ كتب الدكتــور طه حسين يقول « ان المصريين قد خضعوا لضروب من البغض والوان منالعدوان جاءتهم من الفرس واليونان وجاءتهم من العرب والتــــرك والفرنسيين » فساوى الدكتور فى هذه المقولة بين العرب وغيرهم ، وجعـلهم مستعمرين كالمستعمرون يخضعون اهل مصر كما اخضعوا غير اهـل مصر لضروب من البغض والوان من العدوان .. وقد اثارت هذه العبارة كما اثار كتــاب مستقبل الثقافة فى مصر وكما اثار من قبلهما كتاب فى الشعر الجـــاهلى للدكتور طه حســـين ـ ثائرة العالم العربى كله . ودارت معارك اشتركت فيها كل الاقـلام المعروفة فى المنطقة فى ذلك الحين ، ولكن تبقى القضــية قائمة وهى وجود هذا الاتجاه الذى رأى طريق الخلاص فى اغـــلاق كل الصـــــفحات القديمة وتمزيق كل ما يربط الحاضر بالماضى كله جملة وتفصـــيلا ، والاتجاه الى اعتبار الانسان العربى المعاصر وليدا جديدا يتلمس انتماءاته حوله لاخلفه ، وينظر امامه باصرار دون ان يحـــاول



رفاعة الطهطاوى

الارتكاز على نظرة جادة الى الوراء

وهذه الظاهرة الهامة ادت الى الظاهرة الثانية التى ترسم ثانى الملامح فى تمرد انسان العصر الحديث على تخلفه ف مطلع سنوات النهضة ، وتبرز رد فعله الحاد امام عجزه وانبهاره برؤى الحضارة الحديثة ومعطياتها ... ونحن نعنى هنا اتجاه المثقفين الى الايمان المطلق باحكام المستشرقين ومقولاتهم عن الحضارة الاسلامية بعامة وعن التراث العربى بخاصة ... والواقع ان هذه الاحكام رغم انها وليدة الدرس الجاد الا انها لم تخل مطلقا من آصداء قديمة للمعارك العربية مع الروم او الصليبيين . وكما انها لم تخل من آصداء قديمة الايمان باديان معادية او الانتماء لشعوب تطلب لنفسها الغلبة والسيادة والتفوق .. ومن هنا كانت هذه الاحكام صاحبة موقف بالنسبة للحضارة الاسلامية بعامة وبالنسبة للانسان العربى على وجه الخصوص ..

اما الحضارة الاسلامية فقد حدد فون جرونيباوم موقف عالم الاستشراق منها حين ذهب الى ان دورها الاساسى كان نقل الحضارات القديمة الى عصور النهضة ، سالبا اياها بهذا القول كل فضل فى الابداع والخلق والاضافة . وترسب هذا القول عند الدارسين العرب لانه يوافق الى حد كبير الاتجاه الذى اخذته موجة التمرد وتبنته ، ولذلك نجدكل الدارسين بلا استثناء مؤمنين بهذه المسلمة ويأخذونها مأخذ القضية التى لا تناقش .. الى ان ثارت الاجيال التالية وبدأت فى مناقشة كل شيء واول الاشياء مسلمات معرقة فيها شك كثير .

وتقول الدكتورة سهير القلماوى وكذلك الدكتور محمود مكى فى الفصل الخاص بالادب فى كتاب اثر العرب والاسلام فى النهضة الاوربية: « يختلف عطاء العرب للنهضة الاوربية فى ميدان الشعر عنه فى اى ميدان آخر نظرا الى طبيعة المادة نفسها والى ظروفها ، ذلك ان الشعر العربى لم يكن كالفلسفة او الطب نتاج حضارات سابقة حملها العرب بامانة ، والى هنا ونحن مع مسلمة جرونيباوم . ولكن هذا الكتاب الصادر عام ١٩٧٠ لا يستطيع بعد كل المناقشات التى دارت حول هذه المسلمة الا ان يضيف فى رفق قوله : « واضافوا اليها فى اصالة ولعبوا فيها الدور الاخير والاساسى قبل ان يسلموها الى عصر النهضة ، .. وهذا الاحترازشيء جديد ولا شك ولكنه كما قلت وليد اعادة النظر ،

الانسان العربي المبدع

ووليد الرؤية التي اصبحت اكثر وضوحا ودقة ... وفي الحقيقة ففي مثل هذه العبارة الرد على جرونيباوم ، اذ ان هذا الدور هو الدور الطبيعي الذي تاخذه كل حضارة في مسيرتها ..

اما العقل العربي فقد وصمه المستشرق رينان بانه عقل ينظر الى الجزئيات ولا يستطيع تمثل الكليات وقد وجد هذا القول صداه ايضا عند الدارسين في مطلع النهضة حتى لنجد الدكتور احمد امين يقول في كتابه فجرالاسلام « لاحظ بعض المستشرقين ان طبيعة العقل العربي لا تنظر الى الاشياء نظرة عامة شاملة ، وليس في استطاعتها ذلك » وهذا الموقف من العقلية العربية هو ما تحاول كل الدراسات في الادب الشعبي العربي ان تنفيه وان تثبت عكسه ولكنه على كل حال وافق هوى عند المتمردين على الانتماء الشمولي الذي ادى في ظل الدولة العثمانية الى كل هذا التخلف للانسان العربي ..

هذان الاتجاهان الرئيسيان نجما من الاصطدام المباشر بالنهضة الاوربية ، وادى كلاهما الى محاولة الخلاص من الانتماء العربي او الاسلامي مرة والى محاولة التهوين من الحضارة الاسلامية والانسان العربي مرة اخرى ...

وهما كما ترى وليدا التمرد والثورة التي ولدت فكرة الوطنية المحلية اسوة بوطنيات اوربا المحلية ، ولكنها وليدا احساس دفين بان الانتماء الى التخلف لا ينجم عنه سوى التخلف وان قطع العلاقة بالماضي المتخلف هو الوسيلة الوحيدة للاندفاع الحضاري للحاق بالركب المتقدم .

وهذان الاتجاهان احدثا رد فعل عارم مع بداية الارتباط بمعنى القومية العربية ، فظهرت نداءات مختلفة ترجع اصل حضارة الدنيا كلها للعرب ، وتثبت اصل كل الانجازات العلمية والحضارية الى العلماء العرب ، كما بدأت دعوات الى التمسك بالماضي القديم في مقابل دعوة التغريب وارتبطت دعوة الماضي هذه بالمعنى الديني ، واخذت شكل الرد او الرجعة عن كل محاولات اللحاق بالركب الحضاري المتطور ... واثارت هذه الدعوة من المعارك في السنوات الاخيرة مثل ما اثارت الدعوات الاولى تماما ، ولم يخل ميدان الفكر من رافض او متحمس لاحدى النظريتين حتى الان ...

ولكن هذه المناقشات التي تبلورت عن الاتجاهات التي ظهرت منذ مطلع النهضة قد خلقت موضوعا هاما وخطيرا يحتاج الى منهج واضح لدراسته ، ونعني به موضوع موقف الانسان العربي من الابداع ... هل حقا هو مبدع كل الاشياء ، او هل حقا هو عالة على كل الاشياء ...

ان الذهاب بالرأي الى احد الطرفين رهن بالبحث والاثبات على الصدق والحقيقة ...

لقد كشفت الدراسات المعاصرة عن دور خطير للاديب العربي من الادب

الروائي العالمي ومنذ بحثنا عن « الرواية العربية » عام ١٩٥٩ وحتى بحث الدكتورة سهير القلماوي والدكتور محمود مكي الذى أشرنا اليه والصادر عام ١٩٧٠ ومرورا ببحوث الاستاذ محمود تيمور والاستاذ مفيد الشوباشي والدكتور عبد الحميد يونس والدكتور احمد كمال زكي والدكتور محمود ذهني .

والآراء تذهب الى حقيقة وجود أصالة هامة في الابداع العربي في فن الرواية ، وأن هذه الاصالة لعبت دورا هاما وأصيلا في تكوين الفن الروائي العالمي تماما كما لعبت الاصالة اليونانية دورها في خلق فن المسرحية العالمي ..

واذا كانت الدراسات قد اثبتت دورا هاما للعرب في علوم الكيمياء والهندسة والفلك والطب والفيزياء والبيطرة والعلوم البحرية والجغرافيا والفلسفة والتاريخ ، الا

د. طه حسين



ان هذه الدراسات انما كانت تحاول جاهدة ان تعيد للعقل العربي احترامه عند أصحابه أولا .. اذ ان هذه تكاد عند النظرة الهادئة تكون تحصيل حاصل ... فالحضارة الاسلامية لعبت دورا لا يشك فيه أحد في تطوير الحضارة البشرية ونقلها نقلة هامة في كل ميدان من الميادين وفي كل علم من العلوم التي تقوم عليها كل حضارة ... وبالتالي فلهما دورها الهام في كل فن من الفنون التي ساهمت في تكوين الضمير البشري وخلق الوجدان الانساني العام .

ولكن هذه الجهود كلها انما كانت تحاول ان تعيد للعقل العربي مكانه واحترامه ، ذلك المكان الذى زلزله تماما الالتقاء المفاجيء لانسان العصر الحديث العربي بمعطيات الحضارة الاوربية اثر عصور التخلف والتكهف الطويلة. وذلك الاحترام الذى ذهب به عند أصحابه بحثهم عن انتماء آخر ينجيهم من سبة الانتماء الى شعب متخلف والى عقلية وصمها اعداؤها بالقصور ليتالوا منها ، فآمن ابناؤها بالتهمة وحاولوا التبرأ من العقلية نفسها وما تحمل من تهم ..

ولكن هذه المراحل من الرفض أو من التعصب كانت لازمة لخلق الاحياء العربي الجديد ، وكانت لازمة لنعرف أننا انما نطلق كلمة « عربي » في التراث على جماع ما قدمه ابناء الحضارة الاسلامية ، وهم ابناء الشعوب التى دخلت الاسلام بكل موروثاتها الثقافية لتمتزج في جسم واحد متلاحم ليعطي العالم ما يسمى باسم الحضارة الاسلامية او الحضارة العربية ... فهي اسلامية لانها وليدة الشعوب التى واجهت العالم متحدة باسم الاسلام وامتدت عبر قارات آسيا وافريقيا

لتدخل اوربا عن طريق الاندلس أو القرم أو جزر البحر الابيض .. ثم لتمتد جنوباً حتى الصين والهند وأواسط افريقيا وجزر الملايو وسومطرة ...

وهي عربية الآن لغتها الاساسية كانت العربية ، ولأن مكونيها الاول كانوا العرب ولأن العنصر البشرى الاول الذى ساعد على تكوينها كان هو العنصر العربي .. والواقع ان هذا يحدد لنا بوضوح سر المقولات التى اطلقها المستشرقون حول عقم الحضارة الاسلامية وكذلك حول

قصور العقلية العربية ، فهم يعلمون ان العقلية الجوهرية المسئولة عن تكوين البناء الضخم للحضارة الاسلامية هى العقلية العربية التى يعتبر الدين الاسلامى دينا يوائمها بالدرجة الاولى ويتفق مع

معطياتها الوجدانية والانسانية وهو كرسالة للبشر انما تبشير باتجاه عربي فى التفكير واتجاه عربي فى الحكم على الاشياء ، واتجاه عربي فى النظر الى الكون فى علاقته بالإله وفى علاقاته ببعضها

وبعض .. فاذا ساد هذا الدين كل هذه الشعوب فمعنى هذا انه اخضعها بكل مكوناتها وبضخم موروثها القديم للقالب العربي فى الفكر والاحساس والعطاء ، فهي وان تعددت فى اصولها ومنابعها انما



د. سهير القلماوى

تصب فى قالب عربي الاساس منتجة ماسميناه بالحضارة الاسلامية ..

فعطاء الحضارة الاسلامية عطاء عربي بهذا المفهوم وهو واعنى هذا المفهوم - يحل بالنسبة للكثيرين من الدارسين والمفكرين والباحثين الكثير من المشكلات حول معنى القومية العربية ... ومدى ارتباطها بالحضارة الاسلامية والواقع انه بالنسبة لعلوم الفلسفة وعلوم الدين وعلوم اللغة والادب لم يجد الباحثون غضاضة من أن يسموا معطياتها باسم الفلسفة الاسلامية والعلوم الدينية الاسلامية ... ولكن فى علوم اللغة والادب وقفت التسمية العربية ثابتة لا تريد ان تتغير على الرغم من أن هذه العلوم بالذات اسهم فيها تأليفا وجمعا ونقدا وتبويبا علماء ينتمون الى كل المنطقة التى شملتها تسمية الحضارة الاسلامية . وعلى هذا أيضا فنحن لن نجد اليوم غضاضة أن تنسب كل هذه العلوم للتسمية الاسلامية مرة أو للتسمية العربية مرة أخرى .

الإنسان العربي المبدع

والواقع ان الدراسات الانثولوجية والدراسات الانثروبولوجية الحديثة قد انتهت الى ربط اصـــــول هذه المنطقة الاســـلامية الشـــاملة الى منطقتين هما المنطقة الارية والمنطقة السامية .وأولاهما تضم الهند وايران وتركيا ، والثانية تشمل الشــعوب الوسيطة بين قارتي آسيا وافريقيا ثم شعوب الشمال الافريقي . وعلى الرغم من ان هذا التقسيم قائم على الايمان بالافتراض الاسطورى لاولاد نوح : سام وحام ويافث . فيكون يافث هو الاب الاسطورى للمنطقة الارية ويــكون أولاد ســـــام وحام هما ابناء المنطقة السامية أو الســامية حامية . الا أن هــذه الدراسات قد قامت على اصـول من الدراسات اللغوية واتجهت الى جعل تراث الشـــعوب الارية متكاملا مع التراث الاوربى لتصبح شـــعوب المنطقة الثانية شـعوبا من الدرجة الثانية لها تكوينها الخاص الاقل فى الدرجة والاهمية من شـعوب المنطقة الاولى .. وهذا التقسـيم وان جزأ شعوب الحضارة الاسلامية الى جزءين قديمين ، الا انه لا يستطيع ان ينفى ان الاســلام وحد تماما من الناحية الفكرية والثقافية بين شـــعوب المنطقتين . وان اساطير وحكايات ومعتقدات المنطقة الارية دخلت سراء مؤثرة - كما يذهب هؤلاء الدارسون - او مؤثرة متاثرة كما يقول المنطق الطبيعى للاشياء ، فى البناء الضخم المكون للحضـــــارة الاسلامية التى صهرت بواسطة الاسلام فى بوتقة العقلية العربية .. وكان عطاؤهـــا كلها شــئنا ام لم تشأ لنا ميولنا واغراضنا غير العلمية ، عطـــاء العقلية العربية بالمعنى الذى ذهبنـا اليه فى هذا المقال .. وكان ابداعها يسير فى ذلك الاطار الذى يمكن لنا ان نسميه مرة بابداع الحضـارة الاسلامية . وان نسميه مرة اخـرى بابداع الانسان العربى ..

الفلسفة والطب والموسيقى ايضا

يروى الفيلسوف الاسلامى الكبيرابى نصر الفارابى ، انه الى جانب معارفه الواسعة ، بالفلســـفة والالهيــات ، والطــب - كانت له مواهب ممتازة فى الموسيقى علمارفنا ، حتى لقد كتب اشهر رسالة فى نظرية الموسيقى الشرقية ...

ومما يحكى عن براعته فى هذا الفن انه صنع آلة موسيقية شبيهة بالقانون ، عزف عليها مرة فاضحك الحاضرين ، وعزف مرة اخـرى فابكاهم ، وعزف مرة ثالثة فأنامهم ثم تسلل من بينهم الى داره .

• صالح جودت •

أغنية للجنوب

« كان مقررا أن يتلو الشاعر هذه الانشودة في المهرجان الثقافي الذي اقيم في الخرطوم الشهر الماضي .. وكان مقدرا أن يعدو عليه المرض فيلزمه الفراش ويحول بينه وبين السفر »

الحبيبان إذا دَلاّ وتـَاها
فهي الصبوةُ في أحلى مَدَاها
يفرح العذال في بينهما
ويقولون اجتـوته واجتواها
ليتهم يدرون من سرِّهما
إنها الأشواقُ وافت منتهاها
وقضى اللـه بأن يلتقيا
في ظلال بارك الله جناها
ولقد تِهنا وتهتمُ فترة
وسوساتُ الشرِّ كم حثت خطاها
ثم ثبنا للهـدى في صيحة
ردد الأحرار في الوادي صداها

وتساقينا على لحن الهـــوى
وتلاقينـــا قلوبا وشِـــفاها

***

إخوةَ السودان ، كم آصــرةٍ
بيننا شـدَّتْ يدُ الله عـُـراها

مصر لا تنفــك منكم ولـكنّم
وبكُم فى كل مصرٍ تتَبـاهى

وإذا نادت ، ففى أعمـَــاقكم
سَكَنُ الأخت إذا نادت أخَاهَا

لا تقولوا نَسِيتْ سـودانها
إنه كانَ لهَـا عزا وجَـاها

هو ماضِـيـها ومستقبلها
وهو العمق الذى يَحمى حِمَـاها

إنه السودان ، مَجْرَى رزقهـا
وهو مَحياها وشريان دمَـاها

جمعتْنا رضـعة النيل ، فَما
نحن فى الرضـعة الا توءمـاها

ونمتنـا أمة من « يعــرب »
شرّف الله بشـعْبينا أباها

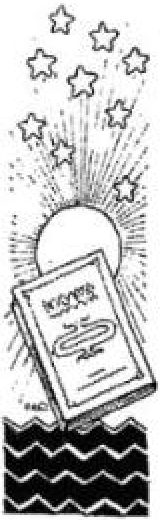
وازدهتنــا اللغـة الفصحى التى
نزل القرآنُ فيهـا فازدهـاها

ولنـــا العِزَّةُ فى إفريقيـــــا
إنمـا نحن وأنتم دُرَّتاهـــــا

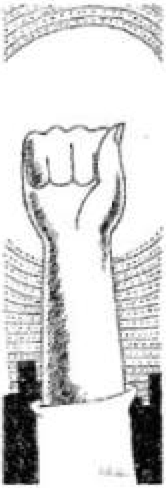
***

مصر والسودانُ ، هَل كانا سوى
جنَّةٍ يجتـذب الدنيَا شـــذاها
كلما العين تملَّتْ حسنَهـــا
أعذرتْ من حسبوا النيلَ ، إلهـا
غفَرَ الله لهم ، هَـــل عرَفـوا
مُنعماً فى عصرِهم إلا الميـاهَا
أوَليس الخيرُ من جوهرِهـا
أو ليس الغيثُ من فيضِ سماها
أوليس البر مـن أسـمائِها
أوليس الرزق ما أجْرت يداهَا
كم أراضٍ شرقتْ ظـامئةً
فجرى النيـلُ إليهـا فسقاها
وبيوتٍ تربتْ جائعـــةً
فمشى النيـل إليهـا فغـذاها
وجسـوم ضـمرت عارية
فحنَ النيـل عليهـا فكساها
وضـفافٍ ذبلتْ صـادية
فسقى بالسحر والعطـرِ رباها
وفيـافٍ خلقتْ جافيـةً
فكسا بالبُسُط الخُضرِ ثَراها





إنه النيـــل ، فمن ألهمــــه
ألَه القدرةَ فى رمز نـــــداها
إخوتى ، عـُـدنا وعـُدتم بعـدما
مرت المأســـاةُ وانجابَ دجاهـا
فاسمعوا القصةَ ممن عاشـَـــها
وخـُذوا حـــكمتها ممن وعـَـاها
لا ضللتم فى خطـا ثورتـــكم
أو تفرقتم مســـاراً واتجـاها
اجعلوها العـروة الوثقى لـــكم
فهى الحق ، ولا حـــقٌ سواها
سلمتْ للنيـل والعـُرب معـــا
ورعى الرحمـــن للوادى لـواها
لا تكفوا الجهدَ عن نـُصرتِهـا
قبل أن تبلغ فى الخــير مـداها
لا يُعـــز الله الا أمـــة
وحـَّدتْ فى سـُبل اللهِ خـُطاها
وخـذوا العبرةَ من ثورتنـــا
حينَ ضـلـَّت ثم لم تفقد حجاها
إشرأبتْ وهى فى مولــــدها
واستبـَّت وهى لم تبلـغ ضحـاها
وأبتْ أن يـُوءدَ الحـــق ، وأن
يُحسب الشعب نِعـاجا وشِياها
وتعالى صوتهـــا لا يرتضى
أن يُذلّ النـــاس للمال الجباها



وصحا الوادى على صيحتها
ومشى العشب على رجع صداها
تعب الشانىء فى خطتها
وتحداها فما ألقت عصاها
ومضت نحو المعالى قدماً
فاعتنقناها وباركنا خطاها
ثم أغراها الهوى فاتبعت
فى سبيل العرض الفانى هواها
يوم أن لانت لأوشاب القوى
وتدنت للخطايا راحتاها
وإذا النكسة ترخى ليلها
وإذا الثورة تعنى من بناها

***

ثم هب الفارس الحر الذى
كان فى إشراقة العمر فتاها
أسمر الجبهة ، فى شريانه
من مياه النيل لون ابن قراها
فشفى غلتنا من عصبة
كانت النكسة أقصى مشتهاها

عصبة من حمقها كم بسطت
كفها فى الماء كى تبلغ فاها
فتهوت ، لا رجعت أيامها
وانطوت ، لا طيب الله ثراها
ومضى الفارس فى وثبته
يوقظ الثورة من طول كراها
ويهز الخير فى أعماقها
ويرد الروح من شرخ صباها
مرسيا أهدافها ، مستوثقا
إن بالإيمان تستعلى يداها
فاشتراكيتها مؤمنة
لا من الشرق ولا الغرب رؤاها
لم تشبها صفرة اللون ، ولا
صبغت بالأرجوانى الشفاها
هى بنت الأرض فى لحمتها
ومن الإيمان والعلم سداها
ومن الهدى الذى ثار على
شرعة الأوثان فانداحت رقاها
ومن العدل الذى عز به
عمر الفاروق فى الحكم وتاها



ومن الريح التى هبّت عـــــلى
دولة الإقطـــاع فانهـارت قواها

ومن الروح التى خفقــــــت الى
زمرة الاحزاب فاندكت قـــــراها

ومن النـــور الذى فاضَت بهِ
آية الرحمن فى وجـدان طـــاها

ومن الإســلامِ تبنى عــزّها
ومن القـــرآنِ تَستوحى هـُداها

⁂

هـــكذا عــز الحمى وانطلقت
ثورةٌ التصحيح تستدنى جنـــاها

ومضى الفــارسُ يدعــونا إلى
خطة فى جِلوة الصوم ارتآهـــا

قال هذى أرضكم ، فامضُوا لها
وانصروها اليوم أو مــوتوا فِداها

وعلى اسم الله خـُضنـــا نارهـَا
وبسيف اللهِ زلزلنـــــا رحـَاهـَا

وبجنـــد اللهِ حرّرنا الثـــرى
وبإذن اللهِ طهّـــرنا الميــــاها

وبذكـــرِ اللهِ فى محنتنـَــــا
ما ســألنا حاجةً الا قضـــاهـَا



د. سيد كريم

أبو الهول
الفيلسوف الساخر

● ابو الهول ... الفيلسوف الساخر ، الذى وصفوه بانه يجلس فى صمت وتامل وابتسامة السخرية على شفتيه وهو يرقب عجلة التاريخ تدور امامه من اربعين قرنا ، ولا يرى جديدا تحت الشمس ، فالتاريخ يعيد نفسه وسط صراع الشعوب بين قوى الخير والشر التى تتجاذبها ، وعوامل البناء والهدم والتى ترسى حضارتها فى صراع تنازع السلطة بين القوة والعقل والعقيدة .

فابو الهول هو الرمز الذى يجمع بين تلك القوى الثلاث مجتمعة ، عبر عن القوة بجسم الاسد الرابض ، والعقل بالراس الادمى الشامخ ، والعقيدة بتامله وتطلعه الى افق شروق الشمس رمز الاله الواحد .

ان رمز ابى الهول الذى جمع بين تلك القوى الثلاث هو الذى عكس على شفتيه ابتسامة السخرية وهو ينظر الى ذلك الصراع الذى ظنت كل من القوى الثلاث ان بيدها وحدها مفتاح السيطرة على الحكم والاستبداد بالسلطة وبناء كيان المجتمع البشرى ، وتحويل مجرى التاريخ

● ابو الهول : يعتبر اشـــهر آثار الدنيا ، الذى اتخذه كثير من الكتاب والمؤرخين رمزا للحضـــارة الفرعونية ــ وهو تمثال منحوت فى صخرة الهضبة على الجانب الشرقى أمام الهرم الثانى من مجموعة اهرام الجيزة . جسمه على شـــكل أسد رابض ورأسه رأس انســـان يتجه بنظـــرته الابدية نحو افق شروق الشمس مطلا على وادى النيل ونهره المقدس .

يبلغ ارتفاعه ٢٠ مترا وطوله ٥٨ مترا يتوسط احد المحاجر التى قطعت منها احجار المعابد الجنائزية التى تحيط به . ليست هناك فى اثار مصر بأجمعها ما شغل المؤرخين والكتاب وحيرهم مثله « ابو الهول » .

كتبوا عنه اكثر مما كتبـــوا عن غيره من الآثار ... وعرفوا عنه اقل مما عرفوا عن غيـــره . كتبوا كل شىء يمكن كتابته عنه .

اختلفوا فى بديهيات التاريخ .. متى ؟ ولم ، ومن ، اقامه ؟ واتفقوا على انه رمز للغموض والاسرار ، والصـــمت ... ان هيرودوت ابا التاريخ تكلم باســـهاب عن الاهرام وتاريخها ووضعها ولم يذكر شـــيئا عن ابى الهول ... وبالمثل كثير من مؤرخى العصـــور القديمة . بينما اختلف مؤرخـــو العصر الحديث ، فنسبه بترى الى الدولة الوسطى والى تحتمس الرابع بالذات ... بينمـــا استنتج ماسبيرو ان الملك خفرع هو الذى بنى ابا الهول لحمـــاية معبده الجنائزى بقواه السحرية .

ويؤكد بورجش انه اقيم فى عهد ما قبل الاسرات كـــرمز لاحد آلهة الفراعنة الاقدمين لان هناك ما يثبت ان الملك خوفو قد شاهـد ابا الهول قبل ان يقوم ببناء هرمه الاكبر .

كما نســـبه بورخارت الى الملك امنحتب الثالث استنادا الى الالوان التى استعملت فى صياغة عينيه وغطاء رأسه

كما رفض برســـتد الاخذ بنظرية نسبته الى خفرع أو الى الاســـرة الثانية عشرة . كما ذكر والاس بادج انه رمز للاله (حورد ام اخت) وان بعض النقوش التى وجدت بالمقـــابر المجاورة له تثبت ان خوفو هو الذى بناه

وكان رد أبى الهول نفسه على تلك الآراء بابتسامة السخرية التى تعبر عن فلسفة الصمت التى اتسم بها ..

● لقد احتفظ ابو الهـــول بسره اربعة آلاف عام ، ولم يكشـــفه الا عالمنا الاثرى الخالد الذكـر الدكتور ســـليم حسن عندما قام بحفـــرياته المشـــهورة عام ١٩٣٦ فازال الرمال عن جســـم أبى الهول واطلق يديه



منبع الحكمة في رأسه .. رأس الانسان.. مصدر القوة في جسمه .. جسم الاسد وعقدة الايمان في نظرته .. الى العالسماء.. وفلسفة السخرية في ابتسامته . انه أبو الهول الفيلسوف الساخر



لوحة لابى الهول للفنان د. رويرتس من معهد الحملة الفرنسية

واعطاه حريته ليكشف اسراره لابن بلده .

● لقد اختلف المؤرخون فى أصل كلمة « ابو الهول » ... نسبها البعض الى الاسم الفرعونى جوحون اى مبعث الرعب بينما نسبها البعض الاخر بوحول Bw'Hwl أى مكان المعبود حول ، وقد وجد هذا الاسم فى بعض ستيلات الاسرة الثامنة عشرة التى وجدت ضمن حفريات ابى الهول ، كما وجد فى بعضها اسم حول ـ حورام اخت ـ وفى الدولة القديمة فى متون الاهرام وجد اقدم اسم اطلق على ابى الهول وهو روتى Rwty وهو مرتبط باله الشمس كما رمز له بصورة أسد رابض .

كما كان يطلق على أبى الهول فى الدولة الوسطى اسم شسب عنخ ، اى التمثال الحى ، وهو مانقله هيرودوت الى اليونانية وحرفه الى اسم سفنكس الذى اشتهر به فيما بعد فى جميع اللغات .

اما تاريخ ابو الهول الحقيقى الذى كشفته حفرياته واسراره التى كانت مدفونة ، فتسجل ان الذى اقامه هو الملك خفرع (٢٦٣٥ ـ



راس الملك خفرع وراء
س ابي الهول ..

٢٦٠٠ ق . م) ليتحدى به كهنة عين شمس الذين اشاعوا عن طريق السحرة ان عرش مصر سيجلس عليه حاكم من سلالة الآلهة تحمل به سيدة من عين شمس ويولد في المعبد .

صنع تمثال ابي الهول الذي يحمل راس خفرع وجسمه جسم اسد ويتجه بوجهه نحو شروق الشمس ومعبد هليوبوليس ليؤكد به الملك للشعب ان « منبع الحكمة في راسه والقوة في جسده والايمان في قلبه » لقد تحققت نبوءة كهنة (كيش شمس) او حققوها بان زوجوا خنت كاوس (الملكة نيوتكريس ـ من اوسركاف احد تلاميذ المعبد الذي تجري في دمائه روح الاله ، وبذلك انتهى حكم الاسرة الرابعة وانتقل الحكم من اسرة خوفو الى سلطان المعبد . وقد عمل اوسركاف على اهمال ابي الهول حتى غمرته رمال الصحراء باكمله ولم يبق ظاهر منه سوى جبهته وعينيه وانفه .

● لقد ابتعد ابو الهول عن مسيرة التاريخ واحداثه منذ بداية الاسرة الخامسة عام ٢٥٦٠ ق . م ولم يرد ذكره او يسترجع مكانته الا في الاسرة الثامنة عشرة عام ١٤٢٠

ق ٠ م عندما تولى تحتمس الرابع الحـــكم ، فقام بازالة الرمال عن جسمه وأعاد له رونقه واصـــلح معبده الجنــائزى ، وخلد اعماله منقوشـــة على اللوحات الجرانيتية التى تركهــــا بالمعبد وبين يدى ابى الهول ٠ كمـــا اعاد لابى الهول شعائره الدينية ٠

وقد تتابع اهتمـــام ملـــوك الاسرة الثامنة عشرة مع العودة الى عبـــادة الالـــــه حورس واعتبروا ابى الهـــول رمزا للاله ، واطلقوا عليه اسم (حورام اخت) او حورس الساكن فى افق الشروق (حورماخيس) واقاموا له اعيادا مقدســـــة ، كما اعتبر الحج الى ابى الهول ومواسمه ، من التقاليـــد المقدســـــة التى اتبعها اكثر ملوك الفراعنة حتى نهـــاية القرن الثالث قبل الميلاد ٠

ثم تركه لتغمره الرمال مرة أخرى ولا يبقى منه ظاهرا سوى رأســـه ونظرته الساخرة لتتابع مســـيرة



كشف احفاده المصريون عن جسمه واطلقوا يديه فكشف لهم بدوره عن سره واصله واصـــالة تاريخهم ..



أبو الهول حارس بوابة الخلود
وشاهد على نسيج التاريخ :



تمائم لوحات النذور
٧٧ أذنا تسمع
٧٧ عينا تشاهد
وابتسامة على فم واحد صامت

التاريخ مرة أخرى حتى عصرنا الحديث .

ولقد كشفت أعمال التنقيب والحفريات الاخيرة مجموعة من اللوحات التذكارية والواح النذور وبراءات الحج الدينى تحمل اسماء الكثير من الملوك والعظماء الذين قاموا بزيارة ابو الهول - كما كان الكثير من القواد العسكريين يقومون بزيارته للتبرك به والاستخارة قبل القيام بمعاركهم المشهورة ، او لتقديم القرابين والنذور للشكر بعد انتصاراتهم ... وقد استمر ذلك التقليد فى عهد البطالمة كما قام به الكثير من اباطرة الرومان وانتقل الى العصر الحديث ليسجل زيارة نابليون المشهورة مع الحملة الفرنسية .

● ولقد سجل على الكثير من اللوحات تاريخ الزيارة والاعمال العظيمة والبطولية التى قام بها الزائر سواء ما يختص منها بالفروسية او الصيد أو الانتصارات فى المعارك والتى نسبوا الفضل فيها الى الاله حورس .

كما ذكر فى بعضها القرابين والنذور التى قدمت للاله فى حجه المقدس ومن بين اللوحات التى كشفتها الحفريات لوحة للملكة تى زوجة امنحتب الثالث ووالدة اخناتون وقد صنعت لنفسها تمثالا على شكل ابى الهول يجمع بين رأسها وجسم الاسد .



نماذج لوحات تسجيل الحج والزيارة التى قام بها الملوك والحكام لابى الهول



اعاد اخناتون لابي الهول اعتباره وقدسيته فصوره على شكله وهو يرفع يديه للاله الواحد اتون ويتقبل منه بايقونات اشعته النعم والبركات ١٣٧٠ ق.م

كما صنع اخناتون لنفسه لوحة تذكارية مثل نفسه فيها على شكل ابى الهول وهو يرفع يده بالدعاء وتقبل البركات والنعم من الاله اتون ٠

وقام توت عنخ آمون بعدة زيارات لابى الهول وسجل عليها رحلات الصيد والفروسية التى قام بها فى وادى الغزال كما وصف الوحوش المفترسة التى اصطادها وحده وكانت عين ابى الهول تحرسه ٠

وذكر تحتمس الثالث انه قتل سبعة اسود ضارية فى « لمحة عين » وشرح كيف اصطاد مائة وعشرين فيلا فى بلاد « ناى » عند عودته من النهرين كما امر خرتيتا فى بلاد النوبة — وسجل فى لوحات اخرى فضل ابى الهول فى قهر الاعداء والمغيرين ٠

وسجلت الملكة حتشبسوت زيارتها لابى الهول كما صنعت لنفسها تمثالا على شكل ابى الهول نقله الرومان الى معبد ايزيس فى روما وكان

الامبراطور سيتموس من المؤمنين بأبى الهول فاقام له محرابا خاصا امام تمثاله :

لقد صنع معظم ملوك الدولة الحديثة تماثيل لانفسهم على شكل أبى الهول وضعوها امام معابدهم لحراستها وكانوا يعتبروها نوعا من تماثيل النذور التى تعبر عن انتمائهم الى عقيدة ابى الهول الذى اصبح الها يقدسونه ٠

وقد انتقلت فكرة او عقيدة ابى الهول ورمزه الى مختلف البلاد الاسيوية واليونان وروما مع فتوحات امبراطورية الدولة الحديثة او فى كل من عصور الهكسوس وبابل والمسور وقد اصبح لكل منها طابع مميز ـ كما اختلف الرأس الادمى فيها فعبر عنه كهنة امون فى طيبة برأس الكبش والذى انتقل بدوره الى البابليين والاشوريين ـ او رأس المرأة كما ظهر فى اليونان وروما بعد ما ظهر فى تماثيل ملكات مصر امثال تاى وحتشبسوت ونفرتارى ٠

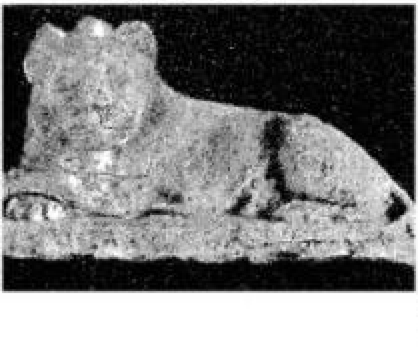


احدى لوحات الحج التذكارى لابىالهول
الدولة الحديثة ١٥٧٠ ـ ١٣٠٤ ق.م

ابو الهول من العصر الرومانى



ابو الهول من عصر البطالسة





ابو الهول ـ منف ـ راس رمسيس الثانى

ابو الهول وجسم الاسد

● ان فكرة اتخاذ الاسد كعنصر اساسى فى تكوين شكل ابى الهول للتعبير عن القوة ، بدأت عند قدماء المصريين من اقدم العصور قبل عهد الاسرات . بدأت بنظرتهم اليه ووصفهم له بانه يمتاز عن بقية الحيوانات بانه يجمع بين القوة والشجاعة وعزة النفس وجمال الشكل ، فكانوا اول من اطلق عليه اللقب الذى عرف به عبر التاريخ وهو « ملك الحيوانات » ، فقد اتخذه ملوك وحكام المقاطعات ورؤساء القبائل رمزاً للتعبير عن الحاكم القوى ، فظهر فى كثير من الخراطيش واللوحات التى تحمل اسم الملك او الحاكم ، وقد رسمت صورة الاسد فوق الاسم كما ظهرت منقوشة فى اقدام الجمارين والاختام

كما وصف الفرعون فى كثير من متون ونقوش كل من الدولة القديمة والدولة الوسطى واسرات الدولة الحديثة ـ وصف بانه الاسد الشجاع ـ والاسد المنتصر ـ والاسد قاهر الاعداء ـ والاسد فى ساحة القتال ـ والاسد المقدس .

كان الملك امنحوتب الثالث مغرما بان يرمز له بالاسد وقد صنع لنفسه اسدين من الجرانيت نقش على كل منهما

« تب ماعت رع » امنحوتب

راس ابو الهول معبد تانيس



الثالث) الاسد القوى محبوب رع ، ويعتبران من اجمل تماثيل الحيوانات فى فن النحت المصرى القــــديم (المتحف البريطانى)*

لقد انتقل لقب الاسـد من ملوك الفراعنة لاكثــر من دولة من دول العصـــور القديمة ، فانتقل الى الحبشـة وبلاد بونت واتخذه الملوك شعارا لهم ، وقد انتقل هذا اللقب الى العصر الحديث حيث اطلق على امبراطور الحبشة لقب « اســـد يهوذا » كما اطلق على اكثـــر من امبراطـــور من اباطرة الرومان ، وانتقل الى الكثير من البلاد الاسيوية وقد نقلت جميع تلك الدول شــكل ابى الهول أو الاســد الرابض مع التغيير فى شكل الراس *

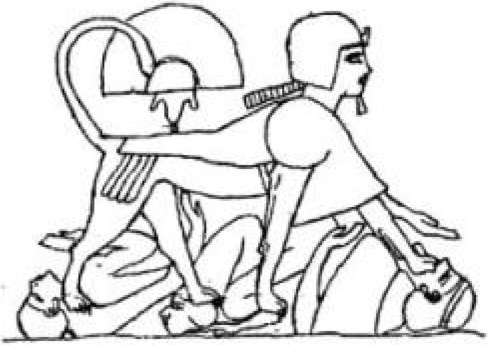
ان يقظة الاســـد بجانب قوته وشجاعته اضافت الى اسمائه اسما



ابو الهول فى لوحات النلود «المصرى»



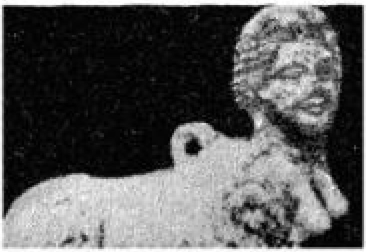
ابو الهول « الســورى »



امنحوتب الثالث على شكل ابى الهول قاهر الاعداء







١ ـ ابو هول « الملك نمرود »
٢ ـ ابو هول « عصر الهكسوس »
٣ ـ ابو هول « العصر الروماني »

جـــديداً وهو « الحارس القوى » فاتخذ كثير من ملوك الدولة الحديثة اسداً او اكثر لحماية الملك فكان الاسد المدرب يتبع الملك فى ميدان القتال ويشترك معه فى المعارك عند الهجوم على الاعداء ، وفى الســلم كانت الاسود الاليفة تربى فى القصـــور وتلازم الملك فى حفلات الاســتقبال ومــواكبه كما تربض بجواره اثناء جلوسه على العرش كما ظهــرت فى كثير من نقــوش رمسيس الثانى ٠ كما ظهر الاسد الحارس وهو يسـير بجانب رمسيس الثالث فى احتفالاته الدينية ٠

وقد ظهر الاسد الحارس فى تمائم السحر لغرض الحماية من الارواح الشريرة ، والحراســة من الغدر ، ولتكسب حاملها القوة والشجاعة ٠ وقد انتقلت عقيدة القوة السحرية للاسد الحارس الى اكثر من نواحي الحياة عند ملوك الفراعنة ، فصنعت مســـاند كرسى العرش وهى تمثل رءوس الاســـود ، وقوائم الكرسى تمثل ارجلهـــا ومخالبها ، ومن امثلتها كرسى عرش الملك خفـــرع صانع ابى الهول فى الدولة القديمة وكرسى عــرش الملك توت عنخ آمون

في الدولة الحديثة ، كما كانت المنصة التي يوضع فوقها كرسي العرش تزخرف بالاسود واعضاء جسمها . أن استطالة شكل جسم الاسد باكمله صنع هيكل الضجع او سرير الملك حتى يقوم الاسد بحماية النائم من قوى الشر الخفية او الخونة والاعداء .

كما كانت مقابض الابواب سواء في القصور او المعابد تصنع على شكل راس الاسد — كما كانت تنقش رسوم الاسود على ابواب المعابد او يوضع تمثالان من تماثيل ابي الهول على جانبي بوابة المدخل لحمايته وحراسته .

كما اختار قدماء المصريين الاسد كرمز لاحد ابراجهم السماوية وهو « برج الاسد » وقد اختاروا الاسد الحارس بالذات لهذا البرج لانه موسم فيضان النيل المقدس الذي ينبع من الجنة ويجلب معه الخير والخصب والحياة لمصر ، فاختاروا الاسد ليحمى النهر ويحرس فيضانه .

نابليون وانف ابى الهول

● من اهم الزيارات التاريخية التي شاهدها ابو الهول في العصر الحديث تلك الزيارة التي قام بها نابليون بونابارت اثناء الحملة الفرنسية وزيارته لابي الهول مع كبار قواد جيشه مخاطبا جنوده بقوله المشهور : « ان اربعين قرنا تنظر اليكم من خلف ابي الهول » .

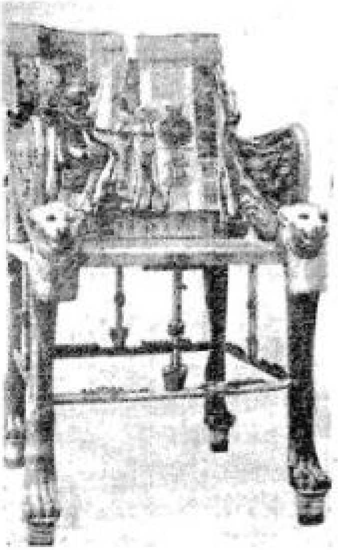
واتهمه اكثر من كاتب من كتاب الغرب بانه اطلق مدافعه على رأس ابي الهول ، وحطم انفه وهو ما يتعارض مع ما عرف عن نابليون من اهتمامه بتاريخ مصر وآثارها بصفة خاصة ، وقيامه بارسال بعثات الآثار المشهورة التي اشرفت على جمع تاريخ مصر وتسجيله كما اشرفت على ترميم الآثار وصيانتها.







خرطوشات رمز الاسد الذي يرمز الى الحاكم القوى للملوك وحكام ما قبل الاسرات



كرسى عرش توت عنخ امون



كرسى عرش الملك خفرع

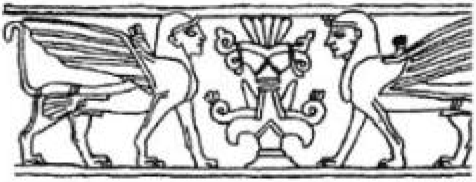
اما قصة تحطيم انف ابى الهول ، فقد ورد ذكرها فيما دونه مؤرخو العرب الذين كتبوا تاريخ مصر قبل الحملة الفرنسية بعدة قرون ، فذكر المقريزى ، ان صوفيا يدعى صائم الدهر وهو الذى حطم انف ابى الهول لانه رمز للوثنية ، وكانت النساء تتبرك به وتقدم له النذور . ويقال ان عاصفة رملية زحفت على الاراضى الزراعية الممتدة من هضبة ابى الهول الى النيل فاتلفت المزروعات واهلكتها ونسب الناس ذلك الى غضب ابى الهول لتشويه أنفه » .

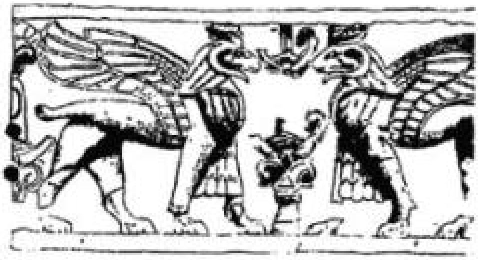
كما ذكر البغدادى نفس الواقعة وقال ان ذلك الحادث كان سببا فى زيادة اعتقاد العامة فى كرامات ابى الهول .

كما يصفه القضاعى بانه راس ضخم يبرز من رمال الصحراء حتى عنقه ويعتقد الناس بان جسمه مدفون تحت الارض ، ويطلق عليه المصريون اسم « ابى الهول » وانه يحرس أرض مصر ويحميها من زحف رمال الصحراء .

ويحكى الرحالة فانسليب انه سمع ان احد مشايخ المغاربة

أبو الهول المجنح ـ الفيوم
جسم الأسد وزى الإنسان





أبو الهول المجنح ـ أشور
جسم الأسد ورأس الكبش

أبو الهول ـ عربى القنة ـ الإسماعيلية



الصوفيين هو الذى حطم تماثيل الاسود التى اقامها الملك الظاهر بيبرس البندقدارى ليزين بها قناطر القاهرة وحدائقها، والتى تحاكى رأس أبى الهول الرمز الوثنى الذى كان العامة يعتقدون فى كراماته وخرافاته وقام بعد تحطيمها بتحطيم وجه أبى الهول .

وقد ذكر البغدادى نفس القصة وذكر ان اسم الذى حطمها وحطم انف أبي الهول شيخ من شيوخ الصوفية يدعي الشيخ محمد صائم الدهر . وهكذا اصبح نابليون بريئا من انف أبي الهول ...

عندما نطق ابو الهول

أن أبا الهول الذى حير المؤرخين والاثريين بصمته وغموضه عندما غمروا جسمه بالرمال ولم يكن يظهر منه سوى عينيه وجبهته وبقى فمه مطبقا وبقى سره مدفونا معه ..

اعتبروه رمزا للصمت حتى أصبحت كلمة « صمت أبى الهول » من الامثال الشائعة لقد لاذ بالصمت ليحتفظ بسره ولكنه نطق ثلاث مرات خلال تلك القرون الاربعين من مسيرة الصمت .

نطق أول مرة سجلها له التاريخ فى احدى لوحات متونه عام ١٤٢٠ ق . م عندما تحول الوادى المهجور الذى يحيط به الى منطقة للصيد والفروسية أطلق عليها اسم وادى الغزال . فكان الامراء والقواد والفرسان يقضون أوقات لهوهم فى رياضة الصيد للتدريب على الرماية بالاقواس والسهام فى ذلك الوادى .

لقد وصفت النقوش التى وجدت على احدى لوحات المتون القديمة كيف كان أصغر ابناء الملك امنحوتب الثانى يتدرب على الفروسية بجوار أبى الهول فلما نال منه التعب ما جعله يأوى الى ظل رأس أبى الهول فأخذته سنة من النوم رأى فيها حلما ورؤيا وسمع أبا الهول يخاطبه قائلا :

« اسمعنى : انا ابوك صقر الافق المتجسد فى الارض . ساعطيك ملكى على الارض لتكون على رأس الكائنات الحية . ستحمل على رأسك التاج الابيض والتاج الاحمر لتكون على عرش وارثا للملك . ستكون لك الارض التى تضيئها عين الرب بطولها وعرضها . ستكون خيرات الارضين ملكا لك طوال سنى عمرك - وجهى متجه اليك وقلبى معك .. ستكون راعيا لشئونى جميعها .

تماثيل ابو الهول الحارسة ، جسم الاسد وراس الكبش ، معبد امون بالكرنك



ان جميع اعضـــاء جسـمى تتألم من الرمال التى غطت محرابى حتى غطت جسـدى ولم يبق ظاهرا منى غير جبهتى وعينى ·

التفت لما اقـوله لك ولما اريد ان تعمله لتحقـــق رغبتى انك ابنى وحارسى ·· وانا معك ومرشدك »·

لقد تحققت تلك النبوءة التى نطق بها ابو الهول فعين الامير تحتمس الرابع فـرعونا على عرش مصر مع انه لم يكن وارثا للعرش فقد كان له اربعة اخوة يكبرونه ·

● نطق ابو الهول للمرة الثانية عام ١٩٣٥ عندما خرج عن صـمته الذى استمر هذه المرة ٢٣٥٠ عاما ، ابى خلالها ان يبوح بسره لعشرات المؤرخين وعلماء الاثـار والباحثين الاجانب فباح به لاحد احفاده المصريين

وهو عالمنا الاثرى الكبيـر بعد ان قام عام ١٩٣٦ م بازالة الرمال عن جسم ابى الهول وحرر يديه ليستقبل بوجهه وصدره وقبضتيه شـعاع الشمس ··· رمز اله الوجود وهو يشرق من افق الخلود ·

كشفوا هيكله ومقدسـاته المدفونة فى الرمال · فكشـف لهم عن سره الذى كان مدفونا معه ـ كشف عما اكتنف تاريخه من غموض فعبر عن اصله واصالته ، واصالة التراث ·

● ثم نطق ابو الهـــول للمرة الثالثة والاخيرة عام ١٩٦٢ بفضـل تكنولوجيا الصوت والضوء ـ نطق ليستعرض او ليعرض تاريخ مصر خلال الاربعين قرنا التى تتبع احداثها بفلسفة صمته ·

تحدث ليذكر مصر بامجـــادها القديمة وتراثها الحضارى الخالد · ليعيد الى ذاكرتهـا معنى الرمز ـ الذى تعبرّ عنه فلسفته ـ فى بناء الامة ، والتاريخ ، ممثلا فى القوة والعقل والايمان التى تبنى الحضارة بتعاونها ·· لابتصارعها ·

ابو الهول بيبى الاول ٢٤٠٠ ق.



ذكريات القاهرة

حسن
فتح
الباب

مواكبُ الحياةِ والكفاحِ والعُلا
وذكرياتُ الخالدينَ فيكِ تنجَلى

يا موطنَ الأبطالِ ، يا مدينةَ الأُلى
صانوكِ كعبةً لمجدِهِمْ وموئلا

مازلت للدُّنيا منارًا باهرَ السَّنَى
ودُمتِ للشرقِ المجيدِ مشرقَ المُنى

تألقت سماؤكِ الغرَّاءُ بالهُدَى
وأرضُكِ العذراءُ بالأرواحِ تُفتدى

نمضِى عليكِ لانهابُ صَولَةَ الرَّدى
أو تنثنِى عنْ عزْمنا فى قهرِ منْ عَدَا

إنَّا لكِ الحماةُ من غوائلِ المحَنْ
يا ربَّةَ الأحرارِ ، يا أنشودةَ الزَّمنْ

أينَ الطُّغاةُ الجائرون ؟ أين شملُهُمْ ؟
أودَى الغرورُ والضلالُ والدُّجى بهمْ

ذكريات القاهرة

قد شتتتت حشودهم والشعب في القمم
يبعث ثورة النصر من غيابة الظلم

والمصلحون والهداة فيك خلدوا
والصادقون العهد في حماك مجدوا

منائر الجهاد كالأعلام سامقات
ذكرى صلاح الدين والعهود مشرقات

وهذه الوفود ساعيات شيقات
للجامعات تنشد الآيات خالدات

تضمهم على ثراك الطاهر الأمين
عزائم توحدت على مدى السنين

عزائم قد أرهفتها حدة السلاح
وسددت مرامها مرارة الجراح
فمزقت غلائل الدجى عن الصباح
وأشرقت حرية الأوطان بالكفاح

وغدت تحملين للسلام مشعلا
يهدي الشعوب في طريقها إلى العلا

مغناك مغنى الحب والأحلام والمنى
وفي رباك تلتقي الظلال بالسنى

خميلةٌ قدسيةٌ القطوفِ والجَنَى
غنّاكِ شاديها يُحيّي بعثَ مجدِنا

وموكب الجبال في الأصيلِ والغروب
سارٍ على (الكورنيشِ) راقص الخطا طروب
والأمسياتُ الحالماتُ فيكِ آسِرهْ
قيثارُها النسيمُ والقمراءُ شاعِره
كأنّها في صمتِها ترتيلُ ساحِرهْ
من عهدِ رمسيسٍ وجُنده العبَاقِرةْ

تمثاله المهيبُ في الميدانِ شاهدُ
بأنَّ مجدَ مصْرَ في الزمانِ خالِدُ
شادَ الميامينُ الكرامُ مجدَكِ التليد
ومجدُكِ الطريف للأحفادِ خير عيد
إنا بَنِي العربِ انطلقنا نسحق القيود
ونرفع البنودَ فوقَ قمّةِ الوجود

مازلتِ نبراساً لنا يفيضُ بالهدى
وتجتنِي في ثورةِ العلاَ سَرْمدا
عاصمةِ الشرق العريقِ أيُّ ذكرياتِ
أثرتِ بالفؤادِ بينَ حاضرٍ وآتِ
ياقلبَ إفريقيّةٍ يامشرقَ الحياةِ
فِدىً لكِ الأرواحُ والقلوبُ خافقاتِ

تختلفُ الأزمانُ والأجيالُ والعهودُ
وشعبكِ الأبيُّ صاعدٌ إلى الخلودُ

رحلة الشهر

رحلة مع الصحف

اكتب من سرير المرض ‥ من غرفة وشرفة مطـــلتين على النيل فى مستشفى المعادى ، حيث ترتسم أمامى فى الافق ،على الشاطىء المقابل ، أهرام الجيزة الثلاثة عن يمين ، وأهرام ميدوم ودهشور وسقارة عن شمال ٠

صورة كلها شعر ‥

ولكن ··· هل يحس بشاعريتها من يمر به اليوم اثر اليوم، والليلة اثر الليلة ،والاسبوع وراء الاسبوع والشهر وراء الشهر والصورة أمامه لا تتغير ولا تتبدل ، والخشى يعذب نهاره ويؤرق ليله ‥ لولا أن يهدىء من روعه ايمان عميق بالله ··· ولمسات عطف من القائد الرائد الحنون ، ومن عقيلته الكريمة ، أسية الجراح ··· ثم كلمات حب وصفاء ووفاء من الاحباب والاصدقاء والقراء الاعزاء ٠

هكذا كانت رحلتى طوال هذه الشهور الثلاثة ، ولكنهـــا اتاحت لى فى ظل مراحلها ان احطم هذا الملل بالاســـتغراق فى القراءة ٠

وتبدأ رحلة القراءة بالعودة الى كتاب طالعته فى مطلع الشباب ، ومانذا أعود اليه فأجد فيه لذة أكبر ..

هو كتاب « عيون الاخبار » لابن قتيبة الدينورى ، الذى وصف كتابه هذا بقوله انه : « دال على معالى الامور ، مرشد لكريم الاخلاق ، زاجر عن الدناءة ، ناه عن القبيح باعث على صواب التدبير وحسن التقدير ورفق السياسة وعمارة الارض .

وهو لقـــاح عقول العلماء ، ونتاج افكار الحـــكماء ، والمتخير من كلام البلغاء ، وفطن الشعراء ، وسير الملوك وآثار السلف »

وبعد ، فهل أدلك أيها القارىء ـ وقد انتهيت من قراءة هذا الكتـــاب للمرة الثـــانية ـ على ما وقفت أمـــامه من عباراته وحكاياته أقرؤها مرة واثنتين وثلاثا ، قبل أن انقلها اليك ؟

● قال السلطان اردشير بن بابك ، يوصى كل سلطان : « اعلم أن الرعية اذا قدرت على أن تقول ، قدرت على أن تفعل »

● كان انو شروان يقول لمن يوليه أمرا من أمور الدولة : « سس خيار الناس بالمحبة ، وامزج للعامة الرغبة بالرهبة ، وسس سفلة الناس بالاخافة » .

● قال معاوية بن ابى سفيان : لا أضع سيفى حيث يكفينى سوطى ، ولا أضع سوطى حيث يكفينى لسانى » .

● قال زياد بن أبيه : « احسنوا الى المزارعين ، فانكم لا تزالون سمانا ما سمنوا »

● قيل لرجل من عبس ، وهى قبيلة عنتـــرة : « ما اكثر صوابكم » .

فقال : « لاننا الف رجل ، وفينا حازم واحد ، ونحن نطيعه فكاننا الف حازم » .

● قال بزر جمهر ، وزير أنوشروان وحكيم الفرس : « اذا اشتبه عليك أمران فلم تدر فى ايهما الصواب فانظر أقربهمـــا الى هواك فاجتنبه » !

● قال وهب بن منبه : « اذا سمعت الرجل يقول فيك من الخير ما ليس فيك ، فلا تأمن أن يقول فيك من الشر ما ليس فيك » .

● كتب ابراهيم بن العباس الى محمد بن عبد الملك الزيات هذه الابيات ، وهى من ابلغ ما يقول الصديق عند يأسه من صديق غدر به :

وكنت اخي باخــــاء الزمان
فلما نبا ، صرت حربا عوانا
وقد كنت اشكو اليــك الزمان
فاصبحت فيك اذم الزمـــــانا
وكنت اعـــــدك للنائبات
وهانا اطلب منــــك الامانا

● اجتمع جماعة من الشعراء عند عبد الملك بن مروان ، فتذاكروا بيت نصيب بن رباح :

اهيم بدعد ما حييت ، فان امــت
اوكل بدعد من يهيم بها بعــــدى

فعابوا البيت جميعا ، فقال عبد الملك : « فما كنتم تقولون انتم ؟ » فقال أحدهم : كنت اقول يا امير المؤمنين :

اهيـــم بدعد ما حييت ، فان امت
فيا ليت شـــعرى من يهيم بها بعدى ؟

فقال له عبد الملك : « انت أسوا رأيا من نصيب » فقالوا « فماذا كنت تقول يا أمير المؤمنين ؟ » قال : « كنت أقول :

اهيم بدعـــد ما حييت ، فان امــت
فلا صلحت دعد لذى خـــلة بعدى

فقالوا : « انت والله اشعر الثلاثة يا امير المؤمنين » .

مع الامام الغزالي

وأحلى ما يحلو في ســاعات المحنة ، أن يلجأ المرء الى الله ،ويلوذ بكل كلمة تقربه من ذاته .

وهكذا عدت الى كتاب « احياء علوم الدين » للامام ابى حامد الغزالي ، الذى أسس كتابه هذا على اربعة ارباع ، هى ربـــع العبادات (عشرة كتب) وربع العـــادات (عشرة كتب) وربـــع المهلكات (عشرة كتب) وربع المنجيات (عشرة كتب)

وقد صدر الامام هذا العمل الضخم بكتاب العلم ، وهو اكثر ما نحتاج الى تذكرة الناس به فى هذا العصر ، عصر العلم والايمان

ولقد كرم الله العلم والعلماء فى كثير من ايات الكتـــاب الكريم ، منها :

● « شهد الله انه لا اله الا هو ، والملائكة واولو العلم ، قائما بالقسط » .
● يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات »
● « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » .
● « وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون»
● « انما يخشى الله من عباده العلماء » .

كما كانت للنبي عليه الصلاة والسلام أحاديث متعددة في تكريم العلم والعلماء ، منها :

- العلماء ورثة الانبياء •
- يستغفر للعالم ما في السموات والارض •
- افضل الناس المؤمن العالم الذى ان احتيج اليه نفع ، وان استغنى عنه أغنى نفسه •
- **اقرب الناس من درجة النبوة اهل العلم والجهاد •**
- **لموت قبيلة ايسر من موت عالم •**
- يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء
- العالم أمين الله سبحانه في أرضه •
- **يشفع يوم القيامة ثلاثة : الانبياء ثم العلمـــاء ثم الشهداء**
- **لأن تغدو فتتعلم بابا من العلم خير من ان تصلى مائة ركعة •**

موقف الدين من القصة

يقول الامام الغزالى ان القصص بدعة ، وقـــد ورد نهى السلف عن الجلوس الى القصـــاص ، وقالوا : لم يكن ذلك فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا فى زمن ابى بكر ولا عمر رضى الله عنهما ، حتى ظهرت الفتنة وظهر القصاص•

وروى ان ابن عمر ، رضى الله عنهما ، خرج من المسجد فقال : ما أخرجنى الا القاص ، ولولاه لما خرجت •

وقال ضمرة : قلت لســفيان الثورى : تستقبل القاص بوجوهنا ؟

فقال : ولوا البدع ظهوركم

وقال ابن عون : دخلت على ابن سيرين فقال : ما كان اليوم من خبر ؟ فقلت : نهى الامير القصاص أن يقصوا • فقال : وفق للصواب •

وأخرج على رضى الله عنه القصاص من مسـجد البصرة ، فلما سمع كلام الحسن البصرى لم يخرجه ، اذ كان يتكلم فى علم الاخرة ، والتنبيه على عيوب النفس وآفات الاعمـــال وخواطر الشيطان ووجوه الحذر منها ، ويذكر بآلاء الله ونعمائه ••• الخ على أنه من القصص ما ينفع سماعه ، ومنه ما يضر وان كان صدقا •

ومن فتح ذلك الباب على نفسه اختلط عليه الصدق والكذب والنافع بالضار . فمن هذا نهى عنه ، ولذلك قال أحمد بن حنبل رحمه الله : ما أحوج الناس الى قاص صادق .

يقول الامام الغزالي : فان كانت القصة من قصص الانبياء عليهم السلام فيما يتعلق بأمور دينهم ، وكان القــاص صادقا صحيح الرواية ، فلست أرى به بأسا . فليحذر الكذب وحكايات احوال تومىء الى هفوات أو مساهلات يقصر فهم العوام عن درك معانيها .

ويتحدث الامام عن الملك والملكوت ...

اما الملك ، فهو عالم الشهادة المدرك بالحواس

وأما الملكوت ، فهو عالم الغيب المدرك بنور البصيرة ..

والقلب من عالم الملكوت ،والاعضاء وأعمالها من عالم الملك

ولطف الارتباط ودقته بين العالمين انتهى الى حد ظن بعض الناس اتحاد احدهما بالاخر ، وظن آخرون أنه لا عالم الا عالم الشهادة ، وهو هذه الاجسام المحسوسة . ومن ادرك الامرين وأدرك تعددهما ثم ارتباطهما عبر عنه فقال :

رق الزجاج وراقت الخمــــــر
وتشابها فتشــــــاكل الامر
فكأنمـــا خمــــر ولا قـــدح
وكأنما قدح ولا خمـــــــر

هل قرأت أرق من هذين البيتين ؟

وبعد ، فلعل أجمل ما قرأت للامام في هذه الكتب جميعا ، انه يحدثنا طويلا عن رحمة الله وسعة الامل في مغفرته ، ويذكرنا بحديث للنبي صلى اللهعليه وسلم ، يقول : « يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان » .

رسـالـة مـن المـغـرب

● قرأت كتابك « بلابل من الشرق » الذي حدثتنا فيه عن كثير من شعراء الشرق ، مع شــاعر من شعراء المغرب ، هو ابو القاسم الشابي :

خلد الله مجلة « ابوللو » التي خلدت الشــابي ، اذ لولاها لما طار له ذكر ، ولا ملأ الدنيا شــعرا ونثرا . واني لأذكــر انك رثيته عند وفاته على صــفحات ابوللو ، كما اتخذته محور قصــيدتك « قرطاجنة » التي احدثت ثورة بين شعراء العالم العربي أيام المهرجان الشعري بتونس الخضراء ،

فبالك من صاحب نفس طويل ، وما اشبه ثورتها في الصحف بثورة قصيدة الشابي « صلوات في هيكل الحب » ..
وهنا اسالك : بم ستغنى لو عقد مهرجان الشعر العربي في المغرب ؟

● مراكش ● العلاوى عمر ●

— شكرا لهذه الكلمات التي اضعها بلسما على جراحي وانا على سرير المرض . واذا قدر لي ان اشهد مهرجان الشعر في المغرب ، فكل ما في المغرب شعر ، من لقاء البحرين في طنجه ، الى رائحة التاريخ في فاس ، الى دموع الزمن في مكناس ، الى ساحة جامع الفناء في مراكش ...

اناشيد لها تاريخ



الرئيس انور السادات

« اخي في الشرق
« اكتب اليك هذه الكلمات
« وانا جالس على ضفة القناه
« انني اليوم في اجازة
« وقد قدمت الى هذا المكان لانشد الراحة
« انه مكان حبيب الى قلبك
« بقدر ما هو حبيب الى قلبي
« والسلام يرفرف هنا على ضفاف القناه
« اخي في الشرق
« ان مصر كلها تحرس اليوم القناه
« فهي الطريق اليك يا اخي
« انني احمل السلاح وانا في الاجازه
« لكي اؤمن الطريق اليك
« ولكي يظل السلام
« يرفرف على ضفاف القناه »

هذه الكلمات الحلوة ، الملتهبة في هدوء ، المترنمة بالحرية والسلام ... رسمتها ريشة القائد الفنان انور السادات سنة ١٩٥٦ ... بعد تاميم القناة

ويعيدها على اسماعنا كتاب « اناشيد لها تاريخ » للشاعر الغنائي مصطفى عبد الرحمن ، الذي يحشد في كتابه هذا ذخيرة من الاناشيد الوطنية من كل بلد عربي ، ويروى لنا عشرات من القصص الكامنة وراء هذه الاناشيد ، كما يقدم بعض الاناشيد القومية للدول العربية بالنوتة الموسيقية

وهكذا يعيش القارىء مع الشاعر في هذا الكتاب ساعات طيبة في عالم النغم والحرية والسلام .

ابن الرومي .. لا أبو الطيب

● اطلعت فى عدد نوفمبر الممتاز من الهلال على مقال (يا ليل يا عين) للأستاذ أحمد عبد المجيد · وسعدت حقا بتلك المادة الغنية التى تضمنها المقال والتى تدل على تذوق حضارى رفيع واستيعاب علمى شامل دقيق لتاريخ فن الموال المصرى قديما وحديثا فى عرض شيق يكشف عن بصيرة نقدية وحس أدبى مرهف وقدرة على التحليل للوصـــول الى ينابيع الجمال فى الكلمة والموسيقى · والشىء من معدنه لا يستغرب كما يقول أسلافنا ، فالسفير الشــاعر أحمد عبد المجيد متعدد الثقافات يجمع بين الأدب والفن والعلم وقد سبق أن قرأت له كتابه (أضواء على الدبلوماســية) الذى أصــدره سنة ١٩٧٠ وهو دراسة علمية فى الدبلوماسية ، علما وفنا ، ثم قرأت له أخيرا فى سلسلة اقرأ كتابه الممتع « سندباد دبلوماسى » ·

بيد أن ثمة لبسا استرعى نظرى فى المقال المشــار اليه اذ نسب الى شاعرنا العظيم أبى الطيب المتنبى المتوفى سنة ٣٥٤ هـ فى معرض الحديث عن العين كوسيلة للرؤية ومصدر لمتاعب العشاق أنه قال :

هل السمع بعد العين يهدى كما تهدى

والحقيقة أن هذا الشعر لابن الرومى (٢٢١ هـ ــ ٢٨٣ هـ) من قصيدته الخالدة فى رثاء ولد له توفي صــــغيرا وهى من روائع المراثى فى الشعر العربى بل فيما أتيح لنا أن نطلع عليه من الشـــعر العالمى اذ تحمل خصائص ابن الرومى فى كمال التصوير ورهافة الوجدان والتوفيق وســـــائر عناصر الرؤية الشعرية التى يتفرد بها الشاعر ·· ومطلع هذه القصيدة هو :

بكاؤكما يشفى وان كان لايجدى فجودا فقد أودى نظيركما عندى

والشطر الذى اســتشهد به الاستاذ أحمد عبد المجيد هو عجز بيت أدخل عليه بعض التعديل :

هل العين بعد الســـــمع تكفى مكانه
أم الســـمع بعد العين يهدى كما تهدى ؟

وقد جاء هذا البيت على منهج ابن الرومى فى التشــبيه والاستقصاء والتوليد الفكرى

ـ شــكرا لصاحب السيف والقلم ، العميد الشاعر حسن فتح الباب ، على تنبيهه الى السهو الذى عرض للسفير الشاعر الملهم أحمد عبد المجيد ، وجل من لا يسهو

● ص · ع ●



هدية العدد صورة

أحمد رامي

● ولد شاعرنا الكبير (احمد رامي) فى اغسطس سنة ١٨٩٢ م بحى الناصرية بالقاهرة ، اصطحبه والده الطبيب فى سفره الى جزيرة طشيوز احدى جزر بحر ايجه وعاش بالجزيرة سنتين عاد بعدهما الى القاهرة ليعيش مع عمته فى حى الامام الشافعى قرب منطقة المقابر ، فتحول مرحه الى صمت اقرب الى الكآبة ·

● التحق بكتاب الشيخ رزق ثم مدرسة السيدة عائشة فمدرسة المحمدية الابتدائية حيث نال الشهادة الابتدائية سنة ١٩٠٧ وحصل على البكالوريا سنة ١٩١١ من الخديوية الثانوية ·

● تخرج فى دار المعلمين واشتغل بالتدريس ، ثم التحق بدار الكتب ، وسافر مبعوثا الى فرنسا لدراسة فن المكتبات واللغات الشرقية

● نظم رامى قصيدته الاولى عنوانها الطائر المغرد ، ونشرت فى مجلة الروايات الجديدة سنة ١٩١٠ ·

● كان رامى طالبا فنانا لم يشغله تحصيل العلم عن الفن . وكان وهو مدرس يلقن تلاميذه الاناشيد الشعرية بعد ان يلحنها لهم على غرار بعض الاغانى الشائعة فى ذلك الوقت ·

● سافر رامى سنة ١٩٢٢ الى باريس وكان امير الشعراء احمد شوقى يزور فرنسا كل صيف فيلتقى به رامى ، وفى سنة ١٩٢٤ عاد رامى من فرنسا ، وعرف ام كلثوم ولازمها منذ ذلك الوقت يكتب لها اجمل واعذب ما غنت حتى لقد اقترن صوتها بشعر رامى وعذوبة كلماته وروائعه الغنائية ·

● رامى لا ينظم الا اذا سمع موسيقى او غناء ، واذا نظم لا يكتب شعره بل يغنيه ترنيما ، ولعل هذا من اسرار سلامة لفظه وطواعيته ·

● من مؤلفاته : ديوان رامى ، ورباعيات الخيام ، وكان اول شاعر عربى يترجم الرباعيات شعرا عن الفارسية ، وقد طبعت هذه الترجمة سنة ١٩٢٤ ·

● اشترك رامى فى ٣٠ فيلما سواء بالتأليف او الاغانى والحوار وقد كتب ما يربو على ثلاثمائة اغنية وترجم أوبريت عايدة ، وقدم للمسرح مسرحية « النسر الصغير » وترجم فى « سبيل التاج » كما ترجم ايضا ١٥ تمثيلية ، الى جانب ترجماته عن شكسبير « هاملت ، يوليوس قيصر ، العاصفة ، روميو وجولييت» الى جانب روايتين الفهما للسينما ·· « وداد » و « دنانير » ·

● يوصف رامى حقا بانه شاعر الحب فقد عاش حياته للحب والوفاء والصداقات والسبحات الشاعرة ، حتى الغزل لا يتعلق عنده بالاوصاف الحسية ، ولكنه شوق ، وحنين ، وحرمان ··

● نتمنى لشاعرنا الكبير المزيد والمزيد من العطاء ، لينهل جيلنا من نبض شعره وعبقريته ·

منذ ٧٥ عاماً

مصطفى الشهابي

"الهلال" أول من دعا لإنشاء الجامعة المصرية

في مثل هذه الايام منذ تسعين عاما ٪ وعلى وجه التحديد في عام ١٨٨٤ قدم جرجي زيدان من بيروت الى مصر ليتم دراسته في القصر العيني (كلية طب جامعة القاهرة حاليا) بسبب عدم تمكنه من اتمامها بالكلية الامريكية ببيروت لاضطراب احوالها وترك كثير من الطلبة لها ، يومئذ وجد أن ظروفه المالية لا تساعده على الدراسة بها لطولها ، فحول اتجاهه الى التحرير والترجمة والتاليف ، بعد أن زار لندن، واشتغل بالتدريس، حتى استقر عزمه على الانصراف للصحافة فانشا مجلة « الهلال » ، واصدر اول عدد منها في اول سبتمبر سنة ١٨٩٢ . وكان صدور « الهلال » باجماع المؤرخين والادباء : « حدثا هاما في تاريخ النشر والمقالة والدراسة بالعالم العربي »



جورجي زيدان منشئ الهلال سنة ١٨٩٢

تميزت مجلة « الهلال » منذ صدورها بالعمل على توطيد الصلة بين الحضارة الغربية والحضارة الشرقية والنزعة العلمية المتعمقة فى البحث والتقصى والاهتمام بالنواحى الادبية والتاريخية .

وكانت أولى الجهود الصحفية « للهلال » هى احباط محاولة الاستعمار لهدم اولى مقومات القومية العربية ، الا وهى اللغه العربية .

لذلك نجد « الهلال » فى العدد الثانى من العام الاول ١٨٩٢ ينبرى للرد على خطبة ألقاها مستر (السير) وليم ويلكوكس وكان موضوعها : « لم لم توجد قوة الاختراع لدى المصريين للآن ؟ » ، وفيها دعا لاستعمال اللغة العامية فى التعليم والصحف .

وكان رد « الهلال » هادئا ومنطقيا ، وانتهى الى أن « استبدال الفصحى باللغة العامية رأى أغفاله أولى بنا ، ليس فقط لكونه عقيما ، بل لانه مضر باللغة والناطقين بها علميا ودينيا وأدبيا » .

وكان « الهلال » اول من نادى بحاجة مصر الى مدرسة كلية (أى جامعة) فى مقالة ظهرت فى هلال ١٥ فبراير سنة ١٩٠٠ عنوانها :

« **مدرسة كلية مصرية هى حاجتنا الكبرى** » .

منذ ٧٥ عاما

وفي تلك المقالة قال جرجي زيدان :

« نحن في حاجة الى مدرسة كلية تعلم العلوم العالية ، يتولى أمرها رجال يتخذهم التلامذة قدوة في الاعتماد على النفس والاقدام وحرية الفكر والقول ، ومعرفة الحقوق والواجبات ... فاذا خرج التلامذة منها أثروا بعضهم المدارس في البلدان والقرى يبثون تلك الروح في أبنائها ويبثها الاخرون في رفاقهم بالاسواق والجمعيات والدواوين وفي المجالس العمومية والخصوصية » .

ثم أخذ المغفور له مصطفى كامل يدعو لانشاء الجامعة في جريدة اللواء عام ١٩٠٤ ولكن مشروع الجامعة لم يتخذ في اذهان الامة الا في سنة ١٩٠٦ اثر حادثة دنشواى . وفي ذلك العام تألفت لجنة لتكريم مصطفى كامل وتقديم هدية له لجهوده الموفقة في اوربا ضد الانجليز بسبب فظائع دنشواى، ولكن مصطفى كامل اقترح على تلك اللجنة ان تقدم الى الامة المصرية هدية أعز وأكرم ، هي الدعوة « لتأسيس كلية أهلية تجمع ابناء الفقراء والاغنياء على السواء ،

واستجاب لهذه الدعوة نفر من الكرام وبدأت الاجتماعات والتبرعات ووقف البعض اطيانا زراعية .

وبعد مضي نحو عام فتر حماس المتبرعين والواقفين فهال ذلك مؤسس « الهلال » فانبرى في عام ١٩٠٧ يستحث الجهود للاهتمام بنشر التعليم بصفة عامة ثم يتناول مشروع الجامعة المصرية بقوله .

« أليس من العبث ان نطلب الحكم الدستورى او ننادى بالاستقلال الادارى أو نلتمس النجاة من سيطرة الانجليز ونحن الى الآن عالة على مدارس الحكومة ، ليس عندنا مدرسة كلية واحدة .

« الا يخجلنا أن تقدر ثروتنا باربعمائة مليون جنيه ، وان يزيد احصاؤنا على اثنى عشر مليون نفس ، وليس عندنا مدرسة كلية ، فملأنا الفضاء صياحا والفنا لها اللجان وحرضنا الاغنياء ، وافتتحنا الاكتتابات واستخدمنا في جمعها جماعة من خيرة أفاضلنا ونخبة محبي الاصلاح بيننا ،ولكننا لم نخط بها حتى الآن خطوة تستحق الذكر ، ولم يتجاوز ما جمع من المال بضعة وعشرين الف جنيه ، اشترك في دفعها بعض اغنياء القطر ، ورأس مال هذه الكلية لا يعجز عن تقديمه كله رجل واحد من الاغنياء اذا هزته الاريحية واخذته الغيرة الوطنية ، كما يفعل أغنياء العالم المتمدن الذين نتحداهم في طلب الدستور او الاستقلال ، فيغنينا باريحيته عن جمع ذلك المال بالقرش والجنيه من تلامذة المدارس وصغار المستخدمين ! » .

وفي نفس العام ، عام ١٩٠٧ ، يكتب « الهلال » مقالا آخر في اكتوبر تحت عنوان « العلم دليل القوة » وفيه يدعو الهلال « الى الاهتمام بالتعليم العالي ومساهمة الشعب في انشاء المدارس ، « لاننا في حاجة الى التدرب على الاستقلال في الفكر والاستقلال في العمل حتى لا نبقى عالة على الحكومة ، لا نعلم اولادنا الا في مدارس الحكومة ولا نرشح شبابنا الا لخدمتها . فاذا اقفلت الحكومة ابواب تلك المدارس باتت ابناؤها بلا تعليم ، واذا اوصدت أبواب الخدمة دونهم تعرقلت

مساعيهم وباتوا يشكون البطالة »

وضوعفت الجهود وافتتحت الجامعة المصرية رغم معارضة الاحتلال البريطاني وممثله في وزارة المعارف المصرية ، مستشارها الانجليزى دانلوب » وكان الافتتاح في ٢١ ديسمبر سنة ١٩٠٨

● بالعلوم الطبيعية والرياضيات ●

وكان لنداء « الهلال » صدى لدى مجلس الجامعة اذا استجاب له فعدلت برامج الجامعة وجعلت للعلوم الطبيعية حظا غير قليل بل وبادرت الجامعة لارسال شبان يتلقون العلوم في اوربا على نفقتها ·

● والتعليم باللغة العربية ●

وفي الوقت الذي كان « الهلال » يستحث فيه الاثرياء للتبرع للجامعة، دعا ايضا للتعليم باللغة العربية في مقال بعدد ابريل سنة ١٩٠٧ تحت عنوان :

« المدارس الاميرية المصرية واللغة العربية »، وفيه نادى الهلال بتعليم العلوم باللغة العربية بتلك المدارس اذ طغت اللغة الانجليزية عليها ، لان في التعليم بالعربية :

١ ـ « حفظ الجنسية العربية لان تعليم العلوم في لغة يؤول طبعا الى احيائه وترقية أهلها ·

٢ ـ ترقية العامة وهم جمهور الامة ، فالشبان الذين يتلقون العلم بالعربية يسهل عليهم نشرة بين أهليهم وذويهم بالاحاديث الاعتيادية في المجتمعات العمومية او الخصوصية · والعامة يتلذذون بسماع التعليل عن دوران الارض مثلا أو أسباب المطر ، فترتقى أفهامهم وتتسع عقولهم » ·

ويختتم « الهلال » مقاله باقتراح انشاء مجمع لوضع المصطلحات العلمية ·

● ويطالب بمجانية التعليم ·· ●

ولما كان الاحتلال البريطاني قد الغى التعليم المجاني فقد كتب « الهلال » في عدد يناير سنة ١٩٠٨ تحت عنوان « التعليم الالزامى والمجانى » وفيه ندد بابطال المجانية في المدارس الاميرية قائلا :

« فالحكومة بابطال المجانية في مدارسها قد أساءت الى الامة لانها حالت بين الفقراء وأسباب الارتقاء فمنعت عن الوطن جندا من أرباب العقول ينبغ من أكواخ الفلاحين » ·

ثم يقول : « ولو تدبرت تاريخ هذه النهضة لرأيت اكثر الذين ظهروا في أولها وأيدوها بمؤلفاتهم أو ادارتهم أو حكمتهم ، انما نبغوا من ابناء الفقراء الذين علمتهم الحكومة على نفقتها ، ولو لم يكن التعليم مجانيا لظلوا في زوايا النسيان ···

وفي عدد فبراير سنة ١٩٠٨ وتحت عنوان « العلم والاستقلال » يطالب « الهلال » بالاهتمام بالثقافة الى جانب التعليم قائلا :

« لا يكفى أن نعلم ابناءنا تلك المقتبسات العلمية لمجرد العلم بالشيء بل يجب أن نثقف عقولهم ونهذب نفوسهم · يجب أن نعلمهم معنى الوطن وكيف يتحررون » ·

ويضيق النطاق عن ذكر ما كتبه « الهلال » عن تعليم البنات وانشاء مدارس صناعية ·· الخ ·

وبعد :

فليذكر ابناء هذا الجيل من قراء « الهلال » بصفة عامة ، وممن تخرجوا في جامعة القاهرة بصفة خاصة ، أن جامعة القاهرة لم تكن وليدة للمصادفات ، وانما كانت ثمرة جهود ودعوة وارشاد ، كان « الهلال » أول من طالب بانشائها ثم دعا لها وأخيرا اهتم بمنهج الدراسة بها ··



اليد

للكاتب الفرنسي: جي دي موباسان
ترجمة: محمد عبد المنعم بلال

اجتمع القوم حول مسيو برموتيه، القاضي للتحقيق الذي راح يعلي بوجهة نظره في جريمة سانت كلود الغامضة. تلك الجريمة المستغلقة التي روعت أهالي باريس، بما زالت تروعهم منذ شهر دون أن يجدوا لها حلا أو تفسيرا.

ووقف مسيو برموتيه موليا ظهره للمدفأة وراح يتكلم فيحشد الأدلة ويمحص الآراء المختلفة من غير أن يبت برأي ما.

ونهضت بعض النسوة واقتربن منه ورحن يصغين اليه في اهتمام وقد تملكهن الشوق والانفعال. وقالت إحداهن، وكانت الفرحة تهزها:
- هذا مروع ... غير مألوف ... خارق للطبيعة ... لن تعرف له تفسيرا أبدا.

تحول القاضي اليها وقال: - هذا صحيح يا سيدتي ... من المحتمل أننا لن نعرف شيئا أبدا ... لكن عبارة «خارق للطبيعة» التي نطقت بها لا محل لها هنا فنحن أمام جريمة دبرت بإحكام ونفذت بدقة وبكتلها الغموض من كل جانب بحيث لن نستطيع استجلاء الحقيقة من الظروف والملابسات التي تحيط بها. على أنني أذكر قضية أخرى كانت فيها عناصر القضية غريبة حقا ويبدو كأن الخيال قام فيها بدور كبير واضطررنا إلى التخلي عن استجلاء غوامضها لأنها استعصت علينا وبقيت مستغلقة حتى يومنا هذا.

صاحت بعض النسوة في صوت واحد:
- أوه ... حدثنا عنها!

ابتسم مسيو برموتيه في شيء من الجد كما ينبغي لقاضي التحقيق أن يفعل، واستطرد يقول:

- لا يخطرن ببالكن أني ظننت لحظة واحدة أن في هذه القضية شيئا خارقا للطبيعة، فأنا لا أؤمن بمثل هذه الأشياء. ولكن إذا استبدلنا عبارة «خارق للطبيعة» بكلمة «مستغلق» لكان هذا أوفق. وعلى كل حال فان ما أثار دهشتي في القضية التي سأبسطها لكن الآن إنما هي الظروف المحيطة بها والممهدة لها. واليكن الحقائق.

«كنت في ذلك الوقت قاضيا للتحقيق في مدينة أجاكسيو، وهي مدينة صغيرة بيضاء تقع على حافة خليج جميل تحيط به الجبال الشاهقة.

«وكانت القضايا التي تعرض علي في تلك المدينة، جلها إن لم يكن كلها من قضايا الانتقام والأخذ بالثأر، وهي قضايا مشحونة بالعداوة والوحشية وبعضها يتسم بالبطولة. وإذا نحن درسنا هذه القضايا لوجدنا فيها

اجمل انواع الاخذ بالثار الى جانب الاحتقار والاحقاد والحيل الغريبة التي ينسب اصحابها الذابح التي كانت تقع بكثرة الى نوع من انواع البطولة . وقد قضيت في المدينة سنتين لم اسمع فيهما الا الحديث عن صوت الدم

والانتقام لكل اهانة مهما صغرت . ورأيت شيوخا تقتل واطفالا تتبع ، وامتلا رأسي طوال هاتين السنتين بانواع غريبة من هذه الجرائم .

• وبلغ الى سمعي ذات يوم ان انجليزيا قد استاجر لبضع سنوات فيلا صغيرة تقع في آخر الخليج وانه اتى معه بخادم فرنسي جاء به من مرسيليا .

ولم يلبث ان شد هذا الغريب اهتمام الاهالي اذ كان يعيش بمفرده في الفيلا لا يغادرها الا للصيد والقنص ، لا يزور ولا يزار . ولم يات الى المدينة ولا مرة واحدة .

وكان يتمرن كل يوم ساعة او ساعتين ، على اطلاق الرصاص من مسدسه او بندقيته .

• وتجمعت حوله



اليـــد

بعض الاساطير ، فقيل انه شخصية هامة هرب من وطنه لاسباب سياسية ، وقيل انه انما يعيش في هذه البقعة النائية متخفيا بعد ان ارتكب جريمة بشعة بل ان البعض راحوا يذكرون ملابسات غاية في الفظاعة .

• واردت بصفتي قاضيا للتحقيق ان اجمع بعض المعلومات عن هذا الرجل ، ولكن تعذر على ان اعرف عنه شيئا على الاطلاق فيما عدا انه كان يدعو نفسه باسم سير جون رويل .

وقنعت بمراقبته عن كثب . ولكن لم يصدر منه ما يحمل على الشك فيه او الارتياب في امره .

• ومع ذلك فقد زادت

الاشاعات عن ذى قبل حتى اصبحت عامة يتناولها الجميع ، واستقر عزمي على ان ارى هذا الرجل فاخذت اصطاد بجوار املاكه بانتظام .

وانتظرت طويلا حتى سنحت لي الفرصة فقد اطلقت الرصاص ذات يوم على احد الطيور واصبته في مقتل امام بصر الانجليزي . واسرع كلبي فأتاني بالطير ولكنني اخذته وقصدت الرجل وابديت له اعتذاري لاصطيادي

في اراضيه وعرضت عليه ان يقبل الطير الذى اصطدته هدية مني .

وكان رجلا مهيبا ذا شعر احمر ولحية حمراء ، طويل القامة مفتول العضل كواحد من هؤلاء العمالقة المتزنين المهذبين . ولم يكن في ملامحه شيء من هذه الصلابة التي اشتهر بها الانجليز . وشكرني في حرارة للهدية اللطيفة التي قدمتها اليه متكلما في فرنسية تشوبها لكنة انجليزية . ولم يمر بنا شهر حتى كنا قد التقينا خمس او ست مرات .

واخيرا ، بينما كنت

امر ذات ليلة امام بيته رايته جالساً فى الحديقة يدخن غليونه . ودعانى لأشرب معه كاساً من البيرفوقبلت دعوته على الفور

واستقبلنى فى رقة وحدثنى عن فرنسا وكورسيكا وقال لى انه يحب هذه البلدة الاخيرة حبا كبيرا .

والقيت عليه عندئذ بضعة أسئلة عن حياته وعن مشاريعه فى حرص وحذر . ولكنه اجابنى فى صراحة وبدون ارتباك فذكر لى انه تنقل كثيرا فى افريقيا وفى الهند وامريكا ، واردف يقول ضاحكا :

— وقد وقعت لى مغامرات كثيرة ... نعم كثيرة .

ثم طرقنا باب الصيد فتحدث فيه فى طلاقة مقدما لى ادق التفاصيل عن صيد فرس البحر والنمر والفيل والغوريللا ايضا .

وقلت اشجعه :

— كل هذه الحيوانات شديدة الخطر .

فابتسم وقال : — اوه هى حقا شديدة الخطر .. ولكن خطرها لا يعد شيئا لذا قيس بخطر الرجال .

وضحك من سويداء قلبه ثم اردف : — وقد اصطدت عددا كثيرا من هؤلاء .

ثم تطرق بنا الحديث بعد ذلك الى الاسلحة وانواعها ، وتقدمنى الى غرفة الاستقبال كى يرينى مجموعة منها .

وكانت غرفة الاستقبال مجللة بالسواد وتغطيها ستائر من الحرير الاسود المطرز بالذهب وقد رسمت عليها زهور صفراء راحت تومض وميض النار .

وقال وهو يرانى اطيل النظر اليها : — كانت هذه ملاءة يابانية فى الاصل .

ولكن جذب اهتمامى شىء آخر غريب فى منتصف اكبر لوح من الالواح الخشبية التى تغطى جدران الغرفة ، فوق قطعة من المخمل الاحمر رأيتشيئا اسود القريت منه فى فضول وتبينت فيه يدا آدمية . لم تكن يدا بيضاء نظيفة لهيكل عظمى ، بل يد سوداء متيبسة لها اظافر سوداء وعضلات متنافرة وعليها آثار دم قديم ... دم بدا اشبه بشىء قذر عند العظم المقطوع الذى بدا قطعه كما لو كان ناتجا عن ضربة فأس بعد الرسغ بقليل .

وحول الرسغ نفسه سلسلة جديدة ضخمة تربطها بالحائط حلقة متينة يعجز عن خلعها الفيل نفسه .

وسألته : — ما هذا؟!

فاجاب الانجليزى فى هدوء : — هذا هو عدوى اللدود ، انه من امريكا وقطعت يده بالسيف ونزعت الجلد بحجر قاطع وجففتها فى الشمس ثمانية ايام .

ولمست تلك المحطم البشرى الذى كان ملكا ذات يوم لعملاق . كانت الاصابع طويلة ، وقد شدها الى بعضها البعض باشرطة من الجلد . وكان منظرها بشعا يبعث الاشمئزاز والنفور الى النفس ، ويوحى الى انها قطعت بدافع انتقام وحشى

وقلت : لا ريب ان صاحب هذه اليد كان رجلا قويا .

فاجاب الانجليزى فى

رقة : ــ آه ، نعــم . ولكنني كنت اقوى منه . وقد وضعت هذه السلسلة بها لكيلا تهرب مني .

وظننت انه يمــزح فقلت : ــ ولكنها عديمة النفع فان اليــد لن تهرب .

ولكن الانجليزى قــال بلهجة الجد : ــ كانت تريد الهرب ... وهذه السلسلة لابد منها .

نظرت اليه نظــرة سريعة مستغربا وانا اسائل نفسي اهو مجنون ام تراه يمزح ؟ .. ولكن ملامحه كانت هادئــة

واحتفظت بدهشتــهــا ورايت ان اغير الحديث لابيت اعجــابي بالاسلحة .

ولاحظت ان هنــاك ثلاثة مسدسات محشوة وموضــوعة في اماكن متفرقة من الغـرفة مما يدل على ان ذلك الرجل كان يعيش في خــوف مــستمر من هجــوم مفاجيء .

وعدت الى مســكنه مرارا ثم انقطعت عن زيارته بعد ان اعتــاد النــاس عليه ولم يعد مثار اهتمامهم .

ومر عـــام . وذات مساء من اواخر نوفمبر ايقظني خـــادمي وهو



اليـــد

يقول ان مــســيو جون رويل لقى حتفه غيلــة اثناء الليل .

وبعد نصف ســاعة كنت قد بلغت مســكن الانجــليزى وبرفقتي كوميســير البوليس ورئيس الشرطة . وكان

الخادم يبكي بالباب وهو شــارد اللب . وقد اشتبهت فيه في باديء الامــر ولكنني لم البث ان ايقنت انه بريء .

ولم نعثر على الجاني ابدا

وعندمــا دخلت غرفة الاســتقبال رايت اول وهلة جسد جون رويل مسجى على ظهره في وسط الغرفة .

كان القميص ممزقا وقد انتزع احــد كميه انتزاعا . كان كل شيء

في الغرفة يدل على ان معركة رهيبة قد دارت بها .

واسفر التحقيق عن ان الانجليــزى قتل مصرعه خنقا ، وكانت ملامحه ووجهه الاسود المنتفخ يدلان على انه شهد شيئا اثار فزعه ورعبه الى حــد كبير . وكان يضغط بين اسنانه على شيء . وبدت بعنقه اثار ثقوب خمسة كما لو ان اصـــابع من فــولاذ قد التفت به وكانت تضغط وتضــغط حتى انبثق الدم .

ولحق بنــا الطبيب وفحص هـــذه الاثار فحصــا طويلا ثم نطق بهذه الكلمات الغريبة :

ــ يبدو كان هيــكلا عظميا قد خنقه !

مرت الرعشــة في بدني ونظرت الى الحائط الى المكان الذى ســبق ان رايت اليد معلقة به فلم اجــدها . ورايت السلســلة مدلاة وقد تحطمت !

وانحنيت فوق الرجل الميت متحققا ، ورايت بين اسنانه احد اصابع اليد المختفية وقد قطعها باســنانه عند المقطع الثاني .

وقمنا بتحقيق دقيق ولكننا لم نكتشف شيئا. كانت الابواب مغلقة وغير محطمة وكذلك كانت النوافذ ، كما ان الكلبين اللذين يقومان بالحراسة لم يصيبهما شيء مما يدل دلالة قاطعة على انهما لم ينتبها الى حدوث شيء .

والقى الينا الخادم فى كلمات موجزة :

بدا الانفعال على سيده منذ نحو شهر ، وجاءته خطابات كثيرة كان يحرقها اولا بأول. ولكنه كان على اثر كل خطاب منها يتناول سوطا كبيرا ويمضى الى حيث اليد المتيبسة المعلقة التى اختفت ذلك الاختفاء الغريب بعد وقوع الجريمة ، فيضربها ضربا مبرحا وهو فى سورة كبيرة من الغضب والهياج .

وكان يأوى الى فراشه بعد ذلك فى وقت متأخر بعد ان يحرص على غلق الابواب والنوافذ فى عناية بالغة وفى يده مسدسه وكان كثيرا ما يتكلم بالليل بصوت عال كما لو كان يتشاجر مع احد .

وفى ليلة الجريمة لم يصدر منه اى صوت . وعندما جاء الخادم ليفتح النوافذ فى الصباح وجد سيده سير جون قتيلا ولم تسرق شكوكه الى احد .

واطلعت المحققين على ما اعرفه وقمنا بالبحث والاستقصاء فى انحاء الجزيرة ولكننا لم نكتشف شيئا ما .

ولكن فى احدى الليالى ، بعد وقوع الجريمة بثلاثة اشهر رأيت كابوسا مخيفا مروعا ، فقد خيل لى اننى ارى فى منامى اليد البشعة تجرى كالعقرب او كالعنكبوت على ستائر غرفتى وجدرانها . وهببت من نومى مذعورا ثلاث مرات وعدت الى النوم ثلاث مرات ورأيت اليد البشعة ثلاث مرات وهى تجرى فى ارجاء غرفتى محركة اصابعها كمخلب حيوان قاتل .

وفى اليوم التالى جاءونى بها ، وقد عثروا عليها فى المقبرة فوق قبر سير جون رويل الذى دفن فى المدينة لاننا لم نستطع الاهتداء الى ذويه .

وكان المقطع الاول من اصبعه السبابة ناقصا

هذه هى قصتى ياسيداتى ، ولا اعرف عنها اكثر من ذلك ».

●●●

ذهلت السيدات وشحبت وجوههن وتملكتهن الدهشة . وصاحت احداهن .

ــ ولكن هذه ليست نهاية وليست تفسيرا . لن يغمض لنا جفن ما لم تقل لنا ما حدث كما تعتقده انت .

ابتسم القاضى فى صراحة وقال: ــ اوه

اننى سأفسد عليكن احلامكن حقا ياسيداتى.

ولكننى اعتقد ان صاحب اليد الشرعى لم يكن قد مات وانه اقبل لكى يبحث عن يده المتبقية، غير اننى لا اعرف ماذا فعل بالذات ... هذا نوع من الانتقام .

همست احدى السيدات ــ كلا . لا يمكن ان يكون الامر كذلك

اختتم القاضى حديثه وهو لايزال يبتسم : ــ الم اقل لكن ان تفسيرى لن يرضيكن ؟؟

شكر الله الجر

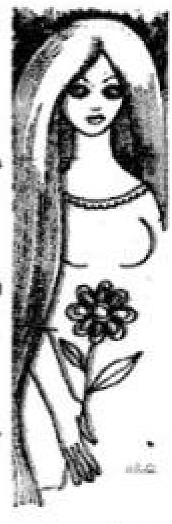
عندما أهدى الشاعر المبدع والبحاثة القدير الأستاذ فوزي سبلا كتابه « المؤامرة الكبرى على اللغة العربية » الى زميله الشاعر شكر الله الجر ، بعث اليه بالقصيدة التالية ، وفيها يشيد ويؤيد مطلق الغضبة العربية على القائلين باحلال اللغة العامية اللبنانية محل اللغة العربية الفصيحة – قال :

المؤامرة الكبرى

شعر

عطفت على الفصحى تدافع دونها
فأرهفت احساسا ونورت أذهانا

وحلقت في الابداع فكرا ومنطقا
فأحسنت تفنيدا وحققت برهانا



ومن هو أحرى منك يا فوز شاعرا
يذود عن الفصحى افتراء وعدوانا

فيكشف فيها عن كنوز خبيئة
تشع شعاع الشمس علما وعرفانا

مؤامرة جاؤوا بها عن ضلالة
وقد حسبوا التجديد في نقض ما كانا

ويوجعنــا ان الــذين تآمــروا

هم نسل من كانوا لها الامس اعوانا

عشــية هبت من دهاليز (يلــدز)

عليهــا ســموم الحقــد سرا واعلانا

فتــاهت بصحراء الحيــاة كسيفة

يطاردها الاوغاد زورا وبهتــــانا

فلاذت بلبنــان الــذى اهتــز بهجة

وعمتــه البشرى جبــالا ووديانا

فهش اليهــا واحتــواها بصــدره

وانزلهــا من شحمة العين انســانا

واكرم مثواها ، وهدأ روعهــــا

وفياها من غابة (الارز) اغصــانا

وبواها صــدر المجالس خالصــا

عليها برود الفخر والعـــز الوانا

وكان لهــا فى عتمة الليــالى مشعلا

وكانت له فى معرض الفخر عنــوانا

وكان لها دارا ـ وديرا ـ وجامعــا

به عانق الانجيــل بالحب قــرآنا

المؤامرة الكبرى

ولا عجب وهي السكرية محتدا
اذا لقيت منا بلبنان احضانا

نقيم لها الاعراس في كل منزل
ونلبسها زهر البلاغة تيجانا

فكانت لنا في حانة الشعر خمرة
وكنا لها نايا وعودا والحانا

وكنا اذا ما فاتها الكحل زينة
كحلنا لها (بالحاء والباء) اجفانا

تطيب ربات الخدور بطيبها
فيرتد من اطيابها العقل نشوانا

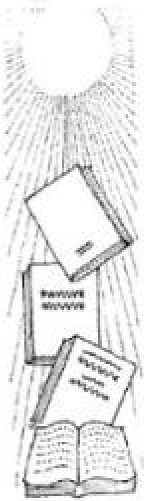
هي لغة الاحلام والشعر والهوى
هي لغة الفردوس طهرا ووجدانا

نناغي بها اطفالنا في مهودهم
ونرضعهم منها الفصاحة البانا

فكيف لنا ان نخفر اليوم عهدها
ونوسعها بعد التعاطف هجرانا

وكيف لنا ان يجحد القلب حبها
وتجحد من لبنان حسنا واحسانا





وكيف على جهلٍ يريدون نبذها
وابدالها بالغث لفظا وتبيانا

ويا طالما كنا حماة بيانها
شيوخا ورهبانا وشيبا وشبانا

وليس سواها ما يوثق بيننا
ويربطنا بالشرق اهلا وجيرانا

ولن نرتضي عنها بديلا ولو غزت
جميع لغات الارض بالسيف لبنانا

***

فيا فوز قل للناشزين تورعوا
ولا ترتجوا منا انصياعا واذعانا

ستبقى لنا الفصحى كتابا ومنبرا
وبحرا يفيض الدر نثرا واوزانا

ستبقى ، ونبقى شامة فوق خدها
ودنيا اغاريد تشنف دنيانا

• جبيل ـ لبنان • • شكرالله الجر •

تصون بحبات القلوب جمالها
ومن عشق الحسناء عز وما هانا ..

العين الحمراء في "المشترى".. ملك الكواكب!

ميشيل تكلا

كان المعروف الى عهد قريب ان كوكب المشترى من اعظم كواكب المجموعة الشمسية . ولكن الجديد – والفضل فى ذلك يرجع الى مركبة الفضاء (بيونير ١٠) – ان كتلة كوكب المشترى تعادل ضعف كتلة جميع الكواكب المعروفة لنا مرتين ! وان قطره يقترب من ٨٨٨٠٠ ميل ، بينما قطر الارض ٧٩٢٧ ميلا فقط .. وانه يدور حول الشمس مرة كل ١١٫٨٦ سنة . وله اثنا عشر قمرا اكبرها اقمار جاليليو الاربعة التى اكتشفها العالم «جاليليو» عن طريق التلسكوب فى عام ١٦١٠ اما القمر الخامس جانيميد فهو فى حجم كوكب المريخ . ويليها عنا القمر « اوروبا » . فان القمرين « ايو » و« كاليستو » اكبر من قمر الكرة الارضية ويمكن رؤية هذه الاقمار بوضوح لولا لمعان الكوكب الذى يحجب رؤيتها .

من الظواهر الغامضة لكوكب المشترى البقعة الحمراء العظيمة التى تظهر فيه كأنها « عين الشيطان » . وقد رؤيت لاول مرة فى عام ١٨٥٧ . وبعدت خلال القرن العشرين باهتة شاحبة عما كانت عليه فى القرن التاسع عشر . اما شكل الكوكب الاهليلجى فقد تحرك الى اعلى ثم الى اسفل فى خطوط العرض . وجال فى خطوط الطول بمدى ٢٥ الف ميل وبعرض ثمانية الاف ميل . وهى حركة فريدة فى النظام الشمسى ولم يعرف عالم بعد ماهية هذه الحركة او القصد منها ...

والكوكب المشترى متألق صفراء اللون ذات مجموعة من الاحزمة



البقعة الحمراء تظهر بوضوح فوق كوكب المشترى والنقطة السوداء القمر أو

الرمــــادية اللون متوازية لخط الاستواء ويمض هذه الاحزمة تتحول الى الوان بنية ووردية وحمراء .
وهناك نظريات عديدة عن التكوين الداخلي لهذا الكوكب العملاق ... لذلك انطلقت هيئة بحوث الفضــاء سفينة قوية (بيونير ١٠) . طورتها بأحدث الاجهــــزة الالكترونية التي تفتقت عنها عبقرية العقول البشرية ووجهتها نحو هذا الكوكب العظيــم لكي تسبر غوره وتكتشف خباياه . وتنقل اسراره الى علماء الارض اولا بأول ...
لكن . فما الذي حدث وماذا وجدت مركبة الفضاء وهي تحلق فوقه يوما كاملا ؟
في اليوم الثاني من شهر مارس عام ١٩٧٢ انطلقت سفينة الفضــاء (بيونير ١٠) بسرعة ٣٢ الف ميل في الســاعة متجهة نحــو كوكب المشترى . اضخم كواكب المجموعة الشمسية . وبعد مرور نحو عامين قطعت المركبة خلالهما اخطر مراحل الرحلة . وعبرت حزام النجيمات الذي يبلغ عرضه مئة وخمسة وسبعين مليونا من الامــيــال . ويحتوى على اكثر من خمسين الف كوكب صغير (كويكبات) وقطع لا حصر لها ولا عدد لها من الغبــار الكوني . ولم يسبق ان عبرت مركبة فضــاء حزام النجيمات من قبل .
وكان امام السفينة (بيونير) ٦٢٠ مليون ميل في رحلتهــا الطويلة الى كوكب المشترى . لذلك زودت بهوائي مهمته ارسال معلومات من الفــراغ والاطــراف البعيدة في النظــام الشمسي الى علماء الارض . واستلام اوامــر منهم في الوقت نفسه . وشكل السفينة يعيد الى الذاكرة الاسطحين التي حيكت عن الاطباق الطائرة . وهي تستخدم مولدات حــــرارية كهربية تعــمل نفس القــوة التي استخدمها رواد الفضاء عندما هبطوا على سطح القمر في تجاربهم العلمية الخاصة عليه . وتحول هذه المولدات ثاني اكســيد البلوتنيوم ٢٣٨ الى كهرباء لمد المركبة بالطاقة اللازمــة باستمرار . وهذه المولدات النووية مركبة كل اثنين معا في نهاية المركبة حتى لا تتدخل الاشعاعات الصادرة منها بالاجهــزة الخاصة بقيــاس الاشعاعات في الفــراغ وحول الكوكب . وفي مكان اخــر بعيد علق جهاز قياس المغناطيسية بحيث لا يتدخل مع مجال السفينة المغناطيسي او يؤثــر عليه . وبذلك يستطيع الجهاز قياس المجــال المغناطيسي للشمس والكوكب المشترى بســهولة ويسر .
ومركبة (بيونير) مثل ســفن

(ما يتر) الاخرى مرتبطة بالشمس ويتجم سهيل الع النجــوم فى نصف الكرة الجنوبى . ولكى توفــر السفينة من اســتهلاك الوقود فان محركاتها الصاروخية تصمت تلقائيا الا فى حالة تعديل المســار . وهى تتجة راسا نحــو نفس الاتجاه فى الفــراغ عن طريق جيروســكوب كبير . ويمر محور دوران السفينة خلال مركز الهــوائى حتى لا يعطل الدوران او يتدخل فى الاتصــال اللاسلكى بالارض . ويحــدث هذا التدخل اذا انحرفت الســفينة او تأرجحت . وفى الحــال تشتعل المحركات النووية وتعدل من مســار السفينة تلقائيا !

اما المعلومات التى ترسلها المركبة اولا باول فيلتقطها هوائى ضخم فى « هيئة بحوث الفضاء » وينقله بدوره الى غرفة البحوث الخاصة بالسفينة فى « بسادينا » بكاليفورنيا

والغــرفة بها خبراء يعملون ليل نهار ، ويصدرون الاوامــر للسفينة بواقع عشرين مرة كل يوم اثنــاء رحلتها الطــويلة . وعندما بدأت السفينة تصوير كوكب المشــترى فى شهر ديسمبر ١٩٧٣ كانت الاوامــر ترسل اليها بواقع مائة امر فى اليوم الواحــد . ولا تقوم المــركبة بتنفيذ الاوامــر بمجرد وصولها ، بل يتم تسجيلها ثم تنفيذهــا فيما بعد وفى الوقت المناسب ...

وعندما وصلت الســفينة فعلا

وحلقت فوق كوكب المشــترى كانت الرسالة اللاســلكية تستغرق ٤٥ دقيقة قبل ان تصــل من الارض بسرعة ١٤٠ الف ميل فى الثــانية وتستغرق نفس الوقت لكى تصل الى الارض ...

عشرون مليار معلومة الى الارض

كانت اول رســالة وصلت الارض من السفينة فى الساعة التاســعة والنصــف صباحا من اليوم الثالث لشهر ديسمبر عام ١٩٧٣ بعــد ان اســتمرت رحلتها ٢١ شهرا وهى متجهة نحــو كوكب المشترى . وذلك عندما برزت من وراء ظل كســوف الكوكب العملاق .. وقبل ذلك ارسلت السفينة اكثر من عشرين مليــار معلومة الى علماء الارض ، بما فى ذلك اربعمائة صورة ملونة . وغيرت هذه المعلــومات جميع النظريات الموضوعة عن الكــوكب العظيم لاول مرة فى تاريخ الكون .

وقد يتساءل انسان : ما هو سر اهتمام العالم بكوكب المشترى بالذات؟ السبب فى ذلك أن الكوكب الضخم علاوة على ان ثلثى المادة الموجودة فى النظام الشمسى ، فيما عدا الشمس، تتراكم فى هذا الكوكب الواحــد . وهذه الكتلة العظيمة من المادة تبذل قوة جاذبية هائلة فى وســعها أن ترفع من سرعة المــركبة ، وتغير من اتجاهها وتدفعها نحــو نقطة اخرى فى الفراغ . وبســبب هذه القوة العظيمه تندفع الســفينة فى الوقت الحــالى بسرعة اثنين وثمانين الف ميل فى الســاعة ، وترســل فى الوقت ذاته سيلا من المعلومات الهامة .

ونظرا لاهمية كوكب المشــترى ، باعتباره من الكواكب الغازية الضخمة ونظــرا لجاذبيته العظيمة ودرجة حــرارته المنخفضــة التى تمنع

ضياع اي جزء من مادته في الفراغ لتجهت انظار العلماء اليه · ونظرا لان الكوكب محبوس في كتلته فان الغازات الاساسية او الاولية التي كونت الشمس والكواكب منذ خمسة مليارات من السنين لا تزال تبحث عمن يكتشفها ·

ويعد الكوكب ذاته باقماره الاثنى عشر كبير الشبه بنظام شمسى منفصل، ولكن تنقصه الكتلة الكامنة لاشعال اقترانه النووية · لذلك لا يعتبره العلماء من النجوم لان الاخيرة تتكون من الغبار والغازات بسبب الجاذبية · وبما ان تزداد الضغوط الداخلية ترتفع درجة الحرارة حتى تصل الى ١٤ مليون درجة مئوية وعندئذ تبدأ التفاعلات النووية، ويضيء النجم ويلمع لمعانا قويا ···

اما النشاط الداخلى لكوكب المشترى، وتصدع قوة جاذبيته عليهما الكتلية لكي تجبره على ان يشع حرارته او يتخلص منها بواقع ثلاث مرات اكثر مما يكتسبه من الشمس ·

● قصة غريبة تحكيها بيونير ●

بيانات اجهزة (بيونير) تحكى قصة غريبة · فالقطب المغناطيسى لكوكب المشترى ينحرف بنحو ١٥ درجة بالنسبة الى محور دورانه · وبسبب ذلك يتارجح المجال المغناطيسى كل عشر ساعات · كما ان اتجاهه فى عكس اتجاه القطب المغناطيسى للارض · فالبوصلة على كوكب المشترى تشير ابرتها دائما نحو القطب الجنوبى !

وعندما اصبحت السفينة على بعد مليون ميل تقريبا من الكوكب دخلت فى حزام الشعاعات الداخلية · وهذا الحزام اكثف كثيراً من حزام (فان الن) الذى يحيط بالكرة الارضية · وفى اليوم الثالث من شهر ديسمبر ١٩٧٣ هبطت السفينة حتى اصبحت على بعد ٨١ مليون ميل من سطحه وبدات تفحص البقعة الحمراء الكبيرة فاذا بها كاعصار لتساعه ١٨ الف ميل ينهض الى اعلى على هيئة مدخنة تقذف بمواد من المناطق الداخلية للكوكب الى الجو والى ارتفاع عدة اميال فوق مستوى السحاب ·

لقد بقيت السفينة يوما بكامله وهى على هذا الارتفاع الشاهق من سطح الكوكب ترقبه من بعيد وتسجيل حركاته وسكناته · وقبل ان تؤثر جاذبية المشترى على مسار المركبة بحيث تدفعها فى نهاية الامر الى خارج النظام الشمسى، استطاعت ان تجمع قدرا من المعلومات ما لم يجمعه علماء الفلك منذ اللحظة التى سلط فيها جاليليو تلسكوبه البدائى على الكواكب منذ اكثر من ثلاثة قرون

وبعد دراسة مستفيضة لرسالات لمائتين صورة ملونة للكوكب استطاع العلماء عن طريقها ان يصلوا الى صورة جديدة عن ملك الكواكب · ففى اللحظة التى دخلت فيها المركبة جو المشترى امطرتها ذرات مشحونة مركزة مما هدد باتلاف اجهزتها الاحد عشر · فقد كانت سرعة الالكترونات التى انهالت على السفينة تبلغ ١٢ مليون فى الثانية · وهى نسبة التوغل الى عدة بوصات فى جسم المركبة المصنوع من المعدن الخالص · وفى ذلك يقول عالم الطبيعة المعروف « ووكر فليوس » بهيئة بحوث الفضاء كنا نقرض اظافرنا اصابتنا بعصبية ونحن نرقب السفينة ··· هل يكتب لها النجاة ؟ ·· وقد نجت فعلا بقليد انملة من الخطر الدائم ·

● الجبار يدور فى فلكه ●

جاءت لحظات مخيفة عندما انطلقت السفينة خلال المجال

المغناطيسى القـــوى المشترى ، وكذلك عندما تدخل فى حـــزامه الشع .. والمشترى الجبـار يدور بسرعة اكثر من سرعة دورانه (دورة كل تسع ســاعات و٥٥ دقيقة حول نفسه) فالكوكب يضرب خطـوط قوة مغناطيسية بعمق فى الفـــراغ .. احيـــاناً الى بعد ٦ر٥ مليون ميل ونتيجة لهذا فانه يكون مجـــالا مغناطيسيا على هيئة قرص ، بينمـا الالكترونات والبروتونات التى تـدور فى داخله تولد تيـــارات كهربائية قوية تطلق صواعق وبروقا على طول الطريق الى القمر (لو) وهو اقرب اقمار المشترى التسعة الداخلية ٠

وكشفت السفينة ان المشترى من الكواكب الغريبة فى المجمـــوعة الشمسية .. وانه عبارة عن كـــرة كبيرة من الغازات والســوائل التى تدور دون ان يكون لها سطح جامد- وهو شديد البرودة ٠ فوق السحب تصل درجات الحـــرارة الى ٢٣٠ درجة فهرنهـيت ، بينما ترتفع فى العمق بحيث تصبح معقولة لبعض هيئات الحياة ٠ وبين وقت ولخـــر يصـــعد فوران غريب الى اعلى وينفجـــر على هيئة بيضـاوية فى حجم المحيط الباســيفيكى ٠ وتحت اعاصير كهربائية شديدة العنف ٠

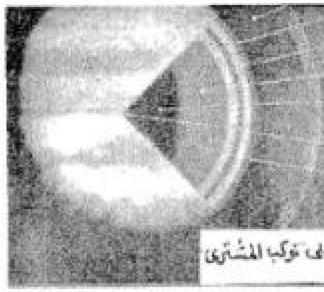
وتحتـوى المسافة ميل الخارجية للكوكب على جو من الهيـــدروجين والهليوم مختلطة بالســـحب التى تتكون من بلورات الامونيـــــــا وهيدروسلفات الامونيا وماء ثلجى ٠ اما باقى الكوكب فعبـــارة عن هيدروجين ســـائل فيما عدا قلبه الصغير المكون من صخـــور وربما كميات من الحديد ٠ ويعتقد العلماء ان حـــرارة الكوكب الداخلية تبلغ ٤٥٤ الف درجة فهرنهايت عنـــد القلب ٠ وقد تركت هذه الحـــرارة منذ خلقه اى منذ خمسة مليارات من السنين ٠ وحـــرارة الكوكب هذه التى تشكل هيئته الظاهرة ٠ وكشفت الصور ايضا ان الخطـــوط البيضاء الرمادية التى تطوق الكوكب تبـدو شديدة الحـــرارة متوهجة والسحب الناهضة والغـــازات التى انجذبت وتشكلت على هيئـــة حـــزم كل ذلك سببه سرعة دوران الكوكب ٠ امــا الاحـــزمة البرتقالية البنية الداكنـة التى تسير موازية معحزم الضـــوء فقد تكون مجرد حزم من الغـــازات الباردة الهابطة ٠٠٠

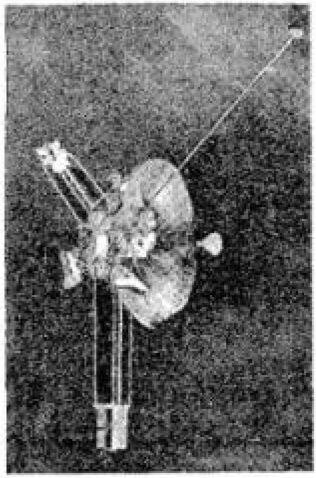
وبرغم منظر الكوكب الهادىء من بعيد فمن المتعذر ان تكون عليه حياة من اى نوع كانت ٠ فجـــوه مدمر ليس بسبب البروق والصواعق العاتية بل بسبب الرياح التى تزيد سرعتهـا عن ثلاثمائة ميل فى الساعة ..

قلب الاعصار المدمر

تختلف الوان البقعة الحمـــراء فى كوكب المشـــترى من احمر داكن الى لون اصفر باهت ٠ وخلال القرن التاسع عشر كان لونها احمـــر داكنا ٠ ومنذ عـــام ١٨٧٨ اصبحت هذه البقعة تحت المراقبة المباشرة ، ويمكن رؤيتها بالتلسكوبات العصرية حتى وهى باهتة ٠ وعرضـــها من الشرق الى الغرب يبلغ حـــوالى ثلاثين الف ميل ومن الشـــمال الى الجنوب نحـــو ثمانية الاف ميل ٠

العين الحمراء





سفينة الفضاء بيونير ١٠
تتجه نحو كوكب المشترى

ومساحتها حوالى ١٧٥ مليون ميل مربع اى ما يعادل تقريبا مساحة سطح الكرة الارضية • وهى عبارة عن سحابة لاصقة بسطح الكوكب الجامد • وتتحرك الى الاعلى او تسقط وراء تجمعات السحب بطريقة شلالة • • ولا تتحرك الا فى اتجاه الشرق والغرب وليس نحو الشمال او الجنوب طبقا لحركة الهواء الذى يسببه دوران الكوكب الذى يدور من الغرب الى الشرق ••

ولكن ما السبب فى ان البقعة لونها احمر وباقى الكوكب لونه اصفر ؟ واحزمته تتدرج الوانها من الاصفر الداكن الى البنى الغامق؟

هذه الالوان ليس سببها الغازات الموجودة فى جوه لان غازاته لا لون لها •• ولكن الحقيقة ان سبب وجود فضلات من الجزيئات يطلق عليها العلماء « الجذور الحرة » • ويمكن الحصول على هذا النوع من الذرات فى الكرة الارضية وهى ذرات ملونة غير مستقرة • وفى درجات حرارة الكوكب المنخفضة نجد أن هذه الذرات ملونة تلوينا داكنا وغير مستقرة نوعا ما • وعند تكوينها فانها تضفى على الكوكب هذه الالوان الجميلة المعروفة عنه ••• ونظرا لسرعة دورانة فان دورة وحركة الجو تثير هذه الذرات الملونة حول الكوكب وتركزها عند ارتفاعات معينة •

ويمكن القول ان « العين الحمراء » التى تظهر بوضوح فى كوكب المشترى سببها حدوث اضطرابات على سطحه مثل الرياح العنيفة التى تثير الذرات الحرة الى ارتفاعات عالية فى الهواء • وان هذه الرياح تنطلق من نفق اعصار يركز الذرات الحرة على هيئة بقعة بيضاوية بدلا من ان يبعثرها هنا وهناك •

واخيرا استطاعت السفينة (بيونير) ان تفلت من المجال المغناطيسى للكوكب بسرعة ٢٣ ميلا فى الثانية ، واتجهت نحو الفراغ الى كوكب اورانوس الذى يبعد عن الارض بنحو مليارين من الاميال •• وبعد مرور خمسة عشر عاما سوف تنزلق السفينة نحو مدار كوكب (بلوتو) ومنه الى فراغ ما بين النجوم ••• وبعد مرور ثمانين الف قرن من الزمان سوف تمس السفينةالى كوكبة الثور – فى منطقة البروج – ثم تختفى نهائيا والى الابد فى ضباب الزمن الخالد •

محمد حسن

كلما اشتدت ازمات الانسان ، زادت سخريته من نفسه ومن الاحداث ، فالسخرية كالفكاهة من امضى اسلحة الانسان ، فى صراعه مع الحياة ، وعلاقته بالناس ، وحماية مجتمعه . . . والتنفيس عن غضبه وفشله !.

قالوا ان الفقر يولد النكتة الاجتماعية ، والحروب تخلق النكات السياسية ، والحرمان يعمل على ظهور الكثير من النكات الجنسية ، والثقافة تزيد من اصالة النكتة وتصقل روح الفكاهة . ولقد يقال ان لكل شعب طابعه فى السخرية والفكاهة ! قيل مثلا ان نكت الانجليز باردة ، ونكت الامريكان فيها التورية والمفارقة ، ونكت الفرنسيين واللاتين صارخة فاقعة ، ونكت الالمان عميقة معقدة . ولكن الواقع ان الانسان هو الانسان مهما كان بلده ، والنكتة الانسانية تضحك اى انسان .

واول من استخدم الفكاهة والرسوم الساخرة هو الامريكى بولتز ـ صاحب الجائزة المعروفة باسمه الى اليوم ـ فى صحيفته

صحف الغرب تسخر من أزماتها



الرئيس نيكسون وخلفه
الاصل والصورة ! ..

« وورلد » ، منافسا بها هيرست ، صاحب صحيفة « نيويورك جورنال »

• وكان من ابرز رسومه الساخرة رسم القرد صغير باللون الاصفر ،

ومن هنا نشأت تسمية « الصحافة الصفراء » •

غير ان الصحافة الحديثة ادركت من زمان بعيد ، قيمة الفكاهة

الساخرة كسلاح رهيب ••• انها « الملح والفلفل » في اسلوب المقال تجتذب القارىء ، وتنال رضاه ، وتكسبه لصالح ما تعالجه من امور

••• لذلك حفلت الحملات الصحفية بالغمز واللمز والتلميح والتعريض والسخرية اللاذعة والتهكم المرير ••

في نفس الوقت الذي كانت فيه المدافع تهدر على جبهة القتال أثناء الحرب العالمية الاخيرة، كانت صحف الجانبين لا تترك فرصة للضحك الا وانتهزتها : كانت صحف الحلفاء تتهكم من هتلر وموسوليني، وتتلقف لهما الاخطاء والمفارقات .

والكاريكاتير « يشلفط » أشكالهما بشكل يثير الضحك والسخرية ••• وكانت صحف « الصور » حافلة بالكاريكاتير الساخر من قادة الحلفاء السياسيين والعسكريين ••• وأسهمت فكاهات الجانبين في رفع الروح المعنوية للجنود على جميع الجبهات !

وعندما زار ممثلو الصحافة العالمية مكتب السياسي العجوزونستون تشرشل ، رئيس الوزارة البريطانية، في احرج اوقات بلاده ، خلال الغارات القاسية على لندن وجدوا لافتة معلقة فوق رأسه تقول : « انظر الى متاعبك واضحك » !

اثناء اشتداد تورط الولايات المتحدة العسكرى في حرب فيتنام ، زاد سخط الشعب الامريكي على هذا التورط ، وعكست الصحافة هذا السخط ، فلجأت السلطات العسكرية الى الرقابة لاخفاء الحقائق القاسية عن الشعب ، ودخلت الصحافة الامريكية المعركة بكل ثقلها ضد الرقابة فنشرت كاريكاتيرا لوزير

الحربية مشهرا سيف الرقابة ، في نفس الوقت الذي صرعته فيه ريشة الكاتب ، على شكل رمح ••• وكان التعليق « الكلمة افضل من السيف » •• وكاريكاتير لجندي « قص » خبرا من صحيفة، والقارىء يطل من هذا الشباك ، وكان التعليق : « اليست الصحافة نافذة على الاحداث ؟ »

ولقد كانت الصحافة الامريكية

صحف الغرب

هي التي تبنت فضيحة « ووترجيت » باعتبارها تمس « أخلاقيات الرئاسة » وبفضل الصحافة اضطر رئيس الجمهورية الى الاستقالة من منصبه ، لأول مرة في تاريخ الولايات المتحدة .. ومع اشتداد الازمة ، انتشرت الرسوم الكاريكاتيرية التي تعالج « الفضيحة » .. بدأت بالرجل « ملطخا بأوحال ووترجيت » ورسمت شعار الولايات المتحدة مكبلا بشرائط التسجيل ، رمزا للفضيحة التجسس على الحزب الديمقراطي في مبنى ووترجيت . ولما تراكمت الادلة على تستر رئيس الجمهورية على الفضيحة ، رغم اصرار رجال الحزب الجمهوري — الذي ينتمي اليه الرئيس — على عدم وجود « ادلة حاسمة » ، نشرت احدى الصحف جبلا من الوثائق والاوراق واشرطة التسجيل الخاصة بالفضيحة ، ووسطها رجل من الحزب الجمهوري غطى رأسه « بكيس » من الورق ، وامسك لافتة تقول « أنا لا أرى شيئا ... » .

وعندما تطورت القضية بحيث اصبحت حقيقة واقعة ، أصبح هدف الرئيس نيكسون التسويف والتأجيل ، فنشرت الصحف كاريكاتيرا ساخرا للرئيس ومساعديه « يتكتكون » قائلين : « ... ثم نطلب التأجيل للاطلاع ، ثم تسافر انت الى الخارج لتحصل على تأجيل جديد ثم يرد لك كبار الشخصيات الزيارة فتتأجل الفضيحة اخرى ... وعندئذ تكون مدة رئاستك قد انتهت ، فينتهي معها كل شيء » !

حتى اذا اصبحت نهاية الرئيس نيكسون امرا محتوما ، ورسمت الصحف باخرة سمتها نيكسون ، تغرق ، ومن على ظهر السفينة كانت فيلة — ترمز الى الحزب الجمهوري — كالفئران تغادر السفينة الغارقة !

●●●

وبعد طول مماطلة ، اعترف نيكسون بتستره على الفضيحة ، واستقال ، ثم غادر البيت الابيض الى ضيعته في سان كليمنت ، وتبوأ جيرالد فورد — نائبه — مقعد الرئاسة ، فرحبت به الصحافة الامريكية ، وقالت انه ريفي نظيف محبوب .. يتقن طهو طبق البيض باللحم !

وفجأة اصدر جيرالد فورد عفوا عن سلفه ، فهاجمت الصحافة من جديد ، وبدأت السخرية المريرة والتريقة ، على اساس انها « طبخة » انضجها الحزب الجمهوري لاسدال الستار على الفضيحة قبل ان تعين انتخابات الكونجرس بعد شهرين ، فصورت الرئيس الجديد « قناعا » للرئيس القديم .

وكانت الصحيفة الامريكية جورجيت والكس قد دأبت على نشر سلسلة من الاشعار « الملنتيشية » على طريقة الشاعر الانجليزي القديم تشوسر « في قصص كانتربري » ، أثناء الفضيحة ، ثم توقفت حين استقال رئيس الجمهورية . فلما صدر العفو ، عادت تقول :

وجاء الفارس جيرالد يحمل الطعم
وبكى لنفسه طبق البيض باللحم

وقالوا الطيف ثالث التيسان
بكره المطلقة وشرائط التسجيلات
قلنا أهلا به وبلقبه صاحب الدولارات

***

رحبت الصحافة بجيرالد اللماح
وقالت أهلا بالقوى الشجاع
فكان أول عمل لجيرالد الشريف
اصدار عفو عن سلفه الخفيف
وقال : كفاه الأم الخريف !

***

وكان الرئيس لنجيـود جيرالد فورد ، قد رشح المليونير الامريكي نلسون روكفلر نائبا له ، وكان لا بد من موافقة الكونجرس على نائب الرئيس ، وبدا ان كل شيء يسير على ما يرام ، حتى اكتشف مجلس الشيوخ الامريكي ان نائب الرئيس الجديد كان قد قدم هبات ، كثيرة من الاموال لكبار الشخصيات والموظفين الامريكيين ، فبدأت الصحافة تشك في الامر : نشرت صحيفة واشنطن بوست – صاحبة الفضل في كشف فضيحة ووترجيت – صورة لكومة ضخمة من الدولارات ، وصور ، النقود التي قدمها – روكفلر كهدايا ومنح وسلف ، وبجوارها شخص روكفلر صغير جدا ، وقالت : « كلما كبرت هباته بدا هو اصغر » .

غير ان اطرف كاريكاتير نشرته مجلة نيوزويك الامريكية يصور دكتور هنري كيسنجر ، وزير الخارجية الامريكية ، وكان ممن شملتهم هبات روكفلر ، جرسونا يتحدث الى صاحب المطعم – فورد – مشيرا الى ، الزبون ، روكفلر وهو يقول : « لولا بقشيش الزبائن لما امكن المرء ان يعيش في هذا الغلاء !

وحين بدت بوادر الازمة الاقتصادية ، صورت الصحافة التضخم لخطيطا ضخما ، والى جواره اقتصادي امريكي يقول لزميله : « الرئيس يريد ان يعرف ان كان من الممكن التخلص منه بضربه بالقنابل ، او تلغيمه ، او الانسحاب منه ... او عقد مؤتمر قمة معه » !

وعندما لجأ الرئيس الامريكي نيكسون الى « تجميد » الاسعار والاجور لمدة ثلاثة اشهر ، كاجراء لوقف التضخم ، صورت صحيفة واشنطن شعار التضخم وحشا ضخما « متجمدا » ، ومواطن امريكي يشير اليه وهو يحدث جاره قائلا : « ما الذي يحدث له ... لذا ذاب الجليد » ؟

وبعد نيكسون ، قام الرئيس الحالي جيرالد فورد بحملة لمكافحة التضخم « بالجهود الذاتية » ، تحت شعار « التكسب » ، وقام معاونو الرئيس بصنع كمية كبيرة من الشعارات المستديرة ، تفصح عن يتطوع – بادئا بنفسه – بمكافحة التضخم ... ولما ظهر ان الحملة غير مجدية ، نشرت الصحف الشعار « مقلوبا » ، وبعد مدة نشرت الصحف كاريكاتيرا « الزبال » يلقي بالشعارات في صناديق القمامة !

وانتشرت البطالة ، فصورت الصحف عاملا متعطلا يطلب صدقة ، ويضع على صدره لافتة تقول : « وفروني لانهم انفقوا مصنع شعارات « التكسب » ... وصورت صحيفة اخرى رب اسرة يجتمع بأبنائه ويقول لهم : « بسبب الازمة قررت تخفيض نفقات الاسرة ... بطرد اثنين من افرادها » ..

ونشرت صحيفة « وتش بوست » كاريكاتيرا لوحش التضخم الرهيب ، وامامه الرئيس فورد على هيئة فارس يركب « حمارا » ويهـال امريكا المكبلة باغـلال الازمـة : « انا جديد في الشغلة دى ، اتصرف ازاى » ؟ فتقول امريكا : « اقتـل اكبـر عدد من مسـتشاريك الاقتصاديين » !

وتفاقمت الازمة الاقتصـادية . ولم يجد المسئولون بدا من الاعتراف بها ، فصورت احدى الصـحف الرئيس الامريكى فورد على شـكل شرلوك هولمز فى مسرح جريمـة نظيفـة : نبح فيهـا الاقتصاد الامريكى ، واغتيلت الاسـعار ، وشنقت المؤسسات الاقتصـادية ، وفورد هولمز يفحص الادلة بعدسته التقليدية ، ثم يقول : « يظهـر صحيح فيه أزمة ! »

ولعل أطرف سـخرية من ازمة الشرق الاوسـط جاءت فى مجلة نيوزويك الامريكية ، فقد صـورت اسرائيل « قزما » مرتديا قبعـة ضخمة – ترمز الى المسـاعدات الامريكية الممنوحة لها – اعمتـه عن الرؤية ، فضل طريقه الى السلام !

وعقب التنافس العنيـف بين الولايات المتحدة وفرنسـا على بيع الطائرات الحربية لحلف الاطلنطى . صورت مجلة اكسبريس الفرنسـية رئيسى الدولتين فى مبيلة صـلاة ، وكل يركب طائرته المفضلة ، يحـاول ان يلتقط كيسا ضخما من النقود ، هو قيمة الصـفقة ... اما مجلة بارى ماتش فصـورت الرجلين طيارين فى الجو يتبارزان بالسيف على طريقة فرسان القرون الوسطى .

حتى مؤتمر الغذاء العـالمى الذى عقد اخيرا فى روما ، لم يسلم من السخرية ... فقد لاحظت الصحافة الغـربية ان الدول الغنية اكتفت بتقـديم الخطب الرنانة بدلا من المعونات ، فصـورت دينومنسى غربيا (عليه النعمة) يتحـدث فى المؤتمر وامامه جـائع ينظر فى اعجاب ، حتى اذا انتهى الخطيـب من كلمته ، قدم للجائع « طبقـا » شهيا من الخطب الرنانة ...

ووضعت صحيفة الهيرالد تريبيون أصبعها على المشكلة حينما صورت برامج التسليح للدول الكبرى بشكل وحوش ضـارية تلتهم الدولارات وتحرم الجيـاع من الغـذاء ...

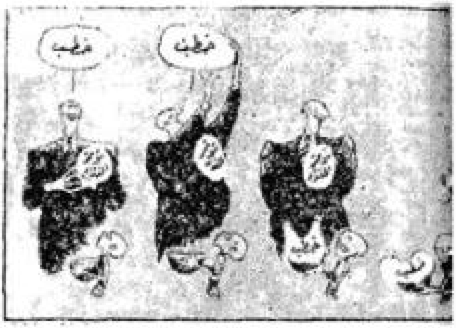
وسـخرت مجلة تايم من اقتراح امريكى يقول : « صوموا تصحوا .. وتوفروا الغذاء للجائعين ». فقالت: « ومن الذى يشترى الغذاء الذى تم توفيره ، ويقدمه للجائعين ؟ »

ولقد ضـحك العالم من الممثل البريطانى الذى هاجر الى امريكا من زمان طويل ، ريتشارد بيرتون ، فاثناء تمثيله فيلما عن السـياسى العجوز ونستون تشرشل ، بمناسبة عيده المئوى سخر من الشـخصية التى يمثلهـا . قائلا : « لقد كان جبانا ، وديكتـاتورا ، واقطاعيا لعينا » ... ولما اثار اسـتياء

صحف الغرب



العون الامريكى لاسرائيل
اعماها عن الحقيقة



العالم الغنى اعطى للدول
الفقيرة خطبا وكلاما !.

شديدا فى وطنه ، قال مفسرا : « لو لم يكن لدينا رجل عظيم « فاسد مثل تشرشل » لعدت اعيش فى بلادى ، وادفع ضرائب.. وان لزم الحال ، اكنس الشوارع ايضا » .

٭٭٭

ولم تسلم جوائزالادب فى فرنسا من السخرية .. قالت مجلة تايم الامريكية أن فرنسا توزع كل عام.. ٢٠٠٠ جائزة ادبية ..., على كل فاشل او غريب الاطوار او صعلوك، بدليل أن امثال كوكتو وجيد ومورياك وجيرارد لم ينالوا اية جائزة . وقالت الصحيفة أن فى فرنسا اغرب جوائز عرفها العالم ، فجائزة الجونكور المشهورة لا ينال صاحبها الا ٥٠ فرنكا اما جائزة رينودو فلا ينال صاحبها شيئا .. بل ان ثمة جوائز ــ مثل جائزة كونتر بوانت ــ « يدفع » الفائز بها اتعابا رمزية للحكام الذين اتحفوه الجائزة !

وعددت الصحيفة انواعا غريبة من الجوائز : جوائز لاحسن قصة عن الخمر ، وكرة القدم، والاجازات والبراكين ! والشيخوخة السعيدة، والعطور .. وهناك ٢٧٥ جائزة للشعر ، اى ما يكفى لشعراء فرنسا اجمعين .

ولقد وصف الشاعر لوى اراجون حكام جائزة جونكور بانهم « من اكلة لحوم البشر » ، ويظهر أن الوصف راجع الى شهية الحكام الغريبة فى الاكل ، فقبل منح اى جائزه يجتمعون حول مائدة للعشاء، ويلتهمون كميات هائلة من الغذاء قبل ان يمنحوا الجائزة لانه انتاج ادبى قدم اليهم !

الباحث عن النور

محمد النجار

ب ساقى الورد قطر الضـــياء
نسيت هنـا ، فى الربا .. وردتين
سخوت بنـورك ملء السـماء
وتحـرم اعيننا ... قطـرتين ؟
هنـاك على شاطئ ... لا اراه
رايت الضـحى مرة فى الطفولة

***

الا ليتنى قـد كنـزت سـناه
وخبـأته ... لليـالى الطـويلة
وها انذا قـد ابيع سـنينى
لمن يهب العين ... ومضـة نور
ارى وجـه امى ... واطوى جفونى
وارجـع راضـية بالمصـير

***

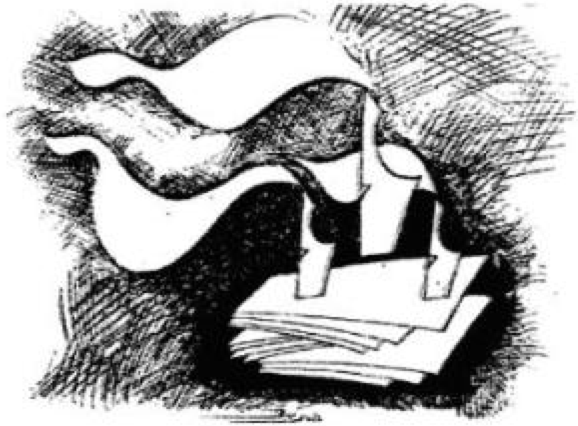
ضـيانا ... لكـل اغانى البشر
اذا عبرت بالاصـم الحـزين
يراها على معـزف التشـغين
اصابع ظـل ... تهـز الوتر
ويسـمعها كخطى الراحـلين
تموج على العشب ... تحت المطر

***

ترى ... ما الذى خلف اسوارنا ؟
وجـوه ؟ وشمس ؟ ودنيا جديده ؟
يعـوم الضيا فـوق اجفاننـا
فنسـمعه .. وشوشات بعيـده
سـمعت عن الهمس .. تحت القمر
ونمت لالقـاه فى النـوم حلمـا

***

سـمعت خطى عابر فى الممـر
ينـادى : تعـالى ... سالقاك يوما
الانت حبيبـى الـذى لا اراه ؟
واتشـوق فيه عطـور الحيـاه ؟
الانت الـذى فى الرياح خطـاه ؟
وما علمتنى حنـانا ... يداه ؟



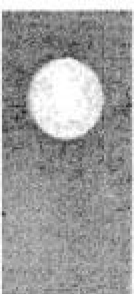
وفى كل صبح احس الضياء
يهز مناديله المترفه ..
تصورته ... كمغنى السماء
وقد ارعشت كفه معزفه
فمن قال للشمس .. : كونى شراعا
لتسعد على الوهم .. لن اعرفه

***

اصوتك يلتف حولى ذراعا . ؟
واسهر سمعى ... كجوع الشفه
تحب العصافير اغرودتى
وهل فى الطيور ... عيون ضريره
تخيلتها النبض من مهجتى
يرفرف فوق الغصون الكسيره ..

***

لماذا يعود الصباح جديدا
ويلقى على بابنا ... معطفه
هو الفجر القاه روحا طريدا
وانت التى بالرؤى ... زخرفه
واعلم ان الظلام ... سيبقى
وكل الشموس .. مع الليل .. غرقى
ساحيا بليل طليق المدى
لاعرف كيف الوجود ابتدا
وكيف تصير الحياة .. صدى



طاقة بغير حدود

د. محمد صابر



في تمام الساعة الخامسة والنصف من صباح اليوم السادس عشر من يوليو عام ١٩٤٤ ، وفي صحراء نيو مكسيكو بالولايات المتحدة الأمريكية .. ارتفع صاروخ في الهواء تحيطه شعلة خضراء اللون أحالت ظلمة الليل الى ضياء وهاج انتشر في المنطقة بأسرها ... وتحت الوهج شوهد برج من الصلب يعلوه اختراع عجيب لم يشهد له البشر مثيلا من قبل ! .

ومع تباشير الفجر ارتفعت شعلة أخرى ، ساد بعدها السكون القاتل المنطقة برمتها .. وفجأة .. انيرت السماء وأميال شاسعة من الصحراء الخالية بضوء أسطع ألف مرة من ضوء الشمس ... أعقبه بعد ثلاثين ثانية صوت انفجار مروع .. طرح العلماء والمهندسين ارضا ، وهم قابعون في مراكز مراقبتهم التي بنيت من الخرسانة المسلحة على شكل دائرة تبعد عشرين ميلا من مركز البرج !



هانز انشتين

باكملها ولكننا اذا كنا صادقين مع انفسنا بوصفنا هذا النوع الذى يقال عنه « الانسان العاقل » ، ثم سعينا الى تجنب هذه الكارثة ... فان هذه الطاقة لا بد وان يجنى منها الانسان فوائد جمة بعد حين من الدهر » ..

ولا مراء فى ان التزايد المستمر فى الحاجة الى الطاقة هو من اكبر الحقائق الاقتصادية المعاصرة ... لدرجة ان كمية الطاقة التى تستخدمها دولة ما ، هى بمثابة مؤشر يدلنا على حالة الاقتصاد القومى بها .. ولقد بلغ انتاج العالم من الطاقة فى الاونة الاخيرة ما يقرب من ٥ر١ مليون كيلووات /ساعة من الطاقة الكهربائية ... وعلى الرغم من ضخامة هذا الرقم فانه لايفى بمتطلبات العالم فضلا عن توقعات وطموح المستقبل، وشبح نفاد مخزون الطاقة لديها من جراء استنزاف مواردها .

وفى ايامنا هذه يعتبر الفحم الاكثر مصادر الطاقة شيوعا فى معظم بلدان العالم ، لانه منتشر بوفرة فى بقاع كثيرة على عكس المخزون من البترول الذى لا يزيد عن ١٪ من مخزون الفحم . ولكن نظراً لان استخراج البترول اقل تكلفة والمادة الخام ايسر فى النقل الى جانب ان البترول اكثر ملاءمة لطاقتنا ، فقد فاق استهلاك الفحم . وفى الايام الاخيرة بدأ الغاز الطبيعى يشارك البترول فى مكانه واصبح انتاجه فى تقدم مضطرد لدرجة يتوقعهما الخبراء انه سوف يقارب وقد يفوق انتاج البترول فى المستقبل القريب .

وتستخدم هذه المصادر ـ الى جانب المحطات الكهربائية التى تستغل مساقط المياه ـ فى توليد الطاقة الكهربائية لان الكهرباء هى انسب صور الطاقة التى يمكن للانسان ان يستغلها فى العديد من متطلبات الحياة ... ولكن مشكلة الكهرباء هى

واعقب الانفجار مباشرة هدوء قطيع ... وامتلأت السماء بضباب كثيف ظل يرتفع ببطء شديد فوق ساحة الصحراء على شكل فطر عيش الغراب ... وبعد ان ساد الهدوء الموقف ، وانقشع الضباب ، كان البرج الذى يتوسط الدائرة قد زال من الوجود ... وخلف مكانه هوة سحيقة تشبه فوهة البركان ... وتحولت الرمال المحيطة بالبرج الى بساط ناعم يشبه الزجاج الملون !

فى هذه اللحظات كان الانسان يجرب اقوى صوره للطاقة ، طاقة الذرة ... وكانت الواقعة هى اول تفجير للقنبلة الذرية بعد ان عرف العلم كيف يحطم الذرة ويطلق عقال المارد الجبار المحبوس بداخلها ..

والعالم سيجون كوكروفت عن هذه الطاقة بقوله: « ان الامكانيات الكامنة فيما حصلنا عليه مؤخرا من طاقة نويات الذرة ـ التى لا تستنفد ـ هائلة وقد تستخدم لتعمير حضارتنا

طاقة بغير حدود

انها لا يمكن تخزينها أو تجميعها أو تكثيفها أو ضغطها سواء بطرق مباشرة أو غير مباشرة بل يتحتم علينا أن نستهلكها مباشرة بعد توليدها ..° في حين أن الطاقة الحرارية يمكنأن تخزن وتجمع على صورة وقود أو على صورة مواد كيماوية حارقة ومتفجرة ...

ولطالما تساءل الناس : هل ستظل مصادر الطاقة المتاحة حاليا تمدنا باحتياجاتنا من الطاقة الى الابد ؟ أو سيأتى اليوم الذى تشح فيه هذه المصادر ... وقد تنعدم ، فالمخزون حاليا من الوقود بكافة أنواعه : فحم ، بترول ، غاز طبيعى ، زيت ، أخشاب — سوف يستهلك مع زيادة معدلات رفاهية البشر ..

فماذا نفعل اذا اختفت أو ندرت مصادر الطاقة التى يمكن أن نخزنها؟ وماذا نفعل اذا ما جفت مساقط المياه التى تولد لنا الكهرباء ؟ .. وما هى المصادر البديلة المتاحة لنا ؟ وماذا ينتظرنا فى الغد القريب والبعيد ؟

لقد عاش العلماء لاحقاب طويلة من الزمن وهم يحلمون بمصدر جديد للطاقة، يخزن بين جنباته كمية ضخمة منها فى حيز صغير ... وحدثت المعجزة عندما اكتشف اليورانيوم ٢٣٥ ووجد العلماء أن٣٠ جراما من هذه المادة كافية لتغذية محطة توليد كهربائية لمدة ٢٤ ساعة متصلة بـ ٥٠٠٠ كيلووات ونفس هذه الكمية من الطاقة تحتاج الى حرق مائة طن من الفحم حرقا كاملا ...

ويصف عالم فيزياء فرنسى



تيودور روزفلت

هذه المعجزة بانها فى نفس الدرجة من الاهمية التى أحدثها اكتشاف النار... ليس فقط بالنسبة للانسان العادى .. بل كذلك بالنسبة للعلماء المهتمين بهذا النوع الجديد من الطاقة .

وكى نتصور مدى ضخامة الطاقة التى يمكن أن تنساب من ذرة اليورانيوم ٢٣٥ — دعنا نعبر عنها بالارقام ... اذا كان حرق كيلوجرام من البترول،وهو أحسن أنواع الوقود يولد لنا ١١٫٦ كيلووات /ساعة من الطاقة الحرارية عندما يحرق تماما، فان كمية الطاقة المنسابة من تحطيم ذرة اليورانيوم ٢٣٥ تعادل ٢٢٫٩ مليون كيلووات / ساعة من الطاقة الحرارية ، أى ما يقارب ٢٢٫٩مليون ضعف ... وهذه الطاقة يمكن تحريرها مرة واحدة على هيئة انفجار ذرى ذى قوة تدمير مرعبة يستمر لمدة جزء من مليون جزء من الثانية ، أو تنتج بطريقة تدريجية .. ولا خوف من نفاد اليورانيوم لانه منتشر بوفرة فى بقاع كثيرة من العالم .

ولقد ظهر ازاحة الستار عن هذا



هيروشيما بعد أن حطمتها القنبلة الذرية

المارد الجبار بوادر الحرب العالمية الثانية ، وأصبح لهذه الطاقة اهمية سياسية وعسكرية بالغة ، مما حدا بالعالم الكبير اينشتين ان يكتب الى الرئيس الامريكي روزفلت في اغسطس عام ١٩٣٩ خطابا يطالبه فيه بتمويل خطة عاجلة لتصنيع القنبلة الذرية ... ووافق الرئيس الامريكي على هذا الطلب لان الظروف العالمية كانت ملحة في تلك الاونة ، وكان العلماء الالمان على وشك كشف خبايا الذرة .

ومع العزيمة والاصرار ذللت جميع الصعوبات الرياضية والهندسية التي كانت تحول دون صنع القنبلة ونجحت التجربة التي وصفت في بداية هذا المقال وتمكن العلماء من صنع القنبلة الذرية ، قنبلة صغيرة الحجم .. لها قوة تدمير تعادل ما ينتج من تفجير ٢٠٠ الف رطل من الديناميت !

وتعزى قوة الانفجار الكبير للقنبلة الذرية الى ثلاثة عوامل : شدة الانفجار والتفريغ الذي يصاحبه ويزيد من الدمار ... الحرارة الناشئة عن التفجير التي ترفع درجة حرارة الجو الى عدة ملايين من الدرجات الحرارية ، وتنتشر الحرائق على بعد أميال من مراكز الاسقاط . ثم الاشعاع الذري الذي ينساب على صورة موجات اشعة جاماء وينشر الامراض بين كل من يتعرض له .

وحينما نتصفح التقارير الرسمية التي نشرت عن الدمار الذي سببته قنبلة هيروشيما يظهر لنا هول الموقف ... سحقت بالارض مساحة اربعة اميال مربعة من سطح المدينة من تأثير الانفجار والحرائق ... فقدت هيروشيما في ثوان معدودة اكثر من ثلثي مبانيها ... قتل من السكان في لمح البصر ما يناهز ٧٠ الف نسمة .. هذا غير الاصابات بالاشعاع التي اصابت مالا يقل عن ٣٠ الف نسمة من البشر الابرياء !

وبعد الحرب العالمية الثانية تسابقت الدول في تصنيع القنبلة الذرية .. ونجح بعضها في تحقيق مأربه

ومع ركب العلم والتطور ، اكتشف العلماء سلاحا آخر اشد فتكا من القنبلة الذرية ، وهو القنبلة الهيدروجينية ، التي تفوق القنبلة الذرية أضعافا مضاعفة ... فكمية الطاقة الحرارية التي تنساب من كل كيلو جرام من الهيدروجين تساوي ١١٧ر٣ مليون كيلووات/ساعة ... ولكي تتضح لنا معنى ضخامة هذا الرقم ، فان الانسان القوي البنية اذا ما عمل بصفة مستمرة ثماني ساعات في اليوم لمدة عام كامل ، فانه لايستطيع ان يبذل اكثر من ٢٥٠ كيلووات/ساعة من الطاقة ..

واراني لست بحاجة لان اقول ان المخزون العالمي من الهيدروجين ضخم للغاية ... مئات الملايين من الكيلومترات المكعبة من المياه في المحيطات والانهار والبحيرات والمياه الجوفية ... عشرات الملايين من الكيلومترات المكعبة من الثلوج المتراكمة

طاقة بغير حدود

عند تغلي الكرة الارضية ... وقد رزقنا الله سبحانه وتعالى بمعين لا ينضب من الايدروجين .

وعلى الرغم من كل هذه الطاقة التدميرية الجبارة التي يثير ذكرها الرعب والتشاؤم في قلوب البشر فان الناس يأملون ان تصبح الطاقة الذرية مصدر خير ورخاء تزيد من بهجة الحياة على الارض ... الا ان هذه الكميات الخيالية من الطاقة لو احسن توجيهها لغيرت وجه الحياة .. لما ان ظهر شعار « الذرة من اجل السلام » حتى استجاب له العديد من العلماء في شتى بقاع العالم ، ووجهوا بحوثهم لتأكيد هذا المعنى . ونستطيع ان نقول بثقة كبيرة انهم قد حققوا نجاحا كبيرا في مجالات عديدة .

وامكن توليد كميات كبيرة من الطاقة الكهربائية من المفاعلات الذرية فرطل واحد من اليورانيوم ٢٣٥ يعطينا من الطاقة الكهربائية ما يعادل الطاقة الناتجة من حرق ٣ مليون رطل من الفحم الحجري ... وامكن تسيير الغواصات والسفن وعابرات المحيطات التي تمخر عباب البحار لمسافات تزيد عن ٤٠ الف ميل بقطعة صغيرة من اليورانيوم لا تزيد عن حجم كرة « التنس » ... واكتشفت النظائر المشعة ، وهي عناصر عوملت بالقذائف من النيوترونات فاكتسبت صفة الاشعاع دون ما تغير في سلوكها في التفاعلات الكيميائية ... واصبحت بذلك اداة هامة في مجالات كثيرة من الحياة كالزراعة والصناعة والعلاج وعلى سبيل المثال ، ففي مجال العلاج يمكن للطبيب تشخيص الامراض بدقة بالغة بواسطة النظائر المشعة ... فعندما يتناول مريض الغدة الدرقية محلولا من اليود المحتوي على يود مشع ١٣١ فانه يسهل على الطبيب المعالج تتبع حركة اليود المشع داخل جسمه وقياس معدل امتصاص الغدة الدرقية له ، مما يفيد في تشخيص المرض وتحديد العلاج ...

كذلك الحال بالنسبة للسرطان فقد ثبت ان الكوبلت المشع ٦٠ من اشد المواد فتكا بخلايا السرطان .. والى جانب انه يفوق الراديوم والاشعة السينية في هذا الصدد ، فانه اقل في التكاليف ... فالاوقية من الكوبلت المشع ثمنها ١٧ الف دولار . ولكن الكمية المشعة منها تعادل ما يشع من مقدار من الراديوم ثمنه ٥٠ مليون دولار .

وما زلنا نأمل في شق المزيد من الانهار التي تكسو وجه الصحراء بالخضرة وتمدنا بالغذاء والكساء .. وما زلنا نأمل في تحويل تيارات المحيطات الى قلب القارات لتحولها الى جنات مثمرة وارفة الظلال .. وما زلنا نأمل في ان ننفذ الى اعماق الكرة الارضية نستخرج ثرواتها ونسخرها لرفاهيتنا ...

وما زلنا نأمل ان نكشف خبايا المحيطات وان نحولها الى معين لا ينضب يمدنا بالغذاء والمواد الخام الصناعية ... وما زلنا نأمل في بناء الجزر الصناعية فتحتل المحيطات ونهيئ عليها اسباب الحياة الرغدة .. وما زلنا نأمل في ان نغزو القمر والكواكب القريبة منا ..

اننا في الواقع في حاجة ماسة الى كميات خيالية من الطاقة ... عشرات .. مئات .. الوف .. ملايين الملايين من الكيلووات — ساعة . اننا في حاجة الى مصدر كامل من الطاقة

محمد مصطفى جمال الدين



إلى شقيقي

اخي يا اعز الرفاق اليا   ويا وهج نور على مقلتيا
ويا كاس حب اعوج اليه   اذا ظما البعد آوى عليا
فاكرع في عذبه وابقى   وان كان حلو المذاق بغيا
ويا من يذيب بسود الليا   لي جنبانا ابر وقلبا ابيا
ليصنع من غده مشرقا   وضوء السمات وفجرا سخيا

●●●

اخي يا كريم الوفاء اليا   ويا زهرة تزدهي في يديا
يضوع شذاها على مبسمي   ويغفو نداها على وجنتيا
اذا الهم اوغل في خاطري   وشدت بداه خطى قدميا
فزعت اليها اشم شذاها   فيغدو بها الهم عنى قصيا

●●●

اخي يا سميري في وحدتي   اذا الذكريات تراءت لديا
ويا طائرا ضمني في الدجى   واياه عش بنينا سويا
فلما انجلى الصبح لم الق منه   سوى طيفه الحلو في مقلتيا
تطير ببغداد لسكنتي   احس جناحك يحنو عليا
فاصغي لشدوك بين الطيور   واملا من عذبه مسمعيا

●●●

اخي اتذكر ايام كنا   على شاطئ الحب نعدو سويا
واذ نتقصى حداء الرعاة   فنصنع منه غناء شجيا
وعدنا الى البيت والشمس   سكرى كأن الغروب كساها حليا
فتصغي لنا امنا لهفة   ونملأ قلب ابينا دويا
وما زال الآن رجع صدانا   كخافق جدتنا كالحميا

● النجف ـ العراق ●   ● محمد مصطفى جمال الدين ●

الجنرال

قصة

غبريال وهبه

« والدي العزيز

ابعث اليكم بتحياتي من اثينا . حقاً ما أجمل بلاد اليونان ذات المجد الاغريقي التليد ، والفضل يرجع اليكم أولا وأخيرا ، فشكراً ايها الوالد الكريم على تلك الفرصة التي أتحتها لي للسفر الى الخارج أبان عطلتي الصيفية . انني اعمل الآن بمكتب الاستقبال في فندق الاكروبول . لم يكلفني ذلك عناء يذكر . فبمجرد ان اطلع مدير الفندق على اوراقي وعلم انني طالب بالسنة الثالثة بكلية الألسن حتى ألحقني بهذه الوظيفة فوراً .



ان اليونانيين شعب كريم مضياف يحبون المصريين . ولدي قصة رأيت ان احدثكم بها . فقد تعرفت بطبيب يوناني يدعى الدكتور ديمتريوس يجيد اللغة الانجليزية . وتكرر لي القصة التالية . وها انا اترجمها لكم بحذافيرها كما سمعتها منه دون تحريف او تعديل » .

كنت حتى الشهر الماضي اعمل طبيبا بتل ابيب . وقد مارست مهنتي بالاراضي المحتلة منذ عام ١٩٢٨ وعاصرت كفاح الشعب الفلسطيني المرير ضد الاحتلال البريطاني ثم الصهيوني . وتابعت حروبكم مع اسرائيل الى ان قيض الله لكم زعيما متسلحا بالصبر والصمت ولم يلبث صمته ان صار اسطورة الزمان عندما غير هذا الصمت في معركة السادس من اكتوبر عام ١٩٧٣ فهزم الهزيمة . وحطم الاسطورة . وقادكم الى النصر .

وذات ليلة حملوا الى المستشفى الخاص الذي كنت اديره هناك في تل ابيب . مريضا افردنا له غرفة رقم ١٧ بالدور الثاني .

قالت لي السيدة المرافقة له بصوت متهدج تتخلله الدموع :

ــ اناشدك الرحمة أيها الطبيب .. ما اشقاني وما اقساني وما اتعس حالي ... ليس لي غيره الآن .. فهلا ساعدتني .

كانت سيدة جميلة وضيئة الطلعة حركت تضرعاتها شفقتي فقلت لها :

ــ لا ترهقي اعصابك! واجيبي عن اسئلتي .. وامنحيني نفسا حتى انهي كلامك .

ثم سألتها :

ــ ما اسم المريض ؟

ــ ابراهام شيمون .. انـــه ابي . وكان له خدمة عسكرية سابقة . وهو الآن جنرال متقاعد .

ــ كم يبلغ من العمر؟

ــ ٧٤ عاما .

ورغم ذلك لم يكن يبدو على الرجل انه تجاوز الستين .

تتابع الكلام على شفتيها غزيرا :

ــ ان والدي شايلد قديم مهاجر من انجلترا الى فلسطين واشترك في حرب ١٩٤٨ وقاد القوات التي حاصرت الفالوجا .

مسحت دموعها ثم استأنفت الحديث قائلة :

ــ واشترك في حرب عام ١٩٥٦ واحتل قطاع غزة . ثم تقاعد بعد ذلك ولم ...

فقاطعتها قائلا :

ــ انك لم تقولي لي بماذا يشكو ؟

ــ كان لا بد لي من ذكر هذه القصة لتعرف الظروف التي احاطت بمرضه . وارى من المفيد ايضا ان اذكر لك انه يصر على التوسع في حماس وحمية . ويحلم باسرائيل الكبرى .

ــ يكفي هذا وادخلي في الموضوع ... قصي علي ما حدث .

ــ كان يتناول طعام الافطار في اليوم الثاني لحرب « كيبور » وقد اتقدت في صدره جذوة التشوق الى سماع انباء هزيمة المصريين في نكسة اخرى اشد وانكى من نكسة الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ . فاذا بالاذاعات تتحدث عن اجراء عملية عبور في العالم لاعظم عائق مائي . ومواجهة المصريين الساتر الترابي الذي يكاد يناطح السماء ثم حصون واستحكامات خط بارليف التي تشيب لهولها الولدان فيتحطم الخط بأكمله في ست ساعات . نزلت عليه تلك الكارثة كالصاعقة فسقط على الارض فاقد الوعي . وظل طريحا على ارض الحجرة لا حراك به حتى استطعت بمعونة سائق تاكسي ان اجيء بــه الى مستشفاك .

قمت بالكشف عليه فوجدته مصابا بشلل في نصفه الايسر . كانت ابنته تحدق فيه بعينين دامعتين زائغتين فلي

نفسها ما فيها من حسرة والم وهو ممدد امامها أشبه شيء بقطعة من الجماد قد صورت في صورة انسان . لقد حمل اليها هذا المنظر مشهدا آخر لا يقل عنه رعبا .

مسست كبدي لوعة حزن على السيدة ، ففعلت كل ما في وسعي لأسكن روعها واطمئنها برغم ان الأمل في شفائه كان واهيا وخاصة ان فى مثل سنه ظل المريض فى حالة

الجنرال

ذهول وهو يرقد كتمثال لا تصدر منه حركة ولا تنبعث منه كلمة طوال ثلاثة ايام . وفي اليوم الرابع انتشرت الانباء بأن اللواء المصرى قائد وحدات الكبارى والمعابر قد قتل ، وكذلك اللواء المصرى قائد المشاة بالقطاع الاوسط قد قتل في عمق سيناء . رقص الاسرائيليون في الشوارع والطرقات . فها هي ذي الدائرة ستدور على المصريين وبات النصر أت لاريب فيه ..

وانى اعجب اشد العجب كيف وصلت اصداء رنة الفرح التى اجتاحت اسرائيل الى المريض نزيل الغرفة ١٧ مع ما كان وقتئذ من شدة مرضه . لقد كان غائبا عن الوعى بعد ان اذهلته الكارثة وذهبت بلبه.. عجبا.. آه لو كنت معى ، اذن لشاهدت بعينيك احدى المعجزات الخوارق !..

فعندما مررت عليه في تلك الليلة وجدته قد تحول الى رجل آخر . لقد عاد اليه صوابه ، واخذ يحدق في وجهي بعينين ساهيتين ، واستطاع ان يتمتم امامي ببضع كلمات متعثرة . وقد لاحت على وجهه شبه ابتسامة لأول مرة بعد اصابته :

– سارة !.. ابنتي سارة ! لقد انتصرنا. انتصرنا ..

لا تفسير عندى سوى انه سمع البعض يتحدث بهذه الانباء وهو فى غيبوبته فالتقطها عقله الباطن. ولم البث ان قلت له مؤمنا على كلامه :

– نعم انه نصر كبير .

وفي خارج غرفته وجدت ابنته تنشج باكية ، وتشهق من شدة الاضطراب ..

– لقد كتبت لأبيك النجاة . فلم الدموع الآن ؟!

اصغت الى السيدة في صمت وسكينة وظلت مطرقة واجمة تنظر على المنضدة الصغيرة التي تتوسط الحجرة . في ارتباك وحيرة . كانت الانباء قد تواترت بتحرير القوات المصرية للقنطرة شرق وتوغلها مسافات شاسعة داخل سيناء حتى مشارف العريش . وان الجنرال مندلر قائد المدرعات قد قتل في سيناء . وأن العقيد عساف ياجورى قائد اللواء ١٩٠ المدرع قد أسره المصريون بعد ان دمروا مدرعاته عن آخرها في عشر دقائق. ان ما شيدته الصهيونية من أوهام يهتز من جذوره أمام ضربات الجيشين المصرى والسورى واصبح الشعور السائد لدى الاسرائيليين . انها الكارثة قد حلت بهم . لقد تعرت اسرائيل تماما من كل ثيابها خلال أيام ثلاثة فقط من هذه الحرب وضاع كل أثر لانتصاراتها القديمة ...

رمقتني سارة بنظرات كلها ذعر وفزع . كانت تفكر في مصير ابنها الوحيد وسط هذه الأحداث وتخشى ان يلقى نفس مصير ابيه الذى قتل في معركة رأس العش بعد ان خاض حرب



الايام الستة في يونيو ١٩٦٧ فخرج منها سالما .

وهاأنذا اقول لها :

– ان اباك بالتأكيد لن يتحمل الصدمة الجديدة .. فما العمل؟ مرت فترة ثم قلت لها :

– فرصتنا ان ندعه يستمتع بأوهامه التي انعشته وجعلته يستفيق من غفوته ويسترد بعض صحته . فهل نخدعه ؟!

فأجابتني سارة دون تردد :

– حسنا ! سآخذ على عاتقي خداعه بكل الطرق والوسائل ، ولاخترعن له كل يوم رواية !

جففت دموعها بمنديلها الصغير ، وطلقت الى غرفة ابيها بوجه متهلل ...

ازدادت عمليات الخداع صعوبة عنها في الايام الاولى من اصابته .. تلك التي عاني فيها الجنرال من شرود الذهن وبلبلة الخاطر وكان سلنجا كطفل غرير . ولكن ها هي ذي صحته قد بدأت تتحسن وتفكيره اصبح يتسم ببعض الوضوح . كان من الضروري ابلاغه على الدوام بتحركات الجيش الاسرائيلي ، واختراع انباء المعارك . وكثيرا ما شاهدت ابنته وقد انكفأت على خريطتي مصروسوريا تستلهمهما الانتصارات الملفقة . ها هو ذا الجنرال منتلر يندفع بالوف الدبابات والمجنزرات صوب بورسعيد . والعقيد بصاف ياجوري سيحتل السويس . والجنرال شارون شق ثغرة عبر البحيرات المرة في طريقه الى الاسماعيلية ! كانت تسألني المشورة فكنت اجيبها بقدر ما استطيع اذ لا خبرة لي بتكتيك الحروب والنزال . بيد ان اباها ما لبث ان اعفانا مؤونة عصر اذهاننا . فقد صال وجال في هذه المعارك الدون كيشوتية ، وسمعته مرة يقول :

– يجب الان ان يتحركوا في ثلاثة اتجاهات .. وهذا هو ما سيفعلونه !

وكانت ترهات الجنرال ذي الابهة والعظمة تحققها له ابنته حتى لا تخذل كبرياءه قيد انملة .

ولكن للاسف كانت المطامع لا تقف عند حد ولم نستطع ان نلاحق جشعه في الاستيلاء على المدن .. وها هي ذي السيدة سارة قد

قدمت لقابلتي وعلى وجهها ابتسامة فيها الكثير من الحزن وهي تقول لي :

ـ لقد استولت قواتنا على الاسماعيلية!

ومن خلال فرجة الباب جاءني صوت الجنرال فرحا وهو يقول لنفسه بصوت مسموع :

ـ اننا نتقدم ... نتقدم ! . سوف ندخل القاهرة ودمشق ..

وفي هذه اللحظة كانت قوات الثغرة . التي انتهزت فرصة

الجنرال

وقف اطلاق النار . واندفعت من عند الدفرسوار . مبعثرة في جيوب تحاصرها القوات المصرية . وكان مقضيا عليها بالهلاك . ولم تكن هذه العملية اكثر من تمثيلية تليفزيونية لتغطية الهزيمة المنكرة التي منيت بها اسرائيل . وحدثت عدة تغييرات وتبديلات بين القادة وراح كل منهم يلقى بمسئولية الهزيمة على زميله ... واصبحت اسرائيل نهبا للتمزق والقلق والتناقض والخلاف . وكان الجنرال ابراهام مازال يرقد ضعيفا واهنا . ان مهنتي الانسانية كطبيب تقتضيني مواصلة اخفاء الحقائق عنه .

وفي صبيحة احد الايام قال لي الجنرال العجوز ووجهه يطفح بشرا :

ـ لقد بدأ الحصار المحكم ..

فنظرت اليه مصعوقة وخشيت عليه من وقوفه على سوء موقف قوات الثغرة التي احكم حولها المصريون الحصار .. وقلت له بانزعاج :

ـ كيف عرفت بالنبأ يا جنرال ابراهام ؟

قلت في نفسي لا بد ان الجنرال سمع لغطا حول حصار قوات الثغرة فظن انهم يتكلمون عن حصار بورسعيد . وأتى له أن يرتاب في شيء ؟؟ انه مازال طريح الفراش غير قادر على رؤية التعاسة الجاثمة على تل ابيب وخيبة امل الاسرائيليين في حكومتهم وقادتهم الذين خدعوهم باسطورة الجيش الذي لا يقهر . وقد انتهى حلم امكان تحقيق حرب ستة ايام اخرى .. فقد خلقت الحرب والخزانة الاسرائيلية تكاد تعلن افلاسها . لولا القرض الداخلي الذي طرحوه لتغطية نفقات الحرب التي تكلف اسرائيل الف مليون ليرة في اليوم الواحد .

ان كل ما يراه من فوق فراشه كان معدا من قبل ليظل غارقا في اوهامه . انه يعلق على الحائط المقابل لسريره صور بعض الرؤساء . . بن جوريون . ليفي اشكول . جولدا مائير . بينما تتوسط الحائط الملاصق له صورة موشي ديان وزير الدفاع . ومن خلال هذا الجو الذي يعيش فيه داخل غرفته صدق بسذاجة الطفولة حصار الاسماعيلية وحصار بورسعيد .

وبمرور الايام اضحت المعارك الحربية اكثر يسرا وسهولة . فاحتلال بورسعيد اصبح مسألة تتطلب قليلا من الصبر وعندما يتطرق اليه ملل الانتظار . ولا يبقى له في قوس الصبر منزع . تقف اليه ابنته لتقرأ له رسالة من ابنها .. كان ذلك مجرد رسالات وهمية . فالمسكينة قد جاءها نبأ مقتل وحيدها بقذائف الصواريخ التي انهالت على قوات الثغرة . وكانت سارة تتجلد وتصارع الالم وهي تكتب عن لسان

لبنها خطابات تفيض مرحا وبهجة . واحيانا تحملها مقتضبة شأنها شأن رسائل المقاتلين في خطوط النار الامامية

كانت الايام والاسابيع تمضي الحياة دون انباء جديدة عندها يلحق المريض الضعيف ، ويدب في جسده الفتور فيتركه في شبه غيبوبة اما اذا ارتفعت شكواه من القلق والارق فسرعان ما يصله خطاب من حفيده ، وتأخذ سارة في قراءته بلهف بجوار فراشه وهي تغالب دموعها بينما يستمع الجنرال في خشوع ، وهو يبتسم في كبرياء وغرور معلقا تارة بالاستحسان وتارة بالاستهجان او بالشرح والتفسير .. وتراسلني رسالته لحفيده يلح عليه بالنصيحة مكررا وصيتها .

— لا تنس انك جندي من جنود شعب الله المختار الذين سيتحقق على ايديهم دولة اسرائيل الكبرى من النيل الى الفرات .. ارجو ان يأتيني خطابك القادم من القاهرة او دمشق ..

وفي هذه الاثناء كان المسار يزداد احكاما لا حول بورسعيد ، وانما حول جيوب الثغرة وحول مراكز العدو فوق هضبة الجولان وجبال الشيخ .. وتم عزل القوات الصهيونية فيها عن اسرائيل .

ولكن الحتمية الطبية التي تلقيها المريض واخفاء انباء الهزائم عنه جعلاه يعيش في دعة وهدوء . ولم يسمع بالانسحاب من سيناء والجولان بينما والتهبت ابنته على ان تحقق بيديها الهزيمتين بعد ان امضها فراق وحيدها . فاصبحت كالشبح .

في صبيحة يوم الاحتفال بالذكرى الخامسة والعشرين لقيام دولة اسرائيل بكر في الاغتسال ، وقص له الحلاق شعره ، وشذب شاربه ولحيته ، واصر الجنرال في ذلك اليوم على ارتداء حلته العسكرية بما تحمله من نياشين لامعة . انه يحرص كل عام على مشاهدة العرض العسكري الضخم الذي تقيمه الدولة بهذه المناسبة .

وقد سمحت له بتحقيق رغبته في الاشتراك فيه . وتنفيس لكربته مما سيعطيه يتماثل للشفاء سريعا خاصة انه استطاع في ذلك اليوم مغادرة فراشه متوكئا على عصا ووقف في الشرفة وهو يمني نفسه بالمشاهدة عرض عسكري للقوات الاسرائيلية

واخذ يتحدث عن عرض العام الماضي الذي كان حديث العالم .. ولا به يسمع أصواتا ممتزجة مشوشة آتية من بعيد . فارهف اذنيه لحظة . ثم انتفضت اوداجه وشعر بالزهو وكأنه يطل منتصرا

وفجأة شاهد ما لم يكن في الحسبان . انها هي ذي مظاهرة صاخبة تطوف الشوارع وقد ارتفعت صيحات هياج وضجات هرج ومرج

وحاولنا ان تبعده عن الشرفة فأبى غاضبا ، واشرأب بعنقه وهو ينظر في ذهول شاخص البصر حائرا ، تتحرك شفتاه وتترجرج يمنة ويسرة .

ظهرت الجماهير الثائرة وهي تحمل دمى بشكل رئيسة الوزراء ووزير الدفاع ، واحتشدت الجموع في الميدان الكائن أمام المستشفى ، واضرمت النار في الدميتين وعلت هتافاتهم صائحة :

— تسقط جولدا مائير .. يسقط موشي ديان !

الموت للخونة !.. اين ابناؤنا اين قتلانا اين الاسرى ؟؟ اين اسرانا ؟؟ تسقط الحكومة المنهزمة . الموت للمخادعين .. الموت للخونة ! ..

ترنح الجنرال العجوز وهو يمد ذراعه كأنما يحاول ان يقطع بها خطرا مهددا .. وسقط قتله الكرة وفاته فارق الحياة ! .

إبراهيم
صبري

أقوى من الزمان

رويدك عاتبا جم السؤال وان تعجب .. فلا تعجب لحالى !
وقل للشمس : عفوا .. لا تغيبى ونح الضوء عن مد الظلال !

وعاتب بعدها ان شئت هونا فان الرفق يصلح كل بال
وان تبل الجبال .. فليس يبلى بطول العهد ود فى اتصال
فلا تقطع بسيف اللوم ودى فيجمح بى جواد لا يبالى

يكاد يطير فى الافاق عدوا اذا ضاقت به سبل الوصال
وخيل الشعر جماح المطايا وخيالوه جماح الرجال
الم تر انهم فى كل واد يهيمون اشتياقا للجمال

فحيث ترى الجمال تجد رؤاهم تلاحقه .. بقلب مستمال
اذا صمتوا فاعينهم تغنى وان نطقوا فيا سحر المقال
يقولون الذى لم يفعلوه فتنبض بالحياة رؤى المحال

يداعبها القصيد اذا احتواها فترقص عبر انغام النوال
بقربها وبعدها خيالا وما قربت ولا بعدت بحال
وتسمعها وتشهدها عيانا تزغرد من فم عذب المقال
ويرشف من مفاتنها كئوسا من الاحلام سكرى بالخيال

فيـــاتم .. حيث لا اثم اتـــاه ... وما احـــلاه من اثم حــــلال
يحرمه غلاة القـــوم جهـــلا ... ويشـــقق منه معتزل وســـال
وكم من كان اســموه حيــا ... وقد تكل الحيـــــاة بالاعتزال

ولو عرف القريض لمـــا تردت ... هـــويته .. بهـــاوية الزوال
ومن يخش ارتياد الســفح يوما ... فلن يرقى الى قمـــم الكمـــال
وما من شامخ كالنـــجم الا .. ... يجـــلى ضـــوءه عتم الليـــالى

فـلا اعيا النجـــوم بهيم ليـل ... ولا صـــدئت بازمنة طـــوال
وان يفن الزمان .. فليس يفنى ... مع الايـــام الهـــام الجمـــال
ولا ضـــاقت بحور الشـــعر يوما ... بما احتملت من السحب الثقـــال

فلا تجـزع اذا اربدت ســمائى ... او انكمرت باعصـــار الضـــلال
ولا تحـــزن اذا جنحت سفيني ... او ارتطمت بمـــوج كالجبـــال
فحسب المـوج مس من يـراعى ... ليهـدا بين احضـــان الرمـــال
وحسب الريح همس من شراعى ... لتسرى فى رخـــاء واعتـــدال

فانى ارتضى يرســو ســفينتى ... وقد مدت لمــا اهـوى حبـالى
وظهـر الكـون مـركب امنيــاتى ... ومتن الشمس اقرب من خيالى
فان غربت .. فاخيلتى حشـــود ... تنـاجى البدر فى افق المعالى
وان يغش المحاق ضيـاه بدرى ... فيا بشرى بميـــلاد الهـــلال



ألحان لغوية

علي إبراهيم الكرار

● ومن اللحن الشائع تذكير الضبع ، والضبع مؤنثة ...
يقال : ضبع جائعة لا جائع ، وغابرة لا غابر ...
قال الشاعر العربي :

أبا خراشـــة أما أنت ذا نفر   فإن قومي لم تأكلهم الضبـــع

والمعنى يا أبا خراشـــة ، لا تفتخر بعدد قومك ، تهدد ، وتوعـد ، فإن قومي ذوو عدد أيضا ، لم تأكلهـم الضبع ؟ لم يقلوا ، ولم يضعفـوا انهم يحاولون الغرور بالغرور ويردون الكيد بالكيد ...

والبيت يمـــاثل في المعنى قول الشاعر الآخر ، الذى جاء ابن عم له الى بني عمه مستهينا بهم ، عارضا عضلاته فرد عليه ، بأن بني عمه فيهم عضلات .

جاءنا شقيق عارضا رمحـــه   ان بني عمـــه فيهم رماح !

ومذكر الضبع ضـبعان ، والانثى ضـبعانه ، ولا يقال : ضبعة ، وجمع ضبعان ضـباعين ، كسرحان للذئب جمعه سراحين ..

وضباع جمع للمؤنث ضبع وللمذكر ضبعان ...

وقد لحنوا العقاد في قصيدته التى حيا فيها ابطال الفلوجة عام ١٩٤٨. وكانت فـــرقة الجيش المصرى في فلسطين تحت قيادة البطل الاسود طه الضبع ...

قال العقاد :

أقلم بها الضبع الجســـــود   فأين الاسود وما استاســـدوا
تراموا اليها على خطـــوة   وأقرب من موردها الفـــرقد
أسود يهوذا على بابهـــــا   واجراؤها (١) عندها تقعـــد

قالوا : أن العقاد ذكر الضـــبع المؤنثة ، ووصفها بوصف المذكـــر الاسود والصـــواب في رأى اللحنين السوداء ...

وعندى أن نظم العقاد صائب ، لم ينحرف الى الخطأ ، ولم يخرج عن قواعد اللغة ...

فالضبع في القصيدة علم أو لقب للقائد البطل الاسود طه الضـــبع ، وليست الضبع هنا ضبع الجبـــال والآكام .. وقد يسمى العـــلم المذكر باسم مؤنث ويسمى مؤنثا لفظيا ، ويمنع من الصرف للعلمية والتأنيث اللفظى ، ولكن التأنيث اللفظى ، لا يخرجه عن ذكورته ، فهو مذكر في جميع الاحكام ما عدا منع الصرف .

فمعاوية وطلحة ، وحمـــزة اعلام مذكرة ، لحقتها علامة التـــأنيث ولم تخرجها عن الذكورة ، فمعاوية حليم لا حليمة ، وطلحة صـــحابي ، لا

---

(١) جمع جرو .

صحابية ، وحمـــزة عم النبي صلى الله عليه وسلم ، لاعمته ، واذا نحن مثلا سمينا صبيا باسم عائشة تيمنا بطول عيشة ، فاننا نقول : عائشة خرج ، ورجع ، ولا نقول : خرجت ورجعت ..

والانسان حر في اختيـار أسماء نسله : فهو يسمى هندا ، ومحمدة، ورجاء ذكرا أو أنثى ، فالذكر تجرى عليه أحكام الذكور ، والانثى تجرى عليها أحكام الاناث .

● السداد بفتح السين المشددة فى اللغة معناه الصواب والرشاد، فسداد الرأى صوابه .

والسداد بكسر السين المشـددة ما تسد به القارورة أو ما تسد به حاجتك . ومنه ســداد الثغر موضع المخافة منه يسد بجيش الحراسة الساهر ، دحرا لغـدر العدو ...

ذكر الحريرى فى درة الغـواص،ان النضر بن شميل ، قال :

قال المامون : حدثنا هشيم عن ابن عباس ، انه قال :

قال رســـول الله صلى الله عليه وسلم « اذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها . كان فيها سـداد من عوز (بفتح السين) .

قال النضر : يا أمير المؤمنين ، سداد من عوز بكسر السين .

قال المامون : أو تلحنني ؟ ..

قال النضر : انما لحن هشـيم ، فتبع أمير المؤمنين لفظه ...

قال المامون : أو تعرف العـــرب ذلك ؟ ...

قال النضر : نعم . وهو قـول العرجى !

اضاعوني ، وأى فتى اضاعوا ليوم كريهة وسـداد ثغـــر

ويتمثل بهذا البيت كل رجل اضاعه قومه : أهمـلوه ، أبعـدوه ، وحرموا أصالة رأيه ، وهدى فكره،وتخبطوا فى الخطل ، فحـاق بهم الضرر ...

وقد يكون التمثل جامعا حقـا صفات الاصـــالة ، والهـدى والخبرة وقد يكون مدعيا ..

تمثل به عبد الله بن على عم الخليفة المنصـور ، وقد كان خرج عليه بخراســـان ، فارسل اليه أبا مسلم ، فحاربه وهزمه وحمله الى الخليفة أسيرا ، فحبسه حتى مات فى حبسـه ...

وكان كثيرا ما يتمثـــل بهذا البيت ، فلما بلغ المنصـور ذلك ، قال : « هو اضاع نفسه بسوء فعله،فكانت انفســنا عندنا اثر من نفسه علينا » .

وتمثل به كنـــاس بالبصرة من به الاصمعى ، وهو يكنس كنيفا فسمعه يغنى :

اضاعونى ..

فقال له : أما سـداد ما انت فيه فانت مليء به ، وأما الثغر فلا علم لى به كيف تسده ؟ ...

فتمثل بالبيت التالى :

واكرم نفسى ، اننى ان اهنتهـا وحقك لم تكرم على أحـد بعدى

فقال الاصمعى ؟

والله ما يكون من الهـوان فيه اكثر مما بذلتها له ، فبـأى فيه اكرمتها ...

قال الكناس : بعدم الحاجة اليه والى امثالك من الناس !

قال الاصمعى : فانصرفت عنه وانا اخزى الناس ! ...

محمد
حسن
فقي

نغمة الجراح

يا ربة الحسن عداك الهوى
ولا جفا عينيك حلو الرقاد !

عيناك . كم هز قلوب الورى
سحرهما الكامن خلف السواد !

تلفتي هل تبصرين المنى
راكضة خلفك ركض الجياد !

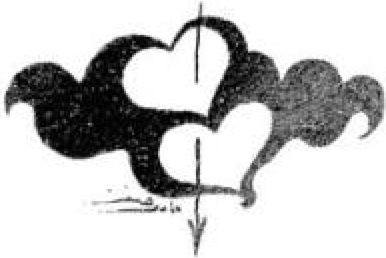
حائرة ترنو الى جنة
حافلة .. باخلة بالحصاد !

ظامئة تهفو الى ريها
ودون هذا الري خرط القتاد !

همت . فلما استيأست أجفلت
وقد بلت منك الخطوب الشداد !

ألا تحسين بحر الجوى
هذا الذي يصهر حتى الجماد ؟!

أم انه الحسن ترى في الشذى
سطوته .. مالا ترى في الكياد ؟!



يا أيها البلبلُ في روضهِ
يصدح .. أشجيتَ عميد الفؤاد !
كيفَ استباح الحسن باوبحهُ
ومادرى .. قلب طويلِ النجادْ ؟!
قلبا نرى من حسنه آيةً
وآيةٌ أخرى نرى في الطراد !
كأنه الــــذروةُ مرموقةٌ
لكنها ما تزدري بالوهادْ !
لو كانَ يدري ما رماك النوى
منهُ ، ولا جافاكَ منهُ الوداد !
ما يبتغي الحسن ؟! ومفتونهُ
خلّدهُ بالشعرِ بينَ العباد ؟!
لولاه .. والغرّةِ الأُلى حولهُ
لذاب جمرُ الحسنِ تحتَ الرماد !

***

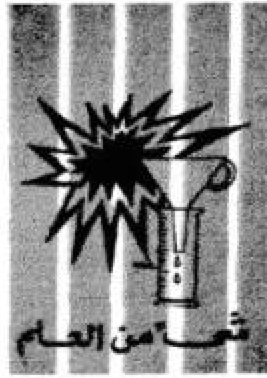
يا زاكي الجرحِ الذي يشتكي
من نزفهِ في القربِ أو في البعاد !

نعمة الجراح

هذا الدمُ الثائرُ يُروي الثرى
كما يُروي المجدَ غالي السداد !
ورُبَّ جرحٍ يشتكي ربُّه
منه .. شفاها بكريم الضماد !
ورُبَّ دمعٍ سالَ من مقلةٍ
عصماءَ .. ما سالَ يومَ الجلاد !
ورُبَّ قلوبٍ خاشعاتٍ كما
ورُبَّ جدٍّ بالأرضِ صوبَ الجهاد!
ورُبَّ سُهدٍ لو رآه الكرى
لقالَ . ما أروعَ هذا السهاد !

***

فهل أواسي الجرحَ .. أم أرتجي
منه إذا سالَ نوالَ المراد !!
ما أكرمَ الجرحَ على أمةٍ
يدفعها نحو سبيلِ الرشاد !
وما أجلَّ الربحَ من صفقةٍ
روَّجها الإيمانُ بعدَ الكساد !
لو شُفيَ الجرحُ . وما أشتهي
شفاءَه . كنتُ لبستُ الحداد !



أحلام جديدة للطاقة ..

قتلت مادة « البلوتونيوم » أحلام الباحثين عن مصادر جديدة للطاقة مفاجأة غير سارة !

كانت أحلامهم أن تنتج من « البلوتونيوم » في مصانع خاصة : الكهرباء الذرية .. ومن هذه الكهرباء الذرية ، وبديلا عن البترول وغيره : تنتج الطاقة ...

ولكن « البلوتونيوم » مادة تخريبية ومثيرة !

لأنها مادة مشعة ، ليست طبيعية وإنما هي من صنع الإنسان ، تنتجها محركات ذرية مولدة للكهرباء ..

وهي سم عنيف قاتل ... ومن مرجاتها « البلوتونيوم ٢٤٠ » التي لا تفقد قوتها الاشعاعية إلا بعد مرور ٦٥٨٠ سنة ! ... أما « البلوتونيوم ٢٣٩ » فانها لا تفقد نصف اشعاعها قبل مضى ٢٤ ألف سنة ! ..

وإذا تسربت ذرات « البلوتونيوم » الى جسم الانسان ، فانها تتثبت في الرئتين وفي العظام ، وتظل تبث ذرات معينة طوال حياة الانسان وتعرض جسمه للأورام السرطانية ...

واشعاع « البلوتونيوم » اشعاع سطحي ، ولذلك لم يكن ثمة خطر على صحة الانسان ، إلا بالنسبة للعاملين في مصانع انتاج هذه المادة ، وفي ظروف الحوادث الطارئة التي يتعرضون فيها لاستنشاق الذرات الاشعاعية المتناثرة في الجو المحيط بهم ...

ولكن عالمين امريكيين اكتشفا أخيرا ، أن جذور النباتات بجوار مصنع « هانفورد » لانتاج « البلوتونيوم » تمتص هذه المادة الاشعاعية ، وكان الاعتقاد السائد قبل ذلك بين العلماء أن « البلوتونيوم » ينتشر بواسطة الهواء لأنه لا ينحل في الماء ...

معنى هذا الاكتشاف أنه لو وقع حادث ، في أحد مصانع انتاج « البلوتونيوم » فان ذرات هذه المادة الاشعاعية يمكن أن تنتشر لا في الهواء فقط ، بل وفي الماء أيضا عن طريق جذور النباتات وبذلك تصبح منتجات الزراعة وبالتالي المنتجات الغذائية معرضة لخطر الاشعاع الذري ! ..

وعند هذه المفاجأة غير السارة يتوقف الباحثون عن مصادر جديدة للطاقة أو يتحولوا الى طريق آخر ... مسلحين بالانتصار على الطاقة — البترول — في معركة لم يشهر فيها سلاحا ، أي سلاح !

● ... ●

مع قراء الهلال

... كالحلم الجميل يغدو حقيقة ، جاء استقبال قراء الهلال واقبالهم على هذا الباب الجديد او المتجدد ... لكأن الاعزاء قراءنا كانوا مثلنا ، يتطلعون بالشوق الى هذا اللقاء على صفحات الهلال ، فقد تدفقت رسائلهم المرحبة ، حافلة بالآراء بالافكار ، بالاسئلة والمقترحات ... وها نحن نواجه الآن ما يشبه المعادلة الصعبة فى تنفيذ نظام دقيق وعادل لعرض الرسائل او تقديمها او الرد عليها حسب اسبقية الوصول واهمية المضمون !

فى البداية ، ومن خلال النظرة السريعة بين هذا الفيض البريدى ، تبرز مجموعة من الرسائل تتحمس للاقتراح الذى قدم فى العدد الماضى ، بأن يكون الباب مفتوحا لمن يشاء من القراء ان يلتقى بمن يفضل من كبار الادباء والشعراء فى سؤال او اكثر من سؤال ينشر هنا ، وينشر معه الجواب ...

تأتى بعد تلك ، من حيث الوفرة ، رسائل اخرى ينصح أصحابها ويرجون الا تستأثر بهذا الباب معضلات الفكر والادب وهموم الثقافة ... النصيحة بالطبع مقبولة والرجاء مجاب ... وردنا : دعوة مفتوحة ورحبة بكل ما يضيف الى متعة المعرفة والفن والادب فى « الهلال » و « الزهور » مزيدا من الابتسامات ... تأسوا جراح النفس والقلب ، وتصنع اشراقة الحياة !..

نصر الدين ..

● جائزة « جونكور » في الادب ... ●

● طالعت في الاخبار الادبية ، ان استاذا باحد المعاهد الثانوية في الجزائر ، يكتب القصة ، قد فاز هذا العام بجائزة « جونكور » في الادب . ما هي هذه الجائزة ؟ .. ومن الاستاذ ، وقصته الفائزة ؟

● نبيل سلامة ●
القاهرة

جائزة « جونكور » من أهم الجوائز الادبية في فرنسا ... وهي خاصة بالرواية والقصة ، لا تمنح الا لمؤلف روائي أو قصصي ... ولكنها لا تمنح للكاتب الناشيء ، وانما للكاتب الناضج الذي قدم انتاجا جيدا ومنشورا في مجال الرواية والقصة ...

والفائز بهذه الجائزة لعام ١٩٧٤ ، هو « باسكال ليني » ، الاستاذ السابق باحد المعاهد الثانوية في العاصمة الجزائرية ، وقد فاز بها عن قصة قصيرة كتبها منذ عامين بعنوان : « المطرزة » ، بطلتها فتاة من أسرة كادحة في الريف ، تعمل في صالون حلاق للسيدات ، واسمها « تفاحة » ... والبطل طالب شاب ينحدر من أسرة نبيلة وقد التقيا خلال الاجازة السنوية ، فجمع الحب بينهما ، وعصفت بقلبيهما عاطفته الجامحة . ثم اضطرتهما الفوارق الاجتماعية الى الانفصال ، فعاد هو الى بيئته الارستقراطية ، وبقيت هي محطمة النفس والقلب والعقل ايضا ...

انها قصة تترك في النفس انطباعا حزينا ، وشعورا بخيبة الامل في مجتمع لا يترك للشباب حرية الاختيار تجاوبا مع عواطفه الطبيعية الصادقة ... ولكنها – هذه القصة – لا تعالج موضوعا جديدا أو فريدا ، فهي من حيث الموضوع – وهذا رأي شخصي – شبيهة برائعة « ايريك سيجال » : « قصة حب » ، التي اقتبستها السينما فيلما طويلا وجميلا .

● العربية في لغات العالم ●

في احتفال غوتنا الادبية باعتماد اللغة العربية لغة رسمية في هيئة الامم المتحدة – قال ضيف عربي كبير ، ان الكثير من اللغات في العالم يدين بالكثير للغتنا العربية ، فما اكثر المفردات العربية في شتى اللغات حتى الهندية منها ، افهذه مبالغة ام مجاملة ؟

(الصادق الزيلوي)
● مكناس ●

– حقيقة ! .. وفي اللغات الهندية بالذات ، وهي عديدة، توجد أكثر من ٦٥٠٠ كلمة عربية رائجة ... وقد أكد هذه الحقيقة العالم الهندي المعروف كليم الدين احمد في كتابه : « تأثيرات اللغات الاجنبية على الكلمات الهندية » ... ثم ذكر أن اللغة الاردية قد استعارت أكبر عدد من الكلمات العربية، أي ما يعادل ٤٠٪ من مجموع الكلمات الرائجة في تلك اللغة

.. وبعدها تأتي اللغة الهندية (كبرى اللغات في الهند) يليها البنغالية ، ثم الكشميرية ، والكوجراتيه ... وتتراوح نسبة الكلمات العربية فيها بين ١٢٪ و٣٪ ... وبالاضافة الى ذلك فان اللغة النيبالية تحمل من الكلمات العربية ما يعادل نحو ثمانية في المائة من مجموع كلماتها ...

● لكي تكون مؤلفا ...

● رغم التعليم المتوسط ، والثقافة النامية ، فانا شاب طموح ، وطموحي يتركز في ان اكون مؤلفا ... لقد بدأت اخيرا اتعمق في القراءة ، والتزود بما يزيد تفتح المخ غذاء وتقوية ... فما رأيك ؟ .. وبماذا تنصحني ؟ ..

سمير فتحي السيد – الجيزة

– في مثل هذا الموقف تقريبا ومنذ سنوات بعيدة ، كتب المؤلف الشهير مارك توين يرد على شاب مثلك ، سأله مثل سؤالك :

« ان الاخصائيين يا عزيزي ينصحون المؤلفين بأكل السمك لما يحتويه من الفوسفور الذي يغذي المخ ويقويه ... واذا كان من المهم بالنسبة لك ان تعرف الكمية التي يحتاجها مخك من هذا الغذاء ... واذا اخذنا سؤالك الذي بعثت به قياسا على مدى استعدادك للتأليف – فانني اشير عليك ان تتناول من صنف الاسماك حوتين كبيرين في كل وجبة ؟

● الحركة .. والجائزة ●

● هل المنظمة الدولية – اليونسكو – دور في مكافحة الامية بين شعوب البلاد التي تعاني من الامية ؟

علي عبد الفتاح

شبين الكوم

ـ نعم .. فبالاضافة الى ما تقوم به اليونسكو من جهود ونشاط فى خدمة التعليم ، ونشر الثقافة ، واحياء التراث القومى والانسانى ـ فانها تقدم مساعدات واسعة فى مجال مكافحة الأمية بين دول العالم ...

وهناك جائزة تمنحها اليونسكو لاكثر الدول نجاحا فى محو الامية بين مواطنيها .. وفى العام الماضى (١٩٧٤) حصلت بورما على هذه الجائزة لنجاحها فى الحركة ضد الامية وهى الحركة التى شنتها بورما منذ عشر سنوات مضت ، والتى تم فيها تعليم اكثر من تسعمائة الف مواطن بورمى القراءة والكتابة والحساب ... وفى خطة بورما لهذا العام برنامج لتطبيق نظام التعليم الالزامى فى المراحل الاولى ، حتى يتم القضاء على ما بقى من الامية ونسبتها ٣٠٪ بين الشعب البورمى ...

● رصيف الازهار ... ●

● نقل إلينا صديق ، عن الفرنسية ، فصولا من « رصيف الازهار ... » للمؤلف الجزائرى مالك حداد ، الحديثة ... ولكنى لم أجد له مؤلفات بالعربية فى مكتبتنا ... هل تقدمون لنا بطاقة تعارف بهذا الكاتب الكبير ومؤلفاته ؟ ..

عادل عبد الصمد
دار العلوم ـ القاهرة

ـ مالك حداد كاتب وشاعر جزائرى ، ولد فى قسنطينة عام ١٩٢٧ ، وتلقى علومه الثانوية والعالية فى باريس ... ورغم انه حرم نعمة الكتابة بالعربية فانه لم ينقطع يوما عن التفكير فى قضايا بلاده الكبرى ، ومعايشتها ، وقد قال يوما : ان اللغة الفرنسية منفاى ! ، وتمنى لو تترجم كتبه الى العربية ... وحتى الان فقد تحقق له جزء من هذه الامنية ، اذ تمت ترجمة بعض كتبه ، ومنها « الانطباع الاخير ... وسأهبك غزالة ، ورصيف الازهار لا يجيب ... والتلميذ والدرس ... وهناك كتب اخرى له لم تترجم بعد ..

ومالك حداد يشغل الان منصب الامين العام لاتحاد الكتاب الجزائريين ، ورئيس تحرير مجلة « امال » الادبية ..

مع قراء الهلال

● رؤوس موضوعات ●

● انى اتوسل اليك يا ربى ان تجعلنى جميلا فى نفسى ! .. (سقراط)

● القلق ... مثل العطر .. يشم ولا يبلع !

● كتابك ، اى كتاب ، تقرضه لغيرك ، يستاء منك وقد يغضب الى درجة تجعله يفضل عدم العودة اليك !

● قال يحيى بن سعيد « كنا نطوف بالصدقات على الناس فى عهد عمر بن عبد العزيز ، فلا نجد من يقبلها .. لقد اغنى الناس عمر بن عبد العزيز !

● ان وخز الضمير ليس الا لمحة من لمحات الله ..

● استمر فى السير قدما .. لا يهم ان تتعثر يوما فى شىء لم تكن تتوقعه .. هل سمعت ابدا عن شخص تعثر فى شىء وهو جالس فى مكانه ؟!

ردود سريعة ..

ردود خاصة ..

فى العدد القادم

● عن القرية الظالمة ●

● قرأت فى صحف العاصمة عندنا — الرباط — ان « القرية الظالمة » ، رواية العالم المصرى الدكتور محمد كامل حسين — سوف تترجم الى اللغة الروسية ... هل تبحثون لى عن نسخة من هذه الرواية التى نشرت من قبل فى سلسلتكم الشهيرة « روايات الهلال » ؟ ..

السعيد بو الحسن
المغرب

— لم تنشر « القرية الظالمة » فى « روايات الهلال » .. وقد ترجمت اخيرا الى الفرنسية ، وصدرت بالفعل عن « مؤسسة السندباد » فى باريس ، وقد كتب لها « روجيه ارنالديز » الاستاذ بجامعة باريس ، مقدمة ضافية ، جاء فيها :

« .. ولقد ركز المؤلف المصرى فكرته على المحبة الالهية للجنس البشرى ، وبالتالى على رسالة المحبة الاخــوية التى حملها السيد المسيح للبشر ، واظهر هذه الفكرة من خلال محاورة رائعة بين زوجين من علية القوم فى القدس ، وكان كل منهما يعلق على موت المسيح ، ويتعجب كيف يمكن قتل رجل لانه يقول : الله محبة ! ... »

والمؤلف : الدكتور كامل حسين . كان عميدا لجامعة عين شمس . وقد احرز جائزتين من جوائز الدولة في العلوم وفي الادب ومن مؤلفاته « تاريخ الطب عند العرب » و « وحدة المعرفة » و « تفسير حديث القرآن الكريم » و « القرية الظالمة » اول كتاب من مؤلفاته يترجم الى اللغة الفرنسية ...

● ابراهيم الحمدى خلف الله – غربية ●

● ليس شعرا كل ما يجرى به ●

الكلام من الخواطر والمعاني الرقيقة ...

لا بد للشعر ايضا من فكرة ، ولغة جيدة ، ومعرفة بالبحور والاوزان .. وكلها عناصر بالغة الاهمية ، تفتقر اليها المقطوعتان الخفيفتان : « القلب الجريح » و « شهيد الفن » ...

● بكرى حريتاني – الجزائر ●

مع المحاولات الدائمة والمتجددة ، هناك الامل والنهر الصغير » و « الوصال » والذ هولة قصصك الثلاث القصيرة جدا ، ليس فيها سوى انها غير مفهومة جدا !! ....

● لكن .. وبالمناسبة ●

● فانا نعتقد في « الهلال » ركنا او زاوية او بابا ثابتا للمرأة .. فلماذا لا تفعلون ذلك ، هل انتم من اعداء المرأة ؟ ..

حورية اسعد
مصر الجديدة

– نحن بالفعل يا سيدتي ، نحسن الحشد تنفيذ الفكرة في اعدادنا القادمة ... لكن وبالمناسبة هل بقي في مجتمع حياتنا المصرية ، للمرأة اعداء ؟ افترضوا – وهذا رأى شخصي – ان تساقطوا ، او تراجعوا .

وانظري حولك اليوم ، يا سيدتي ... فما اكثر القادرين على تبعات اللقب الخطير ، عدو المرأة » .. وما اكثر الذين تنسحب عليهم مقولة المفكر الفرنسي الشهير فولتير : خلق الله المرأة لكي تستأنس الرجل !


شركة الاسكندرية للمنتجات المعدنية
٧٢ شارع الشهيد جلال الدسوقي - الحضرة اسكندرية ت ٧٠٥٣٣/٧٧١٦١ ص ب ٣٨٦ اسكندرية
AMPCO
SILEC
La Cooperation Franco-Arabe dans le domaine de la Signalisation routière "SILEC" Paris "AMPCO" Alexandrie
التعاون العربي الفرنسي في مجال تنظيم المرور الالكتروني بين شركة "سيلك" كبرى الشركات العالمية الفرنسية وشركة "امبكو" الاسكندرية للمنتجات المعدنية
أجهزة مرور شرطية
جهاز تحكم الكتروني لتنظيم المرور

احارب فى دينى وفكرى ومذهبى
وارمى بزور القول فى كل مشعب
وما انا الا غصـة فى حلوقهم
وحشرجة الأقدار فى صدر مذنب
وما انا الا النار تشـوى قلوبهم
والا الضحي يرمى باشـلاء غيهب
يعانقنى عزم الأل صـنعوا العلا
فاهتف بالاسـلام اقوم مذهب
يموتون غيظا لـم يحيـون نزوة
سفاها وجهلا كل ذاك التعصـب

***

ملات فؤادى بالسنا البكر حسبة
لرب له الكـون العظيم يسـبح
فقلبى بنور الحق نشـوان مهتد
وروحي باشراق الهداية تصـدح
ويسعدنى فى دفقة النور • أننى
ارى الله فى كـل الوجـود والمح
ارى الله فى الازهار نشوى، وفي الهوى
وفي وشوشات الطير تشدو وتمرح
ارى الله فى سكرى وصحوى وحبها
تـوجهت يدنيني اليه فالـسرح

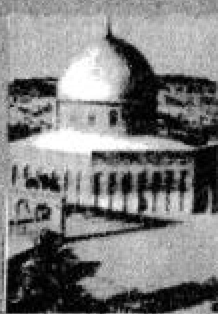
● الجزائر ● مصطفى محمد الغمارى ●

● الغلاف الأول ●

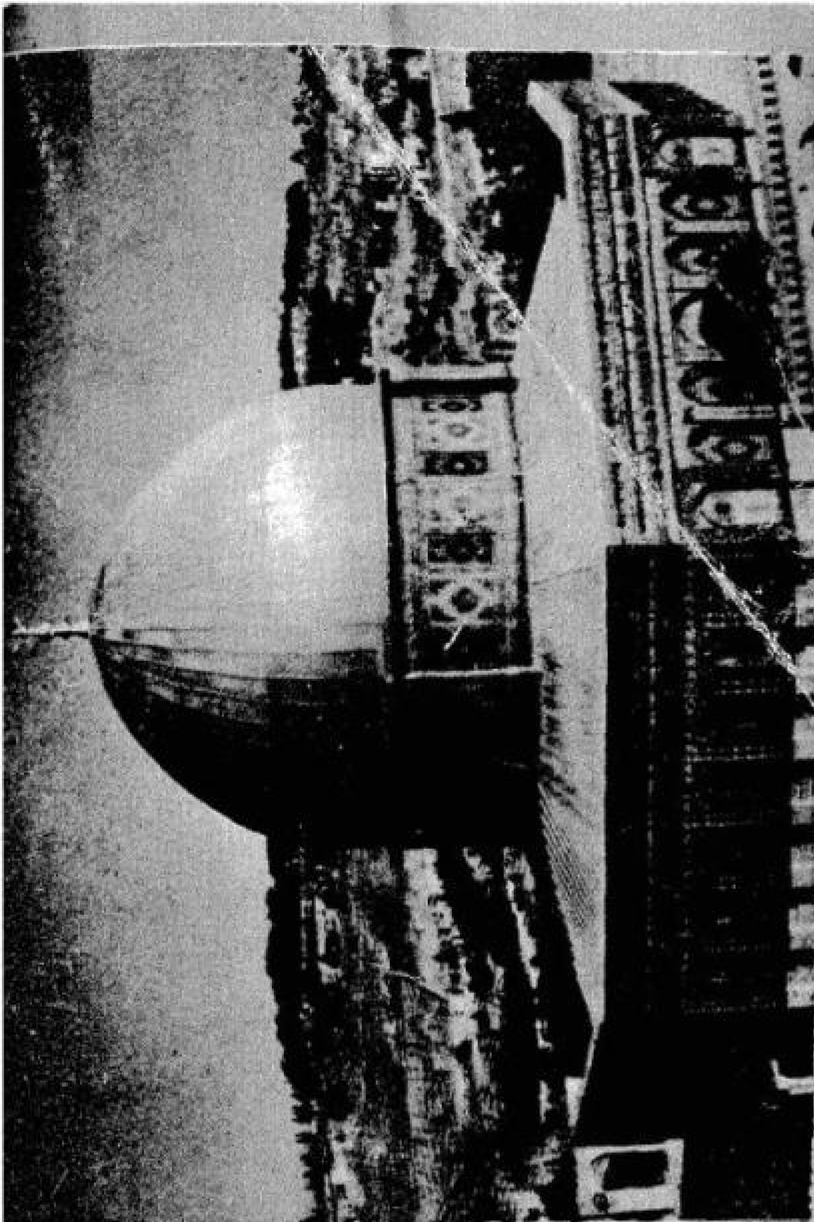


الانسان العربي المنشود، لوحة بريشة الفنان : حلمى حسنى

● الغلاف الأخير ●



قبة الصخرة من معالم القدس الاسلامية واجمل منشآت فن العمارة الاسلامي ...




الهلال
جزء خاص:
أدب النيل
الزهور
الملحق الأدبي للهلال
مع العدد هدية
صورة
إسماعيل صبري

الهلال

صفر ١٣٩٥
مارس ١٩٧٥

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال ـ أسسها جرجي زيدان سنة ١٨٩٢ ـ العدد الثالث ـ السنة الثالثة والثمانون ـ أول مارس ١٩٧٥ ـ ١٨ صفر ١٣٩٥

الاشتراكات

●

ثمن العدد : في جمهورية مصر العربية ٥٠ مليما .
قيمة الاشتراك السنوي : (١٢ عددا) في جمهورية مصر العربية وبلاد اتحادى البريد العربي والافريقي ٥٠٠ قرشا صاغا . في سائر انحاء العالم ٦ دولارات او ٢٫٥ جنيه والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال . في جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية . في الخارج بشيك مصرفي والاسعار الموضحة بالبريد العادي ـ وتضاف رسوم البريد الجوي والمسجل على الاسعار المحددة عند الطلب ».
الادارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب ـ القاهرة ×
تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »



عبد العزيز كامل   د . سيد نوفل   د. ابراهيم رشاد

بسم الله الرحمن الرحيم



كلمة الهلال

وداعـــــا ... أم كلثـــــوم

بيت من الشعر ، غنته أم كلثوم ، أضرم في قلوب أبناء مصر ثورة قبل ثورة ٢٣ يوليه ببضع سنوات :
البيت من قصيدة شوقي ، وهو :

وما نيل المطالب بالتمني
ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

وهو وارد في الشوقية التي مطلعها :

سلوا قلبي غداة سلا وتابا
لعل على الجمال له عتابا

كانت أم كلثوم تغني هذه القصيدة ، فما أن تصل الى هذا البيت ، حتى تلتهب عواطف المصريين ، الذين بلغ بهم السخط على الاستعمار البريطاني يومئذ مداه .

وهكذا أصبح هذا البيت في ذلك العهد شعارا لمقاومة الاستعمار ، ويكتب على رءوس الصحف ، ويتردد في كل خطاب وطني ، مما حمل الحكومة على الغاء المعاهدة المصرية البريطانية (معاهدة سنة ١٩٣٦) وحول العمال المصريين في معسكرات الجيش البريطاني بمنطقة القناة الى جيش للمقاومة ، واشعل فتيل الحركة الثورة ، معركة رجال الشرطة المصرية ضد جنود القاعدة البريطانية ، التي سقط فيها عشرات من الشهداء .. ولكنها كانت ارهاصا بكل ما حدث بعد ذلك ، حتى كان جلاء الجيوش البريطانية عن أرض مصر في سنة ١٩٥٤ .

هذه أم كلثوم ...

وهذه هي شعلة الوطنية الثائرة ... شعلة الحرية ... التي كانت فنانة الشعب تلهبها في وجدان هذا الشعب .

ونعود الى ذلك البيت :

وما نيل المطالب بالتمني
ولكن تؤخذ الدنيا غلابا



وداعـــا أم كلثوم


زكي رستم


د. زكي مبارك

كانت لام كلثوم ، منذ صباها الاول ، مطالب عند المجد . مطالب لم تنلها بالتمني ... وانما نالتها بمغالبة الايام والصبر على قسوة الاحداث .

قالت لي انها وهي صبية في اول العمر ، كانت تطوف بالقـرى ، مع ابيها واخيها ، تغني القصائد والتواشيح في بيوت اعيان القرى، وكثيرا ما اضطرتهم الظروف الى السير على اقدامهم مسافات طويلة في طلب لقمة العيش ... وكثيـرا ما كانوا يهرعون الى محطات السكك الحـديدية في ساعات متاخرة من الليل الادراك اخر قطار ، فاذا فاتهم ، ناموا على الرصيف !

وتذكر من بين تلك الليالي ليلة قارسة البرد ، لم يجدوا فيها مكانا تبيت فيه الصبية الصـغيرة ، الا حاصلا (اى حظيرة) فيها جمل .. وارتمت الصبية في ركن من الحاصل طول الليل ، وهي ترتجف مرتين ... مرة من البرد ، واخرى مخافة ان يرفسها الجمل :

ونزحت ام كلثوم – في اول شبابها – مع ابيها واخيها وفرقة المنشدين المصاحبتهم الى القاهرة ، وغنت في « قهوة ريش » التي لاتزال قائمة في شارع طلعت حرب ، وكانت يومئذ ذات حديقة واسعة محيطة بها ... كما غنت في « صـالة سانتي » التي كانت قائمة وسط حديقة الازبكية .

وكانت في غنائها في تلك العهد تعتمد على ترديد اصوات المنشدين حولها ، اذ لم يكن معها عازفون ولا الات موسيقية .

وفي تلك الفترة ، عرفها رامي ... الذي كان قد عاد لتوه من بعثة دامت سنتين في السوربون بباريس ، لدراسة الاداب الشرقية وفن المكتبات .

ويروي رامي القصة ، فيقول انه ذهب ذات ليلة لا ينساها – تاريخها ٢٦ يولية سنة ١٩٢٤ – الى بار في شـارع بولاق (٢٦ يولية الان) كان يملكه ويديره المرحوم زكي رستم (الذى اصبح بعد ذلك من اعلام المسرح) فالتقى بصديق قديم ، قال له ان مغنية جديدة منالفة الموهبـة قد ظهرت ، اسمها أم كلثوم ، وانها ستغني الليلة في صالة سانتي .

ودعاه الى الذهاب معه لسماعها وذهبا .. وجلسا في الصف الاول واذا به يفاجأ بما لم يكن يتوقع ...

يفاجأ بانها تغني قصيدة له ، مطلعها :

الصب تفضحه عيـونه
وتنم عن وجد شـئونه

وكان اللحن لاستاذ ام كلثوم الاول المرحوم الشـيخ ابو العلا محمد ..

واستولى عليه الشجى حتى لمعت الدموع في عينيه ...



احمد رامى



د. سعيد عبده

والتفتت له أم كلثوم .. فهمس لها – وهو فى مكانه – بأنه كان فى تيار الغربة ... فى باريس ... وانه سعيد بأن يسمعها فى أول ليلة يعود فيها الى أرض الوطن ..

ولم يقل لها من هو ، ولكنها بما جبلت عليه من اللماحية ، قالت له باحتفاء :

– أهلا ... سى رامى ..

وبعد انتهاء الحفلة ، التقيا ، وتحدثا ، وسألته ان يزورها فى بيتها ، وكانت تسكن يومئذ فى ميدان عابدين – فسألها عن العنوان ، فقالت له بخفة ظلها المعهودة :

– الله ؟ ... انت ازاى ما تعرفش بيت ام كلثوم ؟ دا الله فؤاد ساكن قصادى ...

وذهب اليها فى اليوم التالى .. وبدأ معها الرحلة الثنائية الخالدة التى دامت خمسين سنة .

●●●

كان رامى – قبل ان يعرف أم كلثوم – لا ينظم الا شعر الفصحى . فلما عرفها لم يرق له ان تغنى منظومـــات ذلك العصر ، وكانت متهاوية الكلمات ، ومنها :

الخـــلاعة والدلاعة مذهبى
من زمان عاشق صبابه والنبى

فبدأ يغير لها الكلمات المتهاوية ... ففى هذه الاغنيـــة مثلا ، استبدل بكلمتى « الخلاعة والدلاعة » كلمتى « الخفافة واللطافة » .

ومع هذا ... احس انه لم يصل الى هدفه بمثل هـــذه التعديلات فى اغانيها ، وصارح ام كلثوم بذلك ، فقالت له :

– طيب ما تكتب لى انت اغانى باللغة العامية ...

واستجاب لها ، وكتب اول اغنية عامية فى حيـــاته ، ومطلعها :

الشك يحيى الغـــرام
ويزيد فى ناره لهيـــب

ونجحت الاغنية ، واستمرأ رامى الفكرة ، وكتب لها من اللغة الدارجة الاغنية تلو الاخرى ، ومنها اغنيته الاثيرة :

ان كنت اسامح وانسى الأسيه
ما اخلصش عمرى من لوم عنيه

وهى من تلحين القصـــبجى ، رحمه الله ، وتعد علامة ضخمة على طريق الموسيقى العربية ، لانها كانت اول اغنية مصرية بمصاحبة الاوركسترا بدلا من التخت الشرقى ، وقد بيعت منهـا مليون اسطوانة ... وهو رقم قياسى فى تاريخ الاغنية العربية .

اما نصيب رامى منها ، فكان مائة قرش ...

كان هذا هو سعر الاغنية الكبيرة فى تلك العهد !

وداعا أم كلثوم

كانت ام كلثوم قدرا في حياتي .

ذلك انني تنشأت منذ صباى على حب الادب ، دون ان يدور بخلدى ان صناعة القلم ستكون قدرى في يوم من الايام .

وذات يوم ، وانا في الثانيـة عشرة من عمرى ، تلميذا بمدرسة المنصورة الثانوية ، وقعت عيناى في مجلة « الصباح » — وهى ام مجلات الفن يومئذ — على مقال بامضاء « محمدين » — وهو الاسم الذى كان الناقد الفنى المرحوم محمد عبد الرازق يوقع به مقالاته — يحمل فيه على أم كلثوم حملة قاسية، ويزعم أن الهالة التى تحيط بها ، لا فضل لها فيها ، وانما الفضل كله لكلمات رامى والحان القصبجى .

وكنت في صباى ، كما ظللت طول حياتي ، مفتونا بصوت ام كلثوم ، حتى انى لا انام ليلة دون ان اسمع لها شيئا .

وهكذا غضبت لام كلثوم عقب قراءة ذلك المقال ، وامسكت بالقلم لاكتب اول مقال في حياتى ، دفاعا عن ام كلثوم .

وبعثت به الى مجلة « الصباح » وأنا قليل الامل فى نشره، فقد كنت أعرف أن الصحف لا تنشر الا لاصحاب الاسماء المعروفة .. وكان منهم على صفحات « الصباح » المرحوم الدكتور زكى مبارك وصديقنا الطبيب الكاتب الشاعر الزجال ، الدكتـور سعيد عبده وغيرهما .

وكانت دهشتى بالغة حينما فوجئت فى الاسـبوع التالى بالمقال منشورا في مكان حفى .. و « بقلم الاستاذ الكبيـر صالح جودت » .

ويبدو أن صاحب المجلة وقع فى لبس اسمى واسم عم لى ، كان من كبار رجال القضاء والادب معا فى ذلك الحين .. ولعل هذا كان سر عبارة « الاستاذ الكبير » .. التى استغللتها، فجعلت ابعث للمجلة كل اسبوع بمقال أو قصيدة ، والمجلة تنشر كل ما ابعث به وتقرنه بعبارة « الاستاذ الكبير » !

ومنذ ذلك العهـد لم انقطـع عن الكتابة فى مجلة « الصباح » وفى غيرها ، كمجلة « الاسبوع » للاستاذ « ادى » ... وهو من كبار النقـاد فى ذلك العهد .. ثم فى مجلة « الرسالة » للاستاذ الزيات .. و « المجلة الجديدة » لسلامة موسى ... الخ .. حتى وجدت نفسى فى يوم من الايام صحفيا محترفا .. وبأجر طيب ... وانا طالب بالجامعة .

وهكذا كان مقالى عن ام كلثـوم الذى جرنى الى احتراف صناعة القلم ..

وقدر آخر ... قدر حزين .. ربط بينى وبين ام كلثوم فى ايامها الاخيرة .

ذلك أن محنة صحية قاسية الت بى فى اكتـوبر الماضى ، وانتهت بى محمولا — فى غيبوبة تامة — الى مستشفى القـوات



محمد عبد الوهاب

المسلحة بالمعادى ، حيث قضيت شهرين وبعض الشهر .

وكانت ام كلثوم ــ رحمها الله ــ تســـأل عنى كل يوم بالتليفون ، حتى اثقل عليها المرض الاخير . وكان معالجوها هم نفس الاطباء الذين يعالجونني ... الدكاترة زكريا الباز وصبرى اسماعيل وعمر كاظم .. فكنت اعرف انباءها منهم ... وكان الدكتور كاظم يتفضل فيحمل دعائى لها ودعاءها لى كل يوم .. الى ان تدهورت حالتها ، وقيل انهم ســينقلونها من بيتها الى مستشفى المعادى .

ولم تكن بالمستشفى غرفة خاليـــة لائقة بها ، فرايت ان اتعجل خروجى لافسح لها مكانى .

وغادرت المستشفى لافسح مكانى لها ..


سيد درويش

وكانت تؤثر فى الالوان ، اللون الوردى ، فطلوا لهـــا الجناح الذى كنت أرقد فيه ، باللون الوردى :

ولكن حالتها ازدادت سوءا ، فلم تذهب الى الجناح الوردى بل الى غرفة العناية المركزة ... أو « الانعاش » كما يسمونها هناك ... وهى الغرفة التى قضيت بها : ثلاثة عشر يوما ... فى ايام الغيبوبة الكاملة .

وظلت أم كلثوم فى هذه الغرفة حتى صعدت روحها الى بارئها ، دون ان تشهد الجناح الوردى .

***

كان من ميزاتها الاصيلة ، عرفان الجميل ... مهما قل حجم هذا الجميل .

من ذلك مثلا ، انها حين التقت بى لاول مرة عقب ذلك المقال فى الدفاع عنها ، غمرتنى بكلمات حلوة لا احسب اننى كنت استحقها فى تلك السن ، وأحسست يومئذ بأنها حنان يتدفق فيضفى على من تحدثه نشوة روحية ساحرة .

وكنت التقى بها بعد ذلك عند امير قراء الذكر الحكيم ، المرحوم الشيخ محمد رفعت ، فى بيته بشارع الزيدى بالسيدة زينب . وكان الموسيقار الكبير محمد عبد الوهاب يحرص هو الاخر على التردد على بيت الشيخ رفعت ، لانهما ــ أم كلثوم وعبد الوهاب ــ من حفظة الكتاب ، ومن أصحاب النشأة الدينية .. والاتجاه الصوفى .. وهما من اكثر المفتونين بصوت الشيخ

وكان الشيخ ظريفا فى مجلسه .. يلون الحديث والغناء ... وكثيرا ما كان يمتعنا بغناء نداء البـــاعة فى حوارى القاهـــرة ... باعة الخيار والجميز والتـــوت وعلى لوز وغزل البنات ..

وإن انس لا انس ليلة غنى لنا فيها المغنية ام كلثوم :



رياض السنباطي

وحقك انت المنى والطلب
وانت المراد وانت الارب

غناها .. ولونها .. وتصرف فيها حتى بلغ السماء !

وقد تتلمذت أم كلثوم على أصوات المشايخ ، وأولهم والدها الشيخ ابراهيم ، ثم الشيخ أبو العلا محمد ، والشيخ محمد القصبجى (كان شيخا فى أول حياته) والشيخ على محمود والشيخ سيد درويش ، والشيخ محمد رفعت ، والشيخ زكريا أحمد .

ولست أنسى ليلة أيقظتنى فيها بالتليفون بعد منتصف الليل وقالت لى : اسمع

وراحت تغنى وتعيد وتجيد وتزيد فى اغنية الشيخ سيد درويش المشهورة :

سالمة يا سلامة
رحنا وجينا بالسلامة

وذكرت لى ان هذا اللحن يؤرقها من جماله ، وانها تتمنى ان اكتب لها كلمات جديدة على ايقاع هذا اللحن نفسه !

***

عرفت أم كلثوم منذ أكثر من ثلاثين سنة ...

ولا أنكر انتى اختلفت معها طوال هذه السنين الا مرة واحدة ، فى مطالع سنة ١٩٧١ ، اذ سار بيننا بالوقيعة صحفى لبنانى كتب عنى كلمة غير طيبة ، ونسبها الى ام كلثوم ..

ورأيت أن أخاصمها فى صمت ، ولم أصارح أحدا بذلك الا عبد الوهاب ..

حتى كانت ليلة ما ازال اذكر تاريخها ــ ٢ مايو سنة ١٩٧١ ــ وكان سفير السودان بالقاهرة قد وجه دعوة لبعض اصدقائه الى العشاء فى حديقة بيته بالمعادى .

وكنت من بين المدعوين ..

وذهبت ... وكان حول اول مائدة صادفتنى أربعة لم اتبين منهم فى بادىء الامر الا عبد الوهاب ، فتعانقنا وقال لى :

ــ اقعد معانا ... فيه كرسى فاضى .

وتلفت الى مجالسيه ، فاذا هم محافظ الجيزة ، والمهندس محمد الدسوقى ــ ابن شقيقة ام كلثوم ــ ... وام كلثوم .

وحلا للموقف ، اكتفيت بان اقول لهم « السلام عليكم » بلا مصافحة . فقال لى عبد الوهاب :

ــ ما تسلم على ثومة ... والا لسه زعلان منها ؟

قلت : طبعا ...

وبدت الدهشة على ام كلثوم ، وقالت :

ــ زعلان منى ؟ ليه ؟



لقطة طريفة لمعجزة الفناء العربى ام كلثوم والاديب الشاعر صالح جودت ..

وروى لها عبد الوهاب القصة ، فأقسمت بالله ثلاثا انها لم تقل تلك الكلمة غير الطيبة ، ولم تقرأ المجلة اللبنانية التى نشرتها ، وأضافت الى ذلك قولها :

ـ ولك ان تكذب هذا الصحفى على لسانى ، وكل اللى قاعدين شهود .

وجذبتنى من يدى ، فتصافحنا بحرارة ، وصدقتها من الاعماق ..

●●●

وكثيرا ما سألتنى ام كلثوم ان انظم لها بعض الاغانى ، ولكننى كنت اعتذر لها دائما ، خشية أن يغضب رامى ، وهو أعز أصدقائى ، وهو ـ الى جانب ذلك ـ اولى المؤلفين بها ، وانجحهم معها .

وكانت تعرف سبب اعتذارى الدائم ، وتقدره ، لانها جبلت على الوفاء ، فكانت تقدر وفاء الصديق للصديق .

وحدث فى السنوات الاولى من ثورة سنة ١٩٥٢ ، ان اراد رجال الثورة احياء ذكرى الزعيم الاقتصادى الخالد طلعت حرب الذى لقى كثيرا من الجحود فى اخريات ايامه ، رغم الصروح الشامخة التى اقامها على ارض مصر .

وسألنى القائمون على تنظيم الحفل ان انظم اغنية فى هذه المناسبة ، تغنيها ام كلثوم ، فأحلتهم الى رامى ، الذى اعتذر لهم بأنه لم يكن على صلة وثيقة بطلعت حرب ، وأحالهم الى بدوره، لاننى عملت مع طلعت حرب بضع سنوات فى بنك مصر قبل اعتزاله .

ونظمت الاغنية ، وغنتها أم كلثــوم فى الحفل ، وكان مطلعها :

يا رجال الثورة البيضـــاء فى الوادى الامين
مجدوه .. خلدوه .. انه كان زعيم الثــائرين

وقدمت الاذاعة الحفلة ، وسجلتها ، ومن اسف أنها لم تحتفظ بالاغنية ، بل مسحتها فيما تمسح من الاشرطة ، ولـكن التسجيل لا يزال موجودا عند نفر قليل من الهواة .

***

ومرة أخرى .. التقينا ، أم كلثوم وأنا ، فى عمل أنجزناه تأليفا وتلحينا وأداء فى ليلة واحدة من الليالى الاولى للنكسة ، لعله يرد للشعب بعض الثقة فى نفسه وجيشه وزعامته . ولعل هذا العمل لا يزال محفوظا فى أرشــيف الاذاعة ، ومطلعه : « **قم واسمعها من اعماقى ... فانا الشعب** » .

ومرة ثالثة التقينا — أم كلثوم وأنا — فى عمل فنى هو « **الثلاثية المقدسة** » ..

وكان الفضل الاول فى هذا العمل لصديقنا وأســـتاذنا الدكتـــــور عبد العزيز كامل — نائب رئيس الوزراء — الذى استوحينا الفكرة من حديث له فى عيد الهجرة .

ولم يفتنى فى هذه المرة أن استأذن رامى ، لاننى كنت يومئذ شديد الشوق الى بيت الله — بعد النكسة — لعل بعض الدعاء ، ولو بالغناء ، يرفع عنا الغمة .

وبعد نجاح الثلاثية المقدسة ، أرادت أم كلثوم أن تصنع عملا انسانيا جليلا .. أغنية فى محاربة التفرقة العنصرية ، تسجلها لتذاع على نطاق عالمى .

وكانت هذه الاغنية هى الاخرى مستوحاة من بحث للدكتور عبد العزيز كامل عن موقف الاسلام من التفرقة العنصرية .

ورضيت أن أنظمها ، أولا ، اقتناعا بانسانية هذا العمل ، وثانيا لان رامى فى ذلك الحين كان يعانى محنـــة اكتئاب نفسى تحول بينه وبين النظم .

ولكن قسوة القدر لم تشأ أن تخرج هـــذه الانشودة الى النور ، لنشوب بعض الاحداث السياسية فى ذلك الوقت .

بيد أن أم كلثوم لم تنس هذه الفكرة ، فكانت تذكرنى بها الفينة بعد الفينة ، وتتمنى لو حققتها ، لولا أن أخذ المـــرض يزحف اليها .

***

أما آخر أغنية أرادت أن تغنيها لمصر .. فلها قصة حزينة رويتها على صفحات « المصور » منذ أسابيع قريبة ، وخلاصتها أنها فى مطالع الصيف الماضى قالت لى أنها محزونة ، لانها غنت لمصر فى كل مناسبة حتى فى النكسة ، ولم تغن لها يوم النصر ، لان المرض كان يناوشها يومئذ فى قسوة .

وسألتنى أن أنظم لها أنشودة تغنيها فى مناسبة مرور عام

على المعركة المنتصرة ، أى فى ٦ اكتوبر الماضى ..

ونظمت الانشودة ، وبدأ رياض السنباطى فى تلحينها .. ولكن الام المرض اخذت تزداد الحاحا على ام كلثوم ، فلم تحقق لها آخر امنية ... فى آخر اغنية ! ..

●●●

واختتم هذه الكلمات بحديث الشعر ...

عندما ظفر رامى بجائزة الدولة التقديرية للاداب ، أقامت له جمعية المؤلفين حفلة تكريم فى فبراير سنة ١٩٦٧ بنادى السيارات بالقاهرة ، وكانت أم كلثوم فى مقدمة المدعوين ..

ولم يكن هناك بد ، وأنا أحيى رامى فى هذه المناسبة ، من أن أجعل لام كلثوم نصيبا من قصيدتى ، فقلت له :

يا أخا الخيام ، يا باعثه فى خير سامر
فى أغانى آية العصر واعجاز الحناجر
ام كلثوم التى تزهى بها بين الحواضر
التى تنشد يا ليل ... فتبيض الدياجر
والتى تهتف يا عين ... فتغفيها النواظر
والتى تتشج بآواه ... فتنشق المرائر
وتر أجمل من وقع المثانى والمزاهر
ولهاة فى سماء الله لم توهب لطائر
وهى فى التاريخ مولاة الاوالى والاواخر
واغانيها دعاء ... ولياليها بشائر
وهى كالسد وكالاهرام فى ثبت المفاخر

وحين انعم رئيس الجمهورية على أم كلثوم وعبد الوهاب بأرفع وسامين فى الدولة ، اقيمت لهما حفلة تكريم بنادى الضباط بالزمالك ، وألقيت فيها قصيدة قلت فيها عن أم كلثوم :

يا أم كلثوم ، وأم التى
وحلوة الآهات والجلجله
ام الليالى النيرات التى
لا تجعل الصبح له منزله
قولى لنا ... ماذا تقول الربى
لو لم تقولى انت يا بلبله ؟
ماذا يكون العيش ... ما طعمه
لو لم تكونى انت يا مذهله
يا مهورة مهما تمثلتها
وجدتها احلى من الامثله
قولى لنا ... من صاغ فيك الشجى
من سكر الصوت ... ومن عسله
سبحان من اولاك اعجازه
منغما ... سبحان من انزله

صالح
جودت

الدكتور عبد العزيز كامل
نائب رئيس مجلس الوزراء
للشئون الدينية
ووزير الأوقاف

من الأفق الديني لأم كلثوم

(١)

على يمين الطريق الصاعد الى اهرام الجيزة ، وعند التقاء خضرة الوادي بحافة الصحراء ، يشاهد المار لافتة تحمل اسم « جمعية اصدقاء مرضى روماتيزم القلب للأطفال ».

المكان مستشفى وعيادة خارجية ومشغل ومدرسة ومعمل علمى تتجه كل بحوثه الى رعاية الاطفال المرضى بروماتيزم القلب .. وقد تطور من مبنى صغير متواضع الى ان اصبح مؤسسة متكاملة ..

وفى بعض ايام الجمعة ، وفى أوقات الضحى اعتادت السيدة أم كلثوم ان تقضى ساعات مع هؤلاء الاطفال ، ولازلت اذكرها على كرسى خشبى خشن ، والى جوارها بعض الاطفال . وقد منع الحياء آخرين من الاقتراب منها ، وهى تفتح لهم ذراعيها وتدعوهم بحنان وابتسامة ليقتربوا منها . كانوا يلقون احيانا كلمات قصارا او ابياتا من الزجل الطفولى ، ويلتقطون معها صورا تذكارية .. ويعلمون انها عنصر فعال فى رعايتهم .. وانها تقيم بعض حفلاتها لتعود ارباحها اليهم.

واعتدنا فى كل رمضان ان نلتقى مرة بعد الافطار فى هذا المركز ما اعانتها صحتها وظروفها على ذلك . كان لقاء دينيا أعرض فيه لشرح آيات من كتاب الله ، او قصة من قصص الانبياء ... الى ان كانت هزيمة يونيو ١٩٦٧ .

ظلت محافظة على اللقاء ... ولكن الابتسامة والفرحة غاضت من وجهها .. الاحاديث الدينية أصبحت عن معركة عين جالوت وحطين وعوامل النصر فيها .. دروسنا من السيرة النبوية تركزت حول الصمود وبعض ما اصاب المسلمين فى غزوة احد وفى المراحل الاولى من غزوة حنين ..

وكانت تعلق على الاحاديث من حين الى حين .. والمعركة والنصر قضيتها :

ـ كل املى ان اعيش حتى ارى النصر . ادعو الله .. علينا جميعا أن



ام كلثوم في زيارتها لوزارة الاوقاف مع الدكتور عبد العزيز كامل

نتعاون من اجل هدف واحد • استرداد ارضنا والانتصار على عدونا ••

كانت تتحدث ـ مع هذه الآمال العامة ـ عن امال ترتبط بفنها وذكريات :

ـ املي الان ان اسجل السيرة النبوية في ثلاثين حلقة • كل حلقة نصف ساعة • ولا زلت اختار الشعر • قابلت كثيرين • وقرأت لكثيرين وكلفت كثيرين ولا زلت في مرحلة الاختيار ••

وتنتقل الى العمل الاكبر الذى طالما تمنته :

ـ كان املي ولايزال ان اسجل القرآن كاملا • قراءة صحيحة اراعي فيها كل احكام التجويد باشراف مختصين • واعطى كل آية حقها من الاداء • قراءة آية الرحمة غير قراءة آية العذاب • قراءة آية الدعاء غير قراءة آيات القتال ••

وكان حديثنا هذا • بعد تفسير لسورة طه بما فيها من محبة الله وتوجيهه لرسوله الأعظم صلوات الله وسلامه عليه •• ومشاهد قصة موسى بعد هذا تتوالى في الطور وأرض مدين والعودة الى مصر والخروج •• وكلها تركز على رعاية الله لانبيائه ومدهم بعونه على طريق الحق •• وامال الكبير دائما اوسع من حياته ••

(٢)

قبيل شهر رمضان ١٣٩٠هـ(١٩٧٠م) حدثتني ـ رحمها الله صباحا في وزارة الاوقاف قائلة :

ـ ان الاذاعة فكرت في عمل برنامج جديد يقوم فيه كبار الفنانين بدور المذيعين • ويختار كل منهم شخصية يسجل معها حديثا • وارغب ان تسجل معي هذا الحديث واود ان نلتقي مساء اليوم في منزلي • وفي ذهني موضوع • ولكن احب ان اسمع رأيك :

قلت: اولا • يسعدني ان اسجل معك هذا الحديث • واقترح ان نتناول دور المرأة المسلمة عبر التاريخ : تبدأ من العهد النبوى ••

من الأفق الديني لأم كلثوم

سيرا الى عهد الفتوح الكبرى .. ونتذكر نماذج من بطولات امهاتنا واخواتنا فى سيناء والقتال فى حرب يونيو ١٩٦٧ . فهذه الهزيمة — مع مرارتها الشديدة — كانت فيها بطولات رائعة من الرجال والشباب والنساء ..

فقالت: كان هذا فى ذهنى . وافكارنا متلاقية والحمد لله .. فلنتقابل اليوم . مدة الحديث كانت نصف ساعة . وقلت لنفسى:

— اذهب قبل الموعد بخمس دقائق . ونسجل فى نصف ساعة . وربع ساعة لمراجعة بعض الاجزاء . واستطيع ان افرغ من الموضوع كله فى ساعة . هكذا تصورت .

وذهبت فى الموعد ...

وعرضت عليها نقاط الحديث فوافقت عليها .

وبدأنا التسجيل .

واذكر نموذجا مما حدث :

كان عليها ان تقول فى ختام جملة، قول الله تعالى « وما النصر الا من عند الله » . فقالتها . وامرت بأن يعيدها جهاز التسجيل . وسمعتها فقالت :

— ان النطق لم يحمل كل احساساتى .. اريد ان اركز على كلمة النصر « بعزة وقوة .. وان اركز فى نفس الوقت على التوجه الى الله .. ساعيدها .. واعادتها ..

ثم قالت : نطق « النصر » مناسب ولكن نطقى للفظ الجلالة يحتاج الى توجه اكثر الى الله .. يحتاج الى ضراعة .. الى انتقال من عزة النصر الى الخضوع لله والشكر لله ..

اريد ان يحمل النطق معانى العزة والشكر والخضوع .. واعادت قراءتها .

وتكرر هذا فى كثير من المواضع وامتد الوقت بنا الى نحو ساعتين ونصف . وانا اشاهد اروع صور الدقة من الاداء والاخلاص فى العمل والتفانى فيه .

والتفت بعد هذا الى الزملاء والزميلات فى الاذاعة :

— ساكون معكم فى الاستديو غدا لاختيار الموسيقى المصاحبة .

فقالوا : نستطيع ان نقوم بذلك نيابة عنك .

فقالت : لا . قد تختارون موسيقى خفيفة غير ملائمة . او موسيقى بها آلة لا تتفق مع وقار الحلقة . ساكون معكم غدا .

وسألت الزملاء بعدها : كم امضت معكم فى الاستديو فى اختيار الموسيقى المصاحبة ؟

فقالوا : ثلاث ساعات .

كانت هذه تجربتى فى التسجيل معها ، وسألت اصدقائى الذين يعملون معها فقالوا :

— هذا دأبها فى كل امرها . الاختيار والدقة فى الاختيار . المراجعة . الحس المرهف . التفانى فى العمل . لا ترضى بأقل من اعلى درجات الاجادة فى كل ما تقوم به .

(٣)

بعد حفل المولد النبوى الشريف (١٣٩١ هـ — ١٩٧١ م) .. حدثتنى صباحا فى وزارة الاوقاف قائلة :

— ساحضر لزيارتك فى الوزارة .

الى مسجد أريد أن أضمه اليها .

قلت : الامر يسير . ولكنى احس أن هناك سببا آخر .. فهل أستطيع معرفته ؟ أن كانت هناك مشكلة تتعلق بالاوقاف يمكن اعداد أوراقها قبل حضورك . والحضور فى ذاته اسعاد للوزارة . وكلنا فى انتظارك ..

وجاءت فى الموعد الذى حددته وكان حديثها عن المعركة وقالت :

— لا اكتفى بما اقوم به . الكلمة وحدها لم تعد تكفينى . حفلاتى المحلية والخارجية من اجل المعركة لا تكفى . اننى انسج بيدى اغطية الرأس للجنود ، « بلوفرات » لهم . سجاير ارسلها . والمطلوب منك المصاحف .

اننى احس ان يدى يجب أن تعمل .. ماذا استطيع اكثر من نسج اغطية الرأس والمشاركة فى البلوفرات هذا جهد يدى . أود أن احس أن جانبا منى هناك . ليست الكلمة وحدها أريد أن أرسل أشياء تلبس وتتحرك فى ميدان المعركة .

وتصمت قليلا ثم تتابع حديثها :
— تأتى عربات القوات المسلحة أمام بيتى . وتأخذ هذه الاشياء كلها . وقد أوصيت بكتمان ذلك كله . ماذا أستطيع أن أعمل اكثر من جمع المال والعمل اليدوى ؟ والحفلات وجمع كلمة العرب حول المعركة ؟ أريد أن أعمل اكثر .

وتتذكر رحلاتها العربية ورحلات أشرطتها الاسلامية :

— حديث الروح لاقبال اقامت له حكومة باكستان حفل استقبال فى المطار . اننى احس بالجهد الذى ابذله للعون على تأصيل العروبة والاسلام . القصائد التى أقولها بالعربية الفصحى هى فى ذاتها دروس فى اللغة العربية وعون على التعريب . سمعت هذا بنفسى فى



الوقار والحشمة من سمات سيدة الغناء .. ام كلثوم

تونس وسمعته فى العواصم العربية· أريد أن أرى النص ··

وجلست صامتا أسمعها وهى تتحدث كالينبوع المتدفق · ثم صمتت فترة وقالت :

– والآن جاء دورك ؟

قلت : فى أى شيء ؟

قالت : لقد استمعت فى حفل المولد النبوى الشريف المذاع من مسجد الامام الحسين رضى الله عنه الى حديثك ·· لقد تصورت فيه ثلاث رسائل نستمع اليها : الاولى من المسجد الحرام والثانية من مسجد المدينة ، والثالثه من المسجد الاقصى الفكرة اعجبتنى · والمضمون أعجبنى

قلت : المسجد الحرام فى هذا الحديث رمز الوحدة والتوحيد · ومسجد المدينة رمز المجتمع الاسلامى بتضامنه واتحاده من أجل بناء ذاته داخليا والدفاع عنها ، والمسجد الاقصى رمز المعركة · ونحن فى حاجة الى الوحدة والمجتمع المتماسك تمهيدا لخوض معركة المصير ·

قالت : تصور نفسك مرة أخرى فى مسجد الحسين ، واذكر مقاطع من هذا الحديث ·· لحظات تجمع فيها نفسك وتتحدث واسمعك ، ثم أقول لك – بعد هذا – ماذا أريد ·

وابتسمت قائلا : لقد وضعتنى فى صورة غير متوقعة ، كل أمل من يجلس معك أن يستمع اليك ·

من الأفق الديني لأم كلثوم

قالت : ستعرف السبب بعد قليل ·

وبدأت استعيد مقاطع من الحديث حتى أدركت فقرة أقول فيهما على لسان المسجد الاقصى :

– ووقف المسجد الاقصى ، نبيلا أسيرا ، محترقا جريحا ·· يخاطبنا قائلا : اما أن لكم أن تعيدونى الى أخوى : المسجد الحرام ومسجد المدينة ؟ أما أن لكم أن تفكوا إسارى فلا أبقى تحت سيطرة باغية عادية ؟



بالتضامن الاجتماعي .. ومهد لهذا كله بالتصحيح الكبير في منتصف مايو ١٩٧١ . وجمع قوانا للحقق مده وبقيادته وبالايمان والتخطيط والتضامن العربي نصرا يرتفع الى ذروات حطين وعين جالوت .

(٤)

ومن حين الى آخر وعلى مدى سنوات كانت تتصل تليفونيا وتوصي بفقير أو محتاج أو أسرة أخنى عليها الدهر وتقول :

ـ عرفت هذا كله . وعشت الحياة المصرية في كل مستوياتها . اليوم في الصباح لأجد هؤلاء يقصدونني ، فاقصد أصدقائي ، ونتعاون معا من أجل الخير . لا أستطيع أن أتركهم . ولن أنسى لا أنسى نزعتها الانسانية العالية ومثل ذلك أنها تأثرت ذات يوم بحديث لي عن موقف الاسلام من التفرقة العنصرية فشاءت أن تحوله الى أغنية تتغنى بها ، ينظمها الشاعر صالح جودت وقد



من الأفق الديني لأم كلثوم

(٥)

وجرت مياه كثيرة فى النيل ·
النيل الذى تطل عليه من بيتها ··
النهر المتجدد ·

ويقترب الغروب · غروب كل حى·
الا الحى الذى لا يموت ·

وخرج السر الالهى بعد صراع طويل ومرير مع المرض · والتقى الرحمن ستارا بين الحس والالم القلب ينبض · الجسم حى · الحس هناك بعيدا · سبق الجسد المسجى ·

وأحد نف.. مع زملائى فى سرادق

وسارت الجنازة خطوات ·· فاذا بموج بشرى يطبق علينا ، فتصبح قطرات وسط بحر من البشر · واشتد الضغط من ورائنا واوصانا الزملاء المشرفون بالميل الى جانب الطريق ·· وتابعنا رؤية الجنازة من تليفزيون رئيس مجلس الشعب ··

وتركزت عينى على النعش · رؤية تختلط فيها الحقيقة بالخيال :

كنت اراه امامى احيانا زورقا ابيض بخطوط خضراء يسبح فى نهر من الزهر ·

واراه احيانا كالطير السابح ، يحرك راسه يمنة ويسرة ، والبشر من حوله موج تحركه رياح المحبة والوفاء· والاصوات فيه حفيف الشجر كل ورقة فيها كلمة طيبة ·

كان هذا اكبر حفل لام كلثوم ··

الذين تجمعوا وراء نعشها اكبر ممن شهدوا اى حفل من حفلاتها ·

فى صمتها بليغة ·

حـــكام ومحكومون • قادرون وعاجزون :

« كل من عليها فان ويبقى وجـه ربك ذو الجلال والاكرام » (الرحمن: ٢٦ ـ ٢٧) •

ـ وبعد الحشد والحشود :

« وكلهم آتيه يوم القيامة فردا » مريم : ٩٥) •

ـ وبعد الهتاف والنشيد :

« وخشعت الاصوات للرحمـــن فلا تسمع الا همسا » (طه : ١٠٨)

ـ والامل •• كل الامل ان نسمع بعد رحلة الحياة :

« يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادى • وادخلي جنتي • (الفجر: ٢٧ ـ ٣٠) •

ـ وما نهاية المطاف المرتجى :

« مقعد صدق عند مليك مقتدر » (القمر : ٥٥)



هلل الشرق بالدعـــاء
كوكب الشرق فى السماء
عاد فى حلة الضـــيا
ء وفى هالة البهـــاء
لم يغب هـاجرا ولـ
ـكن كما غربت ذكاء
لا تخافوا على مطـــا
لعه سطوة المساء
واهب النـــور لايدا
ريه عن نوره غشــاء
كوكب الشرق فى امـــا
ن من الليل لامــراء
يا عروس السماع لبـــا
ك من يسمع النـــداء
وشفى انفسنا لعينيــ
ـك تسترخص الفـــداء
انظرى فى وجـــوههم
تعرفى نضرة الوفـــاء

فيه انس لمن يشــــا
ء وسلوى لمن يشــــاء
فيه للمرتجى ســـلا
م والمشـــتكى عــزاء
فيه حرز من الهمـــو
م وعون على القضـــاء
اى نفس اذا تـــســـ
نمت لا تهزم الشقـــاء
انـــه قـــــوة اذا
عز من قـــوة نجـاء
انـــه مـــســـن غنى اذا
حسب الصوت من غناء
انــــه ثـــروة لمصر
وما اجــــزل الثراء
مهـــرجان لعيـــدها
حيثما رفرف اللـــواء
وعلى الجرح ان شـــكت
بلسم ناجع الشـــفاء
ايهــــا الكوكب الـــذى
اسعد الارض باللقـــاء
ردد الطرف فى الفضا
ء وما ارحب الفضـــاء
واساليه ســـؤال من
يلحن الطير فى الهـــواء
هل ترى فيه مثل صـــو
تك فى الحسن والنقـــاء
فى قديم من الزمان اعـ
ـنى وفى حاضر ســـواء
لا احـــاشى من الرجـــا
ل قبيلا ولا نســـــاء
لا تجيبى انـــا المجيـ
ـب ولم اغل فى الثنـــاء
انت كالشـــمس لا تعد
د فى هذه الســـماء

عبـــاس
محمـــود
العقـــاد

أم كلثوم

بقلم : أحمد رامي

رنة العود شدوها وصداها ... حنة الناى او انين الكمان
خلقت اهة فكانت عــزاء ... من هموم الحياة والاحزان
وجرت دمعة فكانت شــفاء ... للمعنى ورحمــة للعانى
وسرت انة فكانت غنــاء ... يطلق الروح فى سماء الامانى
وبراها الخلاق من خفــة الـ ... ـظل ومن رقـة النسيم الوانى
وترا مطرب الحنين اغنــا ... ولهاة كالخــالص الرنان
يرسل الشعر منطقا عربيــا ... بين الآى واضح التبيــان
تتناغى الالفاظ فيــه من الـ ... ـنطق سليما وتستبين المعانى
فاذا صــورة تجلت الى الــ ... ـعين وغابت فى مستقر الجنان

هذه صورة عابرة لتلك القصرية الساحرة التى تملأ الشرق طربا وأدبا عرفتها فى مستهل حياتها الغنائية بالقاهرة يسمعها الف ينصتون اليها فى استغراق فتحملهم على اجنحـة الطرب الى حيث تسـبح الارواح وتتناجى القلوب ٠

وظللت اسمعها الى الان فما وجدت اعذب منها صوتا ولا امد نفسـا وما لقيت اسلم منها اداء ولا اشد اخلاصا للفن ٠

يعرض عليها اللحن فتتحـول لصاحبه : « اسمعنى » وتسمعه وهى مقبلة على هذا الجديد من النغم وفى وجهها اشراقة السرور ، وتظل تنصت اليه ساكنة ثم تقول له : « اسمعنى» وتسمع وفى صدرها هدير النغـم وعلى شفتيها غمغمة الخالى بنفسه ثم تقول له : « اسمعنى » وتغنى معه بصوت خافت لا يقطع عليه انطلاقه فى الغناء ، ثم تنظر اليه وهى تقول : « الان اعزف انت وأغنى انا » ثم تغنيه وحدها وهو يعزف ، فما تنث عن الاصل قيد شعرة ، وقد تضيف اليه من الوان صوتها الفنية مايزيده عذوبة وحلاوة ٠٠

بدات حياتها الغنائية تنشد القصائد من غير آلة تفتح لها باب النغم ، أو تضبط لها الإيقاع ، او تسير معها في الطريق الى المقام ، ولكنها اخذت وهي مبتدئة تتعلم العود والطبقات • وكان لها على كثرة اسفارها وقت وقفته على الدرس ، وهي بعد ذواقة دقيقة الاحساس تفطن الى الخفي من الجمال في القول الكريم واللحن الرخيم ، فلا تكتم عن صاحب اللحن اعجابها بما ابدع ولا تخفي عنه رغبتها في اطالة أو مد ، أو ميلها الى سبيل جديد لاستقرار النغم •

واحسب أن اللحن لها يقتبس من فرط اعجابها وحسن ادائها شيئا جديدا يضيفه الى ما ابدع ••• وهي شديدة الاخلاص لهذا الفن •

سهرنا ليلة نسمعها حتى امتد بنا السهر الى اخريات الليل ، وطوى بساط الطرب ، وقمنا وكلنا من غنائها ريان ، فسالتها وقد بدا على وجهها السرور بالغنـاء والاستماع : « ماذا تريدين الآن » قالت : « اريد صحبة من خيار سامعيكم اظل اغني لهم حتى يتبلج الصباح ! »





أم كلثوم

ورأيتهـــا تغني ذات ليلة وعلى وجهها مسحة الاعياء ، وفى صوتها نبرة الوهن ، وأسرعت فى فـــترة الاستراحة اطمئن عليها . فوجدت طبيبها يقول : « كفاك الليلة غناء» وهي تقـــول : « لايسرني أن يهرع الناس الي من كل صوب ثم احرمهم متعة سماعي » .

ورأيت الطبيب يعد لها حقنـــة تعينها على الوقوف ســـاعة وهى تشكو المها غناء عذبا وطربا فياضا ... وهى مخلصـــة للفن تشرف بنفسها على كل اعداد للتســجيل ، من مراجعة لآلة كل عـــازف ، ومن تفقد لآلة كل مهندس ، لا يخـرج للناس من صـــوتها صدى الا اذا مر على اذنها الدقيقة فرضيت عنه. وهي فى هذا القول : « الست اسمع قبل ان اغنى » .

وهى مخلصة للفن فى صبرها على مقتضياته ، تحدد موعد العمل فتكون اول الحاضرين وآخـــر المنصرفين وتصبر فى سبيل ذلك على العطش والجوع ، ولا تنـــال آخر الامر من الطعام الا ما مالا يسمن ولا يطعم من جوع .

وتقف امام الاضواء الحامية عند الاشتغال بالسينما حتى ينصهر جسدها وتدمع عيناها وهى لا تشكو ولا تتبرم حتى اذا انتهى العمل على ما ترضى انتحت ناحية قصية وجلســـت فى الظلام مطرقة الرأس مغمضة العينين تعود بنفسها رويدا رويدا الى ظلها المأنوس .

وهي لا تريد في كل ذلك جزاء ولا شكورا الا على الذى تستحقه امام نفسها .

تغني في بعض الليالى غنــاء لا يرضيها وان أرضى سائـر الناس ويهــرع اليها المعجبــون يكيلون لها من ايات المدح ما وسعه تقديرهم فاذا بها تقول : « لا تخدعـوني » ويعرض لها الابــــداع فى بعض الليالى فاسمعها تقول لنفســـها : « آه » فى صـــوت خافت يغيب فى ثنايا النغم .

وهى سريعة الهشـــاشة الى الطـــرب ، تبدأ الآلات تنغم وتتزن فيذهب بها وتغيب نظرتها فى الافق البعيد ، وكأن قوامها المتسرح عود

من البان يترنح فى كف النسيم ،ولولا أن ثوبها الفضفاض يخفى حركات جسدها الرقيق لرايت كل جارحة فيها تتلوى من الطرب ·
وقد تغنى ويأخذها الطرب فيغيم الدمع فى عينيها وتحسار حباته بين جفنيها، فلا تمد منديلها تكفكفه وانما تشربه من ماقيها قطرات خفية ·
ولها فى ليالى الغناء رأى تراه ·

اسألها قبل البدء : « ماذا تغنين الليلة » فتقول :
« اصبر حتى القى نظرة من خلال الستار على السامعين » ثم تلقى النظرة فتفهم روح الجمهور الحاضر، وتسقيه من شراب اللحن ما يهواه·
وهى فى كل ذلك لا تستعين اللهم الا فنجانا من القهوة تأمر باعداده اذا تهيأت للخروج الى الغناء ، ثم تلبس فى غير بهرجة ، ويحين موعد انطلاقها الى ساحة الطرب فتجلس ناحية تشرب ذلك الفنجان ، وقد اصبح باردا لذا للشاربين ··

***

وهى سليمة الذوق فيما تعمل ، ترى الشيء الجديد عليها فتفطن الى حسنه سواء أكان ذلك حديثا شهيا أو رأيا سريا · كنت اقرأ القصيدة الجديدة فيأخذنى منها بيت فريد ، ثم نتقابل ، فأسالها عما يروقها فى القصيدة ، فتشير الى الذى راقنى وملك على اعجابى·

وقد وهبها الله ملاحة فى التعبير عند الغناء ، فوجهها أبدا باسم الا اذا غشيتها غاشية الحزن وهى تغنى ، ولكنها فى ذلك أملح وجها وأجمل تعبيرا ·

ورحم الله ابن الرومى حيث يقول :

تتغنى كأنها لا تغنى · من سكون الاوصال وهى تجيد
لا تراها هناك تجحظ عين · لك منها ولا يدر وريد
أهى شيء لا تسام العين منه · ام لها كل ساعة تجديد

وهى باهرة الذكاء بعيدة النظر تدب الى القول قبل أن يخرج من شفتى قائله ، حاضرة البديهة ترد الدعابة بأحسن منها وتعقب عليها فلا تترك ناحية من نواحيها لاتبدع فيها معنى جديدا أو جناسا جميلا·
وقد يشتاق من يسمع غناءها الى هذه الدعابة شوقه الى سماع صوتها الساحر أما مودتها فى القربى فأمر ينم عنه حدبها على الاهل والاصدقاء ·

لا يمر العيد على من حولها الا اذا اطعمتهم شهى المآكل والبستهم بهى الثياب ، ولا يشكو احدهم خلة او مرضا الا مدت اليه يدا مواسية·
وقد بلغ من برها بأهل بلدها ان سعت الى تعمير مسجده واقامة مئذنته ، فاصبح لها على لسان كل مصل دعاء وتمجيد · وهى فوق كل هذا شديدة الايمان تبدا كل شيء باسم الله وتنتهى منه بحمد الله ، راسخة اليقين تعلم ان توفيقها فضل من الله يؤتيه من يشاء ، وهى تحمده على ذلك فى كل حين ويرضى عنها فترضيه بالاخلاص فى العمل والثبات على اليقين ·

رامى

بقلم : أم كلثوم

« يعجبنى فى كل ما ينظمه رامى ، ترجمته الدقيقة عن مكنونات العواطف وخلجات القلوب ، وسبقه دائما الى التجديد والابتكار ٠



مجموعة روحانية من الاحساس ، الملهم ، والثورة العميقة المكبوتة ، والهدوء الرزين مع ظرف نادر ، وخيال محلق ، وخاطر سريع ، واخلاص لذات الاخلاص ..

ذلك هو ، رامى شاعر الشباب والفنان الذى جدد شباب الاغانى المصرية، وخرج بها من الافق الضيق المحدود الذى كانت تضطرب حائرة فيه ، الى افاق فسيحة عديدة تسرح فيها وتمرح وتحلق ، وتغوص الى اعماق النفوس وتثير شتى الاحاسيس ...

عرفته قبل أن أراه ، من قصيدته الرقيقة التى يقول فيها :

الصب تفضحه عيونه
وتنم عن وجد شجونه
انا تكتمنا الهوى
والداء أقتله دفينه

وكان يومئذ فى باريس مقيما بها منذ عامين ، فلما أطلعنى عليها



استاذي الكبير المرحوم الشيخ ابو العلا محمد ، أعجبت بخفة وزنها ، ورقة الفاظها ومعانيها ، فطلبت اليه ان يلحنها . واخذت اغنيها فى الحفلات العامة والخاصة ، وكلما رأيت شدة الاقبال على سماعها ، ازداد اعجابى بها وبناظمها المرقق المجيد.

الى ان رأيته ـ لاول مرة ـ وكان قد حضر ليسمعنى فى حفلة بحديقة الازبكية عقب عودته من باريس ، وجلس فى الصف الاول منتبها لغنائى بعناية ملحوظة واصغاء تام

فلما انتهت الوصلة كان فى اوائل من تقدموا لتهنئتى ، وعرفنى بنفسه فكان سرورى عظيما بلقياه ، واجبت طلبه فغنيت فى الوصلة التالية قصيدته المذكورة ، ووفقت فى ادائها توفيقا لم اظفر بمثله قبل ذلك .

وكانت تلك الحفلة خاتمة الموسم بالقاهرة ، وسافرت بعدها الى راس البر حيث بقيت هناك طوال مدة الصيف ثم عدت لابدا غنائى فى « تياترو البوسفور » ... وهناك فى الحفلة الاولى ، رأيت رامى قد



رأى

اخذ مكانه فى الصف الاول ، فسررت لرؤيته وغنيت قصيدته دون ان يطلبها • فلما جاء لتحيتى فى فترة الاستراحة ، كان معه بعض اخوانه ، فقالوا انه نظم لى قصيدة جديدة مطلعها :

صوتك : هاج الشجو فى مسمعى
وارسل المكنون من ادمعى

واسمعنى هو ابياتا اخرى منها، ووعد بان يزورنى بعد ايام فى منزلى بحى عابدين ، ليقدمها لى بعد ان يتمها ، وقد كان • ومنذ ذلك الحين والود والتقدير بيننا متصلان ، على انى لم اغن هذه القصيدة الجديدة ، بل غنيت قطعة اخرى ، هى اولى ما نظمه باللغة الدارجة ، وتلك هى اغنية :

خايف يكون حبك لى
شفقه على

وانتى اللى فى الدنيا ديه
فى عنيى

وتوالت بعد ذلك اغنياته التى نظمها لى ، وكلها حافلة بروائع الصور ، وبدائع المعانى والخواطر ، ودقائق الاحساس ومناجاة الافئدة والتغنى بالجمال ... الجمال فى كل ما هو جميل ، حتى ذل الهوى وتباريح الذكريات .

***

ويعجبنى فى كل ما ينظمه رامى ترجمته الدقيقة الصادقة عن مكنونات العواطف وخلجات القلوب وسبقه دائما الى التجديد والابتكار والتلوين والافتنان فى انتقاء الالفاظ والاوزان

محدث ظريف ، لا يخلو مجلسه من نكتة طريفة يبتدعها او فكاهة لطيفة يرويها .

كان مع بعض اخوانه فى وليمة ، فطاب له أن ياكل من « المحشى » المطبوخ بالزيت من غير لحم تاركا ما عداه من الوان الطعام . فقال له احد اخوانه :

ـ كل فراخ احسن ، وسيبك من الشولة « الكدابة » دى ...

فاجاب رامى على الفور قائلا :
ـ يا سيدى انت مالك ، كدابه كدابه ... انا مصدقها ! .

ومازال اضحك كلما تذكرت

(١)

الفن روض انيق غير مسـؤوم ... وانت بلبـله « يا ام كلثوم »
لانت اقـدر من غنى بقـافيـة ... لحنـا يرجعـه من بعد ترنيـم
ياام كلثوم انا شاكرون فقـد ... اتيت طـائرة فوق القشـاعيم
هل انت سـامعة شعرا ابث به ... ياام كلثوم اعجـابى وتكـريمى
لا تحسبى اننى قد قلت مزدلفا ... فليس ذلك من طبعى ومن خيمى

(٢)

ياام كلثوم غنى فالهوى نغـم ... تلذه الشيب والشـبان كلهم
غنى وغنى على الاوتار صـادحة ... فانمـا بالاغـانى تنهض الامـم
من اجل صوت رخيم منك يسمعه ... ياام كلثوم جاء الجمع يزدحـم
قد هزه الصوت المؤار يطـربه ... فهاج كالبحر ذى الامواج يلتطم
غنى قليلتنا من بعد حلكتهـا ... فيها باوجهنا الانـوار تبتسـم
كانما نحن فى حرب تهاجمنـا ... فيها المسرات والاحـزان تنهزم
غنى لنا ثم غنى ان ليلتنـا ... فيها العواطف بالالباب تصـطدم
ان الغنـاء الى محياى يجذبنى ... وان مشت فى طريق الموت بى قدم
الحسن تسمعه كالحسن تبصره ... ما عنهما من غنى ياتى به السام
كلاهمـا يبتغى قلبا ليملكـه ... والقلب بينهمـا فى المرء منقسـم

(٣)

يا ام كلثوم حيينا مغردة   حيى الملائك منا والشياطينا
بلى جئنا بلحن قد شدوت به   وقبل ذلك ماكنا مجانينا
ماذا على اذا آليتفى كبرى   ان لا اغازل الا الربرب العينا

(٤)

غنى وغنى الى أن يظهر الفلق   ويذهب الليل كل الليل والغسق
يا ام كلثوم ان الامر مشترك   فان سكت فاسنا فيه تتفق
يا ام كلثوم غنينا مسألة   فاننا بعد ايام ستفترق
طلعت بعد انتظار كاد يقتلنا   ككوكب فى سماء الفن يأتلق
ما اعمل الفن قد ارخى ذوائبه   وكوكب الفن منه النور ينبثق
قد انتظرنا ونار الوجد واقدة   نكاد من حرها الاناء نحترق
غنى لنا ثم غنى اننا فئة   الى الغناء اذا ما طاب نستبق
ولنغتنم هذه الساعات سانحة   فاننى بصفاء الدهر لا اثق
قالوا الغناء غذاء الروح ينعشه   والحق فيما به فى وصفه نطقوا
فكم تثقف فى ناس به عوج   وكم تهذب فى ناس به خلق

(٥)

اميرة الفن انا من رعاياك   نصبو لشدوك هذا الضاحك الباكى
فى صوتك الفن قد لاقى سعادته   فانه كل يوم لاثم فاك
كان الفنغراف يحكى الصوت منك لنا   قبلا فيا حبذا المحكى والحاكى



الأسطورة

فنانة الشعب

.. وداعا أم كلثوم

العربي

محمد حسن

صوتا « حلوا » يطرق أذنيه من داخل بيته ، وتسمر في مكانه ينصت للصوت الملائكي ، فنفذ الصوت الملائكي الى شغاف قلبه ، وانسابت الدموع على خديه : كانت « الجوهرة » تخشى غضب ابيها ان سمعها تغني ، واذا بها تفاجأ يحتضنها في حنان ويقبلها ... وينمي فيها هذه الموهبة !

وذاع امر الصوت الحلو : ام كلثوم ـ وهذا كان اسم « جوهرة » الشيخ ابراهيم ـ ابنته فكانت نساء القرية يتجمعن كل ليلة في بيته ، يسمعنها وهي تتلو القرآن ... حتى وأجادت تلاوته ـ وهي بعد في الثامنة ، وحرص الاب على « جوهرته » ، وقربها منه ، احبها وأحبته ، فكانت تلازمه كظله ... حتى حينما كان الاب الرقيق الحال ينشد القصائد الدينية والتواشيح في المحافل كانت معه ، وشيئا فشيئا قلدت البنت اباها . وكل فتاة بأبيها معجبة ، فبدات تغني قصائده وتواشيحه كلما خلت الى نفسها ... وضبطتها امها تغني ، فطربت لغنائها ... ولم يصدق الاب اذنيه يوما حينما سمع

دعي الصوت الحلو يوما لاحياء ليلة في بيت شيخ البلد ، والد صديقتها وزميلة الكتاب عائشة ، وشعر الصوت الحلو بالهيبة وظلت هذه الهيبة تلازم ام كلثوم كلما التقت بجمهورها . وترددت ام كلثوم في القبول ، فلوح لها الاب ، بطبق « المهلبية » ، فلم يعد هناك مجال للتردد ، فهي تحب الاثنين : عائشة وطبق المهلبية ... وغنت بنت الثامنة والنصف واطربت وحرص الشيخ ابراهيم بعد ذلك على طبق « المهلبية » في كل حفل تحييه ابنته !

وكان الحفل الثاني في بيت غني عزبة الحوال المجاورة ، ومنه تقاضت اول اجر : عشرة قروش ، ارتفعت الى ٢٥ قرشا عندما غنت بعد ذلك في بيت تاجر غلال في مركز السنبلاوين ... ثم قفز اجرها الى جنيه كامل في حفل احيته في بلدة ابو الشقوق !

وطار صيت المطربة الصغيرة « المعجزة » ... وضاق بذلك اعمام الفتاة ، ابناء اخيهم ، فكان

ابنة الفلاح المحافظ هو البيت ... والاذعان للاب ، واطاعت البنت . وفجأة عاود الشيخ ابراهيم الحلم ، فقد نهض من نومه فزعا على حلم مزعج ... وعادت الصغيرة الى الغناء ، بشرط ان ترتدى العباءة والعقال ، ولا يظهر منها غير وجهها !

وبدأت رحلة الفن من الصفح ، وشقت ام كلثوم طريقها فى الصخر

باظافرها ، وانتقل صيتها من القرية الى المركز الى المديرية ... الى المديريات المجاورة : غنت للفلاحين

فى الحقول ، وغنت لاولاد البلد فى مقاهيهم وغنت تسلى الانتظار فى العزاء ، وغنت « للكمسارية » فى رحلات « قطار الدلتا » الطويلة

المملة ، ونقلها صوتها الملائكى من الدرجة الثالثة الى الثانية الى

الاولى ، وغنت فى الليل الطويل المقفر عائدة من حفل سيرا على

الاقدام ، وتعلمت الصبر فى مدرسة الحياة و ... « تعبت كتير ، وغنيت فى عز البرد والمطر « بيرخ » على المكان اللى باغنى فيه » ..

وفى سبيل الفن ، ومعاونة الاسرة رفضت الخطاب من الاعيان والتجار والعمد ، ولم يرهبها التهديد : فضلت المشقة على الراحة ، و« الجبن

والمريس » على الطعام الفاخر ، واكواخ القرية على قصور الاغنياء ، ومسحت مصر طولا وعرضا . ووسط المشقة والحرمان كان يداعب خيالها

امل : ان تلتقى بالشيخ ابو العلا محمد ، الذى سمعت صوته فى « فونوغراف » شيخ البلد ، والد صديقتها عائشة .. واخيرا حانت

فنانة الشعب العربي

الفرصة ، التقت به على رصيف محطة السنبلاوين ، واستمع الشيخ

أبو العلا الى ام كلثوم ، فبهرته ، ونصحها بالسفر الى القاهرة ... كان ذلك فى عام ثورة ١٩١٩ ،

ولكنها لم تسافر الى مصر الا بعد ذلك بعامين ، لتحيى فرح كريمة

جزار فى حى كوم الشيخ سلامه ، قرب العتبة الخضراء .

ثم جاءت فرصة ام كلثوم الكبيرة ، دعيت لاحياء ليلة الاسراء

والمعراج فى سراى عز الدين يكن باشا ، فى حلوان ، ولكن عاصمة بلادها استقبلتهابمفاجأة غير سارة :

لم يرق للباشا منظرها ، فامر خدمه بحبسها وبطانتها فى « البدروم » .. بعيدا عن انظار المدعوين . وفى البدروم انشغل الشيخ ابراهيمبتلاوة

القرآن ، بينما ام كلثوم وبطانتها ينصتون الى الشيخ اسماعيل سكر

يحيى الحفل الباذخ فى حديقة القصر ، حتى استسلمت للنعاس ..

وأراد المدعوون أن يضحكوا على القروية التى جاءت من اعماق الريف ،

فأيقظوها من نومها ، وساقوها نصف نائمة تتعثر فى السجاجيد

القاهرة ، حتى أصبحت وسط الدهسوين ... ولكن حينما غنت القروية ، سيطرت على القلوب والاسماع !

بعد هذه التجربة عادت الريفية الى قريتها ، ولكن الحاج الشيخ ابو العلا محمد دفعها الى العودة ..

بعد ذلك ، وعن طريقه تعرفت بالشاعر احمد رامي ، الذى كانت تغنى قصائده قبل أن تراه ... وغنت له بعد ذلك اكثر من ١٢٥٠غنية،

ولحن لها الشيخ ابو العلا محمد اكثر من ٣٠ لحنا ، ذاعت فى كل مكان وسجل بعضها على اسطوانات ... ولحن لها داود حسنى ٣٠ لحنا ،



ام كلثوم بين ابناء الوطن العربي الكبير .. حب متبادل دائما

ومرة أخرى تستقبلها العاصمة بمفاجأة غير سارة : تشلوا نقودها

واستأجر الشيخ ابراهيم غرفة فى فناء عمارة الدرى بشارع قوله

بعابدين ، ليكون قريبا من آل عبد الرازق ، الذين شملوا الوافدين برعايتهم .

ولازمها الشيخ ابو العلا محمد

وزكريا احمد ١٥٠ لحنا ، ورياض السنباطى ٩٠ لحنا ، ومحمد

القصبجي ٨٠ لحنا . فضلا عن الحان محمد عبد الوهاب وبليغ حمدى وكمال الطويل والموجى ...

وكان اول اجر تتقاضاه عن

اسطوانة ثمانية جنيهات ، قفزت الى ٥٠ جنيها بعد ان نفدت الاسطوانة

فنانة الشعب العربي

الاولى بسرعة من الاسواق .

وظلت ام كلثوم تغنى فى الحفلات الخاصة حتى سنة ١٩٢٣ ، حينما احيت اول حفل على المسرح وهى لاتزال ترتدى العباءة والعقال ... الذى لم تخلعه الا سنة ١٩٢٧

ونجح الحفل نجاحا كبيرا ، حضر مطربات عصرها وعلى راسهن

منيره المهدية ، فحملن عليها حملة شعواء ، ولكنها لم تيأس : تشبثت بفنها الاصيل فى اصرار حتى قضت على الحملة المسمومة ...

ومضت ام كلثوم فى طريقها ، ولم تعتمد على موهبتها فقط ، بل درست وتعلمت ودربت نفسها تدريبا قاسيا ، وتحول بيتها الى صالون ادبى يجمع المشاهير يوم الجمعة

من كل اسبوع . وكان امير الشعراء احمد شوقى قد دعاها لقضاء سهرة فى « كرمة ابن هانىء » مع مجموعة من الشعراء والادباء ، وهناك غنت وابدعت ، وفى ظهر اليوم التالى فوجئت به يزورها ويهديها قصيدته « سلوا كئوس

الطلا » . وكانت ام كلثوم معجبة بامير الشعراء تحفظ الكثير من شعره ، واعجبت بقصيدته « سلوا قلبى » ، خصوصا البيت الذى يقول : « وما نيل المطالب بالتمنى

ولكن تؤخذ الدنيا غلابا »

الذى ايقظ غريزة الكفاح ، فقررت ان تغنى القصيدة رغم معارضة اصدقائها بحجة ان « السميعة »

يحضرون للطرب لا لسماع الوعظ والارشاد ، وصممت ام كلثوم ، ونجحت الاغنية ، وكانت رائدة فى الاغنية الوطنية ...



وكان صوت ام كلثوم اول لحن تفتح به الاذاعة المصرية حفلاتها الخارجية ، ومنذ ذلك الحين بدأت شهرتها تقضى على مكائد الموتورين والحاقدين ، وزاد الاعجاب بها حتى أصبحت مطربة مصر الاولى ، وكوكب الشرق ، وسيدة الغناء العربى ... لقد كانت هى المعجزة التى ألفت بين قلوب العرب ... قبل أن تبدأ الجامعة العربية بزمان طويل !

ظلت ام كلثوم تحيى موسمها الغنائى حتى مساء الخميس ٧ ديسمبر سنة ١٩٧٢ ، حيث كان اللقاء العاشر بينها وبين الموسيقار محمد عبد الوهاب فى أغنية « ليلة حب »، ومع ذلك فقد كان اللقاء الاول فى العشرينات ، وفى بيت الموسيقى ابو بكر عزت بالسيدة زينب ، حيث أشتركت معه فى غناء ديالوج من اوبريت «العشرة الطيبة» التى لحنها الموسيقار سيد درويش

ولقد غنت ام كلثوم لمعظم شعراء مصر والعالم العربى، وخلال عمرها الفنى قامت ببطولة ستة أفلام ، ابتداء بفيلم « وداد » ، وانتهاء بفيلم « فاطمة »، الذى وصل ايراده الى نصف مليون جنيه !

ولم تكن ام كلثوم مجرد مطربة ، لقد كانت طرازا فنيا فريدا : ظاهرة جديدة فى عالم الغناء ، مصرية تعتز بوطنها ، وعربية شديدة الايمان بعروبتها ، فلاعجب اذا نالت قلادة النيل ، ووسام الاستحقاق ، وقلادة الجمهورية ، وجائزة الدولة التقديرية ، ولقب فنانة الشعب فى مصر ... ووسام الارز من لبنان ، ووسام الاستحقاق من سوريا ، ووسام الجمهورية الاكبر من تونس ، ووسام نجمة الامتياز من باكستان ... واشادت بها صحافة العالم كلحن ينبعث بالحب والنقاء ، وصوت ساحر يجمع قلوب العرب ... ومعجزة من معجزات الدنيا .

بعد هزيمة ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ ظهر معدن الفنانة الاصيل : لم تستسلم للحزن ، بل قالت كلمتها المشهورة : « لن اغنى حتى يتحقق النصر » وطافت تغنى لمصر فى العالم العربى والغربى ، وتجمع لوطنها الجريح التبرعات ، وبذلت جهدا يعجز عنه الرجال، فلما تحقق النصر فى اكتوبر سنة ١٩٧٣ . بكت فرحا ... خصوصا عندما برزت وحدة العرب أثناء المعركة ، وهى الوحدة التى وضعت بذورها بصوتها الحلو .

وفى ٢٢ يناير الماضى بدأت حالة ام كلثوم الصحية تتدهور ، فاسعفت بالعلاج ، ولكن بعد اسبوع فاجأها نزيف فى المخ ، فنقلت على اثره الى المستشفى ، وبقى قلبها يصارع الفناء ١٠٠ ساعة ، حتى توقف تماما بعد ظهر الاثنين ٣ فبراير الماضى ... تاركة ٢٠٠ اغنية من روائع النغم ، و ٤ الحان لم يسعفها المرض على ادائها ، منها لحن يقول :

«فقلبه الضعف اللى فى .. هو قلبى»!

عـزيـز أباظـة

أم كلثوم..

سعيت فى زحمة الإعلام اسكب من
قلبى الولاء ومن عليـا سرائـره
فى مهرجان حبـاه الفـن روعتـه
وزانه بالاوالى من عشـائره
وقلت اذلف للتـاريخ تقـرحنى
على مشارفه كبـرى مشـائره
يام كلثوم .. بعض الشر ما برحت
آثاره تتجـلى عـن مـآثره
قالوا اعتللت فقلت الله أكـرم من
ان يحرم الشرق من اغلى ذخائـره
والله مـا روعت مصر وقـد منيت
بكل خطب جليل الرزء جائـره
بمثل ما لقيت يـوم احتجـابك من
باس طغى فطواها فى دياجـره
لا تسالى الشرق ماذا ذاق من جزع
ومن رسيس عميق الجـرح غائـره
القى باحـداثه ام تتشـه ـ ومضى
يومى اليك بيـاك من نواظـره
من كـل داعيـة لله نـاذرة
وكـل داع غـريق الطـرف حائره
قـد كـان قبلتهـم روض تحللت به
بعتده النيل ركنا من مشـاعره

« نظمها الشاعر الكبير بمناسبة عودتها من امريكا بعد شفائها عام ١٩٤٩ »

اعتذار الدهر

الحمد لله عاد الروض بهجته
واستروح الشرق معتزا بطائره
الم اقل لك ان الشر ما برحت
آثاره تتجلى عن مآثره ؟ !
قالوا نكرمها .. والهاء معرفة
فقلت من غيرها اولى بتكريم
علوية الصوت صاغ الله جوهره
مطبوع الجرس مبسوط السلاليم
تشدو فتسكب فى الارواح صافية
من سلسل من رحيق الخلد مختوم
ما انت فى الناس ؟ روح عذبة لطفت
اذابها الله في عليسا الترانيم
ما انت الا الذى شفت سلافته
فى بسمة الصبح افواه البراعيم
ما انت الا اعتذار الدهر فريه
لكل عان ومظلوم ومكلوم
ما انت الا ابتسام الله جاد به
ورحمة الله عمت كل محروم
سمراء من قرية من كان يعرفها
فى اى ناحية او اىّ اقليم
هزت ربى الشرق هزا فاستدار لها
وقال من تلك فى فخر وتعظيم
تلك التي ازدانت الدنيا بها
غنية باسمها عن كل تقديم
« طماى » انجبت للاجيال معجزة
عزت وطالت فكانت ام كلثوم !

رحلة الشهر

مهرجان السودان الكبير

« اننا لنود ان نكون امة قارئة ، وامة كاتبة ... امة تقرأ الفن ، وتكتب الفن ، وتعيش الفن وتحياه » .

هكذا كان يقول دائما صديقنا الاديب السوداني الراحل معاوية محمد نور ، الذى ودع الحياة وهو فى ريعان الشباب .. فى اواخر الثلاثينات او اوائل الاربعينات .. لا اذكر بالضبط .

كان معاوية يجالسنا كل ليلة فى ندوتنا الادبية بقهوة ريجينا بشارع عماد الدين – وقد زالت الآن – وكانت هذه الندوة تضم كل ليلة محمود تيمور وابراهيم ناجى وحسين فوزى

وابراهيم المصرى وطاهر لاشين وخيرت سعيد وبقية ذلك الرعيل الكريم من ادباء العصر

تذكرت معاوية – رحمه الله – وانا اقرأ كلمته تلك ، التى بدأت بها حديثى ، على رأس صفحة من صفحات برنامج المهرجان الكبير الذى اقامه المجلس القومى السودانى للآداب والفنون

فى شهر يناير الماضى وافتتحه الرئيس جعفر نميرى ، فكان أعظم مظاهرة ثقافية فى تاريخ السودان المعاصر ، حيث شمل معارض للفنون التشكيلية والجمالية ، ومعارض للكتاب ،



الرئيس السودانى
جعفر نميرى . . .

ومؤتمرات للدراسات الادبية ، ومهرجانات للشعر فى مواقع متعددة من العاصمة المثلثة .

وقد اسهمت لجنة الشعر بالمجلس المصرى لرعاية الفنون والاداب فى ذلك المهرجان الكبير ، بوفد من أعضائها يتألف من الاساتذة الشعراء محمد مصطفى الماحى ومحمد عبد الغنى حسن والدكتور محمد عبد المنعم خفاجى وعامر محمد بحيرى والدكتور عبده بدوى وروحية القلينى ، كما ضم الوفد الشاعرين انور حنا سعد وعلى الزامل الفائزين بالجائزة الاولى (مناصفة) فى المسابقة الشعرية الكبرى التى نظمتها وزارة الثقافة المصرية عن ابب العبور .

وكان ابب العبور وابب النيل هما المحوران اللذان دارت حولهما قصائد شعراء مصر ، واكثر شعراء السودان .

وقد لقى أعضاء الوفد المصرى حفاوة بالغة من اخوانهم السودانيين ، ومن وزير الثقافة والاعلام الذى اتاح لهم مشاهدة معالم العاصمة المثلثة وزيارة خزان جبل الاولياء ومشروعات الرى الكبرى فى محـــافظة الجزيرة وعاصمتها واد مدنى ، والجامعة الاسلامية بأم درمان وبعض معالم النهضة الصناعية فى البلد الشقيق .

وشارك ادباء مصر فى الندوات الادبية التى عقدت طوال ايام المهرجان واثيرت فيها عـدة قضايا معاصرة ، كقضـية استخدام اللهجات الدارجة فى الحوار القصصى ، وقد انبرى الاستاذ ثروت اباظة لمناقشة هذا الاتجـــاه ودعا الى التزام الفصحى فى لغة القصة والرواية، ارتفاعا بمستواهما، وتوحيدا للفكر العربى .

ولا شك ان التألق الكبير لهذا المهرجان فى سماء الفكـــر العربى ، يحدونا الى الدعوة لمزيد من الاتصال الفكرى باشقائنا فى الجنوب ، الذين يجد القارىء نماذج نبيلة من عواطفهم نحو مصر فى هذا العدد ، وسيجد مزيدا من هذه النماذج فى الاعداد القادمة ان شاء الله .

***

واخوتنا فى السودان الحبيب عاتبون علينا ..

وعلى التخصيص ، عاتبون على صـحافتنا اليومية ... والاسبوعية كذلك ، فقد اقاموا هذا المهرجان الثقافى الكبير ، ومع هذا ، فان الصحف المصرية ، اليومية والاسبوعية ، لم تشر اليه بكلمة واحدة ، بينما حفلت صـــحف السودان واجهزتها الاعلامية ، من اذاعة وتليفزيون ، بانباء المهرجان والمشاركين فيه ، وبالاحاديث لهم وعنهم .

احب اولا ان اقول لاخوتنا العاتبين - وهم على حق في عتابهم - ان تغاضي هذه الصحف عن الاحتفــــاء بالمهرجانات الثقافية ليس ظاهرة جديدة وضحت في مناسبة مهرجان العاصمة المثلثة ، بل هي - بكل أسف - ظاهرة برزت من نحو ربع قرن، وتكررت في مهرجانات الشعر ومؤتمرات الادب التي شاركنا فيها ببيروت ودمشق وبغداد وتونس وسائر العواصم العربية ٠

كنا نرى صحف هذه العواصم وأجهزتها الاعلامية تحتفي بكل مهرجان شعرى ومؤتمر ادبي حفاوة بالغة ٠٠ بينما صحفنا لا تشير اليها بكلمة واحدة ٠٠٠ في الوقت الذي تكـرس فيه مساحات واسعة لانباء الجريمة ، وانباء كرة القدم ، وانبـاء الراقصات الفاتنات !

ولعل هذا العدد من « الهلال » الذى كرسنا الكثير من صفحاته لحصاد مهرجان العاصمة المثلثة الحبيبة ، يكفر عن قصور سائر صحفنا ، ويخفف من عتاب احبابنا في الجنوب٠

قصـــيـــدة لأم كلــثــوم

ذكرنى الصديق الكبير ، الشاعر حسن الحطيم ، في رسالة كريمة منه ، بأبيات من نظم ام كلثوم ٠

وكانت مناسبتها ان اعضاء نادى التجارة - في الثلاثينات - كانوا يحرصون على حضور حفلات ام كلثوم ٠ وكان ثمن التذكرة مائة وخمسين قرشا ٠

وذات ليلة من لياليها ، اعتذر حسن الحطيم من عـــدم الذهاب مع الذاهبين الى الحفلة ، بحجة البرد ، قائلا : لماذا ادفع مائة وخمسين قرشا وانا استطيع ان اسمعها في الراديو ببضعة مليمات ، هى ثمن الكهرباء التى يستهلكها الراديو ؟

فاسمعوا القصة كاملة من هذه الرسالة التى تلقيتها من الشاعر حسن الحطيم بعد رحيل ام كلثوم :

« عزيزى الاستاذ صالح جودت ٠٠٠

احييك تحية طيبة واسأل عن صحتك الغالية واعزيك واعزى نفسى واعزى مصر في نجم مصر الذى افل واعزى الشرق في كوكب الشرق العربي الذى انطفأ بعد ان كان يملأ الدنيا إشعاعا ونورا ، ويغمر المحافل بهجة وسرورا ، وينشد شذاه في كل ناحية اريجا وعبيرا ٠٠٠ هذه الفنانة القوية بفنها العريق وصوتها

الساحر وذوقها الرفيع وذهنها اللماح الصافى وذكائها الخارق وقوة ملاحظتها وحسن ادائها وجودة القائها وجمـــال تعبيرها وتفوقها في كل ما يصدر عنها على السواء ٠

***

لعلك تتذكرها تفد على نادينا « نادى التجارة العليا » تحيى حفلاته فى كل ظرف ومناسبة تشع عليها من نورها أنسا ونورا ... عرفتها منذ انشاء النادى من اكثر من خمسين عاما ريفية بين الريفيات متحضرة بين المتحضرات انيقة دائما رفيعة مترفعة على الدوام ، تندمج فى أرقى الاوساط والمجتمعات فتسمو فيها فى أدب دون زهو وفى تواضع محبوب مقبول تثقف نفسها تجيد الادلة وتحسن التعبير والالقاء ولا بد أن بداءتها بالقرآن وحفظه كان له احسن الاثر فيما كان يملؤها من ثقة بالنفس ومن عفة وثبات ، كان صوتها قويا ، وكان خلقها قويا ، وكان ذهنها قويا وكانت شخصيتها قوية ٠ وكانت ذاكرتها قوية تفد على نادينا فتحيى هذا وتحدث ذاك كلا بمقدار كان لها بنادينا ـ كما تعرف ـ أحسن الصلات وزادها حسن صلتها بادارته ورئاســــته بل بالشركة التى كانت تتكون من بعض أعضائه من رئيس النادى والشركة « شركة أفلام الشرق » التى أخرجت معها فيلم «سلامة» كان رئيسه وعميــــدنا المرحوم عبد الله اباظه يشرف على تلك الشئون وكان من فنانة الشرق بمثابة الاخ الكبير ..



فقيدة العــروبة
وفنـــانة الشرق
ام كلثــــوم

كانت فنانة الشرق فى فيلم « سلامة » كما سمعنا جميعا من زملائها بالفيلم فنـــانة مغنية وممثلة معا تبلغ فى التمثيل القمة كما بلغتها فى الغناء ٠

كانت مرحة فى وقار ، وكانت خفيفة الظـــل صــافية الروح حاضرة النكتة سريعة البديهة ٠

لعلك لاتزال تتذكـــر مساجلاتها ودعــاباتها مما أشرت الى بعضه فى « الصباح » وفى « المصور » عنى وعنها وعن حبيبنا المرحوم عبد الله اباظه رئيس نادى التجـارة ووكيل وزارة التجارة فى الاربعينات ، حينما اضفت الى ام كلثــوم

انها لم تكن محدثة فحسب بل كانت أديبة شــاعرة كما كانت فنانة ساحرة ٠ اذكر انها كانت تغنى فى حفلاتها الاســبوعية أو الشهرية فى حديقة الازبكية وكان ثمن التذكرة جنيها ونصفا ودعانى صديقى الحبيب المرحوم عبد الله اباظه أن أرافقه بعد الانصراف من النادى الى الحديقة لنستمع فيها لام كلثــــوم فاعتذرت عن عدم استطاعتى ذلك لشدة البرد ، مكتفيا بسماعها

فى الاذياع ببضع مليمات هى ثمن الكهرباء ونما ذلك لام كلثوم وفى أول لقاء لها سألتنى أن أسلمها ١٥٠ قرشا ريثما تصرف ورقة مالية كبيرة لتعطى المبلغ لعامل الشركة والنادى ففعلت ثم

ادركت انها فعلت ذلك ردا على ما كان منى ازاء سماعها فكتبت لها هذه الابيات :ـ

قل للتى بغنـــائها سـلبت قلوب الســـامعين
لا تســـــلبيهم مالهم بوشـــاية المتامـــرين
يكفيك انك قـــد ملكت عقولهـــــم لو تعلمين
بـــددت مالى عنـــوة ومضـــــيت لا تتلفتين
وتركت فى قلبى لهيبـــا محرقـــــا لو تعرفين
ســبحان من اعطاك ســحرا نافذا فى كل حين

يدع العنيد مســـلما والصـــلب من اعجب يلين
ردى نقودى والفوائــــــد تربحى طول الســـنين
انى احلف عليك من دعـــــوات موتـــور حزين
لا تسمعى قول الوشـــاة فلم يكونوا مخلصـــين
ثم ابعثى لى بالنقـــود لتكســـبى دنيا ودين

وهذا رد أم كلثـــــوم :
عجبا لطـــالبنى وايم الحق من منا المدين
انا التى اشقى لكسب العيش من عرق الجبين
ام انت حين تعيش محظـــوظا بمال الاخرين
وترى ســـماعى دون بالشـــمال أو اليمين
لاخـــذت حقى بعد جهـــد ثم صرنا خالصين

اللـــــه ... والنـــيـــل ... والحـــب

لو كان محدثى فقيراً ما شكوته اليك أيها القارىء ولكنه رجل ذو مكانة ، وذو وجاهة ، وذو مال.. لقيته فى معرض الكتاب العربى ، الذى اقيم بالقاهرة فى الشـــهر الماضى . وماكنت اعرفه ، ولكنه عرفنى بنفسه ، ثم بادرنى بقوله انه لمح لى فى

جناح الهيئة المصرية العامة للكتـــاب ، ديوانا لى صدر منذ أيام ، عنوانه « الله والنيل والحب »... وقد أعجبته طباعته وجلدته وأوراقـــه الخضراء ، حتى انه هم بشرائه ، لولا انه عرف ان ثمنه ثمانون قرشا .

وأضاف : وهذا كثير

قلت له ، وأنا اتأمل ضخامة كرشـــه : بكم تشترى كيلو اللحم ياسيدى ؟

قال : بمائة وستين قرشا
قلت له : فهل يعزّ عليك ان تشترى ديوان شعر ، احرق فيه

الشاعر بسنوات من عمره ، وثمن نصف كيلو من اللحم تأكله في ربع ساعة ·

صاحب « الفتى مهران »


عبد الرحمن الشرقاوى

لا أزال عند رأيي في الشعر الجديد ، ولا أحسب انني سأحيد عنه حتى تجمعني بالخليل بن احمد غرفة في الآخرة ·

وصديقنا الاديب الكبير عبد الرحمن الشرقاوى ، يعرف رأيي هذا ، ويختلف معي فيه ، لأنه يمارس الشعر الجديد من حين الى حين ·

ولكن من حقه علينا ان نطبع على جبينه قبلة تهنئة كبيرة على فوزه بجائزة الدولة التقديرية للآداب هذا العام لا لمجرد أعماله الروائية العملاقة ، بل لأنه الى جانب ذلك استطاع ان يقنع خصوم الشعر الجديد - وأنا من أشدهم ضراوة في هذه الخصومة - بأن هذا اللون من الكتابة ، وان لم نعترف به كشعر غنائي ، الا انه يعتبر لغة جديدة طيعة للأعمال المسرحية ، والنموذج الناجح لذلك ، مسرحية « الفتى مهران » لعبد الرحمن الشرقاوى ·

وهناك قيمة أخرى من القيم التي احتشدت في هذه المسرحية ، هي انها كانت تمثل صوتا من اعلى اصوات المعارضة في عهد السيف والنطع · ولعل هذه القيمة كانت واردة في وجدانات أعضاء المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب ، وهم يمنحون اصواتهم للشرقاوى ·

الثعلب الباكي

صدى كلمة الاستاذ صالح جودت « الثعلب ما يزال حيا »

مبكاه هناك ينوح به ... من قهر الشمس بمغربه
قد صار شجيا ملتاعا ... والمر سلوب مشربه
ما عاد يردد صيحته ... والقسر يلازم غرته
والصبر عليه بمرده ... والقدر يباكر حسرته

***

قد عاش بمكر ودهاء ... يخفي الوان البغضاء
في جمر الحقد ليشعله ... نارا سعرها بغباء

***

الليل سواد يطويه ... لا يلقى نورا يهديه

شيطان الشر يحيط به ما عاش بقلب يصفيه

***

في « بدر » اخرى يدده جيش الايمان وشرده
لم يلق عونا يحميه و« الجسر » نخرى اقعده!
واليوم يعود بخسته في ذل مخفي نكبته ؟
والمبكى يجمع احزانه والخزى مقطع شوكته
العالم ابغض مسلكه والحلم له لن يدركه
والارض تعود لاحرار من ذا اعطاه تملكه ؟!

***

لم يبق تفرق كلمتنا يعطيه فرصة نكستنا
الله قوى يرعانا مادمنا نرعى وحدتنا

***

نجمع احرار فلسطين في عزة حق ويقين
والقدس تعود قداسته والمجد الى يوم الدين !

● بور سعيد ●
● احمد عبد اللطيف بدر ●

قرأت هذا الشهر

● العصافير :
مجموعة من القصص القصيرة اللامعة للقاص السورى الموهوب يس رفاعية ، تمتزج فيها الواقعية بالخيال ، وتنتصر فيها ارادة الانسان .

● فجر الصحافة في مصر :
دراسة فريدة وموسعة لتاريخ الصحافة بمصر في عهد الحملة الفرنسية ، تتميز بالاصالة والجدة ، وقد انفق فيها المؤلف ، الدكتور احمد حسين الصاوى ، جهداً جباراً في الرجوع الى مصادر التحصيل بالقاهرة وباريس ولندن ، فجاء كتابه كشفا لفترة مجهولة في تاريخنا الاعلامى ، اربى على اربعمائة صفحة .
(الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب)

● في البحث عن الاوراق :
هي قصة رجل تعسف الزمن في امتحانه ...
قصة مجتمع يسعى بكل سبيل للخروج من ربقة استعمار الجهل والفقر والمرض ، يقدمها في صياغة انسانية رقيقة ، القاص التونسى الشاب محمد بن عاشور .
(الناشر : الدار التونسية للنشر)

● ص . ج ●

صفحة من التراث

خزانة الحكمة

في بغداد وفي عهد هارون الرشيد ـ انشئت « خزانة الحكمة » ... وجمع اليها ما كان قد نقل الى العربية من كتب الطب والعلم ، وما الف من العلوم الاسلامية ، مع ما سعى يحيى بن خالد في جمعه من كتب الهند ، وما وقع للرشيد من كتب الروم في انقرة وغيرها ...

وفي عهد الخليفة المأمون اولى خزانة الحكمة رعايته وعنايته ، فأمر بنقل الكتب وترجمها الى العربية

ولما تولى المأمون الخلافة وانشا مجالس الترجمة وجمع في خزانة الحكمة كتب العلم في لغاتها وفيها اليونانية ، والسريانية ، والفارسية، والهندية والقبطية ، فضلا عن العربية ... وعلم الناس رغبته في تدعيم خزانة الحكمه ، فأتوه بالكتب على اختلاف موضوعاتها واشكال خطوطها .

وتعتبر « خزانة الحكمة » اول مكتبة عامه ذات شأن اسلامي عظيم، ولعلها اول جمعية علمية او جامعة اسلامية يجتمع فيها العلماء للبحث والدرس ، فقد كان هناك مجالس ، للترجمة ، والنسخ ، والدرس ، والتأليف ... فيجلس النساخ في اماكن خاصة بهم ينسخون لانفسهم او لغيرهم بأجور معينة ... وكذلك المترجمون والمؤلفون والمطالعون ... ومن نساخ خزانة الحكمة علان الشعوبي أصله فارسي وكان راوية عارفا بالانساب ، وكان ينسخ في خزانة الحكمة للرشيد والمأمون والبرامكة ، وقد بلغ عهد الترجمة اوجه في خزانة الحكمة .

ومن مشاهير المترجمين في عهد الرشيد (ابو سهل الفضل نوبخت) ويوحنا بن ماسوية ، وحنين بن اسحق ... ومن كان يتردد على خزانة الحكمة للمطالعة أو التأليف محمد بن موسى الخوارزمي المنجم الذى ولاه المأمون منصبا في خزانة الحكم وقد برز في الرياضيات والفلك، وأول من الف في الجبر بل اول من استعمل كلمة « جبر » للعلم المعروف بهذا الاسم ... ومنهم ايضا يحيى بن ابي منصور الموصلي احد اصحاب الارصاد في ايام المأمون وغيرهم ...

كان لخزانة الحكمة قيم يدير شئونها يسمى صاحب خزانة الحكمة واشهر مديريها (سهل بن هارون)

وبعد الرشيد ، في عصر المأمون، ظهر موسى بن شاكر وسطع هو وبنوه الثلاثة محمد وأحمد وحسن في سماء العلم ، فنبغوا في الرياضيات وخاصة الهندسة والفلك والفلسفة ، وانقطعوا للعلم والتأليف ... وكانوا محل رعاية المأمون .

وقد ظلت هذه الخزانة مصدر اشعاع علمي ضخم الى ان دمرها المغول فيما دمروه عندما اغاروا على بغداد سنة ١٢٥٨ .

رسالة طرابلس من

عاطف مصطفى

المفكرون العرب في ندوة

نظمت المؤسسة العامة للصحافة ندوة للثقافة العربية والتعريب اشترك فيها عدد من كبار المفكرين من جميع الاقطار العربية ، بقاعة الاجتماعات بفندق الشاطيء بطرابلس في الشهر الماضي .

وقد افتتح الاخ محمد ابو القاسم الزوى وزير الدولة هذه الندوة وحضر حفل الافتتاح الدكتور علي خشيم وزير الدولة لاتحاد الجمهوريات العربية وعدد كبير من اعضاء السلك السياسي والدبلوماسي ومن المهتمين بحركة التعريب ورجال الاعلام والصحافة وشباب الجامعات في طرابلس .

وقضية التعريب التي اشترك فيها صفوة من مفكري امتنا العربية الحت على الكثيرين منذ زمن طويل للخروج من ازمة حادة تواجه الامة العربية في مسيرتها الزاحفة اليوم بعد ان مزقها الاستعمار بشتى اشكاله وتعدد افكاره وثقافاته ، وهذه الندوة محاولة للخروج بحلول مدروسة لهذه القضية .. وصولا الى شكل يتناسب وظروف أوطاننا العربية .

وقد رحب الاخ الوزير محمد ابو القاسم الزوى في كلمته التي القاها بالمشاركين في الندوة قائلا : « ان قضية التعريب مرتبطة ارتباطا كبيرا بالمفاهيم السياسية ، وعندما نعيد الذاكرة ايام الاستعمار في ليبيا فاننا نجد أن الاستعمار حاول قرض الشعب العربي في ليبيا وطمس كل ما يمثل عروبة هذا التراث ، هذا السبب جعلنا دائما في صراع يومي مع المستعمر ، وعندما قامت ثورة الفاتح من سبتمبر وجدنا ليبيا بلدا ممسوخا فلا هو عربي ، ولا هو اجنبي .. فاسماء الشركات واسماء الشوارع والالفاظ اليومية المتداولة كلها مزيج من اللغات الاجنبية والعربية ... وكانت نظرة المستعمر في كل هذا ليست السيطرة على الارض والبشر ولكن كان

المقصود من هذا هو مسخ الانسان وتخـــريبه من الداخل عن طريق فصله عن تراثه والقصد بالتراث هنا لغة الشـعب وتأتي هذا من المستعمر بتقليل شأن اللغة العربية، ولقد بدأنا التعريب منذ اليوم الاول لقيام ثورة الفاتح من سبتمبر .

« وعندما فرضنا لغتنا في داخل القطر انتقلنا بالصراع الى مرحلة أخرى. هذه المرحلة هي فرض احترام لغتنا على الأجـــانب فطالبنا بألا يدخل البلاد الا من يحمل جواز سفر مدونة فيه المعلومات باللغة العربية الى جانب اللغات المقررة في بلده . ولقد صادفتنا الكثير من العقبات في هذه القضية ولكننا انتصرنا بالفعل في اقرار هـــذا المشروع وهـــذا الانتصـــار ننسبه الى أمتنا العربية في تاريخها الحديث » .

ويضيف الاخ الوزير قائلا للندوة الهلال : ان المعنى الحقيقي للندوة هو أن أمتنا أمة واحدة قضـــاياها واحدة ومصيرها واحد ومشـــاكلها واحدة ، ولا يمكن لأى مشكلة من هذه المشكلات أن تحل اقليميا ...

فاللغة العربية من أولى هـــذه المشكلات التي لا تحل الا في اطار وحدوى ... ونحن نعتبر أن كل الهجمات الاستعمارية التي هاجمت

المنطقة وكذلك محـــاولات التغريب فشلت لأن الامة احتفظت بمقوماتها،

وفي بعض الاحيان رضيت بالتخلف لان التقدم كان يعني تركها لتراثها لتمثل فيه اللغة العربية أهم عنصر

الثقافة العربية للتعريب

الاخ محمد ابو القاسم الزوى وزير الدولة الليبي وبجواره الدكتور علي خشيم وزير الدولة لاتحاد الجمهوريات العربية في حفل افتتاح ندوة الثقافة العربية للتعريب بطرابلس في المدة من ٢٥ يناير الى ٢ فبراير ١٩٧٥



« ان طريق التعريب ليس بصعب كما يتصوره الناس ... ولابد من حسم قضية التعريب وذلك عن طريق توحيد اجهزة التعريب في الامة العربية في جهاز واحد ولو توحد هذا الجهاز في اطار الجامعة العربية فان كل الاقطار العربية ستدعم هذا الجهاز لان انتصاراته انتصار لكل العرب بعيدا عن الحياة السياسية.

« ايضا فيما يتعلق بالدراسة الجامعية لهذه القضية يمكن ان تكون بعيدا عن السياسة وتلتقي عندها مجهودات الجامعات في الوطن العربي وتصل الى مقررات حاسمة في هذا السبيل.

اننا نعتبر ان الاعتزاز بلغتنا العربية اعتزازا بديننا وامتنا واصالتنا وشخصيتنا ». كما واننا نأخذ القضية بالفعل بجدية وحماس نرجو من الله ان تحذو بقية الشقيقات من اقطارنا العربية حذونا واهتمامنا بهذه القضية ...

وبعد ذلك القى د. على فهمي خشيم وزير الدولة الاتحادى كلمة قال فيها :

ان ندوتكم هذه وتلبيتكم الدعوة للمشاركة فيها بارائكم واقتراحاتكم تؤكد هى ذاتها مدى الارتباط العضوى الكامل بين مشرقنا ومغربنا وتثبت اننا نسير في طريق واحد وان اختلفت الاجتهادات والتفسيرات ثم اضاف وزير الدولة الاتحادى الى قوله : ان هذه الندوة تمثل في الواقع تأكيدا للرابطة المتينة والوحدة بين اقطار الوطن العربي ».

ثم دعا د. خشيم الى توحيد مجامع اللغة العربية وأكد على اهمية التعريب في الكليات الجامعية.

وقال : ان اللغة العربية هي ملاذنا وملجؤنا ولكي تستمر هذه الامة فلا بد ان توحد كلمتها وتفرضها على العالم المتصارع ..

واوضح اثر هذه الندوة قائلا : ان البحوث التي قدمتموها والدراسات التي قمتم بها وجهود السابقين المؤمنين، هى اهم مانعتمد عليه في تبين الطريق السليم. وليست الدعوة هنا لاحياء لغة مندثرة ، بل الدعوة الى ترسيخ لغة قاومت العصور ، وطاولت الدهور ، وصمدت في وجه الغزو الفكرى وغير الفكرى، واستطاعت ان تحفظ وجودها ، وتحافظ على وجودنا ، امة عربية واحدة ، تنقل مشاعرنا وتعبر عن احساسنا وتترجم ما في نفوسنا وتصوغ افكارنا ، وتستوعب علومنا وعلوم غيرنا من الامم والشعوب وتؤدى رسالتها في حياتنا الروحية والمادية خير اداء.

ثم القى الاخ محمد سعيد القشاط رئيس تحرير مجلة الوحدة العربية كلمة المؤسسة العامة للصحافة الداعية لهذا المؤتمر العربي الكبير والذى يشمل اكثر من ستين عالما ومفكرا واديبا ومن رجال الصحافة والاعلام .. يقول : ان تفرق العرب كان من نتائجه ضعف اللغة العربية وتزعزع ثقة العرب بانفسهم وبتراثهم ..

« ولذا فان احترام هذه اللغة من قبل ابنائها سيعيد لها مجدا كما

المفكرون العرب

نتوق اليه ، وقد طالب الاخ القشاط ، بتوحيد الجهود المبذولة فى مجال التعريب حتى لا يظل الموضوع خاضعا للاجتهادات الشخصية الفردية .

واضاف الاخ صالح ابو اصبع امين ندوة الثقافة للتعريب وامين تحرير مجلة الثقافة العربية قائلا :

« وما دمنا فى سبيل التطبيق كان لابد من وجود عقبات تواجه القائمين على التعريب فى تعريب المصطلح بالذات ، وحيث أن قضية التعريب ليست قضية محلية فهى تتعلق بلغة العرب جميعا وكان لابد من التفكير فى اقامة ندوة ذات مستوى عربى يحضرها المختصون لمناقشة قضايا ومشاكل التعريب ومحاولة وضع تصور لافضل السبل التى تهيىء تعريبا صالحا للتداول ليس فى ليبيا فحسب وانما فى كل الوطن العربى .

وتجربة الجزائر فى هذا المجال تجربة حية حيث انهم الان بصدد تعريب كامل ولو على مراحل ..

ونحن نعتقد أن تعريب اللغة هو خير ضمان للارتباط القومى .

ملاحظات حول ندوة التعريب :

● ان البحوث التى طرحت فى الندوة استطاعت ان تحيط بالمشكلة من كل جانب وأن تضع الحلول الناجحة لنجاح قضية التعريب ، كما انها استطاعت بما تضمنتها من افكار واراء تحديد حجم هذه القضية ومعرفة ابعادها وقد حسمت الندوة النقاش فى مفهوم التعريب بعد ان وضح ان التعريب يجب الا يقتصر على ترجمة الالفاظ من الاعجمية الى العربية بل يجب ان يرافقه وأن يسبقه تعريب المضمون والمحتوى لما يراد تعريبه ، وكذلك تعريب العرب نفسه ، تماما كما فعل أجدادنا الاوائل .

● **حضر الندوة اقطاب اللغة والفكر فى الوطن العربى ، وقد طرحوا فى الندوة خلاصة افكارهم وارائهم وتجاربهم فى مضمار اللغة والحضارة والتعريب امثال الدكتور جمال صليبا والدكتور صبحى الصالح والدكتور شاكر مصطفى والدكتور ابراهيم السامرائى ، والدكتور خليل حماش ، والدكتور محمد يوسف نجم والدكتور محمود الغول والدكتور محمد السويسى والدكتور انيس صايغ والدكتور محمود نجيب ابوالليل وغيرهم قرابة المئتين عالما واستاذا وباحثا .**

● **حظيت التجربة الجزائرية بالاهتمام الشديد وكان للاخوة المشاركين من الجزائر دورا فعالا من حيث القاء الضوء على تجربة التعريب فى الجزائر وقد خصص يوم كامل لمناقشة التجربة الجزائرية**

● استطاعت الندوة بالموضوعية والفكر العلمى المجرد التى سارت عليه مناقشاتها ان تحرك قضايا التعريب وتدفعها خطوات الى الامام كما استطاعت تعميق دروب التعريب الصحيحة التى سار عليها البعض فى الوطن العربى ، وستكون

المفكرون العرب

مقرراتها وتوصياتها المنطلق والاساس لكل عمل تعريبي في المستقبل ، كما سيرجع الكثيرون الى ما دار في هذه الندوة لحسم اي مشكلة قد تعترض سير عمليات التعريب ·

● كان من اهم الموضوعات التي ركزت عليها الندوة ، ضرورة توحيد الجهود العلمية التي تبذلها المجامع اللغوية والعلمية العربية ، وانشاء مجمع عربي واحد على مستوى الوطن العربي يتولى تنسيق الجهود المبذولة في البحث العلمي والتعريب

● ضرورة القيام بمسح للرصيد اللغوي العربي في الحياة البيئية واليومية وفي الحرف والصناعات اليدوية والزراعية بغية اقرار ماكان منه عربيا في أصله أو بنائه وطرح الدخيل والغريب وكذلك دراسة توحيد المصطلحات بالطيران والنقل البحري والبري والمصطلحات العسكرية وتوحيد اسماء المقاييس والمكاييل والموازين · ثم انشاء مركز يهتم بجمع التراث العربي قديمه وحديثه وتيسير الافادة من هذا التراث للعلماء والباحثين ·

ومن الامور الهامة في هذه الندوة تشكيل امانة قومية عامة للتعريب تتكون من مكتب دائم يمثل الاقطار العربية ، ومهمة هذا المكتب هو جعل هذه الندوة وجميع ما سعت اليه وعملت لاجله بالنسبة للتعريب متواصلا معها ومن مهامه التحضير لاقامة ندوة قومية للتعريب ومواصلة الجهود لوضع مقررات وتوصيات ندوة طرابلس موضع التنفيذ ··

دعم المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي بالرباط والتابع لجامعة الدول العربية لتثمر جهوده في مجال التعريب وذلك بان توفر له الامكانيات المادية والعلمية ·

العمل عن طريق المنظمات الدولية مثل هيئة الامم المتحدة ومنظمة التربية والعلوم والثقافة التابعة لها على تيسير حصول العرب في الارض المحتلة على الكتب العربية الخاصة بالثقافة والتعليم لما هو معروف من أن هؤلاء المواطنين العرب يخوضون حربا قاسية من أجل الاحتفاظ بلغتهم وثقافتهم العربية ·

دعوة جامعة الدول العربية والمؤسسات العربية الى دعم جهود الصومال ونشرها في سائر مراحل التعليم ·

وعلاوة على هذه الملاحظات السريعة فقد كانت القرارات والتوصيات تؤكد بشكل واضح واكيد لتحقيق التعريب على الوجه الاكمل من خلال توحيد كل الجهود العربية بما فيها المجامع العلمية في القاهرة ودمشق والعراق وكذلك أجهزة الاعلام ومؤسساتها الثقافية على مستوى الوطن العربي الكبير ··

وستنشر في الاعداد التالية من « الهلال » بعض الدراسات التي طرحت في هذه الندوة البناءة التي تتصل بمستقبل اللغة العربية في الامة العربية ·



د. سيد كريم

هجرة المسلات

المسلة عبر عنها الفراعنة بكلمة تيحن Tehén أى اصبع الشعاع المضيء – واطلق عليها مؤرخو الاغريق اسم Obeliscos أى الوتد أو الابرة ، وهو الاسم الذى اشتهرت به فى الغرب وترجمه العرب الى اسم « المسلة » أى الابرة .

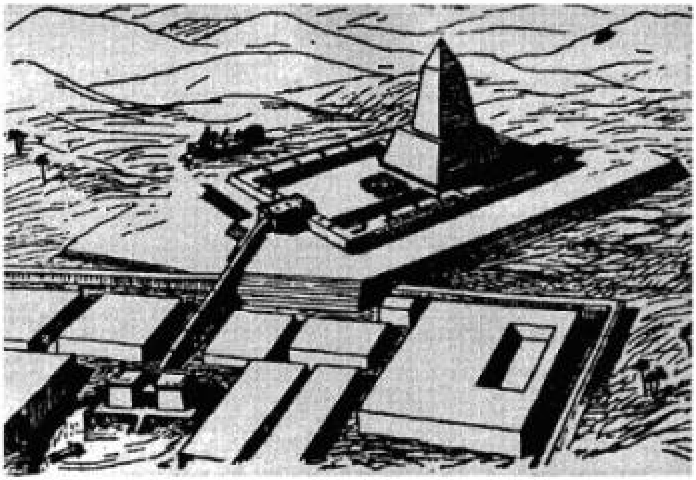
ووصفوها عبر التاريخ القديم بأنها : اصبع الايمان التى تشير الى « رع » اله الشمس المتربع على عرش السماء .

و « اصبع العقيدة المرفوع كرمز لوحدانية الاله خالق الكون وشعلة الهداية التى ارتفعت على عمود الحق لتبدد ظلمات الشك وتنير القلوب بالايمان » .

فذلك الرمز وتلك العقيدة التى خرجت « أون » عين شمس من بيئة الاقدسة لتنشر رسالة السماء فى ارجاء وادى النيل، وارتفعت مسلاتها فى سماء المدن والمعابد والهياكل جعلت من مصر مهدا للعقائد والمعتقدات ومنبعا لرسالات الايمان التى انتقلت لمختلف الحضارات .

لقد اختفت تلك المسلات من سماء مصر فى عصور مختلفة لترتفع قائمة فى عواصم العالم ومدنه ، كان فى مصر ما لا يقل عن مائة مسلة من المسلات التاريخية لم يبق منها قائما فى مكانه بين اطلال المعابد سوى خمس مسلات !.

متى هاجرت ؟ ... وكيف نقلت ؟ ... وأين توجد تلك المسلات ؟



معبد الشمس ـ ابوصير ٢٥٥٠ ق .

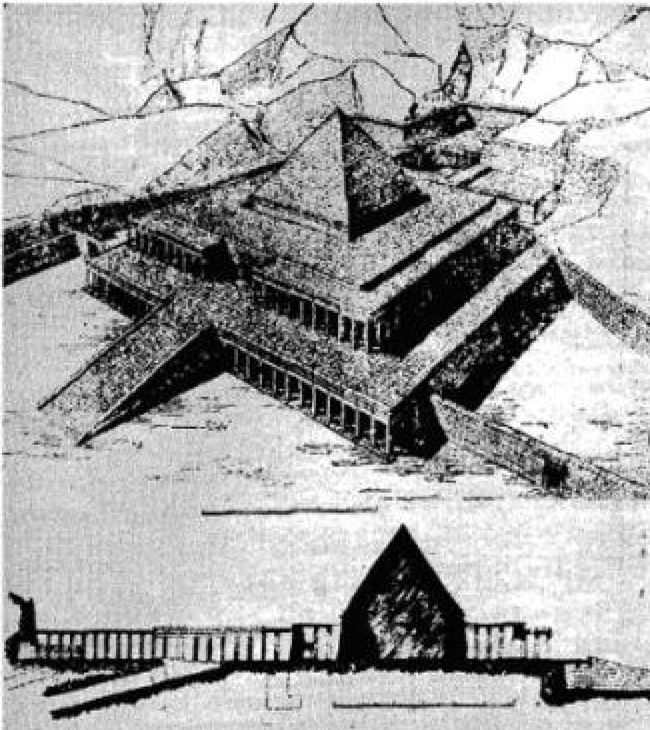
● (هات ـ بن بن) حجر هرمي الشكل ذو قمة مدببة ـ كان اول رمز للدلالة على اله الكـــون .. الاله الواحد رع اله الشمس الذى ظهر فى معبد اون (هليوبوليس) الذى يرجع تاريخه الى عام ٤٢٤٠ ق . م ، وهو التاريخ الذى حدده المؤرخون لمدينة اون عندما اصبحت عاصمة توحيد القطرين الاولى رغم ان منشأ معبدها كما ذكر كل من « ســــولون » و « سترابون » من مؤرخى العهـــد القديم يرجع الى ما لا يقل عن سبعة الاف سنة ق . م . ويعتبر مصدر المعرفة والحضارة والعقيدة فى مصر

وقد حاول الكثير من الباحثين فى حضارة الاطلنتيد الربط بين نشـــأة ذلك المعبد وعلاقة كهنته الذين اطلق عليهم اسم انصاف الالهة واهـــل المعرفة باسرار الكون . وبين حضارة قارة الاطلنتيد التى هبطت تحت سطح البحر ـ كما ورد فى الاســـــاطير القديمة .

وقد حاول بعض البـــاحثين نسبة حجر البن بن المقدس رمز عبـــادة الاله الواحد ومهبط العقائد جميعها الى اهل تلك الحضارة القديمة ، وان كهنة معبد اون اتوا بها معهم من هناك .

● تحوى برديات مؤرخى العصور القديمة العديد من الاســـاطير التى تدور حول ذلك الحجر الهرمى المقدس تذكر بعضها ان الحجـــر هبط من السماء حاملا رسالة عقيدة الايمـــان بالخالق الوضع فى فناء معبد اون الذى بنى حوله ، واون معنـــاها البرج الذى اقيم لرصد اله الشمس « رع » الذى يتـــربع على عرش السماء تظلله القبـــة الســـماوية بابراجها وافلاكها ونجومها وكواكبها السيارة ، جنـــوده فى السماء التى تدور حوله وتتحرك بامره .

وفى اسطورة اخرى يذكـــــر « سولون » ان كهنة عين شمس حملوا الهرم المقدس معهم من ارض اجدادهم عندما امرهم ان يغـــادروا ارض الاطلنتيد ويتجهـــوا شرقا الى ارض « رع » المقدسة ، وهى ارض مصر ، كما دلهم على موقع الهضـــبة التى



معبد منتوحبت الثاني ٢٠٦١ - ٢٠١٠ ق ٠ م بالدير البحري

اقاموا فيها معبد الإله يتوسطه هـرم بن بن ، وتذكرت الاسطورة ان تلك الموقع هو مركز العالم ٠

● يرمز حجـــر بن بن الهرمي الشكل المربع القـــاعدة الى أركان الدنيا الاربعة التي تتجه بقمتها نحو السماء ، ووصف بأنه صنع من حجر كريم معدني المظهر ، ووصفتـــه الاساطير انه كان يعكس اشـــعة الشمس من وقت شروقهـــا الى ان تختفي في الافق ثم يشع ضـــوءها طوال الليل وينير ساحة المعبد حتى يستقبل شروقها ٠

أما الاهرام التي وضـــعت فوق قمة المسلات في مختلف مراحـــل تطورها ، فقد ذكـــرت البرديات التاريخية انها كانت تصـــنع من « السام » او « الالكتروم » وهـــو خليط من الذهب والفضة والنحاس ، وهو التي كانت تطلى به مرايا الزينة العاكســـة ، كما ان معظمها كان يصنع من الحجـــر ويكسى بالواح من الالكتروم تطلى بالذهب ٠

● ومن العقائد القـــديمة التي ارتبطت بهـــرم البن بن ان الشمس تشرق من فوق قمة هرمية ترتكـــز

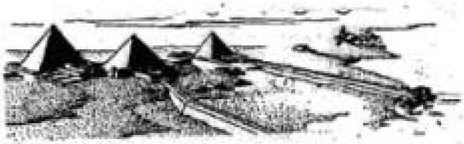


مجموعة اهرام الجيزة « الاسرة الرابعة» ٢٦٨٠ ق.م »

عليها لتصعد الى السماء وتدور دورتها لتعود الى الهرم وتسكن فيه حتى تستريح ، ثم تصعد الى قمته لتدور دورتها مرة أخرى.. ولذا فقد أطلق على الهرم بيت الاله .

كما ارتبطت اسطورة الحجر الهرمي بأسطورة أخرى وهى الطائر الخرافي الذى أطلق عليه القدماء اسم طائر بنو المقدس . وهو الذى أطلق عليه الاغريق اسم الفونكس والعرب اسم العنقاء او السمندل - ووصفوه بانه كان دائم التحليق بأجنحته العملاقة فى السماء متطلعا الى الارض كقرص الشمس اثناء غيابها . وكان لا يحط الا على قمة البن بن او بيت الاله . فاصبحا معا من الرموز المقدسة للاله « رع » التى ظهرت قبل الاسرات رمز الشمس المجنحة التى استعاروا فيها اجنحة طائر الفونكس لتحلق بها الشمس فى السماء .

● لما كان معبد عين شمس (اون) هو نشأة العقيدة فى تاريخ مصر بل فى تاريخ الانسانية باجمعها . فقد خرجت بعثات الكهنة لتجوب انحاء الوادى لتنشر العقيدة وتقيم المعابد،



معبد الشمس ومجموعة اهرام ابوصير

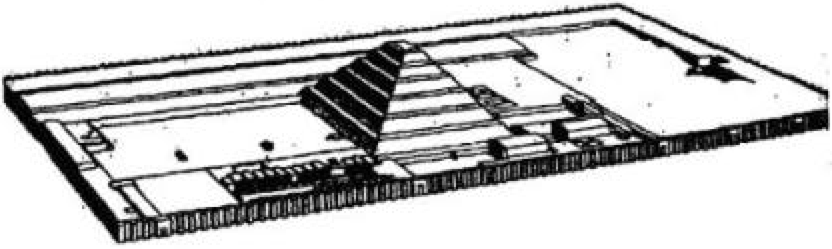


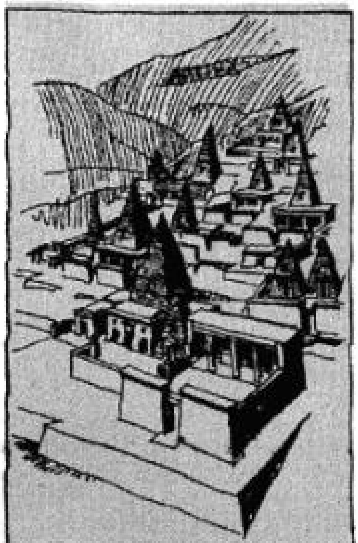
هرم سقارة المدرج ـ سلم الصعود الى السماء ورمز الاله ٢٧٨٠ ق . م

وفي المرحلة التي مهدت للتوحيد الاول للقطرين عام ٤٢٠٠ ق . م . بدأت كل منها بعبادة اله الشمس بجانب المعبودات المحلية ، ثم تطورت العقيدة الى احزاب ائتلفت من ناحية الرسالة وفي التوحيد واختلفت من ناحية اختيار الرموز التي تعبر عن الاله وعلاقة مختلف المعبودات ومكانتها من الاله الخالق .

● عندما خرجت عقيدة رع من هليوبوليس لتأخذ صبغتها الرسمية منذ بدء الاسرات خرج هرم بن بن رمز الاله ليحقق مكانه ومكانته وبناوا بوضع قاعدة يرتكز عليها حتى يعلو على مستوى المعبد وحوائطه فظهرت معابد الشمس المعروفة ، وكانت عبارة عن فناء مكشوف تقوم في مؤخرته مسلة عظيمة عبارة عن قاعدة مربعة تحمل الهرم المقدس .

أن هرم زوسر المدرج بسقارة الذي انشىء في الاسرة الثالثة ٢٨١٥ ق . م والذي وضع تصميمه « المهندس ايمحوتب » ، ما هو الا قاعدة ضخمة أعدت لتحمل فوقها الهرم المقدس ، ويرمز الهرم المدرج الى سلم الصعود الى السماء ، وتمثل





الاهرامات الجنائزية بمقابر دير المدينة ـ « الأسرات ١٩ ـ ٢٠ » ١٢٠٠ ـ ١١٥٠ ق ٠ م

المجموعة الهرمية بمعبدها الجنائزى وأسوارها ومنشآتها نموذجا ضخما لمعبد الشمس ٠

● وفى الاسرة الرابعة ، تطور حجر البن بن المقدس ليقام كتصميم ضخم يرتفع فوق سماء المدينة ومعابدها ، فكان هرم الجيزة الاكبر الذى اقامه الملك خوفو ، الاسرة الرابعة ٢٦٥٠ ق ٠ م ، وهو الهرم الذى قام بدور الحجر المقدس والمرصد والمعبد الذى يحتفظ بأسرار الوجود٠

وفى الاسرة الخامسة عندما انتقل الحكم الى يد كهنة الشمس ، انتشرت معابد الشمس ، كما ظهرت المسلات فى اخر مرحلة من تطورها ، وهى التى صنعت من قطعة واحدة من الحجر، وبدأفيها استعمال الجرانيت والبزالت من الاحجار الصلبة٠ وكان ارتفاع المسلات فى تلك المرحلة لا يزيد على المترين ، واطلق عليها اسم اهرام النذور ، وقد انتشر استعمالها بصفة خاصة خلال الاسرة السادسة، وكانت توضع فى الاماكن المقدسة والمعابد وأمام المقابر وفى افنية القصور والحدائق الخاصة ٠ وقد ورد فى بعض النصوص القديمة الخاصة بمسلات اهرام النذور انها كانت تصنع فى معبد عين شمس نفسه لتكون لها قدسيتها لانتسابها الى بيت الاله « رع » ٠

وقد لعبت اهرام معابد الشمس الجنائزية دورا كبيرا فى مقابر دير المدينة التى ارتفع فى فناء كل مقبرة منها هرم يمثل حجر بن بن ـ كما تطور معبد الشمس وهرمه المقدس ليتوسط المعبد الذى اقامه الملك منتوحتب الثانى فى الدير البحرى عام ٢٠٦٦ ق ٠ م (الاسرة الثانية عشرة) ٠

● وقد ظهرت المسلات الضخمة التى تصنع من قطعة واحدة من الجرانيت الاحمر التى ترتفع قممها عن جدران معبد عين شمس العالية لاول مرة فى الاسرة الثانية عشرة، عندما اقام سنوسرت الاول عام ١٩٧٥ ق ٠ م مسلتين كبيرتين تقربا للاله « رع » ، وبمناسبة احتفاله بعيد السد (أى عيد التتويج) ـ ارتفاع كل منهما ٦٦ قدما ، ولا تزال احداهما قائمة مكانها (وتعد اقدم المسلات الخمس التى لا تزال قائمة فى مكانها) ويبلغ وزنها ١٢٥ طنا ، وقد نقش على كل جانب من جوانبها ما يدل على أن مقيمها هو الملك « سنوسرت الاول (خبر كا ٠ رع) الذى تحبه أرواح عين شمس المقدسة وأجداده من الملوك الذين توفوا قبله٠ تذكارا لعيد سد الثلاثين لتوليه الحكم وهدية لوالده الاله رع » ٠

كما عدد الهدايا المقدسة التى قدمها الى الهة عين شمس لاحياء

ذكرهم ، ومما لا شك فيه ان ملوك الاسرة الثانية عشرة الذين اشتهروا بفتوحاتهم وانتصاراتهم فى تكوين الامبراطورية والتى نسبوا الفضل فيها الى الهة عين شمس ، كما ذكر استرابون ـ وانهم حذوا حذو سنوسرت الاول وتباروا فى اقامة مسلات ضخمة تمجد اعمالهم وتحمل اسماءهم ٠

لكن معظمها قد تحطم او اسقط عند غزو قمبيز للمدينة المقدسة عام ٥٢٥ ق ٠ م ، وحطم حوائطها المحصنة وهدم معابدها وشتت كهنتها حينما امر بالا تبقى مسلة قائمة ترمز للعقيدة او النصر ٠

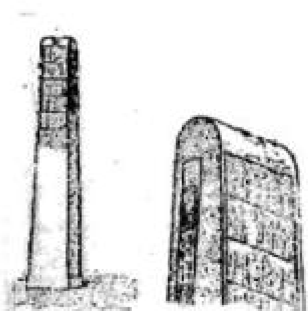
وباختفاء تلك المسلات ، طويت صفحات من مفاخر تاريخ العقيدة وتراثها الحضارى ٠

● لم تظهر المسلات بعد الدولة المتوسطة ـ اى بنهاية الاسرة الثانية عشرة ـ الا بقيام الدولة الحديثة وبداية الاسرة الثامنة عشرة عام ١٥٧٠ ق ٠ م ، حيث كانت اقامة المسلات الضخمة هى الطابع المميز، واهم ما يلفت النظر فى التراث المعمارى ٠ ويرجع السبب فى ذلك الى ما صارت اليه حال البلاد من فقر وما انتابها من اضطرابات داخلية ٠ كما كان الحال بعد نهاية الاسرة السادسة وهو ما اطلق عليه عهد الاضمحلال فى العقيدة والسياسة والاقتصاد ـ والذى توقفت فيه اقامة المسلات حتى عادت للظهور فى الدولة الوسطى لتتوقف لنفس السبب ثم لتعود الى الظهور فى الدولة الحديثة مع عودة الاستقرار السياسى والانتعاش الاقتصادى وازدهار العقيدة والايمان بالاله الخالق ٠

لقد تبارى ملوك الدولة الحديثة، ابتداء من قيام الاسرة الثامنة عشرة الى اواسط الاسرة العشرين ١٥٧٠ ـ ١٠٨٠ م ٠ ق) فى اقامة المسلات الضخمة للتقرب من الاله ، رع ،



الارتفاع بالقاعدة التى تحمل هرم الشمس



مسلة ابجيج ـ بالفيوم ـ القمة التى حمل الفنيكس المقدس ـ رمز الشهادة

والانتساب اليه ، ونسبوا له الفضل فى انتصاراتهم وما وصلت اليه امبراطوريتهم من ازدهار — اقاموها تمجيدا للاله واعترافا بفضله عليهم فنقشوا على جدرانها ما قاموا به من اعمال مجيدة وفتوحات وانتصارات نسبوها اليه . بل لقد اضاف كل منهم الى اسمه ولقبه المنقوش على المسلة اسم الاله « رع » .

ولقد بالغت النصوص القديمة فى وصف حجم المسلات وعددها ، فقد ذكر فى بعضها التى ترجع للاسرة الثامنة عشرة ان بعض المسلات صنعت من قطعة واحدة من الجرانيت طولها مائة ذراع ، بينما لم يزد ارتفاع اية مسلة اقيمت عن ١٠٦ اقدام ، ويبلغ وزنها ٥٢٥ طنا .

وهناك مسلة واحدة لم يتم قطعها تعد اضخم مسلة فى تاريخ الفراعنة ما زالت ترقد فى محاجر أسوان طولها ٤٢ مترا تقريبا ، وطول قاعدتها المربعة ٤٫٢٠ متر ، ويقدر وزنها بحوالى ١١٧٠ طنا ، وقد تركها عمال المحاجر بعد تفريغ جوانبها الثلاثة تمهيدا لفصلها عن سطح الجبل وظهور بعض عروق التشقق فى طبقات تكوينها .

● كان تحتمس الاول (عا خبر كا . رع) اول من اقام المسلات فى الاسرة الثامنة عشرة بعد ان عاد من فتوحاته الواسعة وشعر بان خطر الهكسوس ونفوذهم قد زال نهائيا وان من حقه ان يفتخر بسيادته على العالم ، كما ورد فى النقوش التى سجلها بقوله المشهور « لقد جعلت حدود مصر واسعة كدائرة الشمس ، وقويت الذين كانوا فى خوف ، وطردت عنهم الشر . وجعلت مصر سيدة العالمين » .

فكان اول من اقام مسلتين عظيمتين فى معبد امون امام البوابة التى كان قائما ببنائها — وهى البوابة



مسلة سنوسرت الاول بالمطرية اقدم المسلات الخمس التى لا تزال قائمة فى مكانها اول مسلة اقيمت فى مدينة الشمس ١٩٨٠ ق.م

الرابعة الآن ، وقام بتصميمها المهندس « انني » . ويبلغ ارتفاع كل مسلة ـ وهي منحوتة من قطعة واحدة من الجرانيت الوردي ـ ٢١٫٧٥ متر، وطول ضلع قاعدتها المربعة ١٫٨٤ متر ، كما يبلغ وزنها ١٤٥ طنا تقريبا .

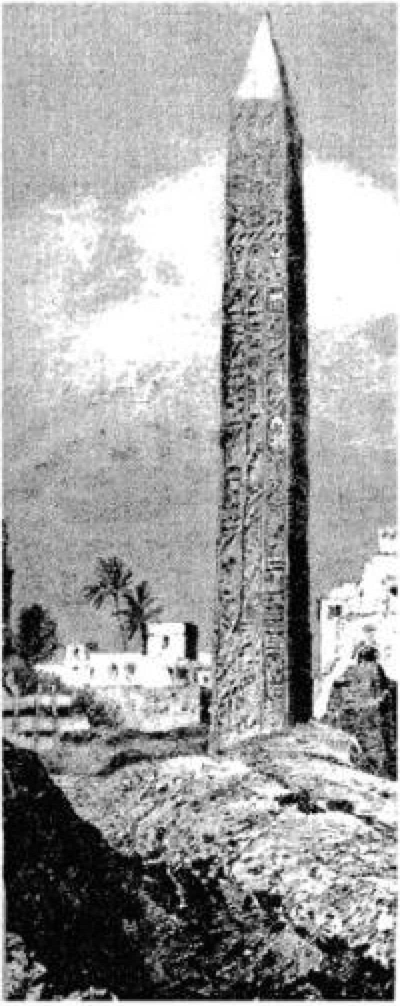
وما زالت احداهما قائمة في الفناء الذي يتوسط الصحنين الثالث والرابع للمعبد ، وقد نقش على احد جانبيها :

« حور القوى محبوب ماعت ملك الوجه القبلي والوجه البحري (عا خير كا رع) اقامه في عيد سد الثلاثين تذكارا لوالده (امون رع) سيد الارضين » ، واقام مسلتين امام معبده قمتهما الهرمية من السام المقوى » .

أما المسلة الثانية فهي التي بقيت بغير نقوش حتى اقامها حفيده تحتمس الثالث (من خير رع) عام ١٤٦٩ ق . م ونقش اسمه عليها ، وهو ما حير الاثريين ولم يجدوا له تفسيرا اذ كيف بقيت المسلة بدون نقوش او تكملة خلال تلك المدة الطويلة ولم يقم ابنه تحتمس الثاني بتكملتها أو انتحالها لنفسه .

وقد تهشمت المسلة المذكورة في القرن الثامن عشر الميلادي ولا زالت بعض بقاياها موجوده بالموقع . وقد سجل المهندس انني ضمن برديات طيبة قوله :

« بعدما تمت باقامة قاعة المعبد الفاخرة باعمدة على هيئة سيقان البردي ، اقمت مسلتين من الجرانيت الاحمر كل منهما من قطعة واحدة ، وقد بنيت لهما سفينة فاخرة طولها مائة وعشرون ذراعا لنقلهما من محاجر اسوان الى طيبة ، وقد احضرتا سليمتين لم تمسا بسوء ، وانزلتا في الكرنك » .



مسلة كليوباترا « تحوتمس الثالث » اثناء وجودها على شاطيء البحر بالاسكندرية قبل نقلها الى لندن ، صورة من اوائل القرن الثامن عشر



مسلتا حتشبسوت وتحتمس الثالث ، معبد الكرنك ، الأسرة ١٨ ، ١٤٩٠ - ١٤٣٦ ق . م .

● مسلات حتشبسوت : ١٤٩٠ - ١٤٦٩ ق م ●

اقام تحتمس الثانى (ابن تحتمس الاول من زوجته غير الشرعية وزوج اخته حتشبسوت) مسلتين احتفالا بعيد السد للملكة حتشبسوت وهو العيد الذى ارادت فيه أن تعلن نفسها ملكة على البلاد ، ولكنها تركت المسلتين بدون نقوش ، ثم نقشتهما بعد ١٢ سنة من اقامتهمـا ، حيث امكنهـا أن تنقشهمـا كما ارادت عندما اصبحت الملكـة الشرعية بعد موت تحتمس الثانى ، فحفرت على واجهاتهما الاربع اسمها الجديد والقابها ونسبتها للاله رع ، وذكرت انها اقامتهما تخليداً لوالدها تحتمس الاول والاله امون رع ، ولم تذكر شيئا بخصوص تحتمس الثانى

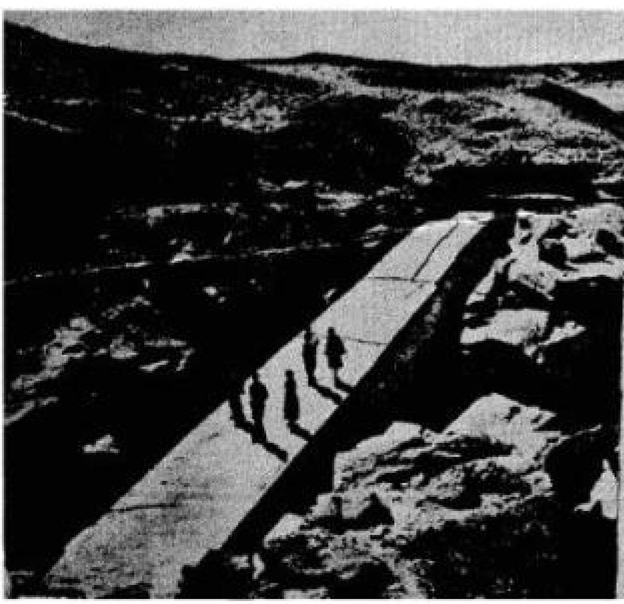
ثم كلفت مهندسها سنموت بتقطيع مسلتين من محاجر اسوان احتفالا بعيد السد الثانى ، وامرت باقامتهما للاله امون رع فى فناء بهو الاعمدة الذى يتوسـط الصرحين الرابع

والخامس من معابد الكرنك، ولا تزال واحدة من هاتين المسلتين فى مكانها حتى الآن ويبلغ ارتفاعها ٢٩٫٥٠ متر على قاعدة مربعة تطول كل ضلع من اضلاعها ٢٫٦٥ متر كما يقدر وزنها ٣٢٥ طنا .

وتسجل رسوم ونقوش ومتن معبدها فى الدير البحرى قصة المسلتين ، فقد سجلت نقوش الرواق الاسفل بالمعبد المذكور منظر نقل المسلتين واهدائهما ، فتشاهد سفن النقل ذاهبة فى اتجاه الشمال منحدرة فى النيل من اسوان حيث قطعت المسلتان . ثم يظهر فى الجهة الشمالية من الجدار الاهداء فى طيبة . ويشرح المتن الخاص بالمسلتين القاب الملكة ونسبها الالهى ثم الامر بجمع المواد لبناء السفن الضخمة اللازمة لنقلهما ، واوامر اعداد الرجال والجنود لجر المسلتين ونقلهما من جزيرة الفنتين ، وتجنيد كل الشباب من الارضين قاطبة والمطوعين لخدمة الاله « صاحب المسلتين » .

وتبين المناظر المحفورة المسلتين وطريقة نقلهما حيث كانت المسلة تجر مغمورة فى الماء بسبعة وعشرين قاربا تسير بالمجاديف ، وكانت القوارب تسير فى ثلاثة صفوف كل منها يقوده قارب رئيسى وترافقهما سفن تحمل الكهنة يرتلون الصلوات ويحرقون البخور لتصل سالمة الى معبد الاله ، وتبقى طوال الرحلة فى رعايته ، وتعتبر تلك المتون والنقوش من أهم المراجع التاريخية التى تشرح طريقة نقل المسلات .

كما سجلت حتشبسوت تاريخ نقل المسلتين على جدران معبد الدير البحرى ، فقد نقشت على قاعدة احدى هاتين المسلتين متنا هاما بدأته بذكر اسمها ، ماعت . كا . رع ، والقابها ومدح نفسها ، وكيف

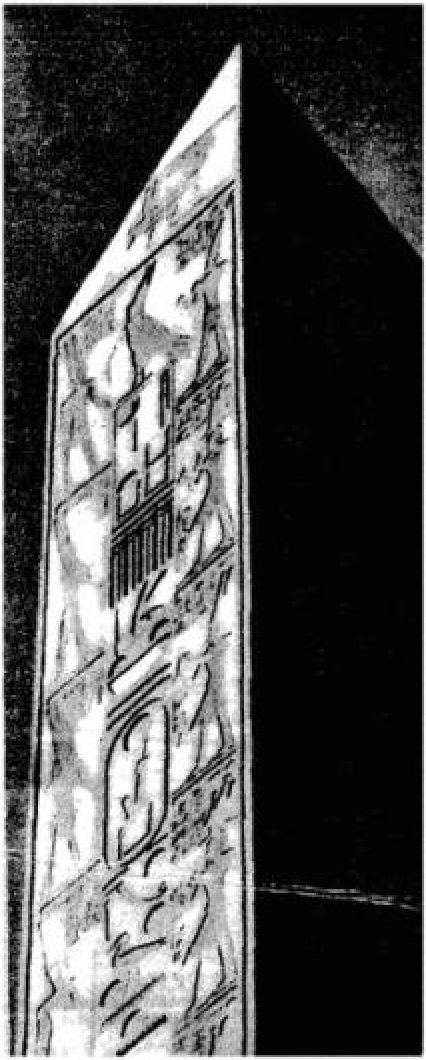


مسلة أسوان ، المسلة التى لم تكتمل

انها وهي جالسة ذات يوم في قصرها فكرت أن الاله هو الذى براها ، وانها اقامت هاتين المسلتين له ، فتقول في النص الذى ترجمه العالم الكبير الاستاذ سليم حسن :

« انتم يايها النـــاس ـ يا من سترون الآثار هذه في السنين المقبلة يجب أن تتحدثوا عمـــا فعلت ، واحذروا ان تقولوا : لا نعلم لماذا قد عمل هذا » وان جبلا صنع كله من الذهب كانه شيء عادى قد حدث . وانى احلف بقدر ما يحبنى اله الشمس وليس تاجى الوجهين ، وبما صيرنى قوية مثل « اوزير » ابن السماء و ..... بهـــذا احلف أن هاتين المسلتين اللتين عملتهما جلالتى من السلم هما لوالدى « امون » حتى يصير اسمى مخلدا باقيا في هـــذا المعبد ابد الابدين ، وانى احلف ان كل واحدة منهما قد صنعت من قطعة واحدة من الجـــرانيت الصلب دون شرخ او وصلة . وان جـــلالتى هى التى امرت بعملهما ، وقد بدا ذلك في السنة الخامسة عشرة اليوم الاول من الشهر الثانى من الفصل الثانى وان العمل في المحاجر نفسها قد استغرق سبعة اشهر .

« اسمعوا ايها الناس ، لقـــد اعددت لهاتين المسلتين احسن معدن السمـــام وقد كلته بالحقت (مكيال فرعونى سعته ٥ لتر) وقد حـــددت جلالتى المقدار بكمية لم تر الاجـــداد من قبل الاكثر منها ، فدع اولئك الذين يجهلون الحقيقة يعرفونها مثـــل العالمين بها .. ان ما قالتـــه الملكة (ماعت كا رع) حق ، وانها صادقة في نظر والدها أمون رع ـ هو الذى جعلنى احكم على الارض الســـوداء والارض الحمراء مكافأة لى على ذلك وليس لى عدو في اى مكان ، فكل البلاد خاضعة لى . وانه وضـــع حدودى عند اقاصى السماء ، وقد اعطانى كل هذا لأنه يعـــلم انى



سافيمه له ثانية ·· هذا الذى ابلك وهو الذى يرفع من شانى ·· وهو الذى اوجد مملكتى والارض السوداء والارض الحمراء اصبحتا تحت قدمى وحدودى الجنوبية قد بلغت حتى بلاد « بونت » وحدودى الشرقية قد وصلت مستنقعات اسيا ، والاسيويون فى قبضتى · وحدودى الغربية بعيدة جدا حتى جبال «مانو» حدودى الشمالية قد وصلت ··

● مسلات تحتمس الثالث : ١٤٦٩ ـ ١٤٣٦ ق · م ●

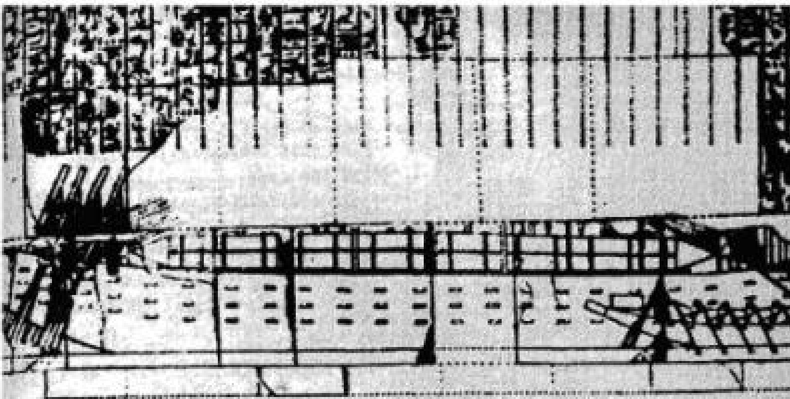
يعتبر تحتمس الثالث اعظم قواد الامبراطورية الفرعونية الاولى بفتوحاته وحملاته الستة عشرة التى نسب انتصاراته العظيمة فيها الى الاله امون رع وانه كان لا يعمل او يخطط لمعاركه الا بوحى منه · فاقام له معبدا ضخما فى الكرنك ينافس فى عظمته وبهائه معبد الدير البحرى الذى اقامته حتشبسوت ، كما احتفل بثلاثة اعياد ابتهاجا بانتصاراته · وقد اصبحت هذه الاعياد سنة متبعة ... أطلق على

الثالث قد نقلهما الحاكم برباروس عام ٢٣ ميلادية الى الاسكندرية وهما من المسلات التى اطلق عليها اسم مسلات كليوباترا بينما مسلات كليوباترا انتقلت الى الاسكندرية فى عهد البطالسة لتقام فى فناء معبد ايزيس ·

● تحتمس الرابع : ١٤١١ ـ ١٣٩٧ ق · م ●

اقام مسلة واحدة وتعتبر المسلة السابعة من مسلات جده تحتمس الثالث الذى عاجلته المنية قبل ان يرى المسلة ، اذ قضى وهى لم تنصب بعد ، وقد بقيت مهملة ٣٥ سنة لان ابنه امنحتب الثانى لم يكن ميالا لاتمام الاثار التى لم تكن قد تمت اقامتها فى عهد والده · وكان تحتمس الرابع امينا عندما سجل على واجهات المسلة قوله :

« منخبر و رع (تحتمس الرابع) الذى يضىء فى التيجان ـ الذى انجبه رع ومحبوب امون ـ كان جلالته هو



نقل احدى مسلات حتشبسوت « معبد الدير البحرى »

الذى حمل المسلة الفردية المتناهية فى العظم ، وهى التى كان قد احضرها ملك الوجه القبلى والبحرى (منخبر رع) تحتمس الثالث - بعد أن وجد جلالته هذه المسلة ملقاة على جانبها خمسا وثلاثين سنة فى يد الصناع عند البوابة العليـا للكرنك . أمر والدى الاله أن أنصبها له وأنا أبنه المخلص له » .

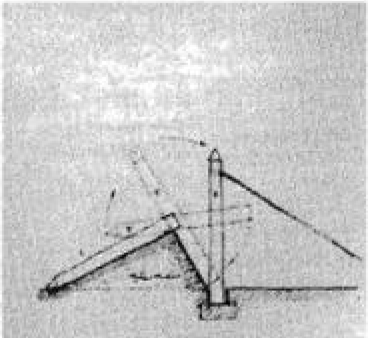
وتظهر به صورة سيتى يقدم قربانا للالهة خنوموسانت وتذكر أنه لصنع عدد من المسلات العظيمة .

ومع ذلك فلا توجد الامسلة واحدة تحمل اسمه وهى التى نقلها اباطـرة الرومان الى روما واقيمت فى ميدان « بيازا بلبوبولو » ، ومن المرجح أنها آخر المسلات التى اقامها فى عهده ، لانه مات قبل ان يبنا نقشها لان الذى

يدعي فيها أنه هو الذي أسس المعبد الفاخر في الاقصر الجنوبية (ابت)

وبعد ان كانت المسلات في مختلف العصور التاريخية السالفة تعد رمزا شمسيا محضا ، تحولت بالتدريج الى اثر عادى الصبغة ، تقام لتخليد ذكرى الفرعون ومفاخره بدلاً من ذكرى الاله ، ولا ادل على ذلك مما نقرؤه على نقوش مسلات رعمسيس الثاني التي اقامها في تانيس " اذ ان كل ما عليها من نقوش يمجد شجاعة فرعون وقهره للاعداء واعماله البطولية ، وتعدد اعماله المختلفة ، كما يسجل عليها مختلف اعياد فرعون المتعددة بدلاً من اعياد الاله .

وقد اقام في تانيس وحدها حوالي ٢٢ مسلة ، ولم يذكر عيد السد الا على واحدة منها ، كما يذكر اكثر من مؤرخ أن عددا غير قليل من تلك المسلات اغتصبها من الملوك السالفين من مختلف المعابد، ونقلها الى تانيس ونسبها الى نفسه .



طريقة رفع المسلة واقامتها عند الفراعنة

طريقة اقامة مسلتي انسمن وتيوبولد باستعمال البرج المدني والمنصات الرافعة

على الخشب فكانت تدحرج على دراقيل خشبية مستديرة القطر ومن اخشاب صلبة من الصاج والارز كما استخدمت جذوع النخيل بدل الدراقيل في كثير من الحالات .

وكانت تجر بالحبال السميكة يقوم بجرها فرق من الرجال الاقوياء يبلغ عددهم كما ورد في أحد المتون عشرة الاف رجل .. كما اتبعت طريقة أخرى لنقل المسلات الضخمة وهي سحبها على طريق طيني منزلق يغمر بالماء طوال رحلة نقلها الى الشاطيء

كما ذكرت بعض الوثائق القديمة ان المسلات كانت تنقل من المحاجر المرتفعة بالجبال حتى سفح الوادي قبل موسم الفيضان ، حتى اذا بدأ الفيضان في غمر الارض بالماء يبدأ العمل بسحبها خلال قناة تعد خصيصا لسحبها خلالها وتسير فرق الرجال والثيران على جسريها (كثيرا ما كان الفرعون يسخر الاسرى في تلك الاعمال في الدولة الحديثة [illegible] تحتمس الثالث عند البوابة العليا [illegible] والدي الاله ان انصبها له وانا ابنه المخلص له » .

أو بيانات كاملة عن الطريقة التي اتبعها مهندسو الفراعنة في اقامتها .

لقد اختلفت الاراء في عملية انجاز هذا العمل ، ولعل أرجحها ما تصوره الاثريون مما وجد منقوشا في بعض الحفريات في طريقة رفع الأعمدة الضخمة او القوائم الحجرية المماثلة للمسلات – وتتلخص تلك الطريقة في بناء منحدر من الرمال يغطى سطحه بطبقة من الاحجار او الطمي ، ثم تسحب المسلة وقاعدتها الى الامام حتى تنقلب عند نهاية المنحدر ولاختلاف توازنها الى ان ترتكز على قاعدتها والاساس الذي يكون معدا في موضعه ، وتشد المسلة من قمتها بالحبال في الاتجاهات الاربعة لضبط توازنها ووضعها الرأسي .

وقد شرح المهندس الاثري انجلباخ طريقة مماثلة استخلصها مما قام به من بحوث ، وهي سحب المسلة على المنحدر بالطريقة السابقة حتى يصل [illegible] ولكن المرجح انها اخر المسلات التي اقامها في عهده . لانه مات قبل ان يبدأ نقشها لان الذي



عندما قام اشور بانيبال بعد فتح مصر ، بنقل مسلتين من مسلات عين شمس (نذكر ان احداها كانت تحمل اسم رمسيس الثانى) لاقامتهما فى نينوى عاصمة ملكه الجديدة التى اسسها سنخريب الاشورى بعد استيلائه على بغداد واغراقها وتخريبها .

واقام اشور بانيبال المسلتين فى الميدان الكبير المواجه لقصره العظيم الذى يتوسط عاصمة ملكه ، كان ارتفاع احدى المسلتين ٥٠ قدما ومن قطعة واحدة من الجرانيت الوردى، وكانت تكسو قمتها الهرمية الواح من الالكتروم البراق .

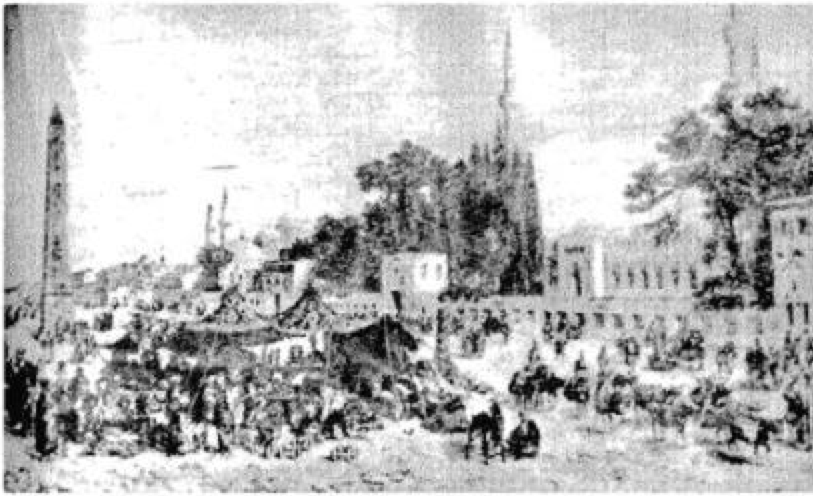
● لقد اهتم اباطرة الرومان بنقل المسلات المصرية الى روما عاصمة الامبراطورية ابتداء من عصر البطالسة . واقدم مسلة مصرية ظهرت فى روما هى التى اقامها الامبراطور اغسطس عندما قام بتجديد روما بعد عودته من مصر عام ٥٥ ق . م ونقش عليها باللاتينية Soli donum dedit تبركا بالمعبودة المصرية ايزيس التى اطلقوا عليها اسم سيدة العالم - وقد ذكر بعض مؤرخى الرومان انها لم تغتصب من مصر ولكنها صنعت خصيصا بامره .

● قام الامبراطور كاليجولا (١٢ - ٣٠ م) بنقل احدى مسلات تحتمس الثالث من عين شمس واقامها فى ميدان القديس بطرس .

● الامبراطور دوميتيان (٨٠ - ٩٦ م) نقل احدى مسلات رمسيس الثانى التى كانت موجودة فى معبد تانيس اثناء زيارته لمصر لوضعها فى بهو معبد ايزيس الذى اقيم على شاطىء نهر التيبر فى روما .

● نقل الامبراطور هادريان (١١٧ - ١٣٨ م) عندما اصبح امبراطورا على الاسكندرية - مسلة

مسلة حتشبسوت فى الكرنك ◄



مسلة اسطنبول القسطنطينيه

من عين شمس الي روما .

● في عام ٣٣٠ نقل قسطنطين الاكبر عاهل الدولة الرومانية اكبر مسلة فرعونية وجدها في عين شمس - نقلها الي الاسكندرية رغبة منه في ارسالها الي بيزنطة لتجميل عاصمة ملكه الجديدة

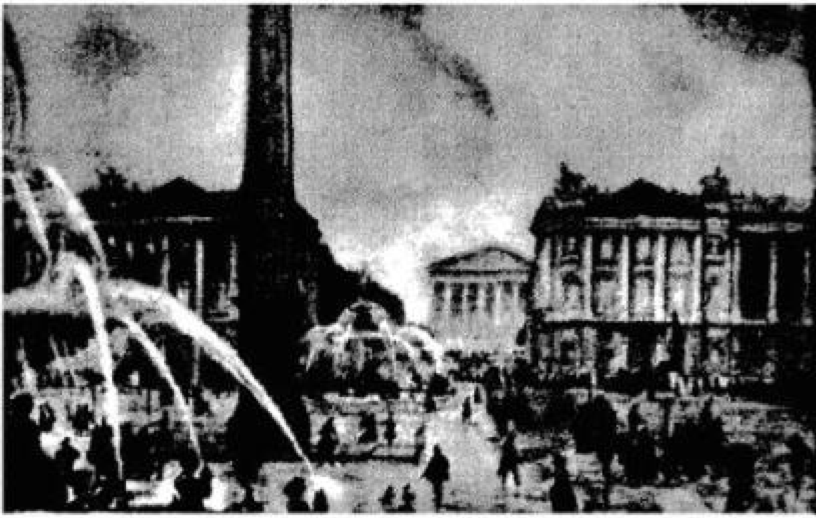
● وفي عام ٣٥٧ م بعد نقلها الي الاسكندرية بسبع وعشرين سنة قام ابنه قسطنطينيوس بنقلها الى روما واقامها في ميدان ماكسيموس (ذكر انها تصدعت عند رفعها فتركت في مكانها) .

وفي عام ١٥٨٧ كشف عنها ووجدت محطمة الي ثلاث قطع فقام دومنيكو فونتانا بأمر من البابا (سكوتس الخامس) بترميمها واصلاحها واقامتها أمام كنيسة القديس يوحنا باللاتيران كما أمر برفع الصليب على قمتها كرمز على انتصار المسيحية على الوثنية . كما امر بعد الاحتفال برفع الستار عنها أن يتبع نفس التقليد على المسلات الفرعونية التسع الموجودة بروما والتى نقلت في العصور الرومانية المختلفة ويبلغ ارتفاع كل منها ثلاثين قدما ووضع الصليب على قمة كل منها .

وتعتبر تلك المسلة اخر المسلات التي اقامها تحتمس الثالث ومات قبل أن يتمها ، وقام باتمامها واقامتها حفيده تحتمس الرابع بعد موته بخمس وثلاثين سنة .

وتعد اكبر مسلةفرعونية حيث يبلغ ارتفاعها ١٠٥ اقدام ووزنها ٤٥٥ طنا ، وقد نقش على أحد جوانبها ما يدل على اشتراك كل من تحتمس الثالث وحفيده تحتمس الرابع في اقامتها .

● ابن الشمس تحتمس الرابع - المضيء في التيجان اقامها في الكرنك وصانع التهامن السام حتى أن جمالها اصبح يشع على طيبة ، وقد نحتت باسم والده الاله الطيب (منخبر رع) (تحتمس الثالث) ملك الوجه القبلي والوجه البحرى . لعل ذلك رب التيجان (منخبرو - رع)



مسلة ميدان الكونكورد فى باريس

(تحتمس الرابع) محبوب الالهة ـ هو الذى جعل المسلة الفردية المتناهية فى العظم ، والذى فعل ما يسر رب الالهة منذ ان عرف سمو تصميمه ، وهذا ما يثبت ان مسلة اللاتيران هى مسلة تحتمس الثالث السابعة اكبر المسلات المصرية التى كانت مقـامة بمعبد الكرنك ·

● مسلة القسطنطينية ●

وهى احدى مسلات تحتمس الثالث نقلها الامبراطور تيودوس من طيبة عام ٥١٠ م ـ وهى فى الواقع الجزء الأعلى من مسلة مماثلة فى الطول لمسلة اللاتيران ويبلغ ارتفاع الجـزء القائم منها حاليا ٨٥ قدما ، وتنص النقوش المحفورة على جوانبها :

« من خبر رع » (تحتمس الثالث) رب النصر وفاتح كل البلاد الذى جعل حدوده تصل الى قرون الارض ومياه النهرين بقوة وظفر على رأس جيشه الظافر موقعا مذبحة عظيمـة بينهم ـ اقامها تخليدا لوالده (امون رع) رب طيبة الذى رباه وهو طفل بين ذراعى الالهة (نيت) الام المقدسة ليكون ملكا ـ فهو الذى استولى على كل الاراضى طول الزمن بمشيئة رب الاعياد » ·

وهو ما يفسر انها احدى المسلتين اللتين اقامهما فى عيد تتويجه الثانى بعد عبوره نهر الفرات ·

● مسلة باريس ●

شيدها رمسيس الثانى امام معبـد الاقصر ١٢٨٠ ق · م · قام بنقلهـا المهندس الفرنسى ليباس عام ١٨٣٦م وقد تم انزال المسلة التى يبلغ وزنها ٢٣٠ طنا من المعبـــد الى شاطىء النيل على زحافةخشبيةضخمة بحجم المسلة تحملها دعامات خشبية على الجانبين بعـــد ان تم دك الطرق وتغطيته بالفحـــم لتسهيل سير الزحافة التى يشـــبه شكلها شكل الزحافات التى استعملها الفراعنـة



وصورت في مقابرهم ، وكان في انتظار المسلة سفينة ضخمة تسند جانبيها مجموعة من العوامات نقلتها من الاسكندرية الى الشاطىء الفرنسي . وفي فرنسا استعملت الزحافة الفرعونية مرة ثانية لنقل المسلة الى مكانها الحالي بميدان الكونكورد في باريس .

حتى يتمكن المهندس ليباس من اقامة المسلة وسط الميدان اضطر الى اقامة قنطرة صاعدة تصل الى مستوى القاعدة التي تم بناؤها وسط الميدان واستعملت رافعة صممت خصيصا لاقامتها بواسطة شدها من قمتها وتثبيت وسطها لتدور حول محور افقي .

وتنص النقوش التي على واجهاتها : « لقد اقامها (اوسر ماعت رع) (رمسيس الثاني) بمثابة هدية منه لتخليد والده (امون رع) فنصب له مسلة عظيمة تسمى رعمسيس مري امون محبوب اتون الخالد ابد الدهر » كما تذكر عليها انه اسس المعبد الفاخر في ايت »

ولقد انتقلت الى باريس ثلاث مسلات اخرى قبل مسلة الكونكورد، واحدة تتوسط ساحة الفونتابلو انتقلت مع نابليون اثناء الحملة الفرنسية ، والثانية في فنسان ، والثالثة في آرل ، وتقل جميعها من الناحية التاريخية وفي الحجم عن مسلة رمسيس الثاني .

● **توجد خارج القطر من مسلات رمسيس الثاني ـ غير تلك التي نقلت الى باريس ـ اربع مسلات اخرى واحدة منها في روما وواحدة في فلورنسا .**

● مسلة روما ●

هي آخر المسلات التي اقامها سيتي الاول ١٢٩٠ ق . م ومات قبل أن ينقشها ، وقد أتمها ابنه رمسيس الثاني ، وهي منصوبة الآن في ميدان (بيازا ـ دل ـ بوبولو) في روما ، وقد نقلت الى روما في أواخر عهد الحكم الروماني وتنص النقوش التي على احد جانبيها :

« من · ماعت – رع) سيتي الاول صاحب الاثار الجميلة في عين شمس – مكان الابنية وعمد السماء الاروعة مخلدة وباقية في ردهة رع الامامية، وقاسوع الالهة مرتاحون لاعمـــاله لبيت رع ليعيش مخلدا » ·

وعلى الجانب الاخر :

« (اوس – ماعت – رع) رعمسيس الثاني الذى اقام اعماله مثل نجوم السماء واعماله تناطح القبة الزرقاء مبتهجا بما يشرق عليـــه « رع » في بيت ملايين سنين وان جلالته هـــو الذى جمل هذا الاثر بالنقوش لوالده ليجعل اسمه خالدا في بيت رع واتوم رب هيليوبوليس » ·

وتعتبر هذه المسلة ثاني مسلة في روما تحمل اسم ملكين بعـــد مسلة اللاتيران ·

● مسلة لندن ●

احدي المسلتين اللتين اقامهمـــا تحتمس الثالث أمام معبد عين شمس وانتقلتا منهمـــا الى الاسكندرية لاقامتهما امام معبد ايزيس مما كان سببا في اطلاق اسم كليوباترا عليها وقام بنقلهما المهنـــدس الاغريقي بنتيوس ،وفي خلال القرن الرابع عشر الميلادي ســـقطت احداهما من فوق قاعدتها ، وهى التى نقلت الى لندن ، وقد اهداها محمد على باشا الى « الامة الانجليزية » عام ١٨٣١م بعد أن كانت قد أهديت لها عدة مرات من قبل ، وقد بقيت بعد اهدائها ملقاة على الارض لصعوبة نقلها حتى عام ١٨٧٧ م وهو العام الذى نقلت فيه على يد السير ارزمس ولسن ، وقام بنقلها على سفينة خاصة اطلق عليها اسم كليوباترا تجرها باخرة ضخمة تدعى اولجا ، واصطدمت الباخرة في الطريق وفقدت عددا من رجالهـــا ، وانقذت كليوباترا حاملة المســـلة من الغرق باخرة أخرى اســـمها فتزموريس ، وكان ذلك الحادث حديث الصحافة العالمية التى نسبته الى « لعنة الفـــراعنة » · واخيرا تمت اقامتها على شاطىء نهر التايمز بعد ان اعد لهـــا المهندسون برجين من الحديد يمكن تعليتهما وخفضهمـــا حسب الطلب ويرتكز عليهمـــا طرفا المسلة ، ويحملها من الوســـط برج حديدى على محـــور متحـــرك يمكن بواسطته رفعهـــا وتركيزها عموديا ··· ولم تخل تلك العمليـــة من الاخطار ، فقد اختل توازن المسلة عند رفعها ، مما ادى الى قطع الحبال التى تربطها وسقطت المسلة من فوق البرج ، ولكنها نجت باعجوبة كذبت الاعتقاد في « لعنة الفراعنة » واكدت « العين الحارسة » ·

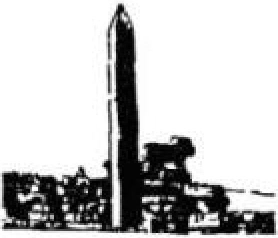
وقد استغرق نقل المسلة واقامتها مكانها اثنى عشر شهرا ·

والنقوش التى على مسلة لنـــدن تنص على ان : « من – خبر – رع» تحتمس الثالث قد اقامهـــا تذكارا لوالده الاله حوراختي الذى اقام له مسلتين في عيد « سد » الثالث لانه احب والده كثيرا – ليت ابن الشمس تحتمس الذى احب الاله الذي يضيء في طيبة يعطى الحيـــاة على يديه ليبقى ملكا الى الابد على الوجـــه القبلي والوجه البحرى » ·

● مسلة نيويورك ●

ارادت الولايات المتحدة ان تجارى كلا من انجلترا وفرنسا وايطاليا في تزيين احد ميادين مدنهـــا الكبرى وعواصمها بمسلة من المســـلات الفرعونية الخالدة ، فنقلت المســـلة الثانية التى كانت لا تزال قائمة في الاسكندرية الى نيويورك سنة ١٨٨١م بعد نقل مسلة لندن بثلاث سنوات·

ونقلت المسلة من الاسكندرية الى



الهليلوبوليس على زحافة كبيرة تتحرك على درافيل خشبية ، ثم وضعت في صندل بحري على شكل ماسورة مغلقة لا تصل اليها المياه ، وجرتها قاطرة بحرية ضخمة عبر المحيط حتى وصلت الى نيويورك ، واستغرقت رحلتها البحرية خمسة اشهر ...
وفي نيويورك تم رفعها واقامتها على القاعدة التي اعدت لها بواسطة نفس الالة الهرمية وابراج الرفع التي استعملت في لندن ...

وتنص النقوش التي على جدران المسلة :

« من - خبر - رع (تحتمس الثالث) اقامها لوالده الاله رع الذى يحميه في طيبة محبوب الالهة الباقي في الملك مثل ابيه رع في السماء - الذى انجبه اتوم من جسده وسوى تحوت في البيت العظيم اعضاءه ، عالمين انه سيدير شئون الملك ليبقى الى الابد ملك الوجهين القبلي والبحري - تحتمس الثالث - محبوب رع اله عين شمس والتاسوع المقدس الذى يمده بالحياة والثبات والسعادة » .

« حور القوى الذى اتخذ التاج الابيض يضرب حكام الممالك التي تقترب منه . كما قرر والده (رع) له النصر على كل الارض وقوة السيف باقية في ساعده لاجل أن يمد حدود مصر ويحميها - ابن الشمس تحتمس » .

● هكذا نرى أن ما اقامه فراعنة مصر من المسلات الخالدة في تاريخ العقيدة والعمارة والفنون - اختفت من أرض مصر التي نشأت من صخورها الجرانيتية بفن وسواعد مبدعيها ... اختفت من فوق سطح ارضها وافق سمائها لتنتصب كالاعلام في العالم الجديد ، لتطل على ربوع القسطنطينية ، وروما ، ولندن ، ونيويورك ، وفلورنس . وعشرات البلاد الاخرى . بينما بلاد الالهة التي هاجرت منها تلك الاعلام الشامخة لاتملك مسلة واحدة من بينها ... فمصر موطن المسلات التاريخية الاصيلة لا تمتلك الا خمس مسلات تقل اهمية وشهرة وجمالا عن تلك المسلات التي تعيش بعيدة عن ارض الحضارة والتاريخ التي نشأت فيها . بل ان البلاد التي ارتفعت في سماء عواصمها تلك المسلات تجاهلت اسماء الملوك العظام الذين اقاموها بل ان نقوش الكثير منها التي تخلد عظمة مصر وصانعي مسلاتها بدأت تتلاشى او تطمس ويشيعونها وهكذا فقدت صفحات من أمجاد خالدة في العقيدة والتراث والتاريخ فقدت بتبعثر تلك المسلات التي تعبر عنها - يحاول الغرب ان يزين بها عواصمه ، وفي نفس الوقت يطوى صفحات امجادها .

لقد عبر عالم المصريات البريطاني الجليباغ عن تلك الحقيقة بقوله : ماذا عساه أن يكون شعور تحتمس الثالث عندما حقق معجزة قطع تلك المسلات للاله رع ، لو ادرك ان واحدة منها ستنتقل الى أرض لم يكن يحلم بوجودها في العالم .. وان الثانية ستقع في يد قوم كافروا وفتكوا شعبا يهيم على وجهه في الاحراج او يعيش في الكهوف ... ومع ذلك فان تلك المسلات بعد ان تغلبت عليها غير الزمن وخيف عليهاءمن الغرق واخطار القنابل الحروب لا تزال منتصبة في مكانها بعد ان مضى على صنعها ٣٥٠٠ عام » ...

لمعى المطيعى

رحل فيلسوف التعاون

الدكتور إبراهيم رشاد

فى ٢٧ من يناير ١٩٧٥ رحل الدكتور ابراهيم رشاد ... ولعل حظه من الاضواء كان مثل حظ كتابه الاول « مصرى فى ايرلنده » الذى اصدره بالانجليزية منذ اكثر من نصف قرن واهداه الى « سعد زغلول » الذى ابدى رغبته فى ترجمة الكتاب الى اللغة العربية ... ولكن الكتاب ظل دون ترجمة سنوات طويلة حتى ترجمه الاستاذ صالح جودت منذ سنوات قريبة ونشره فى كتاب الهلال

وكلمة حق اسوقها الى القراء .. ان اجدر الناس واقدرهم على الكتابة عن ابراهيم رشاد هو الاستاذ صالح جودت الا ان الصلة بينهما تعود الى الثلاثينات من هذا القرن عندما كان صالح طالبا بقسم العلوم السياسية بكلية التجارة ، وعليه ان يدرس كتاب (التعاون الزراعى ـ للدكتور رشاد) ولا سيما ان امتحان هذه المادة كان يضعه الدكتور رشاد . ولقد كان للاثنين صديق مشترك ، قريب للدكتور رشاد وصديق الى لدى « جودت » هو الشاعر الذى بكر فى الرحيل ، محمد عبد المعطى الهمشرى

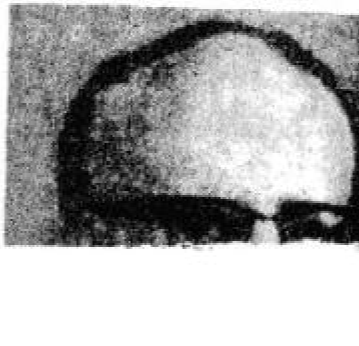
كان الشاعر الهمشرى على صلة قرابة بالدكتور رشاد فعينه محـــررا بمجلة التعاون ، وصالح جودت يبـــدأ مسيرته فى طريق الصحافة ويلتقى بالدكتور رشاد كلما ذهب الى مكتب الهمشرى بمصـــلحة التعاون • والدكتور يتوسم الخير فى الشاعرين الشابين ويريـــد أن يجعل من الاول « جورج راسل » الحركة التعاونية فى مصر ، اسوة « بجورج راسل » شاعر الحركة التعاونية فى ايرلنده • ويريد أن يجعل من الثانى نصيرا للحركة التعاونية ، ويتعجل ظهـور نتيجة البكالوريوس ليفاتحه بالعمل تحت رئاسته فى مصلحة التعاون ، التى كان الدكتور رشاد مديـــرا لها ... ولكن صالح جودت يبتعد عن مصلحة التعـــاون ويقترب من الصحافة ومن الرجل فى وقت معا ، حتى ينجح فى أن يقنعـــه بكتابة ذكرياته عام ١٩٦٩ •

ولقد ألف صـــالح جودت كتابا روى فيه سيرة الهمشرى ، وجمع ديـــوانه الذى نشرته الهيئة العامة للكتاب ، ... ولعلنا نقرأ له قريبا صفحة مطوية من صفحات الدكتور ابراهيم رشاد ...

وكان الرجل محبا للســـلام من منطلق وطنى وحس مؤمن بالعدالة الاجتمـــاعية •• فهو محب لوطنه ولا يريـــد لهذا الوطن أن يحشـــر فى حرب عالمية •• ومحب لجماهير وطنه الكادحة ويريـــد لها أن تعيش فى خير وسعادة •

ولقد كان ابراهيم رشـــاد وطنيا الى جانب القسمة الرئيســـية التى

• ابراهيم رشاد : مسيرة التعاون فى مصر



الدكتور ابراهيم رشاد

الرافعى ، وتشيع فى بعض أحاديثه وكتابته سخرية خفيفة من الاسلوب الحزبى للوفد وان ظل على احترامه لشخصية سعد زغلول الذى أهدى اليه حين التقى به فى الخارج كتابه الاول « مصرى فى ايرلنده »·

وعلى الرغمن أن ابراهيم باشا، ابن محمد على الكبير ، كان قد اقطع ضابطه اللواء ابراهيم رشاد الف فدان فى السنبلاوين ، وعلى الرغم من أن اللواءرشاد هو رأس الاسرة، وأن الالف فدان الت الى افراد الاسرة ، الا أن الوطنى الدكتور ابراهيم رشاد ناصب القصر عدم الود ·· فعندما تقدم القصر الملكى بطلب انشاء جمعية تعاونية منزلية خاصة بموظفيه وخدمه ، رفض مدير مصلحة التعاون الطلب على أساس أن

الذى امتدت صلته به بعد ذلك ·

وحرص « برنارد شو » على ان يحضر حفل وداع ابراهيم رشاد وهو عائد بعد دراسته الى مصر، كما حرص على زيارته فى بيته بالمعادى عندما حضر الى مصر فى الأربعينات من هذا القرن · فهو اذن كان يميل أصلا الى النوع التطورى من الاشتراكية التى تدعو الى تغيير الاوضاع الاقتصادية السائدة بالاسلوب البرلمانى الديموقراطى وبالكفاح النقابى ، لا بالطفرة الحمراء الشاردة · فجوهر فكره وأسلوبه ونضاله للعدالة الاجتماعية كان أساسا : « التعاون »·

***

بدأت بذور الفكرة التعاونية تنمو فى ذهن ابراهيم رشاد بتأثير المحاضرات التى كان يلقيها عمر لطفى الملقب برائد التعاون الاول فى مصر وبدأ عمر لطفى بنشر الدعوة التعاونية فى مصر عام ١٩٠٧ فى أعقاب الازمة الاقتصادية الطاحنة

ومبوله الوطنية مع الحزب الوطني ، فانضم الى بعثة الصليب الاحمر البريطانية • المسافرة الى تركيا ، وأصيب هناك بمرض غريب عجل بعودته الى انجلترا ولم يحضر الامتحان وانصرف عن الطب نهائيا ، وتوجه الى كلية الزراعة ببريستول ، وحصل على البكالوريوس واتم دراسته في كلية سانت كاترين بجامعة كمبردج ••• وفي الكلية الزراعية بسايد نستر ، كان قد حصل على دبلوم الزراعة ثم توجه الى ايرلندا في اعقاب الحرب العالمية الاولى مباشرة ليحصل على درجة الدكتوراه في التعاون الزراعي

وفي هذه المعاهد الدراسية وفي تلك السنوات ، كانت الأفكار التعاونية تنتشر بالحاح في الجزيرة البريطانية وايرلندا •• وكانت المحاضرات تتضمن شرح المذاهب الاقتصادية والسياسية والاجتماعية

برناردشو .. تقدم
الحركة التعاونية في مصر

المتخلفة • وخاصة في الكلية الزراعية الملكية بساير نستر حيث تبلورت عنده الافكار التعاونية وامن بأن التعاون هو الوسيلة المثلى لرفع مستوى الحياة للشعوب المتخلفة • وفي كمبردج كان استاذه معروفا بالاتجاهات التعاونية ، وقد اشرك معه ابراهيم رشاد في تحضير مادة كتابه الجامعي (التعاون داخل بريطانيا وخارجها) واشار الاستاذ الى اسم ابراهيم رشاد في مقدمة طبعته الثانية •

وفي (ايرلندا) كان الاستاذ المشرف على بحوثه • قسيسا اسمه الاب « فينلي » وهو ايضا من رواد التعاون ، الا ان الشخصية الرئيسية في تعميق الافكار التعاونية لديه هو الرائد التعاوني الكبير « السير هوريس بلانكت » — توفي في ٢٧ مارس ١٩٣٢ — زعيم التعاون الزراعي في ايرلندا • ونشأت علاقة صداقة وطيدة بين الاثنين حتى انه اقام حفل وداع في (دبلن) عشية عودة رشاد الى مصر ، وحضر هذا الحفل جورج برنارد شو ...

تعاونى ، عاد الدكتور ابراهيم رشاد الى مصر فى ربيع عام ١٩٢٠ مشبعا بالفكرة التعاونية مؤمنا بها متخصصا فيها علميا وعمليا خلال سنوات اثنتى عشرة عاشها بعيدا عن الوطن طالبا العلم فى جامعات انجلترا وايرلندا ومعاهدهما العليا ومتعرفا ومصادقا للتعاونيين فيهما .

وفى طريق عودته الى مصر بالبحر تعرف الى «المستر ماكيلوب» وكيل وزارة الزراعة فى مصر وقتئذ ، وقد عرض عليه وكيل وزارة الزراعة الانجليزى هذا ان يعمل معه فى وزارة الزراعة بعد ان وقف على مؤهلاته ودراساته .. وبعد مقابلة لوزير الزراعة تقرر ان يحاضر الدكتور رشاد طلبة مدرسة الزراعة العليا فى مادة التعاون الزراعى وان تنشأ مصلحة خاصة بالتعاون يكون مديرا لها .

وهكذا بدأ الرجل مسيرة التعاون فى مصر وكان الرائد الأول للتعاون عمر لطفى قد توفى عام ١٩١١ تاركا جهود سنوات ثلاث من اجل التعاون ساندها فى شقيقه أحمد لطفى ، وعبد



صالح جودت : القدر من يكتب عن رائد التعاون .

وصاية الحكومة على الحركة التعاونية مؤقتا وكان يأمل ان تقضا اتحادات تعاونية اقليمية ثم ينشأ اتحاد تعاونى عام وبذلك تتخلص الحركة التعاونية من وصاية الحكومة الاقطاعية الرأسمالية فى ذلك الحين .



سعد زغلول : اهداه د. ابراهيم رشاد كتابه « مصرى فى ايرلندا »

رشــــاد بعد ذلك الا ان يطالب بتحويل (بنك التسليف الزراعى) الى (بنك تعاونى).. وبنك التسليف الزراعى هذا انشاه اسماعيل صدقى ولاحــظ د. رشاد أن هذا البنك قد تحـول الى مؤســسـة لاقراض كبار المزارعين اكثر من متوسطيهم وصغارهم ... وكبــار المزارعين يلجــأون اليــه لانخفاض فائدة القروض وسهولة الاقتراض منه ، موفرين اموالهم لاســتثمارها فى شراء ارض أو عقار ... وقد تصل السلفة للفرد الواحد الى مائة الف جنيه ... وقدمت احدى الجمعيات التعاونية ١٥٠ الف جنيه باسـماء اربعة من اعضائها يستأجرون فيما بينهم حوالى ١٢ الف فدان .

وحتى بعد احالته الى المعاش عام ١٩٤٦ ظل يتابع جهوده من اجل الحد من اقراض كبــار المزارعين وضرورة تحويل بنك التسليف الى بنك تعاونى . بهذا والفســح فى مذكـرة رسمية له فى مايو ١٩٥٢.

وقد اهتم بانشاء اتحــاد تعاونى بالمستبلارين واصدر له مجلة شهرية باسم (الرســالة التعــاونية). واستطاع قبل تقاعــده ان ينشىء عددا من الاتحــادات الاقليمية فى بعض مراكــز الوجهين البحــرى والقبلى .. وظل يبذل طاقته الفكرية وجهده لخدمة التعاون منذ ان عــاد الى بلاده فى ربيع عام ١٩٢٠ حتى رحل فى شتاء عام ١٩٧٥ .

... ولئن كان الكثيرون يتفقون حول دور الرجل فى نشر الحــركة التعاونية وحول حبه للسلام والعدالة الاجتماعيــة فان الكثيرين ايضــا يختلفون حول موقف كان للرجل فى اعقاب معاهدة عــام ١٩٣٦ ... وبأمانة الواثق من نفســـه ، افرد الرجل فصلا مستقلا لهذا الموضــوع ونعنى به مشاركة الرجل فى انشــاء (الاتحاد المصرى الانجليزى) الذى كان بمثابة جمعية صداقة مصرية ـ انجليزية تضم المصريين المتخرجين فى الجامعات البريطانية وصفوة الجالية البريطـانية فى مصر .... وبطبيعة الحال فان الخصوم الســياسيين لا يستطيعون أن يتفاهموا سـياسيا ، ولهذا كان المصير المحتــوم هو حل هذا الاتحاد .

وكما قام الرجل بدور فى انشائه قام بدور فى حله والغائه ، يقول فى مقدمة هذا الفصل : (اننى بالتعاون اجاهد ضد الاستعمار ، وبالايمان بالاشتراكية القويمة ، وبكل وسيلة سلمية اكافحه)..

ومهما يكن من امر فقد تم حــل هذا الاتحاد فى ٤ يوليو من عــام ١٩٤٦ واسس الاعضــاء المصريون (الاتحــاد الثقافى المصرى)... ويقول ابراهيم رشــاد فى مذكراته تعليقا على هذا (وبهذا يســدل الستار على مأساة الاتحــاد المصرى الانجليزى وقد خرجت منها الموسيقا سلمية عزيزة الجانب).



هدية العدد صورة

الشاعر الكبير إسماعيل صبري

● ولد في ١٦ من فبراير عام ١٨٥٤ بالقاهرة حيث تلقى مبادىء القراءة والكتابة وحفظ القرآن ، ثم التحق بالمدرسة الابتدائية ثم بالمبتديان الثانوية ثم بمدرستي التجهيزية والادارة وتخرج في الاخيرة عام ١٨٧٤ .

● بدأ حياته الشعرية مبكرا في سن السادسة عشرة ، اذ كان ينشر في مجلة روضة المدارس شعرا رقيقا وكان هدف المجلة احياء اللغة العربية والاهتمام بالشعر العربي .

● أرسل الى فرنسا في بعثة عام ١٨٧٣ حتى نال شهادة الليسانس في الحقوق من كلية مدينة اكس عام ١٨٧٨ وقد قرأ الادب الفرنسي وتأثر بصفة خاصة بالشعر الرومانسي .

● اخذ يتنقل في وظائف السلك القضائي بمصر قبيا بوظيفة مساعد نيابة ، ثم انتقل الى القضاء الوطني حيث عين قاضيا ، ثم مستشارا ثم وكيلا لمحكمة الاستئناف ثم عين نائبا عاما .

● عين وكيلا لوزارة الحقانية .

● في عام ١٨٩٦ عين محافظا للاسكندرية وظل بهذه الوظيفة ثلاثة أعوام وطلب احالته للمعاش في عام ١٩٠٧ حيث تفرغ للشعر والادب .

● كان أبيا وطنيا يعتز بوطنيته، وكانت له مواقف صلبة شجاعة مع المندوب البريطاني اللورد كرومر ومع رئيس الوزراء في تلك العهد رياض باشا .

● رغم اشتغاله بالمناصب القضائية والمناصب الادارية الهامة فان روح الاديب الرقيق ملكت عليه حواسه ومشاعره ، فكتب الشعر ونظمه في عديد من المجالات والذي اتسم برقة الانفاس وعذوبتها .

● بجانب شاعريته ، فقد اهتم بالغناء والموسيقى .

● توفي في ٢٠ مارس عام ١٩٢٣ .

● كانت لبيئته القاهرية اثر كبير في تلوين شعره واتسامه بالرقة والميل الى الدعابة والفكاهة وهي سمات قاهرية أصيلة .

● كما أن حياته الرخية التي خلت من الشظف قد أعطت لشعره ألوانا فنية رقيقة ناعمة .

● اتصف بدماثة الخلق ورقة الشاعر ورهافة الحس ، مما جعل شعره يتسم بالسمو والعمق .. ابدع في شعر الحب والغزل والوطنية واتصف شعره الغزلي بالعذوبة .

● له ديوان مطبوع يحوى كل شعره .

● غنى له بعض كبار المطربين .

● وصف النقاد شعره بدقة الخيال وجمال التصوير واحتوائه على صور النفس والعاطفة مع الرقة والحس حتى سمي « شيخ الشعراء »

د. سيد نوفل

دور السودان

في العمل العربي المشترك

في احدى الجلسات المشهودة لمجلس جامعة الدول العربية ، منذ تسعة عشر عاما ، انضمت السودان الى الأسرة العربية : عضوا كامل العضوية ، تسهم في مسئوليات العمل العربي المشترك لخدمة قضايا الحرية والتنمية الاقتصادية والاجتماعية ، وتؤدى مع شقيقاتها العربيات دورها في نصرة قضايا التحرير الوطني في افريقية وآسيا ، ودعم التعاون الدولي الحر المتكافىء ، وكفالة السلام العالمي العادل ..

ولم تكن هذه أول مشاركة للسودان في العمل العربي قوميا ودوليا .. فمن قبل ذلك بتسعة اشهر سبقت السودان الى المشاركة مع الاقطار العربية في مؤتمر باندونج التاريخي ، الذى دعم النضال الوطني للحرية في العالم الاسيوى الافريقي ، وكافح الاستعمار والعنصرية ، وارسى قواعد التعاون الدولي الجديد ، ورفع الحواجز والاستار القائمة بين الشرق والغرب ، ومهد لسياسة التعايش السلمى ... وتقدمت هذه السياسة حتى بلغت ذروتها منذ بداية العقد الثامن ، او السبعينات ، من هذا القرن العشرين ، وخلقت العلاقات الدولية خلقا جديدا ...

نال السودان استقلاله في اليوم الأول من عام الف وتسعمائة وستة وخمسين .

ولم يضيع وقتا في الانضمام الى الاسرة العربية اذ عرف طريقه من قبل ذلك بوقت طويل فبعث وزير خارجيته في العاشر من يناير (كانون الثاني) لذلك العام ، اى بعد تسعة ايام ، الى الامين العام لجامعة الدول العربية ، يطلب الانضمام الى الجامعة ، مؤكدا التزام السودان بمبادئها وأهدافها وأحكام ميثاقها .

كما أكد وزير خارجية السودان ، في رسالته الى الامين العام



د . محمـــود فوزى :
مصر ترحب بهذا الطلب

للجامعة ، المقومات العربية العريقة، والالتزامات القومية للقطر العربى ، الذى بدأ يمارس أعمال السيادة الوطنية على أراضيه ، ويتطلع الى دعم الاستقلال الوطنى ، وبناء التقدم الاقتصـــادى والاجتماعى وهذه الاهداف والمقومات ، كما صورتها الرسالة ، هى :

أولا ـ أن الســـودان قطر عربى كان ولا يزال فى مشــــاعره وأحاسيسه مع شـقيقاته من الدول العربية .

ثانيا ـ أن أهـداف جامعة الدول العربية ، التى عبر عنها ميثاقها ، هى أهداف الســـودانيين جميعا ، شعبا وحكومة .

ثالثا ـ أن الســـودان يرغب فى القيـــام بدوره كاملا فى خدمة الامة العربية ، وتحقيق اغراضها واهدافها العليا ...

ولم تضيع الامانة العامة للجامعة وقتا كذلك ... فبعث الامين العـام فى اليوم التالى ، رســـالة لوزير خارجية الســـودان راجيا ان يقترن انضواء السودان فى فجر استقلاله تحت لواء الكفاح العربى المشـــترك بعهد جـديد لقضية العروبة ، تزداد فيه الروابط توثقا ، والنفوس ثقة وايمانا ... وأضـــاف أن العرب جميعا يشاركونه شـــعور الابتهاج والترحيب بانضمام السودان العربى الشـــقيق الى جامعة الدول العربية ... فدعا وزير خارجية السودان ، ودعا جميع الدول اعضاء الجامعة ، الى حضور اجتماع مجلس الجامعة فى التاسع عشر من ذات الشـــهر لنظر طلب السودان الانضمام للاسرة العربية فى منظمتها القومية ...

التـرحيب العـربى بالســـودان المستقل

واذا كانت الامة العـــــربية ، شعوبا وحكومات ، قـد رحبت أعظم ترحيب ، واستبشرت بالسودان فى بداية عهد الحرية والاستقلال ، فان جلسة مجلس جامعة الدول العربيـة للترحيب بدخول السودان الجامعة ، امتازت بســـمات فريدة ، وبأعلام كثيرة ...

لقد حضر هذه الجلســـة وزير خارجية مصر ووزير خــــارجية السودان ، ومثل باقى الدول اعضاء الجامعة ، الثمانى حينذاك، سفراؤها

دور السودان

بالقاهرة . وكان ذلك برهان العناية المصرية الخاصة بهذا الحدث التاريخى .

وتحدث فى الجلسة رجل الدولة المصرى الدكتور محمود فوزى ، وزير الخارجية حينذاك ، فقال « ان مصر ترحب كل الترحيب بهذا الطلب الحبيب الى القلب : طلب السودان أن يكون عضوا حرا مستقلا فى جامعة الدول العربية » ... وزاد « انه لا يعرف طلبا أجمل منه ، ولا أقرب الى النفس ، ولا أحب الى القلب ... وان السودان لقادم على هذه الجامعة بحماسة وشبابه وشبانه . فهو شاب قوى متحفز مقبل على الحياة ، سنستفيد من خبرته . وسنستفيد من ايمانه ... وانا لننظر الى السودان كما نظر موسى الى هارون ، ننظر اليه كى نشد به أزرنا ونشركه فى أمرنا .. »

وتحدث جميع ممثلى الدول الأعضاء مرحبين بالعضو العربى الجديد ، ملتقين على الاستبشار بعهد جديد للعمل العربى المشترك ، يزداد فيه قوة وفاعلية ، ويتم اتساعا وشمولا .

ولم يؤخذ الراى بالقبول تصويتا كما جرت العادة ، وانما أخذ الراى ترحيبا اجماعيا وتصفيقا عاما ... وأبدى أحد أعضاء المجلس ملاحظة شكلية ، راجيا أن يتم الاقتراع على طلب الانضمام استكمالا للحكم القانونى . وأجاب الدكتور فوزى ، فى سياسة وصدق ، قائلا : « ان هناك موافقة أهم فالتصويت من التصويت ، وهى هذا التصفيق الذى تردد خلال الجلسة ... » وتكرر التصفيق . ورفعت الجلسة فى تمام الساعة التاسعة من مساء ذلك اليوم ، حيث انصرف أعضاء المجلس الى حفل تكريمى لوفد السودان .

وهكذا أكدت مصر والسودان ، وأكدت الدول العربية جمعاء ، ان العمل العربى المشترك الصادق أعظم نفعا من كل وحدة جزئية ، وأن الارادة فى المجال القومى أقوى من كل ارتباط دستورى ، وأن محاولات التفريق بين الشقيقات العربيات ، والزمرات الاستعمارية المتصلة وقتا طويلا قد قضى عليها ، وأن عهدا عربيا جديدا قد بدأ ...

الموقع السياسى والمسئولية القومية

يؤلف السودان مع مصر وادى النيل ، قلب الوطن العربى ، وأوسع رقعة فى القسامه وأوفرها حضارة ، وأعظمها خصبا ، وأكثرها سكانا ... وفى غربه تقع ليبيا ، كما يقع بلد افريقى يمكن أن يعد عربيا بنسبة كبيرة من سكانه وبلغة الضاد السائدة فيه وباتجاهاته نحو الاسرة العربية ، وهو « تشاد » ... كما يطل السودان على البحر الاحمر .

حيث يحمل مسئولية الامن العربى فى هذه المنطقة الحيوية مع شقيقاته : مصر والصومال والعربية السعودية وشطرى اليمن وهو عضو فى مجموعة الدول الافريقية الشرقية ومنظمـــة الوحدة الافريقية ، وتشـــاركه فى الحدود اثيوبيا ، وكينيا ، واوغندا، والكونغو ، وافريقية الوسطى ·

وبهذا الموقع الجغـــــرافى ، وبالانتماء القومى والتاريخى ، يحمل الســــودان مسئوليته العربية والافريقية ، ويؤدى دوره فى المجال الدولى ، ويمضى قدما فى مســـيرة لدعم الاستقلال الوطنى ، وبنـــاء قواعد الحرية ، والتنمية الاقتصادية والاجتماعية ·

وفى المجال العربى يؤدى السودان واجبه فى مجـــال الامن القومى ، ويقف فى صف التضامن العربى ، متحمــــلا ما يفرضه الموقف من واجبات والتزامات ·

ومواقفه مذكـــورة فى الصراع العـــربى الاسرائيلى ··· ولا يزال مؤتمر القمة العربى بالخرطوم احد المعالم البارزة فى النضـــال العربى المشترك · وكان للشعب السودانى وانتمائه العربى الاصيل ودوره البارز فى قراراته الصادرة فى الفاتح من سبتمبر (ايلول) لعام الف وتسعمائة وسبعة وستين · وكانت بداية العمل العربى المشـــترك الجاد فى مقاومة العـــدوان الاسرائيلى · كما كانت بداية التحول الكبير ، تظهر اثاره من بعد ذلك بستة اعوام فى حرب رمضان المجيدة ، التى اعلت كلمة الحق العربى ، واظهرت للعـــالم حكمة امتنا وتقدمها ووفرة امكاناتها، وقوة الامال فى بلوغ النصر الكامل على قوى البغى والعدوان ···

وكانت القوة الســـودانية ، فى حكمة امتنا وتقدمها ووفرة امكاناتها القومى المخلص · وهو التزام ظهر على اتمه فى اعتبار ارض السودان عمقا لمجـــــال القوات المصرية · المناضــــلة لتحرير الارض العربية المحتلة ، واستعادة الحقوق الوطنية للشعب الفلسطينى ·

وفى عام واحد وستين وتسعمائة والف ، ادت السودان دورا مشهودا كذلك فى مجال الامن القومى · ففى صيف ذلك العام ، وحين نجم النزاع العراقى الكويتى ، حملت مســئولية تاليف قوات امن الجامعة العربية ، وطفت ببلاد الجـــامعة الاثنى عشر حينذاك ارجو مشـــاركتها فى تلك القوات ، حتى تحل محل القـــوات البريطانية التى نزلت الكويت لاول مرة فى التـــاريخ ، وحتى يخف التوتر بين البلدين الجارين الشقيقين سبيلا للاصـــلاح بينهما ··· وكان الســـودان احد دول عربية اربع ، تلبى الدعوة احسن قبول ، واشترك بقواته ، واستمرت مشـــاركته قوية فعالة من بداية الازمة فى صيف عام واحد وســـتين ، حتى نهايتها فى ربيع عام ثلاثة وستين ·

والسودان ينهض بدور فعال فى تاييد القضــــايا العربية ، وفى

دور السودان

مقدمتها قضية فلسطين ، كما يعمل دوره كاملا فى مجالات التعاون العربى : اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا . ويحرصه على اداء دوره

انضم الى المنظمات العربية المتخصصة ، وفى مقدمتها مجلس

الوحدة الاقتصادية والسوق العربية المشتركة – وهو لا يضم سوى نصف

الدول اعضاء الجامعة – والصندوق العربى للتنمية الاقتصادية

والاجتماعية ، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، والاتحاد

العربى للبريد ، والاتحاد العربى للمواصلات السلكية واللاسلكية ...

وتقديرا لدوره فى التنمية العربية اختيرت الخرطوم مقرا للمنظمة

العربية للتنمية الزراعية التى انشئت منذ عامين ، وعلقت عليها اعظم الامال ...

ودور السودان فى دعم التضامن العربى الافريقى مشهود . فهو

ينهض بواجبه على اتم وجه فى منظمة الوحدة الافريقية منذ

نشاتها ، ويعمل جهده لنصرة قضايا التحرير الافريقية ، ومكافحة

الاستعمار الاستيطانى العنصرى فى القارة التليدة ... وكان التقدير

الافريقى لدوره باختياره فى العام الماضى رئيسا للجنة السبع المنبثقة

عن منظمة الوحدة الافريقية ، والمؤلفة لمتابعة التنفيذ لقرارات المنظمة

... وكان التقدير العربى لهذا الدور باختيار الخرطوم مقرا

للمصرف العربى الجديد للتنمية الاقتصادية والاجتماعية فى افريقية .

وهو مصرف نرجو أن يؤدى واجبه فى خدمة التنمية الافريقية ، ودعم المصالح العربية الافريقية المشتركة .

وفى المجال الدولى ينهض السودان بمسئوليته مع شقيقاته العربيات فى

الامم المتحدة ووكالاتها المتخصصة ، ومؤسساتها المختلفة ، وفى سائر

المحافل الدولية ، وخاصة مؤتمرات عدم الانحياز ، ولقاءات الدول النامية ...

دور السودان فى التنمية الزراعية

على أن دور السودان المرموق ، هو الدور الذى يستطيع أن يؤديه عربيا ودوليا فى مجال التنمية الزراعية ...

فأزمة الغذاء العالمى لا تقل خطورة عن أزمة الطاقة ... وقد رأينا تهديد

الولايات المتحدة الامريكية للدول النفطية ، التى استخدمت حقها

المشروع العادل فى رفع اسعار النفط مجاراة للارتفاع العالمى فى السلع

والمواد الاولية المختلفة . فقد جاهر الرئيس الامريكى فورد بوقف

تصدير المواد الغذائية الى الدول النفطية ، التى لاتنزل على الارادة الامريكية .

ويزيد من خطورة الازمة الغذائية الانفجار السكانى الذى يهدد العالم

باعظم الاخطار ، وينذر بمجاعة عالمية ان لم تستنبط وسائل اخرى لمضاعفة الانتاج العالمي من المواد الغذائية • واذا كان الغذاء العالمي الحالي يقصر عن الوفاء بمطالب الانسان ، ويتعرض للموت جوعا الملايين في آسيا وافريقيا ، فما بالك بمستقبل البشرية في بداية القرن الحادي والعشرين اذا تضاعف عدد سكان العالم الحاليين ، ولم يتضاعف الناتج العالمي من الغذاء؟!

ووفرة الغذاء للدول النامية خاصة عامل اساسي في الحفاظ على حريتها وسيادتها ، وحمايتها من السيطرة الاستعمارية الاجنبية •

وقد بدأت ازمة الغذاء العالمي الحالية في عام اثنين وسبعين وتسعمائة والف ، بسبب نقص الانتاج نتيجة للتقلبات الجوية والجفاف ••• وظهر ذلك في بعض المناطق الاساسية لانتاج الحبوب ، وهي الاتحاد السوفييتي ، والصين، والهند ، واستراليا ، والجنوب الشرقي لآسيا والمنطقة الساحلية الغربية لافريقيا • وكان دخول الاتحاد السوفييتي مشتريا للحبوب في السوق العالمية من اسباب تفاقم الازمة •

وبلغت الازمة اقصاها في ابريل (نيسان) لعام اربعة وسبعين ، حين تدهور المخزون العالمي من القمح الى ما يكفي ثلاثة اسابيع فقط ، واختفى المخزون العالمي لمحصول الارز ••• وكان من عناية الله أن حافظت كثرة الدول العربية على معدلات انتاجها من الاغذية في هذه



التنمية الزراعية ودور السودان الرموق في مجالها

الفترة الحرجة وان كان ارتفاع الاسعار قد اضر باقتصاديات الدول العربية غير النفطية ، وعطل تنفيذ برامجها للتنمية • الا ان الدول العربية تعتبر في جملتها من الدول المستوردة للحبوب •

وتشير التقديرات الى ما ينتظر الدول العربية من مضاعفات في ازمة الغذاء ، يتعين العمل الجاد المشترك لتلافيها ••• فالطلب العالمي على الغذاء ينتظر ان يزداد سنويا بمعدل اثنين ونصف في المائة ، ترجع اثنان منها لازدياد السكان والنصف الى ازدياد الدخول والتضخم المالي • ومن ذلك يتبين ان اربعة اخماس الزيادة في الاستهلاك الغذائي تعود الى النمو في عدد السكان ••• والدول النامية، ومنها العربية ، يزداد عدد سكانها بنسبة اثنين ونصف في المائة سنويا ، بينما يزداد عدد الدول

دور السودان

الصناعية المتقدمة بنسبة واحد فى المائة فقط · وبهذا تتحمل الدول العربية العبء الاكبر من الازمة الرتقبة مع سائر الدول النامية ···

والدول ذات الفائض الغذائى العالى الحالى هى الولايات المتحدة الامريكية ، وكندا واستراليا · ولديها مقدرة فائقة على التحكم فى الانتاج تطبيقا وتوسيعا حسب مصالحها الاقتصادية المرتبطة بنوازعها السياسية ··· فقد استطاعت الولايات المتحدة فى العام الزراعى الماضى ان تزيد مساحة ارضها المزروعة قمحا ستين مليونا من الافدنة دفعة واحدة ، وان تتحكم فى جميع الصادرات وأن تضاعف الاسعار ، والا تشعر بأى حرج فى ذلك ، بينما توجه اللوم والتهديد الى الدول النامية التى تستعمل حقها الطبيعى المشروع فى زيادة الاسعار لموادها الاولية ، مجاراة لارتفاع الاسعار العالمى للمواد الخام والمصنعة ، ولتدنى قيمة العملات وللتضخم المتصاعد ·

والدول العربية تعانى النقص فى المواد الغذائية · فهى تستورد من القمح خمسة ملايين طن سنويا ، ومن الحبوب الاخرى اربعة ملايين ، كما تستورد الكثير من سائر المواد الغذائية ·

ومواجهة هذه الازمة ، بل الحصول على ربح وفير فضلا عن تخطيطها ميسور للدول العربية · واذا كانت مصر تستغل استغلالا مقبولا ملايينها الستة المحدودة من الافدنة ، فان هنالك نحو ثلاثمائة مليون فدان صالحة للزراعة فى الوطن العربى ، ولا يستغل اكثرها، ويستغل بعضها استغلالا منقوصا · وهى موزعة بين السودان والعراق وسورية والمغرب والجزائر ···

وبالسودان وحده نحو مائتى مليون فدان صالحة للزراعة ، ولا يستغل منها سوى نحو ثلاثة فى المائة ··· ولو تم استغلالها لسدت حاجة المنطقة العربية كلها ، ثم قدمت للعالم نحو ثلث حاجة العالم من القمح والفول وسائر المواد الغذائية ·

واذا كانت الامة العربية غنية بفائضها المالى فانها تستطيع بالف مليون دولار ان تنفذ فى خمس سنوات مشروعا سودانيا لزراعة نصف الارض الصالحة للزراعة ، وان تعود على السودان وعلى الاقتصاد العربى والعالمى بخير الاثار · وانه لمن اسباب التفاؤل ان بعض الدول العربية النفطية اخذت تدرس المشروع ، وتبدى استعدادها للتمويل ، فتحية لجمهورية السودان فى عامها العشرين وتحية اعظم لها يوم تستكمل اسباب نموها وحريتها واستقلالها ·

وتحية لامتنا العربية الخالدة يوم تسجل النصر التام فى معركتى التحرير والتنمية الاقتصادية والاجتماعية ·

عبد الله محمد
عمر البنا

فلسطين ....واغوثاه

من حصاد المهرجان
الثقافي بالخرطوم



هو الشعر في الخرطوم جاشت مواكبه
لينشد ماضيه ويشرق غاربه
تهيب به الذكرى فيناى ويثنثي
يغالبها طورا وطورا تغالبه
تناجى به آساده وظباؤه
وغنى به احبابه وحبائبه
فتفتر الى ثغر وكف الى يد
وصدر الى صدر وطهر نواكبه
اذا استعرت نار الهوى في صدورهم
دعته العلا مهلا وظلت تعاتبه
سهرنا على سهل القريض وحزنه
قوافيه احسان ، وحمد عواقبه
وننظم من در الكلام عقوده
ونلبسه حرا كريما يناسبه
وجيش دفنا في الغبار سراته
حراص اعاديه حقود محاربه
صمدنا له واستحكم الشر بيننا
فخابت مساعيه وولت كتائبه

فلسطين واغوثاه

ولله « شوقى » اذ جلا النيل للورى
فخلده ذكرى وجاشت غواربه
وقد رفع الاهرام بالشعر خالدا
بها وبه اعتزت وعزت غرائبه

●●●

فلسطين ، واغوثاه ، نادى وحركى
بنيك يجب شعب كثير نوائبه
دماؤهم طهر ومسعاتهم رضا
وكل امين صادق السعى راتبه
فكم ياسر منهم تلقاه ياسر
بميدان صدق فاز بالسبق لاعبه
الا ان اسرائيل ضلت وسائلها
عدو خبيث الكيد سود مثالبه
لقد ربحت ارضا واحيت عداوة
ستعقبها ذلا الى الموت دائبه
ستصلى بنار الحرب من فتية الحمى
تفرمهما انجابه ونجائبه
صواعق من جو السماء بعينها
حريق من الغبراء يسود لاهبه
الم تريوم النصر اذ طار حصنها
هباء وجيش الخزى قد جر هاربه
الم تر جيش العرب كيف تساندت
قواه وعين الله فرحى تراقبه
الم ترهم اذ كبروا وتكبروا
عليها وساموها الذى لا تجانبه
وساروا كان المصطفى فى صفوفهم
بخيبر يدعو والسماء تجاوبه

●●●

اخلاى ، هذا المهرجان تزينت
رباه وهبت عاطرات جنائبه
وهذا شريف الشعر قد جد عهده
وطابت اداتيه وطالت ذوائبه
سرى روح مصر بالوداد مبشرا
فلا الروع ثانيه ولا البعد حاجبه
به وبكم راق الضحى متبسما
كما احتللت اصالة ومغاربة

كأني بعهد الأزبكية مشرقا
يغرد شاديه ويعتد خاطبه
كأني بشوقي ولوعا بحافظ
فطورا يناجيه وطورا يعاتبه

نزلتم نزول الغيث بين ديارنا
تلاقى عزاليه وينهل ساكبه
وانشد تمونا مرقصا متألقا
تسامت مراميه ولانت مصاعبه

وقلنا بكم ما ابهج النفس من علا
وقلتم بنا ما يبلغ النجم كاسبه
فاهلا بكم اهلا واهلا بكم بدا
واهلا بكم وفدا عزيزا تقاربه

وما نحن الا ثورة جعفرية
ينادي بها اصحابه وصواحبه
مزيج من الاقدام منهم ومنه في
جوانح مقتول بها من يغالبه
يغدونه ان صرح الشر باسمه
فلا الشر ثانيهم ولا هو هائبه
نزف الى السادات في مصر ودنا
وبالود محضا والوفاء نطالبه

ونصلى بنار الحرب ان قيل شمرت
وشدت وجلت تبتغي من تواثبه
وندفع عن مصر الاذى بنفوسنا
بعزم قوى نافذات مضاربه

وجيش شديد الباس في الحق ذائد
عن العرب لا يعيا بما هو طالبه
بنونا صناديد الوغى علة الردى
سمام العدى اس اللقاء مناكبه
ضراغم وادى النيل عزت فيافيه
بهم وبهم تاهت وباهت سباسبه
اولئك حزب الله والنصر عنده
ومن يغز حزب الله فالله غالبه

محمد مصطفى الماحي

مصر والسودان

من حصاد المهرجان الثقافي بالخرطوم

الا هل اتى الاحباب ما وسع القلب
من الشوق ، مما لا تقوم به الكتب ؟

فما مصر والسودان فى سرعة الهوى
سوى شعبتى حب يضمهما قلب

بلاد حباها الله مجدا مؤثلا
تباهى به فى كل ايامها العرب

بلاد رواها النيل من فيض بره
فاينع فى ساحاتها الزرع والخصب

وما النيل الا نعمة الله ساقها
وما النيل الا الغوث والكوثر العذب

اقامت على شطيه اسمى حضارة
يدين لماجادت به الشرق والغرب

اضاءت بها الدنيا دهورا مديدة
على حين كان الغرب فى خطوه يحبو

وسالت بما يجرى من الفيض انهر
تزين حفافيها حدائقها الغلب

وانبت فى واديه ابطال امة
حياتهم جد ، وسعيهم داب

فيايها النيل الوفى تحية
وقل لما اسديته الشكر والحب

لقد جئت مشتاقا للقيا احبة
تنافس في لقياهم العين واللب
لقيت بهم داري واهلي وصحبتي
فما بعدت داري ولا افترق الصحب
رعى الله في السودان شعبا مناضلا
فما مثله في كل منقبة شعب
وما ساحه الا رياض مريعة
وما اهله الا غطارفة غلب

ذكرت من السودان يوم تكالبت
عليه ذئاب ليس يشبعها غصب
راى الغرب فينا لا تغيض عيونه
ونبع ثراء ليس تخلفه السحب
فقسمه شطرين حاط كليهما
بسور من الطغيان غايته السلب
واغراه صمت الليث يربض جاثما
ولم يدر ان الربض يعقبه الوثب
فقام بنوه يستعيدون حقهم
وكل فتى من اهله صارم عضب

***

وساندهم في مصر اركان نهضة
اذا ما دعوا في دفع فاشية هبوا
فبالدين والاخلاق وثقت العرى
وفي الضاد عهد ليس تفصمه القضب
وجمعت العرب الاباة عقيدة
بها انقادت الاسباب والتأم الشعب

مصر والسودان

فثار ليوث الغاب يحمون غيلهم
والثخن في اعدائه الطعن والضرب
وهيهات ننسى يوم سيطت دماؤهم
بسيناء والجولان مذ شبت الحرب
ولله في النصر المؤزر آية
تجلت ، فلا شك يلوح ولا ريب
عبرنا بها شتى الصعاب ومن يفز
بعرتبة الايمان ذل له الصعب
كأني بوادي النيل اصبح جنة
يفيض بصحراواته الماء والحب
عزيز على ابنائه الصيد أن ترى
فيافيهم لا الماء فيها ولا العشب !!
على انني قد شمت بارقة المنى
تبين لما تناى ، ولا ضوؤها يخبو
وقد بدا الاصلاح يؤتي ثماره
فلا همة تكبو ولا خطة تنبو
ونالت السودان وحدته التي
تقضت بنعماها زعازعه النكب
وساد وفاق بين اهليه قاده
الى اجمل الغايات قائده الندب
فهيا بني قومي كراما اعزة
لقد دنت الآمال فليسرع الركب
وقد جمعتنا وحدة وتضامن
وثيق ، وللتاريخ ميدانه الرحب
وهذي يد «السادات» في يد « جعفر »
تصونان عهدا لا يزعزعه خطب
زعيما جهاد صادق روعا به
قلوب عداة ظل يملؤها الرعب
هما قمتا مجد تسامى الى العلا
ليبلغ مالا تبلغ السحب والشهب

د. محمد عبد المنعم خفاجي

النيل ملهم الشعراء

النيلُ ، هذا النهر الخالد ـ بشواطئه وشلالاته بجزره وانهاره ، بواديه الخصب الممرع ، بمناظره الساحرة الخلابة ، بكل روعته وجلاله وجماله ـ كم غنى له الشعراء ، واستلهمه فى روائع آثارهم الادبية والفنية الفنانون والادباء . كم اوحى الى الشعراء فى كل العصور والاجيال بشرود الخيال وعمود القصيد ، وجلال المعانى ، وروائع الصور ، وبليغ الاساليب . كم اثار من عواطف ، واهاج من مشاعر واحاسيس ...

كائنا كان شعر الطبيعة فى الادب المصرى القديم والحديث وقفا على رسم مشاهده ، ووصف مفاتنه ، وتسجيل كل الوان الجمال التى فتن بها الشعراء فى شمال الوادى وجنوبه على حد سواء ومع ذلك فلقد شهدت ضفاف النيل الكثير من مواكب الحرية ، وعاشت فى ظلال العديد من ثورات النضال الوطنى ، وحركات التحرر القومى والفكرى والثقافى ، على مر العصور والقرون ، وكم شهدت ارضنا الحبيبة مولد المدارس والمذاهب الادبية والشعرية والنقدية ، وكل ذلك نتيجة تفاعل الادباء مع البيئة والطبيعة التى يرسم النيل صورتها الرائعة الساحرة فى مخيلة الشعراء ، ومشاعر الادباء

ان الشعراء فى الوادى ، شماله وجنوبه ، على امتداد عصور التاريخ، كم هاموا بالنيل ، وبضفافه الخضر الجميلة ، وباشجاره السامقة الباسقة الظليلة ، وكم سموا دواوينهم باسمه ، وبضفافه وعبابه وزوارقه وشواطئه ، كم تحدثوا عن حضارة واديه الرفيعة العريقة ، وسموه النهر الخالد ، والنهر العظيم ، وهو نهر عظيم حقا ، بامتداد طوله نحو ستة الاف كيلومتر من المنبع الى المصب .

واذا غنى للنيل امير الشعراء احمد شوقى فى القاهرة القصائد الرفيعة ، وفى مقدمتها قصيدته « أيها النيل » التى يقول منها :

من أى عهد فى القرى تتدفق ؟ وباى كف فى المدائن تغدق

النيل

ومن السماء نزلت ام فجرت من   عليا الجنان جــداولا تترقرق
خلع الزمــان على الورى ايامه   فاذا الضحى لك حصة والرونق
اصل الحضارة فى صعيدك ثابت   ونباتها حســن عليك مخلق
ولدت فكنت المهــد ثم ترعرعت   فاظلها منك الحفى المشــفق

الى ان يقول :

تابوت موسى لا تزال جــلالة   تبدو عليك له وريا تنشــق
وجمال يوســف لا يزال لواؤه   حوليك فى افق الجــلال يرنق
ودموع اخوته رســائل توبة   مســطورهن بشــاطئيك منمق
وصلاة مريم فوق زرعك لم يزل   يزكو لذكراها النبات ويســمق
وخطا المسيح عليك روحا طاهرا   بركات ربك والنعيم الغيــدق
وودائع الفــاروق عندك دينه   ولواؤه وبيــانه والمنــطق
يا نيل انت بطيب ما نعت الهدى   وبمدحة التــوراة احرى ، اخلق

فلقد غنى له كذلك شــاعر السودان النبيل من الخرطوم ، يوسف بشير التيجانى (١٩١٢ ــ ١٩٣٧ م) قصيدته « فى محراب النيل » (ــ ١٩ ديوان « اشراقة » ــ) التى يقــول منها :

بله اوفاضــك الجلال فمرحى   بالجلال المفيض من انســابك
حضــنتك الاملاك فى جنة الخلــ   ــد ، ورفت على وضىء عبــابك
فتحــدرت فى الزمان وافــر   ــغت على الشرق جنة من رضابك
بين احضانك العراض ، وفى كفــ   ــيك تاريخه ، وتحت ثيــابك
كم نبيل بمجد ماضيك ماخــو   ذ ، وكم ســاجد على اعتابك
عفروا نضرة الجبــاه بيراق   ســنى من اللآلى ترابــك
سجدوا ذاهلين لا روعة التــ   ــاج ، ولا زهو امرة خلف بابك
واســتفاقوا يا نيل منك لانغام   تهــجى من الهى ربابــك
ايها النيل فى القلوب سلام الـ   ــخلد وقف على نضير شــبابك
ان تحــبنا اليك فى عزة الوا   ثق راضين وفرة عن تحــابك
او رفلنا فى عبوتيك مــد لبــ   ــن على امة بما فى كتــابك
او عبدنا فيك الجــلال فلما   نقض حق الذياد عن محــرابك
او نعتنــا به الزمان فلم نبل   بلاء الجــدود فى صون غابك

ولو قد عاش التيجانى يوســف بشير ، وشاهد انتفاضة الوادى ، شماله وجنوبه ، من اجل الحرية ، ثم شاهد انتصاراتنا المدوية فى معارك العاشر من رمضان ، على الاستعمار وصنائع الاستعمار ايضا ، لادرك ان لاحفادهم صــورة من هؤلاء الاجداد حفاظا على حرية الغاب ، وصــونا لقداسة المحــراب ، وثورة على كل عاد يحــاول ان يدنس التراب ، او يقتحم الابواب .

وفى قصيدة التيجانى « ثقــافة مصر » (ــ ٨٦ ديوان « اشراقة » ــ) يقول :

انما مصر والشقيق الاخ السودان   كانا لخــافق النيــل صدرا
حفظا مجده القديــم •• وشادا   منه صيتا ، ورفعا منه ذكــرا

الفنا الفى هوى جمعتنبـــــــــا   سرحة الفكر فى أواصر كبـــــرى

وفى هذه القصيدة يقول :

هو من صاغنا على حـــرم النيـــل وشطانه دعاء وشـــــكرا
فجر النيـــــل يوم نشر فى الار   ض ضحاها وصاغ للناس فجرا

وما أصدق ما عبر التيجاني عن كل هذه المضامين : جـلال النيل فى عاصمتيه فى الشمال والجنوب ، وكفاح دولتيه من أجل العروبة والاسـلام ، والتقائهما فى هدف نبيل هو الحفاظ على شعلة هذا الوحى السماوى قوية مضيئة هادية ، وفى أخوة فكرية وروحية جليلة تجمع ولا تفـــرق ، وتبني ولا تهدم ، وتضيء كل مسالك الحيـــاة وشعابها أمام الاجيال الصـــاعدة الزاحفة فوق مسرح الحياة والمجد فى وادينا الحبيب ٠

ويعبر شوقي عن قوة هذه الاخوة بين عاصمتى النيل فى الشمال والجنوب ، فيقول (٣٣٢ ـ الشوقيات) :

ومـا هو ماء ولكنـــــــه   وريد الحيـــاة وشريانها
تتمم مصر ينابيعــــــه   كما تمم العين انســـانها
فمصر الرياض وسودانهـــا   عيون الرياض وخلجانهـــا

وكان شوقي شاعر الوادى ، يعبر بحق وصدق عن مشـــاعر كل مصرى وسوداني حين قال :

قد قضى الله ان يؤلفنا الجـــر   ح وان نلتقى على أشـــجانه

وليس هناك شاعر من شعراء مصر أو السودان، فى القديم(١) أو الحديث، لم يتأثر فى شعره بمشهد النيل العظيم وبجمال شطآنه الخضر الساحرة ، أو لم يصف جلال النهر وروعتــــه ،وسحره وبهاءه ورواءه وفتنته ، أو لم يتحدث عن تاريخ الوادى ومجــده وحضاراته ، وعن حضـــارة الاسلام التى استظل بظلالها قروناً وأجيـــالا طوالا حتى اليوم ، وسيظل يستظل بها أبد الآباد دائما بمشيئة الله ٠

ولقد كان النيل دائمـــــا ، وعلى امتداد العصور ، يصنع المعجزات ، ويكتب فى تاريـــخ الشرق روائـــع البطولات ، ويقف مدافعاً عن كل القيم

(١) لابن عبد الظاهر (٦٢٠ ـ ٦٩٢هـ) مقامة فى مصر والنيل ـ مخطوطة فى برلين ٠

محمود سامي البـــارودى





والمبـــادىء النبيلة التي يتنكر لها الناس ،وكان شعراء النيل هم في مقدمة كل الشعراء ، دفاعا عن الحــرية ،وحرصا على السلام ، وايمـــانا بالرسالات ، وبذلا لغالي التضحيات .

وفي كل الاحوال كان شعراء مصر أشد الناس حرصا على الايمان بالاخوة، واكثر الناس اعتزازا بصلات الحــب والجوار التي تربط بين الشمال والجنوب ، يقول الشاعر محمد الاسمر (١٩٠٠ ـ ١٩٥٦ م) من قصــيدته « يا بنى السودان ـ ص ٢١٩ ديوان الاسمر » :

ما مصر ، ما الشـام ، وما   أرض الحجـــاز واليمن
قلوبنـــا ، ان شرقــوا   أو غربـوا ، لهـم سكن
هم في ربى السودان مثـ   ـل الروح حلت في البـدن

وفي القرن الحادى عشر الهجري نجد شاعرا سودانيا يقف في سنار ليمدح أحد ملوك الفونج ، وهو السلطان بادى أبو دقن (١٦٤٣ ـ ١٦٧٨ م) ، وذلك في قصره بعاصمته الجميـلة ، فيقول في أسلوب تقليدى واضح :

أيا راكبا يسرى على متن ضـامر   الى صاحب العلياء والجود والبـر
ويطوى اليه شقة البعد والنـوى   ويقتحم الاوعار في المهمه القفـر
وينهض من مصر وشاطىء نيلهـا   وأزهرها المعمور بالعـلم والذكر
لك الخير ان وافيت ، سنار ، فقف بها   وقوف محب ، وانتهز فرصة الدهـر
والق عصا التسيار في صرح الفها   تجد كل ما تهوى النفوس من البشر (١)

وكان من علماء سنار ودارفور ابان ذلك العهد جماعات درسـت في الازهر ، وتزودت بثقـافته ، ولهم ولطلابهم رواقان في الازهر يسميان رواق السنارية ، ورواق دارفور ، ومن الادباء المشهورين في مملكة الفور محمد ودعمارى من متخرجي الازهر وكان كاتب سلطان دارفور محمد الفضل أثناء فتح مصر للسودان أيام محمد علي .

ومنذ التاسع من يونيو عام ١٣١٨م حين دخل السلطان الناصر بن قلاوون ملك مصر مدينة دنقلة في شـمال السودان ، وشمال السـودان ينعم بالحياة في ظلال العربية والاسلام ، وقد وجدت الاداب والشعر مجالا خصبا لها في سنار عاصمة مملكة الفونج ، ثم في دارفور عاصمة مملكة الفور .

وبعد الثورة المهدية في السـودان قامت في الشعر السوداني مدرسة شعرية كلاسيكية محافظة ، تشبه مدرسـة البارودى وتتأثر خطاه ، وطابعها ديني غالبا ، وظهرت بذلك شخصية الشاعر السوداني مستقلة واضحة المعـالم والسمات والخصائص ، وتخرج على أيدى هذه المدرسة كثير من الشـعراء من بينهم عبد الله عمر البنا (ولد عام ١٨٩١) وكان أبوه الشاعر عمر البنا (١٨٤٨ ـ ١٩١٩) من الشعراء في مرحلة سيادة الكلاسيكية ، ومن بينهم كذلك محمد سـعيد العباسي ، وعبد الله عبد الرحمن ، وتوفيق أحمد، وعبد الرحمن شوقي ، وسواهم ، وهم يمثلون المدرسة الكلاسيكية الثانية أو المجددة* .

---

(١) وتنسب هذه القصيدة لشاعر آخر في السلطان العثماني بايزيد الثاني مع تغيير في البيت الرابع .



احمد شوقي



محمد الاسمر

وبعد عام ١٩٢٤ ظهرت في الشعر السوداني المدرسة الابداعيـــة وكان الشاعر عبد الله حمزة طمبل أول شاعر ابداعي في حركة الشعر في السودان، وهو أول من دعا في مقالاته في مجلة النهضة السودانية الى ابراز الطابع السوداني في الشعر . وفي هذه الدعوة يقول المؤرخ السوداني محمد عبد الرحيم في كتابه « نفثات اليراع » يجب أن يكون للسودان أدب خاص يحمل طابع شمسه المشرقة ، وظهرت دواوين كثيرة تمثل الاتجاه الرومانسي ومنها :اشراقة للشاعر التيجاني «والشاطيء الصخري للشاعر حسين منصـــور ، ودموع واشواق للشاعر حسن عزت والحرية والجمال للشاعر جعفر حامد البشير ، وسوى ذلك .

ونجد التيجاني يوسف بشير يشبه حبيبه بالنيل تشبيها جيدا في قصيدته « انت أم النيل ؟ » فيقول :

انت يا فاتني ام النيـــل زخا ... را ؟ بنفسي كليكما من شـــبيه
قلتنا السحر من شواطئه الخضـ ... ـر وعن الزمان من ماضيـــه
واذكره سالفا مجيداً على الدهـ ... ـر ، عزيـــزا على كرام بنيه

ويصف الشاعر على الجارم رحلتـه من مصر الى السودان في قصـــيدته النونية المشهورة ، فيقول :

يا نســـمة رنحت أعطاف وادينا ... قفي نحييك أو عوجي فحيينـــا
مرت مع الصبح نشوى في تكسرها ... كأنما سقيت من كف ساقينـــا
حتى تبدت لنا الخرطوم عن كثب ... كما تجلى جلال النور في سينا
جئنا اليهـــا فمن دار الى وطن ... ومن منازل أهلينا لأهلينـــا
جئنا اليها وفي أكبادنا ظمـــا ... يكاد يقتلنـــا لولا تلاقينـــا

ويعكس الشاعر الســــــوداني « العباسي » القضية ، فيصف شوقه الى مصر وحنينه اليهــــا وسروره بلقائها ويقول :

آه لو أن لي بساطا من الريـ ... ـح أوافيـــه أو قــوادم نسر
فيـــك يا مصر لذتي وسروري ... وسميري وقت الشباب ، وذكرى

ويقول من قصيدة أخرى :

النيل

بمصر وما مصر سوى الشمس التى ... بهرت بثاقب نورها كل الورى
ولقد سعيت لها فكنت كانما ... اسعى لطيبة او الى ام القرى
وبقيت ماخوذا وقيد نواظرى ... هذا الجمال تلفتا وتحيرا
فارقتها والشعر فى لون الدجى ... واليوم عدت به صباحا مسفرا

ويصف أمير الشعراء احمد شوقى مجلسا له على الجزيرة بين الجسر والنهر ، فيقول :

ذكرت مصر ومن اهوى ومجلسنا ... على الجزيرة بين الجسر والنهر
واليوم اشيب والافاق مذهبة ... والشمس مصفرة تجرى لمنحدر
والنخل متشح والغيم تحسبه ... هيف العرائس فى بيض من الازر

وقد استمد شوقى كثيرا من صوره من النهر والزورق ، فها هو ذا يصف زورقا يحمل بعض الحسان فيقول فيما يقول :

على فلك تسير بنا الهوينى ... ومن شعرى نديم لى وجلس
تنازعنا الملاعب حيث ملنا ... زوارق حولنا تجرى وترسو
صغار الحجم مرهفة الحواشى ... لها عرف اذا خطرت وجرس
اذا المجداف حركها اطمانت ... وان هو لم يحرك فهى رعس

ويصف التيجانى مثل هذه الرحلة فيقول من قصيدته « الزورق الاخضر »

يا نيل لم تحبس لانسان ... يخفق فى جنبيك قلبان
فى زورق اخضر مستبشر ... مبارك الصبوة ريان
مشى بايار على زهوه ... وطوق اللج بنيسان
كقبلة سكرى سماوية ... تهبط فى وجنة نشوان

ويصف التيجانى مدينة الخرطوم وصفا شبيها بما فعل على محمود طه، يستعين فيه بالرموز والاشارات والكنايات ، يقول التيجانى (فى ديوانه اشراقة ص ٢١)

مدينة كالزهرة المونقة ... تنفح بالطيب على قطرها
شفافها السحرية المورقة ... يخفق قلب النيل فى صدرها
تحسبها اغنية مطرقة ... نغمها الحسن على نهرها
مبهمة الحانها مطلقة ... رجعها الصيدح من طيرها
وشمسها الخمرية المشرقة ... تفرغ كاس الضوء فى بدرها

ويختمها بقوله :

القصيدة المبهمة الاله ... براعة الفنان والشاعر

ويصف ابو شادى النيروز ويتحدث عن النيل فيقول :

عبرت عن احرار مصر بفريتى ... ولرب ناء كان غير الناسى
فى فرحة النيل هلل مثلنا ... لسنائها واختصها « بوفاء »



عزيز أباظة



أحمد زكي أبو شادي

اوفى ، وحوض النيل اصبح كله حرا ، ففاض بحبه المعطـــاء
الحسن في نظراته، كالخصب في خطراته ، كالوحي للشـــعراء
انى نظرت ترى مواكب نسقت للحب بين ترنم وضـــــياء
وترى النخيل على السماء زواهيا فالنيل فاق جمــال كل سماء
تتالق الامـــال فوق نضاره كتالق الاحلام فى الصـــحراء
يا ليتنى فى مصر الثم تربها كالنيل يلثم شـــطها بولاء

أما الشاعر عزيز أباظة فيصف حبه وأحبابــــه وداره على النيل ، فيقول من قصيدة له يعبر فيها عن حبــــه وحنينه فى موسيقى عذبة ، ونسج هو الوشى السندسى :

خميلة فى حواشى النيل مونقـــة يلفها الضاحكان : الروض والماء
منضورة طلقة الاعطـــاف راوحها بالضم صبح وبالتقبيل امســـاء
كأنما من شعاع الراح نعنمهـــا مجودا عبقرى الفن وشـــاء
نمسى ونضحى بها سمراء لاعبة كأنها فتنــــة يقظى واغـــراء
يا جارة النيل فى عليا زمالكـه حيث الضحى ذهب والليل لالاء
اطالع الصبح مطويا على شجن فان دجا الليل فالظلماء رمضاء
واسال البرق هل والت نوابضه والطـــائرات اليها عنك أنبـــاء
زيدى جفاء وحسبى أننى رجـــل انت الهواء له والشمس والمـــاء

ويترنم أبو شادى بنشــيد الحرية والجلاء فيقول من قصيدة له عنوانها « الجلاء » :

الجلاء الجـــلاء رددت الاحـــد نداء يشرى ، وبالها اليوم بشرى
وتهادى النيل الذى كان من قبل أسيرا اذ اصبح اليوم حــــرا

وبعد ، فلقد ظل النيل على طول كل العصور فى القديم والحــــديث ، ملهما للشعراء والوحى الذى يستمدون منه أروع الحان الغناء ، وظل موقظا للمشاعر ، وملهبا للعواطف ، ومحركا لدعاة الحرية ، ومثيرا لمحبى الجمال

النيل • إنه الاسطورة الخالدة ، التى غنتها الدنيا وغناها الانســـان ، وباركها الرحمن •

فراج الطيب
السراج

من حصاد المهرجان
الثقافي بالخرطوم

تحية مصر والسادات

محب من السودان اطربه النصر
يحيى فتى مصر الا سلمت مصر

احيى بدمع العين والقلب قائدا
سديد الخطا ممن يضمن به الدهر

احيى هماما طاهر الصحو والكرى
اذا شفه عسر وان حفه يسر

ركين رزين الحلم لا يستخفه
عصوف من الارزاء مشهدها نكر

رقيق حواشي النفس ان ريم وده
ولكنه للخصم ، ذو شرة وعر

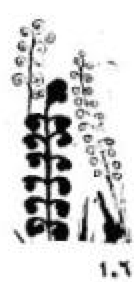
ارادوا به كيدا ، فرد كيادهم
الى النحر ، ان الشر يقصمه الشر

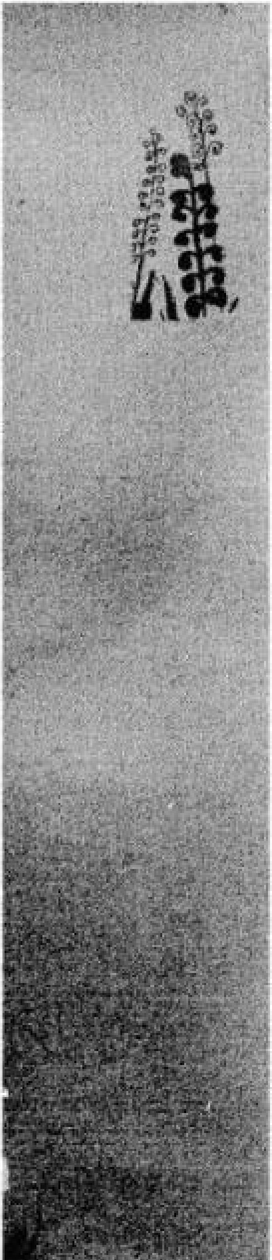
تواطا منهم عصبة كان همها
منافع دنيا كم يغر بها الغر ...

لقد بيتوا غدرا لمن رام عزهم
فلم يثنهم عهد ولم يهدهم فكر

وضلوا سبيل الحق والنور واقتدوا
بنيران اضغان ينوء بها الصدر

فما كان الا ان تهاوت قلاعهم
وخط لهم فيها بايديهم قبر





كذلك عمر الظلم مهما تطاولت
باسبابه الايام ليس له عمر
ارادوه طغيانا وقهرا وسطوة
والوان عبث ما لها ابدا حصر
سوى ان عين الله لا تهمل العدا
وان امهلتهم ريثما طلع الفجر
فهب الفتى السادات عضبا مجردا
على البغي في غربيه يلتمع النصر
اطل وليل الجور ملق جرانه
كما قد تبدى وسط داجية بدر
هو البطل الوعر اللقاء اذا عدا
على ساحة عاد فما ينفع الحذر
شديد مراس لا تلين قناته
اذا ما قنا الابطال مال بها الاطر
فظل الألى قد غرهم فضل حلمه
افيقوا فعند الضيغم الناب والظفر
الئن غاب ليث كان يرهب ريحه
تعاوت باكناف الثرى الذؤب قبر
تماكر كي ما تستعد لوثبة
وهن قديما من خلائقها المكر
رويدا فان الليث خلف صنوه
على غابه ان يستباح له خدر
هزبر جريء القلب لو ان عزمه
اصاب فؤاد الصخر لانفلق الصخر
***
احيي بدمع العين والقلب امة
لها في قلاع المجد الوية خضر

تسنمت العليـــــاء والناس ليلهم
يغط ، ولما يستبن لهـــم فجـــر
وحلت من التاريخ ارفع قمــــة
تقاصر عن ادراكهـــا الانجم الزهر
تدلى من الشم العرانين عرقهـــا
وفى يعـرب العرباء طاب لها نجر
فكانت مراد الحلم والباس والندى
ومهد الهدى قد صدق الخـــبر
الم تلد الغرالبهــــاليل والالى
بهم فى مجال الفخر يفتخر الفخـــر
وكانت منـــارا للشـــعوب وموئلا
يلوذ به فى يوم محنته الحــــر
ولم تزل الحصـــن المنيــع جنـابه
اذا رامه الاعـــــداء زلزلها الذعر
بنوها هم الاســاد حـــول عرينها
يفــزع ذؤبان الفــــلا منهم الـزار
مساميح بالارواح فى حــومة الوغى
وفى الســلم للعافين نائلهم غمـــر
لهم خلق الاملاك رق حواشـــــيا
وضاع له فى كل ناحيـــــة نشر
هم الاهل اما انكـــر المـــرء اهلـه
وهم غوثه الادنون ان حــــزب الامر
رعاة لعهد الجـــار مهما تنـــكرت
رجال ســـواهم شان اخلاقها الغدر
صــفاة كماء المزن ما فى صـــدورهم
لغير عـداة الحــق ال ولا غمـــر



وكيف ونور العلم يحدو خطاهم
وايمانهم دون الضلال لهم ستر
اولئك قومي لست ارضى سواهم
بديلا فنعم القوم قومي والاصر
اليسوا حماة الضاد من كل كافر
اراد بها سوءا فكان له الخسر
يذودون عن كهف العروبة مثلما
يذافع عن ارواح افرخه النسر
يغارون ان مس اسمها باساءة
فتشتبك البيض البواتر والسمر
ويجرى على متن الصعيد غطامط
تدل سباع الجو امواجه الحمر
هم درعنا عند الخطوب وانهم
على الدهر اما نابت النوب اللخر
افاضوا على السودان منهم اياديا
تحدث عن اياتها البدو والحضر
اليسوا الالى من علمهم طاب وردنا
فضاء لنا الاظلام واخضوضر القفر
اليسوا الالى لولاهم كان امرنا
الى عصبة في الغرب اوجههم شكر
يرون عليهم واجبا شد ازرنا
فنحن لهم في كل نائبه ازر
وهل يجحد الافضال الا اخسه
لئام المساعي ، لا ينص لهم ذكر
لهم مني الشكر الجزيل فانهم
اولوالفضل ، لويكفي لشكرهم الشكر

من حصاد المهرجان الثقافي بالخرطوم

ثروت أباظة

اللغة العامية في القصة السودانية



الطيب صالح

لم تكن مفاجأة لى أن أجد فى السودان هؤلاء الشعراء اللسن المقاويل ، ولم يكن مفاجأة لى ان اجد جماهير الناس تهتم بما نكتب وتحيطه بالكثير من التقدير ·

ولكننى فوجئت فى الجلسة التى خصصت لبحوث القصة ان هناك من يميلون إلى استخدام اللغة المحلية ، وقد علقت على هذا الاتجاه بأننى قرأت لكاتبهم الروائي الطيب صالح روايته « موسم الهجرة الى الشمال » ، وفهمتها وأعجبت بها غاية الاعجاب حتى لقد هفوت الى روايتيه اللتين صدرتا بعد ذلك راجيا أن أجد لهما فى نفسى ذلك الاعجاب والتقدير فاذا بى اقف أمامهما موقف العاجز تماما فاننى لم افهم منهما شيئا ·

ومن أعجب الحجج التى ساقها المدافعون عن اللغة المحلية أن نجيبا قدم مصر بينما لم يقدم احسان عبد القدوس الا فئة معينة من القاهرة وقد اتخذت من هذا الرأى حجة لى فقلت لهم – فيما قلت – ان نجيبا كتب حواره كله باللغة العربية الفصحى فى حين كتب احسان حواره باللغة العامية · ومع ذلك استطاع نجيب أن يقدم مصر ولم يعقه حواره العربى عن ذلك بينما لم يكف الحوار العامى احسانا لتكون اعماله معبرة عن مصر ·

وقلت ان اللغة المحلية لا تفيد فى شىء بالنسبة للقارىء ، فان القارىء تعلم القراءة باللغة العربية فقراءة اللغة العامية



نجيب محفوظ



محمد فريد ابو حديد



احسان عبد القدوس

عسيرة على القارىء بينما يستطيع القارىء أن يمضى فى قراءة اللغة العربية بسهولة ويسر ·

وزعمت أننى لم اكتب كلمة باللغة العامية فى كل ما كتبت ، ولم يقف ذلك عائقا بين كتبى وبين القراء ، بل لعل ذلك مهد لها أن تجد سبيلها الى السودان والبلاد العربية الاخرى ·

وقلت لهم ايضا ان الدين لا يجمعنا جميعا فبيننا مسيحيون بجانب الغالبية العظمى من المسلمين · والحدود أيضا تفصل بين بلدان الوطن العربى ولكن الشيء الوحيد الذى يجمعهم على اختلاف الدين والحدود والمذاهب هو اللغة ، والجزاء الوحيد الذى يسعد به الكاتب بعد عنائه وجهده هو ان يجد القارىء ·· وتساءلت لماذا نحطم هذا الشيء الجميل الذى يجمعنا فيجعل منا لسانا واحدا ، ونلجأ الى هذه اللهجات التى تختلف بين قرية وقرية من نفس الاقليم ·

وملت بعد الحديث عن اللغة الى رأى ساقه احد المتحدثين من اعتبار القصة التاريخية او الرواية التاريخية ليست قصة ولا رواية بالمعنى المفهوم · وعجبت لهذا الحكم الجائر ، وضربت مثلا بروايات كثيرة فى ادبنا العربى وأخرى فى الآداب الاوربية فذكرت الروايات الفرعونية لنجيب محفوظ والعربية لفريد ابو حديد وذكرت الكسندر ديماس وقلت ان الحكم على العمل الفنى يجب ان يكون من داخله ولا يملك احد من النقاد او الناس ان ينفيه بقاعدة ينشئها هو انشاء ·

محمد
عبد الغني
حسن

الحب فوق الحدود

من حصاد
المهرجان
الثقافي
بالخرطوم

دنا قصي المراد واقتربا
انا حططنا الرحال في وطن
هشت الينا نجاده كرما
تكاد مما تجن فرحتها
نشتار من زهرها مراشفه
ونستطيب الشتاء منكمشا
ونحتفي بالاصيل مصطبغا
فلا نرى في النجاد مجتهما
ونلتقي من صفاء عزتكم
يكاد دفء اللقاء يوهمنا
تشابهت دارنا ، وداركم
فلا تقولوا انا ضيوفكم
كأنني اذ خطوت نحوكم

وما شكونا في رحلة نصبا
ما غاض منه الوفاء او نضبا
وضاحكتنا اباطحا وربى
ترقص من فرحة بنا طربا
ونستلذ الرحيق والضربا
على رءوس الربى ومنسكبا ...
بالشفق العسجدي مختضبا
ولا نرى في الوهاد مكتئبا
درا ، ومن دفء شمسكم ذهبا
ان الهواء استحر والتهبا
لا البشر اغفى ، ولا الضياء خبا
انا نزلنا من بيتنا طنبا
خطوت في منزل لنا عتبا ...

يا حافظين الجوار في زمن   أصبح فيه الجوار منتهبا
يا صائنين الاخاء في زمن   قد غاض فيه الاخاء واحتجبا
انا وجدنا على الزمان بكم   شقيقنا ثم جارنا الجنبا ...
هنا لقينا التاريخ محتشدا   والدين ، والمكرمات ، والعربا

***

رفعتم الحب بيننا درجا   ولم تقيموا الاستار والحجبا
لما طوينا الجواء نحوكم   قلنا : طوينا الهموم والتعبا
الشوق يثني المدى ويجعله   موكلا بالبلوغ .. مقتضبا
يا ليت من حدد الحدود انا   يجعل منها لوصلنا سببا
الود فوق التخوم قد وثبا   والحب فوق الحدود قد غلبا
لا بارك الله في السياسة ان   فرقت الاهل كلهم شعبا
من قال ان المسار مفترق   بين الشقيقين فهو قد كذبا
من قال ان الدار منقسم   بين الحبيبين فهو قد نعبا
تلك الحدود العجاف واهنة   لا تجعلوها لفرقة نصبا
واد ونيل عليه وحده   فكيف نحيا عليه منشعبا ؟
النيل سيف يقوم منصلتا   على رءوس الاعداء منتصبا
ابتترون الفرند ؟ وا اسفا   اتشطرون الحسام ؟ وا عجبا !
الرمح ان تبتروه ما نشبا   والسيف أن تشطروه ما ضربا ..
حملت شوقي انفاس مختلج   يحمل من نفحة الحجاز صبا
قد حن شوقا الى مرابعكم   وذاب وجدا اليكم وصبا
اذا راى فيكم اخوته   ففي ((سعد)) يرى له نسبا
انعم به في الاخاء منتميا   اكرم به للاباء منتسبا
فيالفخري وقد اصبت اخا   فيكم ، وفي ((الهاشم))اصبت ابا !

***

يكفي فخارا بان وادينا   ماذهب الجهد من بنيه هبا
خلصتموه من الدخيل ... فما   اصبح فيه الدخيل مغتصبا
الدار قد اصبحت لصاحبها   ركنا ركينا ومعقلا اشبا
فلا غريب يذيقها غصصا   ولا جنيت يسومها تلبا
ولا لئيم مستعمر شكس   ينال منها لقومه اربا
الدار اولى بجهد سادتها   مما يريد الاجانب القربا ..
الارض يوم استقلالكم لبست   اثوابها الحاليات والقشبا
يوم حملتم لواء ثورتكم   ويوم اعددتم لها الاهبا
مرفرفا في السماء منطلقا   مصعدا في الهواء مضطربا
يرتاد بين النجوم منزلة   ويبتغي عندها له طنبا

الحب فوق الحدود

يكاد لا ينقضي له سبب ... للمجد الا دعا له سببا
يحمل امجاد امة تعبت ... وما شكت في جهادها تعبا
تمشي على الدرب وهي واثقة ... ان خطاها لا تعرف الوصبا
تجمع من عزمها لكبوتها ... وليس عيبا اذا الجواد كبا
يارب ثبت في المجد خطوتها ... ووقها في طريقها العطبا ..

***

انا حمدنا الفعال عندكم ... كما حمدنا الاقوال والخطبا
العلم والفن والثقافة قد ... غدون جيشا في عصرنا لجبا
من رام تحقيق حاجة عرضت ... ساق اليها السيوف والكتبا ..

***

العبء الذي لكم مقادته ... فامعنوا في احتماله الطلبا
واطفوا بالكفاح ما صلبا ... وسهلوا بالنضال ما صعبا
فمن يرد في حياته اربا ... حث اليه الركاب واتئبا
ومن يرم من زمانه غرضا ... سل اليه النصال والقضبا
فما انال الزمان امنية ... الا اقتضاها المراس والدابا

***

محضت نصحي اخي ومن عجب ... انا شربنا الكاس التي شربا
فما يزال العدو يرقبنا ... ويبتغي في قلوبنا رهبا
ومايزال الشيع يرصدنا ... ويشتهي في صفوفنا ثقبا
بالله لا تبلغوه ماربه ... ولا تضيفوا لناره حطبا ...

اشتر كتابا

في احدى المكتبات التي تبيع كتب الطلبه ، وضعت لافتة

كتب عليها : ساعد على مكافحة التليفزيون .. اشتر كتابا

عامر بحيري

من حصاد مهرجان الثقافة بالخرطوم

تجوب الزمان ، وتطوى الامد
وروحك حل .. بهذا البلد :
ومهما تكن ابعدتك السنون
فانت عن الدار ... لم تبتعد
وماهي خمسون عاما مضت ؟
اذا لم يقع خطأ في العدد :
ولكنه النيل ... نهر الحياة
كريم الورود ... على من ورد
او القلب ... ينبض شريانه
بسر من الروح ... يغزو الجسد
عجوز ... تمدد في رقدة
كأن الزمان .. الذى قد رقد
وآدم .. يرعى صغار البنين
فكم من وليد .. عليه صعد
مشى هيرودوت .. بسن اليراع
اليه .. ومن عين شمس ..رصد
ودار الفنيقى .. من حوله
ليكشف .. من اى كون وفد
وماء البحيرات .. يجرى له
بماء السماء .. اذا ما رفد
تمر القرون وراء القرون
ومنه الوفاء بما قد وعد
ونبض القلوب على شاطئيه
نشيد الخلود .. سرى في الخلد
وما شيدته أيادى البناة
فاصل الحضارة ، والمعتقد
سألت عن النيل .. فيما مضى
فقيل : تأله .. حتى عبد
وكانت ينابيعه في الجنان
تفيض من الكوثر المطرد

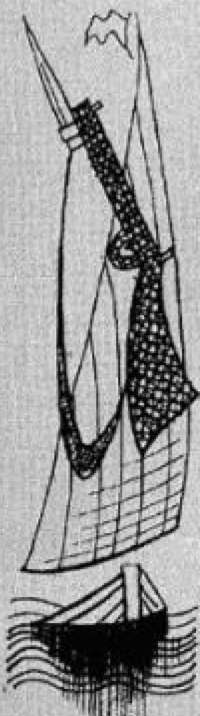
(*) كان الشاعر قد ولد بالخرطوم ، وقضى فترة الدراسة الإبتدائية بأمدرمان .. وطالت غيبته عن السودان حتى بلغت خمسين عاما كاملة .



وقد قام ادريس فى شعبه
مكانا عليا .. به ينفرد
يحيك الثياب .. فيكسو الجسوم
ويبرى السهام ، ويجلو الزرد
يجوب الربوع ، ويغشى النجوع
ويهدى الجموع .. الى ما نشد

***

لقد ثار فى مصر .. جيل العبور
بعيد التنادى ، شديد الجلد
وسالت من :لغاب اشباله
على هامهم نأشرات اللبد
يزجون للحرب جيش الخلاص
كثيف العديد ، رهيب العدد
تلاقى بسيناء ، او بالجولان
وسار لاعدائه .. فاجتلد
وفى رمضان .. له آية
من الله .. ساقت اليه المدد
فما كان اشجع ممن قضى
ولا كان اروع ممن صمد
الم ترهم .. كيف شقوا القناة
ونار شرارتهم .. تتقد ؟
وكيف ببارليف .. فر الجناة
وحل عليهم عذاب صعد ؟
كما اصبحوا هزاة الساخرين
وقد زال كبرهم والصيد
عصا السحر .. تقذف فى وجههم
كان الكليم .. لها .. قد فقد
وما ضيع اليوم موسى عصاه
ولكن عصاة .. اليهم عهد
فلما راوا وثبات الاسود
حماة العرينة .. فروا بدد
وجيش العروبة .. يحمى البلاد
ويصلح من امرها ما فسد



هو النيل .. منبعه والمصب
اخاء الزمان .. قوى العضد
وتاريخه منذ فجر العصور
خطا زانهن الهدى والسدد
اذا اقبل السروع لاينثني
وان لوح النصر .. لا يتئد

يذل الضعيف لاعدائه
واما القوى .. فلا يضطهد
كما قام «انور» .. يرعى الشمال
وضمد جرح الحمى فانضمد
فقد ثار « جعفر » يرعى الجنوب
فارس البناء ، واعلى العمد

بنى النيل : هذى سبيل الكفاح
ونعم السبيل لمن قد مهد
وخير الطريق لعليا الامور
هى السعى فى نيلها والحفد

وفى الصالحين ومن دونهم
طرائق دون المساعى .. قدد
وليس الصغير بغير الكبير
وليس الطريف بغير التلد
ولا ضير ان تستحث الركاب
ليسبق والده .. من ولد

ارى فى ضحى الشمس مستقبلا
يخايلكم بالامانى الصمد
وخيرا مع النيل مسترسلا
تناقله محدثات البرد
فادعو لكم من صميم الفؤاد
بنصر مجيد ، وعيش رغد
فما صح فى الدهر الا الصحيح
وان كابر المدعى وانتقد
ويمكث فى الارض ما ينفع النا
س .. اما جفاء .. فيمضى الزبد!

إدوار حنا سعد

من وحي الخرطوم
الثوب الأخضر

من حصاد المهرجان
الثقافي بالخرطوم

شفت ستور السماء   ولاح سرب ظباء
الوانهن شفوف   منضرات الرواء
يرف فيهن ثوب   في خضرة الآلاء
وسندس فتقته   خميلة عذراء
أحاله السحر القا   للنجمة السمراء

اضدادها وانعطات   بالرمز والإيماء
بضاضة تتوادى   في القامة الهيفاء
ورقة ... تتهادى   على شفا كبرياء
رنت فامسكت قلبي   من خشية ورجاء
الخال طول التمادي   وأراض الارجاء
وبت اشقى واهنا   بالدمع والاغضاء
اللمح بالسهم يرمي   والغض بالاغراء

●●●

لم ادر ماذا دهاها   لما زحمت الظباء
رنت ، واغضت ومالت   عن صفها الحوراء
انفرة ام دلال   وغضبة ام حياء
تكاد تسأل عني   من اين بالله جاء
اني مهاجر طير   اضناه لذع الشتاء
لهفان للدفء يسعى   وواحة خضراء
لاحت ... وبات حراما   ري النفوس الظماء



القاك وشك رحيلي   عن ارضك الفيحاء
ذابت وولت ليال   عرفت فيها الهناء
ومتعة ... بكرام   مقاول شعراء
بالفضل والود جادوا   وسابغات الاخاء
ذابت وياويح قلبي   لم يبق الا مساء

اشكو لقياه وداع   الى وداع لقاء
واسأل الحظ عفوا   اذ شئت ما لا يشاء

***

يا لفحة من فتون   ونفحة من نقاء
غدا اعود لداري   معذب الاحناء

وفوق عشك قلبي   مطوف بكاء
يسترجع الحسن طيفا   وصوته أصداء

واشتكي ما دهاني   في السدارة الشهيه
آسادها كرمتني   وولهتني الظبياء

(*) نظمت بالخرطوم في ١٢-١-١٩٧٢ خلال المهرجان القومي الأول للآداب والفنون الذي شاركت فيه ضمن وفد المجلس الأعلى للفنون والآداب بالقاهرة

(*) « التوب » هو الزي القومي للسودانيات

د. عبده بدوي

الخرطوم .. والذكريات

من حصاد المهرجان الثقافي بالخرطوم

عدت للجنة التي اتمنى ... والنقاء الذى يهز السكونا
كلما طفت « سبعة للقدوم » ... وتشبثت بالمقام الاسنى
قلت : يارب ان خوفا عظيما ... من «طواف الوداع» يقبل وهنا
هل تراني اعيش بين صباح ... من اباه ، ومن نقاء مغنى ؟
ابصر النيل الثغا فى البوادى ... ثم القاه شاعرا مفتتنا
اسمع النفح فى الخريف،والقى ... نجمة الخصب ليس تغمض عينا
واناجى مع الرياح سماء ... تدفع السحب يسرة ..ثم يمنى
وارى الناس كالشموس نقاء ... وكحد السيوف صونا وعونا
.. قلت هذا فقيل : عدلوجود ... انت قد عشته صفاء وامنا
واذا بى والشمس فوق جبينى ... فى سماء الخرطوم اعزف لحنا !

***

انني هاهنا عشقت وجودى ... وعرفت السودان عيشا وسكنى
حن قوم الى الشمال وقالوا ... «ارفعوا هذه الكمائم عنا !»(1)
وانا قلت : رب من يعود ... يزهر العمر فى الجنوب..فمن
عشت سبعا من السنين فكانت ... لوحة ابدعت خطوطا ، ولونا
كنت بالثوب ، والعمامة ، والزهو ، وبالحرف ليس يعرف لحنا
كل ليل قد مر كان غناء ... كل بيت سكنته كان عدنا
ان لى هاهنا حديقة ورد ... زرعتها يداى غصنا فغصنا
ولى الفكر واضحا وجسورا ... ولى الشعر رف نورا ، وحسنا
ولى النيل ، والتلاميذ ، والاشجار والطير ، والزهور الوسنى !

---

(1) المقصود حافظ ابراهيم .

رب طفل هنا وحاكى غنـاه   لم يزل بين صوته مستكنا
ومشت طفلتى وهزت حروفـا   هى للشعر قاب قوس وادنى
وجرت زهرة ومدت يديهـا   فوق عينى فترة .. فضحكنا!
.. قد نفى «النيم» فوق راسى شمسا   فانا الشمس كالظلال واحنى (١)
ودعانا «الدعاش» للشعر و«الشبال » و «الدوبيت» الذى رق وزنا (٢)
ودعينـا لمسجد فسجدنا   ودعينا لتهـل فتهلنـا

●●●

يابـلادى عليك الف صـلاة   وعليك السـلام سهلا وحزنا
ان يكن بيننـا فـراق قريب   فاسالوا الشمس .. علها تاتى
كلما عـدت للشـمال معنى   شـدنى الجنـوب قلب معنى
.. فاذا جئت هاهنا رف قلبى   فـوق واد عل الشـمال وغنى
واذا شـدنى جنـاح لمصر   حن قلبى الى الجنوب ، وانا .
.. اى عشق احالنى اغنيـات   وقصيـدا مخضوضرا يتثنى
لم اذق مثله بعينى « ليـلى »   لم اذق مثلـه بجفنى « لبنى »
كل عشق يهـون الا غـراما   بربى النيـل اهى اغنى والتى
وضـمتنى امى عل راحتيـه   ـمثل موسىـ فسرت فيه الهوينى
كل من مسنى يصـير اخضرارا   ويهـز العصـا عل « فرعونا »
عشت كالنيـل روحة وغـدوا   مرت رعدا عل السـماء ومزنا
اتـرامى ، او انثنى ، او ارانى   « كعباد الرحمن يمشون هونا ! »

●●●

ايها الشعب .. ياشقيق نفسى   صاحبتك الامجاد ركنا فركنا
اترانى اعـود ؟ حان فـراق   ملأ القلب بالحـزنى حـزنا
كلما قلت «ليتنى ! ماجت الاصوات فى كـل بقعـة .. ليت انا ؟ »
ان يكن بيننـا فـراق قريب   فانا بالرجوع والشوق مضنى
فاذا عدت عدت بسـتان حب   واذا مت عـدت ذكرى ولحنـا
.. ربما عدت نجمة فوق الق !   .. ربما عدت زهرة ليس تفنى ؟

---

(١) النيم : شجر ينمو بكثـيرة فى السـودان .
(٢) الدعاش : الرائحة التى يحملهـا نسيم الخريف وهى عادة رائحة التراب والنبات معا ويستبشر بها السودانيون . الشبال : حركة من شعر الفتاة حين ترقص الدوبيت : نوع من النظم المعروف فى السـودان .

من حصاد المهرجان
الثقافى بالخرطوم

روحيه
القلينى

ردى سلامى

سمراء يا حلوة العينين والقد — ردى سلامى باشواق الهوى ردى
قد جئت من مصر يا اختاه لاهفة — اضم عطر وفاء بالمنى ، اهدى
ياكم رايتك فى الاحلام سابحة — وكم تمنيت ان القاك بالود
يضمنا النيل بين الضفتين هوى — وملؤه العتب ما اصفاه من ورد
على الضفاف درجنا روعة وسنى — نتيه فى عزة بالخال والجد
عرب ومن حقنا نختال فى شرف — ونرتقى درجات العز والمجد
قولى لطفلك عن ماض يرف سنى — وحدثيه عن الامجاد فى المهد
ام الرجال سموا فى كل ماصنعوا — وحققوا المعالى المجد بالجهد
سلى الليالى كم باتت عيونهمو — مؤرقات سليهم عن ضنى السهد
سلى النميرى عن الاحداث كيف جرت — وكيف صال مع الثوار كالرعد
يعيد للارض والسودان عزته — فكم تحدى الوغى فى الموقف الجلد
غنى بطولتهم فى كل معركة — والنصر رائدهم فى موطن الجد
ان البطولة تسرى فى دمائهمو — عزمنا انا ماسرى فى العرق كالوقد
وكلمة الصدق ان قالوا وان وعدوا — والحر نعرفه من صادق الوعد
لم يبق مستعمر فى الارض يقلقهم — لم يبق طيف جبان مضمر الحقد

الارض عادت لهم من بعد ثورتهم   فزينوها بغار النصر والسعد
عادت تزغرد للابطال شامخة   فهم حماة الحمى في صولة الاسد
همو بنوك فتيهي واكتبي قصصا   عن البطولات تروى عقبة السرد

***

سمراء يا حلوة العينين موحية   عطر البيان وانساما من الورد
من دفء قلبك ينساب الحنان شذى   فيغمر الافق عطر الزهر والزبد
ياتي مع الخير ماء النيل مندفقا   فيزهر الورد في روضاته عندي
فانت نبع كريم الاصل حانية   عطاؤك الفيض يا اختي بلا حد
النيل وحدتنا والعرب عزتنا   وللتوحد اسباب بلا عد
قد كان حلما واوهاما منمقة   فجئت لهفى الى حلوة الوعد
رايتك اليوم يا سمراء شامخة   بالامس واليوم والمستقبل الرغد
روحي وروحك عبر الدهر ما اختلفا   يوما على الود في قرب وفي بعد
ان مصر نادت ترى السودان في حدب   يهدهد الدمع منسابا على الخد
اختان ان مست الاقدار واحدة   ثارت مشاعرها وجدا على وجد
هل (بالسودان) انا والله لا ادرى   كانه مصر يحكى جنة الخلد
اختاه يا حلوة العينين معذرة   اذا عجزت عن التعبير عن ودي
فانت فوق بياني نغمة سبحت   وماء نيلك احلى من جنى الشهد



التلوث وأثره على جو الأرض

ميشيل تكلا

العلماء لا يتفقون فيما بينهم عما اذا كان انسان العصر الحالي يرفع من درجة حرارة الارض ام يبردها ... ولكن شيئا واحدا يبدو مؤكدا : وهذا الشيء هو التغير الجذري الملحوظ في جو الكرة الارضية بسبب الثلوج والاعاصير الرعدية التي تظهر فجأة في بعض الدول والقارات ... والسبب في ذلك هو التلوث ! .

لقد تضاربت الاقوال العلمية حول هذا الموضوع خلال السنوات القليلة الماضية .

نظرا للفيضانات العظيمة ، وذوبان الثلوج واكتساحها لمناطق كاملة ، وذلك بسبب بعض التفجيرات النووية التي اجراها الانسان في باطن الارض او في الاجواء العليا . وقد دعا هذا التغيير المفاجيء الى ان يعلن دكتور ستيفن شنايدر بمركز بحوث الاحوال الجوية بنيويورك عن نظريتين متعارضتين :

تقول النظرية الاولى : ان تلوث الهواء سوف يرفع في النهاية من حرارة الكوكب الارضي، ويذيب ثلوج القطبين ، ويرفع من مستوى المحيطات بحيث تغرق المدن الساحلية باكملها كنيويورك ولندن ...

وتقول النظرية الثانية : اننا سنواجه برودة شديدة بحيث نتحول الى عصر جليدي جديد وذلك عند حلول عام ٢٠٠٠ .

وهنا يبرز سؤال : كيف يمكن ان تكون هناك نظريتان متناقضتان على هذا النحو ؟ ويرد العالم شنايدر صاحب النظريتين على ذلك بقوله : هناك تغييرات كثيرة في جو الكرة الارضية بحيث يصل العالم في

نهاية كل حالة الى نتيجة مختلفة تتوقف على نوع الظاهرة التى يفحصها · فالنظرية الاولى تعتمد على تاثير « البيت الأخضر » او ما يشبه السقف الزجاجي لبيت اخضر يكون فيه ثانى اكسيد الكربون الجوى شفافا بالنسبة الى اشعاعات الموجة القصيرة الشمسية ، ولكنه يمتص طاقة الاشعة تحت الحمراء التى تشع الى اعلى من سطح الأرض · وبمعنى آخر فان ثانى اكسيد الكربون يدع الحرارة تتسرب من الشمس ثم يعزلها بعد أن تصل الى الارض · وعليه فاذا رفعت من مقدار ثانى اكسيد الكربون فمعنى ذلك انك ترفع من درجة الحرارة فى الجو · وهذا ما تقوله نظرية « البيت الاخضر » فالانسان قد عمل على زيادة ثانى اكسيد الكربون فى الجو بحرقه وقود الحفريات كالفحم والبترول · فاذا تضاعفت كمية ثانى اكسيد الكربون فى الجو زاد معدل حرارة سطح الارض بقدر درجتين ·

اما النظرية الثانية فتعتمد على فكرة ان زيادة الغبار وذرات الدخان فى الجو من المصانع والمزارع يمكنها ان تغير النسبة بين الاشعاعات التى تعكسها الارض وكمية الاشعاعات الساقطة عليها ، وبذلك تحجب بعض الاشعاعات الشمسية · وقد يسبب ذلك تبريدا طويل الاجل مما دعا العلماء الى التكهن بوقوع عصر جليدى ابتداء من سنة ٢٠٠٠ ·

المدينة الملوثة

المعروف أن المدن المزدحمة بالسكان ادفأ من الضواحى المحيطة بها بسبب احتفاظ ذرات الاسفلت والاسمنت بالحرارة ، وبسبب وجود مولدات الحرارة، فى هذه المدن وهناك اكثر من دليل على ان المدن تؤثر تاثيرا مباشرا على الجو ولصفات معينة · مثال ذلك القصة العلمية الغريبة التى حدثت وقائعها فى مدينة (لابورت) بالولايات المتحدة منذ سنوات قليلة مضت ···

لقد حدث أن أحد علماء الاحوال الجوية كان يحلل مصادر المياه فى المدينة المذكورة · والقى العالم نظرة على منسوب مياه الامطار التى تملأ جداول وغدران المدينة ، فلاحظ أن محطة الاحوال الجوية سجلت ارقاما عالية فى السنوات الاخيرة عما كانت عليه من قبل · وبعد مرور بعض الوقت قام نفس العالم بدراسة العواصف الرعدية والثلوج التى تسقط على المنطقة الوسطى الغربية من الولايات المتحدة، فلاحظ ان مدينة (لابورت) حصلت على نسبة عالية من العواصف الرعدية والثلوج عن النسب العادية السابقة · وبعد اجراء بحوث دقيقة اتضح ان المدينة حصلت على ترسيب كبير من هذه الظواهر الجوية منذ عام ١٩٢٥ بنسبة ٤٠ ٪ · وبين الاعوام ١٩٥١ و ١٩٦٥ حصلت نفس المدينة على نسب عالية من العواصف الرعدية بواقع ٢٨ ٪ وزاد سقوط الثلج بنسبة ٢٤٦ ٪ واتضح كذلك ان المدينة تقع على بعد ثلاثين ميلا شرقى مجموعة من المصانع الضخمة فى شيكاغو · وان التلوث الذى ينبعث من هذه المصانع غير من

التلوث

جو المدينة تغييرا جذريا . وان الحرارة والرطوبة المنبعثة من مداخن مصانع الحديد والصلب فى شيكاغو تسببت فى تكوين سحب صيفية فوق شيكاغو ثم حملت الرياح الغربية هذه السحب الى بحيرة مشيجان حيث تشبعت بالمياه . وفى الوقت الذى وصلت فيه هذه السحب الى مدينة (لابورت) كانت قد تضخمت وتشبعت بالرطوبة تماما ... وهنا عمل التلوث الذى جاء اصلا من المناطق الصناعية كنواة لزيادة الترسيب تماما كاستخدام يودور الفضة فى رش السحب فى محاولة لتعديل وتغيير الجو ، وجعله مناسبا فى مناطق معينة من الكرة الارضية .

واثارت قصة حدة تلوث هذه المدينة جدلا عنيفا بين العلماء ، وقال بعضهم انه لا علاقة بين التلوث المعروف عن مدينة شيكاغو وسوء الاحوال الجوية المعروفة عن مدينة (لابورت).

وفى عام ١٩٧٣ قدم العالم الذى درس حالة هذه المدينة الغريبة الدليل على أن المدن تستطيع أن تؤثر على اجواء ما بجوارها من ضواح او قرى صغيرة . لذلك يجب تحليل العوامل المؤثرة على المناخ ، ومعرفة لماذا يحدث هذا التغيير بين وقت وآخر ...

وعلى اثر ذلك قام العلماء بوضع مجموعة كبيرة من الاجهزة الحساسة فى منطقة مساحتها حوالى اربعة آلاف ميل مربع وبعثروها فى اكثر من مائتين وخمسين مكانا حيث يجرى قياس سقوط المطر والثلج . كما ركبت بعض اجهزة الرادار ، وخصصت طائرة مزودة بالعديد من الاجهزة للطيران فى اجواء منطقة البحث .

وقد كشفت هذه الاجهزة الدقيقة عن درجات الترسيب العالية فى التقلبات الجوية العنيفة للمنطقة ذاتها ، وما يحيط بها من قرى ...

واكتشف الباحثون بعد عامين من الدراسة المتواصلة ما يأتى :

اولا : ان العواصف الرعدية والامطار والبرد ينتشر الى مسافة خمسة عشر ميلا مع الرياح فيما وراء المنطقة حيث تشتد العواصف وتسقط الامطار بغزارة ، وتنتشر الثلوج بصورة مخالفة تماما لما يجرى فى بعض المناطق الاخرى .

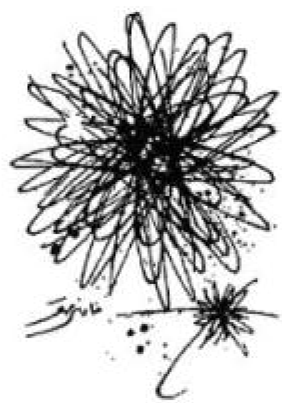
ثانيا : استطاع العلماء ان يعثروا على بعض الحلول لهذا الشذوذ الغريب الذى يلازم سوء الاحوال الجوية فى منطقة الاختبار.

فقد اتضح ان الهواء الذى ارتفعت درجة حرارته ولوثته المدينة الصناعية يتحرك الى المرتفعات حيث يؤثر على السحب . وهذا الهواء الملوث يضاعف من قوة العواصف الرعدية ويزيد من قوة الترسيب كذلك . ويحدث ان تتحول سحابة صيفية خفيفة الى عاصفة رعدية عنيفة .

وقد دعا هذان الاكتشافان العلماء الى البحث فى التغييرات التى تحدث فى درجات الحرارة والرطوبة

والدوامات الهوائية وكمية الذرات في كل منها · ويطالب فريق من العلماء بتعميم التجربة على مناطق اخرى متفرقة في الكرة الارضية لمقارنة النتائج بعضها ببعض ···

وقد اقترح العالم شنايدر اخيرا اختبار التأثيرات الجوية التي تحدث بعد ازالة الغابات الكثيفة في حوض الامازون · فهذه الغابات التي كانت تهطل عليها الامطار بصفة دائمة تبعث بكميات عظيمة من الرطوبة الى الجو · فاذا كان هذا الاقليم مسئولا مسئولية مباشرة عن كميات الرطوبة التي يقذف بها الى الاجواء العليا ، وان ازالة الغابات قد يؤثر تأثيرا خطيرا على الطاقة الباقية للجو في المناطق الاستوائية ، اذن فهناك احتمال جوهري بان التخلص من امطار غابات الامازون قد يؤثر تأثيرا كبيرا على اي مكان آخر في العالم ·



وهنا يتساءل العالم شنايدر : هل معنى هذا ان بلاد الامازون ليس لها الحق في تخطيط اراضيها ؟ ·· وهل من حق البلاد الصناعية أن تطلق دخان مصانعها في الهواء ، وبذلك تغير من درجات حرارة الكرة الارضية ؟·· وهل من حق كندا والاتحاد السوفييتي ان يغيرا من مجاري انهارهما في أحواض الدائرة القطبية الشمالية ؟ وبذلك يضعون حدا لمصادر المياه العذبة من البحر المتجمد مما قد يزيد من درجة الملوحة في المياه المتجمدة · وقد يترتب عن ذلك ازالة القمة الثلجية للبحر المتجمد ، وقد لا يعرف تأثير ذلك على جو الكرة الارضية·

يقول العالم شنايدر :. يمكن الرد على هذه الاسئلة بعد عقدين من السنين ، لان تأثير الانسان على الجو عن طريق اطلاق الطاقة ، وتغيير معالم الكرة الارضية قد يكون ذلك التأثير كبيرا ومنافسا خطيرا للطبيعة وقواها ···

وعلى ذلك لابد أن يكون هناك برنامج دولي عام تتعاون بموجبه كل الدول لوضع حد لما يجري من تغيير جوهري في اجواء الكرة الارضية · ويجب الا تجري الانفجارات النووية من اي نوع كانت ولاي هدف تفجر ، لان مثل هذه التفجيرات تؤثر تأثيرا مباشرا على جو الكرة الارضية الذي يجب ان يترك على طبيعته · وفي الوقت نفسه تتضافر كل الجهود للتغلب على التلوث وازالته لانه عامل مؤثر فعال في تغيير جو الارض ·

التلوث

طبقة الاوزون والتلوث !

في السنوات الاخيرة شمل التلوث جو الكرة الارضية وكذلك البحار والمحيطات بسبب هطول امطار الاشعاعات على اثر الانفجارات النووية التي تجريها الدول الكبرى استعدادا لحروب المستقبل النووية.. ربما العلماء يركزون اهتمامهم بطبقة الاوزون الموجودة في جو الارض والتي تحمي الحياة من جرعات مميتة من اشعة الشمس فوق البنفسجية . وقد وجدوا ان طبقة الغاز هشة قد يعتريها تخريب شامل وربما تباد نهائيا بسبب الاستمرار في التجارب النووية . بجانب ما تحدثه الطائرات المدنية والحربية ، والتي تزيد سرعتها على سرعة الصوت ، من انتهاك لهذه الطبقة التي تحمي الانسان ، وكذلك بسبب استخدام رشاشات ، الايروسول ، التي انتشرت في السنوات الاخيرة كنوع من المبيدات الحشرية .

ان الاوزون هيئة من هيئات الاوكسيجين له ثلاث ذرات بدلا من ذرتي الاوكسيجين في كل جزيء للغاز.

ويتكون عادة عندما تمزق الاشعاعات جزيئات الاوكسيجين العادية او عن طريق الكهرباء . ويلاحظ الغاز بوضوح بعد العواصف الرعدية من رائحته المميزة . ومعظم الاوزون في الهواء مركز في طبقة توجد على ارتفاع يتراوح من ١٥ الى ٣٠ ميلا فوق الارض حيث يمتص كثيرا من اشعاعات الشمس فوق البنفسجية .

والاوزون لايعرف حالة الاستقرار لذلك يعطي ذرتين ذرات اوكسيجينه الى الغازات الاخرى ويتحول الى اوكسيجين عادي ويفقد قدرته على حجب الاشعاعات فوق البنفسجية من التسرب الى الحياة الارضية .

وفي الشهور الماضية ظهر بحث شيق لعالم الطبيعة المعروف سيسرون بجامعة مشيجان عن طبقة الاوزون.

فقد ذكر ان غازات علب الايروسول ومعظمها يحتوي على مركبات الكلورين - غاز الكلور - مثل غاز الفريون وهي غازات شديدة الاستقرار تحت الظروف العادية . وعليه فهي تتراكم في طبقات الجو السفلى ، وتنهض تدريجيا نحو طبقة الاوزون. وعند تلك الارتفاعات فان الاشعاعات فوق البنفسجية تحطم غاز الفريون وبعض الغازات الاخرى من مركبات الكلور ، وتسبب اطلاق سراح ذرات الكلورين التي تتفاعل بدورها مع الاوزون وتحوله الى اوكسيجين عادي .

سرطان الجلد

يقول العالم سيسرون حتى لو اوقفنا استخدام الايروسول في الحال ، فان الغازات الموجودة فعلا في الجو سوف تسبب نقصا قدره ١٠ ٪ في طبقة الاوزون قبل حلول عام ١٩٩٠ ، وسوف ينتج عن ذلك

زيادة كبيرة في سقوط الاشعاعات فوق البنفسجية على الكرة الارضية واصابة البشر بسرطان الجلد . وقد تؤثر على الطعام والمحاصيل الزراعية وطبقات البلانكتون في المحيطات .. واخيرا زوال طبقة الاوزون ، فيحدث تغيير جذري في جو الكرة الأرضية ...

اعتمدت بحوث سيسرون على اكتشافات اولية لعلماء جامعة كاليفورنيا ، وقد ساندها عالم الطبيعة الجوية « ماك اليروى » بجامعة هارفارد الذي اكتشف بدوره ان الزيادة السنوية التي تبلغ ١٠ ٪ من استخدام رشاش الايروسول قد تقلل من طبقة الاوزون بنفس النسبة في مدى عشرين عاما ، ثم ترفعها الى ٤٠ ٪ حتى حلول عام ٢٠١٤ ويهدد الحياة الأرضية بالفناء ...

وهذه التحذيرات التي ينادي بها العلماء تطابق التحذيرات الاخرى الخاصة بالتاثيرات المضرية لاكاسيد النيتريك التي تعري الاوزون من ذرته الثالثة وتحوله الى الاوكسيجين عادي . فهناك كميات كبيرة من اكاسيد النيتريك تطلقها عوادم الطائرات فوق الصوتية في رحلاتها اليومية عبر البحار والمحيطات . وقد كشف احد البحوث ان ٥٠٠ طائرة تقوم برحلات منتظمة بالقرب من طبقة الاوزون قد تضعفها أو تقللها بقدر ١٢٪ في خلال ٢٥ سنة.

وفي الشهور الاخيرة حذر العلماء ايضا من خطر اكاسيد النيتريك التي تطلقها الانفجارات النووية . فأي تفجير نووي في الجو كفيل بان يقضي نهائيا على طبقة الاوزون . وحتى اذا لم تقض الانفجارات او الحروب الهووية على البشرية ، فان القضاء على طبقة الاوزون كفيل بان يقضي على الانسان والحياة على الكرة الارضية باسرها ، لان جرعات الاشعة فوق البنفسجية ستقوم بكل العمل وتقوض اركان الحياة في الارض ...

بين الحكمة والمنطق

ويل للأمة التي تنصرف عن الدين الى المذهب ... وعن الحقل الى الزقاق ... وعن الحكمة الى المنطق ... وويل للأمة التي تلبس مما لاتنسج ... وتاكل مما لاتزرع ... وتعيش نهارها وليلها على الكلام !

جبران خليل جبران

اكتشاف جديد لشاعر قديم

ديك الجن

د. صلاح عدس

كان « ديك الجن » أستاذا للشاعر « أبي تمام » ، وفي ذلك يقول « ابن رشيق » في كتابه « العمدة » : (وقد كان ابو تمام اخذ عن ديك الجن شاعر الشام ، أمثلة من شعره يحتذى عليها ، فسرقها) .

ورغم ذلك فقد نال « ابو تمام » شهرة ذائعة بينما يكاد يكون ديك الجن صفحة منسية في تاريخ ادبنا ذلك التاريخ الذى يحتاج الى اعادة تقييم في ضوء المفاهيم الحديثة للشعر ، لان ديك الجن من ارق واعظم شعرائنا .. اما سبب اهمال النقاد ومؤرخي الادب له ، فلم ينل ما يستحق من التقدير ، وتناقل الدارسون ذلك جيلا بعد جيل ..

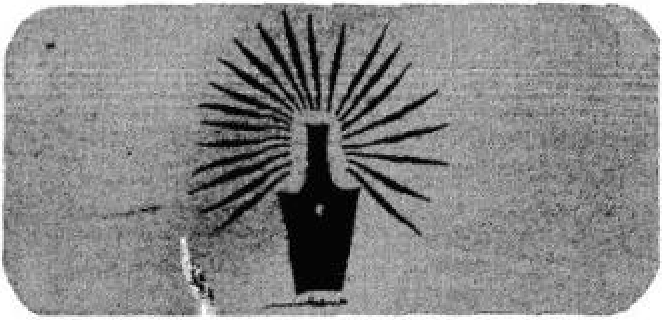
السبب هو انه كان بعيدا عن مفاهيم الشعر السائدة في عصره ، وهذا البعد عن المفاهيم القديمة هو الذى جعله قريبا من المفاهيم الحديثة للشعر . وسنحاول هنا تقديم قراءة جديدة لشعر ديك الجن ، لمحاولة اعادة تقييمه في ضوء المفاهيم الشعرية الحديثة ..

ولد شاعرنا ويدعى عبد السلام بن رغبان عام ١٦١ هـ ، وتوفى في أيام المتوكل عام ٢٣٥ هـ أى انه عاش في عصر سادت فيه الصنعة والفخامة والبلاغة والبيان والبديع .. عصر الجزالة والمدح والرثاء ، حيث ساد التكلف والنفاق للملوك والسلاطين . ذلك العصر الذى انتهى بانهيار الشعر العربى في عهود المماليك ، وتحوله الى مجرد الفاظ فارغة الا من الزخرفة ..

اما شعر ديك الجن فكان بعيدا كل البعد عن ذلك ، وقد تميز بالبساطة في الالفاظ والصدق في التعبير وحرارة التجربة ، ولذلك ظل شعره باقيا محتفظا بحرارته حتى الآن ، لانه كان تعبيرا عن تجربته الوجدانية لقصة حب حطمتها الغيرة فقتل حبيبته ، وظل يبكيها في شعره دائما حتى مات ، مما يذكرنا بمسرحية عطيل لشكسبير ... اجل لقد كان ديك الجن هو عطيل العربي

هذا من ناحية المضمون أما من ناحية الشكل فبينما كانت المفاهيم الشعرية في عصره تؤكد أن الشعر هو مجرد الكلام الموزون المقفى ، وأن البيت هو وحدة القصيدة نجد خلافا لذلك أن ديك الجن كان يتميز شعره بالبناء الدرامي واستعماله للقصة الشعرية والحوار وغير ذلك من الوسائل الدرامية ..

ولم يكن البيت عنده هو وحدة القصيدة بحيث يمكن تفكيكها ، وانما



نرى فيها وحدة عضوية تتكون من وحدات صغرى هي الصورة الشعرية فللقصيدة عنده بداية تنمو بحيث يؤدى كل جزء الى الجزء الذى يليه وتتابع الصور وتتدفق فى خط صاعد يثير فى نفسية القارىء شعورا صاعدا موازيا لها ، حتى نصل الى نهاية القصيدة ، وعندها نحس بالاثر العام للقصيدة ..

وهكذا نجد عند ديك الجن صورا شعرية تتدفق مثل الموجة التى تتلوها موجة ، ثم تتبعها أخرى وهكذا .. ولكن يجمعها فى النهاية تيار واحد حتى تنتهى عند الشاطىء الاخير ، وهو هنا نهاية البناء الدرامى للقصيدة .. وعندئذ تتداح النغمة العامة للقصيدة فى نفوسنا من خلال نمو الصور الجزئية التى يسوقها لنا

والقصيدة عند ديك الجن تعكس احساسه وتجربته العاطفية مما يجعله قريبا من المدرسة الرومانسية وتجد حسب المفاهيم الشعرية الحديثة أن الصور الشعرية تكون فى مجموعها انغاما وجدانية رئيسية تسود الجو النفسى لانتاج الشاعر وتشكل عالمه الشعرى .

فما هو العالم الشعرى لديك الجن وما هو الجو النفسى الذى يسود قصائده ؟ وما هى الانغام التى تسود هذا الجو ؟ .

ان هذه الانغام هى نغمة الحزن ، ونغمة الانتقام ، ونغمة الغيرة ، ونغمة الندم ..

يقول أبو الفرج الاصبهانى فى كتابه الاغانى : « لقد كان من شعراء الدولة « العباسية » من ساكنى حمص ، ولم يبرح نواحى الشام ، ولا وفد الى العراق ولا الى غيره منتجعا بشعره ولا متصديا لاحد » أى أنه كان خلافا لمعاصريه من الشعراء لا يتكسب بشعره ، ولا يمدح نفاقا للامراء والخلفاء وذلك باستثناء بعض القصائد التى مدح فيها صديقه احمد بن على الهاشمى لان ذلك لا يعد مدحا بالمفهوم التقليدى ، للمديح .

كما ان له بعض الابيات فى الخمريات وفى مدح آل البيت ، عبر فيها عن عقيدته السياسية الشيعية ، ولكنه كان فى ذلك ايضا صادقا مع نفسه .. وباستثناء ذلك نجد شعره كله تعبيرا عن مأساته العاطفية التى يحدثنا عنها ابو الفرج الاصبهانى فيقول : « كان ديك الجن قد اشتهر بجارية نصرانية من أهل حمص هويها ودعاها الى الاسلام ليتزوج بها ، فاجابته وأسلمت على يده ، فتزوجها ، وكان اسمها ورد » ..

وفيها يقول :

ثم تبل عنك ابيضا فى اسود ... جمع الجمال كوجهها فى شعرها
وتمايلت فضحكت من اردافها ... عجبا ولكنى بكيت لخصرها
تسقيك كاس مدامة من كفها ... وردية ومدامة من ثغرها

ويقول « أبو الفرج » انه بعد زواجه بها ساءت أحواله فرحل عن حمص واشاع ابن عم له كان يبغضه انها تخونه مع غلام له . وان ديك الجن عاد الى حمص فقابله ابن عمه هذا وعنفه على تمسكه بها رغم خيانتها واخبره كذبا باسم من تخونه .. واتفق مع رجل أن يأتى الى بيتها وديك الجن هناك ، ثم يناديها فاذا سأله من انت قال فلان .. ولما عاد ديك الجن الى البيت سألها عن ذلك الامر فانكرت .. ثم جاء الرجل وناداها قائلا :

– يا ورد

فقال له : من انت ؟ .

قال : انا فلان ..

فقال لها عبد السلام :

يا زانية .. زعمت أنك لا تعرفين من هذا الامر شيئا .. ثم نزع سيفه وضربها حتى قتلها ثم قال :

ليتنى لم اكن لعطفه نلت ... والى ذلك الوصال وصلت
لائم لى بجهله ولماذا ... أنا وحدى احببت ثم قتلت
سوف آسى طول الحياة ... وابكيك على ما فعلت لا ما فعلت

وقال ايضا :

لك نفسى مواتية ... والمنايا معاينه
ايها القلب لا تعد ... لهوى البيض ثانيه
ليس برق يكون اخلب ... من برق غانيه
خنت سرى ولم اخنك ... فموتى علانيه

ويذكر أبو الفرج أن أمير دمشق قدم الى حمص وبلغه الخبر على حقيقته وصحته واستيقنه فندم ، ومكث شهرا لا يستفيق من البكاء ، ولا يطعم من الطعام الا ما يقيم رمقه .. مما يذكرنا بمطيل حين تكشفت له براءة « ديدمونة » ... وبدأت تظهر فى شعره نغمة الحزن ممزوجة بنغمة الندم ونغمة « ماسوكية » كأنما يتلذذ بتعذيب نفسه ، بينما كانت قصائده فى المرحلة السابقة تمتزج فيها نغمة الحزن بنغمة الانتقام والتشفى ونغمة القاء اللوم على حبيبته لانها خائنة . وهذا ما يسميه علماء النفس باسم « الاسقاط » ، وذلك كى يبرر لنفسه فعلته الاساوية .. ولنسمعه يقول :

يا طلعة طلع الحمام عليها ... وجنى لها ثمر الردى بيديها
رويت من دمها الثرى ولطالما ... روى الهوى شفتى من شفتيها
قد بات سيفى فى مجال وشاحها ... ومدامعى تجرى على خديها
فوحق نعليها وماوطىء الحصى ... شىء أعز على من نعليها

ما كان قاليها لانى لم اكـن — ابكى اذا سقط الغبار عليهـا
لكن بخلت على سواى بحبها — وأغار من نظر الظلام اليهـا

فهنا نجدنا أمام قصة شعرية تنتهى بلحظة التنوير التى تضىء الحدث الدرامى وتكشف عن المعنى العام أو النغمة الاساسية للقصيدة .. كل ذلك من خلال الصور الشعرية المتدفقة ومن خلال الفاظ بسيطة ..

ولنسمعه أيضا يقول :

لله إن كان وجهه كضياء الشمس فى حسنه وبدر منير
كنت زين الاحياء فيهم ثم قد صرت زين أهل القبور
بأبى أنت فى الحياة وفى الموت وتحت الثرى ويوم النشور
خنتنى فى المغيب والخون نكر وذميم فى سالفات الدهور
فشفائى سيفى واسرع فى حز التراقى قطعا وحز النحور

وهذه الأبيات من الفترة السابقة لاكتشافه براءة حبيبته ، وفيها نلمح نغمة الحزن ممزوجة بنغمة الانتقام ونغمة الاسقاط .

ولنسمع أيضا أبياتا أخرى يبكى فيها حبيبته ولكنها أبيات من المرحلة الثانية التى تمتزج فيها نغمة الحزن بنغمة الندم وذلك بعد اكتشافه براءتها :

جاءت تزور فراشى بعد ما قبرت — فظللت الثم خدا زانه الجيـد
وقلت قرة عينى هل بعثت لنـا — وكيف ذا وطريق القبر مسدود
قالت هناك عظامى فيه مودعـة — تعبث فيها بنات الارض والدود
وهذه الروح قد جاءتك زائرة — هذه زيارة من فى القبر ملحود

ولنسمعه أيضا يبكيها فى أبيات من نفس المرحلة الاخيرة اذ يقول :

أساكن حفرة وقرار لحـد — مفارق خلة من بعد عهـد
أجبنى ان قدرت على جوابى — بحق الود كيف ظللت بعدى
وأين حللت بعد حلول قلبى — وأحشائى وأضلاعى وكبـدى
أما والله لو عاينت وجـدى — اذا استعبرت فى الظلمات وحدى
وجد تنفسى وعلا زفيـرى — وفاضت عبرتى فى صحن خدى
اذا لعلمت أنى عن قـريب — ستحفر حفرتى ويشق لحدى
ويعذلنى السفيه على بكائى — كأنى مبتلى بالحزن وحدى
يقول قتلتها سفها وجهـلا — وتبكيها بكاء ليس يجدى
كصياد الطيور له انتحـاب — عليها وهو يذبحها بحـد !

ان هذه المراثى التى كتبها ديك الجن ليست رثاء بالمفهوم التقليدى لاننا تعودنا من الشعراء القدامى رثاء غير نابع من القلب وانما مجرد مجاملة ونفاق للأمراء والسلاطين ، أما شعر ديك الجن فيتميز بأنه نابع من القلب وتعبير عن تجربة صادقة ، فى بساطة لفظية وحرارة عاطفية تجعله قريبا من شعراء المدرسة الرومانسية حتى تكاد حين تسمع شعره أن تظنه شاعرا معاصرا من جماعة الرومانسيين ..

وهكذا نجد شعره يتميز بالبساطة فى اللفظ ، والصدق والحرارة ، والعاطفية الرومانسية ، والبناء الدرامى لقصائده التى خلد فيها تجربته المأساوية وابتعد فيها عن اهتمامات الشعراء المعاصرين له وعن المفاهيم الشعرية القديمة ، وهذا كله هو ما جعل شعره بعيدا عن عصره قريبا من عصرنا .

ولهذا أيضا لم يلق ما يستحقه من التقدير من جانب النقاد ومؤرخى الادب القدامى واستحق من جانبنا اعادة التقييم والقاء بعض الاضواء الحديثة على تلك الصفحة التى تكاد تكون منسية فى تراثنا الخالد ...

من روائع القصص العالمي

امرأتان

للقصصي الفرنسي بول بورجيه
ترجمة : محمود عزت موسى

المؤلف والقصة

يعتبر بول بورجيه (١٨٥٢ - ١٩٣٥) عميدا للادب القصصي التحليلي في فرنسا بل في اوربا في الثلث الاول من هذا القرن ، وقد تأثر فن بول بورجيه بالمدرسة القصصية في روسيا التي درجت على التحليل النفسي . والى جانب هذا فقد اتجه بول بورجيه الى الواقعية اكثر من الاتجاه الرومانسي الذي كان يمثله اناتول فرانس بأسلوبه الشاعرى .

ولبول بورجيه اشعار ومسرحيات رائعة ، ومن أشهر أعماله : « شيطان الظهيرة » و « معنى الموت » . وفي أسلوب بول بورجيه الكلاسيكي تلمس دقة اهتمامه بابراز المعاني في الفاظ منتقاة مختارة تتميز بالتأثير القوي ، وهو أميل الى الروح المحافظة وايثار الخلق الرفيع ، وكان في مستهل حياته الادبية بن المتأثرين بالمدرسة الطبيعية وتمثل هذه القصة القصيرة نموذجا لاتجاهه القصصي أسلوبا وموضوعا .

كان الليل قد أرخى سدوله ، والنجوم تومض ببريق متهافت بين كسف السحاب ، باعثة أشعتها الواهنة على الكائنات فتبدو الاشجار والصخور كأنها أشباح أسطورية في تلك الناحية القصية الموحشة القريبة من الشاطىء ... وكانت تلك الليلة ، ليلة عيد الميلاد وقد أخذ عقربا الساعة يقتربان ببطء نحو منتصف الليل بينما كانت الكنائس غاصة بالمصلين الذين توافدوا للاحتفال بذكرى مولد المسيح .

ومن بعيد ... اقبلت سيارة ، ثم توقفت في تلك الناحية ، وترجل عنها رجل وامرأة ، وهرعا في خطوات متعثرة نحو الغابة الصغيرة التي يحتجب وراءها القصر الذي تسكنه المركيزة دى رور .

وقال الرجل هامسا :

« انها مهمة سهلة ... لكنها تبدو عتيقة وقاسية في الوقت ذاته ! ... لم يخطر ببالي من قبل

ان يجيء يوم اضطر فيه لان أتلف الى منزلى متسللا كاللصوص !... كنت الى عهد قريب سيد هذا البيت ، وصاحب الكلمة الآمرة فيه ... ماذا يمكن أن يقع لو رآني أحد الخدم بالقصر فانقض على مهاجما واشتبك معى ؟! قد يقبض على ... وقد اقتل ... ثم أن هناك جدار الحديقة الذى لابد ان اتسلقه ، واقفز منه ... والابواب التى لا مناص من اقتحامها .. ثم ماذا يمكن ان يحدث بعد ذلك ، لو ان السيدة دى رور كانت هناك ... على مقربة من ابنها ! »

فالتفتت اليه القادة الفاتنة المرافقة له قائلة فى صرامة : « انها لن تكون هناك ... لقد اخترنا هذا الوقت بالذات ، منتصف ليلة عيد الميلاد لانها ستكون بالقطع فى كنيسة القصر مع وصيفاتها وخدمها ... ثم لنفرض انك وجدتها هناك كما يصور لك الوهم، ألست أنت صاحب البيت رأب الطفل ... رأية قيمة لحكم المحكمة بالقياس الى وشيجة الدم بينك وبين ابنك ... لقد رفض القضاء أن يضم ولدك اليك لانك تعيش معي ولانني خليلتك ،. أليس هذا صحيحا ؟ ولكن يوم يحكم بالطلاق بينكما ... فهل ساصير زوجتك ؟ ... »



امرأتان

فقال الرجل المأخوذ بهـا وهو يضغط على ذراعها : « سوف تكونين زوجتي بلا شك »

وكفا عن الحديث ، واتخذا طريقهما الى الغابة الصغيرة ..

وتلاحقت صور الماضي القريب على ذهنه المكدود ، والحت عليه الذكريات ، ولم يكن بين ابناء الطبقة العالية من لا يعرف من هو المركيز دي بود ... وكانت انباء مغامراته أو مأساته قد ذاعت وتردد صداها بعد اقترانه بالانسة لويز ... فقد حدث أثناء حملها ان انطلق عابثا مستخفا ، ممعنا في نزواته وشهواته دون حدود متخذا العشيقات في كل صوب ، حتى تعارف الى تلك الغانية التي كانت برفقته في تلك الليلة ... كانت احدى فتيات « الكومبسارس » في مسرح صغير ، وقد اخذ بها وافتتن ، ثم ما لبث ان احضرها الى قصره وعايشها فيه مع قرينته ، امعانا في امتهان كرامتها متحديا ابسط مبادىء الاخلاق والتقاليد . وقد راجت انباء فعلته بين كافة الاوساط ، وأمست تلك الفضيحة حديث نساء باريس وصالوناتها .

وكان المركيز رجلا ثريا ، الا انه ما لبث بعد انغماسه في المجون والمقامرة واللهو ، ان بدد ثروته ... وكان له عم واسع الثراء بيد انه كان رجلا محافظا ، مستمسكا بالاخلاق الكريمة ، فلما انتهت اليه انباء ابن أخيه — الذي كان وارثه الوحيد — نقم عليه وازداد غضبه عندما علم بمهانته واساءته الى قرينته ، واتخاذه لتلك الممثلة الصغيرة خليلة له ، فعمد الى حرمانه من ميراثه جاعلا كل ثروته من بعده لحفيده الصغير ابن المركيز .

أما الغانية الصغيرة، فقد استغلت منذ اتصلت بالمركيز ، وفرط هيامه وتعلقه بها — نواحي ضعفه ، وعندما ادركت حقيقة حالته المالية المتدهورة ، مضت تفكر في نسج هذه المؤامرة وأخذت تحرضه بكل ما تملك من وسائل الاغراء لاختطاف ابنه البالغ الخامسة من عمره والذي قررت المحكمة أن يكون في حضانة أمه لسوء سيرة والده ..

وهكذا وفد المركيز متسللا بصحبة خليلته في ليلة عيد الميلاد لاختطاف الطفل في تلك الليلة حيث تكون المركيزة في كنيسة القصر مع حاشيتها تاركة ابنها الصغير في فراشه ... تلك كانت خطة العاشقين بحيث يقومان بتنفيذها عند منتصف الليل ، ثم يرتحلان على الفور الى امريكا ، وعندئذ تضطر المركيزة الى دفع الفدية الضخمة التي يفرضانها في سبيل استعادتها لطفلها .

جالت هذه الصور متلاحقة متدافعة امام لوحة خياله ، فمضى يستحث نفسه وهو يردد القول لعشيقته : نعم

سوف تصـــيرين زوجتي ... لقد تحدثني المركيزة وانلت كبــريائى ، الا انني يسرءني أن أملك هذا السيك واتصرف كما يفعل لصوص الليل ! »

اما عشيقته فمضت تلهب حماسه قائلة : اذا كنت لا تزال مترددا ، فان الاوفق أن نقتـــل عائدين ... وان رواد المسرح لم ينسوني بعد وساعود اليهم ! »

فاجابها مفتــــونا بحسنها : لا تتركيني أبدا ! ..

وعانقها عنـاقا حارا وهو اشد مايكون شغفا وولعا بها وبفتنتهــا ، والتقت الشفاه في قبلات حارة ملتهبة ...

ومضى يحدث نفسه مغمغما : لقد كانت لي كل هذه الثروة بمفردي. بيد انهـــا استلبتها وانتزعتها مني بعد أن لطخت سمعتي عنـــد عمى .. وسوف استعيد من هذه الثروة ماأشاء، وبالطـريقة التي تروق لي » .

وكانا قد وصلا الى السور الفاصـــل بين الغابة والقصر ، فقفز نحوه واعتلاه ، وهبـط الى حديقة القصر بينما اتخذت الغانية مخبـأها بين اكناف الغابة بالقرب من السور ، انتـظارا لعودة المركيز مع الطفل الذى توجه لاختطافه .

سار على اطـــراف اصابعه في مســـالك الحديقة الرحبـــة حتى وصل الى واجهـــــة القصر ، وكانت الكنيسة القائمة الى جواره قد اغلق بابها على من فيها من المصلين ، ولم يكن الامر مستعصيا عليه ، اذ كان يعرف مداخـــل القصر وحجراته تمـاما ... وارتقى بعـــض درجـــات القصر ، ثم سار ببطء شديد فوق اطار ضيق حتى يصـل الى نافذة حجـرة نوم قرينتــــه ... وتريث لحظات عند النافذة حتى يكون متـــــأكدا من ان الحجرة ليس بهـــا احد ، وتناول منديلا من احد جيوبه واحــاط به يده وضرب زجاج النافذة بقبضته فتحطم زجاجها ثم مد ذراعه وفتح النافذة من الداخل واتصل الى الحجرة في حذر، لايأتي بقامة حابسا انفاســـه اللاهثة ، واشعل شمعة في طرف الحجرة ومضى يتنقل ببصره في ارجائها، كل شيء فيها لم يتغير ... كـــل الاثاث في مكانه .

اخذ يجول بعينيـــه مشدوها ... ها هـــو الفراش وفوقه غلالتـــه الحريرية الناعمة الرقيقة وعلى الفراش وســـادة واحدة ، وسادة زوجته ... وها هى الصـــور بذاتها التى كانت تزدان بها الحجرة بيد انها قد اضيفت اليها صـــورة أخرى .. صورة كبيرة لم تكن فيها من قبل . انها صورته معلقـة فى صدر الحجـــرة ... وعلى منضـــدة انيقـة مجموعة اخــــرى من صوره تمثله في أوضاع مختلفة ! .

انه على ثقـــة بأن زوجته تمقته بعد كـل ما جرى بينهمـــا ... ولكن ما هو السبب في أن تحلى حجـــرتها بصــــورة ؟ .. كان من المنطقى ان تمحو كل اثر له فى القصـــر . فاى

دافع جعلها تضع كل هذه الصور الخاصة به .. ولماذا ؟ هل يجوز انها لا تزال تحبه ، وانها تحلم بعودته ؟

سار خطوات متجها الى الحجرة الصغيرة الملاصقة والتي تسمى حجرة التزين ، وهو يعلم أن الحجرة التالية لها هي حجرة طفله ،

ورأى في حجرة التزين: الموقد ... وقد اخذ وقوده يخبو ببطء ، ورأى حذاء طفله الى جوار الموقد ، وبعض هدايا عيد الميلاد والتي سينعم بها طفله في الصباح ، وكان من ابرز هذه الهدايا صندوق انيق كتبت عليه هذه العبارة : « الى طفلي العزيز موريس من والده الحبيب الغائب لسفره » ...

انها الام التي نمقت هذه العبارة بلا شك ، ما أعظمها من كذبة ، ان قصة حياته وحياته الزوجية تتضمنها هذه الجملة ... انه لم يزل في نظر الام ، والد طفلها ... الاب الذي قد يعود يوما ... الاب الذي يجب أن يبقى الطفل جاهلا محنته وهجره لزوجته ، وأن يظل مكانه في وجدان الطفل وقلبه كريما جليلا ..

فما أفدح تضحية هذه المرأة في صبرها ومعاناتها وولائها ! .. كل شيء ينم عن وفائها لزوجها الحانث وولدها الصغير ... حجرة النوم ... والصور والهدايا ، حتى هديته المزعومة لابنه ، والتي ألحقت بها تلك العبارة المؤسية المنسوبة اليه !

●●●

ومضى الاب يجول بعينيه في ارجاء الحجرة ، فنظر الى يده وهي تقطر دما بعد أن جرح وهو يضرب زجاج النافذة بقبضته ولم يجرؤ على القيام بمهمته .. كأنما قد اصابه الروع ... ليختطف ابنه الذي تقوم امه بتنشئته على اعزاز

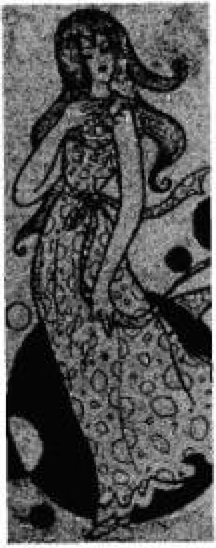
امرأتان

والده ومحبته ؟ ... ومضى يسائل نفسه كيف يقدم على هذه الفعلة ، ويسلم طفله الى خليلته التي لا تربطه بها سوى الغريزة الجامحة !

وبدا له الفارق بين تلك الحياة العابثة الماجنة التي يحياها مع بائعة الهوى ، وبين زوجته وابنه الطفل وهما يعيشان في كنف الهدوء والوفاء له بالرغم من تبذله واستهانته بكل القيم .. واستيقظت فيه كوامن الندم وهو يرتجف انتفاضا من جريرته .. ومضى يردد في همس ، وهو اشبه بمن استطار عقله شعاعا : « لن يكون هذا ... لن يكون ابدا ! » .

استودع الاب طفله النائم في سريره ، وقد استراح رأسه الصغير على الحشية ، وانتشر شعره الذهبي الرخص عليها ... ناصع الجبين ، وضاء الوجه ... واقترب من طفله متاملا اياه قبيل ان يبارحه مقبلا وجنتيه في

حذر وخشية أن يستيقظ ... ثم عاد متراجعا خارجا من حجرته ثم من الحجرتين الاخريين .. وتسلل عائدا من حيث جاء من النافذة التى تلف منها، ثم الى اطار المبنى الخارجى ، حتى انحدر الى حديقة القصر ... ومضى متهالكا فى مسالكها حتى انتهى الى سور الحديقة ، فوثب نازلا الى الغابة وفجأة رأته الخليلة واقفا امامها مضطربا فصرخت فى وجهه !



ـ كيف رجعت وحدك؟ هل اختلط عليك الطريق الى حجرة الطفل . ام راك احد فعدت هاربا ؟ .. تكلم ما بالك باهت الوجه متخاذلا لا تنطق؟!

ولم يجبها بكلمة ...

بينما استطردت قائلة : لقد اعتراك الجبن ... أليس كذلك؟ اننى ساهجرك حتما ، وعلى الفور ، وساعود الى المسرح !

اما هو فكأنما قد استفاق من حلم مروع فصاح بها : افعلى ما يتراءى لك .. على ان نبارح هذا المكان فورا!

وامتطيا السيارة ، التى ارخى لها عنان السرعة ... وكانت الخليلة فى غضون ذلك تخالسه النظرات الحائرة وقد استشعرت لأول مرة بأن المرأة الاخرى قد تغلبت عليها وعلى اغرائها، وحطمت احلامها بسلاح غريب عليها لم يخطر لها ببال ، سلاح الوفاء الذى حال دون تردية الى القاع ! ..

ولم تتمالك وهى فى قمة غضبها أن تقذفه بأقبح النعوت ، صائحة:

ـ يا لك من جبان !

اما هو فلم يلتفت الى كلماتها المحمومة المسعورة... كان يلقى بنظرات حسيرة الى الشجار الصنوبر التى تحيط بالقصر كأنما تحرسه ...

وفى صميم اعماقه العميق ، بدا كأن ثمة فجرا جديدا يوشك ان يتبلج فى صدره ، وينطلق النور فى وجدانه ان يعود الى زوجته وابنه ...

ثم استدار نحو خليلته التى كانت لا تزال منكمشة فى جلستها ، تزاوره من زوايا عينيها بنظرات مفترسة حانقة، وقد احست لاول مرة بهزيمتها ، وبمدى الكراهية والبغض الذى ينبع فى قلبه نحوها قدر ما كان يهواها منذ سويعات قليلة !

مع قراء الهلال

● نصر الدين ..●

تلقينا مئات من قصائد الشعراء من مختلف انحاء الوطن العربى فى رثاء كوكب الشرق ، أم كلثوم ... ولما كانت صفحات الهلال لا تتسع لهذا الفيض الوفى النبيل من الشعر ، فاننا نكتفى فى هذا الباب بالاشارة الى بعضها معتذرين للشعراء عن عدم اتساع المجال للنشر ...

دعاء المؤمنين ...

قبلات الشوق طافت حولها
ودعاء من قلوب المؤمنين ...
كل دار قد اقامت مأتما ...
اذ هوى الفن مع البدر دفين
انما الشمس ترينا نورها
عبر بدر التم فى الليل الدجين
تركت مصر قفارا موحشا
وهى لحن لبقاء التابعين

● دكتور السيد الجميلى ● القاهرة

قمرية النيل ..

قمرية النيل ، ماللنيل واجمة
ضفافه ، واساه مائج جار
فاضت بعينيه انوار الهدى وذوت
بكفه خضر اوراق وأزهار
ولاح فى صفحتيه ذعر ثاكلة
وحيدها بعد من يأتس هار
ما كل طير هزازا حين تسمعه
وليس كل ذوى ريش بطيار

● محمد على السنوسى ● السعوديه

اغلى المعاني ..

راح بغداد عنك انس الليالي
هونى الوجد بسمة القيروان
ام كلثوم انت شعرى وفنى
يا نشيداً منغماً فى لسانى
رحمة الله منك ما بين لحظ
وارتداد ، فابشرى بالامان
الهم الله أمة العرب صبراً
ان للصبر فيك اغلى المعانى

● محمد عبد السلام علي ـ بنك مصر ـ القاهره ●

... وداعا ام كلثوم

كوكب الشرق تعالى صوتها
نادر القيرة ، لم يمنح سواها
عبقرى الجرس ، عملاق الصدى
بعلاه كل شرقى تباهى
خالدا ما خلد الحب ، وما
خلدت مصر ، ليشدو بهواها

● سامح درويش ـ الاسكندرية ●

.. ثم غاب الكوكب

من علم الزهر ان اللحن خمرته
فعاقر السكر فى دنيا المغنينا
اغرى به كروان الشرق ، فانطلقت
انفاسه ، واستطابت للمحبينا ...

● احمد عبد الحفيظ سلام ـ العباسية ●

تهنئة وتحية ..

من قلب يفيض بالحب والتقدير : تهنئة للأديب القاص رستم كيلانى على قصته الشعرية البديعة ، وكانت النهاية ، التى نشرت فى هلال كانون الثانى ١٩٧٥ ، وتحية للكتاب والمحررين والرسامين والعاملين فى تحرير ، الهلال ، الزاهر ..

● ميشال اصفهانى ●
● المصيطبة ـ بيروت ●

مع قراء الهلال

مختارات الأعداد الخاصة

في العيد الثالث والثمانين للهلال ، ومع أجمل التهنئة ، أقترح أن تصدروا عددا خاصا جديدا يضم مختارات من أعداد الهلال الخاصة خلال هذا العمر الثقافي المديد ، منذ عام ١٨٩٢ حتى الآن …

● حسن محمد على ●

● سوهاج ●

ردود سريعة

عبد الرحيم محمد عبد الرحيم ـ الزقازيق :

الحق أن ما كتبت وأرسلت الينا ، لا هو شعر حق ، ولا هو مجرد كلام فارغ ! .. انه شيء بين هذا وذاك .. فقصيدتك « لماذا الهجر » لا تتوافر لها عناصر الشعر الحق ، ولكنها في ذات الوقت تدل على انك تجاوزت مرحلة الكلام الفارغ ! …

شقفاغ عبوه الياح ـ البصرة :

نرحب بأن تكون مقطوعتك النثرية « مونولوج داخلى لجندى عربى يعبر القناة » ـ بداية لموافاة « الزهور » بالجديد والجيد من انتاجك …

عبد الفتاح المنيعى ـ سيناء :

« رياح الوطن » ، قصيدتك عن « نكبة فلسطين » ، والتى سجلتها فى أحد برامج الاذاعة ـ تتجاوز ثمانين بيت شعر ، من البحر الكامل . وهى بذلك اكبر مما تستوعبه المساحات المخصصة للشعر فى الهلال والزهور …

القاع عبد الرحيم احمد ـ الخرطوم :

« المحاولة » ، التى سميتها « النصر المبين » ، نفحة طيبة من قلبك العامر بنبض الاخوة والعروبة .. وانت فى غير حاجة الى توجيهات الناصحين ، فكل ما ينقصك هو الاهتمام بدراسة أوزان الشعر …

بوساحة حسن ـ الجزائر :

قصيدتك : « القناة » و « المحراب » تبشران بموهبة طيبة وواعدة … شكرا على شكرك ، وموعدنا : الجديد من رسائلك وما تجود به قريحتك ..

شفيق بوغانم ـ لبنان :

من اجمل ما فى بريد الشعر هذا الشهر ، قصيدتك اللطيفة : « فنجان القهوة » .. لولا كسور طفيفة فى الوزن ، وبعض الاخطاء اللغوية من مثل « قبلت بعينى عيناها » و « غمرت بروحى شفتاها » ـ لكان « فنجان قهوتك » من أرق ما يقدم للاصدقاء قراء « الزهور » ...

ليلى ٠ م ـ اسوان :

نعم يا اخت ، لك الحق كل الحق ، أن تبعثى الينا بقصيدة او قصائد من شعرك .. و « الزهور » مفتوحة الصفحات ، مرحبة ، بالمواهب الشابة والجيد الجديد من كتابات الشباب ..

مصطفى بيومى ـ مغاغة :

شكرا لانتصارك على « الخوف من الفشل » و « الخوف من الرفض » ... واذا كانت القصيدة : « سؤال » قد جاءت كما توقعت أنت : « دون مستوى النشر » ، فلماذا لا تتيح لنفسك ، ولنا فرصة اخرى بقصيدة أجد وأجود ؟ ..

مع عظيم الاحترام ...

● فاتتكم فرصة عظيمة فى عدد الشهر الماضى (فبراير ١٩٧٥) من الهلال !.. ففى مثل هذا الشهر من عام ١٨٠٥ مات الفيلسوف الالمانى « كانت » .. لماذا لم تقدموا لقرائكم فى هذه المناسبة قصة حياة هذا الفيلسوف الكبير ، وخلاصة لفلسفته؟

● عادل احمد على ●
● الاسكندرية ●

● سيدى ، ومع عظيم الاحترام للفلسفة والفلاسفة ـ فان صفحات « الهلال » ـ وازمة الورق كما تعلم ـ قد لا تتسع لتكون متفلة تغطى كل التراث الفلسفى العريض والحافل بالاسماء والشخصيات ، ومناسبات ذكرى المواليد والوفيات ! ..

ومع ذلك ، وحتى لا تفوتنا الفرصة العظيمة ـ فان الفيلسوف الالمانى « ايمانويل كانت » ، ولد فى كونجز بيرج فى ٢٢ ابريل عام ١٧٢٤ ، وكان أبوه سروجيا ، وقد بدأ حياته بدراسة اللاهوت ، ولكنه تحول فيما بعد الى دراسة العلوم الطبيعية والرياضيات والفلسفة وما وراء الطبيعة ..

وفى كتابه « نقد العقل الخالص » لخص « كانت » عقيدته فقال : « انى أؤمن بوجود اله واحد وهو ينبوع كل ما فى العالم من خير ، والهدف النهائى لكل ما فى الحياة .. كما أؤمن بوجود

حياة ابدية ، واقرر كل هذا وانا متمتع بالحرية ، لانه لا فائدة من أى قول اذا لم يكن صادرا عن حرية ..

اخيرا ، وبالمناسبة فقد اصدرت ادارة سك النقود فى ميونيخ خلال الشهر الماضى ، عملة المانية تذكارية جديدة من فئة الخمسة ماركات تخليدا لذكرى الفيلسوف « ايمانويل كانت » ، واحتفالا بذكرى مرور ٢٥٠ عاما على مولده ..

لا اعرف احدا يسمى « انا » !

● ... ونحن نقرأ معا فى احد اعداد الهلال ، مقالا يتناول قضية ادبية فى القديم والحديث ، لفتنى زميلى الى ان الكاتب قد جرى قلمه بكلمة « انا » فى ثنـــايا المقال مرات كثيرة ...

بم تفسر هذه الظاهرة ... وهل لها دلالة خاصة ؟..

● احمد مصطفى ●
● درعمى ـ المنيا ●

ـ ليتك حددت المقال ، وتاريخ ذلك العدد من الهلال .. وعلى اى حـــال ، كثرة ترديد الـ « انا » يعد بوجه عام ، مما يكره من الكلام ...

صحيح أن هناك من مفكرى العصر من يقول ، جادا او ساخرا : « من الخطأ ردع الناس عن التحدث عن انفســهم لان هذا الموضوع هو احسن ما يعالجونه من مواضيع »!

ولـــكن .... ما يروى على بن ابى طالب : دققـــت الباب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « من هذا ؟ » فقلت : « انا ....» فقال : « انا ؟!» ـ كأنه كـــره قولى ... انا ...

والجاحظ يروى عن عيسى بن حاضر كان عمرو بن عبيـــد الزاهـــد يجلس فى داره ، وكان لايدع بابه مفتوحا ، فاذا قرعه انسان قام بنفسه حتى يفتحه له ... فاتيت البـــاب يوما فقرعتـــه ، فقال « ـ من هذا ؟» فقلت : « انا ». فقال : «لا اعرف احدا يسمى « انا »!..

ومكثت خارج الباب حتى اتى رجل فقرع البـــاب ، فقال عمرو : « من هذا ؟» فقال : « رجل غريب قدم عليك يلتمس العلم والفضيلة ». فقام وفتح له الباب ...

بعدها اتيت الباب فقرعته عليه ، فقال : « من هذا ؟..» فقلت : « عيسى بن حاضر ، فقام ففتح لى الباب ...

دائرة المعارف الخرافية ..

● أعجبتنى من مســـامرات عمى العجوز فى قريتنا . حكاية خرافية ساحرة .. نظمت من وحيها قصيدة شـــعر ، وكتبت قصة شائقة ...

هل هناك مؤلفات أو مجموعـــات تضم تراثا من هذه الحكايات ؟..

● حسن الخياط ●
● مرس الليان ●

الحكايا الخرافية ـ بالمعنى الذى يفهم من ســـؤالك ـ قد لا تكون فى العربية تراثا مكتوبا ...

على أننى قرأت أخيرا فى التقرير الشهرى بجامعة جوتنجن الألمانية ، أن فريقا من كبار الاساتذه والمتخصـــصين هناك قد أنجزوا تصنيف أول دائرة معارف للحكايـــات الخرافية ، تضم مجموعات من هذه الحكايات الخرافية التى لم تسجل كتابة فى أى عصر ، وانما كان الناس يتناقلونها عن بعضهم البعض جيلا بعد جيل ...

وبعض هذه الحكـــايات يرجع الى عصر الفراعنه فى مصر ،وبعضها الاخر من الحكايا الخرافية الشائعة فى عدد من دول أوربا وامريكا وامريكا الجنوبية واســـتراليا ... وجدير بالذكر ـ كما جاء فى ختام ذلك التقـــرير ـ أن لبعض هذه الحكايات الخرافية صلة بالتطور الحضـــارى والتقدم العلمى الذى حققه الانسان فى هذا العصر فى مجالات واســـعة لعلوم النفس ، والاجتماع ، والاجناس البشرية ، وكثير غيرها من العلوم الانسانية ...

اعجاب وتعجب ؟!

تحية اعجاب بهذا الباب الجديد فى الهلال ... وعلامة تعجب لـــا يبدو بين سطوره وفى ثنايا الحوار ، من دعابة أو لذع وسخريات !..

● بهاء عادل ●
● منيلة المقطم ●

● عن الاعجاب بالباب ، أقول : عفوا !..

وعن التعجب من السخرية يقول لك عنى ، اديب فرنســا العظيم اناتول فرانس : « بدون السخرية ، يصـــبح العالم كالغابه بلا عصافير ! »


شركة الاسكندرية للمنتجات المعدنية
٧٢ شارع الشهيد جلال الدسوقي - الحضرة اسكندرية ت ٧٠٥٣٣/٧١٧٦١ ص.ب ٣٨٦ اسكندرية
AMPCO
SILEC
La Cooperation Franco-Arabe dans le domaine de la Signalisation routière "SILEC" Paris "AMPCO" Alexandrie
التعاون العربي الفرنسي في مجال تنظيم المرور الالكتروني بين شركة "سيلك" كبرى الشركات العالمية الفرنسية وشركة "امبكو" الاسكندرية للمنتجات المعدنية
جهاز تحكم الكتروني لتنظيم المرور

خواطر

انا والدهر

اقول لدهري وهو يختال شامخا
ويرمقني شزرا ويهزأ من امري
خسئت فلن تلوي شموخي وعزتي
ولا انت ممن يوقف المد في بحري
كفاني اعتزازا انني غير آبه
لاحكامك الضازي ولي وثبة النسر

الشهيد الحقيقي

ليس الشهيد الذي في الحرب مات لكي
يحمي حمى وطن من بطش مغتصب
ان الشهيد اديب لا كيان له
في امة تدعي التقدير للادب

اكاليل الشوك

اقول للقائد المغوار صيغ له
اكليل غار على هزج وتهليل
ما قيمة الغار اكليلا لو انك لم
تلبس من الشوك قبلا الف اكليل

● شكر الله الجر ●

ام كلثوم المعجزة : بريشة الفنان : جمال قطب ...



● الغلاف الأول ●



وجه من السودان الشقيق

● الغلاف الأخير ●




الهلال
ذكرى طه حسين
الزهور
مصطفى صادق

الهلال

ربيع الأول ١٣٩٥
أبريل ١٩٧٥

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال – سنة ١٨٩٢ – العدد الرابع – السنة الثالثة والثمانون – أول ابريل ١٩٧٥ – ١٩ ربيع الأول ١٣٩٥

الاشتراكات

ثمن العدد : فى جمهورية مصر العربية ١٥٠ مليما
قيمة الاشتراك السنوى : (١٢) عددا فى جمهورية مصر العربية وبلاد اتحادى البريد العربى والافريقى ١٥٠ قرشا صاغا . فى سائر أنحاء العالم ٦ دولارات أو ٢٫٥ جنيه والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال . فى جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية . فى الخارج بشيك مصرفى والاسعار الموضحة بالبريد العادى – وتضاف رسوم البريد الجوى والمسجل على الاسعار المحددة عند الطلب .

الادارة : دار الهلال – ١٦ شارع محمد عز العرب – القاهرة
تليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

في هذا العدد


أنور السادات د . عبد العزيز كامل يوسف السباعي

بسم الله الرحمن الرحيم



كلمة الهلال

● طاها حسين .. ما شاء الله له ان يفقـد بصره ليشقى ، بل ليعوضه عن نور عينين اثنتين ، بنور الف عين في بصيرته ، ترى من الدنيا مالا نراه نحن المبصرين، وتقرأ وتكتب وتروى وتصف مالا تراه العيون

● طاها حسين .. لم يعش في ذواكرنا ايامـه الثلاثة التى اقامتها وزارة الثقافة بدار جامعة الدول العربية في اواخر فبراير الماضى أحياء لذكراه ، بل سيظل يعيش في خواطرنا وستبقى ذكراه حية في اعماقنا ما عاشت الكلمة الحلوة والفكرة المشرقة

● طاها حسين .. سيد السهل الممتنع ، ورائد اصحاب الاساليب في هـذا العصر ، وفاتح ابواب العلم للملايين ، هو التراث العزيز الذى سيرويه كل جيل للجيل الذى يليه الى ما شاء الله ..

• طاها حسين .. الكاتب الذى احبه تلاميــذه واصدقاؤه وقراؤه .. واحترمه خصومه وحاسدوه واعداؤه ..

• طاها حسين .. الرجل الذى علم الناس بكفاحه فى سبيل العلم ، كيف يستطيع كل انسان ، بالارادة والايمان ، ان يبدأ من الصفر ليكون علما من اعـلام التاريخ .

• طاها حسين هذا .. هو الذى نرفع الى روحه فى رحاب الله هذا العدد من « الهلال »

وسلام عليه فى ملكوت الله

• صالح جودت •

تحية من
الرئيس محمد أنور

احببت ان اكون بينكم اليوم او ان اكون معكم ، على هذه الذكرى العاطرة حول هذا الصرح الشامخ مع صروحنا العربية ، وكم لنا من شوامخ .. ولست اجد اعظم او اجل من شوامخ الفكر ، والدكتور طه حسين يمثل بين هذه الشوامخ قمة متفردة في كل شيء .. تفرد بنشاته الاولى ، وتفرد بصراعه مع الاحداث وتفرد بصموده امام السلطان ، وتفرد في دفاعه عن الحرية وعن حق ابناء الامة في العلم كحقهم في الماء والهواء ..

واليوم اذ تجتمعون يا اصحاب القلم وارباب الكلمة على تكريم ذكراه فوق هذه الارض المباركة التي تشرف بلقائكم ، فانما تكرمون في شخص العميد كل المعاني الانسانية التي عاش لها .

تكرمون فيه تحرير المقدسات التي يجرى الاعتداء عليها في اكثر من موقع من مواقع هذا العالم . وتكرمون فيه رد الحقوق المغتصبة لاصحابها الشرعيين


د. طه حسين

السادات

وتكرمون فيه دعوة السلام العادل التى طالما ضمنها نفثات قلمه .

ولا يخالجنى شك فى انكم على كل صعيد سوف تحملون اقلامكم لتدافعوا فى كل مكان وعلى اى منبر من منابر الراى ، عن هذه المعانى . وانكم سوف تتصدون لمن يعتدون على الفكر والمعانى الانسانية اعتداءهم على الارواح وعلى الارض وعلى المقدسات وسوف تخاطبون الضمير العالمى كى يساند المناضلين فى سبيل الحرية والسلام ولقمة العيش ونعمة العلم وسوف تعودون الى بلادكم تحملون عنا بصدق ما تلمسونه من جهادنا وجهودنا فى هذا السبيل .

فباسمى وباسم مصر الخالدة احييكم ، واحيى اقبالكم على تكريم ذكرى عميد الادب العربى وابعث اليكم باطيب الامانى واعمق التقدير والعرفان .

● انور السادات ●



يوسف السباعي
وزير الثقافة

رسالة إليه

سيدى العميد ...

لكم اود ان اقول والدى العميد . فقد كنت لى فى الحقيقة والدا . ولم تكن لى وحدى وانما كنت والدا لهذا الجيل من الكتاب الذى انتمى اليه . والذى ولد او نشأ فى رحابك وتغذى ونما على مائدتك ... ولئن ساورنى الاحساس فى كثير من الاحيان بانك كنت لى وحدى . فان ذلك الاحساس لا يعتبر غريبا على الابناء الذين يولدون من صلب الانسان . فان كلا منهم يحس فى قرارة نفسه انه الاثير عند ابيه وانه صاحب الحظوة من دون اشقائه واخوته . وقد يلتمس الانسان لهذا الاحساس اسبابا . وقد يصطلح الناس على هذه الاسباب فيقولون عن احد الابناء انه المفضل عند ابيه وعند ذويه لانه اكبر الابناء او لانه واسطة العقد او اخر العنقود ... هكذا ساورنى الاحساس بالنسبة لابوتك واستقر فى قلبى اننى من اقرب الابناء الى قلبك وانك اقرب الاباء الى ابى .

كانت فى علاقتك بى أو فى علاقتى بك مشابه من علاقتى بأبى الكاتب محمد السباعى ، فقد كنت ترعانى كما كان يرعانى ، وقد كنت تزجرنى كما كان يزجرنى · وكنت أهرع اليك كما تعودت أن أهرع اليه عندمايحزبنى الامر أو يشق على الطريق · فكنت تهدينى سواء السبيل ، وكنت تفتح امامى الافاق وتمد يدك القوية الحانية ·

وليس من الانصاف أن استأثر بك أو انفرد بأبوتك · ولكن الحب الذى عشت احمله لك ـ وما أرى الا اننى ساظل أحمله لك ـ هو شفيعى ···

●●●

ولكننى لا أملك اليوم وانا فى موقف الحديث عنك أو الحديث اليك الا أن اعترف بانك كنت بالنسبة لجيلنا كله رائدا من رواد الفكر الذين يندر أن يجود بهم الزمان · وكنا نلتمس فى ريادتك اسباب الحياة لهذه النفثات التى أطلقتها اقلامنا سواء على صعيد القصة أو الرواية أو القصيدة أو المقال ··

وكنا نغترف من هذا النهر العذب الذى نلقيناه فى انتاجك الفياض وكأننا نغترف ماء الحياة من النهر العظيم الذى عشنا حوله ···

كان أسلوبك الجديد بالنسبة لما الفناه من أساليب القول واساليب الكتابة شيئا يدخل الى القلب ويتسلل الى الوعى ، فاذا نحن نستعذبه ونكاد نتغنى به · وقد يغلو البعض فيترسمه وينسج على منواله · ومع ذلك فقد ظل اسلوبا منفردا ونمطا مميزا لا يكاد يخطئ الفنان من متذوقيه على أنه صادر عنك ·

وكان هذا الاسلوب السهل الممتنع كما تعلمنا ان نصف الاساليب التى تعرف طريقها الى القلوب والاسماع فى يسر ، ثورة على الاساليب التى سادت كتابتنا العربية لآماد طويلة من قبل ··· وحين بهرتنا هذه الثورة فى الاسلوب وانعكست على اساليبنا فى الكتابة او القول فقد كنت تقف لنا بالمرصاد لتحذرنا من مغبة التقليد ، وتحول بيننا وبين التردى ، وتهدى خطانا حتى لا نسترسل الى ما يتجاوز اليسر فيصبح تهاونه بقدر اللغة او خروجا على سلامتها ·



رسالة إليه

ولم تكن ثورتك مقصورة على الاسلوب ، وانما امتدت ثورتك الى المحتوى ، فلم تقبل القيد فى كل مراحل حياتك . ولم تسمح للناس بحريتك فى أن تقول ما تعتقد انه الرأى عندك .

وتعلمنا منك او تعلمنا عنك أن نتمسك بحريتنا فى أن نقول وأن نكتب بملء حريتنا . وكم كانت لك من المواقف التى لا ننساها منذ تلقيت العلم فى صحن الأزهر الشريف ثم وانت تنتقل الى الجامعة الاهلية القديمة وبعد أن سافرت لتستزيد من ينابيع المعرفة فى فرنسا . وحين عدت الى الجامعة المصرية لتؤدى رسالة العلم ... فلسنا ننس تصديك للسلطان حين احسست باعتدائه على الحرية ، فاذا بك تنتفض انتفاضتك المعهودة وتغادر منصبك فى الجامعة مكتفيا بأن تحمل القلم وأن تتصدى للظلم وكل الوان الظلم سواء : الظلم السياسى أو الظلم الاجتماعى أو الظلم الادبى . وكنا ياسيدى العميد نترسم خطاك ونهتدى بهديك .

●●●

واليوم اذ نلتقى على ذكراك سواء منا الذى حظى بابوتك او الذى سعد بصحبتك والاقتراب منك ، وسواء منا من تتلمذ عليك فى قاعات الدرس او تتلمذ عليك فى صفحات الكتب فاننا نحس باننا نلتقى على مائدتك الحافلة بكل عطاء الفكر وبكل ثراء القلب . ونحس بانك لا تزال بيننا هناك على راس المائدة ، ومازال صوتك الحبيب ينساب من فمك المضموم قويا نافذا عذب الاهاب مميز الجرس حتى كانه اللحن الجميل الذى يطربنا سماعه ويبهرنا عمقه ...

اليوم يحتشد هذا الحشد من مريديك تماما كما كانوا يحتشدون أمام كل منبر علوته . وكانى بهم يستمعون لقولك وينقلون عنك ويهتفون باسمك . ولا يمكن أن يدور باخلادنا انك لم تعد هناك فوق المنبر او انك قد غادرت المنصة والقيت بالقلم .

●●●

سيدى العميد ، او كما احببت أن اناديك وأن أتوجه اليه : سيدى الوالد ... ليس منا من يصدق أن ايامك باجزائها

قد انتهت ولن تصــدر فى القريب أجــزاء أخرى من أيامك المتصلة ...

وليس منا من يصدق أن المسيرة العطرة التى اردت ان تكتب لنا على هوامشها قد استنفدت ما شئت لها من حديث ٠

وليس منا من يصدق أن الكــروان الذى حكيت لنا عن دعائه سيكف عن الدعاء ... أو أن شــهرزاد ســـتكف عن الاحلام ... وســـيظل حديثك عن المعذبين فى الارض يروى الكثير مما كان يحيق والذى جعلتنا نتصدى له ...

ويوم غادرتنا ٠ كما تعودت أن تغادرنا فى مســـتهل كل صيف انتجاعا للصحة وادراكا للعافية ٠ يوم غادرتنا فى اكتوبـــر من ذلك العام لم نكن نحســب انك ســـتطيل الرحلة او تزمع الرحيل ... كان الرئيس المؤمن بالله وبالعروبة قد اطلق الشرارة ... وكانت بشـــائر النصر قد لاحت ... وكرامة الامة العربية قد ثارت ... وســـيادة القـــانون قد ســـادت ... واعلام الحرية التى عشقتها قد رفرفت .. فاذا بك تغادرنا وقد ادركك الاطمئنان على الوطن الذى عشــت له ... وعشـــت فيه ... وعشـــت به ... والذى ظـــل ينبض فى دمائـــك ولا يكف عن النبض ...

●●●

سيدى العميـــد ...

اليـــوم تأتى هذه الصـفوة من أبنـــاء العروبة ومن ابنــــاء الاســلام ومن أبنـــاء الانســـانية فى كل مكان ليحتفلوا معنا كما تعودنا أن نحتفل بك ٠ لا أقول بذكـــراك وانما أقول لنحتفل بك ولنحتفى بخلودك بيننا ولنتحدث اليك ٠ ونتحدث عنك ٠ وهو حديث يطربنا ولا اشـك فى انه يطربك ٠ وكما تعودنا من حنانك الغامــر فانا نتوقع أن نســـمع منك انك راض عما نقوم به اليـــوم كل الرضـــــا وعلى طريقتك او على اســـلوبك المحبب ٠ أن رضــــاءك لن ينقضى وان رضاءك سيظل متصلا متجددا ٠ وســـيكون لهذا الرضاء المتصـــل المتجدد موسم نلتقى فيه كل عـــام ونلتقى بك على مدى الأعوام ٠

● يوسف السباعى ●

د. عبد العزيز كامل
نائب رئيس الوزراء
ووزير الأوقاف

إسلاميات طه حسين

- ١ -

في أواخر الثلاثينات بدأت أسعى الى كلية الآداب طالبا ، وأمني نفسي بقرب لقاء أساتذة قرأت لهم وأستطيع الآن أن أجلس اليهم واستمع ...

كنا من أقسام شتى .. ولكن تعودنا أن نستأذن في حضور دروس أساتذتنا الكبار في أي قسم من أقسام الكلية . وفي مقدمة هؤلاء أستاذنا الكبير الدكتور طه حسين .

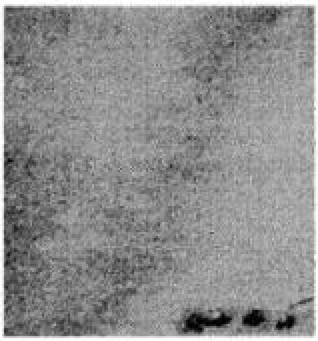
كيف يحاضر ؟ كيف يناقش ؟ ما علاقته بأبنائه ؟ ... ولم تكن تكتفي به عميدا نراه في مناسبات رسمية أو نلتقط معه صورا تذكارية أو نسمعه خطيبا في حفل عام ... ولكن كنا نود أن نعرف فيه الانسان والأستاذ والقلب الكبير ... هكذا كان لنا ، رحمه الله .

- ٢ -

ونلتقي اليوم حول ذكراه .. وأذكر لقاء كان نقطة لها خطرها في تاريخنا الأدبي . عندما جلس ثلاثة من عمالقة أدباء الجيل التقت آراؤهم عند فكرة محددة : أن يعيدوا كتابة تاريخنا الاسلامي برؤية جديدة واضحة ، وفي أسلوب عصري .

كان ذلك في أواخر العشرينات ، حين كان ميدان الدراسات الاسلامية لا يشغله في الأغلب الا المستشرقون ومن نحا نحوهم .. ورأى العمالقة الثلاثة ، طه حسين ، وأحمد أمين ، وعبد الحميد العبادي ، أن يقتسموا





هذا العمل الكبير فيما بينهم ، يتناوله كل منهم من زاوية معينة وبطريقته الخاصة .

وكان أن كتب أحمد أمين سلسلة عن فجر الاسلام ، وضحى الاسلام ، وظهر الاسلام ، ويوم الاسلام. تناول فيها تاريخ الحضارة الاسلامية من جوانبها العقلية والاجتماعية والعمرانية – على طريقته في البحث والنقد والتحليل ...

وكتب عبد الحميد العبادى عن تاريخ الاندلس وصور من تاريخ الإسلام السياسى تناول فيها بالعرض والنقد بعض انتاج المستشرقين ... وتواكب ذلك مع جهود توفيق الحكيم في مسرحيته عن « محمد » و « أهل الكهف » على طريقته في الأدب التمثيلي وفن الحوار . وجهود الدكتور محمد حسين هيكل في دراساته التاريخية عن النبي والخلفاء الراشدين . وتتابعت وتنوعت دراسات جيل من الكتاب في هذه المجالات .

وكانت مشاركة الدكتور طه حسين في هذا المجال على طريقته التى تفرد بها منذ مطلع حياته الادبية بدراسته الرائدة عن أبى العلاء وتابعها من بعد في دراساته عن الأدب العربي في جاهليته واسلامه، وهى طريقة الدراسة الأدبية التى اخضعها للمنهج العلمى ، دون أن تفقد شيئا من روعة العمل الادبي وجمال الاسلوب .

إسلاميات طه حسين

— ٢ —

ونحن اذا مــا نظــرنا الى الاسلاميــات فى تراث الدكتور طه حسين نجد لها ابعادهـا من حيث الزمان والمكان ٠
زمنيا ، تتركز فى فترة تكــاد تبلغ القــرن ، من عصر ما قبل البعثــة الى بداية عصر الدولــة الأموية ٠

ومكانا : تمتد اساسا على رقعة متسعة من الارض تشمل الجزيــرة العربية كلها وتتجاوزها الى الشام والحبشة والى فارس والروم ومصر، وماوراءها الى المغــرب العربى اذا ضممنا دراسته عن ابن خلدون ٠

كما نجد ان اعمــال الدكتور طه حسين فى هذا المجال يمكن تقسيمها موضوعيا الى ثلاثة اقسام رئيســية وان كان يجمع بينها جميعا انها من طراز نادر من التعبير الادبى والبلاغة العربية :

القسم الاول : تحلق به الحقيقــة التاريخية بأجنحة من الخيال ويدخل تحته ٠ كتــاب «على هامش السيرة» بأجزائه الثلاثة ٠

القسم الثانى : يغلب عليه الطابع التربوى او التعليمى ويدخل تحته : « الوعد الحق » ، و « مرآة الاسلام» ٠

القســم الثالث : ويتميز بالتحليل التاريخى النقــدى ، ويدخل تحته الفتنة الكبرى بجزءيها : عثمــان ، وعلى وبنوه ، ثم الشيخان ٠

وقد يكون هذا التقسيم نسـبيا او تقريبيــا فى بعض جوانبه كما يبدو هذا فى كتاب « الوعد الحق » الذى يقترب منهجه من مجمــوعة « على هامش السيرة » ، بل يكــاد يكون جزءاً رابعا لها ٠ وارجو ان يكون التقسيم مع ذلك مقبــولا فى جملته اذا نظــرنا اليه من ناحية الهدف او الغاية التى نحســب ان المؤلف الكبير كان يتوخاهــا — أو ما نتوخاه نحن — فى كل قســم من هذه الاقسام الثلاثة :

فى المجموعة الاولى تبسيط للسيرة على نحو يقربها الى نفوس الشباب ويحبب اليهم قراءة كتب الســيرة بخاصة ، ثم التــاريخ والتراث الاسلامى بعامة ٠ وذلك بتقديمهــا فى صــورة ادبية جميلة ٠ فهى لم تكتب للعلمــاء ولا للمؤرخين ولم يرد بها الى العلم ولم يقصد بها الى التاريخ « كما قال فى تقديمها » ٠

وفى المجمــوعة الثانية : تعريف بالسيرة فى اطارهـــا التاريخى ٠ خطوة اخرى بعد تلك الخطــوة السابقة تثير مزيــدا من الاهتمام بالسيرة ، وتتيح مزيــدا من الفهم ، وتبعث على طلب المزيــد من البحث والدراسة ومن الاستقصاء والتحليل ٠

وهنا نصل الى المجموعة الثالثة: فاذا هى فى جملتها مناقشة للتاريخ، مناقشة مفتوحة ، تتكلم بلسان البحث العلمى المجرد • ونخرج منه فى النهاية بحقيقة كبيرة هى اللقاء بين الايمان والمنهجية العلمية ، يؤكد كل منهما الاخر فاذا الايمان علم مصدره القلب ، واذا العلم ايمان مصدره العقل والتفكير •

— ٤ —

هذا المنهج المتدرج فى تناول السيرة والتاريخ الاسلامى فى اسلاميات طه حسين ، له نظائر سابقة فى تراثنا الاسلامى العريق ، مع فارق يرجع الى تطور وسائل البحث العلمى فى العصر الحديث • على سبيل المثال : نجد عالما كالامام محيى الدين النووى ، يتدرج فى تاليفه من « الاربعون حديثا النووية » الى « رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين » و «الاذكار» الى « منهاج الطالبين » الى « شرح صحيح الامام مسلم » وغيرها •

ونجد عالما اخر كالامام محمد بن على الشوكانى يأخذ نفس التدرج فيؤلف كتابه « الدرارى المضيئة » مرجزا كما يؤلف « نيل الأوطار » مفصلا •

ويأتى فى مقدمة هؤلاء جميعا حجة الاسلام الامام الغزالى، ومؤلفاته معروفة مشهورة وافرة ، ولكنه يتبع ذات الطريق ، فتتدرج مؤلفاته ما بين رسالته الصغيرة المسماة « أيها الولد » الى كتابه الكبير « احياء علوم الدين »•

ولم يكن هذا التدرج فى مؤلفات علمائنا يتبع الترتيب الزمنى بطبيعة الحال ، بقدر ما كان يمثل شمول الفكرة ووضوح الرؤية ، والعناية بالاجيال والمستويات ، مع تقديم أو تاخير تقتضيه ظروف كل بيئة او كل جيل •

خط واحد يجمع بين علمائنا القدماء والمحدثين ، يصدرون فيه عن منهج متقارب فى الغرض ، ويختلفون من حيث الوسيلة باختلاف طبيعة العصر والمشكلات التى كان على كل منهم أن يقابلها •

— • —

ونعود الى « اسلاميات الدكتور طه حسين »، فنجد أن مشاركته فى هذا المجال كانت مشاركة أضافت الى الدراسات المعاصرة لتراثنا الاسلامى رؤية جديدة عميقة تستوحى العقل والقلب جميعا • وتدل على مكانته الرفيعة كاستاذ جامعى أصيل ، ورائد من رواد الجيل الذين فتحوا امامه افاق العلم والمعرفة على اساس من المنهجية العلمية والاستيعاب الكامل والتمحيص الدقيق مع جمال العرض والحرص على الاطار الفنى للدراسة •



ولا يفوتني ان اشير الى حقيقتين بارزتين تتصلان بجهود الدكتور طه حسين وأعماله في ميدان الدراسات الاسلامية ٠

الحقيقة الاولى انه لم يكتف باحياء تراثنا الاسلامي وعرضه في هذه الصورة الادبية الجميلة بل مضى الى ابعد من ذلك ، فجعل احد اهداف رسالته الاصلاحية في مجال التعليم والتثقيف ، تطبيق ما حث عليه الاسلام من طلب العلم وذلك بان دعا الى جعل التعليم حقا لكل فرد كحقه في الماء والهواء ٠٠٠

وفي مجال الدعوة الى الاصلاح ، اكد مبادىء الاسلام وتعاليمه الكريمة في العدالة الاجتماعية والمساواة بين الناس ٠ وكان كتابه الممتع «المعذبون في الارض» ارهاصا بفجر جديد نعيش في ضوئه ومداه ٠٠٠

والحقيقة الثانية انه مع اتساع آفاق ثقافته المتعمقة للآداب المختلفة ظل يحتفظ للغة العربية ببلاغتها ونقائها ومعدنها الاصيل ، اعتزازا منه بما تمثله هذه اللغة من قيم ومعان كريمة ، وانها قبل كل شيء لغة القرآن الكريم ، ولغة الآباء والاجداد ٠ فكان بهذا من عوامل دعم الوحدة العربية والوجود الاسلامي على الصعيد العالمي ٠

— ٦ —

وكما حرص الدكتور طه حسين على تأكيد مبادىء الاسلام في العدالة الاجتماعية والمساواة ، حرص كذلك على تأكيد سماحة العقيدة الاسلامية ازاء الاديان السماوية ، وان الناس في نظر الاسلام كلهم اخوة ٠ وفي تأكيد هذه الحقيقة كانت محاضرته في الاسلام والمسيحية التي القاها سنة ١٩٥٢ في المؤتمر الذي عقد بمدينة فلورنسا ، وأوضح فيها ما بين الاسلام والمسيحية من تقارب في كثير من المثل العليا كما صورها القرآن الكريم وكما صورها الانجيل ٠ وان الحوار الاسلامي المسيحي الذي يدور الان على الصعيد العالمي وشهدنا حلقاته في مؤتمر قرطبة في اغسطس ١٩٧٤ وفي تونس في نوفمبر التالي، يحمد للدكتور طه حسين هذه المشاركة التي سبق بها في هذا المجال منذ اكثر من عشرين سنة ، فكان في سماحته واخائه رائدا ٠ كما كان في كثير من الميادين التي طرقها ٠

— ٧ —

هذه جوانب من الدكتور طه حسين الباحث الاسلامي اما الدكتور طه حسين الانسان ، فلست اجد في تصوير ايمانه الفطري العميق ابلغ من قوله يصف شعوره حين قام باداء فريضة الحج ٠٠٠ يقول: « لقد سبق أن عشت بفكري وقلبي بهذه الاماكن المقدسة زهاء عشرين عاما منذ بدأت اكتب على هامش السيرة حتى الان ٠٠٠ ولما زرت مكة والمدينة احسست اني اعيش بفكري وقلبي وجسدي جميعا، عشت بعقلي الباطن وعقلي الواعي ، استعدت كل ذكرياتي القديمة ومنها ما هو من



د. محمد حسن الزيات



د. محمد حسين هيكل

صميم التاريخ ، ومنها ما هو من صميم العقيدة ، وكانت الذكريات تختلط بالواقع فتبدو حقائق حينا ورموزا حينا آخر ، وكان الشعور بها يغمرني ويملأ جوانب نفسي .. وكان يناجي ربه بما اثر عن النبي عليه الصلاة والسلام :

اللهم لك الحمد ، انت نور السموات والارض

ولك الحمد ، انت قيم السموات والارض

ولك الحمد ، انت رب السموات والارض ومن فيهن

انت الحق ، ووعدك الحق ، والجنة حق ، والنار حق ، والمؤمنون حق ، والساعة حق .

اللهم لك اسلمت وبك آمنت وعليك توكلت ، واليك انبت ، بك خاصمت واليك حاكمت ، فاغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت

انت الهي ، لا اله الا انت ..»

ان ختام هذا الدعاء النبوي الكريم .. هو الذي اختارته أسرته الكريمة لينقش على ضريحه .

رحم الله طه حسين رحمة واسعة. استاذنا الذي حفظ كتاب الله في طفولته ، ولم يفارقه كتاب الله في اقامة أو سفر . وما اكثر ما استمع اليه قبل الرحيل ، وماتزال رفيقة دربه شريكة عمره ـ كما عرفت من صديقي الدكتور محمد حسن الزيات ـ تجلس الى اذاعة القرآن الكريم في الساعات التي تعود رحمه الله ان يستمع فيها الى تلاوة القرآن الكريم .

قاهر الأيام

د. عبد المنعم الرفاعي
الأردن

اعليت قدرك ان يكون مجالى
جبار مصر وصرحها المتعالى
لو استطيع خطوت فى الحرم الذى
شيدته وقفا على الاجيال

لكن حملت اليك ما حمل الشذى
للورد بين تلفت ووصال
ورشفت خمرك فاستبد بى الطلا
ونزلت بين عرائش ودوالى

مترنحا تملا بفنك والحجى
متفيئا بهما ندى ظلال
اسعى اليك ودون شطك فدفد
ركب الشخوص اليه كل خيال

***

طه واسمع عند ذكرك آية
عقد النداء جلالها بجلال
هل تسمعنى فى المغيب وخلفه
بعد على الافق القصى العالى

استلهم الاشعار منك لعاننى
اهدى اليك تحيتى ومقالى
واسائل النجم المحلق فى السنا
عن ظلمة الزمن القديم البالى

ايام كان الحزن يصرخ والرضا
يبكى واهل الحى فى اعوال
والجهل يفتك بالطفولة والصبا
والفقر ادعية وذل سؤال

وبقلبك الواهى نزيف راعف
مما تكابد فى الاسى وتغالى
وعلى لهاتك غصة اطلقتها
من كل محتجز وكل عقال

***

يا قاهر الأيام مر مريرها
ومبدد الآلام بالآمال



هوت السنين العاتيات كأنها
وقد انتهين اليك بضع ليال .. ؟!

وكأن اجنحة الزمان تكسرت
لما طلعت بيومك المتلالى .. !

من ظلمة خرساء عابسة الرؤى
اشرقت نورا فى سماء جمال

حنت اليك النيرات فتحت
فى اصغريك جواهرا ولآلى

دنياك لاحد ترى فيسدها
ومداك لا طيف سرى فتبالى

ماذا يضيرك ان اقمت على الطوى
فى محبس قفر الجوانب خالى

تفد الحياة اليك عبر جداره
قدسية الينبوع والصلصال

وتظل نحوك حين يؤنسك الدجى
فكر كمنهل الحيا الهطال

فكأن شاوك بالغ ملك الورى
وكأن فيدك فيه كل منال

سجن تمنى كل حر ثائر
لو كان يرزح فيه بالاغلال .. !

***

يا ابن الظلام ونحن من غمراته
جئنا ، وفيه مدافن الآجال

ما عالم ابقت جفنك دونه
غير السراب على ضفاف الآل ...

تتراكض الاحلام خلف بريقه
وتعود عنه بحسرة وكلال

ان الحقيقة فى الخلود وليس فى
عرض يحول مع المدى لزوال

لو كان صبحك غير ليلك لارتدى
لك فى معارك قاتم السربال ...

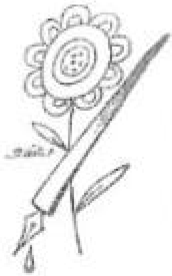
***

قل لى بربك حين مال بك الهوى
وعشقت من دنياك ذات حجال
ورأيت نعماء الحياة بقربها
ونسائم الأسحار والآصال
رفت عليك عيونها وجفونها
ودنت اليك هوى وطيب خصال
هدلت فهيجك الحنين فاقبلت
تلقاك بين تمنع ... ودلال
أعطتك عينيها وصفو ضميرها
والجزل من حلو المنى والغالى
فمشيتما قبسين فى فلك الهدى
كالنجم زين جيده بهلال
ورأيت عندك « مؤنسا وأمينة »
طفلين من فلق الصباح الحالى

***

ماذا وراء البحر .. ؟ وانتفض العلا
ونشرت سفر أوائل وتوالى
فمسارح الاغريق عندك خشع
وملاعب الرومان منك حوالى
والجاهلية فى ظهور خيولها
ردت اليك الشوق بالتصهال
والدين من فوق المنابر رافل
بالعز بين صحائف وعوالى
والحق يقذف بالضلال فما ترى
الا اليقين على حطام ضلال ...
« وابو العلاء » يقود ركبك ساريا
خلل العصور بفكره الجوال .. !
اختوا عليك الحق تحمل بنده
وتعاوروك بمنطق وجدال





لو [illegible]
وازلت عنهم وقفة الاطلال

لو انصفوك وانت كوكب افقهم
رفعوا لمجدك عالى التمثال

بطل الصعيد ، صعيد مصر كله
مهد الرجال ومنبت الابطال

القت عليه الشمس زهو اباتها
وجرى عليه النيل بالسلسال

غمزت صروف الدهر بعض قناته
فمشى الى الاهوال بالاهوال

فعلى روابى القدس رجع زئيره
وعلى ثرى حطين وقع نزال

وطن كان مساءه نجوى الهوى
تنساب تحت نخيله الميال

وكانما سر البطولة حوله
خطرات اخيلة وسجع رمال .. !

اغفيت تحت ثراه قبرك باذخ
بالعبقرى الشامخ المختال

ومشيت يومك خلف نعشك ارتجى
لك خير عاقبة وحسن مآل

ابكى المنابر والمنائر والالى
ذهبوا باروع صورة ومثال

لا امسح الدمع السخين لراحل
الا لاذرف دمعة للتالى .. !

حتى غدوت لطول ما نظم الاسى
ارثى ، على النبا المروع ، حالى ..!!

وحملت من عمان عبرة واله
كفكفتها بتحية الاجلال

الله ربك يجتبيك فعنده
فى اللوح كل جلائل الاعمال

● عمان ● ● عبد المنعم الرفاعى ●

د. سيد
نوفل

لعل اجمع وصف لشخصية عميد الادب العربي ، استاذنا الدكتور طه حسين ، انه ظاهرة فكرية تاريخية برزت اثارها وعظمت تاثيراتها ، وشكلت ، مع ظواهر اخرى معاصرة ، حقبة جديدة في تاريخ الفكر العربي ...

فطه حسين احد ظواهر الثورة المصرية المعاصرة ، التي تفجرت اروع ما تكون فكرا وسياسة ووطنية في عام تسعةعشر وتسعمائة والف . ثم خاضت تجربة الحياة الدستورية ثلاثين عاما في بداية عهد الاستقلال ثم راجعت نفسها وحولت مجراها في عام اثنين وخمسين وتسعمائة والف . ثم اخذت بعد عشرين عاما تراجع اصولها وتهذب فروعها لتجني اول ثمراتها الجيدة في هذه الايام .

قــوة الإرادة وبـــأس

اذا كانت الظاهرة تمتاز بأمر خارق لمجرى للحياة المطرد وتتفرد عن غيرها بخصائص لا تتعدد ، فان طه حسين قد انفرد بخصال كثيرة ، ابرزها خصلتان حكمتا مسلكه الفكرى العلمى عبر مساره العريض الطويل ، وهما قوة الارادة ، وبأس التحدى ..

ونختار هاتين الخصلتين لطه حسين لانهما في تقديرنا يفسران اسلوبه ومنهاجه ، ويكونان الدوافع الخلاقة لما توصل اليه من افكار باهرة وما لجره من قضايا ثورية ..

واذا اخترنا هاتين الخصلتين وحدهما ، لداعى الوقت والمقام ، فاننا لذات السببين نقصر تقصيهما على مجالات اللغة والادب والشخصية العربية الجديدة ..



التحدى

لقد جاء طه حسين ، مع الظواهر الكبرى من اصحابه ، ليجلوا اللغة العربية أسيرة انماط جامدة متوارثة ، بحيث اغلقت ابواب الابتكار وامتنعت قدرات التغيير .. فتحدى طه واصحابه الجمود ، وجمعوا أطراف مناهجها : من ابداع الجاهلية ، الى اعجاز القرآن ، الى براعة عصور النهضة ، وجماهرها جميعا فى اسلوب متطور خلاق ، يعتز به البيان الانسانى ، ويفى أعظم الوفاء بمطالب الحياة الجديدة المتشعبة الافنان .

ونظر طه حسين وقادة الفكر لعصره الى الادب ، على انه قوة الحياة وواهب الارتقاء ، وتحدى طه فى حسم النظرة التى سادت من قبله بان الادب صيغة جمال مطلقة،وملهاة عيش مجردة ، والتحم به جميع قضايا البشرية ، وهتف بعلمية الادب وجدوى الفن .

واشهرت لطه حسين الاساليب المثيرة الساحرة جميعا ، من الاسلوب الثائر على التقليد والمقلدين فى مثل « الادب الجاهلى » ، الى الاسلوب الذاتى النقدى فى مثل « الايام » ، الى الاسلوب الانسانى المفعم بعلاج مشاكل الحياة فى مثل « المعذبون فى الارض » ، و « دعاء الكروان » ، الى الاسلوب الخيالى التطلعى فى مثل « احلام شهرزاد » ، و « الوعد الحق » .

وادرك طه حسين مطالب الادب للحياة ، فى عصر رفعت فيه حواجز المكان ، وتدانت ارجاء المعمورة ، وترابطت مصالح الامم والشعوب . وكانت دعوته التقدمية الى ما يشبه العالمية فى الادب العربى

وتجمعت لديه بالدراسة والاقبال

قوة الإرادة وبأس التحدى

على اللغات الاجنبية مفاتيح المعرفة المعاصرة · فاعتصم فى وفاء بأصول العربية الوثقى · وانساب لديه تيار فكرى فياض فى التعريب والاستحداث ·· وتبلورت فى هذا المنطلق ملامح الشخصية العربية الجديدة المأمولة تعتز بتراثها بعد تحريره من الجمود وتنبعث بلا حدود الى الافاق الجديدة فى العلم والفكر ، امتثالا واعيا لا نقلا ولا تقليدا ·· وبهذا تتفتح نوافذ العربية على العالم ، وتتفتح نوافذ العالم عليها ، فتحا أصيلا متزنا عن قصور المحاكاة والتبعية ·

وبذلك رسم طه حسين ، ورفاقه على الدرب ، صورة الشخصية العربية الجديدة ، بذاتيتها العريقة ومنطلقها المتجدد · واقتحم الفكر العربى مجالات الاهتمام العالمى ، واستوعب الاتجاهات الفكرية المعاصرة ··

وهكذا نما الانطلاق الفكرى لطه حسين ، ليصبح بالارادة والتحدى ، ظاهرة غلابة تفرض نفسها على الطلاب والعلماء والمفكرين ··

ولقد كانت حرية الفكر العلمى هى السمة الجامعية المرتبطة بطه حسين فى السنوات العشرين الاولى للجامعة المصرية ·· ونحن الذين دخلنا الجامعة فى مطلع الثلاثينات كان يجذبنا ، فى المقام الاول ، فكر طه حسين ·· ولهذا حين صدمت السياسة آمالنا ، وأبعدت طه حسين عن الجامعة ، جرينا وراءه حيث هو ، فى صحيفة كوكب الشرق وفى صحيفة الوادى وفى مجلة الرسالة واشبعنا رغبة الاستماع اليه ، بل حاكيناه وكتبنا معه فى الصحيفتين وفى المجلة ·

ولا يزال ذلك المشهد الباهر يتراءى لى · مشهد الملك فؤاد اثناء زيارته للجامعة ، وكيف اطبقنا عليه من كل جانب ، وهو يخترق الحرم الجامعى مترجلا من كلية الحقوق الى كلية الاداب، واخذنا ننادى فى غضب صاخب ، لا نلوى على شىء : لا جامعة بغير أستاذها ! ·

وبعد قليل عاد الاستاذ العميد الى الجامعة ·· وكانت سعادتنا به واقبالنا عليه لا يعدلهما سعادة ولا اقبال ·· وكان اسلوبه وفكره وآراؤه يملك علينا الاسماع والافئدة،

مثلما كان يملك على الناس جميعا في معهد علم ، او قاعة محاضرة ، او منتدى اجتماعي او سياسي ..

لقد بلغ طه القمة اديبا ومفكرا وباحثا ، وبرز في مختلف التيارات الفكرية والاجتماعية والسياسية التي نجمت في بيئته العربية . وكان دائما الثاقب البصيرة ، الباحث عن الاصالة والارتقاء .. فخاض السياسة في احزابها وخاض الفكر في مدارسه ، وخاض الفلسفة في مذاهبها.. وكان في جميع ذلك باحثا عن نفسه وما يرضيها عن اقتناع .. ومن خلال البحث عن نفسه واقتناعها، يبحث عن مصريته . فهو دائما الفلاح المناضل . ومن خلال البحث عن مصريته يبحث عن عروبته وانتمائها . فهو دائما ابن العروبة الذى يحيى أروع تراثها للجاحظ وابن برد والمعرى وغيرهم ، ويفتح افاق بني قومه ويشد روابطهم باوسع الوان البيان والفكر المعاصرة .

وتقلد طه حسين المناصب والوزارة فكان ابدا الثائر المكين الارادة ... ففي الاستاذية والعمادة بالجامعة فجر ثورات وثورات ، واثر فيمن وافقوه وفيمن خالفوه على سواء .

وفي مستشارية الثقافة ووزارة التربية ، انسابت على يديه نظريات التطوير في التعليم ، وكانت المساواة التامة بين المرأة والرجل .. كما رفع لواء الحق في العلم للكافة ، وقال قولته المأثورة : العلم كالماء والهواء حق لكل انسان ، واتبع القول بقرار مجانية التعليم .. وبهذا ارسى دعائم المرحلة الثورية الجديدة

ان طه حسين الظاهرة حجر زاوية في الفكر العربي ، ونموذج فذ للتحدى وارادة التطوير وقوة التأثير ..

من منا لم يتأثر بطه حسين ؟ ! ومن من الاجيال المقبلة لن يتأثر به ؟ انه ظاهرة فذة معجزة ، والظواهر الفذة المعجزة خالدة في تطور البشرية ، وفي حياة الامم والشعوب

واذا كان لنا من نداء لقسادة الفكر والثقافة في ايامنا ، ووزير الثقافة يتوسط جمعنا ، فهو :

اعيدوا اروع ما في عصر طه حسين . اعيدوا للمقال مكانته وفاعليته ، وللكتاب مقامه وسموه ، وللنقد الحي الموجه ماضيه الذهبي .. واجعلوا كل فكرة جديدة حكيمة، او دعوة مستحدثة صائبة ، مجمع القلوب وملتقى العقول ..

انكم حينئذ تكونون اوفياء لذكرى طه حسين اعظم الوفاء ، وتؤدون لوطنكم حقه ولامتكم واجبها . وتسهمون في انضاج التسمير البشرى وتقدم الحضارة الانسانية .

سعيد
عقل
لبنان

معلم الجبل

ذكراك فى البال ما ذكراك ؟ .. قل ضربا
هام الجبال غضوب اشعل السحبا

ولو لريشة عصر ان تظلله
لكنت كالليل لف المنتهى بابا

والليل وحدك تدرى اين منبعه
وكيف كان وكان الله ما وهبا

من قبل ما الازل ابعودى رمى يده
على الذى سيصير الكون واجتذبا

كذاك انت ، رمت عيناك ليلهما
ثقلا على الشرق عاد الشرق ملتهبا !

لا ، لم تقلها « استفيقوا » ، انما بدعت
يداك بدعا تصبى الجفن والهدبا

بات الذى يقرأ « الايام » مختليا
بالحسن والحسن ينبى يوم ليس نبا

بعد الكتاب الشجى استن منتهج
ان يصدق القلم ، احلوّ ام انتحبا

تعلم الجيل من طفل تمر به
ازاهر فترى فى وجهه العطبا

فتكتم الحزن عنه خوف تجرحه
لكنه هو لا يستعذب الكذبا

يمضى اليهـــا يغنيهـــا يحببهـــا
به : « يا ازاهـــير » انتشى طـــربا

انا الطبيـــعة لم تغـــدق على قلـــم
ارد بالمثـــل ؟ ... هاتى الكاس والحببا

الا اشربى ، يا ازاهير ، اشربى ، ليـــدى
تســـخى كمـــا النيـــل ان واثبته وثبا

تعلـــم الجيـــل من طفـــل تُؤدبه
« الايام » حتى ليغـــدو وحده الادبا !

❊❊❊

من كمـــلوك ومن ولا يقـــعرون ، بهم
بنيت مصرك واســـتنبتها القببـــا

كمـــا صرعت ، رفعت : الريح آيتهـــا
ان عصـــفها هى ، لا ثوب و لاقشـــبا

واليـــوم فى ظـــل ما اطلعت من فـــكر
ينـــام تيها على المجد الذى اصـــطحبا

دعنى وخاطـــرة تفتـــر . قلت نفرتيتى
تعـــود على لعبـــات من لعبـــــا

ذاك الذى حط فى الصلب الجمـــال اذ
اعلولى ، وســـمرها الاغنيـــة اللهبا

مخليـــا لشروق الشمس غص شـــجى
وباعثا حســـدا فى النـــاى ان عـــذبا

ومســـحه لا تنى ســـحرا ومفتتنـــا
بان يرى اربـــا مـــا لم يـــكن اربـــا

وشـــائل بغـــواها وهم ان لهـــا
مثل الجنـــاحين رفا فوق ... واغتربا

وما التقى الحسن من لبنـــان ضع صـــبا
بفن مصر تغـــاوى فى الحـــديد صـــبا

معلم الجيل

حتى غهت فالاولى قيلوا العقـــول منى ،
وللاولى ارتحن لاســــتقباتهن غبــــا
لا الحسن ، بل حلم ان الحسن طوع يد
كانمــا الله ممـــا نفهم اقتــــربا
ذاك الذى ترك التمثـــال متعبـــة
للنـــاس قالوا انتهى يوم انتهى تعبــا
ازميله انت ام لمســـمات اصبعه ؟
ســل وجه مصر وما اعطى وما خلبــا !

***

ومصر تنتـــان : مـــا احييت انت ومـــا
الهمت . هذى وتلك الفـــكر منتســبا
الله ! اى هـــدى كانت هيـــاكلها ؟
ومن تعـــاجب لو لم تعطـــه العجبـــا ؟
نادت بنـــاة اتينـــا من غـــد ، ورمت
فى قلبهم شـــعلة تســتوقف الحقبـــا
واســـــتعجلتهم ، فبروا امهم كـــرما
فـــكوا الظلام وقالوا القـــولة السببا
ومصر من علمت ! لا البـــدع تـــكتمه
عنهم ، ولا خاطـــرات كالســـيوف شبا

كأنها انت ، طلق بالها بندى
كأنها انت ، زهر مرجها ربى
واليوم مصرك ، من اطلقت ، مصر مشت
فاقرأك شعب هدى واقرأك شعب ظبى
تلك الكرامات في العقل ارتجتك اخا
تلك البطولات في الحرب ارتضتك ابا

❊❊❊

في الصوت ، في الموت ، ها انت العظيم ، الا
افتح مقلتيك عليك ، استبعد الريبا
انت الحقيقة ! طر بالخاملين ، افض
فيهم عتوك ، ضيء كالنور منسكبا
سير الزمان الا سرع ، هنا كسل
شروقها الشمس في الشرق الذى اكتأبا

❊❊❊

آت معى زهر لبنان وكنت صدى
لثورة في بنيه تنزل العصبا
ليست من النار لكن من ارادتها
تعطى الهنيهات نبضا ، تشرب الغضبا
انزل بقلبى ، بهم الارز يوم اسى ،
بالشيخ بالريح ، بالهبات غب صبا
انزل بما ضج في لبنان من وله ،
بالكبر لم ينجرح ، بالورد ما انتهبا
بماردين ابوا الا الحياة على ،
بمسكين بقرن النهر مطلبا ،
بحبهم ، بضروب العزم في يدهم ،
بقولهم للزمان : اركض ام انت هبا ...
لكن نزلت ببعض الصخر من جبل
له على المجد فضل المجد ان صعبا
هتفت باسمك ، ما لقيت ، لي عذر
منذا يلقبها الا بها الشهبا ؟
طه حسين ويكفى ؛ ذاك منتهجى
انا كما السيف طلقا انزل الكتبا

طه حسين المجمعي

د. إبراهيم بيومي مدكور



قضى طه حسين في مجمع الخالدين ثلث قرن تقريبا ، كان لي حظ مصاحبته في معظمه ، دخله في نوفمبر من عام ١٩٤٠ ، وبقي به الى ان لقى ربه في نوفمبر من عام ١٩٧٣ .

دخله في زمرة من كبار الخالدين هم : لطفي السيد ، وعبد العزيز فهمي ، ومصطفى المراغي ، ومصطفى عبد الرازق، وهيكل، وعلى ابراهيم، والعقاد ، واحمد امين ، وعبد القادر حمزة ، عشرة كاملة يعدون حقا في مقدمة البناة والمشيعين ... دخله ولما يمض على انشائه بضع سنوات ، فلم يكن قد استقر له عرف ولا اتضح له تقليد . وشاء مع هذا المجمع الكريم ان يدعم اسسه ، وان يعيد النظر في خطة عمله . فوضعت له لائحة داخلية جديدة اتخذت نبراسا لما نسير عليه حتى اليوم ، وكونت لجانه المتخصصة . واثيرت طائفة من المشاكل الكبرى التي تتصل بمتن اللغة ، ونحوها ، وتيسير كتابتها ، ورسم حروفها .

وبعثت في المجمع حركة تحاول ان تنهض في غير طفرة ، وان تجدد دون عدوان على اصول اللغة . ولا شك في ان هذه المرحلة في تاريخ مجمعنا تعد بداية نهوض ملحوظ ، وفاتحة عصر ذهبي اسهم فيه طه حسين بعقله وقلبه ، بلسانه وقلمه . بايمانه وحماسه ، بحميته ونشاطه .

ولقد كان على بينة من نظم الهيئات والمجامع العلمية واللغوية الكبرى يسترشد بها ، ويأخذ عنها ، وكثيرا مااثره مع استاذه لطفي السيد

بالأكاديمية الفرنسية وما استقر لها من نظم وتقاليد . وكان جامعيا حقا يؤمن بالبحث والدرس ، ويعول على التخصص، ويعتد بالمتخصصين. فربط المجمع بالجامعيين وعزز الاستعانة بالأساتذة والخبراء . وأيد ما وسعه استقلال المجمع ماليا واداريا …

وقد كان يوم أن دخله مجرد فرع من فروع وزارة المعارف يتبعها فى ميزانيته وموظفيه ، ولم يلبث أن اصبح هيئة مستقلة فى شئونها المالية والادارية ولرئيسه فى ذلك سلطة الوزير .

وفى مناسبتين متلاحقتين شاء أن يكون للمجمع مطبعة خاصة يشرف عليها وتضطلع بمطبوعاته ، وعرض عليه فعلا مطبعة دار الكتب مرة ومطبعة الكاتب المصرى مرة أخرى .

ولو اخذ مجمعنا بهذا العرض الكريم لتفادى كثيرا من صعوبات الطبع والنشر التى تصادفنا كل عام . وأملنا كبير فى أن تتوفر للمجمع مطبعة حديثة ملائمة فى مبناه الجديد . وكم كان فقيدنا الكريم شغوفا بأن يرى هذا المبنى الذى دعا اليه غير مرة ، ورأى فيه ما يحقق لمجمع الخالدين مظهرا من مظاهر مكوناته .

وطبق طه حسين لأول مرة بسنة استقبال المجمعيين الجدد خير تطبيق وتقضى هذه السنة بأن تعقد جلسة علنية يضطلع بها اثنان على الأقل : عضو قديم يستقبل باسم المجمع زميله الجديد ، ويتولى هذا الزميل الحديث عن العضو الراحل الذى حل محله ، وفى ثناياها الحديثين أدب وحكمة وعلم وفلسفة .

ولطه حسين كلمات استقبال خالدة ، أولاها تلك التى استقبل بها صديقه عبد الحميد بدوى ، وقد انبعثت من القلب ، فنفذت الى نفوس السامعين جميعا … وتلتها كلمات أخرى ليست أقل روعة فى استقبال تيمور ، وتوفيق دياب ، والأستاذ توفيق الحكيم ، وفضيلة الشيخ الباقورى . والحق أن هذه الكلمات قطع من الأدب الرفيع ، ولوحات أخاذة تصور أصحابها تصويرا دقيقا ، وتكشف عن بعض الأعلام فى حياتنا الحاضرة . وما أجدرها أن تنشر بين الناس ، وأن ينعم بقراءتها الطلاب والدارسون .

والخالدون دائما بين استقبال ووداع ، سنة الله فى خلقه ، ولن تجد لسنة الله تبديلا . وبقدر ما يحفلون باستقبال الوافدين يحرصون على اداء واجبهم نحو الراحلين . وقد اضطلع طه حسين بتوديع أربعة من الخالدين هم على التوالى عبد العزيز فهمى ، وهيكل ، وعبد الوهاب عزام، ولطفى السيد . عاشرهم جميعا وعرفهم عن قرب ، فكان أقدر المجمعيين على الوفاء بحقهم وكانوا فوق هذا من أحب الناس اليه . وأقربهم الى قلبه . وانا لنحس فى

طه حسين المجمعي

تأبينه لهيكل بحرقة الصديق ، وهو يتأسى بقول الشاعر :

لا يلبث القرناء ان يتفرقوا
ليل يكر عليهم ونهار

وفي تأبينه للطفي السيد ، وكان منه بمثابة الابن من أبيه يتأسى بقول آخر :

ليس على طول الحياة ندم
ومن وراء المرء ما يعلم
يموت والد ويخلف مولد
وكل ذي اب يقيم

***

ويوم ان فكر المجمع في الاتصال بجمهور المثقفين نظم سلسلة من المحاضرات العامة دعا اليها طائفة من العلماء والادباء واساتذة الجامعات ، وفتح فيها باب التعليق والتعقيب · وكان طبيعيا أن يفتح طه حسين هذه السلسلة وتخير لحديثه « مشكلة الاعراب » وهي مشكلة شكا منها قديما بعض الخلفاء والامراء ، بله العامة والدهماء · وأشهد أن طه وقد سمعته كثيرا محدثا · ومحاضرا لم يقع في لحن قط ، وان لجأ الى التسكين أحيانا ··· ولكنه سبق الاشتراكيين جميعا في الدعوة الى مجانية التعليم ونشر الثقافة الشعبية ، وكان يشفق على النشء وشباب المتعلمين من فلسفة النحو وصعوباته ، وكثيرا ما دعا الى تيسيره ·

وقد استجابت « وزارة المعارف » لهذه الدعوة ، ورغبت في تذليل هذه الصعاب ·· وفي عام ١٩٣٠ شكلت لذلك لجنة كان طه حسين احد أعضائها ، وانتهت الى طائفة من القرارات التي لا تمس اصلا من اصول اللغة · وحرصت الوزارة على نشرها بين العلماء والمتخصصين ، ولم تخل من نقد وملاحظة · وبعد عشر سنوات أو يزيد ، احيلت على مجمع اللغة العربية الذي عني بها عناية خاصة · فدرست طويلا في لجنة الاصول ·

ووقف عليها مؤتمر الدورة الحادية عشرة ثماني جلسات ملئت بالاخذ والرد والتحليل والتعليل · وأبلى طه حسين في شرحها وتوضيحها بلاء حسنا ، ثم أقرها في تعديل يسير ·

ودون أن ادخل في تفاصيل هذه القرارات أود أن الاحظ أنه ليس من بينها ما يؤدي الى تغيير جوهري في أصول اللغة ، بل هي مجرد محاولة للتخفيف والتيسير ، وتنصب أساسا على تحديد ما ينبغي تقديمه لصغار الناشئين · ودعا المجمع الى وضع كتب مدرسية على أساسها تحت اشرافه ، وأعلن طه حسين ، وهو المؤمن دائما بما يدعو اليه ، انه مستعد للاشتراك في هذا التأليف · ومع هذا أهمل الموضوع مرة أخرى ، وبقي في طي النسيان نحو ١٥ سنة · ولم يحرك الا عام ٦١ دون علم المجمع ودون عرض الكتب المدرسية عليه · وكم صارحني طه ، رحمه الله ، انه يخشى فشل التجربة ، لانه لم يعد لها الاعداد اللازم ، وهذا ما حدث فعلا ·

هذا موقف من مواقف طه حسين الاصلاحية والمجمعية ، ازاء أمر آمن به ودعا اليه ، وله مواقف أخرى لا يتسع المقام لسردها ، ويكفى أن أشير الى اثنين منها · ويتصل أولهما بالمصطلح العلمى ، وللمجمع فيه جهد عظيم ومتصل · وقد حاول المجمعيون فى البداية أن يضعوا بأنفسهم مصطلحات للحقائق العلمية المختلفة ، ربما لجأوا الى بعض الالفاظ الغريبة والمهملة ، دون اعتداد باستعمال المتخصصين وما اصطلحوا عليه ، وهذا ما أنكره طه حسين ، ودعا الى البحث أولا عن استعمال أهل الفن والصنعة والعلم لغة يعرفها أهله ، وواجب المجمع أن يستمع اليهم ، وأن يصدر عنهم ما دامت استعمالاتهم لا تتعارض مع أصول اللغة ، بل عليه أن ييسر مهمتهم وأن يفسح صدره لاجتهادهم· ولا بأس من التعريب أن دعت اليه ضرورة وبخاصة تلك الالفاظ التى ترجع الى أصل لاتينى أو يونانى احتفظت به اللغات العالمية الكبرى، والعلم لا وطن له · وهذا ما يسير عليه المجمع اليوم ، ومن الخطأ أن يظن أنه مصنع ألفاظ أو دار لوضع مصطلحات ·



وكان طه حسين كبير الرجاء فى أن ينجز المستشرق الالمانى فيشر مهمته وأن يخرج «المعجم التاريخى» الذى تعاقد مع المجمع عليه · ولكن مع الاسف حالت الحرب العالمية الثانية دونه ومتابعة السير، وعاجلته المنية بعد أن وضعت هذه الحرب أوزارها بقليل ، فلم يكن بد من أن يتولى المجمع الامر بنفسه ، وأن يعد له عدته ، ورأى أن يستبدل « بالمعجم التاريخى » ما سماه « المعجم الكبير » وألف له لجنة خاصة حرص طه حسين على أن يكون مقررها · وقد زاملته فيها ، ووقفت على ما أنفق فى سبيل المعجم الكبير من وقت وجهد ، ولم تصرفه الوزارة يوم أن اضطلع بأعبائها عن متابعة تأليفه ، وفى عام ٥٦ استطاع أن ينشر منه جزءا فى نحو خمسمائة صفحة من القطع الكبير ، عده مجرد تجربة دعا المتخصصين فى اللغة من عرب ومستعربين الى قراءتها ، وتسجيل ما يمكن أن يلاحظوه عليها · وقد رسمت هذه التجربة المنهج ، وحددت الغاية ، وكانت الدعامة الاولى لهذا المؤلف الطويل النفيس · ولولا المرض لتابع طه حسين السير ، واستمر فى تحمل هذا العبء الثقيل ·

تلكم نماذج من ثمار طه حسين المجمعى ، وسيبقى ذكره دائما بين الخالدين ·

محمد خلف الله
أحمد



طه حسين والكلاسيكية الحديثة في الشعر العربي

في هذا الحفل التاريخي المشهود لتكريم فقيد مصر والعروبة والأدب الإنساني، ورائد المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية الذي كان «طه حسين» قمة شامخة من قممه – أعرض في إيجاز، فكرة بحث موسع أعد للنشر، عن الدور الرائد الذي اضطلع به طه حسين في تأصيل الكلاسيكية الحديثة في الشعر العربي.

وأعني «بالكلاسيكية الحديثة» هنا ذلك الاتجاه العام الذي قام في نهضتنا العربية الحديثة على إحياء التراث العربي، والمحافظة على عبقريته وعلى ترسيخ فنون الأدب العربي الحديث شعره ونثره وتعميق مضامينه والارتفاع به إلى الآفاق الإنسانية الواسعة، وعلى تطوير مناهج دراسته وقيمه النقدية، بما يتفق وأصوله الموروثة من جهة، ويواكب روح العصر وثقافته وأساليب تفكيره من جهة أخرى.

وقد كان لطائفة من كبار شعراء العروبة وكتابها – ومنهم طه حسين – منذ أواخر القرن الماضي، وعلى مدى النصف الأول من القرن الحاضر – فضل تأصيل هذا الاتجاه وتثبيته في كثير من أعمالهم الشعرية والنثرية.

.. ولطه حسين بالنصيب الأكبر من فضل الريادة والتوجيه العلمي والنقدي له. وكانت لمقومات شخصيته العقلية والنفسية، وللأنظمة الثقافية التي عب منها ونهل – في مراحل حداثته وشبابه – أثر كبير في تأهيله للقيام بهذا الدور التاريخي في حياة الشعر العربي، ورسم محور هذه الكلاسيكية.

وقد كشف لنا «طه حسين» مشوقة التاريخ لتلك الأنظمة والظروف بما صورها في سيرته الذاتية في الأجزاء الثلاثة من «الأيام» وحسبنا هنا أن نشير إلى ظاهرتي التدرج والتكامل فيها في بيئاتها المختلفة، وفي مراحل تطورها المتعاقبة. وما أسهمت فيه كل مرحلة من تعميق القديم أو إضافة جديد، وما كان بين ذلك كله من تفاعل مثمر في شخصيته أو ثبت منذ حداثتها نهمًا ثاقبًا، وعقلًا ناقدًا، وعزيمة ماضية، وبصيرة تنفذ من وراء الحجب إلى آفاق المعرفة الواسعة، وإرادة تجعل الضعف قوة والقيد حرية وانطلاقًا..

وقد فطن طه حسين إلى ما أتاحته شخصيته من التوازن والتكامل في عناصر ثقافية من شرقية وغربية، فسجل فيما سجل في سيرته أن وجود طائفة من كبار الأساتذة المصريين في الجامعة المصرية إلى جانب العلماء الغربيين كان له أبعد الأثر واستغل حياته إذ أتاح له أن يأوي إلى ركن شديد من الثقافة العربية القديمة، وأتاح لمزاجه أن يأتلف ائتلافًا معتدلًا من علم الشرق وعلم الغرب جميعًا، وأتاح لشخصيته المصرية العربية أن تقوى وتثبت أمام هذا العلم الخطير الذي كان يأتي به المستشرقون، وكان جديرًا أن يحول هذا الفتى تحويلًا خطيرًا يفنيه في العلم الغربي إفناء.

***

وحين انتهت آخر مرحلة من مراحل التأهيل العلمي وعاد «طه حسين» إلى الوطن واتخذ مكانه في التدريس بالجامعة، كان الانفتاح بين القديم والحديث في كيانه الفكري قد هيأ له شروطًا وبيئة على طريق الحوار، وكان هو قد تهيأ للقيام بدوره في مجال الكلاسيكية العربية المتجددة، فأخذ من جهة، يوجه المعاصرين إلى الاتصال بالشعر العربي القديم وتذوقه والمحافظة عليه أصالة ودعامة لاستقلال الشخصية العربية، وأخذ من جهة أخرى يعرض نماذج من نفوس الشعراء الماضين وحياتهم ومقومات فنهم، على أسلوب فيه طابع العصر وجاذبية الجديد...

طه حسين والكلاسيكية الحديثة

وراح من جهة ثالثة ، يشن حملة لاصطناع المنهج العلمي الادبي في دراسات الادب ، بما يتطلبه ذلك من تحقيق للنصوص القديمة ومن مناقشة ونقد لآراء العلماء السابقين ونظرياتهم ... وداب من جهة رابعة على اثارة المناقشات حول شعر الشعراء المعاصرين والنقد لكبارهم ، والعناية بتشجيع الناشئين منهم ، وتوجيههم الى مراعاة جوانب اللغة النحو والاسلوب وموسيقى الشعر العربي .. ومن جهة خاصة راح يتقصى الوان الجمال الفني في الشعر العربي ويعرضها في نماذجها عرضا بارعا مقنعا ، مازجا فيه بين القيم القديمة والقيم الجديدة في النقد الادبي ، على نحو كان يتشوف اليه كثير من الباحثين والمثقفين وطلاب الدراسات العربية العالية .

●●●

هذه الاضواء الكاشفة التي سلطها « طه حسين » على مختلف مجالات الشعر العربي ، وتلك الوساطة الموفقة التي قام بها بين القديم والجديد ، واضافت الى المكتبة العربية ثروة من الكتب ، حسب ما القى من محاضرات في الجامعة او على الجمهور . وما نشر من مقالات في الصحف والمجلات وما اخرج من دراسات وبحوث ، وبعثت في الحياة الادبية نشاطا علميا وفنيا ملحوظا ، اثارت من احتكاك في الافكار ، ومن مناقشات كانت تعنف احيانا .

وقد نجحت دعوة « طه حسين » الى اصطناع الطريقة العلمية في بحث قضايا الادب وظواهره ، وفي دراسته حيوات الكتاب والشعراء ، فقد استجاب لها الدارسون والباحثون واصحاب الرسائل العلمية، واصبحت الدقة العلمية سمة من سمات العصر في دراسات الادب واللغة ، وذلك تطور كان من المحتم ان يجيء مع ازدهار الحياة ، الحياة الجامعية . وتطبيق المنهج العلمي في مختلف فروع المعرفة . ومنها الدراسات الانسانية . ولكن طه حسين كان الرائد في هذا الميدان في عالمنا العربي ، وقد اعطى الدفعة الاولى لهذا الاتجاه . وسبق الى تطبيقه وواصل تنميته وتاصيل معظم حياته .

ومن الحق ان نذكر ان « طه حسين» كان المنشيء الاول في العصر الحديث للنموذج الامثل في تحليل القصيدة العربية تحليلا يعكس اصالة الماضي وروح الحاضر ، واليه يرجع الفضل في الكشف عن مزيد من مصادر الجمال والجودة في الشعر وعن طبيعة المثل الاعلى في الجمال الفني وفي الابانة عن العناصر التي

يمكن أن يتألف منها القياس الادبي المتكامل في النقد ·

ومن الجدير بالتسجيل كذلك ان موقف « طه حسين » من الدعوات الجديدة في الشعر العربي الحديث كان متسقا مع كلاسيكيته الحديثة ومع ايمانه العميق بحرية الفكر والفن ، وكان كل ما يطالب به اصحاب الجديد والمعاصرة ان يحافظوا على عبقرية الفن الشعرى العربي ، ويلتزموا الضبط اللغوى · وصدق التعبير ، ويتحاشوا الاخلال بمقومات الشعر العربي من وزن وقافية · ويحققوا الخصائص التي لا يكون الفن جميلا او اصيلا بدونها ·

وربما كانت آراء « طه حسين » في الجمال الشعرى وأحكامه في الجودة الفنية من أبرز السمات في كلاسيكيته الحديثة ، وهي مبثوثة هنا وهناك في مختلف أعماله ، وبخاصة « حديث الاربعاء » ومن حديث الشعر والنثر » ومع المتنبي » « وتكريم أبي العلاء » « ومع أبي العلاء في سجنه » و« حافظ وشوقي » ـ هذه الاحكام النقدية والتصورات الجمالية تبدو في ترابطها كأنها صادرة عن فلسفة ذوقية أساسية فيها من الشمول وسعة الافق ما ليس في بعض الاتجاهات الادبية الضيقة في النقد الادبي الحديث · وقد عني عميد الادب العربي في مستهل حياته العلمية ـ بعد العودة من فرنسا ـ بالحديث عن النقد وأهدافه ونظرياته حديثا يكشف عن تأثر واضح بمذاهب النقد الادبي الاوروبي ولكنه تحول بعد ذلك الى العناية بالنقد العلمي الذى يزاوج بين القديم والجديد ويصل حاضر النقد العربي بماضيه·

لقد صاحب طه حسين الشعر العربي دارسا وناقدا اكثر من نصف قرن · وقد حفظ في شبابه كثيرا من روائع الادب العربي القديم شعره ونثره · ونظم الشعر على السنة التقليدية وهو طالب في الازهر وفي الجامعة المصرية وألقى بعض قصائده في مناسبات حظى فيها بالاعجاب والتشجيع · ولكن يبدو ان عبقريته الفنيه آثرت لنفسها طريق الابداع في فنون النثر ، وأولت الشعر حظه منها عن طريق التذوق والنقد والدرس والتوجيه ، وقد كسبت الامة من ذلك في الميدانين علما من أعلام أدبها ورائدا من رواد نهضتها ، وستبقى ذكرى « طه حسين » خالدة ما بقيت العروبة وبقي الفكر والادب العربي ·

اعمل ما شئت

عش ما شئت ، فانك ميت ...
واحبب ما شئت ، فانك مفارق ...
واعمل ما شئت ، فانك مجزى به !

(الغزالي)

د.محيي الدين
صابر
السودان

كالناس موتا ومثل الناس ميلادا
لكنه عاش مثــــل النجم وقادا
وعاش كالارض معطاء سـجيتها
وعاش كالنبع بالطاقات مسدادا
وعاش كالنحل يغشى كل نابتـة
جهـدا صـناعا وابداعا وارفادا
وعاش كالروض اعطارا ملـونة
والثيــات واعراســــا واعيــادا
وعاش كالنسر آفاقا واجنحـة
مستحصدات على القمات ورادا
وعاش كالبحر مرهوبا ومنتجعـا
بذلا سريا واخطــارا وابعــادا
وعاش كالسيف : اصرارا وبادرة
وفارسا عاريا : صعرا واعضادا
في رحلة كســنان الرمح ظافرة
رايا وسـعيا ، وانصارا وحسادا

***

دنيا تسـمعها لونا ، وابصرها
لحنـا ، وجمعهـا بالفكر آمادا
فلامنهى ، كانت ، حينما احتجبت
عن عاشق زادها حبـا واسعادا

الــكلمات الخضر





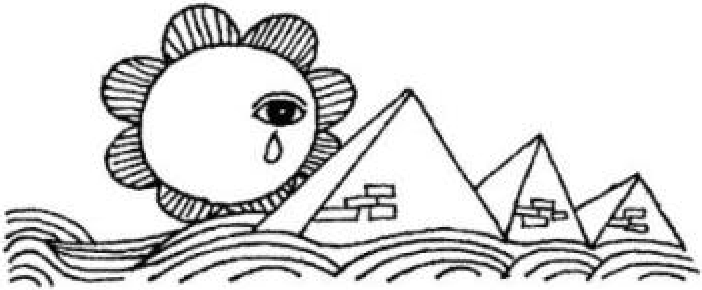
وحين مدت له ظلماتها قدرا
والنور كان به للناس ، ميعادا
وحين جاءت له بالقيد تاسره
وهو الابى ، بحرياتها نادى
مشى على شوكها حرا ، وصخرتها
حرا ، فما مال عن حق ، ولا حادا
واستقبل العسر شماخا ومقتحما
ان زاده الظلم ، فى اصراره زادا

***

اعطى الحياة بما لم تعطه ، كرما
وربما آخذ منها ... وما جادا
ورد للناس حقا كان مغتصبا
ففك بالعلم ، اغلالا واصفادا
وحرر الجيل بعد الجيل يصنعه
يدا وعقلا ، بما ارسى وما شادا
وانحاز للكادحين السمر ، فاتخذوا
منه مثالا ، ومن اعماله ... زادا
اغنى الحياة نضالا كله شرف
فما استكان ، وما داجى ، وما انقادا
ولم يعش فى قصور الوهم منتحلا
ولم يخاصم على غى ، ولا عادى
ولم يراقب خطا الامواج يركبها
ولم يقم فى مهب الريح مرصادا
كرامة واباء ، عاش بينهما ...
بالفكر للشامخات العصم مرتادا

***

المنى الاصالة بالابداع فالتقيا
فراد معركة التجديد او قادا
يزهى التراث جديدا فى تناوله
ارضى به الفن والاسلام والضادا
ومد للوحدة الكبرى قواعدها ،
وهى المصير ، لفكر النشء اعدادا



خالق الكلمات الخضر

يا مصر ، والنيل ينمينا وينسبنا
الى الحضارات اجدادا واحفادا
ولادة انت للقمات منجبة
للخالدين مضوا للناس روادا

فان بكيت على « طه » وحق له
فالعروبة ركن منه قد مادا
وان « طه » وان انجبته علما
فابن العروبة ميراثا وامجادا
فى كل يوم منارات نودعها
يهدها الموت اطوادا فاطوادا
جيل العمالقة الحامين حوزتها
من بعد طه ، مضى كالحلم ، او كادا

•••

يا خالق الكلمات الخضر معذرة
الشعر دونك انغاما وانشادا
القول ينشئه فكر ، وينطقه
سحر، ويبدعه ، انشاء ، ترددا
ياراحلا باقيا فكرا وموهبة
فى كل حرف معاناة واجهادا
لو كان قبرك من حرف ومن كلم
انشأتهن ، لكان الموت ميلادا

بيتر باخمان

دور طه حسين في تعريف الأدب العربي إلى المستشرقين الألمان

ان الدور الذى قام به طه حسين ، الاديب والمفكر الكبير ، فى تعريف الادب العربى القديم والمعاصر الى المستشرقين الالمان ، دور رئيسى ، فتحدث كتبه التحليلية والقصصية فى اذهان المستعربين ايمانا . وفى احساساتهم تأثيرا عميقا ، من خصائصه انه تأثير مزدوج ، أجلى ظواهره فى ثنايا مقالات العلماء الالمان الادبية واللغوية من جهة واقتصر فى هذا المكان على الاستشهاد بكارل بروكلمان وما كتبه عن طه حسين فى موسوعته عن تاريخ الادب العربى — واما من جهة اخرى ، فان تفكير طه حسين الدقيق وادبه القصصى الرفيع يعملان فى عقولنا وفى قلوبنا نحن المستشرقين الالمان عملا خفيا مستمرا ، لقد نصبح من تلاميذ الاستاذ المصرى الموقر المحترم وان اخذنا منه العلم عن طريق غير مباشر اى عن كتبه .

وطه حسين شخصية ادبية وفكرة واسعة الاستيعاب ، فينبغى علينا نحن المطلعين على آثاره ان نكتفى بجزء نختاره منها يتناسب مع مدى ادراكنا ويوازى اهتمامنا بالادب والفكر العربيين .

دور طه حسين

ومن الممكن أن يستغرب المثقف العربي ما نختاره نحن الالان من مؤلفات طه حسين فنخصه باهتمامنا ، ذلك أن ما يوجهنا الى اختيار كتب معينة من آثاره هو تأثير البيئة الثقافية علينا ، وبما أن الاساس الذى بنيت عليه ثقافتنا الاوربية هو التراث الثقافي اليوناني في مختلف اشكاله فمن المفهوم أن كل الظواهر الثقافية المنسوبة الى ذلك التراث تنبهنا الى الاهتمام بها وتجعلنا نستحسنها ونستعظمها، خاصة اذا وجدناها في نطاق ثقافة اخرى تختلف عن ثقافتنا اختلافا في اللغة والصيغة الحضارية ، وقد نشأت الثقافتان عن جذر مشترك ، منه اغتذنا وبه قد نجدد ما هرم وانقرض من خلاياهما الحيوية ، فالبرهان والدليل القاطع على قوة التراث اليوناني الحيوية • هو ما نشاهده من تطور فكرى وفنى وادبى وعلمى في اوربا حتى يومنا هذا ، وكذلك ما يدهشنا من ازدهار الثقافة العربية الشرقية ايام تأثرها بالفكر اليوناني الحر والمنابع اليونانية العلمية المستمصاة المنقولة الى العرب بفضل نشاط حنين بن اسحاق وتلامذته •

وقد تباطأت الحركة الفكرية المؤسسة على الاساس اليوناني في الشرق حتى كانت تتوقف بعد خمسة قرون من ابتدائها هناك ، وتضاءلت أشعة النور الذى اضاءه حنين ومن شاركه في سعيه الى علوم القدماء حتى كاد يخمد ويطفأ بعد أن ملأ آفاق العالم ضياء لم يحتمل لمعانه الا من كان قد استعدت عيناه للنظر اليه •

وبعد الفترة المسماة بفترة الركود او بفترة الانحطاط ـ ولا اظن أن تلك الفترة برمتها تستحق التسمية المذكورة ـ اتت النهضة بتجديد للادب العربي ••• ومن المؤلفين الذين استفادوا من نشاط اصحاب النهضة طه حسين ••• وتلفت اليه اذهاننا نحن الالمان بصفة خاصة ويجعلنا نفضل مؤلفاته على مؤلفات اقرانه ـ انه لم يقتنع بالدأب في الاعمال الادبية والمثابرة بل اضاف اليها بعدا جديدا ، وذلك باعتنائه بالفكر ولا سيما الفكر اليوناني، فكأنه رأى النقص الذى يبخس قيمة ما قد ابدعه المحدثون من الادباء وهو عدم وجود اساس فكرى متين •

ومنهج ادبى ثابت عليه يعمل الاديب المفكر ، رائدا للاديب الحديث من أن يكون مفكرا ـ وبه يقاس انتاجه الادبى • فرجع الى أساس ومنهج وجدهما صالحين لما اراد أن يبنيه عليهما أى ادبا منورا بضياء العقل لا يخلو من دقة الشعور • فوجد الاساس والمنهج المطلوبين في فكر اليونان القدماء وفي ادبهم، وكان قد درس تاريخ ترجمة الثقافة اليونانية الى العربية عند الاستاذ الايطالي (سانتيلانا) • وهو من الاساتذة الذين يعترف طه حسين بأن لهم فضلا كبيرا في توجيهه، وتكوين ثقافته الخاصة به •

وبذلك روى طه حسين حقول الادب العربي بماء المنابع اليونانية الرواء العذب ، واصبح الدور الذى اداه في تجديد الادب العربي يشبه الدور الذى قام به الاديب الالماني

« ليسنج » في تجديد الادب الالماني في عصر التنوير، الا أن طه حسين اقدم على معالجة مشكلات فاقت المشكلات التي كان قد واجهها « ليسنج » وذلك لسببين أولهما ان الثقافة اليونانية قريبة من الالمانية لتواصل تأثير اليونان في الالمان ، بينما تأثير اليونان على العرب قد انقطع انقطاعا يكاد يكون باتا ، وثانيهما ان في المانيا الكثيرين من الادباء والنقاد قد مهدوا طريق « ليسنج » الى تجديد الادب الالماني برجوعهم الى الامثلة اليونانية بينما كان عدد الذين دعوا الناس في العالم العربي الى الادب دراسة الادب اليوناني قليلا جدا .

ومن هنا قد يتضح دور طه حسين في تعريف الادب العربي الى الالمان وبصفة خاصة الى المستشرقين ولاجل قرابة منهجه العلمي الادبي من منهجنا أصبح دليلنا لا الى الادب العربي المعاصر فحسب ، بل الى الادب العربي القديم .

ومثال قرابته منا ما شاهدته في قراءتي لكتاب « الايام » ذلك الكتاب العزيز الذي قرأته في جامعة جوتنجن على معلمي المصري الدكتور شفيق علام . وكان كتاب « الايام » اول كتاب عربي اقدمت على قراءته .



ولما تغلبت على صعوبات الكتاب اللغوية والنحوية تغلبا ما ، استمتعت باسلوب له سلاسة الاسلوب اليوناني الكلاسيكي ، وعن طريق كتاب طه حسين تعرفت بفحل من فحول الشعر العربي القديم ، اعني ابا العلاء المعري ، فجذبني سحر شخصيته كما هي مجسمة في بعض صفحات كتاب « الايام » قبل ادراكي سحر شعره المصبوغ بصبغ التشكك الذي وجدته في الفلسفة اليونانية .

ولما درست مؤلفات أخرى من آثار طه حسين ، رأيت انه لم يكتف بما يكتفي به الكثيرون ممن يطيلون كتابة المقالات والمجلدات في تراث اليونان ومن يكثرون القول فيه ، لكنه عنى بترجمة نصوص اليونانية الى العربية ، وقد نقل منها ما يصعب نقله وشرحه حتى على علماء اللغة اليونانية وادابها انفسهم ويزيد نشاطه هذا من اعجابنا به ، فكانه زميلنا نحن المجتهدين في ميدان الدراسات اليونانية، وهو في الوقت نفسه استاذنا الذي هدانا الى مراجع الادب العربي قديما كان ام حديثا .

وأرى من المناسب ان اتم نبذتي هذه المتواضعة بالاستشهاد بما قاله في طه حسين احد كبار المستعربين الالمان الاستاذ هانس وير صاحب القاموس المعروف المشهور — وهو من الذين اهتموا بشرح خصائص اسلوب الاديب المصري ، قال : « ان لطه حسين الاديب صاحب الفكر العصري اسلوبا عربيا فصيحا يستخدمه في الكتابة والتكلم فيعترف كثيرون حتى من اصحاب التقليد بانه اسلوب رفيع . اما المصريون فيعجبون به » .

واسلوبه تعبير خالص عن الفكر الذي جسمه وطلب ان يجسمه المواطنون ، وميزة فكره هذا القرن غاية التقدمية العقلية بالمحافظة على التراث العربي الخالد والدفاع عنه .

د. إبراهيم السامرائي
بغداد - كلية الآداب

كتب النثر كروائع الشعر

قال احد نقادنا القدماء : ان المتنبي شاعر العربية الاكبر ،ملأ الدنيا وشغل الناس . وما احرانا ان نقول اليوم : ان فقيدنا الكبير قد ملأ دنيا الناس في عصرنا هذا من مشرق الارض الى مغربها . ولئن كان الناس في عصور خلت بين معجب بالمتنبي وقادح له شديد عليه ، لقد كان اهل عصرنا اجماعا على الاقرار بمكانة طه حسين معترفين بفضله وادبه على بعد الشقة التي تفصل بينه وبين طائفة منهم ، وانه من اجل ذلك عميد الادب غير منازع .

طلع الفقيد مصباحا مضيئا وسراجا منيرا فدعا الى ان يكون درس جديد يقوم على العلم والفكر ، ومن أجل ذلك فلا فائدة ترجى للعلم وأساليب الدراسة العتيدة قائمة . لقد نظر الى الشعر القديم نظرة العالم الباحث المدقق فكتب ما كتب في الشعر الجاهلي ، وكان القوم قد فوجئوا قبل اكثر من نصف قرن بنغمة جديدة لم تألفها اذانهم ولم تقبلها عقولهم ونفوسهم ، فعلت الصيحة ، وأريد لهذه الصيحة ان تنتهي الى ما انتهت اليه ،وكان ما كان مما نعرفه من هذا الحدث العظيم . وثبت الاستاذ الكبير في تلك المعركة ثباتا سما به فكان في عداد الشجعان الابطال .

لم يردد الفقيد الكريم ما قاله الاعلام الاعاجم المستشرقون مثل نولدكه الالماني وباسيه الفرنسي ومارجوليوث وغيرهم ،، ولكنه اراد أن يقول لخصومه انكم تعسفتم وجرتم وابتعدتم عن العلم ، وان نقادنا القدامى أول من دعا الى ان يبدأ الباحثون بعمل يقوم على التصحيح والتجريح . وهذا شيء افاده البحث الادبي .

فضائل علوم الحديث وطرائق المحدثين . وأن من بين القدامى من قال : لقد نال الشعر من خلف الاحمر وغيره ما افسده فلا يصلح أبدا . وانهم قالوا اقوالا اخرى لا تبتعد عن هذا . غير ان القوم في عصر الاستاذ طه حسين لم يعلموا تلك الحقائق التي اشار اليها ولم يريدوا ان يعلموا من أمرها شيئا .

فدرجوا على ما كانوا عليه ، يدرسون الشعر الجاهلي دراسة المستوثق بنصه كانما هو شيء من التنزيل وحاشا ان يكونه .

لم يكن طه حسين متخيلا لمسائل لا مكان لها من التاريخ ، ولم يات للقوم بترهات الاعاجم ودسائسهم ولم يرد ان ينال من تراثنا الذى اصانه الله جل وعلا — ما دام قد اتى بالعلم مستوحى من ادبنا القديم وكانه اراد ان يقول للباحثين :

ان عودوا الى مصادر الادب ودعوا ما لديكم من خلاصات وشروح وامثال، ولا يهولنكم ان يكون قد دخل الشعر القديم شيء من عبث الرواة اذا كان حديث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لم يسلم من الوضع فويل للعلم من رواته .

ولقد استطاع الفقيد الكريم ان يحمل الباحثين بعد ذلك على تغيير طرائقهم فبداوا بدراسة المصادر الادبية والتاريخية دراسة جادة ينظرون الى اخبارها نظرة قائمة على الحذر ، وانتهوا من ذلك الى شيء اخر اراد الفقيد ان يكون .

قلت ان الحديث عن طه حسين لا ينقطع ذلك آن الباحث ليرى انه واسع المعرفة ، عرض لفنون الادب جميعها عند العرب وغير العرب من الامم . نظر الى الادب العربي القديم فراى ان ذلك يقتضيه ان يعرف الاداب القديمة الاخرى فكانت له دراية فى الادب اللاتيني ومعرفة واضحة بالادب اليوناني ، ونظر الى التاريخ الاسلامي فكان له نمط من الكتابة التاريخية قل ان تهيأ لغيره من المعنيين بالتاريخ ، فكتب فى السيرة النبوية الشريفة ، لسطر على هامشها ادبا خصبا ينبع من التاريخ ويحرف للادب ، وان هى الا صفحات مشرقات حفزت الاجيال الناشئة على العناية بأدبنا وتراثنا . وقد صنع مثل هذا فى سائر كتبه الاسلامية (الوعد الحق ، والفتنة الكبرى ، والشيخان) .

ونظر الى عصرنا الحاضر فاراد ان يصله بالماضى ، وكانه اراد ان يقول : ان المسيرة التاريخية تقتضى ان يدرس الادب الحديث بفنونه الجديدة من قصة ورواية ومسرحية، فكانت له مشاركة ذات اثر فى هذه الفنون . ولقد عمل على ان يكون لهذه الانماط الجديدة مكان فى الدراسة الجامعية الجادة .وقد حمل الاستاذ على اعتقاد هذا الرأى فتحقق ما سعى اليه وان الخير كل الخير ان يدرس عصرنا الحاضر دراسة علمية وان يكون الفكر العربي الجديد طلعة الى ما عند الامم المتقدمة .

والفقيد الكبير اديب صاحب فن ورسالة وذلك شيء يضاف الى قدرته البارعة فى البحث فى فنون المعرفة المختلفة . هو اديب فى لغته واسلوبه ، وهو صاحب فن لانه مجدد اعاد للعبارة العربية صفاءها ونضارتها ، وهو صاحب مهارة فى انه استطاع الا يبتعد عن لغة الناس ولكنه اتى بفصيحة مشرقة عرفها المصريون ، فجاء بشيء جديد عز على كثير من ذوى الاقلام ان ياتوا بمثله .. وهو اديب بارع لانه مارس فنون الادب الجديد فكان له قصص وكان له حوار ، وكان له مقالة ادبية بارعة كان فيها للكلمة العربية اصالة .. ولقد منح الجملة الحديثة من احساسه ووعيه شيئا جدد به صورة النمط العالي من انماط البلاغة القديمة ، وتهيا له من كل ذلك ان علا بالنثر حتى صار شيئا كروائع الشعر ...

عبقري

د. عبد الرزاق البصير / الكويت

ليست هذه المرة الاولى التي يستضيف فيها المرحوم الدكتور طه حسين ادباء العربية . فقد استضافهم اكثر من نصف قرن من الزمن ... وسيظلون في ضيافته الى ما شاء الله ، وهذه شيمة كل فنان عبقرى ، اذ ان العطاء المستمر من طباع كل فنان متفوق ، والاديب بصورة خاصة لا يستحق هذا اللقب الا اذا كانت مائدته واسعة تجد فيه العقول غذاءها كما تجد فيه العواطف ما يجيش فيها ، فاذا ماانعمت النظر فيما خلفه الادباء المتفوقون تجد الناس معهم فى لقاء دائم وهم لا يملون من هذا اللقاء لانهم يجدون فيه غذاء لعقولهم . وهيهات ان يشبع الانسان من غذائه العقلى .

كان كرمه واسعا نالها شمل مصر اولا ثم ملا البلاد العربية على سعتها ثم تجاوزها الى كثير من البلاد الاجنبية ، فنحن نعلم ان كثيرا من جامعات الغرب دعته لالقاء المحاضرات فيها ، وانه شارك فى كثير من المؤتمرات الادبية التى عقدت فى الغرب وانه بهر جميع الذين استمعوا منه وتحدثوا اليه ... ذلك ان المجال الذى كان يعمل فيه شمل سائر ميادين المعرفة من ادب وسياسة وفلسفة واجتماع وتاريخ . ولم يكن يبدى حكما او يصدر رايا فى اى قضية من القضايا او اى امر من الامور الا بعد دراسة دقيقة شاملة .

ولقد ملا الحياة الفكرية بصورة قوية تكاد تبلغ حد المعجزات ... وانا حين اقول هذا الكلام لم اكن مبالغا فيما قلت ، فقد كانت الصحف الادبية وغير الادبية تصدر وفيها احاديث مفصلة ، منها ما يمس النقد ومنها ما يتصل بالسياسة ومنها ما يتصل بالحياة الاجتماعية ، ومنها ما يتصل بالتاريخ ... الى جانب ما يلقى من المحاضرات فى الجامعة .

واذا مااردت ان اتحدث عن الابواب الادبية والفكرية التى فتحها عميد الادب العربى لنا وسعنى هذا المقام ، ثم انى لن آتى بجديد لانه معروف لدى الادباء والمتادبين فى كل البلاد العربية وكثير من البلاد الاجنبية ، ولكننى لا املك من ان ابدى اعجابى بتلك الاحاديث المتصلة التى نشرها عن ادبنا العربى القديم فى جريدة

العطاء العظيم

السياسة الاسبوعية التى كانت تصدر فى ذلك الحين ، ثم جمعت فى ثلاثة اجزاء سميت بحديث الاربعاء، فانتم تعرفون جميعا ان كل بحث من تلك

البحوث يقتضى من صاحبها اياما واياما كى يستطيع ان يكتبه ثم ينشره على الناس ، لكنه رحمه الله كان ينشر فى كل اسبوع بحثا من تلك

البحوث الادبية الفنية التى قربت ادبنا العربى القديم وحببته الى النفوس ، اذ انها يسرت السهل اليه،

وهل يستطيع احد أن ينسى ما احدثه موقفه من الشك فى الادب الجاهلى من دوى ملأ الدنيا وشغل الناس مدة طويلة من الزمن ، مما دفع كثيرا من الكتاب والباحثين الى معارضته والرد عليه ، فنشأت عن ذلك خصومة ادبية احدثت خصوبة ذات فوائد لا حصر لها فى التفكير كما عرضه موقفه ذاك -رحمه الله- لكثير من المصاعب والمشاق قطع رزقه وابعده عن مجال عمله ، لكنه ثبت لذلك كله ثبات العلماء والباحثين اذ كان يرى السعادة فى ان يجاهر فيما يرى بانه حق ولو عرضه ذلك لاعظم المشاق والمصاعب ، ورأى ان يبذل كل ما فى طاقته فى العمل المتواصل ؛ ان الشقاء كل الشقاء بأن يكون مرتاحا هادئا لا يقوم بأى عمل .

ولقد كنت حزينا من اجل ذلك أشد الحزن ضائقا بالحياة أشد الضيق ، حتى جاءنى من اخبرنى بان صاحب ذلك العطاء العظيم ممن حرمه الله نعمة البصر ... فلم اصدق ما اخبرنى به، فدفع الى كتاب «الايام».

ولم اكد امضى فى قراءته حتى انفتح لى باب الامل فى الحياة ، وحينما فرغت من قراءة ذلك الكتاب كتبت اليه رسالة مطولة اصور له فيها ما حصلت عليه من فائدة لا تعادلها فائدة ... فاجابنى برسالة مختصرة جاء فيها :

« فتح الله عليك ووفقك لما فيه الخير ... ان كل ما بذلته من جهد هو من توفيق الله وفضله فتوكل على الله » ... فكل ما قمت به من مشاركة متواضعة فى الحركة الفكرية يعود اساسه اليه رحمه الله .

فهيهات ان انسى له هذا الفضل . ولعل كثيرا من امثالى قد حصل له مثلما حصل لى من فتح باب الامل.

ومهما يكن من امر، فان الاسباب قد اتصلت بينى وبينه منذ تلك الايام

وستبقى متصلة معه الى ان افارق هذه الحياة لانى مازلت ، حتى الان،

اعود الى مقالاته فى الثاره فاجد فيها المتعة كل المتعة والفائدة كل الفائدة.

فى ذكرى عميد الأدب العربي

عاطف مصطفى

انجاز كريم قامت به وزارة الثقافة فى احتفالها بالذكرى الاولى للدكتور طه حسين رائد الثقافة العربية فى مصر والمشرق العربى ...

ولقد آمن طه حسين بالتقدم وبالسير الى الامام فخاض معارك ضارية ضد كل الذين كانوا يريدون أن يشدوا عجلة التاريخ الى الوراء، وأن يوقفوا سير الامة وتقدمها الى مشارف القرن العشرين .. فقد كان مع اصلاح الازهر والعودة به الى أيامه الزاهرة أيام كان قلعة للفكر الحر ، لامكانا لقراءة المتون والشروح ، وكان اخيرا مع الحرية بأجلى معانيها فوقف ضد الاضطهاد السياسى ، ودافع عن حرية الجامعة واستقلالها، ودعا الى حرية الصحافة فى التعبير عن الرأى ، ولقى فى سبيل ذلك عنتا ، ولكنه لم يلن ، ولم يهن على الرغم من أن جهاده هذا فى طلب الحرية قد كلفه الكثير ..

واخيرا وليس اخرا فى هذه اللمحة السريعة عن طه حسين الذى احتفلت به مصر والعالم العربى ولما كان طه حسين يحس بالجهل الذى كان يرزح تحت وطأته الشعب المصرى ، ويؤمن بأنه من اهم الاسباب التى أوصلته الى تخلفه ، وبأن المدرسة طريق التقدم والفلاح ، لذلك دعا الى نشر التعليم وتوحيده ومجانيته ، وفتح السبيل أمام جميع أبناء الشعب دون حدود أو سدود ثم طبق ذلك حين ولى وزارة المعارف فجعل التعليم مجانا ميسرا لكل ابناء الشعب .

ان الاحتفال الذى استمر لمدة ثلاثة ايام من ٢٦ الى ٢٨ فبراير



الرئيس محمد انور السادات

الماضى فى قاعة الاجتماعات الكبرى بمبنى جامعة الدول العربية ، لهو

تعبير صادق لمكانة طه حسين بين ابناء امته العربية الخالدة وبنى الانسانية ، ممثلا فى المستشرقين من تلاميذه ومحبيه ورواده من ايطاليا وانجلترا وفرنسا واسبانيا وايران الى جانب لفيف كبير من مفكرى الامة العربية وشعرائها الكبار .

وقد كان اليوم الاول للاحتفال مهيبا يتناسب وجلال الذكرى ، فقد غصت القاعة بتلاميذ طه حسين ومحبى ادبه ، وقد كان على رأس

الحاضرين يوسف السباعى وزير الثقافة وكذا الدكتور عبد العزيز كامل نائب رئيس الوزراء للشئون الدينية، والدكتور احمد كمال ابوالمجد

وزير الاعلام ، والدكتور مصطفى كمال حلمى وزير التربية والتعليم ، والدكتور سيد نوفل امين مساعد

الجامعة العربية ، والدكتور ابراهيم بيومى مدكور رئيس مجمع اللغة

العربية ، والدكتور عبد المنعم الرفاعى والدكتورة سهير القلماوى والدكتور يعقوب بكر عميد كلية

الاداب والاستاذ محمد خلف الله احمد واسرة الفقيد الراحل ..

كانت اولى الكلمات ، كلمة السيد رئيس الجمهورية محمد انور السادات ، القاها نيابة عنه يوسف السباعى وكانت هذه الكلمة التى

حرص الرئيس المؤمن ان يشارك بها فى هذا الاحتفال المهيب ، معبرة وصادقة عن طه حسين هذا الصرح الشامخ من صروحنا العربية .

والقت الدكتورة سهير القلماوى كلمة باسم جمعية الابناء التى انشاها طه حسين ، وظل رئيسا لها

حتى اخر يوم فى حياته ، شكرت فيها المشاركين فى الحفل ، مؤكدة

على دور طه حسين فى انشائه العديد من الروابط والجمعيات والمشروعات ، وكذا انشاء الجامعة ، الى حد انه ظل طوال ستين عاما

يدفع بمصر وبالوطن العربى كله عن طريق الثقافة ليثبتا مكانته تحت الشمس وليسهم بكل طاقاته فى بناء

الحضارة الانسانية العظيمة ، ولكن فى كل هذا، بل قبل كل هذا كان معلما .



يوسف السباعي

ولقد كانت كلمة أمين الجامعة العربية تأكيدا على فضل الدكتور طه حسين على الجامعة العربية ، فقد رعى العميد العمل الثقافي المشترك في الدور الانشائي للجامعة ، ولقد

كان أدب طه حسين الذى ملأ الاسماع والعقول والقلوب من العوامل الفعالة في وحدة الفكر العربي ، ووحدة الفكر هي السبيل الى وحدة الارادة والعمل .

ولهذا لم يكن عجبا أن يتمسك مجلس الجامعة برياسة طه حسين

المفكرون العرب والمستشرقون

في ذكرى عميد الأدب العربي

للجنة الثقافية وأن ينص قراره الاجماعي في مارس ١٩٧٠ على أن

العمل الثقافي العربي بحاجة الى علمه وخبرته وارشاداته وأن مكانته العلمية ، ومقدرته وخدماته الثقافية لا يمكن أن يغني عنها غيرها .

ولقد أصدر مجلس الجامعة العربية قرارين في عامي ١٩٦٧ ، ١٩٦٨ بترشيح طه حسين لجائزة نوبل تقديرا لعطائه الكبير للفكر العربي والعالمي ، وتضامنت جميع الدول العربية في تزكية هذا الترشيح .

وأضاف د . سيد نوفل كلمة التلميذ المحب لاستاذه الذى كان أحد ظواهر الثورة المصرية المعاصرة التي تفجرت أروع ما تكون فكرا وسياسة ووطنية في عام ١٩١٩ .

وعلى مدار اليومين التاليين ألقيت عشرات البحوث والقصائد احتفاء بذكرى طه حسين . عددت كل جوانبه المشرقة المضيئة في دنيا الادب العربي والادب الانساني العالمي من خلال ترجماته الى معظم اللغات الحية في العالم الغربي .

وقد أعد بشير بن سلامة بحثا قيما عن طه حسين بين الكلام واللغة تحدث فيه عن عميد الادب العربي الفذ عبقري مصر والعالم العربي ،

وماذا يمكن أن نرده من دين للراحل العظيم بقدر ما قدمه من خدمات جليلة للغة العربية والادب العربي بعامة والامة العربية ، فطه حسين

لم يترك مسالة او مشكلة أو قضية تشغل بال الناس او تتعلق بمصير الشعوب العربية الا واقتحمها بشجاعة وحنكة وتبصر ثم نوه بدور طه حسين تجاه تونس ايام كانت ترزح تحت نير الاستعمار وكيف كانت كتبه



د. عبد العزيز كامل

المليئة بالافكار والقضايا والتى كان محرما قراءتها يقبل عليها المثقفون لما تحمله من تشبيهاته الفكرية المطبوعة بطابع العصر والمتصلة بالحضارة العربية الاسلامية ٠

وتحدث أحمد حجيرى ممثلا لاسرة الادباء والكتاب البحرانيين عن « طه حسين الاديب والقضية » وقد نوه عن دور طه حسين وكيف أنه جاء فى فترة كانت تحتاج الى عزمة الاديب المجاهد الذى يملك القدرة على تعرية زيف الواقع المهترىء ، ولذلك كان الموقف منه يتسم بالعداء ٠٠ ولانه كاتب حر فقد اصطدم بالواقع وحاربه حماة الباطل ، وكان طه حسين حادى قافلتنا ومن هنا برز سر تفرده وعظمته ثم يستعرض أحمد حجيرى دور طه حسين ، وكيف جاء منهجه تكامليا ٠٠

لقد قاد طه حسين القافلة بامانة وصدق وجراة ، ومضى بعد أن زرع فى نفوسنا بذور المحبة والجمال

وذكر المستشرق الايرانى الدكتور آزرنوش فى كلمته عناية اساتذة قسم الادب العربى فى كلية الالهيات والمعارف الاسلامية بجامعة طهران بآثار الدكتور طه حسين وقد ظهرت هذه العناية بحملهم الطلاب فى هذا القسم على ترجمة الكثير من آثاره ومقالاته ، وتصحيح الترجمات ومقارنتها باصولها ٠٠

وينهى الدكتور آزرنوش بحثه بقوله : « ان كل ما كتبه طه حسين مما يتعلق بالايرانيين متسما بالحب والاخوة تلقفناه بسرعة ، وأشرنا اليه فى كتبنا ودراساتنا ، وقد أورد المستشرق آزرنوش فقرة مما أورده الدكتور طه حسين فى الاشادة بأهمية جهد قدماء الفرس فى كل المجالات الادبية والفكرية ٠٠

ولقد كان للمستشرقين دور كبير فى احتفائهم بذكرى طه حسين ، وظهر ذلك من خلال بحوثهم المستفيضة وكلماتهم التى تنم عن الوفاء والحب العميق لرائد الثقافة العربية ، ومنهم من القى بحثه بالعربية الفصحى السليمة ، ومنهم من القى بحثه بالفرنسية والانجليزية تسابقا فى اظهار حبهم لتلك الشخصية الاسطورية فى عالمنا العربى المعاصر

يقول المستشرق الايطالى امبريتو ززيتانو فى كلمته عن طه حسين فى أول يوم رآه فيه يدخل الى قاعة الدرس عندما التحق طالبا مستمعا بكلية الاداب : « لقد راح طه حسين يدنو بخطا موزونة وئيدة الى الكرسى وحينما بدا يلقى محاضرته القيمة شد انتباهى نصاعة اللغة العربية التى كان يتكلمها طه حسين ، وهى لغة عربية كاملة نقية ، سلسة البيان تزداد اناقة وفخامة باستعمال الاعراب ٠٠ وكيف انه كثيرا ما شعر بالالم الشديد حينما كان يقارن بين عربيته المتواضعة وعربية الاستاذ وكانت بينهما هوة لا يمكن ان يملاها ابدا ٠

لقد حفلت الكلمات التى القيت فى المهرجان بتعديد الفضائل الكثيرة

والاضافات التي حظيت بها لغتنا العربية لما قام به طه حسين من جهد ودأب متواصل من خلال حياته الطويلة الحافلة بالجهاد والمثابرة ، وقد تحدث الكثيرون من مفكرينا على اتساع رقعة الامة العربية ..

تناول الدكتور ناصر الدين الاسد كتاب الشعر الجاهلي الذي اصدره العميد الراحل عام ١٩٢٥ واثار وقتها

ضجة عاصفة وكثرت حوله الاقاويل والردود سواء في شكل مقالات عنيفة تهاجمه او كتب مستقلة بلغ عددها

المفكرون العرب والمستشرقون

في ذكرى عميد الأدب العربي

خمسة كتب وتشكل هذه الردود لو جمعت في مجلد واحد اضعاف حجم الكتاب الذي اصدره طه حسين ، ورأى ان كتاب الشعر الجاهلي رغم ما كان يفتقده من منهج علمي متعارف عليه الا انه يشكل ثورة خطيرة اساسها الرغبة الجادة في اظهار الجديد واحلاله مكان القيم المتوارثة

ومن الكلمات التي تناولت طه حسين بروح الموضوعية كلمة محمد براده ممثل اتحاد كتاب المغرب ، وهو اديب مغربي من جيل الشباب ، وقد تحدث في كلمته عن أن طه حسين



د. عبد المنعم الرفاعي

وحده لم يكن يمثل الثورة على القيم المتوارثة وانما كان جيل طه حسين من الكتاب والمفكرين الكبار امثال العقاد واحمد امين الذين احدثوا ثورة فكرية متكاملة كل في المجال الذي برع فيه وارتاه ، بحيث نستطيع لو نظرنا الى هذا الجيل كله لوجدنا تلك الثورة المتكاملة بغض النظر عن درجة الاندفاع او التروي من كاتب الى آخر وفقاً لتكوينه الثقافي العام ، وطبيعة مزاجه ، ولون البيئة التي نشأ فيها .

وفي مجال الشعر القيت قصائد للشعراء عبد المنعم الرفاعي مستشار جلالة الملك حسين وسعيد عقل من لبنان ونزار قباني من سوريا ومحيي الدين صابر من السودان وعبد الرزاق محيي الدين من العراق والقاضي عمر ابراهيم من نيجيريا . ومحمد عبد الغني حسن وامل دنقل من مصر .

وقد القى الشاعر النيجيري القاضي عمر ابراهيم قصيدة قدم لها بكلمة قصيرة بين فيها دوره كشاعر يود أن يقدم زهرة للاديب الراحل الاب والصديق الذي يرحب بالجميع على حد سواء على رغم تفاضل وتفاوت

ما قدم هذا على ما قدم ذلك ، لان ما قدموا اليه من الزهور ، ما هى الا رمز لشىء شاركوا فيه جميعا على حد سواء هو الحب الخالص .
واجتزىء هذه الابيات للشاعر :

ايا دمع قف لا ينفع الدم لودرا
ولا يرجع الحزن الكبير اذا مرا
ولا يسمع الميت الدفين بكاءنا
ولوصب من مجراه مايملاالبحرا

كما قيلت فى ذكرى طه حسين قصيدة الشاعر محمد عبد الغنى حسن « الشعاع الغارب » وهى صورة من صور الحب الفياض الذى كان يكنه الشاعر لاستاذه الدكتور طه حسين ، ويذكر لنا الشاعر من خلال ابيات قصيدته كيف مضى عام على وفاة الاديب الكبير وما زال لهيب الحزن يفتت الاكباد بعد ان ولى عن الدنيا الى الابد ، فهو الشمس التى لا تغيب ، شعاعها هو شعاع الفكر، يجتمع فيها لتروى الامال والالام يقول الشاعر :

رايت الشمس طالعة
كما شاهدت مصرعها
فقد احسست مصرعها
كما احسست مطلعها
وادركت على الحالين
مبداها ومرجعها

وقد اختتم الاحتفال بكلمتين اولاهما للدكتور محمد حسن الزيات وثانيهما للدكتور عبد العزيز كامل والذى حرص حرصا شديدا على حضور ايام الاحتفال الثلاثة ..
وقد ركز الدكتور الزيات الذى القى كلمته نيابة عن اسرة العميد الراحل على امرين افاض فيهما حديثا .. الامر الاول ، هو ما المقصود باسرة د . طه حسين ، ورأى ان هذه الاسرة ليست مقصورة على اقرباء طه حسين ، وانما هى اسرة ممتدة فى تلاميذه العديدين والمنتشرين فى شتى اقطار الوطن العربى حتى الذين لم يعرفوه معرفة شخصية عن قرب ، فالكاتب يعرف بكتابته وفكره وليس بذوى قرباه .

والامر الثانى هو كيف تغيرت صورة الحياة الان عما كانت عليه فى شباب طه حسين فقد كان الازهر يحاربه ، وكان هو يحارب الازهر بكتاباته ، اما الان فان الدكتور عبد العزيز كامل ابى الا ان يشارك فى الاحتفال بتكريم العميد الراحل ، وقاد طه حسين ثورة كبيرة فى مجال التربية والتعليم قاومها بعض المتخلفين


د. سهير القلماوى


د. سيد نوفل

من المسئولين وقتها .. اما الان فان وزيرى التربية والتعليم والتعليم العالى قد شاركا فى الاحتفال بتكريم د . طه حسين ، كما ان دعوته الى ان التعليم كالماء والهواء والتى كانت تلقى سخرية من معارضيه فى ذلك الوقت الذين اطلقوا عليه « وزير الماء والهواء » قد اصبحت الان حقيقة ملموسة فى مجتمعنا الحديث، وبهذا يمكن ان نلمس مدى تغير صورة المجتمع الان عما كانت عليه فى شباب العميد الراحل د. طه حسين..

مصطفى الشهابي

طرائف ومواقف من حياة طه حسين

في أوائل عشرينات القرن الحالي ، كان المرحوم الاديب الاستاذ عبد الله حبيب موظفا صغيرا بدار الكتب ، كان متوثب الفكر ، مفتونا بشبابه ، لا يقدر عواقب ما يخط بقلمه .

وفي أواخر عام ١٩٢٢، نظم شاعر النيل المرحوم حافظ ابراهيم قصيدة يحيي بها الملك فؤاد بمناسبة افتتاح المدرسة الثانوية التي حملت اسمه فتناول الدكتور طه حسين هذه القصيدة بالنقد اللاذع في مقال له بجريدة السياسة ... وتألم حافظ من هذا النقد وعز على عبد الله حبيب أن يتألم حافظ ، فكتب مقالا قاسيا في صحيفة الافكار دافع فيه عن قصيدة حافظ وهاجم مقال طه حسين ، هجوما تعثر به قلمه في مزالق المسئوليات الجنائية ...

وامتدح حافظ جرأة عبد الله حبيب وأدبه وقبله قبلة شكر عميقة ... واغتبط الاستاذ حبيب بهذا التقدير ، ولكن اغتباطه لم يطل اذ قدم بعد قليل الى محكمة الجنايات متهما بالقذف في حق الدكتور طه حسين .

واستمرت محكمة الجنايات تنظر الدعوى نحو عام ، وفي اليوم الاخير تفرس رئيس الدائرة في وجه الاستاذ حبيب قليلا ثم أمر برفع الجلسة ، وطلب حضور المدعي والمحامين والمتهم الى قاعة المداولة ، ولما استقر بهم المجلس توجه رئيس الدائرة الى الدكتور طه حسين قائلا :

ـ لعل الدكتور طه حسين يوافقني على أن هذا الكاتب الشاب لم يدفعه الى كتابة هذا المقال الا نزق شبابه . اما التهمة فثابتة ، وأما العقاب فمحقق .. لكن أليس اجمل ان تصون مستقبل هذا الشاب بتنازلك عن الدعوى ؟

وتأثر الدكتور طه اعمق التأثر واجاب دون تردد :

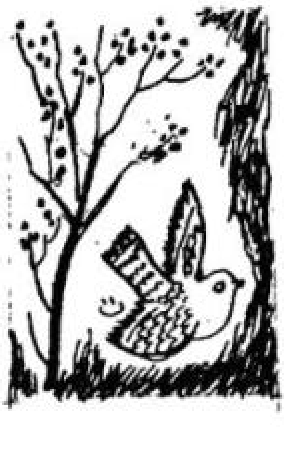
ـ قد تنازلت .

وافاق عبد الله حبيب من كابوس فظيع وبدهشة عارمة ووجد نفسه

مكبا على رأس الدكتور طه يقبله ويعتذر اليه فى عمق وحرارة ...

لن ، ولن !

اشتهر د . طه حسين بحبه للأدباء والشعراء والعمل على مساعدتهم ، فلم يقصده أحد فى حاجة الا قضاها له طالما كانت فى حدود المعقول . وكان أحد الشعراء المتصلين به قد نقل الى مدرسة بالصعيد لترقيته الى وظيفة مدرس أول .



وحاول هذا المدرس أن يعود الى القاهرة فى نفس العام الذى نقل فيه ، ولكن قواعد الترقية كانت تحتم أن يمضى المدرس المرقى عامين فى المدرسة التى نقل اليها .

وحاول المدرس أن يستدر عطف الدكتور طه لينقله الى القاهرة دون جدوى ، حتى يئس من ذلك . ثم راجت الشائعة بأن طه حسين سيترك وزارة المعارف (وكان يومئذ مستشارا لها) الى منصب آخر بالخارج ، فأرسل المدرس اليه برقية نصها : « أتنقلنى قبل أن تنتقل ! » وأجاب طه حسين على تلك البرقية ببرقية أخرى نصها : « لن انتقل ولن تنتقل ! » .

ذاكرة عجيبة !

كان طه حسين من أذكى المصريين وأقواهم حافظة ، وعندما كان يعمل فى الصحافة ، كان يكتب مقالاته السياسية الطوال ، يمليها على سكرتيره الخاص الذى يحملها الى المطبعة بعد الانتهاء من املائها . وحدث كثيرا أن اتصلت مطابع تلك الصحف بالدكتور طه حسين لتطلب منه حذف مساحة نصف عمود أو ربع عمود على حسب المكان المخصص للمقال ، فكان طه حسين يقول لسكرتيره :

— ارفع الفقرة التى تبدأ بكذا وتنتهى بكذا !

ويرفعها السكرتير فاذا بها كما طلب عامل المطبعة بالضبط . ويعرض السكرتير على الدكتور طه أن يقرأ له المقال ثانية ليتأكد أن سياق الموضوع لم يمس ولكن طه يرفض قائلا :

— اننى أتصور المقال الآن ولا حاجة بى لأن تقرأه لى مرة أخرى !

طرائف ومواقف من حياة طه حسين

ابن عظيم !

كلفت مجلة « الاثنين » التي كانت تصدرها دار الهلال ، أحد محرريها بجمع مواد لموضوع «درس تعلمته من أبي » وهي تتلخص في دروس وعاها أبناء العظماء عن آبائهم .

ولما طلب المحرر تليفونيا منزل الدكتور طه حسين ليسأل عن ابنه « مؤنس » رد الدكتور طه نفسه ، ولما علم من المحرر بالموضوع قال :

ـ لكن الموضوع عن أبناء العظماء ... ومن قال لك ان « مؤنس » ابن عظيم ؟!

الحرص على اللغة !

وعندما كان الدكتور طه حسين وزيرا للمعارف ، أصدر قرارا بتعيين أحد المدرسين ، ومضت فترة دون أن يتسلم هذا المدرس عمله ، فتقدم للوزير شكوى يقول فيها : « انني لم اتسلم عملي بسبب نقص «مصوغات» التعيين وعندما تلى هذا الخطاب عليه واستمع الى كلمة « مصوغات » أمر بصرف النظر عن تعيين هذا المدرس .

وكتبت اليه مراقبة اللغة العربية بالوزارة تقول : « نرجو انتداب (المدرسان : فلان . وفلان الى مدارس كذا وكذا ، فأمر د . طه حسين بأن يؤشر على الخطاب بما يأتي : «يعاد الى مراقبة اللغة العربية أو مراقبة محو الامية ! » .

مع التقاليد الجامعية !

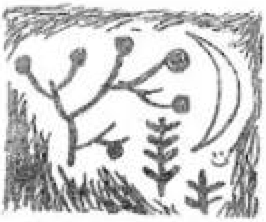
كان الدكتور طه حسين هو الاستاذ المشرف على الرسالة التى تقدمت بها السيدة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) لنيل درجة الدكتوراة فى الادب العربي فى موضوع رسالة الغفران ...

وأجيزت الرسالة للمناقشة منذ عام ١٩٤٨ ، غير انه حيل بين الدكتور طه وبين حضور مناقشتها لاعتبارات سياسية عارضت يومئذ دخوله كلية الاداب وكان مجلس تلك الكلية قد رفض تعيينه استاذا غير متفرغ بقسم اللغة العربية .

ولكن الطالبة « بنت الشاطىء » تمسكت بضرورة حضور الاستاذ المشرف ... فظل الامر معلقا حتى تولى الدكتور طه حسين وزارة المعارف فى يناير ١٩٥٠ ، وعندئذ قررت كلية الاداب مناقشة الرسالة واشترك الدكتور طه فى مناقشتها بصفته المشرف عليها .

وكانت لوائح الجامعة تقضى بأن يكون عميد الكلية هو رئيس لجنة المناقشة ، وبذلك فان الدكتور طه سيكون مرءوسا لعميد الكلية ، وكان هو المرحوم الدكتور زكى حسن .

وسئل الدكتور طه عما اذا كان هذا لا يتعارض مع منصبه كوزير للمعارف ورئيس أعلى للجامعة ؟ .. فأجاب بأنه اذا تعارضت التقاليد الوزارية مع التقاليد الجامعية فانه يعتبر نفسه فى هذه الحالة جامعيا لا وزيرا ، وانه متنازل عن



منصبه الوزارى طيلة فترة مناقشة الرسالة ..

يلغى تقريرا كتبه

وحدث عندما عرض عليه تقريرلجنة الكتب الاضافية للمدارس الثانوية ، وما فى مستواها ، أن لاحظ ـ وكان وزيرا للمعارف ـ أن مزيين هذه الكتب كتابين من تاليفه ، وبالرغم من انهما كانا مقررين من قبل توليه الوزارة ، الا انه رفض أن يعتمد هذا التقرير الا بعد حذف الكتابين وتقرير كتابين آخرين غيرهما .

وحاول بعض المختصين اقناعه بالعدول عن هذا الراى حتى لا يحرم الطلبة من أدب طه حسين ، ولكنه اصر على قراره حتى لا يقال ان وزير المعارف يعتمد تقريرا كتب لنفسه

محا الشكر بالشكر !

كان الاستاذ على الجندى ـ عميد كلية دار العلوم سابقا ـ قد تعرض لضائقة نفسية حملته كراهة فى الحياة فحمله الدكتور طه حسين على أن يتفتح للحياة حبا فى الحياة ..

وقد شكره الاستاذ الجندى برقيا بأبيات شعرية ، لانه كما قال ، استحى ان يقابله ... وفيما يلى نص تلك الابيات :

من لى بمثل بيان طه
مبدع السحر الحلال
حتى اقوم بشكر ما
أوليت يا فخر الرجال
كنز المروءة انت بين
العالمين بلا جدال
حققت امالا ظننت
بلوغهن من المحال
فلك الثناء ولا برحت
لجيلنا ابهى مثال

وأبى كرم الدكتور طه الا أن يرد عليه بهذين البيتين :

من لى بقلب مثل قلبك
او بفن مثل فنك
حتى اقوم بشكر ما
أوليتنى من حسن ظنك

ثم دعاه بعد ذلك ليتناول معه القهوة فى منزله .. وعقب أن تلاقيا وتصافحا جرى بينهما حديث بدأه الدكتور طه حسين بقوله :

ـ والله لا اقبل شكرا ...

فكان جواب على الجندى :

ـ ما جئت لاشكرك ولكن جئت لاحتج ! أولا : لانك محوت شكرى بشكرك ولعلك فى هذا تريد ان تقتدى بيحيى بن خالد البرمكى . فقد قيل له : « ان قوما جاءوا يشكرونك ، فقال : « من لنا بشكر شكرهم ! » وثانيا : ان شعرك ، على وجازته ، خير من شعرى واجمل باعتراف الشعراء ، فكأنه لم يكفك انك حلت بينى وبين مقابلة الجميل بمثله حتى زدت على ذلك .. انك ازريت بشاعريتى وخلفتنى متخلفا وانا شاعر محترف !

فضحك الدكتور طه حسين ...

رحلة الشعر

مهرجان الشعر في الجزائر

في الخامس والعشرين من هذا الشهر ، والى أول مايو القادم ، ينعقد مهرجان الشعر العربي السنوي بمدينة الجزائر ، ويصاحبه مؤتمر الادباء ·

وقد روعي في اختيار الوفد المصري الى هذا المهرجان ان يمثل فيه عنصرا الشباب والشيوخ ·

وسيشترك في المهرجان ثلاثة شعراء من كل دولة عربية ، ماعدا الدولة المضيفة ، فقوام شعرائها في المهرجان نحو خمسة عشر شاعرا ·

وهذه أول مرة ينعقد فيها المهرجان في عاصمة المليون شهيد ، التي يعبق جوها بعطر البطولة والفداء ، وتعمر طبيعتها بأريج الزهور وخضرة الجبال ونضرة الغابات ، وتتغنى ربوعها بانشودة الحرية وكرامة الانسان ·

ولن يفوتنا ان نقدم لقراء « الهلال » زبدة حصاد هذا المهرجان ·

سيسيل دى ميل .. وطه حسين

منذ عدة سنوات كان المخرج السينمائى العظيم سيسيل دى ميل فى القاهرة ، يخرج فيلم « الوصايا العشر » الذى صورت بعض لقطاته فى مصر .

وقد اتيحت له فرصة التعرف على كثير من اهل الفن فى مصر ، كما زار ستديو مصر ، وشهد عدة افلام مصرية .

وذات ليلة ، التقينا — هو وانا — على مائدة عشاء ودار بيننا حديث طويل . والسؤال الذى سألته ليلتئذ :

— ما رأيك فى الفيلم المصرى ؟

فقال :

— صدقنى اذا قلت لك ان عندكم ممثلين عظماء ومخرجين لا بأس بهم . أما المعدات ، فمن السهل اقتناؤها ولكن مشكلتكم الاولى هى اختيار القصة التى تصلح للسينما . فلكى يصبح الفيلم المصرى دوليا ، كالامريكى والايطالى ، يجب أولا أن تختاروا القصة ذات الجاذبية العامة ... أعنى القصة التى تتميز باللون الانسانى الذى يجتذب كل انسان على الارض ، سواء كان عربيا أو اجنبيا ... وابيض أو اسود أو أصفر ... ومسلما أو غير مسلم ... وشابا أو شيخا ... ورجلا أو امرأة ... وسرح بعينيه فى الفضاء قليلا ، ثم استطرد يقول :

— وقد رأيت عندكم مادة واسعة للقصة ذات الجاذبية العامة . عندكم مثلا ، طاها حسين . ان حياة هذا العبقرى ... الذى بدأ طفلا فقيرا ضريرا فى قرية نائية من قرى الصعيد ... واصبح رائدا فكريا عظيما ، وتولى منصب الوزارة ، وترجمت كتبه الى خمسين لغة ... هى من اصلح القصص التى يمكن ان تتجه بالفيلم المصرى الى العالمية ، لانها جديرة بان تجتذب مشاعر كل انسان على الارض ، فضلا عن انها تستطيع ان تعالج كثيرا من المشاكل الانسانية ، كمأساة الريف الجاهل فى البلاد النامية ومشكلة الرمد ، ومشكلة الامية ، ومشكلة حرية الفكر .

لماذا طاها .. وليس طه ؟

وقد يسألنى سائل لماذا اوثر أن اكتب اسم هذا الراحل العظيم « طاها » وليس « طه » ؟

فأقول له ، لانه هو نفسه قد كان يؤثر فى سنواته الاخيرة أن يكتبه على هذه الصورة ، وكان يعتقد ان هذا الاسم ليس من اسماء النبى عليه الصلاة والسلام

رحلة الشهر

وانما حروفه لا تعدو ان تكون كســــائر الحروف التي استهلت بها بعض سور الكتاب الكريم .

مع صاحبة البرتقال المر

« ما اغبى الانســان الذى يتعلق بالسماء ، وهو ناس ان الارض التى يعيش عليها من أجمل الكواكب » .

هكذا قالت الروائية الصينية « المفاتن المتعددة » .

وانا لم أقرأ « المفاتن المتعددة » ... ولكنى رأيتها بعينى واحسستها بقلبى فى شخصية الاديبة السورية سلمى الحفـار الكزبرى ، التى نقلت هذه العبارة فى كتابها الاخير « البرتقال المر » الذى يعتبــر انموذجا جميــلا من أدب ٦ أكتــوبر ، ومزاجا رائقا من القصة والمذكرات ، تختلط فيه الوطنية بالفن ، والواقعية بالرومانسية .

انها حكاية انســان عربى ســورى عاش فى غربة المجتمع الامريكى ، فوصل الى اعماق محاســنه وخطاياه ، ولكنه عاش ما عاش هناك لا ينسى وطنه لحظة واحــدة ... حتى جاءت اللحظة الخالــدة فى التــاريخ ، التى هزت هذا الوطن من اعماقه ليمسح عار الهزيمة ، ويســجل مفخرة ٦ اكتوبــر .

حول نتاجنا المسرحى

● تطالعنا البرامج الاذاعية بين الحين والاخر بضيوف من رجال المسرح . والسؤال دائما . لماذا يلجأ المسرح المصرى الى التمصير والاقتباس ؟ ويكون الجــواب جاهزا ... وهو قلة الكتاب المسرحيين عندنا .

واعتقد ان هذه الاجابة فيها مغــالاة لان كتاب المسرح فى مصر كثيرون ، لكن العوائق الضخمة التى توضع فى طريقهم تجعل انتاجهم كما مهملا يحتفظون به لانفســهم بينما تمنح التسهيلات لفئة قليلة من كتــاب المسرح بعرض انتاجهم على خشبة المسرح وهم الذين حصلوا على (صكوك الغفران) .

وهذه مثلا مسرحية (ولادة) وهى درة مسرحية نسوقها للمهتمين بالمسرح . وقد فازت بالجائزة الاولى فى مســابقة وزارة الشئون الاجتماعية سنة ١٩٤٥ للشــاعر على عبد العظيم . وقد تقدم لهذه المســابقة اكثر من مائتى مؤلف مسرحى .

تحكى المسرحية قصة الغرام الخالــد بين ولادة وابن

زيدون بشعر رصين يمتاز بالجزالة وعذوبة موسيقاه التي تنساب خلال أحرفه ، معبرة أبدع تعبير عما يجيش في النفس البشرية من عوامل الحب والغرام وما يطرأ على بعضها الآخر من عوامل الغيرة والحقد .

وتبدأ المسرحية بابن زيدون يناجي نفسه وهو يتعذب في حب ولادة :

ابن زيدون :

ياحاضرا بعدت عنى مقاتله
وغائبا لم يغب عنى محياه
ونائما اسهرت عيني فتنته
وصاحيا اسكرت نفسي حمياه

وكأنه لا يعلم بأن ولادة تبادله هذا الحب .

ولكن أبا حفص الفقيه القاضي يلوم صديقه ابن زيدون على انغماسه في الحب مع ولادة تاركا قضية الوطن . وهو الذي ادخرته الأمة لانقاذها من أطماع الاسبان فيها .

ابو حفص : أباالوليد غفلت عن سنن العلا
واطاش لبك منظر فتان
اسلمت قلبك للصبابة والهوى
ونسيت ما تقضى به الاوطان

ابن زيدون : قل لى بربك من يحارب دينا ؟

ابو حفص

انسيت ماذا يضمر الاسبان ؟

وفي النهاية يرى الاثنان أن توحيد أمراء الاندلس هو السبيل الى قوتهم وانتصارهم في كفاحهم ضد عدوهم . وينصرف ابن زيدون الى قضيته بينما ولادة تتعذب في غيابه وتظل تنشد الاشعار في حبه .

وتتخيله وقد جمعت بينهما الاقدار وغفلت اعين الرقباء . وصبت اليه وصبا اليها . واسكنا مواجع الافئدة بليلة طيبة . وتترنم الاشعار على شفتى ولادة خلال لحظات تخيلها :

ولادة : وتعصف النار في الاحشاء ساعرة
اذا طوقني على شوق ذراعاه
وربما طوقت يسراه في شعرى
وربما طوقت عطفي يمناه
الوانني تتسامى في رجولته
فتذهل الكون السماء وابناه

ويكثر الحساد من حول الحبيبين فيدبر ابن عبدوس منافسه في حب ولادة مكيدة بالاشتراك مع جارية ابن زيدون فيلقى في السجن ظلما . ولكن صديقه الودود أبا حفص يرسم له خطة الفرار . فيلجأ الى أمير اشبيليه بعد هروبه من السجن ولم يلبث أن يعود ابن زيدون بجيوش أمير اشبيليه ليفتح قرطبة ويوحد بين الامارتين .

وتستعد ولادة لاستقبال حبيبها المنتمى . وتجهز نفسها لاستقباله فتطلب من جاريتها (عتبة) أن تعد المكان لاستقبال الحبيب .

ولادة : املئى يا عتب أقداحى من الراح وغنى
واصدحى من شعره فى حبنا أعــــذب لحن

لكن تحول الظروف دون أن يتم هذا اللقاء . فيكلفه الامير بالذهاب الى اشبيليه لمقاتلة الثوار المحيطين بها . فيزفر زفرة حارة يودعها أحاسيسه وأحزانه فى أن نصيبه من الحب والهوى ليس الا الحرمان والعذاب .

ابن زيدون : اكلما جد لى فى قربهـــــا اربى
ابى الزمــــــان فلم احصـــــل على اربى

ويطول ترقب ولادة لزورة الحبيب . ولكنها تصدم بالنبأ المروع حين تهب عليها أنباء وفاته خــلال قتاله للثوار . وهو يحتضن منديلها الذى ما ظفر بسواه من محبوبته .

هذه المسرحية وما فيها من مواقف درامية ، قد جمعت الى الشعر الرائع قوة البناء المسرحى وروعة الحوار الــــذى جـاء ساميا كله ، لا هبوط ولا اسفاف ولا حشو ـ كانت متعـــة فى مطالعتها . وأرجو أن يعاد النظر فى مسرحنا المعاصر لتطعيمـه بمثل هذه الدرر الشعرية التى افتقدناها زمنا . لتتضاعف المتعة . وهى تتجسد على خشبة المسرح .

● القاهرة ● ● محمد حسن داود ●

ـ أرجو ان أؤكد للاديب محمد حسن داود ان عصر « صكوك الغفران » فى المسرح ، وفى مجالات الفن جميعا ، قد انتهى منذ ان تولى الاستاذ يوسف السباعى أمانة الادب والفن ، فالابواب كلها مفتوحة لكل عمل اصيل .

وانا لا استطيع ان احكم على المسرحية التى اشار اليهـــا الاديب داود ، اولا لاننى لم اطلع عليها ، وثانيا لاننى لست من خبراء المسرح ، حتى احكم لها أو عليها ، لان المسرحية الشعرية ليست مجرد شعر طيب وحسب ، بل يجب ان تكون الى جانب ذلك صالحة للمسرح بكلمواصفاته .

فاذا كانت هذه المسرحية كذلك ، فانى انصح لصــــاحبها بأن يذهب بها الى الاستاذ أنور احمد ، مدير المسرح القومى ، بغير وساطة ولا شفاعة من أحد .

وبهذه المناسبة ، اقول أن الشاعر الكبير أحمد رامى قد نظم هذه القصة بذاتها ، قصة ولادة وابن زيدون ، مسرحيـــة شعرية منذ سنوات طويلة ، ولم يقدر لها أن تخرج الى النور بسبب غير مجدد ، لعله أن الراحلة العزيزة امكلثوم كانت تزمع يوما ما أن تمثلها على الشاشة .



أم كلثوم

وعلى ذكر حديث ولادة بنت المستكفي ، وقصتها مع ابن زيدون ، أقول ان وزارة الدولة المكلفة بالشئون الثقافية فى المغرب ، قد قررت أن تحتفل بذكرى مرور الف سنة على ميلاد ابن زيدون ، بمدينة الرباط فى الفترة ما بين ١٥ ابريل و ١٥ مايو القادمين .

وقد تلقيت دعوة كريمة للمشاركة فى هذا المهرجان ، وقد صيغ خطاب الدعوة صياغة شاعرية رقيقة لا اذكر انى وقعت على اجمل منها فيما تلقيت من مئات الدعوات ، ولهذا احببت ان انشرها على قراء « الهلال » كقطعة من الادب الفريد ، بريشة وزير اديب فنان :

« ينصرم بانصرام السنة الحالية ، الف عام على ازدياد الشاعر القرطبى الكبير أبى الوليد أحمد بن زيدون . وسيادتكم من أوسع الناس علما بأن هذا الشاعر يتبوأ من أدبنا العربى مكانا لامعا مشرقا ، ويتسنم بشعر أوحته العواطف الانسانية التى لا تخلق ولا تبلى ، وأن تطاول عليها الامد . وينثر باقٍ ما بقى للآداب العربية اثر مأثور ، ذروة البيان وقمة المجد ، بين من اسلست لهم الكلمة الحافلة الرائعة قيادها ، وأدرت لهم أخلاف الفكر والاحساس أساكيبها وعهادها .

« وقد رأت وزارة الدولة المكلفة بالشئون الثقافية أن تعير هذا الحدث ما هو خليق به من اهتمام ، وتحتفل بهذه الذكرى فى عاصمة المملكة المغربية ، التى تصلها بالفردوس المفقود صلات قرب وقرابة وثيقة ، وتوشج بينها وبين تلك المغانى – التى تألقت فى عرصاتها حضارة طبعها سلطان المسلمين بأرض الاندلس بطابع التفرد والامتياز – أواصر الخُلد وعطاء محكمة ، وروابط تداخل وامتزاج محصدة متينة .

« ومن أجل هذا كله يجيش فى نفس الامل أن يشترك فى الاحتفال بذكرى تجرم الف عام على ازدياد شاعر الاندلس الأخاذ ، أعلام الشعر من مختلف الاقطار العربية ، ينتظمون فى أسرة واحدة ، تؤكد تواصلها بشاعر الحب والجمال ، الذى خلف على فجر شعرنا بعضا من انفاسه العطرة ، وشعوره الفياض ، وخياله الوثاب ، يبتدع الصور مقارنا الصورة بالأخرى ويؤلف الناظر ، فيثير الشاعر ، ويحرك العواطف ، ويفعل فى النفوس فعل السحر .

« يحملك ابن الوليد على اجنحة خيال فسيح ، ويغوص بك فى باطن الشىء فتصل الى مكان الحياة منه . تشم رائحة

رحلة الشهر

الاعشاب ، وتهفو الى زقزقة العصافير ، وخرير الينابيع فيدغدغك الف خاطر وخاطر ، وينقلك الى حيث تفنى المسافات. ومعنى ذلك ان الشعر يستخف بالحدود ، والزمان الشعرى لا يدخل فى حساب الساعة والتقاويم . ولا يستند الى مطالع الاهلة والنجوم .

« واقامة مهرجان لابن زيدون يحضره فحول القريض يجعل المغرب اشبه بجزيرة شعر يطوف حولها الشعراء ، مخلدين بين عرصاتها الفيحاء اشعارا يحف بها ريش النغم ، وتوزع عطرها الشذى معانقة القلوب ومتغلغلة فى الوجدان .

« وقد عرفتكم شاعرا تتعهدون قمة الشعر ، وتسدون للاداب الانسانية اليد والصنيع . فاستقر فى نفسى اليقين بانكم سترحبون بالتماس المشاركة والاسهام ، وتسارعون الى تلبية هذا النداء ، الذى اوجهه اليكم مطمئنا الى مصيره ، مستريحا الى المأثور عنكم من كلفكم الموصول بتكريم الاعلام النبهاء ، وتخليد مجد العباقرة من الكتاب والشعراء . مد الله فى توفيقكم ، ولا حرمنا من طلعتكم وابداعكم » .



احمد رامى

بين شوقى وابن زيدون

كان امير الشعراء احمد شوقى من أشد المعجبين بابن زيدون ، وله فيه شوقية رائعة مطلعها :

ابن زيدون عبقرى زمانه
قصر المحسنون عن احسانه
اخذ الروم فى الجزيرة عنه
ومضوا فى خياله وافتنانه

وقد بلغ من تأثر شوقى بموسيقى ابن زيدون ان عارضه فى الكثير من شعره ، ومنه النونية الاندلسية التى مطلعها لشوقى :

يا نائح الطلح اشباه عوادينا
نشجى لواديك ام ناسى لوادينا

أما مطلعها الزيدونى فهو :

اضحى التنائى بديلا عن تدانينا
وناب عن طيب لقيانا تجافينا

ومنه الكافية اللبنانية ، ومطلعها لشوقى :

ضيعت احلامى بقلب باك
ولمت من طرق الملاح شباكى

أما مطلعها الزيدونى فهو :

ما للمدام تديرها عيناك
فيميل فى سكر الصبا عطفاك

احمد شوقى



ومنه العينية الكافية التي يغنيها عبد الوهاب ، ومطلعها لشوقي :

رُدت الروح على المضنى معـــك
أسـعد الايام يوم ارجعــــك

اما ابن زيدون ، فقد قال :

ودع الصبر محب ودعـــك
ذائـع من سره ما اسـتودعك
يقرع السـن على ان لم يكن
زاد في تلك الخطا اذ شـيعك
يا اخا البـدر سـناء وسنى
حفظ الله زمانا اطلعـــك
ان يطـل بعدك ليـلى فلكم
بت اشـكو قصر الليل معــك

خطاب من ميخائيل نعيمه


ميخائيل نعيمة

● تلقيت من الكاتب اللبناني الكبير الاستاذ ميخائيل نعيمه هذه الرسالة :

« عزيزى الاستاذ صالح جودت

« عليك منى اطيب السلام · وبعد ، فالعلاقات بيني وبين « الهلال » لم تشبها على مدى سنين كثيرة اية شائبة من سوء التفاهم · ولشد ما اذهلني امس ان ياتيني طلاب من احدى المدارس اللبنانية وفي يد احدهم نسخة من كتابي « جبران خليل جبران » اصدار دار الهلال · وعليها ان حقوق النشر محفوظة لتلك الدار ·

ولا علم لي على الاطلاق انني تنازلت يوما عن حقوقي في اى من مؤلفاتي لاى دار او اى انسان ·

فهل لك يا اخي ان تخبرني كيف تصرفتم بحقوقي مثل هذا التصرف دون علم مني ، وانا لا ازال في قيد الحياة ؟

واليك ، والى دار الهلال ، احسن التمنيات من المخلص ··

● بسكنتا – لبنان ● ● ميخائيل نعيمة ●

– مد الله في عمر استاذنا الجليل ، وأبقاه ، في قيد الحياة ، وهونه عليه بما يحيط به من حب قرائه ·

اما حكاية الكتاب المشار اليه ، فقد راجعنا جميع منشوراتنا منذ أن تولينا أمر دار الهلال ، اى منذ أن صدر قانون تنظيم الصحافة وتمليكها للاتحاد الاشتراكى ،فلم نجد بين كل مانشرنا، اثرا لهذا الكتاب ·

وقد هدانا البحث الى أن دار الهلال قد نشرت الكتاب المذكور منذ اكثر من ستة عشر عاما ، اى قبل ان نكون نحن، او

الاتحاد الاشتراكي ، مسئولين عنها ، وقد تم هذا النشر يومئذ باتفاق بين المؤلف والمسئولين عن الدار في ذلك العهد ·

اما اذا كان الكتاب قد اعيد نشره بعد ذلك ، فلا بد ان يكون هذا من صنع سارقي الكتب ، وهم كثر في هذه الايام . والامر لله ··

من جعبة ساعي البريد

● واول رسالة ··· كانت من الشاعر السوداني الجهير ، الهادي آدم ، الذي غنت له راحلتنا الحبيبة ام كلثوم قصيدته الجميلة « اغدا القاك »·

يقول الهادي آدم في رسالته :

اكتب اليك اليوم متعزيا ، ومعزيا ، متأسيا ومواسيا . فانا حزين لموتها ، لا لانها شرفتني بترديد كلماتي عبر صوتها الخالد ، ولا لانها كرمتني وكرمت السودان باغلى الذكريات وحسب ، ولكن لانها جوهرة في عقد مصر النهضة ، ذلك العقد الذي بدات حباته تتناثر بذهاب احمد شوقي ، وحافظ ابراهيم ، وابراهيم ناجي ، وعباس العقاد ، وبيرم التونسي ومديح خيري وعزيز اباظة وغيرهم ، وغيرهم ·

غير ان يد البلى قد امتدت الى جوهرة ذلك العقد نفسها ، ام كلثوم ، فانتزعتها فتاهت بقية حباته على غير هدى ، وتشتتت في كل ناحية ·

ولانني اعرف مكانتك عندها ، ولانني ايضا اعرف مكانتها عندك ، فقد كتبت اليك مواسيا ، ومتأسيا ، معزيا ومتعزيا وماذا عسى ان الفعل غير ذلك والالسنة خرساء ، والاعين مشدوهة ··· لقد قرات هذا البيت لشاعر قديم مرات من قبل، فلم افهم كل ابعاده الا يوم رحيلها :

هذا ابو العباس في نعشه
قوموا انظروا كيف تسير الجبال !

● ورسالة من الشاعر اللبناني المطبوع فوزي سابا ، يقول فيها :

قرات في الهلال الغراء عدد شباط سنة ١٩٧٥ قصيدة للشاعر الانيق الاستاذ شكر الله الجر موجهة الى بخصوص كتيبي – المؤامرة الكبرى على اللغة الفصحى وكم تأسفت انني لم ارسل الى سيادتكم نسخة من هذا الكتيب لا سيما وقد عرفناكم عندما جئتم الى بيروت في مهرجان الاخطل الصغير ، على ان الرجوع عن الخطا كما نقول فضيلة ، فاتيت

الان أصلح خطئي وأرسل لكم نسخة من كتيبي راجيا قبولها ».

ـ شكرا لأخي الشاعر فوزي سابا ··· أحد قادة الدفاع عن حصون الفصحى ، التي تكاثرت عليها حملات الحروف اللاتينية واللهجات العامية ، ولكنها صمدت في وجهها ، وبقيت وستبقى عزيزة الجانب مادام في الأرض مؤمنون بالحق والجمال والأصالة .

● ومن ألطف الرسائل التي تلقيتها هذا الشهر ، رسالة من الأديب محمد حسين الانصاري ، من العمارة بالعراق ، ومعها أبيات حلوة ··· وعبارة تقول « فان نشرتم فلأنفسكم . وان رفضتم فعليها ».
وسننشرها في عدد قادم باذن الله .

قرأت هذا الشهر

● غمائم الخريف :
ديوان أنيق للشاعر الزحلاوي الكبير رياض المعلوف ، يحتضن مجموعة من أرق الشعر العاطفي ، هذا نموذج منها يكاد يكون أغنية ملحنة :

رحماك ياملهمي ··· ضيق على مبسمي
بقبلة تتجلى عن رعشة البرعم
يا نعمة في يدي ··· الى السما تنتمي
لولاك لم يبتهج قلبي ولم احلم
أهواك مستلقيا تهذي على معصمي
وأنت في سكرة ، صهباؤها من دمي
فالحب لا يرتوي ، والحب دوما ظمي
تعال خذ قبلة ، وهات ، هذا فمي

(مطبعة مار الرام ـ بيروت)

● حبنا أقوى من الموت :
مجموعة من الشعر العاطفي والوطني والوجداني للشاعر الموهوب حسن فتح الباب ، فيها ألوان من الشعر القديم والجديد .
من نماذجه الوطنية الحية ، هذه الأبيات من قصيدة « رؤيا الى فلسطين » :

يا حبيبي يكبر الحلم على خطو الجنود
ويوافينا من الشرق عبير البرتقال
واذا غزة فرسان اساطير وعيد

رحلة الشهر

يا حبيبى ، أترى طير فلسطين يعـــود
يعبر البحر الى الضفة مشبوب الحنين
يعبر الضفة للبحر ويجتـــاز الحـــدود

(مطبوعات مجلة « الجديد »)

● السحار مفكرا واديبا وسينمائيا :
كتاب تبعه الوفاء لذكرى اديبنا الراحل عبد الحميد جودة السحار ، يصدر فى ذكرى مرور عام على وفاته ، بقلم الاديب عبد المنعم صبحى ، ويقدم له الاستاذ الكبير يوسف السباعى بكلمة وفية ، منها « ان هذا الكتاب محـاولة للاقتراب من عقل وقلب السحار · الرجل الذى كانت تلح على وجدانه دائمـــا ازمة الانسان » ·

(الهيئة المصرية العامة للكتاب)

● سائـــر على الدرب :
ديوان للشاعر الكبير محمد عبد الغنى حســـــن ، الذى يتابع القراء أدبه ، من شـــعر ونثر ونقـــد على صفحات « الهلال » ، وفى ديوانه هذا مزاج رائق من الوطنية والانسانية والوجدانية ، وفيه نصيب كبير من الوفاء لاعلام الادب الباقين والراحلين ··· كل هذا فى شاعرية راسخة وديباجة مشرقة ·

(الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب)

● ملاحم وازهار :
ديوان لشـاعر العراق المطبـــوع محمد بهجة الأثرى ، يحتضن عدة دواوين فى الالهيات والوطنيات والاخوانيـــات والعاطفيات ، مع مقدمة لامعة لشـــاعر مصر الراحل عزيـــز اباظة ·

(الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب)

● ص · ج ●

الى مجلـة الهـلال

قـد قـرات الهـلال خمسين عامـا
فـاق فيهـا بدر السـماء اكتمـالا
وعجيـب يـزيد فى كـل شـهر
ثـم يبقى برغـم ذاك هـلالا

الشاعر : على الجارم
١٩٢٧



الأطلنتس

د. سيد كريم

هل جاء منها المصريون القدماء؟

● الاطلنتس ... ارض الالهة ـ القارة المفقودة التي لم يرها احد ولم يستكشف العلماء مكانها او يتفقوا على موقعها بعد ؟

شغلت العالم القديم من الفين وخمسمائة عام ، عندما اذاع كهنة معبد عين شمس سرها لهيرودوت ، ومانيتون ، وسولون ، ونقل تفاصيلها الفيلسوف افلاطون في كتاب التيمايوس وحوار الكريتياس ...

وشغلت علماء العصور الوسطى عندما نقل الجغرافيون العرب وبحارة الاندلس قصتها الى اوربا ، وذكروا انها تقع بالقرب من شواطيء الاندلس التي تطل على المحيط ...

وانتقلت الى العصر الحديث لتشد اهتمام كثير من الكتاب والعلماء والباحثين في علوم الاثار والاجناس والجيولوجيا والطبيعيات ، وانشئت لها بعض الدول معاهد خاصة اطلق عليها اسم « معاهد الاطلنتولوجيا ».

امي حقيقة .. حولها خيال الكتاب الى اسطورة ؟
ام اسطورة .. حولها بحث العلماء الى حقيقة ؟
لتحل لغز الحضارة الفرعونية الخالدة ، وتلقي ضوءا على سر منشئها ومنبعها ، وموطنها ؟

● كان الحكيم والسياسي الافريقي سولون - الجد الرابع للفيلسوف الافلاطون ، اول من نقل قصة « الاطلنتس » أو القارة المفقودة الى العالم الحديث . نقلها عن كهنة معبد « زايس » عند زيارته لمصر عام ٥٧٠ ق . م ، فقد تمكن بفضل صداقته مع الملك أمازيس (الاسرة ٢٦ / ٥٧٣ - ٥٢٩ ق . م) من دخول المعبد ، حيث اعتنق الديانة المصرية وتوصل عن طريق الكاهن الاكبر للمعبد الى الاطلاع على كثير من اسرار المعرفة والعلوم التى نقلها الى بلاده واصبح واحداً من اكبر حكمائها ومشرعيها .

وقد ذكر سولون « ان الالهة نوت حامية وثائق المعرفة وحارسة اسرار الوجود بمعبد زايس ، اسرت اليه أن وثائق « ارشيف » المعرفة الذى تحتفظ به يرجع الى الوف السنين قبل انشاء المعبد نفسه ، وانها انتقلت اليه من جزيرة بعيدة كان يحكمها مجلس الالهة ويدير شئونها أنصاف الالهة من كهنة معبد الشمس . وان سكانها كما وصفتهم بربيات كتاب الموتى كفروا بالاله الاعظم ، وظنوا انهم بمعرفتهم اصبحوا الهة ، وانه بامكانهم السيطرة على مقدرات الكون وغزو العالم . فانزل عليهم الاله غضبه وحلت بهم لعنة السماء . فعندما غربت الشمس قذفت السماء جزيرتهم بحممها والجبال بنيرانها وغمرها البحر بامواجه وتقلصت الارض كثعبان كبير وانشقت لتبتلع كل ما عليها من كائنات . واختفت الجزيرة الكبيرة باكملها فى جوف البحر الازرق العظيم . وعندما اشرقت شمس الاله فى الافق عم السكون كل شىء ، وعاد البحر الازرق العظيم الى هدوئه بعد أن اخفى معالم الاطلنتس ومكانها ، واحتفظ لنفسه بسرها ، واسمها ...

وفى خلال حوار سولون مع كهنة معبد زايس ذكروا له أن أنصاف الالهة من كهنة معبد الشمس بالاطلنتس امرهم الاله بمغادرة الجزيرة قبل أن تحل بها اللعنة بعد سنوات عندما ارسل لهم الانذار الاول بثوران البركان . فانتقلوا كما اشار لهم فى اتجاه افق الشروق الى المكان الذى حدده لهم الاله لاقامة معبده فى أرض مصر المقدسة أو أرض الاله « جب بتاح » كما حدد له الكهنة تاريخ غرق القارة من خلال التقويم الكهنوتى للمعبد الذى ذكروا انه بدأ بعام الهجرة .

وذكر سولون أن التقويم كان يشير الى عام ٩٦٥٠ أى أن الجزيرة قد غرقت عام ١٠٢٢٠ ق . م - وهو نفس التاريخ الذى حدده كثير من الباحثين فى معاهد بحوث علوم الاطلنتيس الحديثة .

● ويصف المؤرخ هيرودوت (٤٨٤ - ٤٢٥ ق . م) زيارته لمعبد أمون فى طيبة ويروى أن الكاهن الاكبر أطلعه على قاعة وثائق المعرفة المقدسة ، وشاهد بها ٣٤٥ تمثالا شخصيا تمثل ٣٤٥ جيلا من نسب الكاهن الاكبر وشجرة عائلته المقدسة من انصاف الالهة أهل العلم والمعرفة ، وانه يفاخر بأن سلالته تتفوق على باقى سلالات البشر وأن جده الاول هبط الى مصر من ١٠٣٤٠ سنة .

● ولقد تناول الفيلسوف الافلاطون (٤٢٧ - ٣٤٧ ق . م) موضوع الاطلنتس بالبحث بعد ما ذكر له استاذه سقراط عنها من اساطير اثناء زيارته لمصر والتى تؤكد ما ورد فى المذكرات التى دونها جده الاكبر سولون ... وقام الافلاطون بالبحث عن حقيقة القارة المفقودة وعلاقتها بالفراعنة اثناء زيارته لمصر والاقامة فى معابدها ١٣ عاما لتلقى العلوم واسرار المعرفة ، كما كان يفعل كبار علماء فلاسفة اليونان ... وذكر الافلاطون فضل الملك نختانبو (الاسرة ٣٠)

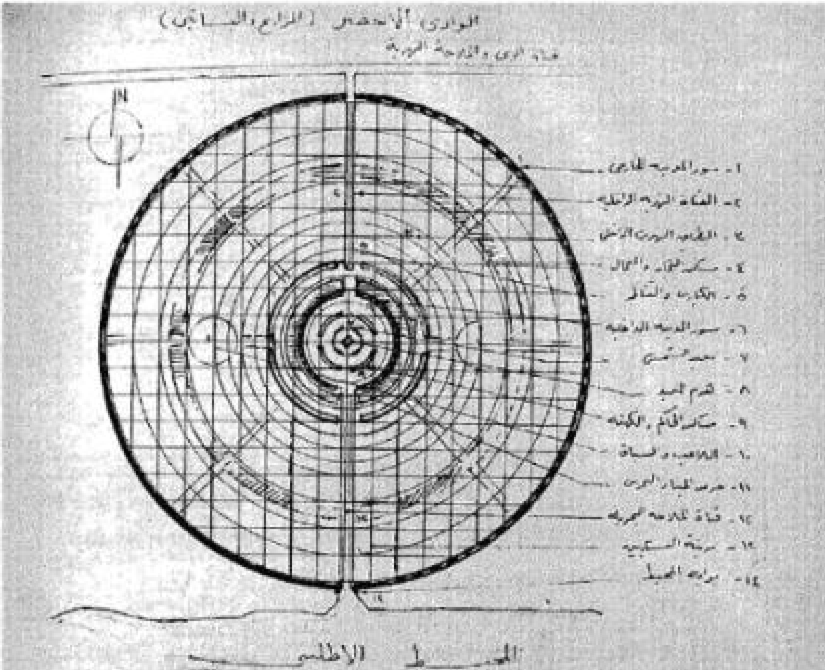


عودة افلاطون من مصر وهو يحمل كتاب التيمايوس ويشير الى السماء مصدر المعرفة في فلسفته وبجانبه ارسطو وهو يشير الى الارض رمز فلسفته التي تتعارض مع افلاطون

في اتاحة الفرصة له لدخول المعابد والاتصال بكهنتها العظام والاقامة معهم مقتفياً بذلك خطوات جده العظيم سولون .

وقد اكد أوديكسوس عالم الفلك والرياضيات الاغريقي الذي رافق افلاطون اثناء زيارته للمعابد واقام معه اكثر من عشر سنوات في مصر ــ اكد حقيقة ما ذكره افلاطون عن قصة الاطلنتس التي وردت في كتبه ومحاوراته . واضاف بأن هناك تفاصيل اخرى يعرفها عن اسرار تلك القارة التي كان يطلق عليها الفراعنة اسم : أرض الالهة ، لم يتمكن من ذكرها بالنسبة الى العهد المقدس والقسم الذي ارتبط به عندما سمح له بتلقي العلم والمعرفة من كهنة المعبد الذي اعتنق ديانتهم ليتمكن من الاطلاع على بعض اسرار المعرفة المقدسة .

وقد وقف بعض العلماء من تلاميذ افلاطون بعد وفاته وعلى رأسهم ارسطو معلم الاسكندر الاكبر ، موقف



تخطيط مدينة الاطلنتس كما وصـــفها افلاطون ومؤرخوالفينيقيين «القلاع الاسرار»

المتشككين فى صحة ما ورد فى كتب افلاطون عن قارة الاطلنتس ووصف مدنها ونظام الحياة بها ، وذكـــر أرسطو أن أفلاطون قد اختلق القصة لغرض تجسيد نظرياته الاجتماعيـــة والاقتصـــــادية والسياسية متأثرا بالعقيدة الفرعونية ·

وقد تصدى للدفاع عن آراء افلاطون فى القرن الثالث قبل الميلاد عدد كبير من علماء جامعة الاسكندرية ، فى مقدمتهم عالم الفـــلك والرياضيات هيبارغ وارستوتيفوس أمين مكتبـــة الاسكندرية ، وبعض علمـــاء الفلك والجيولوجيـــا الذين كانوا يعتزون بجامعتهم ومكتبتها التاريخيـــة التى تعتبر استمرارا لجامعات هيليوبوليس وزايس وطيبة ، وأم المعرفة وحاملة شعلة الثقافة فى العالم القديم · لقد رجحوا امكانية اختفاء الاطلنتس فى المكان والتاريخ الذى حدده كهنـــة الفراعنة وســـــجله افلاطون فى التيمايوس وفى حواره مع كريتياس ·

● وصف الاطلنتس ●

وصفها افلاطون فى كتـــــاب التيمايوس وحوار الكريتيـــاس بأنها جزيرة كبيرة فى وسط المحيط الازرق الكبير ، تقع خلف اعمدة هرقل (جبل طارق) يزيد حجمها عن ليبيا (شمال افريقيا) واسيا الصغرى معـــا · وقدر مســاحتها بما يقرب من ٦٠٠ الف ميل مربع ، وكانت على شكل قلب ، ولذا فقد اطلقوا عليها اسم « قلب السماء » · ويبلغ طولها من طرفها الشمالى الى شاطئها الجنوبى حيث تقع مدينتها الرئيسية ٣٤٠ ميلا وتتكون القارة من الجزيرة الرئيسية وست جزر أخرى صغيرة تطل عليهـا المدينة الكبيرة · لذا فقد اطلق عليها

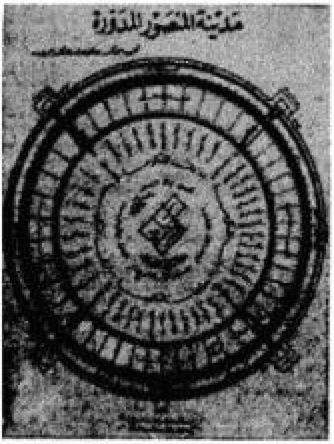
اسم أرض الجزر السبع فى كثير من الأساطير القديمة .

واشتهرت الجزيرة بثروتها الطبيعية . فتذكر أنها كانت غنية بمعادنها وخاصة الذهب والبرونز والفضة التى كانت تصنع منها معظم أدوات المعيشة وتكسو أسطح قبابها وأبراجها العالية . كما كان أهلها يستعملون الفضة فى كسوة هياكل سفنهم الحربية ومجانيقها الخشبية ولذا فقد أطلق عليها قدماء الفينيقيين فى أساطيرهم البحرية اسم « مدينة القلاع الفضية » . كما كان بالجزيرة معدن نادر يطلق عليه معدن الآلهة وهو يشبه النحاس ويلمع كاللهب أثناء الليل والنهار ويسمى بالأوريخال Oreichelus وكان يكسو قمة معبد الإله الهرمى الشكل وتصنع منه التماثيل المقدسة .

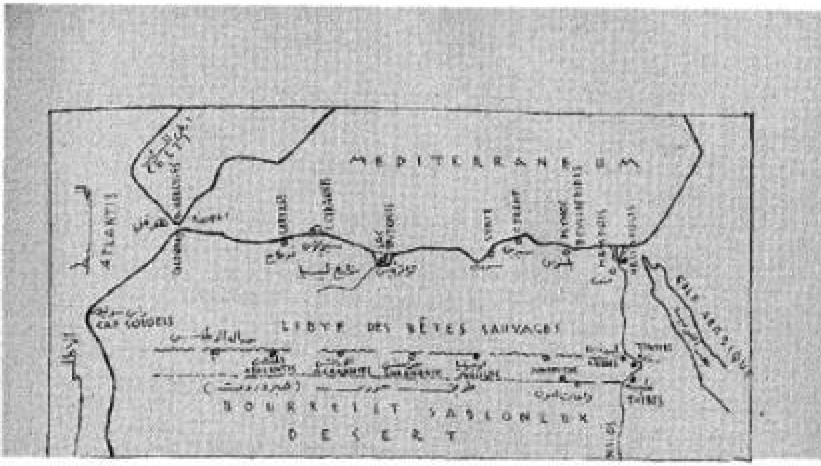
كما اشتهرت الجزيرة بثروتها الزراعية ومحاصيلها النادرة واشتهر أهلها بتفوقهم فى الزراعة وفنونها ، وكان بها نهر عظيم يمتد بطول الجزيرة من جبالها الشمالية الى شاطئها الجنوبى ، وشق له أهل الجزيرة الترع الصناعية الهندسية الأشكال وانشأوا خزانات لحفظ المياه . ومن أشهر المحاصيل الزراعية القمح الذى كان أول من صنعوا منه الخبز ، والكروم التى صنعوا منها الخمور التى نقلها عنهم قدماء الفينيقيين الى شواطىء الغرب . كما اشتهرت الجزيرة بزراعة أشجار ثمار النسيج (يرجح أنها شجيرات القطن أو أشجار التوت) وكانت أرض الجزيرة تزرع محصولين فى السنة .

وجو الجزيرة كان معتدلا حيث تحميها سلسلة من الجبال العالية « تسمى بالجدار الشمالى » من العواصف والرياح الشمالية الباردة . وهى الجبال البركانية التى أقامها الإله لتحمى القارة وسكانها والتى ثارت بأمره لتلقى عليها نيرانها وتغوص بها فى قاع المحيط ، كما كان تيار الخليج الدافىء يساعد على تدفئة شواطئها واعتدال مناخها .

كما تخصص سكان الأطلنتس فى تربية الحيوانات والدواجن بأنواعها واشتهروا بتربية الخيول وتدريبها وأعدوا لها الملاعب وساحات الفروسية



مدينة المنصور ـ بغداد ، وضع تصميمها على شكل مدينة الأطلنتس كما وصفها مؤرخو العرب



طرق هيرودوت ــ هجرة شنسوجود من راس سوليوس على شاطىء المحيط الى وادى معابد حور فى ارض وادى النيل

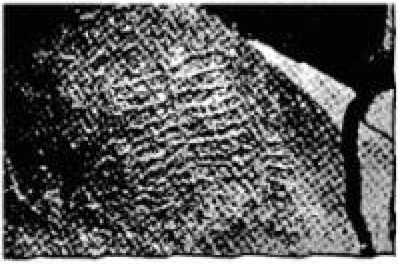
والرقص وحلبات السباق داخل اسوار المدن نفسها ، وقد نقل عنهم قدماء بحارة فينيقيا القديمة الذين كانوا اول من اتصل بهم من شعوب العالم القديم نقلوا عنهم الخيول وفنون تدريبها الى شواطىء اسيا حيث ظهرت مع بداية الحضارات الاسيوية القديمة ٠

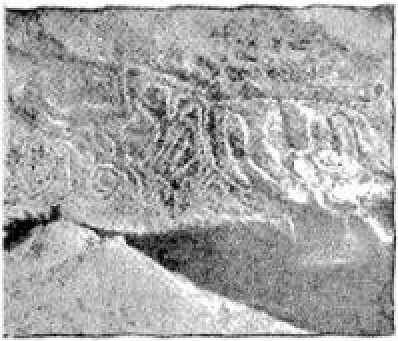
كما اشتهر اهل الجزيرة بتربية الفيلة التي كانت تمدهم بالعاج الذى كانوا يصنعون منه التماثيل المقدسة وصناعات التجارة الزخرفية ٠ كما تفوقوا فى الصباغة والنسيج ، واشتهرت الجزيرة بموانيها البحرية الخارجية والداخلية فى قلب العاصمة حيث كانت السفن البحرية الضخمة تصل الى القلعة الداخلية فى وسط المدينة ٠ كما اتقن اهل الاطلنتس فنون الحرب وكانت لهم اسلحتهم السرية عنومة وصلت حضارتهم الى قمتها بينما كان العالم اجمع يعيش فى ظلام الجهل والحياة البدائية ٠

وكان يحكم الجزيرة عشرة ملوك يراسهم اله يشغلهم تشريعات المجتمع وكانوا يجتمعون مرة كل خمس سنوات ، وكانوا يذبحون ثورا مميزا كقربان لاله الشمس احتفالا بدورته السنوية ٠

وتحوى القارة مدينة الاطلنتس عاصمة الجزيرة وموطن الاله ، و٢٤ مدينة اخرى تفرعت منها فى الارخبيل الجنوبى المواجه للعاصمة ٠

ويصف كل من افلاطون وكريتياس مدينة الاطلنتس بانها كانت مستديرة الشكل تماما يبلغ قطر دائرتها ١٥ ميلا ويحيط بها جدار مرتفع ٠ وتتوسط المدينة هضبة مرتفعة دائرية الشكل يبلغ قطرها اربعة اميال تشرف على المدينة باكملها ويطلق عليها اسم القلعة او المدينة الداخلية ٠ ويتوسط القلعة ويقع فى مركز المدينة باكملها معبد الشمس ذو السقف الهرمى الذى تكسوه الواح معدن الاوريشالك المشع ٠ ويحيط بمعبد الشمس مختلف دور العبادة ومساكن كهنة المعبد وقصر الحاكم ودور الحكم ، وكانت اسطح قبابها وابراجها مكسوة بالفضة المعدن المميز لحضارة الاطلنتس ٠ ويحيط بالمدينة الداخلية جدار مرتفع يحيط به من الخارج مجرى مائى عريض يعتبر الميناء







البحرى الرئيسى للمدينة ويتصل بقناة محورية مستقيمة تصله بالمحيط فى الجنوب ، كما تمتد قناة أخرى مماثلة فى الاتجاه الشمالى للمياه العذبة تصلها باحدى قنوات المياه العذبة لتغذية المدينة بمياه الرى والشرب وتصل ميناءها النهرى بالملاحة الداخلية بالجزيرة ٠

اما المدينة الخارجية التى تحيط بالقلعة فقد خططت طرقاتها وشوارعها على شكل دوائر متتالية تقطعها شوارع محورية وتحوى مساكن المدينة ومبانيها الاجتماعية العامة وأسواقها وملاعبها وحلبات السباق التى اشتهرت بها ، ويربط المدينتين الداخلية والخارجية ببعضهما البعض مجموعة من القناطر والانفاق والبوابات البرونزية المصفحة ،وكانت مبانى المدينة من الاحجار البركانية الحمراء والسوداء ٠

ويضيف المؤرخ جوليانوس الذى تخصص فى دراسة تاريخ اساطير الفينيقيين وقدماء الاغريق ، بعد أن وصف شكل المدينة المستديرة انها كانت على شكل دوائر منتظمة يتوسطها معبد الشمس ، وأن عدد سكانها كان ٣٠٠ الف ساكن وكانت



بعض نماذج الرموز والرسوم التى تركها الهاجرون على الاحجار وفى الكهوف على امتداد طريق هيرودوت من المحيط الى وادى النيل عبر الصحراء الكبرى



نقوش حضارة جرزة القديمة (قبل الاسرات) وتظهر بها سفن حور المقدسة التى وصل بها كهنة شمسو حور الى ارض مصر وردوا للبلاد التى اتوا منها بالاهرام والبحر الازرق والنعام وكهنة حور بزيهم الخاص

ذات حضارة خرافية ، وكان اهل المدينة يشربون الخمر كالماء من الانابيب ، كما عرفوا صناعة الخمر من العنب والحبوب ونقلها عنهم البحارة الفينيقيون الى العالم القديم بأجمعه ... كما وصف طرقات المدينة بانها كانت مغطاة باسقف من النسيج الملون لحمايتها من اشعة الشمس والغبار ، وكانت طرقاتها مرصوفة ببلاطات من الحجر البركانى الاحمر الملون .

كما نقل هليمان عن متون شعب المايا وصفا مماثلا لشكل المدينة وتخطيطها بوصفها انها كانت تشبه القبة السماوية بدوراتها الفلكية وبروجها ، ويقع مكان الشمس معبد اله الشمس نفسه .

الثالوث المقدس .. وعلاقة الاطلنتس بمصر ..

أن نظرية « الثالوث المقدس » التى تعتبر أساس العقيدة الدينية عند الفراعنة ، والتى تمثلت فى اسطورة ايزيس واوزوريس وحور وصراعهم مع اله الشر ست ، والتى وجدت لها انعكاسا على كثير من العقائد الدينية فى مختلف الحضارات القديمة - وجدت لها ايضا علاقة بقارة الاطلنتس او « ارض الآلهة » كما وصفتها الاساطير القديمة .

ان وثائق معبد حورس القديم فى ابيدوس الذى يعد من اقدم المعابد الفرعونية حيث بنات عبادة الاله حورس من اقدم العصور وفى عهود ما قبل الاسرات - تشير الى تلك العلاقة بين كهنة ذلك المعبد وارض الالهة المفقودة . فتروى برديات معبد ابيدوس القديم أن الذى اسس المعبد هو الاله حور نفسه عندما وصل الى ارض وادى النيل المقدس من اتباعه (شمسو حور) من ارض الالهة التى تغرب فيها الشمس ،



تماثيل كهنة شمسوحور التي وجدت في حفريات ١٠ قبل التاريخ بمصر ويعبر عنها بجسم الانسان وراس الصقر ورفع الاذرع للشمس

والتي كانت تسكنها الالهة ويحكمها أنصاف الآلهة من عبدة الاله الاعظم إله الشمس ، وهم الذين امرهم الاله أن يهاجروا مع الاله حور ، وكانت الجزيرة تعيش في سعادة ورخاء بفضل حاكمها أوزوريس اله الخير ، كما وهبهم الاله تحوت الحكمة والمعرفة واسرار الوجود التي وصلت بحضارتهم الى القمة …

وتصف المتون كيف خالف الناس تعاليم الاله وانضموا الى ست اله الشر اخى اوزوريس الذى كان ينازعه الحكم ، فقتل ست اخاه أوزوريس والقى بجثته فى البحر الابيض فأمر الاله ايزيس ان تهاجر هى وابنها حورس واتباعهما من انصاف الالهة من الكهنة المؤمنين من اتباع الالهة وخدام المعبد المقدس . فوصلت قافلة ايزيس وموكبها المقدس مع كهنة معبد الشمس عن طريق البحر الابيض الى شمال الدلتا وانتقلوا منها الى الارض المقدسة فى المكان الذى حدده لها الاله لتشييد معبده أو معبد الشمس فى مدينة أون (عين شمس) . كما وصل حور واتباعه (شمسو حور) الى شاطىء النيل المقدس بعد ما قطعوا الرحلة من شاطىء المحيط عبر الصحراء الكبرى حتى وصلوا الى الوادى الذى اقاموا فيه معابد حور القديمة الثلاثة وهى معابد أبيدوس، ودندرة ، وطيبة . وهو الطريق الذى وصفه هيرودوت واطلق عليه فى خريطة العالم القديم التى رسمها اسم طريق « قوافل الحضارة » . ويمتد الطريق – كما هو مبين فى الخريطة – من ميناء على شاطىء المحيط الاطلسى يسمى راس سوليوس (بوابة الشمس) ويمر الطريق بمحاذاة جبال الاطلس – ثم يخترق الصحراء مارا بعدة واحات صحراوية حتى يصل الى واحات امون فى أرض مصر ، ومنها يصل الى شاطىء النيل فى منطقة وادى حور المقدس الذى اقيمت فيه معابده الثلاثة ..

وقد قام بعض علماء الآثار فى السنوات الاخيرة باستكشاف طريق هيرودوت الذى وجد انه طريق القوافل القديم والوحيد الذى لا يزال مستعملا الى الان مخترقا الصحراء الكبرى باكملها ، وقد وجدت كثير من الحفريات والنقوش والرموز فى عدة اماكن على جانبى الطريق يرجع معظمها الى الوف السنين قبل ظهور الحضارة الفرعونية ، كما وجد أن تاريخ بعضها يرجع الى ما يقرب من



حورس .. صقر الاطلنتس

تاريخ الاطلنتس نفسها (كما ورد فى التحقيق الذى قام به فايش سرملانسكا ومارتينى فى علاقة الجنس الفرعونى بشعب الاطلنتس) .

وقد اشترك فى كثير من النقوش صور الفيلة والنعام وأدوات الصيد التى اشتهرت بها قارة الاطلنتس .

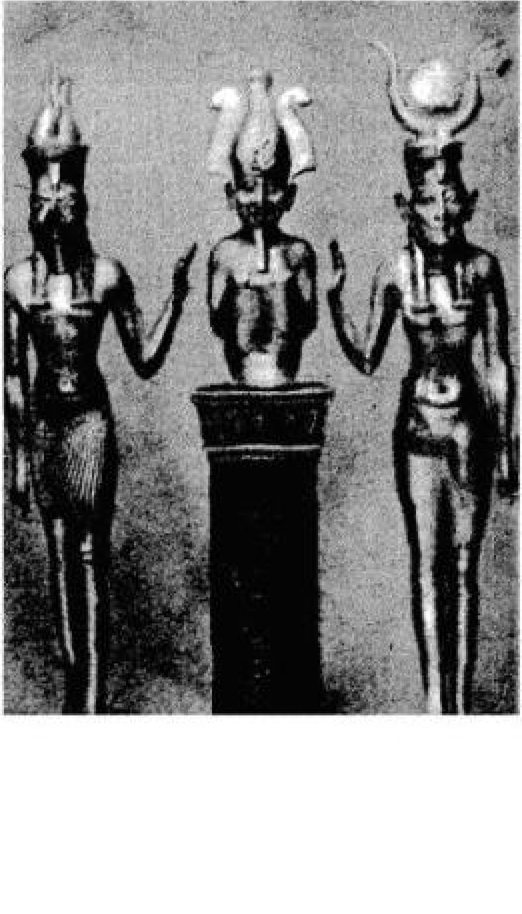
● كما وجد ضمن نقوش حضارة (جرزه Gerzean احدى حضارات مصر الخمس القديمة (التى ترجع الى ما قبل الاسرات ولم يتفق المؤرخون على تاريخها أو اصلها بالضبط) وجدت كثير من النقوش التى تمثل السفن البحرية الكبيرة التى تمخر المحيط الذى عبر عنه بالامواج واللونين الاخضر والازرق وهى تبحر من بلاد رمز لها بالاهرام العديدة والنعام وغيره من الحيوانات التى لم يكن لها وجود فى مصر . كما تميزت السفن بمجاديفها الكبيرة ، وجهزت كل سفينة بمقصورتين — وهى التى ظهرت فى كتاب الموتى واطلق عليها مقصورة رحلة الاله . وقد ظهرت فى الحضارة الفرعونية وطقوسها الدينية فيما بعد . كما يظهر على الشاطىء رمزا الالهين ايزيس وحورس وهما يباركان السفن فى رحلتها المقدسة .

وقد اشتهرت حضارة الجرزيان المتطورة عن الحضارات الاربع الاخرى ، فى الدقة والمهارة فى صناعة « الفازات » والاوانى من الجرانيت والمرمر والربيوريت والسينيت . وكانوا أول من استعمل افران صناعة الفخار والالوان فى

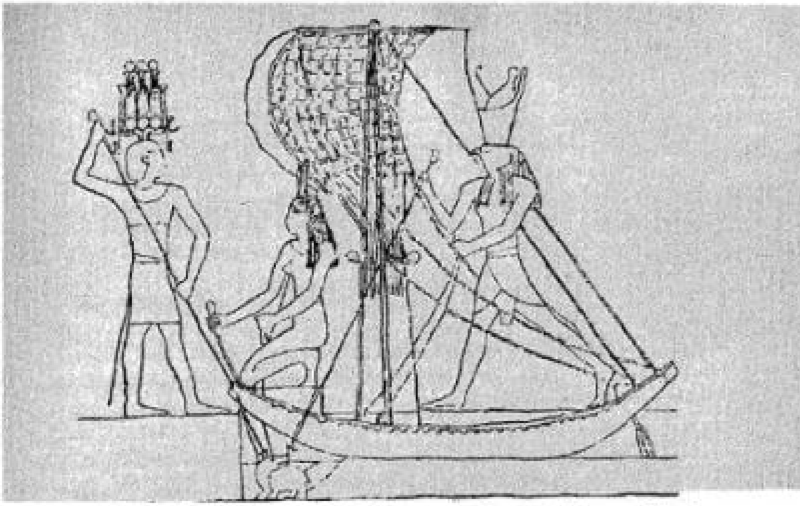
النقوش كما ظهر ضمن مخلفاتهم استعمال معدن البرونز والعاج لاول مرة في مصر ، مما اتجه بعلماء البحوث اخيرا الى اعتبار تلك الحضارة احدى الحلقات المفقودة التي تربط الجنس الفرعوني بشعب الاطلنتس .

● كما اكتشف احد علماء الفلك الفرنسيين الذين قاموا بدراسة « زودياك » معبد دندرة الموجود في متحف اللوفر في باريس الذي يمثل القبة السماوية وبروجها الاثنى عشر واوضاع كواكبها ونجومها ان التوزيع الفلكي في تكوينها يرمز الى تاريخ صناعتها وهو ماقدر بحوالي ١٤٥٠٠ عام وانها كانت في سقف معبد حورس القديم الذي اقيم مكانه معبد دندرة في عهد البطالمة ، وان ذلك التاريخ كان بداية التقويم الفرعوني الاول او التقويم الكهنوتي الذي اطلق عليه كهنة طيبة بداية العالم رمزا الى غرق الاطلنتس وبداية الحياة في ارض مصر او ارض اله الخلق «جب بتاح» كما اشار بعض المؤرخين اليه باسم تقويم حورس المقدس .

● كما ترتبط اسطورة الثالوث المقدس بنشأة مدينة اون(هليوبوليس) ومعبدها الذي يعتبر من اقدم المعابد المصرية فتشير برديات هليوبوليس الى قصة نشأة المعبد وكهنته بنزول ايزيس في موكب الشمس الى الارض المقدسة التي اختارها الاله رع لتقيم معبده عليها وانها حملت معها مقدسات معبد الاله من ارض الشمس



الثالوث المقدس .. ايزيس وحورس وبينهما اوزوريس



وصول الاله حور الى ارض النيل ويرمز الى قتل ست (فرس النهر) وايزيس في استقباله عنـــد ابى دوس حيث اقام اتباعه شنسو حور معـــابده الثلاثة

القاربة وهو الحجر الهرمي «الشكل» « بن بن » المصنوع من معدن مقدس يعكس اشعة الشمس اثناء دورتها في النهار ويشع ضوءه في الليل • وهو الحجرالهرمي الذى كان يتوسط فناء المعبد • كما بنيت الاهـرام ومعابد الشمس وقمم المسلات على شكله كرمز لعبادة الاله « رع » •

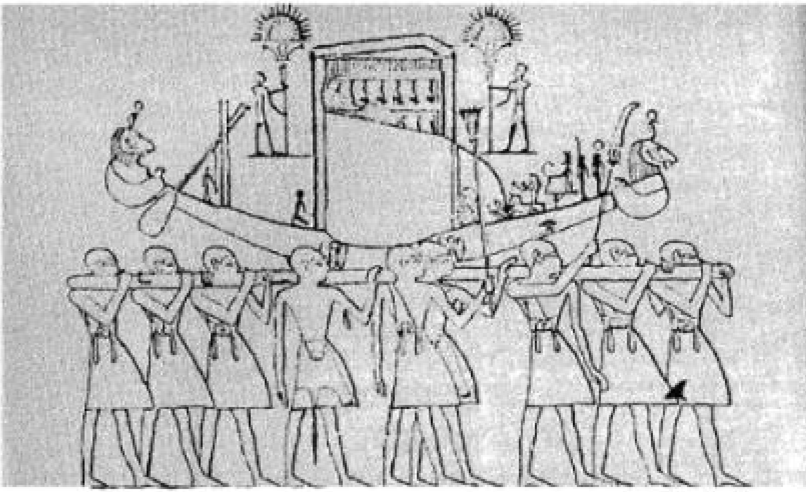
● كمـــا تشير البرديات الى ان الاله رع امر نو اله المـــاء بتدمير الانسان عندما ثار على الاله «فاشترك معه بوت حاكم البحـــار بالفيضان ، واتوت باللهب (البراكين) بعدما تخلت ماعت رمز الحق والعدالة ، وتحوت رمز المعرفة والفنون والعلوم والحكمة، عن اهل الجزيرة •

وقد وردت نفس القصة في احدى برديات الاسرة الثانية عشرة المحفوظة بمتحف لينتجراد ، واطلق فيهـــا على الارض التى اغرقها الاله اسم ارض الثعبان • وتحوى البردية نداء الاله لكهنة اون ، عندما تغادرون تلك الارض لن تجدرها ثانية ، فهذا المكان سوف يختفى تحت البحـــر العظيم ، والاله رع يأمركم ان تتبعوا اتجـاه افق الشمس المشرقة التى يطل منهـا وجه رع حيث تقيمون معبده » •

وتصـــف نفس البـــردية كارثة الارض المفقودة على لســـان الكاهن « انه سقط نجم من السماء أحرقت السنة لهبه كل شيء ··· لقد احترق كل كائن على وجه الارض ··· لقد مزقنى الالم وأنا اشاهد الجثث المحترقة قبل أن يزحف البحر بأمواجه ليبتلع كل شيء »•

لقد ورد أسم ارض الثعبان فى كثير من الاساطير القـــديمة بمختلف الحضارات، كما ان اقدم الرسوم التى عبرت عن وصول سفينة الاله فى كتاب الموتى كانت تحيـــط قرص الشمس بثعبان كبير •

● لقد كشف عالم الاثار الفرنسى شارل براسير فى بحوثه الخاصـــة بحضارات آلمايا والازتيك خـــلال ترجمته للرموز الموجودة على جدران أهرام شتشن ايتزا فى يوكاتان قصة



احتفال الكهنة بوصول سفينة ازيس القدسة الى هليوبوليس وهي من القدم الطقوس التي ظهرت عندبداية عبادة رع وانتقلت فيها بعد الى مختلف المعابد الفرعونية من قبل الاسرات حتى عهد البطالة

نهاية الاطلنتس وعلاقتها بمصر الفرعونية وثالوث الفراعنة المقدس· وصفت النصوص الجزيرة باسم ارض الثعبان وكانت تحكمها ملكة سماوية تدعى « مو » واخواها « كره » الذى يحمل تاج الخير و « عاك » الذي يحمل قناع الشر ··· فتنازع الاخوان على الملك فقتل « عاك » اخاه « كره » والقى بجثته في البحر ، فهربت « مو » مع ابنها الصقر المقدس وجنوده المخلصين الى الارض التى تشرق منها الشمس · وقد انتقم الاله من اهل الجزيرة الذين ناصروا « عاك » بان اسقط عليها نارا من السماء فتقلصت الارض كثعبان ضخم وهي تنفث اللهب من قمم الجبال · وثار البحر لجذب الجزيرة وما عليها من مدن وكائنات الى ظلمات اعماقه !

● ووردت نفس القصة الثالوث الفرعوني المقدس في كتاب نيوزان عن مخطوطات كهنة التبت - الذين تتفق كثير من معتقداتهم وطقوس عباداتهم مع مثيلاتها عند القدماء المصريين - كما ورد في مخطوطاتهم السرية التي يحتفظون بها في معبدهم المنعزل عن العالم فوق جبال الهيمالايا ، ان اجدادهم من الكهنة القديسين اتوا من ارض الآلهة التي تغرب فيها الشمس وكانت تسمى بارض المدن السبع (او الجزر السبع) وكان يحكمها سبعة ملوك ياتمرون بامر الكاهن الاعظم « مو » وان اله السماء امر الكاهن « مو » ان يغادر مع اتباعه من الكهنة المخلصين ارض الجزيرة عندما اتبع اهلها الثعبان وثاروا على الهتهم · وبعدما ابتعدوا عن الجزيرة انزل الله عليها النجم « بل » الذى حمل اليها لعنة السماء فاختفت الجزيرة من الوجود ، وكانت كارثتها صورة من الجحيم الذى وعد الاله به الكافرين · وتشرح المخطوطات كيف وصل نحو العظيم والكهنة القديسون في سفينة الشمس التي سارت في اتجاه افق الشروق حتى وصلوا الى جبال هيمالايا العالية حيث التمسوا



كانت البحوث التى وضعها الجغرافيون والرواد العرب عن الاطلنتس من أهم المراجع التى أثارت اهتمام مؤرخى العصور الوسطى وعلماء ابحاثهم

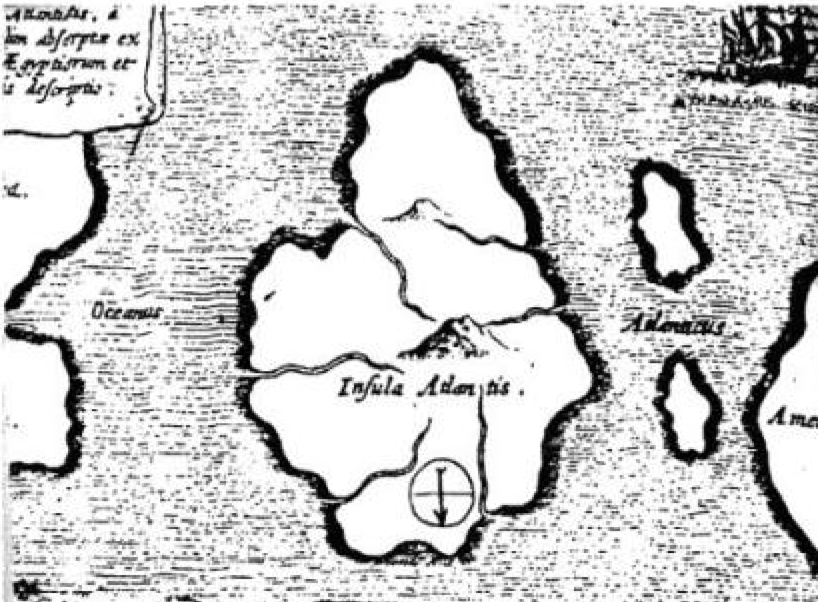
محبيهم المقدس بعيدا عن الفيضان ونقلوا اليه مقدساتهم ، واحتفظوا فيه بمخطوطاتهم السرية التى تحوى أسرار الحكمة والمعرفة وسر الوجود اسوة بكهنة هيليوبوليس وشمسرحور بارض الفراعنة .

● وذكر عالم الاثار برل شليمان فى كتابه « الاطلنتس .. مهـد الحضارات جميعها » ، أنه وجد بين مخلفات جده الذى يحمل نفس الاسم واشتهر بحفرياته الاثرية فى فينيقيا وطروادة – وجد آنية من الفخار تحمل رمزى الصقر والثعبان بها مجموعة من المخطوطات المصرية لقدماء الفينيقيين وتروى المخطوطات اسطورة الثالوث المقدس الذى كان يحكم الاطلنتس وهرب « مر » وابنتها بعد أن قتل الثعبان زوجها مكره ابن اله الشمس .. وتختلف نهاية القصة عن القصة الفرعونية بأن الثعبان لحق « بمر » ، وهى تبحث عن جثة زوجها، وقتلها فى بيبلوس وهرب ابنها الصقر المقدس (حورس) ليكون فى حماية الاله فى أرض الشمس المشرقة حيث أقام معبد الاله وأودعه مقدساته وشعائره .

كما اكتشف شليمان فى حفريات طروادة قطعة من العملة المربعة الشكل متسبيكة من البرونز والبلاتين والفضة ترجع الى الوف السنين قبل ظهور الحضارة الافريقية نقش عليها اسم الملك كرونوس ملك الاطلنتس .

● أين توجد قارة الاطلنتس ؟

عندما حدد افلاطون موقع القارة المفقودة خلف أعمدة هرقل ، ذكر أن الاحجار المتخلفة منها قذفتها أعاصير المحيط وأمواجه لتسد ممر جبل طارق والشواطىء القريبة منه وتعوق الملاحة مدة طويلة . لذا فقد تركزت البحوث عن آثار القارة ومدنها وبالقرب من



خريطة الاطلنتس التي وضعها اثاناسيوس كرشر في القرن السابع عشر

الشواطىء الاسبانية وشـــواطىء شمال افريقيـــا المطلة على المحيط حيث توجد عدة جزر اثبتت بعض بحوث الجيولوجيا الحديثة في طبقاتها الصخرية وحفرياتها البحرية ، انها كانت تحت سطح البحر ولم تظهر الا من عصور متقاربة مع اختفـــاء الاطلنتس نفسها .

وقد توقف الاهتمام بموضوع الاطلنتس والاهتمـــام بالبحث عن موقعها في اواخر القرن السادس الميلادي ، حتى عاد الاهتمام بها مرة اخرى في القرن الخامس عشر الذي اطلق عليه اسم عصر الاستكشافات البحرية التي من بينها رحلات كولومبس وفاسكو دي جاما وغيرهما من الرواد والمغامرين من بحارة ايطاليا والبرتغال — واهتم اكثرهم بالاســاطير التي تتوارثها سكان الباسك وبعض القبائـل التي تسكن شواطىء اسبانيا والبرتغـال وكانوا ينسبون انفســهم الى جزر غرقت في المحيط بالقرب من الشواطىء التي يعيشـــون فيهـــا الآن كما كانت عاداتهـــم وتقاليـــدهم ولغتهم تختلف عن مثيلاتها من اهـل البلاد ، كما تشير اساطيرهم اليهم في انتظار الارض التي ستعود ثانية الى الظهور .

وقد سيطرت تلك الاساطير الخيالية على البحوث التي رفعـــها الرواد والرحالة في ذلك العصر ، وحـــدد بعضهم رسم القـــارة وموقعها في المحيط ، وادعى بعضهم انه شـــاهد اثار مدنها تحت سطح الماء عنـــدما كان المحيط هادئا — كما ذهب الخيال بالبعض الآخر ان زعـــموا بصوتهم انهم شاهدوا اشباح السفن القديمة التي كان يستعملها اهل الاطلنتس وهي تحوم حـــول موقع القارة في الليالي القمرية ثم تختفي ثانية ،

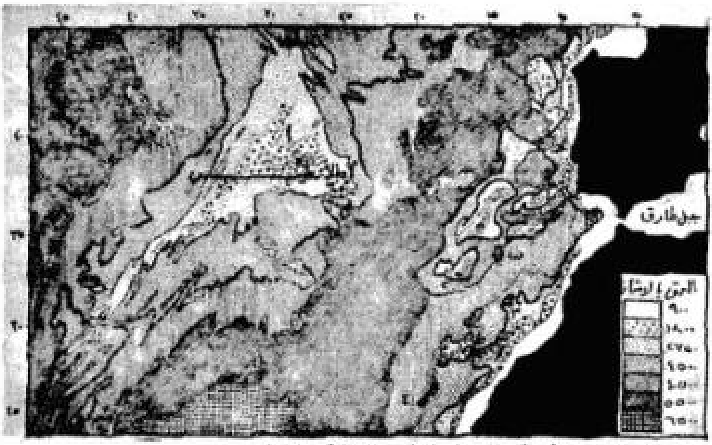


المحيط الاطلسي مبينا به امتداد العرف الذي وموقع قارة الاطلانتس

وسجلوا تلك الوقائع في وثائق رسمية وقع عليها كثير من الشهود الذين رافقوا الرحلة ·

كما ذكر البعض الاخر ان القارة عادت الى الظهور ثانية وانهم وصلوا الى شواطئها وزاروا اهلها وعادوا بعدما حملوا معهم مختلف التحف والمحاصيل والادوات التى تلقوها كهدية من سكان القارة· وقد ثبتت صحة اقوالهم فيما بعد ولكن القارة التى وصلوا اليها كانت شواطىء بعض مناطق امريكا الجنوبية والجزر المكسيكية القريبة منها ·

وكان للعرب دور كبير فى اهتمام الاوربيين فى العصور الوسطى بقصة الاطلانتس والبحث عن مكانها عندما نقل جغرافيوهم وبحارتهم قصة الاندلس ،كما اهتموا بدورهم بالبحث



خريطة مناسيب اعماق المحيط الاطلسي الحالية والمناطق
خلال زلازل الانقلابات الجيولوجية الكبيرة

جزر قمم الجرف

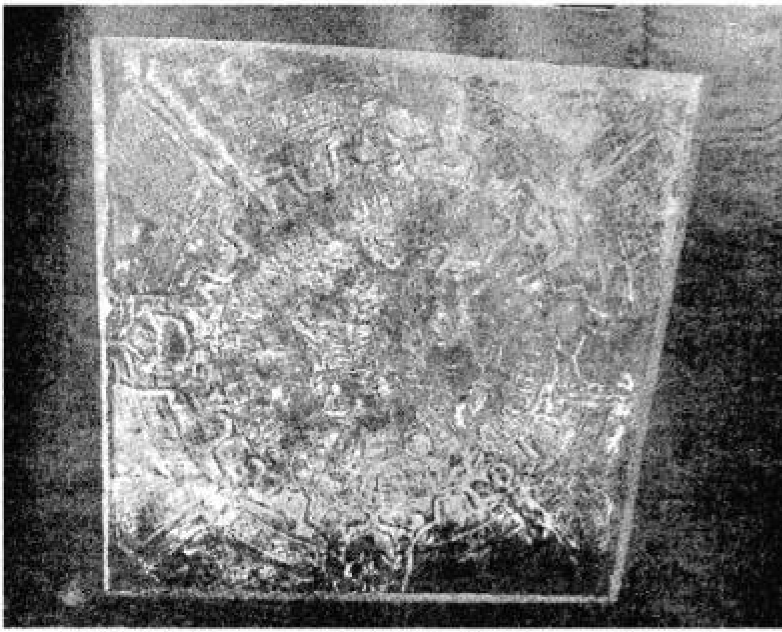
١ – قاعدة الجرف ١٠،٥٠٠ ق. م أ – جزر الآزور ٤ – الجزر الخضراء
ب – جرف جبل طارق ٢٥٠٠ ق. م ٢ – جزيرة ماديرا ٥ – سان برندان
ج – شواطىء اسبانيا ٥٠٠ ق. م ٣ – جزر الكناريا ٦ – جزر انتيليا

عنها اثناء احتلالهم للاندلس .. وقد حدد العرب موقع الاطلنتس بالقرب من اشبيلية عند مصب نهر « الجواد الكبير » . كما ذكروا اسم مدينة تارشيش (تارسوسس) التي وردت في الكتب السماوية على انها عاصمة القارة المفقودة وان اهلها ينتمون الى شعب السيبيريوس » الذي ورد ذكره في مخطوطات الفينيقيين القدماء واساطير حروبهم مع اهل اثينا القدماء .

كانت تلك المناطق موضع بحوث كثيرة من الجيولجيين وعلماء الاثار والانثروبولوجيا في العصر الحديث والتي ثبت وجودها فعلا واستخرجت بعض آثارهم ومخلفاتهم ودرست طبيعة تكوين ووضع طبقاتها الارضية فثبت منها ان مدينة تارشيش هبطت ارضها تحت سطح البحر حوالي عام ٥٠٠ ق . م . كما ان جزر ارض السيبارس التي وردت في اساطير الحروب الاغريقية القديمة وتقع على بعد عدة اميال من الشاطىء الاسباني قد تعرضت بدورها لزلزال وطوفان مماثل حدث عام ٢٥٠٠ ق . م .

وهو يتفق مع اساطير هوميروس وغيره من كتاب الاغريق القدماء التي حاول فيها اهل جزر المحيط غزو شواطىء اوربا فانتصر عليهم جنود الاغريق عندما حدث الزلزال العظيم الذي حطم بلادهم واغرق سفنهم . وهو ما يثبت ان اهل السيبارس وجزيرتهم ليست هي الاطلنتس التي غرقت قبلها بعشرة آلاف سنة كما ذكر افلاطون .

● ومن مفكري اوربا في العصور الوسطى الذين اثاروا ضجة بتحقيقاتهم وبحوثهم حول قضية الاطلنتس السير فرانسيس بيكون (١٥٧٣ – ١٦٢٦) في كتابه « حقيقة الاطلنتس » الذي اعتمد في معلوماته من تاريخ غرق الاطلنتس على ما ذكره



زودياك دندرة الذى تحمل قبته السماوية تماثيل الاله حورس ـ لقد اثبتت البحوث الفلكية الحديثة ان تقابل برج الاسد مع محور الاعتدال الربيعى حدد تاريخها بعام ١٠٩٥٠ ق . م بداية تقويم حورس الذى يتفق مع الاطلنتس

فلكيو الاسكندرية • ومن أهم لوحاتهم الفلكية المحفوظة بمتحف الفاتيكان لوحة « لعنة زحل » الذى يطلق عليه الفراعنة اسم حورس، وتشير اللوحة الى وقوع نكبة عظيمة حلت بالارض فى التاريخ الذى حدده المؤرخون لثورة المحيط وغرق الاطلنتس، وترجع اللوحة الى القرن الثالث قبل الميلاد وحددت اللوحة تاريخ الحادث بدورة الكواكب المختلفة فى البروج السماوية والبيوت الفلكية وعلاقتها بالظواهر الطبيعية التى تحدث بالكرة الارضية والتنبؤ بكوارث المستقبل تبعا لتحركات كوكب زحل فى القبة السماوية • كما اقتفى خطوات بيكون الكاتب الفيلسوف توماس مور (١٧٧٩ ـ ١٨٥٢) فى « اتوبيا الاطلنتس » الذى رجع فى كثير من بحوثه الى المفكرين العرب وما ورد فى أساطير اهل شواطىء المحيط •

وتناول قضية الاطلنتس بالبحث من مفكرى فرنسا فى القرن السابع عشر كل من فولتير، وتيفون، ومونتين وتخصصت أبحاثهم فى الربط بين أساطير قدماء الاغريق وفلاسفتهم وما أطلق عليه اكتشافات الرحالة وما نقلوه من أساطير جديدة جمعوها فى رحلاتهم البحرية الى شواطىء المحيط الاطلسى والبلاد التى استكشفوها •

ومن أشهر الرحالة أثانسيوس كرشر الذى قام ببحوثه التى ضمنها

حرية قارة الاطلنتس التى كان اول من حدد شكلها وبعدها عن جبل طارق الذى اتفق مع الموقع الذى حدده علماء العصر الحديث ، وقد حدد بعدها عن جبل طارق وشواطىء البرتغال بما ورد فى وثائق بحارة الفينيقيين القدماء من أن الرحلة كانت تستغرق ثلاثة اشهرمن بيبلوس الى جبل طارق ومثلها من جبل طارق الى الاطلنتس ، كما رسم شكلها مما ورد فى بعض المخطوطات الفينيقية القديمة التى وجدت فى حفريات طروادة ٠

● اما العصر الحديث فبدأ بالبحوث القيمة التى قام بها العالم والسياسى الامريكى اجناتيوس دونيللى (١٨٣١ - ١٩٠١) ٠ وكان اول من اهتم ببحث حقيقتها وتاريخها بالاشتراك مع مجموعة من العلماء الجغرافيين واساتذة الجامعات ، واصدر فى عام ١٨٨٣ موسوعته الشهيرة التى أطلق عليها « انجيل الاطلنتس » بعد دراسات استغرقت عشرين عاما ٠ وتعتبر تلك الموسوعة التى أعيد طبعها عام ١٩٦٠ المرجع الرئيسى الذى تسترشد به جميع البعثات ومعاهد بحوث الاطلنتس الحديثة ٠

وكان دونيللى أول من ربط تاريخ غرق الاطلنتس بنهاية العصر الجليدى من ١٤ الف سنة تقريبا ، كما حدد موقعها جيولوجيا وجغرافيا عند القاعدة العليا للجرف الذى اطلق عليه اسم العمود الفقرى للمحيط الاطلسى وهى النظرية التى تدور حولها معظم البحوث العلمية الحديثة ٠

وفى سنة ١٩٧٠ اصدر البروفسور زيروف بحوثه التى تكمل بحوث دونيللى ، وحدد تاريخ غرق الاطلنتس سنة ١٢٥٠٠ ق ٠ م ٠ وهو التاريخ الذى اتفقت فيه اقوال مؤرخى وفلاسفة الاغريق مع المخطوطات الفرعونية القديمة وبحوث جامعة الاسكندرية القديمة وما ورد فى مخطوطات بابل واشور التى اشارت بان التقويم الاشورى القديم يبدأ بحادث عظيم فى الارض وانه بداية البشرية ٠

وقام زيروف بمقارنة ذلك التاريخ بالبحوث التى وضعت اخيرا لتحديد تاريخ نهاية العصر الجليدى وما ارتبط به من تغيرات حدثت فى المحيط الاطلسى وغيرت كثيرا من معالمه الجغرافية ، كذلك بمقارنتها بدراسات اعماق المحيط والتى وجد انها تتفق جميعا على ذلك التاريخ ويختم زيروف بحوثه بقوله أن الاطلنتس حقيقة وليست اسطورة، وقام كل من لدنف والبروسوف من

خريطة قاع المحيط الاطلسى « الجمعيه الجغرافية الامريكية »





علماء الروس من الذين تخصصوا في علوم الاطلنتس بعمله دراسات تاريخية وعلمية كشفت الكثير من نواحي للغموض الذي اكتنف جوانب البحوث القديمة ، واشتهر لندف بالذات بابحاثه في المخطوطات والوثائق الاشورية والاغريقية والبرديات الفرعونية القديمة الموجودة في متحف لينتجراد والفاتيكان وغيرهما من المتاحف العالمية ، ووضع بحوثه التي ظهرت أخيرا وقدم لها بقوله : « لقد ان الاوان للنظر الي برديات اساطير الفراعنة ووثائق اسرار المعرفة المقدسة التي كان يحتفظ بها كهنتهم على انها حقائق علمية ومراجع تاريخية لفك كثير من رموز الحضارات القديمة وتاريخ الانسانية » .

لم تخل بحوث الاطلنتس بجانب مختلف الدراسات العلمية والتكنولوجية الحديثة ، من الدراسات الروحانية وبحوث تحضير الارواح ودراسات الشفافية ووضوح الرؤيا ، وهي للبحوث التي يدور حولها جدل كبير من مختلف العلماء ومعاهد البحوث وقد لجأ البروفسور تشرشوارد في بحوثه عن الاطلنتس ومحاولة كشف غموضها الي تجارب تحضير

احدى اللوحات الفلكية التي ترجع الي عهد البطالسة (متحف الفاتيكان) ويطلق عليها « المنة زحل » وهو الكوكب الذي اطلق عليه الفراعنة اسم « الكوكب حورس » وتشير اللوحة الى المنة الكوكب التي نزلت بالارض من ١٢ الف سنة

الارواح وشفافية الرؤيا ، فذكر انه امكن تحضير روح الكاهن « مو » و الملك « ارجنتانوس » احد ملوك تارسوسس الذين ورد اسمهم فى الوثائق الاغريقية والفينيقية القديمة، فذكر كل منهما وقائع ثابتة عن حقيقة الاسطورة ، كما امكن وصف المدينة وحياتها الماضية عن طريق شفافية الرؤيا وموقعها بالنسبة للشاطىء الاسبانى وجبل طارق ، كما وصف بقايا بعض الاطلال واشكالها وموقعها والتى يدعى انها نفس الاثار التى كشفتها البعثات الامريكية وبعثة جامعة كولومبيا فى العام الماضى .

● التفسير العلمى ●

ان التفسير العلمى الذى توصل اليه علماء الجيولوجيا والاعماق والمحيطات والذى اشتركت فيه المعاهد الروسية والامريكية والسويدية ، يصف التطورات التى حدثت فى التكوين القارى للقشرة الارضية التى نتج عنها نشأة المحيط الاطلسى نفسه ، وهى نظرية الانفصال القارى التى امكن بها اثبات ان شواطىء اوربا وافريقيا الغربية وشواطىء امريكا الشرقية يكمل احدهما الاخر . وكانا فى الماضى كتلة واحدة وانفصلا عن بعضهما وتباعدا بالتدريج . ونشأ عن الانفصال سلسلة من الجبال يطلق عليها الجرف العظيم تمتد من وسط افريقيا وتتصل ببعض شعبها بشمال افريقيا وشاطىء امريكا الجنوبية ، وينتهى الجرف بقاعدته العريضة التى يطلق عليها جرف الدرافيل ، ويقع فى مواجهة جبل طارق وشبه الجزيرة الاسبانية بين خطى عرض ٣٠ ، ٤٥ ويغلب الظن انها كانت قارة الاطلنتس .

ثم حدث تقلص فى المحيط قدر تاريخه بين ١٢٥٠٠ و ١٤٠٠٠ سنة نتج عنه هبوط سلسلة الجبال التى تكون منها الجرف لتدفق تيار الخليج الدافىء من الجنوب الى ..... المحيط وتسبب عنه ذوبان الجليد الذى اطلق عليه نهاية العصر الجليدى . وقد تسبب عن ذوبان الجليد طوفان الماء العظيم الذى اغرق كثيرا من الجزر وشواطىء المحيط . وقد كشف العلماء من اثار الحفريات والغابات وبقايا حيوان الماموث التى وجدت مطمورة فى المستنقعات التى تكونت من ذوبان الجليد ان عمرها يرجع الى ١٢٥٠٠ سنة . كما تبين من بقايا النباتات البرية والصخور البركانية وطبقات الرماد البركانى التى وجدت فى قاع الجرف والتى ثبت انها تكونت فوق سطح الارض ان عمرها يرجع الى نفس التاريخ ، وهو ما اكد حقيقة اسطورة الاطلنتس وتاريخ غرقها الذى حدده قدماء المصريين ، وهو تاريخ بدء الحضارة المصرية .

● هذه هى الاطلنتس التى ورد ذكرها فى « كتاب الموتى » بوصفها: « الجنة والجحيم ـ الجنة التى وعد بها الاله من امنوا به فمنحهم الحق والحكمة والمعرفة فبنوا بها حضاراتهم التى بلغت ذروة الكمال والنعيم ـ وكانت ايضا الجحيم الذى توعد به الاله من كفروا بنعمته وتنكروا لرسله فدمروا انفسهم وسقاهم العذاب ».

وتصف احدى برديات ابيدوس بان الوحش امانتى حارس الجحيم هو الذى قام بتحويل الجنة الى جحيم وقام بتعذيب اعداء الاله ».

وقد وجد اسم امانتى فى اساطير المايا حيث اطلق على اسم الجبل الكبير او البركان الذى يتوسط جزيرة الاطلنتس .

كما تحكى احدى اساطير الاوزتيك ان الجزيرة ستعود الى الظهور ثانية من قاع المحيط بعد ان يطهرها من شرورها وآثامها ...

● الهادي آدم ●

يا أم كلثوم

إغفري..

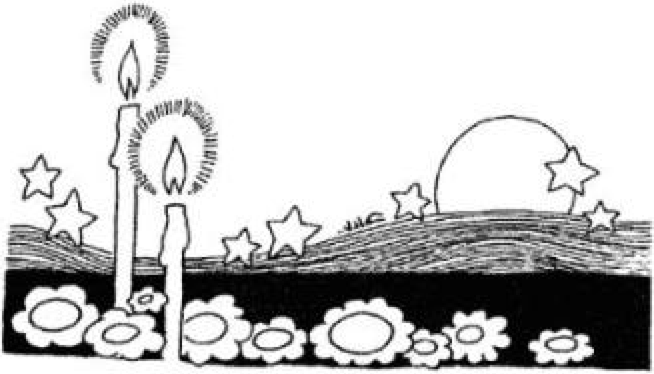
ماذا بكفك من اسى ودموع   حتى تؤجج لوعة المفجوع
طال انتظارك فى العذاب ولم تزل   نهبا لصوت بالعشى مريع
متوجسا في كل خفقة موجة   امرا هنالك منذرا بوقوع
حتى اذا لم يبق غير تعلق   برؤى سراب بالكذاب خدوع
وصحوت من وهم اظلك سحره   حينا ، هفت بك زفرة الملسوع

●●●

يا ايها الناعى المخبر جازعا   مهلا فما خبرت غير جزوع
لا تنعها للعالمين مسميا   يا هول ما تنعى لكل سميع
رفقا باغوار القلوب فما اسمها   الا لاحسان وحسن صنيع
لا تنعها لقبا فما القابها   الا لفن فى الحياة رفيع
للطائر الصداح فى جوف الدجى   والفجر بين تكتم وذيوع
للخاطر اللماح يبلغ حالقا   اعيا خيال الشاعر المطبوع
للهائمين حناجرا مبحوحة   بلقاء وجه للسرور مشيع
نثروا الورود عليه حبا يا لها   من باقة قدسية التنويع
لهفى على ملأ ذوى اكفهم   مطرا يباكر مستهل ربيع
تمضى بهم بيض الليالى حولها   من مستعيد صارخ وضريع
ما بالهم عادوا اسارى صمتها   من كل مكلوم الفؤاد وجيع

●●●

« قصر الزمالك » اين منك مجالس   يا قصر كم حفلت بكل بديع
بالشعر يجرى سلسلا متدفقا   كالماء منسابا من الينبوع



بالفكر يجلو المعضلات كأنه ... شمس تزاود عن ضباب صقيع
يا من لشاردة الغناء يزفها ... أملا يداعب قلب كل ولوع
من للعروبة يفتديها شاديا ... بالنصر بين مضارب وربوع
لفواصل الذكر الحكيم مرتلا ... لمديح أعظم منقذ وشفيع
للمال يبذل بذل من يجد الغنى ... حقا لكل مشرد ومضيع
يأوى اليتيم الى ذراه وانما ... يأوى لركن بالعطاء منيع

***

« يا قصر » يا علياء مجد اقفرت ... من صيدح بالمعجزات سجوع
امسيت « كالتوباد » يوم وداعها ... اسوان قد اجهشت للتوديع
تهتاجك الذكرى فترسل زفرة ... حرى تطيح بقلبك المصدوع
يا ام كلثوم اغفرى ان لم اطق ... وصفا فان الشعر غير مطيع
الشمس انت وكل ثاقب كوكب ... متزود منها بضوء شموع
قضت الحياة بذا فليس لتابع ... فى الفضل مثل مكانة المتبوع
لله من شمس لو ان فداءها ... مهج تلوب لآذنت برجوع
ماذا يقول الشعر فى اوصافها ... عند الغروب وعند كل طلوع
يعيا خيال الشعر وهى حقيقة ... فى الكون ذات علا وذات نصوع
يا جنة الفردوس هذا طائر ... غرد يحط بعشك المرفوع
صونيه مزمارا وخلى صوته ... يرتاد خير ربى لخير ربوع
وليبق فى كنف الخلود مرددا ... اصداء مجد فى الحياة رفيع

• ام درمان •
• الهادى آدم •

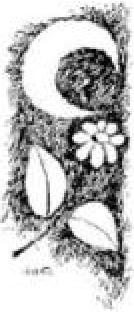
مبارك المغربي

سيدة الغناء

ما بال بــدر الســـماء ينتحب
حزنا ... وشمس النهار تحتجب ؟

ما بالنـــا تهمى مدامعنــا
ان لم يــكن فى انهمالها ســبب ؟

رغم الشـــتاء ورغم حــدته
قد شــب بين ضــلوعنا اللهب



والنيــل مــالى أراه مكتئبـــا
حتى بدا فى ضــفافه الغضــب ؟

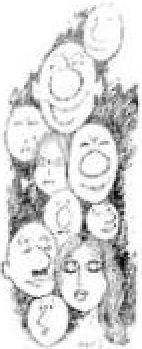
انت عــلى شــدو بــلابله
فاين أين الغنــاء والطــرب ؟

والفن ! ماذا دهاه فأنحبســت
انفاســه ... واللحون تضــطرب

والشرق جــلل افقــه شــرد
حتى كــأن الســماء تلتهب !

قالوا مضــت بقلوبنــا ... وذوت
دنيــا الى العليـــاء تنتسب

« ست الغنــاء » وسر روعتــه
امــا شـــدت يتعجب العجب



عاشت له ورعت صباه فما
جاءت بمثل حدائها الحقب

ذواقة الشعر الرفيع فلم
يبخل لها ذوق ولا ادب

أغرودة الحب التى غمرت
دنيا الهوى وصغت لها الشهب

حتى كأن السماء تلهمها
مالم تجىء بمثيله الكتب

ما قادها فى طريقها نسب
لكن سعى ينتمى لها الحسب

غنت فجادت بخير ما ملكت
للفن والابداع ما تهب

صوت كأن الاله اودعه
سرا ... فكلّ حديثه طرب

يشجى ويسكر كل مستمع
كالكاس يطفو فوقها الحبب

ينساب بين الضلوع منسربا
يغرى بمن ظمئوا ومن شربوا

انشودة الاجيال كم صنعت
بالفن مالم تصنع الخطب !

يا مصر يا دار العلاء ويا
مثوى الالى للعلاء كم وهبوا

ما الخطب الا واحد عمم
رغم البعاد ... فكلنا عرب

القوم من شط الخليج الى
شط المحيط حوتهم الكرب

فيها سعادة اهلنا وبها
آمالنا ... والعطاء والرحب

سيدة الغناء



كانت لنا رمزا لوحدتنا
وملاذنا ان توالت النوب

اقسمت ما اجتمعت اخوتنا
فى مثلها ... او توحد الطلب

بالفن ضمت شتات امتنا
حتى التقت بالاهلة الصلب

لكانها فينا تقول لنا
ماذا يفيد البكاء والشجب ؟

لا تفزعوا والحقوق مهدرة
والحق يحفظه العم السرب

من ذا يروم علو همتها
فى كل بادرة لها داب !

تستنفر العزمات ماضية
لم يثنها عن مرامها نصب

جادت بكل عطائها ... فحكى
عنها العطاء وحدث النشب

ما اروع الالحان قد فعلت
فى النفس ما لم تفعل القضب !

يا كوكب الشرق الذى فجعت
فيه العروبة وهى تحترب

ان طالت الاعمار او قصرت
يوما الى الرحمن تنقلب

يهنيك ما قدمت من عمل
هيهات تخفى ضياءه الحجب

ما مات من عاشت مناقبه
فينا ... ونادى باسمه العرب

● ام درمان ● ● مبارك القربى ●

رشاد
علي أديب



فقيدة العرب وسيدة الطرب

يا كوكب الشرق ناح العود والقصب
لما رحلت وغاب الانس والطرب
غريدة النيل كم اغنية هتفت
بها لهاتك عبت خمرها العرب
واسكرتهم وللت في مسامعهم
ومتعتهم بابهاج كما رغبوا
ظلوا مدى نصف قرن يسعدون بها
وينعمون وقد طابوا وقد طربوا
وانت تشدين بالالحان هازجة
فيستريح بها عان ومضطرب
ان صحت « يا ليل » ليلا هام من وله
وهام سامعه المستحسن الطرب
اوقفت (آه) استعاد الناس (آهك) في
شوق وجدده التصفيق والرغب
« فنانة » الشعب ما اسماه من لقب
احرزته بنبوغ نعم ذا اللقب
لبيت يا ام كلثوم الاله الى
جنات عدن بها الغفران مكتسب
ذكراك خالدة بين الورى ابدا
قد فزت بالخلد فيه الاجر مرتقب

• جبلة — سورية • • رشاد على اديب •

بمناسبة مرور الف عام على ميلاده

الرسالة الهزلية لابن زيدون

كان ابن زيدون ، الشاعر الاندلسي الكبير الذي يحتفل المغرب بذكراه في هذا الشهر، يحب ولادة بنت المستكفي حبا ملك عليه حياته ، ولكنها — بعد غضبة ادبية ، مالت عنه الى ابن عبدوس . فتحايل ابن زيدون حتى عرف المرأة التي تحمل رسائل ولادة الى ابن عبدوس ، واغراها بحمل هذه الرسالة — التي سماها الرسالة الهزلية — الى ابن عبدوس ، على انها من ولادة، لعل القطيعة تتم بينهما

وهذه الرسالة تعد من الطف نماذج ادب الهجاء في الادب الاندلسي :

كتب ابن زيدون هذه الرسالة على لسان ولادة ، لابن عبدوس منافسه في حبها ،

وهي رسالة طريفة من حيث الاسلوب الذي اتبعه فيها ، اذ اجرى على لسان معشوقته تهكما واستهزاء بغريمه . بلغ فيهما شاوا بعيدا في الاجادة.

وكل من يتصفح الرسالة يستطيع أن يرى المشابهات الواضحة بينها وبين رسالة التربيع والتدوير للجاحظ ومعروف أن الرسالة الاخيرة تعرض فيها الجاحظ لاديب كان يكثر من نقده وذمه ، وهو أحمد بن عبد الوهاب الكاتب البغدادي ، واتفق أن كان هذا الاديب قصيرا مطلوءا، فنعته بأنه مربع مدور ، واستمر يضفي عليه صورا ساخرة من الجمال . وصورا اخرى من المعرفة ، ووقف منه موقف المتعلم يسأله عن مشاكل الفلسفة والعلم، واورد عليه كثيرا من أسماء الرجال في كل ميدان من ميادين الثقافة .

وقرأ ابن زيدون هذه الرسالة وأعجب بها ، فحاول أن يصنع على مثالها هذه الرسالة الهزلية ، وهو يستهلها بذم ابن عبدوس ، اذ يقول:

«أيها المصاب بعقله، المورط بجهله، البين سقطه، الفاحش غلطه، العاثر في ذيل اغتراره، الأعمى عن شمس نهاره، الساقط سقوط الذباب على الشراب، المتهافت تهافت الفراش في الشهاب».

وتنطلق ولادة – فالرسالة على لسانها – تصف رسوله اليها وما زينت، حتى خيلت لها انه جمع كل الفضائل من جمال وقوة وسلطان وحسن منادمة وشجاعة ووفاء وحلم وكرم ودهاء وذكاء وبيان وعقل وفلسفة وكلام ومقالة ونحلة.

فهو المثل الاعلى في الاخلاق، وهو المثل الاعلى في الثقافة. وفي كل لون من الوان الاخلاق وكل ضرب من ضروب الثقافة تذكر شخصا يمثله من ملوك الاعاجم وسادة العرب وفلاسفة اليونان واصحاب الكلام والفقه، وتذكر ان صاحبته رفعته فوقهم مكانا عليا.

وكل ذلك يجرى مجرى التهكم مما يستطيع القارىء أن يرجع اليه في فصل النماذج، فهي ترفع من تخاطبه كأنهـا أو كأن ابن زيدون يريد أن يرميه من حالق. وهي تخلط ذلك بسرد الامثال والابيات التي تجري مجراها مستمدة منها الهزء به والعبث بعقله. وما تلبث أن تفصح عما في نفسها، فتتوعده وتنذره، ثم تنهال عليه بالسباب والشتائم، فالشرق والغرب لا يجتمعان، والخبيث والطيب لا يستويان. وتعود فتبرق وترعد فالنار، ولا العار، والمنية، ولا الدنية، والحرة تجوع ولا تأكل بثدييها، وتقول له «ايكرنك من شهدت حولي من اقمار العصر وريحان المصر، واين انت وهم انجم السماء، اما انت ففي الحضيض والدرك الاسفل. وما تزال به حتى تحضه على الندامة من محاولة تنزه منها والاستغفار مما حدثته نفسه بها.

وكل ذلك يساق في سيول من الامثال، وابيات منثورة من الشعر، غير الاعلام واسماء الرجال الذين تزخر بهم الرسالة، وكأن ابن زيدون يؤلف متنا من المتون، فالانسان لا يخلص من معرفة شخص ممن يشير اليهم، حتى يقع في مثل أو حادثة أو في بيت شعر يحتاج الى فضل من الشرح، ولهذا كله عمد ابن نباته الى شرح الرسالة وسمى صنيعه «سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون».

قد يسخر ولكن ...

د. أحمد كمال زكي

— ا —

في تراثنا العربي أن رجلا جاء الى معمر بن المثنى وقال له : ياابا عبيدة ، قد ذكرت الناس وطعنت في انسابهم فبالله الا عرفتني من كان ابوك ؟٠٠ فقال : كان يهوديا بباجروان ٠

وقيل في وصفه انه كان وسخا، زرى الهيئة ، غليظ اللثغة ، لقب بسبخت ولم يسلم من شره احد ٠٠ غير انه امتلك علم الاسلام والجاهلية ، ونافس في البصرة قبيلها الاصمعي ، مدلا عليه بأن في بيته ديوان العرب ٠٠٠ فلما عمل « كتاب المثالب » وفيه من السخرية ما فيه قال الناس : قد والله نفعه ما جمع !

اما هذا الديوان فهو عشرات الاسفار في تاريخ العرب الاولين ، وفي عقائدهم وقبائلهم وايامهم ، وفي المامهم ببعض الكتب القديمة التي خلفها اخنوخ — وهو ادريس النبي — ومن بعده داود وايوب ٠

وباستقراء مؤلفاته التي قاربت المائة ، يمكن أن نتبين عدة أمور يؤكدها ما روى عن أصله ومنبته ٠٠

فباجروان طورانية فارسية ، ويقال عنها ياقوت الحموي ان « عندها عين الحياة التي وجدها الخضر عليه السلام ، وقيل هي القرية التي

استطعم موسى والخضر أهلها ، وقريبا منها كانت شروان التي فيها صخرة موسى المذكورة في قوله تعالى

« قال أرأيت اذ أوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت » فقرر ياقوت أن

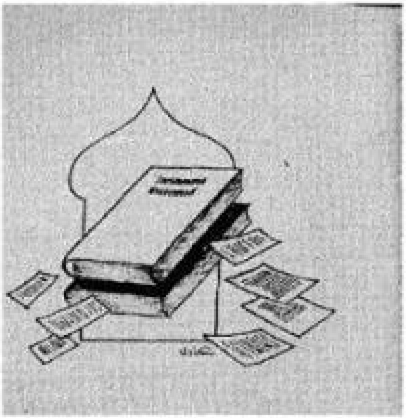
الصخرة صخرة شروان ، والبحر بحر جيلان ، والقرية باجروان ٠

ومعنى هذا كله أن عبيدة معمر ابن المثنى كان على اتصال وثيق جدا بالذين عادوا على ما يقول القرآن الكريم ، قاصدا بقايا جماعة

يهودا الذين سباهم الى بابل نبوخذ نصر في القرن السادس قبل الميلاد ٠٠ ولنقل هنا أن هؤلاء لا يمتون بصلة الى بني اسرائيل المنتمين الى

يعقوب — حفيد ابراهيم الخليل — وكانوا قد تغربوا عن حران بلد الخليل في القرن السابع عشر قبل الميلاد ٠

ومن ناحية اخرى كان أبو عبيدة



ينتمي الى ايـــران ، حيث كانت باجـــروان من ولاية اذربيجان ، وتجتمع فيها العناصر الفارسـيـة والتركيـة ، غير انه رفض ان يرتفع

بولائه إلى غير الفرس ، ومن شأن اى اسرة كأسرته يهودية أذربيجانية - اوخزرية - أن تربط فى الاسلام اخر حلقة من حلقـــات تاريخها

بماضيها البعيـد ، وكان هذا الماضى قد ارسى دعائم الاسطورة ، وبلورها بوجه خاص فى منطقة الهلال الخصيب

ولقد يتـسـورط بعض ابنـاء هذه الاسر فى لجاج ، فيتهم بالشـعوبية

او بفساد العقيدة والمروق ... ومن هنا قيل فى ابى عبيــــدة انه كان مدخول الدين - برغم وضعه ستة كتب فى القرآن وعلومه - واعتقاد

ان يرى راى الخـوارج ، حتى اذا قرأ القرآن قرأه نظرا .

على ان هؤلاء الابناء يحرصـون على الاطلاع والحفظ ، وعلى ادامـة

النظر فى التراث . وتقريبهم ثقافتهم الواسعة بالمقارنات بين الشـعوب ، وبخاصة أن معظمهم ذاع صـيته

ابان هذه اليقظة الاســلامية التى حدت بالموالى الى أن يثوروا من أجل الظفر بمركــز مرموق فى المجتمع العباسى .

وتكشف القائمة التى اثبتهـا ابن النديم فى فهرســته عن كل ذلك ، وعن ان أبا عبيدة آثر بحث المثلى .

لانه من خلال هذه العملية التاريخية يستطيع أن يلغى بما عنده من فكر وكأنه ترك الحاضر ومراحل ما قبل الاسلام لغيره يختصمون فيــه أو يشتجرون .

نقرأ له كتاب خراسان ، مقارع قيس واليمن ، ونقرأ له ايضا كتاب المنافرات ، قصة الكعبة ، فتــوح ارمينية والاهـواز ، ثم نقـرأ له كتاب فضائل الفرس ، وكتاب مآثـر العرب ، وكتاب رستقباز ، وكتـــاب مقاتل الفرسان .

وفى مقدمـة هــذه الكتب يبرز « كتاب الايام » المســطر بضرب انيق من النثر ، وقد رجد منثـورا فى ثنايا كتــابه « النقائض بين جرير والفرزدق » فأثار به الاهتمام، ونبه الدارسين الى صـفحات خطيرة من تاريخ الجاهليين .

واذا كنا نســلم بان ابا عبيدة شاء أن يسـخر بهؤلاء الجاهليين ، ويندد بماضيهم ، ويصفه عقائدهم فى تلك الاوصـــاف الدقيقة التى تعرض فيها للسحرة والكهان وبعض الجان، فلابد فى الوقت نفســه من الاعتراف بأن من هذه السخرية ما يعلم ... أو فلنقل ان ذلك العــالم لم يكن

يســخر بقدر ما كان يمثل لعصره الاتجاهات المختلفة التى ســار فيها حملة القرآن الكريم قبل ان يقتحموا عرش العالم المتحضر ، ولعلنــا من هنا نفهم مغـــزى ان يقول الجاحظ

قد يسخر ولكن..

« لم يكن في الارض خارجي ولا جماعي اعلم من ابي عبيدة »

— ٢ —

ومتابعة ابي عبيدة في النقائض لاكتشاف ما جمعه ونسله عن ايام العرب ، يبين انه كان للعرب القدماء ضرب من التعبير النثرى لا ينتظم في الشعر ولا يندرج تحت ما سجل لهم في الهارق ومسجعات الكهان والخطابة ونحوها .

وبعض المحاولات العلمية المتأخرة في كتاب النقائض — من حيث انه اكبر ما يدل على النهج عنده والاسلوب — يؤكد ان عرض ابي عبيدة للايام يمثل اروع صور الفن القصصى من حيث هو شعر لا يخضع لعروض محددة . وفي الالحاح على الصور التي يزجيها ابو عبيدة — باسنادها عن الاعراب — ما يدل على وجود تأليف ملحمى يعتمد الحادثة التاريخية او صداها ثم يمضي بأناقة لاستيفاء اجزاء الحكاية الدامية المثيرة .

وآية هذا الضرب من التأليف الابيات التي يتحليها السياق لتأييد عربية الرائعة واشباع التفصيلات بيانا .

ولعلنا نستطيع ان نتمثل ذلك تمثلا قويا اذا نحن تابعناه فيما يسرده عن يوم ارزاة الاول او يوم ارزاة الثاني ... بل ان جمال العرض مع محاولة الاستعانة بالخوارق — كتحرك الكواكب وسرى الشجر وتحدث الحية — لا يمكن ان يسطر من عالم محقق او مؤرخ مدقق يقف عند ايام ذى قار والوقيط وذات كهف وطخفة ... ورجال الاسناد عنده غير معروفين غالبا، فقد يكرنون بعض اعراب يفدون من البادية على مربد البصرة . وقد يكونون ممن يلقاهم هو في متاهاتهم من امثال فراس بن خندق وخراش ، ولكن ثمة معروفين في جملة الرواة المكثرين من امثال ابن الكلبى .

وخلاصة ما قرره ابو عبيدة في الايام — من خلال استقراء كتاب النقائض — ان العربى القديم الذى سخر به كل من جرير والفرزدق لم يكن اهلا للشتم .. حقيقة هو يورد قصص شتائم كل منهما للآخر ، غير انه لا يلبث ان تغلب عليه طبيعة الفنان فيروح يتابع الحسب والنسب ، ويؤكد بأكثر من سبيل انه لم يكن بدويا قحا ، وانما كانت له حضارة مدنية ، وقامت له علاقات ، وكان للذين عاشوا من اكثر العناصر التي تمت فيه روح البحث وقص اخبار الامم البائدة .

بل ان البدوى نفسه لم يكن يشعر قط انه وحيد مقهور منسى في العالم، وقد روى هو له مايدل على انه كان يحس انه مع ارواح غير مرئية .. تحس به ، وتلزمه احيانا بأن يؤدى طقوسا معينة للات التي هى الشمس، او للعزى التي هى الزهرة ، او لهبل الذى هو ابيلو او بعل او القمر حين الضوء في السماء ليلا .

ويكشف لنا عن آن ملوك العرب لم يكونوا قلة، بل كانوا ذوى جاه وسلطان ومنهم من ربط نفسه بالكهانة ، حتى للشعر ان هذه كانت

الاطار الطبيعي لتأكيد النفوذ بين الرعية ، وذلك قبل ان تستقل بذاتها ويتخصص لها الراهب الابيلو نحوهما وقبل ذلك عبدوا ووضعت لهم مراسيم خاصة للتقرب ، وانتمى اليهم بعض القبائل ، وحرم قتلهم على الاطلاق ، قال الحارث بن ظالم المرى :

ابلغ جذيمة ان عرضت فانني
عمدا تركتهم عبيد سنان
لوكنت من رهط الحرامل لم اعد
وبنيت مكرمة بكل مكان
القاتلين من المنائر سبعة
في الكهف فوق وسائد الريحان

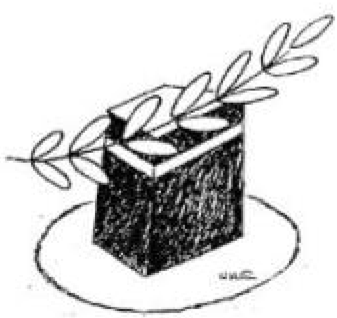
ولم يوضح لنا ابو عبيدة مسندا هذا التحريم — مع أنه يحكى أن من العرب من كان يشفى بدم الملوك — غير انه قدم صورا لاهانة الى بعض الطقوس والى تاب قوم على اسباغ صفة الالوهية على ملوكهم ، ومن هؤلاء عمرو بن هند المعروف بالمحرق ، والمحرق صنم كان لبكر بن وائل ... وكان ابناء هؤلاء الملوك يوزعون في القبائل ، ليظفرون بالقداسة ، ويكونون بمثابة التذكير القائم من أجل الملك المقدس . واذا أناب عنه الكاهن — وقد كان وزيره ومستشاره — لم يكن من حرج أمام هذا الكاهن اذا نادى قومه فقال : ياعبادى !

وبطبيعة الحال كان هناك من يرفض تأليه الملك او تقديس الكاهن ، ومن هؤلاء اللقاح بنو ربيعة ، والحمس بطوق مكة ، وكانوا متشددين بدينهم الوثنى ، وبعضهم كان من أهل الكتاب يعرف تاريخ الابراهيميين منذ كانوا من الارمان او الاكاديين ، وعن بعضهم نقل حمزة الاصفهاني تاريخ العظماء الذين عرفتهم العربية قبل ستين قرنا على اقل تقدير ، وفي بعضهم ظهر شعراء يسجلون بسخرية — كسخرية أبى عبيدة — انفصال سحر الكهانة عن السلطة الدنيوية ، ووصف ابو عبيدة التحامهم هم والغزاة ملاحم العرب ، ثم روى ان عمرو بن الجعيد الكاهن قتل في يوم الكلاب الثانى ، فتهكم عليه علقمة بن السباح بقوله :

لما رايت الامر مخلوجة
اكرهت فيه خرصا مارنا
قلت له : خذها فاني امرؤ
يعرف رمحى الرجل الكاهنا

— ٣ —

وطوال نصف قرن او يزيد ظل ابو عبيدة معلم البصرة — فقد ولد سنة ١١٠ ومات سنة ٢١٠ تقريبا — وعاش في البصرة وهي مسرح عجيب للاحداث والاهواء والفرق والعادات والتقاليد ... نزلها العرب وفيها الانباط ايا كان نسبهم — وهم العنصر الوطنى الذى نهل منهم معارفه عن ثقافتى بابل وكنعان ، وكان هناك قوم من فارس عرفوا بالاساورة ، وآخرون ملأوا القرى حتى ان العرب كانوا — على ما يذكر ياقوت — لا



يكادون يخرجون من أحيائهم حتى يجدوا انفسهم بين قوم من ايران • والى جانب هؤلاء « زط » من السند او الهند ، كثروا بالبلد حتى سميت البصرة القديمة بمرج الهند كما يقول ابن خلدون ، ومن فصيلتهم

السيابجة الذين عملوا جلاوزة وحراس سجون ... ونستطيع أن نضيف الى هؤلاء جميعا الزنوج الذين اشاد بهم الجاحظ في احدى رسائله ، وحملوا لواء الشغب الذي عرف في التاريخ بثورة الزنج •

ولئن كانت التجارة تجمع بين هذه العناصر فقد فرقها احساس عارم بالغربة، وانتهى ذلك ببعضهم الى مزالق شتى • ولكن استحياء الماضي في اطار الاثار العربية

والاجنبية كان طابعا عاما لا شذوذ فيه ، ويخفف من وطأة تلك المزالق، وأعطى هذه الملامح التي تنتظر الباحث في « الايام » كي يضع صورة مغايرة للعرب الجاهليين •

وتتطلب هذه الصورة ضم كل ما يعرف للهلال الخصيب الى سكان نجد ـ وهم الارمان أو الاراميون سكان الجبل ـ بحيث كانوا يتأبون على تغذية وادي الرافدين بالعناصر

البشرية الشابة ، وبهذه العناصر بنيت بابل واشور ، وبها ايضا قامت حضارة الفينيقيين ، ثم بها مالت شعب كنعان حتى قيض الله لقوم موسى ذلك القائد الصموي

يوشع • فكبس بهم ارضهم السطين محتلين اياها ، وذلك بعد التهم موسى نفسه في ظروف غامضة الا عن يوشع خليفته •

ويعرض بعض كتب أبي عبيدة الاخرى ـ وقد وردت اشارات عنها في مصنفات غيره ـ نرى هذه المحاولة التي ندعو الى بذلها ... نقرا له كتاب الموالي في الوقت الذي نقرا له فيه ، كتاب غريب بطون العرب » و « كتاب ايادي الازد » بجانب كتب المقترحات التي امتاز بها ، فنحس بهذه النظرة المتكاملة ، وبهذا الاصرار على ربط جزيرة العرب بكل ما حولها ، ولا يتناقض ذلك وقوفه عند الجزئيات من قبيل تعليقه على بيت جرير التالي :

هم ملكوا الملوك بذات كهف
وهم منعوا من اليمن الكلابا

فقال انه اذا قطعت طخفة ـ بينها وبين ضرية الطريق ، بينها وبين كتة الحمر ـ فهو يوم طخفة ويوم الرخيخ ويوم ذات كهف ويوم خزاز، قال ذلك لانهن متقاربات ، وقوله « وهم منعوا من اليمن الكلابا » انما جاز أن يفخر به جرير لانه فخر على راعي الابل النميري ، ثم اشار الى أن بني يربوع أسروا قابوس بن المنذر بن ماء السماء وحسان اخاه •

مثل ذلك لا يفيد مما هدف اليه ، او لا يفيد مما نرى انه هدف اليه لان الايام باستخراجها من النقائض وترتيبها تعطي عرضا فنيا شاعريا لملاحم عربية تعتبر في نظر الكثيرين حلقة او حلقات من ملحمة جلجامش البابلية المعروفة •

فاذا اضفنا اليها كتبه في حيوان الصحراء وزواحفه وحشراته ـ وهي في نمط مع احياء العرب وعقائدهم ـ نرى بسهولة ان تصوره لجزيرة

قـد
يـسخر
ولـكـن..

العرب حتى في مقاتل أبنائها كان رائعاً ومهيباً وصادقاً ، وكان في الوقت نفسه - برغم نهكه وازدرائه - سجلاً لحضارة يعمد بعض الدارسين الى طمس ما فيه أو الافتراء عليه ٠

هذا على الرغم من اصرار بعض الشعراء - ولعلهم من الصعاليك والأوباش على ما يقول ابن قتيبة - على التحمس لهذه الحضارة ، ففي واقعة خرافية يتصورون فيها رحلة قحطان من بابل الى اليمن يقول أحد الشعراء المجهولين :

انا ابن قحطان الهمام الأفضل
الأيمن المعرب ذي المهلل
الأبين المنطق غير المشكل
خرجت والامة في تبلبل
ياقوم سيروا في الرعيل الاول
نحو يمين الشمس في تمهل

وكان عاد قد حل بالأحقاف بعد مغامرات طريفة ، وسار بعده ثمود ابن عابر بن ارم بن سام لينزل الحجر وهو يقول على لسان شاعر آخر مجهول :

انا الفتى الذي دعي ثمودا
ياقوم سيروا ودعوا التربيدا
لعلنا ان ندرك الوفودا
فنلحق البادي لنا الصنديدا

واما عرب وبار فقد نزلوا في أرض الجن ، وكان كل من ارادها حثت الجن في وجهه التراب وسفت عليه سوافي الرمل وأثارت عليه الزوابع ، فان أراد الرجوع خبلوه وربما قتلوه ، وفي المرويات القديمة أن ديار وبار اقفرت ولم يعد فيها الا الابل الوحشية التي ضربت فيها فحول الجن كالعمانية ، وفي ذلك يقول زهير بن ابي سلمى :

كأني على وحشية أو نعامة
لها نسب في الطير أو كالظليم

وحكايات الجن تذكرنا بخرافات الغول - وهي انثى دائماً - وفيها قال شاعر مغمور اسمه أبو المطراب :

وحالفني الوحوش على الوفاء
وتحت عهودهن وبالبعاء
وغولا قفرة تكنى واني
كان عليهما قطع النجاد

وقرنت الحكايات بين الغول والسعلاة فقال عبيد :

وساخرة مني ولو ان عينها
رأت ما رأت عيني من الهول جنت
أبيت بسعلاة وغول بقفرة
اذا الليل وارى بالدجن فيه أرنت

وتحكي الخرافات أن الغيلان توقد بالليل النيران للعبث بالسابلة وايقاعهم في حبائلها ، وتحدث الجاحظ كثيراً في حيوانه عن هذه النيران ٠

ويطول بنا الأمر اذا وقفنا عند مثل هذه المرويات ، ونحن اذ نتركها على ختام مقالنا هذا ، فانما لنشير الى أن وجودها يعني أن ثمة عوالم خرافية تنتظر من الدارسين أن يلجوها ، وحرية من الميثولوجيين أن يقرءوا ما فيها من خوارق ومعجزات ، وليس ذلك بكثير ، ولا هو دعوة الى الشاذة حيث لا مناط مجد ، وانما هو حق ٠٠ فالعرب الذين عاشوا ليحملوا الاسلام كانوا من سلالة حمورابي ، واعلنوا بناء مجد سرجون الأكبر ، وربطوا العالم القديم شرقه بغربيه ، وعلموه كيف يكتب الأشعار وهو يصلي للعزى ، وكيف يحارب وهو ينقش زهمة معبده دائرة الهلال مجيلا أو « سين » أو « بعل » وفي قلبها الشمس أو اللات ، ولم يستطع أحد أن يماري في كل ما تحمله مرويات ابي عبيدة في كتاب الأيام ، ولا تفصيلاته الشاهدة على الحضرية والامتلاء ٠

عـزى لـبيب

● قصـــة ●

عاشقان

فى ضوء القمر

نلتقى دائمـا ، انا وحبيبتى ، فى نفس المكان حيث الرمل والشاطىء والبحر .. تحت قرص الشمس، عندما ينتصف النهار ... فى ضـوء القمر ، عنـدما يتلألأ على صفحة المـاء ...

على البعد ، يرتفع الزبد الابيض ... يتقدم نحونا مسرعا ويقبل الرمـل ويلامس اقدامنا . بينما تظل يدى تحتضن يدها الملساء كالحـرير . ونبنى باليد الاخـرى بيوتا من الرمـال على الشاطىء ...

فى كل مـرة ، كان هواء البحـر المنعش ، والسـكون المطلق ، واحساسنا بوجود الله يمنحنا قدرا كبيرا من النشاط والحماس والثقة ... تحملنا الرغبـة العـارمة الى ما وراء خط الافـق المنحنى . وتظل تحلق بنـا فى ابراج عالية ...

فى هذه المرة ، بدت حبيبتى ، قلقـة متوترة ... كانت انفاسـها متهدجة ، كانما جرت شـوطا طويلا ... شـعرها غير مرتب ، يدها ملتهبة كجمر النار ... اقلقتنى عينـاها الشاردتان انهـما حبيستـا تفكيرهـا الخفى ، ولا ادرى الى اى مدى يمتد ...

قلت هامسا ، ابدد الشرود والصمت :

– هيا بنا نبنى بيتنا الالف فوق الرمال ! ..

ارتاحـت حبيبتى للفكرة ، ولدرجـة الهمس . ابتسـمت عيناها ، ثم ما لبثتا استجابت بهدوء ... خرجـت من شرودها تمـاما عندما قالت بسعادة :

– حجرة النوم فى الجانب الشرقى .. انا احب الشروق ! .

– واين حجـرة المكتبة ؟

– الحمام داخـل حجرة النوم ، فى الجهة القبلية

– على الناصيـة البحرية امام البحر ..

– افكر فى لون حجرة الاولاد ... البنفسجى الفاتح ، الوردى ...

– مكان حجرة المكتبة الطبيعى أن تطل على البحر مباشرة .

– هل سـنرى لنا اولادا يلعبـون على الشاطىء ويبنون بيوتا من الرمل ؟!

سكتت حبيبتى مـرة واحـدة ! عاد الشرود

يأخذها بعيدا عني · ظللت برهة حائرا في شرودها · رفعت يدي الى رأسها وعبثت بخصلات شعرها الفاحم المسترسل على الكتفين ·

اضافت نصف شاردة:

ـ أنت تحلم ! وأنا أحلم ! نحن الاثنان لا نملك سوى الحلم ··

قلت على الفور :

ـ كل الاعمال العظيمة ، بدأت بحلم !

كلماتك منذ لقائنا الاول ···

ـ كيف انسى عدد البيوت التي بنيناها فوق الرمل ··

يواجهنا ـ انا وحبيبتي ـ الفضاء الفسيح ·· ما فتيء يحتضن البحر عند خط الافق المنحني ···

نظرنا معا ، طويلا في صمت ، الى البحر · يرتفع الموج ويتقدم الزبد · وتأتي موجة ثانية وثالثة ، وتهدم بيتنا ·· وتأتي اخرى · ولا تلبث ان تتراجع !

شهقت حبيبتي وجلة! رفعت عينيها الواسعتين في وجهي منتظرة ما قد انطق به ··· اخذت احدق في عينيها العميقتين ، كي اغرس في ذهنها اصراري ··· احلامي ··· رغبتنا العارمة ·· كانت



عاشقان

مشغولة عني بالنظر الى بيتنا الحلم والى الموجة العاتية ...

قلت اخفف من توتر الموقف :

— كان يجبان يكون الاساس متينا !

— انا وانت ، جذورنا ثابتة في باطن الارض ،

اسعدني تعبيرها ، وايماءاته الرائعة .

— تعالي نصعد الصخرة ...

لففت ذراعي حول خصرها وسرنا معا في صمت... اتكات على تهاليه بها حتى اجلستها فوق الصخرة. عندئذ ، هتفت جزلة :

— الموجة العاتية لتحطم عند الصخرة الصلدة .

رقيقة كلمات حبيبتي وعميقة ! احسست انها ترتفع فوق الشدائد .. تقف صلبة امام المحن، وتزداد تألقا ... لكنها ما لبثت ان انطلقت .. علونها الشرود .. في هذه المرة ، طوانا صمت مرير .. تلاشت ذاتي. اختلني الحلم وسار بي طويلا ، تسلق بي الصخر .. عبرنا بحيرة ماء راكد ... شراع ابيض يشق الظلام ، من بعيد ... لففنا حول المنحنى باقدام ثابتة ... ادركت انني



اجري لاهثا خلف لحظة اود ان امسك بها، كي تكون البداية.. كل شيء حولي يتداخل ويتشابك ! الليل والقمر ... انا وحبيبتي ..

●●●

انت عنيدة! ترفضين اية نصيحة .. قلت لك الف مرة ، اكبر منك بيوم يعرف اكثر منك بسنة ... انا في مقام الوالد، وتوجيهاتي واجبة ... يطلب يدك مني !؟ شيء مخجل ، منتهى التبجح ... واحد يتعامل مع الحجر والجير والرمل .. »

— ارجوك ... لا تسترسل !

— اصرارك هذا يحيرني ...

ويوجه حديثه الذي يقطر سما الى امي .

— وانت ! لماذا لا تتكلمين ؟

— انت في مقام الاب، ولك حق الولاية ...

— انا لست صغيرة لكل هذا التأنيب ...

— شيء مخجل بنت الاكابر تناسب ابن « الفاعل » ...

— ارجوك ! كفاية ، كفاية ...

— اقسم بالله العظيم ان لم يتغير موقفك ، احرم امك من سبيكة الذهب ، ومراكب الصيد ، وعزبة البرج.

كان ذلك قبل الميلاد بملايين السنين.. كانما لم يتغير شيء .. المؤسف انه لن يدرك انه من البدء كان الحب . هو وانا .. انا وحبيبي ..

●●●

سألتها مستفزا كي اخرجها من دائرة الصمت والشرود :

— لماذا تزوجت امك الطيبة هذا المنافق ، ربيب عصر المماليك ..

قالت حبيبتي بهدوء وثقة :

— ربما اكون انا السبب ... ارادت ان توفر لي حياة كريمة واكمل دراستي ...

لختنق صوتها ،

واختبست الكلمات ... طوحت راسي الى الخلف قليلا . نظرت الى البحر وهمست كمن يحدث نفسه :

ـ كم اود ان تكون رسالة الدكتوراه عن الاقطـــاع في عصر المماليك . وعن .... بيت وكانها لم تسمع شيئا ... اضـــافت ، ونبرة حزينـــة تغلف صوتها :

ـ بعد ان تهـــدم منزلنا بفعـــل قنـــابل الطائرات ؟! منزلنا ذو الطوابق السبعة ... في لحظـــــات تهدم الشارع كله .. انتشر الخراب بشكل مذهل ! وجرينا الى المستشفى . ضرب هو ايضـــا ... لم نصـــدق ابدا اننـــا فقدنا والدي داخله .. انتشر الخبر الاسود ، الخبر مات ، الخبـــر مات .. كان اشد عنفا من قنابل الطائرات .

لفظتهاهامسة ويتاثر شديد :

ـ رحمة الله عليه . كفـــاه فخرا انه من الشهداء .

اســـتمرت حبيبتي تسترجع شـــــكايتها الحزينة :

ـ بدت الشـــوارع خالية، واظلمت المدينة. دهمنا شعور بأن كـل شيء امس غير حقيقي لا نستطيع ان نصـــدق ان الحياة قـــد انتهت انتهت هكذا فجاة ! او اننا ــ انا وامي ــ اخر من بقي من اهل المدينة ... عبرنامحطة السكة الحديدية والميدان .. ثم انطلقنا الى الخلاء ..

لماذا نبشت احزانها؟! احسست بالندم ،ولعنت تفكيري .. لانشغلت في البحث عن اقرب وسيلة احول بهـــا افـــكارها الحزينة ، اجعلها تتوقف او تنظـــر الى اي شيء اخر ..وتشابكت كلماتها مع وساوسي ..

ـ كان هو اول مـــن استقبلنا عند اول قرية انتقلنا اليها.. لم نكن نحمل سوى ملابســـنا التي كنا نرتديها .

فقدنا كل شيء ...

الاب والمنـــــزل والمدينة ...

رحب بنا وفتح منزله على سعته ، اعترافـــا منه بدينه لوالدي المرحوم عليه . كانا صديقين يتـــزاوران ... وقف والدي بجانبـــه الى ان رفعه الى اعلى درجات الصحة والعافية، انقذه من انهيار ... افكاره الوهمية ، واشـــباح تطـــارده في كل مكان كانت تقضي عليـــه نفسيا ... لذلك تكفـل بنا . كان اعزب فتزوج امي ... انجب منهـــا طفلين خلال السنوات السبع ...

كل ما مـــر بنا من احداث ، يبقى فينا ، لانه اصبح جزءا منا ، لن ينفصل عنا ابدا ، ولن ننفصل عنه. اليس كذلك ...

اجبتها على الفور ، حتى قبل ان افكر !

ـ يعلم اللـــه كم من الناس يعيشون كالمجانين مثل زوج والدتك ... ويعلم ايضـــا ، كم في السجون من مظاليم ، مثلي انا يا حبيبتي ، ســـجين حبك واسير هواك ... وكم ادعـو الله ان يشفي المجانين وان يفرج عن المظاليم .

فـــرحت حبيبتي وضحكت بســـعادة . وضـــحكت انا ايضا . جذبنا معا نفسا طويلا من هـــواء البحـــر المنعش .. حملت لنـــا نسائم الليل الطليقة ــ ونحن جالســـان فوق الصـــخرة ــ اغنية فيروز . وكان صـــوتها يصدح حولنا ...

سالتني بدلال :

ـ من منا يحب الاخر اكثر ؟...

طرفت جفونهـــا ... ارتسمت ابتسامة خجلة على شـــفتيها . ادركت على شـــكل ما انها اسرعت في الاعتراف .

اجبتهـــا دون تفكير مسبق :

ـ انا من الجنوب .

عاشقان



من سلالة الفراعنة ٠ بنت الاهـــرام واقمت المعابد ٠٠ هل يستطيع

زوج والدك ان يفخـر بشيء ! امجادي راسخة على الارض لكل الاجيال القادمة ٠٠٠ احبك ٠٠

احبك واغار عليك ٠٠٠ معك يا حبيبتي ، معك وحدك ، استطيع ان احلم وافكر ، واتالم ٠٠٠

فتحت حبيبتي عينيها على اتساعهما ٠٠٠

قالت تشع رقة ومودة:

مما شجعني على ان اقص عليها قصـــة ، اخمس ، وكيف جمع امراء طيبة وطـــارد

الهكسوس ٠٠ تضحك حبيبتي بســعادة ٠٠

عيناها تشعان الوانا من الغبطة ٠

اضحك وانا اضحك ايضا دون ســـبب واضح !

ـ عندما نصعد معا الى القمـر ، انا وانت

وتمسك بايدينا نجـوم السماء ٠٠ عندئذ فقط ندرك اننـــا لسنا في حاجة لسبائك ذهبية ٠٠

وامـوال قارون مدفونة في قاع البحر ٠٠٠

يجلجل صوت حبيبتي بالضحك ٠ وانا ايضا ٠ تمتزج الضحكات ٠٠٠ لم نفكر قط لماذا كنا

نضـــحك او على اى شيء نضحك هكذا ٠٠٠

حملتنـــا اللحظة الى ابراجنا العالية ٠٠ لم نكن نشـــعر باى شيء حولنا ٠ لا الليل ، ولا

القمر ، لا هدير البحر ، ولا الموجة العاتية عندما تتحطم تحت الصـــخرة

الصلدة ٠٠ انا وحبيبتي فقط ، لا احد غيرنا ٠٠

فجاة ! بدت حبيبتي

جادة منتبهة ! توقفت انا ايضا ، احســـست

برجفة ما ٠٠ كان ثمة شبح او ظل يمتد طويلا امامنـــا ويخرق ظلينا ،

المنعكسين تحت ضــوء

القمـــر ٠ تلفت الى الخلف ٠٠٠

كان حارس الشاطيء الليلي ٠ ربما جـــاء

على ضحكاتنا المجلجلة ٠ صعد الصـــخرة ، دون

ان نشـــعر به ٠ فارع القامة عريض المنكبين ٠

القائلة الزرقاء مزمومة عنـــد الرقبة ٠ الطاقية

البيضاء تغطي الراس ٠ ظل ثابتـــا في مكانه

يحجب عنا ضـــوء القمر ٠٠٠

تساءلت في خاطري:

ـ الم يعرفنا ؟! وقد حفظنا الرمل والشاطيء والبحر ٠٠

همســـت حبيبتي في اذني :

ـ لابد انه عين حديثا في هذا المكان ٠٠٠

بقي واقفا في اصرار المتحدي ٠٠٠ ينظر الى

البحـــر تارة ، والينا تارة اخرى ٠٠٠ ثم ما

لبث ان افصح بكلمات

واضحة ٠٠

ـ مهمتي ان امنـــع العشاق من الانتحار ٠٠

وان لم انجـــح ، يجب على ان انقذهم واعود

بهم الى الشاطيء وان ابلغ عنهم ٠٠٠

هتفت حبيبتي على الفور ؟

ـ ايها الحـــارس الامين ٠٠٠ نحن ، انا

وحبيبي لم نياس بعد ! ولن نياس ٠٠٠

ما اروع حبيبتي ٠٠

اجابت على تساؤلاتي وشكوكي .. كم اود ان اعيش حياتي بلا عقد! بلا خـــوف ! انشر شراعي الابيض فــوق خط الافق المنحني بـــلا نهاية .

قلت بصوت واضح:

ـ ايها الحـــارس العظيم .. انا وحبيبتي لم نفكر في الانتحـــار قط ...

ـ انا وحبيبتي نقدر نواياك الطيبة !

قال الرجل بتحد :

ـ لا يستطيع احـــد ان يخدعني

ـ صدقني عنـــدما اقول لك ... اقســـم بالرمل والليل والبحر.

ـ مرت على احداث كثيـرة .. كانت تاتي دائمـــــا مع الليالي القمرية !

ـ تعني العشـــاق اليائسين ؟..

ـ هل سنقتل وانقذ هكذا ؟

ـ اعرفهمن تجاربي الكثيرة فيكل شاطىء. من الشـــاطىء الى سيدي بشر .. اعرفهم عندما تتشابك الايـدي مودعة .. ياتون دائما سـعداء .. فرحين ، ويضحكون ويمرحون . بعـــد لحظات يلفهم الخوف والصـــمت واليأس !

ـ بارك اللــه فيك واطال عمرك ...

ـ الستما عاشقين ؟!

اجبته بشجاعة .

ـ نعم نحن عاشقان.

نضحك في وجه الليل ونبتسم للقمر !

ـ اليس هذا غريبـا وشاذا ؟!

ـ لـــماذا لا تجلس معنا ؟

ـ أريد أن اطمئن .

ـ ايها الرجلالطيب،

دعني اعترف لك.. انا وهي ، كم بنينا بيوتـــا من الرمـــــال على الشاطىء. وكلما حطم لنا الموج بيتا ، بنينـــا غيره .. نقف ضـــد الموج ولا نخاف الريح العاكسة ...

ـ انا وهي لناالارادة قوية ...

ـ على اية حـــال ، ســيبقى كل شيء كما هو . الرمل والشاطىء والبحر .. لن تفقـــدا سوى انفسكما ، انتما فقط ...

تســـاءلت حبيبتي معاتبة ؟

ـ لماذا تقولينا هذا الكلام ؟

كم اود ان لمســـه نجمة من السماء اضيء بها قلب كل رجل يصر على ان يقف في الجانب المضاد ...

اضـــاف الرجل بعد فترة صمت :

ـ انا ذاهب . لقـــد هدأت النـــوة وانصرفت عن الشـــاطىء .. انا ذاهب كي ارفـــع الراية البيضاء ...

●●●

في كل ليلة، يتعاون الصـــيادون في جذب الشباك من البحر ... سراويلهم متهـــرئة ، واجسامهم عجفاء ... واحيانا في ضـــوء الفجر ، يفعلـــون نفس الشيء بعناد اقوى ... وفي كل مـــرة ينشرون فيها شراعهم الابيض ، يضحكون في وجهالليل يبتسمون للقمـــر ، وينظرون الى البحر ..

● حسن كامل الصيرفي ●

أهداب

أهداب أجفانك يا ساحره
مروحتا أميرة آمره

يرعاهما عبدان ، لم يألوا
يراقبان الأعين الناظره ...

ظلال نخل تترامى على
بحيرتي ملس رؤى عابره

ألقت على الأجفان أسطورة
تنقلت من أعصر غابره

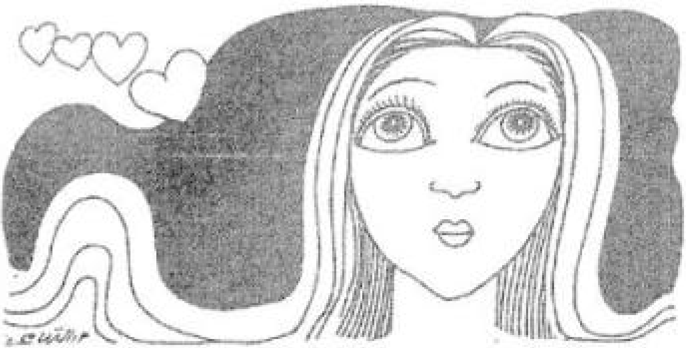
ولم تزل ترقد أطيافها
في نشوة فتانة غامره

تنفحها الأصداء في مرها ...
وفي سراها النسمة الخاطره

والليل من أصباغها سحره ،
والفجر من أنفاسها العاطره ...

***

أهدابك الرفافة الثائره
أوتار قيثار الرؤى الساحره



كرعشة النور ... كخفق الجنا
حين .. كرجع النغمة الساحره
عازفها الليل ... وسمارها
كواكب فى حانة ساهره
على ندامى لم يزل دنهم
يحمل من طيبة للقاهره
كهان منف عتقوا خمرها
حتى استحالت أنفسا شاعره
تروى على الكاس أحاديثها
فينتشى السامر والسامره
ترنيمة يعذب فى مسمعى
ترداد‍ها ألحانها الآسره
***
قصيدة أنت ... وأبياتها
أهدابك الرفافة الثائره ..

د. صلاح عدس

تذكرة طبية

ارتفاع ضغط الدم

أنت طبيب نفسك ...

بمعنى أنه يمكنك تجنب المرض قبل حدوثه ، أو مقاومته في بدايته ، أو التخفيف منه إذا كان قد لازمك منذ زمن طويل ... فهناك دائما ثلاث حالات لصحتك بالنسبة لأي مرض فإما أن يكون المرض لم يظهر بعد وهنا تجدي الوقاية ... وإما أن يكون في بداية ظهوره ، وإما أن يكون مزمنا ، وهنا يمكن التحكم فيه أو التخفيف منه أو علاجه ...

وفي كل من تلك الحالات الثلاث أنت طبيب نفسك ، فهل يصدق هذا على مرض ارتفاع ضغط الدم ؟... الحل ... الآن ماذا تفعل حتى تتجنب إصابتك بهذا المرض ؟ وماذا تفعل إذا كان قد أصابك في بداية الأمر أو منذ أمد بعيد ؟



أولا ، لنعرف ما هو ضغط الدم..

إننا نعلم أن القلب حين يتقبض أو على وجه التحديد حين ينقبض البطين الأيسر ، فإنه يدفع الدم في الشريان الأورطي وهو الشريان الرئيسي في الجسم ثم باقي الشرايين الفرعية فتتمدد جدرانها ثم تنكمش بعد ذلك . وهذا التمدد والانكماش المتواليين يحدثان موجة اهتزازية تسمى باسم « النبض » .. أما

ضغط الدم فهو شيء آخر ، اذ ان مرور الدم المدفوع بقوة يلقى مقاومة من جدران الاوعية الدموية ويعبر عن هذه المقاومة باسم « ضغط الدم »··

ويبلغ ضغط الدم العادى فى الشاب حوالى ١٢٠/٨٠ وهذان الرقمان هما تسجيل لقياسين احدهما عند انقباض القلب (١٢٠) والاخر عند انبساطه (٨٠) .

ويختلف ضغط الدم الطبيعى من شخص الى آخر من ١٠٠/٦٥ الى ١٥٠/٩٠ فاذا قل عن ذلك كان منخفضا ، واذا زاد عن ذلك كان مرتفعا ، مع العلم بأن ضغط الدم لدى الشيخ العجوز يزيد عما هو لدى الشاب ···

والان ، نتساءل ما هى العوامل والاسباب التى تؤدى الى ارتفاع ضغط الدم ؟

ان الاجابة على هذا السؤال تفيدنا فى تجنب هذا المرض والوقاية منه·· وهنا نجد على رأس القائمة العوامل النفسية والاكتئاب ، والانفعالات ، والاجهاد العصبى ، وكل ذلك يؤدى الى ارتفاع ضغط الدم ···

فما هى العلاقة بين الانفعال وضغط الدم ؟

المعروف طبيا أنه عندما يغضب الانسان أو تنتابه حالة من التوتر والانفعال ، فان الذى يشيع فيه ذلك التوتر هو جهاز عصبى خاص يسمى بالجهاز العصبى الذاتى ، أو « الجهاز السمبتاوى » ، وهو يعمل بطريقة اوتوماتيكية لا دخل فيها لارادتك ، فترى نفسك وقد ازدادت ضربات قلبك ، وزاد النبض وأسرع التنفس ، واحمر الوجه ، وتصبب العرق ، وارتفع ضغط الدم ··

ويساعد على اشاعة هذه الحالة افراز مادة الادرينالين ، وهو هرمون تفرزه الغدة الكظرية التى تقع فوق الكلية ···

فاذا تكررت الانفعالات تكرر افراز الادرينالين باستمرار ، مما يؤدى فى النهاية الى ارتفاع ضغط الدم ·· لذلك تتضح اهمية تجنب الاكتئاب والانفعال فى الوقاية والعلاج لضغط الدم المرتفع ···

وهناك اسباب اخرى عضوية تؤدى الى هذا المرض مثل عدم احكام صمام الاورطى او الصمام الثنائى بالقلب ·· كما قد تكون الاسباب خارجة عن جهاز الدورة الدموية مثل اضطرابات الغدد الصماء او التهابات المخ او امراض الكلى ··

كما أن تصلب الشرايين من اشهر أسباب ضغط الدم المرتفع وهى حالة تصيب غالبا كبار السن ممن يعانون من السمنة وسببها زيادة نسبة مادة «الكوليسترول» فى الدم ···

والكوليسترول هذا هو مادة تنتج فى العمليات الكيماوية داخل الجسم، وعندما يحدث خلل فيها تزداد نسبة هذه المادة وذلك بسبب الزيادة فى تناول الدهنيات ··· ونتيجة لهذا تظهر حبوب على السطح الداخلى للشرايين وتصبح خشنة ويضيق تجويفها بل تحدث أيضا ترسيبات



جيرية لمادة الكلسيوم في هذه الحبيبات ، وبذلك تفقد الشرايين مرونتها وتصبح اكثر صلابة وبالتالي تزيد مقاومتها للدم ، ومن هنا ينشأ ارتفاع ضغط الدم ... وللعوامل الوراثية ايضا اثر في نشأته الى جانب تأثير السمنة وزيادة الاكل ، وكذلك بعض الامراض مثل السكر ..

والضغط المرتفع غالبا ما يصيب الرجال اكثر من النساء وذلك بعد سن الاربعين .. وقد لا يعاني الشخص من اية اعراض او من اعراض خفيفة وهذا ما يحدث عادة في الاناث .

الا ان اعراض الضغط المرتفع هي الصداع ، والدوخة ، والزغللة ، و « وش » الاذن ، والاحساس بدقات القلب ... فاذا كنت تشعر بذلك فلا توهم نفسك ، لان الاعراض تتشابه لكن الامراض تختلف ، والضغط المرتفع لا يعرف الا بقياسه بجهاز خاص ، اما الصداع والدوخة وما الى ذلك فلها اسباب اخرى كثيرة ...

ومن بين الاعراض الاخرى للضغط المرتفع والتي تتشابه ايضا مع الامراض الاخرى ، ما قد يحدث من نزيف خصوصا من الانف ، وكذلك النهجان عند بذل اى مجهود اذا كان هناك هبوط في القلب .

وعموما لا داعي للوهم فهناك لكل من هذه الاعراض الف سبب ، والا فانك ستتحول الى « مريض الوهم » الذى حدثنا عنه موليير الكاتب الفرنسي الشهير في مسرحية بهذا الاسم !

والان تستطيع أن تعرف ماذا تفعل حتى لا تصاب بهذا المرض ، وذلك بتجنب الانفعالات ، والتخلص من السمنة ، وعدم زيادة الاكل ، وتجنب الاجهاد العصبي ، والاهتمام بعلاج مرض السكر وعلاجه اذا كنت مصابا به .

اما اذا كنت مصابا فعلا بارتفاع ضغط الدم في بدايته فيمكنك أن تكون طبيب نفسك بأن تلزم الراحة وأن تمارس حياتك باعتدال ، وأن تتجنب المجهود العقلي والانفعالات العاطفية الشديدة . وأما اذا كان الضغط لديك عاليا ومزمنا فلتركن الى سريرك للراحة يوما من كل اسبوع ، مع تناول طعام خفيف لا يعطي طاقة حرارية كبيرة وانما يمتلىء بالفيتامينات ... وينصح بعض الاطباء بأن يخلو الطعام من الملح وعدم تناول السوائل بكثرة وأن تعتدل في التدخين ...

والاكلات الصغيرة المتتابعة بين حين وآخر افضل من الاكلات الدسمة ، كي تتجنب بذلك امتلاء المعدة الذى يسبب الاحساس بسرعة دقات القلب ...

واخيرا فان ضغط الدم المرتفع يمكن التحكم فيه عن طريق المهبطات والادوية الخاصة التي تخضع لاستشارة طبية تخفف من ارتفاع الضغط ...

هدية العدد
صورة
مصطفى صادق الرافعى



● ولد سنة ١٨٨٠ لاسرة لبنانية الاصل تسكن طرابلس الشام وهاجر افرادها الى مصر حيث اشتغل معظمهم بالقضاء الشرعى .

● تربى تربية دينية ودخل مدرسة دمنهور الابتدائية فى الثانية عشرة من عمره .

● فى سنة ١٨٩٩ عين كاتبا بمحكمة طنطا الشرعية ثم نقل الى محكمة إيتاى البارود ثم الى محكمة طنطا الشرعية فالاهلية وظل فى هذه الوظيفة حتى مات سنة ١٩٣٧ .

● ظهر ميله لنظم الشعر مبكرا، ولما نشر ديوانه سنة ١٩٠٢ قرظه المنفلوطى اشهر ادباء العصر اذ ذاك ، وكذلك حياه الشيخ محمد عبده . وفى سنة ١٩٠٣ نشر الجزء الثانى وفى سنة ١٩١٢ نشر الجزء الثالث .

● بجانب ذلك الديوان نشر « النظرات » سنة ١٩٠٨ وهو ديوان اخر غير نظرات المنفلوطى .

● وفى سنة ١٩١١ نشر الجزء الاول من كتابه « تاريخ ادب العرب» وفى العام التالى نشر الجزء الثانى ولما كان يعرض فى بحثه لعهد نزول القرآن وللقرآن نفسه فقد سماه «اعجاز القرآن» واعجب به الدارسون وقرظه سعد زغلول .

● منذ فترة ماقبل الحرب العالمية الاولى . عرف الرافعى كاستاذ للبيان العربى الجميل وكان قد جبا لونا من الانشاء الرقيق الشاعرى بكتابه « حديث القمر » سنة ١٩١٢ ، ثم « المساكين » سنة ١٩١٧ كانه يعارض « بؤساء » هوجو ثم « رسائل الاحزان » سنة ١٩٢٤ ثم « السحاب الاحمر » واخيرا « أوراق الورد» .

● فى سنة ١٩٢٦ نشر كتابه « تحت راية القرآن او المعركة بين القديم والجديد » عقب ظهور كتاب « فى الشعر الجاهلى » للدكتور طه حسين ، وفيه صوب سهامه للمجددين من أمثال العقاد وطه حسين وغيرهما

● اسهم فى تحرير مجلة «الرسالة » وبعد وفاته جمعت مقالاته ونشرت فى ثلاثة أجزاء تحت اسم « وحى القلم » نشرته لجنة التاليف والترجمة والنشر .

● كان مصطفى صادق الرافعى علما من أعلام الادب،شاعرا وكاتبا واديبا ومؤرخا ، واماما خدم العربية خدمة صادقة وترك بوفاته فراغا كبيرا ، فقد صور لنا فى كتاباته الحب العفى الطاهر والانسانية السامية والبشرية المثالية ، وصور الحياة بافراحها واتراحها ببؤسها ونعيمها ، بحبورها وشقائها .

● الف الرافعى نشيد مصر القومى الذى رددته الجماهير من عام ١٩٢٣ الى عام ١٩٣٦ والذى يقول فيه : « حماة الحمى يا حماة الحمى »

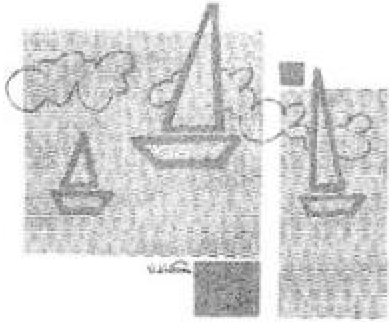
● ظل الرافعى طوال حياته ونضاله ومعاركه الادبية يعيش فى طنطا فى وظيفته المتواضعة كاتبا باحدى محاكم الاقاليم وبمرتب صغير وظل هكذا الى اليوم الذى ودع فيه الحياة فجاة وفى هدوء يوم ١٠ مايو سنة ١٩٣٧ . مخلفا تراثا ادبيا وانسانيا يخلده شاعرا وكاتبا وناقدا لغويا من طراز فريد ..

د. مختار الوكيل

بنى النيل !

بنى النيل ، انى الصب   الى مهد الهوى يحبو
هو العشق الذى ما بعده عشق ، هو الحب
سلافة نيلنا تصبى   ومن يذق الطل يصبو
رضعنا الحب مذ ذقنا   رحيق النيل ، يارب !
أتانا النيل بالخير   حدائق شطه غلب !
وملء حقوله قطن   والفاكهة بها أب .. !
وواد يزدهى القا   به الزيتون والقضب !
متاعا للأل حصلوا   وعذبا ذلك النخب !
فهل اكفر بالحب   الذى غنى به القلب ؟
معاذ الله ان انسى   معاذ الحب ان انبو !
وعهدا أن يفىء الحب فى قلبى ، فلا يخبو !
وهل يخبو هوى يغلوه نيل منعم عذب ؟
بنى النيل دعا الداعى   وكان دعاؤه : هبوا !
وفى رمضان قد جاءت   لتشفى غيظنا الحرب !
وهب الجند ، فالتحموا   قلاع الظلم ، وانكبوا
« وبارليف » هوى بددا   وجند الله قد لبوا !

● كان مفروضا أن تلقى هذه القصيدة اثناء رحلة المجلس الاعلى للفنون والاداب الى السودان فى ديسمبر ١٩٧٤ ، وشاء الله أن يقراها ابناء السودان الحبيب على صفحات الهلال .

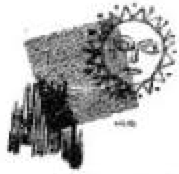


من السودان قد هرعوا   وسيناء هي الصوب !
ومن كل بلاد العرب   اقبل ذلك الركب !
فكانت وحدة كبرى   فلسطينُ هي القطب !
هو الحق الذى نادت   به الآيات والكتب !
على الباغي يدور الخزى   والويلات ، والكرب !
والا ، اين « ماليير »   واين حديثها الكذب !
« وديان » الكريه هوى   مهينا ، ذلك الوشب
لقد ناح على الطاغوت جند ركنه العرب !
وامسى بائسه منزقا   وقد اودى به النصب
فان ينعق له خلف   فلن يرهبنا النعب
بل الويل له الناعق مغرورا ، له الويب (١) . ! .
وحرب الامس تذكرة   والا غاله العطب ..
بنى صهيون ، هل فيكم   فتى قد آده الرهب
يسوقكمو الى رشد   وذلك مركب صعب
فتنصاعون للحق   الذى يدعو به اللب
والا فالعفاء على   مغان شادها الغرب (٢) ..

---

(١) الويب : الويل
(٢) الغرب : جمع غراب

بنى النيل



اصيخوا ، وارحلوا عنا … اصيخوا آلن الركب
ولن ينجيكمو زهو … ولن ينقذكمو عجب
فحكم الله ان تيهوا … وانتم فى الورى سلب
دهاكم جشع طاغ … يكون ضياعه الغب (١)
ولن ينفعكم عون … ولن يجديكمو عب
قضاء الله محتوم … لنا النصر ، لنا الغلب

بنى النيل ، وحسب النيل ان يجمعنا ، حسب ! .

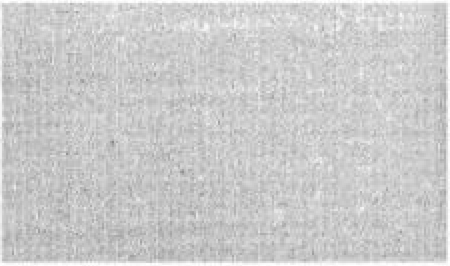
ويحدونا مع العرب … وفاء نادر ، صلب !
ظهرنا امة وسطا … فلا شرق ولا غرب !
وقرآن يوحدنا … وينصرنا به الرب . !
ومد لدنا به هديا … اتانا النصر ينصب
اعزوا جانب القرآن … فهو الصارم العضب !
به النصر لنا آت … وحتما يسهل الصعب !
وشرق دربنا القا … ويدرك مجده الشعب !
وايم الله يجمعنا … طريق واضح رحب !
رعا الله (رباط الفتح) … حيث اخضوضر العشب !
وحيث منى الشباب زكت … وحيث تحقق الارب
توحدت القلوب بها … ونال بها المنى الصب
(فلسطين) بها بزغت … هى النجم ، هى القطب !
واسرائيل فى نكد … فقد أرهقها الضرب
وعقدة ذنبها تلقى … ويزهق روحها الذنب
فيا امة صهيون … حذار ، فقد عوى الذئب !
وقد ودع سمار … وقد آدهمو اللوب (٢)
فحى على الفلاح الان … وسودوا الكون يا عرب !

---

(١) الغب : العاقبة
(٢) اللوب : الظما

علي
أدهم

من الأدب القصصي الاسباني



أدب القصة والرواية الاسباني نصيب موفور من أدب السخرية الذي يتناول بالنقد العادات والتقاليد والاوضاع الاجتماعية ونواحي الشذوذ في الاخلاق والسلوك البشري ، ولا تزال رواية مغامرات « دون كيشوت » وتابعه « سانكوبانزا » التي كتبها « سرفانتيز » في طليعة الروايات العالمية الحافلة بأدب السخرية والفكاهة ..

وكتاب « حوليات السيد » وهو البطل المعروف في التاريخ الاسباني يحوي الكثير من الاحداث والنوادر والروايات والاساطير التي تدور حول مغامراته ومواقفه البطولية ، واسم هذا البطل الذي اشتهر بلقبه السيد في اللغة الاسبانية « روي دياز دي بيفار » ، واصله من مدينة برغش في قشتالة ، وقد نفاه الفونسو الاول ملك قشتالة في سنة ١٠٨١ ميلادية لتهم نسبت اليه حينما ارسل الى اشبيلية لتحصيل الجزية ، وقدم خدماته بعد ذلك لملك سرقسطة المسلم وحارب في صفه دوق برشلونة ، وبدأ يعمل بعد ذلك للاستيلاء على بلنسية، واستولى عليها بعد حصارها سنة ١٠٩٤ (١) وظل يحكمها حتى وفاته بعد ذلك بخمس سنوات .

ومن أوائل رواد القصة في الادب الاسباني دون جوان مانويل الذي عاش من سنة ١٢٨٢ الى سنة ١٣٤٨م وهو حفيد الملك فرديناند القديس وابن اخي الملك الفونسو الحكيم ، وقد ولد في نواحي طليطلة وكان سياسيا

---

(١) صفحة ٧٢ من كتاب تاريخ اسبانيا والبرتغال تأليف وليام اتكنسون .

من الأدب القصصي الاسباني

وجنديا وكاتبا ، وتقوم شهرته الادبية على كتابه « كونت بوكانور » وهو مجموعة من القصص تهدف الى عرض امثلة للمبادىء الاخلاقية ..

ومن هذه القصص قصة « الرجل الذى تزوج امراة سيئة الخلق » — وارجح انه كتبها متأثرا باطلاعه على بعض القصص العربية ، والنوادر الشرقية — وقد استهلها بحديث بين الكونت لوكانور ومستشاره باترونياس يوجه فيه لوكانور الى باترونياس الحديث قائلا « اخبرنى احد اتباعي انه قد عرض عليه الزواج من امرأة ثرية مكانتها الاجتماعية اسمى من مكانته ، وان العرض يغرى بالقبول ، ولكن هناك مانعا واحدا فقد اخبرت ان السيدة المذكورة سليطة اللسان ميالة الى المشاجرة ، وليس لها فى ذلك مثيل ، واريد ان تدلى بنصيحتك فهل اشير عليه بزواجها وهى على ما هى عليه من الصفات او ان انهاه عن الاقدام على ذلك ؟ » .

فقال له بترونياس « اذا كان تابعك يشبه ابن السيد المغربى الماثل فى ذهنى فانى ارى ان تنصحه بزواجها ، ولكن اذا كان لا يشبهه فانصحه بعدم القبول » .

فطلب اليه الكونت ان يحدثه عن هذه المسألة .. فاستجاب بترونياس ، ومضى يروى قصته قائلا :

« انه كان يعيش فى احدى المدن رجل له مكانة اجتماعية حسنة ، وكان له ابن شاب له مواهب عظيمة ، ولكن ثروته لم تكن كافية للمساعدة على القيام بما يتطلع الى تحقيقه من الغايات ، وما يحاول اصابته من بعيد الاهداف ، ولذلك كان يغلب عليه الحزن والاكتئاب ، لانه يملك الارادة وتنقصه الوسائل .

« وفى المدينة نفسها كان يعيش رجل اخر يفوقه كثيرا فى سمو المكانة وسعة الثراء ، وكانت اخلاق ابنته الوحيدة على نقيض اخلاق الشاب ، لانها كانت شديدة الجفوة غليظة الطبع ، وهو رضى الاخلاق حسن الطبع ، ولذلك لم يكن احد يرغب فى الزواج بمثل هذه الفتاة البغيضة .

« وفى ذات يوم ذهب الشاب الى ابيه وقال له انه يعرف جيدا انه ليس عنده من المال ما يكفى لمنحه اياه ليعيش كما يريد ، وانه لما كان ليس هناك مفر من ان يعيش عيشة فقر وحرمان او ان يبحث عن الثروة فى بلاد اخرى فانه قد بدا له اذا وافق والده انه من الحكمة ان يبحث عن الزواج الذى يتيح له فرصة تحقيق الحالة التى تترامى اليها اماله ويتطلبها طموحه ، وقد اجابه والده قائلا انه لا يدخر جهدا فى العمل على تمكينه من ان يتزوج زواجا مناسبا له ، وحينذاك قال له ابنه انه اذا وافق فانه سيتقدم الى الرجل الواسع الثراء والد الفتاة السيئة الخلق .

« ولما سمع والده ذلك اشتد تعجبه ، وسأل ابنه كيف خطر له ذلك ، لان اى رجل يعرفها لا يقبل ان

يتزوجهـــا ولو كان متسولا ، وبرغم ذلك فان الابن التمس من والده ان يعمل على اتمام هذا الزواج . وكان الحاحه من القوة الى حد ان والده

وافق برغم تعجبه من اصرار نجله ، وذهب بغير تريث لزيارة الرجل الثرى وكانا صديقين قديمين ، وأعاد عليه

ما قاله نجله ، وختم حديثه بقوله انه ما دام ابنه عنده من الشدة ما يمكنه من ان يتزوج ابنته فانه يطلب منه الموافقة على هذا الزواج .

« وحينما سمع والد الفتاة كلمات صديقه قال له « باسم الســـماء يا صـــديقي ماذا تكون مكانتي بين الاصدقاء لو انني وافقت على ذلك !

ان ابنك شاب مهذب حلو الشمائل دمث الاخلاق ، ويعز على ان اكون شريكا في الاساءة اليه بهذا الزواج

الذى ربما افقده الحيـــاة ، او جعله يؤثر الموت ، ولا تحسبنى اقول ذلك لارفض طلبك ، لانك اذا طلبت يدها لنجلك فانى اسر لذلك كما اسر اذا

تقدم الى طلب يدها على اى انسان اخر ليبعدها عنى » .

« فقال له صديقه انه يقدر ذلك ، وان ابنه قد عقد العزم على اتمام هذا الزواج ، وان اصرار ابنه على ذلك يجعله مسرورا اذا وافق صديقه على زواج ابنته .

وتم الاحتفـــال بالزواج ، ونقلت العروس الى منزل زوجها ، وكان من عادة المغاربة ان يعدوا وليمـــة للعروســـين ويتركونهما منفردين في المنزل الى اليوم التالى .

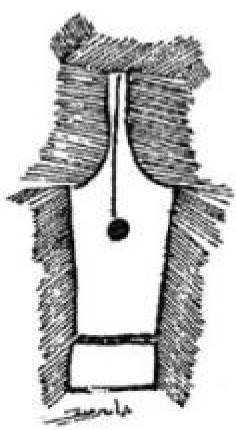
« وتم كل شيء على هـــذا النمط المألوف، وكان والدا العروس والعريس وأماهما وسائر اقاربهما يشعرون بالقلق ويخشون ان يروا العريس في اليوم التالى وقد فقد الحياة او ان يجداه في حالة سيئة من الحـــزن وخيبة الامل . »

« وحينما انفرد العروسان بالمنزل وجلسا الى المائدة نظر العريس الى المائدة وادار الطرف حولها ، ولمح وجود كلب ، فقـــال له بلهجة الامر الناهى « ايها الكلب ، اذهب واحضر الماء لغسل ايدينا » .

« فلم يتحرك الكلب ، فاشتد غضب العريس ، واعاد على مسامعه الامر في لهجة شديدة ، ولكن الكلب ظل واقفا بغير حركة ، ولما راى الشاب

ان الكلب لم يبادر الى تلبية طلبه قام من مقعده على المائدة وقد خلع مراجله وحمى غضبه وجرد سيفه من غمده ، واتجه الى ناحية الكلب ولما

رآه الكلب قادما نحـــوه بدأ يجرى والعريس يتبعه ، ووثبا كلاهما على المائدة والموقد والاثاث وظل العريس



يطارد الكلب حتى ظفر به وقطع رقبته وساقيه ، ومزق جثته اربا اربا وتناثر دمه على المائدة والملابس والاقمشة .

• وعاد الى الجلوس على المائدة ، وقد تملكه الغضب وغشيت الدماء ثوبه ، وادار الطرف فيما حوله فرأى قطة ، فأمرها بان تحضر الماء ليغسلا ايديهما ، ولما لم تستجب له القطة خاطبها قائلا « اهكذا تخالفين الامر ايتها الخائنة ! الم ترى ما فعلته بالكلب لانه لم يطع امرى ؟ " واقسم بالله انك اذا حاولت اللجوء الى اساليبك وحيلك في عدم اطاعة الاوامر فاني سأسقيك من الكاس نفسها ! » .

• ولم تتحرك القطة ، لانه ليس من عادة القطط ان تحضر الماء ، وهي في ذلك مثل الكلاب ، ولما كانت القطة قد خالفت الامر ولم تنزل على ارادته فانه ترك المائدة وامسك بالقطة من ساقيها ودفع بها الى الحائط وكسر كل عضو في جسدها ، وكان غضبه على القطة أشد واكثر اهتياجا من غضبه على الكلب حينما توقف عن تلبية طلبه والاستجابة لامره .

• وعاد الى المائدة عابسا متجهما مزمجرا مدمدما وادار الطرف فيما حوله ، وظنت زوجته التي كانت تراقبه وترى افاعيله انه لا بد ان يكون قد أصابه مس من الجنون . او أنه قد فقد صوابه ، ولم تفه بكلمة واحدة .

• وادار الطرف في انحاء الحجرة فلمح وجود حصان ، وكان الحصان الوحيد الذى يملكه ، فأمره وهو غاضب أن يحضر الماء ليغسلا ايديهما. ولم يفعل الحصان ما امره به ، فقال له الشاب « يا سيدى الحصان ، اتحسبني اصفح عنك اذا خالفت امرى لانني لا أملك حصانا آخر ؟ . لاتنزلق الى مثل هذا الخطأ ، لانى اقسم بالله انك اذا لم تستجب لرغبتي وتطيع ما امرتك به فان مصيرك سيكون كمصير الاخرين لانى لا اسمح لاى كائن حي ان يخالف امرى ، ويتحدى ارادتي ، دون ان يعرض نفسه للهلاك !

• ولم يتحرك الحصان ، فلما رأى العريس ذلك ابتدر الى الهجوم عليه وقد اشتعل غضبه واخذ رأسه ومزق جسمه تمزيقا .

« ولما رأت العروس انه قتل الحصان الوحيد الذى يملكه وسمعت قوله انه لا يتردد في قتل كل من لا يطيع امره تأكدت من انه لا يهزل في قوله ، واستولى عليها خوف شديد الى حد انها لم تعرف اهى في الاحياء أم في الاموات، وعاد ادراجه الى المائدة دون ان تهدأ ثورة غضبه، وقد سال الدم على ثيابه واقسم أنه لو كان يملك الف حصان او الف رجل او امرأة في منزله ورفضوا القيام بامرهم فانه لا يتأخر عن ان يضع حدا لحياتهم .

• وجلس ، وادار الطرف فيما حوله وسيفه يقطر دما ، وبعد ان اجال الطرف في كل محتويات الحجرة

القى على زوجته نظرة غاضبة ، وقال لها بلهجة خشنة والسيف فى يده « قومى واحضرى لى ماء لاغســل يدى » .

« فوثبت العروس التى كانت تتوقع ان يشرح جسمها فى اية لحظـــة واحضرت له المياه ، فقال لها « احمد الله لانك فعلت ما امرتك به ، لانك لو كنت خالفت الامر وانا فى حـالة الغضب الذى اثارته فى نفسى هـذه الحيوانات الغبية لكنت اقدمت على ان اصنع بك ما صنعته بهم » .

« وامرها بعد ذلك بان تجهـز له الطعام ، فقامت بذلك ، وفى كل مرة كان يتحدث اليها فى لهجة غاضـبة منذرة ، وكانت تشعر بان راسـها يتدحرج فى التراب .

« وقضيا الليل على هذه الوتيرة ، ولم تنطق بكلمــــة ، ولكنها كانت تسارع الى عمل كل ما يامرها به ، وبعد أن ناما قليلا قال لها « الغضب الذى عانيته هــذه الليلة جعلنى لا استطيع أن اغمض جفنى ، وعليك الا تسـمحى لاحد غدا بايقاظى من النوم ، وأن تجهزى لى الطعام » .

« ولما اشرقت الشـمس فى كبد السماء حضر الوالدان والاقارب الى المنزل ، ولما لم يسمعوا صدى لاى صوت خطر ببالهم ان العريس لا بد ان يكون قد لقى حتفه ، او ان يكون قد جرح ، ولما نظروا خلال البـاب وجدوا العروس فى حركة دائبة ، ولم يروا العريس ، فقويت الظنون التى طافت باذهانهم .

« ولما راتهم العروس على البـاب اقبلت على اطراف اصابعها وقــد شحب وجهها من الخـوف ، وبدات تقول لهم « ايها المجانين الخونة ماذا تصنعون ؟ .. وكيف اجترأتم على القدوم الى الباب ورفعتم اصواتكم ! .. التزموا الصمت والا قتلنا جميعا انتم وانا » .

« وحينما سمعوا ذلك ذهلوا ، ولما علموا بما حدث فى تلك الليلة اشتد اعجابهم بالشـاب الذى عرف كيف يتناول الموقف بحكمة ، وينظم بيتـه هذا التنظيم المحكم ، ومنذ ذلك اليوم صارت زوجته مثلا يقتـدى به فى حسن السلوك ، وعاشا معا عيشـة سعيدة .

وحدث بعد أيام قليلة أن أراد والد العروس أن يتشبه بالعـريس فذبح دجاجة وقطع لحمها كما فعل زوج ابنته .

« ولكن زوجته قالت له « يا سيدى ... لقد فتحت عينيك متاخـرا ولا يجدى عليك الان شيئا ذبحك مـائة حصان ، وكان عليك ان تحاول ذلك منذ زمن طويل مضى لاننا يعرف كل منا الاخر معرفة جيدة » .

و ... هكذا يا سيدى ، اذا كان تابعك الذى يريد ان يتزوج مثـل الشاب الذى وصفته لك ، فاخبـره بان يتقدم بغيـر تريث لانه سـيعرف كيف يدير أمور منزله ، ولكن اذا كان من الصنف الذى لا يعـرف ما يجب عليه عمله وكيف يقـوم به فما عليك الا ان تنصحه بان يعرض عن الزواج ، وانى انصحك بان تجعل الناس الذين تتعامل معهم يعـرفون كيف يتصرفون معك » .

وراى الكونت ان هذه النصـيحة صائبة ، ولما عمل بها اصـبحت اموره سائرة فى طريق التقـدم والنجاح المستمر .

أيتها الصحراء لا تستسلمى

الشاعر المهجرى :
دياب ربيع

جئت استرجع يا مصر شبابى
وأداوى فيك بالحسن اغترابى

ذهب العمر ولم يذهب به
شوقه النامى الى هذى الروابى

حيث لا انظر الا نحوها
وكأنى ناظر فوق السحاب

فهنا ترتع افلاك الدجى
وهنا يسكن مجد فى التراب

وهنا يغتنى حلمى الى
جنة الخلد وعيش مستطاب

***

ان ارضا منحتنا « النوبا »
كيف نجزيها بشعر وخطاب

يا ابا « الهول » الا تسمعنا
صيحة التاريخ حزنا بالمصاب

متى مشاك لا يقهرها
عنت الدهر ولا نهش الذئاب

فى فمى صمتك ، الا انه
نظرة الحائر فى دنيا اضطراب

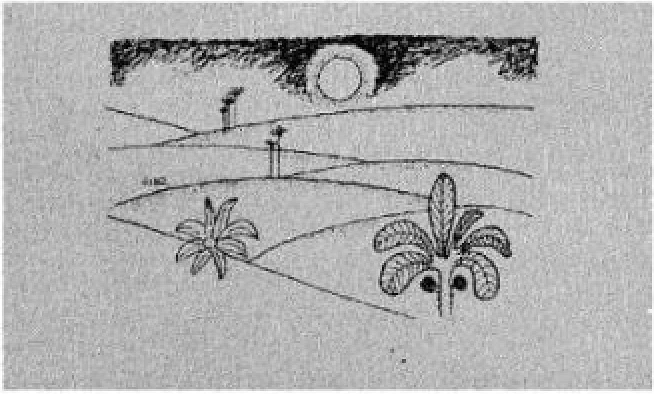
اســـمع الماضى ولا تـســمعه
امة تصـغى لغـدار محـتـابى
هــكذا تظمـا فيتـمـا قوة
فنرويهـا بمـاء من ســراب

ايهـا الصــحراء لا تستسلمى
لعــروض وشروط بانســحاب
لست يا سـيناء رملا . انمـا
انت روح العـرب فى كف العـذاب

لا تخـاق .. دونك الشعب الذى
اوجـد الحق وغنى بالصــواب
تعطش الدنيـا ولم يعطش لنـا
فى الثرى سـيل من النفط المهاب
فدم الاحرار يحيـا ابـدا
فى ديار زاهــدات بالثــواب

***

ايه يا مصـــر ((وتشرين)) مضى
وعلى كتفيـه رزئى ومصــابى
فى ((فلسطين)) وفى قلب العـلا
كيف لا ينبض فى يوم الحســاب ؟



ابن الشاطئ

الشعر العربي المعاصر في الجزائر



البشير الإبراهيمي

إذا ألقينا نظرة فاحصة على الأدب الجزائري المعاصر ولا سيما الشعر فإننا نجد أن الصراع في الشرق العربي بين تيار الشيوخ وتيار الشباب، قد بدأت أصداؤه تنتقل مجسدة إلى الجزائر، وقد تجسد على أشدها في مطلع السبعينات إلا أن الصراع يأخذ دائما مصطلح الحداثة أكثر مما هو طبيعي وحقيقي لكون التيار الأول أرسخ قدما، وأعمق تأثيرا، وأكثر انتشارا بينما تيار الثاني يلهث وراء التمايز والاستيعاب لملامح شخصية مازالت مقلدة.

ومن هنا نستطيع القول بأن «الشعر الأصولي» — ونعني به ما اصطلح على تسميته خطأ بـ «الكلاسيكي» — هو السمة المميزة للجزائر ماضيا وحاضرا ... أما التيار الثاني فيمكن أن نعتبره صدى مشوها ومضطربا لتلك الموجة الرائجة في المشرق العربي — والتي هي بدورها صدى، إن لم نقل ترجمة حرفية لمذاهب واتجاهات شتى ...

ولتوضيح ما ذهبنا إليه نفصل فيما يلي بعض سمات وملامح هذين التيارين ..

أولا — التيار الأصولي :

الواقع أن هذا التيار يمتد في أعماق التاريخ .. ولا نريد أن يكون عملنا سكونيا لا غناء فيه إلا ما عرفنا نشأته وتطوره في العصور الماضية، فإن الأدب لم تنزل الصلة فيه .. لهذا سنكتفي في هذا العرض الموجز بالكلام : الشكل والمضمون ... ابتداء من الاحتلال الفرنسي للجزائر عام ١٨٣٠ مرورا بالثورة المسلحة، والاستقلال، وانتهاء بالوقت الحاضر ..

١ — الشكل :

ظل الشكل العربي الأصيل هو الطابع المميز للشعر العربي في الجزائر .. وظل محافظا على خصائص شخصيته بكل مقوماتها من لغة ووزن وبحور .. فقبل الغزو الاستعماري للجزائر وبعده بفترة، كان للشعر مكانته، والتأثير الفعال، مما جعله قرينا لسائر العلوم وخاصة الفقهية منها ... وقد كان رائد الكفاح العربي الجزائري الأمير عبد القادر شاعرا، وكذلك قائده العسكري الذي يتغنى ببطولاته وحماسته، وكانت ديوانه .. وإذا ما تذكرنا أن اللغة العربية هي اللغة السائدة في ذلك الوقت، عرفنا أن الشعر لم يكن وقفا على الساسة والعلماء .

على أن الشعر بدأ يفقد مكانته تدريجيا في ظل الحكم الاستعماري البغيض الذي استعمل شتى الوسائل للقضاء على الشخصية الجزائرية، منطلقا من محاولة طمس اللغة العربية والدين الإسلامي كعنصرين أساسيين من أعضاء الجيش العربي الجزائري .

ولما كانت اللغة هي العنصر الأساسي في التكوين الشعري فإن تصدع هذا الركن أصاب الشعر بتصدع ممثل بظهور القوم أو كانوا نظرا لأن الذين يلمون بالعربية أو يجيدونها صاروا يتناقصون بشكل مطرد، مما اضطر المتحمسين من الجزائريين إلا يلجئوا إلى العامية

العاميه ، واستغلوها كمتنفس شعرى لهم ، وكهمزة وصـل بينهم وبين تراثهم القومى ...

ومن هنا نرى أن الشعر الفصيح قد تغير من حيث الشـكل ، فدخلت عليه الفاظ وتعابير اكثرها عامية ، وبعضها أجنبي دخيل . كما بدأت الاوزان تفقد بعض قواعدها واصولها في هذه الموجة من اللحن والعجمة وراج ما يسمى في الجزائر « بالشعر الملحون » اما الشعر الفصيح فقـد اصبح وقفا على فئة قليلة من الفقهاء ورجال الدين امثال : الامام عبـد الحميد بنباديس ، والشـيخ البشير الابراهيمي ، والشيخ العربي تبس ، وشاعر الجزائر الكبير محمد العيد ال خليفة .

٢ ـ المضمون :

مما لا شك فيـه أن التغير الذى طرأ على الشكل طرأ بنفس القـوة على المضمون .. فاغراض « الشعر الملحون » تختلف تماما عمـا كانت عليه في الشـعر الفصيح ، تلك الاغـراض التى اقتصرت على بعض الجوانب الهامشية ، كالتحـدث عن العادات والتقـاليد ،والرثاء ، والاماديح والادعية ، الى غيـر ذلك ... اما الشعر الفصيح ، فارتباطه بالفقه والفقهاء أفقده روحه الشعرى وجعله في معظم الاحيان مجرد هيكل للافكار والدعايات والمناسبات الفقهية

ومع تباشير الثورة الجزائرية بدأ الشعر يسترد بعض نفسه وروحه ، فقد استيقظت انفة العربي وكبرياؤه في أعماق الشـعب الجزائرى فأخذ يبحث عن حريته واستقلاله ..

وقبل ان نتحدث عن شعر الثورة الجزائرية لا يفوتنا ان ننوه بالدور الذى لعبته « جمعية العلمـــاء المسلمين » (١) في الجزائر فاليهـا يعود الفضل في المحافظة على الشخصية الجزائرية وتحصينها ضـد التجنيس والاندماج ، هذا الدور الذى لم يقتصر على الوعظ في المساجد ، وانما امتد الى ما هو اوسع وابعد اثرا .. فكونت المعاهد والمدارس لتعليم اللغة الوطنية والدين ، وسائر العلوم المفيدة ، كما كان لرجالها دور فعال في توعيـة الشعب وتحذيره من خطـر الذوبان والتلاشي

ولقد كانت الافكار الوطنيـة التي نشرتها جمعية العلماء بين الشعـب العـربي الجزائرى محركا اساسيا لزناد الفاتح من نوفمبر عام ١٩٥٤ م ... وباستطاعتنا الوقوف على هذه الحقيقة من خلال قراءاتنـا لديوان شاعر شمال افريقيا آنذاك ، محمد العيد ال خليفة ، فهو المترجم الصادق لافكارها ، والمعبر عن امالها ..

---

(١) جمعية العلماء المسـلمين في الجزائر أسسها الامام عبد الحميد بن باديس عام ١٩٣٣ م ومن أبـرز أعضائها الشيخ مبارك الميلي، والشيخ البشير الابراهيمي ، والشيخ العربي تبس ، وغيرهم .



الاخضر السائحي

اما شعر الثورة المسلحة (١٩٥٤ ـ ١٩٦٢) ، فاننا عندما نطالعه نجد انفسنا امام نقطتين :

١ ـ قوة العاطفة ، واصالة المضمون ..

٢ ـ ضعف الاسلوب الشعرى والشاعرية احيانا .

فالاولى مصدرها التيار الساخن الحاد الذى فجر فى الانسان الجزائرى اباءه وشممه، وأيقظ غيرته وشجاعته الا ان هذه القوة من حيث العاطفة والاتجاه الفكرى الاصيل ، كانت على حساب الاطار الفنى .

ومن هنا كانت النقطة الثانية صادرة عن الانقطاع او التقطع الذى حدث تحت الضغط الاستعمارى ، ونعنى تلك الشروخ او الحواجز التى اقامها المستعمرون امام الانسان الجزائرى ولغته القومية .

والدارس لدواوين الشعراء الذين اشتهروا ابان الحرب التحريرية يستطيع ان يجد امثلة عديدة على ما ذهبنا اليه .

وهنا نذكر شاعر الثورة الجزائرية ابن تومرت (اللهب المقدس) ، محمد الاخضر السائحى (همسات وصرخات) ، صالح خرفى (اطلس المعجزات) ، صالح خباشة (الروابى الحمر) ... لقد اسرته الشعر عريته بتمجيد الثورة وأن فقد شيئا من رونقه ... والمتتبع لشعر مرحلة الثورة (١٩٥٤ ـ ١٩٦٢) يستطيع أن يقف على مدى الضعف الفنى ـ

الا ما ندر ـ الذي تميز به شعر هذه المرحلة .. ويتمثل ذلك الضعف بالجفاف الخيالي ، والمباشرة ، والتقرير فضلاً عن السطحية والتقعر اللغوي في كثير من الاحيان لارتباط الشعر بالفقه زمنا طويلا ...وارتباطه بالعودة الى تعلم اللغة العربية ... وكثير من الشعراء في تلك الحقبة الزمنية ما قالوا الشعر الا كشهادة رسمية أو اعلان لفظي عن تمكنهم من اللغة ... فقائل الشعر في الجزائر ينظر له حتى الان على انه رجل لغوي .

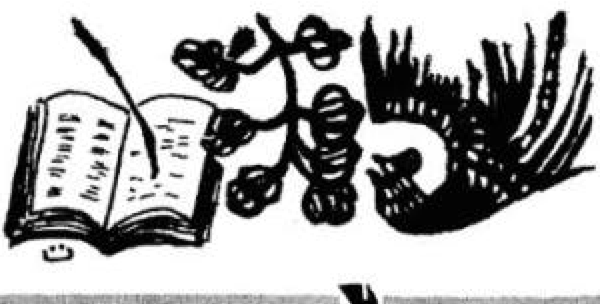
ولا شك ان الحنين الجامح الى اللغة العربية والحب الذي وصل الى درجة التقديس وخاصة خلال حرب التحرير ، جعل العالم بالعربية أو المثقف بها شخصا متميزا ... ومن هنا كان اندفاع بعض الشبان لقول الشعر لمقاصد غير شعرية .. ومن هؤلاء محمد الأخضر عبد القادر السائحي ، ومحمد أبو القاسم خمار في معظم شعر ما بعد العودة الى الجزائر .. وغيرهما ..

على ان هؤلاء ما لبثوا ان وجدوا انفسهم في الوسط بين التيارين ، فلا هم ـ لعدم التمكن التام ـ في عداد الاصوليين ، ولا هم ـ لجفافهم ومباشرتهم وسطحية تناولاتهم ـ في عداد المجددين ... ونستطيع أن نجميهم (بالتيار الوسطي) .. وهم في الحقيقة صناع وشعراء مناسبات وتغطيات صحفية

ثانيا ـ تيار التجديد :

أغلب شعراء هذا التيار يتداخلون فيه ويهيمون في هوامشه ، ويتآكلون على سطوح منازله . ويلعبون على أرصفة شوارعه ، وينادي كلماته . ومسافات الناطقة البراقة وعناوينه الانيقة ، وباروكته الجميلة ـ أغلبهم يتفعون ـ كهذه القمة للتيار !! ـ بالعوامل التالية :

١ ـ ان هؤلاء الشبان تفتحوا في ظل الاستقلال .. وهم مصابون بكل سلبيات المرحلة الانتقالية التي تعيشها الجزائر ، فثقافتهم العربية



محدودة ، ونصيبهم من قواعد الشعر العربي بسيط • لانهم مزدوجو التفكير والتعبير •••

٢ ـ وكرد فعل للتيار الاصولي ، اندفع هؤلاء نحو الشعر الحديث ولا سيما الهزائمي ، ونعني « شعر ما بعد النكسة » ، فقصروا مطالعتهم عليه واتجهوا الى محاكاته وتقليده بامكانياتهم المتواضعة والفهم الثقافي المحدود • فكانت أشعارهم « صدى الصدى » !!

وأقرب ما في الامر انهم لا يمثلون الواقع الجزائري ، ولا يجوز في تقديرنا أن نطبع انتاجهم بالطابع الجزائري ، وذلك لانعدام التمايز والخصوصية •• فعندما نقرأ شعر عبد العالي رزاقي وأحمد حمدي ، وأزراج عمر ، وجردة علاوة وهبي ـ نفاجأ بمزيج من التعابير المستعارة والتجارب المنتحلة ••• ومن الالفاظ الدالة على الانتحال : جواز سفر الغربة ، الضياع ، التمزق ـ الاهات ـ القهر ـ الحزن ـ المطر ، الى آخر قائمة الالفاظ الحديثة ، ••• التي لا تنطبق على الواقع المضيء للجزائر المستقلة •

ونحن بصراحة لا نجد مبررا لكل ما نجده في شعر هؤلاء من لوعة زائفة وتشكيات مفتعلة ، وتأوهات جوفاء ••

اذن ، فتيار هؤلاء امتداد منحرف المسار لما في الشرق العربي من تيارات فنية مستوردة • مما جعلنا نقول ان « الصراع » بين التيارين مفتعل متخيل ، وان حاول البعض تهويله ••

والله لن المنطق ان يتمادى المرء بفسح المجال للمواهب الشابة والحالة القماء على القاعد حين تكون تلك المواهب ذات عطاء وموهبة تؤهلها لذلك •• ان ما نجده في شعر معظم الشباب الجزائريين من تصعق تجويفي ، واخطاء فنية ولغوية فادحة وركاكة في التراكيب ، وربما ايضا سرقات واقتباسات ـ لا يمكن ان تجعلنا نشك في صدقهم ، لا لانتسابهم ، ولكن لانهم ما زالوا دون المستوى المطلوب •

على أنه يجب أن نستثني من أصحاب هذا التيار بعض الذين يعتبرون روادا حقيقيين وأصحاب مواهب حقيقية في مضمار الشعر الحديث ، وفي طليعتهم الدكتور محمد الصالح باوية (طبيب) ، صاحب ديوان « أغنيات نضالية » •

وختاما لهذا الموضوع الذي أرغمناه ان نلقي اضاءات سريعة على الشعر الجزائري نشير الى ان هناك تيارا آخر بدأ يظهر بين الشباب الجزائريين وهو تيار « الاصولية الحديثة » ومن رواد هذا التيار الشاب « مصطفى الغماري » الذي أتوقع أن يلعب دورا رياديا في الارتقاء بالشعر الجزائري والخروج به من المرحلة الانتقالية وتناقضاتها •

● ابن الشاطئ ●   ● الجزائر ●

من روائع القصص العالمى

أسرة

للكاتب الفرنسى: جى دى موباسان
ترجمة: محمد عبد المنعم جلال

كنت فى طريقى لزيارة صديقى سيمون رابفان، ولم اكن قد رايته منذ خمسة عشر عاما. وكان فى سابق العهد بنا صديقى الحميم ... صديق الصبا ونديم الفكر الذى اقضى معه الليالى الطويلة الهادئة المرحة والذى ابثه ادق

اسرار قلبى واجد فى حديثه العذب الافكار النادرة النيرة الشيقة التى تولدها المحبة الخالصة والود الصادق اللذين يجد فيهما العقل متعته وراحته.

وقد دامت صداقتنا اعواما طويلة لم نفترق فيها، عشنا معا وارتحلنا وفكرنا وحلمنا معا واحببنا نفس الاشياء نفس الحب، واعجبنا بنفس الكتب واستوعب كل منا نفس المؤلفات التى استوعبها

الآخر، واحسسنا بنفس المشاعر والخلجات وكثيرا ما ضحكنا من نفس الاشخاص الذين كنا نفهمهم حق الفهم بمجرد ان نتبادل النظر!

ثم تزوج سيمون .. تزوج بفتاة من الريف اقبلت لكى تبحث لها عن خطيب .... كيف

استطاعت تلك الفتاة النحيفة الشقراء ذات اليدين الخرقاوين والعينين الصافيتين الخاليتين من اى تعبير،

وذات الصوت الرقيق السخيف والتى تشبه مئات الالوف من غيرها من الفتيات اللاتى يسعين خلف الازواج – كيف استطاعت تلك الفتاة ان تفتن ذلك الشاب الذكى النجيب؟

ولكن هل يمكننا ان نفهم مثل هذه الامور لاريب انه تمنى السعادة اليسيرة الهادئة الدائمة

فى احضان امراة رقيقة مخلصة. ولا ريب انه راى كل ذلك فى عينى تلك الفتاة ذات الشعر الاشقر الشاحب .. لم يخطر له أن الرجل النشيط الذى يتدفق

حيوية وحماسا سيحل كل شىء بمجرد ان يدرك الحقيقة السخيفة الا اذا تبلد ذهنه الى حد العجز عن ادراك اى شىء بعد ذلك.

ترى ... على اى حال ساجده؟ ... اما زال نشيطا ذكيا ضاحكا شديد الحماس،

او ترى الحياة الريفية قد بلدت ذهنه؟ ... ان الانسان يمكن ان يتغير فى مدى خمسة عشر عاما.

وقف القطار فى محطة صغيرة .. وعندما هبطت من العربة تقدم

رجل سمين شديد السمنة، احمر الوجنتين كبير الكرش واندفع نحوى صائحا فاتحا ذراعيه: « جورج ..،

وضممته الى صدرى ، ولكننى لم أعرفه . ثم تمتمت فى دهشة :

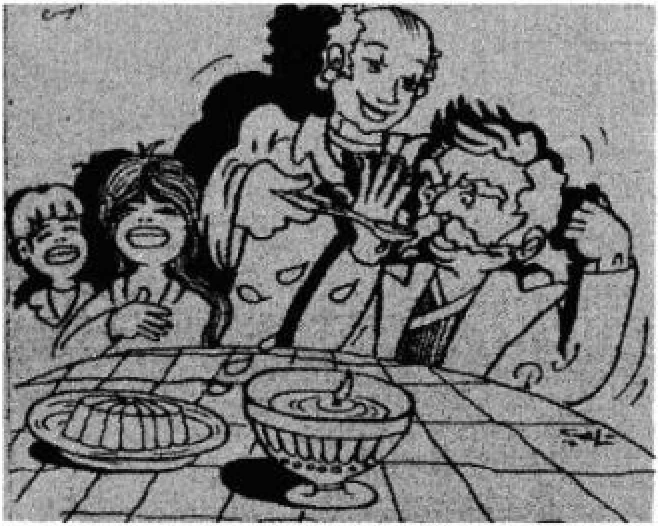
« ياالهى ! ... ولكنك سمنت !؟ .. فأجاب وهو يضحك : « ماذا تريد ؟ .. انها الحياة الطيبة! والمائدة الطيبة! والليالى الطيبة ! ... الاكل والنوم ... هذه هى حياتى ! »

وتأملته طويلا وأنا أبحث فى هذا الوجه الكبير عن الملامح المحبوبة ... ان العين وحدها هى التى لم تتغير ، ولكنى مع ذلك لم أجد فيها تلك النظرة المألوفة ، ورحت أقول لنفسى اذا كان حقا أن النظرة هى الصورة التى تعكس ما يجول فى الفكر ، فان الافكار التى تدور فى هذا الرأس ليست نفس الافكار التى كانت تدور فيها فيما سبق والتى أعرفها حق المعرفة !

ومع ذلك فان عينيه كانتا تبرقان وتتجلى فيهما البهجة وأمارات الصداقة ، ولكنهما لم تكن تتألقان بذلك الضياء الذكى الذى كان يعبر أكثر مما تعبر به الكلمة المنطوقة .

وقال سيمون فجأة
- جورج ، أقدم اليك ولدى الاكبرين .

وتقدمت فتاة فى الرابعة عشرة من



عمرها ، تكاد تكون امرأة ناضجة الانوثة وفتى فى الثالثة عشرة من عمره يرتدى ثياب طالب .. نقمنا فى ارتباك وفى حركات خرقاء ، فتمتمت اقول:

ـ اهما ولداك ؟..

فأجابنى وهو يضحك:
ـ طبعا .

ـ كم لديك من الاولاد ؟

ـ خمسة ... هناك ثلاثة اخرون تركتهم فى المنزل .

نطق بهذا القول فى زهو وفخار وسرور ، بل فى شبه انتصار .. أما أنا فقد احسست بازدراء غامض نحو هذا النتج المتكبر الساذج الذى يقضى لياليه فى صنع الاطفال بين غفوتين ، فى بيته الريفى ، كما تفعل الارانب فى اقفاصها .

وركبنا عربة ساقها بنفسه ، وانطلقنا خلال المدينة ، وهى مدينة حزينة ، خامدة ، كئيبة لا تدب الحركة فى شوارعها وليس فيها اى شىء فيما عدا بضعة كلاب وخادمتين أو ثلاث . ومن آن



أســـرة

لآخر كان يقف احد اصحاب الحوانيت بباب حانوته ويرفع قبعته .

وكان سيمون يرد تحيته وهو يذكر الرجل باسمه ليثبت لى دون اى شك انه يعرف كل الاهالى باسمائهم . وتذكرت

عندئذ انه يفكر فى ترشيح نفسه لمجلس النواب ، وهو حلم يراود كل الذين يدفنون انفسهم فى الريف .

وسرعان ما اجتزنا المدينة ، ودخلت العربة حديقة كبيرة الشبه بالمتنزه ثم توقفت امام بيت ذى ابراج قريب الشبه بالقصور .

وقال سيمون متوقعا ان يسمع بعض المديح:
ـ هــذا هو بيتى المتواضع !

وظهرت بالبسطة سيدة ترتدى ثياب الزيارة وقد صففت شعرها لمقابلة الزوار وعلى شفتيها كلمات

الترحيب ... لم تعد تلك الفتاة الشقراء النحيفة التى رأيتها فى

الكنيسة منذ خمسة عشر عاما ، ولكنها غدت سيدة سمينة ترتدى الشجر والمطرز . احدى هؤلاء النسوة

التى لا تظهر عليهن اعمارهن ولا يتمتعن باية شخصية .. لا اناقة ولا ذكاء ولا اى شىء من تلك الاشياء

التى تميز المرأة الرقيقة ! .. صفوة القول انها كانت أما ..

اما ضخمة عادية تبيض دجاجة ادمية .. آلة من اللحم تنتج دون

أن يشغل ذهنها شاغل فيما عدا الاطفال وكتاب الطهو .

ورحبت بى ودخلت باحة القصر حيث وقف ثلاثة اطفال اصطفوا تبعا لاطوالهم ، كما

يفعل رجال المطافىء أمام العمدة يوم التفتيش ... وقلت :

ـ آه ... آه ....
أهؤلاء هم الاخرون ؟

وأجابني سيمون وهو متألق الوجه : ـ جان، وصوفي، وجونثران :ـ

وكان باب الصالون مفتوحـا فدخلت ورأيت في آخـر الغرفة ، في مقعدكبير رجلا يرتعش، رجلا تقدمت به السن الى حد أنه عجز عن الحركة ٠

وتقدمت مدام راديقان وهي تقـول : ـ هذا جدي ياسيدي ٠٠٠ انه بلغ السابعة والثمانين من عمره ٠

فبذل الجد محـاولة كبيـرة لكي يحييني لم يزد على ان قـال : وا ٠٠٠ وا ٠٠ وا٠٠٠ وهو يهز يده٠ وأجبته: « انت رجـل كريم ياسيدي » وتهالكتفوق مقعد ٠

ودخل سيمون فيهذه اللحظـة وقـال وهو يضحك : ـ آه٠٠ آه٠٠ اراك قد تعرفت ببابا٠ ان هذا العجـوز تحفة لا تقـدر بمال ٠٠٠ انه تسلية الاولاد ٠٠٠ فهـو من الشراهـة بحيث يعرض نفسه للموت من أجـل وجبة واحدة ٠ لايمكنك ان تتصـور مقدار ما يتناوله من طعام لوأننا تركنا له حرية الاكل !٠ ولكنك ستراه الآن ٠٠ انه ليغمـز بعينه لكل اطباق الحلوى كما لو كانت هذه الاطبـاق حق الاتمـات الحسان ٠٠ لن تلتقي ابـدا في حياتك كلها باغرب من هذا العجوز ٠٠ وسترى ذلك بعينيك !

ثم مضـوا بي الى غرفتي لكي استـبدل ثيابي لدنو ساعة تناول العشاء وسمعت على السلم وقع اقدام كثيرة فالتفت استطلع الامر فـاذا بكـل الاولاد يتبعـونني ، الاكبر فالاصغر وهكذا يتقدمهم ابوهم ٠ ولا ريب انهم ارادوا تكريمي بطريقتهم هذه ٠

وكانت غرفتي تطـل على الوادي ، وهو واد قفر لا نهاية له ، عار من كـل شيء ٠ كان يبدو كما لو كان بحرا كبيرا من الحشـائش وسنابل القمح والشوفان ليس بـه ولا حتى شجرة واحدة أو ربوة٠ كان صورة مؤسـفة مخرفة للحيـاة التي يقضيها الناس في هذا المكان ٠

ودق جرس ايـذانا بالعشاء فهبطت ٠

أخذت مدام راديفان بذراعي كما لو كنا في حفلة رسمية ، ودخلنا غرفة الطعـام ، وكان خـادم يدفع بمقعـد العجـوز الذي ما ان القى نفسه امام المائدة حتى القى على انـواع الصـحاف نظرة نهمة غريبة وهو يكاد يلوى راسه المخلخل لكي يدور بعينيه على اطبـاق الطعام المختلفة ٠

وفرك سـيمون يديه حينئذ وقال : ـ سوف تستمتع !

وادرك الاولاد كلهـم انني ساشـتركه معهم في الاسـتمتاع برؤية جدهم الشره فضحكوا في وقت واحـد في حين قامت امهـم

بالابتسام وهي تهز كتفيها .

وصاح رانيفان بالعجوز وقد جعل يديه أمام فمه كالبوق :

ــ لنبتاهقنا للمساء كريمة الارز بالسكر !

وأشرق وجه الجد الكثير التجاعيد وانتفض من قمة رأسه الى اخمص قدميه اشارة الى انه فهم وانه مسرور .

وبدأنا نتناول الطعام وتمتم سيمون يقول :

ــ انتظر .

لم يكن الجد يحب الحساء وقد أبى أن يتناوله ولكنهم ارغموه على تناوله بالقوة من أجل صحته فراح الخادم يدفع بالملعقة المليئة داخل فمه قسرا في حين كان هو يحاول بكل ما اوتي من قوة حتى لا يزدرد الحساء الذي كان يرتد فيتناثر كالنافورة على المائدة وعلى المحيطين به .

واخذ الاولاد يتلوون من الضحك في حين كان ابوهم يكرر قائلا : ان هذا العجوز غريب الاطوار ... اليس كذلك ؟

وطوال الوقت الذي قضوه في تناول الطعام لم يهتموا بجيء الا به هو كان يلتهم الاطباق المصفوفة فوق المائدة بعينيه ويحاول جهده أن يمسك بها بيديه وان يجتذبها اليه . وكانوا يضعون الاطباق في متناول يده تقريبا لكي يروا محاولاته اليائسة وانتفاضه المرتعش وابتهالاته الحزينة التي ينطق بها كيانه كله والتي تتجلى في عينيه وثنايا فمه وخياشيمه التي تشمها .

أســرة



وكان لعابه يسيل فوق متشفاته للفرط ما تستبد به من رغبة وهو يطلق همهمة متقطعة غير مفهومة . وكانت الاسرة كلها تستمتع بهذا الجانب الرهيب الفظيع .

وقدموا له اخيرا ، فوق طبق قطعة صغيرة جدا ازدردها في شراهة محمومة لكي يحصل على نصيب اوفر بأسرع ما يمكن .

وعندما جيء بكريمة الارز اخيرا كاد يتشنج ... وراح يئن من الرغبة ، وصاح جوتران به يقول :

ــ انك اكلت الكثير من اللازم ولن تأخذ شيئا من الحلوى .

وتظاهروا بأنهم لن يعطوه شيئا منها فراح يبكي . وكان يبكي بجسمه ينتفض اكثر من ذي قبل في حين راح الاولاد يضحكون .

واعطوه نصيبه اخيرا ، وكان لا يعدو جزءا صغيرا جدا .

ولكنه وهو يصدر من حنجرته صوتا مضحكا

طرما ويحرك عنقه كما يفعل البط حين يزدرد لقمة اكبر مما يجب فتقف في زوره !

وحين فرغ اخيرا راح يضرب الارض بقدمه لكي يعطونه المزيد .

وتملكتني الشفقة ازاء عذاب هذا العجوز المضحك السخيف وقلت مبتهلا نيابة عنه :

ــ ولكن ... اعطه قليلا من الحلوى .

قال سيمون : ــ كلا ياعزيزي. لو انه افرط في الاكل وهو في سنه هذه فان ذلك قد يضره

ولم يسعني الا ان اسكت وان افكر في هذه الكلمات ... ادب السلوك والمنطق والحكمة ... في سنه هذا ! .. انهم يحرمونه من متعته الوحيدة التي يستطيع ان يستمتع بها خوفا على صحته ... صحته ! ... وماذا يفعل بها هذا الحطام



العاجز الذي ينتفض؟. انهم يشفقون على ايامه كما يقولون.. ايامه.. كم يوما ؟ .. عشرة او عشرون او خمسون او مائة يوم ؟.. ولماذا؟!.. امن اجله ؟ .. ام لكي يدخروا للاسرة اطول وقت ممكن لكي تستمتع بمنظر شراهته التي لا يستطيع هو شيئا ازاءها .

لم يبق له اي شيء في هذه الدنيا . لم يبق له شيء .. بل بقيت له رغبة واحدة ... متعة واحدة .. فلماذا لا

يمنحونه اياها ، وهي متعته الاخيرة ؟. لماذا لا يمنحونه اياها الى ان تتسبب في موته .

وقضينا مدة كبيرة بعد ذلك في لعب الورق ثم صعدت الى غرفتي لانام... وكنت حزينا. حزينا.. شديد الحزن!

ووقفت امام النافذة. لم اسمع اي صوت بالخارج ... لم اسمع غير زقزقة شديدة الخفوت ومتناهيه الرقة ومتناهية العذوبة ... زقزقة عصفور قابع في عشه في شجرة في مكان ما ... عصفور كان يشدو بهذا الصوت الخافت في جوف الليل مهدهدا انثاه الراقدة فوق بيضها .

وفكرت في الاولاد الخمسة الذي انجبهم صديقي المسكين سيمون الذي لا ريب انه يغط الان في نومه بجوار زوجته الضخمة ..

محمود العتريس

دارها يوماً

عم مساء ... دار احلامي وحبي ... عم مساء
التحيات لعمر ضاع فيك ... هباء
جئت يحدوني الى دربك شوق ... وولاء

***

ووفاء لزمان عنده عز الوفاء
جئت والذكرى ... وقلب حطمته الكبرياء
كان في ساحك يوما عبقري السعداء
نالت الدنيا بافراح امانيه ... ونأى
جئت ... اسعى فيه مسلوب الخطا ، كالغرباء
ارقب الدور ، اداري خجلي والبرحاء
من عيون الناس ، والارض ، وجدران البناء
ليس من لا يعرف الامر هنا ... حتى الهواء !

***

قصة ... كانت حديث القوم في ليل الشتاء
تبعث الدفء باحشاء العذارى والرجاء
قصة سطرها الحب بأطياف الضياء
بين اركانك ما انفك لهيبا بعض رواء
رغم احداث الليالي ... والاعيب القضاء

***

كان هذا في شباب العمر ... والعمر رخاء
قبل ان يعبث في ايامنا لص الهناء
ويشاء القدر العاتي لنا ... ما لا نشاء

كل شبر فيك يا دار ... له عندى دمعة
لا عزاء فى الذى ضاع فما جدوى العزاء
اننى اذكرها ... يا دار — والذكرى شقاء —
فتنة تعدل فى روعتها كل النساء
وانا بعد غرير ... يتنزى بالرجاء
حيث لا رهبة للهفة عندى — لا حياء
كم تساقينا الهوى فيك وبتنا ودعاء
وتعاطينا الامانى ... وتجاوزنا العطاء
كان حبا ... ملأ الكون علينا بالصفاء
وتحدينا به الايام والناس ... تحدينا القضاء

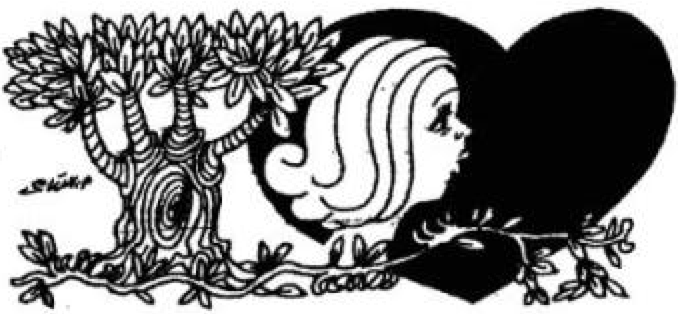
***

اننى اذكر ... يا دار ... عيون الرقباء
كم سخرنا وتندرنا بها عند اللقاء
لم نكن فى لهونا او لغونا بالحكماء
ففقدنا كل ما نملك ... الا الكبرياء
كبرياء لجريح لم تسل منه دماء

***

ها انا اسعى الى دربك ... سعى الدخلاء
ارقب النور ... اداري خجلى والبرحاء
من عيون الناس ، والارض ، وجدران البناء
جئت يحدونى الى بابك شوق ووفاء
وتحيات لعمر ... ضاع فيك هباء
عم مساء دار احلامى وحبى ... عم مساء !

• الاسكندرية • محمود العتريس •



مع قراء الهلال

● نصر الدين عبد اللطيف ●

باقات من فيض قرائح الشعراء في بريد الشعر الى « الهلال » هذا الشهر ...

في ذكرى عميد الأدب ...

يا عميد البيـــان تحت التراب
لقد لقيت الاتراب بعد الغيـــاب

كنت هـــديا طرقت كل الدياجي
ثم وليت كانطفـــاء الشـــهاب

وعرفت الايام وهي جفـــاف
تطلب العـــلم طارقاً كل باب

د ٠ السيد الجميلي
القـــاهرة

●

الى مهبط الخلد ...

افاضت بمصر اغاريدها ، وافضت بشوق لها ســائق
وراحت تهلل للفجر تسبيحة العهد للعاشــــق
تسامر اهـل الهوى بفؤاد على نيله خـــافق
فللخلد يا مهبط الخلد ترعاك انشــــودة الخالق

احمد حسب الله
دمنهور

نورك الوضاء

كوكب الشرق ، ما افلت ولـــــكن
نورك الوضاء عم كل ســـــماء
كم خشـــعنا ونحن بين يديك
وســـــعدنا برائعات الغنـاء

صلاح احمد عبد الله
عطبرة ـ السودان

خيالك فى القلوب ...

يا ليت شعرى ، هل اعود فلا ارى
الا خيالك فى القلوب مصــــورا
دنيا اضاء شعابها ودروبهـــا ...
واضاء داجية الحيـــــاة ونورا
سيخيم الحـــزن الكئيب على الربا
ويظل يحـــدك كل آيه مقفرا ...

السعيد صادق طه
تقرت ـ الجزائر

للحب عش ...

تتبع الحســن والعلياء ملتمســا
عهد الشباب ـ وكن للصقر مؤتنســا
للحب عش ، وتمتـــع فى عرائه
وللجمـــال نقيا لم ينل دنســـا
الى المعالى وهبت القلب محتسـبا
وللمكارم ، وهى الحسن ـ ملتمسا

عطا يوسف منصور
الجزائر

ترانيم .... فى عيد الام

أماه عيدك ســــــيد الاعياد
شافى الجلال ، ومشرق الاسـعاد

قد جاء يرفل في مطارف حسنه
ومكللا بالزهر والأوراد . . .

يا خير من ضم الحنان فؤاده
وسمت مآثرها عن التعداد

محمد امين الجندي
القاهرة

● ردود خاصة ●

الى : محمد . ع . أبو زيد ـ المريس :

محاولاتك حافلة بالنوايا الطيبة والحماسة والاهتمام ... وهي ـ لكي تكون شعرا ـ ينقصها فقط اللغة الجيدة ، والوزن والمعنى الجديد

●

الى : الحاج عطا عوض ـ الدامر ، السودان :

هل يرضيك ان تقحم نفسك في معركة ادبية مضمونة الهزيمة، فادحة الخسائر !؟

اذن ، اتفقنا على عدم نشر دفاعك الشعرى عن العربية الفصحى بشعر غير فصيح ومكسور ايضا !

●

الى : ممدوح سيد الروبى ـ الجيزة :

لا ، ولكنه الكاتب الانجليزى المشهور جورج برناردشو ، الذي قال : « قليل من الناس يفكر اكثر من مرتين أو ثلاث في العام ... ولقد اكتسبت شهرتي العالمية بالتفكير مرة أو مرتين كل أسبوع » !

●

الى : نور الدين هريدى ـ سوهاج :

في قصيدتيك « يا مصر » ، و « اليوم الخالد » موهبة شعرية طيبة لولا تأثرك الكبير بأسلوب وقوالب الشعر القديم. وانت معى طبعا في ان اللغة والوزن ليسا هما كل الشعر ، كما اكثر ما يصادفني كل يوم من القصائد التى تعد من حيث الحجم محتملة ، يعني لا تتجاوز ثلاثين سطرا ... خطهما

مقروء . لغتها لا بأس ، والوزن معقــــول ... ومع ذلك فانني احس خلال قراءتها ، وبعد القراءة ايضا ، انهم يرغموننى بهذه السطور الثلاثين على أن آكل ثلاثين رغيفا كلها « عيش حاف »

الى : محمد عرموش ـ :

●●●

لا تدع غيرة الحب تسيطر عليك هكذا ، فتخدك من شعرك (بكسر الشين) الى الوراء ، وانت تهتف بالحبيبة محذرا :

« لاتمشى فى شوارع المدينة !
« اخشى عليك سهام المتلفتين !...
« امشى فى الشارع مقنعة ! ..
« ولاتتركى الشعر الحرير متطوراً » !

●●●

الى الصديقات الثلاث ، جمعية الصحافة ـ بثها الثانوية :

تفتح صفحات « الزهور » مرحبة ، دائما ، بأدب الشباب والكتابات الشابة جيدة وجديدة ... ويسعدها ـ « الزهور » ـ ان تبلغ هذه الدعوة الطيبة لابناء الجيل ...

... اما عن الفارس المؤلف ، صاحب الاهتمامات الادبية ، فانه من الممكن ـ جدا ـ ان يعيش الانســـان من الادب ، بشرط الا يكون محتاجا لأن يعيش من الادب !

●●●

● صورة شبه كاملة ... ●

● باقة اعجاب للتحقيق الادبى الذى قدمتـــه « الزهور » ـ الملحق الادبى للهلال ـ فى عدد سابق عن « ساجان ... صورة شبه كاملة » ... بالمناسبة ، وعن الموسيقار الذى حمل عنوان احدى رواياتها اسمه : « برامز » ... ـ هل أجد لديك المزيد من المعلومات عن شخصيته ؟ ...

سامح كمال
الاسكندرية

ـ بعيدا عن موسيقاه الرائعة ، فلعـــل اهم معلوماتى عن شخصيته ، انه ـ الموسيقار برامس ـ كان رجلا كئيبا ، كثير الحزن والانقباض ! ... طلب منه يوما الناشر لانتاجه الموسيقى ان يقاوم حزنه واكتئابه ويؤلف مقطوعة موسيقية مفعمــــة

مع قراء الهلال

بالفرح والبهجة ، فالف « برامس » الموسيقى المطلوبة وكتب لها الكلمات المصاحبة للغناء ، ولكن هذه الكلمات كانت تبـــدأ هكذا « ... انى بكل ابتهاج انزل الى القبر » ... !

●●●

● أين الاسبرانتو ؟ .. ●

● اين اللغة « الجديدة » المقترحة لغة يتعلمها ويتكلمها كل الناس فى كل بلاد العالم : الاسبرانتو ؟ ... هل انطفأت دعوة الداعين لها ... والمتحمسين لنشرها ؟...

وديع سليم
المنيا

ـ لا ... لم ينطفئ اهتمام الدعاة والمتحمسين .. ... ففى خلال الاشهر القليلة الماضية اقيم فى هامبورج (المانيا) المؤتمر العالمى التاسع والخمسون للغة الاسبرانتو ، وقد حضره اكثر من ثلاثة آلاف مندوب من مختلف انحـــاء العالم ... واستغرقت جلساته اسبوعا كاملا ، القيت خلاله المحاضرات وعقدت الندوات التى تناولت دراسات هامة سياسية واقتصادية واجتماعية ـ بلغة الاسبرانتو ...

●●●

● الرأى ، والفكر .. ●

● قرأت فى بابكم « مع قراء الهلال » انه من الممكن ان أوجه سؤالا او اكثر الى من أختار من كبار الاساتذة ليجيب عنه على صفحات هذا الباب ... اريد ان تسألوا لى الدكتور « ... » استاذ التاريخ ، لماذا يعيد التاريخ نفسه ؟

م . ع . كامل
القاهرة

ـ ... وصولا الى الاجابة عن سؤالك ، عنـدى لك رأى وفكرة ...

الرأى : انه يمكنك ان تتعب نفسك قليلا ، وتذهب لتســأل

الاستاذ الذى تريد ان اسأله لك ، فهو موجود معك فى الجامعة وفى نفس الكلية ايضا ! •••

والفكرة : انه يمكنك ان تريح نفســـه وتقتنع برأيى فى الموضوع ، ورأيى •• : أن التاريخ يعيد نفسه لسبب بسيط ، هو ان كثيرين من الناس لم يكونوا يصغون اليه فى المرة الاولى !

•••

● أشد من الموت ! ●

● لفتنى فى خلال فبراير الملقى باب بعنوان « صفحة من التراث » ، لعله للذكرى أو العبرة والحكمة ••• ولست اعارض هذا الاتجاه ، ولكنى لا اظن ان فى التراث القديم ما يساير تطور الحياة فى مجتمعنا الجديد ، ويفيد منه — عمليا — من يعيش صراع الضغوط النفسية الهائلة فى عصر العلم والقلق ؛ لذلك ، فانى بصراحة ، وبالنسبة لهذا الباب لا استطيع ان اتحمس •••

مجدى شحاتة

مصر الجديدة

— من حقك بالطبع أن تتخلى عن الحماسة احيـــانا ، فان التحمس على طول الخط ، لكل شىء ولأى شىء — يضر بصحتك

ولكن ذلك لا يبرر أن نغلق نافذة صغيرة نطل منها على التراث، نعيه ونفهمه ، فذلك حكم بما هو أشد من الموت ٠ فمن التراث، يا سيدى — أن سليمان الحكيم استعرض يوما جنوده من الطير ،وجاء عصفور كان غائبا وتقدم يعتذر قائلا : « يا نبى الله كنت فى سفر بعيد ، واشـــتدت الريح فلم يقو جناحى على مقاومتها ، فوصلت متأخرا ••• » ٠

وقال له سليمان : «لاتبحثه ! فقال الطائر : « وأين حلمك؟» فقال سليمان : «اذن ، ساعاقبك بما هو اشـــد من الموت ! » وتساءل الطائر وهو يرتجف : « وهل هناك ما هو اشد من الموت ، يا نبى الله ؟ » فقال ســـليمان الحكيم : « نعم ، •• سأضعك بين قوم لا يفهمونك !! »



شركة الاسكندرية للمنتجات المعدنية
٧٢ شارع الشهيد جلال الدسوقي - الحضرة اسكندرية ت ٧١٧٦١/٧٠٥٣٣ ص ب ٣٨٦ اسكندرية
AMPCO
امبكو
SILEC
La Cooperation Franco-Arabe dans le domaine de la Signalisation routière "SILEC" Paris "AMPCO" Alexandrie
التعاون العربي الفرنسي في مجال تنظيم المرور الالكتروني بين شركة "سيلك" كبرى الشركات العالمية الفرنسية وشركة "امبكو" الاسكندرية للمنتجات المعدنية
أجهزة تحويل ضوئية
جهاز تحكم الكتروني لتنظيم المرور

دعوة الحق

دعوة الحق بين نور استقامه
واقتداء به تكون السلامه
دعوة الحق ليس فيها ازدجار
بل دفاع به تصان الكرامه

***

ليس فى الدين هجنة من هجاء
بل صفاء وهتفة بالدعاء
واعتلاء به سمو المعانى
واتجاه مقدس للسماء !

***

ايها الناصح الذى تتفصح
كن مثالا يكن مثالك انصح
دع كلاما مزخرفا بطلاء
نفحة الروح بالمناجاة اروح

***

اطلب الخير بين بشرى الجزاء
وامنع الشر واستعن بالرجاء
من صلاح به صفاء القلوب
انما الدين آية للصفاء

● احمد عبد اللطيف بدر ●

● الغلاف الأول ●

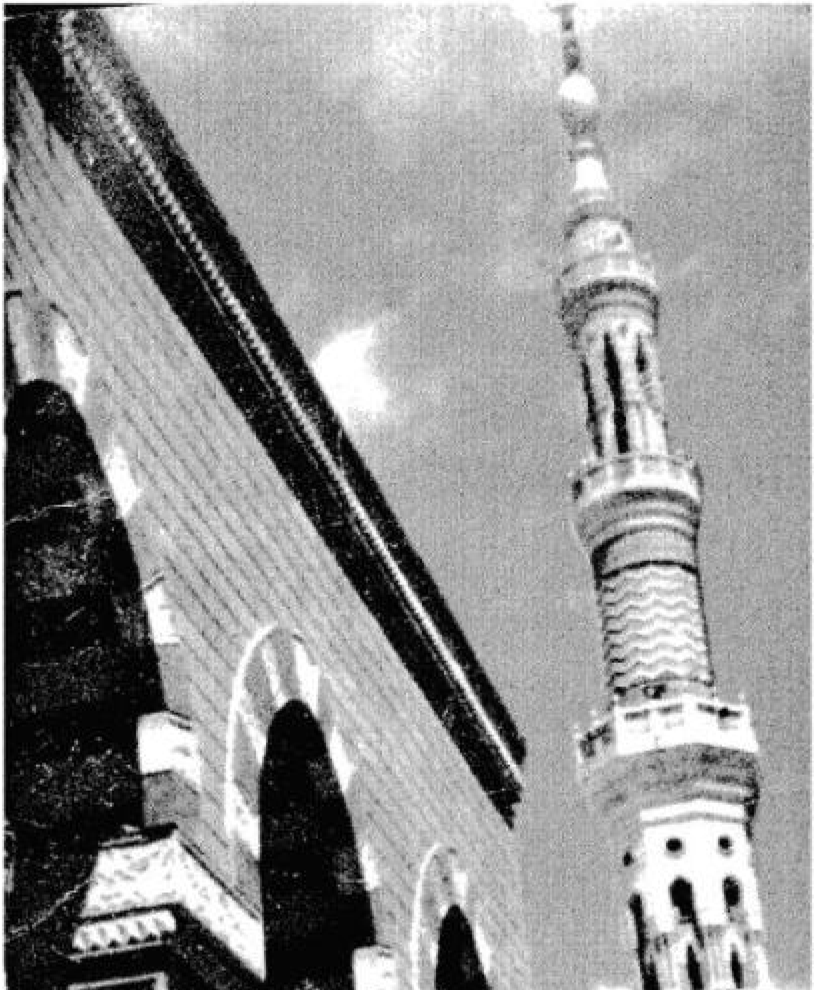


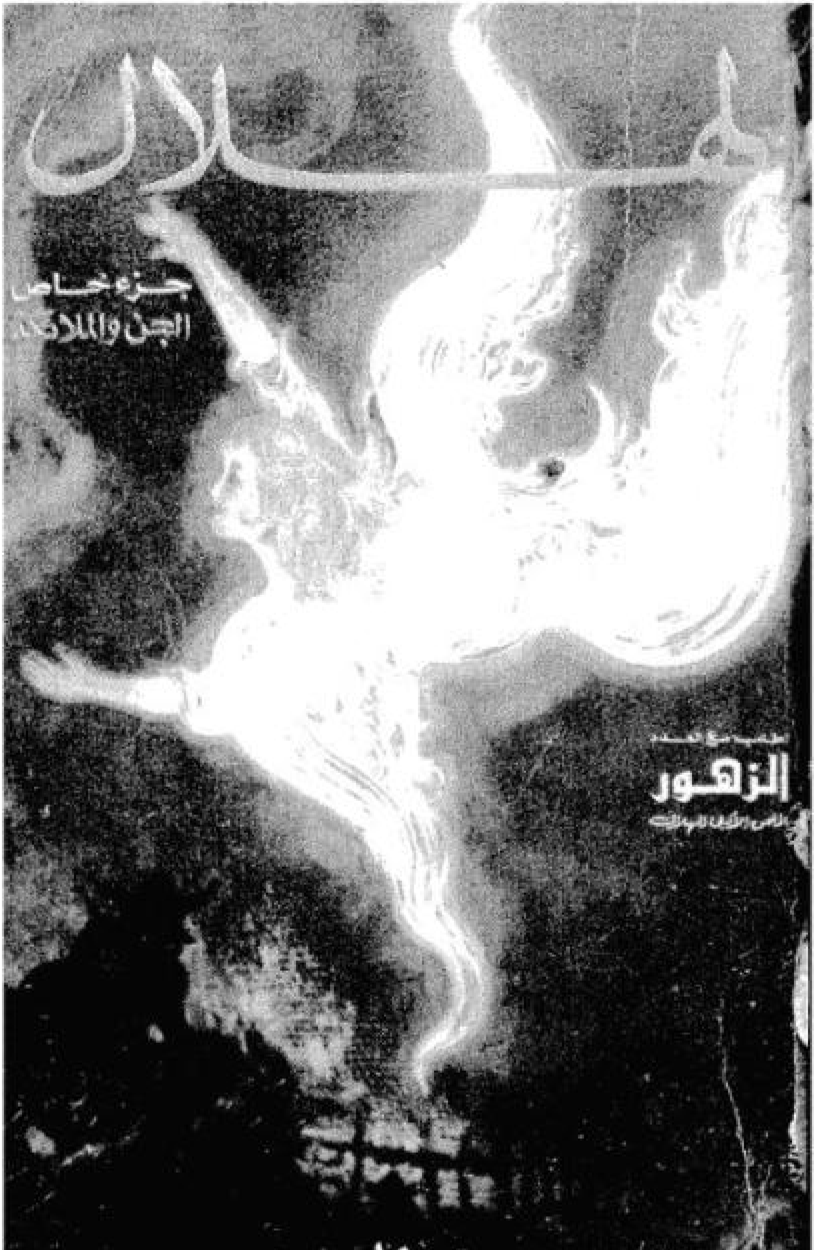
طه حسين ...
بريشة الفنان : جمال قطب

● الغلاف الأخير ●



مشهد جميل من الحرم النبوى
الشريف بالمدينة المنورة ...
تصوير : فهد الملا – البحرين




الهلال
جزء خاص
الجن والملائكة
الزهور

الهلال

ربيع الآخر ١٣٩٥
مايو ١٩٧٥

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال ـ أسسها جورجي زيدان سنة ١٨٩٢ ـ العدد الخامس ـ السنة الثالثة والثمانون ـ اول مايو ١٩٧٥ ـ ١٩ ربيع الآخر ١٣٩٥

رئيس مجلس الإدارة
فكري أباظة

نائب رئيس مجلس الإدارة
صالح جودت

رئيس التحرير
صالح جودت

مدير التحرير
نصر الدين عبد اللطيف

المشرف الفني
جمال قطب

سكرتير التحرير
عاطف مصطفى

الاشتراكات

ثمن العدد : في جمهورية مصر العربيه ١٥٠ مليما .

قيمة الاشتراك السنوي : (١٢ عـددا) في جمهورية مصر العربية وبلاد اتحادي البريد العربي والافريقي ١٥٠ قرشا صاغا . في سائر انحاء العالم ٦ دولارات او ٢٫٥ جنيه والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال . في جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية . في الخارج بشيك مصرفي والاسعار الموضحة بالبريد العادي ـ وتضاف رسوم البريد الجوى والمسجل على الاسعار المحددة عند الطلب .

الادارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب ـ القاهرة .

تليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)



د. سيد نوفل — البابا شنودة — محمد الجيار



بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الهلال

ولنقف – قبل ان نقلب صفحات هذا العدد – لحظة حداد على شهيد الأمة العربية والاسلامية ، العاهل العملاق ، المغفور له فيصل بن عبد العزيز ، الذى رجعت نفسه المطمئنة الى ربها راضية مرضية

واذا كان الحديث عن تاريخه فى الجهاد ، وبذله فى سبيل الله ، ومواقفه من قضايا العرب فى مختلف مراحلها ، فانى ادع كل هذا لمن يحدثكم عنه خيرا

منى .. ادعه للصديق الكبير الدكتور سيد نوفل ، الامين العام المساعد لجامعة الدول العربية ، فى مقاله الذى يلى هذه الكلمة

ولكننى محدثكم عن اخر لقاء لى مع الشهيد العملاق ..

كان ذلك فى مطالع العام الماضى ، وقد اديت العمرة ، وسجدت لله فى بيته الذى ببكة ، وصليت على رسوله فى المدينة ، حمدا لله ، وشكرا على نعمائه اذ كتب لنا النصر فى حرب رمضان ، وكان حقا على الله نصر المؤمنين

وفى جدة .. سألت الشاعر الحبيب ، الامير عبد الله الفيصل :





كلمة الهلال

ـ هل استطيع ان ارى والدك .. جلالة الملك ؟
وغاب الامير لحظات ، ثم جاء ليقول لى :
ـ ان والدى يسره ان يراك
وذهبت الى الرياض ، وعرفت الساعة المحددة للقاء

واتجهت الى القصر الملكى .. وهو قصر ينطق كل مافيه من بساطة ، بان سيد هذا القصر طراز من الملوك يذكرنا بتواضع عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه
وكان هناك جمع من السفراء والكبراء والعلماء ورجال الاعمال العرب والاجانب فى قاعة الاستقبال الجانبية ، انتظارا للمقابلة الملكية

حتى اذا حانت الساعة ، جاء الاستاذ احمد عبد الوهاب ، وهو من كبار رجال القصر ، يدعو بعضنا الى الدخول .. ووجدت نفسى اول مدعو
ودخلنا قاعة الاستقبال الكبرى ، التى تتراص المقاعد امام جدرانها الاربعة ، فاذا الفيصل في صدر

القاعة ، يستقبلنى ويشير لى ان اجلس فى المقعد الملاصق لمقعده

وادرت اقداح القهوة والشاى

ودار حوار بين جلالته وبينى وكانت كل كلمة منه تلتهب عاطفة نحو العروبة وقضاياها ، ونحو مصر ورئيسها ، ونحو فلسطين .. والقدس اولا . وقد نشرت هذا الحديث فى « المصور » يومئذ

ثم دار الحديث بين الملك وضيوفه ــ واحدا وراء الاخر ــ ومنهم من لا يتحدثون الا بالانجليزية . ومع ان الملك ــ رحمه الله ــ كان يجيد الانجليزية اجادة عالية ، وقد كان وهو امير ، رئيسا لوفد بلاده فى الامم المتحدة ، فقد لاحظت انه يصر على الحديث مع ضيوفه الاجانب باللغة العربية ، ويوكل لمترجم القصر ان ينقل حديثه اليهم باللغة الانجليزية .. اعتزازا بعروبته ولغة عروبته

رحم الله الفيصل ، وكتب له فردوس الاخرة ، والهمنا فيه اكرم العزاء

● صالح جودت ●

د. سيد نوفل

فيصل ابن عبد العزيز في العمل العربي المشترك

هل كان من ايات القدر ودلالاته ان يلقى فيصل بن عبد العزيز ربه شهيداً يوم ذكرى المولد الشريف لرسول الوحدة العربية ، بابعادها الاسلامية والعالمية الخالدة على الزمان ؟ !

وهل كان من آيات القدر ودلالاته ان تنشب المنية اظفارها في الزعيم العربي ، وامته اشد ماتكون حاجة الى عزمه في اخطر مراحل نضالها القومي ، وهو يمارس في مكتبه جهوده المخلصة في دعم وحدة العمل العربي وينتهي من لقاء ويتهيأ للقاء آخر مع بعض رجال السياسة والاقتصاد العرب

وهل كان من آيات القدر ودلالاته ان يستشهد القائد العربي الكبير ، ومجلس جامعة الدول العربية ، الذي طالما اعتز بمواقف الملك الشهيد الفاصلة ، يعقد فيه وزراء الخارجية اولى جلساتهم ، ويحمى وطيس المناقشة للموقف العربي والدولي ، فينزل نبأ وفاته على المجتمعين الفجيع نزول وتصمت الالسن الا من ذكر الراحل الفقيد ، وتؤجل الجلسات الى اجل غير مسمى ، حتى يفيق المجتمعون من هول النازلة ، ويؤدوا للبطل العربي واجب الوداع الأليم الاخير ؟

ليس من شك ان للقدر حساباته الدقيقة ، وآياته المعجزة ، وتصاريفه التي تحار في فهمها العقول ، وتضل في اكتناه اسرارها الأفهام ولكنها على ذلك تمضي حاسمة قاطعة ، وتمضي معها وبها مسيرة الاحداث والعصور ...



الملك فيصل مع الرئيس السادات

• فيصل الجندى والسياسى •

الحق أن فيصل من رجال التاريخ العربى المعدودين وطنيا وعربيا ودوليا ، وأنه كان مثلا عاليا فى الجندية والسياسة والحكم ..

فهو الساعد القوى لوالده المغفور له الملك عبد العزيز فى الفتوحات التى انت الى تأسيس الدولة السعودية الحديثة عام ألف وتسعمائة وواحد وثلاثين ، وفى بناء الدولة الوليدة وتكوين قوتها السياسية والاقتصادية فى شبه الجزيرة العربية الموحدة . ويكفى أن نذكر قولة والده العظيم : تمنيت لو كان لدى ثلاثة من طراز فيصل !

وهو القائد المقاتل الذى قاد ، وهو دون العشرين ، خمسة وأربعين ألف جندى فى عام خمسة وعشرين وتسعمائة وألف وانتصر فى معارك انشاء المملكة وما اتصل بها ، وهو نائب الملك فى الحجاز عام ستة وعشرين ، ورئيس مجلس الشورى عام سبعة وعشرين .

وهو وزير خارجية الدولة الفتية ، منذ عين أول وزير خارجية لها عام تسعة وعشرين ، وظل يحتفظ بهذا المنصب رئيسا للوزراء وملكا الى ان اختاره الله الى جواره .

وهو رئيس وفد السعودية لدى مؤتمر سان فرانسسكو المؤسس للأمم المتحدة عام خمسة وأربعين ، ولدى

فيصل

ابن عبد العزيز

الدورات الاولى الهامة للجمعية العامة للمنظمة العالمية ...

وهو واضع قواعد العلاقات السعودية عربيا واسلاميا ودوليا ، والساهر على تنفيذها .

ولهذا يصح القول بأن فيصل كان ملك السعودية قبل ولاية عرشها فى خريف عام اربعة وستين .

• دور فيصل العربى •

ومن اهم الادوار الاساسية لفيصل دوره فى دعم التضامن العربى والعمل العربى المشترك ، وخاصة منذ تأسيس

جامعة الدول العربية فى ربيع عام خمسة واربعين وتسعمائة والف، حتى مؤتمر القمة العربى بالرباط فى خريف عام اربعة وسبعين .

واذا كان من المتعين ان نلقى فى البداية نظرة شاملة على قواعد سياسة فيصل العربية ، فليس ابين من فيصل نفسه حديثا عنها ...

فحين بويع بعد خلع أخيه سعود ، فى الخامس من نوفمبر (تشرين الثانى) لعام اربعة وستين وتسعمائة والف ، القى اول خطاب مبينا سياسته فى بناء التنمية الاقتصادية والتقدم الاجتماعى ومجتمع الرخاء لملكته وفى المجالات العربية والاسلامية والدولية ... وقد جاءت بيعته بعد مؤتمر القمة العربى الثالث بالاسكندرية فى سبتمبر (ايلول) من ذات العام ، وما سبقه بثمانية أشهر من مؤتمر القمة العربى الثانى بالقاهرة، وما تبعهما بشهر من مؤتمر القمة الثانى للبلاد غير المنحازة بالقاهرة ..

وقد تحدث عن ايمانه بالتعاون الدولى الحر والسلام العالمى العادل، « بوحى من تعاليم ديننا ، وتقاليدنا العربية الاصيلة » ، ثم قال :

« ومن اهداف سياستنا العربية المعروفة التعاون الى اقصى الحدود

الملك فيصل فى سن الثانية عشرة



مع الدول العربية الشقيقة ، وتنفيذ مقررات مؤتمرى القمة العربيين ، والسعى الى تحرير جميع أجزاء الوطن العربى التى لا تزال تحت الاستعمار ، والسير مع الدول الاسلامية فى كل ما يحقق للمسلمين عزتهم ورفعة شأنهم ، وتأييد ميثاق جامعة الدول العربية • وتأييد ميثاق هيئة الامم المتحدة ومقررات مؤتمر باندونج ودول عدم الانحياز » •

ولكى نتبين مدى الدلالة على تقديم فيصل الالتزام بمقررات مؤتمرى القمة السابق ذكرهما ، ينبغى أن نستذكر ما تضمنته هذه المقررات من قاعدة وأربع دعائم لوحدة العمل العربى • أما القاعدة فهى دعم التضامن العربى وتوثيق الروابط الاخوية بين الدول العربية • وأما الدعائم الاربع ، فهى الاتفاق على المشروع العربى لاستثمار مياه نهر الاردن وعلى الدفاع العسكرى فى سورية ولبنان والاردن ، واقامة القيادة العربية الموحدة للجيوش العربية ، واقامة جيش التحرير ومنظمة التحرير الفلسطينية ، ودعم العمل العربى المشترك اقتصاديا وعلميا واجتماعيا ، ابتداء من قيام السوق العربية المشتركة الى قيام المجلس العلمى الدولى لاستخدام الذرة •••

الملك فيصل فى صدر شبابه



كمـــا ينبغى أن نذكر أن مصر والسعودية والكويت ، ومن بعـدها العراق فالجزائر ، قد التزمت بالقسم الاكبر من نفقات هـذه المشروعات التى بلغت فى ذلك الوقت نحـــو ثلاثمائة وخمسين مليـون جنيــه استرليني ·

وحين بويع الملك خالد عقب اغتيال اخيه فيصل ، فى الخامس والعشرين من مارس (اذار) الماضى، أكدالمتابعة للسياسة الخارجية السعودية وتحدث عن التضامن الإسلامى ركيزة للسياسة الخارجية السعودية ، وأملا فى دعم السلام العالمى العادل · ثم قال :

« والركيزة الثـــانية للسياسة الخارجية التى وضعها العاهل الراحل دعم وحدة الصف العربي واقــامة تعاون عربي حقيقي وفعال بين مختلف الشعوب العربية فى كل المجـــالات السياسية والاقتصادية والاجتماعيـة وغيرها · وهذا ما عبر عنه رحمه الله عندما قال :

« يجب على العرب بصفة خاصة ان يتصلوا ببعضـــهم البعض ، وان يتفاهمـــوا وان يتحـــابوا · وان يعتصـــموا بحبل الله جميعـــا ولا يتفرقـــوا ليــــدرءوا عن انفسهم وعن مستقبلهم ما يهددهم من اخطار ، سواء من الناحية الدينية أو من النواحى الســياسية والمذهبية ، ولقد اثبتت التجارب ان الفرقة تجلب الاخطار وان وحدة الصف تدرؤها) وستسعى حكومتنا بايمان عميق الى تطبيق ما قاله العاهل الراحل · وان المملكة العربية السعودية تعتبر نفسها سندا لكل عـــربى وفى خدمة كـل عـربى ، وتهدف الى التعـــاون والتضامن والى الاخاء ، ومن خلال هاتين الركيزتين : التضامن الاسلامى

ووحدة الصف العربى ، تنطلق جهود المملكة باعادة الحقوق المغصـوبة لشعب فلسطين ، واستعادة الاراضى العربية المحتلة ، وتجند كل طاقاتها

المادية والبشرية لاعادة الحق المغصوب وتعتمد فى ذلك ، بعد الله ، على عدالة قضيتنا وايمـان الشــعب السعودى بها » ·

وقد اكد فيصــل ، وكرر التاكيد ، ان التضامن الاسلامى قوة للتضــامن العربى ، وانه دعامة للنضال العربى العادل لتحرير الارض العربيــة المحتلة ، وفى مقدمتها القدس ، وفى

استعادة الحقوق الوطنيـة للشــعب الفلسطينى · وكان يقول دائما : ان العروبة والاســلام متكاملان ، ويتمثل بقول عمر أمين المؤمنين العـــربى ، الذى كان يطمح فيصل الى احيــاء

عهد خلافته : « نحن ـ العرب ـ قوم اعزنا الله بالاسلام ، ومهما ابتغينـا العزة فى غيره اذلنا الله » · ولم يكن فيصل يخفى أن هدف نهجه هـو حماية العرب من المذاهب الاجنبيــة المستوردة ، التى تمثل فى رأيه أعظم الاخطار ، وتحصينهم بتعاليم الاسلام: دين الحق والعدل والســلام للبشرية جمعاء ·

وليس من اليسير تتبع مواقف فيصل لاكثر من اربعين عاما ، تبيانا لايمانه بالتضامن العربى ، واعمــاله الجادة لدعم وحدة العمل العربى المشترك ·· ولكنى اكتفى بالاشـــارة الى بعض المواقف نتاجا للاتصال المباشر بها



كان الملك فيصل يحب القراءة والاطلاع

● التضامن المصرى السعودى قاعدة للتضامن العربى ●

وكان من المبادىء السياسية التى آمن بها فيصل ، وتحمس لها طوال حياته ، أن التضامن المصرى السعودى ، هو القاعدة الاساسية للتضامن العربى ...

وقد تبينت ذلك على أتمه فى رفقة مبكرة ، فى ربيع عام ١٩٣٦ ، ففى ذلك العام عهد على ماهر رئيس الوزارة المصرية الى الدكتور محمد حسين هيكل رئيس تحرير السياسة بزيارة السعودية ، ومحادثة المسئولين فى المملكة الوليدة فى دعم العلاقات المصرية السعودية ، وازالة جميع الشوائب التى علقت بها .. وحدثنى الدكتور هيكل حديثا مستفيضا عن ايمان فيصل وزير الخارجية بتنمية التعاون بين البلدين لخير الامة العربية جمعاء ، وأن والده الملك عبد العزيز يخلص الحديث فى ذلك أعظم الاخلاص .ولهذا لم يلبث على ماهر أن وقع مع الحكومة السعودية اتفاقية الاخوة والتعاون قبيل تركه وزارة الثلاثة يوم ..

وظهر هذا التعاون على أتمه فى تأسيس جامعة الدول العربية ،واتفاق الرأى السعودى مع الرأى المصرى فى جميع المواقف ، وفى زيارة الملك عبد العزيز لمصر عام ١٩٤٦ ، وافتتاحه مع رئيس الدولة المصرية أول دار للجامعة ، وفى مناصرة حركات التحرير العربية وفى القاومة للاستعمار البريطانى فى عمان والخليج فى أواسط الخمسينات ، وفى التعاون ضد العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ سياسيا واقتصاديا ، وفى مقاومة العدوان الاسرائيلى عام ١٩٦٧ ، ثم فى حرب اكتوبر المجيدة عام ١٩٧٣ . وكان فيصل رئيس الحكومة ثم الملك يؤكد دائما أنه لا يحرص على شىء حرصه على قوة مصر ودعم مواقفها ، وانعلم يأس لشىء أساء لتعكير صفو العلاقات بين البلدين الشقيقين فترة من الزمان وأن رأيه فى ذلك يستند الى تحرى المصالح العربية العليا ، والتقدير الحق لضرورة استخدام جميع القوى العربية القادرة على مواجهة الاخطار العدوانية التى تتهدد الامة العربية ، وعلى بناء التقدم العربى الاقتصادى والاجتماعى ..

فيصل
ابن عبد العزيز

● دور فيصل في الصراع العربي الاسرائيلي ●

وكان دور فيصل في الصراع العربي الاسرائيلي دورا بارزا ، يتميز بالجد والمثابرة والاخلاص ، والتقدير السليم للواقع العربي والدولي ... وقد عاصر هذا الصراع واخلص في اداء الواجب نحوه ، منذ بداية العشرينات الى أن لقي ربه . وكان منذ العدوان الاسرائيلي الحالي يدعو الله دائما أن يصلي في مسجد عمر بمدينة القدس بعد تحريرها . وترك الدنيا ، محملا المخلصين لبلاده ولوطنهم الكبير مسئولية التحرير للمدينة العربية المقدسة ... وكان منطلقه في هذا عربيا اسلاميا ، اذ يؤمن بان اغتصاب اية ارض عربية اسلامية يفرض على العرب والمسلمين النضال الى أن يتم استرداد الحق السليب ، وتحرير الارض المحتلة ، وان القاعد عن ذلك اثم امام امته في الدنيا ، وامام ربه في الاخرة ...

لكنه كان يؤكد مع ذلك دائما ان الامر يستلزم العمل الجماعي العربي والاسلامي ، على اساس علمي وخطة مدروسة واستخدام تام لجميع الامكانيات العربية، وسعي للافادة من جميع القوى الدولية .. وكثيرا ما قال « ان ردع الخطر الاسرائيلي رهن بانتهاج سياسة واضحة ، قوامها جهد دائم ، ليتخلص كل عربي من لعنة التخلف ، وتعاون عربي مخلص بين كل العواصم العربية مهما تنوعت نظمها السياسية والاجتماعية » .

وفي عام سبعة واربعين وتسعمائة والف ، كان قطب المجموعة العربية لدى الامم المتحدة . ومن أجل فلسطين أيد دعوة مصر الى انتهاج سياسة مستقلة في الامم المتحدة ، تلتزم بمبادىء الميثاق والعدل الدولي ، ولا تميل شرقا ولا غربا ، وجمع الدول العربية من حول هذه السياسة المستقلة ، التي سميت من بعد سياسة الحياد الايجابي او عدم الانحياز .. وانتقد موقف الولايات المتحدة الامريكية عدة مرات داخل الامم المتحدة ، وفي المناسبات الاجتماعية .

ومن قوله في المناقشة العامة للجمعية العامة : « اننا نطلب بحث القضية على اساس الحق والعدل ، غير متأثرين بموقف دولة معينة أو لجنة معينة . لقد كنا نرجو الا يسرع رئيس وفد الولايات المتحدة الامريكية الى معارضة حقوق الشعب الفلسطيني ، قبل اجتماع اللجنة السياسية ومناقشة الموضوع . كما كنا نأمل من حكومة الولايات المتحدة ومندوبها الحياد ! . لكنه يسارع الى ابداء رأيه قبل بحث الموضوع وتكوين رأى فيه » .

وفي نهاية المناقشة لقضية فلسطين، في أواخر نوفمبر (تشرين الثاني) هاجم في قوة وصدق موقف الولايات المتحدة وبريطانيا وحملهما مسئولية الظلم الذى وقع على فلسطين العربية وقال مفندا اقوالهما :

« والزعم بان قسمة فلسطين تفض المشكلة زعم تحكمي ، مصدره روح الاستبداد . وتدخل حكومة الولايات المتحدة لصلحة الصهيونيين وتأييدها لهم امران شاذان غير مفهومين . وبخاصة ان الحكومة الامريكية تقيد الهجرة الحرة الى بلادها . وأن تصريحات مندوب الولايات المتحدة ،

واعضاء الكونجرس وكبار المسئولين في الحكومة الامريكية ، لتدعو الى العجب . كما انها تناقض مبادىء ميثاق الاطلسي ، وميثاق الامم المتحدة ، وتمثل افتياتا صارخا على حقوق الانسان الاساسية »

وفي سبيل نصرة النضال العربي ضد الاستعمار الصهيوني ، ادى فيصل ما رتبه على حكومته من الالتزامات المالية السمحاء في اوقاتها وباسلوب مثالي حقا ، واستخدم الامكانات الاقتصادية والسياسية الكبرى المتاحة له ، وسعى لدعم الروابط العربية بالدول الاسلامية والافريقية وسائر البلاد النامية ،كما سعى لكسب القوى الاجنبية المؤثرة ما وسعه السعي ومكنه الجهد ...

الثقة بالنفس والايمان يرتسمان على وجه العاهل العظيم الملك فيصل



بين الشئون الداخلية والمسئولية القومية

وفي مجال المسئولية العربية القومية ، كان فكر فيصل متقدما الى أقصى غايات التقدم ... وكان يرى انه

لا يمكن لاي مما يسمى الشئون الداخلية لدولة عربية أن يحول دون حمل المسئولية القومية من تصحيح

نهجها عند الاعوجاج ، وفي تنبيهها الى أن المصالح العربية العليا واحدة لا تتجزأ ..

ولقد اعجبت بالكثير من مواقفه في هذا الشأن ، وفي حثه الصريح للدول العربية بان تؤدي واجباتها نحو بعضها البعض دون قصد ولا من ..

وما زلت اذكر بالاعجاب مواقفه في المبادرات المتصلة الى الالتزام بالواجب القومي ، كما كان يحرص على ان يسعى لتقديم العون المالي ، من دولة عربية الى شقيقاتها العربيات

كان ذلك رائعا في مؤتمرات القمة عامي أربعة وستين وخمسة وستين بالقاهرة والاسكندرية والدار البيضاء ، وفي معارضته لوقف

سياسة القمة عام ستة وستين .وكان اروع ما يكون في مؤتمر الخرطوم عام سبعة وستين ، وفي مؤتمري الجزائر والرباط من بعدهما ..

ولقد أعجبت ايما اعجاب بموقفه الرائع في معارضة حلف بغداد عامي اربعة وخمسين وخمسة وخمسين كما اعجبت بموقف فريد له في عام تسعة وخمسين وكان ذلك اثناء اجتماع اللجنة السياسية لوزراء الخارجية العرب ببيروت في السابع من ابريل (نيسان) لذلك العام

فيصل
ابن عبد العزيز

لقد كان اجتماع اللجنة مخصصا لبحث موقف العراق ، لعهد عبد الكريم قاسم ، من بعض شقيقاتها·· وتحدث احد وزراء الخارجية مشيرا الى ان العراق متخلف عن الاجتماع، وان هذا البحث يمكن ان تعترض عليه الحكومة العراقية بانه يناقض احكام ميثاق الجامعة التى تحظر التدخل فى الشئون الداخلية للدول الاعضاء ·

ولكن فيصل ، رئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية حينذاك ، انبرى فى قوة يقول : لقد تجاوزت امتنا هذه المرحلة التى مرت عليها خمسة عشر عاما · ولم تصبح هنالك شئون داخلية لاى بلد عربى وشئون عربية مشتركة فكل شأن من شئون اى من بلادنا ، يرهص من المصالح المشتركة والاخطار المهددة لنا جميعا ، هو شأننا كلنا ومن حقنا أن نعمل من أجل اصلاحه·

ثم اتجه الى قائلا : لقد عودنا الدكتور نوفل أن يعبر عن آرائنا ويصوغ مشاكلنا فى أسلوب يختصر الكثير من الجهود الضائعة ، ويؤدى للوطن ولكل ذى حق حقه ··· فأرجو أن يصوغ المبادىء التى تحدثنا فيها، ويعرضها علينا ··· »

وتلقيت شكرا ما زلت اعتز به من فيصل ومن اللجنة ،كما تلقيتموافقتها على مشروع القرار ، المعبر عن الحرص على التضامن العربى، ورعاية المصالح القومية الاساسية ، وعن مبادىء فيصل العربية الصريحة ··

وقد تضمن ما يأتى :

«اولا ـ وجوب تمسك الدول العربية بسياسة عدم الانحياز ، وعدم التبعية، وهى السياسة التى تصون استقلال الدول العربية وسيادتها مبتعدة بذلك عن المؤثرات والتيارات الخارجية المختلفة ·

«ثانيا – اعراب اللجنة عن الحرص على تمكين الاواصر القومية التى تشد العرب بعضهم الى بعض ، والتى تقضى بالتضامن ووحدة الصف العربى انسجاما مع مبادىء ميثاق جامعة الدول العربية ·

« ثالثا ـ شجب اللجنة لاى تأثير خارجى ، من اى جهة اتى ، يستهدف تفرقة العرب ، والتجاوز عن حقهم فى تقرير شئونهم بانفسهم ، او يؤدى الى المساس بمعتقداتهم وبقضاياهم القومية ومثلهم العليا ، أو يجر الى تدهور العلاقات بين الدول العربية ·

« رابعا ـ مناشدة اللجنة للحكومة العراقية الانسجام مع الدول العربية فى التقيد بالقررات المتخذة فى هذا الاجتماع ، وذلك حرصا على التعاون والتضامن فيما بين العرب جميعا ، ومن اجل مصلحتهم العليا » ·

رحم الله فيصلا ! لقد كان عظيما فى حياته وفى مماته ، وكان احسن اسوة للعرب وللمسلمين · وكان حقا لامته ان تاسى اعمق الاسى عليه ···

ولم يكن عجبا ان تفيض نفوس اعدائها حقدا عليه طوال حياته ، والا يستطيعوا كتمان الشماتة بعد وفاته

لكن فيصلا ، بمبادئه ومثله العالية ونهجه القومى والدينى ، خالد فى ضمير امته ، وفى ضمير الانسانية ·



دعاء من اعماق قلبه كان يردده
الراحل العظيم الذى فقدت به
امتنا العربية رجلا من اعظم رجالها

هارون هاشم رشيد

طوى الجزيرة

«بطاقة تعزية الى الصديق العزيز
الشاعر عبد الله الفيصل ..»

طوى الجـــزيرة .. قل بالله ما الخبر
واحر قلبــــــاه زيغ العقل والبصر

طـوى الجــــزيرة حتى ما أتى بلدا
الا وخلفهـــــا والدمع ينهمـــــر

مسافر ، مسرع ، يمضى على عجــل
يدق اكبادنا حــــــزنا ، ويعتصر

يحط فى كـــل بيت لمســـة فعلى
كـــل الوجــــوه له من لوعـــة اثر

الفيصل يا لهـــا من لحظـــة عظمت
فتفجـــرت كل ما فى النفس يدخـــر

يا لحظة الهول .. ماذا قال فارسـنا
عند الفراق .. وماذا خط يعتـــذر

ترجل الفارس المملاق واعجبــــا
ومهره فى جبين الشمس ينتظـــر

ترجل الفارس المملاق .. لا .. ابدا
ما زال فى اعين الاحبـــاب ينتشر

الفارس الفارس العمـــلاق يا وطنى
من هز سيفا على الاعداء يشـــتهر

من جنـد العمر للامال يزرعهـا
فى كل شبر فيعطى الرمل والحجـر

يا راية المجد هلى غيـر خائفـة
وفيصل بيننا .. الفعل والفكـر

دعا الى الله فى عصر تمـوج به
عصائب الشرك ، تستعدى وتشتجر

وراح جـواب الافاق برايتـه
يرد هجمة من ضاوا .. ومن كفـروا

يرد عن سـاحة الاسـلام غائلة
تبيت الغدر للاسـلام تدخـر

قد قال قولتـه ، والجـو ملتهب
على القنـاة .. ونار الحرب تستعر

لنا السلاح من البترول ترفعـه
على العداة ونمليـه فيقتـدر

ليعلموا اننا فى الصف وحـدنا
ايماننا واضاءت دربنا السـمر

قد قالها فمضت فى دربنا قبسـا
يثرى ايامنـا اشراقه العطـر

وقال يا قدس بى شـوق وبى لهف
الى لقاك ترى هل يسمح العمـر

اغلى امانى فى الاقصى محـومة
على القبـاب كطير هزه السحر

مشـوقة لرحاب الله تائقـة
الى صـلاة به ، بالنصر تأتزر

القدس اى حـوار لا يرد لهـا
وجه العروبة مهزوم ومنحسـر

القدس كيف ينام المسلمون وفى
ساحاتها دنس الاعـهاد ينتشر

رحلة الشهر

مهرجان الشعر في الجزائر

في مسيرة الدعوة الاسلامية التي ترعاها الحكومة الجزائرية المؤمنة ، يقام الملتقى التاسع للفكر الاسلامي بمدينة تلمسان ، ويستمر من الفاتح الى العاشر من رجب (١٠ - ١٩ يوليو) . وقد دعي الى هذا الملتقى اعلام الباحثين من العالم الاسلامي وغيره ، لالقاء المحاضرات وعقد الندوات والنقاش حول عدة قضايا كبرى اهمها ما يلي :

(١) مساهمة تلمسان الزيانية في الحضارة والفكر الاسلاميين والعالميين - وأسباب الازدهار والانهيار .

(٢) موقف اسطنبول وبقية العالم الاسلامي من سقوط الاندلس ، وآخر مسلميها ، أمام الغزو الاوربي للعالم الاسلامي عامة .

(٣) هل كان الشعر في الاندلس سببا في انحلال اخلاقها ثم سقوطها ، أو كان مجرد مرآة وانعكاس ؟

(٤) دور الآداب والفنون عموما ، والشعر والموسيقى خاصة ، في تعزيز أخلاق أمة أو انحلالها ، وفي شحذ عزائمها أو قتل روحها .

(٥) العدالة الاقتصادية والاجتماعية في الاسلام وأوضاع الامة الاسلامية اليوم ·

(٦) مقصد الشريعة من الحج ، والطريقة التي يؤدى بها اليوم



مولود قاسم وزير التعليم الاصلي

وسوف يشهد هذا الملتقى جمهور واسع من الشباب الجزائري يربو على الالف ، فضلا عن سكان مدينة تلمسان وضواحيها ·

ومن اللمحات الكريمة في الدعوة التي وجهت الى المحاضرين ، وعد بالاحترام الصارم لجميع الآراء في النصوص ، والا يعدل منها حرف واحد ، على أساس سعة الصدر من طرفهم لقبول المناقشة ، والنقد من طرف بعضهم بعضا ومن طرف الطلبة وغيرهم من الملتقين ، في هدوء وموضوعية ، وفي حدود الآداب المرعية في مثل هذه التظاهرات ··

وقد تلقيت الدعوة الى المشاركة في هذا الملتقى ، من السيد مولود قاسم نايت بلقاسم ، وزير التعليم الاصلي والشئون الدينية بالجزائر ، واستجبت اليها شاكرا ·

وهذه هي المرة الثانية التي اشهد فيها هذا الملتقى السنوي

كانت المرة الاولى منذ عامين بمدينة تيزي اوزو المجاهدة ، وكان على رأس وفدنا المصري ، الدكتور عبد العزيز كامل نائب رئيس الوزراء السابق وكان موضوع بحثه يومئذ انشاء أجهزة اقتصادية وعسكرية موحدة لبعث الامة الاسلامية والدفاع عنها وتنميتها حضاريا للتعاون على اللحاق بركب الشعوب المتقدمة ·

وكان وفدنا يضم الامام الجليل الذي فقدناه بعد الملتقى بشهور معدودات الشيخ محمد أبو زهرة، الذي كان لعلمه الواسع وحافظته القوية ومنطقه الرائع ، كل ذلك مضافا الى خفة ظله ، أجمل الاثر في نفوس الحاضرين والمشاركين في الملتقى ·

وكان السيد مولود قاسم ـ وهو من أصحاب الصحائف المشرقة في تاريخ الثورة الجزائرية ـ لطيفا في ادارة الملتقى ، حتى في ساعات غضبه من أجل الحرص على النظام ومسيرة النقاش في الدروب المحددة ·

ولا شك ان هذه الملتقيات كفيلة بان تستحدث تطورات حيوية في أعماق الامة الاسلامية ، ولا سيما اذا اقترنت بجهاز للمتابعة ، يعمل على تنفيذ الافكار النافعة البناءة الجديرة باحياء الامة الاسلامية وتطهير الفكر الاسلامي من البدع والخرافات التي اخترعها المبشرون والحاقدون على الاسلام ، وساعد على انتشارها الجهل والسطحية والدعوات الالحادية المنحلة ·

تلمسان .. زينة البلدان

ومدينة تلمسان ، ذات تاريخ عريق في الادب والعلم والفن والجهاد ·
ويقول استاذنا محمد عبد الله عنان انه سمع ترنيمة دارجة حلوة يرددها ابناء الجزائر عن هذه المدينة ، تقول :

« تلمسان زينة البلدان ، ماها ، وهواها ، وتلحيفة نساها ، ما هي في البلدان »

ويسمونها ايضا « لؤلؤة المغرب »
وقد قامت على انقاض مدينة « بومـــاريا » الرومانية وسميت أجادير ، ثم تلمسان ·
وكانت تلمسان في عهد دولة بني زيان حاضرة من اكبر حواضر العالم الاسلامي ، كالقاهرة وبغداد ، وقد برز فيها كثير من العلماء والادباء والشعراء والموسيقيين ·
ومن رجالاتها الخالدين ، ابن الفحام الذى اخترع الساعة الناطقة ، والمقرى ، صاحب ديوان « نفح الطيب » ·

ومن امجادها القديمـــة أن ملوك الدولة المرينية في مراكش حاصروها ثماني سنوات ولم يقدروا على فتحها ·· وفي هذا الحصار استشهد نحو مائة الف ، وشاعت المجاعة حتى اصبح الناس ياكلون الكلاب والقطط والفئران ، وبلغ ثمن الفار كما يقول الاستاذ عنان - عشرة دراهم !

وفي تلمسان مجموعة من المغارات ، تعد اجمـــل مغارات العالم ·

هـــل هـــذا شعـــر؟؟

اسهم الشاعر السوفييتي ايفتوشنكو ، الذى يلقبونه هناك بشاعر الشباب السوفييتي (وعمره ٤١ ســـنة) في الحملة الصحفية التى يشنها الاتحاد السوفييتي على ماوتسى تونج ، زعيم الصين الشعبية ، بقصيدة نشرتهـــا احـــدى الصحف الاسبوعية السوفييتية منذ اسابيع قريبة ، يقول فيها ان القادة الصينيين يحولون الشعب الى آلات « اوتوماتون » مجردة من الثقافة والفكر ·

ويقول الشاعر السوفييتي ان قصيدته مستوحاة من حوار دار بينه وبين احد اللاجئين الصينيين في هونج كونج سنة ١٩٧٢ ··

ويعترف هذا اللاجيء - في القصيدة - بانه لا يعرف شيئا

من شكسبير أو موزار ، وأن المصدر الوحيد للمعرفة عنده هو الرئيس ماو ، الذي قال له « ان الروس هم الد اعدائنا » .

وهذه ترجمة امينة لبعض أبيات من القصيدة :

« ان رأس الرصاص يتمارج ، وكأنني أعمى » .

« وانا أسمع هذه الكلمات الغبية من الهاتف الذي يبـــعر ، وكأنه نائم ، مخدوعاً في وجـــوده الانساني بحضاض امرأة حائض » .

صدقوني ايها القراء .. انني لم افهم من هذه الابيات شيئا .. ولم اجد فيها روح شاعر ولا بخيال شاعر ولا الفاظ شاعر . وبالمناسبة .. اقول أن اشهر اعمال هـــذا الشـــاعر ، هي ملحمة بابي يار ، التي يمجد فيها اليهود ويبكي ويستبكي على موتاهم من ضحايا هتلر ..

واخيرا اقول .. هل الحرية في ظل السوفييت .. اســـعد حالا منها في ظل الصينيين ؟ .

مـــع شـــاعـــر مـــن قـــلـــب الجزيـــرة



م . ع . الهمشري

تفضل صديقي الاديب الكبير الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي فحمل لي كتابا ذكرني مؤلفه باسم شاعر راحل من اصدقاء الشباب ، وهو المرحوم محمد عبد المعطي الهمشري الذي كان يحب أن يوقع قصائده دائما باسم « م . ع . الهمشري » .

ومؤلف هذا الكتاب الذي اتحدث عنه ، يحب هو الآخر ان يكتب اسمه هكذا : م . ع . الرميح .

وهو اديب وشاعر سعودي يعمل في السلك السياسي .

اما كتابه ، فاسمه « قراءات معاصرة » .. وهو مجموعة من الدراسات والمراجعات واللقاءات .

ورغم ان الكتاب حافل باللمحات الذكية ، فانني قد اختلفت مع المؤلف منذ البداية ... وهو يتحدث عن الشعر ، ويسمي الشعر العمودي بالشعر القديم ، بدلا من ان يسميه بالشعر القويم .

يقول المؤلف :

« فالشكل التقليدي لصناعة الشـــعر يجعل الشاعر رازحا تحت عبودية الوزن والقافية ، ويمنعه من الحركة الا في حدود وخطوط هندسية معينة »

ويقول :

« واعتقد لو ان الفراهيدي نفسه كان حاضرا في هذا العصر »

لنا قبل بأن يبقى الشعر حبيس الجدران العروضية »

ويقول :

فالشاعر العربي القديم كان يصرف كل وقته فى صياغة قصيدته من الخارج ، أى انه كان يهتم بالبهرجة والتزاويق البيانية والبلاغية واللفظية اكثر بكثير من اهتمامه بالجو الداخلى للقصيدة »

واخيرا يقول :

« انا اقول ان الشكل التقليدى للقصيدة العربية قد جاء مناسبا لحياة الشاعر الجاهلى وتجارب عصره ·· ويتوجب علينا نحن أن نبتدع لنا اشكالا تتناسب مع واقع حياتنا وتجارب عصرنا

« انا أقول ان الشعر العربي القديم شعر مغلق ، وما نسميه بالشعر الحر هو المتفتح الصاعد أبداً »

وأنا لا استنكر ·· ولكنى استغرب أن يصدر هذا القول عن شاعر من قلب الجزيرة العربية ··

وأحب ان اسأله : هل كان شوقى والاخطل الصغير ·· ومن قبلهم البارودى واسماعيل صبرى ·· ومن قبلهم بكثير ، المتنبى وابن الرومى ، شعراء مغلقين ؟ ·· وهل كانوا يتحركون فى حدود وخطوط هندسية معينة ؟ وهل كانوا يصرفون كل أوقاتهم فى صياغة قصائدهم من الخارج ؟

واذا كان هذا صحيحا، فلماذا يكتب المؤلف ـ فى كتابه هذا ـ فصلا كاملا عن ابى القاسم الشابى ، الذى لم يجنح فى حياته الى حماة الشعر الجديد· ويبدى اعجابه به الى ابعد الحدود ·

واذا كان الشكل التقليدى للقصيدة العربية قد جاء مناسبا لحياة الشاعر الجاهلى وتجارب عصره ·· فلماذا لا تجد الشعوب المعاصرة فى أزمات الحرية اجمل من بيتى الشابى ·· الشاعر التقليدى :

اذا الشعب يوما اراد الحياة
فلابد ان يستجيب القدر
ولا بد لليل ان ينجلى
ولابد للقيد ان ينكسر

وهل فى الشعر الجديد ـ بجميع قصائده ـ ما يقف الى جانب بيت واحد فى هذين البيتين ؟

اللهم اننا نسألك الهداية لنا ·· ولسائر الناس

إلى مدير الجامعة ..

كلية الفنون الجميلة – ولها الحق – لا تقبل حاملي شهادة الثانوية العامة على أساس المجموع المرتفع وحده ، بل على اساس « القدرات » اولا .. لان طبيعة الدراسة في هذه الكلية تتطلب الموهبة قبل كل شيء

اريد ان اقول للسيد مدير الجامعة ان كلية دار العلوم ، ورسالتها تخريج القوامين على اللغة والادب ، تحمل نفس الطبيعة ولابد ان يكون للقدرات في القبول بها ، الاعتبار الاول قبل المجموع .

اقول هذا ، بمناسبة خطاب تلقيته من طالب بكلية دار العلوم، لن اذكر اسمه ترفقا به .

يقول الطالب في خطابه هذا :

« انني قاربت الانتهاء من بحث عن حياة الشاعر محمد عبد المطلب ، واخذ مني وقت كبير »

هكذا لا يعرف طالب بكلية دار العلوم الفارق بين الفاعل والمفعول

وقد تضمن الخطاب قصيدة من نظم الطالب ، مهشمة الاوزان والقوافي .. يقول فيها لحبيبه ، « فترك الياس » ... ويقصد « فاترك اليأس » .

طالب في دار العلوم .. لا يعرف كيف يكتب فعل الامر !

وا اسفاه ..

صورة الرافعي ..



● فانه يسرني في هذه الرسالة المتواضعة ان اعبر لكم عن اعجابي وتقديري لكم شخصيا ولمجلتكم الغراء « الهلال » وللسادة الكتاب والادباء والشعراء الذين تنشرون لهم مقالاتهم في هذه المجلة الكريمة . كما انني اتقدم لكم بشكري ثم اعجابي للخطوة الكريمة التي بدأتموها من نشر صور ملونة للادباء والشعراء والمفكرين المصريين ، فهذا عمل يستحق كل الشكر والتقدير ، وذلك نظرا لما يرغبه كثير من قراء العربية من معرفة اشكال وهيئات الادباء والكتاب والشعراء الذين يقرأون لهم مؤلفاتهم ومقالاتهم ..

ومما يسرني ايضا في هذه العجالة (وهي البادرة التي من اجلها كتبت رسالتي هذه) ان الفت النظر اليه هو ان كثيرا من قراء ادب الاديب الكبير المرحوم مصطفى صادق الرافعي عندهم الرغبة في ان يكون بحوزتهم صورة للاستاذ الرافعي رحمه

رحلة الشهر

الله ، فاكثر الناس لا يعرفون شكله وهيئته • لذا نرغب اليكم فى ان تتفضلوا بنشر صورة « ملونة » له ولكم منى ومن قراء الادب واللغة العربية كل شكر وامتنان ودمتم والسلام عليكم •

دمشق ● محمد ميسر الاصفر ●

ـ شكرا للقارىء الكريم على كلماته الحلوة • أما صورة الرافعى ، فقد قدمناها مع العدد الماضى •

أغنية البجعة لمحمد الجيار

يسمى بالانجليزية اخر عمل فى حياة الفنان ، ســواء كان شاعرا أم موسيقيا ام فنانا تشكيليا « اغنية البجعة »

ذلك لأن طائر البجع يغنى اغنية الوداع حينما يدركه الموت وقد كانت اغنية البجعة للشاعر الذى فقدناه يوم الجمعة الموافق ٤ ابريل الماضى ، محمد الجيار ، هى قصيدته المنشورة فى هذا العدد من « الهلال » •• اذ بعث بها الينا قبل ان يذهب للقاء الله بثلاثة أيام •

وفى يوم الاربعاء السابق لرفاته حدثنى تليفونيا ••• وكان صوته المعروف بالصـفاء مما جعله نجما من نجوم الالقاء الشعرى بالاذاعة متحشرجا بصورة غير عادية •

وسألته عما به ، فقال لى انه يعتقد انه قد أصيب فجأة بسرطان فى الحنجرة •

سألته : هل قال لك الاطباء ذلك ؟

قال : لا ••• ولكنى أتصور ان هذا هو الذى اثر فى صوتى

قلت له : لا تدع الوهم يسيطر عليك اذهب فورا الى طبيب مختص

ولكنه لم يذهب •••

وفى اليوم ، التالى نزف الكثير من دمه ، وسقط فى اغماءة ، ونقل الى المســتشفى حيث أجريت له عمليات نقل دم ثلاث مرات ، واتضح ان مرضه هو قرحة فى المعدة ••• ولم تفلح كل المجهود التى بذلت لانقاذ حياته واسلم الروح يوم الجمعة

كان الجيار شاعرا خصب الانتاج الى حد انه كان يقدم للاذاعة احيانا اكثر من عشر قصائد فى الشهر الواحد •

وكان برىء النفس براءة الطفل ••• يعيش وحده عيشة شاعرة شاردة ، فى بيت صـغير جميل الالوان والاضواء . كأنه عش بلبل ذواقة

وكان ـ على فقره ـ يفتح باب عشه لاصـدقائه ، يسهرون ويسمرون معه ، وأحيانا يبيتون ، وينفق فى ســبيل متعته الروحية بهم كل قرش يملكه ، حتى مات وهو لا يملك من متـاع الدنيا اكثر من ثمانى جنيهات

رحم الله الجيار ، وانزله واسع جناته

قرأت هذا الشهر



د. مصطفى محمود

● **الماركسية والاسلام** : متعة روحية جديدة · بقلم الاديب العالم المؤمن الدكتور مصطفى محمود ، يدافع فيها عن دين الله ضد غائرة الالحاد والهرطقة ··

يستهل المؤلفكتابه هذا بهذه العبارة الرفيعة :

« الحرية هى نقطة البدء · وليست الحرية هى ان نجد ما ناكله (كما يعرفها بذلك الماديون اصحاب فلسفة المضمون الاجتماعى للحرية) · فالحيوان يجد ما ياكله · وضمان الطعام لا يكفى ليجعل من الانسان انسانا · فالانسان حيوان حر ، يفكر لنفسه ، ويقرر لنفسه ، وقد يختار الجوع ليصوم · وقد يختار الموت دفاعا عن قضيته فيموت ، وقد يتطوع فى حرب انتحارية يعلم انه لن يعود بعدها ، لانه قرر ان يقول : لا·

وفى هذه القدرة على أن يقول « لا » للظلم ، و « لا » للباطل ·· يكمن المعنى الوحيد لحريته ·

(الناشر : دار المعارف بمصر)

● **ديوان حمام** : مجموعة من شعر الشاعر الراحل محمد مصطفى حمام ، اقتصر فيها على شعره القومى والدينى ، دون شعره الفكه الذى اثر عنه فى حياته ، والذى يستاهل ان يجمع فى ديوان مستقل ·

(الناشر : الهيئة العامة للكتاب)

● **فى ظلال الحرية** : مجموعة مقالات فى توصيف الحرية والدعوة اليها ، للاديب العراقى الدكتور محمد بديع شريف

(الناشر : دار الفكر بالقاهرة)

● **توفيق الحكيم الذى لا نعرفه** : صفحات مجهولة من ادب توفيق الحكيم ، ونظرة جديدة الى انتاجه ، بقلم الدكتور رمسيس عوض ·

(الناشر : دار وهدان للطباعة)

● **انيس منصور ، حياته وادبه** : دراسة طريفة لنتاج الكاتب الصحفى الخصب انيس منصور ، بقلم الناقد الاديب مامون غريب ··

(الناشر : المكتبة العصرية ببيروت)

● **الاسلام ومشكلات الفكر** : دراسة علمية واعية لمشاكل العصر فى مرآة الكتاب والسنة والاجتهاد ، بقلم الاستاذ الكبير لمنعى رضوان ·

(الناشر : دار المعارف)

● ص · ج ●

صالح جودت

فدائية

قيلت فى مهرجان الشعر العربى بالجزائر

لقيتها ساعةَ العشيه   حسناء كالزهرة النديه
شبابها فيه كبرياء   ورُوحها ملؤها حميه
تمشى على « السين » فى اعتدادٍ   كصخرة صلبة عتيه
وترمق الكون فى تحدٍ   للسيف والخوف والمنيه

***

حسبتها من مدى حنينى   لسمرة اللون قاهريه
فابتسمت عن رضا وقالت :   صدقتَ لو قلتَ يعربيه
فكلنا فى النضال أهل   وبيننا وحدة القضيه

***

عجبت للشجو فى لثاها   كأنها بالصبا شقيه
فى عمرها تبهر الأمانى   لِداتها بالرُؤَى الهنيه

فما لهذي القطـــاة غضبىَ في ســـنها الحلوة الطـــريه

ومالهـــا انكرت صـــباها وما لهـــا جـــردت حلْيـــه

وضجّ في قلبهـــا طمـــوح أســـمع في خفقـــه دويه ؟

***

ســـألتها ما اســـمها ، لعلي أعرف من جرســـه الهـــويه

قالت : اذا شئت فهو « ليلى » لـــكنني لستُ عامـــريه

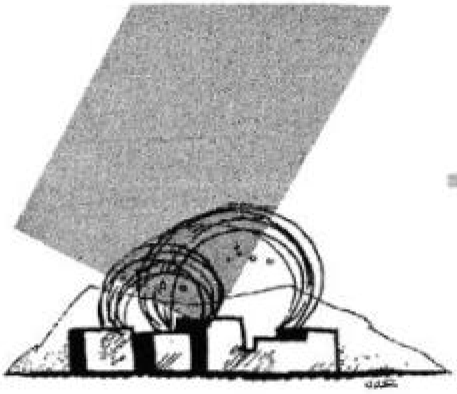
لا قيسُ يعدو على شـــبابي ويُحـــكم القيـــد في يديه

أنا فدائيـــــةٌ وروحـــي للموت مفتـــوحة الشـــهيه

أمشي بيـــاريس لا أبـــالي بكل مايشـــغل البـــريه

بالرقص والنقص والأغـــاني والـــكاس والطـــاس والخطيـــه





فدائيـــة

والشـم والإثم والتـــراخى والليـــل والمتعـــة الغـويه
مـا همنى أن يقـــال إنى فى ميعتى لست عاطفيـــه
فلى هنـــا ألف ألفِ ثـــأر أعيش من أجلهـا صـــديه
وخمــرتى من دم الأعـــادى وفرحتى صـــوت بندقيه
لم يعترف بالهـــوى فؤادى إلا هـــوى تربتى الزكيـــه
فى حضـــنها نام ألفُ ألفٍ من أهل بيتى ومن ذويـــه
اســـتشهدوا للحمى ولـــكن قبـــورهم لا تزال حيـــه
تهيب بالشـــعب كل فجـــر أن يرتدى للجهـــاد زيه
لا وقتَ للحب فى بـــلادى وذاك أنى جـــــزائريه

***

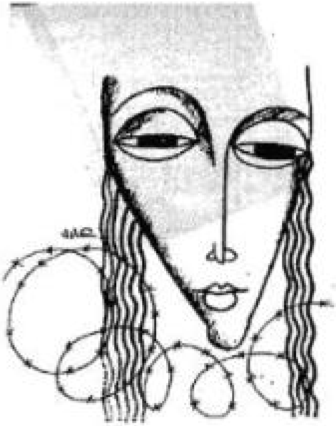
جـــزائرى ، يا أعـــز ركن من أمتى الحـــرة الأبيـــه
كم مـــنة عشـــتها أصلتى على بطـــولاتك النبيـــه

وكم تذكرتُ في صـــلاتي حـــكاية النكســـة الزريه
وكيف بتنــــا وكيف بـاتت حــدودُنا للعِــدا مطيـــه
فاغـــرقتني الدمـوع خجلَى واطـــرقتُ هامتي حييــــه
وقلتُ يـــارب مادهـــانا في غزوة شــبه جاهليـــه
وأين رُحمـــاك للحيـــارىَ وأين الطـــافك الخفيـــه ؟
فعادني من حـديث عمــرى صـــدى القطاة الجـــزائريه
عشرون عاما مضـــتْ وروحى تهفـــو الى هـــذه الصبيه
عشرون عاما ، وفي خيـــالى من ســـمتها صـــورة جليه
اســـائل الغيب أين أمسـت سِـــماتها الحـــلوة النقيـــه
هل بقيتْ تحصــــد الأمانى أم لقيت ربهـــا رضـــيه ؟
وكلمـــا طاف بى عبـــير من انتصــــاراتها الزكيـــه
أفقتُ من حـــيرتى ويأسى وثبتُ من غفـــوة البليـــه
وقلتُ لا امتى هشـــيم ذاوٍ ولا همتـــى عييـــه
ولا حمَى الله مســـتباح ولا دروب المنى عصــــيه
متى رأينـــا التراب عرضـــا والبـذل فرضـــا واريحيـــه

***

جزائرى ، يا صَـــبا بلادى وعطر أنفاســـها الشـــذيه

فدائيـــة



فدائية

وأنتِ فى صدرنا وسام   وأنتَ فى شِعرنا تحيه
جئناكِ والنصرُ فى حمانا   يعزف ألحانه الشجيه
وقد كسرنا جناح قوم   يُزهون كبرا ونرجسيه
وكم خبرنا الجهاد قبلا   بكل ألوانه الدعيه
من اعتقالٍ الى انفصال   الى انتحال للعنتريه
ومن خطابٍ الى سباب   الى أحاديثَ منبريه
ومن خداعٍ الى اندفاع   بغير عقل ولا رويه
ومن صراعٍ الى ضياع   الى وداعٍ للوحدويه
حتى عرفنا الجهاد حقا   على الغِرار الجزائريه
فالجيش بعد القناة ماض   والله مستشرف" مُغضيه
يمشى لسيناء فى هجير   تظله ذاته العليه
وقد جعلنا الفداء فينا   شرعاً وديناً ومذهبيه
إن دق أجراسه مضينا   نبذل أرواحنا سخيه

***

جـــزائرى ، لم يزل حمـــانا يحمـــلُ من ثأره بقيـــه
هـــذى فلســـطين في ثراها تعيش مغـــلولة ســـبيه
ظمـــآنة ، يشرب الأعـــادى ملِئى بســـاتينها الجنيـــه
جـــوعانة يأكل الاعـــادى من طيب أرزاقهـــا الهنيـــه
محـــزونة يســـخر الأعادى بكل أقداســـها التقيـــه
مســـحورة من رقى الاعادى كأن موسى ألقى عصـــيه
فانطلقت دولـــة الأفـــاعى بغير دين ولا وصـــيه
تمرح فى العـــالمين تيهـــا وتخـــرق الأرض عنجهيـــه

❋❋❋

جزائرى ، أمتى تعـــالى نمضى الى خطـــة ســـويه
نجعـــل ميثـــاقها علينـــا فى كل أحيـــائنا أليـــه
ولا تقـــولى عن أى دار دانية تلك أو قصـــيه
وهـــذه الأرض مغربيـــه وتلـــكم الأرض مشرقيـــه
فنحن رغم الحـــدود جســـم موحـَّـــد الذات والخليـــه
اذا شـــكا الداء أى عضـــو منـــه تداعت له البقيـــه
وملء أوطاننـــا شـــباب حيَـــاته للحمى هـــديه
يمشى الى المـــوت لا يبالى مادام فى أرضـــه قضـــيه
إن عاش فى تربهـــا عـــزيزا أو مات فى حبهـــا ضـــحيه

أحمد
ابوكف

● بمناسبة عام المرأة العالمى ●

وثائق نادرة عن حياة المرأة المصرية منذ ١٥٠ سنة

رغم ان القرن التاسع عشر فى مصر قريب وشقيق قرننا العشرين ، فان هناك جوانب من حياتنا فى هذه البقعة التى يجرى فيها نهر النيل ، غير معروفة تماما ، بل خافية على اذهاننا ..

وقد يقول قائل ان هذه الحياة ، فى تلك الفترة كتب فيها الكثير والكثير من الكتب والدراسات العربية والافرنجية ، وانه ليس فيها من جديد لكن يؤخذ على هذه المصادر - فى الواقع - انها صورت مصر من خلال نوافذ الفنادق الفخمة ، وعربات النوم . هى لم تعش اتربة الشعب او طينه ، ولم تغص فى حياته الخاصة : واغلبها وضعت من اعلى ، او من خلال الماضى ، فهى تحاول ان تستجوب الماضى - الثارنا - لتعطى من خلاله « بانوراما » للحاضر ..

وربما يقول قائل ... وماذا عن الجبرتى ، الذى صور الحياة اليومية ولمس الكثير من الاحداث ؟!

ونقول ، ان الجبرتى كان ابن طبقته ورغم انه فى كتابيه « عجائب الآثار فى ذكر التراجم والاخبار » « ومظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس » قد تناول الكثير من دقائق الحقائق اليومية ، فان الجبرتى فى الواقع وصف قطاعات من حياة شعب مصر فى حدود لم يحد عنها وهو الازهرى ذو التفكير الخاص ثم ان الجبرتى فى الواقع لم يصل تاريخه الى الفترة التى نحن بصددها ، فالجبرتى توقف

عند بداية العشرينات من القرن التاسع عشر ، ولم تتح له الظروف ان يصف الفترة التى نحن بصدد الحديث عنها · فى عصر محمد على

وما يقال عن الجبرتى ، يقال عن البكرى ، والطهطاوى ، بل يقال ايضا عن الرحالة الاجانب ، الذين زاروا مصر ووصفوها فى مؤلفاتهم ابتداءمن « فولنى » ، ثم ما تلاه من ممثلى الحركة الابداعية ، او الرومانسية فى فرنسا · · وكانت مصر منبع الهام خصب لهم ، مثل امير شعراء فرنسا « جيرار دى نرفال » بكتابه « صور من حياة الشرق » ومثل « جوتييه » و « بيير لوتى » ، و « شاتو بريان » ممن تعرض لهم تفصيلا مؤرخ الادب العالمى الشهير « جان مارى كاريه » فى مؤلفه الهام « الرحالة والكتاب الفرنسيين فى مصر » ·

وهكذا ، فانه فى عصر محمد على خاصة فى اوائل الثلاثينات من القرن التاسع عشر باستثناء ادوار وليم لين بكتابه « عادات وتقاليد المصريين فى مصر الحديثة » ، وكذلك بعض شطحات الجبرتى الخاصة بالرحلة التى عاشها ـ فان تصوير الحيـــاة المصرية الصميمة ، حيـــاة الشعب ، تعتبر مجهولة لدينا تماما فى هذه الفترة ، فى لا شك تعرفنا بحروب محمـــد على وطموحه ومعــاركه ، والصراعات الدولية فى عصره ، لكنها لا تعرفنا على معاناة شعبنا ، وعلى ملامـــح حياته اليومية ، فى ادق تفصيلاتها

●●●

لكن يبقى هناك كتاب ، او وثيقة غير معروفة ، او مطروقة ·· كتبت فى الفترة من اوائل عام ١٨٣٤ الى نهاية عام ١٨٣٦ فى مصر ، اى انها حصيلة ثلاث سنوات ·· وهذه الوثيقة يوجد منها نسخة وحيدة فى المكتبة الوطنية بباريس · صاحبتها طبيبة ومفــكرة فرنسية ، اسمها « سوزان فولكان » اشتهرت فى بلادها فرنسا فى مفتتح القرن التاســـع عشر · وعاصرت الاحداث الكبرى فيها خاصة فى عام ١٩٣٠ ايام شارل العاشر ، ودافعت عن المرأة ورفعت لواء تحررها ··

هذه المفكرة والطبيبة الفرنسية ، رحلت مع جمــاعات السانسيمونيين الى مصر ، بل انهــــا زاملــت ـ خصوصى ـ الفنان الفرنسى الشهير « ماشيرو » الذى عاش فى مصر ، وتزوج منها ، واشهر اسلامه بها ، ··· عاشـت فى مصر ثلاثة اعوام ثرية ، عاشت تجربة عريضة واسعة ، اندمجت فى الاسرة المصرية ، وعاشت معها الامها وافراحها · ثم وضعت تجربتها فى فصل ضمن اطار مؤلف ـ حوالى ٨٧٠ صفحة ـ شمل ذكرياتها فى روسيا وامريكا والشرق ، ووزعت منه ٢٠٠ نسخة فقـــط ، مازالت

هكذا ظهرت حواء القـــديمة فى رواية « اسرار الشرق »



وثائق نادرة

احداها وحيدة باقية فى المكتبة الوطنية بباريس ..

ولقد استطاع المفكر المصرى د . رشدى فكار ، الاستاذ بجامعة الرباط والاستاذ الزائر فى جامعات أوربا ، وعضو الاكاديمية الفرنسية « أن يستخلص وينقح هذا البحث القيم ، أو هذه الوثيقة النادرة .. التى اعتمدت على « ذكريات بنت الشعب » كما كانت تسمى نفسها سوزان فولكان ...

تبدأ بنت الشعب « سوزان فولكان » مذكراتها أو ذكرياتها فى الاسكندرية ، بعد ان عبرت البحر المتوسط من بلادها الى مصر .. وكانت اول جملة قالتها : « كم يبدو غريبا الى أى حد يتلاعب طغيان الشرق مع حياته » .. وهذه الجملة أو الخاطرة لفظتها حين فوجئت ببشاعة ما رأته فى حفر ترعة المحمودية ، والظروف القاسية للعمال فى حفرها . حيث يموت العشرات والمئات من الجوع والمرض . وحيث شاهدت بعينى رأسها جثث الضحايا توضع كأوسدة للأتربة لتكون حواجز للمياه ...

أن نائب الوالى محمد على فى الاسكندرية لكى ينجز حفر ترعة المحمودية أتى بمائتى الف فلاح ، دون أن يرتب لهم وسائل معيشية ، ليسجل التاريخ موت اكثر من ٢٠ الفا من البؤساء الذين هزمهم المرض والجوع ، وكان الاحياء منهم يشاهدون ما يحدث لزملائهم . ولا يملكون الا أن يكرروا فى صمت « الله كريم » .

وتصف « سوزان فولكان » هذه المأساة : « أن هذا الشعب يبدو عبقريا فى صمته أو فى صمته العبقرى ، حينما تسقط من فمه لفظة : الله كريم » ـ « ان الفلاح الفقير جائع وعطشان ومريض يهاجمه الطاعون ويطارده فى كل مكان ، لكن الله هو محل الرجاء .

من الاسكندرية تصل « سوزان فولكان » القاهرة العاصمة ، لتعيش مع المرأة المصرية حياة ثرية فى كل مكان .. تصور لنا حياة المرأة فى القرية المصرية ، وهى فى الواقع الوحيدة التى نفذت من هذا الستار الحديدى الذى كان يخيم على المجتمع فى مصر .. صورت لنا حياة الفلاحة وكانت تسميها المرأة العربية ... تقول :

« النسوة اجسادهن لا باس بها . فهى لا تخضع لأى نوع من القهر ، وبالتالى تمت بشكل طبيعى تجعلها أشبه بانطلاق النخيل ... المرأة القروية المصرية ـ كما رأيتها ـ تضع على وجهها البرجال ـ البرقع ـ ولكن خلف هذا الحجاب تبدو العيون الفاتنة ، واللون البرونزى الذى يبدو محببا للعين ... والمرأة العربية ـ بصفة عامة ـ قد لا تكون جميلة ، لكن لها من الجاذبية والرقة فى الايماءات وحركات العين واليدين ، خصوصا الابتسامة البيضاء والقلب الذى يضحك من الفم ما يجعل فى هذا الجمال ـ وان كانت مقاييسه الاساسية متواضعة ـ اشراقة فاتنة . فالقرويات ارعهن قوية ، واقدامهن صلبة ، ومشيتهن نبيلة مترفعة ... ان القروية تنساب فى مشيتها كما ينساب النيل . ومن الغريب انها تحمل الكثير على رأسها ، ومع هذا جسدها لا يهتز ، تبدو راسخة فوق الارض رسوخ الاهرام ! ..

« ما يلفت النظر فى القروية ، هو وحدة التكوين الطبيعى والخلقى المتكاملين . وهى حريصة على كرامتها

واخلاقها ، حرصها على حمـــاية جسدها . محجبة ، ليس لهـــا مكان يعترف به في العلاقات الاجتماعية .. أيها الفلاسفة عليــــكم ان تعملوا لتحرير المرأة ، حتى تستطيع هاته النسوة ان تنعمن بشمس الحرية دون قهر » .

لقد كان هدف « سوزان فولكان » التعرف على المرأة من أجل تحريرها وهى تعتبر من القليــلات التى جبن الآفاق من أجل حرية المرأة ، مثلها مثـــــل جورج صاند ، ومدام دى ستايل ....

وأضافت حول المرأة المصـــرية ما شاهدته وعانتـــه ، من ان البنت الصغيرة تتزوج ولما تبلغ بعد ... وقالت ان عدد الفتيات يفوق عدد الرجال والنساء .. كمـــا قالت ان المنظر الطبيعى الذى كانت تشاهده كل صباح .. أن اربعة أجيال من كل أسرة – فى مرة واحدة – تذهبن الى النيل ليملأن جرارهن .

وحضرت ســـوزان فولكان سنوات الطاعون الذى حل بمصر فى بداية الثلاثينات .

شاهدت الجاليات الاجنبية وهلعها من الطاعون ، فى الوقت الذى لاحظت فيه المصريين من مسلمين واقبـــاط يتقبلون الوباء بصبر ، ودونمـــــا احتجاج . الموت يضرب فى كل مكان ولا تسمع من صـــيحات الهلع الا فى أحياء الجاليات الاجنبية . أما فى الاحياء الشـــعبية المصرية ، فترى عشرات النعوش ، وعشرات النســاء تبكى والدموع تنهمـــر من عيـــونهن الواسعة مدرارا ... لكن لا صيحـــة غضب ، بل تسليم بالقضاء والقدر .

والواقع ان هذا الكتاب يركز على المرأة المصرية ....ان جامعه ومصنفه د . رشـــدى فكار حاول أن يعطينا كل ما كتبته المفكرة والطبيبة الفرنسية عن المرأة المصرية – فى مناسبة عام المرأة الدولى .... ،

ومن هنا ننتقل الى الحمــــامات الشعبية ، التى وصفتها المؤلفـــة أبدع وصف . وكانت لهذه الحمامات أهمية خاصة فى حياة المرأة وزينتهـــا ... تقول سوزان فولكان :

« فى الحمام تشرق المرأة ، حيث لا قيود ولا حجاب ، ولا رقابة أو قهر ... مدخل الحمام ليس سارا، لان الحمامات كلها فى الادوار السفلية أو أسفل البنايات . والحرارة ترتفع فى الحمام تدريجيا ... وقاعة الحمـــام كلما توغلت فيهــــا تحس بازدياد الحرارة . وفى وسط كل حمام شبه نافورة من الرخام ، المياه فيها تتجدد دون انقطاع ، وتصل الى ٤٠ درجة مئوية . وهذا لا يمنع المستحمات من ان يتقبلن الحرارة بلذة وصبر خـــلال دقائق .. والخدم فى الحمـــام من الفلاحات ، والتدليك فيه يعتمد على خبرة وفن عميقين » .

وقد دخلت الطبيبة والمؤلفــــــة الفرنسية حماما وعاشت فيه تجربتها. تقول عنها :

« حين دخلت انا وصديقتى كلارا الجميلة ، تركنا اجسادنا للمدلكات .. وشعرنا بلذة كبرى ، ولم نشعر بألم.

هكذا كانت تقطع وقت الفراغ الطويل ببعض الالعاب المسلية



حتى الفلاحات اللاتى كن يقمن بالتدليك كن يمارسن دورهن بلذة .. وحين يشاهدن امرأة مثلى .. كن يقلن « انت ابيض كثير » . ويطلبن ان يقبلن مواضع من أجسادنا ، على الاكتاف وفوق الظهور .

« وبعد الحمام ارتديت ملابسى ، وكنت اشعر بنشوة كبيرة ..

« لكننى لاحظت ان السيدات الاخريات يتحدثن بصوت عال وسريع ويعطين بعض انواع الاطعمة للخادمات ثم يعدن الى منازلهن » .

وترى « سوزان فولكان » ان هذه الحمامات قد تكون علة او سببا عند المرأة فى مصر للقيام برحلة هروب من الملل . وربما الرجال المصريون يشجعون نساءهم للذهاب الى الحمام لانهم يريدونهن نظيفات . فالحمام يضيف للمرأة جاذبية بجانب جاذبيتها الشرقية ... » .

وتصور المؤلفة المرأة بعد الحمام فتقول :

« بعد الحمام ، يأتى التزين وتسوية الاظافر ، ثم الكحل فى الرموش ، والحنة فى الاقدام والايدى . بعد ذلك تتحلى المرأة بالجوهرات والذهب وتترك شعرها مرسلا فى مهب الريح وعلى الاكتاف . وتلبس « طربوشا » صغيرا فوق الرأس ، تغرس فيه زهرة وريشة ، وربما جوهرة ، اذا كانت من الاثرياء . ثم يزين « الطربوش » باحجار كريمة وكذلك العنق . اما ملابس المرأة الداخلية فهى عبارة عن « بنطلون » كشمير احمر ، وأرواب طويلة ، وبانتوفلى (مداس) مرصع بالاحجار الكريمة لافتا للنظر ، خاصة وأن الرجال المصريين يلفتهم النظر الى اقدام النساء . وبعض السيدات يلبسن الحبرة مع قطعة من الحرير الاسود .. كل هذا يصبح خليطا لافتا للنظر ، لكنه خليط جميل على اية حال .. » .

وكما دخلت المؤلفة الى بيوت القرية والحمامات فى المدينة ، فهى ايضا استطاعت أن تدخل بيت المرأة القبطية المصرية صورت حياتها بتفصيل لامثيل له فى أية دراسة ومرجع آخر .. صورتها بموضوعية وعمق ، ورسمت لنا سماتها الاساسية وعلاقتها بزوجها وأولادها ، مما يعتبر صفحة هامة بالنسبة لتصوير الحياة الاسرية فى مصر .

وتحت عنوان « المرأة عطر الحياة » صورت المؤلفة نساء الاتراك ، أو نساء القصور ..

تقول « سوزان فولكان » :

« ذهبت الى مدير الجيزة واستطعت ان انفذ الى الحريم فى قصره بجانب الاهرام . وصلت الى الحريم ، من خلال الابواب المغلقة المتعددة ، وقصر المدير له مرسى على النيل ، وخدم من الذكور . وحين دخلت الى الحرملك .. مررت بالكثير من الخصيان حيث سلمنى واحد الى اخر الى ان وصلت الى الديوان ، لاجد نفسى وسط سيدات كثيرات ، عرفت فيما بعد ان نصفهن ليس حريم المدير حسين بك ، وانما هن جئن كعادات نسوة الشرق للزيارة وتبادل الاحاديث « ستى فطومة » كما يلقبونها ، كانت هى دليلى فى رحلتى عبر الحريم بدأت تشرح لى العادات والتقاليد ، وقادتنى اولا الى « الست الكبيرة » ، والدة المدير ، وهى سيدة المنزل . ذات جمال جذاب ولها هيبة ووقار ، فى الخمسين من عمرها .. وستى الكبيرة هى محل احترام الجميع ، كل شىء

يدور حولها وفي فلكها .. حملة « الشبك » يقدمنه لها بعد احتساءة عريضة ..

ثم ذهبت بي دليلتي الى الست « انشية » زوجة المدير ، عمرها ٢٤ سنة ، جميلة وطويلة وعريضة . وبعدها قادتني لكي أزور أجنحة السراي . حجرات واسعة ، والاثاث لا بأس به ، أغلبه مراتب .. لكن المرايا تلفت النظر في كل مكان .. .. وترمز الى الرفاهية الشرقية ، والمشربيات .

ولاحظت أن هناك تدرجا صارما في المعاملة كل يحترم من هو اعلى منه ، ستي الكبيرة هي « الخازندار » .. ثم هناك « الافندي » التي تعطي تعليماتها للخدم ، الى غير ذلك .. وعادة تأتي الاوامر بالتصفيق .

وتضيف الكاتبة : « لقد عايشت هذه الاسرة .. واتضح لي ان الارز مهم في الطعام المصري .. وأن وجبة الافطار معادها العاشرة ... والغداء بسيط ولكنه اساسي .. وبين الاكلتين تقبل النسوة على المربى والشربات ومن يأكلن بنهم .. لان الفراغ يجعلهن بهيمات ، والسمنة مرض منتشر فيهن ، وقد طلبت مني أخت المدير وصفة لتخسيسها .

من حياة القصور ، شاهدت المؤلفة الزواج بين المسلمين ..

زواج تاجر في خان الخليلي اسمه عبد الله ، على زوجة عمرها ١٥ سنة اسمها عائشة .

وتقول المؤلفة : ان العائلات في الحمامات هن اللاتي يقمن بدور « الخاطبة » .

وقد أرسل التاجر بعض عجائز الحي الى والد الفتاة ، ليخطبنها ولكي يصبح حديث الزواج ، حديث رجال .. و ..

وذكرت المؤلفة الحوار الذي دار ، وقبله سلامات استمرت نصف ساعة

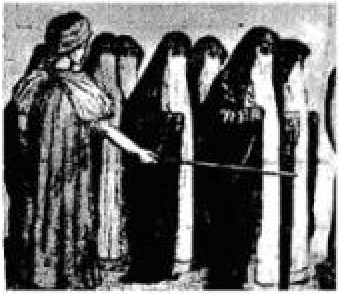


حواء منذ مائة وخمسين عاما يزينها الحتشم الوقور

منذ ١٥٠ سنة كانت تحتسي القهوة في جلسة ولمة



وثائق نادرة



قلن له : هل تعرف عبد الله التاجر في خان الخليلي ؟

قال : أعرفه ٠

قلن له : انه رجل نزيه ، ومستعد أن يقسم على القرآن ، يريد الزواج بابنتك عائشة ٠

قال : موافق ، ان شاء الله يكون فيه خير ٠ وعليه أن يتقدم الى القاضي خلال أسبوع ، واتمنى بنتى متزوجة٠

وفعلا تمت اجراءات الزواج عند القاضي ٠٠٠

لكن قبل أن تذهب البنت الى عريسها ، دخلت الحمام ، ومعها صديقاتها اللاتي زينها ، ووضعن الحنة في يديها وقدميها ، وعطرتها٠٠

وتعلق « سوزان فولكان » على ذلك فتقول :

« الزوجة في الشرق ملكة ليوم واحد لا اكثر » فهي حين ذهبت الى زوجها ، رفع الحجاب عن وجهها ، ونظر اليها زوجها بهدوء ، وهكذا الى آخر القصة المعروفة التي وصفتها المؤلفة وقالت عنها انها « مذبحة » ٠

ومن الزواج ، تصف المؤلفة الطوائف في القاهرة، وكذلك احياءها

ووصفت المؤلفة أيضا عيد النيل ، ومولد السيدة زينب ، كما وصفت بدقة أسواق القاهرة وكيفية التعامل فيها٠

ويأتى ختام الكتاب ٠٠ وهى تودع القاهرة بعد ثلاث سنوات قضتها فيها لتقول :

« كم انا سعيدة، انني عشت أعماق حياة هذا الشعب الذي احببته ، كنت أشعر دائما انه حسن العشرة ، كريم القلب ، شاركته احزانه وأفراحه ، والآن وانا راحلة احيي من قلبي فلاحات القرية بمشيتهن الرائعة ، وايماءاتهن الحية الكريمة ٠٠ ان هذه الأذن المرتفعة الى السماء ، حيث المؤذن يكرر النداء خمس مرات للصلاة اكدت لى أن هذا الشعب لم يكن أبدا ماديا في حياته ٠٠٠ » ٠

وبعد ٠٠ هذه لمحات مما أوردته « بنت الشعب » ـ سوزان فولكان ـ في وثيقتها منذ ١٥٠ عاما ٠ ان تصوير الحياة في مصر بهذه الطريقة التي التزمت بصحة الواقع ، ليعتبر مثلا يقتدى به العلماء ، وخاصةعلماء التاريخ وعلم الاجتماع في دراساتهم لحياة الشعوب ونهضتها ، هي لا تصدر من المكاتب ، وانما بالمشاركة الفعلية

ولا شك ان هذه الوثيقة عن الحياة اليومية في مصر لفترة يمكن أن نصفها بانها فترة ، طموح محمد علي ، ومعاناة الشعب المصري ، تستحق أن تسجل في عالم المرأة الدولي تقديرنا لهذه الكاتبة التى عاشت مع شعبنا دون ترفع ، ونسجل الشكر أيضا لهذا المؤلف المصري الذي بحث في بطون الأضابير والوثائق ليعطينا هذه اللقطة عن حياتنا الخاصة منذ ١٥٠ عاما كانت تائهة ولم يكشف عنها النقاب٠٠

هدية العدد صورة الشاعر الكبير



محمود سامى البارودى

● ولد محمود سامى البارودى فى ٦ اكتوبر عام ١٨٣٩ فى حى باب الخلق بالقاهرة .

● بعد أن أتم دراسته الابتدائية عام ١٨٥١ التحق بالمرحلة التجهيزية من « المدرسة الحربية المفروزة » وانتظم فيها يدرس فنون الحرب، وعلوم الدين واللغة والحساب والجبر

● تخرج فى « المدرسة المفروزة » عام ١٨٥٥ ولم يستطع استكمال دراسته العليا ، والتحق بالجيش السلطانى .

● عمل بعد ذلك بوزارة الخارجية وذهب الى الاستانة عام ١٨٥٧ وأعانته اجادته للغة التركية ومعرفته اللغة الفارسية على الالتحاق « بقلم كتابة السر بنظارة الخارجية التركية » وظل هناك نحو سبع سنوات (١٨٥٧ ــ ١٨٦٣) .

● بعد عودته الى مصر فى فبراير عام ١٨٦٣ عينه الخديو اسماعيل « معينا » لاحمد خيرى باشا على ادارة المكاتبات بين مصر والاستانة .

● ضاق البارودى بروتين العمل الديوانى ونزعت نفسه الى تحقيق آماله فى حياة الفروسية والجهاد ، فنجح فى يوليو عام ١٨٦٣ ــ فى الانتقال الى الجيش حيث عمل برتبة « البكباشى » العسكرية والحق بالاى الحرس الخديو وعين قائدا لكتيبتين من فرسانه . واثبت كفاءة عالية فى عمله .

● تجلت مواهبه الشعرية فى سن مبكرة بعد ان استوعب التراث العربى وقرأ روائع الشعر العربى والفارسى والتركى ، فكان ذلك من عوامل التجديد فى شعره الاصيل .

● اشترك الفارس الشاعر فى اخماد ثورة جزيرة كريد عام ١٨٦٥ واستمر فى تلك المهمة لمدة عامين اثبت فيهما شجاعة عالية وبطولة نادرة

● كان احد ابطال ثورة عام ١٨٨١ الشهيرة ضد الخديو توفيق بالاشتراك مع البطل احمد عرابى ، وقد اسندت اليه رئاسة الوزارة الوطنية فى فبراير عام ١٨٨٢ .

● بعد سلسلة من اعمال الكفاح والنضال ضد فساد الحكم وضد الاحتلال الانجليزى لمصر عام ١٨٨٢ ــ اقرت السلطات الحاكمة نفيه مع زعماء الثورة العرابية فى ديسمبر عام ١٨٨٢ الى جزيرة سرنديب .

● ظل فى المنفى اكثر من سبعة عشر عاما يعانى الوحدة والمرض والغربة عن وطنه ، فسجل كل ذلك فى شعره النابع من آله وحنينه .

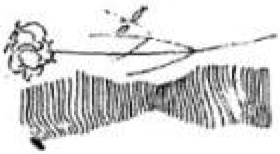
● بعد ان بلغ الستين من عمره اشتدت عليه وطأة المرض وضعف بصره فتقرر عودته الى وطنه مصر للعلاج ، فعاد الى مصر يوم ١٢ سبتمبر عام ١٨٩٩ وكانت فرحته غامرة بعودته الى الوطن وانشد « انشودة العودة » التى قال فى مستهلها :

أبابل رأى العين أم هذه مصر
فانى أرى فيها عيونا هى السحر

● توفى البارودى فى ١٢ ديسمبر عام ١٩٠٤ بعد سلسلة من الكفاح والنضال من أجل استقلال مصر وحريتها وعزتها .

● يعتبر البارودى رائد الشعر العربى الحديث الذى جدد فى القصيدة العربية شكلا ومضمونا ، ولقب باسم « فارس السيف والقلم » .

حسن
كامل
الصيرفي



شاعر القيروان

● في « القيروان » نشأ الشاعر الناقد ابن رشيق أبو علي الحسن ابن رشيق الازدي الذي ولد والقرن الرابع يتثاءب مع عقده الاخير ، وتوفي في صقلية غريبا عن موطنه والقرن الخامس يتجاوز عقده الخامس أو السادس بقليل وهو الذي هتف بالليل أن يطول ، فقال:

أيها الليل طل بغير جناح   ليس للعين راحة في الصباح
كيف لا ابغض الصباح وفيه   بان عني نور الوجوه الملاح

ثم رثى القيروان بعد أن عصفت عليها احداث طائشة ، وخرج منه والنار تأكلها وتأكل قلبه ، وظل حنينه اليها لا يخمد حتى خمدت انفاسه ، وصدى صوته يتردد مع الزمان :

أترى الليالي بعدما صنعت بنا   تقضي لنا بتواصل وتدان
وتعيد أرض القيروان كعهدها   فيما مضى من سالف الأزمان
من بعد ما سلبت نضارة حسنها الأيام ، واختلفت بها فتان

● وفي « القيروان » خرج للوجود شاعر آخر معاصر لابن رشيق، هو ابن شرف أبو عبد الله محمد بن احمد بن شرف الجذامي المتوفى عام ٤٦٠ هـ صاحب هذا القول :

سقى الله أرضا انبتت عودك الذي
زكت فيه أغصان وطابت مغارس
تغنى عليها الطير وهي رطيبة
وغنى عليها الناس والعود يابس

● ومن « القيروان » أطل على الزمان طائفة من أعلام الفكر ، شعراء وكتاب نقاد ، وانطلق منها صوت أبي الحسن علي بن عبد الغني الحصري الضرير يهتف بالليل الا يطول فهو يعيش في ظلمة كتب عليه القدر أن تغشاه ، فيقول :

يا ليل الصب متى غده   أقيام الساعة موعده

ويحن الى القيروان فيقول قبل أن يلحق بهذين الشاعرين بعد عشرين عاما :

ألا سقى الله أرض القيروان حيا   كأنه عبراتي المستهلات
وكف عنها أيادي المفسدين لها   ولا عدتها من الخيرات عادات
فانها لذة الجنات ، تربتها   مسكية ، وحصاها جوهريات

● وفي القيروان يقف بعد عشرة قرون شاعر من شطآن النيل في العيد الألفي لابن رشيق ليقول :

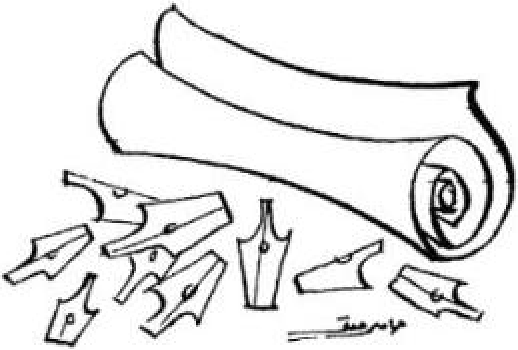
يا هاتفـا من فـؤاد شـفه الالـم   وهائمـا فى دجى كالموج يلتطـم
وسـائلا عن غد تزهو مطـالعه ،   هذا هو الغد ، فانظر كيف يبتسم
وداعيـا لحبيب عشت ترقبه ....   هذا « الحبيب » وهذا الشمل ملتئم
كم خلف كـل دجى : سر تخبئـه   مشيئة الله حتى تقشـع الظلـم

وهـذه تـونس الخضراء (مشرقة)   فى عهـده بجلال الامن تنسم ...
وهذه « تونس الخضراء » تفتـح لى   صدرا يفيض به الاعزاز والـكرم
وتـزدهى مقلتى اليوم لوحتهـا ،   فجنة الله حـول نـورها عمم
أزاح عنهـا بنوها كل ذى جشـع   يبتز خيراتها ـ غصـبا ـ ويلتهم
وزحزحوا ظلمة بغضــه قاتمـة   ظلت تشـوه ما قـد زين القـلم

كانت رؤى فى خيـال ان اخف الى   ربوعها قبـل ان يطوينى العـدم
حتى تحقق حلمى فى فجـاءته   فجئتها ... وتلاقى الصحو والحلم
عرفت « شابيها » ، والعمر متشح   ثوب الشباب ، ونار القلب تضطرم
فتى كومضة مصـباح باخـرة   يلهو بها القاسيان : الجهد والسـقم
يصـوغ من قلبه شـعرا كأن به   أصداء ناى مع النغمـات تنسجم
وفيه زمجـرة غضبى كأن بهـا   بركان نار على الطـاغوت يحتدم
وكنت المح فى شـكواه امته   تئن حيث يسـود الظلم والصمم
ولا تـنام على ضـيم ، مهيـأة   لـوثبة تتحـدى كل من ظلمـوا
ابلاؤها قمة للنجم صـاعدة .... ،   وكيف تعنو لغير الخـالق القمم ؟!

***

فى « القيروان » ، وفى اليه ظللتهـا   سحب على الدرب : فكر مشرق ، ودم
هما عمـادا فتى توحى مـلامحه ،   بما تخبئه الدنيـــا وتكتم



على البسيط الموشى من مرابعها ... حيث انتشى الزهر لما هزه النسم
وفي الفسيح المروى من مواجلها ... حيث ازدهى الزرع وازدادت به النعم
وحيث يسمو النخيل المجتنى ثمرا ... كانملات الغواني زانها العنم
وحيث يأتلق الزيتون مزدهيا ... كأنه فوق صدر الغادة الحلم
وحيث تمرح في الوديان سالمة ... على غناء رعاة بالرضا نعموا ...
وحيث ترتفع الاجيال شامخة ... كأنها عزم أهليها الذين هم ...

هم الاشاوس لم تخمد لعزتهم ... عزيمة ، او تهن من همهم همم
وحيث « عقبة » ألقى رحله ، وبدا ... من خلفه : النور والاسلام والحرم
طوى الصحارى اليها حاملا املا ... في ان يرف على « افريقيا » العلم
امر من الله ان تعلو شريعته ... في الخافقين ... وامر الله ملتزم
فشيدت حيث حل المسلمون بها ... مساجد الله تسعى نحوها القدم
فوق المآذن تكبير تردده ... جوانب الافق اصداء لها نغم

وتحت اسقفها العلياء همهمة ... لنا سكين يشيع النور فوقهم
والفت بين اهل الشرق في نسق ... وبين ابناء هذا المغرب الرحم
دم جرى في عروق العنصرين ، فما ... يشوبه ضغن يوما اذا اختصموا
ووحدت في التلاف بيننا لغة ... فليس يفصم هذي الوحدة العجم

...في ظل هذا الجمال الملتقى تحفا ... فتانة حار فيها العقل والفهم
شب الفتى «ابن رشيق» ،والزمان فتى ... يرى حواليه دور العلم تؤتمم
تبدو مواهبه ، والعمر مؤتلق ، ... يرنو اشتياقا الى تسجيلها القلم
ساع الى منهل من بعد سابقه ... للعلم يرشف منه الظامىء النهم
حتى اذا ما استوى عود الفتى انطلقت ... قيثارة الشعر يهوى شدوها الكلم
اصغى لها افق « الخضراء » وانبعثت ... اصداؤها خلف هذا الافق ، والرنم
شعر عليه من الطاووس : زينته ... ومن عصير الدوالي : العتق والقدم
يرق حتى كأن العين تحسبه ... دموعها انهملت ، او انه ديم

من شاعر كسرى الاطياف خفته ... تكاد الفاظه يحلو بهن فم
اذا انتضى الصبح سيف النور شق له ... طريقه حيث لا الم ولا لمم
الى المساجد يمضي في صبيحته ... حيث الخشوع،وحيث الكتب تزدحم

منقبا في التراث الحي في دأب   عن كل ما نثر الماضون او نظموا .
ونحن ابناء مجد خالد ابدا   قد خلفوه ، لنا اجدادنا القدم
حتى اذا ما الدجى ارخى عباءته   آوى الى شمعة تلوى وتخترم
نديمه : صحف بيض ، ومحبرة   وخادم الوحي ذاك الصامت : القلم
صريره فوق خد الطرس سلوته ،   لا يعتريه به يأس ولا سأم
والعلم كالدين يجزى عنه ناسكه   بالخلد ، نعم الجزاء ، الخلد عندهم
في الجامع الاعظم المشهور تسبقه   وفود طلابه تسعى وتنتظم
يملي عليهم كتابا ظل عمدتنا   في دقة النقد ، حين النقد يتهم
نهج سليم وميزان اذا وضعت   فيه الامور استعزت عنده القيم
والنقد ان لم تنزه كفتاه هوى   الى الحضيض ، وشاه الحكم والحكم

***

لم انس صرخته والنار تلتهم   هذا الجمال ، وهذا المجد ينهدم
وعصبة ساقها الشيطان باغية   على حماه ... فراح الشمل ينقسم
صبوا على « القيروان » الشرفي غسق   لم يردع الشر ميثاق ولا قسم
يسوقهم طائش الطغيان في عمه   كما تساق الى جزارها الغنم
يخربون ولا يدرون ما خربوا ،   ويأثمون ولا يدرون ما أثموا
ويفتكون بأرواح مبرأة   من شائب الحقد لم يصددهم ندم
كأنما ثار بركان ، فصاعقة   تهوى عليها ، وتهوى بعدها حمم
والناس في جزع ، يجرون في هلع   قد خلفوا ما بنى آباؤهم لهم
طوفان بغي طغى وامتد جائشه   يطوي الحياة ، وتطفو فوقه الرمم
يا هول ما فعلوا ، يابئس ماصنعوا   يا ويح ما اقترفوا ، ياشر ماجترموا
والعهد ان لم تصنه ذمة خلصت   لله تعمل ، ضاع العهد والذمم
ما للشعوب اذا ما الامن حالفها   هبت حماقة قوم في الطريق عموا

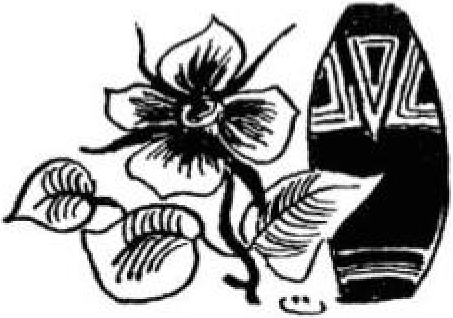
***

بكى « الرشيقي » مجد القيروان دما ،   وهز وجدانه الاحزان والالم
لما رأى الارض ارض المجد ـ قد غمرت   بالمفسدين ، وجيش البغي يلتحم
آوى الى سفن البحر ماخرة ،   والبحر كالارض فيه الموج يلتحم
وفي « صقلية » ألقى مراسيه   وغاب في الصمت هذا العاشق السدم

***

واليوم ـ بعد قرون عدة ـ رجعت   روح الغريب ترود الدار ... تلتثم
« والقيروان » تعيد اليوم سيرتها ..   ولن تموت الما ما استبسلت أمم ..

د. عبده بدوي



في ذكرى ابن رشيق

بعد الف تلفعت بالحجب   لم يزل مائلا بقلب الكتب
سار كالفكر رائعا ، وجليلا   وتمشى على رءوس الحقب
كل من مسه يصير اخضرارا   ونقاء • وزهرة في السحب
جئت الناه بينكم في بلاد   هي افق مطرز بالشهب
وهي عمر الجمال في هذه الا   رض • واحلى قصيدة للعرب
فهو قد سار ها هنا ، وتغنى   برقيق من شعره المنتخب
قيل هذا • فجئت اسعى اليه   في وميض من فجره المنسكب

❁❁❁

هبط الارض كالصباح سنيا   وككاس مكلل بالحبب
عرف الحب ، والمنى ، وحروفا   كالعصافير ان تطارد تثب
وتغنى كبلبل ، وتهادى   كشعاع معطر مرتقب
عاش في «القيروان» قلبا ذكيا   يحتسى النور ينتشى من طرب
تفرح الارض حين يمشي عليها   يمسح النجم راسه في حدب
فتنسى الروم فتغدا الازد اهلا   حسبه الازد عند ذكر النسب
ثم جاء التتار يرفع سيفا   ويكب الايام فوق الركب
ياكل الزرع ، يجلب الطفل عن ثد   ى ، يصب الجحيم فوق القبب
حينما هم بالرحيل استجابت   خطوات •• وقلبه لم يجب ،
لم يزل بعد هجرها يتنزى   في حنين ، ويرتمي في الكرب
كلما شام بارقا قال : هذا   وجهها باسم وراء الحجب

فاذا ما أتى المســاء رآها   في قصيد مغرورق مقتضب
واذا ما أتى الصباح تراءت   في جفون فراشة من تعب!
كلما مال للســلو ترامى   « عقبة » في عتابه الملتهب
ثم نادى عليه ديوان شعر   وحروف تلعثمت من غضب
كل من فارق الديار التسالا   فارق الروح ضاع في التقلب

***

قال في شعره رثاء حزينا   لنجوم تساقطت عن كثب
وبكى مسجدا تداعى حزينا   كدموع ترقرقت في هدب
ورأى زهرة تنادى عليه   وهي في كف عابث مغتصب
ورأى طائرا يقول «اجرني»   حسبك الله كلنا في الطلب

***

كانت «القيروان» حجرا نضيرا   ثم أضحت في ذلة المنتحب
فطوى الارض تحته «وترامى   في «صقلية» .. بدمع سكب
حينما لم يجد صديقا يواسي   وقلوبا تحيطه في حدب!
ورأى الحزن ينقر العين والقلـ   ـب! ويمشي بوجهه المكتئب
هبط النفس «ثم سار بعيدا   خلف صمت مغرورق محتجب
وجد الأمن بينها « والليالي   مرعشات وجهشة المنسحب
ورأى الموت قاب قوس وأدنى   ورأى الكون سائرا للعطب
فاذا « القيروان » رفت عليه   ريحها سحرة غنا كاللهب!
.. عندما حان موعد لرحيل   ومشى الموت صفرة تضطرب
رمقت عينه ثم مد يديه   وتملى قراضة من ذهب «(1)»
ثم ولى للقيروان دموعا   وصلاة ، وآهة المغترب
ثم أغفى لكي يعود جديدا   مورق الفكر شامخا كالنصب

***

يا أحبائي: أرضكم أسعدتني   فهي في دهرنا سوار الذهب
وهي فردوس عالم من جحيم   كل ما فيه آخذ في الكلب
كل شيء رأيته في حماها   هو في القلب خافق لم يغب
أتراها من بعد عمر طويل   جنتي في عوالم من ريب
.. ليتني ها هنا حديقة ورد   وصباح من الشذى مقترب
لأمد العطود « لابن رشيق»   عبر بحر مجمجم مصطخب
فهو شيخي ـ جلست عمرا اليه   وهو جد لكل أهل الأدب

(1) اشارة الى مؤلفه « قراضة الذهب »

عاطف مصطفى

حاجتنا إلى مؤسسة للتعريب

ان التاريخ العربي الحديث يذكر بكل اعتزاز الجهود التي قام بها المترجمون في مصر والشام والمغرب العربي من بدايات القرن التاسع عشر وما تلاه من نهضة ثقافية واسعة ما زالت اثارها تزحف علينا الى اليوم ولناخذ من هؤلاء وأولئك على سبيل المثال الشيخ رفاعة الطهطاوى الذى اتقن الفرنسية وهو مجرد امام واعظ للمبعوثين وليس عضو بعثة كما نقول فى تعبيرنا الحديث ، ولكنه ما ان وضع قدمه على السفينة التى تقله حتى اخذ فى تعلم الفرنسية ثم احضر لنفســــه مدرسا خاصا وكان يدفع اتعـــابه من راتبه الشخصى ،حتى اتقن الفرنسية وصار موضع اعجاب واحترام وتقدير من المفكرين الفرنسيين المعاصرين له انذاك ، واخذ يترجم •

ونحن هنا لا نؤرخ له ، فليس هذا همنا ولكننا بالاحرى نستفيد بالقيم الكبرى من الجهود المبذولة بصدق وسخاء لدى هؤلاء الرواد •

ان رفاعة اعطى للحيـــــاة العلمية الناشـــئة حقها من الترجمة حيث كان يترجم فى الهندسة والرياضة والكيمياء وكـــل فروع المعرفـــة المطلوبة للشـــبيبة الناشئة التى تريد أن تتلقى العـــلم الصحيح الذى تمارسه الدنيـــا من حولهم • ولكنه فى الوقت ذاته اتجه الى القيم العليا التى كانت تحكمتلك المجتمعات المتقدمة فى أوربا • فأخذ يكتب عن النظم السياسية والدستورية وترجم القانون الفرنسى الذى اربت مواده على الالف ، وكـــان يتوقف للتعليق عند النقـــاط الحساسة التى



رفاعة الطهطاوى : اعجب به المفكرون الفرنسيون ..

تلبه المواطن العربى انذاك الى حقوقه المشروعة فى الحرية والديمقراطية ، ونظام الضرائب الذى كانت تعانى منه الشعوب العربية فى ذلك الوقت .

وترجم رفاعة ايضا فن القصة حيث ترجم « تليماك » .

والاشارة الهامة التى يمكن ان نلتفت اليها من جهود هؤلاء الرواد تتلخص فى انهم لم يضلوا الطريق ولم يبعثروا الجهود ، ذلك انهم تنبهوا الى خطين هامين كانت الامة فى أمس الحاجة اليهما :

الاول : توفير المادة الفكرية فى الفروع العلمية المختلفة التى نهضت فيها الدول المتقدمة علينا فى محاولة سابقة للافادة منها .

ويجب ان ننتبه هنا الى ان مسئوليتنا اليوم تختلف عنهم حيث لا تسمح لنا ظروف العصر بالقناعة بالوقوف عند حدود الاستفادة ، بل ان مسئوليتنا اليوم هى اللحاق والمنافسة حتى تتبوأ الامة مكانها بين المجتمعات العالمية ذات الكلمة المسموعة .

الثانى : البحث عن المادة الفكرية والادبية التى تنهض بالانسان العربى انذاك حتى يحاول استرداد بعض حقوقه وحتى يفقه دوره ومسئوليته امام الظروف الصعبة التى كان يرزح تحتها .

وهنا ايضا يجب ان ننتبه الى أن مهمتنا حيال هذه المسألة قد تغيرت لان الامة العربية قطعت فى هذا الدرب شوطا كبيرا ، ذلك أن الانسان العربى المعاصر محتاج الى هضم الفلسفات والحركات الفكرية المعاصرة والالمام بجميع النظريات المحتدمة فى الساحة لا ليقلدها أو يتبعها ، بل ليستفيد بها فى السعى نحو الخير الذى يرجوه لنفسه وامته ، والذى لا يفقد فيه دوره التاريخى وشخصيته وهويته العربية التى هى أساس وجوده وبقائه وامتداده .

من دروس التاريخ

ان النقطة السابقة فى الحديث مباشرة تلفت نظرنا الى درس من دروس التاريخ المعاصر فى الوطن العربى بأسره . ذلك ان الامة العربية فى ارتباطها بالامم التى استعمرتها من ناحية، وفى اقبالها على المجتمعات الاوربية للاطلاع على حياتها وثقافتها

حاجتنا إلى مؤسسة للتعريب

المعاصرة من ناحية اخرى ... هذه ظاهرة تستدعي الانتباه لدى من يرصد ويفقه التاريخ ولا يسرده .

تلك الظاهرة ان الامة العربية اقبلت تقلد المجتمعات الاوربية في كثير من عوائد السلوك والاخلاق ففقدت الكثير من شخصيتها ومقوماتها الانسانية والحضارية والاجتماعية بفعل أسباب ليس هنا سياق البحث عنها . ولكن في الجانب الثقافي فان الامة العربية عندما اقبلت على الثقافة الغربية تدرسها وتقدمها للجماهير العربية ، واحتدمت الاراء وقامت المنازعات حول القضايا العديدة التي اثارها التعريب ، ومن بينها قضية التراث العربي نفسه ، وظهر هناك غلاة متطرفون في الدعوة الى التعريب وكان في مقدمتهم سلامة موسى ، وظهر ايضا في مقابلهم غلاة في التمسك بتراثنا وتقاليدنا ، ولكن ثبت من بين هؤلاء واولئك معتدلون اخذوا من الثقافة الحديثة وجوه الخير التي تفيد الانسان في كل من مواقع الحياة ، ورفضوا في الوقت ذاته كل ما فيها من خبث وزيف يعارض حياتنا ونهضتنا وعروبتنا وديننا وقيمنا ، وهؤلاء انفسهم اخذوا يقدمون لنا من تراثنا الوجه المشرق الوضيء ، وكانت حركة الصراع بين المتطرفين بابا من ابواب الاهتمام بالبحث في التراث واستخراج الكثير من كنوزه التي لا بد للامة من التمسك بها .

هذا الدرس تحتاجه الامة العربية اليوم وهي اكثر اتصالا واشد وثاقا بالعالم من حولها في كل شئونه وكل انماط الحياة والوان الثقافة به، ذلك ان الشباب العربي بالذات مقبل اليوم على اخذ العوائد والاخلاق الاوربية في الجانب غير المرضي ، وهي بغير شك خطر علينا ، وسوف يتضح هذا الخطر في المستقبل البعيد . اننا نرحب باخذ القيم عن كل مجتمع من المجتمعات ولكننا نرفض بغير شك ان ناخذ الفاسق والمباذل لتصبح البضاعة الرائجة لدى شبابنا، أما فيما يتصل بالثقافة فاننا ندعو بالحاح الى وجوب التهام الثقافة الاوربية المعاصرة دون خوف او حذر لكننا نحب في الوقت ذاته ان يكون المغرمون بالاطلاع عليها وبحثها ودرسها على بينة واضحة بتاريخنا وتراثنا حتى نضيف الخير الى الخير ونمضي بالخيرين معا الى الامام دائما .

النهوض بحركة التعريب

لكن السؤال الذى يجب ان نتوقف عنده هو : الى اى مدى يمكن النهوض بحركة التعريب المعاصرة والاستفادة بها على احسن الوجوه وانفعها للامة العربية في حاضرها ومستقبلها ؟ ..

رؤية على الطريق

في سبيل الاجابة عن هذا السؤال اقدم هذه الملاحظات التي تعبر عن

رؤيتى لما ينبغى أن نلتفت اليه فى سبيل الوصول الى واقع انفع ومستقبل اكمل :

اولا : ينبغى أن نفكر جيـــدا فى تحديد المطالب الملحة للثقافة العربية المعاصرة ، وأن نحشد فى ســبيل توفيرها والنهوض بها الطاقة اللازمة للمضى بها فى تحقيق دورها الجديد .

واذا وصلنا فى هذه الخطوة الـ تحديد الغاية المرجوة فينبغى أن نتآخر على الفور مجموعة من المشكلات التى تصادف طريقنا .

(١) توعية القائمين بحركة التعريب :

ان حرية الثقافة لا تعنى حجـــرا على أحد من الناس ، ولكن مسئولية الكلمة واعباء المعرفة العلميـــــة الصحيحة هى التى تمنح جواز المرور أو تسحبه من انسان دون آخر . ذلك

سلامه موسى .
ودعوة متطرفة .



ان هنـــاك كثيـــــرا من المثقفين فى موضوعات المعـــرفة المعاصرة التى تحتاجها أمتنا اليوم ، ومع ذلك تكمن المشكلة فى انهم لا يحسنون نقل ما يعرفون الى اللغة العربية ، لا لضعف مستوى فكرهم وثقافتهم ولكن لعجز فى لغتهم العربية ، وعيبنـــا نحن المثقفين أننا نعتبر العربية لغتنـــا وأننا نملكها وهى بدورها من واجبها أن تخضع لنا ، ألم نولد فى بيئـــة عربية ؟ .. ألم نتلق ثقافتنـــا الاولى بل والجامعية فى أحايين كثيرة فى جامعات عربية ؟ .. أليس من واجب اللغة أن تخضع لنا تماما ما دام الامر كذلك ؟..

والحق أن اللغة العربية لأى انسان لا تخضع له الا بمجهودات صـــادقة وامينة، وإذن يصبح من واجب المثقفين الكبار الذين لهم قدم راسخة فى الالمام بالعلوم والثقافات الاوربية المعاصرة أن يأخذوا أنفسهم بالقدرة الصحيحة والامينة على نقل هذه العـــلوم والثقافات الى لغتنـــا العربية ، وفى هذا السياق يجب أن نعترف صراحة أن بعض المثقفين الكبار يحجمـــون تماما عن السباحة فى محيط الترجمة والتعريب لأن قدرتهم فى اللغة العربية لا تسمح ونحزن لضـــياع علمهم ومعرفتهم الراقية على أمتهم ؟!

أظن أننا نتفق على أنه لا بد أن يكون هناك مستوى صحيح من المعرفة

حاجتنا إلى مؤسسة للتعريب

باللغة العربية ليصبح نقل الفكر الاوربي الى اللغة العربية نقلا صحيحا يمكن الاستفادة به والانطلاق منه فى الوطن العربى الى رؤية جديدة علمية وفكرية · وحتى لا تكون الثمرة قليلة ومحكومة بالصادفات يجب أن نعمق فى اجيالنا القدرة الواسعة على تعلم العربية واجادة الكتابة بها حتى لا يضيع علينا علم واحد منهم نتيجة عجزه عن نقل معرفته الى امته وجيله ·

ثانيا : ان الامة العربية محتاجة الى هيئة عليا تقوم بالتخطيط والتنفيذ لمشروعات التعريب تكون فيها مستويات مسئولة بمستوى خاص لتحديد الموضوعات والمؤلفات التى يجب أن تترجم ، ومستوى آخر لاختيار العناصر القادرة بالفعل على النهوض بهذه العملية القومية ، ومستوى ثالث لتحديد كيفية التمويل الواسع لهذه المؤسسة الوطنية القومية

ويجب أن ننبه هنا الى ان قيام مؤسسة عربية للنهوض بهذا العبء الثقافى الضخم ليس معناه الحجر على حرية التعريب او مصادرة الجهود الذاتية للافراد ، فالمعرفة بطبيعتها حرة ، والعلم بسلطانه طليق ، وانما لكل عالم أن يسعى لتقديم جهوده الذاتية لهذه المؤسسة وعليها ان تنصف جهده كل الانصاف ما دام الجهد الذى يقوم به يسعى الى الغاية الكبرى التى تتطلع الامة اليها ·

ثالثا : على الجامعات العربية أن تهتم اهتماما واسعا بتدريس اللغات الحية مع العناية الفائقة بتدريس اللغة العربية وآدابها حتى نحصل على جيل من العلماء القادرين فى شتى فروع المعرفة ونطمئن فى الوقت ذاته الى قدرتهم على نقل المعرفة الجديدة المتطورة الى لغتنا لتصبح ملكا للامة العربية بامكانياتها الحالية والمرتقبة ولا سيما فى الانسان أن تشارك العالم فى تقدمه ونهضته الزاحفة الى آفاق جديدة لا حدود لداها فيما يظهر حتى الان ···

ولعله من المفيد ان نقول هنا ان كليات الترجمة هامة للحياة الثقافية فى اية امة ،ولكن لا يصح ان يغيب عن الذهن ان الحاجه الى العالم المتخصص فى فن من الفنون او فى فرع من فروع المعرفة هو الاقدر والاجدر ــ بل لا ينفع غيره اطلاقا ــ فى نقل هذا اللون من المعرفة لانه لا تفى فيه المعرفة باللغة ، بل لا بد من المعرفة المتخصصة بهذا الفن ذاته ، وحينئذ لا بد لنا من قدرته هو على نقل معرفته بالعربية ، وهكذا يصبح من الضرورى حقيقة عناية الامة بدراسة اللغات الحية ، ودراسة اللغة العربية على مستوى رفيع حتى يمكنها ان تحصل على كل جديد نافع فى الفكر العالمى المعاصر فى شتى العلوم والآداب والفنون ·

د. سيد كريم



فرعون موسى

سفر الخروج.. بين الواقع والأساطير

دخل اليهود مصر عام ١٦٥٦ ق . م فى عهد الهكسوس ، وخرجوا منها عام ١٢١٨ ق . م . مع موسى عليه السلام فى عهد التحرير ..

وبعد ان انقذهم موسى من فرعون وجنوده ، حرفوا وصاياه وصنعوا لهم عجلا عبدوه .. فتاههم الله فى الصحراء اربعين عاما عن الارض الموعودة . وحرفوا سفر الخروج وصنعوا لهم منه اسطورة . لعب الخيال والاختلاق دورا فى نسج خيوطها ، فتاهت الحقيقة الاف السنين وضاعت معها مقدسات معتقداتهم وحقيقة معجزات نبيهم .

لقد شغلت تلك الاسطورة الباحثين فى علوم الاديان وبحوث التاريخ الجغرافى ، وعلماء الآثار فى العصر الحديث لفك رموزها وما احاطها من الغاز بعدما كشفوا بعدها عن الحقائق التاريخية وتناقضها مع ما ورد فى الكتب السماوية وسفر خروج التوراة نفسها

فما هى حقيقة الاسطورة ؟ ومن هو فرعون موسى الحقيقى ؟ هل عبروا البحر الاحمر ؟ . وهل وصلوا الى جبل موسى ؟ وماهى حقيقة المعجزات التى نسجوا منها خيوط الاسطورة ؟



يوسف .. عن طريقه دخل اليهود مصر لاول مرة وكان عددهم ٧٠ « عام ١٦٥٦ ق.م »

● متى دخل اليهود مصر ؟ ومتى خرجوا منها ؟

دخل اليهود مصر عام ١٦٥٦ ق ٠ م عن طريق يوسف عليه السلام فى عهد الملك ابوفيس ملك الهكسوس فى الاسرة السادسة عشرة ، وكان عددهم كما ورد فى التوراة ، سبعين شخصا ٠ وبدأت هجرتهم الجماعية فى عهد الملك فوطيفار الذى قرب يوسف اليه وعينه وزيرا على خزائن مصر ومخازنها ٠٠٠

وتروى التوراة فى سفر التكوين : « ان فرعون وهو من الهكسوس المحتلين لمصر ، شجع وجود اليهود ليقاوم بهم حركة المقاومة فى الجنوب حيث اصبحت لهم فى طيبة جالية كبيرة ومعبد خاص ، ومقابر خاصة بهم ٠٠٠ ويروى سفر التكوين قول فرعون ليوسف : « خذوا اباكم وبيوتكم وتعالوا الى اعطيكم خير ارض مصر وتاكلوا دسم الارض ، واصنعوا هذا وخذوا لكم من ارض مصر عجلات لاطفالكم ونسائكم ، واحملوا اباكم وتعالوا ولا تحزن عيونكم على اثاثكم ٠ ان خير

ارض مصر هو لكم » ، وصنع كذلك بنو اسرائيل ، واعطاهم يوسف عجلات بأمر فرعون واعطاهم زادا للطريق ...

وبعد ما طرد الهكسوس من مصر وكان اليهود أكبر نصير لهم ، بدأوا يتآمرون على المصريين ويعملون على مساعدة المغيرين . وتروى التوراة « ان فرعون مصر قال للمصريين عن اليهود انهم اذا وقعت حرب ينضمون الى اعدائنا يحاربوننا ويخرجون من الارض » ... ولكى يأمن رمسيس الثانى شرهم ودسائسهم قام بتسخيرهم فى اعمال البناء وانشاء الطرق وحفر الترع ، وهى الاعمال التى كانوا يرفضون القيام بها ، حيث تخصصوا فى التجارة والتموين ... كما فرض عليهم اعمال السخرة فى بناء مدينتى فيتوم وبى رعمسيس ...

وتروى التوراة انهم كانوا يتكاثرون بشكل بالغ ، وكانوا لا يتزوجون الا من مجتمعهم المقفل حتى أصبحوا يشكلون خطرا على المصريين ، فأصدر فرعون قراره المشهور الذى يهدف الى اعدام الذكور من المواليد وتزويج البنات من المصريين ...

وخرج اليهود من مصر على يد موسى عليه السلام عام ١٢١٨ ق.م فى عهد الاسرة التاسعة عشرة . وبذلك تكون اقامتهم فى مصر قد استمرت ٤٤٨ عاما ، كما كان عددهم يوم خروجهم كما ورد فى سفر الخروج « ثم ارتحل بنو اسرائيل بنحو ستمائة الف ماش من الرجال خلا الاطفال » .

● لماذا طردهم المصريون ؟

تضاربت آراء المؤرخين والمفسرين عن اسباب ثورة فرعون والمصريين على اليهود ، وهجرتهم



موسى : خرج اليهود من مصر عام ١٢١٨ ق.م وكان عددهم كما ورد فى سفر الخروج ٦٠٠ الف

من مصر او طردهم منها . تلك الثورة التى ظهرت بوادرها فى عهد رمسيس الثانى وقبل خروجهم .

ورد فى التوراة انهم هربوا من مصر لان فرعون كان يصادر املاكهم واموالهم ويسخرهم فى اعمال الانشاءات وبناء القصور والمعابد ونحت الاحجار وشق الطرقات وحفر الترع ، كما جمعهم من انحاء البلاد واسكنهم فى مدينة واحدة (تل اليهودية) حتى يكونوا تحت رقابته .

كما يروى بعض المؤرخين أن كهنة طيبة كانوا يحقدون على اليهود ومعبدهم الخاص الذى يعبدون فيه الههم « ياهو » ، ويمنعون المصريين من الاختلاط بهم او الاطلاع على



رعمسيس الثانى اول من قام بحملة ضد اليهود ـ الاسرة ١٩ « ١٢٩٠ ـ ١٢٢٣ ق.م »

اسرار طقوسهم وتعاليمهم الدينية المصرية ، فاقتنع كهنة طيبة فرعون بان معابدهم كانت اوكارا يتآمرون فيهما على البلاد ويتعاملون مع الاعداء المغيرين وفلول الهكسوس ويساعدون الاجنبي على اعادة احتلال البلاد لذا فقد بدأت ثورة المصريين عليهم في طيبة ، حيث حطم المصريون معابدهم وخربوا مقابرهم ·

كما ذكرت احدى البرديات القديمة ان كبير كهنة معبد طيبة تنبأ لفرعون بان نهايته ستكون على يد مولود من بنى اسرائيل يولد خلال العام الجديد ، وهى النبوءة التى يفسر بها المؤرخون امر فرعون بقتل جميع المواليد الذكور الذين يولدون مع بداية العام الجديد ، وهو التاريخ الذى ولد فيه موسى والقته امه في اليم على شاطىء بر رعمسيس لتوجدته اخت فرعون التى تبنته وتربى فى القصر كاحد امراء الفراعنة · وقد وردت القصة فى سورة القصص ٦ ـ ٨ « واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين · فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا» ·

واسم موسى الذى اطلقته عليه اخت فرعون ليس من الاسماء اليهودية فهو اسم فرعونى نسبة الى اسم شاطىء النيل الذى يطل عليه القصر

كما نسبت بعض البرديات القديمة ثورة المصريين عليهم الى ما كانوا يقومون به من اساليب لاغتصاب املاك الفلاحين وابتزاز اموالهم ، فكانوا اول من ابتدع الربا والمراهنة كما كانوا يجمعون الذهب والفضة نظرا لتخصصهم فى صناعة المصاغ ويهربونه الى خارج البلاد · وتشير تعاليم التلمود التى وضعت فى ذلك الوقت ، بانه اما ان يكون عندهم وحدهم كل شىء ، او لا يكون هناك شىء عند احد من الناس » !

ومنها : « كل شىء لا املكه هو وديعة عند غيرى من الناس ··· وكل الناس لصوص لان كل ما يملكه الناس يجب ان يكون ملكا لليهود » !

« كل ما تقع عليه عينك فهو ملك لك ··· وكل ما تدوسه قدماك مزرعتك ، وكل دابة تسعى فى حقل او على جبل فهى دابتك · اربطها



مرنبتاح .. فرعــون موسى « ١٢٣٣ ـ ١٢٠٧ ق.م » طرد اليهود من مصر عام ١٢١٨ ق.م



مومياء الملك مرنبتاح « المتحف المصرى » حكم مصر سبع سنوات بعد طرد اليهود ومات فى سن الستين .. ولم يمت غرقا

والرب حارسك ، واذا اضطررت الى بيعها للكفرة من رب الديانات فسوف يعوضك عنها رب الجنود الصبير ». ـ (التوراه ـ سفر التكوين)

أما ثورة فرعون الأخيرة عليهم والتى انتهت بطردهم من مصـــر فينسبـــــها المؤرخ « نافيل » الى خيانتهم للوطن عندما كانوا يهربون أولادهم من التجنيد أو أعمـــال الحرب ، وانتهزوا فرصة انشـــغال فرعون وجيشه فى محاربة الليبيين على الحدود الغربية ورجال البحـر من الشمال فقاموا بتهريب الغـــلال والماشية والذهب الى سوريا والبلاد الآسيوية ، وكانوا يشرفون فى ذلك الوقت على مخازن التموين وصوامع الغلال فى بررعمســـــيس ومنف ، مما تسببت عنه المجاعة فى البلاد ، وتوقف امداد الجيـــــوش المحاربة بالتموين ... فاوقف فرعون معاركه وعاد الى العاصمة حيث أعد خطة القضاء عليهم ، وهى الخطة التى

عرفها موسى من القصر ونقلها الى الاسرائيليين ، وكان هروبهم المعروف وخروجهم من أرض مصر .

ويصل اليهود الى فلسطين بعد اربعين سنة قضوها تائهين فى الصحراء عندما حرمها الله عليهم اربعين سنة يتيهون فى الارض .

وعندما خرجوا من مصر ووصلوا الى أرض فلسطين قتلوا فى مدينة واحدة اثنى عشر الف رجل ، وكان شعار ياشوع (يوشع) : « ان اكثر الناس قتلا هو الذى يبقى حيا » .

● حروب مصر وفلسطين

ان أول حرب خاضها المصريون ضد الاسرائيليين بعد احتلالهم لفلسطين هى التى قام بها شيشنق الاول فى الاسرة الثانية والعشرين عام ٩٤٠ ق . م ، والتى اعاد فيها فلسطين الى مصر ودمر اليهود تماما ، ومحى هيكل سليمان من الوجود ، وعاد بكثير منهم اسرى فى موكب فرعون ...

وحربهم الثانية مع المصريين هى التى قام بها الملك نخاو الثانى فى الاسرة السادسة والعشرين عام ٥٩٥ ق . م ، التى حطم فيها جيوشهم التى كانوا قد اعدوها للزحف على مصر ، وقتل ملكهم ياشوع .

ولم تقم لها قائمة بعد تلك المعركة ، وعاشوا بعدها عبيدا واسرى مشردين فى مختلف عصور البطالسة ، والرومان يتيهون فى الارض ويحلمون بالعودة الى أرض الميعاد .

● من هو فرعون موسى ؟

لم يذكر اسم فرعون موسى الذى طرد اليهود من مصر فى التوراة وسفر الخروج ، كما لم يرد اسمه فى مختلف الكتب السماوية التى وصفت قصة موسى وفرعون ، لكن المؤرخين القدماء والمفسرين اجمعوا على أنه رمسيس الثانى ، نظرا لمعاصرته عهد موسى ، وكذلك اضطهاده المعروف لليهود وتسخيرهم فى بناء مدينتى بررعمسيس وفيثوم ومخازن الغلال فى دلتا ، واعتداء المصريين على معابدهم وطردهم من طيبة ومنف .

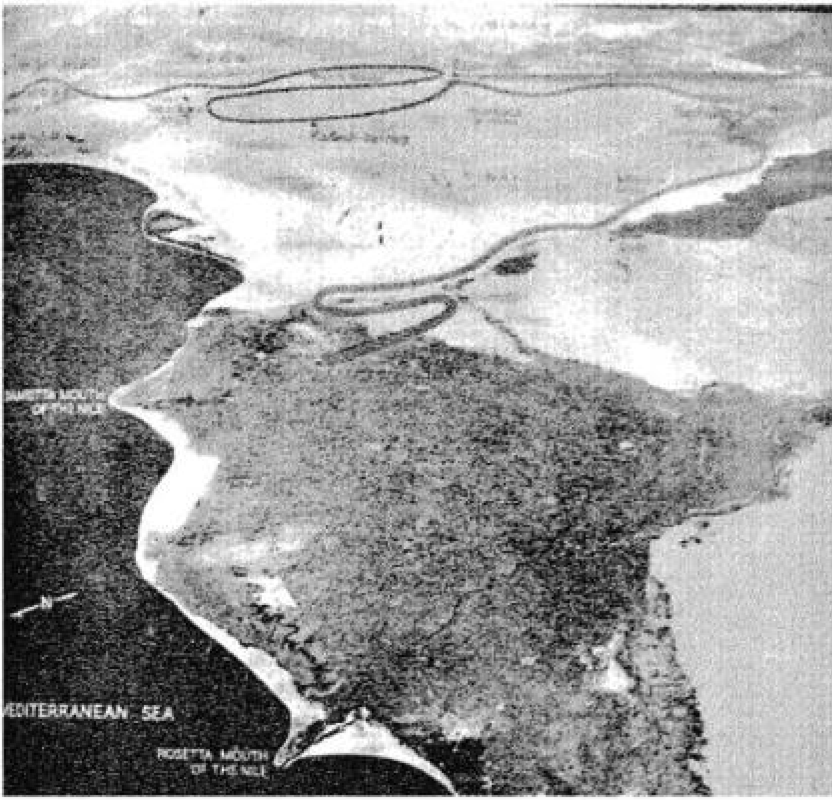
كذلك لوجود اسم موسى لأول مرة فى التاريخ فى احدى لوحات طيبة التى ترجع الى أواخر عهد رمسيس الثانى ، ويظهر فيها موسى وهو يتضرع الى رمسيس ويقدم له الهدايا ... واشار البعض الاخر الى الحملات التى انتصر فيها رعمسيس الثانى على بدو فلسطين، وورد فى بعض الوثائق القديمة أن رعمسيس الثانى هو الذى امر بقتل مواليد اليهود كما ذكر سابقا .

وحاول بعض المؤرخين نسبة فرعون موسى الى تحتمس الثالث وهى نسبة تفتقر الى اثبات تاريخى .

لقد اثبتت البحوث الحديثة التى قام بها كل من فلندربترى ، وادوار ماير ، ونافيل وحققها العالم المصرى الدكتور سليم حسن — ان فرعون موسى هو مرنبتاح بن رعمسيس الثانى ، وهو الذى انقلب على اليهود بعد ان كان يقوم بحمايتهم والدفاع عنهم اثناء حكم أبيه واضطهاده المعروف لهم ، وكان انقلابه عليهم بعد خيانتهم له اثناء حروبه فى الصحراء الغربية ومع قوم البحار المغيرين من الشمال .

وقد ورد اسم اسرائيل لاول مرة فى الوثائق المصرية القديمة فى انشودة النصر فى لوحات اتريب التى وصف فيها مرنبتاح انتصاره عليهم فى النص التالى :





إحدى الصور التى صورت بالقمر الصناعى للدلتا وسيناء من ارتفاع ٢٥٠ كيلو مترا يبدو فيها طريق خروج بنى اسرائيل « الجمعية الجغرافية البريطانية ١٩٦٧ »

• ان اسرائيل خــــربت وقطعت بذرتها •

واضحت فلسطين ارملة لمصر وكل من كـــان ثائرا قتله الملـــك مرنبتاح » •

وقد فسر بترى معنى «قطعت بذرتها» أى طردهم وأولادهم وتطهير مصر من نسلهم كما وجد أن التـــاريخ الذى حدده الملك مرنبتاح فى لوحة النصر لانتصاره عليهم ، وهو الشـــــهر الثالث فى اليوم الثالث من السنة الخامسة من حكمه ، يتفق تماما مع التاريخ الـــذى حـــدده اليهـــود فى سفر الخروج •

ويعتبر ذكر اسم قوم اسرائيل في لوحات مرنبتاح اللث الوحيد الذي عثر عليه في الآثار المصرية ، ولم يرد ذكرهم بعد ذلك الا بعد انقضاء اربعة قرون في الكتابات المسمارية كما لم يظهر اسم اسرائيل قبل لوحة مرنبتاح الا مرة واحدة في احدى برديات تانيس عند ظهور قوم يوسف اثناء حكم الهكسوس .

وتولى مرنبتاح الحكم عام ١٢٢٣ ق.م . وهو الابن الثالث عشر لرمسيس الثاني ، وكان قائدا عسكريا عظيما اثناء حكم أبيه ، ومن القابه : « الكاهن الاكبر للاله بتاح – سم ، والقائد الاعظم للجيش ، والكاتب الملكي ، وحامي مقدسات المعبد » .

وذكر كل من مانيثون ويوسيفوس انه حكم مصر ١٩ سنة ، وستة اشهر ، وكانت سنه عندما تولى الحكم ٥٨ سنة وقاد معاركه وهو فوق الستين مما جعل البعض يخلط بينه وبين رعمسيس الثاني بعد ان ذكر اليهود أن فرعون كان طاعنا في السن عندما قاد جيوشه لمطاردتهم .

اما قصة موسى نفسه ونشاته وحياته فقد اختلفت عليها المراجع التاريخية ، وكما وردت في جميع الكتب السماوية ، وكان موسى من وجهة النظر المصرية اقل شأنا من يوسف ، وتصفه التوراة : « لقيطا في قصر فرعون ، وهاربا من وجه العدالة » ثم متكلما عن عبيد غرباء » – وكان الاسرائيليون يعدون عبيدا فرض عليهم فرعون اعمال السخرة . بينما وصفوا عهد يوسف بأن اليهود كانوا من رعاة البدو وكل راع في نظر المصري لعنة »

● طريق الخروج .. بين الواقع والاساطير

ان اسطورة خروج اليهود من مصر وعبورهم البحر الاحمر التي صاغها قدماء مؤرخي اليهود وما ارتبط بها من معجزات خارقة – صورها خيال رائع ابعدها عن واقعها التاريخي ، وحولها الى حقيقة ثابتة رددها الكثير من الكتاب والمؤرخين ومفسري الكتب السماوية على مر العصور ، بينما تختلف الاسطورة نفسها اختلافا تاما عما ورد في التوراة نفسها في سفر الخروج . كما كشفت كثير من الحفريات والوثائق الفرعونية القديمة كثيرا من نواحي الغموض الذي اكتنف الاسطورة ووضح كثيرا من معالم الطريق المجهول ، مما ساعد كثيرا من العلماء والباحثين في العصر الحديث على الاهتمام بدراسة طريق الخروج ، ومن بينهم ولكوكس ، وليفان ، وروبرتسون ، ثم جاردنر وبترى وحفريات مدينة قنطير كما اشترك من العلماء المصريين الدكتور سليم حسن وعلى بك شافعي . وتركزت بحوثهم على مقارنة اسماء البلاد والمناطق التي مروا بها في مختلف مراحل هجرتهم ومواقعها على الخرائط القديمة ، وما كشفته الحفريات والوثائق التاريخية ، وقد وجدت جميع المناطق موضحة في احدى الخرائط المصرية القديمة التي ترجع الى عهد البطالمة والمحفوظة بمتحف الفاتيكان ، وهي المبينة في الرسم المرفق الذي وقعت عليه اسماء البلاد ومراحل طريق الخروج باللغات الفرعونية والعبرية والعربية

والمدن التي ورد ذكرها في سفر الخروج بالتوراة والتي امكن تحديد مواقعها جميعا تشمل بالترتيب – رعمسيس ، وسكوت ، وبيداء ايتام ، وفم الحيروت ، ويم سوف ، وارض شيحور ،



ومجدول ، وبعل زيفون ، ومدين ٠

وفيما يلى خط سير طريق الخروج الفعلى واقتفاء اثرهم يوما بيوم :

اليوم الاول : « ثم ارتحل بنو اسرائيل من « رعمسيس » الى « سكوت » بنحو ستمائة الف ماش من الرجال خلا الاطفال » (سفر الخروج ١٢ ـ ٣٧) ، وهو ما جعلت الاسطورة عددهم بحوالى مليون ، ولكن ذلك لا يتفق مع الواقع او المنطق حيث كان سكان بر رعمسيس باكملها من يهود ومصريين لا يزيد عن ١٥٠ الفا ٠ وقد فسر فلاندربترى فى كتابه عن اسرائيل ان « الالف » يعبر عنها فى اللغة العبرية القديمة بانها « الاسرة » اى ان عددهم كان لا يزيد عن ٦٠٠٠ شخص ، وقد غادروا رعمسيس « فى الشهر الاول فى اليوم الخامس عشر منه فى عيد الفصح بيد مصرية على مشهد من جميع المصريين (سفر الخروج ٣٣ ـ ٢) وقد اختاروا هذا الشهر بالذات لانه شهر الجفاف والتحاريق الذى تجف فيه الحياض والترع ويمكن عبور النهر على الاقدام والعربات فلا يلفتوا اليهم الانظار ولا يحتاجون الى سفن لنقلهم ونقل متاعهم ٠

مدينة بررعمسيس المذكورة هى مدينة قنتير التى بها قصر رعمسيس واسمه بررعمسيس ، ودفنا أو تفنى التى كانت بها المخازن التى سرقوا ما كان بها من غلال هى ابطيتا الحالية ، اما سكوت التى قضوا فيها الليلة الاولى فهى منطقة الصالحية ، وكانت بها قلعة تدعى « ختم سكوت » التى كان يذهب



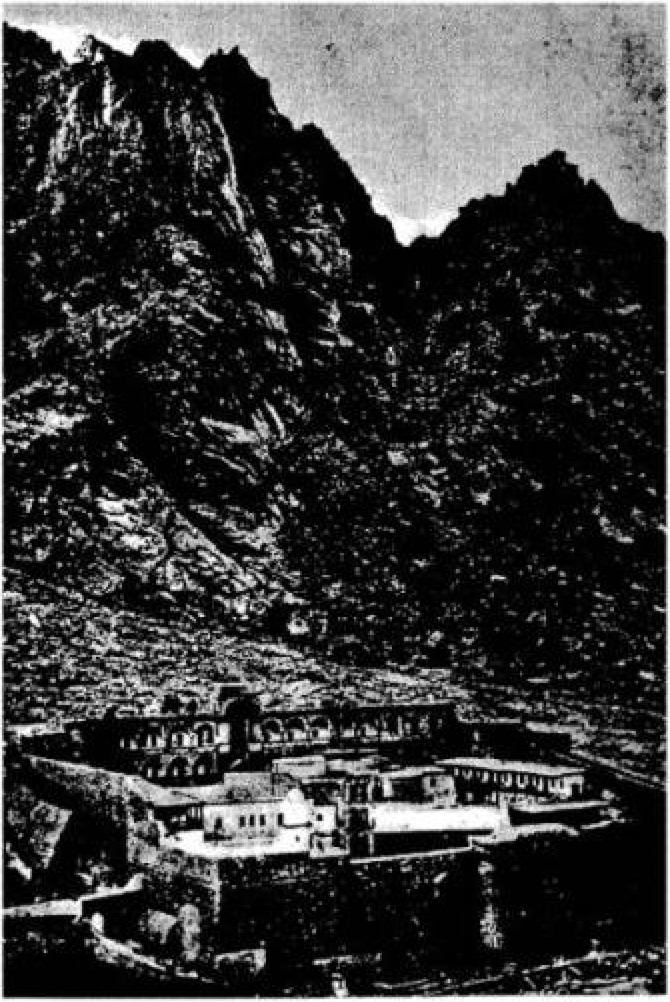
جبل حورب « سن بشر » ووادى صدر، الوادى المقدس ، أرض المن والسلوى أهو جبل موسى الحقيقى ؟

اليها مرنبتاح لصيد البط (يم بترم - مرنبتاح) وهى بركة الصيد المعروفة حاليا باسم مسدده واكياد . ويطلق على سكوت حاليا اسم « تل اليهودية » .

● اليوم الثانى : « وارتحلوا من سكوت ونزلوا بيداماثيام فى طرف البرية » (سفر الخروج ١٣ - ٢) وبيداء أيثام كانت معروفة فى عهد الفراعنة باسم (اتوم) كما اطلق عليها فى عهد البطالسة (ايثما) وهى صحراء الفاقوسية الحالية ، وهذا الطريق الذى يفصل الارض الزراعية عن الصحراء كان طريقا للرعاة والقوافل ، ولذ اختاره بنو اسرائيل فى هجرتهم حتى يكونوا بعيدين عن اعين المصريين .

● اليوم الثالث : تكلم الرب موسى وقال له مر بنى اسرائيل ان يرجعوا وينزلوا امام فم الحيروث بين مجدل والبحر امام بعل زيفون تنزلون تجاهه فى اليم (سفر الخروج ١٤ - ١) وقسى الرب قلب فرعون ملك مصر فتبع بنى اسرائيل . وبنو اسرائيل خارجون بيد سامية » (سفر الخروج ١٤ - ٨)

تؤكد تلك الآية ما ورد فى البرديات القديمة من ان بنى اسرائيل خرجوا من مصر بالذن من مرنبتاح ، ثم اكتشف بعد رحيلهم المؤامرة التى دبروها لسرقة ذهب ومصاغ المصريين بحجة استعارته فى عيدهم ثم هربوا به مع ما سرقوه من خزائن الدولة ، وهو الذهب الذى صنعوا منه العجل الذى عبدوه ... فتبعهم فرعون بجنوده مما دعاهم



دير سانت كاترين ...

الى تغيير خط مسيرهم من طريق بلوزيوم او طريق الفلسطينيين ـ الذى يصل الى فلسطين عن طريق الشاطىء ـ وغيروا اتجاههم الى طريق سيناء حتى لا يلحق بهم فرعون ٠

وتروى التوراة قصة الذهب الذى سرقوه من المصريين « ... فاذا انصرفتم فلا تنصرفون فارغين بل تطلب المرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها امتعة فضية وذهبا وثيابا تجعلونها على بنيكم وبناتكم وتسلبون المصريين » ٠

● **اليوم الرابع : « وتبع موسى وقومه فى ستمائة عربة يسوقها نخبه من فرسانه ولحقوا بهم بالقرب من يامسوف » ٠**

كلمة « يام » الواردة فى التوراة اسمها باللغة الفرعونية « يم » ومعناها البركة والمستنقع ، وكانت تطلق على الفيوم ارض المستنقعات (ب ـ يوم) ٠ وسوف ـ اسمها بالفرعونى سرب او سوبى ومعناها البوص او البردى فيام سوف معناها بركة البوص أي مستنقع البردى والمعروف ان البوص او البردى لا ينمو الا فى المياه العذبة لذا فان يم سوف ، كان من المستنقعات او البرك الواقعة شرق بحيرة المنزلة والتى كانت تغذى بالمياه من فرع حور الشرقى ومن المعروف أن تلك البرك تتكشف أرضها عند هبوب الرياح الشرقية والجنوبية الموسمية ، ويمكن عبورها بالسيارة أو على الاقدام كما هو الحال فى الطريق بين بلطيم والبرلس الذى تغمره المياه وترتفع الى ما يزيد على المتر مع هبوب الرياح الغربية ...

« ومد موسى يده على البحر فارسل الرب ريحا شرقية طول الليل جعله جفافا وانشق الماء » ٠ (سفر الخروج ١٤ ـ ٢١) ٠



الاف الدرجات الصخرية التى يتسلقها الحجاج للوصول الى قمة الجبل حيث باب الاعتراف الذى كلم فيه موسى ربه

وليست هناك علاقة بين تلك البركة والبحر الاحمر حيث تقع البركة اوبام سوف التى ورد ذكرها فى التوراة شمال مدينة الاسماعيلية ، وتبعد عن البحر الاحمر حوالى سبعين كيلومترا كما ان ارض شيحور التى انتقلوا اليها بعد عبورهم اليم تقع بدورها شمال السويس بما يقرب من الستين كيلومترا وهى اول منطقة وصلوا اليها فى صحراء سيناء .

اما قصة غرق فرعون وجنوده وعرباته كما وردت فى الاسطورة ، فقد ذكرت التوراة فى وصف ما حدث لعربات فرعون « وخلع دواليب العربات فساقوها بمشقة » اى ان دواليب العربات والخيول غاصت فى الاوحال لمطلتهم عن متابعة بنى اسرائيل عندما ارتفعت المياه فى البركة بما يصل الى ارتفاع قدمين او ثلاثة عندما « هبت الريح الغربية العاتية » .

● ان اسم البحر الاحمر لم يذكر بتاتا الا فى سجلات التاريخ الثابتة ولا فى نصوص الكتب السماوية ولا فى التوراة نفسها .

وقد قام كل من البروفيسور فيدمار ، وروبرتسون ، بالبحث عن مصدر ذلك الخطأ ووجود اسم البحر الاحمر بدل « يم سوف » فى بعض التراجم الحديثة للتوراة . فوجد ان اول ترجمة للتوراة من العبرية الى الاغريقية فى القرن الثالث قبل الميلاد بواسطة الكهنة السبعين والتى يطلق عليها « الترجمة السبعينية » ترجمت « يام » او بركة باسم « بحر » ومنها ترجمت فى العصور الوسطى الى الانجليزية باسم بحر البوص

Reed Sea

وبقى هذا الاسم مسجلا حتى القرن السابع عشر حيث حرفت فى الطبعات التى ظهرت فى ذلك الوقت فسقط حرف e من كلمة **Reed** وتحولت الى **Red** اى الاحمر ، ولم يعرف ان كان ذلك قد نتج عن خطأ مطبعى او تحريف مقصود ليتفق مع الاسطورة والمعجزات .

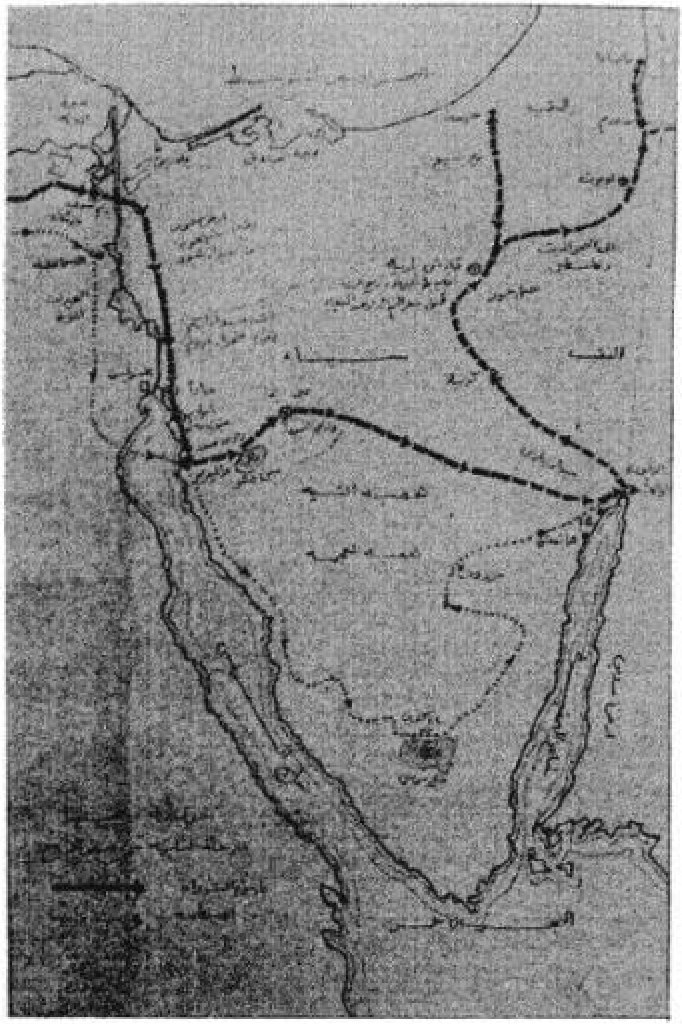
● كما ان قصة غرق فرعون وجنوده ليس لها اساس من الصحة، فقد سجل تاريخ الملك مرنبتاح او فرعون موسى سواء فى لوحة النصر او رسائل الزبيب واقوال مانيتون وافريكانوس، انه طرد من بنى اسرائيل فى العام الخامس من حكمه ، وحدد تاريخ طردهم باليوم والشهر بما يتفق مع ما ورد فى التوراة وسفر الخروج ، ثم عاد الى عاصمة ملكه واحتفل بعيد النصر ، واستمر حكمه بعد طرد اليهود اربع عشرة سنة قام خلالها بفتوحاته المشهورة ، كما امتدت البحوث الى جثته «المومياء» المحفوظة بالمتحف المصرى ، فثبت بالكشف عليها انه لم يمت غريقا بل مات موته طبيعية بعامل الشيخوخة وانه قد تجاوز السبعين من عمره .

● ان ما ورد بالقرآن الكريم عن قصة موسى وفرعون تتفق بدورها مع الحقائق التاريخية نفسها كما تتفق مع ماورد ذكره فى التوراة الاصلية .

« واوحينا الى موسى ان اسر بعبادى فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا فاتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم » (سورة طه)

« وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فاتبعهم فرعون بغيا وعدوا حتى اذا ادركه الغرق قال امنت انه لا اله الا الذى امنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين .

الان وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين . فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك اية وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون » (سورة يونس)



خريطة سيناء .. المرحلة الثانية



فاليوم « تنجيك بيدنك » تعادل التعبير العامى خلص او نفد بجلده ولم يغرق . كما ان كلمة « يم » فى اللغة العربية اصلها « يم » بالفرعونية اى البركة او المستنقع واطلق عليها فى العبرية كلمة «يام» الواردة فى التوراة .

● رحلة الخروج فى سيناء وجبل موسى :

لقد كان لهذا الكشف الاثرى التاريخى والجغرافى الذى قلب الاسطورة رأسا على عقب بعد ما حدد طريق الخروج ومراحل خطواته حتى وصولهم الى ارض سينا – كان حافزا لكثير من العلماء والباحثين لاقتفاء اثر رحلة الخروج فى المرحلة الثانية ابتداء من عبورهم « يم سوف » الى وصولهم الى ارض الميعاد ، نظرا لما اكتنف تلك المرحلة ايضا وطريق سيرها من غموض ربما احاطته به الاسطورة من وقائع ومعجزات تفتقر الى البراهين المادية والتى وجد ان الكثير من وقائعها تتعارض مع ما ورد بالتوراة نفسها .

وكان من اول الباحثين عن اثار تلك المنطقة قبل الحرب العالمية الماضية كل من نلسن جلوك الذى كشف عن حفريات ايتما وحدد موقع بيدامحور او شيحور الفرعونية التى وجد انها الصحراء التى تقع شرق الدلتا وتنتهى بالقرب من السويس شمال البحر الاحمر وخليج العقبة بعدة كيلومترات . كما كشفت بحوثه عن بعض اماكن سيناء التى حددت مواقع الوادى المقدس ووادى الفيروز ومدين ، وهى من الاماكن الهامة التى حدد معالم طريق السير . كما قام روبرتسون بدراسة علاقة « يم سوف » – مستنقعات المياه العذبة – بالبحيرات

عيون موسى ١٢ عينا و ٧٠ نخلة





موسى يضرب بعصاه السحرية حائط بئر المر مارا .. لوحة من القرن الرابع عشر ..

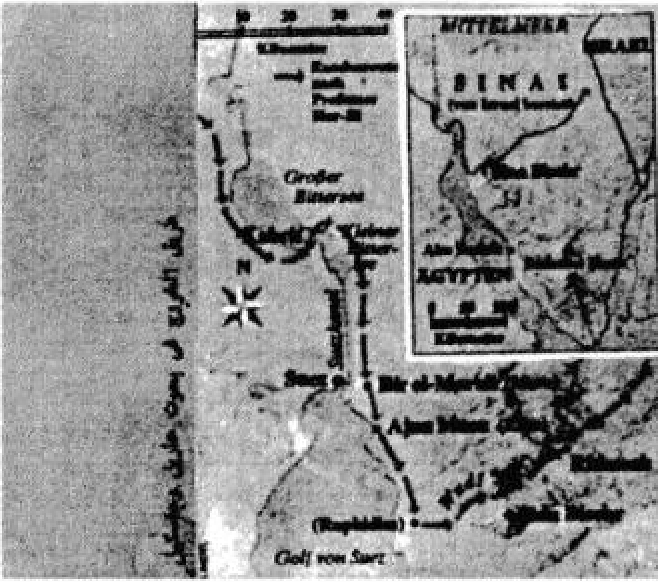
المرة التى كانت تستمد مياهها فى ذلك الوقت من فرع حورر الشرقى قبل اتصال البحيرات بالبحر الاحمر وقناة السويس وتحولها الى بحيرات مالحة ٠

لقد بدأ الاهتمام الفعلى بدراسة المرحلة الثانية من طريق الخروج فى السنوات الاخيرة بعد الاحتلال الاسرائيلى لسينا فقامت بعض البعثات الاثرية الجغرافية الالمانية والامريكية والاسرائيلية فيما اطلق عليه بالمسح التاريخى لسيناء ، كانت: أخرها البحوث التى قام بهـا جورين جاسكيل والتى اشترك معه فى بحثها البروفسور منشه هاريل استاذ الجغرافية التاريخية للاديان بالجامعات العبرية ٠

لقد بدأ جوريون جاسكيل دراساته مبتدئا بمنطقة البحيرات المرة ، التى اعتبرها « يم سرف » وان منطقة الدفرسوار هى الممر المائى الذى عبره اليهود نظرا لضحالة مياهها وتأثر المد والجزر بهـا بالرياح الجنوبية والشرقية التى تهب فى ذلك الوقت بالذات من السنة ، كما تنطبق عليها جميع الاوصاف التى وردت فى التوراة ، وقام فى نفس الوقت بدراسة الموقع الذى حددته الاسطورة على البحر الاحمر فاثبت استحالة اعتبارها منطقة العبور لعدة أسباب من بينها:

١ ـ وجد أن عرض البحر فى تلك المنطقة يبلغ ٢٨ كيلومترا وعمق المياه ستون مترا ، كما ان قاعة مليء بالشعب المرجانية والنتؤات الصخرية التى تعوق سير القافلة ومعداتها ، كما لا يمكن قطعهـا فى بضع ساعات كما ذكرت التوراة ٠

٢ ـ بعد ذلك الموقع الذى عبروا فيه البحر من مجدول وفم الحيروث التى قضوا فيها الليلة السابقة للعبور حيث تبعد عنها بما لا يقل عن المائتوالعشرينكيلومترا وهو مالا يعقل ايضا ان تقطعهـا القافلة فى يوم واحد ، علما بان متوسط سيرها طول الطريق كان يتراوح بين العشرة



كيلومترات والخمسة عشر كيلومترا ٠
٣ ـ ان بيداء حور (شيحور) التي وصلوا اليها بعد العبور تقع كما سبق ذكره شرق الدلتا والبحيرات وتمتد من منطقة القنطرة الى جنوب البحيرات المرة ، ويمكن تلخيص التحقيق والبحوث التى قامت بها بعثة جاسكيل وحاريل فى تتبع الطريق الذى ورد ذكره بالتوراة واستكشاف معالمه التاريخية والجغرافية مكملا للمرحلة الاولى كما يلي :

● اليوم الخامس : « وغادروا من امام فم الحيروت ومروا وسط سطح اليام ، وهكذا احضر موسى اسرائيل ، ومشوا في بيداء شور ومكثوا مسافرين ثلاثة ايام ولم يجدوا ماء وضربوا خيامهم فى مارا » (سفر الخروج ١٤ ـ ٢٨) ٠

● اليوم الثامن وصلوا الى مارا، وهو أول مكان وصلوا اليه بالقرب من البحر الاحمر وتقع على الشاطئ الشرقى فى مواجهة مدينة السويس ، وقد امكن الاستدلال على مكانها ويطلق عليه البدو اسم بئر المر ، وهى التى حدثت عندها معجزة موسى ، عندما ضرب صخر البئر بعصاه السحرية فذهبت ملوحة الماء » ٠ وتبلغ المسافة من « يام سوف » الى مارا خمسين كيلومترا تقريبا ، وهى التى قطعها اليهود فى ثلاثة ايام ٠ ومما يلفت النظر ان « مارا » التى وصلوا اليها بعد ثلاثة أيام من عبورهم اليم



تقع على بعد ثلاثين كيلو مترا شمال المنطقة التي حددتها الاسطورة كمكان العبور .

● اليوم التاسع : ارتحلوا من « مارا » الى « ايليم » ووجدوا بها اثنى عشر بئرا وسبعين نخلة ، وقد امكن الاستدلال على ايليم التى هى عيون موسى الحالية حيث وجد انها تبعد عن مارا بمسافة ١٥ كيلو مترا أى مسيرة يوم واحد . كما انها الواحة الوحيدة بين واحات سيناء

البالغ عددها ما يقرب من ٢٥٠ واحة، والتى يبلغ عدد عيونها اثنا عشر عينا وكان الصيادون وقوافل البدو يطلقون عليها فى العصور القديمة اسم غابة النخيل مما يؤكد انها « ايليم » التى ورد ذكرها فى التوراة .

● اليوم العاشر : وهو اهم ايام رحلة بنى اسرائيل حيث وصل موسى وقومه الى « رافيديم » بعد مسيرة يوم من ايليم ، وتقع عندمدخل الوادى

المقدس ومنها شاهد جبل حوريب الذى صعد اليه ليكلم ربه ، فاستبطأه اليهود عندما ذهب لميقات ربه فكفروا بموسى وربه واتبعوا السامرى احد علمائهم الذين هربوا مع موسى فأمرهم ان يخلعوا حليهم التى استولوا عليها من المصريين وصنع لهم منها عجلا جسدا له خوار وقال لهم هذا الهكم واله موسى .

وقد أمر موسى بحرق الاله الجديد ونسف فى اليم نسفا ، مما يدل على أن رافيديم كانت بالقرب من شاطىء البحر وليست بالقرب من جبل الطور

كما حددت موقعها خرائط الاسطورة .. ويحطم موسى لوحات الوصايا ويشكو لربه فحرم عليهم فلسطين اربعين سنة يتيهون فى الارض .

فموقع رافيديم التى لا تبعد عن عيون موسى بأكثر من مسيرة يوم وعند مدخل الوادى المقدس الذى دخلوا منه الى قلب سيناء ـ هو معبر الحالية

والوادى المقدس لا يخرج عن كونه وادى صدر كما ان جبل موسى الذى يقع على راس العين من رافيديم كما وصفته التوراة » هو جبل سن بشر كما ان كلمة « سن بشر » فسرت بانه

يقصد بها تشاريع البشر أوالوصايا العشر التى نزلت على موسى • فجبل حورب اى « سن بشر» هو جبل موسى الذى تداولته الاساطير •

أما جبل موسى فى طورسينا فهو يبعد عن عيون موسى بمسافة ٣٢٠ كيلو مترا ممايتعارض مع ما ورد فى التوراة نفسها أن موسى وقومه بلغوا الوادى المقدس وجبل حورب بعد مسيرة يوم واحد من عيون موسى • كما أن الجبل لا يمكن مشاهدته بالعين من تلك البعد ، أى من عند رافيديم، بالاضافة الى ارتفاعه الذى يبلغ ٧٦٠٠ قدم بينما لا يزيد ارتفاع سن بشر عن ٢٤٠٠ قدم

ولما كانت احجار اللوحات التى نقش عليها موسى الوصايا العشر من الحجر الجيرى اللين الذى يسهل حفره والتى ذكر أن اللوحات تحطمت تماما عندما سقطت على الارض ، فلذلك يثبت انها صنعت من حجر سن بشر الجيرى وليس من صخور جبل موسى وهى من الجرانيت والبازلت الصلب • كما ذكرت التوراة انهم اتجهوا بعد نزول موسى من الجبل الى بئر دلهم عليها أو فجرها اسمها بئر رتما ، وقد ثبت وجود تلك البئر فعلا فى مجرى وادى صدر ويطلق عليها العرب حاليا اسم « عين ريتما » •

وتدل جميع الشواهدعلى أن الوادى المقدس هو وادى صدر نفسه فهو المدخل الطبيعى الاول الى قلب سيناء وليس من المعقول أن يتركه موسى ليسير مائة وخمسين كيلومترا الى الجنوب ليدخل عن طريق الطور ويصعد الممرات ويتسلق الجبال الشاقة البعيدة عن ينابيع المياه بقومه



وحطم موسى لوحات الوصايا وشكاهم للرب فشردهم اربعين سنة يتيهون فى الارض

من نساء واطفال وشيوخ بصرف النظر عن بعده بمسيرة عشرة أيام لا يوم واحد كما ورد في التوراة كما أن وادي صدر وهو حوض قديم لمجرى السيول فهو الطريق الطبيعي كممر للقوافل لسهولة الحصول على عيون الماء وابارها والواحات التي تكثر في مثل تلك الوديان التي ترويها وتغذي ابارها مياه السيول .

كما ان وصف التوراة بمرورهم في أرض مناجم الفيروز والنحاس تنطبق على ذلك الوادي بالذات حيث كانت مناجم الفيروز المشهورة عند قدماء المصريين والتي اشتهر اليهود بصناعتها والتجارة فيها ، وليس لتلك المناجم بالذات وجود في جبل سيناء نفسه .

وفي بحث آخر قام به برنشتاين للتحقيق في معجزة المن والسلوى التي امطرتها السماء ، فقد فسره علميا بأن المن نوع من الطحالب الطفيلية التي تنمو على الصخور عند سقوط الامطار او الندى في المناطق القريبة من البحر ، وهناك نوع معين من النمل الصحراوي يتغذى على تلك الطحالب ويفرز كالنحل مادة صمغية في الليل تشبه عسل النحل ، وعندما تسقط عليها اشعة الشمس في الصباح تجف وتتحول الى حبات حلوة المذاق ولا تظهر الا في موسم معين من السنة وهو الوقت الذي تصادف مرور اليهود فيه في المنطقة .

ومن المفاجآت التي اكدت أن وادي صدر وجبل حورب (سن بشر) هما جبل موسى والوادي المقدس انه اكتشف ان المن والسلوى لا وجود لهما في منطقة جبل سينا وليس لهما وجود الا في تلك المنطقة بالذات .

وقد استغرق تيه اليهود او توهانهم في الصحراء بعد تركهم جبل موسى والوادي المقدس عشر سنوات ، امكن تحديد الاماكن والمناطق والمعالم التي مروا بها الى أن وصلوا الى « جبل حورب » شرق سيناء ، حيث اقاموا في مدينة « قادش بارنيا » ، التي تذكر انهم استقروا فيها ما يقرب من عشرين سنة ، والتي وصفتها الوثائق القديمة بانها جيل من العمر سمح لهم الرب بعدها الى التوجه الى أرض الميعاد التي وصلوها عن طريق صحراء النقب وشرق البحر الميت ومنه الى القدس التي لم يقدر لموسى أن يراها حيث وافاه الاجل عند شاطىء البحر الميت حيث دفن في وادي موسى بالاردن قبل صعود الجبل الى القدس .

صرح الاستاذ منشه حاريل استاذ الجغرافيا الدينية وتاريخ الاديان بالجامعات العبرية صرح في حديث له نشر في مجلة المختار الالمانية في العام الماضي بان كل ما ورد ببحوث البعثة الامريكية صحيح وانه يتفق مع النتائج التي توصلت اليها بحوث معهده وتم تسجيلها واعداد مخططاتها من بضع سنوات . ولما سئل عن سبب عدم موافقته على نشرها واعلانها رسميا قال :

« أن اليهود يحجون كل عام .. ومن القرن السابع الميلادي حتى اليوم الى جبل موسى ويتحملون مشقة الوصول اليه وتسلق ٣٨٠٠ درجة للوصول الى قمته التي يعتقدون أن موسى كلم ربه فوقها وتلقى منه الرسالة والوصايا حتى أصبح ذلك الجبل بالنسبة لهم كالكعبة بالنسبة للمسلمين . ولا يقل عدد من تحملوا مشقة ذلك الحج عن العشرين مليون يهودي حتى أصبح ذلك الجبل من المقدسات الدينية فاعلان تلك البحوث او الحقائق التاريخية ستخيب آمالهم وتفقدهم ثقتهم في أسطورة تحولت الى عقيدة .

محمد
الجيار

آخر قصيدة لفقيد الشعر
محمد الجيار.. بعث بها للهلال
قبل الرحيل بأيام..

حروف.. من كتاب الليل

الى الليل ... والاصداء فى الصمت ترقد
وروحى وراء الافق طير مشرد
شقيت طموحا للخفايا ... فلم اجد
سوى واقعى المكدود ... بالحزن يوجد
ولى منزل كالناس ياوى تعاستى
وركن غريب ... ضمنى فيه مقعد
واسمع موسيقى .. كاطياف حالم
فيرعشنى برد ... وفى الدار موقد
كأن وراء الباب صوتا لغائب
ولا شىء الا الريح تدنو وتبعد
والبس ثوبى فى ارتقاب زيارة
ولا احد ياتى .. ولا ثم موعد
وما قيمة البيت الذى غاب اهله ؟
وما لضيع الليل الذى فيه ارقد

لماذا ينام الناس .. والنجم ساهر ؟
كذكرى تنادى ... او رؤى تتودد ؟
سهرت حنينا للذى ضاع من يدى
وهل غير لمس منك تهفو له اليد ؟

وفى صدرك المعبود ترتاح غربتى
وثغرى على خديك بالشوق يسجد
وعيناك بين النوم والصحو قالتا
ـ : احبك يا موتى الذى فيه اولد
ـ : اذا كنت فى خديك احرقت وردة
دم الورد فى الثغر المطيب يوقد

***

فيا مخدعى .. ان نام فيك عبيرها
وحيدا كقلبى بالسماء يقيد
فقص على ثغرى حكاية ثغرها
وكن كحوار بين صدرين ... يرعد

لقد ضاع حتى الصوت من بوح هاتفى
فكن انت روح الصوت فى الليل يشهد
ويا وحشة المحراب فى الليل خاويا
وليس به حتى القناديل تسجد
ويا مرفأ الذكرى ... لقد غاب فلكها
فقلبى كنبض البحر دوما مسهد ..
تحدثنى الاحلام عنها ... فانتشى
وحين يطل الفجر وهما ابدد
وكانت هنا بالامس جفنا لمقلتى
تنأت ... فلا يومى يراها ولا الغد

د. صلاح عدس

تذكرة طبية

عن ... الذبحة

نحب أولا أن نشيع الاطمئنان فى النفوس بتأكيدنا أن نوبة الذبحة لا تسبب الموت كما يظن الكثير من العامة بل ان الكثيرين يعيشون طويلا بعد اصابتهم بأول نوبة ما داموا ملتزمين بالراحة والعلاج ... ونحب كذلك أن نشرح أولا ما هو المقصود بالذبحة الصدرية ...

انها عبارة عن نوبة من الالم تحدث فى منتصف الصدر ، وقد يمتد هذا الالم الى الكتف أو الذراع اليسرى أو الظهر أو الرقبة وربما الذراع الاخرى بل وربما عند فم المعدة ...

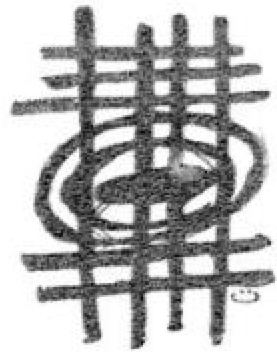
وهذا الالم يستمر حوالى ثلاث دقائق ولكنه لا يزيد عن ربع ساعة ، وسريعا ما يخف اذا لزم المريض الراحة ..

ولكى نفهم سبب هذا الالم نقول ان القلب رغم احتوائه على الدم ورغم انه يغذى كل الجسم بالدم ، الا انه بحاجة الى شريان يغذيه ... وهذا الشريان يخرج من « الاورطى » عند بدايته ويغذى عضلات القلب وانسجته ويسمى باسم « الشريان التاجى » .

وهذا الشريان التاجى هو الذى ينتج عن انقباضه أو انسداده الام الذبحة الصدرية نظرا لقلة ورود الدم الذى يصل الى عضلة القلب آنذاك .

ولكن لا تتوهم انك مصاب بالذبحة لمجرد احساسك بالم فى صدرك فهناك أسباب أخرى كثيرة لتلك الالام ...

ولعل أشهرها « عصاب القلب » وهى مجرد حالة نفسية يتوهم فيها المريض أنه مصاب بمرض فى قلبه بل فيحس فعلا بسرعة ضربات قلبه وغزغزة .. ولكن هذه الغزغزة وتلك الدقات قد لا يكون لها أى سبب عضوى وانما القلب سليم تماما ولكن المريض يشعر



بألم فى منطقة القلب لانه قد انشغل عقله الباطن باستمرار بالخوف على قلبه من المرض ..

والالم فى مثل هذه الحالة لا يستثيره شىء معين وانما يحدث من تلقاء نفسه بينما الام الذبحة يستثيرها المجهود العنيف أو الانفعال العاطفى أو قد تأتى عقب أكلة دسمة أو عقب التعرض للبرد ..

والمريض بعصاب القلب يحس بما يشبه غزغزة مسامير أو سكاكين حول حلمة الثدى الايسر وعندما يتحسس هذه المنطقة فانها توجعه ...

وان المصاب بمثل هذا المرض النفسى يكون مصابا الى جانب ذلك بالاعراض الاخرى للقلق العصابى ، مثل الارق وفقدان الشهية للطعام ، وهذا يجرنا الى السؤال عن العلاقة بين الانفعالات النفسية والذبحة وغيرهما من امراض القلب مثل ارتفاع الضغط وما الى ذلك ..

ولكى نفهم هذه العلاقة نقول أن القلب تنقبض عضلاته تلقائيا دون تدخل منك وبعيدا عن ارادتك ، وذلك بتوجيه جهاز عصبى مستقل عن قشرة المخ ـ التى تجعلنا نحس ونتحرك حركاتنا الارادية وانما هناك جهاز عصبى آخر يسمى بالجهاز العصبى الذاتى لانه يعمل أوتوماتيكيا ، وهو الذى يشرف على دقات القلب وحركات التنفس وحركات الامعاء وغير ذلك مما لا يدخل فى نطاق ارادتك ..

فالقلب يدق حتى وأنت نائم لا تدرى شيئا ...

وهذا الجهاز العصبى الذاتى هو المسئول عن اشاعة حالة الهياج أو الانفعال أثناء الخوف أو الغضب أو مواقف الخطر أو المواقف العاطفية مما يجعل نبضك يزداد وضغط دمك يرتفع ودقات قلبك تسرع دون أن تتحكم ارادتك فى هذا أو ذاك .

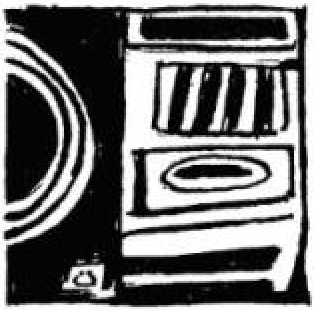
ولعل ذلك يفسر لنا العلاقة بين الانفعالات النفسية وبين الذبحة وكثير من امراض القلب ، ويفسر لنا أيضا لماذا ننصح المرضى بمثل ذلك بالراحة النفسية وتجنب الانفعالات ..

ففى اتباع تلك النصيحة تكمن الوقاية والعلاج لنوبات الذبحة ..

اما عن الاسباب الاخرى للالم فى منطقة القلب فمن بينها الجلطة التى قد تنشأ فى الشريان التاجى ايضا وكذلك التهاب الغشاء المحيط بالقلب او التهاب الأورطى بسبب الزهرى .

ومن بين الاسباب الاخرى أيضا ما قد يحدث من تضخم فى حالات

عن الذبحة



هبوط القلب ، أو قد يكون السبب في الام الصدر بعض الامراض الاخرى.

والان تستطيع أن تعرف ماذا تفعل حتى تتجنب الاصابة بالذبحة اذ يجب تجنب الانفعالات وتجنب السمنة ، لان الذبحة قد تصيب الشخص البدين أكثر من غيره ..

أما اذا انتـــابت الشخص نوبة الذبحة فعليه ان يلزم الراحة بأن يرقد اذا كان في بيت أو يجلس اذا كان في الطريق .. ثم هنـــاك اقراص

خاصة تمص انذاك تحت اللسان مثل اقراص « انجسيد » أو أن يحـــقن المصاب بالاميلوفلين ..

اما اذا كان الشـــخص قد سبق اصابته بنوبة من نوبات الذبحة فعليه كي يتجنبها فيما بعد ان يلزم الراحة الجسدية والراحة النفسية وأن يتناول وجبات خفيفة متعددة، وأن يكون طعامه

قليل الدهون والا يستعمل السجائر وأن يعتدل في تناول الشاى والقهوة .

أما بالنســـبة للادوية فيمكنه أن يتعاطى تحت اشراف الطبيب المهدئات

الى جانب العقاقير التى توسع الشريان التاجى مثل مركبات « النيترايت » أو

« الخللين » أو « الاميلوفلين » ...

وعلى المريض أن يتجنب باســـتمرار الاعمال العنيفة والمضايقات النفسية

وأن يغير عمله بحيث يقوم بعمـــل خفيف .. كما يجب عليه أن ينام مبكرا

والا يسهر خارج البيت .. ويجب عليه

أيضا أن يتجنب العـــوامل المسببة للنوبة وذلك بعدم التعرض للبرد أو الانفعال الشديد أو الوجبات الدسمة

وعلى المريض أن تكون وجبـــاته خفيفة وأن يستريح بعد الاكل ، وأن

يحمل في جيبه أقراص « انجسيد »

لاسعاف النوبة اذا تعرض لها فيمـــا بعـــد ... وعليه أيضـــا أن يتجنب

الامساك - بتناول الملينات وأن يقلل من وزنه اذا كان بدينا .

كما يجب عليه أن يحـــرص على معـــالجة تصـــلب الشرايين ،

أو ارتفاع الضغط اذا كان مصابا بهذا أو ذاك ، لان تصلب الشريان التاجى

قد يسبب نقصا في أحد أجزائه ممـــا يحدث انقباضا بجدرانه فيشعر المريض

بنوبة الالم لكنها تزول بعـــد زوال الانقباض ..

كانت هذه فكرة سريعة عن الذبحة الصدرية وأسبابها وعلاجها والوقاية منها ...

تابع .....

لمعلوماتك ...

● لا تحاول أن تشتري من تلقاء نفسك دواء لعلاج الكحة ، وذلك لان هناك نوعين من الكحة لهما نوعان متضادان من الادوية .. فهناك كحة يصحبها بلغم ، وكحة جافة بدون بلغم ... وهناك بالتالي أدوية طاردة للبلغم وادوية مهدئة للكحة الجافة ... أى أنه لكل حالة دواء خاص ، وان استعمال احد النوعين بدلا من الاخر قد يزيد الحالة سوءا لانه يعطى اثرا عكسيا .

● أحدث صيحة في عالم الطب هي استخدام الرياضيات في التشخيص الطبى وذلك بتحويل شكوى المريض وحالته الى ارقام ومعادلات رياضية يقوم بحلها العقل الالكتروني مستخدما نظرية الاحتمالات ، فمثلا الاعراض ا ، ب ، جـ ، د تعني احتمال الاصابة بالمرض س ! ...

● السرطان ، اذا امكن اكتشافه في بداياته الاولى امكن علاجه ... لذلك فانهم في امريكا الان يقومون بعمل تحليلات دورية للسيدات لعينات من المهبل لاكتشاف أى تغييرات ، وبذلك يتم اكتشاف السرطان حتى قبل ان تشكو المرأة من أى أعراض ...

● يخطيء الكثيرات حين يتوهمن أن الرجيم في علاج السمنة معناه الحرمان . وتقليل جميع انواع الطعام ... فذلك يؤدى الى امراض نقص التغذية ، وانما الرجيم معناه النظام الغذائي بأن نقلل فقط من الاغذية التي تزيد وزن الجسم وهي النشويات والسكريات والدهون ...

● نصيحة للشاب المصاب بحب الشباب : لا داعي للقلق ، فقد يختفي حب الشباب تلقائيا بعد بلوغ سن الخامسة والعشرين ...

● **واذا كنت تشكو من ارتفاع ضغط الدم : فتجنب خمسة اشياء هي : الملح في الطعام ، والشاى ، والقهوة ، والسهر ، والانفعال ...**

● **فيتامين « د » يوجد في زيت كبد الحوت وصفار البيض ، ولكن يلزم لتكوينه التعرض للشمس ... نقص هذا الفيتامين يسبب مرض الكساح في الاطفال ولين العظام في السيدات الحوامل ... .**

عطر رسالة

روحية القليني

قراتها خمسين بل واكثر
سكرت من رحيقها المقطر
رسالة من عنده اتتنى
كانها والله ثوب سكر
تترجم الشعور فى حنين
وتبعث الحنان طى اسطر
بلمحة قد صورت ما بيننا
من امسنا ويومنا المعطر
واننى صباه قد تراءى
للعين بعد ما مضى وادبر
واننى ماض له وآت
واننى غراه المقدر
قراتها فازداد كبريائى
كاننى اميرة واكثر

***

كانه ما فى الحياة مثلى
تشده بحبها وتسحر
كغادة بالنور قد تهادت
وحسنها بالسحر قد تفجر
واننى انا هواه وحدى
وليس غيرى بالوفاء يؤثر
قراتها فغردت حياتى
ووردها قد ازدهى وازهر
من قبل ان افضها رقيقة
عرفتها بلونها المنور
وكيف لى ابثها قصيدا
تترجم الشعور او تصور



وشـــوقه اللهيف ارتـويه
كانه نبع الهوى المســكر
وطاف كل ما مضى ببــالي
فاجج اللهيب بي وذكــر
فقلبـــه ما زال نبض حبي
وانـه للعهـــد ما تنـكر
وفي العيون قصـــة تغنى
هـــواه لي كالأمس ما تغير
قـرأتها فقلت في هيـــام
احبه ولست لست انـكر

ألحان لغوية "التصحيف"

على إبراهيم الكرار

التصحيف في الاصل الخطأ في الصحيفة اوالخطأ في النقل عن الصحيفة · ومن هذا المعنى الصحفي : أى الذى يخطىء في قراءة الصحيفة او النقل منها · وقد تطور المعنى وصار يدل الآن على كل من له عمل بتحرير الصحيفة · رئيسا او مديرا ، او محررا ···

وصواب نطقه الصحفي بفتح الحاء والصاد المشددة · نسبة الى الصحيفة ، والنسبة في الجموع تكون الى المفرد لا الجمع · وما كان على وزن فعيلة ، تكون النسبة اليه على وزن فعلى بفتح الفاء والعين ، مثل : صحيفة وصحفى ، ومدينة ومدنى ···

ولا ينسب الى الجمع فالصحفى بضم الحاء والصاد المشددة نسبة الى الصحف خطأ ··· والكتبى نسبة الى الكتب خطأ والصواب كتابى نسبة الى المفرد : « كتاب ».

وينسب الى الجمع في حالتين :

١ ـ العلم المسمى باسم جمع مثل الجزائر ، علم على المدينة ، ينسب اليها جزائرى ، والمدائن علم على مدينة المدائن ينسب اليها مدائنى ··· وكلاب علم على القبيلة ينسب اليها كلابى ··

٢ ـ الجمع الذى غلب فجرى مجرى المفرد مثل الانصار ، النسبة اليه انصارى أو الذى لا مفرد له من لفظه ، مثل الشعب ، النسبة اليه شعبى ··· أو الذى فرق بينه وبين مفرده التاء ، مثل الشجر ، النسبة اليه شجرى ، أو فرق بياء النسب مثل الترك ، النسبة اليه تركى ···

وقد نظم ابن مالك هذه القاعدة في البيت الاتى ، فاحفظه لتذكر القاعدة ، تنسب الى المفرد لا الى الجمع ، فالنسبة الى الجواهر جوهرى لا جواهرى والنسبة الى النصارى نصرانى لا نصارى ···

والواحد اذكر ناسبا للجمع ... ان لم يشابه واحدا بالوضع

فما أعظم شأنك يا ابن مالك رحمك الله ···

وقد كثر التصحيف في عصور الادب الاولى ، قبل اختراع النقط والشكل · وقبل التثبت بالسماع من الاثبات الراسخين في اللغة والادب والرواية ···

ويلحظ الآن في بعض الصحف والكتب التى لا تحظى بنصيب دقيق من المراجعة · وقد يكون بنسيان حرف او كلمة او وضع كلمة مكان اخرى او زيادة في النقط او نقص فينقلب المعنى ···

شذرات

● الازلي والابدي والسرمدي ●
الازل ما لا بداية له ...
والابدي ما لا نهاية له ...
والسرمدي هو الجامع بين الازلية والابدية ...
وهي كلها من صفات الله عز وجل ...

ذكر الأصمعي رجلا بالتصحيف : فقال : « كان يسمع غير ما يسمع ، ويكتب غير ما يعي ، ويقرأ في الكتاب غير ما هو فيه »..

وذكر آخر بأسلوب آخر فقال « كان اذا نسخ الكتاب عاد سريانيا ». وفي التصحيف قديما وحديثا نوادر جمة نكتفي منها هنا بذكر مثال للقديم ، وآخر للحديث :

فمن التصحيف الطريف القديم تصحيف بيت من قصيدة طويلة للاعشى قرىء البيت على ثعلب بالصورة الاتية :

فلو كنت في حب ثمانين قامة ... ورقيت أسباب السماء بسنم
ليستدرجنك القول حتى تهره ... وتعلم اني لست عنك بملجم

فقال ثعلب للقارىء : خرب بيتك هل رأيت حبا قطره ثمانين قامة ! انما هو ـ جب ...»

ومعنى البيتين : لا مهرب لك مني ، اكنت في جب ام رقيت السماء فسالاحقك بالشعر القارع والقول اللاذع حتى تصاب بالهرار . وليس من الضروري أن يكون التصحيف بالخطأ في نقل الصواب . فقد يكون بنقل الصواب الى الاصوب ...

قرأ قارىء على الحريري مؤلف المقامات : البيتين الاتيين اللذين وردا في احدى مقاماته :

يااهل ذا المغنى وقيتم شرا ... ولا لقيتم ما لقيتم ضرا
قد دفع الليل الذي اكفهرا ... الى ذراكم سغبا معترا

فقال الحريري : لقد أحدث التصحيف ولولا انني قد كتبت بخطي على سبعمائة نسخة قرئت على لغيرت كما غيرت .. والنص الذي كتبه الحريري بخطه على سبعمائة نسخة : « شعثا مغبرا » وقال :

ان « سغبا معترا » اي جائعا فقيرا ، اجود من شعثا مغبرا » فرب شعث مغبر غير محتاج ، ولكن السغب المعتر موضع الحاجة ...

ومن التصحيف الطريف الحديث ، ما نشرته احدى الصحف « شركة (كذا) الكبرى تلعن حضرات زبائنها الكرام »

فصحفت تعلن الى تلعن ...



د. احمد
الشرباصى

قديما قالوا : « وبضدها تتميز الاشياء » . وشتان مابين « الجن » و (الملائكة) !

فالجن من النار ، والملائكة من النور ، فما الذى يجمع بين النار والنور ؟ .. وذكر الجن يرعب ، وذكر الملائكة يفرح ، فما الذى يربط بين الرعب والفرح ؟ ..

لقد عللوا لذلك بقولهم : ان الضد اقرب خطورا بالبال عند ذكر ضده .

واذا فزع الانسان من رهبـــة الجن قاده خياله الى بهجة الملائكة ، فلا علينا اذا تعرضنا بالحديث للجن والملائكة معا ، لتستبين ملامح كل من الصورتين على استقلال ، وان جمع بينهما المجال ، ولا علينـــا اذا بدأنا بالجن لنتخلص منهم الى حسن الختام بالملائكة ! .

الجن والملائكة

أصـــل المعنى اللغوى لمادة « الجن » هو ستر الشيء عن الحاسة ، لذلك ذكر ابن فارس في « معجم مقاييس اللغـــة » أن هذه المادة اصلها الستر والتستر ، وكان الجن ســـمروا بذلك لانهم عالم مستتر لايراه البشر ، والجنة جماعة الجن ، والجان هو الواحد منهم ...

وبعض العلماء يعرف الجن بأنهم الاحياء العـاقلة المكلفة الخفية التى لاتدركها نحن البشر بحواســـنا ، والاصفهاني فى « مفـــردات القرآن » يذكـــر أن لفظ « الجن » يقال على وجهين :

الوجه الاول : للاحياء الروحانية المستترة عن الحواس كلها ، وهذا يشمل الملائكة والشياطين .

الوجه الثاني : لبعض الروحانيين لان الروحانيين ثلاثة اقســـام : اخيـــارهم الملائكة ، واشرارهـــم الشياطين ، واوساط فيهم أخيـــار واشرار وهم الجن .

والقرآن الكريم يخبرنـــا بأن الله تعالى قد خلق الجن من النار ، فهو يقول فى سورة الحجر : « والجـان خلقناه من قبل من نار الســـموم » والسموم هى الريح الحارة القاتلة ،



فى القرآن

ويقول فى سورة الرحمن : « وخلق الجان من مارج من نار » أى من لهيب متموج من النار . ويذكر النووى فى تهذيب الاسماء واللغات انه جاء فى صحيح مسلم هذا الحديث : « خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق ادم مما وصف لكم ».

والجن كما ذكرنا احياء مستترة ، ولذلك لا يستطيع البشر رؤيتهم على حالتهم الاصلية التى خلقوا عليها ، وابصار الناس لا تستطيع أن تدرك كل الموجودات ، فهى لا ترى الهواء مع انه موجود ، ولا تستطيع أن ترى جرما للكهرباء مع انها موجودة، والجن من عالم آخر غيبى غير عالم البشر ، وهم يرون البشر ، والبشر لا يرون الجن ، بدليل قول الله تبارك وتعالى عن ابليس وقومه : « انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ».

فان قيل : ان الكلام عن ابليس والشيطان ، وليس عن الجن ، قلنا: ان ابليس من الجن بدليل قول القرآن الكريم : « الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه » .

وبعض العلماء يرى أنه يحتمل ان تكون « الميكروبات » الدقيقة جدا نوعا من الجن ، ولعله لاحظ فى هذا الرأى معنى الاستتار فى الكلمة ، والميكروبات مستترة نوعا من الاستتار ، ولكن فات هذا البعض اننا نستطيع أن نرى هذه الميكروبات تحت عدسة المجهر او المنظار الخاص، على حين لا يوجد بين أيدينا الة ننظر فيها فنرى من خلقها الجن ، لذلك لم يسترح جمهرة العلماء الى هذا الرأى فردوه وفندوه .

والجن مكلفون بالايمان والطاعة ، وسيحاسبهم الله على أعمالهم وسلوكهم بالطريقة التى يعلمها سبحانه ، والقرآن يقرر هذا صراحة ويؤكده فى اكثر من اياته ، فنراه فى سورة الانعام يقول :

« يامعشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم يقصون عليكم اياتى وينذروكم لقاء يومكم هذا ؟ قالوا شهدنا على انفسنا ، وغرتهم الحياة الدنيا ، وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين ، ذلك ان لم يكن ربك

مهلك القرى بظلم واهلها غافلون ، ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون ».

ويشير في سورة الاعراف الى أن الضالين من الجن سيذوقون — كالضالين من الانس — عذاب جهنم، جزاء ضلالهم وغفلتهم عن واجبهم نحو ربهم ، فيقول :

« ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس ، لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون » .

ويقول في سورة هود :

« وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين » والجنة — بكسر الجيم — هم الجن .

ويعبر القرآن تعبيرا واضحا وشرحا بليغا دالا على تكليف الجن ومحاسبتهم ، فيقول في سورة الذاريات : «وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ، ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ، ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين » .

واذا كنا قد فرقنا بين الشياطين والجن ، فعرفنا أن الشياطين كلهم أشرار ، وأن الجن منهم الاشرار والاخيار ، فالقرآن الكريم يحدثنا بأن من الجن مؤمنين صالحين ، وأن منهم طائفة سمعت القرآن الكريم من رسول الله صلى الله عليه وسلم



وهو يصلى الفجر في موطن يقال له « نخلة »، فآمنوا به وأبلغوا قومهم عنه .

يقول القرآن الكريم في سورة الاحقاف : «واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن ، فلما حضروه قالوا أنصتوا ، فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم يا قومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم ، ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز في الارض وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين ».

بل وينزل الله تعالى سورة يسميها « سورة الجن » يفتتحها عز شأنه بقوله :

« قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا، يهدى الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا ، وأنه تعالى جد ربنا ، ما اتخذ صاحبة ولا ولدا » . ثم يقول فيها ما يفيد أن الجن منهم صالحون ومنهم طالحون: «وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا» أى مذاهب متفرقة .

ثم يقول فيها ما يؤكد ايمان هؤلاء المستمعين : « وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا ، وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون (الجائرون عن طريق الحق) فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا ، وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا » الخ .

وقد روى — كما أورد النووى في تهذيب الاسماء واللغات — أن ثواب مؤمنى الجن هو أن يجاروا من النار، ويقال لهم : كونوا ترابا ، ولاثواب لهم الا النجاة من النار ، ويرى بعض العلماء أنهم كما يعاقبون

بالاساءة يثابون بالاحسان ، والله تعالى اعلم ·

والله الذى اكرم بنى آدم بما اكرمهم به ، جعل من الجن خدما للمختارين من عباده ، فهو سبحانه قد سخر طائفة منهم لنبيه ورسوله سليمان عليه السلام ، ويعبر عن ذلك فى سورة النمل بقوله :

« وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون » أى يوقف اوائلهم ليلحقهم اواخرهم من الكثرة ·

وهذا احد الجن الخادمين لسليمان يعرض عليه أن يخدمه باحضار عرش بلقيس ملكة سبأ اليه ، قبل أن يقوم من مجلسه الذى كان يجلسه للحكم والقضاء ، وكان يمتد من الصباح حتى الظهيرة · يقول القرآن عن ذلك فى سورة النمل أيضا :

« قال يا ايها الملأ ايكم يأتينى بعرشها قبل ان يأتونى مسلمين ، قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك، وانى عليه لقوى أمين »·

وتتنوع خدمات الجن لسليمان خاضعين لأمره بإذن ربه ، فيقول القرآن الحكيم فى سورة سبأ :

« ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير ، يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات ، اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادى الشكور »·

فهم خاضعون لسليمان ، يعملون تحت طاعته بإذن الله ، ومن يتمرد من الجن ، ويعصى أمر الله له بطاعة سليمان ، يصبه عذاب الله الأليم ، فهم خاضعون لخالقهم جل جلاله ، وهم يعملون لسليمان أماكن للعبادة وتماثيل من نحاس وغيره ، وقدورا كبيرة كالأحواض للطعام · والله على كل شىء قدير ·

هذا ومن الخرافات التى يربطها أهل الجهل بحديث الجن فى القرآن الحكيم أنهم يتعرضون لقول الله تبارك وتعالى فى سورة الانفال :
« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون بها عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم، وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف اليكم وأنتم لاتظلمون »· ويقولون أن الذين « لاتعلمونهم الله يعلمهم » هم الجن، ويروون فى ذلك حديثا منكرا لا يصح اسناده ولا متنه — كما ذكر الامام ابن كثير فى التفسير، وهذا الحديث المنكر هو : « هم الجن ، لا يخبل الشيطان انسانا فى داره فرس عتيق »·

وحسبنا هذا المقدار من الحديث عن الجن ·

●●●

ويأتى الحديث عن الملائكة ···
والملائكة جمع ملك — بفتح الميم — وهم جنس من خلق الله تعالى ، أصحاب أجسام لطيفة نورانية ، وهم يستطيعون أن يتشكلوا فيما يشاء من الصور ، ومنهم الرسل المبعوثون الى الانبياء بوحى الله تعالى ، ومنهم من ينفذ من الامور فى هذا العالم ما يؤمر به ، ومنهم من تخصص للعبادة والتسبيح ·

وقد عرف السلف الملائكة بتعريف قريب مما سبق فقالوا : الملائكة أجسام لطيفة مخلوقة من النور ، أعطيت قدرة على التشكل بأشكال مختلفة ، ومسكنها السموات ·

الجن والملائكة في القرآن

وهناك تعريف يتجنب التفصيل ، ويميل الى الاجمال ، وتسليم امرهم لعلم الله جل جلاله ، فيقول: الملائكة جنود غائبة عنا ، لها خواص ومزايا يعلمها الله سبحانه .

ومن الاراء المهمة في تصور الملائكة ما ذكره حجة الاسلام الامام الغزالى ، فقد تحدث فى كتابه احياء علوم الدين » عن الخواطر التى تحصل فى القلب ، وأن مبدأ الافعال هو الخواطر ، ثم يحرك الخاطر الرغبة والرغبة تحرك العزم، والعزم يحرك النية ، والنية تحرك الاعضاء ، والخواطر منها ما يدعو الى الشر والضرر فى العاقبة ، وهذا وسواس من الشيطان ، ومنها ما يدعو الى الخير وما ينفع فى الاخرة ، وهذا الهام من جهة الملائكة .

ثم قال الغزالى ما نصه :

« لانوار القلب وظلمته سببان مختلفان ، فسبب الخاطر الداعى الى الخير يسمى ملكا ، وسبب الخاطر الداعى الى الشر يسمى شيطانا ، واللطف الذى يتهيأ به القلب لقبول الهام الخير يسمى توفيقا ، والذى يتهيأ به لقبول وسواس الشيطان يسمى اغواء وخذلانا ، فان المعانى المختلفة تفتقر الى اسام مختلفة .

والملك عبارة عن خلق خلقه الله تعالى شأنه لافاضة الخير ، وافادة العلم ، وكشف الحق ، والوعد بالخير ، والامر بالمعروف ، وقد خلقه الله وسخره لذلك .

والشيطان عبارة عن خلق شأنه ضد ذلك ، وهو الوعد بالشر والامر بالفحشاء ، والتخويف عند الهم بالخير بالفقر .

فالوسوسة فى مقابلة الالهام ، والشيطان فى مقابلة الملك ، والتوفيق فى مقابلة الخذلان ، واليه الاشارة بقوله تعالى : (ومن كل شيء خلقنا زوجين) فان الموجودات كلها متقابلة مزدوجة ».

هكذا تحدث الغزالي رضى الله عنه ، ويظهر ان الامام محمد عبده قد تاثر بهذا الكلام ، وهذه الفكرة التى صورها حجة الاسلام ، وانتفع بها فى ابداء رأى له فى تصور الملائكة .

ويظهر ان الرأى رأيه ويدين به ، ولكنه نسبه الى بعض المفسرين فرارا من متاعب لايرى من الخير المجاهرة بالتعرض لها .

وهذا الرأى يتلخص فى ان الملائكة ارواح تلهم خواطر الخير،كما ان الشياطين ارواح توسوس بخواطر الشر ، وكل من خواطر الخير وخواطر الشر محله الروح ، فالملائكة اذن ارواح تتصل بارواح الناس فلا يصح ان تمثل الملائكة بالتماثيل الجثمانية ، لان هذه لو اتصلت بارواحنا فان اتصالها يكون عن طريق اجسامنا . ونحن لا نحس بشيء يتصل بابداننا لا عند الوسوسة بالشر ، ولا عند الشعور بداعى الخير فى النفس ، فالملائكة اذن من عالم غير عالم الاجسام .

والاستناد فى هذا الرأى يعود الى حديثيقول : « ان للشيطان لمة بابن

انم (واللمة بفتح اللام هي الإلمام بالشيء والاصابة) وللملك لمة ، فأما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق ، وأما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق ، فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله ، فليحمد الله على ذلك ، ومن وجد الاخرى فليتعوذ بالله من الشيطان »٠

وهناك للحديث رواية أخرى تقول: « في القلب لمتان : لمة من الملك : ايعاد بالخير ، وتصديق بالحق ، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله سبحانه ، وليحمد الله ، ولمة من العدو : ايعاد بالشر وتكذيب بالحق، ونهى عن الخير، فمن وجد ذلك فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ثم تلا قوله تعالى : « الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء » ٠

فلنر معا كيف يشرح الاستاذ الامام هذا الرأى بعبارته ٠ انه يقول :

« وذهب بعض المفسرين مذهبا آخر في فهم معنى الملائكة ، وهو أن مجموع ما ورد في الملائكة ، من كونهم موكلين بالاعمال ، من انماء نبات ، وخلقة حيوان ، وحفظ انسان ، وغير ذلك ، فيه ايماء الى الخاصة بما هو ادق من ظاهر العبارة ، وهو أن هذا النمو في النبات لم يكن الا بروح خاص نفخه الله في البذرة ، فكانت به هذه الحياة النباتية المخصوصة ، وكذلك يقال في الحيوان والانسان ٠

فكل امر كلى قائم بنظام مخصوص ، تمت به الحكمة الالهية في ايجاده ، فانما قوامه بروح الهى سمى في لسان الشرع ملكا ، ومن لم يبال في التسمية بالتوقيف يسمى هذه المعاني القوى الطبيعية ، اذا كان لا يعرف من عالم الامكان الا ما هو طبيعة ، أو قوة يظهر أثرها في الطبيعة ٠

والامر الثابت الذى لا نزاع فيه هو أن في باطن الخلقة امرا هو مناطها ، وبه قوامها ونظامها ، لا يمكن لعاقل ان ينكره ، وان انكر غير المؤمن بالوحي تسميته ملكا ، وزعم أنه لادليل على وجود الملائكة ، أو انكر بعض المؤمنين بالوحي تسميته قوة طبيعية أو ناموسا طبيعيا ، لان هذه الاسماء لم ترد في الشرع ، فالحقيقة واحدة ، والعاقل من لا تحجبه الاسماء عن المسميات ، وان كان المؤمن بالغيب يرى للارواح وجودا لا يدرك كنهه ، والذى لا يؤمن بالغيب يقول : لا أعرف الروح ولكن أعرف قوة لا افهم حقيقتها ٠

ولا يعلم الا الله : علام يختلف الناس ؟ وكل يقر بوجود شيء غير مايرى ، ويحس ويعترف بانه لايفهمه حق الفهم ، ولا يصل بعقله الى ادراك كنهه ؟ ٠ وماذا على هذا الذى يزعم انه لايؤمن بالغيب ، وقد اعترف بما غيب عنه ، لو قال : أصدق بغيب أعرف اثره ، وان كنت لا اقدر قدره ، فيتفق مع المؤمنين بالغيب ، ويفهم بذلك ما يرد على



الجن والملائكة في القرآن

لسان صاحب الوحي ، ويحظى بما يحظى به المؤمنون ؟!

يشعر كل من فكر في نفســـه ، ووازن بين لخواطـــره ، عندما يهم بامر فيه وجه للحق او للخير، ووجه للباطل او للشر ، بان في نفســـه تنازعا كان الامر قد عرض فيها على مجلس شـــورى ، فهذا يورد وذاك يدفع ، واحد يقول : افعل ، واخـــر يقول : لا تفعل ، حتى ينتصر احد الطرفين ، ويترجح احد الخاطرين .

فهذا الشيء الذى اودع في انفسنا ونسميه قوة وفكرا — وهو في الحقيقة معنى لا يدرك كنهه ، وروح لا تكتنه حقيقتها — لا يبعد ان يسميه الله ملكا ، او يسمى اسبابه ملائكة ، او ما شاء من الاسماء ، فان التسمية لا حجر فيها على النـــاس ، فكيف يحجر فيها على صـــاحب الارادة المطلقة ، والسلطان النافذ ، والعلم الواسع ؟!» .

هذا هو رأى الاستاذ الامام بنزع من التفصيل ، وهو رأى لم يمـــر بهدوء أو سلام ، وما كان لمثله أن يفلت من المعارضة الشديـــدة ، لانه يخالف ما اتفق عليه جمهور السلف والعلماء ، ولان هذا الرأى يـــؤدى الى الحكم بأن الملائكة قوى لاتعقل ، ويظهر أن الاستاذ الامام احس بقسوة المعارضة لرأيه ، فلما عـــاد الى الحـــديث عن الملائكة حرص على وصفهم بالعقل ، كان يقـــول مثلا : الملائكة خلق روحانى ، قائم بنفسه، من عـــالم الغيب ، وهو خلق عاقل عالم ، يفيض العلم باذن الله على روح النبى بما هو موضوع الدين ! .

***

والقرآن المجيد يرشـــدنا الى أن الايمان بالملائكة اصل للايمان بوحى الله ورسله ، لان وحى الله تعالى يصل الى النبى عن طريق ملك من الملائكة، وهو جبريل ، فاذا جحد الشـــخص وجود الملائكة فقد جحد انزال الكتب الالهية ، وجحد رسالة الرســـل . ولذلك قدم القرآن الكريم ذكر الايمان بالملائكة على ذكـــر الايمان بالكتب الالهية وبالرسل ، فقال تعـــالى في ســـــــــورة البقرة

« آمن الرســـــول بما انزل اليه من ربه والمؤمنـــون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفـــرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنـــا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير » .

ويقول في سورة النســـاء عن الايمان بالملائكة وعاقبة من يكفر بهم « ومن يكفر باللـــه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخـــر فقد ضـــل ضلالا بعيدا » .

ولقد وصـــف العرب الملائكـــة بالجمـــال ، كما في حديث جرير : « عليه مسحة ملك » أى اثـــر من الجمال ، وقد ضرب نسوة يوسف المثل بالملك في الجمـــال والبهاء : « وقلن حاش للـــه ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم » .

ولكن القرآن الكريم — الى جوار هذا — يصف الملائكة بالقوة ، فيقول في شأن جبريل عليه الســـلام في سورة النجم : «علمه شديد القوى ، ذو مرة فاستوى » .

ويصفهم بالشدة والغلظة ، فيقول في سورة التحريم :

« ياايها الذين امنوا قوا انفســكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة

عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون »

ولكن هذا الوصف لا يمنع أن يعرض علينا الملائكة في صورة تدل على الخضوع من ناحية ، واستمداد العلم من الله من ناحية أخرى . يقول القرآن في سورة البقرة : « وإذ قال ربك للملائكة انى جاعل في الارض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال انى أعلم ما لا تعلمون ، وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئونى باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ، قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم ».

والملائكة كثيرون كثيرون ، « وما يعلم جنود ربك الا هو » ولقد جاء الحديث الشريف يقول : « انى أرى ما لاترون ، وأسمع ما لاتسمعون ، أطت السماء ، وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربعة أصابع الا عليه ملك ساجد ، لو علمتم ، ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ». وفي رواية: « ما في السموات السبع موضع قدم ولا شبر ولا كف ، الا وفيه ملك قائم ، أو ملك ساجد أو ملك راكع ،



فاذا كانوا يوم القيامة قالوا جميعا : سبحانك ، ما عبدناك حق عبادتك ، الا أنا لم نشرك به شيئا » .

فهم على حق حين قالوا عن أنفسهم كما حكى القرآن : « وانا لنحن الصافون ، وانا لنحن المسبحون » . وهم غير مقصورين على عمل واحد ، بل لهم أعمال كثيرة :

١ – تبليغ الوحي الى الانبياء والرسل يقول القرآن في سورة النحل : « ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا اله الا أنا فاتقون » . وفي سورة الحج : « الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ».

٢ – التسبيح والعبادة ، يقول القرآن في سورة الزمر : « وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم ». وفي سورة الرعد : « ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته » . وفي سورة النحل : « ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة والملائكة وهم لايستكبرون ».

٣ – تثبيت المجاهدين ، يقول القرآن في سورة الانفال : « اذ يوحي ربك الى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين آمنوا ، سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان » .

٤ – قبض الروح . يقول القرآن في سورة السجدة : « قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ، ثم الى ربكم ترجعون ».

٥ – الصلاة على النبي ، يقول القرآن في سورة الاحزاب : « ان الله وملائكته يصلون على النبي ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ».

٦ – الصلاة على المسلمين . يقول

تعالى فى سورة الاحزاب ايضا : « هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور » .

٧ ـ التبشير بالخير فى سورة فصلت : « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون ، نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى انفسكم ولكم فيها ما تدعون ، نزلا من غفور رحيم » . وفى سورة القدر : « تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر ، سلام هى حتى مطلع الفجر » .

وفى صحيح البخارى جاء هذا الحديث : « اذا أحب الله العبد نادى جبريل : ان الله يحب فلانا فأحببه ، فيحبه جبريل ، فينادى جبريل فى أهل السماء : ان الله يحب فلانا فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول فى الارض » .

٨ ـ تسجيل الاعمال على العباد ، فى سورة ق : « اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ، ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد » ، الى غير ذلك من الأعمال والواجبات التى يسندها الله اليهم ، ويوزعها عليهم .



والملائكة اقسام واصناف ، ومنهم قسم يسمون « بالكروبيين » ، وهم سادة الملائكة المقربون ، وهم اقرب الملائكة الى حملة العرش ، وكلمة « الكروبيين » مأخوذة من مادة « الكرب » بمعنى الحزن ، لشدة خوفهم من الله جل جلاله ، وخشيتهم اياه .

وقيل ان الكلمة مأخوذة من لفظة « الكرب » بمعنى القرب او القوة ، وذلك لقوتهم وصبرهم على العبادة ، والشاعر امية بن ابى الصلت يقول:

ملائكة لا يفترون عبادة
كروبية منهم ركوع وسجد

ومن الكروبيين ـ كما فى تاج العروس ـ جبريل ، وميكائيل ، واسرافيل .

***

وهناك مسألة تتعلق بالملائكة ، ويدور حولها النقاش :

هل حاربت الملائكة بالفعل مع المسلمين ؟ .

اختلف العلماء فى هذه المسألة ، فمنهم من قال مؤكداً : نعم قاتلوا ، فقد قال القرآن فى سورة آل عمران:

« اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة الاف من الملائكة منزلين » .

وقال آخرون : بل كانت مهمة الملائكة هى التثبيت ، بدليل قوله تعالى فى سورة الانفال : « اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم ، فثبتوا الذين آمنوا » .

ويميل « تفسير المنار » الى تأييد الرأى الاخير ، فيذكر أن الملائكة كانوا مكلفين بتثبيت قلوب المؤمنين والربط عليها والهامها روح النصر ، ويورد التفسير عبارة ابن جرير الطبرى فى الموضوع وهى :

« وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب ان يقال : « ان الله أخبر عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم انه قال للمؤمنين : الن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة الاف من الملائكة ، ثم وعدهم بعد الثلاثة الالاف خمسة الاف ان صبروا لاعدائهم واتقوا ·

ولا دلالة فى الاية على انهم أمدوا بالثلاثة الالاف ولا بالخمسة الالاف ، ولا على انهم لم يمدوا بهم ·

وقد يجوز أن يكون اللـــه امدهم على نحو ما رواه الذين اثبتوا ان الله امدهم ، وقد يجوز أن يكون الله لم يمدهم على النحو الذى ذكره من انكر ذلك ، ولاخبر عندنا صح من الوجه الذى يثبحانهم أمدوا بالثلاثة الالاف ، ولا بالخمسة الالاف ، وغير جائز أن يقال فى ذلك قول الا بخبر تقوم الحجة به ، ولا خبر به فنسلم لاحد الفريقين قوله »·

ثم قال التفسير : والامداد بالملائكة يصح أن يكون من قبيل الامداد بالمال الذى يزيد فى قوة القوم ، وان يكون من الامداد بالاشخاص الذين ينتفع بهم ولو نفعا معنويا ، وذلك ان الملائكة ارواح تلابس النفوس ، فتمدها بالالهامات الصالحة التى تثبتها وتقوى عزيمتها ، ولذلك قال عز وجل : « وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به ، وما النصر الا من عند اللـــه العزيز الحكيم »

ويبقى سؤال وارد :

أيهما أفضل : الملائكة أم البشر ؟

قيل ان الرسل من البشر افضل من الرسل من الملائكة ، والاولياء من البشر افضل من الاولياء من الملائكة ، لان الله وصف الذين امنوا وعملوا الصالحات بقوله : « اولئك هم خير البرية »· ولان الحديث يقول .. « ان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع » ولأن الله تعالى يباهى الملائكة بأهل عرفات ·· الخ ··

وقيل ان الملأ الاعلى ــ وهم الملائكة ــ افضل ، وحجتهم فى ذلك وصفهم بانهم « عباد مكرمون » وانهم « لايعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون »·

وهناك من يستدل بقصة ادم والملائكة على أن الانسان المستقيم خير من الملائكة ·

ان القصة تقول : « واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة ، قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟ قال انى اعلم مالا تعلمون ، وعلم ادم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئونى باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ، قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم ، قال يا ادم انبئهم باسمائهم ، فلما انبأهم باسمائهم قال الم اقل لكم انى اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ، واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين »·

الانسان الذى خلقه الله بيديه وعلمه الاسماء كلها واظهر سبقه لهم واسجدهم له تكريما ·

هذا الانسان فيما يرى الانصاف اولى بالتقديم ·

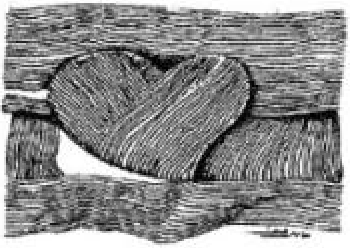
اما بعد فلا بد من النص على ان حديث الملائكة لاتزال له فصول وذيول ، على الرغم من ان حديثهم فاق بحديث الجن الذى تستعيذ بالله تعالى من اشرارهم : « فالله خير حافظا وهو ارحم الراحمين »·

الملائكة والجن في الأدب العربي القديم

د. محمد عبد المنعم خفاجي



عالم خفى غير مرئى للبشر ، من عالم الاثير ، وجود بلا ظل ، وهذا العالم الكبير – من الملائكة والجن حقيقة لا ريب فيها ، والايمان بوجودهم هو احد اركان الدين ، وتصديق بما ورد عنهم فى القرآن الكريم ، وقد وصف الله عز وجل المتقين فقال : « الذين يؤمنون بالغيب » .. وهم من الكثرة بحيث لا يحيط بعددهم الا الله ، وفى الحديث النبوى : « إن الله خلق الملائكة والجن والانس عشرة اجزاء ، الملائكة تسعة اجزاء ، والجن والانس جزء واحد ، وجعل من هذا الجزء الواحد عشرة اجزاء ، تسعة منهم من الجن ، وجزء واحد من الانس » .. وهذا العالم الكبير لا تعوقهم المادة ، ويتشكلون بأى شكل شاءوا .



فالملائكة خلقوا من النــــور ، وعليهم العبادة ، وفى القرآن الكريم « لا يعصــــون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون »

اما الجن فقد خلقوا من النار ، والانس من الطين ، وعن مسلم «خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق ادم عليه الســلام مما وصف لكم » ، والجان : هو ابو الجن، فهو كالادم بالنسبة للانس ، ويقول الله تعالى : « والجان خلقنــــاه من نار السموم » (١) ، والشياطين قسم من الجن ، وهم العصاة منهم من غيــــر المؤمنين ، والعفاريت : هم من الجن من ذوى المكر والدهاء ، والخبث ، والمردة هم جبابرة الشياطين ، والغــــول : هم ذوو المناظر القبيحة من الجن ..

وقد خلقت الجن قبل خلق الانس كما ورد فى القرآن الكريم : ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون ، والجان خلقناه من قبل من نار السموم »

والايمان بعوالم غير منظورة ضرورة تحتمها الكتب السماوية ، ولا يمــكن انكارها ، وعمــل التليفزيون والمذياع والرادار دليل على وجــود اشياء فى العالم لا نستطيع رؤيتهــا ، وروح الانسان تفارقه بالموت الى عالمها العلوى وقد أعلن العلماء فى مركز ابحــاث الطبيعة الذرية فى غــرب المانيا انهم استطاعوا انتاج ثمانية عشر جسما من الجسيمات الذرية المضاءة ذات الشحنة الكهربائية العالية ، وهذه الحقيقــة قررها القرآن منــذ اربعة عشر قرنا « خلق الجان من مارج من نار » .

ومن الغريب ان لفظ الملائكة قد ذكر فى القرآن ٦٨ مرة وهذا العدد هو نفس العدد الذى ذكر فيه لفظ الشــيطان فى القرآن ايضا ، اما لفظ «ملك» وما اخذ منه فقد تكرر فى القرآن ٨٨ مرة، وكذلك كرر لفظ « شيطان وشياطين » ٨٨ مرة ، ويشير ذلك الى ان الايمان بالملائكة وبالجن متعادلان فى ضرورتهما وكونهما جزءا من الدين مع انهما من عالم الغيب .

ولقد وقف الفكر الانســــانى امام الفنون والاداب عامة والشعر خاصــة معجبا مشدوها ، يتساءل : كيف جاء هذا الجمال ؟ وما مصدره ؟ وقد حاولوا نظرا للروعة الفنية التى يظهر فيها الشعر ـ رده الى مصــدر يمكن أن يجيء منه هذا الجمال ، وتلك العظمة التعبيرية المؤثرة :

وكان من اقدم الذين تنــاولوا هذه القضية افلاطون (٤٢٩ ـ ٣٤٧ ق م) وذلك فى محاورته « ايون » التى رد فيها الشعر الى الالهام ، فالشعراء عندهم لا

---

(١) ٢٧ من سورة الحجر



الملائكة والجن في الأدب العربي القديم

يتكلمون عن فن بل عن موهبة الهية ، فهم يستمدونه من الالهة ، وصانع الخيال الاغريقي القديم للشعر الها هو « ابولو » ، وهو الذى يفلق الشعراء شعورهم ليتخذهم وسطاء يتكلمون بوحى منه كالانبياء والملهمين ، وبسبب هذا الالهام استمد الشعر ينابيعه الكبرى من الاساطير ، فهى مادة الشعر والشعراء ، وتبرز فى الاساطير البطولات الخارقة ، كما نرى فى الالياذة والاوديسا لهوميروس ، والانيادة لفرجيل (– ١٩ ق م) ، والكوميديا الالهية لدانتى (– ١٣٢١ م) ، والفردوس المفقود لملتون (١٦٠٨ – ١٦٧٤ م) .

وقد جسم الشعراء العرب فى العصر الجاهلى هذا الالهام الالهى للشاعر تجسيما واضحا ، وفيما سموه ، شيطان الشاعر ، وبدلا من الهة الفنون عند اليونان نجد شياطين الشعراء عند الجاهليين ، وبدلا من ابولو اله الشعر نجد شيطان الشعر وبدلا من جبل برناس عند اليونانيين وهو مقر ابولو والهة الفنون والشعر نجد وادى عبقر موطن الجن عند العرب الذين يجعلون كل الاعمال العظيمة الفائقة منبعثة منه وبتأثيره والهامه ، واذا ما وصفوا عظيما قالوا : انه عبقرى وعندما يتحدثون عن صنعة فائقة مذهلة يقولون : صنعة عبقرية ، ويقول ابو العلاء :

وقد كان أرباب الفصاحة كلما رأوا حسنا عدوه من صنعة الجن

وتذكر كلمة عبقرى فى القرآن بمعنى الصناعة الفائقة النفيسة : « وعبقرى حسان » (١) ، والعبقرية عند الاوربيين كذلك منسوبة الى الجن ، فالعبقرى هو الشبيه بهم فى المقدرة والتفوق

ويصف زهير الشاعر الجاهلى رماحا طوالا كرواطع فيقول :

بخيل عليها جنة عبقرية جديرون يوما أن ينالوا فيستعلوا

ويشبه امرؤ القيس سيفه ورماحه القواطع بأنياب الاغوال جمع غول فيقول :

أيقتلنى والمشرفى مضاجعى ومسنونة زرق كأنياب أغوال

ويقول امرؤ القيس فى صناعة السيوف ، وان سيوفه مصنوعة فى وادى عبقر :

كأن صليل المروحين تشيره صليل سيوف يقتلن بعبقرا

يريد أن فرسه يطير فى عدوه السريع الحجارة الصغيرة فيسمع لها صوت شبيه بصوت السيوف المصنوعة فى عبقر ، وسكان عبقر أنفسهم من الجن

(١) يزعم البعض أن لفظة «عبقر» من الكلمة الفارسية « أبكار » بمعنى : الرونق ، وهو بعيد لان اقتباس الكلمة لا يفسر لنا القصص المنسجة حول وادى عبقر .

يصفونهم بالجمال والقوة والنشـــاط فيقول الاعشى الشاعر الجاهلي :

كهولا وشبانا كجنة عبقــر

وقد جعل الشعراء الجاهليون الملهم لهم بالشعر شيطانا من الجن ، فقال الشاعر القديم في رجز له :

انى وان كنت صغير السن وكان في العـــين نبو عنى
فان شيطاني امير الجـــن يذهب بى فى الشعر كل فن

ولم يكتف الجاهليون وأحفـــادهم بذلك ، وانما تصوروا الجن تمـــلا الصحارى والجبال والاودية ، فقـــال حجاج السلمى وقد نزل ليـــلا بواد مخوف ، فجعل يطوف بالركب ويقول .

اعيذ نفسى واعيذ صحبى من كل جنى بهـــذا النقب
حتى أؤوب ســـالما وصحبى

ويصف جرير نفسه أيام شبابه ولهوه بأنه كان شيطانا ، فيقول :

أيام يدعوننى الشيطان من غزل وهن يهويننى اذ كنت شـــيطانا

ومن الاساطير قصة الغـــول التى وصفها تأبط شرا (٥٣٠ م) فى شعره ويقول حسان بن ثابت يتحـــدث عن ملهمة الشيطان ، وانه من بنى الشيصبان وانه هو الذى يقول على لسانه فيقول :

ولى صاحب من بنى الشيصبان فطورا اقول وطـــورا هـــوه

ويروى صاحب « جمهـــرة أشعار العرب » أن صاحب عبيد بن الابرص . واسمه « هبيد » هو الذى الهمـــه قصيدته :

طاف الخيال علينا ليلة الوادى من ام عمرو ، ولم يلمم بميعاد

وزعم أن للاعشى شيطانا اســـه « مسحل » وأن لامرىء القيس شيطانا اسمه « لافظ » ، وأن للنابغـــة كذلك شيطانا اسمه هاذر ·· ويقـــول جرير يصف شيطانه :

انى ليلقى على الشعر مكتهـــل من الشـــياطين ابليس الاباليس

ويصف شاعر نفسه فيقول :

خـــز عمامته حلو فـــكاهته فى كفه من رقى الشيطان مفتـــاح

ويقال للشعـــــر : رقى الشياطين . ويقول جرير فى الخليفة عمر بن عبد العزيز :

رأيت رقى الشـــيطان لا تستفزه وقد كان شيطانى من الجن راقيا

ويقول أبو النجم الراجز المشهور .

انى وكل شـــاعر من البشر شـــيطانه انثى وشيطانى ذكر

ويرى الفرزدق أن الشعر منقسم بين شيطانين الهوجل الذى يلهم الجيـــد من الشعر ، والهوبر الذى يلهم الردىء منه ، فقد انشده تميمى بيتا من الشعر :

ومنهم عمرو المحمـــود نائله كأنما رأســـه طين الخـــواتم

فضحك وقال : قد اجتمعـــا لك فى البيت ، فكان معك الهوجل فى أوله ، وخالطت الهوبر فى آخره فأفسدت ·

وقال الفرزدق يخاطب ناقتـــه وهى تسير به الى هشام الخليفة :

عـــلام تلفتين وانت تحتى وخير النـــاس كلهمو امامى
متى تردى الرصـــافة تستريحى من الانلاج والـــدبر الدوامى

ثم قال في نفسه : الان يجيء جرير فيسمع ما انشدته فيقول :

تلقت انهمـــا تحـت ابن قين ... ابي الكيرين والفاس الكهـــام

متى ترد الرصـافة تخز فيها ... كخزيك في المواسـم كل عـام

ثم جاء جرير فقصـل ما تنبأ به الفرزدق ، فلما قال له الفرزدق القصة قال : أما علمت أن شيطاننا واحد ؟

وجعلوا الفنون الاخرى كالشعر في انها الهام الشيطان ايضا ، فالغريض المغنى المشهور في العصر الاموي جعلوه يقبس بعض الحانه من الجن ، واسحاق الموصلي (ـ ٢٤٠ هـ) يجعل بعض الحان أبيه الجيدة من صنع ابليس . وشبيه بذلك قصـة الموسيقى الايطالي جيوسبي ترتياني (ـ ١٧١٣ م) حيث قص على بعض اصدقائه انه كان نزيلا بأحد الاديرة فجاءه الشيطان في المنام وتناول قيثارته وعزف عليها لحنـــا اذهله فاخذه وسماه هزة الشيطان » .. ويقول البحتري في ايوان كسرى :

ليس يدرى اصـنع انس لجـن ... سكنوه ام صـنع جن لانس

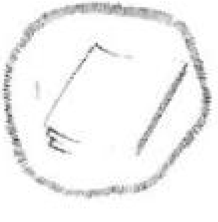
على أن الاسلام لما ظهر حارب الاوهام والاساطير فامر المسلم بأن يعتقد أن كل شيء من الله ، والزمه بأن يستمد من الله وحده كل عون له في جميع اموره ، ولكن خرافة « شيطان الشاعر » بقيت ماثلة عند النقـاد العرب ، وان كان بعضهم قد ابدلوا الشيطان بالملك ، فقال ابو منصور الثعالبي (٤٢٩ هـ) في أن حسان بن ثابت : كان حسان يقـول الشعر في الجاهلية فيجيد جـدا ، ويغبر في نواصي الفحول ، ويدعي ان له شيطانا يقول الشعر على لسـانه ، كعادة الشعراء ، فلما ادرك الاسلام تبدل الشيطان ملكا تراجع شـعره وكاد يرك في قوله ، ليعلم ان الشيطان اصلح للشعر واليق به واذهب في طريقه من الملك » (١) . ومثل هذا ما روى عن « ولر » الشاعر الانجليزي اذ قال له الملك شارل الثاني : ان الاناشيد التي نظمتها لي اقل شاعرية مما كنت تنظمه في كرمويل ، فقال الشاعر : « سيدي نحن معاشر الشعراء ننجح في الاوهام خيرا من نجاحنا في الحقـــائق » ، فالشعر كلما اقتربت تجربته من عمل مثالي او بطولي او ملحـمي أو من الامور الخـــارقة والاساطير أو من مثيرات العواطف والمشـاعر كان ذلك ادعى الى اجادته ، ولذلك قال النقاد كالأصمعي (٢١٦ هـ) : الشـعر نكد يقوى في الشر ويضـعف في الخير ، واستدلوا على ذلك بضعف شعر حسان في الاسلام .

ان الشيطان الملهم للشعراء انما هو من قبيل تصور الانسان لهذه الارواح الخفية ، وشدة قدرتها على ما يعجـز عنه البشر . والعرب لفرط كلفهم بالشعر وحبهم للابداع فيه ، نسبوا تلك الاشعار الى من هو في ظنهم اقدر منهم على

---

(١) ٨٠ خاص الخاص للثعالبي ط ١٩٠٨ .





اختراع ما لا يكاد يخطر على العقول البشرية ، وليس العرب في ذلك بدعا من الامم فقد كانت الهنود تعتقد وجود هذه الجنيات ، بل تعبدها عبادة . وشعراء العالم القديم كانوا يذكرون هذه الارواح الخفية طيبة أو خبيثة ، مما ينطبق عندنا على معنى الملك والجن ، وكانوا يستوحونهم مثل هذا الالهام في اشعارهم ورواياتهم ، والقرآن بعد أن تحدث عنها « قل أوحى الى انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا » لم يعد هناك مجال للريب فيها

وقد حكى أن أبا السرى سهل بن أبي غالب الخزرجي الف كتابا في الجن واخبارها ، وحمله الى الرشيد ، فقال له في بعض حديثه : ان كنت رأيت ما ذكرت فقد رأيت عجبا ، وان لم تكن رأيته فقد وضعت ادبا .

على أن بعض الادباء من العرب قد حاولوا تعليل هذا الضرب من الشعر الذي زعم بعض العرب انه للجن ومنهم ابراهيم النظام (ـ ٢٢١ هـ) قال : « أصل ما يذكره بعض الاعراب عن عزيف الجن وتغول الغيلان ان العرب لما نزلت بلاد الوحش عملت فيهم الوحشة ، ومن انفرد وطال مقامه في الفلاة والخلاء والبعد من الانس استوحش ولا سيما مع قلة الاشغال والوحدة ، لا تقطع أيامهم الا بالمنى وبالتفكير ، والفكر ربما كان من أسباب الوسواس ، واذا استوحش الانسان مثل له الشيء الصغير في صورة الكبير ، وارتاب وتفرق ذهنه ، فيرى ما لا يرى ، ويسمع ما لا يسمع ، ويتوهم الشيء الصغير انه عظيم ، ثم جعلوا ما تصور لهم من ذلك شعرا تناشدوه واحاديث توارثوها فازدادوا بذلك ايمانا ، ونشأ عليه الناشيء وربي عليه الطفل فصار احدهم حين يتوسط الفيافي في الليالي الحنادس فعند أول وحشة أو فزعة ، وعند صياح بوم ، أو مجاوبة صدى ، تجده وقد رأى كل باطل وتوهم كل زور ، وربما كان في أصل الطبيعة نفاجا كذابا ، وصاحب تهويل فيقول في ذلك من الشعر على حسب هذه الصفة ، فعند ذلك يقول : رأيت الغيلان وكلمت السعلاة ، ثم يتجاوز ذلك فيقول قتلتها ثم يزيد فيقول : رافقتها ثم يتجاوز ذلك فيقول تزوجتها . ومما زادهم في ذلك واغراهم به انهم ليسوا يلقون بهذه الاخبار الا اعرابيا مثلهم والا سانجا لم يأخذ نفسه قط بتمييز ما يوجب التصديق أو التكذيب أو الشك » .

وقد ذكر الجاحظ في « الحيوان » ورواه عنه الاستاذ محمد هاشم عطية في كتابه تاريخ الادب العربي في العصر الجاهلي ص ١١٨ ـ ٢٢٠

ويذكر صاحب كتاب « آكام المرجان في غرائب الاخبار واحكام الجان » وهو الشبلي المتوفى عام ٧٦٩ هـ كثيرا من اشعار الجن التي يروي قصصا كثيرا لها في كتابه (ص ١٢٠ ـ ١٥١) ومن اطرف ما ذكره أن نفرا من الجن ساروا في الصحراء ، فلقوا رجلا ، فقالوا له : أي شيء أحب اليك ، قال الابل : قالوا : أحببت الشقاء والبلاء والفناء ، تلحقك بالغربة ، وتبعدك عن الاحبة .

ثم ارتحلوا ، فمروا بآخر ، فقالوا : أي شيء أحب اليك ؟ قال لهم : العبيد قالوا : عز مستفاد ، ومال وبعاد ، ثم سألوا آخر ، فقال : الغنم ، فقالوا له : أكلة أكل لا تحملك في الحرب ، ولا تنجيك من الكرب ، وقال لهم آخر : الحرث ـ أي الزراعة ـ فقالوا له : نعم العيش ، حين تحرث تجد ، وحين لا تحرث لا تجد ، وقال لهم آخر : الموت ، فقالوا له : لقد تمنيت شيئا ما تمناه احد من قبلك ، قال : ولم ؟ فان كنت محسنا فمن لي احساني ، وان

الملائكة والجن في الأدب العربي القديم

كنت مسيئا كفاني اساءتي ، وان كنت غنيا فقبل فقرى ، وان كنت فقيرا ضمن لى فقرى .

وذكروا فى الشعر حديث الشهب التى رموا بها من السماء ، فمنعتهم استراق السمع ، وغير ذلك من الاشياء التى يذكرها رواة شعر الجن فى اشعارهم التى ينسبونها اليهم .

على ان الشعراء لم يكفوا عن ذكر الشياطين وابليس فى شعرهم ، وها هو ذا ابو نواس يقول بيته المشهور :

وكنت فتى من جند ابليس فارتمى ... بى الحال حتى صار ابليس من جندى

وبشار يقول :

ابليس اشرف من ابيكم ادم ... فتبينوا يا معشر الاشرار
النار عنصره وادم طينة ... والطين لا يسمو سمو النار

وكما ذكروا الجن ذكروا الملائكة كذلك ، ويكثر ذلك عند شعراء الاسلام فى عصر الرسالة : كحسان وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وغيرهم .. وما اكثر ما ذكر حسان الملائكة فى شعره ، يقول :

شهدت به وقومى صدقوه ... فقلتم ما نجيب وما نشاء
وجبريل امين الله فينا ... وروح القدس ليس له كفاء

ويقول جرير فى رثاء زوجته :

صلى الملائكة الذين تخيروا ... والطيبون عليك والابرار

وننتقل الى رسالة صغيرة مجهولة المؤلف بعنوان « الانسان والحيوان امام محكمة الجن » ، وقد تأثر فيها كاتبها بكليلة ودمنة ، وقد الفت فى القرن الرابع الهجرى ، وقد نتحدث عنها فى مقال منفرد .

اما « التوابع والزوابع » لابن شهيد الاندلسى (٤٢٩ هـ) فهى رسالة نالت اهتماما فائقا من الادباء والنقاد ، وهى تشابه « رسالة الغفران » للمعرى مشابهة تامة ، فالموضوع واحد وهو عرض المشكلات الادبية والفكرية بطريقة قصصية وباسلوب الحوار الذى يشترك فيه الشياطين ، والتوابع :

هى الجن ، والزوابع هى الشياطين والخلاف فى جوهر الموضوع يرجع الى روح الكاتبين : فابن شهيد يهتم بالمشكلات الادبية والمعرى يهتم بالمشكلات الفكرية ، وقد احتدم الخلاف بين الباحثين حول مسألة : هل تأثر ابن شهيد بالمعرى أو تأثر المعرى بابن شهيد أو ان كلا منهما لم يرجع الى الاخر ، ولا يزال الخلاف محتدما ، ويرجح د . زكى مبارك ان ابن شهيد الف رسالته ما بين عامى ٤٠٣ و ٤٠٧ هـ بينما ألف المعرى رسالته عام ٤٢٤ هـ . والرسالة رحلة خيالية فى عالم الجن صور فيها ابن شهيد التقاءه بشياطين الشعراء وما جرى بينهم من حوار . وهى أول رحلة طويلة الى العالم الاخر

(١) النثر الفنى ٢٥٨ ـ ١



.. وقد تناول فيها جمهرة الادباء ، وعرض صوراً من شعر الشعراء ونقدهم .

أما « رسالة الغفران للمعري (٣٦٣ ٤٤٩ هـ : ٩٧٥ ـ ١٠٥٩ م) الذى مر الف عام على ميلاده فهى رحلة تخيلها أبو العلاء الى الصراط والجنة والنار ، ولقى فيها الشعراء والادباء ، وحاورهم ، وناقش فيها آراءهم فى الدين والادب واللغة والنقد .

وهى اشمل واكثر واعمق غنى فى جوانبها الفنية والقصصية من رسالة التوابع والزوابع » . ويبدو أن دانتى فى الكوميديا الالهية قد تاثرها كما يذهب الى ذلك لفيف من الباحثين ومنهم قسطاكي الحمصى وجورجى زيدان وان كان الاكثرون يذهبون الى أن دانتى انما تاثر بابن عربى فى الفتوحات المكية وبرحلة الاسراء والمعراج ، وذلك ما ذهب اليه المستشرق الاسبانى بلاسيوس ، والمستشرقان الايطاليان : جبريلى ، وتشيرولى ..

ورسالة الغفران تتحدث عن شياطين الشعراء وتجرى معهم حوارا طويلا كما تلتقى بالشعراء والادباء وعلماء اللغة وتجرى معهم لقاءات فكرية وادبية على جانب كبير من الاهمية .

وقصص الشياطين والمردة والجن فى « الف ليلة وليلة » قصص طويلة لا يمكن أن تستعرض فى مقال محدود .

وقد الف الامام ابن الجوزى (٥٩٧ هـ) كتابا سماه تلبيس ابليس ، كما الف غيره فى الجن والملائكة والشياطين وابليس . وللمعرى رسالة فى الملائكة وهى مفقودة ، وللسيوطى (٩١١ هـ) كتاب فى الجن .

ان حديث الملائكة والجن فى الادب العربى القديم جد ثرى وخصب ومتشعب .

وهو كذلك فى ادبنا الحديث يستمد اصوله من ادبنا القديم الحافل بكل ضروب المتعة والجمال والفن .



البابا شنودة الثالث

الملائكة في المسيحية

طبيعة الملائكة وظهوراتهم :

الملائكة ارواح خلقها الله قبل خلق الانسان بزمن لم يحدده الكتاب المقدس

وقد قال داود النبى فى المزمور « الذى خلق ملائكته ارواحا، وخدامه نارا تلتهب ».

وقد اختلف علماء اللاهوت فيما اذا كان الملائكة ارواحا خالصة، ام لهم اجسام روحانية .

وهم كارواح لا ياكلون ولايشربون ولا يمرضون ولايموتون ولايتزوجون، ولا يعملون اى عمل من اعمال الجسد .

وكارواح هم خفيفون جدا وسريعون للغاية فى حركتهم . قد ينتقلون من قطر الى قطر ، او من السماء الى الارض فى لمح البصر .

وكارواح لاتستطيع العين البشرية أن تنظرهم . فقد يوجد ملائكة حولنا ، ونحن لا نراهم . لان العين المادية لا ترى سوى الماديات . أما الروح فهى خارج نطاق رؤية العين الجسدية .

لذلك اذا ظهر ملاك لانسان، فانما يتخذ شكلا ماديا يمكن للانسان ان يراه . وتسمى هذه الرؤية ظهورا من الملاك وليس تجسدا .

والكتاب المقدس مملوء بالقصص التي ظهر فيها الملائكة للبشر ، لعل من اهمها ظهور ملاك يبشر القديسة العذراء بالحبل المقدس . وصورة الملاك جبرائيل وهو يبشر العذراء



من الصور المشهورة فى الفن المسيحى تزدان بها غالبية الكنائس · كذلك ظهور ملاك يبشر زكريا الكاهن بميلاد يوحنا المعمدان ···

وكما يظهر الملاك منفردا ، قد تظهر مجموعة من الملائكة دفعة واحدة مثال ذلك الملائكة الذين ظهروا وقت ميلاد المسيح ، وبشروا الرعاة ، وسبحوا قائلين « المجد لله فى الاعالى ، وعلى الارض السلام ، وبالناس المسرة »·

وفى كل الحوادث التى ظهر فيها الملائكة ، كانوا يظهرون محتشمين ، بثياب بيضاء كاملة ، ثياب تكسو كل شكلهم الملائكى ، من العنق الى القدمين · كما كانوا يظهرون فى مهابة كبيرة ، وأحيانا يشع منهم نور باهر ، حتى يقول الكتاب « ملاك من نور »·

والمنظر الذى يظهر به الملاك يكون دائما جميلا وطاهرا ···

ولا شك ان هناك علاقة كبيرة بين الطهر والجمال · فالطهر يجعل ملامح الشخص محبوبة مقبولة ، بينما الخطية تجعل الملامح بشعة غير مقبولة · فان كان يحدث هكذا بين البشر ، فكم بالاولى بين الملائكة· ان طهارتهم تضفى عليهم جمالا فى الروح· فان ظهروا فى هيئة جسدية، تكون هى ايضا مشعة للجمال الملائكى ·

الملائكة درجات :

الملائكة عددهم كبير جدا ، وهم طغمات ودرجات ··

يذكر الكتاب أن الملائكة الواقفة أمام الله ملايين ومئات الملايين · وفى القداس الالهى يقول الكاهن لله « الوف الوف وقوف قدامك ، وربوات ربوات يقدسون لك الخدمة » · وان كانت الربوة عشرة الاف ، فان ربوات الربوات تكون مئات الملايين · لذلك تقول الكنيسة عن عدد الملائكة « الجمع غير المحصى الذى للقوات السمائية »·

ومن طغمات الملائكة ودرجاتهم نستطيع ان نذكر :

الشاروبيم (الكاروبيم) والساراقيم ، والارباب ، والسلاطين، والعروش ، والرؤساء ، والقوات ، والارباب والاجناد ··

ورئيس الملائكة هو ميخائيل، وقد ذكر كثيرا فى الكتاب المقدس ·

وكثير من الكنائس تبنى على أسمه · وله أيقونة مشهورة يصور فيها وهو يمسك فى احدى يديه بحربة طويلة وباليد الاخرى يمسك

الملائكة في المسيحية

ميزانا اما الميزان فيرمز الى العدل الالهى ، واما الحربة فيطعن بها الشيطان الذى يظهر ذليلا ضعيفا تحت قدميه ...

ومن رؤساء الملائكة الذين ذكرلم الكتاب المقدس جبرائيل وروفائيل

اما الكاروبيم فهم مجموعة من الملائكة مفردها كاروب . والكلمة هى اسم جمع عبرانى ترجمتها ملء المعرفة . وقد يرون الى المعرفة والعلم . واما السارافيم فهم أيضا مجموعة من الملائكة مفردها ساراف . والكلمة اسم جمع عبرانى ترجمتها المحترقون او المتقدين بالنار . ويرى البعض انهم يرمزون الى الحب الالهى الذى يشبه بالنار . اما العروش والكراسى فيرمزون الى الحلول الالهى والشاروبيم والسارافيم لكل منهم ستة أجنحة : بجناحين يغطون وجوههم وبجناحين يغطون ارجلهم ويطيرون باثنين .

هل هذا هو شكلهم ؟ ام هذا هو الشكل الذى يظهرون به حينما يظهرون ؟ ام هذا هو الشكل الذى يتميزون به عن غيرهم من صفوف الملائكة وطغماتها ودرجاتها ؟ ام هذا هو الشكل الذى يراه بهم الروحيون ؟

ان كان الملائكة درجات وطغمات ولبعض منهم او للكل أسماء خاصة ، فلاشك انهم يتميزون عن بعضهم البعض تمايزا يفرق الواحد عن الاخر ، وهكذا يكون لكل منهم شكل خاص . ولعل هذا مما يؤيد الذين يقولون ان لهم اجساما روحانية . ام هذا التمايز هو مجرد تمايز روحى ...

نحن لا نريد ان نشرح كل شيء خاص بالملائكة ، وانما نترك شيئا مما يختص بهم للتامل الشخصى .

والملائكة موضوع لاهوتى وضعت فيه كتب ومجلدات ضخمة ، ويمثل علما خاصا يدرس فى كليات اللاهوت . ومع ذلك لم نؤت من العلم فيه الا الشيء القليل . وحينما نفارق هذا الجسد المادى ، وتصير ارواحنا اكثر انطلاقا ، ونذهب الى ملكوت الله . حينئذ ستزداد معلوماتنا عن ذلك العالم الروحانى ، وعما فيه من الملائكة القديسين ...

سقوط بعض الملائكة (الشياطين)

خلق الله الملائكة اطهارا ، ولكنه خلقهم ايضا احرارا ، لهم حرية ارادة يمكن ان تتجه الى الخير حسب طبيعتها ، او الى الشر اذا انحرفت ...

الملائكة الذين ثبتوا فى طهارتهم وقدسيتهم ، هم الذين نسميهم حاليا بالملائكة . اما الذين سقطوا وانحرفوا وفقدوا طهارتهم الطبيعية فهؤلاء نسموا بالشياطين . ويسمون أيضا بالابالسة ، وبالارواح الشريرة او الارواح النجسة ، او الملائكة الاشرار . فهم وان كانوا قد فقدوا قداستهم الا انهم لم يفقدوا طبيعتهم

الملائكية فى قوتها وخفتها وروحانيتها وسرعتها ...

يذكر الكتاب المقدس ان الشيطان سقط بخطيئة الكبرياء ، فـــكر فى قلبه ان يصعد الى أعلى الســماء ويصير مثل الله (اش ١٤ : ١٤) .

وعندما سقط الشـيطان جر معه الكثير من الملائكة من طغمـــات متعددة ، فتجنسوا مثله ، وصاروا تحت قيـــادته . ومن ذلك الحين أصبح الشـيطان وجنوده مقاومين لملكوت الله ومحاربين لكل السائرين فى طريقه . ولم يكتفوا بســقوطهم شخصيا ، وانما تفرغوا لاســقاط الابرار ، وتثبيت الاشرار فى سقطتهم

اجتـــاز الملائكة فترة الاختبار الخاصة بهم . فمن نجح منهم تكلل بالبر وسوف لا يســقط فيما بعد .

اما الذين سقطوا « الشياطين » فقد انتهى امرهم ، ولن يتوبوا فيما بعد . لقد فسدت طبيعتهم الى الابد .

ولقد سمح الله للشيطان أن يبقى بعد سقطته ، وسمح أن يغرى البشر



ويجربهم . وسيظل هكذا الى يــوم دينونته الاخيـــرة ، حيث يلقى الى العذاب الابدى هو وكل جنــوده وكل تابعيه : فى البحيرة المتقدة بالنــار والكبريت .

الشيطان ينشر الشر على الارض، ولكنه ليس الهـــــــــا للشر اذ لا توجد ثنائية فى اللاهوت ، ولا شرك باللـــــــه ، كما ادعت بعض الديانات الوثنية انه يوجد الهـان . اله للخير واله للشر . فالشيطان اذن مخلوق خلقـــه الله ، وهو تحت ســـيطرة الله على الرغم من كل مقاومته . والله يستطيع أن يقتنيه فى أى وقت ، ويستطيع أن يوقف كل عمله . بل ان اللـــــه قد أعطى المؤمنين به انينتصروا على الشيطان ويهزموه .

اعطاهم ســــلطانا على جميع الشياطين » وعلى كل قوة العدو . فليس الشـيطان مخيفا بالدرجة التى يتصورها البعض .

يبالغ البعض فى قوة الشـــيطان حتى يظنوه طاغية مرعبا لايقــوى عليه أحد ، بينما حقيقته غير ذلك. المؤمنون لهم سلطان عليه . وكثيـر من القديســـين كانوا يخرجون الشـــياطين ، وكانت تفزع منهم الشياطين ، لانهم لم يعطوها مكانا فى قلوبهم .

هذا الشـيطان الذى يقاوم كل عمل الله ، لم يخلقه الله هكذا . وانما صدق ذلك الكاتب اللاهـوتى الذى قال :

« لم يخلق الله شيطانا » قط . وانما خلـــق ملاكا ، والملاك حول نفسه الى شـيطان ، بانحــراف ارادته » .

عمل الملائكة :

الملائكة هم جند الله ، ينفذون مشيئته ، في الحق وبأقصى سرعة ، ودون مناقشة أو تردد .

ولذلك يقول داود النبي عن الملائكة « الفاعلين امره، عند سماع صوت كلامه » (مزمور ١٠٣)

ولهذا فاننا كمسيحيين نخاطب الله في الصلاة الربية قائلين « لتكن مشيئتك ، كما في السماء كذلك على الارض » اى كما ان مشيئتك منفذة في السماء بكل دقة وبكل سرعة ، فلتكن مشيئتك منفذة ايضاً على الارض بنفس الطريقة .

وللملائكة عملان اساسيان هما تسبيح الله ، وتنفيذ مشيئته بين البشر .

اما عن التسبيح فمثاله عمل الساروفيم ، اذ راهم أشعياء النبي حول العرش الالهي ، يسبحون الله قائلين « قدوس قدوس قدوس رب الجنود . السماء والارض مملوءتان من مجدك الاقدس » ، والتسبيح هو الصلوات البعيدة عن الطلب ، وعن كل ما يتعلق بذات المصلى ، وانما هي تأمل في صفات الله الجميلة ، وتمجيد له عليها ، لذلك كانت صلاة التسبيح هي انقى الصلوات واحرها واعمقها .

اما عمل الملائكة من اجل البشر ، فيختص ببشارتهم ، وحراستهم ، ومعاونتهم ، وانذارهم ، وانقاذهم ، وتبليغهم أوامر الله ، ومعاقبتهم اذا امر الله بذلك ...

قال بولس الرسول عن الملائكة « أليسوا جميعهم ارواحاً خادمة ، مرسلة للخدمة لاجل العتيدين ان يرثوا الخلاص » (عب ١)

اذن قد ارسلهم الله للخدمة ، لخدمة البشر ، وخدمة قضية الخلاص لذلك فهم يحبون البشر جداً ، ويعملون على انقاذهم من كل شر . وقد قال الكتاب « ملائكة الرب حالة حول خائفيه وتنجيهم » .

ولعله من هنا اخذت فكرة الملاك الحارس ...

الملاك يمكن ان يبلغ رسالة من الله للبشر ، وفي هذه الحالة يكون رسولاً من الله للناس . وكلمة ملاك باللغة اليونانية (انجيلوس) معناها رسول . وغالباً ما تكون رسالة مفرحة أو بشارة ، على انها قد تكون غير ذلك .

وقد تكون رسالة الملاك هي رسالة انقاذ ، ومن ذلك عرف لقب « ملائكة الرحمة » .

مثال ذلك الملاك الذى انقذ بطرس الرسول من السجن ، والملاك الذى انقذ هاجر في ضيقتها هي وطفلها اسماعيل ، والملاك الذى حمل طعاما لايليا النبي وهو هارب من وجه ايزابل ، والملاك الذى انقذ دانيال النبي في جب الاسود ، والملاكان اللذان اخرجا « لوط » من ارض سدوم

قد تظهر الملائكة للبشر وهم مستيقظون ، وفي كامل وعيهم ، وقد يظهرون للبشر في الاحلام .

مثال ذلك ثلاث مرات يظهر فيها ملاك في حلم ليوسف النجار خطيب القديسة مريم العذراء . في المرة



الاولى ظهر له ملاك فى حلم يبشره بميلاد السيد المسيح من العذراء بالروح القدس . وفى المرة الثانية ظهر له ملاك ايضا فى حلم يأمره بالذهاب الى مصر . وفى المرة الثالثة أمره الملاك فى حلم أن يرجع من أرض مصر .

اذن يمكن ان يظهر ملاك لانسان ليبلغه رسالة من الله . ولكن على الانسان ان يحترس من جهة الاحلام، ويتأكد هل هى من الله أم لا .. لان الشيطان يمكن ان يظهر فى شكل ملاك من نور ليخدع المؤمنين ويبلغهم رسائل مضللة ...

المسألة تحتاج الى حكمة وفهم وافراز ، والى دراية روحية ، وأيضا الى مشورة من الروحيين المختبرين .

وقد يظهر الملاك ليبلغ الناس بشيء يحدث فى المستقبل . وهنا يقوم الملاك بعمل النبى ، يخبر بأمور مستقبلة .. وقد يقوم بعمل المرشد أو الموجه ، فيحث انسانا على طريق ما، أو يمنعه عن طريق اخر كما ظهر ملاك لبلعام ونصحه بعدم الذهاب الى بالاق ، واخبره بما ينبغى ان يقول ..

وقد يظهر الملاك لانسان بهيئة عادية ويفارقه ، دون أن يعرف هذا الانسان ان الذى قابله كان ملاكا . أو قد يعرف ذلك فيما بعد .. وفى ذلك قال بولس الرسول « لا تنسوا اضافة الغرباء لان بها اضاف اناس ملائكة وهم لا يعرفون » .

ليس فى كل مرة يظهر فيها ملاك ، يعلن عن ذاته أنه ملاك ، أو يمنح من يقابله الادراك الذى يكتشفه به .

والملاك ايضا قد يمنح البركة للناس .

هى بركة من الله طبعا ، أرسلها لهم الله ، ويسمعونها من فم ملاكه تماما كالبركة التى تقبلها البعض من أفواه الاباء أو أفواه الانبياء ، ولكنها أكثر عزاء ...

وكما يرسل الملاك للبركة والمعونة، قد يرسل أيضا للعقوبة والقصاص قد يكون ملاكا مفرحا للبعض ، وملاكا آخر مخيفا ومرعبا ...

قد يحمل الملاك بشارة ، وقد يحمل انذارا . قد يأتى أحيانا بخيرات ونعم ، وقد يضرب ضربات شديدة ومذلة . فليست كل الملائكة ملائكة رحمة .

فالملاكان اللذان أنقذا « لوط » من سدوم ، هما أيضا اللذان ضربا أهل سدوم بالعمى ، وأهلكا كل تلك المدينة بالنار حسب أمر الله .

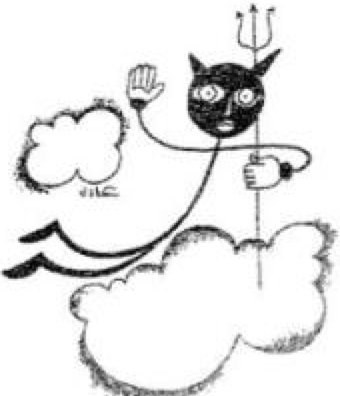
وهناك ملاك ضرب كل أبكار مصر، أيام فرعون فماتوا جميعا . وملاك رفع سيفه على أورشليم عندما أخطأ داود ، وأهلك الالاف الناس . ولما لم يعط هيرودس الملك مجدا لله ، وقبل أن يمتدح كاله ضربه ملاك الرب، فصار يأكله الدود ومات ...

الملائكة في المسيحية

وملائكة الله قد يحاربون عن المؤمنين ويصدون عنهم الاعداء ، مثال ذلك ما حدث ايام اليشع النبي، حينما ارسل الله جندا سماويا لحراسة المدينة والدفاع عنها · ولما خاف من الاعداء جيحزى تلميذ اليشع النبي ، صلى النبي الى الله قائلا : « افتح يارب عيني الغلام ، فيرى ان الذين معنا اكثر من الذين علينا ·

والملائكة يشفعون في البشر عند الله ، ويفرحون بتوبة التائبين ·

هم يصلون لاجل الناس ، ويطلبون من اجلهم الرحمة من لدن الله · ولذلك فنحن نستشفع بالملائكة، ونطلب بركة صلواتهم وتدخلهم في حياتنا · والملائكة يقربون جهاد البشر على الارض ، ويشجعونهم على الخير ، ويفرحون بتوبتهم وبسلوكهم الروحي·



ولذلك يقول الكتاب انه — يكون فرح في السماء بخاطىء واحد يتوب ، اكثر من تسعة وتسعين بارا لا يحتاجون الى توبة » ··

والملائكة يحملون ارواح الابرار الى الفردوس ·

ان الابرار القديسين اذا انتقلوا من هذا العالم ، يستحقون ان تأتى الملائكة اليهم ، وتحمل ارواحهم عند خروجها من الجسد ، وتزفها الى السماء في موكب الفرح · وهكذا قال الكتاب ان لعازر المسكين عندما مات حملته الملائكة الى احضان ابراهيم

ويروى لنا التاريخ ان القديس الانبا انطونيوس رأى روح الانبا آمون يحملها الملائكة في فرح الى السماء·

وللملائكة عمل في القيامة العامة ، في اليوم الاخير :

يقول الكتاب عن اليوم الاخير ان الله « يرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت ، فيجمعون مختاريه من الاربع الرياح ، من اقصاء السموات الى اقصائها » (متى ٢٤) ·

اما عن الاشرار فيقول الكتاب « هكذا يكون في انقضاء العالم يخرج الملائكة ، ويفرزون الاشرار من بين الابرار ، ويطرحونهم في اتون النار· هناك يكون البكاء وصرير الاسنان (متى ١٣) ·

والملائكة سيصحبون السيد المسيح في مجيئه الثاني الى العالم : عندما يأتي السيد المسيح في مجيئه الى العالم سيأتي كما يقول الكتاب — في قوة ومجد عظيم ومعه جميع الملائكة القديسين (متى ٢٥)

وقبل المجيء الثاني ، وقبل اليوم الاخير ، للملائكة عمل كبير واسع في الاعداد لهذا اليوم الاخر ، وفي الاحداث التي تسبق نهاية هذا الزمان الحاضر وانقضاء هذا الدهر·



وقد شرح سفر الرؤيا باستفاضة كبيرة الاحداث التى تسبق نهاية العالم ودور الملائكة القديسين فيها · فهم رسل الله الاقوياء الذين ينفذون مشيئته فى تلك الاوقات الحاسمة ،

سواء فى الانذارات التى سيحملونها الى العالم ، أو الضربات الشديدة التى ستحل على الارض ، أو الحرب النهائية مع الشيطان والقبض عليه ، أو اعداد العدة لمجيء الرب ويوم القيامة المخيف ···

قوة الملائكة :

الملائكة لهم قوة عجيبة اعجازية سواء بحسب طبيعتهم الملائكية القوية ، أو ما يمنحهم الله من قوة لاداء رسالات لها طابع خاص ···

ملاك واحد ضرب كل الابكار فى مصر فى ليلة واحدة ، من ابن فرعون الجالس على العرش الى ابن الاسير الذى فى السجن ، وكل بكر بهيمة (خر ١٢ : ٢٩)

وملاك اخر قتل فى ليلة واحدة ١٨٥ الفا من جيش سنحاريب ملك اشور، فماتوا (٢ مل ١٩ : ٣٥) ·

وظهرت قوة الملائكة فى انقاذ دانيال النبى عندما ألقى فى جب الاسود ، اذ يقول دانيال فى ذلك ·

« الهى ارسل ملاكه ، وسد افواه الاسود » (دا ٦ : ٢٢) ·

وتظهر قوة الملائكة بدرجة عالية فى قبضهم على الشياطين - زملائهم السابقين فى نفس الطبيعة الملائكية القوية - طرحهم فى الهاوية · (رؤ ١٢ ، ٢٠) · ويتغنى داود النبى بقوة الملائكة فيقول :

« سبحوا الرب يا جميع ملائكته المقتدرين قوة » (مزمور ١٠٣)

ومن قوة الملائكة سرعتهم الفائقة، وخفة حركتهم ، وقدرتهم الجبارة التى شرحها سفر الرؤيا بأمثلة عديدة ··

الملائكة والابدية

سنعيش مع الملائكة فى الابدية السعيدة نعاشرهم ونختلط بهم ، فى مكان واحد ، فى مجتمع واحد ··

وسيكون البشر فى الابدية « كملائكة الله فى السماء » ·

سنتعرف عليهم جميعا ، هناك ·· باسمائهم ، ووظائفهم ·

ما اجمل « حفلة التعارف الكبرى » التى سيقيمها الله لنا فى السماء ، حيث نتعرف فيها على الرسل والانبياء والشهداء والقديسين ، كما نتعرف ايضا على الملائكة جميعا ···

قليلة جدا هى معلوماتنا الحالية عن الملائكة ، بل نادرة وضئيلة · ولكننا سنعرفهم جيدا فى الابدية ·

وحينئذ، ساكمل هذا المقال · اكمله لنفسى لا للناس ، لان الناس سيعرفون بالطبيعة الجديدة التى تكون لهم ، ولا يحتاجون الى مقالات ·



د. أحمد كمال زكى

الجن والملائكة أين هم في أدبنا المعاصر؟

منذ قال الله لادم التراب « كن » فكان ، والاخبار عن الجن والملائكة تشتجر في كتب التفسير والقصص .. وذهب القول في هذا الموضوع الى أن الجن كانوا قبل ادم ، عالما كعالم البشر فيه الخير والشرير ، وفيه الجميل والقبيح كما أن فيه من كتب له أن يباشر الحياة مع ذرية أدم على الارض .

وأما الملائكة فهم في الملكوت نورا خالصا ، وسراعا الى الحق والايمان لانهم لا يعرفون الباطل والضلال ...

ومنهم من وكلت اليه بعض الاعمال المنوطة باقرار الفعل للبشر ... فجبريل هو رسول الله الى الانبياء ، وحامل وحيه عز قدره ..

وعزرائيل الذى تبلغ قدماه تخوم الارض السابعة ورأسه تحت العرش هو هازم اللذات . وهادم البيوت ومفرق الجماعات .. ومالك الشديد البأس ، الضعب الراس ، المرعب والمخلوق من غضب الله وسخطه ، هو خازن جهنم ... وهكذا .

ومن الملائكة كان ابليس .. عصيا بدافع الغرور او العناد ، ثم كاد لادم منذ وجد ، حتى لقد اقترن به كل شر ... وصورت القصص - ولا تزال تصور - عملية هبوط ادم تصويرا أسود قاتما ، وبلغه التشاؤم الذى حدا ببعض الباحثين الى تاويله تاويلا « فكريا » افضى الى « احالة » يرفضها المتقيقون .



عباس العقاد

علي محمود طه



يقولون ان قصة الهبوط من الجنة ليست الا رمزا لحاجة نشأت عن رغبة الانسان البدائي — وليس هذا الانسان ادم — في ان يفسر لنفسه مايكابد من مشقة وتعاسة ، وما يحس من وحدة وقلق ، ثم ما يقال من انه يكفر عن خطيئته الاولى التي بينت له طـريق الشر فرضي بالضرب فيه ·

في حين نرى القرآن الكريم يرى في « هبوط » الانسان من الجنة نعمة « ولقد مكناكم في الارض ، وجعلنا لكم فيها معايش، قليلا ما تشكرون » ، وهذه النعمة فيما نرى مصـدرها ان ادم نفسه من حمأ مسنون ، ومن ثم يكون أولاده نتاج هذا الحمأ « والله انبتكم من الارض نباتا » ·

ومـع كل ذلك ، لا يزال القصص الذي اعتمد التوراة — وهذه خلاصة تفكير اسطوري تاريخي لشعوب منطقة الشرق الاوسط — لايزال هذا القصص يرى أن الارض لم تكن في الواقع الا جحيما للبشر أو ساحة عـذاب لهم ،

ويلعب ابليس الدور الاول في مهزلة الوجود الدامية ·

فهو الذي وسـوس لادم بارتكاب ما حرمه الله « يا آدم هل أدلك على شجرة الخـلد وملك لا يبلى » ···

واذن لا بد أن يكون سوط العذاب ، ولهذا عمدت التوراة الى « تهويل » دوره حتى ليصبح المسئول الاول أو الوحيد عن الخطيئـة الاولى فقـد تقمص الحية التي كانت أوسع حيوان البرية حيلة ، وقال للمرأة التي هي حواء : أحقا قال الله لا تأكلامن جميع شجر الجنة ؟

ثم كان ما كان من مباشرة الفعل المحرم ، فغضب الله سبحانه وتعالى وقال للحية : لانك فعلت هذا ملعونة أنت منجميع البهائم ومن جميعوحوش البرية على بطنك تسـعين ، وترابا تأكلين ، واضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها !

وعلى هذا النحـو ترتبط الحيـة بابليس ويحملها التراث النصاني في الميثولوجيا اساسا — بديلا للشيطان الذي هو الشر ·· ولما كان الشـيطان مجرد تصور لا ملامح مادية له ، فقد جعل من الجن يعيش معهم في دنياهم اللامرئية ·

ولقد وفقت النظرة الاسلامية بين هذا التقـويم الميثولوجي وتقويمهم العقيدي ، فاذا بين الجن «أشرار» يعمدون الى مثل ما عمد اليه ابليس

الجن والملائكة

واذا اشرار الجن الذين يعيشون مجتنين – أي مختبئين عن العين – يتصلون بأشرار البشر اتصالات مريبة جاعلين منهم أولياء من جانب ، ومرتضين أن يسموهم بالشياطين من جانب آخر .

وهؤلاء الشياطين هم الذين ظهروا في القرآن الكريم في مثل قوله تعالى « فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه » يشير الى الجنة وسكنى آدم وحواء فيها قبل غواية ابليس لهما ... وتنسحب دلالة ما في ذلك على شر « الاولياء » كافة ، في مثل قوله تعالى « انما ذلك الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم » .. وكان هؤلاء الاولياء هم السحرة والكهان والعرافون عند العرب القدماء ، وقد نعا القرآن الكريم عليهم بالذم ، لا سيما أن بعضهم كان كتابيا « الم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت » .

وقد ذهب المفسرون الى أن الجبت هو السحر المصري من « كوبتو » ، « قبط » أي قفط ، أو كما يقول كراوزر من « كيميم » أي الكيمياء عند المصريين القدماء .. وأما الطاغوت فقيل هو الشيطان نفسه ، وقيل انه شخص بعينه تقمصته الجن ، وكان يدعى حيي بن أخطب ، ومنهم كان يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان مدعيا معرفة الاسرار حتى بهر الناس بفعاله .

ولقد ظل الامر لامثال حيي بن أخطب زمانا لم يقطعه ظهور الاسلام وبخاصة عندما درج الشعراء على الزعم بأن ثمة جنيا أو رئيا يعينهم على قول الشعر أو يلهمهم اياه ، وذهب بعضهم الى أن سمى هذا الجني في شعره وقالوا هو شيطان القصيد عندهم ، ولم يعد من قبيل هؤلاء الذين استعاذ رجل منهم فسلطوا عليه أسدا فقال :

قد استعذنا بعظيم الوادي
من شر ما فيه من الغوادي
فلم يجرنا من هزبر عادي

وادعى الغريض المغني انه كان يسمع صوتا من الجن بترجيع وتقطيع ، فبنى عليه بعض تنغيماته الاساسية ... ويروى انه لما انكر منه ذلك ، رفعت الجن عزيفها في مجلس اجتمع فيه بعض النسوة ، فذعرن حتى قال لهن الغريض : أن في هذا العزيف « صوتا » اذا نمت سمعته ، وأصبح فابني عليه غنائي .

قال ابو الفرج الاصفهاني : فأصغين اليه ، فاذا نغمته نغمة الغريض ، فصدقنه ! .

***

وأما في الآثار العربية الحديثة فان الجن لم يقنع بتلك المساحة التي احتلها قديما * مجموعة اخبار خارقة بالاضافة الى ما يروى عن ابداع الشاعر بايعاز من شيطانه ، وانما زاد حتى أصبح مكونا من مكونات الاعمال

الادبية ، ولعلنا لا نتعب اذا تفقدنا ذلك فى اعمالنا النثرية المعاصرة ... ونخص بالذكر « احلام شهر زاد » أروع ما كتبه طه حسين من قصص يعتمد الخرافات ، ويعض اساطير القدماء ، وصارت « فاتنة » بنت ملك الجن الذكية الأريبة رمزا لحسن التدبير والسياسة فى وقت اختلطت فيه نظم تطبيق الحكم فى مصر منذ أواخر الاربعينات والى اوائل الخمسينات ... وتمكن طه حسين ببراعة القاص المقتدر من أن يفضى بما عنده من آراء عن العدل والحرية والسلام ، فى قالب « اسطورى » ابعده شيئا عن المغالاة ..

فاذا تحولنا الى الشعر فلن نخطىء قط « ترجمة شيطان » وهى قصيدة للعقاد ينداح فيها اليأس ، بل يتفجر بطريقة توشك أن تودى بأعز قيم المجتمع ، والطريف ان العقاد فى ترجمته يبدو متعاطفا مع شيطانه برغم انه لم يره — فهو جنى — ويجعله عبقريا مرتبطا اساسا بالخرافة العربية التى تجعل للجن أو للشياطين واديا اسمه عبقر فيقول :

صاغه الرحمن ذو الفضل العميم
غسق الظلماء فى قاع سقر
ورمى الارض به رمى الرجيم
عبرة فاسمع أعاجيب العبر

وبعد أن يعرض فى مثل هذا النظم الرجزى سخريته من فكرة « القضاء والقدر » يخوض فى دفاعه عن ابليس — وكان ذلك قبل أن يكتب كتابا كاملا عنه بسنوات — مقررا فى شىء من الصراحة فى أن عقاب الله له لا يمكن أن يكون عادلا، ثم يهتف بعد مراوغة فكرية جدلية :

لا تطيل القول فالقول هذر
وحياة الناس والجن هباء
أن يدم للناس سلطان القدر
فعليهم ، بل على الدنيا العفاء
ثم يدفع بشيطانه فرق السلسبيل

وقد ركب مركبا يزجيه سلسال النغم، ومن حوله أرواح السلام تحف به مسبحة لله ، وهو ينقبض عن التسبيح لانه رافض ، اذ ما الجنة ، وما نعيمها ، وما قيمة الخلود فيها ؟

والنتيجة أن مسخ الشيطان الكافر المتمرد حجرا يفتن الناظرين ، مع أنه لم يكن الا على حق .

هكذا ملكك يا رب القضاء
دولة تحمى على طرف النظر
حظ من يدنو من المسير الشقاء
وسعيد من لها عنها استتر

على أن العقاد وهو يضع اللمسات الاخيرة فى منظومته ، يكشف عن أنه هو نفسه الجنى الذى لم يره أحد ، لانه مختبىء فيه ، ولانه يثيره على ما لا يجرؤ أحد على البوح به ... فيختلف الان ، وليبق العقاد فى تلك الصورة النقية التى لايرتقها كدر .

وانقضت بينهم سيرته
ومضى كالطيف أو رجع الصدى
باء بالسخط فلا شيعته
رضيت عنه ، ولا أرضى العدى
واذا كان الشىء بالشىء يذكر فليس

بد من ذكر شفيق معلوف فى هذا المقال ذلك الشاعر المغترب الذى أقام بسان باولو بعيدا عن لبنان ليعزف مع أخيه فوزى على أرق الاوتار الشعرية وأكثرها ذهابا الى الاعماق لانها بنت التراث العربى العظيم .

كتب شفيق معلوف « عبقر » فى ستة اناشيد ، ثم اتبعها بستة اناشيد

اخرى ، فأصبح مجمرع عبقر الجديدة اثنى عشر نشيدا كبيرا صدر أوله بقالتين احداهما « زعموا أن عبقـر موضع مجهـــول هو أرض الجن

وثانيتهما « رووا أن لكل شاعر شيطانا يوحى اليه بالشعر » فكأنه فى تينـك القولتين قد جمع الفكرة من طرفيها ، وتمكن من أن يبسط تلك الفكرة فاذا

هى وجهة نظر عميقة فى الحياة ... وليس يغض من ذلك النظر أنه شىء كالحلم ،وان مبعثة شيطان الشاعر، الا ...

ما الفرق فى نومى وفى يقظتى
وكـل ما فى يقظـــــاتى رؤى
وما يظهر من ثم من « كائنات »

انما هى واقع « له ابعاده ومراميه ، وليس ينبغى أن يؤخذ مأخذ الهـراء أو الهوس أو العصاب و ما يجرى هذا المجرى من تسميات .

قلت لشـــــيطانى أمن خالق
برزت لى أم من شقوق الثرى
فقال انى جئت من بقعــــة
خافية تدعونها عبقـــــرا
تسوس فيهـــا الجن عرافة
ترى بزجر الطـير ما لا يرى
الشـــــعر ولاها شياطينه
فسادت الهراجل والهـوبرا
تلقوا السعالى امرها كلمـا
اجبت المنـــدل والعنبرا
جن من النـــور جلابيبهـا
فى كل سـعلاة ترى نيرا
ولا باس من قبول تلك المفارقة

فليس الجن هنا بمختلفين عن الملائكة، أولئك من نور ، وهؤلاء من نور ... ولا بد أن يكون الامـــر كذلك ، لان الشاعر هنا لن ينطق عن هوى ، وانما هو يصدر عن معرفة من أجل احقـــاق المعرفة ، ولنتفق على أن من الجن من هو أصلح لامور الحياة من الانسان

نفسه .. ولقد صرحت عرافة الجن بذلك للشاعر وهو يرتاد مع شيطانه وادى عبقر ، فقالت له :

وددت يا شاعر لو اننى
أطلقت ثعبانى .. لا يتثنى
عنك فيرديك
ولكننى
أخشى على الثعبان
من غدرك
جعلت نفسك أعلى
فى الارض من ربك
لأنت ويحك .. مهما
بدلت من الوانك
أعمى ..

ولم تستطع « أميرة الجن » من أن تخفف من وطأة هذه الحملة الضارية على الانسان ، حتى برغم اشتهاءاتها

مع انها ذرة من ضياء ، بلْ برغـــم كونها « زفرة الله قد صعدها فوق لباب الجلد » .. لهذا كان لا بد أن يرتحل

الشاعر مع شيطانه ليلتقى سرحوب الاعمى ، الجنى الذى يسكن الانهار والبحار ، فيجابهه هذا بقوله مشيرا الى البشر اشارة سخط :

يا ايها الهـــائمون
برؤية الاســـحار
والمالئون الاعيـــون
ببهجة الانـــوار
ما كنتم تخبطـــون
فى لجـــة الآثام
لو انـــكم تبصرون
مثلى فى الظـــلام

الجن والملائكة



هوميروس

وتستمر الرحلة على هذا النحو ، فتتداعى الينا كل حكايات الجـن القديمة ، وكل مراقف الشـعراء ـ وبخاصة « دانتى » الايطالى ـ فى عالم ما تحت الارض حيـث الموتى والكائنات الغريبة ، وحيث الانهـار المخيفة التى منها نهر « الغى » الذى اشار المفسرون الى أنه يجرى فى جهنم والاودية المرعبة التى من قبيلها وادى « سحين » يرتاده من الجن ابنـاء ابليس الخمسة وهم : ثبر شـيطان الحروب ، داسم شيطان التقائض ، اعور شيطان الشهوة ، مسوط شيطان الكذب ، وزلنبور شيطان المال .. وهؤلاء لا يمتون بصلة لهوبر شيطان الايحـاء ، وهوجـل الشيطان الذى يفسده ، وهراء الشيطان الموكل بقبيح الكلام ... وكلهم خاطب الشاعر بما أقلقه وما ملأ قلبه روعا .

ويبدو ان الشاعر لما يقتنع ذلك بالصورة التى رسمها كل من النقاد في عالم الجن، فما كاد يصل الراحل الكهوف الغامضة حتى صاح :

يا صاحب الجن
خـرافة الراوية

هات فحـدثنى
عن قصص البادية

ولم يكن ذلك الا هــروبا من شر ما سمع وما رأى ، وكانت الرحـلة الى الماضى بمثابة مقابل للواقع المرير الذى يعيشه ، فانفصم الشاعر غير أنه ظل متشبثا بأهداب المعرفة ...

يريد أن يتلقاها من هؤلاء الذين ماتوا من رفات العبـاقرة منهم وهياكلهم وجماجمهم ، فقالوا « حسبك الحب » .. أو هكذا صاحت العظام ، وكان صياحها مبعثه ماعاشوه على الارض وما علق بهم من تذكارات

عشنا مع الناس دهرا
نحلم بالشباب

واليوم والعمر مرا
وضمنا التراب

نعيش فيهم بذكرى
احلامنا العذاب

والمطولة على هذا النحـو توظيف لا بأس به لفكرة الجن ، وتحميل عليه ما يمكن أن يطرح حول القضـايا الانسـانية الكبيرة ، وفى رأينـا أن الشعراء الذين خلقوا المعـلوف لم يكونوا اكثر منه ايغالا فى ذلك العالم اللامرئى ..

بل راحسبهم كانوا اقل منه ضربا فى هذا الباب ، وذلك لانهم ـ وقد غاب عنهم تراثنـــا لاكثر من سبب حضارى ـ جنحـوا الى خرافات الاغريق واللاتين واستغلوا «موتيفاته»

الجن والملائكة

العالم الاخر وعوالم الردة والجن والعفاريت عن طريق هوميروس وأوفيد ونحوهما !

***

ولكن أين الملائكة بعد ذلك أو قبل ذلك ؟

لم يحاول احـــد ـ الا الشعراء غالبا ـ ان ينزلهم من عليائهم ، منذ اقترنوا بالخير فى أساطير الشعوب القديمة والى أن تحدث عنهم الكندى والفارابى وغيرهما من فلاسفـــة المسلمين ... بل ان الشعراء انفسهم لم ينزلوهم فى الحقيقة، وانما ارتقعوا

هم اليهم ، فشبهوا حبيباتهم بهم ، وشاعت كلمـــة « ملاكى » فى تلك الغزليات العربيـــة التى تسربت الى

أوربا ـ فى العصـــور الوسطى ـ وأوجدت كثيرا من القيم التعبيرية عند الطروبادور ثم شعراء السرنيتات ..

واجترأ اكثر من شاعر فاقحم عليهم نفسه ، تماما كما فعل فوزى معلوف

فى مطولته « على بساط الريح » حيث قال فى أول أناشيدها الاربعة عشرة :

فى عباب الفضاء فوق غيومه
فوق نسره
ونجمته

حيث بث الهوى بثغر نسيمه
كل عطره
ورقته

موطن الشاعر المحلق منـــذ
البدء لكن بروحه لا بجسمـــه
انزلته فيه عروس قوافيـــه
بعيـــدا عن الوجود وظلمه

وهذا حـــذوه على محمود طه فى مطولته الرائعة « ارواح واشباح » حيث رفع الشاعر الى العباب فوق الغيوم وفى فيض النور ، أو فلنقل، اطلعنا على روح الشاعر قبـــل ان تحل فى بدنها وتهوى الى الارض فى لحظة الميلاد والعذاب ... وفى هذا العـــــالم السرمدى المفضض المهوم تلقن الشاعر كل أسباب المعرفة والحب والتقى بكل ما يمكن أن يزيد تجربته خصوبة وعذوبة .

والحقيقة أن الشـــاعرين ـ فوزى وطه ـ كانا يتفقان على أن الشـــاعر صنو للملائكة ، وفى عالمهم يعيش :

ليت شعرى ما الشاعر اين لهذى
الارض الا بلحمه .. وبعظمـــه

ولكن فوزى كـــان اكثر واقعية من على محمود طه فى أرواحه وأشباحه، ذلك انه افترض ان الشـــاعر ضاق بالارض وباهل الارض بعد ما كثر من شرور نتيجة التقدم الحضارى الذى احرزته المدن الصناعية .. ومن ثم راح يتلمس عالما قريبـــا فى السماء يفيض الجلال عن جانبيه ، وفيه لا بد أن يستقر ـ لانه اساس مستقر الارواح ـ برغم ما بين جسده وروحـــه من اختلاف فى الطبيعة والجوهر ...

فالجسم الترابى عبد مقيد ، وروحـــه الاثيرية ملاك حر ، ترفض قبضـــة العبودية ، وتدع للشـــعر أن يطلق جناحيها الى الخلود !

غير أن هذا التهـــويم لم يبعده عن تلك الواقعية التى انحنا اليها ، وكان قد رأى فى الطائرة نيفـك الجناحين المتشودين اللذين يزاحم بهما الطيور ، ياله طائرا بصورة شيطان» ويجعلان النجوم تتساءل :

من يحوم
من البعيــد
أهو نجم مذنب أم مخيل
فى النجوم
وما يريد

وبين اليقظة والنوم حتى لكأنه فى الحلم نشوان ، طوقته الاشـــــباح باختلاج كأنه اجنحة النحل ، وغمرته بالقيم بقدر ما احتوته بالريح ، واذا أرواح تتكلم وتحتج وترفضه :

اطردوه

عن السماء
هو فى الارض حفنة من تراب
فأبوه
طين وماء

وتكون النهاية ·· لا أمل ، فقــد أصرت الارواح ، وباصرارها تخطىء وتكون تلك خطيئتهـا الاولى فى عالم الاملاك ، وتتبرى روح الشاعر نفسه تخلصه الى الارض !

ومن النوافل بعد ذلك أن تقول شيئا فـــــان الملائكة ـ اذا اخرجناهم من مجالات التشبيهات الشعرية ومجازات البيان ـ يظلون اقـــل اثارة لاديب العصر بوجه عام ··· ويتقدم الجن بامامة الشيطان صـــورا أسرة على ما فيها من اقرار بالذنب ··· فهو يوسوس له من حيث لا يراه ،ويجرى من سريرته مجرى النفس الذى يأخذه أو يتخبطه على هـــــواه ، ويكابده بالامراض ، أو يسلط عليه الاوبئة ، أو يجره الى متاهات الجحيم ، وليس ثمة أروع من جحيم دانتى أو جهنم أبى العلاء !

ومع ذلك يظل عمل شعرى يحتاج منا الى وقفة خاصة ، وهذا العمل الشعرى قدمه الشاعر على أحمــد سعيد بعشـــران « السماء الثامنة ، رحيل فى مدائن الغزالى ·· »

وليس لنا أن نتساءل هنا : ولماذا الثامنة، ولماذا مدائن الغزالى بالذات، فان الامر مع هذه الرحلة ـ لايتعرض لمثل ما تثيره الاجابة ، فضلا عن أن الشاعر نفسه قد لا يدرى أحيانا ماذا يدفعه الى الغيبيات مع انه قادر على التصوير الشعرى ·

والسماء الثامنة فى جملتها تعتمد على الفولكلور الاسلامى ولا تخطىء الطريق الى الاصابع التى زانت فى ولقد يكون فى الشاعر وقاحة ، ولكنها وقاحة الفنـــــان الذى يوظف التراث بالقدر الذى يسـمح له بأن « يضيف » الى الاصل ملامحـــه الخاصة الجذابة ·· وهنا نحس على الفور أن ملائكة الشاعر لم يكونوا أكثر من معادل للقضية التى يطرحها الا أن المعادل ـ وهو عالم خاص له أصاقه وحدوده ـ مغزول بخيــوط فولكلورية لا نعـــدم فيها اللمحة الصافية ·

***

وبعد ، فنحن لم نقـــل شيئا فى السماء الثامنة التىعنون بها الشاعر قصيدته ·· ذلك أنه بعد أن طوف فى الزبرجد وارتقى مدارج الياقوت جاءته الملائكة برفرف طار به حتى انزله فى حضرة مولاه ونودى بأن : لا تخف ! وهنا ، وقد أخذ الشاعر يخاطبــه على أنه مولاه زين العابدين ، فاننا أمام حديث ليس كحديث الملائكة ·· فلنسكت عنه ، خاتمين جولتنا لاننا لا نجد جبريل يودعنا أو يقول لأى منا حدث بما رأيت ·

د. سامية أحمد أسعد



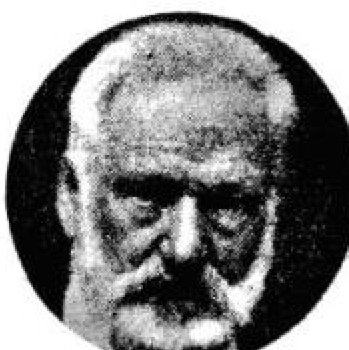
ملائكة وشياطين فى الأدب الفرنسى

فى التراث الدينى ، والادبى، والشعبى الفرنسى ، يحمل الشيطان اسماء متباينة ، أشهرها : ساتان ، وديمون وعفريت ومفستوفيليس وعند الاغريق وعند الشاعر الفرنسى الكبير فيكتور هيجو فى ديوانه الملحمى «نهاية الشيطان» (١٨٨٦) ، نرى الحرب الازلية بين الخير والشر ، وهى فى سبيلها الى الزوال ، شيئا فشيئا . ويتغلب الخير فى النهاية ويؤكد الشاعر ان الله ، قبل شفاعة الملاك « حرية » - التى نشأت - عن ريشة افلتت من الشيطان اثناء سقطته - وغفر للشيطان وأعاد اليه مكانته القديمة كملاك يسكن السموات .

ويقترب هذا المفهوم من مفهوم « ألفريد دى فينى » فى قصيدته « الوا » ، حيث يجر الشيطان الملاك « الوا » الى الجحيم . وتشفق « الوا » الناشئة عن دمعة من دموع المسيح على الملاك الساقط . ويخضاع الشيطان لرغبتها فى النهاية ، ويصعد الى السموات ، ويزول الشر معه . وهكذا يجب ان تكون نهاية الشيطان ، عودة الى ربه ، عملا لخير الانسانية وسعادتها » .

اذا بحثنا عن الملائكة فى الادب الفرنسى ، فلن نجد منهم الكثيرين ! .. صحيح ان كل مايتعلق بالملائكة من صفات ، ومقارنات ، ورموز يكاد يوجد فى كافة كتابات الادباء . لكن ظهور الملائكة بوصفهم ملائكة قليل للغاية ، وان ظهر ملك ، فدائما الى جوار الشيطان ، وكطرف من طرفى صراع قد ينتصر فيه الشر احيانا وينتصر فى نهايته الخير دائما . ولعل هذه ظاهرة تستوقف النظر وتحتاج الى تفسير .

فيكتور هوجو



تميز القرن الثامن عشر الفرنسي بتيار أدبي هام التفت الى السحر ، والشيطان ، والغيبيات عامة ، وظل حيا بالرغم من أن هذا القرن كان قرن العقلانيات ...

وتنتمي الى هذا التيار قصة غريبة تجمع بين الواقعية والخيال ببساطة تبعث على الدهشة ، انها قصة « الشيطان العاشق » التي نشرها « جاك كازوت » عام ١٧٧٢ تتخذ القصة شكل اعتراف يرويه شاب اسباني نبيل ، « دون الفار » ، تقول انه كان في الخامسة والعشرين عندما كان قائدا للحرس الملكي في نابولي وبدأ يهتم بالسحر والسحرة وعرض عليه احد رفاقه ان يخوض تجربة فريدة من نوعها ، بشرط الا يخاف وان يحتفظ برباط جأشه ويؤدي « الفار » الطقوس اللازمة في معبد بعيد قديم ، وينساق لها الى ان يجد نفسه ينادي الشيطان . وكان يظن الشيطان في بادىء الامر ذا شكل مخيف ، ورأس جمل كبير لكنه يجده يتحول شيئا فشيئا ، ويتخذ اشكالا افضل ، الى ان يصبح فتاة جميلة ، تدعى «بيوندتا» ترافق الشاب ولا تفارقه ، يقول « الفار » .

« نطقت بالنداء ، بصوت واضح رصين ، وناديت بصوت واضح رصين ، ثلاث مرات ، تفصل بينها لحظات قصار يا شيطان ، سرت رجفة في عروقي ، ووقف شعر رأسي . وحالما انتهيت ، انفتح شباك في أعلى القبة على مصراعيه ، أمامي ، وانقض من الفتحة شلال من ضوء أكثر بهرا من ضوء النهار . وظهرت في الشباك رأس جمل مروعة ، من حيث الشكل والحجم ، خاصة ان كان له اذنان هائلتان ... وفتح الشبح البغيض فمه وقال ، بصوت يتفق مع شكله العام : «ماذا تريد» ؟

لا استطيع ان اصور موقفي لا أستطيع أن أقول من الذي شجعني وجعلني لا أسقط مغشيا علي ، ازاء هذا المشهد وهذا الصوت الرهيب الذي دوى في أذني ... وشعرت ان لا بد من استعادة قواي . وبذلت شيئا من الجهد ...

« اخيرا سيطرت على رعبي وثبتت نظراتي الجريئة على الشبح وقلت : « ماذا تريد أنت يا متهور بظهورك في هذا الشكل البغيض ؟ » فتردد الشبح لحظة وقال بصوت خفيض : « لقد طلبتني ! » فقلت له : « أيحاول العبد تخويف سيده ! اذا كنت قد جئت لتلقي أوامري فخذ شكلا مناسبا وتكلم بلهجة الخاضع المطيع ! »

قال الشبح : « وأي شكل اتخذ يا سيدي كي أعجبك ؟ » كانت فكرة الكلب أول فكرة عنت لخاطري فقلت : « فلتأت في شكل كلب » . وما كدت أصدر الامر حتى مد الجمل المخيف عنقه الطويل ، وخفض رأسه حتى بلغت وسط الصالون ولفظ كلبا أبيض حريري الشعر أبيضه ، تكاد تبلغ أذناه الارض !

وزالت الرؤى ولم يبق تحت القبة المضيئة الا الكلب وأنا » . وتتوالى حوادث القصة .. ويضطر الفار ان يغادر نابولي ، بعد أن اتهم بالسحر والشعوذة والهرطقة ويذهب الى فينيسيا حيث يحيا حياة كلها لعب ولهو ويتغلب على كافة الصعوبات كل هذا بفضل النصائح التي تسديها «بيوندتا» اليه . وتعمل الفتاة على اغوائه لكنه هو يقاومها ، وان لم يستطع طردها .. وتروي له الاكاذيب زاعمة انها مسحورة ، وانها لن تفلت من مصيرها المخيف الا اذا اتقذها حب انسان . لكن الشاب يجد في استقامته ، والتربية التي

تلقاها وتذكرى أمه الحبيبة ، القوة التي تمكنه ، لا شعوريا من الافلات من كل الشراك التي تنصب له ..

ويقول الفار للفتاة انه سيأخذها الى اسبانيا ، ويعرفها بوالديه ، ويتزوجها . وعبثا تحاول الفتاة تأجيل السفر بالتجائها الى احداث خارقة للعادة . وعبثا تحاول ايقاع الشاب في الخطيئة التي قد تسلم لها روحه بلا رحمة ... وبعد سلسلة من المعجزات الذاهلة ، تختفي الفتاة فجأة على بعد بضعة كيلو مترات من قصر « الفار » .

ويروى الشاب القصة لامه . فيقول له احد العلماء انه شاب محظوظ ، لانه عاش عاما كاملا الى جوار الشيطان « بيوندتا » وافلت بمعجزة من كل الفخاخ التي نصبت له ، وتحدث اثنان من الشعراء الرومانسيين عن الملائكة . اولهما الفريد دى فينى في قصيدته « الوا » السالفة الذكر، التي تجيب على اليأس الذي احس به الشاعر عندما كتب قصيدته « موسى » . تستوحي القصيدة اسطورة قديمة تقول ان « الوا » اخت الملائكة ولدت من دمعة من دموع السيد المسيح ، كما قلنا تسمع « الوا » قصة « لوسيفر » الملاك المتمرد الذي راح يكفر عن جريمته في الجحيم . فتشفق على هذا « المسكين » . واذ تحوم حول جهنم ، تشعر بميل نحو ملاك شاب ، حزين ، ساحر ، يقدم لها نفسه على انه يعصى الله من اجل خير البشر . ويبوح لها بحبه . فتقترب منه « الوا » وتجعله يندم ، اذ يرى براءتها ، ويذكر كل ما كان عليه من براءة وطهر فيما مضى . لكنه يتمالك نفسه في اللحظة التي اوشكت فيها « الوا » ان تنقذه .. وعندما يرى انها توشك ان تهرب منه يستبقيها ، ذارفا الدمع الخادع . فتشفق عليه ، وتهبط معه الى الجحيم ، وتكتشف ، ولكن بعد فوات الاوان - ان من اغواها لم يكن سوى الشيطان !

تتحدث « الوا » عن الشفقة التي لا تتراجع امام اى شيء ، وتريد الخلاص للجميع حتى الشيطان ، تتحدث عن الحب الذى يريد ويطلب الغفران للعالم . لكن عبثا تحاول « الوا » ، وتمرت من جراء جرأتها ، دون أن تشكو .

اما الشاعر « لامارتين » فقد كتب رؤيا عنوانها : « سقوط ملاك » عام ١٨٣٨ قصيدة من خمسة عشر تتحدث عن ازمنة بعيدة عاش فيها الملاك « سيدار » ، وعشق « دايدا » الفتاة التي يحرسها . ويهجم على الفتاة سبعة من الصيادين . ويهب الملاك لنجدتها ، فيتخذ الشكل الانساني ، ويتغلب ، بالعقل ، على ستة من الصيادين . ويبقى سابعهم « دجازيد » اكثرهم قسوة وشرا . وبما ان « سيدرا » ، قبل ان يتخذ الشكل الانساني ، فانه لن يستعيد خلوده الا بعد الف عام من العذاب والالم على وجه الارض .

يعشق « سيدار » ، « دايدا وتعشقه . لكنه يعرف العبودية ، ويذوق الوانا شتى من العذاب ، من اجل « دايدا » .. ومعهما سعى « سيدار » بحثا عن السعادة . لكن عبثا فعل . وها هو ذا يشهد بعد مغامرات عدة - «دايدا» وهى تموت

عطشا فى الصحراء، مع الطفلين اللذين انجبتهما منه . ولسوف يظل يعيش فى الارض حتى يكفر عن ذنبه فى اتخاذ شكل الانسان حبا فى امرأة .

نشر ديوان « فيكتور هيجو » الملحمى ، « نهاية الشيطان » عام ١٨٨٦ ، اى بعد وفاته . ويتكون الديوان من مجموعة لم تكتمل من القصائد الملحمية ، والغنائية ، يصعب رسم خطة عامة لها . ولا شك أنه من أعظم أعمال هيجو ، وأنه يمكن ان يوصف بأنه « كوميديا الهية » حديثة . ويعتبر هذا العمل عملا دينيا ، بل كاثوليكيا .

يمكن أن نقول باختصار أن هذه الملحمة تتكون من ثلاثة أجزاء متتالية يستوحى أولها التوراة وما سبقها وعنوانه « السيف » ... ويستوحى ثانيها الانجيل وعنوانه « المشنقة » ... ويتخذ ثالثها شكل النبوءة . والحقيقة أن أول جريمة عرفتها الانسانية ــ قتل قابيل لاخيه هابيل ، هى التى أوحت لشاعرنا هذه الرموز الثلاثة فهو يتصور أن هذه الجريمة ارتكبت باستخدام ادوات ثلاث مسمار وعصا ، وحجر ، ثم تحول ثلاثتها الى سيف ، سلاح نمرود المتمرد ، ومشنقة صليب المسيح الضحية ... وسجن الباستيل ...

وفى خاتمة الديوان ، تتدخل الملاك « حرية » ، لكى يشفع عند الله للشيطان وفيما عدا المشاهد الملحمية حقا ــ عنوانها على سبيل المثال « سقوط الشيطان » « الشيطان فى الليل ومشهد يطلب فيه الرحمة الالهية ــ فانه يجدر الوقوف عند الجزء الثانى من « المشنقة » . حيث نرى ، فيما يقول النقاد ، اجمل واصدق تفسير للعهد الجديد .

وتذوب كل المآخذ التى اخذها علماء اللاهوت على « هيجو » امام روعة هذه اللوحات ، حيث عبر الشاعر عن احترامه وحبه للمسيح بطريقة لم يرتق اليها الا نفر قليل من الرسامين والنحاتين .

ولقد قيل ان « نهاية الشيطان » تشتمل على اجمل ما كتب « هيجو » من أبيات ها هو ذا على سبيل المثال ، بعض منها :

« ظل يسقط فى الجحيم اربعة الاف عام . لم يكن قد استطاع الامساك بقمة بعد او رفع جبهته الهائلة مرة واحدة . كان يغوص فى الظلمة والضباب ، مرتاعا ، وحيدا ، وفى الليالى الخالدة ، سقط وراءه ريش جناحين ، رويدا رويدا . سقط مصعوقا ، مكتئبا ، صامتا ، حزينا ، مفتوح الفم ، متجه القدمين الى السموات ، وهول الجحيم مرسوم على وجهه الشاحب . صاح : الموت! وانبسطت ذراعاه ممدودتان الى الظلمة الخاوية . وصارت هذه الكلمة انسانا سمى قابيل . سقط . وفجأة ارتطمت يده بصخرة ! فقبض عليها كما يقبض الميت قبره . وتوقف . صاح أحد ، من اعلى : اسقط ستنطفىء الشموس من حواليك ، يالعين! وضاع الصوت فى الهول الهائل ، ونظر الى الفجر



الفريد دى فينى

الخالد ، شاحبا • كانت الشموس بعيدة ، لكنها لاتزال تلمع • رفع الشيطان رأسه وقال ، رافعا ذراعيه – انت كاذب !••• وصارت هذه الكلمة روح يهوذا • وانتظر الف عام ، وعيناه مثبتتان على الكواكب ، كأنه اله من صلب واقف على عمده• كانت الشموس بعيدة ، لكنها لاتزال تلمع • عندئذ ، زمجرت الصاعقة في السموات الصماء الباردة • وضحك الشيطان ، وبصق ناحية الرعد • فارتجفت اللانهائية ، تملؤها الظلمة البصيرة وصارت البصقة باراباس !» •

ونشر جورج برنانوس روايته «تحت شمس الشيطان» عام ١٩٢٦• تبدأ الرواية بمقدمة تأخذ شكل السرد ، ولا نرى ، في بداية الامر ، علاقتها بباقي القصة • يستولي الملل على فتاة ريفية تدعى «موشيت» ، فيدفعها حب المغامرة، أو لعله التمرد على حياتها اليومية الرتيبة ، الى أن تهب نفسها لشاب ارستقراطي ، «الماركيز دي كادينيان» ، وتحمل منه ، ثم يهجرها • ولكي تنتقم منه، توهمه انها عشيقة نائب المنطقة . وتتشاجر «موشيت» مع الماركيز ، وتقتله • وتصبح عشيقة النائب فعلا، وتعترف له بجريمتها ، لكنه لا يصدقها • وتلد طفلا ميتا ، بعد أن تستولي عليها نوبة هيستيرية •

هاهي ذي دلائل امتلاك الشيطان لها : انها عاجزة عن الافضاء بما في نفسها ، والجميع يرفضون تصديق قصة جريمتها ، وهناك جزء من نفسها مغلق أمام البشر ••

ثم نرى ، في الجزء الثاني من الرواية ، قسا ريفيا قلق النفس ، يعشق التقشف ويغريه اليأس ، انه الاب «دونيسان» • يقبل القس في ليلة كأنها الكابوس ، ويخرج من عالمه المألوف • ويلتقي برجل عادي تبدو عليه الشهامة • ويتبادلان أطراف الحديث • عندئذ يدرك الاب «دونيسان» أن محدثه هو الشيطان، بلحمه ودمه ••• ويبدي له الشيطان حبا بغيضا • لكن أحد معارف القس يأتي وينقذه • ثم يلتقي الاب «بموشيت» ، في مشهد خارق للعادة : «موشيت» ، الفتاة الضالة، شبه المجنونة ، تخفي سرها • والاب «دونيسان» الذي وهب القدرة على قراءة ما في النفوس ، يكشف القناع عنه ، وينفذ الى ما يعتمل في اعماقها من حقد وكبرياء •

هاهي ذي اذن أمام عينيه ، هذه المتصرفة البريئة ، خادمة الشيطان الصغيرة لن تترك قدماها اثرا على الارض . اللهم الا جريمة واحدة • ان حياتها سر بينها وبين سيدها ، او بالاحرى ، سر سيدها الوحيد •

وتبوح «موشيت» بسرها ، وتحل عقدتها ، وتتمنى وجود روح الله في نفسها • لكن هذه الروح التي تجردت من كل شيء ، حتى جريمتها لا تجد سبيلا الا الموت ، وينتهي بها الامر الى الانتحار • هكذا التقت الشخصيتان ، وارتبط مصيرهما وتطلعهما الى المطلق • يعادل قلق القس امتلاك الشيطان «لموشيت» هذا ويتميز الاب «دونيسان» بأنه قادر على أن يعي تأثير الشيطان على النفوس ، خاصة أنه يلتقي بهذا الاخير في كل زمان ومكان : في النظرة التي تتحداه ، في الفم الذي



لامرتين

ينكره ، في القلق الصوفي الذي يستولى عليه ، الخ ... انه موقن أن الشيطان يسعى الى الوصول الى الله من خلال البشر . لذا اتراه ان لا بد من خوض معركة شخصية ضد هذا العدو .

ان « تحت شمس الشيطان » رواية القدسية والالم معا . ويبدو أن المؤلف يأخذ على العالم الحديث ، وعلى القساوسة أنفسهم ، عدم حديثهم عن الشيطان وذكره . ويعني هذا ، كما يقول ، نكران الحياة الداخلية العميقة . ويرى « برنانوس » فيما يرى ، أن للشيطان وجودا محسوسا ومرئيا . ولربما كان هذا سببا في عدم اقتناع القارىء به كل الاقتناع . ونلاحظ ، اخيرا ، أن شخصيات « برنانوس » لا تعرف الا بعلاقتها بالغواية والخلاص ، مما يجعل اى دراسة نفسية بحتة تمحى أو تكاد .

وفي النص التالي ، « تتنادى « موشيت » الشيطان ، يدفعها الحب والايمان :

« وعندما نادت من اعماق نفسها الحميمة نداء كان بمثابة وحيها لنفسها ، نادت الشيطان .

« وسواء سمعته اولا ، كان عليه أن يأتي في ميعاد بعينه ، من طريق مائل . نادرا ما يخرج الكوكب الشاحب من الجحيم ، حتى لو توسلناه ، لذا لم يكن بمقدورها ان تقول ، وهي نصف واعية ، لماذا تهب نفسها ، ولكن حدث ذلك فجأة . وتصاعد من جسدها البائس الدنس اكثر مما تصاعد من ذهنها . ان الشر العميق الذي ولده رجل الله في نفسها لحظة لم يعد الا لونا من الوان عذابها . كانت اللحظة الراهنة كلها قلق . كان الماضي فجوة سوداء . والمستقبل فجوة سوداء أخرى ... الطريق الذي يسير فيه الاخرون خطوة خطوة ، قطعته . وايا كانت تفاهة مصيرها ، في نظر كل هؤلاء الآثمين الاسطوريين ، فان مكرها الخافي استنفد كل الشر الذي كانت تقدر عليه ، ما عدا خطيئة واحدة ، الاخيرة . كانت قد [illegible] بسعيها نحوه ، منذ الطفولة . لم تكن كل خيبة أمل تحس بها الا تجربة لتحد جديد ، لانها احبته » .

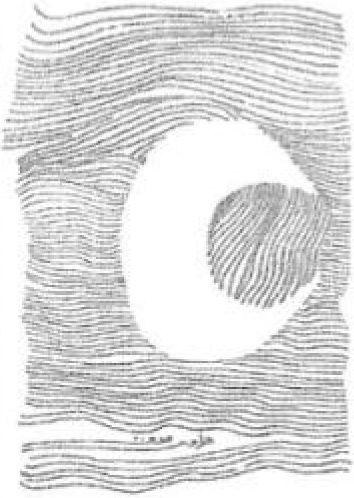
هذه بعض نماذج من الاعمال التي خصت الشيطان ، والملائكة بالدراسة والبحث . واذا القينا نظرة شاملة عليها جميعا ، وجدناها تدور حول مفهومي الخير والشر والصراع بينهما ، ولربما كان الخير شيئا طبيعيا ، بينما يتنافى الشر مع الطبيعة . ومن ثم كان الاهتمام بالملائكة اكثر من الشياطين . ولعب الشيطان في الادب دور العاشق ، ودور القوة الشريرة التي تسيطر على الانسان وتأسره ، ودور المتمرد الذي شق عصا الطاعة على خالقه . ونراه في القرن التاسع عشر وقد اتخذ اهمية خاصة ، وصوره الفنانون على انه رمز للثورة والتمرد وذلك « الانسان الاسمى » الذي تحدث عنه الفيلسوف « نيتشه » وجعلوا البعض يسكن ظلمات الجحيم الى الابد ، وخصه البعض الآخر بالامل في عفو الله وغفرانه .

الجن والملائكة في الأدب الشعبي العربي

فاروق خورشيد



ظهر الجن والملائكة في المأثور الشعبي العربي ظهورا واضحا منذ أقدم ما وصلنا من نصوص منقولة عن هذه المأثورات الشعبية العربية القديمة ... وجاء القرآن الكريم ليثبت هذه المعرفة وليؤكد وجود دنيا الجان ودنيا الملائكة التي عرفها العرب القدماء في مأثورهم الشعبي ، وبهذا اصبح الاعتقاد في وجود الجان والملائكة اعتقادا مثبتا بعد ان كان مجرد حكايات متناقلة موروثة ... ودخل الجان والملائكة عالم الكلمة من اوسع ابوابها سواء عند اصحاب الشعر او عند اصحاب النثر ، وبالتالي لعب الجان والملائكة دورا كبيرا فيما الف بعد هذا من ادب شعبي عربي قصصي ، سواء في الحكايات القصيرة التي جمعت في مجمعات قصصية كألف ليلة وليلة ، او في الاعمال الروائية الطويلة التي حكت التاريخ الاسطوري للشعب العربي فيما عرف باسم السير الشعبية كسيرة عنترة ، وذات الهمة ، والظاهر بيبرس ، والهلالية ، وعلي الزيبق ، وبالذات بدا ظهورها واضحا في سيرة سيف بن ذي يزن التي اعتمدت على عناصر الجن والسحرة والحكماء والكهان اعتمادا اساسيا ..



قبل أن نناقش قضية الجان في الأثور الشعبي العربي أو في الادب الشعبي العربي ، نحب ان نقف وقفة قصيرة عند الجان كظاهرة ثابتة ومتكررة في كل المأثورات الشعبية في العالم كله ..

والواقع ان اساطير شعب من الشعوب لا يمكن أن تخلو من حكايات الجان أو الملائكة وان اختلف ظهورها من ميثولوجيا شعب معين الى ميثولوجيا شعب آخر .. الا أنها في كل الاحوال ظاهرة متكررة ومعروفة في كل المأثورات الشعبية العالمية . وهي تأخذ شكل الالهة وأنصاف الالهة عند بعض الشعوب فتحفل مأثوراتهم الشعبية بحكايات عن الملوك الالهة التي تحارب ملوكا الهة أخرى في السماء والارض والبر والبحر ، وتتنازع معها السلطة ، وتعرف بينها وبين بعضها الحب والكراهية والخيانة والوفاء ، فالالهة تحب البشر ، ومن علاقاتها بها تتجسد أنصاف البشر الذين ينتمون الى العالمين فهم نصف آلهة ونصف بشر .. وتثور صراعات جديدة بين هذه المخلوقات التي تنتمي الى عالمين وبين الالهة من ناحية وبين البشر من ناحية وهي صراعات تدخلها كل العواطف التي يعرفها الانسان ففيها الحب والعشق والزواج ، وفيها الكراهية والحقد والايذاء ..

ونحن نجد أمثال هذه الظاهرة في الميثولوجيا اليونانية وكذلك في الميثولوجيا الهندية والفرعونية . ولكننا لا نكاد نعثر لها على اثر في المأثور الشعبي العربي ، على الرغم من الصلات الوثيقة التي انشأها هذا المأثور بالمأثورات الهندواوروبية المتمثلة في مأثورات فارس والاتراك والهند ، وكذلك على الرغم من معرفة هذا الاثور بالمأثورات الاغريقية عن طريق النقل والترجمة أو بالمأثورات الفرعونية عن طريق الاتصال والتجارة والتزاوج والرحلة والهجرات ...

والواقع أن عدم ظهور الالهة التي تحارب أو تتزاوج مع البشر عند العرب ، كما أن عدم ظهور البشر انصاف الالهة عندهم ، ظاهرة هامة تشير اشارة واضحة الى ان الميثولوجيا العربية لها استقلالها الخاص ولها مظاهرها المستقلة التي لا تجعل منها امتدادا لاي ميثولوجيا عالمية أخرى ، بل تجعل منها ميثولوجيا مستقلة لها مقدماتها وأسسها .

ونستطيع أن نقول أن تأصل فكرة الملائكة والجان في المأثورات الشعبية السامية بعامة وفي المأثورات الشعبية العربية بخاصة ، كان له دوره الهام في رفض هذا النوع من التصور للقوى الخارقة المؤثرة في الانسان ، أو للعلاقة بين هذه القوى الغيبية

المؤثرة صاحبة القدرات الخارقة وبين الانسان .

فمنذ البدء والانسان العربي مقتنع بوجود قوى خارقة خيرة هي الملائكة وقوى خارقة شريرة هي الشياطين ، وأن هذه القوى موجودة في عالمه ، وانها تلعب دورا هاما ومؤثرا في حياته . ووجود هذه القوى جعل الاله عنده في منزلة مقدسة لا ترقى اليها طموحاته في التعامل مع هذه القوى فالله هو الذي خلقه وهو الذي خلق هذه القوى الخارقة وهو أعلى وأمنع من أن يحاوله الانسان ، وأن شاء أن يتعامل او يحاول فأمامه هذه القوى الخارقة يجرب فيها خياله واحلامه في الوصول الى القدرة المطلقة .. ولهذا تذهب الميثولوجيا السامية والميثولوجيا العربية عن الخوض في حياة الآلهة ، وعن رسم صراعات بينها أو بينها وبين البشر، وانصرفت الى اسقاط كل هذه الصراعات على علاقاتها بالجان والملائكة .. وهبل واللات والعزى ، ومناة رغم انها التي ترمز الى قوى عرفتها وشعوب أخرى في بحثها عن الله ، الا انها جميعا توقفت عن خلق العلاقات بالبشر الا فيما ندر ..

فهبل الذي هو بعل أورياهو ، أو زع لم يدخل في حياة الناس في علاقات نقلتها الاساطير الشعبية ، واللات والعزى ومناة رغم رمزها الى الاهات القمر أو الزهرة و غيرها من الالهات التي عبدت في المنطقه السامية ، الا انه يندر أن ينقل عنها احداث لها علاقة بالبشر .

والقصة الوحيدة التي تنقل عن العزى والتي ينقلها مفسرو القرآن الكريم كحكاية عن الالهة الزهرة أو النجمة الزهرة ، انما ينقلها المفسرون باستنكار شديد .. وتنقلها كتب السير باستفظاع لعلاقة الزهرة بالملكين هاروت وماروت وما احدثه تدخلها في حياتهما من تدمير ، ثم بما قرمز اليه هذه الالهة من ضياع وعتبة تستمر الى الابد . والى عقاب رهيب ينزل بالملكين هاروت وماروت يستمر الى قيام الساعة ..

وفكرة الجان ارتبطت عند العربي القديم بفكرة وجود الكاهن الذي هو صلته بالاله ... فالكاهن في معبده هو الصلة بين البشر وبين الهتهم ، هو الذي ينقل اليهم رغبات الالهة وأوامرها ، وهو الذي يحمل الى الالهة تضرعات البشر وأمانيهم ... والكاهن هنا بحكم كونه صلة بين الالهة والناس صاحب قوى متعددة وهامة .. فهو الذي يحدد الطقوس التي ينبغى ان تؤدى للالهة لترضى وهو الذي يحدد القرابين التي ينبغى أن تؤدى الى الالهة لتستجيب لرغبات البشرية ، ثم هو الذي ينقل اوامر الالهة وكلمتها ، وهو الذي يستطيع أن يتنبأ عن طريق علاقته بالالهة بما يحدث للبشر من أحداث وما يقع في حياتهم من أحداث مهمة ومؤثرة ..

ومن اهنا ظهرت عند العرب الكهانة والعرافة ، وبرز عندهم سحر الكهان، ومن هنا ظهر السحر كسر خاص يعرفه الكهان ويستطيعون عن طريقه أن يتحكموا في الالهة وفي الناس على السواء .. فالسر هنا وفي هذه المرحلة بالذات مجموعة اسرار يعرفها الكهنة فتفتح لهم افاق المعرفة التي لا يورثها البشر العاديون ، وهي في نفس الوقت معرفة مؤثرة في الالهة ، تحمل قوى معينة تستطيع أن تلعب دورها في تكوين قرارات الالهة

تجاه الاشياء ، فتشفي المريض او ينزل المطر او ينبت الزرع او ينجح الغزو اذا ما مورست طقوس هـذا السحر الذى هو ناجح التـأثير فى قوى الالهة ، وناجح في التأثير في قرارات هذه الالهة واحكامها ٠

والكهنة لايؤثرون بذواتهم طبقـا لطقوس السحر فحسـب وانما هم يؤثرون ايضـا بحكم تحكمهم فى مخلوقات ذوات قوى فائقة تحمـل ارادتهم وتلبى اوامرهم ٠٠ ومن هنا ارتبط السحر بوجود مخلوقات أخرى تحيا فوق الارض غير البشر وتحمـل قوى خارقة ، وهي في نفس الوقت تؤثر فى حيوات البشر بحكم الارادة المسلطة عليها من الكهنة أو السحرة ، وهذه الكائنات موجودة دائما وان كان الانسان لا يراها ، وحياتها تشـابه حياة الانسان ، وهى لهذا تسـتطيع التأثير فى حياة الانسان ٠٠

وخلق الوجدان الانسـانى صورة الجنى ليضفى عليها كل الصـفات التى تنقص ، فالجان من نار والانسان من طين ، وهى تطير وتحلق وتقطع المسافات البعيدة فى الازمنة القصيرة بينما الانسان محدود الحركة ، وهى تستطيع ان تعرف الغيب لانهـا تسترق السمع فى السماوات ، كما انها تعرف كنوز الارض وخباياها ٠

واختلطت صورة الكاهن بصـورة الساحر ، كما اختلطت قدرات الكاهن فى الاتصال بالاله عن طريق الساحر بصورة الساحر والذى يستطيع ان يسخر الجان فى خدمة اهدافه وتحقيق أوامره ٠ ولم يعد الساحر مجرد رجل يعلم قوى الطبيعة ويسخرها بحكـم علمه او حكمته ، وانما غدا الساحر قادرا بحكم ما يعرفه من اسماء على تسخير الجان لتحصـل له على ما ينقصه من علم وحكمة ٠٠ وفكـرة تسخير الانسان لقوى الشـياطين موجودة فى المأثور الشعبى العـربى والسـياسى كله ، وهى نابعة من شخصية سيدنا سليمان الذى سـخر الله الريح والطير والوحش والهوام والجان ٠

وكان سيدنا سليمان يتحكـم فى الجن عن طريق خاتمه السحرى ، ولهذا لعب هذا الخاتم دورا كبيرا فى الادب الشعبى العربى بعد ذلك ، كما تبرز شخص وزير سيدنا سـليمان المعروف باسم اصف بن برخيا فهو الذى دون الاسرار السحرية وخبـاها تحت عرش سليمان ٠ وكذلك يلعـب البساط السحرى لسيدنا سليمان دوراً هاما ، فهو بسـاط طائر يحمله من مكان الى مكان ، ومن فكرة طيران البساط ظهرت فى السير الشعبية وفى الف ليلة وليلة أكثر من اداة تطير ، اما بذاتها ، واما بالسـحر ، واما لان الجان يقومون بحملها بحـكم حصول البطل على اداة تسخر الجان له ٠ كما ان المأثور الشعبى نقل ان سيدنا سليمان حارب الجن الكافـرة وحكم على من ادانه منها بالسجن الى نهاية الكون ، ويجىء هـذا الحبس بوضع الجان داخـل قمقم يرمى فى البحر ليظل هناك الى الابد ، وعلى القمقم كلمات وطلاسم تمنع خـروج الجان وتمنع تخلصه من سجنه ٠

وفى الادب الشعبى العربى انعكست كل هذه المأثورات الشعبية عن عالم الجن وعلاقاتها بعالم البشر ٠ وعن القوى التى يملكها الجـان ، وعن امكان ان يتحكم البشر بحكم معرفته بالسحر فى دنيا الجان ٠

وفى الف ليلة يلعب خاتم سليمان او خاتم الملك دورا هاما ، فى حياة البطل حين يعثر على هذا الخـاتم

فيدلك الخاتم ليظهر له الجنى مطيعاً لأمره وملبيا لرغباته ومحيلا اياه من صعلوك فقير الى غنى طائل الغنى ، ومن عاجز مهمل القدر ، الى صاحب سلطان وقوة ومكانة كبيرة ·

وفى سيف بن ذى يزن نجد اللوح المرصود يحل محل خاتم سليمان ، فحين يمسك سيف بن ذى يزن اللوح ويدلكه يخرج له خادمه عيروض الجنى ليصبح خادما مطيعا لاوامر سيف ، لا يستطيع ان يخالف له أمرا طالما ملك هذا اللوح والا احرقته اسرار الكلمات المنقوشة على اللوح والتى خطها الوزير آصف بن برخيا وزير سليمان بن داود · فاذا ما فقد سيف اللوح أصبح عيروض خادما لمن يملك اللوح ولو كان من اعداء سيده القديم ·· فولاؤه مرتبط باللوح وما عليه من (رصد أو من أسرار سحرية ·· وعيروض الخادم قادر على ان يحمل البطل فى رحلات خيالية طائرا به فى السماء وقاطعا المسافات البعيدة بسرعة فائقة ، وهو ايضا يحارب فى صفوفه فيوقع فى اعدائه البشر الرعب ، كما يوقع فى اعدائه من الجان اشد الخسائر لبطولته وشجاعته ، وعيروض الجنى يحب جنية اخرى هى عاقلة اخت الملك سيف ، ويتعاون معها فى خدمة اخيها ·· كما يطلبها ليتزوج منها فترفض لانه خادم حقير وهى بنت الملك الاحمر من كبار ملوك الجان، وتدور مغامرات طويلة ومثيرة والملك سيف يحاول ان يقنع عاقلة بالزواج من عيروض الذى يؤسر وهو يحاول الحصول على مهرها ، ويحاول سيف بن ذى يزن تخليص تابعه الجنى الاسير فى سلسلة من المخاطرات المحفوفة بالمهالك ·

وعلاقة سيف ليأقعه نوع آخر من علاقة الانس بالجان فى الادب الشعبى العربى ، وهى تشبه الى حد كبير ما يعرفه العامة فى الفولكلور المصرى فى حدوتة (الست الميزرة) فحين يترك سيف بن ذى يزن الطفل عند اوانى الماء فى أسفل قصر الملك افراح تختطفه جنية تعجب بشكل الطفل وتربيه ثلاث سنوات مع طفلتها المولودة حديثا والتى تقاربه فى السن وهذه الطفلة هى الجنية عاقلة وبهذا تنعقد روابط الاخوة بين سيف الانسى وعاقلة الجنية وتصبح اخته هذه اكثر اعوانه اخلاصا له وحبا فيه ، وهى تترك ملك ابيها الملك الاحمر لتتبعه فى مغامراته الكثيرة ، تنقذه وقت الخطر وترشده عندما يغلق امر من الامور عليه · وعاقلة هنا جنية مؤمنة لا تخضع لطلسم ولا يرغمها سحر معين على خدمة الانس ، وانما هو حبها لسيف الذى يجعلها دائما فى خدمته ·

وهناك فى الف ليلة وليلة صور عديدة لهذا الجن الحر الذى يتطوع للعمل فى خدمة الانسان دون أن يكون مسخرا لهذا العمل او مرغما عليه ، فى قصته قمر الزمان ابن الملك شهرمان ، يقوم رهان بين اثنين من الجان حول اجملهن راى كل منهما اثناء طوافه بالارض ويحمل كل منهما اجمل من رأى ليضعه الى جانب اجمل من رأى الاخر ، فاذا فتاة وفتى على جانب كبير من الجمال ، واذا هما بهذا يتسببان فى قصة حب شيقة يلعبان فيها دورا كبيرا حتى يتم زواج الفتى الجميل بالفتاة الجميلة ·· وفى هذه القصة نجد ان عمل الجن نابع من ارادتها بل ونجد انه



اشبه بالعبث بين البشر ، ولكنه عبث ظريف وخير .

والجن فى الادب الشعبى العربى قادر على التشكل على صور متعددة، وفى الليالى نجد العديد من القصص حول تشكل الجن على صورة حيوان، او على صورة انسان ، واكثر الاشكال ورودا فى هذا المجال صورة الحية ، ودائما ما يكون الجنى الخير على صورة حية بيضاء بينما يكون الجنى الشرير على صورة افعى سوداء .. ويتدخل البطل لينقذ الحية البيضاء بقتل الحية السوداء فيفوز بولاء الجنية التى كانت تحاول الهرب من جنى شرير يطاردها ويحاول ان يتزوجها قسرا .

وفى سيرة سيف بن ذى يزن يحصل البطل على سلاحين هامين لهما القدرة على قتل الجان ، اولهما سوط يقطع به ذراع الجنى الشرير المختطف ويقتله والثانى سيف سام ابن نوح الذى يستطيع به أن يقتل اغنى ملوك الجان ، والذى يحدث عند تجريده من غمده ان يحرق بما عليه من ارصاد واسماء كل الجان وان يبطل كل اعمال السحر وان يحطم كل التعاويذ والطلاسم .

فخيال القصاص الشعبى تجاوز مجرد وجود الخلاف بين الجن والانس ، الى ابتداع السلاح الذى يستطيع به الانسان ان يتغلب على قوى الجن الخارقة .. وليس السلاح اداة وحسب وانما هو ايضا السحر القوى القادر على هزيمة قوى الجان .

وفى قصة الصعلوك الثانى فى الف ليلة وليلة وهى من قصة الحمال والثلاث بنات نجد ابنة الملك تحارب جنيا شريرا بواسطة سحرها القوى الذى يتغلب على محاولات الجنى التخفى فى صور متعددة الى ان تتمكن من حرقه وقتله ، وتموت هى متأثرة بسحرها القوى . وهذه المعارك بين الجان والانس تورد امثالها بين الجان بعضهم وبعض ..

ونحن فى سيرة سيف بن ذى يزن نشهد نماذج من هذه الحروب المخيفة فى وصفها وفى الصواعق والبرق والخوارق التى تتميز بها ، كما اننا نشهد تنظيما لممالك الجن نجد فيه الملوك والوزراء والقادة والجنود .. ونحن نشهد مثالا لهذا فى الف ليلة وليلة فى قصة حسن البصرى الذى يؤاخى هو الاخر جنيات يخدمنه ويحببنه، ففى هذه القصة وصف كامل لانواع الجن الطيارة والقادرة على الغوص فى اعماق البحار ، وتحكى لنا اخت حسن البصرى الجنية احاديث كثيرة عن ملوك الجن وعوالمهم .

وفى قصة بدر باسم فى الف ليلة وليلة تكون الجنية على صورة فتاة انسية كاملة الحسن ويتزوجها الملك ويحبها دون ان يعرف انها جنية من جنيات البحر ، ولا تتحدث جلنار ، وهذا اسم الجنية الى الملك الا حين تحمل منه وتوشك ان تلد ، وفى هذه الحالة تخبره بسرها ، وانها لا بد ان تستحضر اهلها من الجان لكى

يقوموا على ولادتها بطريقتهم الخاصة ونشهد أهلها يقبلون سيرا على سطح البحر دون ان يغرقوا ، بل هم يعيشون في عالم خاص بهم في أعماق البحر ، حيث ينزل اليه ابن جلنار الذي كحلت عيناه بكل معين وتليت عليه تعاويذ بذاتها ، فاصبح قادرا على ان يعيش في أعماق البحر قدرة أخواله تماما .. وهناك نرى معه مدنا ومساكن وجيوشا وعوالم كاملة تحت سطح البحر تشابه عوالم الانس ومدنهم وحضورهم وجيوشهم .

والواقع أننا نجدأن الادب الشعبى مزج بين الجن والسحر والكهانة مزجا يكاد يكون كاملا ، ففى القصةالسابقة تستدعى جلنار أهلها بتلاوة التعاويذ السحرية ، وبدر باسم ابنها يستطيع أن يغوص فى البحر ويسير عليه بفضل طقوس سحرية وكلمات سحرية قد دمت معه ، والخاتم واللوح والسيف والسوط وغيرها من الادوات التى تتحكم فى الجان أو التى تستطيع التأثير فيهم أنها تحصل على القدرة بفضل طلاسم سحرية وتعاويذ وأسماء نقشت عليها ، وكذلك الامر فى حالة القمقم الذى يسجن فيه الجنى أو الادوات الخارقه التى تصنع بالحكمة ، كطاقية الاخفاء فى الف ليلة وسيف بن ذى يزن وكالوعاء الذى يمتلىء طعاما ، أو جواب جودر الذى يخرج منه أصناف الطعام فى الف ليلة كما نجد أيضا الحصان الابنوس الطائر فى الف ليلة او البوق الذى ينادى على أهل المدينةاذا اقترب الاعداء ، أو الارصاد النحاس فى سيف بن ذى يزن وتقوهينس الهمة عند حافة المدينة ..

وتكتمل الصورة حين نشهد حرب الحكمة أو حرب الكهان بين برنوخ الساحر فى سيف بن ذى يزن والاربعين ساحرا الكفرة أو بين الحكيمة عاقلة المؤمنة والوزيرين سقرديوس وسقرديون الكافرين فى قصة سيف أيضا .. اذ تجمع هذه الحروب بين الكهنة او الحكماء وبين السحر وبين الجان فى نسيج واحد .

والجان فى الف ليلة وليلة وفى السير الشعبية ينقسم الى قسمين هامين الاول هو الجان الخير والقسم الثانى هو الجان الشرير ، والجان الخير مسلم ومؤمن وموحد بالله، وهو لهذا يأتمر بامر المؤمنين من الناس ولا يخضع للسحرة الكفرة الا اذا كان أسير الطلاسم والسحر ، وحين يفك سيف بن ذى يزن ارصاد الكاهن الشرير عن الجان يصيح به الجان المتحرر المؤمن ، « لا شلت يداك يا سيد الفرسان وميد أهل الكفر والطغيان » .

ونجد هذا الجن المؤمن كثيرا فى الادب الشعبى العربى يسبح بحمد الله ويحارب أعداءه ، تصديقا للاية الكريمة التى تقول « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » فعالم الجن مامور بعبادة الله فمن أطاعه له الثواب ومن كفر عليه العقاب كالانس سواء بسواء .

كما يتمثل هذا الجن المؤمنفى قصة سليمان بنداود الذى سخر له الجنود من الجن فى قوله تعالى « وحشد لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون » والجن فى قصة سليمان يحضر مجلسه ويناقش الامور معه ويعرض خدماته ان ارادها سليمان ، ويعرضها متطوعا راضيا .. يقول تعالى فى كتابه الكريم « قال يا أيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين . قال عفريت من

الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين » .

وهذا الجن المسلم المؤمن الخير يحارب في صفوف الأبطال المسلمين ليهزم لهم عدوهم وليرد عنهم كيد الجن الكافر ، أو من سخر من الجن لطاعة أعدائهم من الكهنة الكفار ، أو السحرة المشركين . ولا شك أن القصص القرآني كان له دور كبير في انتشار هذا الجن المسلم في أعمال الأدب الشعبي العربي ، وفي ظهوره بهذه الصورة المطيعة والمناضلة والمكافحة عن الدين ، بحيث لا تقل في جوانبها المتعددة عن صورة أبطال الكفاح المسلمين الذين ينتصرون للدين ويحاربون أعداءه .

أما النوع الثاني من الجن وهو الجن الشرير فقد استعرضنا أكثر من صورة من صور ظهوره في ألف ليلة وليلة وفي السير الشعبية ، والجن الشرير كافر وغير مؤمن ، وهو ينحاز الى صفوف أعداء المسلمين كلما نشبت الحرب بين المسلمين والكفار ، وبينهم وبين الجن المؤمن عداوة تقليدية ثابتة وهم يطلبون السحرة والكهان في كل ما يؤذي البشر ، ويساعدونهم على مسخهم وتشويه صورتهم وانزال أقسى العذاب بهم .

الا أن النوعين من الجان تتحكم فيه الارصاد والأسماء وعلوم الأقلام التي سجلها آصف بن برخيا من أيام سليمان بن داود .

والمدهش أن صورة الملائكة في الأدب الشعبي العربي غير واضحة تماما ، ولعل القصاص الشعبي أنزلها منزلة معينة من التكريم والتبجيل واكتفى بالاستعانة بالجن الخير وبأولياء الله للقيام بدور القوى الخارقة أمام الجن الشرير ..

تقول الآية الكريمة « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه » فابليس هنا كان من الملائكة وعندما عصى أطلق عليه لفظ الجن أو الشيطان ، وهكذا يصبح عالم الملائكة الذين أطاعوا الله ، وعالم ابليس الذي كفر واستكبر وأصبح هو الجن ولهذا فليس غريبا أن يستعيض القاص الشعبي بالجن المؤمن في ابداعه القصصي بديلا عن الملائكة ، فهذه القسمة كما يبدو منطقية وسليمة الى حد كبير ..

ولهذا فالجن الكافر دائما يحاول الايقاع بالانسان فهذه مهمته فقد خلق ومنذ عصى أمر ربه ومنذ أصبح اسمه الشيطان وأصبح أبناؤه وأتباعه من الجن الكافرين يسمون بالشياطين وخصوصا وان صورة الملائكة في خيال القاص العربي انما هي صورة لمخلوقات قوية قادرة وليست ضعيفة مستضعفة ، بل ان لها من القوة ما تفوق عتاة الشياطين ، فالملائكة هم رحمة ولكنهم أيضا عذاب على الكافرين تقول الآية الكريمة « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » .. فصورة الملائكة لا تقل في خيال القاص مراسا

وبأسا وقدرة عن صورة الجن . ولهذا فقد استعاض باستعمال الجن الخير عن استعمال الملائكة كرمز للخير وكمدافعين عن الحق . ولهذا ندر أن نجد بطلا من أبطال أحد الأعمال الأدبية الفنية ملاكا من الملائكة ، وان ورد ذكر تسبيح الملائكة ، ووردت أسماء بعض الملائكة بوظائفهم كما حددها المفهوم الاسلامي في ملكوت الله .. ولكن الكاتب الشعبي العربي كما لم يستعمل في النتاج الأدبي الشعبي الآلهة أو أنصاف الآلهة ، كذلك لم يستعمل الملائكة استعمالا قصصيا ..

قصة

محمود البدوى

لم اكن اقدر سقوط المطر في هذه الليلة ..

ولكنه سقط بغزارة ، بعد ان اضطرب الجو فجاة . ولا ادرى لماذا عقدت العزم على السفر ، رغم حالة الجو ، واصررت عليه ، حتى بعد ان تعطلت السيارة عند « ابيس » .

وكان يمكن أن أعود الى الاسكندرية كما جئت . لأن السيارات الذاهبة الي هناك كانت فارغة ...

ولكنني آثرت المضي في الطريق باصرار لا أعرف مأتاه ، ولا استطيع تعليل اسبابه .

ومرت بجانبي سيارات خاصة لم تشأ التوقف . ثم سيارات اجرة كانت كلها ممتلئة .

طال انتظارى على طريق السيارات في الليل الداكن . وكانت الرياح تهب بعنف ، وتحرك فروع الأشجار ، وتدفع السحب السوداء في السماء الشاحبة .

ونزلت عن الطريق الى جذع شجرة مقطوعة حديثا . ولم تكن معى حقائب على الاطلاق .

وكانت هناك حركة في القرية النموذجية رغم سقوط الليل وانقطاع الرجل ..

ووقف بجوارى ثلاثة من الفلاحين ، لمساعدتى في الركوب ، بعد أن شعروا بحالى وقد اعتادوا مثل هذه المواقف من العابرين الذين تتقطع بهم الأسباب في الليل .

وبعد ساعة كاملة ، مرت سيارة متوسطة الحجم بصندوق . فأشرت اليها ، كما أشار الفلاحون . فترفقت على مهل . وكان يقودها — وهو في الوقت عينه الراكب الوحيد — شخص تطلع الى سحنتي طويلا قبل أن أركب ..

وأركبني بجانبه ، دون أن يسألني عن وجهتي .

وشكرت الناس الطيبين الذين عاونوني على الركوب ، وأغلقت باب السيارة .

بعد نصف فرسخ من الصمت . تبادلنا السجائر والحديث . وقال لى الرجل أن وجهته القاهرة مثلى . وانه لو مضى على سننه ، ودون عوائق الطريق ، فسيصل بعد اربع ساعات بالدقيقة والثانية . ولا شأن



للمطر او الوحل او الريح فى حسابه ٠

وكانت السيارة قوية ، واطاراتها جديدة ، وكشافها يلمس الظلام على مدى البصر ، فلم اعجب لتوقيته ٠

وكنا نسبق السيارات الخاصة والعادة ، وكل اللوريات الضخمة ٠ وادركت من سرعتها انها فارغة ٠

وتلفت لجارى وكان يرتدى بدلة رمادية مثلى ، وجهه الطويل الابيض غير حليق ، ومشربا بحمرة خفيفة ٠ وكان ممتلىء الجسم نوعا ، وفى حدود الاربعين ٠ واسع العينين ، حاد النظرة ، سريع اللفتة ٠٠٠

وبدا لى من حركة يديه على مقود السيارة ومن تجاوزه لاخطاء الآخرين فى الطريق ٠ انه هادىء الاعصاب الى حد عجيب ٠ فهو سائق عربة من طراز فريد ٠٠٠

وبعد أن جاوزنا ، كفر الزيات ، لم نر اثرا للمطر ٠٠ ومالت العربة عن الطريق الرئيسى وانحرفت الى اليمين فى طريق مترب ضيق ٠

وحولت وجهى الى الرجل ، فادرك ما دار بخاطرى ، وقال فى هدوء :

ـ مشوار بسيط ٠٠ وسنعود كما كنا ! ٠٠

وكان الليل يزداد قتامة ، والطريق المترب ليس فيه بصيص من النور ٠٠٠ ودخلنا فى ظلمة مطبقة كلما اوغلنا فى السير ٠٠ واحسست برطوبة الجو ٠٠٠ وشعرت بالخوف يصيبنى بمثل الرعشة ، ويهز كيانى كله ، ولكنى تماسكت فى الظلام ٠ فان اظهار

الخوف امر لا يليق امام هذا الرجل ، الذى بدا لى من حديثه ، انه على درجة عالية من التعليم والثقافة .

ودخلنا فى كثيف من الاشجار . وامام ساقية متعطلة ، توقفت العربة ونزل الرجل .. وصاح :

ـ يا مذكور ..

فظهر نور ضئيل فى بيت عادى من بيوت الفلاحين بجواره حظيرة ومخزن للتبن والدريس .

ولاح مارد فى الظلمة .. يمسك بيده بندقية فحيا ورحب . وتلامست الايدى ..

ـ هيا يا مذكور .. وشاى للبيه .. بسرعة

ـ حاضر !

ونزلنا نحتمى فى جدار الحظيرة من البرد والريح .

وبدا الرجال امامى يشحنون العربة بالصناديق .. تحولوا الى مردة .

وظهرت العربة بعد الشحن كبيرة . وكانها تضخمت . وقد اخذت مظهرها الطبيعى بين العربات . واغلق السائق بابها الخلفى باحكام .

وشربنا الشاى ... وسلم السائق على مذكور والرجال . ثم ركبنا العربة واستدارت متمهلة فى السير حتى نصل الطريق الرئيسى .

وفى الطريق الرئيسى استانفت العربة سرعتها رغم حمولتها الكبيرة .

وكان جارى يدخن ، ويتفحص بعينيه الواسعتين الطريق ... وكانت العربات التى تسير فى الطريق المضاد كثيرة ، وانوارها القوية تعشى ابصارنا .

وتوقفنا عند اول نقطة للعبور . بعد ان فحصت العربة .

ـ كله تمام .. يا افندم .

ـ كله تمام ..

وبدا لى جليا ان الجندى يعرف السائق معرفة قديمة . فلم يساله عن شىء ولم يقدم له اية اوراق ..

واستانفنا السير بقوة .

واصبحت اسمع هذه الكلمة كثيرا بعد كل توقف .

ـ كله تمام .. يا افندم ؟

ـ كله تمام ...

ثم يتحرك شريف بعربته على الطريق ، وهو مطمئن النفس ، ساكن الطائر ، يستمع الى صوت الموتور وازيز الريح ، فى الليل الساكن وكانه يستمع الى موسيقى عذبة فى ليل الاحلام .

●●●

وبعد بركة السبع .. مالت العربة الى تعريشة وقال شريف وهو يوقف عربته :

ـ سنستريح قليلا ، وننفخ احد الاطارات ..

ونزل هو ، وبقيت انا بداخل العربة .

وسمعته يسال :

ـ اين نعيمة ؟

ـ موجودة .

واحسبها سمعت نداءه فخرجت على الفور من بطن العريشة وعلى فمها ابتسامة .. وكانت طويلة ملساء العود ،

ترتدى ثوبا من القطيفة الزرقـــاء . وتغطى شعرها بمنديل أخضر مطرز . وبدا بيـــاض وجهها يتألق فى الظلمة .. واخذت عينـــاها الواسعتان تشـــعان ببريق الانثى المتعطشة لكل لقاء .

ولمحتنى فى داخـــل السيـــارة : فســـألت شريف :

ـ أمعك أحد ؟ ..

ـ ضيف حملته من « ابيس »

واقتربت منى تحدق « وشعرت باضطراب »

ومالت اليه تهامسه:

فتقدم شريف نحوى وهو يقول :

ـ تفضــــل باحسن بيه ... الست تدعـــوك الى العشاء

ـ شكرا .. لقـــد تعشيت !

ـ انها تصر ... فلا تكسفها !

وخرجت من السيارة ... وجلسنا فى حلقة وأشعل تابع « للست » النار .

واكلنا اللحم والأرز والفطيـــر ... وكانت « نعيمة » نشطة ، وفى حيـــوية دافقة ، وهى تقدم هذا وترفع ذاك... وتعينها فى رفع الطعام ووضعه فتاة أخـــرى أصغر منها سنـــا ... ولم اكن ادرى اهى اختها أم جـــارة لها ...

وكانت هذه على جمـــال قروى نادر ... ومـــع ملابسهـــا الســـمراء الســـابغة ، وحمقها ، وخجلها ـ مع هذا قرأت فى عينيها الخضراوين التطلع الى كلجديد...

ورفعت الفتاة الطبلية وخـــرجت .. ورأيت « نعيمـــة » تميل على اذن شريف ، فحول هذا وجهه الى ناحيتى وقال فى ابتسامة :



ـ فسألتنى نعيمة .. لماذا يبدو على وجهـــك الحزن ؟ .. هل خسرت صفقة ؟ .. انها على استعداد لتعوضك ! ..

ومالت برقبتها بعـــد السؤال وحدقت :

واخـــافنى البريق الناعس الذى فى عينيها وقلت :

ـ انه مظهر خارجى . وقد يكون فيه خداع !

فقالت فى نعومة :

ـ ان الليلة جميلة . ولو كان عندنا زامر ، لجئنا بمن يرقص لك .

ـ شكرا ، يا ستى . ويكفى كل هذا الكرم !

وتركونى وحدى فى داخل العريشة . ورأيت باب السيارة الخلفى يفتح ، واخذوا يخرجون منها بعض الصناديق ثم شـــحنوا العربة بصناديق اخرى اصغر واخف حملا . كما بدت لى .. وبعد ان تم هذا بترتيب وسرعة . اغلق « شريف » البابالخلفى باحكام ..

ولم اكن أعـــرف ما بداخل هذه الصـــناديق ولكنى خمنت أنهـــا الاشياء النادرة الوجود

في السوق .. فقد كان الناس يتقاتلون امام الحوانيت للحصول على قطعة من الصابون وكيس صغير من الشاى

ودخلت الفتاة تحمل اكواب الشاى، ووراءها « نعيمة » منشرحة الصدر طلقة المحيا .. فتناولت الكوب .

وقلت لنعيمة في مرح :

ـ هذا هو الكوب الخامس ؟ .

ـ اشرب .. الدنيا برد !

وكان شريف بالخارج يهيىء العربة للسير .. فذهبت اليه الفتاة حاملة الصينية .

وقالت نعيمة بدلال مشيرة الى الفتاة :

ـ اتتزوجها .. انها عروس جميلة !

ـ امى ابنتك ؟ . انها صغيرة على الزواج ..

ـ صغيرة ؟ !

ولم تجب على النصف الاول من السؤال

الشبابيك

ـ اجل .. انها لم تبلغ السادسة عشرة ، في تقديرى ..

ـ هذا هو سن الزواج عندنا في الريف .

ـ ولكنه لا يصلح لنا ...

ـ وانا .. هل انا صغيرة ايضا ؟ !

ووجمت ثم رفعت راسى :

ـ ابدا . انت العروس المشتهاة ..

ـ تزوجنى اذن ... وسابنى لك قصرا ، مكان هذا البيت .

ـ ولماذا لا تتزوجين شريف ؟ !

ـ انه متزوج !

ـ متزوج ؟! حدثنى في الطريق انه اعزب !

ـ انه متزوج العربة .. افهم !

وضحكت وخرجت .. وعلى اثرها قدمت الفتاة ، فادركت انها ارسلتها

وجلست الفتاة بجانبى وتسامرنا ..

ووجدتها في هذا الحيز الصغير ، اكثر جمالا ورقة مما كانت عليه وهى في الخارج .. ودفعها البرد الى ان تلتصق بى .. ولكن لم تكن بى رغبة ، وكنت انظر اليها بعاطفة حنان خالصة .

وخشيت ان ينكسر فؤادها فاحتضنتها بقوة واخذت امسح على شعرها ..

***

وخرجت نعيمة من الحظيرة . ترتب سوالفها بيدها ، وكان وراءها شريف ..

ودخلت العريشة .. وسالتنى :

ـ هل تشعر بالدفء الان ؟

ـ نعم .. وشكرا .

ـ اريد ان اسئل من عينيك هذا الحزن ... وافكر في الذى اعمله ليحدث هذا !

ـ المرة القادمة ..

ـ ستاتى مع شريف ؟

ـ اجل .. ساتى .

ـ ان لم تات ... سنزورك في مصر وناخذ العنوان من شريف ... ساجىء حتما واقول لك الحق لقد تعجبت عندما رايتك راكبا مع شريف ! انه ما ركب شخص في عربته قط !

ـ ذلك من حسن حظى .. لأراك في هذا المكان الجميل وآكل من خبزكم

ـ شكراً !

وتطلع شريف فرفعت راسها اليه وقالت :

ـ الا تبيع لي العربة .. يا شريف ؟ !

ـ ابداً .. انهـــا حياتي .. ولو بعتهـــا سيسحقني الانذال كما يســحقون دود الارض بأرجلهم .. وعرباتهم . هل تشعرين بالدود وأنت تســحقينه برجليك في الغيط ؟ ! انك ماشعرت به قط .. ولست بدودة حتى اترك نفسي للانذال ليسحقني ! .

وقالت نعيمة :

ـ معها ، وسافر كما كنت .. انك مقطوع من شجرة !

ـ هــذه بلدى ... وســأعيش وأموت في ترابها ..

ـ أنت الان سكران . وعندما تفيق من سكرك ستندم .. قد تتحطــم العربة.. وان لم تتحطم ستتلف وستتحول على مر الايام الى جثة !

ـ هناك عربات كثيرة .. فلماذا عربتي وحدها

ـ انى أحبيها، وأتفاءل بها .. والنقود جاهزة .. وســأعطيك كل ما تطلب .

ـ انها لا تقدر بثمن !

وحولت رأســها الى ناحيتي وقالت :

ـ انه رجل غريب . وعجيب !

وضحكت، وغابت، ثم عادت تحمل له رزما من الاوراق المالية . فعدها ووضعها في حقيبة .

ولما ســلمنا على الجميــع وجلسنا في السيارة ناولته «نعيمة» مدفعا رشاشا ، فوضعه تحت الكرسى .

وتحركنا في الليل ..

وسألته قبل أن نبلـغ الطريق الرئيسى :

ـ لماذا هذا ؟ .

ـ هل تخــاف من النار ..

ـ ابداً .. وانما قد يجر هذا الى المتاعب !

ـ انني لا أســمح لنفسي بأن أقتل ذبابة .

ولكن ماذا تصــنع مع الانذال ، ان لم تجابههم بمثل هذا .. أن العربة تحمل اشــياء بآلوف

الجنيهــات ، فهل اترك هذا لذئاب الليل ؟ ! .

ـ معك حق ..

ـ اطمئن تماما ... أنني لا أقتل ذبابة !

وسألته :

ـ لماذا لا تبيع لهـــا العربة ، وتشـــترى غيرها جديدة . عربتك كما يبدو لى قديمة !

ـ أن عربتى قديمة حقا ، ولكنى أعتز بها . ان لهذه العربة قصة لو عرفتها لوافقتني عـلى رأيى !

واشعل سيجاره وقال ونحن نسير على سرعة ٨٠ كيلو في الليـــل البارد .

ـ منذ تسع سنوات كنت في المانيا الغربية، اعمل في شركة تصـنع وتبيع السيارات .. . شركة كبيرة ولها فروع في جميع انحاء العالم .. وكنت في رغد من العيش . واستقر بى المقــام . وكانت الايام

الشبابيك

جميلة ·· كانها احلام ·· ثم حدثت هزيمة ١٩٦٧ واحس جميع المصريين فى المانيا بلطمة ، وكانت لطمتى اشد اللطمات · لاننى كنت اكثر المصريين حماسا وضراوة لسحق اليهود ، فاذا بى اتلقى القارعة ، ونظرات السخرية والاحتقار من الجميع ··

وفى ليلة ليلاء ، قررت ان اعود لبلدى ، واواجه العاصفة ككل مصرى يعيش على ارضها

وكانت الشركة تريد ان تعطينى مكافاة على عملى ·· فقلت لهم اننى اريد قبل النقود : عربة ·· لاعيش اشتغل عليها ·· فاعطونى هذه السيارة التى تركبها انت الان ··

وشحنوها لى وسافرت قبلها · وكان معى فوق السيارة نقود كثيرة ··

وعندما وصلت القاهرة ، فكرت فى البيت والحياة ، ورسمت الخط الطويل لمستقبلى ·

ووصلت السيارة الى الاسكندرية · فسافرت من القاهرة لاجىء بها ·

ولم اكن اعرف شيئا فى امور الشحن والجمارك والتخليص · فقضيت خمسة عشر يوما فى الاسكندرية الف وادور فى دوامة ، وارغمونى على العودة الى المانيا لاجىء ببعض الاوراق ! ·

وبعد طول العذاب رجدت من يدلنى على رفيق لى فى الدراسة · يشغل منصبا فى المصلحة · فذهبت اليه وانا فرح بلقائه · وحكيت له قصة السيارة ·

وقدم لى القهوة ثم قال وهو يبتسم :

ــ هل ترى هذه الشبابيك ؟!

ــ نعم ·· اراها !

ــ مر عليها جميعا ·· وبعدها تخرج السيارة !

وشعرت بخذلان شديد ، ودارت بى الارض وتحطمت اعصابى ···

وكنت اقدر انى سابقى فى الاسكندرية يوما واحدا · فاذا بى اعود الى نفس الدوامة ···

وعندما خرجت السيارة وركبتها فى طريقى الى القاهرة ، كنت قد تغيرت تماما ·

ورسمت الخط الجديد لسير حياتى ·

وسالته :

ــ ولكن ممن تنتقم الان · وانت تهرب هذه الاشياء ؟

ــ من دود الارض الذى يعيش على الرشوة

ــ ولكنك لم تقاومها !

ــ وكيف اقاومها وحدى ؟ ·· هل رايت الذباب · انه لا يتجمع الا على القذارة · هل رايته يحط على شىء نظيف ؟ ·· ابدا ·

ــ ولكن من الذى فتح هذه الشبابيك ؟

ــ انا ·· وانت ·· وما فكرنا فى اغلاقها قط ! ·

وصمتنا ، واشعل سيجارة اخرى ··

ونظرت من نافذة السيارة الى الاشجار والقرى والمدن التى نطويها فى الطريق ، والى النجوم التى اخذت تضىء بقوة بعد ان اختفى السحاب ··

نجوم ذهبية كبيرة تظل تتألق فى سماء بلادنا رغم كل ما يمر تحتها من السحب ..

وترفقنا عند نقطة مرور ..

ـ كله تمام .. يا افندم !

ـ كله تمام ..

وسرنا .. واغفيت ، اخذنى النعاس ، وملت بجسمى الى اليمين بعيدا عنه ،حتى لاأعوق حركته وهو يسوق ..

وصحوت على توقف العربة .. وفتحت عينى فى الظلام . فوجدت ضابط مرور قد اعترض السيارة . ونزل من فوق الموتوسيكل ودار حولنا ثم تقدم وقال لشريف :

ـ افتح الباب الخلفى

ونزل شريف وهو يجاهد بما له من قوة أعصاب فى اخفاء وقع هذه المفاجأة على ملامحه وسار خطوات فى الظلام . وفتح باب الصندوق الخلفى فى صمت ..

وقبل ان يتحرك الضابط الى الخلف لمحنى ، وانا جالس فى العربة فاستدار الى وحدق فى وجهى بقوة .

ثم سألنى فى بشاشة :

ـ هل تعرفنى يا استاذ ؟

ـ آسف ، ذاكرتى ضعيفة ! .

ـ انا زكريا .. تلميذك فى مدرسة السلحدار الاعدادية ! .

ـ اهلا .. يا بنى لقد مضت سنون .. وكيف حالك الان .. ؟

ـ كما ترى ..

ـ ضابط عظيم !

ـ شكرا .. وحضرتك مسافر الى القاهرة ؟ .

ـ أجل .. وقد انقذنى هذا الرجل فى هذا الليل الاسود ، بعد ان تقطعت بى الاسباب فى الطريق .

ورأيت وجه الضابط فى الظلمة تبدو عليه امارات الصراع الشديد .. ثم سكنت ملامحه . واشار الى شريف بان يغلق الباب الخلفى كما كان قبل ان يلقى عليه مجرد نظرة .

واغلق شريف الباب . وعاد وجلس بجوارى . وحيينا الضابط .

ولكن قبل أن نسير ولمت بجوارنا عربة اخرى من عربات البوليس .

وسأل الضابط الجديد زميله راكب الموتوسيكل

ـ فتشت هذه العربة يا زكريا ؟

ـ اجل فتشتها ! .

واعطى زكريا لنا الاشارة وتحركنا ..

وخيم علينا الصمت فى الجزء الباقى من الطريق .

وعندما دخلنا فى قلب القاهرة ، كان وجه شريف يعبر عن صراع داخلى تطل امره .

وسألنى ونحن نجتاز النفق :

ـ لماذا غير الضابط رأيه ولم يفتش العربة ؟

ـ لا أدرى ، ولم أسأله ..

ـ الانك كنت استاذه؟

ـ لم اكن استاذا لاحد .. ولم اشتغل مدرسا قط .. !

فوجم ، ونظر الى فى استغراب ... وخيل لى ان وجهه قد انقسم الى نصفين ! ...

مع قراء الهلال

نصر الدين عبد اللطيف

●●

قال لى صاحبى ، والليل يتنفس الصمت من حولنا : ان البرعة هى ايقاع العصر ! ..

قلت : ولبنة الصدق هى الاجمل والابقى !

قال : والان ... فلن يغضب الاعزاء اصحاب هذه الاسماء لان ما قدموه لنا هذه المرة لا يحسب فى الشعر جيدا وجديدا :

ثروت عبد الباسط : القاهرة ــ مولود مغزى ، سيزيف : الجزائر ــ اشرف محمد حامد ــ عبد الزهراء البطاط ، العراق ــ ناصر صالح محسن : السعودية ــ ليلى ميلاد : اسوان ــ حلمى طلبة : شرقية ــ ج ٠ محمد صادق : الجزائر ــ عبد الفتاح النيمى : سيناء ــ مأمون صافيا : جبلة ــ حسان الجيلانى الجزائر ــ موريس اسكندر : قنا ــ محمد عثمان : ايديال ــ زهير المزوق : جسر الشغور : سورية ــ عبد المنعم ابراهيم حافظ ــ هارون حمد ابو زيد : اسكندرية ــ احمد حسب الله : دمنهور ــ مصطفى بيومى : مغاغة ــ حسن الحجرى : تونس ــ جمال ناجى صالح بغداد ــ عبد الرحيم محمد عبد الرحيم : الزقازيق ــ كرم عبد الوهاب السيد : الاسكندرية ــ حسن امريبا : المغرب ٠

●●●

قال لى صاحبى ، والليل يوغل فى السرى : ما يزال الشعر فى بريدنا والشعراء كثير !

قلت والمجيدون قليل !

قال : واذن .. فلنختر لمن بعضهم خير ما عندهم :

● حسنى سيد لبيب ●

من قصيدته : حروفى الخضراء :

حروفى الخضراء
يا فتنتى السمراء ...
جمعتها من روضة الازهار ...
شممتها
جعلتها زيتا لقنديلى ...
حروفى الخضراء
يا جنتى العذراء ...
نثرتها بذور حب فى خيالك الارحب !

● حسين العياط ●

من قصيدته : أمل

وأطلت فى ليـــــل زمانى
بدرا فى خضرة بســـــتانى
ما بين سكون وفتــــــون
ورهافة ليـــل وســــنان
وشرود بحلم باللقيـــــا
بالفـــارس خلف الشـــطان

● على بن هادية – تونس ●

من قصيدته : عصامية طه حسين :

ماذا اقول وفى لا الايام » تجربة
كان التفتح فيهـــا خير منقلب
وقاد حتما بحيث الاريحاء الى
تغيير نظرتنا فى واقـــع الادب
كل التـــآليف قالت فى بواطنها
هذا العميد عميد الجمعى النسب

● أحمد مصطفى حافظ : السويس ●

من قصيدته : الى روح عبد اللطيف النشار :

مالك ـ حتما ـ لجوف الثرى
رهين البلى والقلى والعـــدم

وأنت بلا انت فى ظلمـــة
وضـــوء الشموس يرى عن أمم

وأنت ـ وما أنت ؟ ـ فى وحشة
وذوقك يصـــدح عذب النغـــم

● عدنان أسعد ـ الزيتون ●
من مقطوعته الفيصل المحمود :

صرح هوى فى ساحة المجـــد
ملك جليل القـــدر والحمد

حمل الامانة مؤمنـــا أبدا ...
برســـالة الايمـــان والعهد

قلب الجنان على المـــدى نزلا
وله الخـــلود بجنة الخـــلد

● على عبد السلام أيوب ـ دمنهور ●
من قصيدته : أمواج فى بحر الصمت :

... يا صوتى المذبوح فى صدر جريح
لم لا تصيح ...
وتشق جدران الملل
وتدق أبواب النجوم الموصدة
حتى تمر سفينتى فوق الضباب
والشمس تأتى باسمة
حتى ولو كان المصير اقامتى من خلفها ...

***

قال لى صاحبى والليل ينحسر الهوينا عبر شرفتنا دموعد الهلال مرة كل شهر ! ..

قلت : واختلاف النهار والليل ينسى :

قال : واذن فان بعض الكلمات القصـــار ، قد يؤنس رحلة الانتظار ! :

● الى : عبد الرضا ـ عربى من العراق :

ـ عندى بداية طيبة يتصل بها الحوار بيننا ..
أقول لك .. « النجم الآفل غدا » قصيدة جيدة لشاعر مجيد ،

وتقول لى ‥ « النجم الافل غدا » ‥ من هو ؟ ‥

● الى : ابن مالك أحمد ـ تلمسان ـ الجزائر :

ـ ذلك الكتاب لـ « ميشيل سان بيير » مطبوع ، وموجود فى السوق ، فلماذا تتعب نفسك وتنقل لى منه صفحات تكتبها مرة بالفرنسية عن الاصل ، ومرة بالترجمة العربية ؟! هل تريد ايها العزيز ابن مالك ، ان أمتحن على صبرك وطول بالك ؟ !

● الى : مدحت عبد العظيم ـ ههيا ـ شرقية :

ما بعث ، كما تقول ، فى « مقتبل العمر » والامال عنـدك كثيرة » ··· فاننى ارجو بمناسبة قصتك القصيرة « حب وخطيئة » ـ الا تغضب اذا خاب لك أمل واحد من هذه الامال !

● الى : بهاء الدين عادل ـ القاهرة :

ـ ‥ بهذا يتحقق بيننا شىء من التعادلية ‥

كتبت لى ، وذلك شعر قديم :
اذا كنت ذا رأى فكن ذا عزيمة فان فساد الرأى أن تترددا

وكتبت لك ـ وهى حقيقة عصرية : ··· ويعـالج التردد بالغذاء الجيد والثقافة !

● الى : عوض الحسينى قشطة ، دقهلية :

ـ القصائد الخمس جيدة ، بسيطة ، سليمة الوزن واللغة ‥

و ··· طريفة جدا تلك العبارات التى تكتبها تعليقا عند ختام كل قصيدة ، ومنها : « أحب النقد الصريح » ! ‥ و « يصرحوني » ! ‥ و « تجمـله الود » ! ‥ و « كل عام وانتم ··· » !

ولكن ، لماذا تحرص فى كل ختام قصـيدة أن تكتب فوق اسمك « البقال البسيط » ؟ ‥ ان الموهبة يا أخى منحة يفوز بها بقالون فقط ، وبقالون بسطاء ، وبقالون شعراء !

● الى : احمد على ، الاسكندرية :

ـ الا تنخدع بثقافة موسيقية اتوهمها عندى ! ‥ فمعظم صلتى بالموسيقى الجميلة اننى احبها ! ··· وصدقنى ان كل ما اعرفه عن الموسيقار الكبير الذى سألتنى عنه « ماسكانى » لا يتجاوز رائعته « ميتزو » الشهيرة التى مر يوما شحاذ يحمل قيثارة ويعزفها تحت

نافذة « ماسكانى » ، ولم يطق الموسيقار العظيم ان يسمع لحنه يعزف خطأ على هذا النحـــو ،فأسرع ينزل الى الطريق حيث اصلح مفاتيح القيثارة للشحاذ،وشرح له كيف يعزف القطعة ..

وفى اليوم التالى كان الشحاذ يسير فى طرقات المدينة يعـــزف على قيثـــارته ، وقد علق على صدره لوحة كبيرة كتب عليها : « تلميذ الموســـيقار العظيم ماسكانى » ! ...

مع قراء الهلال

رشح نفسك لجائزة نوبل !..

● ... حتى الآن لم يتحقق الامل فى أن يظفر اديب من بيننا نحن العرب ، بجائزة نوبل ! ..

عندنا ادباء عرب كبار ... وأدب عربى معاصر جـــدير بالمستوى العالمى لهذه الجائزة ... فلماذا ، بالله ، لماذا ..

لا تتكاتف الهيئات الادبية فى الوطن العربى الكبير لتزيد وتساند ترشيح واحد أو أكثر من ادبائنا الكبار لهذه الجـــائزة الكبيرة القيمة والاهمية ؟ ..

عادل ابو هانى

القاهرة

- هون عليك ياسيدى .. فان الترشيح لجائزة نوبل ليس فى حد ذاته مهما ، وليس هدفا ! انت شخصـــيا ، وبغير حاجة الى « تكاتف » جميع الهيئات الادبية فى الوطن العربى - تستطيع ان تقوم وحدك بهذه المهمة ! ..

ان الترشيح لجائزة نوبل امر فى غاية اليسر والبساطة ، متاح لكل انسان ... فهو لا يكلف اكثر من ان ترسل كتابا بترشيحك الى اللجنة الاكاديمية السويدية المشرفة على جائزة نوبل ، وسوف تتلقى من هذه اللجنة اشعارا بوصول كتابك اليها ،ومن حقك فى هذه الحالة ان تهنىء نفسك ، وتتعامل مع الناس ومع نفسك باعتبارك حامل لقب : « مرشح لجائزة نوبل » !

هذا هو الترشيح لجائزة نوبل ..

اما الفوز بالجائزة – وهو المهم والاهم – فذلك شيء آخر مختلف تماما ! ..

ان مؤسسة جائزة نوبل واللجنة المشرفة عليها تحكمهـا نظرة خاصة واتجاهات تخضع لاعتبارات كثيرة سياسية وغير سياسية ، تحدد اختيارها لمن تمنحهم جوائز نوبل ! .. واقول « جوائز » لان هناك غير نوبل للادب ونوبل للسلام – نوبل للطبيعة والرياضيات ، ونوبل للفيزياء والكيمياء ، ونوبل للطب والعلوم البيولوجية . وهي جوائز علمية بحتة لا تخضع اختيارات الفائزين بها لتيارات التحيز والتأثر بالعوامل السياسية التي تتعرض لها جائزة السلام وجائزة الادب ...

وبالمناسبه !

● تعلمت ، وقرأت ، وجربت ، حتى تعبت .. ولم اعرف بعد ما هي السعادة ! ... هل تعرفها انت ؟

سامي حسين
المنيا

– لا .. !

ولكني اعرف انه ليس المهم ان اعرف السعادة .. المهم ان اكون سعيدا ! على اى حال ، وبالمناسبة ، فان احدث صيحة في تعريف السعادة تقول : « السعادة ... هي مجموع المصائب التي تستطيع النجاة منها ! »

***

قال لي صاحبي ، والليل يذوب في احضان الفجر يذوب : والآن ... يذهب ليلنا مع الاعزاء !

قلت : ويبقى لهم عندنا سؤال !

قال : سوف يسألونك عني .. من ذاك الذي كان معك تحدثنا عنه فكتب :

« قال لي صاحبي ... » ... « قال لي صاحبي » ؟ ..

قلت : وسيعرف الاذكياء انني في كتابات الليل يساجلني الحوار ، يسهر معي : قلبي !

● نصر الدين عبد اللطيف ●

دبّ مابيننا الملال وما أذهب ...
هـــذا المـــلال بالأشـــواق

أصبح القــرب والبعـــاد ســواء
بعد أن كنت لا تطيـــق فـــراقى

ثم جازتنى على صـــــدق حبى
بقليــــل من الوداد البــــاقى

وقصارى الغرام فى قلب من تهواه ...
أن ينتهى الى الاشـــــفاق

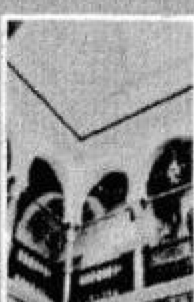
● احمد رامى ●

الجن والملائكةلوحة بريشة الفنـــان : جمال قطب

● الغلاف الأول ●

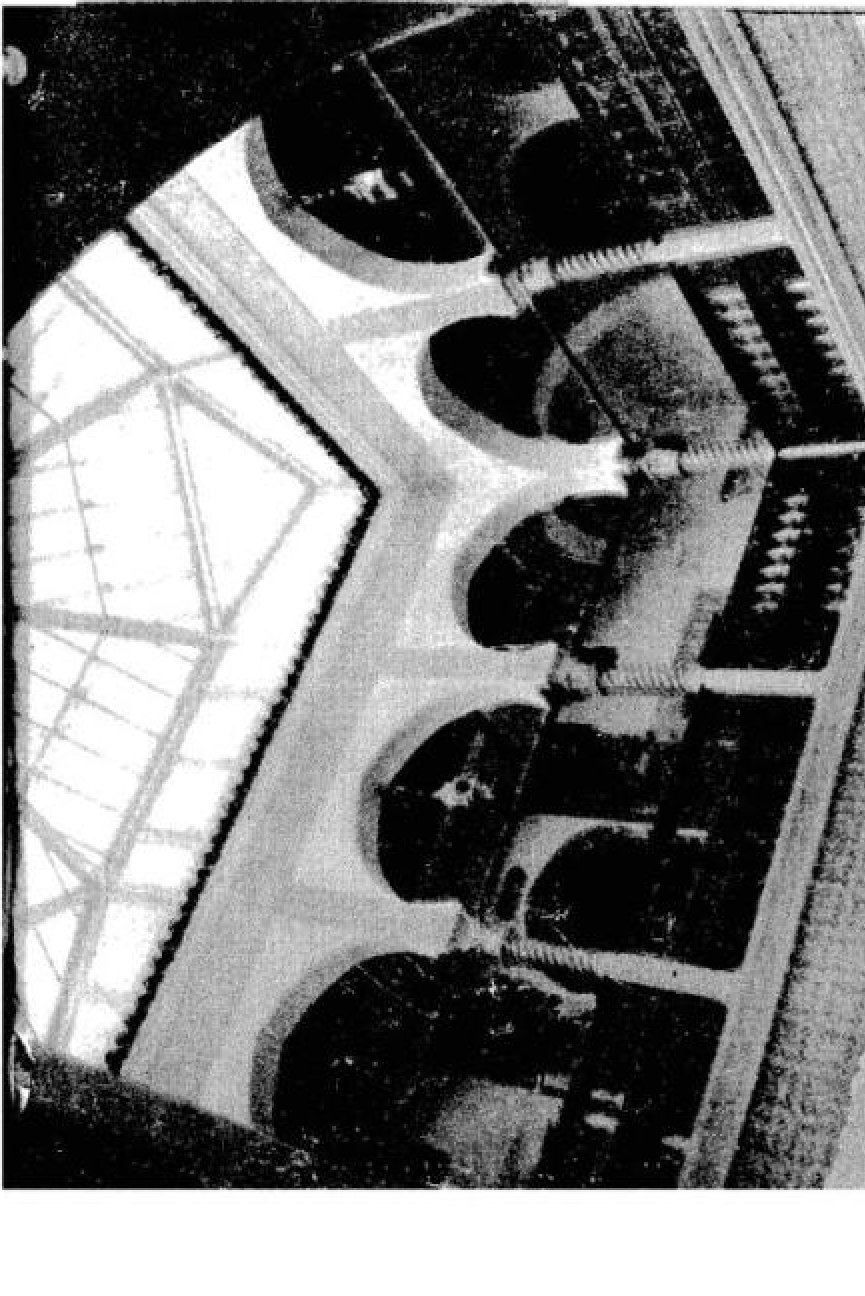


● الغلاف الأخير ●



قاعة « متحف » باردو » بالجــزائر . ..

• لقطة لمتحف
"باردو" بالجزائر •




الهلال
القناة من الفراعنة إلى اليوم
مؤتمر الأدب والشعر بالجزائر

الهلال

جمادى الأولى ١٣٩٥
يونيو ١٩٧٥

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال - أسسها جورجي زيدان سنة ١٨٩٢ - العدد السادس - السنة الثالثة والثمانون - أول يونيه ١٩٧٥ - ٢٠ جمادي الأولى ١٣٩٥

رئيس مجلس الإدارة
فكرى أباظة

نائب رئيس مجلس الإدارة
صالح جودت

رئيس التحرير
صالح جودت

مدير التحرير
نصر الدين عبد اللطيف

المشرف الفنى
جمال قطب

سكرتير التحرير
عاطف مصطفى

الاشتراكات

ثمن العدد : فى جمهورية مصر العربية ١٥٠ مليما

قيمة الاشتراك السنوى : (١٢) عددا فى جمهورية مصر العربية وبلاد اتحادى البريد العربى والافريقى ١٥٠ قرشا صاغا . فى سائر انحاء العالم ٦ دولارات او ٢٫٥ جنيه والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال . فى جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية . فى الخارج بشيك مصرفى والاسعار الموضحة بالبريد العادى - وتضاف رسوم البريد الجوى والمسجل على الاسعار المحددة عند الطلب .

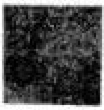
الادارة : دار الهلال - ١٦ شارع محمد عز العرب - القاهرة
تليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)


طالب الابراهيمى يوسف السباعى د. عبد الرحمن زكى

بسم الله الرحمن الرحيم



كلمة الهلال



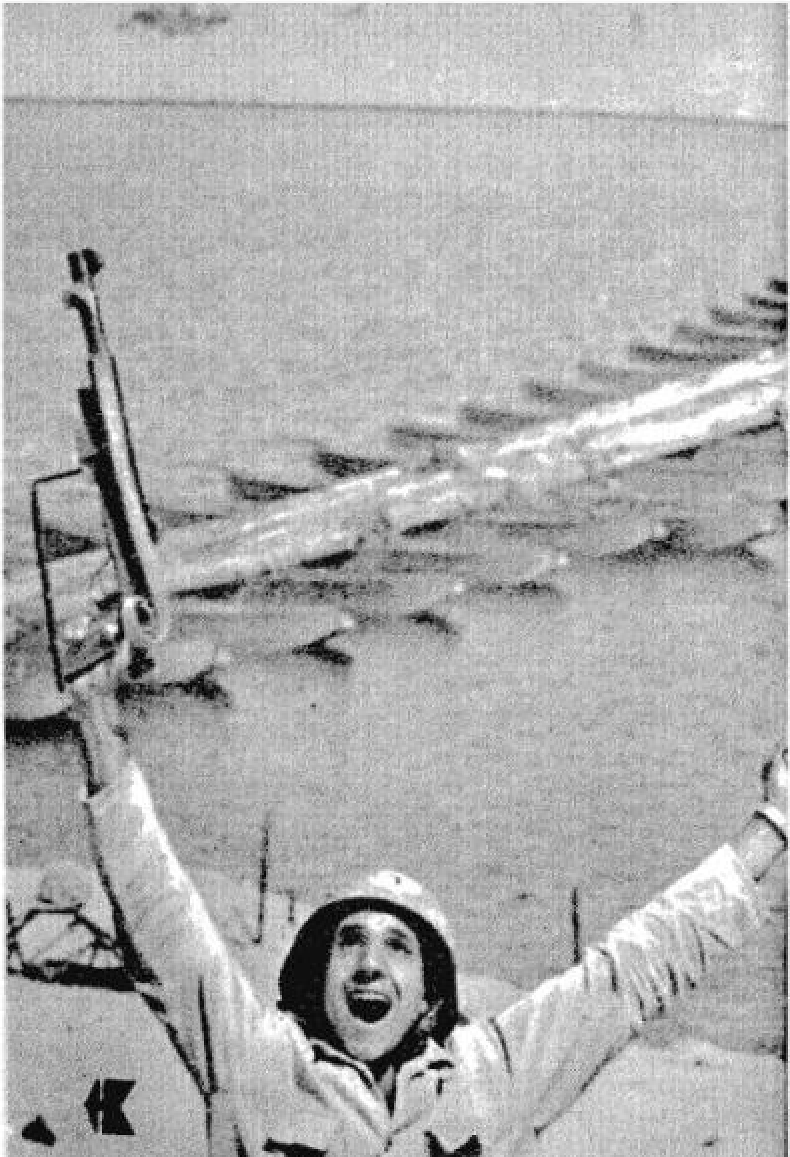
بيدينا ... إقتحمنا الصخر فانهدّت قواه
ومضينا فحفرنا فى ثناياه القناه
وهدينا البحر للبحر وأجرينا المياه
وبنينا هرماً من مائه تحيا الحياه

***

هل علمتم كيف أجرينا هنا شريان ماء
يصل المشرق بالمغرب فى خير لقاء
صانعاً من راحتينا واحةً فى الصحراء
نشرت تحت جناح السلم آيات الرخاء

***

التراب الحر لا زال من القاع ينادى





كلمة
الهلال

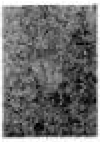
ها هنـــا ترقد تحت المـاء آلاف الأيادى
اســتماتت وهى تبنى وهوت تحت الرماد
فلتصلوا عند هــذا الشط من أرض بلادى

***

ولتؤدوا مرة أخـــرى صـــلاة الشهداء
فالدم المصرى كم سال على أرض الفـداء
قد أردناها ســـلاما وأرادوها عـــداء
فجعلنـــاها حـــراما ... وملأناها دماء

***

يا قناة تبتهج البحرين ، عودى واستعيدى
ذكريات الصبر والايمان والنصر المجيـــد
واخطرى فى مهرجان الفتح واجرى من جديد
وانثرى إشراقة الخير على النيل السـعيد



قناة السويس

عبر التاريخ

د. سيد كريم



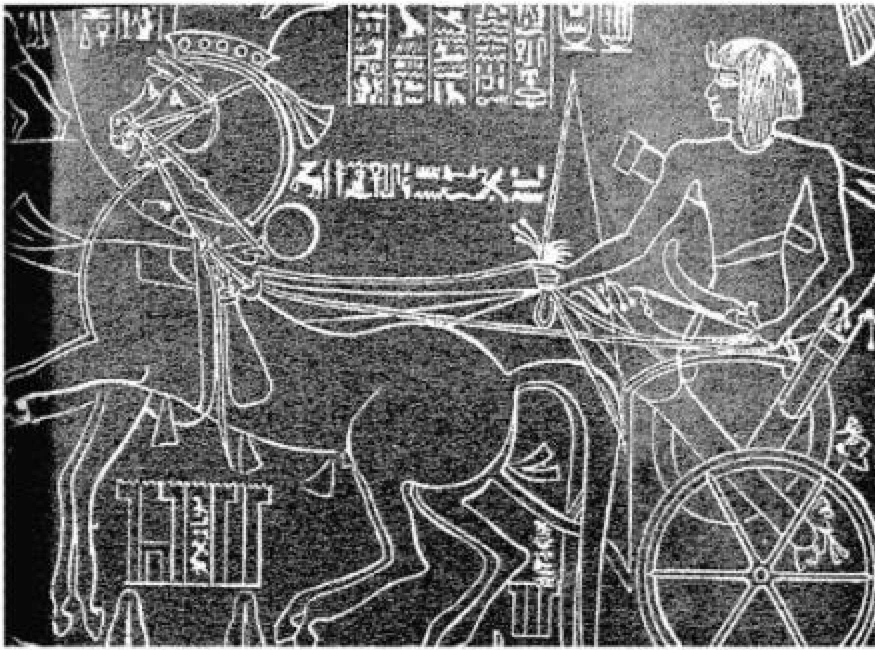
● اليوم تل[illegible] قناة السويس .. ليفتح لها التاريخ صفحة جديدة من صفحات [illegible]دها وتحدياتها للزمن ..

فتاريخ قناة السويس جزء من تاريخ مصر وركن من اركان حضـارتها الـ[illegible] وعالمية من دعائم [illegible] والعمرانى والعسكرى ..

هى اول قناة [illegible] شقتها يد الانسان على وجه الارض لتصل البحر الابيض [illegible] الاحمر ، وتربط الشرق بالغرب فتنقل حضارات العالم عبر البحر الابيض [illegible] شواطئ اوربا الجنوبية والعالم الجديد . كانت و[illegible] على العالم اجمع فى مختلف العصور وكانت [illegible] التبادل التجارى بين شعوب الشمال والجنوب

حفرها سنوسرت الثالث منذ [illegible] عاما [illegible] مياه البحر الابيض والبحر الاحمر [illegible] النيل لتمتد ايادى [illegible] بالمصافح كرمز لسلام عالمى .. فهل تحقق ؟

لقد تعرضت القناة خلال مسيرة [illegible] الطويل لمختلف محاولات الغزو وضروب العدوان وعوامل التخريب ومواعيد حفرها تسع مرات .. [illegible] وعاش بعد تحريرها [illegible] جديدة من مراحل اعادة [illegible] وتجميلها وتوسيعها [illegible] تعرضت له من عدوان لتواجه متطلبات حضارة العصر ، ولـ[illegible] صفحة جديدة من صفحات [illegible]دها وصراعها مع تحديات الزمن ..

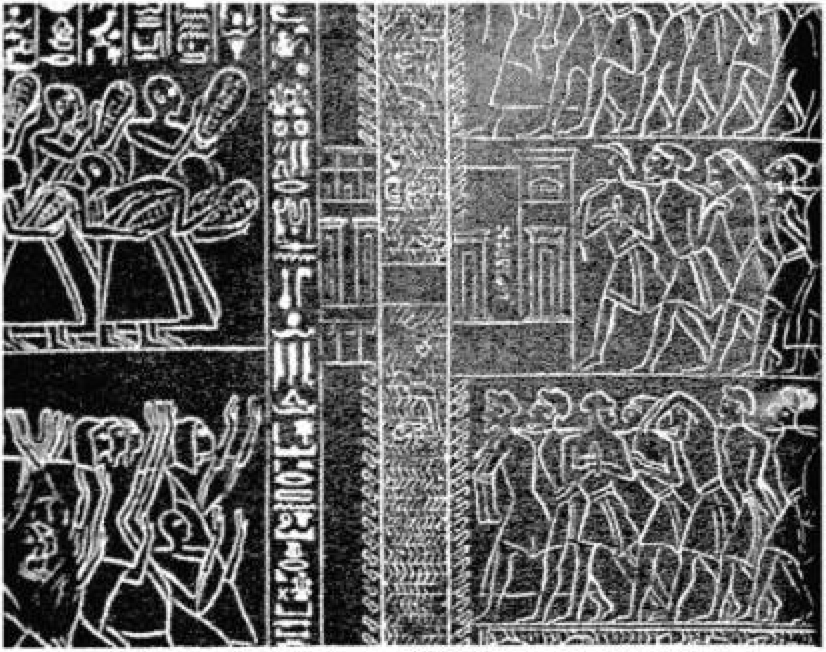


قناة سنوسرت الثالث

قناة السويس .. عبر التاريخ
١٨٧٤ ق . م – ١٩٧٥م

- سنوسرت الثالث ١٨٧٤ ق.م
- سيتى الاول ١٣١٠ ق.م
- نخاو الثانى ٦١٠ ق.م
- دارا الاول ٥١٠ ق.م
- الاسكندر الاكبر ٣٣٥ ق.م
- بطليموس الثانى ٢٨٠ ق.م
- الامبراطور تراجان ١١٧ ق.م
- عمرو بن العاص ٦٤٢ ق.م
- الخديو اسماعيل ١٨٥٩ م
- انور السادات ١٩٧٥ م

سجل تاريخ الحضارة المصرية للملك سنوسرت الثالث احد ملوك الاسرة الثانية عشرة العظام ، الذى حكم مصر من عام ١٨٨٧ الى ١٨٥٠ ق . م – انه كان احد قواد مصر العسكريين ومن اكبر الغزاة الذين اشتهروا بفتوحاتهم التى أرست دعائم الامبراطورية المصرية الاولى حيث وصلت جيوشه فى حروبها الطاحنة دفاعا عن أرض مصر ، وكان أولها تحرير بلاد النوبة . ووصلت جنوده الى حدود السودان، كما زحفت شرقا لتصل الى آسيا الصغرى وفلسطين وشمالا الى شواطىء البحر الاسود وجنوب



لوحة افتتاح الملك سنوسرت الثالث لقناة السويس عام ١٨٧٤ ق.م بمعبد الكرنك أول قناة قام المصريون بحفرها لتربط البحر الابيض بالبحر الأحمر ، وتتضمن البحيرات المرة لتصل القناة بالنيل والتعبير عن كل فرع من فروعها بالاسماك التي يشتهر بها ، كما تبين أسرى الحرب الذين سخروا في حفرها

أوربا . فكان أول من حفر القناة الثلاثية التي تربط كلا من البحر الابيض المتوسط (بحر الشمال - البحر الاخضر العظيم) بالبحر الاحمر (بحر اروترى) وذلك بحفر قناة تصل كلا منهما بالبحيرات المرة والتي ربطها في نفس الوقت بمجرى مائي يصلها بنهر النيل عند مدينة منف عاصمة البلاد .

وقد سجل سنوسرت الثالث افتتاح القناة الثلاثية في لوحة منحوتة على الواجهة الخارجية للجدار الشمالي بمعبد الكرنك . لقد عبر الفنان المصري القديم عن حفر القناة والاحتفال بافتتاحها في تلك



سنوسرت الثالث

اللوحة اصدق تعبير فرسم في الجزء الشمالي من القناة الذي يصل البحر الابيض بالبحيرات المرة ، بالاسماك البحرية المميزة للبحر الابيض بينما رسم على الجزء الجنوبي الذي يصلها بالبحر الاحمر ، مختلف اسماك البحر الاحمر وحيواناته المائية ، كما عبر عن الفرع الذي يصل القناة بالنيل باسماك نهر النيل نفسه ٠

وتمثل اللوحة الملك سنوسرت الثالث وهو يقف بعربته الحربية عند قنطرة السد الحاجز الترابي الذي يفصل جزئي القناة عند مدينة حور (ثارو) مكان القنطرة الحالية حيث اقيمت اقواس النصر ، وشيد بها قلعة (ثارو) للدفاع عن القناة ٠

وسجل تاريخ افتتاح القناة ، في الشهر الثاني من فصل الفيضان في العام الثاني عشر من حكمه بعد انتصاراته المجيدة على قبائل الشاسو والرتنو والاقواس السبعة .

ان تلك اللوحة المعبرة تفسر اكثر من حقيقة تاريخية ، فبجانب كونها تسجل ما قام به الفراعنة من تخطيط وحفر اول واطول قناة صناعية على وجه الارض ، واول مشروع متكامل لقناة السويس التي تربط البحر الابيض بالبحر الاحمر بل وتربط القناة نفسها بنهر النيل ـ فهي تميط اللثام عن تضارب المؤرخين في تفسيره وهو ما يشاع عن تسخير الفراعنة لشعب مصر في بناء الاهرام وحفر القناة التي ذهبت ضحيتها عشرات الالوف من الضحايا في اعمال السخرة كما ذكر هيرودوت وردده خلفه اكثر من مؤرخ من المؤرخين الاجانب ٠

واكدت ما ذكره المؤرخ المصري القديم مانيثون عندما ذكر أن



نخاو الثاني « ٦١٠ ق.م »



سيتي الثاني « ١٢١٠ ق.م »



الاسكندر الأكبر (٣٢٥ ق.م)



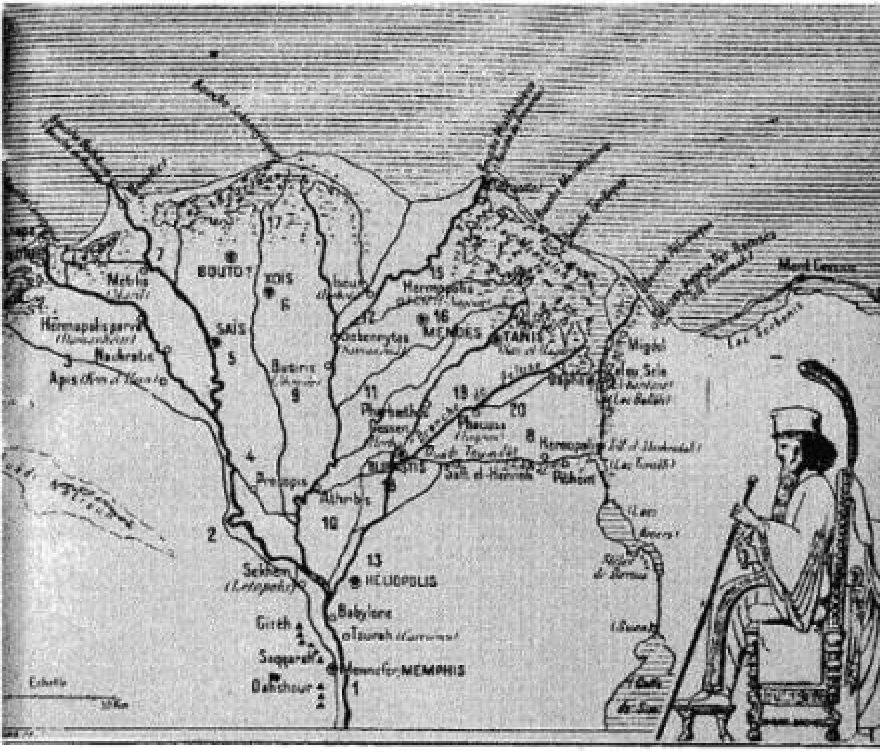
بطليموس الثاني « ٢٨٠ ق.م »

الفراعنة كانوا يسخرون الاسرى فى مشروعات حفر الترع وتمهيد الطرق وقطع الاحجار لبناء الحصون والقلاع والاهرام والمعابد . فصورت لوحة سنوسرت لافتتاح القناة الاسرى على اختلاف اجناسهم وهم يساقون لحفر القناة ، بينما وقف المصريون والكهنة على الضفة الاخرى من القنـــاة يحيون الملك ويحتفلون بعيد افتتاحها

لقد وصف هيرودوت نفسه تسخير الاسرى فى حفر القناة عندما وصف بطولات سنوسرت الحربية بقوله : « عندما عاد سيزوستريس من حروبه فى البلاد الاسيوية استخدم العدد الوفير الذى احضره معه من البلاد التى اخضعها ، وهم الذين جروا الاحجار الضخمة التى نقلت فى عهده الى معبد هيفايستوس ، وقد كانت ضخمة الحجم ، وهم الذين سخروا فى حفر القناة فقد كانوا اسرى وكان عليهم ان يعملوا ليعيشوا

لقد استمر الاحتفال بحفر قنـــاة السويس كعيد من اعياد سنوسرت المقدســة بعدما الهه كهنة امون واحتفلت البلاد باعياده المقدســة حتى اواخر الاسرة الثامنة عشرة .

لعبت قناة سنوسرت دوراً هاما فى تاريخ مصر العسكرى والاقتصادى فى عصرها الذهبى خـلال الاسرة الثامنة عشرة فى كل من حـروب وفتوحات وغزوات احمس وتحتمس وامنحتب الثـانى . كما ورد ذكر القناة فى وثائق حتشبسوت وسنموت واخناتون وامنحتب الثالث حيث كانت تمر خلالها السفن التجارية الكبيرة التى كانت تنقل اخشـاب الارز والاشجار ومواد البناء والحيوانات والبضائع من مختلف موانى البحرين الابيض والاحمــر وبلاد بونت ، وتنتقل بها عبر القناة وتمر فى الفرع



قناة دارا الاول

النهرى لتصل الى منف وطيبة على شواطىء النيل .

وليست قناة السويس هى القناة الوحيدة التى قام سنوسرت الثالث بحفرها ، فقد قام بحفر قناة اخرى فى الجنوب عند الشلال الاول لتعبر سفنه الحربية الى اعالى الشلال عند جزيرة سهل لتصل بلاد النوبة والحـدود الجنوبية، وقد سجل حفر تلك القناة فى نقوش سهل التى يشاهد فيها سنوسرت واقفا امام كل من «ستت» الهة الشلال و « عنقت » معبودة النوبة ، وقد وصفت الوثيقة ان طول القناة كان الفا وخمسمائة ذراع وكان عرضها عشرين ذراعا وعمقها ٥ الأذرع ، وقد استمر استعمالها خلال ما يقرب من ٥٠٠ سنة. وقد سجلت احدى البرديات القديمة بانتسمح للصيادين بالصيد فى القناة ونقل البضائع خلالها مقابل قيامهم بتطهيرها سنويا بعد موسم الفيضان ...

● ٢ ـ قناة سيتى الاول ●

سيتى الاول (١٣١٩ ـ ١٣٠٠ ق م) ثانى ملـوك الاسرة ١٩ ، شارك اباه رمسيس الاول فى الحكم **واشترك معه فى معاركه وفتوحاته منفذا لاوامره ، وكانت القناة فى** حيـاة والده : « قائد الجيش .

والمشرف على فيلق الخيالة ، ورئيس الرماة ، والمشرف على البلاد الاجنبية ، والكاتب الملكي المشرف على حصون الحدود وقلاع الدفاع وشرطة الصحراء ، والكاهن الاول للالهة ست بمعبد آمون ...

تولى الحكم بعد وفاة والده فاتبع سياسة حور محب لاعادة سيادة مصر ، ومجدها الامبراطوري القديم فقاد عددا من الحملات الناجحة في فلسطين وسوريا وتمكن من استعادة اجزاء كبيرة من امبراطورية مصر في تلك البلاد بعد ما وضع حدا لتقدم الحيثيين ، كما وجه حملة عسكرية ضد العناصر الليبية التي كانت تحاول التسلل من حدود مصر الغربية فهزمهم بعد ما اطلق عليهم في لوحات النصر اسم « جرذان الصحراء » . وقد اتخذ من سنوسرت الثالث الذي الهته مصر قدوة يقتدى به في سياسته وحروبه واصلاحاته ، فكتب له النصر في حملاته الاربع ومعاركه الاربع والعشرين التي اعاد بها مجد الامبراطورية القديمة . وعندما انتهى من فتوحاته اتجه الى الاصلاحات الداخلية وتعمير البلاد مستغلينا بالوف الاسرى الذين اتى بهم من غزواته والثروات الطائلة التي جمعها من فتوحاته .

لقد ذكر مانيثون ان سيتي الاول اقتدى بسنوسرت الثالث في مشروعاته العمرانية والاصلاحية وخاصة باعادة حفر القناة التي اهملت في نهاية الاسرة الثانية عشرة رغم احتفال المصريين بذكرى حفرها واعتبارها من اعياد سنوسرت المقدسة ، وقد اختلف المؤرخون في دور سيتي في حفر القناة وذكر اكثرهم ان اسم قناة السويس لم يرد في وثائق اعمال سيتي المسجلة والمدونة في معبده في ابيدوس او معبد الكرنك وان ما ورد ذكره بانه قام بازالة المستنقعات التي كانت تعوق حركة الملاحة والنقل قصد بها قناة اخرى قام بشقها وهي احد افرع النيل القديم التي تصل الفرع البلوزي ببحيرة المنزلة ، علما بان ذلك الفرع لم يكن يصلح للسفن الحربية او السفن التجارية الكبيرة التي تصل الى البحرين الاحمر والابيض المتوسط .

كما ورد في بعض النصوص القديمة ان قناة السويس اهملت وتخربت في نهاية الاسرة الثامنة عشرة ولم تعد تصلح للملاحة البحرية او لمرور السفن الحربية ، وانقطع اتصال البحر الابيض بالبحر الاحمر ، كما ذكر كثير من المؤرخين نقلا عن هيرودوت ان اول محاولة لاعادة حفر القناة بعد الملك سنوسرت الثالث قام بها الملك نخاو الثاني في الاسرة ٢٦ ، لكن بردية مبليت التي ترجع الى عهد الملك نخاو الثاني الخاصة بحفر القناة سجلت دور سيتي الاول في حفر القناة حيث ورد بها :

« لقد امرت رجالك ايها الملك العظيم بان يعيدوا حفر القناة التي سبق لسلفك العظيم سيتي الاول حفرها لتوصل بين البحرين — البحر الشمالي وبحر اوتري الجنوبي مارة ببحيرات اميريس (المرة) » .

كما ورد في ورقة انسطاسي الاول التي وصف فيها رحلات سيتي الاول « اقام قلعة ثارو على القناة الفاصلة التي تفصل مصر عن الصحراء الشرقية ورسمت البردية القناة بشاطئيها والاشجار التي زرعت لتحمي ضفتيها من زحف الرمال والعواصف والكثبان التي تردمها » .

كما وصفت ورقة انسطاسى حفلات استقبال الملك منتصرا من البلاد الاسيوية عند عبور القناة بالقرب من قلعة ثارو التى تقام فيها الاعياد المقدسة لافتتاح القناة من وقت سنوسرت حتى أواسط الاسرة ١٨ فسيتى الاول يعتبر بذلك أول ملك أعاد حفر القناة بعد سنوسرت الثالث ·

● ٣ ـ قناة نخاو الثانى ●

نخاو الثانى (٦١٠ ـ ٥٩٥ ق · م) ثانى ملوك الاسرة ٢٦ اشتهر بحملته التى قادها على فلسطين واستولى على سوريا باكملها بعد هزيمة ومقتل يوشع ملك يهودا ولم تطل سيطرته عليها طويلا حيث هزم فى موقعة قرقميش على نهر الفرات على يد بختنصر واضطر الى الانسحاب من سوريا والاهتمام بشئون بلاده الداخلية ، فاتبع سياسة سيتى فى اصلاحاته الداخلية · فقام باصلاح المعابد تقربا لكهنة أمون الذين نصحوه بعدم المغامرة بحرب قرقميش عندما تنبأوا له بالانتصار على اليهود وقتل ملكهم (نبوءات ميليت) فوجه اهتمامه الى مشروعات الرى وحفر الترع وارسال البعثات التجارية والاستكشافية فطافت سفنه حول افريقيا باكملها ·

وقام بحفر القناة التى تصل البحر الابيض بالبحر الاحمر ·

وقد أجمع المؤرخون على انه لم يتم حفرها باكملها بل توقف بعد ان أتم الجزء الجنوبى منها الذى يمتد من خليج السويس الى البحيرات المرة · وقد فسر المؤرخون توقف العمل فى حفر القناة بعدة تفسيرات فوصف هيرودوت مشروع حفر القناة بقوله :

« انجب بسماتيك ولدا هو نيخوس ، وهو اول من حفر القناة التى تؤدى الى بحر اروترى ، والتى اتم حفرها من بعده داريوس الفارسى · وطول القناة يساوى مدى ابحار اربعة ايام ، وقد حفرت عريضة حتى انسعتين من ذوات الثلاثة صفوف من المجاذيف تمخرانها جنبا الى جنب ، ويؤتى اليها بالماء العذب من النيل منصرفا من مكان فوق مدينة بوباستيس بالقرب من مدينة باتوموس وتنتهى الى بحر اروترى (البحر الاحمر) · حفر منها الجزء الذى فى السهل المصرى وهناك يوجد اصغر طريق واقصره للذهاب من البحر الشمالى الى البحر الجنوبى · وتبلغ المسافة من هذا المكان حتى الخليج العربى الف استاد اما القناة فهى اطول من ذلك بكثير بقدر ما هى اكثر تعرجا · وقد هلك من المصريين اثناء عملهم فيها مائة وعشرون الف عامل وتوقف نيخوس فى منتصف عملية الحفر لان نبوءة عاقته » ·

● نبوءات العرافة ميليت ●

(بردیات متحف برلين)

لقد كشفت برديات العرافة ميليت التى وصفت بأنها احدى كاهنات معبد هيليوبوليس رغم اكتشاف البرديات فى احدى مقابر طيبة ، سر توقف الملك نخاو عن اتمام القناة ·

وتحوى برديات ميليت مجموعة من التنبؤات التى تنبأت بها للملك نخاو من بينها نبوءة انتصاره على الفلسطينيين وقتل يوشع ملك يهودا ونبوءة اخرى خاصة بغرق احدى بعثاته البحرية فى البحر الاحمر ·

اما نبوءة القناة فوجد نصها كما يلى :

« لقد امرت رجالك أيها الملك العظيم بأن يعيدوا حفر القناة التى سبق لسلفك العظيم سيتى الاول حفرها لتصل بحر الشمال ببحر

اروثرى الجنوبى مارة بالبحيرات المرة ـ انى ارى وراء الغيب أن عملك هذا سيجلب الضرر على مصر . فحفر القناة سيعود بالفائدة على الغريب دون القريب وعلى الاجنبى دون الوطنى ...

انك اليوم تتقاضى الرسوم على مرور الناس بارضك وعلى مرور التجارة والقوافل وتتحكم فى مصير الناس والبضائع . اما غدا عندما تفتح القناة فسيمر بها الجميع ...

وتجذب الجميع . ستجذب مطامع أعدائك فتفقد السيطرة على القناة وتجعل للخطر منفذا الى قلب بلادك . فبحق الآلهة وبحق الوطن عليك مر بوقف العمل فى الحفر . لا كانت القناة ولا كان الاتصال » ..

● ٤ ـ قناة دارا الاول ●

دارا الاول (٢٢ ـ ٤٨٥ ق . م) خليفة قمبيز على عرش الامبراطورية الفارسية وثانى ملوك الاسرة ٢٧ . نهج سياسة جديدة لمصالحة المصريين على النقيض من سياسة سلفه التعصبية ، وقد ذكر المؤرخ ديودورس الصقلى :

« عمل داريوس على استمالة نفوس المصريين بحسن معاملته لهم واحترام عقائدهم فاقام لامون معبدا فى واحة الخارجة وقدر المصريون ذلك فرفعوه الى مراتب ملوكهم من فراعنة الوادى .

عندما دخل مصر كانت القناة مهملة وقد ردمت الرمال الجزء الاكبر منها فلم تتمكن سفنه من دخولها من البحر الاحمر ، وذكر اكثر من مؤرخ ان قمبيز كانت له يد فى تخريب القناة اثناء زحفه على مصر ، كما ذكر انه كانت له يد فى قطع اتصالها بالبحر الشمالى أو بفرع نهر النيل البلوزى .

كما ورد فى وثائق ديودورس واقريكانوس « ان داريوس اتم حفر القناة التى كان الملك نيخوس قد شرع فى حفرها واكملها اجزركسيس الا انها لم تعمر طويلا » .

كما وصف هيرودوت دور « دارا » فى حفر القناة بقوله :

« اتم داريوس الاول ملك الفرس حفر القناة التى شرع فى حفرها نيخوس لتصل البحر الشمالى ببحر اروثرى الجنوبى ليربط منف بعاصمة الفرس ويرضى المصريين باعادة تعمير قناتهم المقدسة » .

قام « دارا » الاول بحفرها عام ٥١٠ ق . م وسجل تاريخ افتتاحها على لوحات داريوس المشهورة التى اقامها بالقرب من البحيرات المرة وقد ورد فى احداها « ملك الملوك داريوس الاول .. ملك الفرس .

انا الفارس من بلاد الفرس غزوت مصر واصدرت اوامرى بحفر القناة من نهر يسمى النيل يخترق ارض مصر من جنوبها الى شمالها ويصلها بالبحر الذى يجرى من ارض مصر الى ارض الفرس » .

ولما تم فتح القناة ابحر اسطول مكون من ٣٢ سفينة محملة بالتجارة والغنائم لتعبر النيل وتصل الى البحر وتدور حول الجزيرة لتصل الى بلاد فارس .

● ٥ ـ قناة الاسكندر الاكبر ●

الاسكندر الاكبر (٣٣٢ ـ ٣٢٣) ق . م دخل مصر عام ٣٣٢ ق . م بعد انهيار امبراطورية الفرس ، وتقرب الى المصريين باعتناق دياناتهم فنسب نفسه الى الاله امون (زيوس امون) فى معبده بواحة سيوة ثم توج بعد ذلك ملكا فى معبد الاله بتاح بمنف

فى ربيع ٣٣١ . ق . م غادر مصر ليستكمل غزواته وفتوحاته



سعيد باشا « ١٨٦٠م » اول من حفر القناة الحالية



اسماعيل باشا « ١٨٦٩ » اتم القناة وافتتحها .

الاسيوية ولم يكتب له ان يرى مصر بعد ذلك حيث قضى نحبه فى بابل ونقلت جثته ليدفن فى منف – ثم نقلت مرة اخرى لتدفن فى الاسكندرية عاصمة ملكه الجديدة التى انشأها ولم يرها .

اشتهر الاسكندر الاكبر بمشروعاته الهندسية التى نسبت لنشأته الثقافية العالية التى تلقاها على يد عدد من فلاسفة الاغريق وعلمائهم المعروفين وفى مقدمتهم الفيلسوف ارسطو ذلك بجانب هوايته لفنون الحرب والمعارك ..

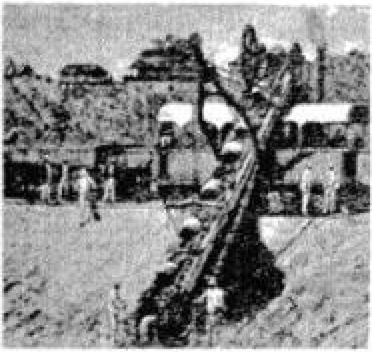
وقد ذكر مؤرخو اليونان القدماء ان من اهم المشروعات التى قام بنفسه بالاشراف على تخطيطها وتصميمها مشروع مدينة الاسكندرية التى أراد ان يجعل منها اكبر ميناء حربى لاساطيله بالبحر الابيض وينقل اليها عاصمة البلاد لتطل على البحر الابيض . ووضع مشروع قناتى الاسكندر لنقل سفنه واساطيله الحربية بين البحرين الابيض والاحمر اولهما مشروع اعادة حفر القناة التى تربط البحر الابيض بالبحر الاحمر التى تصل سيربونيس ببحيرة التمساح ومنها الى البحيرات المرة وتستمر حتى البحر الاحمر فى قناة داريوس والقناة الثانية كانت تمتد من رشيد وابى قير مخترقة الدلتا حتى البحيرات المرة بعد اتصالها بالفرع البلوزى وقناة سنوسرت القديمة لنقل السفن التجارية والحربية من الاسكندرية الى البحر الاحمر مباشرة . وقد بدأ العمل فعلا فى تنفيذ المشروعين فى وقت واحد وقد امر ان يتم حفر القناتين وتخطيط مدينة الاسكندرية وميناءها الجديد قبل عودته من غزواته وفتوحاته فى بابل والهند وقد توقفت تلك المشروعات فى مراحلها الاولى بعد وفاته .

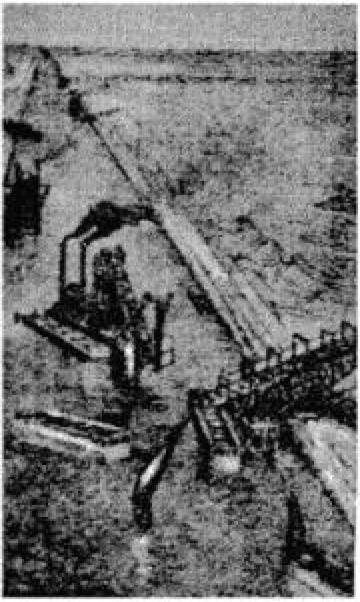
● ٦ ـ قناة بطليموس الثاني ●

بطليموس الثاني (٢٨٥ ـ ٢٤٦ ق ٠ م) تولى الحكم بعد سلفه بطليموس الاول الذى اشتهر بفتوحاته العسكرية ومشروعاته الاقتصادية والعمرانية ولكنه كان مكروها من المصريين كأجنبي مستعمر ٠ لذا فقد عمل بطليموس الثاني عندما تولى الحكم على استمالة المصريين باحترام عقائدهم وتشبه بالاسكندر الاكبر في سياسته حتى انه أعد شجرة للعائلة نسب نفسه فيها للاسكندر الاكبر المقدوني رئيس للاغريق ، وادعى ان البطالمة هم الخلفاء الشرعيون لعرش مصر الفرعوني وانهم من سلالة الاله امون رع (زيوس أمون) ٠ وتمشيا مع رغبات الكهنة سمى نفسه ابن رع وقام باصلاح المعابد ومنحها الهبات وحبس عليها الارقاف ، كما ظهر على لوحة بثوم بمنطقة القناة بجانب أسمه لقب (وسر كارع مرى أمون) اى ابن الاله من صلبه ورب التيجان ٠ كما قرب العلماء والمثقفين من المصريين من عرشه واستعان بهم في مشروعاته العمرانية ومن بينها مشروع قناة السويس التى أمر بحفرها تلبية لرغبة الاسكندر الاكبر المقدسة ٠ وقام بالاشراف على تنفيذها مهندسو مصر الذين تخصصوا في حفر الترع والممرات المائية ، وذكر في وثائق حفر القناة اسم الاسكندر الاكبر صاحب المشروع الاصلي ٠

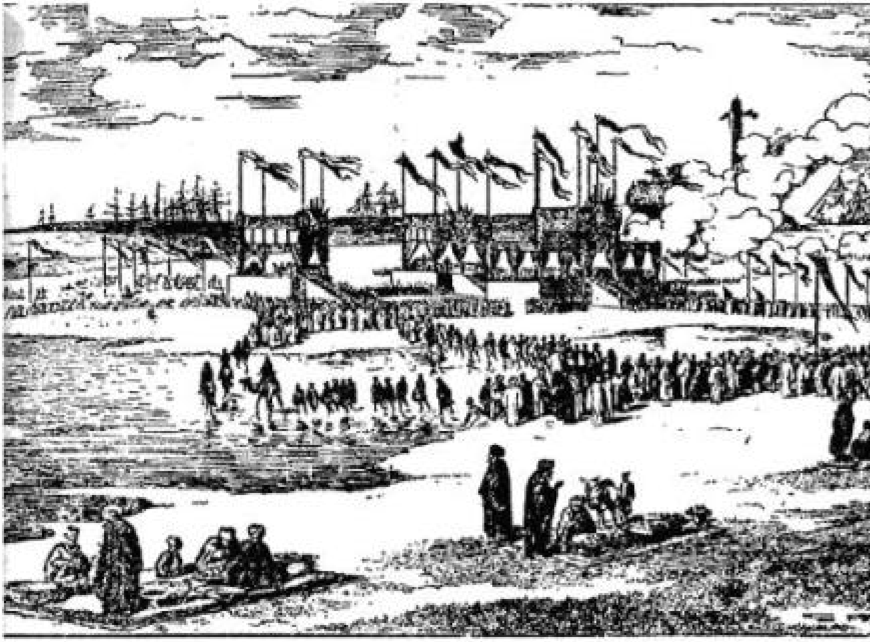
وقد بدأ حفر القناة بانشاء ميناء اسطول البحر الاحمر في هيروبوليت مكان ميناء السويس الحالي كما انشا مدينة ارسنوى نسبة الى زوجته (الملكة ارسنوى الثانية) التي اقام لها معبدا على بحيرة كم اور (بحيرة التمساح) بعد موتها ٠٠٠ وامتد حفر القناة الى البحيرات المرة لتتصل بفرع النيل الشرقي كما اعيد حفر

الحفارات الجافة التي حلت محل الحفر اليدوى في حفر القناة





استعمال الكراكات ومواعين نقل الرمل « الحفر الثاني »



رجال الدين يباركون القناة فى حفل الافتتاح فى بور سعيد

الجزء الشمالى منها الموصل الى القنطرة والبحر الشمالى وتم حفر القناة باكملها فى سنتين ، واستعان فى حفرها بالاسرى الذين جلبهم والده من حروبه الاسيوية والعبيد الذين اتى بهم من الجنوب ·

واقام بطليموس الثانى ايوانا مشهورا عند مدخل القناة بالسويس لاقامة حفلات واعياد القناة · وقد وصف كالسين القناة بعد افتتاحها بان عرضها كان يسمح بمرور سفينتين كبيرتين الواحدة بجوار الاخرى فاردة اشرعتها معلقة مجاديفها واحدة فى اتجاه الشمال والاخرى فى اتجاه الجنوب · كانت سفن الشمال تحمل اخشاب الارز والنسيج من شواطىء البحر الابيض وسفن الجنوب تحمل التوابل والعطور والحيوانات والعاج والابنوس والاحجار الكريمة · وكانت الرحلة تستغرق من كل من شاطىء البحر الابيض والبحر الاحمر الى بحيرة التمساح ثلاثة ايام · وافتتح بطليموس الثانى القناة فى سفينته الخاصة (ارسنوى الجميلة) التى ابحر بها من الاسكندرية ودخل القناة من بلوزيوم بالقرب من بحيرة المنزلة وعبر القناة حتى مدخلها من البحر الاحمر (اروترى) حيث اقيمت الاحتفالات فى كل من كم اور (بحيرة التمساح) ومدينة ارسنوى (السويس)

ويصف كالسين سفينة بطليموس التى افتتح بها القناة بان طولها ٢٨٠ ذراعا وعرضها ٤٢ ذراعا وبها اربعون صفا من المجذفين ، وكانت من خشب الارز الحر واشرعتها من القماش المطرز الارجوانى اللون ويتصدر

السفينة تمثال لرأس الاله امون وكانت مقصورة الملك مزخرفة برقائق الذهب والعاج ··· واعتبر يوم الافتتاح عيدا دينيا وشعبيا كانت تقدم فيه القرابين للآلهة فى معابد القناة كل عام ·

وعن طريق قناة بطليموس الثانى دخلت الجمال والجاموس الافريقى الى وادى النيل لاول مرة ، كما جلب الفيلة التى استخدمها مع قواته العسكرية فى الحرب ·

● ٧ — قناة الامبراطور تراجان ●

رغم أن عهد الامبراطور تراجان الرومانى فى مصر كان عهد قلاقل وثورات ، الا انه ذكر أن من أهم أعماله فى مصر كان مشروع اعادة حفر القناة التى قام بانشائها كل من نخاو الفرعونى وداراً الفارسى ، وقد تم حفرها واحتفل بافتتاحها للملاحة عام ١١٧ م ·

كما ذكرت بعض المصادر الرومانية أن الامبراطور هدريان عند زيارته لمصر عام ١٢٢ م قام بزيارة القناة ومواانيها وأمر باصلاح بعض مناطقها التى لم يكن تراجان قد أتمها ، كما أمر بتوسيعه ممرات البحيرات لتسمح بمرور السفن الكبيرة واصلاح ارصفة موانيها ·

● ٨ — قناة أمير المؤمنين ●

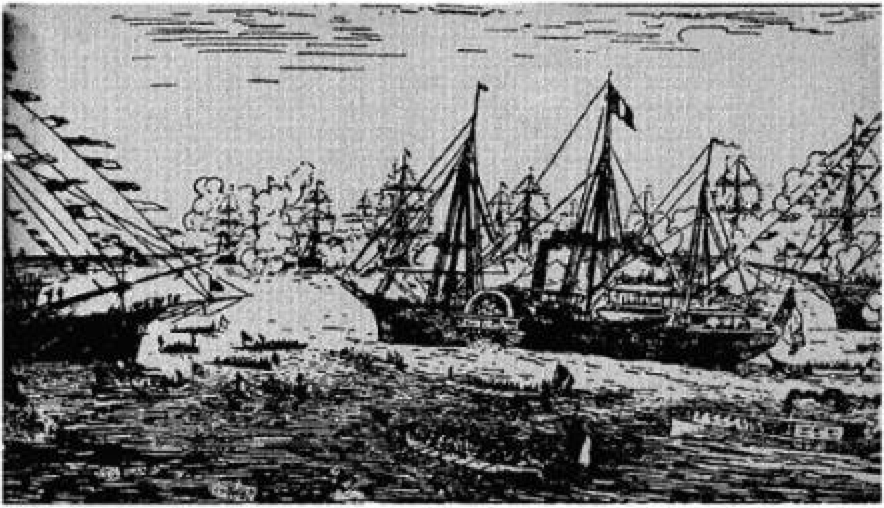
(عمرو بن العاص ٦٤٢ م)

وضع عمرو بن العاص مشروع القناة جديدة من مدينة فرما وكان موقعها مكان بور سعيد الحالية لتصل البحر الابيض بالبحر الاحمر ، ولكن الخليفة عمر بن الخطاب عارض المشروع خوفا من طغيان البحر الاحمر على ارض مصر ، وامر بالاستعاضة عنها باعادة حفر القناة الرومانية القديمة التى تربط الفسطاط ببحر القلزم ، وهو الاسم القديم لمدينة السويس (كلسيما) وكان الغرض منها التبادل التجارى مع البلاد العربية ونقل الحجاج من الفسطاط الى بيت الله الحرام بالسفن مباشرة ·

وقد استخدمت قناة امير المؤمنين

ملوك أوربا وعظمائها فى مادبة الاستقبال بالاسماعيلية فى حفلات افتتاح القناة





اليخت الامبراطورى «النسر» اول باخرة تعبر القناة وبجانبه اليخت « المحروسة» وقافلة بواخر العالم ـ اول قافلة تعبر القناة من البحر الابيض الى البحر الاحمر

للملاحة زهاء قرن ونصف قرن الى ان قام الخليفة العباسى ابو جعفر المنصور بردمها عندما تمرد عليه اهل المدينة، حتى لا تستخدم فى نقل المؤن اليهم ويمنع التجارة مع اهلها .

● وقد اهملت القناة تماما بفروعها الثلاثة التى كانت تتقابل عند البحيرات المرة حتى اواسط القرن الماضى ، عندما وضع المهندس النمساوى نجريللى مشروع وصل البحر الابيض بالبحر الاحمر بعدما هدم النظرية القائلة باختلاف منسوب المياه فى البحرين الابيض والاحمر التى كانت سببا فى ايقاف مشروع عمرو بن العاص . وقد اعتمد نجريللى فى دراساته على ان القناة كانت موجودة فعلا وحفرت اكثر من مرة فى عهد قدماء المصريين ، وان حجة عمر بن الخطاب كانت لاغراض عسكرية وسياسية لمنع سفن بلاد الشمال من دخول مصر والوصول الى شواطىء البلاد العربية .

● ٩ ـ قناة الخديو اسماعيل ●

ان مشروع نجريللى الذى وضعه لقناة السويس وقام بعمل الدراسات الفنية والاقتصادية له ، قام بعرضه على الحكومة المصرية وبعض الحكومات الاجنبية فوقفت فى سبيله مجموعة من الاعتراضات السياسية والاقتصادية .

وفى عهد سعيد باشا تقدم المهندس ديلسبس مرة اخرى بالمشروع وعرض استعداد قيام شركته بتنفيذ المشروع الذى قدرت تكاليفه بسبعة ملايين من الجنيهات موزعة على ٤٠٠ الف سهم وان يجعل لمصر مركزا ممتازا فى الشركة وادارتها بالاكتتاب فى ٤٥٪ من اسهمها .

وقد تعثر تنفيذ المشروع فى مواجهة حملات التشكيك التى قامت بها الحكومة البريطانية لدى الباب العالى ومختلف الدول الغربية التى تؤازرها خوفا من نفوذ فرنسا وسيطرتها على

القناة وبالتالى على تجارة المستعمرات .

عندما تولى اسماعيل باشا الحكم عام ٢٨٦٣ م لاحظ أنه بالرغم من الصعوبات الطبيعية الهائلة التى صادفتها الشركة ومهندسوها فى الصحراء ، فقد تمكنوا بجهودهم الجبارة من حفر القناة بعرض ٥٦ مترا وعمق ستة أمتار وبطول ١٦٠ كيلومترا ، وكانت أعمال القناة لم تنته بعد ولكنها وصلت الى مرحلة لا يمكن التراجع معها فبعد أن كانت ثورة الحكومة الانجليزية والبرلمان الانجليزى مركزة على عدم صلاحية المشروع من النواحى الفنية وانه سيعود بالخراب الاقتصادى على مصر والشركة الفرنسية والمساهمين الاجانب - تحولت الحملة على الشركة لانها تسخر العمال المصريين فى أعمال الحفر وحمل الصخور والرمال بغير مقابل وفى ظروف لا انسانية ، كما وضعت الشركة يدها على اجزاء كبيرة من أرض مصر باسم المشروع وادارته .

فاستغل اسماعيل باشا تلك الحملة ليطالب بتعديل عقد الشركة قبل الموافقة على الاستمرار فى تنفيذ المشروع ، فنص الاتفاق الجديد الذى وقعه مع الامبراطور نابليون الثالث على ما يلى :

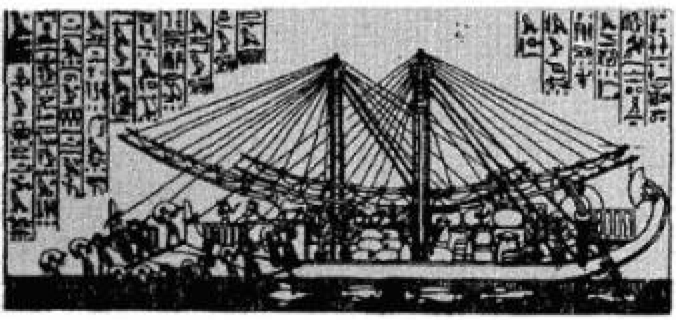
١ - منع الشركة من تشغيل العمال المصريين ، ومن يرغب منهم العمل بالشركة فعلى الشركة أن تمده بالغذاء والكساء والعلاج على نفقتها كما تدفع له اجرا يوميا ثابتا قدره فرنك واحد للشخص ونصف فرنك لغير البالغين .

٢ - تقوم الشركة باعداد الحفارات والجرارات الميكانيكية والقاطرات والمعدات اللازمة للحفر ونقل الرمال وقطع الاحجار وذلك قبل البدء فى العمل .

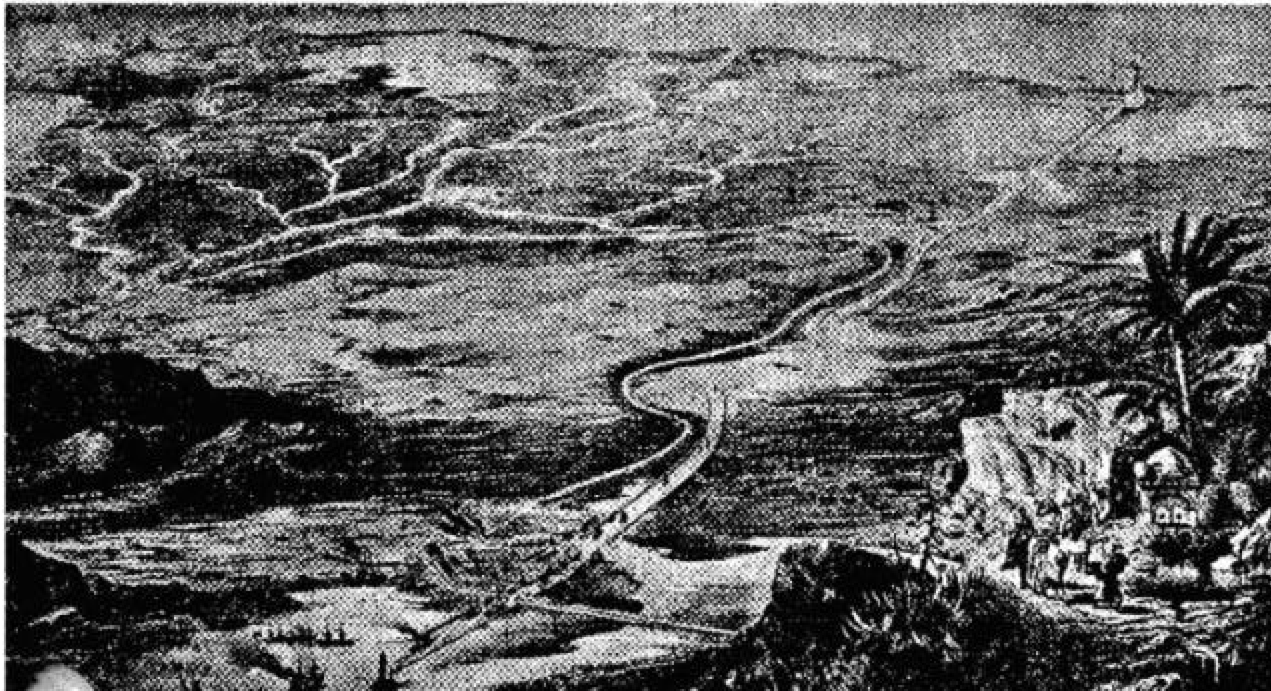
٣ - اعادة الاراضى الزائدة عن حاجة العمل - وقدرها ١٥٠ الف فدان - الى الحكومة المصرية .

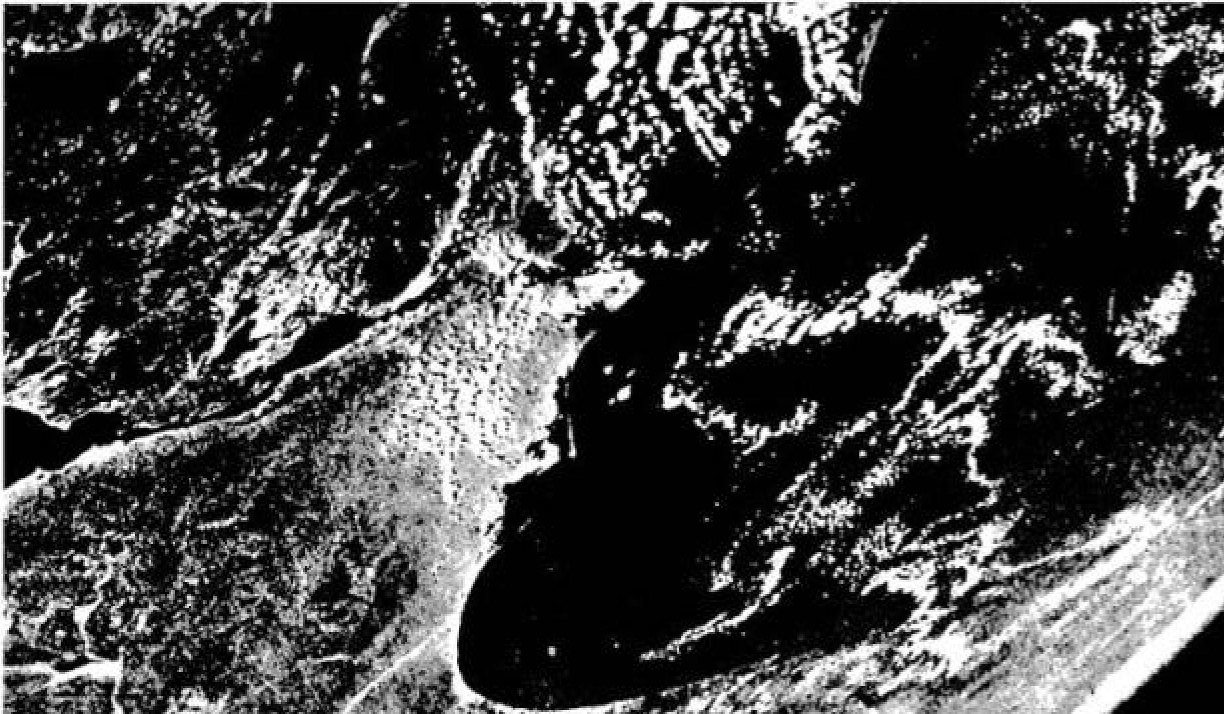
وهكذا حسم الخلاف بين اسماعيل باشا والشركة وتوقفت أعمال السخرة ونتيجة لذلك الاتفاق ظهرت فى أعمال الحفر بالمشروع الجديد مجموعة مبتكرة من الحفارات والكراكات والجرارات تعد الاولى من نوعها فى العالم فى ذلك الوقت ، اهمها حفارة القواديس الجافة التى اخذ المهندسون فكرتها من قواديس سواقى الريف المصرى ، وقد أطلق عليها المهندسون الفرنسيون الذين وضعوا تصميماتها اسم ساقية الرمال المصرية . كما استخدمت أنواع أخرى من الصنادل والمواعين ذات القاع المتحرك التى تحمل رمال الحفر من المجرى المائى

نموذج لاحدى سفن سنوسرت الثالث ، أول سفينة تعبر القناة من البحر الابيض الى البحر الابيض والنيل

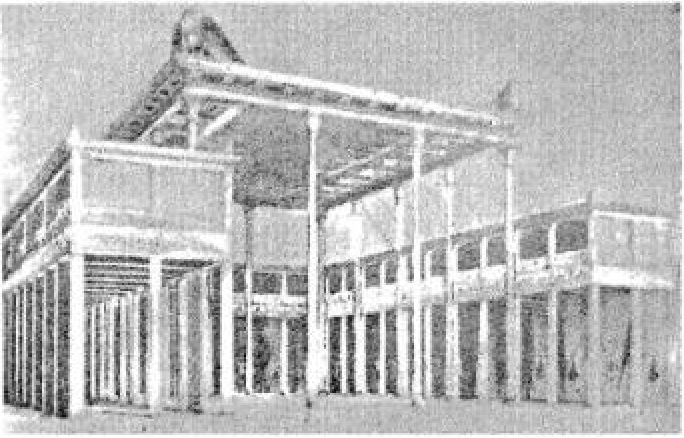


اقدم لوحة فنية تذكارية رسمها احد كبار الفرنسيين الذين رافقوا حفل الافتتاح وتبين اللوحة الجوية كلا من البحر الابيض والبحر الاحمر وقناة السويس ودلتا نهر النيل ومدينة القاهرة وترعة الاسماعيلية « متحف اللوفر »





احدث صورة جوية لقناة السويس، التقطها رائد الفضاء بورمان
عام ١٩٦٨ من ارتفاع ٢٨٠ كيلو مترا اثناء عودته من القمر



منصة الاحتفالات في بورسعيد ــ حفل افتتاح القناة ١٨٦٩ م

وتنقلها وتفرغها في قاع البحر
وقد سجلت مراحل الحفر في سجلات الشركة كما يلي :
٨ يناير ١٨٦٥ وصلت المعدات الجديدة وبدأ الحفر في القناة
١٤ مارس ١٨٦٩ وصلت مياه البحر الابيض المتوسط الى البحيرات المرة ٠
١٥ اغسطس ١٨٦٩ وصلت مياه البحر الاحمر الى البحيرات المرة

١٧ نوفمبر ١٨٦٩ احتفل رسميا بافتتاح القناة ٠
بلغ عدد السفن من مختلف الجنسيات والتي عبرت القناة في أول سنة من افتتاحها ٨٢٠ باخرة ــ ارتفع عددها في عام ١٩١٢ أي قبل قيام الحرب العالمية الاولى ليصل الى ٥٠٨٠ باخرة في عام واحد ٠
ثم وصل في سنة ١٩٣٨ أي قبل قيام الحرب العالمية الثانية



منصة الاحتفالات وايوان بطليموس الثاني ٢٨٠ ق ٠ م

الى ٦١٧١ باخرة ، وفى عام ١٩٥٥ ارتفع عددها الى ١٤٦٦٦ باخرة وفى عم ١٩٦٦ وصل الى ١٦٢١٠ باخرة .

أما الاسماء التي أطلقت على مدن القناة ومعالمها العمرانية فيرجع أصلها الى ما يلى :

بورسعيد : ميناء مدخل القناة سميت باسم سعيد باشا الذى وضع مشروع القناة وبدىء حفر الجزء الاكبر منها فى عهده .

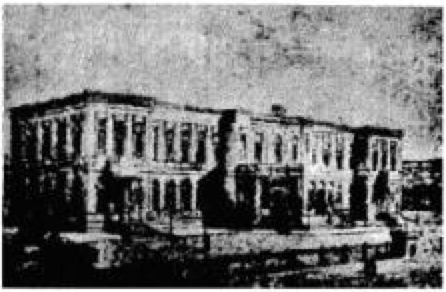
الاسماعيلية : نسبة الى قصر الاستراحة الاسماعيلية الذى بناه اسماعيل باشا ليشرف منه على تنفيذ القناة وسميت باسمه .

البحيرات المرة : بحيرات أمبريس كانت احدى البحيرات العذبة التي تصل اليها المياه من قناة نهر البيلوزى فى وقت الفيضان ، وعند توصيلها بالبحر الاحمر عند حفر القناة الاولى انتقلت الملوحة الى مياهها فأطلق عليها البحيرة المرة ـ أمبريس من عهد الفراعنة .

القنطرة : احتفظت باسمها الفرعونى القديم وهو قلعة « ثارو » التي بناها ستوسرت للدفاع عن القناة

احتفل بافتتاح قناة السويس يوم ١٦ نوفمبر سنة ١٨٦٩ وحضر الحفل كل من الامبراطورة أوجيني زوجة نابليون الثالث لانشغاله بمسائل حربية هامة ـ وامبراطور النمسا ، وولى عهد بروسيا ، وولى عهد هولندا ، وعدد كبير من العظماء والسياسيين من مختلف دول العالم .

وابتدأت حفلات الافتتاح بتلاوة آى الذكر الحكيم ، وتلتها صلاة شكر قام بها رجال الاكليروس اللاتين على شاطىء بورسعيد عند مدخل القناة . وبعد الانتهاء من المراسيم الدينية بدأت حفلات الاستقبال الفخمة التى أطلق عليها أعياد بور سعيد ... وفى يوم ١٧ نوفمبر أعلن افتتاح القناة فسار اليخت الامبراطورى « النسر » تتبعه الباخرة المحروسة ، وقافلة طويلة تضم ٦٨ باخرة تمثل جميع الدول الكبيرة فى العالم ، وعند وصول الاسطول الملكى الى الاسماعيلية أقيمت حفلات ، لم تر مثيلها عين ولا سمعت بفخامتها أذن ، كما وصفتها الصحافة العالمية وقتذاك ، وأطلق على المدينة اسم الاسماعيلية تيمناً باستراحة الضيافة التى أقيمت بها احتفالات الاستقبال ، وبعد حفلات الاسماعيلية استمر الموكب فى سيره لاتمام رحلته وسط قناة شقت رمال الصحراء ووديانها الصخرية ، مارا بالبحيرات التى كانت بالامس مستنقعات ضحلة على وشك الجفاف وعندما وصلت البواخر الى حوض



استراحة الاسماعيلية ، سميت المدينة باسمها ، واقيمت بها حفلات القناة ....

السويس استولت على الضيوف العظام دهشة عظيمة ، فابرق ملوك العالم ومراسلو الصحافة العالمية الى بلادهم بأن بواخرهم « كانت اول من قطع المسافة بين البحرين الابيض والاحمر في طريق ملاحى من احسن الطرق الملاحية في العالم ، ومعجزة فنية صنعتها يد الانسان ، وانهم قطعوا الرحلة في يومين بدلا من اربعة اشهر » ..

وقد تبع مشروع حفر قناة السويس شق ترعة الاسماعيلية للملاحة النهرية بين القاهرة والقناة ، حتى تمد القناة ومدنها بمياه الرى والشرب اسوة بالقناة الثلاثية التى كانت تمثل أول مشروع لحفر القناة من ٢٨٥٠ سنة .

وقد اطلق على القناة اسم قناة السويس عندما رفض اسماعيل باشا أن تسمى باسمه لان دوره فى المشروع لم يكن سوى تكملة ما بداه سلفه سعيد باشا .

وفى ٢٦ يوليو عام ١٩٥٦ اعلنت مصر تاميم القناة ...

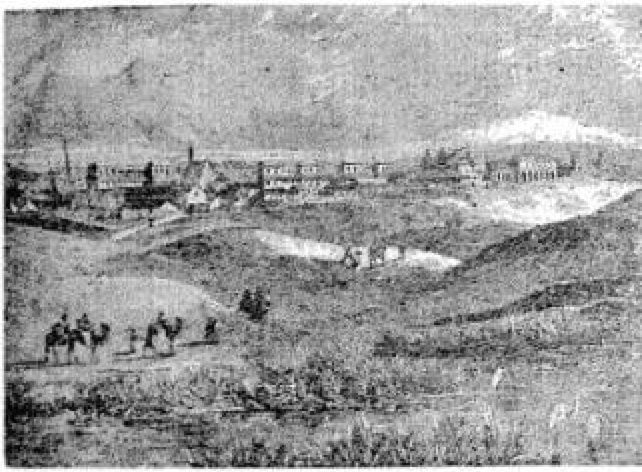
وفى ٣١ اكتوبر من نفس السنة تعرضت مصر والقناة لعدوان مسلح اشتركت فية اسرائيل تعاونها كل من انجلترا وفرنسا ، ولم يتوقف العدوان الاسرائيلى حتى عام ١٩٦٧ حيث طويت صفحة أخرى من صفحات تاريخ القناة وتحدياتها للزمن لتفتح صفحة جديدة فى اكتوبر عام ١٩٧٣ يعاد فيه تحريرها ، وتعميرها ، واعادة حفرها بأبعاد جديدة ، ومقاييس جديدة ، وآفاق جديدة ، وآمال جديدة تتمشى مع احتياجات الامة ومطالب العصر وامكانياته الفنية والاقتصادية

حفلات افتتاح القناة

لم تكن حفلات افتتاح قناة السويس التى اقامها اسماعيل باشا وشاركته فيها دول العالم هى الحفلات الاولى فى تاريخ القناة ، فقد سجل تاريخ القناة القديم أول حفل لافتتاحها اقامه الملك سنوسرت الثالث الذى كان أول من قام بحفرها وسجل تاريخ افتتاحها ، فى الشهر الثانى من فصل الفيضان فى العام الثانى عشر من حكمه ، فى لوحة الكرنك المشهورة ، ولم يختلف حفل افتتاحه لها عن الحفل الذى اقيم فى اخر احتفال لها حيث بدأ الحفل بالمراسيم الدينية التى قام فيها كهنة معابد آمون بمباركة القناة ، وقدمت القرابين للآلهة ، تبعه حفل عسكرى فى قلعة « ثارو » التى اقيمت للدفاع عن القناة أطلق عليه « عيد النصر » احتفل فيه الشعب بجيشه وقائده فرعون ووضعت أناشيد تغنى بها الشعب ممجدا الجيش وانتصاراته ، ثم اقيم حفل شعبى اشتركت فيه الهيئات الرسمية التى تمثل مختلف المحافظات باعلامها المميزة .

وقد اعتبر عيد افتتاح قناة سنوسرت من الاعياد المقدسة التى استمر الاحتفال بها واعيد احياؤها خلال عدة اسرات استمرت الى مايقرب من سبعة قرون وحتى أوائل الاسرة التاسعة عشرة رغم انها قد اهملت وتعرضت للتخريب واعيد حفرها عدة مرات .

ومن حفلات افتتاح القناة التى اسهب المؤرخون فى وصفها حفل افتتاحها فى عهد الملك « دارا » الاول الذى قام بحفرها بعد أن خربها سلفه الملك قمبيز وسجل حفل افتتاحها على لوحات داريوس وبرديات تانيس فى العام الثانى عشر من حكمه واحتفل بافتتاحها بمرور قافلة بحرية اتت من بلاد الفرس تتكون من ٢٢ سفينة بحرية كبيرة محملة بالهدايا لاهل مصر ومعابدها ، فوصلت من البحر الاحمر حتى مدينة منف على النيل ، ثم عادت مارة بالقناة محملة بالهدايا ومن



مدينة الاسماعيلية واول مبانيها عند الانتهاء من حفر القناة

خيرات مصر ومصنوعاتها النفيسة هدية الى بلاد الفرس كتعبير عن الصداقة بين الشعبين .

ومن الاحتفالات التى وصفها التاريخ وعنى بها بصفة خاصة مؤرخوا الاغريق حفل افتتاح القناة التى قام بحفرها بطليموس الثانى واطلقوا عليها اسم قناة « كم أور » نسبة الى المعبد الذى أقامه عند بحيرة التمساح واحتفل بافتتاح القناة فى العام السابع من حكمه . ويصف المؤرخون حفل الافتتاح بدخول سفينته الاسطورية التى تبحر بها من الاسكندرية تتبعه قافلة مكونة من ٢٤ سفينة تحمل رجال الدين والحاشية وقواد جيشه . وكانت سفينته أول سفينة تدخل القناة بعد ازالة الجسر الترابى الذى كان يفصلها عن البحر الابيض عند الفم البيلوزى . وسارت القافلة حتى معبد « كم أور » على بحيرة التمساح حيث أقيم حفل دينى اشترك فيه كهنة معابد امون وهو المعبد الذى دفنت فيه زوجته أسنوى ونودى بها كقديسة بعدما اعتنقت الديانة المصرية كزوجها ... وسارت القافلة حتى وصلت الى السويس حيث أقيم ايوان بطليموس المشهور احتفالا بافتتاح القناة واطلق على مدينة السويس وميناها البحرى الجديد أسم « ارسنوى » .

د. عبد الرحمن زكي

قناة أمير المؤمنين

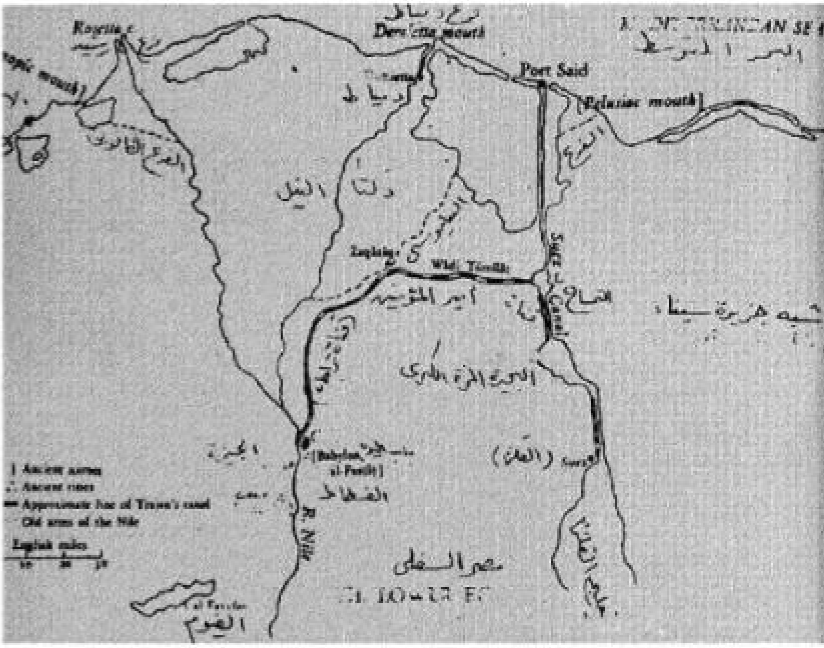
أول مشروع عربي لقناة السويس

ليس صحيحا ان يعتقد بأن القناة القديمة التى يتحدث عنها المؤرخون عند سرد المحاولات التى بذلت فى العصور السالفة لربط البحرين الابيض والاحمر (الارثيرى) هى شبيهة بقناتنا الحالية من حيث الغرض والاتجاه اللذى انشئت من اجله .

فالمصريون القدامى ، مثلا ، ارادوا بقناتهم ربط النيل بالبحر الاحمر تيسيرا لمرود سفنهم الحصول على خيرات البلاد الواقعة على شاطئيه حتى سواحل مياه بحر العرب وبلاد بونت المطلة عليه .

ولم يقم الدليل على انهم كانوا يرمون الى تسهيل المواصلات بين البحرين الابيض والاحمر ، كما كان الهدف منذ القرن الثامن عشر .

اختلفت روايات المؤرخين حول تاريخ انشاء اول قناة لربط نهر النيل بالبحر الاحمر فى العصور القديمة ، كان فى طليعة هؤلاء شيخ المؤرخين « هيرودوت » ، فقد ذكر أن أول من حفر القناة هو الملك نخاو بن بسماتيك (٦٠٩ - ٥٩٢ق ٠م) وقد اخذ كثير من المؤرخين برأيه اعتمادا على انه استند فيه الى رواية الكهنة المصريين وهم اعلم من غيرهم بتاريخ وطنهم ، بيد ان ارسطو ، واسترابون وبليني قالوا انها حفرت فى ايام رمسيس الثانى (سيزوستريس) وقد قام على ترجيح صحة هذه الرواية دليل يرجع الفضل فى كشفه الى العالم



خريطة تبين قناة أمير المؤمنين

الاثرى سير « جاردنر ولكنسون » ، فقد عثر قرب موقع القناة القديم على تمثال اقيم فى عهد رمسيس الثانى ، ويزعم انه اقيم تخليدا لذكرى اتمامه حفر القناة ، بينما يؤكد العــــلامة « مربيت» أن القناة كانت مفتوحة منذ عهد الملك سيتى اى قبل تولى ابنه رمسيس الثانى ... ويضيف «مربيت» على ذلك ان القناة اهملت فى عهد الاضطراب الذى ساد مصر فى اواخر ايام الاسرة العشرين وما بعــدها ، فظلت مغلقة حتى جاء عهد نخـــاو الثانى ، قرابة (٦١٠ ــ ٥٩٥ ق م) الذى كان يرمى الى بسط سيادة مصر البحرية على كلا البحــرين الابيض والاحمر ، ففكر فى اعادة فتح القنـاة

قنـــاة أمـــير المؤمنين

القديمة ، وكان ذلك في القرن السابع قبل الميلاد ، ولكن نخاو هذا لم يعمر طويلا فلم يحقق مشروعه · اذ يروى « هيرودوت » عنه انه بعد أن سخر العمال في الحفـــر هلك منهم مائة وعشرون الفا، فامر بوقف العمل طوعا بعد مشورة الالهة الذين انبـاوه بان ثمرة عمله ستقع في قبضة الاجانب الغزاة · وقد كان حسنا ما فعل ،فان مصر سقطت بعد ذلك في قبضة الملك «دارا» ملك الفرس (١) وكان في جملة ما فعله ، اعادة فتح القناة الموصلة للبحر الاحمر ، ولما انتهى العمـــل ، اقام نصبا تذكاريا قرب البحيـــرات المرة على شاطئها الغربي نقش عليه عبارة تاريخية بالكتابة المســمارية · ومع ذلك فهناك من المؤرخين من ينكر أن القناة اعيد شقها على يد « دارا » اذ يذكر سترابون وديودور الصـــقلي ايضا ، كتب حوالي سنة ٦٠ ق ٠م ، ان شق القناة وقف عنه حد البحيرات المـــرة اذ خشي « دارا » على مصر الغرق لاعتقاد القوم حينئذاك ، ان مياه البحر الاحمر كانت اعلى من مستوى ارض شرق مصر ·

● قناة البطالمة وقناة تراجان ●

● اهملت القناة بعد ايام الفرس

وردمت في عهد الاضطرابات في اواخر ايامهم ·· حتى كانت ايام البطالمة ، فاعيد شقها في ايام بطليموس الثاني بعد أن انجز حفرها (٣٠٨ ـ ٢٤٦ ق·م) ، وقيل انه انشأ على القناة سدا هندسـيا لوقف اندفاع المياه ، فكان السد يفتح لمرور السفن ثم يغلق ·

ونعتمد في وصف قناة بطليموس الثاني على ماذكره المؤرخان ديودور واسترابون لانهما وصفا ما شاهداه· وذكرا أن القناة ابتدات من مدينــة بيلوسيوم وانتهت عند ارسينوى ، وما يعنيه المؤرخان هو اتصال فرع النيل البيلوسي بالقناة المتفرعة عند فاقوس والمتصلة بالبحر وتختلف بعض آراء المؤرخـــين عن تلك الاقوال بعض الشيء ··

● ثم جاء الرومان واحتلوا مصر، فاهملت القناة في أوائل ايامهم ،وقد ظلت معروفة باسم قناة البطالمة حتى عصر تراجان (٥٣ ـ ١١٧ م) ·وقد أحدث هذا العاهل بعد توليه عرش روما تغييرا كبيرا في مجرى القناة، وطهرها أولا لتكون صالحة للملاحـة ثم جعلها اكثر اتســـــاعا وعمقا لتستطيع الســـفن الكبيرة ـ الملاحة فيها ،كما انه جعلها تستمد ماءها من نهر النيل الاصـــلي عند مدينـــة بابليون أو مصر القديمة الحالية بدلا من ابتدائها من فرع النيل البيلوسي عند مدينة بوبسطة (تل بســـطة) القريبة من الزقازيق (وهناك رأى

---

(١) د · حسين حسني : التاريخ القديم لقناة السويس من محاضرة القاها في دار المدرســـة الثانوية في القاهرة

يقول عند بلبيس) وكان مصدر تلك العناية ، حاجته الشديدة لتيسير الاتصال التجارى والحربى مع انحاء امبراطوريته ..

● مصر فى الاستراتيجية العربية ●

● ثم اهملت القناة ثانية فى اواخر ايام الحكم البيزنطى ،فطمرتها الرمال ، وظلت على هذه الحال حتى فتح العرب مصر تحت قيادة عمرو ابن العاص (٦٣٩ ـ ٦٤١ م) . ثم بدأت قناة امير المؤمنين حياتها من جديد .

فطن الخليفة عمربن الخطاب وقادته المحنكون الى موقع مصر الممتاز الذى كانت تتمتع به ، منذ القدم ، فقد كتب المؤرخون العرب يصفون هذا الموقع الفريد بقولهم :

● « من فضائل مصر انها فرضة الدنيا يحمل من خيرها الى سواحلها، وذلك ان من ساحلها بالقلزم ينقل الى الحرمين والى جدة والى عمان والى الهند والى الصين ، وصنعاء وعدن والشحر والسند وجزائر البحر ، ومن جهةتنيس ودمياط والفرما (بيلوسيوم) فرضة بلد الروم واقاصى الفرنجة وقبرص وسائر سواحل الشام ، والثغور الى حدود العراق ،ومن جهة الاسكندرية فرضه اقريطش (كريت) وصقلية وبلد الروم والمغرب كله الى طنجة والمغرب . ومن جهة الصعيد فرضة بلد النوبة وقبائل البجة والحبشة والحجاز واليمن (١) » .

● ولكى ندرك ظروف شق القناة باشكالها ومسيرها لا سيما ايام الفتح العربى ، ينبغى انلم بما كانت عليه دلتا النيل خلال الالفى سنة الماضية. فقد كان نهر النيل يتفرع شمال باب اليون بمسافةقليلة حيث موقع القاهرة الحالى الى ثلاثة فروع رئيسية (٢)، منها فرعا دمياط ورشيد الحاليان ، وكان الفرع الثالث ، هو الفرع البيلوسى الذى كان فى شرقى فرع دمياط وينتهى بالقرب من مدينة بيلوسيوم القديمة التى عرفها العرب بالفرما .

وفى وسط هذا الفرع تقريبا ، كانت هناك بحيرة متصلة بمدينة تل بسطة الحالية (بوباستيس القديمة) القريبة من الزقازيق . ومن هذه البحيرة كانت قناة نخاو تسير فى اتجاه مدينة ارسينوى (السويس) . وكانت تنتهى عند البحيرات المرة التى كانت تقع فى شمال غرب رأس البحر الاحمر وفى اثناء الحكم الرومانى كان الفرع البيلوسى قد بدأ يجف ، كما ان القناة التى بين بوباستيس والبحر الاحمر لم تعد صالحة لملاحة السفن، ولذلك عنى تراجان فيما بين ٩٨ ـ ١١٧ م باصلاح القناة وتعميقها .

● قناة امير المؤمنين ●

وقناة امير المؤمنين هى الخليج الذى تكلم عنه المؤرخ المقريزى بافاضة

ويظهر من اقواله انه بعض من

(١) النويرى : نهاية الارب : جـ ١ ص ٣٤١، المقريزى : خطط جـ ١ص ٢٨
(٢) د . سيدات كاشف : مصر فى فجر الاسلام ، ص ٣٠٢

قنـــاة أمـــير المؤمنين

خليج قديم استخدم في الازمان الماضية في الملاحة موصلا بين النيل والبحر الاحمر • وقد افرد المقريزى بابا خاصا عن هذا الخليج يعتبر مرجعا وافيــا للمؤرخين ، وقد ذكر ان هذا الخليج بظاهر القاهرة في جانبها الغربى فيما بينها وبين المقس (عند جامع أولاد عنان) •

● مشروع القـــــائد عمر بن العاص قبل دلسبس ●

يعد ما فتح عمرو مصر ، استاذن الخليفة عمر بن الخطاب لشق خليج عبر برزخ سيناء يصل ما بين الفرما والبحر الاحمر ، فلم يوافقه على ذلك ثم اكتفى عمرو بن العاص باصــلاح خليج تراجان السابق ذكره واوصله بخليج خاو القديم ، واجتمـــع من الخليجين خليج واحد كان ينتهى الى مستنقع يصل احيانا بالبحر الاحمر، وكان قد طم (امتلا بالطين) •

● وسنمر الان بذكر الظروف التى دعت الخليفة عمر الى موافقتــه على اعادة حفر هذه القناة الهامة بعد فتح مصر في أوائل القرن السابع • ذكر المؤرخ المصرى عبد الرحمن بن عبد الحكم (١) ومن نقلوا عنه من المؤرخين كالمقريزى (٢) والسيوطى (٣) ، أن أهل المدينة المنورة اصابهم جهد شديد في خلافة عمر عام الرمادة (عام ١٨هـ) وفى هذه السنة أيضـــا كان طاعون عمواس ، فكتب عمر بن الخطاب الى أمراء الامصار يستغيثهم لاهل المدينة ومن حولها ويستمدهم، ومن بين الذين استغاث بهم عمرو بن العاص امير مصر (٤) ، فكتب اليه يقول :

« من عبد الله أمير المؤمنين الى عمرو بن العاص : سلام عليك ، أما بعد •• فلعمرى يا عمرو ما تبالى اذ أشبعت أنت ومن معك أن أهلك ومن معى ، فيا غوثاه ثم يا غوثاه »

فأجاب عمرو بن العاص : « أما بعد فيالبيك ثم يا لبيك ، قد بعثت اليك بعير أولها عندك وآخرها عنـــدى والسلام عليك ورحمة الله » •

وهكذا بعـــث الى الخليفة بعير عظيمة ، فلما قدمت على عمر وســـع بها على الناس وأعطى أهل كل بيت بالمدينة وما حولها بعيرا بما عليه من الطعام (٥) •

● ثم كتب الخليفة الى عمرو أن يقدم هو وجماعة من أهل مصر معه،

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، طبعة تورى ، ص ١٦٢ ــ ١٦٤ •
(٢) المقريزى : الخطط : ج ٢ ص ١٤١ ــ ١٤٣
(٣) السيوطى : حسن المحاضرة : ج ١ ص ٦٨
(٤) ابن الاثير : الكامل ج ٢ ص ٤٣٣
(٥) سيدات كاشف : مصر فى فجر الاسلام ص ٣٠٤

فقدموا عليه ، فقال عمر : « يا عمرو ان الله قد فتح على المسلمين مصر ،

وهى كثيرة الخير والطعام، وقد القى فى روعى لما أحببت من الرفق بأهل

الحرمين التوسعة عليهم حين فتح الله

مصر وجعلها قوة لهم ولجميـــــع

المسلمين • أن احفر خليجا من نيلها حتى يسيل فى البحر فهو أسهل لما نريد

من حمل الطعام الى المدينة ومكة • فان حمله على الظهر يبعد ولا نبلغ

بما نريد فانطلق وأصحابك ، فتشاوروا فى ذلك حتى يعتدل فيكم رأيكم » •••

فانطلق عمرو ، فأخبر من كان معه من أهل مصر ، فثقـــل ذلك عليهم وقالوا :

نتخوف ان يدخل من هذا ضرر على مصر • فنرى ان تعظم ذلك على أمير

المؤمنين ، وتقول له ان هذا الامر لا يعتدل ولا يكون ولا نجد اليه سبيلا »

● فعاد عمرو بذلك القول الى عمر فضـــحك الخليفة حين رآه وقال : « والذى نفسى بيده لكأنى انظر اليـك يا عمرو والى أصحابك حين أخبرتهم

بما امرت به من حفر الخليج ، فثقل ذلك عليهم وقالوا يدخل من هذا ضرر

على أهل مصر ، فنرى ان تعظم ذلك على امير المؤمنين ••

فعجب عمرو من قول عمر ، وقال •

صدقت والله يا امير المؤمنين • لقد كان الامر على ما ذكرت » • فقال عمر « انطلق يا عمـــرو بعزيمة منى حتى تجد فى ذلك ، ولا يأتى عليك

الحول حتى تفرغ منه ان شـاء الله تعالى »

● وعاد عمرو بن العاص الى مصر وجمع الفعلة ثم احتفر الخليج الذى فى حاشية الفسطاط الذى اطلق

عليه خليج أمير المؤمنين ، وساقه من النيل الى ثغر القلزم (السويس)

وقبل مرور عام ، كان قد فرغ منـــه وجرت فيه السفن ثم حمل فيه ما أراد من الطعام الى الحجاز لتموين الاهالى وذلك قبل وفاة الخليفة عمر فى ذى الحجة سنة ٢٣ هـ • ولم يذكر لنـــا المؤرخون أن يصفوا لنا المهـــرجانات والحفلات تيمنا بافتتـــاح قناة أمير المؤمنين اذا كانت قد اقيمت !

● وذكر المقريزى نقلا عن المؤرخ الكندى فى كتاب « الجند العربى »

أن عمرا حفره فى عام ٢٣ هـ ، وفرغ منه فى ستة أشهر وجرت فيه السفن

ووصلت الى الحجاز فى الشـــهر السابع (١) ، فهل يا ترى استخدم العرب ـ السخرة فى حفر القناة ؟

أو أنهم استخدموا عددا ضخما من العمال ؟ ويذكر المؤرخ محنا النقيوسى، أن المسلمين فرضـــوا على المصريين

اعادة حفر قناة تراجان من بابليون الى البحر الاحمر •

ومنذ ذلك الحين افادت القنـــاة التجارة والتجار ، واستمر الحال على ذلك الى أن قدم محمد النفس الذكية

ثائرا فى الحجاز زمن الخليفة المنصور العباسى ، فكتب المنصور الى عامله

بمصر ، يأمره بردم الخليج حتى لا تحمل الميرة من مصر الى المدينة .

(١) الخطط : جـ ٢ ص ١٤٣

قناة أمير المؤمنين

قطعة . وانقطع منذ ذلك الزمن اتصاله ببحر القلزم (١) وقيل ان ولاة مصر اهملوا امر هذه القناة بعد عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز ، فغلب عليها الرمل وصار منتهاها الى ذلك بحيرة التمساح (٢) .

● لقد اراد عمرو وصل البحرين الابيض والاحمر ، ولكن شاءت ارادة عمر ان يكتفي بوصل النيل بالبحر الاحمر . ويذكر المؤرخ ابن خلدون انه ما زال الملوك في الاسلام وقبله يرمون شق ما بين البحرين الا ان ذلك لم يتم (٣).

ويذكر المؤرخان المسعودي والسيوطي ان الخليفة هارون الرشيد اراد ان يوصل البحرين : الابيض والاحمر مما يلي الفرما ، فقال له الوزير يحيى بن خالد البرمكي :كان يختطف الروم من بالمسجد الحرام وتدخل مراكبهم الحجاز .. فعدل الرشيد عن تنفيذ هذا المشروع (٤)

● وبالرغم مما لحق قناة أمير المؤمنين من الاعمال في اوائل العصر العباسي، فقد حافظ طريق الفرما ـ السويس بعد سد ذلك الخليج على اهميته الاقتصادية بين اسواق الشرق والغرب ، وكانت تسلكه القوافل المحملة باغلى السلع الى مرافق البحر المتوسط ، هذا بالاضافة الى الطريق الاخر ، طريق البحر الاحمر ـ القصير (برنيس) الى مدينة قفط على النيل بوساطة السفن النيلية الى البحر المتوسط . هذا الى جانب طريق الحجاج الذى يصل ما بين العقبة (ايلة) والقلزم وطريق البريد الذى يمر بساحل سينا الشمالي ، ذلك الطريق السلطاني الذى سلكته الجيوش المغيرة على مصر على مدى العصور، مثل جيوش قمبيز واسكندر المقدوني وعمرو بن العاص وغيرهم ، وهو يمر بالرملة وغزة الفلسطينيتين ، ورفح والعريش والفرما وبلبيس ثم الفسطاط (٥) .

● وتتفق كلمة المؤرخين العرب حول اسباب اهمال القناة نهائيا وتاريخ ذلك أيضا بعد ان واصلت منفعتها الملاحية حتى عام ٧٧٦ م ، وذلك حينما امر الخليفة العباسي ابوجعفر عبد الله بن محمد المنصور واليه على مصر ان يغلق القناة ليمتنع ايصال المؤن الى شبه الجزيرة العربية في اعقاب ثورة محمد بن عبد الله بن

---

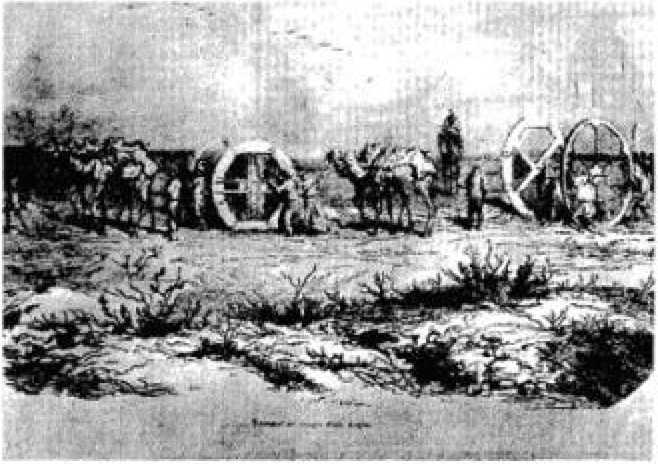
(١) الخطط : جـ ٢ ص ١٣٩

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٦٤ والخطط جـ ٢ ص ١٤٢ ، والسيوطي : جـ ١ ص ٦٨

(٣) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٨ (قسط العمران من الارض)

(٤) المسعودي ، مروج الذهب ، ط. أوروبا ـ جـ ٤ ص ٩٨/٩٩

(٥) د . عبد الرحمن زكي : سيناء أرض المعارك ، القاهرة ١٩٥٦ . راجع



لوحة تظهر فيها العجلات التى استخدمت لنقل الاتربة اثناء حفر قناة السويس وهى شبيهة بالتى صنعها نجارو السواقى فى الريف المصرى . . . . .

حسن بن الحسين بن على بن ابى طالب ضد المنصور .. ومن ثم اغلقت القناة بعد ردمها ، ولم يبق لبرزخ السويس الذى خلا جزءه الشمالى من السكان ، اهمية تذكر .. ومن ثم تحولت التجارة بين اوربا والهند الى طرق اخرى منها طريق بغداد ودمشق او الموصل وحلب فاللاذقية ثم جاء عن طريق رأس الرجاء الصالح حول القارة الافريقية بعدما اكتشفها الرحالة فاسكودى جاما البرتغالى سنة ١٤٩٨ ، وبذلك فقد المماليك المصريون والعثمانيون مصادر ارباحهم العظيمة ...

فماذا حدث ؟

فكر البنادقة وهم تجار مهرة حينذاك فى عام ١٥٠٨ شق برزخ السويس ، فوضع نيكولو كونتى مشروعا كان حظه الاهمال ، كما اقترح ايضا قليج على قائد الاسطول العثمانى الحل ذاته ولكن دون نتيجة ... وتعاقبت المشروعات ..

واخيرا جاء الحل الصائب فى ٣٠ نوفمبر ١٨٥٤ حينما حصل فرديناند ديلسبس المهندس الفرنسى — على الامتياز من الوالى سعيد .. وهذا ما سيطالعه القارىء الكريم فى مقال آخر ...

ايضا : د. زكى محمد حسن ، وعبد الرحمن زكى : مصر الاسلامية ، ط . المقتطف ١٩٣٧ بحث الاستاذ جاستون فييت : المواصلات فى مصر فى العصور الوسطى ، ص ٣٢ — ٥٤

د. سيد نوفل

قناة السويس في العصر الحديث



ديليسبس

ان تاريخ مصر الحديثة والمعاصرة ، هو تاريخ قناة السويس : عسكريا وسياسيا واقتصاديا ... فقد كانت مصر خاصة ، والشرق الاوسط عامة ، في مقدمة مناطق الصراع العالمي منذ بداية القرن التاسع عشر ... ثم دار هذا الصراع حول القناة ومنطقتها ، منذ أعطى والي مصر الشاب سعيد باشا ، في ٣٠ من نوفمبر (تشرين الثاني) لعام ١٨٥٤ ، صديقه الفرنسي مسيو فرديناند دىليسبس « تفويضا خاصا لانشاء وادارة شركة عالمية ، لحفر برزخ السويس ، واستغلال قناة بين البحرين ... » .

فقد تجدد الصراع الفرنسي البريطاني في المنطقة بعد احتدامه وسكونه في العقد الرابع للقرن التاسع عشر وانتهى هذه المرة بالاحتلال البريطاني لمصر عام ١٨٨٢ ثم اقتسام المنطقة بين الدولتين ، مثلما انتهى في السابقة الى انسحاب مصر بعهد محمد على من شبه الجزيرة العربية والشام عام ١٨٤١ ، وسكوت فرنسا تحسبا لقوى استعمارية أخرى تتفق هي وبريطانيا على مقاومتها ... وتجدد العمل البريطاني الاستعماري لدفع الحركة الصهيونية الى احتلال فلسطين لاقامة حراس عملاء على القنال ، بعد ان فشلت المحاولات الاولى لبالمرستون رئيس الوزراء البريطانية في عام ١٨٤٠ في تأسيس الحركة



لقطة فريدة للغطاسين اثناء تطهير قناة السويس .

الصهيونية مقاومة للتحالف الفرنسى العربى .

ويشير بعض المؤرخين الاجانب ، وفى مقدمتهم اليهود الصهيونيون ، الى أن فرنسا حاولت منافسة بريطانيا

فى هذا المجال ، والتقرب من الحركة الصهيونية ، أو الاستجابة لساعيها والاستفادة من جميع القوى الكبرى

وان كانت من عمل الاستعمار البريطانى . ويورد « ليونارد شتاين » فى موسوعته « وعد بلفور »

الكثير عن خلق الحركة الصهيونية بيد بريطانيا فى حومة الصراع بين القوى الدولية ... ويشير الى أن

فرنسا حاولت محاربة بريطانيا من بعد ذلك بملاحقاتها فى هذا السبيل ،

وأن لم تبلغ شأوها ويقول : ان العون الفرنسى الاول ظهر فى انشاء

أول مستعمرة زراعية يهودية قرب حيفا ، بوساطة جمعية التحالف الفرنسى الاسرائيلى فى عام ١٨٦٩ ،

وهو العام الذى احتفلت فيه فرنسا مع مصر بافتتاح قناة السويس ، واستعاد فى هذا المقام ما أورده

موسى هيس ، عام ١٨٦٢ فى كتابه : « روما والقدس » ، من أمله فى

« أن تشجع فرنسا اليهود على انشاء مستعمرات تمتد من السويس

الى القدس ، ومن شاطىء نهر الاردن الى البحر الابيض المتوسط . » (١)

وقناة السويس هى حجر الزاوية فى تعثر مفاوضات الجلاء البريطانى عن مصر التى اتصلت سبعين

عاما ، وحركت الثورات وأعمال المقاومة المتصلة ، ثم سعت بريطانيا لحتفها بظلفها ، وانهت وجودها

العسكرى فى القتال بالعدوان الثلاثى، عام ١٩٥٦ نتيجة لتأميم مصر شركة القنال .

وتشبثت اسرائيل بالضفة الشرقية للقناة عام ١٩٥٦ بعد رحيل بريطانيا وفرنسا ، تمنى النفس

وتحلم بمشاركة مصر فيها حتى اكرهت على الجلاء اكراها .

وتشبثت اكثر واكثر بعد عدوان ١٩٦٧ ، ورسمت مخططاتها سافرة

---

(١) الدكتور سيد نوفل : الصهيونية السياسية : مطبعة جامعة عين شمس ١٩٧٤ ــ ص ١٣

قناة السويس

واضحة ، مدعية بأن ضفة القناة الشرقية هي حدودها الطبيعية الآمنة . ولم تجل عنها الا بعد أن عصفت بها رياح رمضان العاتية ، واطارت أحلامها واعادتها الى بعض صوابها ...

وقد دفع هذا بعض المؤرخين الى القول بأن القناة كانت نقمة على مصر .. وبادروا أن مركز مصر وموقعها الدوليين هما اللذان اوجدا القناة ، واثارا الصراعات العالمية من حولها لمختلف العصور التاريخية ومن قبل القناة بالوف السنين . ولعل هذا هو الذى نبه اليه رسول الله محمد ، صلوات الله وسلامه عليه ، حين أوصى فى حديثه الشريف خيرا باجناد مصر لأنهم خير اجناد الأرض بما فرضت عليهم الطبيعة من مواقف الأهبة والاستعداد الدائمين ...

ولعلنا نذكر ان مصر كانت ذات مكانة تجارية مرموقة بفضل ما كانت تمثله من معبر برى ونهرى للتجارة العالمية ، عن طريقى السويس والاسكندرية . وظلت تحتفظ بهذه المكانة الى ان تم اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح . وكان ذلك قبل شق القناة بقرون طوال ...

ويتفق مؤرخو عهد نابليون على ان هدفه من الحملة على مصر كان التحكم فى التجارة العالمية عن طريق السويس ، وان اعادة حفر القناة القديمة كانت من الشواغل التى استنفدت الكثير من وقته ، وانه كان يرى فى هذا وذاك تهديدا للاستعمار البريطانى فى الهند الصينية ولسيطرة بريطانيا على طريق رأس الرجاء الصالح . كما يؤكدون أن افكار السيطرة على مصر لمكانتها العالمية قد استولت على الفرنسيين منذ الحملة الصليبية التى استهدفت الأغراض الاستعمارية دون سواها ...

الصراع الدولى فى نشأة القناة :

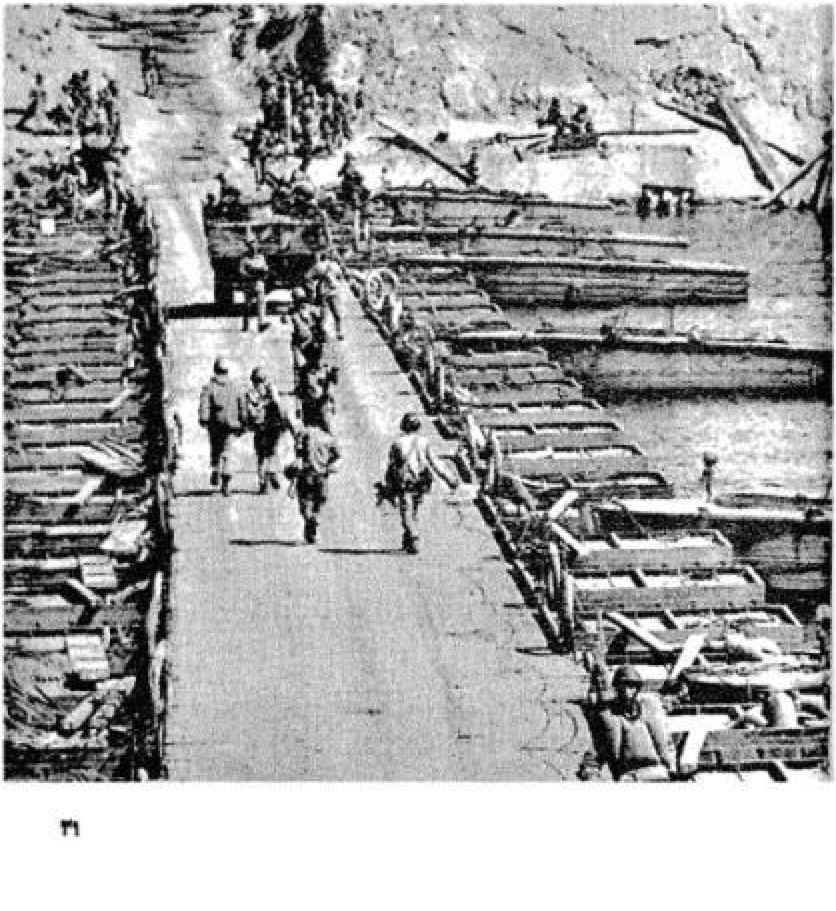
وفى أواخر أيام سعيد باشا ، قاوم استمرار أعمال الحفر فى القناة ، واصدر الأوامر الى المحافظين بمنع العمال من العمل فيها ، وثارت بينه وبين ديلسبس والشركة التى انشأها خلافات كثيرة ، بعد أن منحها من الامتيازات وحرية التصرف ما جعلها أشبه بالدولة داخل الدولة . وقيل انه خضع للضغوط الاجنبية المناوئة للسيادة الفرنسية على القناة ...

لكن الخديو اسماعيل بن ابراهيم ابن محمد على لم يلبث أن خلفه فى عام ١٨٦٣ ، بعد أن تعلم فى فرنسا ، واشرب حب العمران ، وآلى على نفسه أن ينقل مصر الى مصاف الدول الاوربية المتقدمة . وساعده ارتفاع أسعار القطن بسبب الحرب الاهلية الامريكية ، واغراء المصارف الاجنبية الطامعة فى التدخل العدوانى عن طريق الديون التى تقدمها ...

لكن اسماعيل عمل فى الوقت ذاته على تعديل « الفرمانات » التى أطلقت أيدى الشركة فى شئون منطقة القناة ، واعاد للحكومة المصرية سلطاتها على هذه الشئون ، ثم أعان الشركة على اتمام أعمالها رخطا واسعة فى ظل الاوضاع الجديدة التى ارتضاها وان لم تخل من بعض المآخذ وخاصة بمقياس الحاضر لا بمقياس ذلك العصر الذى كانت تتجاذب فيه مصر الكثير من القوى والعوامل الاجنبية .

وحين اقتربت أعمال حفر القناة من التمام ، أخذت بريطانيا تعدل موقفها المناوىء لدليسبس والمهاجم لما تسميه مطامع فرنسا ومطامع

وكان الفضل للجيش المصرى الظافر فى عودة قناة السويس .. مصرية .. لأدى دورها فى خدمة الملاحة العالمية ..



قناة السويس

رجلها في مصر ، وكان ليس لها كذلك من مطامع ...

وقد ظهر هذا التحول على اتمه في عام ١٨٦٨ ، العام السابق لعام افتتاح القناة وحفلها المهيب .

ففي ذلك العام اخذت الصحافة البريطانية واخذ السياسيون البريطانيون يكيلون المدائح ، ويثنون اعظم الثناء على « البناء الكبير والمنشيء العظيم ديلسبس » الذي حقق المعجزة .. « وغير وجه الحياة ، وبدل التاريخ الى خير البشرية تبديلا » ...

وكان ديلسبس ، كما ذكر ابنه في مذكراته عن أبيه ، قد استولى عليه الكبر والغرور ، وظن بنفسه الخلود ، وتزوج فتاة جميلة تصغره باربعين عاما ، واخذ يطمع في ان يمنحه امبراطور فرنسا لقب دوق السويس . وكان ذلك تمهيدا طبيعيا للحياة البائسة التي ختمت بها حياته .

وكشف الانجليز عن مكنون سياستهم حين ذكر احد خطبائهم في حفل تكريم ديلسبس : « انه لو استطاع لاستبدل باسم قناة السويس اسم « قناة ديلسبس » .

وطلب اتحاد صناعات القطن البريطاني من وزير الخارجية اللورد « ستانلي » ان يجري اتصالات بالدول لوضع نظام حيادي دولي تضمنه الدول للقناة . ووعد الوزير بالعناية بالموضوع ، مؤكدا أن بريطانيا ستجني من منافع هذه القناة اكثر مما تجنيه اى دولة اخرى ...

● في حفل افتتاح القناة ●

ومثلما استعاد اسماعيل سيادة مصر على شركة القنال ، كاملة ومنقوصة ، فقد حاول أن يضع القناة موضعها كما يتصوره ، بعد أن استغلها ديلسبس لدعايته الشخصية ومآربه الذاتية ... ومن هنا غمر الصحافة العالمية بفيض من التعريف بالقناة والدور الذى قام به اسماعيل في سبيل انجازها بعد ان توقفت اعمالها ، وما تحملته الحكومة المصرية في هذا المجال من تضحيات ونفقات .

واتصالا بهذا ، ذهب اسماعيل في رحلة بحرية الى اوربا على ظهر « المحروسة » من الاسكندرية ، تحرسها ست مدرعات مصرية ، لدعوة ملوك اوربا وامرائها لحضور الاحتفال الفريد بافتتاح القناة ...

وزار اليونان ودعا ملكها جورج الثاني ، كما دعا اباطرة فرنسا وبروسيا والنمسا ، وملك بريطانيا وأمير هولندا وغيرهم .. واستشاط الباب العالي غضبا أن لم يوجه الدعوة لاحتفال تاريخي في احدى الولايات العثمانية ، وشن حملة اعلامية على الخديوي ردها اسماعيل على أعقابها بحملة اشد ضراوة واعظم فاعلية .

وفى السابع عشر من نوفمبر (تشرين الثانى) لعام ١٨٦٩ ، كانت مظاهر الصراع الدولى على اشدها فى احتفال القناة التاريخى .

لقد جاءت « أوجينى » امبراطورة فرنسا ، كما جاء امبراطور النمسا ، وولى عهد بروسيا ، وامير هولندا واميرتها ، وممثلون لسائر قوى الاستعمار الاوربى حينذاك .

ومن المظاهر البارزة تنوع الهتافات التى استقبلت بها الامبراطورة اوجينى ودلالاتها ... كان بحارة السفن المصرية الست تهتف لها بالعربية ... وكان بحارة ست سفن فرنسية أيضا يهتفون بالفرنسية ... اما بريطانيا فقد كان لها عشرون سفينة تهتف بالانجليزية اعلانا للتفوق البحرى البريطانى ، ونذيرا بالمستقبل القريب للمنطقة الحافلة الملتهبة .. وكانت هنالك سفن وهتافات المانية ونمساوية وهولندية واسبانية ، كما كانت هنالك سفن وهتافات سويدية ونرويجية وروسية ودانمركية .

ولكن المعانى المصرية فرضت نفسها فى الاحتفال أروع ما تكون ، فالحكومة المصرية تكلف الموسيقار الايطالى العالمى « فردى » ليكتب أوبرا فى موضوع مصرى قديم لهذه المناسبة . ويتأخر فى إعداد « عايدة » ، ويعرض لفردى الرفى آخر ، وتظل (عايدة) من أروع أعمال الدعوة لمصر الخالدة على مر الزمان ، ويزور الضيوف الآثار الفرعونية فى الأقصر وأسوان ، ويشهدون الاهرام وابا الهول مضاءة بأنوار المغنسيوم ، ويحضر الاحتفال علماء وفنانون وكتاب وشعراء ، يخلدون هذه المناسبة أروع تخليد بجميع فنون البيان ، وتفيد مصر منهم فى بناء تطورها العلمى والثقافى . ويزورها الكثيرون من رجال الأعمال ، وتجذبهم امكانات مصر الاستثمارية ، ويكون لجهودهم رغم العوائق المختلفة آثارها فى التنمية الاقتصادية والاجتماعية المصرية .

قناة السويس فى حاضرها :

منذ ثمانية أعوام ، وقناة السويس مغلقة فى وجه الملاحة الدولية ، مغلولة اليد عن مشروعات التنمية الاقتصادية والاجتماعية الوطنية ... يعانى الاقتصاد العالمى والتجارة الدولية تكاليف ومشقات باهظة للانتقال فى طرق وعرة طويلة ، ويعانى أهل منطقة القنال . وهى من أشد المناطق تقدما عمرانيا ، حياة الهجرة عن منطقتهم وتعريض ديارهم وممتلكاتهم لأعمال التخريب والتدمير المتصلة ستة أعوام ، بلا توقف عن العمل فى سبيل المزيد من تنميتها وازدهارها .

وتعطل فى هذه الفترة تنفيذ مشروعى ١٩٦٧ و ١٩٧٠ لزيادة القطاع المائى للقناة ، وارتفاع غاطس السفن العابرة لها مما يزيدها مقدرة على تحمل مرور الناقلات الكبرى الحديثة ، ومضاعفة امكاناتها وايراداتها ..

قنــــاة السويس

فمنذ عام ١٩٥٧ ، فتحت القناة بعد غلقها القصير في العدوان الثلاثي لعام ١٩٥٦ ، وقناة السويس

يتطور دورها ، وتزداد فاعليتها .. ولقد بلغ ما مر فيها من البترول وحده في عام ١٩٦٦ نحــو ١٦٧

مليون طن يتجه نحو تسـعين في المائة منه الى اوربا الغربية .

وحين اغلقت القناة هذه الفترة الطويلة الشاقة ، التي تنتهي بعد خمسة ايام ، كان لغلقها آثار بالغة

في مجالي الاقتصـــاد العربي والدولي ، وفي المجال الاستراتيجي العالمي .

لقد تضررت مصر سياســـيا واقتصـــاديا من غلق القناة .

وتضررت تبعـــا لذلك بقية الدول العـربية كما تضررت موانئ المنطقة

وفي مقدمتهـا موانئ عدن وجيبوتي وجبل طارق التي تعتمد على قنـــاة السويس .

واستطاعت بعض الدول العربية ان تزيد من تصـدير البترول بحكم موقعها ، ولكن مكاســـبها كانت

محدودة ، ولم تستطع ان تحقق اى منها كسـبا حقيقيا الا يوم تحررت

الارادة العربية ، بحرب رمضـان ، وكـــانت المكاسب الاقتصـــادية العادلة .

وتضررت دول اوربا الغـــربية التي تعتمد على بترول الخليـج ، مثلما تضررت اليابان والباكستان والصين الوطنية والاتحاد السوفيتي

واضـطرت بريطانيا الى الجلاء عن اليمن الجنوبية عقب عـــدوان ١٩٦٧ ، كما اضطرت الى تصـفية قواعدها شرقي الســـويس ، لما تفرضـــه من اعباء اقتصـــادية متضاعفة .

وكذلك ظهر واضحا الصراع مع التعـايش بين الاتحـــاد السوفيتي والولايات المتحدة في البحر الابيض والمحيط الهندي ، وتعادلت القوتان الكبريان حتى وجدتا لزاما عليهمـــا أن يتعاونا ، كفالة لمصـــالحهما وتطلعاتهما المشتركة .

● نحو المستقبل ●

من حقائق السياسة الاستعمارية الصـــهيونية أنها سعت جاهـــدة للسيطرة على قناة الســويس ، او للمشاركة في السيطرة عليها ، سبيلا للسيطرة الاقتصادية على العـــالم العربي وقد كان حديث الصـــهيونية منذ وقت غير قريب يفصـــح في وضوح عن هذا الهدف الاستراتيجي

وكان حديث الحراســـة للقناة ، المدخل الصهيوني الثابت للاستعمار العالمي ... بل ان حاييم وايزمن ، حين تحدث باســم الوكالة اليهودية في الامم المتحدة عام ١٩٤٧ ، ركز حديثه على التعاون في اســـتثمار الموارد الاقتصـــادية العربية ، واســـتغلال ثروات المنطقة بروءوس الاموال والخبرات اليهودية ... وفي عام ١٩٦٥ عرض ابا ايبان مشروعه للتعاون الاقتصـــادي الاسرائيلي العربي . وظهرت مشروعات السوق المشــــتركة تضم دول المنطقة وفي

مقدمتها اسرائيل اثر عدوان ١٩٦٧ ونتائجه الاليمة فى الجانب العربى .

وكان من محاولات الخـــط الاسرائيلى انشـــاء خط انابيب ايلات ــ اســدود لنقل البترول منافسة لقناة السويس قبل اغلاقها ، ثم اتخاذ غلق القناة ســلاحا ضد العرب بعد ان كان ســلاحا لهم ، والتأكيد بانها فقدت اهميتهـــا الاقتصـــادية ، وان العالم الذى استغنى عنها هذه السنوات الطوال فى امكانه أن يستغنى عنها دائما ، وأن يجد البدائل لها فى خطـــوط الانابيب ، وفى الناقلات العمـــلاقة التى تدور حول رأس الرجاء ولاتتسع لها القناة ...

لكن خط « بارليف » وما أحـــاط به من حصـــون منيعة ، والأهوال التى ألت باسرائيـــل ولا تزال تلم بها سياســـيا وعسكريا واقتصاديا بعد العبور العظيم فى رمضـــان المجيد ، والاسى العميق الذى يعتمل فى نفوس بنيه ويعصف بافئدتهـــم للجـــلاء عن الضفة الشرقية ــ كل ذلك يؤكد ان الدعـــاية الاسرائيلية جوفاء ، وأن الحقائق الناصعة الثابتة اقوى من كل خداع وتمويه ...

لكن ذلك يلقى علينـــا فى الوقت نفسه مسئولية كبرى ، وخطة فعالة ذات قاعدة وثلاث دعائم ...

اما القاعـــدة فهى تعزيز القـــوى العســـكرية الرادعة للعدوان ، والكفيلة بتوفير الامن واســـباب الاستقرار والتعمير ...

والدعامة الاولى ، هى تطـــوير القنـــــاة باسرع خطا ممكنـــة ، لا تستغرق ثمانى سنوات أو سبعا حسبما هو مقدر الآن ، وانما تتم فى وقت اقصر وتواجه التطـــور فى انتاج البترول وازدياد النقل ونمـــو البناء للناقلات الكبرى الحاملة « ربع مليون طن فاكثر » ...

والدعامة الثـــــانية هى تنمية الروابط السياســـية وما يتصل بها من المصالح الاقتصـــادية مع الدول المنتفعة بالقناة كفالة لتضـــامنها ومؤازرتهـــــا ومواجهة جميـــع الاحتمالات ...

واما الثالثة ، فهى توفيـــــر الخدمات وتيسيرها للســـفن المارة بالقنـــاة ، وتعزيز الثقة بالادارة المصرية التى تخطت الـد العقبات ، وواجهت اعظم التحديات وانتصرت انتصـــارا بهر العالم فى معركة التاميم والتحرير عام ستة وخمسين .

وان اخلاص قيادتنا وحكمتها ، وروح العمل والتضحية التى تفيض بها نفوسنا ، ووحدة شعبنا الوثقى والتضـــامن العربى المخلص ــ هذه الاعلام النيرة جديرة بمستقبل أعظم اشراقا ، وأتم نصرا .

فردى : أوبرا عايدة



رحلة الشعر

في بلاد المليون شهيد



الرئيس الجزائرى هوارى بومدين

وكانت الرحلة الاخيرة الى الجزائر الحبيبة ، حيث انعقد مؤتمر الادباء ومهرجان الشعر ، واحتشد له الادباء والشعراء والنقاد من سائر فجاج الوطن العربى ·

اقيم المؤتمر فى « قصر الامم » ··· ذلك البناء الشاعرى الشاهق على شفاف البحر الابيض ، الذى انعقد فيه من قبل ، مؤتمرا القمة العربى ودول عدم الانحياز وغيرهما من المؤتمرات الكبرى ·

مجرد انعقاد مؤتمر الادباء فى هذا القصر ، كان تكريما ، وأى تكريم ، للفكر العربى ··· زاده تشريفا أن شهده الرئيس المناضل هوارى بومدين ، واقام فيه حفلة شاى صباحية انيقة التقى فيها باعضاء الوفود ودارت بينه وبينهم احاديث حلوة حول الادب والشعر ·

وقد تميز المؤتمر فى هذه المرة بهدوء أعصاب المؤتمرين ، على غير ما كانت المؤتمرات السابقة التى عقدت بعد النكسة ، اذ كانت الحدة والغضب والرفض هى الطابع الغالب الذى كثيرا ما أثار الحفائظ واشعل الخلافات بين المؤتمرين ·

ولكن يبدو أن معركة رمضان المنتصرة كان لها أثر السحر فى النفوس التى اقبلت على المؤتمر هذه المرة ، وقد تحول غضبها الى رضا ، ويأسها الى أمل وبغضها الى حب ٠

أما مهرجان الشعر فقد كان فى الواقع أربعة مهرجانات ، وزعت على التوالى بين الجزائر العاصمة ، وعنابة ، وقسنطينة ، وتيزى اوزو ، ولا شك أن جولة الشعراء فى هذه البقاع الشاعرية الساحرة سوف تلهب أخيلتهم لنسمع منهم روائع الهاماتها فى المهرجان القادم باذن الله ٠

تحية من المغرب

● سلام الله عليكم يوم دافعتم عن حرية الانسان العربى حتى أتى النصر التشريفى الحاسم ، تحت قيادة البطل الملهم سيادة الرئيس المؤمن أنور السادات ، مفخرة العروبة والعصر

وبعد :

فانى أعتز كل الاعتزاز بالروح الثقافية الاصيلة التى فجرتموها فى مصر الحبيبة ، وحملتم شعلتها منذ سنين ، غير عابئين بالمعوقين والمرجفين ، وخفافيش الظلام التى لا تصوت الا فى البيئة الدياجى والاحلاك ٠

وليس هذا بعجيب من شاعر الانسانية الفذ جودت ، فمنذ تلقيت أنفاسه الشعرية الزكية ، فى رحلته الاولى للمغرب ، وأنا انجذب اليه بكل قواى الابداعية والفكرية ، ولا تزال نغمات قصيدته « القمر الاسمر » تملأ أذنى ، وتعطر وجدانى منذ ذلك اليوم ٠

ومع انبلاج الايام ، وتوالى الابداع ٠٠ صرت أرى « الهلال » حياة للعالم العربى ، اذ لا يمكن أن يقوم له كيان ثقافى أصيل متحضر بدون مجلة « الهلال » التى هى الرئة الفكرية السليمة فى الوطن العربى كله ٠٠٠ وقد صار القارىء العربى — بعد ادراكه لهذا الوعى — يحرص على « الهلال » حرصه على الحياة ٠

● ايت وارهام ●
● المغرب ●

ـ شكرا للأخ الشاعر المغربي ايت وارهام بلحاج على حسن ظنه بالهلال وكتابه · ولقـــد ارفق برسالته هذه قصيدة حلوة نشرناها فى « الزهور » عـــدد مايو الماضى ، ولعلى اظفر بمزيد من قصائده حينما القـــاه فى مهرجان ابن زيدون بالرباط ··

أيـــن مهــرجـــان العقـــاد؟



عباس العقاد

● الاحظ ان ذكرى العملاق ـ عباس محمود العقاد ـ تمر فى كل عام هينة على الجميـــع ، متخففـــة من كل تقدير لائق . اللهم الا بعض الكلمـــات او الصفحات التى لا تسمن ولا تغنى من جوع ·· ولا أعرف حتى هذه اللحظة سر هذا الجفاء لهـذا الشامخ ، الذى لا تدانيه الضآلة ـ مع تجمعها ـ العميق الذى لا تسبر غوره الضحالة ـ رغم تطاولها ·· أمير المعنى وسـيد اللفظ ، الاول فى كل طرائقـه الادبية والنقدية ·· أعطاه الله ـ من فضله ـ فقه اللغة وفقه « الاحساس » الانسانى الصادق بمداول اللغة ، ولانت له الحروف كما لان الحديد لداود عليه السلام ··

عندما نقرأ « سارة » نجـد انفسنا امام عمل فريد من نوعه فى تاريخ القصة والقاصين ·· وعندما نطالع « العبقـريات » لا نملك الا ان نسلم بان كاتبهـا لا بد وان يوضع فى صـــف العباقرة بين الكتاب المجيدين ·

استاذى العقاد : ليس لى ان استعرض اعمالك ـ استاذى واستاذ الجيل ـ فانا رجــل متواضع يكاد يخشاك حتى وانت تحت التراب ، ذلك لانه يعتقد ان روحـــك لا تزال مرفرفة فى دنيا الادب ، متوجة بعظمة الكلمة الباقية ما بقى الفكر الانسانى !!

استاذى صالح جودت ·· هل تعلم كيف كان تصرفى لحظة اعلان الحرب الاخيرة ؟ لقد حملت صورة العقاد وضممتها الى صدرى ، كأن هذا جل ما أخشاه فى هذه اللحظات العصيبة من تاريخ امتنا ··

تحيتى اليك شاعرنا العظيم وارجو ان تتحملنى « الهـلال الحبيبة » فى هـــذه الكلمات المتحمسة لاديب كبير لاســبيل لنكرانه ·

● الدكتور صالح رجب الطبار ●
● المملكة العربية السعودية ●

ـ هذه اية الوفاء • وكم اتمنى على وزارة الثقافة ، التى اقامت مهرجانا كبيرا فى دار جامعة الدول العربية احتفاء بذكرى طه حسين ، دعت اليه اعلام الفكر فى جميع فجاج الامة العربية، ان تقيم مهرجانا مماثلا للعقاد ، يتناول سيرته شاعرا وناثرا وثائرا ، فما كان العقاد دون صاحبه قدرا فى ميزان التاريخ •

فى ذكرى الرافعى



مصطفى صادق الرافعى

« ستنتم بسنة حميدة اذ اعتدتم ان تفردوا عدد الهلال فى ذكرى وفاة اديب بالحديث الطويل عنه ، فعلتم هذا مع العقاد ومع طه حسين ، والان تمر الذكرى الثامنة والثلاثون لوفاة الرافعى فهل يا ترى يكون له نصيب صاحبيه ام انه يصبح نسيا منسيا ؟!

لقد عودنا الاستاذ الكبير الانصاف منه دينا ، وعادة لا يخل بها ، ولاسيما ان الرجل رحمه الله قد اصبح هدفا لاقلام اخذت تنال منه هذه الايام محمولة مجرى النقد الى طرق لم نسمع بها من قبل الا حينما يفلس مفلس • يتهمون الرجل فى وطنيته ، ويفيضون فى انه كان فى نقده مغرضا محرضا من السراى فيما يكتب ولا سيما نقده للعقاد •

ان رجلا جعل همه الدفاع عن اللغة العربية لانها لغة كتاب الله ، ودأبه الدفاع عن البلاغة النبوية ، لهو آخر من يوجه اليه نقد ينحرف عن طريقه المستقيمة •

لقد اذكرني ما رموه به ما جرى يوم كان دعبل بن على الخزاعى وأبو سعد المخزومى يتهاجيان ، فرأى أبو سعد انه مهزوم فاتهم دعبلا بانه يسب السيدة صفية رضى الله عنها ، فلما أمر القاضى بالقبض عليه أرسل اليه دعبل يقول : سخنت عينك فما رأيت قاضيا أجهل منك •• أمن دين الرافضة سب صفية ؟

ليطمئن اصحابنا ان الرافعى أعلى محلة أن ينال بما يزحزحه عن مقام حاز فيه العلا سبقا ثم استوت الاقدام وتسنم منزلة بجدارة لم يكن له فيها الا نيته وخلقه وقلمه الذى حطم

جميع الاقلام والسلام على الاستاذ الكبير ورحمة الله وبركاته .
● م . ع . ع ●

ـ شكرا للاستاذ م . ع . ع .

ووعدا بان نصدر عن اديبنا العظيم مصطفى الرافعي عـــددا خاصا بعد أن تنتهي من الاعدادالخاصة بالاحــــداث الادبية القائمة ، كمؤتمر الادباء ومهرجان الشعر بالجزائر ، ومهرجان ابن زيدون بالرباط ، والملتقى الاسلامي بتلمسان .

كيف اختفت صورة الرافعي؟

● وصلتنا مجلة « الهلال العزيزة » ـ العدد ٤ ـ ابريل ١٩٧٥ ولكن العجيب أن صورة الهدية ، للمرحوم مصطفى صـــادق الرافعي لم تصلنا مع العدد . وصاحب المكتبة يعتذر بان الرقابة منعتها .

اضـــيف الى هذا ان كتب الرافعي غير موجـــودة في أية مكتبة بجدة ، وحتى انت ايها الشـــاعر الذى يقال عنه انه كبير ، لايوجـــد لك عندنا اى ديوان .

● ابو بكر صالح عولقى ●
● جدة ●

ـ بدون اى تحر ، اجـــزم بان الرقابة مظلومة في حكاية صـــورة الرافعي ، فهو كاتب اسلامي كبير ترحب بمؤلفاته وصوره كل دولة اســـلامية ، والسعودية في الطليعة .

القصور لابد ان يكون قائما في جهـــاز التوزيع عندكم ، وسنكتب للموزع فيهذا الشان.

الـــوظيفـــة والشـــاعـــر

الرأى الذى انصح به الشبان المقدمين على الادب دائما ، هو ان تكون لهم ـ قبل كل شيء ـ وظيفة أو مهنة ، على ان يتخذوا

الادب بعدذلك هواية ـ لا احترافا ـ فاذا بلغوا في مجاله القمة ... قمة العقاد وطه حسين وتوفيق الحكيم ... فلهم بعد ذلك ان يتفرغوا للادب .

ولهذا اتخذ الصحافة مهنة . لانى لا ازال دون هذه القمة بكثير .

ولكن يبدو أن للقارىء الشاعر « عيسى تليلان ـ المفرق ـ الاردن ـ رأيا مخالفا ، نلمسه في هذه الابيات :

قالوا توظف فالوظيفـة مكسـب
فيها رواتب والتقـاعد مغنـم
غاب الحجا عنى وصرت موظفـا
لم ادر انى بالوظيفـة اعـدم
ان الوظيفـة يا خليلى عـلة
منها الموظف كم يئن ويسـقم
يبـدو انيقا بالثياب مهنـدما
والجيب خلو ليس فيهـا درهم

حـول السـرقـات الأدبيـة

● نظمت مرة قصيدة وعرضتها على احد الزملاء يوم أن كنت أدرس في تجارة الازهر ، لمجرد اخذ رايه في كتابتى ...

هل تصدق يا سيدى ماذا فعل ؟ لقد وجدت انه نشرها حتى بالاسم الذى اخترته لها فيمجلة « الزهور » ـ العدد الرابع ـ ابريل سنة ١٩٧٥ ـ تحت عنوان (انا) ... وكتب اسمه تحتها هل يجوز للمرء أن يسرق ما ليس له ؟ وهل اخطأت اذ اعرض شعرى على الآخرين ؟

والغرايب أن هذه القصيدة القيت بندوة شعرية بمركز ثقافة طنطا في صيف ١٩٦٦ بل ومكتوبة في ديواني الاول وهو موجود لدى مندوب الدار القومية للطباعة والنشر فرع طنطا بغية طبعه ...

ـ اذا صح هذا الاتهام ، فلك يا عزيزى أن تقاضيه ، لان فى مصر قانونا صــدر سنة ١٩٥٤ يكفل حماية الملكية الادبية ويحكم على من يجترىء عليها بالحبس أو بالتعويض أو بكليهما .

رسالة من البرازيل


محمد عبد الغنى حســن

أبعث اليك من البرازيل الرائعة الجمال ، الفاتنة المناظر ، المتنوعة الجبـــال والغـــابات والشلالات والانهـــار ـ وعلى رأسها الامازون ـ والشواطىء الساحرة العذارى ، أبعث اليك بأطيب تحياتى ، وتمنياتى .

ثم ماذا أحدثك عن أحبابك وعشاقك الادباء والشعراء هنا ؟ شفيق معلوف يذكرك بكل خير ، وفيليب لطف الله يثنى عليك ، رتبيه سلامة يحملنى لك تحياته، وصاحبة « المراحل » تحفظ لك ودا باقيا ، وكثيرون غيرهم ... وعلى رأسهم أبنائى الثائرون ... أما الياس فرحات فللآن لم أره ، وكذلك ، نعمة قازان ، صاحب معلقة الارز ، فقد فاتنى عنوانه بالريو دى جانيرو حينما زرتها من أســـبوعين وأقمت بها أسبوعا ... وقد عرفت أنه معتل الجســـم ، ولكنـــــه صحيح الروح .. فلا يزال ينظم وينشر بالمراحل .

العرب هنا نشــيطون فى كل ميدان : فى الصناعة ، والتجارة والطب ، والمحاماة ، وغيرها .. وهم جالية مبـــاركة محترمة .

وشبابنا المصرى الناهض النازح يحتل بينهم مكان المهن الراقية كالهندسة بفروعها المدنيــــة والميكانيكية والكهربية والكيميائية وكالزراعة ، وثقافاتهم بحمد الله عاليـــــة . ويرجى لهم ههنا مكان بارز رفيع أن شاء الله. فهم سائرون على الدرب .

تحياتى لاخوانى الاعزاء بلجنة الشعر بالمجلس الاعلى ،ولجماعة الادباء ولياليها الحافلة الساهرة نضر الله ذكراها .

ـ تحيـــة لشاعرنا فى رياض اخواننا بالمهجر ، وتحية لشعراء المهجر المغردين .

● ص . ج ●

حسن
كامل
الصيرفي

عينان من تونس

« الى صاحبة العينين اللتين تشعان بكل سحر تونس وجمالها .. ذكرى لقاء عابر في « توزد »

●

من اجل عينيك شرعت القلم
ورحت استوحي جميل النغم
فهل لهذا اللحن من شاديه
تنشده للنسمه الساريه .. ؟
فرجعيه انت يا « شاديه »

●

الشاعر الفنان حر الخيال
لا يعرف القيد ... فهذا محال
الشاعر الفنان راعي الجمال
ان ضل فيه كان هذا الضلال
هدى الهوى للانفس الصاديه
لكل لحن يرتجي الشاديه ...
فرجعيه انت يا « شاديه »

●

عينان من « تونس » قد طافتا
كما يطوف الحلم بالحالم ...
في هذه الفردوس ... في لحظة
القتا للمسمع الهائم ...
لحنا يهز الانفس الغافيه ...
فرجعيه انت يا « شاديه »

●

عينان من « تونس » فياضتان
بالوحي .. بالنور .. بسحر الجنان
فجددي للقلب اشعاره !
وحركي للشعر قيثاره !
ورجعيه انت يا شاديه ... !
فانت .. انت الوحي والراويه ..



● حسن كامل الصيرفي ●
● توزد في مارس ١٩٧٥ ●

فوميل لبيب

الشيوعية

إرهاب فكري ورعب

الدكتور المهدى بن عبود من اساتذة الجسم والروح . له في نفوس المغاربة خاصة والعرب عامة مكان الفيلسوف الثاقب النظر . والعالم الواسع الفكر . مارس السياسة سفيرا لبلاده في الولايات المتحدة الامريكية لاحد عشر عاما ثم ادار ظهره لها لانها تباعد بينه وبين الكتاب والكلمة والتامل .. ثم البر بالمرضى الذين يجدون عنده الشفاء بغير مال .. جلست استمع اليه كان يتحدث في مشكلة يعيشها العالم العربي .. مشكلة الشيوعية التي تدق بالمؤامرة والمظاهرة والمغالطة ابوابه .. ولهذا فاتنى اتركه لك لتسمعه وحدك .

... الشيوعية تغرر بالشباب ، والشباب تنقصه المقاييس السليمة العلمية والروحية لكي يعرف حقيقتها ويناقشها بفهم . واطرح اولا باى مراحل يمر التوجه الى مذهب من المذاهب :

● حب الاستطلاع العلمي لرؤية الاشياء على ماهى عليه رغبة في الصلاح لا في الفساد .

● التخلق باخلاق العلماء من نزاهة وانصاف وحب للمعرفة والغاء للشهوات

● الانطلاق قصدا من حسن الظن بدلا من سوء الظن .

● الاحتراس من الخلط بين العقل العلمي والمزاج الشخصي فكم واحد مفطور على الجحود ينطلق منه كانه فرض علمي وذلك لمزاجه المتمرد .

● مراقبة العقل للخواطر حتى يبقى الانسان في حالة يقظة دون ان تبتلعه الغفلة عن طريق الانخداع او المخادعة ، وفي هذا قال جان موريس احد ابرز الاشتراكيين الفرنسيين وبطل دعاة السلام ضد الحرب « انه سيجتهد في نشر الاشتراكية في بلاده ، ولكنه لن يطمئن على استمرارها بدون المواظبة على مراقبة النفوس ومحاسبة الضمائر ، وهذا مستحيل مالم يدخل فيه العامل الرباني » .

● ان الجزئيات مرتبطة بالكليات طوعا او كرها . وان المذهب لابد ان يرجع الى اطاره التاريخي في الظروف الزمانية والمكانية التي برز فيها مادام نابعا من وحي بشري ، اما اذا كان نابعا من وحي الهي فهو فوق الزمان والمكان . ولهذا اخذت الفكرة الآتية تنتشر في الغرب : ان الماركسية ماهى الا امتداد للثورة

العصـــناعية والعقلية الناتجة عنها والنظام الاجتماعي الذى قامت على اسسه وعليه .

يقول لينين مؤكداً ملاحظـة كوتسـكى اولا بان الايديولوجية لاتسـتطيع الخروج من عقول الجماهير البروليتاريا اذ لابد لها من نخبة مثقفة ، وهذه النخبة كلها بورجوازية فالايديولوجية الماركسية هي من عقول بورجوازية .. وهذه اللاحظة تفسر كلمة امتداد ..

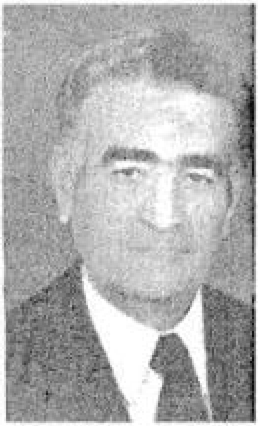
● ويقول لينين بانه من المستحيل تنظيم الاتحاد السوفييتى على أسس خارجة عن دائرة راسـمالية الدولة الاحتكارية ، ونستنتج من هذا انه في القرن العشرين يوجد شكلان من الرأسمالية .. الاولى تجمع المال في يد الدولة مع حرية التصرف فيه وهـذا هو المعسكر الاشتراكى ، والثانية تجمع المال في يد الافراد مع حرية التصرف فيه كما هو في المعسكر الليبرالى . فالقرن العشرون يمتاز بالراسمالية في اليسار واليمين معا ، وهذا يوجد في كتاب لينين « ما العمل » .. كما يوجد في كتب اخرى .

● الشيوعية والغموض والعبث ●

ويقول المفكر الفرنسى دبليس في كتابه عن حيـاة الحضارات وموتها ان الشيوعية بدلا من أن تكون نقطة بداية هي في الواقع نقطة نهاية لنوع حضارى ولذلك كان الغرب لايتكلم الا بالكلمة المريعة كلمـة الازمة .. فهي نوع من انواع الازمات في القـرنين التاسع عشر والعشرين بدلا من ان تكون ترياقا او علاجا . ثم يضيف المفكر دبليس قائلا : ان تركيز السلطة في الدولة عرض من اعراض الشيخوخة لهذه الدولة ، وللفترة الزمنية التى تعيش فيها . وكلما جاء التاريخ بمرحلة نهضـة فان الفكر يصحبها عادة الحرص على التشبث بالواقع المبنى على نقاط اربع :

- الواقع البيولوجي للانسان
- الواقع النفسانى للانسان
- الواقع العقلانى للانسان
- الواقع الروحانى للانسان

وكلما اهمل أحد هذه الاركان الاربعة تحدث للانسان ازمة اجتماعية او نفسية وهو مانراه اليوم عند الافراد والجماعات ، وكلما جاء الزمان بنهضة فان العقل يكون فيها واضحا مع قوة .. او قل قويا في وضوح ، مثال ذلك في الفن اكثر مما يرى في غيره ، فالنحت اليونانى الاول والايطالى ، والفن عند الرسامين وعند كبار الموسيقيين يتجلى في جمال وقوة ووضوح مثل النهضة التى قام عليها . وكلما قامت ازمة تنذر بانتقال الحضارات من ابد الى ابد كلما دخل الانسان الى الغموض باسم العمق والمبهمات مثل علم النفس . فترى بيكاسو والموسيقى التى تشبهه .. وترى العجز



د. المهدى بن عبود :
فيلسوف ثاقب النظر

الشيوعية إرهاب فكرى ورعب

من اليان ماجاء به عصر النهضة وانعدام القدرة على التجدد .. ونفس الشيء يحدث فى الافكار .

ويقول الفيلسوف الروسى نيكولا برديايف ـ وقد عاصر وصاحب لينين ثم رحل الى باريس تشبثا بعقيدته الارثوذكسية ـ فى كتاب « ملكوت السماء وملك الارض » ان اهم انتقاد يمكن أن يوجه الى الماركسية انها نوع من التفكير الهندسى البعيد كل البعد عن الواقع . ونفس الخطأ وقع فيه هيجل الذى كان استاذ ماركس المباشر وغير المباشر فقد سأله احدهم بأن منطقــه لايتوافق مع الواقع فكان جوابه « لعنــة الله على الواقع » . وهذا الموقف موقف هجومه ورثه الخلف من السلف باسم العلم والتقدم . وهذه الملاحظة وردت ايضا فى كتاب « مجتمع غير متكامل » او « الشيوعية المتفككة » لميلوفان جيلس وكان فيلســوف الحزب الشيوعى اليوغوسلافى .. فقد فطن الى ان مجتمع « غير الطبقات » هو بعينه مجتمع الطبقات ، وبالتالى استنتج ان الماركسية خرافية ..

وخلاصة القول انه لا عيب فى ان يكون الانســان معرضا للخطأ فيما يعتنق او يعتقد من حين الى اخر ، ولكن كرامة الانسان تأبى ان يكون لعبة او مخدوعا . فمقومات الوجود البشرى كما اسلفت اربعة فى وحدة الانسان .. تتطلب ضرورة عقيدة ترضى مطالبه الاربعة الموازية لهذه المقومات . فالعنصر البيولوجى يجول فى مجال الاقتصاد ، والعنصر النفسانى يجول فى مجــال التربية ، والعنصر العقلانى يجول فى مجال العلم دون اكراه .. ومع حرية العلماء ، والعنصر الروحانى يجول فى الالهيات التى لايستطيع الانسان ان يتخلى عنهــا الا ودخل فى العبث ، ومنه يؤدى الثمن الفظيع بالازمات الاجتماعية .

● الشيوعية من اعراض الموت ●

من قبل كان الماركسيون يقولون ان الشيوعية هى شباب العالم ، والواقع ان اصــحابها اليوم يدركون تدريجيا بانها نوع من الاكراه الذى لايقوم الا فى فترات الشيخوخة عند الامم .. او شيخوخة الحضارات . وكلما ابتعد الانسان من واقعها كفرد يعيش تحت ظلها كلما كان من السهل ان يميل اليها ، ولكنه عندما يجد نفسه فى مجتمع بحسب تعبير اصحابه « يسوسه استبداد العمال » فانه يلاحظ اشياء اربعة :

١ ـ صوت الحزب المرفوع فوق الرءوس مع الاكراه والارهاب الفكرى .

٢ ـ الرعب المنتشر تدريجيا بين الافراد فــى العائلة الواحدة .

٣ ـ النكد العام المتجلى فى الصمت خصوصا مع الاجانب .. او الصمت الجامد !

✱

٤ ــ التقتير العام بحيث يشد الانسان رهق العيش او يمكن أن تمتلىء جيوبه ولا يجد منفذا لصرف ماعنده

وما يلاحظ اليوم هو مالاحظه الفيلسوف البلجيكى « ليوبولد فلام » فقال مامعناه ان سائر أنواع العقائد فى ازمة شديدة ، ولا يستثنى منها مايجرى فى المعسكر الشيوعى ، والازمات التى تظهر فى هذا المعسكر مع الانشقاقات فيه بدلا من ان تكون علامة حياة هى فى الواقع عرض من اعراض الموت ، ولذلك فان توسيع الآفاق فى النظر الى مايجرى فى العالم بأسره هو الموقف السليم لكل طالب علم وحق ، وعزل الشيوعية عن احداث القرن العشرين موقف ساذج . فاعتناق مذهب من المذاهب يستلزم علما مقبولا وفكرا عميقا مع موقف العلماء المتبوع دائما بعلامة استفهام ، والمتعارض تعارضا كليا مع موقف الاكراه والارهاب الفكرى . وكل تسرع فى اعتناق مذهب من المذاهب عجلة ودخول فى الخيال . وهو تبسيط لاشياء معقدة فى حد ذاتها ، ورؤية لجانب واحد بفكر يمكن ان يسمى بالفكر الخطى اى التابع لخط واحد كحمار الطاحون لايسلك الا منهاجا واحدا دون احترام لافكار الغير او تكريم للعقل البشرى الذى به يرتفع الانسان الى اعلى عليين ، وكلما رأينا المبالغة فى العنف ــ والعنف اسلوب ماركسى معروف ــ كان ذلك دليلا على ضعف التفكير .. والعكس بالعكس . وهذه الظاهرة تتجلى اليوم فى كثرة الفتن من ناحية اجتماعية ، ومايطلبه الانسان فى قرار نفسه هو الحق والحرية ..

اما الحق فهو العلم العملى والعمل العلمى فى نفس الوقت .. اى الجمع بين الحقيقة والتطبيق حتى لاتطغى كثرة المعلومات على سلوك ينحرف الى سوء الخاتمة ..

ومن ناحية اخرى فان كل فكرة مجردة عن الانسان ــ وهو الجامع بين المادة والروح ــ أما ان تنحرف الى خيال المذاهب الفكرية المحضة واما الى المادية الصرفة بحيث يصبح الانسان فيها مجرد جهاز للهضم والتناسل مآله التراب والعدم « الذين كفروا يأكلون ويتمتعون كما تأكل الانعام » .



● الايمان مدرسة السلامة ●

والعالم مقبل على فترة جديدة من التاريخ قائمة على العلم بالفرد .. اى النظرة الشاملة للوجود الظاهرى والباطنى ، والمتجلية فى الايمان والعدل والاحسان ، فالايمان اول درجات العلم .. والعدل تطبيق شرائع السماء حتى لايفتح باب الطغيان وتعسف الانسان على الانسان . والاحسان بمعنى الاتقان هو باب ارتفاع الانسان من درجة الى درجة اعلى على مر الزمان ..

والايمان مدرسة سلامة النفس ، وبدونه تتفشى الازمات النفسانية التى نراها اليوم عند الشباب والهيبز ..

والعدل هو توافق الشرائع السماوية واولى الامر معا ، مع الفطرة التى فطر الله الناس عليها ولن تجد لها تبديلا ، التواقة الى رؤية العدل مطبقا على وجه الارض فى الحقوق والواجبات وضمان الكرامة النفسية فى البيت والشارع .. مع الحرية .. وهذا ميل غريزى قائم على ثلاثة اركان :

- الميل الى الحق .
- الميل الى الخير
- الميل الى الاعمال الجميلة .. الصالحة

فالنفوس تتمنى دائما وقوف الرجال المخلصين ، اى الذين لاتتناقض اقوالهم مع اعمالهم ، ولا يتسلطون جهلا على مقاليد الامور .. فتكون لهم القدرة على اشباع رغبات النفوس بتلبية الميول الثلاثة ، ويكون وفقا لذلك مؤازرة ومساندة من القاعدة الى القمة فطريا وتلقائيا ، بخلاف مايقع اليوم فى العالم الذى نعرفه من التهافت على الحكم والتسلط عليه ، واكراه الناس على فلسفته وقوانينه دون مراعاة لاستنكار النفوس لذلك او لخلق نوع من الماء الراكد الذى ان عاجلا او آجلا يثور وينتقم بناء على القول الجارى « احترسوا من الماء الراكد » .

وعندما قيل لعمر بن الخطاب .. رضى الله عنه « عدلت فنمت » كان معنى هذا القول انه توافق مع الفطرة السليمة البشرية التى جاءت الشرائع العادلة السماوية كترجمان لها ، وكمدافع عنها ، وكحارس على سلامتها . فالرغبة الاكيدة من القاعدة مبنية على واقع الانسان لا على ارغامه باعتناق افكار بشرية هندسية الشكل .. بعيدة كل البعد عن الواقع ، بل هى تلغى جوانب عظيمة من هذا الواقع باسم العلم والتقدم .. وما ذلك الا تمويه شبه علمى وشبه تقدمى .. ولذلك نرى اليوم تحولا كبيرا .. ولو كان بطيئا فى المذاهب المعاصرة ، متوجها نحو الالتقاء المخلص الحقيقى بواقع الانسان ، والعمل بمقتضى القوانين الثابتة التى يقوم عليها الواقع الانسانى . فالانسان اليوم كعربة من ورائها حصان تجره .. وهذا هو الاقتصاد المدار الذى يجر الانسان بدلا من ان يكون الانسان جارا للاقتصاد . وهذا وجه من الوجوه العديدة المتكاثرة التى نلاحظها فى قلب الحقائق المؤدية الى قلب الاوضاع . ثم من قلب الاوضاع الى ثورة النفوس وانتفاضتها من سلسلة الازمات المتوالية الجهنمية باحثة عن مذهب التحول الاخذ بالاعتبار النواحى الاربعة التى قلت عنها : البيولوجية والنفسانية والعقلانية والروحانية .. وهى الانسان ..

هل تسترجع الشيوعية روحها



طفت الاديان اخيرا .. واجبرت الطغاة على اتخاذ موقف التسامح والرضوخ . وانتشرت كظاهرة في ميادين العلماء قبل الادباء والاجتماعيين . وقد جاء في العدد الخاص لمجلة « الطاولة المستديرة » الفرنسية تحت عنوان « الاتحاد السوفييتي يسترجع روحه » ما خلاصته ان الايمان بالله يرجع شيئا فشيئا ، ويتسع نطاقه عند المختصين بالعلوم التطبيقية، وهذا يرى في حالتين :

- الحالة الاولى .. حالة العلماء الذين ترعرعوا في ارض مسيحية
- الحالة الثانية حالة العلماء الذين ترعرعوا في ارض اسلامية . ان العقلية « العلمية » تبدا دائمـا من فرض بغية التدرج الى المعلومات النهائية . والفرض مجرد راى عليه علامة استفهام . ولهذا كانت الكتب في الحضارة الاسلامية تختم بعلامة الاستفهام التى كانت تقول في ابانها « الله اعلم » .. وبعد الراى تاتى النتائج مختلفة باختلاف العلوم . فراى ينقلب الى نظرية في الكيمياء مثل الذرة . والراى يسمى بالفرض في العـلوم الفيزيائية ويسمى بالمسلمات في العلوم الحسابية ويسمى بالمعتقدات في المعاملات السلوكية بين البشر في المجتمع .. ويسمى بالايمان في افاق اللاهوت الواسعة . بعد ذلك ياتي العقل من جهة والتجربة من جهة اخرى للاقرار او التفنيد .. وحين تزدهر الفرد والجماعة معه ، وتتكرر التجارب وتقدم كبرهان على صحة الفرض الاول ، او الراى الاول يقتنع الانسان بان المذهب او القانون على صواب . وعندما تنفر النفوس من ناحية ، وتتنكر العقول من ناحية ثانية ، وتاتى التجارب من ناحية ثالثة مكذبة للراى الاول يكون على خطأ .. فكل قاعدة او مذهب ينشر الثقافة بين الناس والفساد في المجتمع وثورة النفوس عليه والانذار بالانهيار

وموت الحضارة يكون حجة على نفسه ، وعلى فساد نقطة الانطلاق .. ولذلك تكون الازمات الفة كلمات يشترك فيها علم الطب وعلم الاجتماع . فالحرارة تسمى ازمة .. والفتنة تسمى ازمة ، وسوء التدبير يسمى ازمة .. والاكراه والاستبداد والتكد العام والرعب تسمى ازمة . وتقوم كلها دليلا على فساد نقطة الانطلاق . وعلى العكس من ذلك عندما تكون النفوس راغبة ميالة الى الامر بمساندته فان هذا يكون دليلا على موافقته لواقعها .. وطبعا يمكن ان تقول ان الصحة هي موافقة الذات للقوانين القائمة عليها ، والمذهب المطلوب في المستقبل هو القائم على العلم والايمان والعقل في الشرائع .. والقائن الوجود عن طريق احسانه .. واللفظة الفنية لهذا هي الاسلام ..

محمد
حسن

عبد العزيز البشري ...

في الخامس والعشرين من مارس الماضي ومنذ ٣٢ عاما ، رحل عنا الكاتب الساخر عبدالعزيز البشري الإبتسامة الحلوة ، والنكتة اللاذعة ، والبهار الحريف الذي تبل متاعبنا ومشاكلنا وأضاء حياتنا أكثر من نصف قرن !



...ساخرًا!

الشيخ الذى ضاق بالجبة والعمامة ، وسخر منهما وانتقدهما نقدا مرا فى يومياته ، وان لم يقو على خلعهما «لاننى رجل محافظ شديد المحافظة على القديم ، على اننى احتمل كل يوم من عنت العمامة ما لا يقوى على حمله اولو العزم من الصابرين المحتسبين ... على انى ما وقع لى شىء من هذا الا تعاظمنى الامر، فشعف أمرى فى العمامة ، وطلبت الخلاص من كل هذا الاذى ، وجمعت نيتى لتغيير شكلى ... ولايزال يشدنى هذا العزم ، حتى انتهى الى أصدق الناس لى ، فيكفنى عن هذه النية ، فانصرف عنها راضيا او كارها !

ويروى البشرى احدى هذه المتاعب : كان يصحب كريمتيه ذات يوم فى نزهة ، وكانتا ترتديان قبعتين ، وشاهدهم أولاد البلد ، فقال احدهم للآخر : « شوف فضيلة الشيخ ملبس ولاده برانيط »، فلم يتمالك البشرى نفسه من الضيق ، وصاح فيهما على الفور : « أمال عاوزنى البسهم عمم ؟» ...

واثناء عمله موظفا فى قلم السكرتارية بوزارة الاوقاف ، لقى قرويا لحوحا ، استوقفه ، وسد عليه طريقه ، طالبا ان يقرأ له ورقة . ولم يكن البشرى فى احسن حالاته ، فانتهر القروى ، ولكن هذا الح ، فقال البشرى فى ضجر : « لا أعرف القراءة »، فنظر اليه القروى بازدراء وقال متهكما : « ياخسارة العمة الكبيرة على راسك »، فما شعر القروى الا وقد وضع البشرى العمامة على راسه هو ، ثم قال له : « أهى العمة الكبيرة بقت على راسك انت ، تفضل واقرأ بقى »!...

وفى مجلس صحاب ، ترك جبته وذهب يقضى حاجة ، فلما عاد وجد احدهم وقد رسم عليها صورة حمار ، فأخذ الجبة وقال لاصحابه: « من منكم مسح وجهه فى جبتى ؟!»

كان الشيخ « النجيم » ابن بلد روحه تلمع نكتة « وجمالا » ، ونفسه تسيل عذوبة : ينتزع البسمة من الشفاه ، ويضحكنا من متاعبنا ، ويخفف عنا مشاكلنا ...

وصفه فكرى اباظة مرة قائلا : « هذه الخلقة التى لا تسر ، يبلغ من خفة روح صاحبها انك لاتملك فى بعض الاحيان الا ان تقطعها تقبيلا ، والا ان تعانقها طولا وعرضا والا ان تهشكها رفعا وخفضا ... ولكن لسانه حاد كالمبرد او كالمشرط اذا جردة على جيش اباده ، او على عظيم هشمه وهشمه ... ولكن



عبد العزيز البشري.. ساخرًا!

اسلوبه ينتهي دائمـــا بابتسامة من المجنى عليهم على العموم »!

وعلل شاعر النيل حافظ ابراهيم دمامته قائلا : « ليس الحق عليك بل على أبيك ، فلو دفع مهرا يساوى الوجوه الحســـنة ، لما خرجت انت بهذا الوجـــه الدميم » .. فانتقم منه البشرى في يومياته ، ووصـــفه بانه « جهم الصوت ، جهم الخلق ، جهم الجسم كأنما قد من صخرة في فلاة موحشة ، ثم فكر في آخـــر لحظة أن يكون انســــانا ، فكان والسلام ...

واما ما يدعى فمه فكأنما شق بعد الخلق شقا ، واما عينــاه فكأنما دقتا بمسمارين دقا ...

أما لون بشرته والعيـــاذ بالله ، فكأنما عهد به الى نقـــاش مبتدىء تشابهت عليه الاصباغ والالوان ، فذاب أصـــفرها في أخضرها في أبيضها في بنفسجها ، فخرج من هذا كله لا يرتبط بواحـــد منها بسبب !.. وهو اذا اطلقته في البر حسبته فيلا ...

واذا اطلقتـــه في البحـــر حسبته درفيلا »! ..

ثم اشار الى نظـرية « المهـــر » التى قال بهـــا حافظ قائلا : « لو اطردت نظرية حافظ ، فـــلا شك ان المرحـــوم والده تزوج على الطريقة الانجليزية ، فلم يدفـــع مهرا .. بل أخذ »!

ولقد فرض عبد العـــزيز البشرى نفسه على الادب لاكثر من ربع قرن، وان لم يحترفه وآثر الوظيفة منذتخرجه في الازهر حتى لقى ربه ، ضمانا للقمة العيش في عصر لم يكن الادب فيه يضـــمن لقمة العيش ، ومع ذلك فلم تسلم الوظيفة من تهكمه . قال : « فن الوظيفة هـــذا ، شرح الله صدرك ، واطال عمـــرك ، ورفع في المناصب قدرك ، فن واسع الاطراف ، رحب الاكتـــاف ، موصول الاصـــول ... لا يحذقه الفتى الا بعد الجهد وشدة المطاولة وسهر الليـــالى في التفكير والتدبير ، وتمرين الاعضاء في كيفية القعود والقيام ، والسكوت والكلام ، والدخول والخروج والهبوط والعروج ، والتشييع والاستقبال ، والخشوع والاستبسال ، والانقباض والتبســـط .. وارهاف الانف حتى يشم الريح على بعد أميال ، ويدرك مدى تحول الجو من حال الى حـــال .. ومن اولى مزايا هذا الفن الجليل تخليد الوظيفة للفنان على الزمان .. وانى أعرف طائفة من هؤلاء الفنانين مهد لهم الفن الـــمدرج كله .. حتى بلغوا القمة بدقة الفن وحده ، ناعمين بثقة الجميع ، ولا ايمان لهم بواحد من الجميع » !

وعبد العزيز البشرى ، ابن الشيخ سليم البشرى ، شيخ الاسلام ، كان اماما في الفقه ، رشحه علمه لرئاسة احدى المحاكم الشرعية ، وهو بعـــد شاب .. ومع ذلك فلم يمنعه وقار الفقهاء من اطلاق النكتة الصـــافية متى « حبـــكت » .. كان البشرى القاضي الشرعي قد انتدب لرئاســـة محكمة حلوان الشرعية ، فاستاجـــر شقة صغيرة هناك لكى يتفرغ فيهـــا للقراءة ودراسة قضاياه . وفي ليلة، وبعد منتصف الليل ، سمع حركة في مسكنه ، فادرك ان لصا زاره ، فنزل عن سريره .. ووقف ووجهـــه الى الحائط ، ويتصور اللص ان الشيخ



فكرى اباظة : وصف ظريف البشرى

بحركته هذه يدبر له كمينا ، فدنا منه ليعتقل اليه ، فاذا بالشيخ يفاجئه بقوله : « على ايه يا بنى ، ده انا واقف كده عشان مكسوف منك » .. والواقع أن اللص لم يجد فى بيت البشرى ما يستحق السرقة ، فقد كان البشرى مسرفا ، بينه وبين « العملة » عداء ! .

وذكر حافظ ابراهيم حكاية « قراءة » ملفات القضايا هذه فى حلوان فى معرض فكاهاته لصديقه عبد العزيز البشرى . مرة جاء ذكر حلوان ، فقال حافظ انها « مشروع قرافة » ، وبيوتها « مشروعات اضرحة » ، فالتفت احد الجلوس الى الشيخ البشرى وساله : « أحق هذا يا شيخ عبد العزيز ؟ » وهم البشرى بالرد ، ولكن حافظ ادركه قبل أن يجيب وقال : « الشيخ عبد العزيز « يقرأ » فى هذه القرافة » ! ..

ولقد كان عبد العزيز البشرى اماما فى ادب اللغة ، لدرجة رشحته لان يكون مراقبا عاما لمجمع اللغة العربية .. ورغم وقار « مجمع الخالدين » ، لم تفارق البشرى خفة روحه : لاحظ البعض أن أعضاء المجمع لا يرسلون لحاهم ، مع انهم يلقبون بالخالدين ، فقال البشرى : « هذا فرض كفاية ، قام به عنهم الاب الكرملى (عضو المجمع) ، فان له لحية بمقام اربعين » ! .. ولاحظ مرة أن العالم الجليل احمد العوامرى كان مكتئبا لاحالته على المعاش ، فقال له البشرى يداعبه : « لا تيأس، فأنت أصغر من بلغ الستين » ! .

وكان عبد العزيز البشرى امام عصره فى « القفشات » : كان يرافق الجراح العظيم ، دكتور على ابراهيم فى سيارته ، عندما تعطلت السيارة لخلل فى « اسلاكها » ، فهبط منها الشيخ البشرى ، فقال له الدكتور على ابراهيم : « رايح فين يا شيخ عبد العزيز ؟ » فرد البشرى على الفور : « رايح اركب سيارة حسنة السير و « السلوك ! » . .

وداعب البشرى امام الجراحين المصرى وهو يصور براعته فى الطب قائلا : « لو كانت لغيره تلك الاصابع التى تسرق الكحل من العين لآثر أن يكون نشالا ، ولنشل الالوف ، ولاحرز الكثر مما تجدى الجراحة اضعاف الاضعاف ، ولما ابقى فى جيب على كيس ، ولا هنىء الناس بكريم ولا نفيس ! .. ولكن الله فكان ، وسبحان من يعطى الحلق للى بلا ودان ! ..»

وكان البشرى حسن العشرة ، بارع الحديث ، سريع الخاطر ، واقدر اهل عصره على مزج الجد بالفكاهة ... كان مرة واقفا ينتظر الترام ، وامتد به الانتظار ، وبينما هو على هذه الحال ، اذ بسيارة فخمة يقودها شاب بجانبه فتاة ، فاشار اليهما ، فتوقف الشاب ، وتقدم منه الشيخ قائلا : « لزمش لحضرتكم عذول ؟» فلم يتمالك الشاب نفسه من الضحك ... وان انطلق بدونه !

عبدالعزيز البشري.. ساخرًا!



وسخريات البشرى تنبع من نفسه المرهفة التى تفلسف الاشياء وتسخر منها ومن مفارقاتها ... وتنبع ايضا من قراءاته الواسعة فى الادب القديم والحديث · قال يسخر من صديقه الدكتور محجوب ثابت : لاشك أن الدكتور محجوب ثابت يعد بحق من ميراثنا القومى ، ولو لا أن الله جرى عليه القدر ، لكان لابد للأمة من « دكتور محجوب ثابت » باية طريقة من الطرق !.. نعم هو فى ميراثنا القومى لايقل عن آثار سقارة ، وجامع السلطان حسن، ومقابر الخلفاء · لقد اصبح على الزمان جزءا من تقاليدنا الاهلية كمحفلة المحمل ، ووفاء النيل، وموكب الرؤية ، وشم النسيم !.. والدكتور فى المصريين كانجلترا فى الامم ، كل منهما يـرى عليه للآخرين تبعات لاتنقضى على وجه العموم ، فاذا كان الكلام فى النيل تولى الدكتور الكلام ، وملكه على جمهرة المهندسين ، واذا كانت الثورة ، تصدر لجنة الوفد المركزية ...

« ولو فكرت طائفة من الجرذان والصنانير ، وجماعات الجعلان والصراصير ، أن تتخذ لها نقابات، لتمثل الدكتور ثابت فيها خطيبا ، ثم استوى بفضل الله لها نقيبا .. وفى الحق أن الدكتور يرى نفسه مسئولا عن كل ما فى البلد من هابط وصاعد ، وقائم وقاعد ، وغاد ورائح ، وسائح وبارح ، ودارج على متن الغبراء ، وطائر فى جو السماء · فاذا كانت هناك منطقة خارجة عن اختصاص « الدكتور » فهى عيادته فقط !...

كانت كتابات البشرى معينا لا ينضب من الفكاهة ، يتناول فيها اى شىء ، وكل شىء ، بالسخرية اللاذعة فينتزع منك البسمة ولو كنت اعدى اعدائه ... قال فى « المرآة » يصف رئيس الوزراء : احمد زيوار : « ... اما شكله الخارجى واوضاعه الهندسية ورسم قطاعاته ومساقطه الافقية ، فذلك كله يحتاج فى وصفه وضبط مساحاته الى فن دقيق ، وهندسة بارعة ، وصاحبنا اذا اطلقت عليه ، ادركت لاول وهلة انه مؤلف من عدة مخلوقات لاتدرى كيف اتصلت ، ولا كيف تعلق بعضها ببعض ، وانك لترى بينها الثابت ، وبينها المختلج ، ومنها ما يدور حول نفسه ، ومنها ما يدور حول غيره ، وفيها المتيبس المتحجر ، وفيها المسترخى المترهل»!

وحين قبل احمد زيوار الوزارة بعد استقالة الزعيم سعد زغلول ، قال البشرى : «خطوه وزيرا ..فانحط!»

وقال يسخر من فوضى ركوب المواصلات ، وكان يركب بجوار السائق فى ترام مزدحم ! « ولم يرعنى فى بعض الطريق الا أن ارى رجلا مقبلا على الترام من قدامه ، وقد تحرى المشى بين الشريطين ، والسائق يجهد فى دق الجرس له ، وهو لا يعدل ولا ينحرف ولا ينثنى ، حتى اذا اقترب منه الترام ، أو على الادق ، حتى اذا اقترب هو من الترام ، اقشعر جسدى ، ووقف شعر رأسى ، فأسرعت الى المفتاح ورجعته فى عنف ليقف القطار ، فالتفت الى السائق وقال فى شىء من الغضب : « ما الذى دعاك الى هذا ؟ » قلت له : « الم

ثم كيف أن الرجل كان عازما على أن يقوس القطار في غير اشفاق ؟!»

ولم يكن عبد العزيز البشري مجرد نديم شاطه ، او كاتب هازل ، لقد كان في كتاباته ناقدا ثائرا ، يبرز العيوب والآفات ، ويستنكر العادات والتقاليد البالية التي تعوق تقدم مجتمعه · وآرائه في هذا الصدد صيحات مدوية ، توقظ مجتمعا غافلا عن أمراضه ، وتجمد لا يتحرك ولا يريد أن يتحرك ، في عالم لا يكف عن الحركة والتطور ··

والبشري في نقده جاد كل الجد ، عنيف كل العنف ، ساخرا سخرية مريرة من رواد المقاهي والتنديبات والمتسولين والباعة الجائلين . الذين يملأون الطرقات ، واصحاب المهن التافهة : « ترى عملاقا تكاد مساحته تقاس بالقصبة طولا وعرضا ، ويستطيع أن يشق مصرفا ويطهر ترعة ··· ولكنه يسرح طيلة نهاره ومعه ثلاث ورقات يانصيب !»

حافظ ابراهيم : طرائف بينه وبين البشري



ولقد دعا البشري الى السمو بالفن ، وانتقد الميوعة التي كانت تشيع في اغاني زمانه وحمل حملة شعواء على الدجالين ، وتهكم على مدعى الوجاهة والمتعالمين ، وصور الحيرة التي احاطت بالناس من تطور الحياة حولهم وهم جامدون ·

كتب عميد الأدب العربي، الدكتور طه حسين يقول « البشري كان أحد ثلاثة ، هم شاعر النيل حافظ ابراهيم ، وكاتب النيل عبد العزيز البشري، وطبيب النيل على ابراهيم، وكلهم كان عذب النفس ، حلو الروح ، كريم السجية ، مهذب الطبع ، مترف الذوق ، مرهف الحس ، رقيق الشمائل ··· وهم من اجل ذلك كانوا متوادين دائما متحابين ، لا يفترقون الا ليلتقوا ··

ولقد عاش عبد العزيز البشري ربع قرن لا يقوى على فراق حافظ وكان كلاهما يداعب صاحبه ويكيد له ، وكانا يتبادلان الطف القفشات واعذب النكات ، بل لقد كانت لهما نكات « مشاع » لا يعرف من منهما قائلها ··· قال البشري : «··كنت لا استطيع صبرا على فراق حافظ ، وكان حافظ لا يستطيع صبرا على فراقي ··· لا أذكر انه ضمني به مجلس قط الا وحلا له مداخلتي ، ويذل بين يديه اكره مكارهي ، فاذا اعوزته المكاره خلقها خلقا ، وارتجلها من علو الخاطر ارتجالا·· ولقد يوغل في الكيد ويمعن في الدعابة ، فيشرك نفسه معي فيما يرميني به من الوان التهم ··· واذا أردت أن اتعرف بالضبط لون الصلة التي كانت بيني وبين حافظ ، فالتمسها فيما كان يصفني به ، ويردده على الاسماع عني : «فلان شرر لابد منه »··· وكان ذلك رأيي فيه ايضا »!

محمد عبد الغنى حسن

اقام الشاعر المهجرى الكبير فيليب لطف الله رئيس جامعة القلم بالبرازيل حفل استقبال باهر للشاعر محمد عبد الغنى حسن فى نادى جبل لبنان الفخم بسان باولو ، بمناسبة زيارته لهذه الحاضرة الكبيرة لزيارة أكباده النازحة المغتربة ، فالقى شاعر الاهرام هذه القصيدة التالية :

من شعر الغربة والحنين

عاد الشباب اليّ

اضفى على الله كل صنيعة
مما اشيد بقدره وأباهي ...
فالارض دانية المنال لخطوتي
والأفق ممتد بغير تناهي
وعلى عنان الجو كل ترحلي
وعلى بساط الريح كل رفاهي !
انا والرفيقة (١) لاثنان بربوة
أو هائمان بصخرة ومياه
نجتاز من بلد الى بلد .. ومن
اشباه جنات الى اشباه ...
ولنا على اعتاب كل خميلة
طير تركناه بحفظ الله (٢)
من كل فرخ كان بهجة عشنا
والأمر الاعلى ، وكان الناهي
نزحوا .. فكم من زفرة صعدت على
آثار فرقتهم ، وكم من اه ...
مازال يدفعني حنيني نحوهم
حتى التقت بمياههم امواهي ..

عاد الشباب الى يوم لقيتهـــــم
واضـــيعتنى من عائد آواه ! ...

***

انا ههنا فى غمـــرة من حبـكم
باهيت فى عطفيـــه كـل مباهى
لمـــا نزلت على ندى لبنــــانكم
احسســـت بالجبل الاشم تجاهى
طالت الى متن الســـــماء مناكبى
واعتز فى النادى المحلـــق جاهى
واكاد امشى فى صـفوف رحابـكم
ـ والله ـ مشية شـــاعر تياه !.
اختال من اهـــرام مصر بجبهـــة
شماء لاقيـــة اشم جبـــاه ..
تجرى العروبة فى دماوينـــا كمـا
يجرى الزلال على الاديم الـــزاهى
عرب وما زلنـا على طـول المــدى
من عهد كسرى ، او زمـان الشـاه

***

لى فى جنوب الارض وقفـة شـاعر
ســاه . وليس عن الفخار بسـاهى
اصــغى الى اشعار « عبقر » عندكم
يشدو بلا شـفتين ، او بشفاه ...
واكاد اسمع كل همســة شـــاعر
فى ليله ، او فى ضـحاه البــاهى
انى انا المحظوظ حـــين رايتــكم
من ذا يشـــابهنى هنـا ويضاهى ؟
فلقيت فى الآفـــاق لطف احـــبتى
الا هنا .. فلقيت « لطف الله (٣) »!!

● محمد عبد الغنى حسن ●
● سان باولو ـ البرازيل

---

(١) يقصد الشاعر قرينته وام ابنائه التى صحبته فى رحلته الطويلة .
(٢) يشير الشاعر فى هذا البيت الى ابنائه المهاجرين المهندسين نبيل ، ويحيى ، وعالى ، والمهندسة ثناء .
(٣) هنا تورية فى اسم الشاعر فيليب لطف الله رئيس حفل استقبال الشاعر

سعد عبد العزيز

الرواية المعاصرة بين دراما الزمان والمكان

يهمني أن أؤكد – بادىء ذي بدء أنني لا أخبر (الزمن) هنا خبرة العالم الذي يقيسه قياساعدديا ، كميا ، وانما خبرتي به لا تتجاوز حدود الادراك الذي يكشف عن تأثير الزمن في الاشياء ، وهو تأثير درامي ، ينطوي على عناصر الحياة والموت في آن واحد ... فهو يدفع الاشياء الى الحركة ، والنمو والازدهار من ناحية ، وهو يسمها بسمات التقلص ، والانكماش ، والزوال من ناحية أخرى .. ومن ثم، فقد أردت أن أقوم بالتركيز على (التجربة الباطنة) التي يحياها (بطل الرواية المعاصرة) ، فواضح أن كل ما هو باطني انما يمكن ادراكه في ضوء (مركب الزمن) ، الذي يتألف من الماضي والحاضر ، والمستقبل ... فنحن نعيش في جوف الزمن ، فنتعرض للتغير ، والتحول في كل لحظة ، فالزمن هو التغيير وبدون التغير ينعدم الزمن ، وبالتالي تنعدم الحياة ، فما الموت الا ذلك التوقف الحتمي للزمن ، وما (سقطة البطل) الا التعبير التراجيدي لافلات (البطل) من قبضة الزمن ...

ذلك ما يمكن أن نلمسه عند رواد رواية الزمن المعاصرين ، حيث ينفرد كل منهم ، بعالمه الدرامي الخاص ، الذي يلعب فيه الزمن دور البطولة.. فنجد (مارسيل بروست) يتأثر في كتاباته بالفلسفة البرجسونية ، الى ابعد مدى، لكنه لم يحاول أن يجعل من فكره الادبي نسخة ، تنطبق والفكر الفلسفي السائد في عصره ، كل ما في الامر، ان فكرة برجسون عن (الزمن الحي) قد مهدت له الطريق لخلق روايته الكبرى : (البحث عن الزمن الضائع) فقد لاحظ (بروست) ان كل لحظة تؤدي الى لحظة اخرى ، وهذه الى



ارنست هيمنجواى

ثالثة ، ورابعة ، وهكذا دواليك ... فالزمن هنا يسيل ، ويجرى ، ويتلاشى لهذا ، اراد ان يشق طريقا اليه حتى ينقذه من الضياع ، وحتى يمسك به ويخلصه من رخاوته ، وتجمده داخل اطــار من الكلمــات .. وبذلك ، استطاع « بروست » ان يفوز بالزمن ، ويعيده الى الحياة من جديد . فهو يسوق الينا اشــياء كانت مندثرة ، ومدفونة فى ركام الماضى ، فعن طريق تداعى الذكريات ، امكنــه ان يخلق عالما خياليا نابضــا بالحركة ، او الصــور والشخصيات ، بعــد ان كان غائصا فى ضباب اللاشعور ، مختزنا فى شكل كتلة زمنية متجمدة

ومن الضرورى ان نذكــــر ، ان (البحث عن الزمن الضائع) انمــا تنتمى الى الواقعية الزمنية ، فهى رواية تحليلية ، لها من الخصــائص الطبيعية ما يجعلها تنأى فى طبيعــة تشكيلها عن روايات المنولوج الباطنى التى يغلب عليها الطابع الكلاسيكى ... ورغم تأثر (بروست) بفلسفة (برجسون) التى كانت تعاصره ، الا انه كان يرفض ان يطلق على روايته اسم (رواية برجسونية) ، ذلك لأنه كان ينكر ان يكون (لبرجسون) تأثير مباشر على اعماله الادبية ، فواضــح ان عمله الروائى انما تسيطر عليــه فكرة التمييز بين التداعى الارادى ، والتداعى الحــر ، وهو تمييز لا يكاد يبين فى فلسفة (برجسون) .. ومن ثم ، يرى (بروست)أن التــداعى الارادى انما هو عملية ذهنية بحتــة ، يمكن عن طريقها ان نستدعى حصيلة معلوماتنا السابقة ، وذلك لمعــالجة موقف من المواقف .. اما التــداعى الحر، فيمكن أن نتمثله فى تلكالوظيفة السيكولوجية التى تدفــع الاشــياء الغائبة فى الماضى ، الى العـــودة والظهور من جديد فيمكننا بذلك ، ان نرى حدائق ، والوانا ، وصورا ، لم تكن تخضع للرؤية من قبل ...كذلك يمكن أن ندرك اشياء عزيزة علينا ، كانت غائصــة فى الظـــلام ، ونذكر صورا كانت ضائعة ، ونجد أشخاصا قد طواهم الموت يعيشون داخل وعينــا من جديد .. كل هذه الاشياء انما تعد مددا خصبا ينحت منــه الروائى روائع اعماله ..

وعلى هذا ، اراد كاتبنا ان ينظر الى الزمن بمنظـــار الكاتب الروائى الذى لا يعنيه سوى استنباط مؤثراته الدرامية ، والانسانية التى يستوحيها من خلال شخوص تتحرك ، وتتغير ، وتتحول وفقا لما ينثال فى وعيها من خواطر ، وافــكار وذكريات ، وذلك ما ينطبق تمــاما على شـــخصية (مارسيل) فى رواية (البحث عن الزمن الضائع) ، فنلاحظ أنه حيــن يستيقظ فجأة من نومه ، يكتشف أنه لم يعد قادرا على التمييز بين الحلم والواقع بين الوهم والحقيقة ، فقــد انبثقت فى ذهنه جميع مراحل حياته دفعة واحدة ، فهو يذكر عهد الطفولة

الروايــة المعاصرة بيـن دراما الزمان والمكان

وما بعد الطفولة ويذكر الاماكن التى عاش فيها، والاشياء التى تأثر بها ... يذكر عمره كله وهو يتحول أمامه من حالته المتكتلة الجامدة الى حالة السيولة ، والانهمار ... وفى ضوء ذلك ، نجد (الحاضر) عند (بروست) انما يمثل نقطة البدء فهو يبدو فى صورته الشاملة التى تضم الماضى والمستقبل ، والتى تضفى على الرواية وحدتها وتماسكها .

فلا غرابة ، ان نجد (مارسيل البطل) ينقاد هنا وراء حركته الشعورية التى تدفعه الى الامام حينا وتشده الى الخلف حينا اخر ، ولا غرابة اذا رأينا تلك الحركة الشعورية ، المزدوجة الدائبة تتولد من خلالها الصور والشخوص ، والاحداث ، وتنتشر فى مجرى السياق .. وهى حركة تسعى الى انبثاق الشكل الروائى الذى ينطق بطبيعة الحياة فى مجتمع مفكك ، متحلل يوشك على التداعى والانهيار.

وواضح ان « بروست » لم يكن يحذو فى ذلك حذو « بلزاك » الذى كان ملما بجميع التفاصيل والجزئيات التى تتصل بالحياة الاجتماعية فى عصره . ولم يكن « بروست » على علم مثلا ببورصة الاوراق المالية ، أو اتحادات العمال ، أو فئات المرابين، أو ما شابه ذلك . لم يكن يعنيه ان يعرف هذا كله معرفة وثيقة ، ذلك لانه لا يهدف هنا الى خلق رواية تصطبغ بالصبغة الاخلاقيــة أو الاجتماعية ، ومع هذا ، فقد استطاع عن طريق خياله ان يكشف عن ادق الاحاسيس ، واعمق العلاقات السائدة فى عصره وفى مجتمعه .

وفوق ذلك ، نلاحظ ان (بروست) انما يعمد الى التركيز بنوع خاص على مرحلة الطفولة التى عاناها (مارسيل) حين راى امه تؤثر عليه ذلك الرجل الغريب الذى يدعى (مسيو سوان) فقد انتابه الحزن ، حين رآها تجالسه فى الحديقة ، وتتجاذب معه الحديث ، غير عابئة بطفلها الذى اعتاد أن تقبله قبلة المساء قبيل نومه .

ولئن كان (بروست) قد امضى اغلب عمره طريح الفراش بسبب ما كان يعانيه من مرض الربو ، ولئن كان عالمه قد اخذ يضيق امامه حتى صار لا يتعدى حدود تلك الحجرة الخانقة فلا غرابة ، اذا رأيناه يتخذ من الادب وسيلة للتفريج والتنفيس ، فقد كان ينظر اليه على انه عزاؤه الوحيد فى عالمه ... فعن طريقه استطاع ان يحطم جدار حجرته الكئيبة ، وينطلق الى آفاق ذكرياته البعيدة ، تلك الذكريات التى راح يتلفع بها حتى تشيع فى نفسه الدفء ، والخير ... لقد استطاع فى ضوء (البحث عن الزمن الضائع) ان يحيى ذاكرته ، وان يبعث فى ماضيه الحياة من جديد ... استطاع أن يكثف ذلك التركيب

الغريب الذي تتعانق فيـــه الذات ، والموضوع » .

***

ويتلو ذلك ، علم آخر من أعـلام رواية الزمن وهو « جيمس جويس » فالزمن عنده ليس زمنـــا ميكانيكيا وانما هو تلك الحالة الشعورية التي تعبر عن طبيعة حياتنا الداخلية . وقد عرف (جيمس جويس) بروايتـــه الشـهيرة : (أوليس) تلك الرواية التي احدث ظهورها تأثيرا بالغا على الروائيين المعاصرين ، فبعـد سنوات ثلاثة من صدورها نشر (هيمنجواي) روايته : « ستشرق الشمس ثانية » عام ١٩٢٦ وهي تحكي عن الجيـل الضائع الذي شارك في الحـرب العالمية الأولى .

لكن رواية هيمنجواي تختلف في طبيعة مادتها وتشكيلها عن رواية (أوليس) ، الا اذا تجاوزنا بعض المواقف التي تأثر فيهـا هيمنجواي بتكنيك (جيمس جويس) ، فجويس

وليم فوكنر



كان لا يعرف شخوصه الا من خـلال عالمهم الداخلي ... اما هيمنجواي فقـد كان لا يزال متـأثرا ببعض الخصائص الفنية التقليدية ، ذلك لانه كان يميل في هذه الرواية الى خلق جو من التوازن بين الداخل والخارج

ورواية (أوليس) لجيمس جويس انما هي أقرب الى الصياغة الشعرية الحرة ، ولو عرفنا أن معطيات هـذا العمل لا تخضـع بالضرورة للادراك المبـاشر ، فهي تنطق بالرموز ، والاشـارات ، والايماءات التي لا تخبرنا عن مجرى الواقع بقـدر ما توحي الينا بصـدى هذا الواقع ، وردود فعله ، لادركنا طبيعة الشكل الذي تنتمي اليه هـذه الرواية .. فالكلمات هنا انما تنفجر في شكل هالة تشع بالاشكال والالوان والانغام وبالتالي فهي تمنحنا رؤية مركزة لهذا العالم الصغير الذي يمكن أن نتمثله في مدينة (دبلن) .. والكلمـات تنسج شخوص تلك المدينة في ضـوء الزمن الذي لا يتعدى امتداده الثماني عشرة ساعة . فالزمن هنـا يأخذ حالته الآنية فلا يتوقف تدفقه نحـو الماضي أبدا .. وهـو يستحيل الى ماض بمجرد أن يفض حمولته من صور ومرئيات وأحداث داخـل وعينا ، وادراكنا ...

وبهذا المعنى استطاع (جويس) أن يشق طريقا الى الزمن ، وأن يسيطر على حركته ، ويحكم الاغلاق عليـه داخل اطار من الكلمـات ، وبالتالي استطاع ان ينقل الزمن من مجـاله المتناهي ، الى مجال لا ينتهي أبدا ، فقد صارت الثماني عشرة سـاعة

بمثابة زمن خالد فى تاريخ الزمن ، وفى كل العصور ...

كان « جويس » قادرا على ان يستوعب عددا من الشخوص من خلال ذلك المشهد الذى يضمهم

جميعا ، فتجده فى هذا المشهد يقوم بالتركيز على الجزئى لكى يستخلص منه المعطيات الدرامية

التى ترتبط بالنسيج الكلى لهذا المشهد ، فقد امكنه ان يغوص فى عوالم هؤلاء الذين تجمعوا فى مكان

واحد كى يشاهدوا موكب الملك اثناء عبوره احد شوارع المدينة • وبرغم

ان كل شخص كان يبدو فى هذا الموقف وكأنه ذرة مغلقة ، منفصلة ،

الا ان « جويس » استطاع ان

يجمع هذه الذرات داخل تلك البؤرة التى تمثل وعيا • وان يفجر

ما تحمله من شحنات شعورية ، وتوترية ، دفعة واحدة •

وعلى هذا ، يمكن القول ، بان ديناميكية التعبير عند « جويس »

انما تأبى الا ان تدفع المتلقى الى ان يجرى ويلهث باستمرار ... فهو يدور مع الكاتب فى كل مكان حتى

الرواية المعاصرة بين دراما الزمان والمكان

يصيبه الدوار ... وهو يتحرك بين المرئيات بسرعة مذهلة ...

من هذه الشخصيات : الاب (كونى) الذى صار صديقا (لستيفن ديدالوس) والانسة (دن) التى تعمل على الالة الكاتبة ، والتى تتراسل مع (ليوبولد بلوم) رغم انهما لم يلتقيا ابدا ، و (باتريك

الويسيوس ديجنام) الذى دفن والده فى صباح ذلك اليوم ، و (ليوبولد بلوم) الذى تطارده صورة زوجته اينما ذهب ، و (ستيفن ديدالوس) الذى يهيم على وجهه فى الطرقات باحثا عن هدف يحققه ، و (ماريون بلوم) وهى زوجة (ليوبولد بلوم)

التى يتملكها احساس بالضيق لا تجد منه مخلصا • كل هذه الشخصيات تتراءى الينا ، وتتحرك فى ضوء هذا المسار الذى يعبر عن ايقاع الحياة فى مدينة بأسرها ...

●●●

ويعبر الروائى الكبير (وليم فوكنر) عن مدى ما يتعرض له واقعه من اهتزاز • واضطراب حين يجعل « بينجى » ، الابله فى رواية (الصخب والعنف) يخلط بين حالات الزمن قاصدا تحطيم سياقه ، واتساقه ، فنلاحظ ان ذاكرة

(بينجى) لا تستطيع التمييز بين احداث عام ١٩١٢ ، وعام ١٩٢٨ ، فعن طريق فوضى الزمن يحاول (فوكنر) ان يطلعنا على فوضى الحياة ، وارتباكها فى تلك الفترة

التى احتدم فيها الصراع بين المجتمع الريفى فى الجنوب الآخذ فى الزوال ، والمجتمع الصناعى واقعة من اهتزاز • واضطراب الماضى •

ولقد عاش (كوينتن كومسون) فى حال من الارتداد المستمر فى (الصخب والعنف) .. فلم يكن يعرف فى حياته سوى ذلك الماضى الذى كان حصيلة الامه وأحزانه وتعاسته ... كان يسعى للخلاص من أمر الزمن ، حتى انتهى به الامر الى تدمير نفسه بالانتحار .

على أنه لا يفوتنا أن نذكر أن شكلا روائيا جديدا ، جاء فى أعقاب الحرب العالمية الثانية مناقضا فى طبيعته للرواية الزمنية . انه ذلك الشكل الذى تنتمى اليه : (رواية المكان) . أو قل (الرواية الشيئية الفينومينولوجية) تلك الرواية التى أحلت (المكان) محل

(الزمان) بدعوى أن وجود الاشياء فى المكان انما يعد أكثر وضوحا وأعظم رسوخا ، من وجودها فى الزمان ... وكان من نتيجة ذلك أن تحولت الحركة الدرامية عن مصادرها التقليدية فصارت لا تنبع

من خلال فعل البطل فى الاشياء ، وانما من خلال انفعاله بها ، ومن ثم انتقل اهتمام الروائى من (الذات) ، الى (الموضوع) ، فلم تعد العلاقة بين (الذات) و (الموضوع) علاقة اسقاطات ، وردود أفعال ، وانما صارت علاقة بحث ، وكشف ، واختراع ... وبالتالى صارت (رواية المكان) بمثابة اختراع للعالم ، والانسان ، اختراع دائم ومستمر ، فهى لم تكن سوى موضوع مطروح على بساط البحث ، والمناقشة .

ان طبيعة رواية (المكان) ترفض تعقيل الاشياء ، وتعرض عن تشكيل الشخوص فى قوالب تشبه القولات . فواضح أن التشكيل الروائى هنا انما هو ذلك التركيب الرمزى الذى يكشف عن علاقات جديدة قد لا تتوافق ومنطق الواقع المباشر . وذلك ما يعبر عنه (فرانتس كافكا) فى أعماله الادبية ، فنلاحظ ان (يوميات

كافكا) انما تنفصل عن الدلالات المباشرة ، وتنأى عن الصور القريبة، فهو يسوق الينا عالما خياليا غريبا، تبدو فيه الاشياء وكأنها قد توقفت عن جريانها .. ففى رواية (القلعة) يدفعنا (كافكا) الى الاستغراق فى ذلك الحلم الغامض الذى يتراءى فيه

الامل ، بعيدا عنا ، وقريبا منا فى أن واحد .. ولعل (كافكا) يوحى الينا – من وراء ذلك – بيأس الانسان فى مواجهة عبثية الواقع .. فأهم ما يميز أعماله الروائية انما هو ذلك التباين الشديد بين الانشغال بمتابعة أحداث الواقع فى أشد حالاتها

خشونة وشراسة من ناحية ، ثم التفكير الملح الذى يدفعنا الى التحليق فى عالم غامض غريب ينبع من الحلم من ناحية أخرى ..

●●●

وتعد (ناتالى ساروت) من أشهر كتاب « رواية المكان » ، ويمتاز عالمها بالتكوينات الدرامية الغريبة وتلك المؤثرات التى تسترجعها من (بروست) و (سارتر) و (اليوت) .. يقول (سارتر) فى هذا الصدد : « ان عالمها يتألف من تلك الاشياء المختلطة الفائقة ، وهى أشياء تومىء بمدى ما يتسم به الواقع من لزاجة وتفاهة وزيف » .. وذلك ما نلمسه

الرواية المعاصرة بين دراما الزمان والمكان

بوضوح في رواية : (صورة رجل مجهول) ٠

وفوق ذلك ، تحاول (ساروت) ان تكشف النقاب عن دقائق الاحاسيس والخواطر ، والهواجس التى تنتاب الشخوص حين تعانى من ثقل وجودها ، وكان هذا الوجود قد استحال الى شبح مخيف يوعز بالفزع ، والهلع ٠٠ وهى تجسم تلك الرؤية عن طريق تجريد الواقع فى شكل متحركات بحادة ، فذة ٠ غير مالوفة ٠ ولعل هذا الموقف الذى جاء فى ثنايا (صورة رجل مجهول) يؤكد لنا هذا المعنى ، فهى تقول :

« لقد تراءى الى الذى حديث الجالسين معى على المائدة ، فى شكل ايقاع صوتى غريب ٠ وكان الكلمات قد فقدت معناها الحقيقى ، وصارت بمثابة رموز تفصح عن تلك الاشباح التى راحت تتراقص امامى وتهددنى بالخطر ، لقد توهمت ان عالمى محفوف بتلك الهوات السحيقة التى اكاد اسقط فى قاعها ومع هذا ، فقد حاولت ان اكبح تلك الهواجس التى تلح على الحاحا شديدا ٠٠٠ » ٠

وبذلك استطاعت (ساروت) ان تجعل من الموقف العادى البسيط الذى تتناول فيه الطعام ، موقفا دراميا مؤثرا ، وذلك حين حطمت عنصر الاعتياد والالفة الكامن فى الاشياء ٠

ولقد عرفت « رواية المكان » كاتبا آخر ، هو (ميشيل بوتور) ، الذى ابدع اربع روايات هى على التوالى : « المرور على ميلانو » عام ١٩٥٤ ، «جدول الزمن» عام١٩٥٦ و «التعديل» عام ١٩٥٧ و درجات » عام ١٩٦٠ ٠

وقد نشر (بوتور) بعد ذلك مجموعة من الدراسات النقدية منها (عبقرية المكان) ، و (الرواية كبحث) ، على انه من الضرورى ان نذكر ان اهمية (ميشيل بوتور) انما ترجع الى انه يمثل احد مؤسسى فكرة (الزمان والمكان) فى الرواية الجديدة ٠٠ فهو يرى ان ليس للزمن وجود موضوعى ، وانما هو ينبع من ثنايا الاحداث التى نحقق فى ضوئها وجودنا ومن ثم ، فهذه الاحداث التى تصنع عن واقعنا انما تمثل الخيوط التى يتالف منها نسيج الزمن ، فالزمن بهذا المعنى ليس وعاء تتكدس فيه الاحداث ، وانما هو قوة مؤثرة، وحركة ديالكتيكية تتولد منها خبرتنا الحسية والشعورية ، وعلى هذا ، فهو يمثل شكلا حيا من اشكال توترنا ، وتأزمنا ، ومعاناتنا ٠

واذا كانت (رواية المكان) تمثل عالما دراميا مكتفيا بذاته ، فذلك لم يحل دون صلتها بالواقع حيث تعمل على كشف (ظاهريات) هذا الواقع، وما يحويه من اسرار تركيبه وتشكيله، الامر الذى يجعلها مجالا خصبا للبحث (الفينومينولوجى)، والتنقيب عن تلك العناصر العلائقية ، والبنائية

التى تتركب منها اشكال الواقع ، فلا غرابة أن تكون الرواية عند (ميشيل بوتور) صورة مكثفة من صور (المكان والحدث) ، وبالتالى فهى تعبير حى عن دراما (المكان المتزمن) ، فهذه اللحظات التى لا يتوقف جريانها

انما توعز الينا بذلك الكم الهائل من الرموز ، والاشارات ، التى تتحكم فى



ت . س . اليوت

سارتر



دوافعنا ، واستجاباتنا ، وتجعلنا نهبا لافكار شتى ، وخواطر متضاربة .. ففى لحظة قد نندفع بطريقة محمومة نحو بلوغ هدف معين ، وفى لحظة اخرى نحس بالفتور ، والتقاعس وعدم الرغبة فى تحقيق نفس الهدف

.. وذلك ما نلمسه تماما فى رواية (التعديل) ، حيث نجد (ميشيل بوتور) يعرض هنا لفكرة بسيطة للغاية مؤداها : ان رجلا قد صمم على أن يعيد علاقته بامراة كان قد هجرها ، فاستقل القطار الى (روما)

حيث كانت تنتظره هناك ، فقضى ليلة مستغرقا فى التفكير ، وسرعان ما احس انه موزع بين رغباتمتناقضة فتارة يجد نفسه مندفعا الى المستقبل . متشوقا الى لقاء حبيبته ، وتارة

اخرى ، يشده الماضى ، ويفرض عليه سياجا يحول دون هذا اللقاء . وكلما تقدم به الوقت ، واقترب من مقصده ، تزاحمت عليه عوامل التثبيط والاحباط .. الامر الذى جعله يحجم ـ فى النهاية ـ عن هذا اللقاء .. فقد تحول حبه فجأة الى اشياء غريبة ، ومثيرة ، لقد احب كل الاثار التى طبعتها تلك المرأة على الاشياء ،

احب المدينة التى تسكنها ، والطرقات التى مشيا فيها سويا ، والمواقف التى ضمتهما ، ومن ثم لم يجد مفرا من ان يعود من حيث اتى ، بعد ان صارت تلك المرأة عنده شيئا عديم الجدوى ..

فى ضوء ما سبق ، يتضح لنا ان (ميشيل بوتور) انما يشكل روايته من خلال مفهومه (الفينومينولوجى) اى من خلال ذلك المنطق الشيئى الذى يؤلف بين الانسان والاشياء فى وحدة ديناميكية لا تنفصم .

جليلة
رضا

نصف سيجار

سيجاره البنى ... سيجاره :
من اى دنيا جئتنى ياصديق !

من عالم الحسن ودنيا الهوى ...
من جوف قارورة عطر عتيق

يا نصف سيجار طواه البلى
ولم يزل يبدو رشيقا ، انيق

يلتف حول خصره محزم ...
من ورق يحمل صنفا عريق

انا التى اشفقت فيما مضى
عليك ... لم القك عبر الطريق

اتيت محمولا على ثغره
تنعم فى زهو بطيب الرحيق

ارجوحة تهتز منصوبة
فى قائمين من فصوص العقيق

اتيت رفافا على ثغره
تغمر بالدخان وجها رقيق

وغاب لم ياخذك فى ركبه
ولا رنا فى الركن نحو الغريق



بقيـة المـزاج ... سـيجاره :
عكـرت « كيفـه » بهـذا العقـوق

كـم مـرة اشـعل فيـك اللظى
وكم وكم اطفـأت نـار الحـريق

حتى اذا افـرغ كبـريتـه
رمـاك فى عنف بغيظ وضـيق

يـا ايهـا المنكـوب فى حظـه
ضيعت من عمرك ما قد يفوق؟

ما قصة العصيان ... ما سره ؟
مـن أنت حتى لا تـوفى الحقـوق

ابيت ان تفنى عـلى ثغـره .. ؟
من لى بهذا المـوت ... يا للفروق!

ابيت ان تسرى بـأنفاسـه . ؟
يـا للتوغل الشهى العميق ... !

***

سـفينة البخـار ... ميناؤه "
كـان لنـا مـرسى المنى والشروق

انـا وانت الان نطفـو على
بحر من الاوهام . داج .. سحيق



د. حسان
الحاج إبراهيم

مثل هذه الروايات لا تؤخذ على علاتها..

جاء في مقال الدكتور احمد الحوفي عن (استكناه الغيب في العصر الجاهلي)، وهو المقال المنشور في « الهلال » العدد الاول من السنة الحالية (صفحة ٢٢ وما بعدها) ان العرب كانوا يتشاءمون ببعض الكلاب ...

قال الكاتب الكريم:

« وتشاءموا ببعض الكلاب . ذكر الطبري وياقوت الحموي أن السيدة عائشة سارت الى البصرة لتشترك في موقعة الجمل ، فلما مرت على ماء الحوأب نبحتها كلابه ، فقالت هي ومن معها : « أي ماء هذا ؟ » فقيل لها : ماء الحوأب . فصاحت السيدة بأعلى صوتها ، ثم ضربت عضد بعيرها فأناخته ثم قالت : « أنا والله صاحبة كلاب الحوأب » ، وحوفي قالت ذلك ثلاثا ، وأناخت بعيرها ، وأناخوا حولها ، فغالطوها وقالوا لها انه ليس ماء الحوأب . حتى كان الغد فجاءها عبد الله بن الزبير فقال : النجا .. النجا .. فقد ادرككم علي بن ابي طالب » فارتحلوا » .

ثم تابع الكاتب مقاله قائلا :

« ويبدو من هذا أن العرب كانوا يتشاءمون بكلاب الحوأب أن نبحتهم ويتفاءلون بها أن لم تنبحهم ، وظل وهمهم هذا الى ظهور الاسلام » .

وظاهر من رواية الكاتب على عكس ما يريد لنا أن نفهم ، أن العرب لم تكن تتشاءم بنباح كلاب الحوأب أو بنباح غيرها من الكلاب . وانما تشاءمت السيدة عائشة وحدها من نباح الكلاب بعد ان علمت أنهم كانوا عند الحوأب ، دون أن يشاركها أصحابها تشاؤمها هذا ، بل انهم ليغالطونها زاعمين أن الماء الذي كانوا عليه ليس ماء الحوأب ، راجين بذلك ان يحملوها على متابعة المسير

والآن فلا دليل هناك يفيد تشاؤم العرب من نباح كلاب الحوأب ، أو من نباح غيرها . وهذا الدليل نفتقده في الرواية كما جاء بها الكاتب ، كما نفتقد فيها أي اشارة الى تفاؤل

العرب ان لم تنبحهم تلك الكلاب المشهورة ! وليس من الضرورى أن نظن ـ كما ظن الكاتب ـ أن العرب كانوا ولا بد يتفاءلون ان لم تنبحهم كلاب الحوأب ، حتى ولو افترضنا انهم كانوا يتشاءمون لنباحها ...

ومع أننا لانستبعد ان يتفاءل العرب او يتشاءموا لاى سبب من الاسباب، او لغير سبب ، فنحن لا دليل لدينا يفيد تشاؤمهم من نباح بعض الكلاب، كماانّنا لا نعلم ان كان هذا التشاؤم شائعا ايام الجاهلية واستمر الى ما بعد ظهور الاسلام كما يزعم لنا الكاتب الكريم .

وقد قلنا ما سبق عن توسع الكاتب في الاستنتاج معتمدا على غير عماد ونحن نعلم أن الرواية التى جاء بها، قد جاء بها مبتورة على غرار القائلين (ويل للمصلين) يقفون عندها ولا يتجاوزون . فالرواية كما جاء بها الكاتب هي رواية الطبرى في تاريخه (الجزء الثالث ، حوادث سنة ٣٦) وليست رواية ياقوت الحموى كما قد يظن من كلام الكاتب .

ففي معجم البلدان (الجزء الثالث، مادة حوأب) ما يلى :

« وفي الحديث أن عائشة لما ارادت المضى الى البصرة فى وقعة الجمل مرت بهذا الموضع فسمعت نباح الكلاب فقالت : ما هذا الموضع ؟ فقيل لها : هذا موضع يقال له الحوأب فقالت : انا لله ، ما اراني الا صاحبة القصة. فقيل لها : واى قصة ؟ قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وعنده نساؤه : ليت شعرى ، أيتكن تنبحها كلابالحوأب سائرة الى الشرق فى كتيبة ؟ وهمت بالرجوع فغالطوها وحلفوا لهـا انه ليس بالحوأب » .

والرواية بذلك تصبح مفهومة واضحة لا لبس فيها . كما يتضح عندها الام كانت السيدة عائشة تشير فى قولها انها صاحبة كلاب الحوأب . (ولو كانت العرب جميعا تتشاءم لنباح كلاب الحوأب ، لما كان لقولها معنى) . وكذلك يتضح أن لا علاقة للحادثة بتشاؤم العرب أو تفاؤلهم لنباح الكلاب عند الحوأب او عند غيرها .

وقد اشتهرتهذه القصة عن عائشة رضى الله عنها ، حتى أن نباح كلاب الحوأب اياها أصبح بمثابة علم عليها ، حتى ان احدهم ليشير الى عائشة فلا يسميها باسمها وانما يكتفى بذكر حادثة نباح الكلاب . فقد جاء فى العقد الفريد لابن عبد ربه (الجزء الخامس) أن احد شعراء الشيعة قال :

انى امين بحب آل محمد
وبنى الوصى شهودهم والغيب
وانا البرىء من الزبير وطلحة
ومن التى نبحت كلاب الحوأب.

كما ذكر ابن عبد ربه أيضا حديث الرسول عليه السلام أنه كان يقول لعائشة : ياحميراء ، كأنى بك تنبحك كلاب الحوأب ، تقاتلين عليا وانت له ظالمة .

ونود قبل الختام ان نشير الى ان مثل هذه الروايات لانؤكد على علاتها . اذ نحن نشك فى صحة هذه الرواية اساسا ، ونراها من جملة ما اختلق المختلقون واكثروا فيه وزادوا . ولا مجال لبيان اسباب هذا الشك ، فلذلك مقام غير هذا المقام ، فليكن فيما ذكرناه كفاء والسلام .

● د . حسان الحاج ابراهيم ●
حمص ـ سورية

إدوار حنا
سعد

الحديث الأول

فجر من النعمى يرف ويقبل
أزجى مطالعه الحديث الأول

قد نم عن فرحى وباح بحيرتى
قولى العيىّ ووجهىَ المتهلل

الجارة الخجلى . رفيقة سكّتى
تغضى اذا التقت العيون ، فأخجل

عدْوى من الحسنِ الطهور تردني
ظمآنَ ملهوفا . . وعندى المنهل

وترد أشواقى طرائدَ حيرةٍ
من صبوتى ... أسعى لها وأوْجل

تبدو .. فتضطرب الجوانحُ لهفةً
وأضنُّ بالنظر الشحيح وأبخل

فكأنَّ لى قلبين ـ قلبٌ وامقٌ
عانٍ بصبوتها ، وقلبٌ مقفل

أذن الزمان .. وكل صعب يبتغى
ويُرام بالحيلِ الدوائبِ .. يسهل

فسفرت من ترب لهـــا برســالة
كذبَ الرسولُ لحاجةٍ .. والمرسل
ومضَت تجاذبنى الحديث ومسمَعى
نشوانُ ، يعلمُ ما يقالُ ويجهـــل
ما كان همّى للحـديثِ تسـوقه
بل كان همى صـوتها المتمهـــل
صــافٍ كشــقشقة الطيور منغّم
عذبُ الصدى . . متقطعٌ مترسل
يزهَى به سَمعى ويملأ ناظِـرى
سحرٌ سديد فى الرمــايةِ أعزل
غيداءُ فاترِة الجفـون رقيقـــة
أندى من الوردِ النـدىّ وأجمل
يزهو بفتنتهـــا ويعتزُ الصـــبا
ويسـلها منه الشبابُ المقبِـل
صَـمتت ولكنى عييتُ فلم أجبْ
وتكاد يدفعها الفضولُ فتســأل
وعلى لســـانى كلُ معنى ثائرٍ
غَزِلٍ يكاد بغيرِ لفـظٍ ، يبـذل
ترنو فتبصَـرنى كأنى عـــابد
قد ضـمه عند الصلاة الهيكل
متلعثمينِ نقـولُ أو نصغِى معا
وتسوقُ أطـرافَ الحديثِ فأكمل
ما كان أكذبنى وأصـــدقَ ناظرى
لحظـهُ يغـــازلُ صـامتا ويقبّل

حوار مع أزهري من يوغوسلافيا

شيء ما ... في ملامح سمته وصوته - يسكب الالفة ، ويطرح دعوة مرحبة لعقد معاهدة صداقة ! ...

... لقد جمعنا على غير موعد ، لقاء الغرباء ... وحين رايته ، كان يتصفح بين يديه ديوان شعر انيق ، يتوقف عند ابيات من قصائده ، يرددها همساً ، وتعروه هزة الطروب المنتشي !

وذابت لحظات الصمت من حولنا في كلمات صالح جودت - وكنا بين ضيوف مكتبه - وهو يقدم للتعارف بيننا ثم يقول :

- ... والدكتور يوسف راميتش ، يوغوسلافي ، مستشرق ، واديب يبني لقاء المثقفين عربا ويوغوسلافا ، ويترجم لابناء وطنه الصديق الوانا من ادبنا المعاصر في الرواية والمسرحية والقصة ...

- ... والشعر ايضا ! ..

قالها الدكتور باهتمام وابتسام ... ثم استطرد رافعاً ديوان الشعر الانيق في يده :

- وهنا نماذج رائعة للترجمة ، من شعر صالح جودت في ديوانه الجديد « الله والنيل والحب » ...

● أهي اول مرة يترجم فيها شعر عربي الى اللغة اليوغوسلافية؟

وأجابني د . راميتش : ربما كانت هناك محاولات قليلة سبقت ... ولكن اكثر الاهتمام بالترجمة عن العربية الى اليوغوسلافية، ظل يتركز حتى الآن في الرواية والقصة والدراسات المنوعة ...

● في التاريخ وفنون الادب ؟

- وايضا في العروبة والاسلام ...

● تذكر الآن شيئا من هذه الدراسات ؟

- دراسة قيمة عن الاسلام والتفرقة العنصرية ، للاستاذ

● المقامة العربية هي الباكورة الأولى للقصة القصيرة في الأدب العربي والعالمي



د. يوسف راميتش
مستشرق يوغوسلافي

الدكتور عبد العزيز كامل ، ترجمها الى اليوغوسلافية مواطني الدكتور احمد سمايلوفيتش ...

● وبالنسبة لك شخصيا ... هل قدمت جهدا في هذا المجال ؟

– نعم ، ترجمت عن الدكتور عبد الحليم منتصر دراسته عن « اثر العرب والاسلام في النهضة الاوربية في العلوم والطبيعة » ، وقدمت لها بعرض تحليلي شامل عن حياة الدكتور منتصر وسيرته العلمية والادبية ...

كما ترجمت مؤلف الدكتور محمد محمود الصياد عن اثر العرب والاسلام في النهضة الاوربية في الجغرافيا ... وكتاب « الطب العربي وأثره في الغرب » للدكتور محمد كامل حسين ... واترجم الآن « المعارف الملاحية العربية في القرون الوسطى واثرها في الغرب » للدكتور حسين فوزي ...

● عمل جليل ، تحمد به عند الله والمثقفين في البلدين !

– ... انما هو « جهد المقل » ، كما تقول العرب ...

● بالمناسبة ، اين وكيف تعلمت العربية يا دكتور راميتش ؟ ..

– هنا ... في الأزهر الشريف ، كلية اللغة العربية ...

● حتى الدراسات العليا ؟

– نعم ... فأنا اذا صح التعبير ، ازهري « ليسانس » ازهري « ماجستير » ، و « دكتوراة » !

و ... ضحك معنا كل من سمعنا نضحك !

***

ونحن نستقبل المرحلة التالية من حوارنا ، وقبل ان نبدأ تساءل الدكتور راميتش :

– خطر لي أن شيئا ما يلفتك في عربيتي – أقصد لغتي ؟!

– ولا يهمك ! .. انه كما تقول « شيء ما » ، شيء بسيط في

تطلك بعض الحروف والكلمات يلوى اعناقها ، وقد يضغط حتى يخنقها ، او يجرها من اطرافها ويسحلها !

ـ الله يسامحه !

● والسماح حق ، لن يرسل الدعابة وحيا من الصدق !

ـ ••• نعود ـ والعرب تقول « العود احمد » ـ الى ما كنا فيه من قبل •••

كنا نقترب بالحوار من مرحلة ما بعد ليسانس كلية اللغة العربية ••• وكنت اوشك ان اسال : ماذا كان موضوع بحثك لرسالة الماجستير ؟ •••

ـ « فن المقامة ، وحياة الحريرى » عميد ادب المقامات !

ولو ان السواد الاعظم من قراء اليوم وشباب العصر لا يذكرون ، ولعلهم لا يعرفون : ـ المقامات !

ـ فلتعتبرها مناسبة ودعوة للذكرى والمعرفة •••

ـ تقول لهم فيها ما قلت في دراستك للماجستير ؟

ـ وما قلت من بعدها في رسالتي الدكتوراه •••

● وهل كانت رسالة الدكتوراه ايضا في نفس الموضوع ؟!

ـ كانت امتدادا له •••• في الاولى درست فن المقامات ، منذ البداية مع بديع الزمان الهمذانى ، ثم عند الحريرى ، ومن بعده امتدادا حتى المويلحيين ابراهيم ومحمد ، وهما صاحبا اشهر كتابين للمقامات في العصر الحديث •••

ـ وفي الدكتوراه كانت الرسالة دراسة ادبية عن اسرة المويلحيين ، تناولت فيها عصرها وعروبتها وحياتها وثقافتها وآثارها وأثرها على النهضة الحديثة ، بما قدمت في عالم اللغة والاجتماع

الشاعر صالح جودت ، والدكتور راميتش ، ونصر الدين عبد اللطيف . . .

● دعوة مفتوحة للقاء المثقفين عربا ويوغوسلافا
● معهد للدراسات الشرقية وكرسيان للأدب العربي في جامعتي بلغراد وسرايفو



والسياسة . والتاريخ ثم فى الأدب ...

ـ ولقد شغل كتابا « حديث عيسى بن هشام » و « حديث موسى بن عصام » كثيرا من اهتمام الدارسين والادباء والنقاد ، ومع ذلك لم يحظيا بما يستحقانه من الدرس والعناية ، كما لم يحظ التراث الحافل لهذه الاسرة بما هو جدير به ...

● أخيرا ، وبلغة العصر ـ ما هى « المقامة » ؟

ـ ... لون فنى من الكتابة الأدبية يتميز بالتزام السجع ، وتوافق الايقاع ، وأسلوب فى العرض والسرد يشبه القصص ... المقامة ، من حيث بنائها الداخلى لا بد لها أن تضم نثرا فنيا ومقطوعة شعرية . ومن حيث البناء الخارجى ، لا بد لها من رواية وبطل ...

والمقامة ابتكار عربى خالص ، برز فيه واشتهر به بديع الزمان الهمذانى ، وجدد فيه من بعده وجود : « الحريرى » ، اديب البصرة اللامع ، وصاحب المقامات الشهيرة فى تراث الادب العربى ...

ـ قلت ان فى المقامة ما يشبه القصص ؟

ـ هذا حق ، فالمقامة ، وهى ابتكار عربى خالص كما قلت ، تعتبر من بواكير القصة القصيرة فى الادب العربى ، ثم فى الادب العالمى بعد انتقالها من الاندلس واسبانيا الى ايطاليا وباقى دول اوربا والعالم ...

وفى عصرنا الحديث ، ومن خلال اشهر كتاب عصرى للمقامات « : حديث عيسى بن هشام » لمحمد المويلحى

ـ يلفتك الصراع بين المقامة والقصة ، ففى الكتاب من هذه وفيه من تلك ، تغلب المقامة فى بداية الفصل ، ثم سرعان ما تنتصر القصة على بقية الفصل ...

ومع القصة كانت هناك الفكاهة ، فقد اشتمل كتاب حديث عيسى بن هشام ، على جميع أنواع الفكاهة من السخرية ، واللذع ، والتهكم ، والنادرة ، والدعابة ، والتورية ... وما الى ذلك ، وكان هذا أحد الاسباب المهمة فى ذيوعه واقبال الناس عليه فى عصره ، وما بعد عصره ...

● والحمد لله تمنح كتاب المويلحى : « حديث عيسى بن هشام » القيمة والقمة فى فن المقامات ... فكيف ترى أثره فى ادباء عصره .... ؟

ـ اثر واسع المدى فى ادباء عصره ، وما بعد عصره ... ولقد تتبعت بالبحث والدراسة ذلك الاثر فى الأدب العربى الحديث ، فانتهيت الى ان حديث « عيسى بن هشام » كان القراءة اساسية لمؤلفى الاعمال القصصية التى تلت صدوره ، ابتداء من حافظ ابراهيم ، فى « ليالى سطيح » ، حتى توفيق الحكيم فى « عودة الروح » ! ..

وبوجه عام ، فان الادباء الذين حذوا حذو المويلحى فى الادب كثيرون ، منهم : محمد عمر ، حافظ ابراهيم ، محمد لطفى

جمعة ، عبد العزيز البشرى ، حفنى ناصف ، فريد وجدى ، وحسين شفيق المصرى ، وغيرهم ...
ولكن المقـــامة وفن المقامة ، لم يفد من ذلك الاثر او التاثر شيئا ! .. فمن بعد كتاب المويلحى ، نمت وتطورت القصة ... وانتهت او كانت المقامة ؟!
● لعلا ... لكنها مرحلة فى مسيرة الادب العـــربى الحديث وتطوره ، قد يلتقى بعدها بالقامة !

● انت اذن تمنح المقامة موعدا مع المستقبل ؟
ـ ولم لا ؟ .. ان المقامة بخصائصها المميزة ، وخفتها ، وموسيقاها ، ومسخرياتها ، يمكن أن تقدم لجماهير العصر وجبة قراءة مناسبة ومحببة !
بعد رحلة الطواف الطويل مع المقامة والمقاميين ، الم تحاول ان تكتب المقامة يا دكتور راميتش ؟ ..
ـ لا ...
● لا بالعربية ولا باليوغوسلافية ؟
ـ بلى !
● فما هى احدث الكتب العربية التى تعرض الان مترجمة فى المكتبات اليوغوسلافية ؟
ـ لعل احدثهـــا ، ثلاثة كتب ترجمهـــــا من العربية الى اليوغوسلافية الاستاذ محمد مويتش ، وهى : « الفقير » للمرحوم الاستاذ محمود تيمور ... و « تاج الشوك » من قصص أرض المعركة للاستاذ عبد الرحمن الشرقاوى ... و « الســـارقة » للدكتور حسين مؤنس ...
● فى يوغوسلافيا مدارس او معاهد تعنى باللغة العربية ؟ ..
ـ عندنا كرسيان للغة العربية وادابها فى جامعتى بلغــراد وسراييفو ... بالاضافة الى دراسات وبحوث فى الادب العربى يقوم بها المعهد الشرقى فى سراييفو ...

● دكتور راميتش .. ما معنى كلمة راميتش ؟
ـ لعلها تشرفنى بالقرابة الى استاذى الشاعر الكبير احمد رامى ، فان كلمة « رامى » هنا اسم ، وكلمة « يتش » معناها « ابن » وبذلك فان « راميتش » تعنى « ابن رامى » !
● هل انت ، يا دكتور من مواليد سراييفو ؟ ..
ـ نعم ! .. ومنذ اقل من اربعين سنة !
● متزوج يا دكتور راميتش ، وعندك اولاد .. ؟
ـ لا ، ولا ...

● لو كنت مكانك يا دكتور لقلت :
لا ، ولا ... والحمد لله !!

● نصر الدين ... ●

خيط العنكبوت

إبراهيم
عيسى

يا فؤادى مالنـــا تبنــا وما تاب الألم
وغفــونا عن هـــوانا .. وهــوانا لم ينم
ومضــينا وبســمعى وقع صيحات الندم

***

أنا قد ألقيت أحــلامى الى ريح الســنين
وصلبت الشــوق فى دير كآبامى حــنين
فحصــدت العمر أوهاما ووعــدا لا يحين

***

يا لأحــلام غفت فى خفقــة القلب هنيئــة
أيقظتها لهفــة العمر باشــواق جريئــه
فمضت تعشق نار الحب .. والحب مشيئة

***

آه من حب تســامى بى فلامست الســماء
كان حلمــا فى عيون الشوق .. يغرينى عطاء
وصــحونا .. فرجعنــا عن هــوانا غرباء

***

أيهــا التائه فى ليل الهوى .. هون عليــك
آذن الفجــر فحطم كل قيــد فى يديك
ودنا الشــاطىء فاهدأ وتلمس ضــفتيك

***

يا حبيبــا قد تجنى .. واحتملنــاه لهنــا
وغفــرنا فالمأنا .. ومضى يسرف طعنــا
أننــا يوم افترقنــا .. قد أبينــا وانتهينا

***

وغدا الشــوق حطاما بين أحضــانى يموت
لم يعد حولى من الماضى ســوى لحن صموت
كل ما يجــذبنا خيط كخيط العنكبــوت



حسن
فتح الباب

حورية المعبد

كان صباح عبقرى الربيع   على ربى النيل وشطآنه
والشمس فرعونية فى السطوع   فى موكب الشرق وسلطانه

***

والمعبد المسحور ضافى السناء   أشم جبار على صرحه
يعانق الآفاق فى كبرياء   والسحر والاسرار فى ساحه

***

رفت خطاها فى محاريبه   كالحلم المهموس بين الجفون
وعطرها فى ظل اربابه   كزهرة من لوتس الاقدمين

***

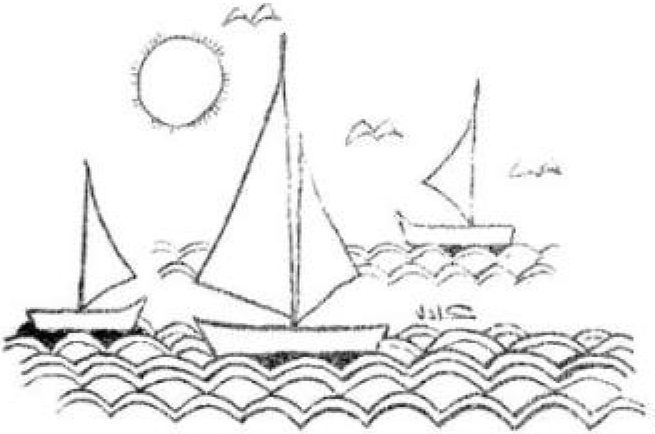
ساجية الطرف لذكرى الجلال   فى ارض فرعون مهاد الجدود
هيمانة بين ظلال الجمال   كانها من راقصات الخلود

***

فرعونة فى معبد الملهمين   اسيرة الفكر بآياتهم
سمراء نشوى الروح عليا الجبين   صيغت على صورة رباتهم

***

ملهمتى .. هذا الشروق النضير   فوق محيا الحسن .. من اطلعه ؟
ومن شدا بنوره للدهور   اغانى الحمد لمن ابدعه ؟



بين التماثيل زهـا ظلك بدائع الصخر باشراقه
فذاب وردى السنا حولك كأنه فيك صدى شوقه

***

« حتحور » فى دارة معبودها « حورس » والحب يراعيهما
وانت من روعة امجادها تقلمت لى فى ثغرك الانجما

***

ورقرقت فى قدس اقداسه انفاسك الوسنى كنفح البخور
فكاد ان يهدى بانفاسه لثم يديك وانطلاق الشعور

***

من انت يا حورية المعبد يا اخت « ايزيس » وقديستى ؟
اشرقت فى الكون من المولد سر كمال وهدى وحدتى

***

فليرع منك الخطو يا ربتى كهان صرح خلدته الجدود
ولينشد العشاق ترنيمتى لحسنك الغض بوادى الخلود



هدية العدد
صورة بالألوان
د. محمد حسين هيكل

● ولد فى قرية كفر غنام بمركز السنبلاوين دقهلية فى اغسطس عام ١٨٨٨ ، وفى الخامسة بدأ يتعلم القرآن فى كتاب القرية .

● تعلم فى مدرسة الخديوية وتخرج فى مدرسة الحقوق ، ثم سافر الى باريس حيث استكمل دراسته القانونية وحصل على الدكتوراه فى الاقتصاد والسياسة عام ١٩١٢ .

● لما عاد الى مصر زاول المحاماة وتابع الكتابة فى الصحف : الجريدة والسفور ، والاهرام متناولا فى مقالاته موضوعات اجتماعية وسياسية مختلفة ، كما تولى تدريس الاقتصاد والقانون المدنى بمدرسة الحقوق (١٩١٧ – ١٩٢٢) واختير رئيسا لتحرير جريدة السياسة ، وأسس السياسة الاسبوعية سنة ١٩٢٦ ورأس تحريرها الى ان عين وزيرا للدولة سنة ١٩٣٨ ثم وزيرا للمعارف ، ووزير الشئون الاجتماعية ، ثم وزيرا للمعارف سنة ١٩٤٠ وسنة ١٩٤٤ ثم رئيسا لمجلس الشيوخ ، وكان قد انتخب رئيسا لحزب الاحرار الدستوريين ، ومثل بلاده رئيسا لوفدها لدى هيئة الامم المتحدة

● والدكتور هيكل واحد من ابرز المصريين فى تاريخ الصحافة المصرية الذين جمعوا بتفوق بين السياسة والصحافة فى وقت واحد .

● اشتهر الدكتور هيكل بموهبة ادبية وثقافة عالية وابتكار وتنوع فى انتاجه الخصب ، وتعد روايته « زينب » اول عمل روائى فى ادبنا العربى الحديث .

● من مؤلفاته « جان جاك روسو » و « فى أوقات الفراغ » و « عشرة ايام فى السودان » و « تراجم شرقية وغربية » و « ولدى » و « ثورة الادب » و « فى منزل الوحى » و « الفاروق عمر » و « حياة محمد » و « مذكرات فى السياسة المصرية » و « هكذا خلقت » ... الخ من الانتاج الادبى والقصصى الى جانب العديد من المقالات الادبية والاجتماعية والسياسية

● بقدر ما كان شجاعا فى مناصرته للفكر الحر المستنير ، عندما يتعلق الامر بحرية الفرد ، فقد كان ايضا وجها واضح الدلالة للفكر الاسلامى العربى فى مصر الحديثة .

● ولم تفعل الثقافة الاوربية التى اتيح له حظ كبير منها الا انها صاغت عقله صياغة جديدة باهرة ساعد عليها ذهن صاف ، وفكر متوقد ، ونظرة فيها من العمق قدر ما فيها من الانفتاح ، اما قلبه وعواطفه ونفسه فظلت تهوى ابدا الى الحياة القديمة فى الريف وما كان يحيط بها من مثل وتقاليد .

● ظل د . هيكل رغم مشاغله السياسية واعماله العديدة واسفاره ورحلاته محبا للادب والصحافة يدبج المقالات ويحرص على انتاجه الادبى المتنوع الى ان لقى ربه فى الثامن من ديسمبر عام ١٩٥٦ .

من بحوث

مؤتمر الأدب والشعر بالجزائر

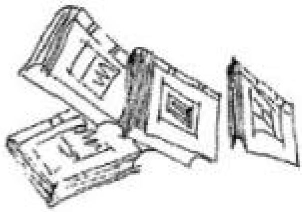
- الادب والعدالة والسلام : يوسف السباعي
- كلمة حب : صالح جودت
- بين النشاط الادبي والنضال السياسي : د. احمد طالب الابراهيمي
- تعريب التفكير أولا : د. عبد الله الركيبي
- الطفل في الادب العربي : روكس بن زايد
- الشعر والانحراف الديني : د. صالح خرفي
- النضال والثورة في أدب الطاهر حداد : احمد خالد
- من هنا « قصيدة » : احمد سحنون

يوسف السباعي
الأمين العام لاتحاد الأدباء العرب

الأدب والعدالة والسلام



انني لوقن ان انعقاد هذا المؤتمر في الجزائر ، حدث تاريخي له دلالته العميقة البعيدة المدى . وانه ليسعدني ويشرفني، باسمي شخصيا وبالنيابة عن الادباء العرب في كل مكان ، وباسم اتحادهم ، ان اوجه اصدق الشكر والتقدير الى الجزائر الشقيقة : الى شعبها الباسل ، والى السيد رئيس مجلس الثورة ورئيس مجلس الوزراء الاخ هوارى بومدين ، والى حزب الجبهة الوطنية للتحرير ، والى اتحاد الكتاب الجزائرى لتفضلهم بدعوة المؤتمر للانعقاد على ارض الجزائر العظيمة ، ولما نلقاه من حفاوة عربية اصيلة في كل مكان ، ولما نلمسه في كل خطوة من اعداد ممتاز وتعاون تام ، مما من شأنه ان يوفر افضل الظروف لان يحقق هذا المؤتمر النجاح الكامل الجدير به .



وانه ليسعدني ويشرفني بصفة اخص ، ان اسدى التحية اليوم الى الثورة الجزائرية التى تقف فى العالم العربى وفى العالم الثالث كله ، منارة ساطعة ، بما بذل فيها من تضحيات وما أثارت من آمال ، وما حققت من انجـــازات ، ان التاريخ ليسجل لهذه الثورة الباسلة أنها تخطت فى ثبات وعزم طريق تقدم ، وبناء دولة عصرية وتوكيد كرامة الانسان والقضـــاء على الاستغلال ، ودعم الاستقلال وفى حقبة عشر سنوات قصيرة فى

تاريخ الامم استطاعت الثورة الجزائرية أن تقطع شوطا طويلا وأن تمضى بعيدا على هذا الطريق فى كل مجالات الحياة الوطنية وأن توطد الاستقلال الاقتصادى وتضـــع أسس التسيير الديمقراطى والتصنيع ، والتنمية والعدل الاجتماعى وأن تعيد للجزائر وجههـــا العربى المشرق الاصيل ومكانتها فى العالم العربى ٠

●●●

ان الدلالة التاريخية لهذا المؤتمر فى غنى عن كل تعليق ٠ فالمؤتمر ينعقد ــ اولا فى منعطف تاريخى من كفاح شعوبنا العربية الطويل الشاق ضد قوى الامبريالية والاستعمار والصهيونيـــــة وثانيا الادباء العرب يجتمعون لاول مرة على ارض الجـــزائر التى روتها دماء المليون شهيد دفاعا عن عروبة الوطن واســـتقلاله وحريته ، ــ وثالثا لان الموضوع الذى يتدارسه الادباء العـرب فى مؤتمرهم العاشر هذا ، موضوع له اهميته التى لا تدانيها اهمية ، اذ يتصل بموقف الادب العربى من قضايا التحرر والتطور الاجتماعى فى العالم العربى وما يتفرع عن ذلك من علاج للسمات الثـــورية فى التراث الادبى العربى ، والنضال والثورات فى الادب العـربى الحديث ، والاثر المتبادل بين التطور الاجتماعى والتطور الفنى فى الادب العربى الحديث ، ثم ما يتصل بالقضية المحورية فى حيـــاة شعوبنا العربية وادبنا العربى على السواء وهى قضـــية فلسطين واثرها فى الادب العربى الحديث والمعاصر ، واخيرا مناقشـــة موضوع الطفل فى الادب العربى ٠

ولســـت بحاجة الى القول بأن الادب العربى قد وقف دائما

موقف الريادة من قضايا التحرر والتطور الاجتماعي في العالم العربي وان التراث الحضاري العربي العريق والرصيد الثقافي الذي يرجع الى أعماق التاريخ والذي أثرى الحضارة والثقافة الانسانية

كلها هو الركيزة الاساسية والباقية لذلك الموقف . ان الادباء العرب منذ عصر النهضة الحديث قد أسهموا اسهاما غنيا في تشكيل حركة ادبية قومية غنية . والادباء العرب باعتبارهم جزءا لا يتجزأ من شعوبهم وباعتبارهم الحفظة الامناء على هذا التراث ، وحملة الشعل الاوفياء ، والقدر الناس على الاحساس العميق بهموم شعوبهم

وامالهم ، لمعاناتهم واحلامهم ، وعلى التعبير عن تيارات الوعي والنضال التي جاشت وتجيش بها حياة وطننا العربي، هؤلاء الادباء قد خاضوا غمرات النضال بكل ما في أيديهم من سلاح وبكل ما في قلوبهم من ايمان وبكل ما في زادهم من فكر وثقافة ، دفاعا عن قضية الحرية ودفعا لعجلة التطور والتنمية .

كان اسهام الادب العربي في قضايا التحرر والتطورالاجتماعي وما زال اسهاما خصبا وحيا وخلاقا في مختلف ميادين الابداع والعمل الادبي ، وانه لما يعد بالكثير في هذا المجال أن الحلقات موصولة ومتجددة بين الاجيال المختلفة من ادبائنا ونقادنا ودارسينا

والى جانب الاعمال الادبية التي تواصل السير على طريق التقاليد الادبية المعترف بها والقادرة على العطاء هناك تيارات من الابداع والتجربة تصدر عن ادباء شباب وتوحي بان موقف الادب العربي مازال هو موقف الصلابة في الدفاع عن قضايا التحرر والابداع في اثراء قضايا التطور الاجتماعي .

***

ان خصائص المرحلة التي يجتازها الوطن العربي اليوم هي خصائص النضال من اجل القضاء على التخلف والتخلص من التركة الاستعمارية والسير في طريق التنمية الاقتصادية والعدالة الاجتماعية وترسيخ اسس التحرر والوحدة وهي الخصائص التي تنعكس في الانتاج الادبي الذي يبدعه ادباؤنا من اقصى المغرب الى اقصى المشرق باحساس عميق بوحدة النضال ووحدة المصير .

ولا شك أيضا أن المؤثرات التي تتميز بها الحقبة المعاصرة في مختلف الميادين التي تؤثر على الافراد من العوامل المؤثرة على الادب في البلاد العربية باعتبارها جزءا من الانسانية المعاصرة كلها مؤشرات تعقد الحضارة والنمو الصناعي الضخم والانفجار السكاني ومشكلات الحرب والسلام في كل مكان وما يسمى بأزمات المجتمع الصناعي الحديث وتطور وسائل الاعلام العالمي .

اما الخصائص التي تتميز بها هذه المرحلة في البلاد العربية فهي كفاح التحرر ضد الصهيونية والاستعمار من أجل التحرير الكامل لكل شبر من الاراضي العربية المحتلة والالتحام بنضال الشعب الفلسطيني من أجل استرداد حقوقه الوطنية ومن اولها حقه في تقرير مصيره واقامة دولته على أرض وطنه وحتمية حل قضية التخلف والمضي في طريق التنمية وتوفير العدالة الاجتماعية والسير نحو التقدم والاسهام في الثقافة والحضارة الانسانية المعاصرة .

***

انني اكرر شكري للسيد رئيس مجلس الثورة ورئيس مجلس الوزراء ، الاخ هواري بومدين ، لتفضله بافتتاح هذا المؤتمر ورعايته له ، وللجزائر الشقيقة كلها ، الجزائر التي وقفت وقفة رائعة مجيدة في حرب اكتوبر التحريرية التي حطمت اسطورة التفوق الصهيوني ، ووثقت عرى التضامن العربي ، واعادت الثقة الى الشعب العربي ، وفتحت الطريق نحو التحرير الكامل للارض العربية واستعادة حقوق شعب فلسطين ، واثبتت عروبتها الصادقة الاصيلة ، وامدت نضال الشعب العربي كله بزاد لا يقدر بثمن ، واسهمت في القضاء على حلف العدوان الصهيوني ، واعادت مع اشقائها العرب حيوية الامل والعزم الى قلوب هذه الامة ، ان الامة العربية كلها قد ناضلت جنبا الى جنب مع الجزائر حتى انتزعت استقلالها بتضحيات ابنائها ، وناضلت الجزائر جنبا الى جنب مع الامة العربية كلها ، ولا تزال تناضل في اصرار وثبات ، جنبا الى جنب مع كل قوى التحرر الوطني في العالم من الاستعمار والاستعمار الجديد ومن اجل التنمية ودفاعا عن الحرية في كل مكان ، وحفاظا على قيم العدالة والسلام .

صالح جودت

رئيس وفد مصر

كلمة حب

بسم الله ، الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم . وبسم الحب الاسمى ، حب الانسان للحق ، وحب الانسان للحرية ، وحب الانسان للانسان ، جئنا ، نحن خدام الكلمة ، الى هذه الارض الطيبة ، تنحنى اجلالا لذكرى الف الف من شهدائنا الابرار ، الذين ذهبوا الى رحاب الله ولكن قبورهم لا تزال حية نابضة ، تهتف بنا كل فجر ، اننا مهما اختلفنا فى مذاهبنا الفكرية ، فاننا جميعا ، من محيطنا الى خليجنا امة واحدة ، لها هدف واحد ، هو تحرير الارض ، وتحرير الانسان الذى يعيش على هذه الارض .

ولقد استطاع هذا البلد الامين ان يثبت لاصحاب كل ارض مغلوبة على امرها ، ان الشعوب الصغيرة تستطيع بالنضال ، وبالاصرار على النضال ، ان تقهر اعظم القوى الضارية فى العالم ، وكم من فئة قليلة غلبت فئة كبيرة باذن الله .

واذا كان لا يصح غير الصحيح ، فان النضال الحق ، هو النضال المثمر المؤمن ، الذى يقوم فى اطار الوحدة الوطنية والوحدة القومية .

والجزائر هى المثل الرائع لهذه الحقيقة .

فلقد كانت الجزائر فى ثورتها الرائدة الخالدة على قوى البغى والعدوان ، جبهة واحدة ، لها كلمة واحدة ، التففنا نحن العرب حولها ، وبهذا انتصرت على ضراوة حلف الاستعمار والامبريالية .

وكانت مصر وسوريا فى حرب رمضان المجيدة ، جبهة واحدة ، لها كلمة واحدة ، التفت حولها الامة العربية جميعا ، وساندتها الامة العربية جميعا ، وساندتها بكل ما تملك من رجال

أو عتاد أو دعم مادى أو أدبى ، أو بكل ذلك جميعاً، وكان فى طليعة أصحاب هذا العطاء ، رائد هذه الثورة ، الرئيس العظيم هوارى بومدين ، صاحب المواقف البطولية الشريفة فى حرب رمضان ، ومنها ما تعلمون ، ومنهـــا ما لا تعلمون ، مما نترك حديثه عبيراً للتاريخ وانشودة للحرية والمجد .

وبهذا العطاء من كل فج من فجاج الامة العربيـة ، انتصر العرب ، وحطموا اسطورة القوة التى لا تقهر ، وانكسرت الذراع التى طالما زعمت انها ، بطولها ، تستطيع أن تمتد لتضرب أية بقعة عربية من المحيط الى الخليج .

واذا كانت لمصر كلمة تقولها من الاعماق فى هذا اللقاء الكبير ، لخدام الكلمة الشريفة ، فهى ، ولنقلها بكل صراحة ، اننا كنا فى لقاءاتنا الفكرية السابقة ، نختلف ونختصم الى حد الغضب ، واحيانا الى حد القطيعة ، لاننا ، بعد ملهمة سنة ١٩٦٧ ، كنا غاضبين حتى من انفسنا ، ســـاخطين حتى على انفسنا .

اما اليوم ، فقد جاءت مصر بروح رمضان المقدسة ، بقلب مفتوح ، ويد ممدودة لكل أخ مشارك فى هذا اللقاء على أرض البطولة والعطاء والبذل ، تناشد المؤتمرين ان يعتصموا بحبل الله جميعا ولا يتفرقوا ، وان يتناسوا كل حفيظـــة من رواسب الماضى ، وان يجعلوا مؤتمرهم هذا مؤتمر بناء لا هدم ، ولقاء حب لا بغض ، ومسيرة زحف لا تراجع ، بعد ان طهرت المعركة المنتصرة قلوبنا ، ورفعت رءوسنا ، وعلمتنا ان وحدة الكلمة هى سبيل النصر ، وان تواصى القلوب العربية هى الطريق الى القدس، وان الارض التى ضاعت ، لم تضع من فلسطين وحدها ، ولا من سوريا وحدها ، ولا من مصر وحدها ، وانما اقتطعت من جســـد الامة العربية ، ونزفت من دماء كل عربى .

ونحن خدام الكلمة ... والكلمة هى اجل معجزات الله ممثلة فى كتابه الكريم ، ندرك ان الكلمة هى التى تصنع الشعوب وهى التى تضىء الطريق الى تحقيق حـــرية الارض وكرامة الانسان .

ان كلمة مصر اليوم ، هى كلمة حب لكم جميعا ، تتوجه بها الى وجداناتكم ان ترتفعوا بمسار هذا المؤتمر الى مستوى المعركة وان تجعلوا مقرراته حسبة لله عز وجل ، ولوجه الارض السليبة الحبيبة ، والمستقبل العربى المنشود .

وان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم ..
والسلام عليكم ورحمة الله ..

● صالح جودت ●

د. أحمد طالب الإبراهيمي
وزير الثقافة والإعلام الجزائري

بين النشاط

منذ عهد ليس بالبعيد ، اراد الاستعمار أن يسكت أصوات الوطنيين الجزائريين الذين كانوا دائما يتغنون بأن «اللغة العربية هي لغتنا» ، فما كان منه الا ان اتخذ قرارا بوجوب اعتبار اللغة العربية في الجزائر لغة اجنبية • وكأني بكم، اذ تعقدون لأول مرة مؤتمركم هذا في ارض الجزائر المستقلة ، تؤدون واجب التكريم نحو الشهداء الذين جادوا بأرواحهم الطاهرة ، لكي تستعيد اللغة العربية مكانتها كلغة قومية في بلادنا •

واسمحوا لي أن أضيف بأن انعقاد هذا المؤتمر في قصر الامم لا يخلو من دلالة ، فهذا المكان الذى تجتمعون فيه قد احتضن في السنوات الاخيرة مؤتمرات كانت مخصصة للكفاح الذى تخوضه الدول العربية والاقطار الافريقية وبلدان العالم الثالث ، على الصعيد السياسي والاقتصادي • ان اجتماعكم في هذا المكان — والثورة الجزائرية في مسيرتها الظافرة خير شاهد على ما نقول — ان اجتماعكم في هذا المكان يعني أن الكفاح على الصعيد السياسي والاقتصادي • لا ينفصل عن الاشكال الاخرى من الكفاح في سبيل استقلال الوطن ، وتنمية البلاد ، وتحقيق نظام بين الدول يسوده العدل والانصاف •

ان رفض الهيمنة يشمل ايضا رفض الهيمنة الثقافية • فهل يستغرب بعد هذا اذا وجدنا أن الدول التي تجمعت فيها ثروات العالم ، هي نفس الدول التي تنتج اربعة اخماس ما يطبع من كتب في العالم •

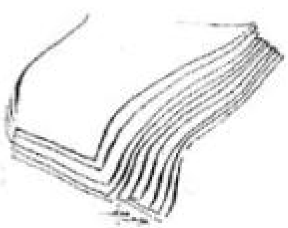
ان جدول اعمال هذا المؤتمر يعكس الصفة الشمولية التي يتميز بها الكفاح في الوطن العربي • فالموضوع الاول منه يتعلق « بالنضال والثورات في الادب العربي قديما وحديثا » • ولا شك انكم في هذا الاطار ، سوف

الأدب والنضال السياسى

تعرفون بشكل خاص ما للنضال من دور كبير فى هـذا الشأن ، لأن النضال ، والنص ، عنصر لا غنى عنه للمسير الى الامام فى طريق التقدم والتحرر ، ان النضال يستمد قوته من الشعور بأن المصلحة العامة ينبغى أن تتغلب على المصلحة الخاصـة ، وانه توجـد قيم مقدسة لا بد من احترامها والدفاع عنها فى كل زمان ومكان ، والكثير من تلك القيم : الاستقلال ، والعدالة ، والحرية ... فهل يجوز للكاتب العربى الا يلبى دعوة النضال ، والا يسلك سلوك المناضل فى حياته الخاصة وفى آثاره الادبية ، بعدما اصبح واضحا لكل ذى بصيرة ، ان النضـال من اهم العوامل التى يمكن بهـا ان ينهض العالم العربى نهضة ميمونة ؟ .

●●●

ان النضال يعنى – اول ما يعنى – العمـل ، والترفع عن النقائص ، والجود بالنفس ، والشـجاعة ، والمثابرة . فالنضال يقتضى من المرء أن يوفق بين القول والعمـل ، وأن يجعل كلا منهما فى خدمة المثل العليا .. ولا يخفى على احد أن العـالم العربى لا يزال يعانى من هـذا الجرح الاليم الذى يتمثل فى فلسطين المغتصبة . وقد احسنتم الاختيـار حينما ادرجتم موضوع : « قضية فلسطين وأثرها فى الادب العربى الحديث » ، كنقطة ثانية فى جدول الأعمال . ولعل المحكم من ذلك هو الحرص على تحـاشى المناقشات التجريدية فى قضايا الادب . وسوف يتضح لكم ، عندما تتناولون هـذه النقطة الثـانية ، فيما اذا كانت المشكلات المنبثقة عن مناقشة النقطة الاولى ، قد عولجت معالجة صحيحة أما النقطة الثالثة والاخيرة من جدول الاعمال – وهى تتعلق بموضـوع



• الطفل في الادب العربي – فهي لا تخلو من أهمية ، لانها ستكون منطلقا للحديث عن موضوعات هامة – كما سوف نرى – اذ لا بد – في معالجتنا لقضايا الادب – من أن ننظر اليها نظرة تاريخية ، وأن ندرسها دراسة تحليلية اجتماعية ·

ليس الهدف الان ، من اقامة هذا المؤتمر ، هو تقديم عرض شامل للادب العربي المعاصر ، لا ··· ولا ذكر المنجزات في حقل الادب · فكلنا نعلم

بين النشاط الأدبي والنضال السياسي

أن فنون الادب العربي ازدهرت ازدهارا كبيرا خلال القرن المنصرم ، أي منذ بداية عصر النهضة ·· على أن القضايا التي سوف تتركز عليها مناقشاتكم – وأعني بها قضايا التحرير والثورة الاجتماعية في الادب العربي الحديث – تجعلنا نتساءل : الا ينبغي أن يكون تطور الادب العربي والثقافة العربية ، مماثلا ومواكبا لتطور قضايا التحرير والثورة الاجتماعية ؟ والشيء الذي يدعونا الى هذا الاعتقاد ، هو أن وضع الادب والاديب والكتاب ، يندرج اليوم في اطار جديد يتميز على الاخص بتصفية الاستعمار ، والسعي الحثيث لتحقيق العدالة الاجتماعية ، ونشر التعليم على أوسع نطاق ، وبروز العالم العربي على مسرح الحياة الدولية ·

وهل هناك من ينازع اليوم في أن الثقافة العربية لا ينبغي أن تقنع – كما كان الشأن في الماضي – بالالتفات الى المجد الغابر ، والتغني بالتراث الزاهر ، والتطلع الى مستقبل نحسبه حافلا بالانتصارات الرائعة ، وان هو في الواقع الا سراب · فمن العبث أن نتسلى عن حظنا العاثر ، بذكر المجد الغابر ، او باتخاذ موقف سلبي من قضايا العصر ، وانتظار ما عسى أن يأتي به المستقبل ·· وما المستقبل في الحقيقة الا ما نصنعه بسواعدنا وايدينا ، وما ننجزه من عمل في هذه الحياة · فالمهم اذن هو التصميم والجهد المتواصل الذي لا يتوانى على مر الايام · ولا شك أن تطور القضية الفلسطينية خلال السنوات الاخيرة يقدم الينا البرهان الساطع على ذلك · فقد استطاع العرب – بعد ما تعلموا الدروس القاسية من حرب يونية ١٩٦٧ – استطاعوا أن يقفوا في وجه الصهيونية وحليفتها الامبريالية ··· على أن هناك تحديات أخرى غير التحدي الصهيوني ··· وميادين أخرى للكفاح يمكن أن يخوضها رجال الفكر والادب ، وأعني بذلك المعركة الحاسمة من أجل تنمية الاقطار العربية ، لصالح جميع المواطنين ، لا لصالح طبقة معينة تتمتع بالامتيازات ·

•••

ومن الناس من لا يزال في عصرنا هذا ، يتحدث أو يكتب عن تسمية

الاقطار العربية علميا وتقنيا وسياسيا وثقافيا ، بنفس العبــارات وبنفس الطريقة التى كانت تطرح بها هــذه المشكلة وتناقش منذ حوالى قرن ، فى عصر النهضة . وكانت الاوســاط المثقفة آنذاك تناقش هذه المشكلة على اساس الرجوع دائما الى ما حققــه الغرب الذى كانت بيده الســيطرة تقدما ورقيا .

ولا شك ان كل واحد منا يتذكــر او يعرف جيدا الكتب التى وضــعها اولئك المؤلفون ومن اتى بعدهم . وقد برز فيها اتجاهان رئيسيان يختلفان الى حد ما باختلاف المؤلف ، والوسط الذى عاش فيه ، والتجــربة التى عاناها . فهناك اتجاه انتقائى قــد اخذ من الغرب بعض المبــادىء : القومية ، والتقنية ، والمنهج العقلانى والنظام البرلمانى البورجوازى .... والاتجاه الثانى هو الاتجاه السلفى الذى كان له اثر عميق فى الدعوة للرجوع الى الاسلام الاصيل ... اما اليوم ، فان المفكر الثورى ، او على الاقل ، المفكر الذى ربط مصــيره بمصير شعبه ، ليربأ بنفسه عن ان يطرح المشكلة بنفس هذه العبارات ، وان يظل دائما مترجحا بين هــذين الاتجاهين ، لا يدرى الى اى منهما يميل .

اننا نعلم اليوم بأن الحضارة غير محصورة فى مكان واحد من العالم ، وان اتخاذ القرارات لا تنفرد به جهة واحدة ، وان طريق التنميــة ليس واحدا ، بل توجد طرق عديدة يمكن للدول ان تنتهجها . ان البشرية تسير اليوم نحو عالم يريد ان يحقق الوحدة فى التنوع ، ولذلك فان المنطقــة العربية ينبغى ان تصبح جزءا من هذا الكل المتكامل ، وان تحافظ داخل هذا الكل على خصائصها ، كغيرها من المناطق الثقافية الاخرى . ان القلق الذى كان يساور بعض المفكــرين ، بسبب تخوفهم من العواقب الوخيمة الناجمة عن مسايرة العصر ، وكذلك بسبب تخوفهم من الاستلاب المتمثل فى تغريب انماط حياتنا .. هــذا القلق الذى كان يساور بعض المفكرين لم يعد له مبرر ، خاصة اذا عرفــوا ان المطلوب منهم ليس هو التخلى عن اصالتهم ، ليدفعوا بها ثمن التطــور والتقدم ، بل المطلوب منهم اليوم هو ان يعملوا ، وان يجدوا فى العمــل لكى يعطوا شكلا جديدا للثقــافة العربية التى هى ثقافتهم الاصيلة . فلا يجدر بهم اليوم ان يرضوا بالتبعية والتقليد ، بل يجب عليهم ان يبدعوا وينشئوا .

ان الزمان ينقضى الى غير ما رجعة كالنهر الذى يتدفق بدون انقطاع ... وكما انك لا تســتطيع ان تغمر يدك مرتين فى ماء واحد من النهر ، فكذلك ليس فى مقدور احد ان يرجع القهقرى فى مسيرة الزمان ، او يوقف ديمومته فالرجوع الصحيح الى الاصل لا يعنى ان نعيش كمــا كان يعيش اجدادنا ، بل المقصود بذلك هــو ربط الحاضر بالماضى ربطا متكاملا ، مع اخذ الواقع الاجتماعى بعين الاعتبار . فاذا اردنا ان نكــون فى مســتوى المسئولية التاريخية الملقاة على عاتقنا ، واذا اردنا ان نخدم ثقافتنا القومية بطريقة ايجابية ، فما علينا الا ان نعمل بجد ونشاط ، لاعداد المستقبل المنشود .

وهنا ايضا لا بد من الاشارة الى خطأ جسيم كثيرا ما نجم عنه ســوء التفــاهم بين المثقفين . فمن الآراء الشائعة التى نصــادفها بين الحين والآخر فى الانتاج الفكرى العربى ، الاعتقاد بأن كل واحد منا حر تماما فى تفكيره ، كما لو ان الدماغ عبــارة عن قطعةمنالشمع الرخو الذى تستطيع ان تطبع عليه ما تشاء ، او تمحــو منه طبعته ما تشــاء ... وبما ان

المطلوب منا هو المحافظة على التراث، بعد احصاء ما خلفه الاولون من آثار وبما أن المطلوب منا أيضا هو انتهاج طريق من طرق التنمية من أجل اعداد المستقبل المنشود، لذلك يتصور البعض بأننا نحسن صنعا اذا نحن انتقينا لانفسنا بعض الامور الصالحة منهنا وهناك ، بدون أن نأخذ بعين الاعتبار ما كنت قد أشرت اليه فى بداية هذه الكلمة ، أعنى الحقائق التاريخية ، والاجتماعية ، والاقتصادية والنفسية.

بين النشاط الأدبي والنضال السياسى

ولعل الفضل طريقة لتفادى هذا الخطأ الفاحش هو أن نحاول اعادة التوازن المختل فى الانتاج الفكرى العربى .

ولقد تميز عصر النهضة الاولى بازدهار الانتاج الادبى ، ولا يزال هذا النوع من الانتاج يحرز قصب السبق لان المؤلفات فى العلوم المحضة . لا تمثل الا ٥٪ من مجموع العناوين التى تصدر فى العالم العربى . ولعله آن الاوان أن نقوم بتعميم وتعزيز التجربة التى أخذت بعض الاقطار العربية تسعى لانجازها ، وأعنى بذلك تنظيم البحث العلمى ، وتنميته ، وتشجيع الادباء على الانتاج فى ميدان العلوم الانسانية . ومن المؤسف أن عددا قليلا من الطلبة العرب يتحمل مشاق البحث العلمى الرصين . ان الواحد منهم اذا أراد أن يخوض هذا الميدان فانه فى اكثر الاحيان يهاجر الى الخارج ، ويقوم ببحثه فى بيئة لها قيمتها الخاصة ، وفى وسط أجنبى مقطوع عن واقع بلاده .

على اننا نستثنى من حكمنا هذا بعض الافذاذ من ذوى النبوغ . ولكنهم بالفعل افذاذ ، أو بالاحرى شواذ ، ان النهضة الحقيقية سوف تتحقق يوم يتوصل عدد كبير من رجال الفكر المشتغلين فى حقل العلوم والاداب ، الى المستوى المطلوب فى المعرفة، والى اكتساب عادات فى التفكير لا ترسخ فى النفس الا عن طريق الممارسة الطويلة للبحث العلمى .

ولقد يتساءل البعض عما اذا كان من حق الاديب أن يرقى الى هذا المستوى من الطموح ، وعما اذا كان فى مقدور الاديب حقا ان ينجز عملا من شأنه أن يحدث هذا التحول فى النظرة الى ذاته ، والى بنى جنسه ، والى الكائنات .

ولا شك ان وجودكم فى هذا المكان، وما أدرجتموه منموضوعات فى جدول أعمالكم ، يعطيان لنا الجواب الشافى الكافى : فقد اطرحتم اضغاث الاحلام، وتحاشيتم المشكلات المزيفة المتمثلة فى بعض الاراء التى اكل عليها الدهر وشرب : كالقول بأن الكتابة غاية فى حد ذاتها ، وأن الكاتب الحق لا يجدر به ان يهتم بالوقائع اليومية ، وأن الانسان اذا أراد ان يبدع فعليه أن يعتزل الناس ، وأن الاثر الادبى يقترب من الكمال على قدر ما ينطوى الكاتب على ذاته ، وأنه لا بد من فصل الشكل

من المضمون ... وما الى ذلك من الاراء الباطلة .

ولا يخفى على امثالكم من الادباء النابهين ان كل ثقافة تتضمن في ظاهرها او في باطنها فكرا عقائديا، وانه من الخطأ الفصل بين النشاط الادبي، والنضال السياسي، لان الاديب ينبغي أن يعيش في وسط الشعب ، كما يعيش السمك في وسط الماء . فالكاتب لا يستطيع ، بارادته وحدها ، ان يؤثر على قيمة اثره الادبي . اما الاسلوب فليس في الواقع الا وسيلة للتعبير عن شخصية الكاتب . وبكلمة مختصرة، فلا يوجد أي تعارض بين الانخراط في الحركة النضالية ، وبين ممارسة النشاط الادبي .

ان اقل ما يمكن ان ننتظره من الاديب العربي ، هو الا يجعل الناس بكتاباته يتهربون من مسئولياتهم ، ويستسلمون للواقع . فبواسطة الاثر الادبي يمكن توعية الناس بمشكلات الحياة وحقائقها ، ولذلك فان الاديب اقدر على التأثير في النفوس ممن يحلل المشكلات والحقائق تحليلا تجريديا ، او من يقوم بالدعاية لنشر بعض الافكار والمبادىء . والاثر الادبي يعد هذا من احسن الوسائل لشحذ القرائح ، وتنمية الفكر النقدى ، اذ بدون ذلك نقع في الجمود والتبعية ، وقد عانينا منهما ما عانينا .

ان المناقشات حول اختيار الطريق الانسب لتحقيق التطور، تفضى في اخر الامر الى تبادل الرأى حول اختيار الحضارة التى تناسبنا . فهل يجدر بالكتاب — وهم رجال الثقافة بالاصالة — هل يجدر بهم أن يضنوا بارائهم السديدة في هذا الموضوع الخطير ؟

وبالاضافة الى هذا ، فلا بد من الاشارة الى ان الانتاج الادبي العربي لا ينبغى أن يكون محصورا في نطاق الوطن العربي . فلا شك اننا ، اذا عملنا من اجل تعريف الاجانب باثارنا الادبية عن طريق الترجمة ، فسوف نسهم بذلك في احلال العالم العربي المحل اللائق به بين الامم . ولذلك فمن واجبنا أن نولى مزيدا من الاهتمام ، وان نقدم مزيدا من المساعدة للاشخاص القلائل ، وللهيئات التى تحاول أن تعرف بأدبنا في البلدان الغربية على الخصوص .

لقد اصبح المجال اليوم اوسع من ذى قبل لكى يحقق العالم العربي نهضة جديدة مرموقة . وبالفعل ، فقد استطاعت بعض الاقطار العربية ان تضع استراتيجية للتنمية ، وهذه الاستراتيجية اخذت تتحقق « من الشعب والى الشعب » ، كما يقول شعار الثورة الجزائرية . ان الانجازات الكبرى التى تحصلت في ميدان تعليم البنين والبنات ، وتكوين الاطارات على جميع المستويات ، لهي بمثابة ثورة صامتة !. ولكن هذه الشبيبة المتعطشة للمعرفة ، في حاجة الى تعليم عصرى متحرر من الخرافات ومعزز بالبحث العلمى الرصين . ومن جهة اخرى ، فان وسائل الاعلام الجماهيرى لا تفتأ تتطور . وهنا يبرز الدور الكبير الذى يجب ان يقوم به رجال الثقافة ، وتبرز كذلك مسئوليتهم العظمى امام التاريخ .

انني اتمنى أن يكون مؤتمر الادباء العرب العاشر مرحلة هامة في هذا الطريق الشاق الذى لا بد من أن نسير فيه الى النهاية ، لكى ننظر الى ثقافتنا وتاريخنا نظرة جديدة . وعندما نصل الى نهاية هذا المطاف ، فان العالم العربي سوف يكون مثالا يقتدى في حضارته المحافظة على توازنها بحيث ان الازدهار الاقتصادى الذى سوف يتحقق باذن الله ، لن يؤدى الى مسخ الثقافة، ولن يلحق اى ضرر بشخصية الانسان . فبمثل هذه الثقافة الجديدة نستطيع ان نؤكد اصالتنا وتمسكنا بتاريخنا ، وهذا هو الشرط لاستئناف مسيرتنا الى الامام، واشعاع الحضارة العربية الاسلامية .

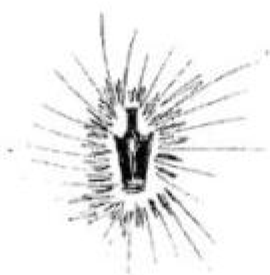
د. عبد الله ركيبي
رئيس اتحاد
الكتاب الجزائريين

تعريب التفكير أولاً

لا اشك مطلقا في ان ما أسوقه في هذا الحديث من آراء وافكار ، وما أعرض فيه لقضية خطيرة ناقشها الكتاب وأخذت من الاهتمام مالا يدانيه سوى الحديث عن حرية الشعب واستقلاله، قلت لا اشك في ان ما اقوله عن التعريب سيثير سخط الناس ان لم اقل غضبهم وثورتهم ، لانهم تعودوا على المألوف من القول ، بل الفوا الرتابة في حياتنا الثقافية والفوا ان يؤمن على كل ما يفعلون ويمنحون على الصواب والخطأ حتى في القضايا المصيرية التي تمس واقع الشعب ومصيره على السواء .

وحين يسعى بعضنا لتنبيه بعض العقول التي الفت الخمول والركود ، يسارع اصحابها الى رمي الحجارة في وجوه الذين يسعون جادين مخلصين الى اثارة القضايا ومناقشتها بموضوعية ونزاهة ، وهذا التفكير المتحجر الجامد هو سبب المأساة التي نحسها في حياتنا الثقافية والادبية .

ورغم ما القناه من رد فعل هذه الفئة ومن عقليتها ومن تصرفاتها التي عانينا منها وما زلنا ، رغم ذلك ، فاننا لن نبحث عن رضائها ولا عن



سخطها او اثارتها ،فنحن لانصدر فيما نكتب او نقول سوى عن مسئولية وعن صدق فيما نعتقد وايمان بما نقول دون هدف آخر ·

والواقع أن التعريب تعرض لضغوط كما تعرض لاستغلال عجيب · فهناك من رفعه شعارا لتحقيق مآرب خاصة ومصالح آنية ثم لاذ بالصمت ، وهناك من لا يزال يرفع شعاره فى امور يرجو تحقيقها فى المستقبل ، ولكن هناك من دافع عنه كقضية قومية مثل القضايا الوطنية لا لمرحلة من المراحل ·

والظاهرة التى تلفت النظر فى وضعية التعريب فى بلادنا ، هى أن التعريب مر بمرحلتين واضحتين منذ الاستقلال حتى الآن مرحلة الستينات ومرحلة السبعينات ، فالاولى كانت دفاعا عن التعريب وعن اللغة العربية بوصفها احدى الاختيارات الوطنية ، التى لا رجوع فيها وأن التعريب من المقومات الاساسية للشخصية القومية ·

ومن هنا نشأ ذلك الصراع الطويل بين من يؤمنون بالتعريب وبين من يقفون ضده ، وكان صراعا سافرا بارزا للعيان · فقد كان خصوم التعريب يحاربونه فى وضح النهار ، ويقفون ضده بالقول والفعل معا ، ويبذلون جهدهم لعرقلته فى شتى المجالات وبشتى الوسائل· كما تعرض انصاره الى حرب نفسية قاسية والى ضغط شديد وصل الى القدح فى ثقافتهم وكفاءتهم فوق الدعاية المغرضة التى تتهم الثقافة العربية بالجمود والتأخر ، فكانت المقارنة باستمرار بين اللغة العربية وبين اللغات الاجنبية ، والهدف هو الوصول الى نتيجة معينة وهى ان اللغة العربية قاصرة عن ان تستوعب ما تنتجه الحضارة الحديثة وبالتالى فهى لغة لا تصلح للعصر ، واذن فلا بد من بقاء اللغة الاجنبية واستمرارها ·

بل وصل الامر الى الارهاب الفكرى أيضا دفاعا عن اللغة الاجنبية واضطهادا لمن يدافع عن اللغة القومية من بعض العناصر المتعصبة للغة الاجنبية ·

هذا مجمل ما كان يجرى فى المرحلة السابقة · اما المرحلة الجديدةبالنسبة للتعريب ، فانها تختلف عن الاولى فى الملامح والسمات والمظاهر ، ولكنها تتفق معها فى النتيجة ، ذلك أن التعريب فى السبعينات أصبح مقننا، فقد سنت من أجله القوانين وصدرت فى حقه القرارات الحكومية ، وأصبح بحكم التشريع وبحكم القانون أمرا مقررا لا خلاف حوله · فماذا كان رد فعل خصومه ؟

لقد لجأوا الى طرق جديدة ، طرق ملتوية يفسرون بها النصوص القانونية حسب أهوائهم ، ودخل التعريب فى مرحلة المناورة بدل المبادرة وتنفيذ القانون · فمادام القانون يسنده فان الوقوف فى وجهه جهارا نهارا ، قد يعرض من يفعل ذلك الى المتابعة القانونية والشعبية ، فتغير التكتيك ، وتغير الاسلوب ، وأصبح الشعار فى الظاهر هو : « كلنا مع التعريب وكلنا مع اللغة القومية» ولكن الحقيقة أن مقاومة التعريب استمرت كما كانت فى السابق تحت صور متعددة ،

فالعراقيل التى توضع امام التعريب اليوم اشد عليه من الفترة الماضية ، فهى عراقيل مدروسة بعناية كبيرة من بعض خصومه · فقد افرغوا القانون من محتواه ، اشترطوا للوظيفة المستوى للترسيم والتثبيت ، ولكن حين جاء التطبيق تدخلت الاعتبارات الخاصة والنوايا المبيتة والافكار المسبقة ، فوجدنا من لا يستطيع كتابة جملة بالعربية مرسما فى وظيفة · وبذلك استغلوا القانون كما استغلوا الفراغ الذى سببه عدم المراقبة الصارمة على تنفيذ النصوص ، ولكن اصحاب النية الطيبة

تعريب التفكير أولا

ان القـــــانون وحده يكفى لردع الرافضين ، واذا بالتعـــريب يتعثر بحيث لم يدخل قطاعات كثيرة كان المفروض ان يدخلها ، لم يدخل حتى المجالات البسيطة التى تعبر عنهـــا العامية فضلا عن العربية الفصيحـــة المعربة ، والا فكيف نفسر عدم تعريب امور لا تتطلب ثقـــافة او تعمقا فى اللغة فى مستويات كثيرة ابتداء من البلديات مرورا بالحزب حتى المؤسسات الأخرى حسب السلم الادارى ٠

وما قيمة الامتحانات التى عقدت للعربية وما اثرها فى التعريب ، لقد اتهم انصار التعريب دائما بالحماس وعدم الواقعية فى نظـــرتهم لهـــذا الموضوع ، وسكت المعربون الا القليل واعتبروا أن القانون سيضع حـــدا للمناورات ضد التعريب ولكن الواقع يؤكد أن أعداء التعـــريب يتظاهرون بالعمل له بينما هم فى واقع الامر يحاربونه بشدة ، وبذلك سدوا الطريق أمام انصار التعريب ، بل وسبقوهم الى الدفاع عنه فى المناسبات ، وهذا الاسلوب الذكى يدل على أن الافكار قد تلبس قفازا ناعما ولكنها تبقى كامنة حتى تاتى الفرصة الملائمة للظهور وهذا ما يسمى بالاحتراف ، والحقيقة التى لا بد أن نسجلها أن خصـــوم التعريب ليسوا فى درجة واحدة من رفضه ومقـــاومته ٠ فهناك من يقف ضده بحسن نية أو بسذاجة وعـــدم فهم بل وبايمان بأن التعريب قد يؤخر البلاد ، وهذا الصنف من خصـــوم التعريب من الممكن اقنـــاعه بالحجة وبالتجـــربة والواقع ٠ بل من واجب المؤمنين بالتعريب أن يفتحوا نقاشا هادئا متزنا مع الذين لا تحركهم عقد أو مركبات خاصة تجاه التعريب وانما ينقصهم فقط الفهم وادراك الحقيقة ٠

ولكن الصعوبة التى تواجه التعريب فعلا من تلك العقلية التي رسخت فى أذهان الصنف الاخر الذى يقف ضد التعريب ويرفضه رفضا باتا بدافـــع العداوة المبنية على سوء النية وعلى الفكرة المسبقة التى اشرت اليها فى بداية هذا الحديث ٠ وهؤلاء لا بد أن يتجردوا من انيابهم التى يمزقون بها الشخصـــية الوطنية ٠ ان اسناد الوظائف لهم واعطاءهم الحرية المطلقة فى ان يتصرفوا كما يشـــاءون فى قضايا تمس مستقبل الوطن ومستقبل الاجيال ، ان هـــذا سيكلفنا الشيء الكثيـــر ، قد لا ندركه اليوم ، لاننا نعيش الاحداث اليومية بحكم العادة وعدم التنبه للتاريخ ، ولكن سياتى اليوم الذى يحكم فيه غيرنا علينـــا وعندئذ ستظهر الحقيقة المرة ٠

هذا الحـــكم ليس من وحى النظرة التشاؤمية أو الحساسية المفرطة تجاه قضية مبدئية مصيرية ٠ ولكنه حـــكم مبنى على الملاحظة والتجربة المعاشة

وهنا يمكن ان نتساءل : لماذا يسير التعريب ببطء ويتعثر باستمرار ؟ ان الجواب عن هذا الســـؤال يحمله عنـــــوان المقال فالمشـــــكلة فى تصـــــورى هى اننا نظرنا الى التعريب نظرة لغوية بحتـــة ، ونسينا الجوهر الاساسى فى الموضوع فالتعريب اللغوى لا يكفى ، لان من يقرأ العربية أو يكتب بها قد يلتقى مع أى أجنبى يحسن العربية ، يلتقى مع المستشرق الذى يتقن العربية مثل اهلها وربما اكثر منهم ٠ ويلتقى مع من يتعلم لغة أجنبية بغرض التعامل مع أصحابها ٠ فى حين أن التفكير هو المهم فى الموضوع ٠ فربما وجـــدنا مواطنا لا يحسن العربية ومع هـــذا يدافع عن العربية والعروبة أكثر من بعض الذين يتقنون العربية ٠

ولو كان خصوم التعريب يحملون

ولاء للتفكير العربي لما وقفوا ضده، فمثلا نجد الشاعر مالك حداد لا يعرف العربية بتاتا ومع هذا فهو يؤمن باللغة القومية وله ولاء كامل للأمة العربية ولمصيرها الواحد .

فالذين ينظرون للتعريب نظرة لغوية ، يجردونه من مضمونه ، من حقيقته ، ويسعون في الوقت نفسه الى تكريس الاقليمية ، ويعملون لاستمرار التجزئة والتشتت وابقاء الامة العربية جسدا بلا روح . فالوحدة لا تتم مع الاقليمية ولا مع التعريب اللغوى ، وانما تتم مع التجانس الفكرى ، مع التوافق ، مع تعريب التفكير .

واظن ان تقسيم المثقفين الجزائريين الى « معربين ومفرنسين » ، انطلق من مفهوم لغوى ومن نظرة سطحية او مقصودة مغرضة . فالتسمية علميا ووطنيا وقوميا غير مفهومة وغير دقيقة وغير سليمة ، بل وغير مقبولة، او مبررة .

فمن غير المقبول اطلاقا ان نستخدم مصطلحات مثل هذين المصطلحين دون أن نفكر في مدلولها سوى الفهم السطحي الساذج . أو اننا نستخدمها من منطلق النظرة اللغوية وبالتالي، نجرد التعريب كما قلت من محتواه الصحيح ونحصره في زاوية ضيقة بحيث لا يعبر عن قيم معينة أو تقاليد راسخة او جذور عميقة في تاريخنا ؟

قد يقال هذه أمور شكلية ، ولكن الشكليات أحيانا قد تحدث البلبلة في الاذهان والنفوس لان تحديد الاشياء يعطيها مدلولها الحقيقي . فالغموض يحدث الفوضى ويترك المجال للاجتهادات الخاصة والتفسيرات المختلفة ، خاصة في القضايا الجوهرية ذلك أن تناقض المفاهيم ينشأ من تناقض التعبير وتضارب المصطلحات في شتى المجالات لوضوح الرأى من وضوح الفكرة ووضوح التعبير .

فمشكلة الانسان مشكلة التعبير باستمرار فاللغة من الانسان بمعنى أو آخر . وأعتقد انني حين اقول : قل لى بأية لغة تتكلم أقل لك من انت ؟ أعتقد أن هذه المقولة صحيحة ، فاللغة بهذا المعنى تشمل التفكير والتعبير معا لان لكل لغة خصائصها ومميزاتها التي تجسم بها تفكير اهلها والناطقين بها .

وفي تصوري ، فان ما عرضت له من آراء خاصة بالتعريب وبالرغم مما احسه من فجوة عميقة ما زالت تفصلنا عن التعريب الحقيقي ، فان الامل يبقى دائما في الجيل القادم الذى عاش ظروفا تاريخية لم يتلوث فيها بأفكار قديمة ورواسب استعمارية ولم يخضع لمركبات نفسية خاصة ، فهذا الجيل هو الذي يمكن أن يحقق التعريب اللغوى والفكرى اذا خططنا له تخطيطا سليما وهيأنا له المناخ الملائم

واذا كنا ننشىء مجالس شعبية للرقابة والتوجيه والتسيير ومصالح مختلفة تسهر على تحقيق أهداف الثورة ، فلماذا لا ننشىء مجلسا يتابع ما انجز من تعريب . ويساعد على بلوغ الغايات والاهداف ويعمل على استمرار التعريب الكامل الشامل . لقد تعرضت لغة هذا الناس لم تتعرض لغتهم لمثل ما تعرضت له لغتنا من حصار وضغط من قبل الاستعمار الفرنسي . وعانت الكثير من اعدائها وخصومها وربما حتى من بعض انصارها الذين القوا المسئولية على غيرهم لسبب او لآخر . وهم مسئولون عن التمهيد للثورة الثقافية التى سيكون التعريب من بين اهدافها وهي آتية لا ريب في ذلك سواء طال الزمان أو قصر . لانها ستغير من مفاهيم كثيرة وستصلح اخطاء عديدة تحقق مقاييس جديدة للثقافة والفكر والتقدم .

● الجزائر ــ عبد الله ركيبي ●

روكس بن زايد العزيزي
الأردن

الطفل في الأدب العربي

مرت في تاريخ الادب العربي حقب مظلمة بالنسبة الى الطفل، لان الطفل لم يكن يعد مخلوقا له قيمة ، أو حقوق ، وليس ادل على ذلك، من الاية الكريمة : (ولا تقتلوا ابناءكم خشية املاق ، نحن نرزقهم واياكم ، ان قتلهم كان خطئا كبيرا) ·

ومن قول السيد المسيح مؤنبــا تلاميذه، وهم يزجرون الذين يقدمون الاطفال اليه :

« دعوا الصبيان يأتون الي ولا تمنعوهم ، لان لمثل هؤلاء ملكوت الله »

ولم يكن عدم الاكتراث للطفل خاصا بالعرب ، فقد سبقهم السبارطيون الى ذلك فكانوا يتخلصون من الطفــــل الضعيف ، لكي تنشأ عندهم اجيال قوية محاربة ·

***

واذا عدنا الى المجتمع البدائي ، رأينا ان الوالد الذي كان يهتم باطفاله، كان يعد ناقص الرجولة · وقد ادركنا هذا ، وشاهدناه شخصيا · وفي قصـــة عمر بن الخطاب والوالي الذي استرد منه عمر كتاب الولاية لجفاء عاطفتـــه نحو ابنائه ، ما يغنينا عن كل بحث ·

وفي القصيدة القصصية البارعة المنسوبة الى الحطيئة بعنوان (ضيافة بدوية) أو (نهاية كرم) نلمس نظرة الاب الى ابنه كانه مقتنى من المقتنيات، فصور لنا الشاعر في قلب الرجل رقــة ورأفة بالحمر الوحشية ، اكثر من رأفته بابنه :

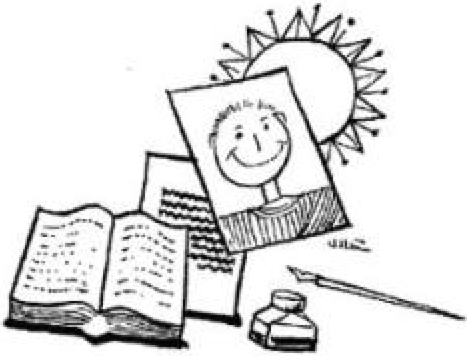
فامهلها ، حتى تروت عطاشــها   فارسل فيها من كنانتــه سهما !

اما بالنسبة الى ابنه فقـــد قال الشاعر :

فروى قليـــلا ، ثم احجم برهة   وان هو لم يذبح فتاه ، فقد هما

***

فوق هذا فقد عرفنا من البداة ، الذين يعيشــون حياة شظفة ، من لا يحسب للطفل حسابا ، فهناك قصـــة البدوي الذي لام زوجته التي بكت في



جوف الليل ، لما اكتشفت انها نامت وابنها يرضع ثديها ، فاختنق ومات . فنهض زوجها لسماع بكائها مذعورا وسألها عن سبب هذا البكاء ، فأجابت وهي تشرق بدموعها : الولد ، مات ! قال : خرعتيني ، خرعك الله ، حسبت الموعة انكبت والا حدا الزلطان فطس ، أي لقد أرعبتني ، أرعبك الله ، لقد ظننت ان السمن الذائب قد سال ، أو أن أحد الجديان مات . أي أن موت الطفل أخف وقعا على قلب هـــذا الاب من خسارة الزبدة الذائبة ، والجدي . وكم كان ثمن كيلو السمن ؟ لم يكن يزيد ـ يومها ـ على سبعين فلسا . وكم كان ثمن الجدي ، انه لم يكن يزيد على مائة فلس في حال . في حين ان اكثر العشائر كانت تجد عارا عليها ان تبيع السمن والخراف !

●●●

ولقد سمعت سنة ألف وتسعمائة وسبع عشرة أبا يعزي ابنه ، الذي فقد ولده البكر بقوله :

(أحمد ! يا حيفك ، تبكي على نومة ليلة !) .

ففي جو نفسي مثل هذا ، لا نترقع للطفل اية مكانة اجتماعية ، ولا نترقع ان نجد له في الادب ذكرا . وقولنا هذا لا ينفي عاطفة الام الغريزية ، فغريزة الامومة كامنة في نفس كل انثى ، كمون النار في الحجر . تشترك فيها انثى الحيوان مع انثى البشر .

●●●

ذكر لي صديق ، انه ذبح خروفا من غنمه ، عند قوائم امه ، بينما كان يرضع ثديها ، ولما جاء في النهـــار التالي ، وجد النعجة قد نفقت من غير ما مرض سابق .

وكم من أم فقدت عقلها حزنا على ابن لها ، وقصة (أم حكيم) التي ذبح (بسر بن أرطاة) ولديها (عبد الرحمن) و (قثم) قصة مشهورة في التاريخ وولهها بعد هذا الثكل معروف أيضا .

وهناك قصة مشهورة في الاردن كانت ضحيتها امرأة من غور الاردن تبع احد الزعماء طفلها ، ليغذي به طيور الصيد التي معه ، وكلاب الصيد من نحو تسعين سنة ، فخلدت تلك الحادثة بأبيات شعر رقيقة ، وفقدت عقلها . لكن ذلك لا يثبت أن الادب العربي قد أهتم بالطفل ، باعتباره مظلوما محترما له بحقوق .

❁❁❁

ولعل عمر بن الخطاب ، كان أول من تنبه لمكانة الطفل الانسانية ففرض له عطاء من بيت المال ، بعد أن يفطم ، ولما لاحظ أن الناس صاروا يتعجلون بفطام ابنائهم ، ارسل مناديه يقول لاتعجلوا بفطام ابنائكم ، وفرض للطفل عطاء من يوم مولده ، ولشدة احساسه الانساني فرض للطفل غير الشرعي عطاء ، انه اعتبره غير مسئول عن جريمة ، لم يكن هو طرفا فيها .

وقصة عمر مع المرأة التي كانت تطبخ الحصى لتوهم ابناءها انها تصنع لهم طعاما مستفيضة الشهرة ، وحمله للطحين ، وطبخه للاطفال واطعامه اياهم ورعايته لهم ولامهم معروفة ايضا .

❁❁❁

صحيح ان الادب العربي عرف مراثي للامهات وللاباء فاضت بها قلوبهم حزنا على ابنائهم وسجلها لهم تاريخ الادب العربي ، لكن ليس معنى هذا أن الطفل قد احتل مكانة انسانية في الادب العربي القديم . لان الموت يفجر عواطف الاهل ويشيع في بيوتهم الحزن ، ومن اوائل الذين ذكروا مسئوليتهم نحو الطفل جرير في رثائه لزوجته يوم قال :

ولهت قلبي اذ علتني كبرة ... وذوو التمائم من بنيك صغار

فنحن نعد هذه تنبها للمسئولية ، كما نعد رثاءه لزوجته ومضة من ومضات الشجاعة الادبية ، فلم يكن كل رجل قادر على أن يبدي حزنه على زوجته

❁❁❁

ويتفوق على جرير – في رأينا (حطان بن المعلى) الذي شعر بمسئوليته نحو بناته فجاء بوثبات خيال يقف الانسان عندها خاشعا ، لا لان ذلك كثير على الاباء ، الا أننا نعده كثيرا لانه نحو بنات ، كان دفنهن من المكرمات حتى فيلسوف الشعراء خضع لهذه العقلية المتزمتة :

ودفن والحوادث فاجعات ... لاحداهن احدى المكرمات ..

اما قول (حطان بن المعلى) الذي لا نعرف احدا سبقه اليه :

وانما اولادنا بيننا ... اكبادنا ، تمشي على الارض
لو هبت الريح على بعضهم ... لا متنعت عيني من الغمض

وقوله : لولا بنيـــات كزغيب القطا   رددن من بعض الى بعض

لكان لى مضـــطرب واســـع   فى الارض ذات الطول والعرض

فهذا التنبه الكريم يدل على تبدل فى طبيعة الرجل العربى ، ويبشر بفجر جديد للضمير ، ويبشر بمكانة انسانية متطورة للطفل فى الادب العربى •

ولعل الادب العربى القديم قـــد اقتصر على نقطتين بارزتين للطفـــل ، هما :

(ا) الرثاء •
(ب) والعطف على اليتيم •

اما الرثاء فامر طبيعى ، كما قلنا ، وهو عند المرأة ابرز منه عند الرجل • وعلى الرغم من هذا فقد حفظ لنا الادب العربى من المراثى ما هو ثوب القلب ولهاث روح •

ومن ذلك مرثاة ابن الرومى لابنه الاوسط ، التى تصور ذهولا نفسيا ، وضياعا فى دنيا الحزن :

الح عليه النـــزف ، حتى احاله	الى صفرة الجادى،عن حمرةالورد
وظل على الايدى ، تساقط نفسه	ويذوى كما يذوى القضيب من الرند
محمـــد ! ما شىء توهم سلوة	لقلبى ، الا زاد قلبى من الوجد
ارى اخـــويك الباقين كليهما	يكونان للاحـــزان اورى من الزند
اذا لعبـــــا فى ملعـــب لك لذعا	فؤادى بمثل النار ، من غير ما عمد
فما فيهما لى سلوة ، بل حزازة	يهيجانها دونى،واشقى بها وحدى

***

وحسبى من الرثاء العصرى للطفل

ا ـ علواء الشاعر المهجرى زكى قنصل التى وقفها على رثاء ابنته التى لم تتم السنة الاولى من عمرها (سعاد)

ب ـ ومطولة خيرى الهنداوى ، التى رثى بها ابنه •

وقد اشترك الشاعران فى نقطـة واحدة ، وهى الشك فى حكمة القضاء والقدر من اغتيال الاطفال وابقـــاء اصحاب الشر والفساد ، وقد ذكرنى كلاهما هذا برجل بدوى سمعته سنـة ١٩٣٠ يخاطب السماء بعد ان دفن ابنه الوحيد ، بابيات من شعر البادية ليس هذا الموقف مكان ذكرها •

واما •• العطف على اليتيم فقد جاء بتأثير القرآن الحكيم :

(اما اليتيم فلا تقهر) •

(ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى احسن ، حتى يبلغ اشده) •

(واتوا اليتامى اموالهـم ، ولا تتبـــدلوا الخبيث بالطيب ، ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم ، انه كان حـــوبا كبيرا) •

والاية (والذين يأكلون امـــوال اليتامى ظلما ، انما يأكلون فى بطونهم نارا ، وسيصلون سعيرا) •



الطفل في الأدب العربي

فجاء الشعراء والادباء يسجلون اشفاقهم على اليتيم بقصائد عامرة او بصفحات من النثر المشرق خالدة . كما فعل :

١ ـ الرصافي ـ أم اليتيم ـ المثبتة في ديوانه .
٢) وعمر ابو ريشة (يتيم) المثبتة في ديوانه .
٣) وفؤاد الخطيب (الايتام) .
٤) والدكتور سليم حيدر (اليتيم) في مجلة الاديب .
٥) ومصطفى اللاحي (اليتامى) في ديوانه
٦) واحمد الصـــــافي النجفي (اليتيم) في ديوانه الامواج .
وغيرهم كثير .

***

اما تنبيه العاطفة الانســـانية ، فقد جاء في الادب العربي متأخرا ، ومن ارقى ماوقفنا عليه تلك العلواء النفيسة لشاعر القطرين ، وعنوانها (الجنين الشهيد) . وهي مؤلفة من مائة واربعة عشر دورا خماسيا ما عدا الخـــاتمة فسداسية الشطرات .

وقد توالى الشعراء يفيضون من رقة احساسهم شعرا ينبه الناس الى منزلة الطفل الانسانية ، ولعل من أرق ماوقفنا عليه مقالا للمرحومة الانسة (مي) عنوانه (بكاء طفل) الناضت فيه روحها وسكبت قلبها وقصيدة (نسيب عريضة) ترنيمة السرير . وهكذا احتل الطفـــل مكانته في الادب العربي تدريجيا ، فصار الناس ينظرون اليه على ضـــوء الاية الكريمة (المال والبنون زينة الحيـــاة الدنيا ، والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا ، وخير املا) .

فأخذ الاباء يسجلون عواطفهم نحو ابنائهم ، والجدود نحو احفادهم ، بما لا يمكن حصره في كتاب وهو يدل على تطور في الادب العربي ناتج عن تطور في العاطفة نفسها وفي العقلية عينها .

وقد أحس الشعراء بذلك اكثر من غيرهم ، بواجب الانسانية نحو الطفل ،

الامر الذى يكاد يطبق فكر دستويفسكى – أن من يسيء الى طفل يجب قتله ، وان الطفل هو العالم ، لانه يتغير بتغيير العالم .

***

وقد اتخذ بعض الاباء من اطفالهم وسيلة لاستدرار العطف وهم يواجهون الموت أو ما يشبه الموت .

فنالوا العفو عن جرائمهم كما حدث للحطيئة ، يوم زجه امير المؤمنين عمر فى بئر خربة . فصرخ :

ماذا تقول لافراخ بذى مرخ زغب الحواصل لا ماء ولا شجر
القيت كاسبهم فى قعر مظلمة فاعطف عليك سلام الله يا عمر !

فدمعت عينا عمر ، وعفا عنه : وكما فعل (مالك بن طوق) يوم حكم عليه الرشيد بالموت فقال وهو راكع على النطع :

ارى الموت بين النطع والسيف كامنا يلاحظنى ، من حيث ما اتلفت
ومالى من خوف اموت ، واننى لاعلم ان الموت شيء مؤقت
ولكن خوفى صبية قد تركتهم واكبادهم من حسرة تتفتت

***

ثم اخذ الشعراء والادباء من الطفل وسيلة لمهاجمة التعصب الطائفى الذميم كما فعل شاعر القطرين فى مطولة (الطفل الطاهر والحق الظاهر) .

واتخذوا من الطفل رمزا لنهضات الشعوب وللثورة وتحطيم القيود فصوروا الطفل مناضلا ، كما فعل الشاعر (عبد الله يوركى حلاق) فى قصيدته (الطفل الفلسطينى الثائر) وكما فعل (محمد الفيتورى) و (عبد الوهاب البياتى) و (هلال ناجى) وغيرهم كثيرون اذ صوروا الثورة جنينا ينمو فى الخفاء وينسر الطغاة ويسحق الطغيان .

***

وجاء دور الاهتمام بالطفل باعتباره مسئولية اجتماعية ، فوضعت الكتب لتوعيته وتعليمه وتهذيبه وتسليته ويكفى أن يقف الانسان فى احدى المكتبات العامة فى القسم المخصص للاطفال ليتولاه العجب لكثرة ما يرى من القصص والاناشيد والمجلات والدوريات التى جعلت وقفا على الطفل .

ومنذ ايام زرت مكتبة العاصمة العامة، فوجدتها تضم اربعة الاف كتاب على حداثة عهدها، منها ما هو مصور فقط لتوعية الصغار ، منها القصص والمجلات والسلسلات وقد لفت نظرى :

(١) سلسلة كامل الكيلانى . (٢) وسلسلة الابراشى (٣) وسمير الاطفال للهراوى وقد اسهم المؤلفون الاردنة فى مكتبة الطفل ، فوضعنا :

أ) سلسلة الزنابق فى سبعة اجزاء .

ب) والمبتكر لتعليم اللغة العربية ومرشده واشترك معنا فيه الشيخ ابراهيم القطان ووضع الاستاذ يوسف العظم مجموعة الاناشيد .

فكان الادب قد جند نفسه فى القرن العشرين لخدمة الطفل ، الى حد اننا نستطيع أن نسمى هذا العصر عصر الذرة وعصر الطفل .

■ د. صالح خرفي ■

الجزائر

الشعر والانحراف

كان قيام (جمعية العلماء) في مستهل القرن الثاني للاحتلال ، وهي تستقطب النص الأدبي بمنابرها وصحافتها ، تحديدا لملامح المعركة التي افتتحت لهذا النص، وتركيزا على الواجهات التي سيرابط فيها ... وقد كان الشعر منذ مطلع القرن ، يلتقي التقاء عضويا مع الخطوط الاصلاحية التي حددتها الجمعية فيما بعد ، ويستنكر بدافع من الالتزام الذاتي ، والتجاوب الفردي – ما كان يشيع في الجزائر من ضلالة وانحراف ديني .

وكذلك جل الشعراء في هذه الفترة كانوا دعاة اصلاح ديني واجتماعي ، وهم يلتزمون هذه الوجهة بتأثير خاص بالحركات الاصلاحية في الشرق العربي والاسلامي ، واستنكار تلقائي للحالة المتعفنة في الجزائر، الى جانب التجارب المبكر مع التبشير الاولى للحركة الاصلاحية الجزائرية ، تلك التباشير التي لاحت هي الاخرى مع الحرب العالمية الاولى .

فالشعر الديني لم يولد مع (جمعية العلماء) ولا ولدتمعها الفكرة الاصلاحية ، وانما هما اسبق ، وجاءت الجمعية تجسيما للفكرة في تنظيم محكم وسياسة ذكية ، وابعاد مرموقة ، في محيط جزائري بالدرجة الاولى . قامت الجمعية ارتدادا بالطرف الى البيئة المحلية ، وتركيزا للنظرة على موطن الفهم .

كان الانحراف الديني ابان ظهور (العلماء) قد بلغ أقصى ما يمكن ان يطمح اليه من تواطؤ سافر مع المستعمر ، والقاء بالمقاليد اليه . كان في فترات سابقة اشبه بالاستكانة الذلولة والاستخذاء القعيد ، وربما كان انصرافا هروبيا الى حلقات العلم وموقفا سلبيا امام البدع والضلالات التي يتردى فيها الدين ، وسكوتا عن المنكر لا يغير حتى بأضعف الايمان .

ويوم انبعث الاصلاح الديني لم يعد في الوقت متسع لمهادنة الانحراف فيه ، ولا في الصدر سعة للمحاورة الهادئة والانحراف نفسه – واليد المغلولة تحركه – لم يكن في مقدوره ان يوفر ماء محياه ، ويترك المجال للاصلاح يشق طريقه ، بل تربص كل منهما بالاخر ، فالانحراف ارسخ قدما ، واعرق تاريخا ، واعز جانبا بعزة المحتل وتاييده والحركة الاصلاحية وليدة الامس القريب ، وهدف الحقد المركب من مواطن ودخيل ، وعرض العدوين، السياسي والديني ، عزلاء الا من سلاح الفكرة ،مكشوفة الظهر الا من المخلصين القلائل الملتفين حولها ، بينما الشعب لا يزال يتخبط في ماسيه ، تحت حكم

الديني

غاشم متسلط وادعياء يستنزفون عقله وعرضه وماله باسم الدين :

قال البشير الابراهيمي :

« ان المرابطة هي الاستعمار في معناه الحديث المكشوف وهي الاستعباد في صورته الفظيعة » .

ولعل (الجمعية) وهي في المخاض ، وتحت تأثير هذه الملابسات قد قدمت رجلا وأخرت أخرى في السياسة التي تنتهجها ازاء الانحراف الديني ، ولكنها ما لبثت أن آثرت الدعوة بالتي هي أحزم ، نلمس ذلك في قولة (الابراهيمي) يؤرخ بها لنشوء الحركة الاصلاحية :

« كانت الأوساط الاصلاحية في ذلك العهد يتجاذبها رأيان يلتقيان في القصد ، ويختلفان في المظهر العلمي للاصلاح وكيف يكون : أحدهما صرف القوى كلها ، وتوحيد الجهود الى التعليم الحر المثمر ، وتكوين طائفة جديدة منسجمة التعليم ، مطبوعة بالطابع الاصلاحي علما وعملا ، مسلحة بالأدلة مدربة على أساليب الدعوة الاسلامية ، حتى اذا كثر سواد هذه الطائفة ، استخدمت في الحمل على البدع على ثقة بالفوز . والرأي الثاني أخذ المبطلين على غرة والهجوم عليهم وهم غارون واسماع العامة المغرورة صوت الحق نصيحا غير مجمجم .

« وقد استقر الرأي على ابتدار الواجهة الثانية ، والمرابطة فيها بالتي هي أحزم مع عدم اغفال الواجهة التثقيفية ، واستمالة الشعب اليها ، والدعوة لها بالتي هي أحسن » .

ولعل هذا القول للابراهيمي لايحدد لنا المنهج التكتيكي للحركة الاصلاحية فحسب ، وانما يبرز لنا الملامح الموضوعية للشعر الديني ..

وكان على الشعر هو الآخر أن يهدم وأن يبني . كان عليه أن يأخذ الانحراف أخذ عزيز مقتدر ، بوسعه فضحا وتعرية ، وتعقبا ومطاردة ، وتمزيقا لحجب القداسة ، واستار الغموض . وكان عليه أن يمد الاصلاح بالفكرة الواضحة ، واللفتة التاريخية المؤثرة ، والغاية البعيدة المنتظرة . فاتجه الشعر الى مهاجمة الانحراف الديني ، والمطالبة الملحة بالاصلاح ، واتجه الى خلق الجو الثقافي والديني الذي يحتضن الفكرة المصلحة

وكانت تعرية ادعياء الدين وفضح سوءاتهم تمثل الانطلاقة الاولى للشعر المرابط في الواجهة المضادة للانحراف ، فقد كان (الاولياء) يحيطون انفسهم

بقداسة مرعبة مرهبة للبسطاء من الشعب ، قداسة تتراجع عنها كل يد قاصمة ، وتنحسر دونها كل نظرة نافذة ويتعثر في طغيانها كل تطلع للفهم ، لقد اصبح الدين في عرف ادعيائه (تعبديا) لا يقبل الجدل ولا النقاش ، لا يقبل الا التسليم ، واصبحت الحكمة السارية المجسدة لهذا الوضع المنحرف: (اعتقد ولا تنتقد) •

وفي حرمة هذه القداسة ، والحرم الامن لهذه الولاية ، عاش الانحراف الديني ازهى عصوره ، وطمح حتى الوثنية العمياء ونفض ادعياء الدين ايديهم من كل واجب امر به الدين ، واستحلوا كل ما نهى عنه ، وتعالوا بقداستهم الى ما فوق الفرائض والواجبات • واستوى الحلال والحرام في اجتهادهم وامتزجت المريدة بالحوقلة في مواسمهم وموالدهم •

كان هذا التطرف في الانحراف ، اكبر مبرر للتطرف والعنف في الهجوم عليه ، فوجدنا شعرا ينتفض حقدا على التلاعب بالدين ، ويتنزى اشمئزازا من ادعيائه ؛ بل وجدنا شعراء ، يتفرغون لهذه الواجهة الصارخة يكرسون لها شعرهم ، ويقصرون عليها مواقفهم • لقد كانت (الفكرة) الاصلاحية في الشعر قبل ظهور (العلماء) فكرة عائمة ، وكانت الدعوة اليها تتخذ صبغة امر او نهي عابرين ، لا يطيلان الوقفة الا بمقدار ، ولا يتخطيان العموميات الى المعرية الجزئية التفصيلية ، كالمواقف فردية ذاتية ، لا يعززها التنظيم الجماعي ، الذي غالبا ما يكسب الفكرة الحاحا ، والداعي لها تحمسا والتزاما وهو ما حققته (النهضة الاصلاحية) للشعر الديني ••• واننا كنلمس هذا التحول حتى في القصائد التي ولدت مع ميلاد (الجمعية) والتي انطلقت احتفاء بالمولود الجديد ، ولكنها لا تلبث ان تتخطاه الى الانحراف الديني ، بيت القصيد ، والشاعر يتحسس ملامح هذا الانحراف تفصيلة تفصيلة وصدرا صدرا ، يكاد يكون من القصيدة هيكلا متكاملا له •

فادعاء المعرفة مع تهجية بعض الحروف ، والتطاول على اسرار الغيب ، واستمراء الفاحشة المنكرة واستحلال الخمر والعرض ثم التبجح بالنسب الموصل الى خير الخلق ، والشرف الذي يسقط التكاليف ، والقدرة التي تمنح وتعطي – كلها تجسم بعض ملامح (الطريقة) المنحرفة •

والادهى من ذلك والامر في نظر الشاعر المصلح هو تقبل العامة لهذا المنطق الغريب وخضوعها له ، بل اعتقادها فيه أنه الدين الصحيح ، فاذا العوام سوائم تهش بعصا البدع والضلالات • ومن لم يعش في واقع الجزائر ربما رمى هذه الابيات بأنها من اكذب الشعر ، ولكنها تظل دون هذا الواقع في نظر من عايشه ، او راح ضحية له ، كـ (محمد السعيد الزاهري):

كانوا طوائف شتى ، كل طائفة   تطيع شيخا لها في كل ما زعما
ان قال انى (ولى) صدقوه ، وان   هو ادعى الغيب،قالوا احكم الحكما
وان تعلم بعض الشيء تهجيه   لليلة ، هتفوا يا اعلم العلما
وان هو ارتكب الفحشاء فلفضحة   فلا صحالة ، معذور وقد اثما
اواحتسى الخمر، قالوا انها عسل   ولا غرابة في هذا ، ولا جرما
او ادعى ان خير الخلق يخدمه   فما اعتدى عندهم فيها ، ولا ظلما
اذا بكى حسبوا الايام باكية   ويضحك الدين والدنيا،اذا ابتسما
في كفة المنع والاعطاء عندهم   والخير والشر فيما شاد او هدما

●●●

و (الزاهري) في قصيدة اخرى يثير قضية المرض الذي يستغل (الشيخ) والشرف الذي يتقرب به اليه ، رجاء دعواته وبركاته

لولا التصوف ، ما رايت ذوى اللحى   ياتون امرا ، وهو غير مواتي
عجبا لقوم يحجبون نساءهم   عن كل ذى عين وذى لحظات
ورايت منهم من يبيح لشيخه   ما كان من زوج له ، وبنات
مارست اخلاق الشيوخ ، فلم اجد   غير الخمول ، وغير حب الذات
ووجدت منهم ، من بعد اخا العبا   دة ، وهو في لهو ، وفي لذات

ولعل من بواعث هذا العنف في التهجم ، والجراة في الكشف والفضح عند شعرائنا انفسهم كانوا ذات يوم ـ كما اشرنا ـ ضحايا لهذا الانحراف الديني ٠ قبل ان يلتقوا بالامدادات الفكرية التي انتشلتهم منه ٠ هذا الانحراف الذي لم تسلم منه حتى الاسر العلمية المشهورة في الجزائر ، وربما كانت الاقرب اليه ، لانه كان في الاصل وليد البيئات العلمية الدينية الموغلة في التصوف المغرقة في النزعة الروحية ، حتى اصبحت البدع والضلالات تتفشى في القطر الجزائري كالوباء الداهم ، وتتغلغل في النفوس ممزوجة بالعقيدة ولعل شاعرا واحدا من شعراء الجزائر لم يفتح عينيه على بيئة سليمة من هذه الضلالات واسرة نقية من طقوسها ،تلك التي ترعرت في كنف (الطريقة) ، و (الطريقة) كانت ولا شيء غيرها هي الدين الاسلامي في الجزائر ٠

هذا هو الهادي (السنوسي) صاحب كتاب (شعراء الجزائر) يصف حياته العقلية والدينية ، قبل ان تجمعه الايام بزعيم النهضة الاصلاحية (عبد الحميد بن باديس) :

« كنت قبل صحبتي لهذا الاستاذ الامام ، ولوعا باباطيل الخرافيين من

الطرفين راسخ اليقين بطواغيت الدجالين ، ولقد اصبحت والحمد لله حر الضمير والعقيدة والفكر راسخ اليقين فى أن الاصلاح هو ما جاء به (محمد) (صلعم) . لا التصوف وما يدعيه الصوفيون او المتصوفون .

و (الجنيدى احمد مكى) يعترف بأنه كان من خيار الجاهلية له فيها ايام مشهودة ومواقف مشهورة ، فى تقبيل الاضرحة ، والتمرغ على احجارها والتوسل بريشها وترابها ... انه ـ وقد اخرج من الظلمات الى النور ـ يتمنى القطع للايدى التى كان يقبلها بالامس : **كم من يد قبلتها ، أود الان قطعها ، وكنت اميل الرائى الى هذه الضلالات، وكثيرا ما كان يهز اريحيتى سماع جيراننا انلى ساكون صالحا ... نعم لو لم اخرج من الطقس السموى لكنت صالحا من اعظم كراماتى اقنص ما بايدى غيرى باحبولة السبحة بواسم الدين . اما عن زيارتى للاضرحة وتقبيلها ، والتوسل باحجارها وما على توابيتها من الرياش والتراب فلا تسال .**

و (السعيد الزاهرى) قبل ان يقف تلك الوقفات الصارخة فى وجه الانحراف كان من النساقين لدوامته ، الدائرين فى فلكه ، قبل أن تمتد اليه عناية خاصة من جده (الشيخ على بن ناجى الزاهرى) :

« نظف عقلى من تلك الخرافات التى كنت أحسب أن المسلم لا يعتد باسلامه، ما لم يعقد فؤاده عل صحتها ، واحسب انها دين ، من لم يدن لله به ، فقد خسر الدنيا والاخرة ، وباء بغضب من الله .

فيدافع هذه الخضرمة بين عهدين متميزين نجد العنف والتعقب اللاهث للانحراف وليست الخضرمة الزمانية فحسب ، ولكنها المكانية ايضا ، فى بعض الشعراء الذين عاصروا الاصلاح الدينى فى الشرق او فى تونس ثم انتقلوا الى الجزائر ، ليلمسوا عن كثب التناقض المريع بين البيئة التى خلفوها وراءهم، وتلك التى استقبلتهم ، ويأتى فى طليعة هؤلاء الشعراء (الطيب العقبى) الذى يكاد يتسق نفسه مع نفس (الزاهرى) فى عنف المواجهة للإنحراف فـ (العقبى) مؤسس جريدة اصلاحية مبكرة فى (بسكرة) فى الشرق الجزائرى ، وهى جريدة (الاصلاح) التى قال عنها (الابراهيمى) فى معرض تاريخه للحركة الاصلاحية :

ثم اسست جريدة (الاصلاح) ببسكرة، فكان اسمها ، اخف وقعا ، وان كانت مقالاتها اشد مرمى ، وابعد لذعا .

ونحن نورد هذه الفقرة لا لانها تنطبق على (العقبى) الصحفى ليس غير ، ولكنها تنطبق على العقبى الشاعر بالدرجة الاولى . ان المهاجر الجزائرى الذى عاصر الثورة العربية الاولى فى مكة ، واسهم فيها فكرا وقلما ، وعانى

في سبيلها ، هالته الحالة المتعفنة في الجزائر ، الى درجة أن دفعتــه الى الصمت خمس سنين قبل أن يصــدر جريدته •

ولعل جانب المتــاجرة بالدين في مأساة الجزائر كان اكثر ايلاما ، واشد وقعا على المهاجر العائد ، تلمس ذلك في قصيدته [عليكم بنهج الصالحين) التى نشرت سنة ١٩٢٧ :

فما (الطرق) في هذا الزمان مجادة   ولكنها يبغى بها اهلهــا الرزقــا
تجــارة قوم عاجزين ، سبيلهم   سبيل ضلال جانبوا العلم والصدقــا
وشيخهم الاتقى ، (الولى) بزعمه   اذا ما راى مالا ، امال له عنقــا
اولئك عبــاد الدراهم • ويلهـم   سيمحقهم ربى ، واموالهم محقــا
متى القهم ، ابصر شياطين فتنــة   ويا ليت انى لا اراهــم ولا القى
قد انتشروا بالغى في كل بلــدة   فلم يتركوا غربا ، ولم يتركو شرقــا

●●●

فالابيات تفضح صارخ ، لا تلعثم فيه ولا تردد في وقفته ، لهذا الخهم السعور المتجسم في ادعيــاء الدين ، يتصيدون به اموال الشعب البــائس فيزيدونه على فقره فقرا ، ويعمقــون مأســاته ، بتسليط الجهل والفقر عليه وهم قبل ذلك وبعده كالاخطبــوط لم يسلم منهم شبر في الجزائر •

وعلى نهج (الزاهــــرى) و (العقبى) نلتقى بـ (رمضان حمود) الذى خاض معركة (القديم والجديد) باكثر من قصيدة و (رمضان) هــو الاخر تلقى تعليمه في تونس ، في جامع (الزيتونة) الذى كان يتلقى اصــداء الحركة (العبدوية) في الشرق، وعندما عاد الشاعر الى مسقط رأسه في جنوب الجزائر كانت المعركة على اشدها بين (الاصلاح والجمود) فى محيط (المذهب الاباضى) فكان احد فرسانها :

فمن شاء ان يحيا على الناس مشرفا   ومنعزلا عنهم ، احب التصــوفا
لينفث ســما في العقول بزهده   ويجعـــل بين الله سرا ليقتفى
الا قل له ، فليتخــذ فوق ربوة   مغارا كحجر الضب ، سجنا ومختفى

وفي الثلاثينــات يبرز (حمزة بوكوشة) بمقطــوعاته اللاذعة في الانحراف الدينى منها ابياته في تهنئة (الطيب بن عيسى) صاحب جــريدة (الوزير) التونسية ، بمضى ربع قرن عليها في الكفاح الاصلاحى • وفي هذه المقطوعة يفضح (بوكوشة) التناقض المريع بين مظهر (الولى) الخادع ، ومخبره الزائف فهو يظهر للناس في مسرح التقى والزهد ، ويختلى لنفسه في صورة شيطان :

ربع قرن قضيته فى الصحافة … دائبا ساعيا لنشر الثقافة
لم تزيد مدى الحياة خؤونا … غادرا بالبلاد ، أو ذا خرافه
يدعى العلم والتصوف ، حتى … يكسب الفلس ، أو يروم أختطافه
نقله الجاهلون شيخا تقيا … وهو من يحتسى كئوس السلافة

والاحساس المرهف عند شعرائنا بالحالة التعيسة التى عاشتها الجزائر فى أوائل هذا القرن ، فجر فيهم نغمة جريحة ، كثيرا ما تغطى ملامح التفاؤل فى شعرهم ، وتخنق نغمة الأمل فى قصائدهم وتغمرهم باحساس مرير بالغربة وشعور خانق بخيبة الامل .

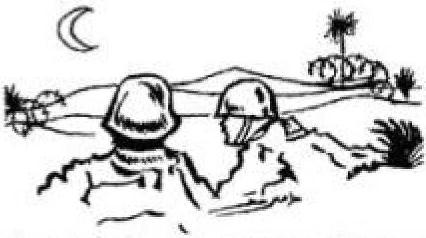
ان هذا الاحساس بالغربة لم يسلم منه مصلح يدرك خطر الرسالة التى ينهض بها ويتضاعف نتيجة لهذا الادراك الشعور بالتمزق والتلجج ، والرسالة تلقى من الجحود والنكران ما يعوق دعوتها ويكبل خطاها ، حتى وجدنا زعيم الحركة الاصلاحية (عبد الحميد بن باديس) يحلل هذه الحالة المؤلمة التى تتعرض الداعية المصلح فى الجزائر ، بما ينتابه من نوازع اليأس ، والحالات النفسية العصبية فى مقالة بعنوان (موقف العالم امام طبقات الشعب) .

وقد حركت هذه المقالة الواقعية كوامن المأساة فى أكثر من مفكر وأديب. ولعل (الزاهرى) كان أوفر هؤلاء حظا فى التأثر بها ، حتى تفجر قصيدة قاتمة ناقمة ، تشبه أختها المقالة فى تحليل الواقع الجزائرى ، وتربو عليها يأسا وتشاؤما ، وعنوانها أصدق دليل عليها : (ليتنى ما تعلمت حرفا) وقد وجه الشاعر قصيدته هذه الى (ابن باديس) لينشرها فى (الشهاب) ومهد لها بسطور تلقى مزيدا من الاضواء على ملابسات النص وحوافزه ، وقال فى مطلعها :

لم اجد فى الشقاء من هو اشقى … بحياة ، من (عالم) محروم
لا ٠ ولا فى متاعب الدهر ، صعبا … مثل نشر العلوم بين العموم
بين قوم عمى البصائر ، صم … ليس فيهم غير الجهول الاثيم
هو فى الجهل كالحمار ، ولكن … هو فى المكر ، كالمريد الرجيم
يسمع الحق واضحا مستبينا … فيعييه وعى العتل الزنيم
انا والله علت فيهم حياتى … ويقاسى فوق هذا الاديم
لا ارى بينهم نهار سرور … كل عيش فى الليالى الحسوم
ليتنى ما قرات حرفا ٠ ولا … اعرف فرقا ما بين (كاف وجيم)

●●●

والمأساة ـ كما تلمس ـ لا تقف عند حد موجة التشاؤم التى غمرت



الشعراء والاشفاق الذى فجرهم مراثى جريحة ، ولكنها تجـاوزت ذلك الى احساس قاتل بالغربة ، وبتطلع قلق الى النفاذ من الارض التى ضاقت على ابنائها بما رحبت ، فكان الواحد منهم يكاد يصعد فى السماء ، تمزقا بالأساة واحساساً مراً بالفشل فى مواجهتها • فألفاظ السأم ، والملل ، والضيق ذرعا، والبرم من الحياة على نضـارة فى العمر ، وطراوة فى أيامه لا تكاد تخلو منها قصيدة عالجت مأساة الانحراف الدينى فى الجزائر • وان هذه النزعة القاتمة لا تفجرها وطأة الاستعمار ، بقدر ما يفجرها الاسـتخذاء الدينى الذى يمكن المستعمر من تركيز وطأته • يقول (حمزة بوكوشة) :

برمت من الاقامة فى بـلاد ... يؤول اهلها الكفر الصريحـا
يقودهم التدجـيل للزاويا ... ويأخذ منهم الثمن الربيحـا
ليعطيهم من الجنـات قصرا ... ويمتعهم اذا قبر اتيحـا
وناقمهم من العلمـاء قـوم ... بترك الذين يشرون المسيحـا
ويخشون اليهود مع النصـارى ... ولا يخشون من خلق المسيحـا

فالمجتمع الجزائرى موزعة لاقطاع استعمارى ، واقطاع دينى ، الاول ينهب الارض ، ويعززه الثانى باسـتنزاف العقول ، والتهـافت على الحشرجة الباقية فى ابناء الشعب ماديا وادبيا • والجموع فى غفلة مما يراد بها ، وفى غيبوبة من الهاوية التى تتردى فيها ، حتى اذا جاء العالم المصلح يحركها ، لم تقع يده على غير الخشب المسندة ، تحجرها الضلالة والجمود •

... والقصـيدة التى القاها (الزاهرى) فى المؤتمر العام لجمعية العلماء سنة ١٩٣٥ ، تكاد تعتبـر خاتمة المطاف لهذه الجولة العشبية ، اليائسة الفاشلة ، بعد أن امتد عمرها الى ما يربو على العشرين سنة :

ضقت ذرعا برحب هذا الوجـود ... ويقوم طول الزمـان رقـود
اوجه مثل اوجه النـاس ، لكن ... خشب من ضـلالة ، وجمـود
قد تقلبت فى الجـزائر ، لم ار ... ك قريبا منها ، ولا من بعيـد
فاذا امة تطيع الالى عنـدهـ ... م الدين قصـعة من ثريد
هذه الحال فى الجزائر ، لا تبغوا ... من الشرح بعـد ذا من مزيد

واذا كانت الأساة مدعاة للتشاؤم فى مواقف ، فهى حافز على العمـل الايجابى فى مواقف اخرى ، وباعث على الاستعجال به ، والحرص عليه ، فان الجرح التعفن لا ينقذه الاستسلام، وانما الجراحة النشيطة ، ولهذا نجد بعض الشعراء تجسيما صادقا دائبـا للواجهة التى ترددت الحركة الاصلاحية فى أولويتها ذات يوم ، فأعطت لهـا المرتبة الثانية ، بينمـا اولاها بعض الشعراء الاعتبـار الاول ، والملح ، لا باشعارهم فحسب ، ولكن باسهامهم

الفعلي فيها ، عندما ندبوا انفسهم لرسالة التثقيف والتعليم في المدارس الحرة ·

والاصلاح الديني في الثلاثينات كان يعد هذه الرسالة بأقصى ما يمكن من جهد ، وتعتبر هذه الفترة أزهى الفترات نشاطا للحركة في هذا المضمار ·· فكانت اغزر الفترات شعرا ، يسجل هذا النشاط ويحدوه · والشعر الذي ساءه هذا التدهور العقلي في فهم الدين ، وحقيقة مبادئه وجوهر تعاليمه، وآلمته هذه القطيعة المريعة بين الاسلام وابنائه ، لم يتردد في الاتجاه الى المنبع الاصلي ، والدستور السماوي للاسلام· فمن القرآن كان المنطلق الاول في صقل اذهان الناشئة في المدرسة ، وعقول العامة في المحافل والمواسم · واستبعاد الغشاوات المضللة ، وجعلها تتهافت على هدى من وضوح تعاليمه ، وانجلاء سوره وآياته يخاطب (محمد العيد) طلابه في مدرسة (الشبيبة الاسلامية) بقوله :

يا معشر الطلاب ، هل من آخذ ... بالذكر ، او متمسك بزمامه
فتشرفوا بالاخذ من آدابه ... وتعرفوا بحلاله وحرامه
ولكل شيء في الحياة آية ... وآية القرآن من اقوامه
عملوا على التحذير من تفهيمه ... فكأنهم عملوا على اعدامه
هجروا مبادئه العلا ، وتنكبوا ... احكامه ، والخير في احكامه

ولم يكن القرآن يعاني من الادعياء على الدين فحسب ، ولكن من اعدائه ايضا من المستشرقين الذين ادركوا خطره ، فتطاولوا عليه ، وعلى مبلغه عليه الصلاة والسلام · وقد كان (محمد العيد) لاحدهم بالمرصاد في قصيدته المشهورة (مديان اشيل) ·

لقد كان القرآن ، والسنة بعده يمثلان منطلق الحركة الاصلاحية ، وكانت هذه الاخيرة نزوعا اليهما · وفي رحابهما تنبعث ذكريات الماضي المجيد ، ويزداد الحنين الى صانعي التاريخ من الاجداد الاوائل ، والقصائد التي تعتبر ارهاصا بالحركة الاصلاحية ·· كانت تجسم هذا التطلع وهذا النزوع ، وتطرح السؤال الحائر في وصل القطيعة بين الماضي والحاضر ، فلنتأمل قول (اللقاني السائح) في مستهل العشرينات :

بني وطني هل من نزوع الأجداد ... لقد ركبوا للعلم صهوة منطاد
بني وطني هل من شيوخ أجلة ... غدوا في سماء العز كعبة قصاد
يذبون عن حوض الشريعة ، كلما ... اناط بها الاعداء شبهة حساد
بني وطني هل من خطيب مدرب ... يحرك ارواحا بمقوله الصادي

يطالب حقا ، ضاع مذ ضاع أهله ... وينشر للابناء تاريخ أجـــداد

ولما ولدت الحركة ميلادا رسميا ، تلمس الشعر فيها باكبار وتقدير بعثا جديدا للاسلام ، ودستوره السماوى وخلقا أكثر جدة للشعب الذى ينتمى اليهما . يقول (الزاهرى) :

حى العروبة فى (جمعية العلماء) ... وحى وبحك فيها الدين والشيما
تدعـــو الى الله عن علم وبينة ... لا كالذين الى جهل دعوا ، وعمى
جمعية ، جمعت من بعد ذاك على ... القرآن ، والسنة الغراء أهلهما

والحركة الاصلاحية السلفية التى تنطلق من القرآن والســنة ، لا تقف عندهما ، بل تجد فيهما حوافــز الى ابعاد اجتماعية وفكرية وســياسية ، ولقد ظلت هذه الحركة فى أشد مواقفها اغراقا فى السياسة مشدودة الظهــر بالاسلام الصحيح ، مدعومة الحجـــة بالقرآن ، تستمد منه وضوح المبدأ ، وسلامة الفكرة ، وصلابة الموقف .. وتجاوبا مع هذه الابعاد لم تتقوقـــع الحركة فى المسجد الذى شـــهدت فيه ميلادها ، ولكنه حداها الى المدرسة الحرة والنادى الثقافى والجـــريدة الوطنية ، والموقف السياسى .

ويوم زار المصلح الكبير (الطيب العقبى) قرية (بلس) فى جـــولة اصلاحية ، استقبله (بوكوشة) مدير مدرستها بهذه الابيات :

يا بلبل الشرق ما أشجاك أشجانى ... قم لنا ناج قلبى بتغريد وتحنـــان
فان مثلى كئيب حـــل فى شرك ... وأنت مثلى غريب بين أوطـــان
لولا فروض علينا العلم يفرضها ... ما كنت ألقاك ، بل ما كنت تلقانى
اذ لا يقيم على ذل يـــراد به ... فى بلدة قد جفـت ــ الا الانان

ولعل الموقف المتفائل المتفتح على تباشير المستقبل ، الملتمس لابعـــاد الرسالة الاصـــلاحية ــ على عكس ما لمسناه عند (الزاهرى) من انطـــلاق وقتامة ــ نجده فى هذه الابيات (للعيد) التى تجسم أصدق تجسيم تطلعـــات الحركة فى واجهة البناء . وفى الوقت الذى تقوقع الزاهرى فى واجهة الهدم فاختنق فى غبارها وتعثر فى أطلالها انطلق صوته شجيا مخترقا . يقول (العيد) فى مقطوعته (تفاؤل) :

ارى جل أصحابى ازدروا بوظيفتى ... وقالوا ، همـــوم كلها ووجـــائع
وقد زعموا عمرى مع النشء ضائعا ... وتالله ما عمرى مع النشء ضـــائع
سيعرون عنى العلم والشعر برهة ... وتطلع للاسلام منهم طـــلائع
فمنهم خطيب حاضر الفكر مصقع ... ومنهم زعيم ظاهر الصـــيت ذائع
ومنهم ولوع بالقوافى ، لفكــره ... بدائه فى ارتجـــالها ، وبدائع
ومنهم زعيم للجـــزائر ، قـــائد ... له فى مجالات الجهـــاد وقـــائع

أحمد خالد
تونس

النضال

الثلث الاول لهذا القرن بتونس – لا سيما ما بين الحربين العالميتين حافل بالنضال والثورات ... وحسبى ان اعرف بمواقف واعمال اديب مفكر مصلح

كانت كتاباته نوافذ مفتوحة على البيئة التونسية التى تفاعل معها فى الثلث الاول لهذا القرن بالتأثر والتأثير

فى زمن معاناة الشعب التونسى وبلات الاستعمار التوطنى ومحاولة القضاء على مقومات الشخصية التونسية العربية الاسلامية

واذابتها فى شخصية الدولة « الحامية » بمعنى المستعمرة .

نشأ الطاهر الحداد فى وسط شعبى متواضع لا يعرف العيش الا بعرق الجبين وتلقى منذ طفولته البكرة – على غرار اقرانه – تعليما دينيا فى الكتاب القرآنى ثم ازدادت ثقافته الدينية رسوخا مع الايام بتردده على المدرسة

« الخلدونية » وجمعيتها والنادى الادبى لقدماء الصادقية وباختلافه على حلقات الدرس فى جامع الزيتونة الذى التحق به فى ظروف ناجمة وطنية ايام معركة الزلاج ومجازرها فى سنة ١٩١١ وتوثقت ثقافته العامة وتفتحت آفاقه بالمطالعات الخارجية .

•••

عرف الطاهر الحداد الشيخ عبد العزيز الثعالبى وهو صديق الزعيم على باش جانبه ومساعده فى حركة الشباب التونسى التى قضى عليها بعد معركة الزلاج وحوادث « الترمفاى » بالعاصمة وهو مؤسس الحزب الدستورى (القديم) . والى

والثورة في أدب الطاهر الحداد

هذه التشكيلة الحزبية الوطنية الثانية بعد حزب الشباب التونسي انضم الحداد فور تأسيسها فكلف بنشر الدعاية لها ثم انسحب منها عندما انزلقت لجنتها التنفيذية سنة ١٩٢٥ في مكيدة المقيم العام « لوسيان سان » وتبرأت من محمد علي الحامي وجماعته الذين قادوا حركة اشتراكية تعاونية .

وبعد فترة قضاها الحداد مفكرا في أسباب خيبة حركة محمد علي ارتأى أن الوعي الجماهيري ما بلغ بعد في زمانه درجة كافية يستطيع بها شعبه أن يتقوى على قوى الشر والظلام وعلى الاستبداد بمختلف أنواعه ، فتصور علاجا جذريا لتخلف المجتمع بتقديم مشروع إصلاح اجتماعي وثقافي واقتصادي شامل مداره إصلاحات اقترحها للأحوال الشخصية التي تيسر ترقية الأسرة وهي الخلية التي من نظائرها يتكون الهيكل الاجتماعي وبسلامتها يسلم .

ويثبت البحث أن تفكير الحداد في ترقية المرأة وفي تنظيم الاسرة بدا يخامر ذهنه منذ طفق يجمع الوثائق ويلاحظ بعض ما يجري في بيئته داخل البيوت وخارجها بكل دقة ليحرر القسمة الثانية بعنوان « الحالة الاجتماعية والاقتصادية بتونس » لكتابه « العمال التونسيون وظهور الحركة النقابية » .

وفي سنة ١٩٢٨ نشر الحداد سلسلة من المقالات في جريدة « الصواب » يدافع بها عن المرأة التونسية دفاعا جريئا ذكيا فجاءت مقالاته التي عالج بها وضعية المرأة التونسية آنذاك معمقة حتى أنه ضمها بعد سنتين الى كتابه « امرأتنا في الشريعة والمجتمع » فأثار به الضجة الكبرى التي تواصلت حملتها المسعورة المغرضة ضد شخصه وآرائه مدة طويلة وتجاوزت الحدود التونسية الى الجزائر والمشرق العربي . ثم اثيرت من جديد في ظروف انشطار الحزب الحر الدستوري ، وذهب خصوم الحداد الى تلميذه وربطوا اسمه بأسماء أولئك المنشقين محمود الماطري والطاهر صفر والحبيب بورقيبة والبحري قيقة وغيرهم من مؤسسي الحزب الحر الدستوري (الجديد) الذي تسمى في سنة ١٩٦٤ حزبا اشتراكيا دستوريا لما تقررت التجربة التعاضدية التعاونية .

عرضت صورة سريعة مقتضبة لذلك الأديب المفكر الذي تفاعل مع مجتمعه بالتأثر والتأثير وسخر أدبه لطرح تصوره لعلاج مشاكل قومه ، فقبل مجتمعه شيئا من آرائه في العشرينات والثلاثينات ، وقابل آراء أخرى له ثورية بالرفض لعوامل عديدة . لكن أفكاره المرفوضة أو المعدول عنها آنذاك ، لا سيما ما يتصل منها

النضال والثورة

بالتعاونيات في مشروع التنظيم الاقتصادي وباصلاح الاحوال الشخصية وبترقية المرأة العربية المسلمة ، وجدت مناخا ملائما لمحاولة تطبيقها او لتطبيقها بصفة عملية آنية ومستقبلية منذ فجر الاستقلال او في السنوات الاولى التي تلته بعد ثلث قرن من جهر الحداد بها . ولم تكن له وحده في الحقيقة وانما شاركه في عديد منها سواء كانت مجتمعة او متفرقة . ثلة من قادة الفكر والسياسة ، امثال محمد علي الحامي ، والطاهر صفر ، وابي القاسم الشابي ، وغيرهم ، في حين انفرد العديد من الافكار الاخرى التي جهر بها الحداد بطابع الريادة والتجديد ، فلم يسبقه اليها سابق من نصراء ترقية المرأة سواء في شرقي العالم العربي او في غربيه .

لو ربطت الحداد بمناخه الثقافي لتبينت انه يتصل بسنة ادبية نضالية تعتبر الكتابة « رسالة حضارية » ترضح للناس سبل الانعتاق من القيود المجحفة بشتى انواعها ، فمن عصر محمود قابادو (١٨١٢ ـ ١٨٧١) وهو شاعر معاصر لخير الدين باشا التونسي رائد الحركة الاصلاحية قبل انتصاب الحماية الفرنسية في تونس بربع قرن الى عصر الطاهر الحداد المنتمي الى الجيل البطولي .

وينتمي اديب ذائع الصيت من جيل الحداد هو ابو القاسم الشابي الى تلك السنة النضالية فيرتبط ادبه بمناخ ثوري يكسبه ابعاداً رسالية لا تستهدف الفن للفن الا عرضا وانما تستغله لبلوغ غايات انسانية حضارية يسميها الشابي « رسالة المثل » ويعني بها مثل صديقه الحداد بثر « ارادة الحياة » في الشعب وهي احسن درس في العبادة لو جازت عبادة اخرى غير عبادة الله كما يقول عبد الرحمن الكواكبي في كتابه « طبائع الاستبداد » ، الا ترى ان الحداد قد اعتبر « ارادة الشعب مراد السما » في قصيد له بعنوان « طال بنا النوم » وجاراه في نفس المعنى اديب تونسي آخر مناضل هو سعيد بوبكر لما اعتبر ارادة الحياة « سعيا الى السماء » في قصيد له بعنوان « الشرق والسماء » جانسه في التغني بارادة الحياة عديد من ابناء جيله مثل مصطفى خريف ، ومحمود بيرم التونسي في مقالاته وفي اشعاره التي نشرها بجريدة « الزمان » في جريدته الخاصة « الشباب » التي اعاد اصدارها في تونس ثم في صحيفتي « السرور » و « السردوك » طوال اقامته من سنة ١٩٣٢ الى سنة ١٩٣٧ في تونس موطن ابائه الاول كما يقال ، وكان دخوله الى تونس في مدة اغترابه منفيا بفرنسا بعيدا عن وطنه الثاني مصر بقرار من الملك فؤاد الذي ضج بلذعات محمود بيرم . فلما حل بتونس بدعوة ملحة من الشاب المناضل محمد بدره ، فاقام في بيئته الجديدة وقضى خمس سنين بها يناضل بالحرف ويسهم في ايقاظ الضمائر مع الشباب المفكر المتمرد من جماعة تحت السور وتعرف انذاك على الطاهر الحداد وتعاطف معه حسب شهادة الشاعر مصطفى خريف في مجلة « الفكر » .

وكانت الدعوة التي توجه بها

الطاهر الحداد وأبو القاسم الشابي وسعيد بوبكر ومحمود بيرم وثلةأخرى من الجماعة التي كانت ترتاد منتدى « البانكه العرياني » بمقهى باب منارة ثم أعتزلت حلقة الشيخ العربي الكبادي لتنتدى بمقهى « تحت السور » خطرة على الجامدين الخادرين لانها أزعجتهم وكدرت نومهم في مناسبتين على الاقل ، أولاهما عندما القى أبو القاسم الشابي بيانه الادبي ذا الابعاد السياسية « الخيال الشعرى عند العرب » على مسامع أدباء تونس بقاعة الخلدونية سنة ١٩٢٩ فأثار به مهاترات بلغت حد اتهامه بالمروق ، وهي نفس التهمة التي ألصقها الجامدون المغرضون بصديقه الحداد عندما جهر بمشروعه الاصلاحي المتعلق بالاحوال الشخصية وبترقية المرأة والاسرة والمجتمع في كتابه «امرأتنا في الشريعة والمجتمع»

وكذلك كان تغنى الادباء التونسيين الايقاظ المتحملين مسئولية الرسالة الادبية بالشعارات الوطنية وبارادة الحياة خطرا على الوجود الاستعمارى اذ كشفوا للشعب عن فضائح المستبد بامره وحثوه على عصيانه تصريحا وتلميحا ، فسخطت ادارة الحماية على الادباء المتمردين وتنبهت لخطورة الكتابات الادبية الهادفة كما في الفصل « أشعار دستورية » من مجلة « افريقيا الفرنسية » لسنة ١٩٢٧ عقب صدور ديوان « السعيديات » لسعيد بوبكر ·

وقد سارعت ادارة الحماية الى حجز كتاب « العمال التونسيون وظهور الحركة النقابية » للطاهر الحداد درءا لخطره ، ولكن معاملة ادارة الحماية ومتملقى نظامها لمحمود بيرم كانت أقسى من التنبيه والتحذير وحجز النشريات · فلما عيل صبرها وصبرهم بلذعات قلمه أصدرت ادارة الامن أمرا اليه يوم ١٧ ابريل ١٩٣٧ بمغادرة موطنه الجديد وارض آبائه من قبل حيث استقر لمدة خمسة اعوام توهم اثناءها ان له حق الصدع بصيحة الحر على غرار الشباب اليقظ من الشعب التونسي الذى احبه بيرم وتآلف معه ، وقد لقى محمود بيرم في النهاية نفس المصير الذى آل اليه محمد علي الذى حكم عليه بالتغريب خارج وطنه في فبراير سنة ١٩٢٥ ·

أما الطاهر الحداد فقد أفضت به مسيرته النضالية في آخر حياته الى اغتراب فكرى وروحي بين أهله وذويه على أديم وطنه · وقد كان المسلك الاول للحداد سياسيا حزبيا مدعما بقصائد ومقالات صحفية · وكان مسلكه الثاني اقتصاديا

بيرم التونسي



تنظيميا ثم نقابيا مبشرا بأسلوب في النضال جريء خرج بالقضية الوطنية – ولو الى حين – من التحديات الضيقة من التعثر الذي صادف تلك القضية لقصور الدستوريين القدامى الذين اكتفوا بتقديم العرائض وانتظروا عطف الحكومة الفرنسية عليهم فلم يأت واذا بمحمد علي يجوب البلاد مع رفاقه في النضال ويتصل بالجماهير الكادحة وتعقد الاجتماعات

وكان مسلكه الثالث والاخير اجتماعيا متضمنا مشروعا اصلاحيا للاحوال الشخصية وشئون الاسرة ، وقد دعم الحداد مسلكه الثالث بعديد من المقالات وبكتاب « امرأتنا في الشريعة والمجتمع » ، فامتد قلمه الى مواضيع حضارية مصيرية شغلت باله وبال الادباء الشبان المجددين .

وتدرك من اطلاعك على آثار الحداد وعلى مواقفه واعماله أنه يعتبر الادب الرفيع مواجهة بليغة لقوى الشر والظلام ودعوة مستحثة على التحرر من القيود المجحفة المعرقلة تقدم الانسان ، ولا فرق عنده في المجتمع المتخلف المفتقر الى من ينير له السبيل بين الاديب ورجل الفكر والمثقف والسياسي ، لان واجبهم جميعا أن « يتوحدوا » مجتمعهم بخدمته . وواجب الاديب بالأخص أن يوفق بين الابداع الفردي والابداع الاجتماعي، والرأى عنده أن البلاد المتخلفة تحتاج أكثر من غيرها المتقدمة الى جهود ابنائها الملهمين القادرين على استيعاب

النضال والثورة

مشاكل الناس وتصور الحلول لها ، وعلى النفاذ الى قلوبهم لتحريك العزائم برعشة الفن وبلاغة الحرف واشراقة الرؤى المستقبلية .

وهل أدل على ادراك الحداد أهمية رسالته الثقافية الاصلاحية وثقل عبئها من العينة التالية المقتطفة من مقال له بعنوان « النهضة العامة كيف تنشأ وكيف تكون » :

« قد يفيض الله للامة في أيام محنتها رجلا أو رجالا يحاولون انتشالها من تلك الظلمات فيقوم في وجوههم اولئك الناس المغرورة بهم أمتهم فينسبونهم الى المروق من الدين او القيام في وجه الدولة ومحاولة قلبها ، فيحكم عليهم بالقتل أو السجن أو يبعدون عن أوطانهم ، كل ذلك وامتهم تنظر اليهم وربما كانت مسرورة بذلك حيث يوهمها أولئك المخادعون أنهم انما فعلوا ذلك انتصارا للحق من أولئك المبطلين .

هكذا يعاني الرجال المخلصون في سبيل الحق وانهاض قومهم الى ما فيه خيرهم ، ولقد قطعت أمتنا التونسية أعواما طوالا جرت في بحرها على هذا المثال الكدر ، فكم كتب الكاتبون ووعظ الواعظون ، ولم يزل قولهم مهجورا حتى نضج الالم ، وناءت الصدور بحمل ذلك الثقل العظيم ، ثقل الاستبداد المرهق ، وهناك من عرفت الامة الداءهم فاصغت اليوم اصغاء المريض لطبيبه الذي يفسر له الداء ويشرح له طريق العلاج ، وشعرت بالحاجة في نفسها فسعى أفرادها في ارجاع تلك الاخوة المنسية .

الوطن .. الوطن يدعوكم يا من أوتوا شيئا من معرفة الاحوال أن تبخلوا به على من حولكم فانما

انتم ابناؤه البارون . الكاتب يكتب والخطيب يخطب !

احتكوا بسواد الامة ، واختلطوا بعوامها ، وحادثوهم بلسانهم البسيط وافهموا ارباب العائلات واجباتهم فانما هم آباء الصغار الناشئين اذا عرفوا الاحوال وادركوا الواجب عملوا لابنائهم ما يجعلهم رجال المستقبل »

***

تمرد الحداد الشاعر على الواقع المميء وشحن الحرف بنار الورة على الجهل والفقر والاستبداد ، فكان للحرف وقع الرصاصة فى وطنياته وسياسياته واجتماعياته المعروفة حتى الآن وعددها قليل لان الحداد ثائر قبل كونه نظاما ، وينحصر فنه الشعرى فى التنغيم العذب والابداع الاجتماعى . وفى فنى المنظوم والمنثور نقر الحداد من أدب التقوقع والتصومع فآمن بالرسالة الادبية الهادفة الى ازاحة غشاوة الاوهام عن بصائر قوم :

« باللهو قد قطعوا ايامهم وهم
فى أرضهم غرباء الدار والسكن »

« يعاملون بها كالشاة تطعم ما
تحتاجه لانتاج السمن واللبن (١)

واذا كاشفك الحداد بأنه شب على حب الوطن مذ نعومة اظفاره اذ صادفت طفولته فاجعة قومية متمثلة فى معركة الزلاج ومذابحها، فلا تعجب من تمكن ذلك الحب من « احشائه وأوصاله » حتى أنه كان يستحضر فى كل حين ما يقتضيه حب الوطن من واجبات الفكر والعمل :

شربت حب ديارى مذ نشات بها
طفلا وقد عم احشائى واوصالى

« عرفت منتها الكبرى على ولم
انس الفروض التى تقضى بامثالى »

« من كل حر أصاب الكرب موطنه
فقام يسعى بافكار واعمال »

« تلك الخسارة لو انى شتيتكما
عزى ويا املى فى كل احوالى (٢)

ولم تكن ثورة الطاهر الحداد فى قصيد « الوطن » من قبيل الثورة اللفظية الغوغائية عندما تغنى بالفداء الفكرى لوطن انقلب آنذاك دار غربة تنبت الذل لاهلها فحن الشاعر الى وطن استقرار ينبت العز لاهله بأمنه ورخائه وآفاق مستقبله النضير :

« افديك بالنفس والمال
مما يسومك سوءا فيه اذلالى »

« افديك يا وطنى افديك يا سكنى
بك اعتزازى وفيك اليوم امالى »

وليس من المغالاة أن يعتبر الطاهر الحداد شاعر العشق الوطنى عندما يخاطب تونس بلغة العشاق فيتصورها غادة « تشكو الاسى » و « تبكى الحظ »

(١) من قصيد « نصيحة لقومى » للطاهر الحداد فى كتاب « الادب التونسى فى القرن الرابع عشر » لزين العابدين السنوسى . مطبعة العرب ـ تونس ـ ١٩٢٧ الجزء الثانى ص ١٢٧ .
(٢) من قصيد « الوطن » للحداد فى كتاب « الادب التونسى فى القرن الرابع عشر » لزين العابدين السنوسى ج ٢ ص ١١٩ .

النضـــــال والثـــورة

« ويد الاسقام ترخزها » فيجيئها الشاعر النطاسي المغرم بحبها فيصور لها علاج دائها ويريها الدواء في عزائم ابنائها .

ويبني الحداد عقيدته النضالية في شعره على ضرورة الزعامة الصادقة لشحذ عزائم أبناء وطنه في مسيرتهم الحضارية ، ولما كانت الزعامة السياسية في أواخر العشرينات للشيخ عبد العزيز الثعالبي فقد خاطبه الحداد بقوله :

« في حب قومك خضت الهول مقتحما
تبغي دواء به تستاصل الالما »
« دافعت عنهم وسهلت الطريق لهم
وكنت خير مثال يوقظ الهمما »

ويقيم الحداد عقيدته النضالية في شعره على أيمانه بالشعب فيكثر من ذكره في نظمه ونثره واذا اقترن هذا الاديب بشعبه فقد أسمعنا مثل هذا القول :

« اقتلتهم ذلي وعزي يعـزهم
وان وهبوني للسعير وقودا »

وتكثر النماذج الشعرية وخاصة النثرية الطافحة بحب أصيل يجمع بين الحداد وشعبه .

●●●

ولما سبر الحداد مجتمعه فتبين أن الجهل قد أستفحل فأردى الشعب في متاهات التخلف ، ارتأى الشاعر والكاتب وجوب تبصيره سبل النجاة فحثه على طلب العلاج الجذري الممتد الى أصل الداء باعتبار أن « العلم أس النجاح » كما في قصيد له بذلك العنوان حيث جهر بأن الجهل « أخفى عن البصائر نهج الخلاص » وأصاب الامة بأمراض أجتماعية واقتصادية وسياسية خطرة مثل « التشتت » و « الخمول » و « الفقر » و « الجوع » و « الافات الجسدية » و « تراجع الفلاحة » و « تكاثر البطالة » و « الكفر » والاستسلام للحاكم المستعمر المستبد بأمر الشعب و « التواكل » وكثرة « التشكي من تقصير الحكومة » والاكتفاء بانتظار المنة بدلا من الاقدام على العمل التلقائي البناء . فلو تسلح القوم بالعلم لامكنهم انقاذ الوطن من ذل الاستعباد ولفجروا الخيرات من أرض لهم غنية تنبت العز لاهلها متى قوي في نفوسهم العزم على الترقي .

ويقيم الحداد عقيدته النضالية على ايمانه بمقومات الشخصية التونسية العربية الاسلامية وهي اللغة والدين والانتساب الى العروبة والارتباط بموطن الاباء والاجداد والتوفيق بين الاصالة والتفتح في بناء حاضر الامة ومستقبلها ، وبقدر ما كان ايمانه بالشخصية التونسية قويا عتيدا بقدر ما كانت مواجهته عنيفة عاتية لعداتها الذين راموا ابتلاعها والقضاء على مقوماتها .

●●●

ولم يكن الطاهر الحداد مجرد شاعر سياسي لا يجود لقومه الا بالقصائد البليغة وانما كان مع ذلك مفكرا وناشطا سياسيا مكلفا بترويج شعارات الحزب الوطني بالمقالة

التحليلية المعمقة وبالجولات الدعائية عبر مدن وقرى الشمال والساحل التونسيين حتى جاءته فرصة تحقيق ما كان يعتقده من أولوية الاصلاح الاجتماعي في بيئته المتخلفة بعودة المناضل محمد على من المهاجر المشرقية والاوروبية بعد طويل اغتراب .. فقد كان الحداد يعتقد ويكتب في تلك الظروف « أن البلاد التونسية محتاجة للاصلاح الاجتماعي اكثر من كل اصلاح • ويشترك في ذلك جميع طبقاتها مهما اختلفت فيها اسباب المعيشة .. »

عاد محمد على الى بلاده مزودا بثقافة جامعية وبمشروع اقتصادى تعاونى وبتجربة حياتية نضالية •

وما أن حل محمد على بوطنه عاقدا العزم على الاسهام في بناء نهضته حتى تعاطف مع ثلة من الشباب الناهض المناضل من بينه خاصة الطاهر الحداد الذى كان يلازم محمد على ويبصره واقع بلاده اذ تغرب عنها طويلا ، ويعضه على تعديل مشروعه الاصلاحى التنظيمى الاول أعنى « التعاونيات » أو



ابو القاسم الشابي

التعاضديات التى رام محمد على تكوينها فى جميع القطاعات الاقتصادية •

ولكن الحداد ظل مع ذلك مقتنعا بان اصلاح الهياكل الاجتماعية والاقتصادية والثقافية دعامة ضرورية للكفاح السياسي المستهدف تحرير البلاد اذ الغاية القصوى ليست في نظرة تعويض حاكم أجنبي بآخر من أهل البلاد فقط ، وانما أيضا فك أسار الشعب من قيود الجهل والفقر والمرض ومخلفات التدلى الحضارى ورواسب قرون الظلام • فلا عجب أن يتدرج في مسيرته الاصلاحية وفي أدبه الاجتماعى من السياسة الى التعاونيات الاقتصادية •

ومن بين الجهود الاقتصادية التى يعتقد الحداد وجوب بذلها للنهوض بمستوى الاسرة والمجتمع الاعمال الصناعية التى تقوم بها المرأة كالخياطة والتطريز والتشبيك وصناعة النسيج في الصوف والحرير • والرأى عنده في فصل طويل من كتابه « امرأتنا في الشريعة والمجتمع » ان هذه الاعمال الصناعية في جملتها تعد بحق أمن مهر يقدم لبناء الحياة الزوجية على أساس تعاون مثمر خصوصا عند وجود الاولاد ولزوم الانفاق على تربيتهم وتعليمهم التعليم الصحيح • غير أنها جامدة في حدود التلقين الموروث لم تعمل فيها حركة الفكر والتطور ولم تنتشر في الجهات التى لم ترثها عن سلف ولو تم ذلك في هذه الصناعات لكان للمرأة أعظم نصيب للمجتمع التونسى » •

بعد أن علل الحداد غيبة حركة محمد على في كتابه « العمال التونسيون وظهور الحركة النقابية »

بأسباب باطنية هي جهل الشعب وفقره وتدهوره الاجتماعي قبل الاسباب الخارجية وهي تألب الاحزاب والادارة الحماية على تلك الحركة ، جهر بأن داء الحياة ودواءها في أعماق الشعب » .

اليس الحداد هو القائل : « اذا نحن بقينا لا نفهم الا أن لنا آمالا نتمنى حصولها دون أن نفهم حقيقة الاستعداد الذي يجب علينا لها أو ندرك منابع القوة من أنفسنا فنبرزها فقد برهنا بذلك على جهلنا بالحياة وحمقنا فيها وأنانيتنا الاثيمة وفقدنا أهلية اكتساب الحقوق ، ثم لا نطمع بعد ذلك في غير الانحلال والموت » .

وهاك لمزيد التيقن من رأيه في هذا الموضوع قوله : « نحن أمة تطلب الحياة ولكن فاتنا أن نطلبها من أنفسنا فظللنا تائهين في السير . ولو فكرنا قليلا لوجدنا الحياة في أعماقنا .. وهذا ما حدا بي الى أن ابسط أعمق جزء في حياتنا وأدقه فأصف ما فيه من الالم والبؤس والانحلال لنرى أوجه اصلاحه . هذا الجزء هو المرأة والعائلة » .

وينقسم كتاب « امرأتنا في الشريعة والمجتمع » الى قسمين اساسيين قسم تشريعي وآخر اجتماعي . أما القسم التشريعي فقد بناه على نظرية التدرج في تشريع الاحكام المتصلة بالاحوال الشخصية واعتبر تلك الاحكام عرضية دنيوية لا تمس جوهر العقيدة وتقبل التغيير والتطوير . أما الاحكام الجوهرية كعقيدة التوحيد ومكارم الاخلاق واقامة العدل والمساواة بين الناس وما هو في معنى تلك الاصول فانها خالدة بخلود الاسلام .

وللحداد تصنيف لمحتوى كلمة « الاسلام » فيفهم من حديثه عن الاسلام أنه يعتبره عقيدة وأمة وحضارة ودستورا اجتماعيا . فالعقيدة لا تتغير والدستور الاجتماعي يتطور لمسايرة التقدم مع مراعاة التقاوة والاستقامة .

وفي المشروع الاصلاحي الاجتماعي الذي عرضه الحداد على بني وطنه دعوة الى تمكين المرأة المسلمة من حقوقها المدنية استنادا الى أدلة يستمدها من القرآن والفقه . فهو لا يمانعها حق الشهادة والانتصاب للقضاء . ويعترف لها بحرية التصرف في مالها . ويجهر بأن نزول ميراثها عن الرجل ليس أصلا ثابتا غير قابل للتغيير في الاسلام بل انه قد يتبدل مع مرور الزمن فيتساوى الذكر والانثى في الميراث .

ويعرف بالزواج تعريفا طريفا فيقول عنه انه « عاطفة وواجب وازدواج وتعمير » . ويقيد عقد القران والزواج بالفحص الطبي المسبق درءا للآفات التي قد يتوارثها النسل من أبوين مصابين بأمراض مزمنة .

ويدافع الحداد عن حرية الاختيار بالنسبة للزوجين ، واذ كان يؤمن بأن الاسرة هي اساس المجتمع وكان تعلقه شديدا بالشخصية القومية فانه ناهض الزواج بالاجنبيات كما يبينه قوله :

النضال والثورة

« ان المرأة هى التى تلد الشعب وفى احضانها ينمو ويثقف وفيها الامل الاول فى اعداده للحياة والواجب • والمرأة الاوربية لم تخلق لنا ولم تتهيأ للاندماج فينا وليس لنا الا ان نتزوج من بنات جنسنا • واذا كان فيهن بعد عن صفات الكمال المطلوبة فليس علاج ذلك فى الانقطاع عنهن بالزواج بالاجنبيات وتركهن عوانس فى البيوت ولكن للعمل بتطويرهن وحمايتهن فى هذا التطور من الاخطار البادية فيه اليوم » •

وينادى الحداد بضرورة اعداد الفتيان والفتيات للحياة الزوجية بنوع جديد من التربية التى يكتشف بها المتأهلون منهم الزواج ماهيته باعتباره انسا وواجبا وتعميرا• ولئن صرح بأن الاسلام حرم موانع الحمل لتعطيلها فرص التعمير فانه اقتى باباحتها متى خيف على سلامة الاسرة وحياة الام ، بل تعدى ذلك الى اباحة الاجهاض • وهكذا ترك الباب مفتوحا للمجتهدين فى موضوع التنظيم العائلى فى البلدان الاسلامية •

والرأى عنده ان يقتصر الرجال على زوجة واحدة حفاظا على سلامة اسرته وحرصا على تضامن افرادها •• ويعرف الطلاق بأنه ابغض الحلال الى الله و « فراق بعد تعذر الوفاق » لا انتقام من المرأة كما هى العادة فى العهد الزجرى المسمى «دارجواد» حيث كانت المرأة تسجن عندما ترغب فى الطلاق ويصعب على الزوج قيامها والتخلى عنها •

وفى هذا السياق ينادى الحداد بوجوب « تحكيم القضاء فى كل ما يقع من حوادث الطلاق والزواج حتى لا يتم منها الا الموافق لغرض الشريعة ونصوصها ولا يبقى مجرد لفظ يصدر من فم رجل ينقض بيتا بما فيه من اهله » •

واذا تم الطلاق فلا بد فى نظره من امتاع المتضرر من الزوجين بتعويض مالى تضييقا على المطلق •

●●●

اما القسم الاجتماعى من الكتاب فانه يعالج الثقافة الصالحة لتكون البنت زوجا فاما تؤدى واجبها الاجتماعى على احسن وجه .

فيصنف الحداد تلك الثقافة الى عدة اصناف منها الصناعية والمنزلية والعقلية والاخلاقية والزوجية والصحية ، ويقترح مخططا تعليميا مستقبليا سابقا لزمانه بربع قرن ، اذ يستهدف مشروعه التربوى غايات مختلفة وان كانت متكاملة فمنها التربية الاسلامية وتهذيب الذوق وتكوين العقل الدرب على الصواب بالعلوم الصحيحة ، وترويض البدن بالالعاب الرياضية ، وغير ذلك• فكان مشروعه التعليمى الذى اقترحه لتربية الفتاة التونسية فى الثلاثينات حلما من احلام الفلاسفة حسب عبارة استعملها الحداد نفسه فى حكمه على المشروع التنظيمى للاقتصاد الشامل كما فكر فيه اولا محمد على • لكن طرافة المشروع التربوى الذى عرضه

النضـــال والثـــورة

الحداد أنه طلائعي بشر بما أصبح اليوم واقعا فى بلادنا فتحقق حلم ذلك الرائد بعد موته بربع قرن عندما استقلت البلاد .

وقد ابدع الحداد فى تصوير مشاهد من حياة الأسرة الشعبية داخل البيوت فى القسم الثانى من كتابه ، فأرهف سمعه ودقق الملاحظة ودون لوحات ناطقة بما يقع فى تلك البيـــوت من ترهات وأعمال تضر باستقرار العائلة وحياة الامة كما تبينه هــذه المشاهد الغابرة من حياة ألوف الاسر التونسية فى الثلاثينات :

« يكون للرجــل أزواج عنــدنا فيسكنهن فى دار واحدة فتعمل الغريزة عملها فى اتساع هوة الخلاف بينهن ومع الزوج لتكيد الواحدة للاخرى كيدا كأن تسرق لها متاعا لتتلفه او تخفيه او ترمى لها كمشة من الملح او الفلفل فى طعامها الذى تهيئه للــزوج او تختلق ما تنسبه اليها أو لا تقوم بدورها فى نظافة المنزل وترتيب شئونه فتقوم بينهن ضجة هائلة من الشتم والسباب القبيح وقد يكن ذوات ابناء ينضم كل منهم الى امه فتتسع المعركة ويعظم خطرها على حياة المنزل وعلى تلك الاخلاق الناشئة فى محيط يأكله الحقد والتحاسد وتغمره الجناية على ذلك النشء . ومهما كان للرجل من قوة وحنية فهو لا يستطيع بها حبس تلك الغرائز عن الثورة الا مددا متقطعة » .

وأمثال تلك المشاهد الغابرة التى دونها الحداد للتاريخ عددها كثير فى القسم الاجتماعى من كتابه « امرأتنا فى الشريعة والمجتمع » وفى المقــدمة الثانية لكتابه « العمال التونسيون وظهور الحركة النقابية » .

ويكتشف قارىء آثار الحــداد أن لهذا الاديب المفــكر شخصية قوية مكنته من ادراك عبء مسئولية رجل الفكر وأهمية دوره القيادى . فقــد احيا الادب التونسي فى عصره بتصادم افكاره ونظرياته الجديدة بأفكار دعاة القديم ومواقفهم الســلبية . وأثرى التأليف بمعان حضارية انسانية وجعل الادب بوضوح الرؤيا المستقبليـــة « رســالة الدنيا » لا تزجية فراغ ومتعة زائلة .

***

وما كان الحداد غرا سابحا فى بحر الخيال ليتوهم أن جميع مادعا اليه وناضل من أجله يحتم الاخــذ به وتطبيقــه فى الثــلاثينات بتونس . وانما كان اديبا ومفــكرا ومصلحا طلائعيا ذا اتصــال بالواقع ينظر الى مجتمعه نظرة آنية لكنها مشفوعة برؤى مستقبلية .

ومع ذلك فان الحــداد ظل مقتنعا بصحة رؤياه اذ شامت عينه الباطنية ما تخبئه الايام عندما قال فى ظروف الخصومة المسعورة ضده عقب صدور كتابه « امرأتنا فى الشريعة والمجتمع » « ما الذى ارتكبته غير الكتاب الذى الفت والرأى الذى ابديت ، ذلك الرأى الذى وان قوبل اليوم بالمعارضة من هيئـات مختلفة الغرض فى عملها ـ فلا بد أن يظهر بعد خمس او عشر من السنين رأى صائب او ضرورى لحياتنا يزداد انتشاره بمرور الايام » .

من هنا...

أحمد
سحنون
الجزائر

من هنا من ساحة المجد وافق العظمات
من هنا من باحة الضاد وارض المعجزات
من سماء العدل والحق ومن دنيا الهداة
من روابينا ميادين الفدا والتضحيات
من حمى المليون والنصف الصناديد الأباة
وهبوا للوطن الغالي النفوس الغاليات
من هنا من هذه الارض بدا نور الحياة
الحياة الحرة المثلى على رغم العداة
وتعالى الضوء فانجاب جلباب الظلمات
وبدا منه محيا مشرق البسمات
نجتلى في ظله الوارف اغلى الأمنيات
ونرى المستقبل المأمول وضاء السمات

***

يا رفاقا اقبلوا كالطير من كل الجهات
لبلاد عزمها حطم آمال الغزاة
فانفحوها من جنى الشعر بازكى النفحات
واجعلوا الشعر جهادا مستميتا للطغاة
ورصاصا يحمل الموت لاعداء الحياة

قصة أمسية للحب

سعد حامد

شاع الدفء في أوصالي شيئا فشيئا ، وبدأت أحس بنشوة تشيع في كياني . وسعادة تغمرني غمرا ... كل شيء حولي بدا جميلا بالغ الجمال ... المرئيات جميعا بدت كأنها مغلفة بضباب خفيف أشبه بالصور التي يراها المرء في الاحلام ... الصمت والهدوء يخيمان على الغرفة وعلى البيت كله ... الاضواء البعيدة التي أراها من خلف زجاج النافذة تهتز وتبهت ويكاد يطويها الظلام ... في الخارج جو عاصف بارد ، والسماء ملبدة بالسحب تنذر بمطر شديد ، والرذاذ يتساقط ... ولكن كل هذا لا يهم !!

هذه الكئوس من الخمر التي تجرعتها من لحظات ذهبت بالبرد .. وجاءت بالدفء .. وحركت الاحلام النائمة . وأيقظت اللهفة والشوق والحنين ... لم أعد أعبأ بالبرد أو بالمطر أو بأي شيء آخر ... لن أتخلف عن موعد الليلة ... سأذهب اليها برغم كل شيء . حتى لو أمطرت السماء ثلجا أو صواعق أو استحال المطر الى قرب مفتوحة أو الى وابل لا ينقطع ...

لقد شربت هذه الكئوس لتزيدني شوقا الى شوق . وتجعلني أشد انفعالا ، وأشد عشقا ، وأشد جنونا !

ذكرياتي معها تشعل عواطفي المشبوبة في صدري ... صورة وجهها الفاتن . منظر جسدها الرائع ... أنوثتها الصارخة ودلالها ... كل ذلك كان يلح على الحاحا ، ويزيد النار اشتعالا في أعماقي ... يالها من امرأة !

كنت أرشف الكأس على مهل وصورة « أشجان » دون غيرها من النساء تشغل تفكيري ... معها ذقت الحب ، ولذة الجسد ، واحترقت بنيران الرغبة

لم أعرف الحب قبل أن أعرفها، ولم أتذوق القبلة قبل أن أذوق قبلتها ، ولم أستمتع بامرأة قبل أن أستمتع بها .

سمعت صوت قطرات المطر تضرب النافذة .. يا له من جو ردىء هذه الليلة ... برد وأمطار ورياح .



ولكن كل هذا لا يهم .. الحب هو المهم ... ما أجمل الحب فى الليالى الباردة لا الطعام يدفع قسوة البرد ، ولا الثياب الثقيلة تقى منه، ولاالشراب يبعث الدفء، ولكن جسد المرأة ... وحسب !

لقد اتفقنا ان اذهب اليها متأخرا بعد ان يتقدم الليل لتكون قد عادت من الملهى الذى تعمل به، ويكون الشارع قد هدأ ، وأوى الناس الى مساكنهم، فلا يرانى احد وانا أتسلل الى شقتها الصغيرة فى الحى الشعبى بضاحية مصر الجديدة ، وساحمل لها قماشا لفستان وزجاجة من العطر الباريسى ومساحيق . كما ساحمل معى شرابا وطعاما ، وسأظل معها حتى يمضى الليل .

اقترب الموعد .وكان المطر قد كف عن السقوط

فغادرت بيتى فى شارع الهرم ، ومعى حقيبة من البلاستيك الملون فيها ما أعددته لاشجان من هدايا ، وركبت سيارة تاكسى ، وطلبت من السائق ان يتجه بى الى القاهرة .

العربة تمضى بى فى طريق بدأ يخلو من المارة . والمصابيح تعكس ضوءها على الارض اللامعة من ماء المطر . واضواء النيون الملونة تلمع على واجهات ملاهى الليل. وانا نصف ثمل، ونصف حالم .. احلم بالسعادة التى تنتظرنى هناك بين ذراعيها ... أى متعة تنتظرنى الليلة .

فى صمت الشقة الهادئة وفى سكون الليل العميق ، سادفن وجهى الملتهب فى صدرها ، واتنفس عطر جسدها ، واتذوق طعم شفتيها ، واذوب واذوب وانسى الوجود بما فيه ، واقدم لها قلبى وحبى وحياتى.

واخرجت علبة سجائرى ، وقدمت للسائق سيجارة واشعلتها له ثم اشعلت اخرى لى... احسست بالبهجة والسعادة ، واستشعرت لذة النغم وحلاوة وصال المرأة الجميلة التى احبها ، والتى تنتظرنى فى هذه الليلة الباردة.

أمسية للحب

قلت للسائق، وانا في غاية النشوة :

– لماذا لا تسمعنا بعض الموسيقى من راديو العربة يا أسطى. الا تحب الموسيقى ؟

فادار الشاب مفتاح الراديو ، فانطلقت الموسيقى هادئة جميلة وقال :
– نعم احبها ...

قلت : تحب الموسيقى فقط .. الا تحب شيئا آخر ؟ الشعر مثلا أو النساء .....

فضحك الشاب وقال: وهل هناك رجل لا يحب النساء يا سيدى ؟ انهن متعة الدنيا وبهجة الحياة ..

– لا شك اذن انك عرفت الحب .

– طبعا يا سيدى .

– اذن نحن متفقان .. النساء اجمل مخلوقات الله . والحب يا اسطى ، ما اجمله

وما اروعه وخاصة فى هذه الليالى الباردة !
فقال الشاب وهو يضحك : يبدو انك على موعد غرامي الليلة يا سيدى ، اتمنى لك حظا سعيدا ...

– ما اشد ذكاءك ! أجل أنا على موعد الليلة .

ووصلنا القاهرة .. وطلبت من السائق أن ينتظرنى لحظات ريثما اشترى بعض اشياء . ودخلت الى متجر كبير في شارع سليمان ، فاشتريت زجاجتين من الخمر وطعاما ، وعدت الى العربة وأنا اقول للسائق فى بهجة :

– الى مصر الجديدة يا اسطى ...

وغير بعيد من البيت طلبت منه أن يقف ، وناولته اجره ،وغادرت العربة احمل الحقيبة ، واتجهت صوب البيت ... كان الشارع مظلما خاليا من المارة ، فقد اغلقت المتاجر ، وهرب الناس من البرد والمطر

وقد سعدت بذلك لان نظرات الفضوليين كانت لا شك ستطاردنى ، وتعكر صفوى ، وتبدد سعادتى ، ودخلت الى البيت ، وشرعت ارتقى الدرج المظلم الى الطابق الرابع ..

وقفت امام الشقة ثم رحت اتحسس الباب باحثا عن الجرس ، ودققته دقة صغيرة ، فسمعت وقع خطوات خفيفة ثم فتح الباب بحذر نصف فتحة ، ورأيت فتاة تقف فى فرجة الباب الموارب

تسد على الطريق الى الدخول فقلت لها فى لهفة ونفاد صبر :

– مساء الخير ... هل الست موجودة ؟ فرفعت الفتاة أصبعها الى فمها بسرعة محذرة

وقالت بصوت خافت :

– لقد عاد زوج الست من السفر فجأة ...

ارتجفت عندما سمعت كلمتى « زوج الست »، وابتعدت عن الباب مجفلا ... كل شىء تحطم وانهار واصبح انقاضا ... فى لمح البصر تبخرت الاحلام ، وتاجلت السعادة ، واقفرت الدنيا ... واجتاحنى الخوف ، ولابد أن يحدث هذا لكل رجل يفاجأ بوجود الزوج مهما كان شجاعا ، وبارعا فى التخلص من المتاعب ..

لم انتبه الى الفتاة وهى تغلق الباب ، ورحت أهبط الدرج بسرعة حتى وجدت نفسى واقفا فى مدخل البيت والى جانبى الحقيبة ...

الشارع خال تماما من اى انسان ، والمطر

ما زال يتساقط بل ازداد ، والمصابيح قد غشاها المطر فبدت خافتة الضوء ، وبدا الشارع شبه مظلم ، وازداد احساسي بالبرد، وطاردتني قطرات المطر

وعادت بي الذكريات الى الماضي القريب ، يوم التقيت من شهر مضى باشجان ... كنت ليلتها ضائقا بنفسي وبالناس ،فدخلت الى احد الملاهي لاتخلص مما احسست به من اكتئاب، فرايتها ... كانت رائعة ، فاتنة الجمال ، وهي تتثنى راقصة بجسدها المثير ، وبعد ان انتهت رقصتها دعوتها الى مائدتي ، وتمشينا معا ، وتبادلنا الانجذاب ، ثم ربطت بيننا بعد تلك الليلة علاقة غرامية ، وزرتها في شقتها اكثر من مرة ، وعرفت انها متزوجة من موظف كبير يعمل باحدى شركات البترول في الصحراء ، ولا يحضر الى القاهرة الا نادرا ، ولا ادرى صدق قولها ... اهو يعمل حقا موظفا كبيرا ؟ ولم اكن ابالي كثيرا بحقيقة عمل زوجها ان كانت اصلا متزوجة ، فانا اعلم عادة انهن كثيرا ما يبالغن

وهي ، اشجان ... هل حقا اسمها اشجان؟ **لا اظن ... لعل اسمها مبروكة او خضرة او ام السعد ... ولكن كل هذا لا يعنيني ، ليكن اسمها ما يكون ، ولكن خادمة او بائعة خضر او فاكهة ، ولكنها امراة ولا كل النساء ...**

لكن لماذا جاء هذا الزوج في غير موعده ، في هذه الليلة بالذات ؟ ... وهذا المطر ، متى يكف يا الهي عن الهطول ؟

قلت احدث نفسي بصوت مسموع :



ـ ماذا افعل الآن ؟ وهل أستطيع العودة ؟ وأين اقضي الوقت حتى الصباح ؟

وفكرت في العودة ، فتحركت خطوات ، ورحت ابحث بنظراتي عن « تاكسي » لكنني لم اجد اثرا لاى عربة ، وضربتني قطرات المطر بشدة، فاضطررت للعودة الى مدخل البيت وانا اقول ساخطا :

ـ اظن انه لا بد من البقاء هنا حتى الصباح ، فياله من موقف فظيع ...

واحسست بماء المطر يتسلل الى جسدي ، فرحت اسب والعن .. ثم قلت لنفسي :

ـ ولماذا كان يحدث لو فتح لي الزوج الباب وشك في الامر ، فانهال على ضربا وركلا ... عندئذ كانت ستتم الكارثة ، ولكن مهلا ... لو كان هو الذي فتح الباب فلم اكن لاعدم حيلة ، استطيع ان ازعم له انني اقصد شقة اخرى ،واعتذر ! ... ياليها من فكرة .. من المستحيل ان اظل واقفا هكذا .. ساصعد الى الشقة مرة اخرى ،

وأدق الجرس . فاذا فتحت الخادمة الباب سلمتها الحقيبة وقلت لها انها مرسلة من احدى صديقات الست ، واختلقت اسما ثم أمضى متخففا منها ... وقد يخدمنى الحظ فتفتح هى الباب ، فأناولها الحقيبة وأغادر المكان على الفور ، فألجأ الى أى مكان أو أعثر على تاكس حتى لا أصاب بالحمى من هذا البرد والمطر ...

وصعدت الدرج ، وقلبى يدق ولكنت الجرس فسمعت وقع خطوات وراء الباب وصوت رجل يقول :

– من هناك .. ؟

واضطربت دق قلبى ، وفتح الباب ، انه الزوج ورأيت أمامى رجلا ضخما قوى البنية ... ولابد من ابتكار كذبة سريعة ، فقلت فى عجلة واضطراب :

– هل هذه شقة السيد عبد الموجود حسين ؟

فقال الرجل فى صوت رزين هادىء :

أمسية للحب



– لا يا سيدى . لا يوجد عندنا احد بهذا الاسم !

فاعتذرت له ، وكررت اعتذارى ، ووقف الزوج ينتظر ذهابى ، وبينما انا ادور على عقبى لانزل الدرج سمعت صوت خطوات مقبلة ، وصوت اشجان تسأل :

– من الذى دق الجرس يا كمال ؟

فأجاب زوجها :

– السيد يسأل عن شقة أخرى ...

واطل من خلف الزوج رأس أعرفه جيدا ، رأس اشجان الحبيبة وكنت قد قررت أن اتظاهر باننى لا أعرفها ... وماكادت ترانى حتى انطلقت تضحك وتقدمت منى وهى تقول :

– من ؟ .. عبد الله بيه ؟ ومن هذا الشخص الذى تسأل عنه ؟

ولم أدر ماذا اقول أو افعل ... ونظرت خلسة الى الزوج ، فقالت اشجان ، وقد تألقت على ثغرها بسمة عذبة :

– آه ... فهمت ! ... لقد نسيت أن اخبر الخادمة الجديدة انك قادم . هل يعرف احدكما الآخر ؟ هذا زوجى كمال وهذا عبد الله بيه . هل احضرت قماش الفستان وزجاجة العطر والاشياء الأخرى التى وعدتنى بها ؟ شكرا لك يا عزيزى . تعال قبل أن اقع من شدة النعاس ...

والتفتت الى زوجها وقالت :

– تصبح على خير يا كمال . لا بد انك متعب جدا من رحلتك فنم على الفور ...

ونظر كمال الى فى غير اكتراث ... ثم انحنى على الحقيبة ومد يده الى داخلها وتناول زجاجة ، ومضى الى داخل الشقة ... وشيعته بنظراتى فى دهشة ثم انحنيت وحملت الحقيبة وسرت وراء اشجان الى حجرة نومها و ...

صفحة من التراث

ابن عبد ربه صاحب العقد

هو ابو عمر شهاب الدين احمد بن محمد عبد ربه . ولد على الارجح في قرطبة في شهر رمضان سنة ٢٤٦ هجرية الموافق سنة ٨٦٠ ميلادية .

نشأ ابن عبد ربه في قرطبة كما يستدل من بعض الاخبار المروية عنه . وقد كانت قرطبة في ذلك العصر من اعظم مدن الاندلس . تشبه بغداد في كثير من الوجوه حتى قيل انها كاحد جانبي بغداد وكان الغناء شائعا عند هؤلاء العرب الاندلسيين لا سيما في قرطبة حتى أن الشاعر ابن عبد ربه كان مولعا بسماع هذا الغناء مغرما به كما كان محبا للهو وقد احس ذلك في اواخر العمر واخذ يستغفر ربه في شعره :

يارب غفرانك عن مذنب
اسرف الا انه نادم

وقد كان ابن عبد ربه فقيها ، درس فيما يظهر من عقده ومن الاخبار عنه — العلوم المعروفة في ذلك العصر من نحو وعروض ، وشريعة ، وتاريخ ، وادب .

وكتابه يسمى بالعقد ، خلافا لما هو معروف عن اكثر ادباء هذا العصر الذين يطلقون عليه « العقد الفريد » ودليلنا في هذا الامر هو أن جميع المصادر الاولية التي بين ايدينا ممـ يذكره لا ترى العقد فيها منعوتا بالفريد ونذكر على سبيل المثال لا الحصر أن الضبي يذكر ابن عبد ربه ويقول : «وله الكتاب الكبير المسمى كتاب العقد في الاخبار » ويذكره ياقوت الرومي فيقول: « وهو صاحب كتاب العقد في الاخبار » .. الخ .

وقد قسم ابن عبد ربه كتابه هذا الى عدة فنون في خمسة وعشرين كتابا انفرد كل كتاب باسم جوهرة من جواهر العقد ، بحيث يقع على كل من جانبي واسطة العقد اثنتا عشرة جوهرة ، كل منها سميت باسم التي تقابلها من الجانب الاخر ، وبذلك تكون أولى جواهر العقد واخراه على اسم واحد : ففي العقد لؤلؤتان وزبرجدتان وياقوتتان وجمانتان .

وقد قال ابن عبد ربه في مقدمة عقده « وجزأته على خمسة وعشرين كتابا ، كل كتاب منها جزءان ، فتلك خمسون جزءا في خمسة وعشرين كتابا » .

وبالنسبة لحجم كتب العقد الخمسة والعشرين من حيث عدد الصفحات فان كل كتاب منها يقع فيما بين الثلاثين والخمسين صفحة ، الا كتابين هما كتاب الياقوتة في العلم والادب وهو يقع في نحو ١٣٠ صفحة ، وكتاب الخلفاء وتواريخهم ويقع في نحو ١٣٠ صفحة ايضا .

وتبين عناوين الكتب التي يضمها العقد البحوث التي يدور عليها فهو يبحث في السلطان وسياسته ، والحروب ومدار امرها ، والامثال والمواعظ والتعازي والمراثي وكلام الاعراب وخطبهم وانسابهم ، واخبار الوفود ، وايام العرب ، واخبار الخلفاء وتواريخهم .

ولكتاب العقد قيمة تاريخية فائقة ، فهو يعد مصدرا من المصادر الاولية المهمة التي يرجع اليها الباحثون في تاريخ العرب السياسي والاجتماعي والادبي ، وقد امتاز عن كثير من الكتب القديمة بتبويبه وحسن ترتيبه واختياره .

مع قراء الهلال

• نصر الدين عبد اللطيف •

ذات يوم ، والربيع وجود مترع بالعطر والسحر ، عجز شاعر عبقرى عن أن يقول شيئا عبقـــريا فى مواجهة عينين ساحرتين لامرأة باهرة ‥ وتساءل فى حيرة وقهر اليم : « اين هو الشاعر الذى يرينا جمـــالا كالذى نراه فى عينى امرأة جميلة ؟ ! » .

كان هو شكسبير العظيم ، فى ذروة مرحلته الغنـــائية (بين عامى ١٥٩٥ ــ ١٦٠٠) ، يستقبل حبا جديدا ...

وتوالى الليل والنهار ، منذ ذاك العهد البعيـد ، وغنى للعيون الساحرات عشاق وشـــعراء ، ولكن حيرة السؤال الشكسبيرى العظيم بقيت حية متوهجة حتى الآن وفى هـــذه اللحظة التى مواجهنى فيها الق عينين رماديتين لشابة باهرة، جاءتنى مع الضحى مطالبة بأن لها رسالة ضائعة فى بريدى‥

... هنا ، يا عزيزتى ، رسائل الاعزاء اصحاب المحاولات قصصا وشعرا ، والمحـاولات خطوات على الطريق ! . وهذه بعدها مختـــارات من كتابات المجدين ! ‥ وتلك هى رسائل الردود السريعة ‥ والختام رسائل السؤال والجواب ...

تعالى نستعرضها معا ، علنا نجد بينها الرســـالة الضائعة ...

● « ربيع وخريف » لرضا عبد الرحمن ـ السنبلاوين
● « لا ترحلى » لحمد محيى الدين ميقو ـ حمص ، سورية
● « لقاء بين الامواج » و « المائى الانسانية » لحسن عبد العزيز عكاشة ـ القاهرة ● « من حولى » لشفيق بو تمام ـ لبنان
● « موكب الغروب » لحمد توفيق شلبى ـ المحلة الكبرى
● « صحوة قلب ، وندوة لب » لعبد الله المقادى ـ القاهرة
● « عشاق الليل » لجوزيف شحاتة ـ ههيا ، شرقية ● « الى حبيبى » أحمد محمد ـ مصر الجديدة ● « لماذا رحلت .. » عبد الحميد أحمد على ـ جدة ، الشرقية ● « اتركوا زهرتى تنمو » لفوزى اسماعيل سعيد ـ كفر الشيخ ● حكاية الكاهن الشاب » ريكاردو شار ● « عيون مسافرة » لاحمد كدوس ـ السوداع
● « الشاعر الجبار » لحمد عبد الفتاح حمادة .

***

● على ابو ضيف احمد ـ سوهاج ●

من قصيدته : « الى روح الشاعر الجبار » :
يا صاحبى ...
يا منشداً للحب فى الخريف ..
يا زارعا « على الارض السلام »
هديتى اليك فى متاهة الزمان والمكان
زهيرة حمراء ، فوق غصنك الوريف
تعلمت نضارة الالوان
تهامست باللون والشذى :
تقرئك السلام ! ..

***

● احمد عبد اللطيف بدر ـ بور سعيد ●

من قصيدته « ربيع قلبى »:

ربيــع قلبى له شــدو بالحمانى
والشعر فيه اغاريدى وتحنــانى
ان « المشيب » بعيد العهــد مؤتلقا
فى متعة بين ذكرى الحب تلقــانى
ان غاب عنى حبيبى عشــت أرقبه
فى طلعة البــدر أو فى قلبه الحانى
الورد فيه نداء الحب يبهــرنى
والطير من شــوقه غنى وناداني !

مع قراء الهلال



الشيخ محمد البشير الابراهيمي : تنشر اسمه خطأ تحت صورة قارئ في عدد سابق من الهلال ...

● محمود محمد أبو زيد ـ طنطا ●

من قصيدته « عودة الى الله » :

... عدت يا رب الى النور ، فبدد ظلماتي
عدت من التيه ومن حر الفـــــــــلاة
عدت يا رب أغنى لك أسمى أغنيـــــاتي
فاعف عن ماضي ، يا رب ، وأحسن آخرياتي

***

● عوض الحسيني قشطة ـ بقهلية ●

من قصيدته « طريق السعادة » :

أحيـــــا على الامال أنشد قربهـــا
بعزيمتي ، وتوكلي ، وجهـــــادي
جاوزت خمســــينا وسـبعا بعـدها
لم الق فيهـا عدتي وعتــــــادي
وأعود ان دلج الظـــــلام الى الحمى
والبشـــير يســـبقني الى أولادي
أنا ان حييت حييت عمري شـــاكرا
واذا قضيت فقد بلغت مــــــرادي

***

● عبد الرحيم محمد عبد الرحيم ـ الزقازيق ●

من مقطوعته « ذكريات » :

يا حبيبي ان قلبي ضاق ذرعا بحيـــاتي
ليس لي بعـــدك حب ، ليس الا ذكرياتي
وجـراحي داميات ، وأنيني وشـــكاتي
يا حبيب الروح رفقا بعـذابي ، عد اليـا
كي يزول السقم عني ، فأرى جسمي قويا

***

● محمد الطاهر الصفتي ـ الاسكندرية ●

من قصيدته : « دموع الوداع » :

بحق الـــــــذي بيني وبين حبيبتي
من الود والحســـــنى وصــدق محبتي
ومـــن كل ما يثبي بصـــدق مريرتي :
ساحيا على ذكراك ... طول سلامتي !

***

● ابراهيم محمدي خلف الله ـ الطور ، غربية ●

من قصيدته : أشجان الفراق :

« وافترقنا في ليلة عاصفة ... غرقت فيها الاشجان ... بناي الاحزان ، فانهارت كل الاحلام ، ولم يبــق من الايام غيـر

الالام ... أشواك ، أشواك ... والقلب الاخضر باك .. » !

● الفقير الى الله ، جلال محمد عبد الله ـ الزيتون ●

من قصيدته « لماذا ؟ ... »

افاتنتى .. أضعت العمر دون جوابك المقنع
فهل لى أن أســائلك عن العين التى تدمع
وعن قلب يعاندنى ، وعن نبض له أسمع ...
وهل حقا لما أسأل ... وهل لجوابه أطمع ؟!

***

● مختار عيسى أحمد ●

من مقطوعته : « عرفتك » :

الان عرفتــــــه من أنت
خداع المظهر كالبحـــــر
برقا ، رقراق الســطح
والعمق ملىء بالصخــــر
الان عرفتك : كالنــار ...
لا تبغى الا أن تحـــرق
وأنا كفراشــة أحــلام
تنجذب للمــوت المشرق !

● ردود سريعة ●

● إلى عبد الله ميليش ـ جسر الشغور :

قبل أن تنحنى تواضعا لنا ، كما تقول ، اذا كنا على استعداد لان ننشر فى زاوية من الصفحات الاولى ، وفى كل عدد صــورة صغيرة لك ، وأمامها مختارات تضمها من الاحــاديث والاقوال المأثورة ...

ـ ... فاننا ننحنى إعتذارا لك ، بالاصالة عن « الهلال » وبالنيابة عن القراء ، وباسم أزمة الورق !

● الى : عبد الرضا على ـ الدراسات العليا بالقاهرة :

كنا معا ، استاذنا الشاعر صالح جودت وأنا ، عندما تفتح

البريد عن قصيدتك ، وهو الذى أحس بشاعريته المرهفة ، فى بعض الظلال والايماءات ما قد يحتمل الرمز والتأويل ..

هون عليك حسن ظنك بى ، وتقبل دعوتى المرحبة بكل جديد من انتاجك ...

● الى مدحت عبد العظيم نجم ـ شرقية :

لا المشاغل الجمة ، ولا الرسائل الكثيرة ، ولا خطك الردىء ... كان سببا تأثر به الرأى فى قصتك .. فقد كانت القصة ـ بحق ـ محاولة مبشرة بموهبة نامية . ولكنها ـ وبحق أيضا ـ لا تحسب قصة مكتملة البناء جديدة وجيدة ...

وبالصدق الذى ترى « اننى اتحدث عنه كثيرا فى ردودى » ، فليس لى ما تقول عن رفاهة اللامعين، وسلة المهملات والبرج العاجى انا عطل من مواهب العالمين بتكنولوجيا المعاملات فى الغـابة .. ابيع العمر فى سوق نخر الكلمات .. وأعيش والحزن فى برج على سطح بيت عتيق !

لكن ... وبالمناسبة

... واقدم للهلال هذه المقتطفات من شعر روبرت فروست ، ترجمتها الى العربية نقلا عن صفحات مجلة انجليزية وقعت فى يدى وكانت تتحدث عن ذكرى وفاة هذا الشاعر الكبير ...

● احمد سليم ـ الاسكندرية ●

ـ ليتك أرفقت برسالتك الاصل الذى نقلت عنه .. ففى الترجمة غموض وقلق ...

وبالمناسبة ، ليست هى ذكرى وفاة بروست التى احتفلوا بهـا فى الولايات المتحدة منذ بضعة أشهر ، وانما هى ذكرى مرور مائة عام على مولد هذا الشاعر الامريكى الراحل ...

وروبرت فروست ، أحد اكبر ثلاثة او اربعة شـعراء فى هذا القرن . ومنذ وفاته حتى الان تزايدت مكانته الادبية ، وفى مجموعة الكتب والدراسات التى صـدرت عنه فى العام الماضى (١٩٧٤) أضواء جديدة تكشف عن عبقريته التى استقطبت اهتمام النقـاد والقراء ، بعد ذلك اليوم المشهور من عام ١٩٦١ عندما تحدث الرئيس الراحل جون كيندى فى مناسبة تنصيبه رئيسا للولايات المتحـدة وقال عن فروست :

« لعل اعظم ضروب الشجاعة اطلاقا ، هى تلك التى يخوض بها

المرء معركة صامتة ـ ليثير طبيعة الانســـــان والعــالم الذى يعيش فيه ...

عن الحظوظ

... لم يعجبنى ردك فى العدد الماضى على قارىء سألك عن السعادة ... ومع ذلك فقد كتبت اليك أسألك عن الحظ .. هل تؤمن بالحظ ؟ ..

● أبو بهاء عادل ـ القاهرة ●

ـ الحظ موجود ...
والرجال السطحيون يؤمنون بالحظ ...
والرجال الاقوياء يؤمنون بالسبب والنتيجة !

ذلك البلد ...

... حتى الآن ، لا يزال فى واشنطن ـ وأنا عائد هذا الشهر من هناك ـ مثقفون ، تسألهم حول قضيتنا فى الشرق الاوســـط ، فتراهم على جهل عظيم !؟ ..

● سامى حبش ـ حلوان ●

ـ ولا يزال هناك أيضا كثيرون من نفس نوع ذلك الذى قدموا اليه فى حفل استقبال كبير مندوب هيئة اليونسكو ، فصاح مرحبا يقول فى تلطف الواثق : « آه ، نعم ... اليونسكو ، ذلك البلد الصغير البهيج » ؟

■■■

قالت ، وفى الصوت ذبذبات محملة بالاستخفاف :
ـ أهذا كل ما عندك ؟ .. قصص وشعر وأدب ؟ !
وشغلنى عن الرد خاطر مفاجىء وحزين : أن العيون الجميلة الساحرة تلهم الفن والشعر ، ولكنها قليلا ما تدرك أو تحس بعمق عناء الفن والشعر ! ..

بينما عادت تسائلنى :
ـ لماذا لا توسع اهتماماتك بمسايرة روح العصر ؟
قلت : كيف ؟
قالت : بصراحة ... حياتنا العصرية لم تعد تحتمل الكثير من الشعر والادب .. أصبح هناك ما هو أعظم اثارة ، وأهم ، وأمتع !
قلت : مثلا .. ؟
قالت فى حماسة متوهجة : عندك رسالتى وفيها أسئلة غاية فى العمق والاهمية عن : كرة القدم ! .. حاول ، بجد ، أن تقلب الدنيا بحثا عن رسالتى الضائعة ! ..


شركة الاسكندرية للمنتجات المعدنية
٧٢ شارع الشهيد جلال الدسوقي - الحضرة اسكندرية ت ٧١٧٦١/٧٠٥٣٣ ص ب ٣٨٦ اسكندرية
AMPCO
SILEC
La Cooperation Franco-Arabe dans le domaine de la Signalisation routière "SILEC" Paris "AMPCO" Alexandria
التعاون العربي الفرنسي في مجال تنظيم المرور الالكتروني بين شركة "سيلك" كبرى الشركات العالمية الفرنسية وشركة "امبكو" الاسكندرية للمنتجات المعدنية
جهاز تحكم الكتروني لتنظيم المرور

إشراقة

كلمـــا لاح في جمالك أهفـــو
بانبهـــار لحسنـــه الربـــاني

هائما ، حــــالما اليـــه اغني
بشجي الاهات والالحــــان

لست ادري ، في اي سبحة حلم
انا احيا ، فقد نسيت زماني !

سكب النور فوق نهديك عطرا
عبقريا مهـوم الالـــــوان

حدثيني ، يا منيتي ورجـــائي
ومــلاذي في رحمة الاشجان

حدثيني عن الليـالي الخـوالي
وامنحيني سحر الهوى والحنان

فلقـــد جفت الامـــاني بقلبي
ودهتني لواعـــج الحـــرمان

واديري الشفاه يا امـــل العذ
ب فاني سئمت مـــر الهـــوان

انا اهــواك عالما شــــاعريا
مستهام الرؤى لذيذ المجـــاني

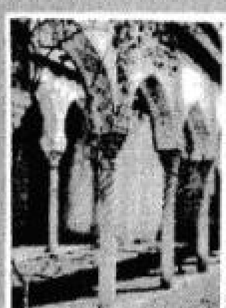
● عبد الخالق فريد ●

● الغلاف الأول ●



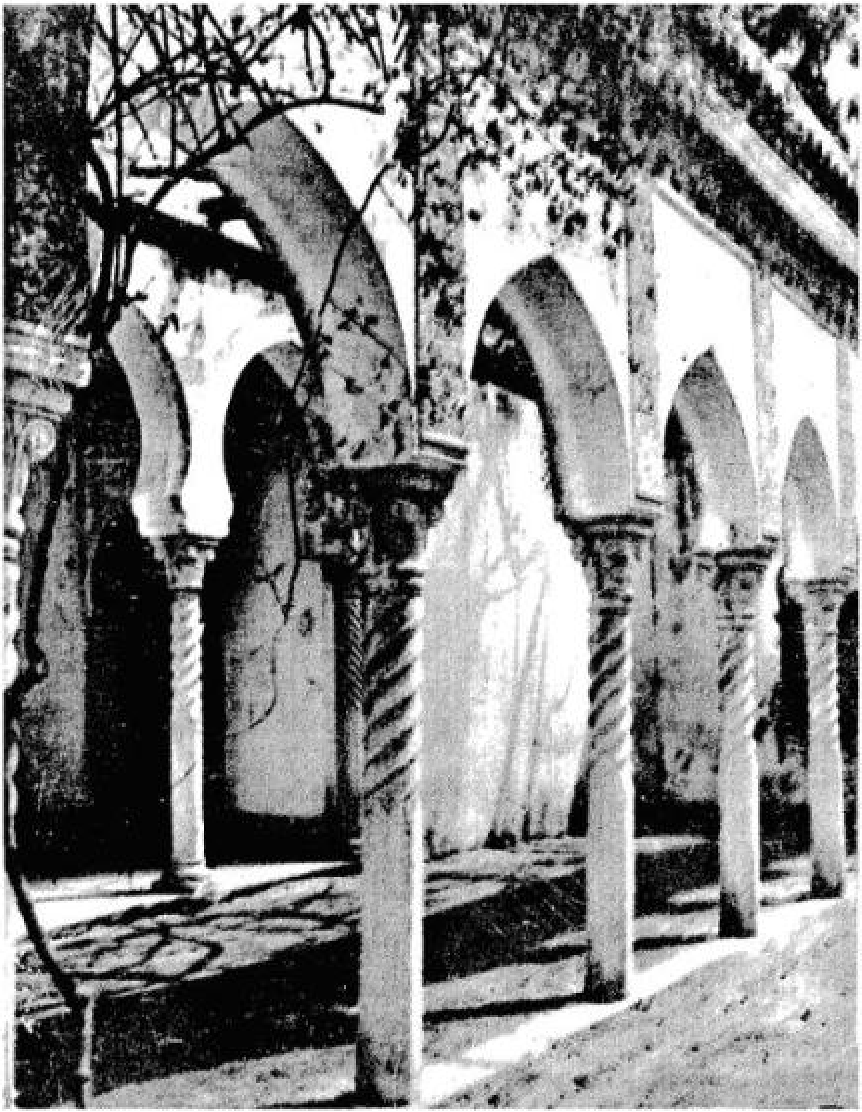
الإرادة العربية تفتح القناة من جديد لوحة الفنان : جمال قطب . . .

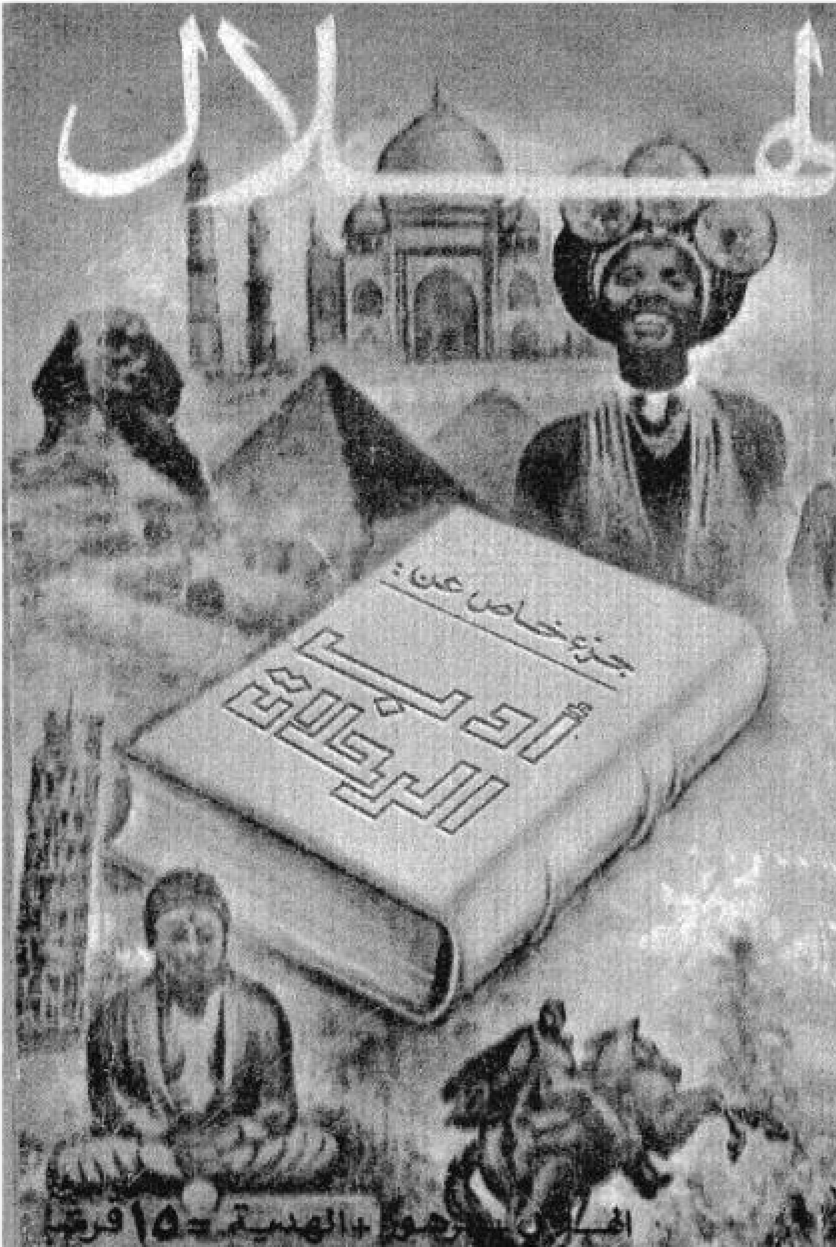
● الغلاف الأخير ●



لقطة لمر احدى الحدائق الملحقة بالجزائر . .

• ممر إحدى الحدائق بالعاصمة الجزائرية •




الهلال
جزء خاص عن:
أدب الرحلات
١٥ قرشا

الهلال جمادى الآخرة ١٣٩٥
يوليـــة ١٩٧٥

مجلة شهرية تصدر من دار الهلال ـ أسسها جورجي زيدان سنة ١٨٩٢ ـ العدد السابع ـ السنة الثالثة والثمانون ـ اول يوليـة ١٩٧٥
٢١ جمادى الاخرة ١٣٩٥

الاشتراكات

ثمن العدد : في جمهورية مصر العربية ١٥٠ مليما .
قيمة الاشتراك السنوى : (١٢ عـــددا) في جمهورية مصر العربية وبلاد اتحادى البريد العربي والافريقي ١٥٠ قرشا صاغا . في سائر انحاء العالم ٦ دولارات او ٢٫٥٠ جنيه والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال . في جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية . في الخارج بشيك مصرفي والاسعار الموضحة بالبريد العادى ـ وتضاف رسوم البريد الجوى والمسجل على الأسعار المحددة عند الطلب »
الادارة : دار الهلال ١٦ شـارع محمد عز العرب ـ القاهرة .
تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »



اباظة — د . سيد نوفل — حسن كامل الصيرفى

بسم الله الرحمن الرحيم



كلمة الهلال

●● هذا اليوم ، الفاتح من يوليو ، يوقظ فينا ذكرى ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢

مهما يكن رايى او رايك فى هـذه الثورة ، فالسؤال الذى يطل بعنقه اليوم ، هو : ماذا بقى من هذه الثورة ؟

وقد كنت - على صفحات ((المصور)) - اول من كتب عن سلبيات هذه الثورة

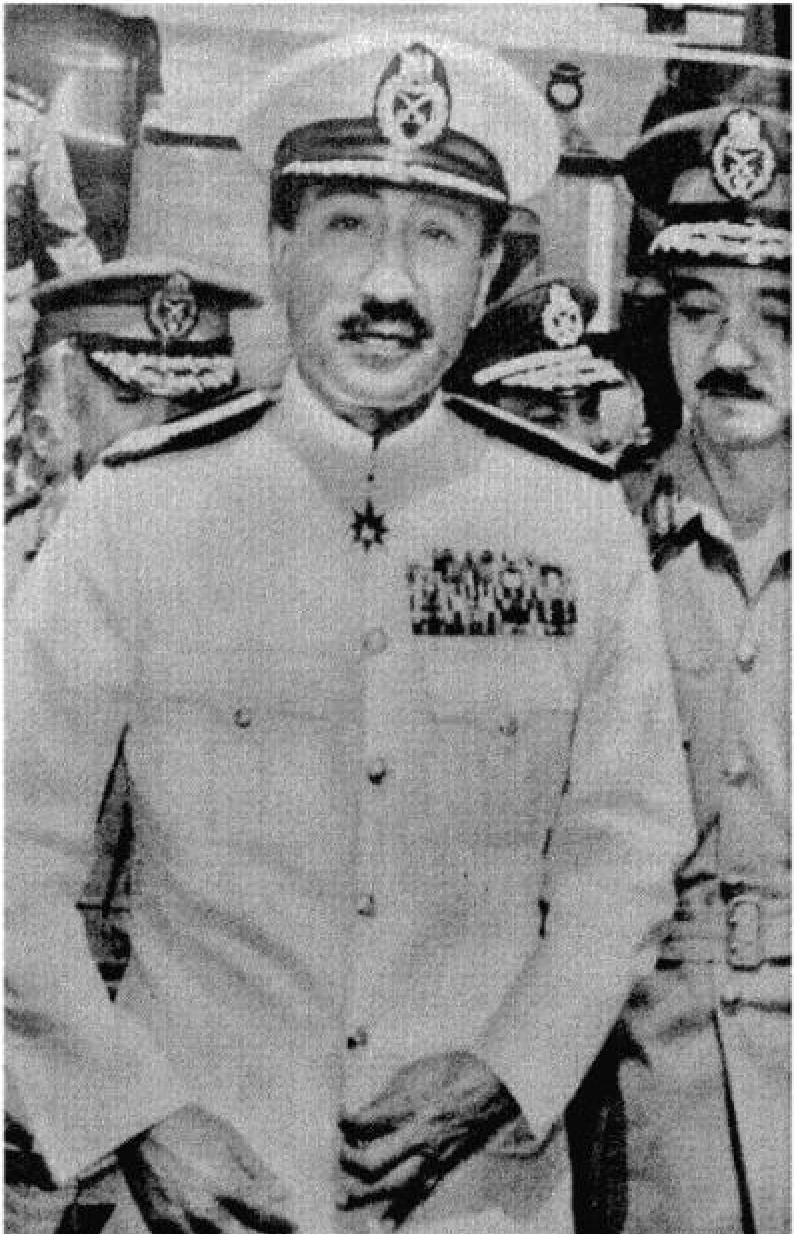
ولكننى ، وانا ماثل بين يدى التاريخ ، لا استطيع ان انكر ان لثورة يوليو ايجابياتها الى جانب سلبياتها . واولى هذه الايجابيات ، هى تاصيل فكرة مصر العربية .

وبقى من هذه الثورة بعد ذلك ، رجل واحد

لقد ذهب الرجال الذين صنعوا الثورة .

منهم من ذهب الى رحمة الله ، وانه لغفور رحيم ، ومنهم من خرج من دائرة الضوء راضيا او كارها

وبقى رجل واحد ، عاش سنوات طويلة فى شرفة الثورة ، يتامل مسيرتها ، ويستجمع فى مفكرته اخطاءها ، حتى اذن الله ان يكون هو على راس الحكم سنة ١٩٧٠



وانى لأذكر اليوم قصيدة نشرتها سنة ١٩٥٦ عقب تاميم القناة - منها :

ايا فجــر يوليو رعاك الاله
وبوركت فى كتب الدعــوة
صحونا على صيحة كالرعود
ونادى الأذن بالثـــورة
فقمنـا وثرنا مع الثـائرين
على الظلم والبغى والرشوة
لقد وعدونى بصد الغزاة
فراح الغــزاة بلا رجعــة
وقد وعدونى بسـعى الكبير
يبشر بالخيـر والرحمـة
وقد وعدونى بعود القنـاة
فعادت الى امها الحـــرة
وكم وعدونى ، ولو لم يفوا
بالوعـود لثرت على ثورتى

والرجل الذى احدثك عنه ... الذى بقى لنا من ثورة ٢٣ يوليو ، هو انور السادات ، الذى شبت فيه - حينما انحرفت الثورة - روح الثورة على الثورة

انه بطل ثورة التصحيح ، وبطل حـرب رمضان ، وبطل حرية الكلمة ، وبطل الفتـح الذى شهدناه يوم ٥ يونية الماضى فى سـاحة القناة

حسـبنا من ثورة ٢٣ يوليه ، انهـا انجبت لمصر هذا البطل .

● صالح جودت ●

د. سيد نوفل

الرحلات في الأدب العربي القديم

من أروع أحاديث الأدب العربي، قديمه ووسيطه، أحاديث الرحلات .. فشعراء الجاهلية وحكماؤهم قد رحل فريق منهم إلى الأكاسرة في بلاد فارس والقياصرة في بلاد الروم، وأنشدوهم من أشعارهم، وألقوا عليهم من آيات حكمتهم، ونالوا إعجابهم وتقديرهم وعطاءهم. وكذلك استمعوا إلى بلغائهم مثلما استمعوهم، وتبادلوا وإياهم التأثير والتأثر في فنون البيان ... بل إن أمير الشعر العربي القديم، امرأ القيس بن حجر الكندي، حين أراد الثأر لأبيه واستعادة ملكه الذاهب، رحل إلى قيصر الروم يطلب عونه وتأييده، ويدل بذلك على صلته الوثقى بالروم ...

وكان اتصال القرشيين وثيقا، في قلب جزيرة العرب، باليمن والشام والحبشة ومصر وفارس والروم. وأحاديث رحلاتهم التجارية مأثورة في القرآن الكريم، ومقامهم حول الكعبة حيث يفد الناس إليها من مختلف الأرجاء، ومرور التجارة بأراضيهم، شرقا وغربا وشمالا وجنوبا - كل ذلك جعل الرحلات من مألوف حياتهم، وجعل المأثور من الأدب العربي زاخرا برواياتها ...

وأحاديث الرحلات البحرية تفيض بألوان الخيال، وروائع التصوير ... كما أن أحاديث الرحلات الجوية التي يمتطي فيها الإنسان ظهر مارد أو جان أو شيطان، ويبلغ بها العوالم المجهولة، يفوق روعة وبيانا أحاديث الرحلات البرية والبحرية ...

والمؤرخون القدماء تؤكد رواياتهم صلة العرب بالرحلات إلى أرجاء جزيرتهم وأطرافها، وإلى ما دنا وبعد من الأقطار عنها ... والفتوحات العربية في صدر الإسلام تدل في وضوح على أن العرب كانوا عارفين تماما ببلاد عدوهم وإمكانات شعوبها، مثلما كانت تعرفهم تلك البلاد ويحيط شعوبها بإمكاناتهم ... وهم يذكرون مثلا أن عمرو بن العاص حين فتح مصر كان خبيرا بدروبها ومسالكها وأقاليمها عارفا تمام المعرفة بأهلها، وأن المصريين كانوا يعرفون العرب

الرحلات
في الأدب العربي القديم

الوافدين عليهم معرفة العرب بهم ... وكذلك كان الشأن بالنسبة للقواد الفاتحين لبلاد الشام وفارس والروم وغيرها ...

وأحاديث المعري بين أهل الجنة والنار من الانس والجن في رسالة الغفران ، وأحاديث السندباد البحري ، والحسن الصائغ البصري ، وألوان المقامات المؤسسة على الفتنة بالرحلات - تلك جميعها تدل في وضوح على أن هذه الفتنة لم يشبعها عالم الدنيا ، فتجاوزته الى الدار الآخرة ، ولم يكفها عالم الانس فتجاوزته الى عالم الجن ، ولم تقنع بالمعمور من أرضنا وحده فتجاوزته الى عوالم أخرى يرحل اليها الانسان بسرعة سحرية تستغرق الشهور والسنين ...

● الرحلات ووحدة الفكر العربي ●

وكانت الرحلات من أقوى الدعائم لوحدة الفكر العربي لعصور الاسلام الأولى ، رغم الشقة بين أرجاء العالم العربي الاسلامي ، وصعوبة وسائل الانتقال ومخاطرها البالغة في ذلك الزمان ... وكان حج بيت الله الحرام ، وكان طلب العلم ، من أسباب هذه الرحلات المحببة الى النفوس رغم وعورتها الشديدة وعذابها الأليم ...

فأهل المغرب يتناقلون الكتب والأشعار التي تظهر في المشرق ، وأهل الأندلس يتناقلون آثار المشرق والمغرب معا ... ومن أجل الايمان والعلم يخرج الأندلسي أو المغربي أو المشرقي في رحلة بين البر والبحر ، يتنقل بين مخاطرها ومسراتها ومنافعها ومضارها ، ولا تثنيه الأهوال عن المنافع وانما تزيده تعلقا بها ...

ومن هنا جاءت هذه الظاهرة الفريدة التي اكتملت بها وحدة الفكر العربي ، وفنون البيان بين أقطار العالم العربي ... ويتصل بذلك ما نطالعه في كتب الأدب العربي من أن الأندلسيين كانوا يلقبون النابغين منهم بنظرائهم من المشارقة • فيقولون في الرصافي انه ابن رومي الأندلس وفي ابن زيدون انه بحتري الأندلس ، وفي ابن دراج انه متنبي الأندلس وفي محمد سعيد الزجالي انه أصمعي الأندلس ، وفي حمدة بنت زياد الشاعرة انها خنساء المغرب • كما يسمون الفيلسوف ابن باجة « فارابي المغرب » •

وعللوا هذه الظاهرة بقولهم ، حسب تعبير صاحب نفح الطيب :

« وكان منشأ ذلك أن العلماء والأدباء من أهل ذلك الصقع (الأندلس) كانوا يرحلون الى المشرق ، فيلقون الأئمة ويأخذون عنهم ، ثم ينقلبون الى الأندلس برواية ما أخذوه ، فيبثونه في أهلها مسندا

الى أنباء العراق وغيره ٠٠ ومن هؤلاء محمد بن عبد الله بن سوار ، حج ولقى ابا حاتم بالبصرة والرياشى وغيرهما ، وأدخل الاندلس علما كثيرا ٠٠٠

• وقاسم بن اصبغ البيانى ، رحل الى المشرق سنة ٢٧٤ وسمع بمكة والكوفة وبغداد ، كما سمع بمصر من محمد بن عبد الله العمرى ومطلب بن شعيب ٠٠٠ وانصرف الى الاندلس بعلم كثير ٠٠٠ وكانت أمهات كتب الادب التى تؤلف بالمشرق تروى فى الاندلس بالسند الى مؤلفيها وبعد الانتقال الى مواطنها ٠ وروى ابن جابر الاشبيلى كتاب الكامل للمبرد بمصر ونقله الى الاندلس ٠٠

وقدوم أبى على القالى الى الاندلس عام ثلاثمائة وثلاثين من الهجرة ، وحفاوة الحاكم الناصر به ، وايفاد ابنه الحكم فى صفوة من أهل قرطبة لاستقباله خارج المدينة عند قدومه ، والاعتزاز الشديد بكتبه ، وفى مقدمتها كتاب الامالى الذى ألفه أبو على باسم الحكم — كل ذلك يدل على الترابط الفكرى الوثيق بين الاندلس ومشرق العالم العربى فضلا عن مغربه ، والتسابق بين الحكام فى مجال الادب والعلم ، وفضل الرحلات فى توفير مصادرهما الفنية ٠٠٠

● مغامرات حسن البصرى ●

والرحلات فى الادب العربى نوعان : الاول رحلات الخيال ، والاخر رحلات الحقيقة ٠ وفى الاول يخترع الاديب قصة ذات شخصيات فريدة ، يطوف بها عوالم مجهولة أو غيبية بين بنى الانس او الجن ، ويسودها الجو الروائى البديع ٠٠٠ وهى تزخر بالمعانى الدينية والاجتماعية ٠٠٠ وافانين الشعر والحكمة ، وتستهدف مغزى خلقيا تؤكده بوسائل مختلفة ٠٠٠ وقد اشرنا الى الوان منها قبلا ٠ واوردنا لقراء (الهلال) فى عدد سابق حديث المعرى المبدع فى رسالة الغفران ٠ ونكتفى الان بايراد مثل آخر لها ، وهى قصة حسن الصائغ البصرى من قصص الف ليلة وليلة ٠ وقد استغرقت حكايتها اربعا وثلاثين من هذه الليالى ، التى تملكت فيها شهرزاد فؤاد الملك شهريار بروعة حديثها وفتنة جمالها ٠٠٠

فحسن الفتى الصائغ بالبصرة ، مر على دكانه ذات يوم أعجمى ساحر يدعى بهرام ، يبغض المسلمين ، ويصطاد كل عام واحدا منهم يذبحه على باب كنوزه قربانا للنار ٠٠٠ ولكنه تظاهر بود حسن ، واستهواه بتعليمه كيف يحيل النحاس الى ذهب ٠٠٠ ثم أعطاه مخدرا فى قطعة من الحلوى ، وتمكن من حمله فى صندوق الى سفينة تنتظر فى الميناء ٠٠٠

واخذت والدة حسن تبكى وتندب غيبة ولدها وما لا تعلم من مصيره ، وتقول كثيرا من مثل قولها :

رحلت فاوحشت الديار واهلها ... وكدرت من صفوى مشارب منهلى
وكنت معيلى فى الشدائد كلها ... وعزى وجاهى فى الورى وتوسلى

وبعد أن أبعدت السفينة أخرج المجوسى حسنا من الصندوق ، وافاقه من البنج ، واوعده بانه قاتله مثلما قتل الفا الا واحدا من المسلمين قبله ٠٠٠ واخذ يعذب حسن عذابا شديدا كى يكفر بالله ويعبد النار ٠ ولكن حسنا أبى

العذاب البين مع الايمان على الكفران وظل حسن يستجير بالله ، منشداً :

صبرا لحكمك يا الهى فى القضا ... انا صابر ان كان فى هذا رضا

جاروا علينا واعتدوا وتحكموا ... فعساك بالاحسان تغفر ما مضى

وبعد ثلاثة اشهر ، أرسل الله على السفينة ريحا عاتية ، جعلت البحارة ينتظرون الغرق ويؤمنون بأنه انتقام الله من المجوسى لما ينزله بحسن من عذاب • وقتلوا فتيان المجوسى ،والقوهم فى البحر ••• وحين أيقن المجوسى بمصيره فك اسار حسن ،واسترضاه والبسه ثيابا حسنة • فعفا عنه حسن وتصافيا ، واعتدلت الريح وزال عن البحر هياجه وعن السفينة اضطرابها •••

وبعد ثلاثة اشهر اخرى ، نزل حسن مع المجوسى الى شاطىء ذى حصى متعددة • ودق المجوس طبلة فظهرت غبرة تكشف عن ثلاث نجائب ، ركب الاعجمى احداها ، وركب حسن الثانية ، وحملا زادهما على الثالثة ••• وبعد ايام عديدة من مسيرة فى سرعة الريح بلغا جبلا فى أعلاه قصر تسكنه الجن والغيلان والشياطين حسبما قال المجوسى ••• وارتفع حسن الى القصر على ظهر طائر ، وتركه المجوسى وحيدا ، ينذره بما يتوقع له من هلاك •••

وفى غمرة اليأس سار حسن حتى قابله بحر متلاطم الامواج، فالقى نفسه فيه داعيا الله أن يخلصه من الشدائد او يميته ••• وكان الله رحيما بعبده الصالح فحملته الامواج الى الشاطىء الاخر حيث يقوم « قصر جبل السحاب » ودخل حسن القصر فوجد ، مصطبة فى الدهليز ، وعليها بنتان كأنهما قمران، وبين أيديهما رقعة شطرنج وهما تلعبان ! ••• وعرف أن هذا القصر تسكنه بنات ملك الجن السبع ، وقد تملكته الغيرة عليهن ، فأبى زواجهن ونفاهن الى هذا المكان السحيق • وظل يحضرهن فى أوقات متباعدة ليراهن ثم يرجعهن الى القصر النائى •••

واطمأنت الاخت الى حسن ، فآخت بينهما وبينه ، وعاهدته عهد الاخوة • وساعدت الفتيات حسن ، فقتل المجوسى اللعين واستراح وأراح العالم من شروره •••

وظل حسن فى القصر سعيدا بصحبة البنات الى أن استدعى ملك الجن بناته لرؤيتهن ، فمكث حسن يعانى الوحدة طوال شهرين ••• وتجول حسن فى أرجاء القصر حتى صعد الى سطحه ، فرأى بستانا نزل اليه ، ومشى فيه ، حتى بلغ قصرا مبنيا : طوبة من ذهب ، وطوبة من فضة ، وطوبة من ياقوت ، وطوبة من زمرد أخضر •••وفى وسطه بحيرة من حولها تخت من العود مزركش بأنواع الجواهر واللآلىء وحوله الاطيار على الاشجار تغرد

مسبحة بحمد الله ...

ورأى عشرة طيور مقبلة على البحيرة ، فاختبأ حتى يراها ولا تراه. ونزلت حول البحيرة وخلعت الطيور بمخالبها أثواب ريشها ، فخرج منها عشر بنات يفضحن بحسنهن الأقمار ، وتمتاز بينهن واحدة ، يطعن جميعا أوامرها ، ويلقبنها ببروعة جمالها وبهاء قدها واعتدال قوامها .. فلما رآها ملكت عقله وأطارت صوابه ، وأذهلته بوهم التمني ...

وكانت كما قال الشاعر :

وجارية في نشاط وجد ... ترى الشمس من خدها مستعاره

وبعد ذلك لبست الجواري ريشهن وطرن الى حيث أتين .

وأراد حسن أن يقوم من مكانه فلم يقدر أن يقوم . وصار دمعه يجري على خده ، وقد غرق في هيامه ووجده ، وسالت نفسه حسرات . وأنشد الكثير من هذه الأبيات :

حرمت وفاء العهد ان كان بعدكم ... عرفت لذيذ النوم كيف يكون

ولا اغمضت عيناي بعد فراقكم ... ولا لذ لي بعد الرحيل سكون .

وعادت البنات السبع الى القصر ، وهالهن سقم حسن وضناه . وبعد أن عرفت أخته مكنون سره ، يسرت له نيل رائعة الحسان العشر ، وذلك بالاختباء قرب البحيرة ، وإخفاء ريشها بعيدا عنها حتى تطير صواحبها وتبقى في لحسن ...

وينال حسن ما يتمنى ، ويتزوج مناه ، ويعود الى أمه مع زوجته الى بغداد ، ومعهما ثروة طائلة من الذهب والجوهر واللؤلؤ ...

وبعد أن ينجب حسن ولدين يشتاق لرؤية البنات السبع في قصرهن النائي ... ويودع أمه ، ويوصيها بألا تخرج زوجته من المنزل ، وأن تحتفظ بعيدا عن متناول يديها بالصندوق الذي يحوي ريشها . ويطير بوسائله السحرية الى قصر البنات ...

وتضعف الوالدة أمام الحاح الزوجة فتتركها تخرج الى حمام بغداد ، حيث تراها وصيفة الملكة زبيدة زوجة الخليفة هارون الرشيد ، وتحدث الوصيفة الملكة عن فتنتها فتغار منها ، وتستحضرها وتساعدها على الظفر بريشها والهرب به مع ولديها الى أبيها ملك ملوك الجن ...

ويعود حسن ، ويقاسي أشد العذاب النفسي لضياع زوجه الحبيبة وولديه الغاليين ، ويمضي الأيام والليالي في حسرة وبكاء ... ويطير ثانية الى قصر البنات مستنجدا بهن عونا على لقاء زوجته وولديه ...

وترسم له البنات طريق العودة الى عالم ملك ملوك الجن البعيد ، الذي يأتي بعد عوالم كثيرة ، ويتعرض الذاهب اليه ، مرورا بعوالم الانس والجن والشياطين والمردة على مختلف أجناسها — يتعرض لأهوال جسام لا تخطر بالبال ، ومن المتعذر أن ينجو منها انسان . لكن الايمان والحب يملآن جوانح حسن ، فيستهين بالأهوال ويتجه الى الله مستعينا به وحده ، وحاسما الأمر على كل حال بأن الحياة لا معنى لها بغير الأحباب ...

ويحذره مرة الخليل الجني الصالح من الأهوال التي يستقبلها ، وينصحه أن ينجو بحياته . فيجيبه حسن : « كيف تطيب الحياة بغير أحبابي ، والله ان الموت في هذه الحال أفضل ... »

الرحلات
في الأدب العربي القديم

وينشد أشعارا كثيرة منها :

على فقد أحبابي وشدة صبوتي وقفت حزينا باكيا ضعف الوقتي
إذا غاب أحبابي فلا عيش بعدهم فهم رجائي في رخائي وشدتي .

ومنها :

وعندي من الأشواق ما لو أذعته على الناس قالوا قد عراه جنون
هيام وسقم والتهاب ولوعة ومن حاله هذا فكيف يكون؟!

ويحمله شيخ شيوخ الجن وأعوانه بوسائل سحرية فائقة إلى العالم النائي، بعد أن يلقى من الأهوال المتصاعدة ما لا طاقة لإنسان به . ويبلغ قصر ملك ملوك الجن ، ويلقى هناك ألوان العذاب وينتصر بفضل الشياطين والجان التي تسخر لخدمته ، ويعود منتصرا إلى بغداد مع زوجته وولديه ... وعاشوا مع (والدته في أرغد عيش وأهناه ، إلى أن توفاهم الله . وسبحان الحي الذي لا يموت . وله الملك والملكوت)

وهذه القصة تصور العداء بين الشعوبية والعروبية ، كما أنها لا ريب تفسيلها أعلام نيرة، هي الإيمان والحب وقوتهما الغالبة ، والصبر والمثابرة وما يؤديان إليه من بلوغ المقاصد ، والعدل الذي لا يفرط في مثقال ذرة ، ثوابا على الخير وعقابا على الشر ... ومن قبل ذلك وبعده ، الرحلات وغناؤها الوفير وكسبها العظيم ... وأروع ما فيها من الدلالات الإصرار والتحمل ، رغم الأهوال والمشقات وألوان العذاب الأليم . وهكذا يثبت الرحالة المغامر ، بل ينتقل من شدة إلى أشد ، ويصر على تخطي العقبات الكأداء حتى يبلغ غايته ويحقق جميع مقاصده ...

● من أشهر الرحلات العربية ●

على أن رحلات الحقيقة لا تقل روعة وبهاء عن رحلات الخيال ، إن لم تفقها دلالة وبيانا .. فهي براهين مبنية على أن الحضارة العربية لم تكن أمرا سهل المنال ، وإنما نالها العرب ونشروا أعلامها النيرة في العالم ، بالعمل والعرق والمعاناة والتضحيات الجسام ، والطموح الذي لا يحده حد من القناعة والرضا بما هو كائن ...

وكانت الرحلات في أول أمرها سياسية تستهدف توثيق الروابط بين البلاد الإسلامية المترامية الأطراف .. ولكنها لم تلبث أن تعدت ذلك إلى خدمة الأغراض التجارية والاقتصادية ، والتعريف بالبلاد المختلفة : سهولها ووعرها ، وأوديتها وجبالها ، وطرقها البرية والبحرية ، خدمة للأهداف السياسية والتجارية والاجتماعية ...

على أن الحج ، أحد أركان الدين في عهد وحدة الدين والدولة ، كان من الأسباب الأساسية الحافزة للرحالة • كما أن الحج ذاته من القواعد الأولى للحفاظ على التضامن الاسلامى العالمي وتهيئة فرصة سنوية للمسلمين كي يتحاوروا ويتشاوروا في شئونهم ومصالحهم المشتركة ، والقضايا الانسانية العامة •

ومن أقدم رحالة العرب وجوابيهم أبو دلف بن مهلهل الشاعر • فقد ملكت عليه الرحلات فؤاده ، وسبق غيره الى زيارة الهند وكشمير والأفغانستان ، ثم كتب كتابه « عجائب البلدان » الذي يعتبر من اهم المراجع لياقوت والقزويني ويجمع فنون الأدب مع التاريخ والسياسة والجغرافيا •••

ومثله أبو الريحان محمد البيروني ، الرحالة الفيلسوف الرياضي الفلكي ، الذي يعد كتابه « تاريخ الهند » من أوثق المراجع وأوفاها في التعريف بالهند ومختلف أحوالها • كما يمتاز بالدراسة العلمية الصحيحة التي يعتز بها الفكر الانساني في العصور الوسطى وفي القرن العاشر الميلادي ، وتمهيدا للمواجهة العربية للتحدي الاستعماري الأوربي الصليبي كثر الرحالة وتعاظمت آثارهم على وجه ظاهر ••• ومنهم ابن خرداذبه عام اثنى عشر وتسعمائة واليعقوبي وقدامة عام اثنين وعشرين وتسعمائة ••• ومن أشهرهم وأوائلهم وأبقاهم أثراً المسعودي • فقد سافر الى ابن خرداذبة عام اثنى عشر وتسعمائة وهو لم يبلغ العشرين من عمره ••• ومنها انتقل الى الهند والخزر والتبت وجزيرة سرنديب • ثم عاد الى بلاد العرب فزار عمان • وقصد من بعد ذلك شاطىء بحر الخزر فزار بلاد الروم وسورية وفلسطين ومصر والسودان •

وأودع مشاهداته في أثره الشهير : « مروج الذهب » •••

ومن رحالة العرب في القرن الثالث عشر الميلادي ابن سعيد أبو الحسن على ابن موسى المغربي • وقد ولد عام ثمانية ومائتين وألف قرب غرناطة ، ودرس بأشبيلية ، وخرج للحج مع والده عام واحد وأربعين ••• وجذبتهما الاسكندرية فتوقفا بها • وتوفى والده بعد عامين ومكث ابن سعيد بها حتى عام ثمانية وأربعين ، حيث رحل الى حلب ودمشق والموصل وبغداد والبصرة ومكة • وبعد الحج عاد الى تونس وخدم أبا عبد الله المستنصر • وجذبته الرحلات مرة أخرى الى أرمينية عام ثمانية وستين ، ثم رجع الى تونس • وتوفى في آخر رحلة له بدمشق عام أربعة وسبعين ومائتين وألف •

● رحلة ابن جبير ●

ومن أشهر الرحلات العربية ذات الأثر لعصرها ، والباقية على الزمان حتى هذه الأيام ، رحلتا ابن جبير وابن بطوطة • وأود لذلك أن أقف قليلا عند كل منهما •••

وابن جبير هو أبو الحسن الكناني الاندلسي • ولد بمدينة بلنسية في منتصف القرن الثاني عشر الميلادي (١١٤٥ م) ••• وكان الحج حافزه للرحلة •

فقد رووا انه حين عمل كاتب السر لحاكم غرناطة شرب الخمر ، فعزم الحج تكفيرا عن خطيئته ، فذهب من غرناطة عام ثلاثة وثمانين الى سبتة ماراً بجزيرة طريف ، حيث ركب البحر الى الاسكندرية ••• وكان الصليبيون يحتلون في ذلك العهد الطريق المألوف الى مكة ، فسلك طريق القاهرة

فقرص فعذاب فجدة • وبعد أن حج زار المدينة والكوفة وبغداد والموصل وحلب ودمشق • وركب البحر من عكا الى صقلية • ثم عاد الى غرناطة عام خمسة وثمانين • ورحل الى المشرق بعد ذلك مرتين • وفي الثانية مات بالاسكندرية ، التي فتن بها وأجاد وصفها في كتابه • عام سبعة عشر ومائتين والف • ولكن كتابه لم يتضمن سوى حديث الرحلة الاولى

وفي رحلته ينشد الشعر في حبيبه الذي يخلفه بغرناطة بكما ينشد الشعر في كل بلد يزوره ··· وينشد قصيدة مستفيضة حين يبلغ مشارف كل من مكة والمدينة • لكن شعره ليس جيداً ، وتظهر فيه الصنعة ويبدو التكلف ···

ومن قوله في منى :

يا وفود الله فزتم بالمنى ... فهنيئا لكم أهل منى !
قد عرفنا عرفات بعدكم ... فلهذا برح الشوق بنا ···
نحن في الغرب ويجرى ذكركم ... بغروب الدمع يجرى هتنا ···

ويبدو التشاؤم عنده وسوء الظن بالناس بعد رحلاته وخبراته • وفي ذلك يقول الكثير ··· ومنه :

صبرت على غدر الزمان وحقده ... وشابت لي السم الزعاف بشهده •
وجربت اخوان الزمان فلم اجد ... صديقا جميل الغيب في حال بعده

لكنه لا ينتهي الى اليأس وانما الى القوة والاعتماد على النفس فيقول :

بنفسك صادم كل امر تريده ... فليس مضاء السيف الا بحده
وعزمك جرد عنه كل مهمة ... فما نافع مكث الحسام بغمده ··

ومما يمتاز به ابن جبير نقده لاساليب الحكم الغاشم، والطرازه للحكم الصالح وحملته على قطاع الطرق ، ودعوته الى كفالة الامن العام وبعرضه الموجز الوافي بمختلف البلاد ، وتحديده للاماكن في دقة وتعيينه للتواريخ بالتقويمين الهجري والميلادي ···

• رحلة ابن بطوطة •

واشهر الرحلات العربية في العالم ، وأبقاها أثراً غير منازع ، هي رحلة ابن بطوطة ·· وهو محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم اللواتي الطنجي ··· وموطنه الاصلي بلاد برقة حيث منازل قبيلة لواته على الحدود المصرية ثم طنجة بالمغرب • وقد ولد في السنة الرابعة للقرن الرابع عشر الميلادي وتوفي عام سبعة وثلاثمائة والف وقد بدأ رحلاته في الثانية والعشرين ، وقطع فيها ما يقدر بمائة وعشرين الف كيلو متر ، واستنفدت منه ثمانية وعشرين عاما ··· وجاب اكثر ما عرف لزمانه من بلاد العالم ···

وفي الرحلة الاولى ، التي استغرقت اربعة وعشرين عاما ، مر بمراكش والجزائر وتونس وطرابلس الغرب ومصر. وقصد البحر الاحمر مارا ببلاد الصعيد ولكن الحرب القائمة حينذاك بين المماليك والبجاة اضطرته للعودة

الرحلات
في الأدب العربي القديم

الى الفسطاط ومنها رحل الى فلسطين ولبنان وسورية والحجاز حيث حج حجته الاولى .

ومن مكة سافر الى العراق وفارس والاناضول ، ثم عاد الى مكة حيث أقام بها عامين وحج حجته الثانية .

ومن بعد ذلك سافر الى اليمن فافريقية الشرقية ، وعاد الى جزيرة العرب فالخليج ، حيث زار عمان والبحرين والاحساء ثم رجع الى مكة فحج حجته الثالثة .

ومن مكة رحل الى خوارزم وخراسان وتركستان وافغانستان وكابول والسند وانتهى الى الهند حيث ولاه ملكها محمد شاه القضاء المالكي . كما أرسله في وفد الى ملك الصين ... ومن هذه البعثة عاد الى سومطرة وفارس والعراق وسورية وفلسطين ، وبلغ مكة حيث حج حجته الرابعة . ومن هنالك عاد الى موطنه فاس ، مارا بمصر وتونس والجزائر ومراكش . لكنه ل يستقر فيها سوى عامين ثم قام برحلته الثانية الى بلاد الاندلس .

واتبعهـا في عام اثنين وخمسين وثلاثمائة والف برحلته الثالثة والاخيرة الى بلاد افريقية الوسطى ، حيث زار سجلماسة وتغازا ومالي وزاغري وكارسخو وتمبكتو وتكوا وهكار ، ثم رجع الى فارس ...

ويعتبر ابن بطوطة أول سائح يكتب عن مجاهل افريقية الوسطى ... وقد اثارت رحلته الافكار ، واختلف الناس في رواياته بين مصدق ومكذب كما يقول ابن خلدون ، لكن المؤرخين الغربيين يجمعون على صدقه ويؤكدون الفائدة العظمى التي اعادها على علم تقويم البلدان ، والمعرفة بالاقطار المعمورة ونظم الحكم المختلفة لذلك الزمان ...

وتظهر في رواياته آيات الايمان والصدق والبساطة والنزاهة . وقد اكرمه أبو عنان سلطان المغرب، وضمه الى حاشيته . وطلب الى كاتبه الاديب محمد بن جزي الكلبي أن يصوغ مايمليه عليه ابن بطوطة . فصاغه في اسلوب ادبي ، وأضاف اليه بعض الاشعار التي قيلت في البلاد التي يقص حكايتها ابن بطوطة . واكتملت بهذا رحلته المساة (تحفة النظار ، في غرائب الامصار ، وعجائب الاسفار).

وتظهر عناية ابن بطوطة بشئون الدين والحكم في رواياته ، كما تظهر عنايته بوصف البلدان وما تحويه من الانهار والجبال والوديان ... لكن قيمته الفريدة في تصوير ابن بطوطة للشخصيات الحاكمة والقضائية وسائر أولى الامر الذين التقى بهم .. فهو من هذه الناحية تاريخ اجتماعي قيم ...

وبالرحلات عظمت مساهمة العرب في التقدم العلمي والحضارة الانسانية . ولهذا لم يكن عجبا ان يكون الادريسي الجغرافي العربي ، للقرن الثاني عشر الميلادي ، اول مكتشف لمنابع النيل وراسم مصور جغرافي لها ، وأن يكون معلم الغربيين في هذا الميدان ، مثلما كان العرب اساتذة البحرية ومؤلفي علومها وصانعي ادواتها .

ولم يكن عجبا ان يرشد ابن ماجد الخليجي العربي فاسكودي جاما في اكتشافاته البحرية للقرن الخامس عشر ... ولم يكن عجبا ان يسبق العرب الامم الاخرى في علوم الفلك والرياضيات وتقويم البلدان .

ومن ذلك كله يبين ان الرحلات العربية كانت مصدر غناء للادب العربي وللتقدم الانساني ، وللحضارة العربية الرائدة في أبهى عصورها ...

فاروق خورشيد

الرحلات فى أدبنا المعاصر

ارتبط ادب الرحلات بمعالم حركة النهضة الحديثة .. بل ان الدارس لهذا اللون من الادب فى ادبنا الحديث يدهش اذ يكتشف انه من اهم معالم مرحلة اليقظة الاولى التى صاحبت حركة التمرد على التخلف الذى عاشته امتنا تحت جهل الحكم العثمانى كما صاحبت حركة التمرد على محاولات الاستعمارين الفرنسى والانجليزى السيطرة على الثقافة العربية ووضعها فى القالب الذى يسهم فى قتلها ووأد وجودها ... وهى بالتالى قد صاحبت حركة الثقافة الهائلة التى استطاعت ان تخرج الى النور هذا الشعب العربى الجديد الذى يكافح ليأخذ مكانا له فى عالم سمته الاولى التقدم المستمر والتطور الهائل والمعرفة التى لا حد لها ..

ان الدارس «لادب الرحلات» فى ادبنا الحديث يدهش اذ يكتشف ان اى دراسة حقيقية لهذه المرحلة ، مرحله البعث لامتنا لن تكتمل لها ادوات البحث ، وان تتضح لها معالم الصورة ، ما لم تكن صورة هذا الادب ـ ادب الرحلات ـ مجلوة امامها ، واضحة الاتجاهات والمعالم ، بارزة الابعاد والمعانى .. فالدراسة لهذه المرحلة سواء كانت دراسة تاريخية أم اجتماعية ، ام كانت دراسة للحركة الادبية ، لن تعرف حقيقة التيارات التى لعبت دورها فى تكوين العصر ، ولن تعرف حقيقة الرجال الذين كونوا كفاح هذا العصر ، الا بازاحة النقاب عن حقيقة ما يحمله ادب الرحلات من جلاء للتيارات وازاحة للستر عن اسبابها ونوعياتها ، وما يحمله هذا



رفاعة الطهطاوى

الادب من رسم لعالم الرجال ، وابراز لنزعاتهم وطموحاتهم والاهداف التى تحكمت فيهم ..

وهذا العصر ـ عصر البعث ـ كان عصر التيارات الصاخبة المتباينة المتصارعة ، كما كان الرجال الرواد المندفعين فى حماس ، والمتطلعين لارتياد الفكر والقومية والعلم ، والمدركين لخطورة دورهم على حياة أمتهم وعلى صورة مستقبلها ..

ومن هنا امتزجت فى هذا العصر تيارات السياسة بتيارات الفكر ، كما امتزجت فى نفوس الرجال معارك السياسة بمعارك البناء الاجتماعي والبناء الفكرى للأمة على السواء .. ولن تجد مفكرا فى هذا العصر لم يتناول مشاكل السياسة على قدم المساواة مع مشاكل التحرير الاجتماعي ومشاكل النهضة الفكرية جميعا .. وقد فرضت طبيعة هذا العصر نفسها على التيارات المتصارعة وعلى الرجال الرواد ، وسواء كانت هذه الطبيعة نابعة من واقع المجتمع العربي نفسه ، أم من الصراعات العالمية حوله الا انك لن تستطيع ان تخرج هؤلاء الرجال والرواد من الدوامة الهائلة التى وضعتهم طبيعة العصر هذه فى اسارها .. وجاء انتاجهم الفكرى كله متأثرا بوجودهم فى اسار هذه الدوامة ، كما جاء أدب الرحلات الذى انتجوه صورة حقيقية معبرة عن عنف تيارات هذه الدوامة وشدة أسرها . فالرحلات نفسها ، تلك الرحلات التى انتجت هذا الادب ، خضعت فى أسبابها وفى الانطباعات الاساسية التى خلفتها ، لاحتياجات العصر وظروفه ، كما خضعت أيضا للدوامات الحضارية التى تحكمت فى العصر والرجال على السواء .

وأول كتاب من أدب الرحلات يبرز لنا كل هذه المعانى هو كتاب رفاعه رافع الطهطاوى « تخليص الابريز فى تلخيص باريز » ، فهذا الكتاب يرسم صورة المحاولة التى يقوم بها شرقنا العربى فى ارساء جسور جديدة قوية بينه وبين الغرب الذى سبقه سبقا هائلا فى مضمار العلم والعرفان ، وفى ميدان التمدن الحضارى . الرحلة نفسها كانت رحلة طالب العلم المتواضع الذى يذهب الى منبع النور ، خارجا من غياهب متاهات الظلمة المتردية التخلف ومنطلقا من نفس تحس الضآلة الشديدة امام ما ستلاقى من معرفة ، وبالخوف والشك فى قدرتها على تحقيق ما يراد منها ولها من الأخذ بأسباب هذا العلم الذى كفل للغرب التفوق ، وأعطاه القدرة والقوة على هزيمة تيار الشرق التى عاشت طويلا فى حلم التفوق الخرافى على العالم

أدب الرحلات

كله لتستيقظ فجأة على واقع تخلفها المزرى ، وجهلها الكامل المقيت ، فهذه الرحلة اذن رحلة لقاء بين طفولة جديدة للشرق العربي، ورجولة عارمة متكاملة للغرب . والرحالة الشرقي فيها طالب علم ، وطالب معرفة ، وهو يعرف مكانه جيدا فى مقعد الدرس ومكان الطلب ، وهو بهذا يرسم صورة حقيقية للروح الجادة ، والعزيمة الصادقة التى اخذ جيل الرواد انفسهم بها ، فهم ايا كانت مكانتهم فى بلادهم طلبة علم ومعرفة، لا فى قاعة الدرس وحدها ، وانما فى كل الفرص التى تتيحها لهم حياتهم اثناء الرحلة للمعرفة والاطلاع ، والاحتكاك الحضارى الثرى ...

ويقول رفاعه فى ص ١٤٠ من نسخة هيئة الكتاب عام ١٩٧٤ التى قدمتها للكتاب بتحقيق الدكتور محمود فهمى حجازى : « فلما رسم اسمى فى جملة المسافرين ، وعزمت على التوجه ، اشار على بعض الاقارب والمحبين ، لا سيما شيخنا العطار ، فانه مولع بسماع عجائب الاخبار ، والاطلاع على غرائب الاثار — ان انبه على ما يقع فى هذه السفرة ، وعلى ما اراه وما اصادفه من الامور الغريبة ، والاشياء العجيبة ، وان اقيده ليكون نافعا فى كشف القناع، عن محيا هذه البقاع ، التى يقال فيها انها عرائس الاقطار ، وليبقى دليلا يهتدى به الى السفر اليهـا طلاب الاسفار ، خصوصا وانه من اول الزمن الى الان لم يظهر باللغة العربية — على حسب ظني — شيء فى تاريخ مدينة باريس كرسى مملكة الفرنسيس ولا فى تعريف احوالها واحوال اهلها ، فالحمدلله الذى جعل ذلك بالفاس ولى النعمة وفى عهده وبسبب عنايته وتقويمه للعلوم والفنون » .

وهذه الوقفة من رفاعة ومن شيخه واستاذه حسن العطار شبيهة بوقفة شيخ المؤرخين فى عصره الشيخ الجبرتى وهو يزور المتحف الفرنسى اثناء احتلال نابليون لمصر ويطلع على الادوات والبحوث والخرائط والصور التى استعان بها الفرنسيون فى دراستهم لمصر — فهو موقف المتطلع المندهش ، وهو فى نفس الوقت موقف الراغب فى المعرفة المقر بضرورتها واهميتها ... وقد كان هذا الموقف هو السمة الغالبة دائما فى معظم واهم الاعمال التى قدمت فى ادبنا المعاصر لادب الرحلات فموقف التلميذ المتطلع الى الاستاذ ، موقف الطالب الذاهب الى مناهل العلم والمعرفة هو الموقف الذى شكل عمل رفاعة رافع ، كما شكل اعمال توفيق الحكيم وهيكل وحسين فوزى ، بل لعله الموقف الذى يشكل اعمال الكثيرين من الكتاب والمفكرين الى اليوم . ويبرز الدكتور حسين فوزى فى كتاب سندباد الى الغرب (طبعة دار المعارف) هذا الموقف ابرازا واضحا حين يقول فى ص ٢٨٤ : « عندما وضعت قدمى على الباخرة « الجنرال متزنجيه » كنت اعرف مالى ، وهو لا شيء ، وما على وهو كل شيء . انا مدين لوالدى واساتذتى واصدقائى وحكومتى بكل شيء ، ومهمتى باوربا الوفاء بهذا الدين ، ولم يطلب هؤلاء مالا ، وان تكلفوا الكثير فى سبيلى ، وانما هم يقتضوننى الدين علما ومعرفة اولا ، ثم وضع هذا العلم والمعرفة فى خدمة وطنى » .

وعلى الرغم من الزمن الطــويل الذى انقضى بين كتــابة الرحلتين ، رحلة رفاعة الى باريس ورحلة حسين فوزى الى الغرب كله ومن من باريس، وهى رحلة تتم بعد الحرب العالميــة الثانية ـ الا أنك ستجد ان موقف الطلب عند الاثنين واحد ، وان منبع هذا الطلب والموحى به والمتكفل به

د . حسين فوزى



د . محمد حسين هيكل



واحد أيضا ..

وعند الاول يتركز الوطن فى واحد هو ولى النعم ، وعند الثانى يتركز الوطن فى الجماعة كلها على السواء سواء كانت هذه الجماعة محيطا من المثقفين الواعين المتطلعين الى تغيير صورة الوطن من الاهل والاساتذة والاصدقاء ، أم كانت هذه الجماعة هى الحكومة التى تصبح اسما عاما يطلق على الجهاز الادارى الحــاكم كله لا على شخص بذاته ، او على انسان بعينه ، فارادة ولى النعم هى التى أرادت المبعوثين الى اوربا لكى يعودوا بالعلم والمعرفة ، وارادة مصر كلها هى التى أرادت حسين فوزى بعد ذلك لكى يقوم بنفس المهمة ... ولكن رفاعة وفوزى كليهمــا طالب موفد من مصر لخــير الامر ، ومن الشرق كله فى الحقيقة ليحصل لهما على ما شــاع منهما وسـط زحام الجهل والتخلف الذى ارغمت عليــه مصر والعالم العربى فترة طالت من الزمن .

وكتاب رفاعة « تخليص الابريز » تقرير مرفوع منه الى « ولى النعم » عن الرحلة وعن الدراسة وعن كل ما تمكن رفاعة من تحصيله من علوم ومعارف ، او من ملاحظاتـــــه من سلوك وعادات، ولكنه لم ينس اطلاقا أن هذه الرحلة ذات ثمار هامة يجب أن يستفيد منها ابناء بلده ، فراعى أن يعرض فيها لأملاكه وافكاره ، كما راعى أن يملاها بالمعارف الهامة التى تكمل الصورة لقارىء الرحلة ، فلم يترك مناسبة الا وترك فيها وصف الرحلة نفسها ليستطرد الى المعلومة التى يحس أن واجبه يفرض عليــه اضافتها ، وهذه المعلومة اما جغرافية واما تاريخية واما أدبية ، فأحداث الرحلة هنا وسيلة الى غاية أهم وهى استكمال المعلومات التى يحس رفاعة انها تنقص معاصريه ، أو التى يحس

أدب الرحلات

انها تفيد القارىء ليتابع تطوره الذهني هو . وليفهم سر الانطباعات الفكرية أو الفلسفية التي يثيرها حدث من أحداث الرحلة أو مرحلة من مراحل الدرس . فطالب العلم يقدم تقريرا عن سيره في تعلم اللغة ونحوها . وفي تغلبه على صعاب العلوم الجديدة يجتازها واحدة اثر أخرى ، ولكن طالب المعرفة لا يسعه الا أن يناقش ويقارن ، ويترك لرؤيته الجديدة أن تتبلور في وجدانه وثقافته محدثة فعلها الهام في تطوره الفكري والنفسي .

ويقول رفاعة في ص ١٤١ من نفس الطبعة . « وليست هذه الرحلة مقتصرة على ذكر السفر ووقائعه ، بل هي مشتملة أيضا على ثمرته وغرضه . وفيها ايجاز العلوم والصنائع المطلوبة ، والتكلم عليهما على طريق تدوين الافرنج لها ، واعتقادهم فيها ، وتأسيسهم لها .. ولذلك نسبت في غالب الاوقات الاشياء التي هي محل للنظر أو للاختلاف . مشيرا الى ان قصدي مجرد حكايتها » فرفاعة اذن طالب علم وطالب معرفة أو بمعنى أوضح ان طالب العلم ذهب الى باريس في رحلة من أجل التحصيل الذي يرضي « ولي النعم » . وفي رحلة من أجل الحضارة التي ترضي نفسه المتطلعة والتي تضيف الى أمر يمثل ما يضيف العلم .

●●●

وهذا الموقف نفسه موقف من تابع رفاعة في رحلاته الى باريس وأوربا ، نفس ما نجده عند توفيق الحكيم في ، « زهرة العمر » وفي « عصفور من الشرق » ونفس ما نجده عند هيكل في كتاب رحلاته العظيم « ولدي » ، بل هو نفس ما نجده في سندباديات الدكتور حسين فوزي الذي جعل حياته وكتبه ، حياة وكتب رحلة دائمة بحثا عن العلم وبحثا عن المعرفة والحضارة ..

ويقول الدكتور حسين فوزي في ص ٢٨٣ من « سندباد الى الغرب » « جاهدت طول حياتي ، وما برحت وسأجاهد ــ نحو غاية واحدة لا أحيد عنها ولا أميل : المعرفة ، لانني صدقت موضوع المفاضلة بين العلم والمال ، وكان الاساتذة ــ في زماني الاول ــ يدافعون عن العلم ، ويطمئنوننا الى تفضيل العلم ، ففضلت العلم .. وكان والدي واساتذتي واصدقائي لا يعرفون غير مصدر واحد لهذا العلم ، هو أوربا ، وحضارة أوربا ، فأحببت أوربا ، وحضارة أوربا » .

وسنجد هنا هذه الوقفة المتطلعة المندهشة من معطيات الحضارة والفكر عند أبناء الشرق عند كل كتاب الرحلة في أدبنا الحديث منذ رفاعة رافع ، وتوفيق البكري ، واحمد فارس الشدياق ، والشيخ رشيد رضا ، والبتانوني .. الى أبناء جيلنا من أمثال صالح جودت وأنيس منصور نفس التطلع المبهور بالحضارة الغربية ومعطياتها وبالعلم ودوره ومنشآته ، وبالمتاحف والمعارض ، بالمسرح والفن التشكيلي والمعماري ، بالسلوك والعادات والتقاليد ، بالروح الوثابة المغامرة ، وبالحس الذائق بمعنى الفن والفكر ، والتقديس الكامل

للحرية والبوهر الانسانى .

الا ان تيارات الحياة القوية التى تعيشها بلادنا فى تطلعها الى اللحاق بالموكب الذى سبق عكست وجودها وآثارها بحدة . اول هذه التيارات هو المعركة المحتدمة ابدا حول الشرق والغرب ... اى بين التقدم المطلق والتقدم الحاذر أو الرجعة والوقوف ، ويظهر هذا الموقف عند رفاعة فى قوله ص ١٤٧ « مثلا البلاد الافرنجية » قد بلغت أقصى مراتب البراعة فى العلوم الرياضية والطبيعية وما وراء الطبيعة اصولها وفروعها ، ولبعضهم نوع مشاركة فى بعض العلوم العربية وتوصلوا الى فهم دقائقها واسرارها كما سنذكره ، غير انهم لم يهتدوا الى الطريق المستقيم ، ولم يسلكوا سبيل النجاة ولم يرشدوا الى الدين الحق ومنهج الصدق . كما ان البلاد الاسلامية قد برعت فى العلوم الشرعية والعمل بها ، وفى العلوم العقلية ، واهملت العلوم العقلية بجملتها ، فلذلك احتاجت الى البلاد الغربية فى كسب مالا تعرفه ، وجلب ما تجهل صنعه » .

وموقف الحذر هذا من الغرب حفاظا على الدين صاحبه دائما التنبيه على أن الغرب رغم كفره بالدين الاسلامى الا أنه مصدر هام لا شك فيه لاستيراد العلوم والمعارف التى لا بد منها لتلحق الامم الاسلامية بموكب الحضارة من جديد ...

وقد تطور هذا الموقف منذ ايام رفاعة الى ان اصبح قضية معلنة تجرى فيها المناقشات والمحاورات بين الشرق والغرب ... وستلمح هذه القضية فى كل كتب الرحلات التى تلت كتاب رفاعة رافع ، بل انك ستلمحها فى حياة المفكرين والادباء الشرقيين بعامة وفى كتاباتهم التى كشفت عن موقفين متناقضين ، احدهما ينادى بان نأخذ بأسباب العلم والفكر واساليب الحياة وتقاليدها من الغرب ، تاركين كلية كل ارتباط بالشرق الذى أصبح عندهم رمز التخلف ، بينما ينادى الموقف الاخر بضرورة الارتباط بالحضارة الام ، حضارة الشرق بكل ما فيها من قيم وروحانيات ... وبين الموقفين مواقف أخرى تحاول ان تتوسط بين الموقفين ، الا ان اصحاب الرحلات بعامة كانوا لا يستطيعون رغم تمسك بعضهم بكل مافى الشرق من قيم وبكل ما فى الدين من معطيات الا ان يطالبوا بالاتصال بالغرب وعلومه وفنونه مستهينين بكل المخاطر التى قد يوردها اصحاب الرأى المناوىء .

ومعركة الشرق والغرب لها جانب هام فى كتب الرحلات ، اذ ان ادباء الرحلة التفتوا الى ما يجذب اصحاب النفوس الضعيفة من ابناء الشرق حين تبهرهم بلاد الغرب بلهوها ومجونها فينصرفون عن معارفها وعلومها وفنونها الى متعتها المبتذلة الرخيصة ، والى ماتتيحه حياة الانطلاق فيها من مزالق تجعل كل استفادة للشرقى الوافد ضائعة وسط المغريات والفتن الغريبة عليه ، والجديدة فى حياته

ولم يك كاتب واحد من كتاب ادب الرحلات أن يقف وقفة الحذر دائما ووقفة الشارح ابدا لهذا الخطر الماثل امام كل شرقى يرحل الى بلاد الغرب ، فيقول احمد فارس الشدياق فى كتابه الهام « الساق على الساق ــ ص ٥٢٩ » من طبعة مكتبة الحياة : ببيروت « فاما انت يا سيدى

أدب الرحلات

الفنى فالاولى لك ان تسافر من مدينتك العامرة حتى ترى بعينيك ما لم تره فى بلدك . وتسمع باذنيك مالم تسمعه وتختبر احوال غير قومك وعاداتهم واطوارهم وتدرى اخلاقهم ومذاهبهم وسياستهم ثم تقابل بعد ذلك بين الحسن عندهم وغير الحسن عندنا . ومتى دخلت بلادهم وكنت جاهلا بلغتهم فلا تحرص بحالك على تعلم كلام الخلائق منهم اولا . او تستحلى الاسماء من اجل المسميات .

ويقول : حاجتك عن ان تكون كبعض المسافرين الذين لا يتعلمون من لغات غيرهم الا اسماء بعض الاشياء والعبارات الاخرى السخيفة . لا بل ينبغى لك حين تدخل بلادهم سائلا ان تقصد اولا كل هذه المدارس والمطابع وخزائن الكتب والمستشفيات والمكاتب . الى الاماكن التى يخطب فيها العلماء فى كل الفنون والعلوم . فمنها ما هو معد للخطابة فقط ، ومنها ما يشتمل على جميع الآلات والادوات اللازمة لذلك العلم » .

« ولهذا التحذير الذى التفت اليه كتاب الرحلات الاوائل مثل رفاعة رافع واحمد فارس الشدياق والشيخ رشيد رضا ،، اثره البارز فى كل اصحاب كتب الرحلات التى تلت كتبهم الرائدة هذه ... فلسنا واجدا احدا منهم لا يهتم بالتعبد فى محاريب الفن او لا يلتفت الى مجالات العلم فى كل ارض يزورها من ارض الغرب المليئة بالحركة الفنية والنشاط العلمى .

والى جوار وقفة توفيق الحكيم المبهورة بين المتاحف ودور الموسيقى والمعارض والمكتبات فى كتابه (زهرة العمر) ، نلمح عند الدكتور هيكل فى كتابه « ولدى » الذى صدر عام ١٩٣١ تطبيقا كاملا لهذه النصيحة الغالية التى جعلت من باريس ولندن وغيرهما من مجالات للفن والعلم ينهل منهما الشرقى الوافد كل ما يستطيع وخير ما يستطيع .

ويقول الدكتور هيكل واصفا باريس فى ص ٥٠ من كتابه طبعة مطبعة « السياسة » : « .. وكما انك لتخطى طريق الاوبرا ما بين معبد الموسيقى (الاوبرا) ومعبد التمثيل (الكوميدى فرانسيز) فانك لا تسير فى اتجاه الطريق نفسه ما تلبث بعد خطوات ان ترى امامك المعبد الاكبر للنقش والتصوير اذ تقابلك البوابات الضخمة المؤدية الى الفناء الفسيح ، فناء معبد اللوفر » ويقول فى ص ٥٦ - ان ما يقع عليه نظرك كفيل وحده بان يريك من هذه الاجيال ونبوغها وسمو فنها وقوة عاطفتها وجلد الزعها وبيانها ما يشعرك نفسك صغيرا بينها بانقطاعك عنها ، كبيرا معها باشتراكك واياها فى ذوق الفن والسعى لمزيد منه تستمتع الانسانية به » .

هذه الوقفة امام معطيات الغرب الفنية والثقافية تشكل اهم ملمح من ملامح ادب الرحلة فى مطلع حياة ادبنا المعاصر ، وهو ملمح جسير

بالالتفات الا انه لا يشكل انبهارا بالشكل الفنى والحضارى لحياة الغرب وحسب ، ولكنه يشكل ايضا وقفة امام التطورات السياسية التى حدثت فى دول الغرب سواء نتيجة الثورات او نتيجة الفكر الفلسفى للغرب .

ورفاعة يتحدث فى تلخيص الابريز عن التشريع وفصل السلطات ونظرية الدولة وفلسفة الحكم التى تقوم على ان الامة مصدر السلطات وان الميثاق الدستورى يحدد الاطار القانونى لممارسة هذه السلطات ، رفاعة يجعل من كتابه عرضا لاهم ملامح التطور الفكرى والسياسى الذى شهده فى فرنسا داعيا بلاده اليه ، موجها نظر ، ولى النعم ، الى اهميته وخطورته فى ارساء قواعد الحكم فى البلاد . بينما تجد رشيد رضا يحذر الاغنياء من انعزالهم عن العمل فى سبيل

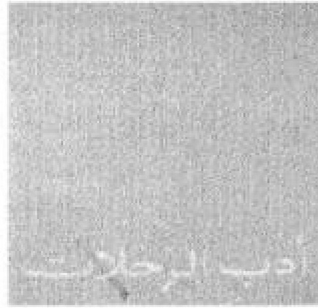
توفيق الحكيم



المجموع فى قوله فى صفحة ٤٧ : « فاعلموا أن ما تعودتموه من الجاه والكرامة فى وطنكم لا يبقى لكم الا اذا كان الشعب يحبكم بتحببكم اليه قبل ذلك » .

ثم يستطرد فى بيان اسباب التحذير الى أن يقول : « وانتى احب أن تكونوا انتم زعماء بلدكم فى زمن الحرية وتحت ظل الدستور بأن تتجهوا الى الشعب منذ اليوم بنشر التربية والتعليم فيه ومواساة الفقراء والمساكين من أهله » ، وهكذا كما انقسم كتاب ادب الرحلات بين الشرق والغرب ، وبين التقدم والوقوف ، انقسموا امام الفكر السياسى الوافد منهم من احس بضرورة الاخذ بالمعطيات السياسية الجديدة التى كشفتها لهم رحلاتهم الى الغرب،ومنهم من حذر منها ونبه اصحاب السلطان الى خطرها عليهم وعلى سلطانهم .

واذا كان ادب الرحلات الذى بدأ مع حركة البعث والتطور ليعكس قضايا هذه الحركة ومشاكلها المتعددة وليعكس الصراع الذى دار بين قوى التقدم والتحرر ، وقوى الجمود والتبعية فان هذا الادب عكس ايضا صورة الصراع على الاسلوب واللغة ، وستجد فى محاولات الشدياق ورفاعة انعكاسا كاملا لهذا الصراع فيما اخذوا به من ارتباط ببعض التقاليد الثابتة مع محاولة لتطوير الاسلوب تطويرا يدفعه الى مجال الاستعمال الاكثر رحابة والاكثر صدقا ، والابعد عن التعقيد والاسراف فى المحسنات التى كانت تسود اساليب ابناء عصرهما . يقول الشيخ نسيب الخازن



كاتب مقدمة « الساق على الساق » في صفحة ٥٠ من الكتاب « لا نخال كاتبا جدد عهد الجاحظ وابى حيان التوحيدي كما فعل الشدياق مع ما هناك من الفوارق بين العهود » .

والحقيقة ان ادب الرحلات وقد سبق الادب القصصي ـ قد استطاع ان يقفز بالاسلوب العربي قفزات واسعة في محاولة لاخراجه من المأزق الذي اوقعه فيه تمسك كتاب العصر بالحلى والسجع في مفهوم خاطىء لمعنى الادب ورسالته . ولا شك ان ادب الرحلات بهذا يكون قد خاض معركة تعرض لها الادب العربي الحديث كله ، واعنى بها معركة الاسلوب ، ومعركة اللغة المستعملة في الكتابة الادبية . ولهذا لم يكن عجيبا ان تكون صرخة توفيق الحكيم « اين الاسلوب » صادرة منه في رسائله الى صديقه « اندريه » وهو يحادثه عن باريس ومغامرات باريس وانطباعاته عن حياة الفن في باريس ... هذه الصرخة التي تلخص كل رحلة الحكيم في كتابه « زهرة العمر » انما تعبر عن كل ادب الرحلات في مطلع حياتنا الثقافية المعاصرة ، اين الاسلوب » ؟

اين هو في الحياة والفن والعلم والفكر والسياسة .. ؟

من اجل البحث عن الاسلوب كتب هؤلاء الرحالة الادباء رحلاتهم ، مسجلين مرحلة هامة من البحث عن الذات في الادب الحديث ، ومسجلين اللقاء التاريخي الرائع بين ابناء شرقنا وبين النور في مصادره التي بهرت عصرهم كله ..

وبحثا عن الاسلوب سافروا وكتبوا وبحثا عن الاسلوب نقلوا خواطرهم وانطباعاتهم وافكارهم وصراعاتهم المرة في اذرع الخطوط شخم اذرعه صراعات العالم حولهم ، وصراعات التيارات الخفية التي عملت عملها في تمزيق مفكريهم وكتابهم .

ولسنا نحسب الوان ادب الرحلات في ادبنا المعاصر يحتاج الى دراسات تتناول كل جوانبه فهو كنز لم يفتح بعد ، وهو ضرورة حتمية لكل من يريد دراسة حياتنا المعاصرة وادبنا المعاصر المعبر عنها ، وهو اساس حقيقي لكي نفهم تطور الشخصية العربية والمصرية منذ مطلع حركة البعث والتطور الى يومنا هذا

وان كنا لم نقف في مقالنا هذا عند الرحالة العلميين او المغامرين كالاستاذ محمد ثابت او احمد حسانين (باشا) فذلك لان كتبهم ادخل في باب الجغرافيا البشرية منها في باب الادب ... وان كان لا بد لكل من يريد صورة متكاملة عن ادب الرحلات من الدراسة الذاتية لاعمالهم ، اما دراستنا السريعة هذه فقد تناولت اعمال الادباء الذين كتبوا الرحلات ، لما لهذه الاعمال من ثراء في كشف صورة العصر ومشاكله واهتماماته ، ولما لها من اهمية في معرفة مرحلة هامة من مراحل تطورنا الادبي ، والموضوع بعد يحتاج الى جهد كبير ، تدعو ادباءنا ونقادنا ودارسينا الى الاهتمام به ، والعناية بالوقوف عنده



د. سيد كريم

الرحلات الفرعونية في الأدب المصرى القديم

مصر هي الحضارة .. والمصري القديم هو أول من شق طريقها ، كانت طبعات أقدامه على ذلك الطريق هي الآثار التي التقطتها الحضارات الانسانية جميعها في مختلف عناصر تكوينها .. من فنون وآداب وعلوم ومعرفة .

كان المصرى أول من امسك بالقلم ، صنعه من قلب النيل وسيقان البردى ، ليسجل افكاره ويكتب تاريخه فكان أول من اصطنع ورق الكتابة من نبات البردى « بابيروس » فاعترف له العالم بفضله فأطلق على الورق بجميع انواعه وفي جميع اللغات نفس الاسم

كان أول من اخترع حبر الكتابة من عصير نبات النيله التي نسبت ايضا الى النيل المقدس .. الذي امده بالقلم والورق .. فكان المصرى أول من كتب .. وأول من قرأ .. خط لنفسه أول ابجدية في الوجود جمعت بين الفن والعلم والادب جعل من الكتابة فنا جميلا ومتحررا .. يرسم كتابته من اليمين الى الشمال .. ومن الشمال الى اليمين ويضع الأفقى أو الرأسى كما يمليه عليه احساسه بالفن ، وبالجمال

وكانت أبجديته المتكاملة اما ابجدية فردية تتكون من ١٦ حرفا ، كل حرف ينطق بصوت واحد ، واما ابجدية مزدوجة ينطق رمز بصوتين ، واما ابجدية مثلثة يعبر كل شكل من ثلاثة أصوات ..

ووضع لكتابة ابجديته ثلاثة خطوط وثلاث لهجات

الخط الهيروغليفى « هيرو ــ غليفوس » النقش المقدس

والخط الديموطيقى ــ اى الخط الشعبى

والخط الهيراطيقى ــ اى النقش الكهنوتى

فسجل بالخط الهيروغليفى افكاره المقدسة واسرار المعرفة ومعتقداته ، وبالخطين الديموطيقى والهيراطيقى كتب احاديثه وادبه واشعاره واغانيه وملاحم اساطيره .. وادب رحلاته .

● أدب الرحلات الدينية ●

عرف المصريون القدماء الرحلات ومارسوا مغامراتها منذ فجر التاريخ وفي عهود ما قبل الاسرات . فلا تخلو آثار نقوشهم التي كانت أول بصمات للحضارة من نقوش ورسوم رحلات الصيد وصور السفن التي تعبر البحار ، وأشكال الحيوانات التي لم تكن موجودة بأرض مصر ، واضافوا اليها حيوانات خرافية وكائنات اسطورية داعبت خيال الفنان والاديب القديم . فكانوا أول من صاغ اسطورية داعبت خيال الفنان والاديب التي عرفها الانسان - استمدت عناصر تكوينها من مغامرات الرحلات وانعكست بدورها على مختلف نواحي الادب منذ نشأته .



الحيوانات والكائنات الخرافية كما تخيلها المصري القديم فصورها في اساطير رحلاته «حفريات ما قبل الاسرات»

فأدب العقيدة وهو أول أدب خطه قلم الحكيم المصري وصاغه خيال ابنائه على شكل أساطير من الرحلات الى العالم الآخر او عالم الغيب والمجهول ، فكانت كتب العقيدة وتعاليمها السماوية ومتونها الدينية ككتب الموتى ومتون الاهرام وتام الدوات ورسالة الطريقين عبارة عن أساطير رحلات الروح الى العالم الآخر وانطلاقها في سفن الشمس عبر بحار السماء ومغامراتها في العالم السفلي واختلاطها بالنجوم الازلية .

فكتاب الموتى للحكيم اني - وهو من اقدم نماذج كتب الموتى التي وصلتنا كاملة في بردية واحدة طولها ثلاثون مترا وعرضها ٤٠ سم محفوظة بالمتحف البريطاني وهي مزينة بالصور والرسوم الملونة - يصف اني رحلة مغامراته الى العالم الآخر على انها تجربة واقعية مارسها بنفسه على انه قد مات فعلا وانتقلت روحه الى العالم الآخر ليقوم برحلة القدر والمصير ابتداء من مفارقتها للعالم الارضي حتى وصولها الى عالم الخلود ، ثم بعث ثانية ليعود الى الارض ليسجلها كرسالة من السماء الى البشر تضم تعاليم الاله ونصوص العقيدة في قالب روائي ادبي معا يدور في الرحلة من حوار ومشاهدات يصف اني في كتابه رحلة الروح يوما بيوم ابتداء من مفارقة الروح للجسد الارضي وتحنيط الجثة ومراسيم الاحتفالات الجنائزية وانتقال المومياء عبر النيل لتسير في طريق

الغروب أو طريق دورة الاله حتى تدخل القبر ... ثم يصف انتقالها في مركب الشمس عبر الفضاء الأزلي لتصل الى محكمة التحضير او التعارف التي يتصدر منصتها اثنا عشر قاضيا يمثلون بروج السماء الاثني عشر ، لتتعرف على البرج الذي تنتمي اليه ويزوده بنصائحه وتعاليمه لتعينه على التغلب على مصاعب الرحلة ومفاجآتها .

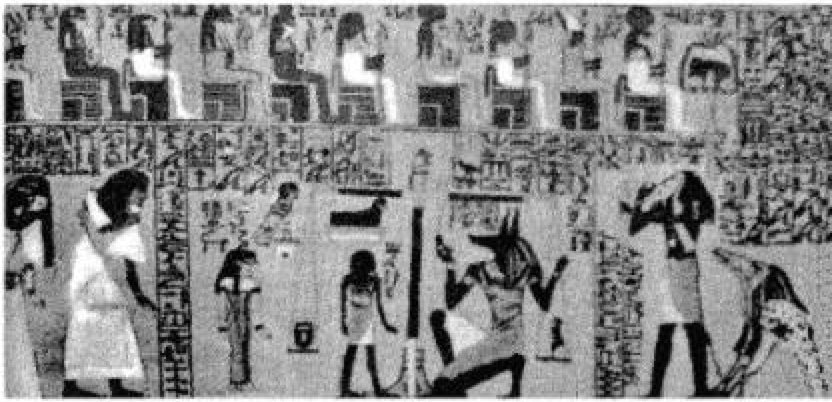
وتستمر الرحلة لتمر خلال السموات السبع التي يصفها وصفا تفصيليا ويبين طبيعة كل منها وما تحويه من كائنات ومخلوقات وما يرتبط بكل منها من أساطير وما يجب أن يتلى فيها من تعاويذ وقراءات سحرية وأدعية مقدسة ... ويصف أتي آخر مرحلة من مراحل الرحلة ووصوله الى محكمة الآخرة التي يتصدرها الاله أوزيد وهو يجلس على عرشه السماوي يشع النور من جسده فيضيء قاعة المحكمة

ويشرح أتي اجراءات المحاكمة والميزان وملكي الحسنات والسيئات، والقضاة وما يوجهونه من أسئلة ، وما أعده لها من اجابات ودفاع . وهنا يصدر الاله حكمه بأن روح أتي قد سجلت ولادتها في عالم الخلود ، وينتقل من المحكمة الى ما سماه « جنة الخلد » . وهنا يشرح طبقات الجنة السبع او الجنات السبع التي تبدأ بجنة الابرار وجنة شهداء حرب الاله ، وجنة المرسلين حتى أعلى درجات الجنة وهي جنة النور التي يسكن فيها الاله الاعظم والهته المرسلين

كما يصف الجنة التي تزل بها وما بها من نهر من الخمر والبن ينزل من ثدي ثورة من السماء ، وقمح سنابله من ذهب ، وملابس لا تتسخ ولا تبلى . الى شباب دائم وجسم



رحلات مغامرات العبد في حفريات ماقبل التاريخ « متحف اللوفر »



رحلة سى – اوزير

لا يعرف المرض أو التعب ، وغير ذلك من الاوصاف والوعود .

كما وصف الجحيم وطبقاته السبع وهى عبارة عن بحيرات للعذاب احداها ماؤها من لهب ، واخرى ممتلئة بالحيات ، وثالثة بالتماسيح الجائعة ...

ومما لا شك فيه أن تلك الرحلة كانت المرجع الذى استوحاه كثير من كتاب الشرق والغرب فى مختلف العصور فيما وصفوا به الجنة والنار ابتداء مما ورد فى اسفار الكابالاه اليهودية التى نقلوها عن المصريين مع خروجهم من مصر ، كذلك جحيم دانتى ، ورسالة الغفران لابى العلاء المعرى ، وقصائد الشاعر ملتون عن الجنة والجحيم .

● رحلة سى – اوزير ●

تعد قصة سى – اوزير التى وجدت بردياتها فى احدى حفريات الدولة الحديثة ، نموذجا لتطور ادب الرحلات الدينية وتأثره بالاسلوب الكلاسيكى الذى كان طابع الادب فى الدولة الحديثة ، فانتقل ادب الرحلات الدينية من قالبه الاسطورى فى تفسير تعاليم العقيدة الواردة فى كتب الموتى ومتون الاهرام كما سبق وصفه فى رحلات آنى ، الى ادب القصة والمغامرات الذى يجمع بين البساطة فى التعبير والعمق فى التفكير ومنطق الجمع بين رحلتى الحياة والعالم الاخر ..

وتبدأ قصة سى اوزير بالاميرة ميريت الابنة الثالثة لاحد امراء القصر واحب بناته اليه وزوجها ابن عم فرعون ... وتدخل الاميرة الى محراب حتحور فى معبد نفتره وتشكو للاله فى صلواتها حرمانها من الاطفال وتدعو للاله ان يرزقها بطفل .

وتصف القصة كيف سمعت صوت حتحور التى تامرها بان تقطف ثمرة من شجرة التين المقدسة بحديقة المعبد بها علامة مميزة عن بقية الثمار سترشدها اليها عند ظهورها .. فتذهب ميريت فجر كل يوم الى الحديقة عند شروق شمس الاله وسقوط اشعتها على ثمار الشجرة ، حتى ظهرت لها الثمرة فى اليوم السابع وعليها رمز عنخ ، مفتاح الحياة ، فقطفتها واكلتها ، كما اخبرتها حتحور ، فتحققت امنيتها

ورزقت بطفـــــل له وجه ملائكي ، ومنحـه الاله بجـانب الجمال الحكمة والمعـــرفة ، ووصفته البردية انه نطق وهو في المهد وكان لا ينطـــق الا بالحكمة .

واطلقت عليه امه اسم سي اوزير اى ابن الاله اوزيريس وتتميـــز القصة التي تقرب كثيرا من أجزائها بانهـا كانت تعتمد على الحـــوار الذكي بين الاب وابنـــه الذى نسى تعاليم العقيدة بطـــريقة الحـــوار القصصي الشيق .

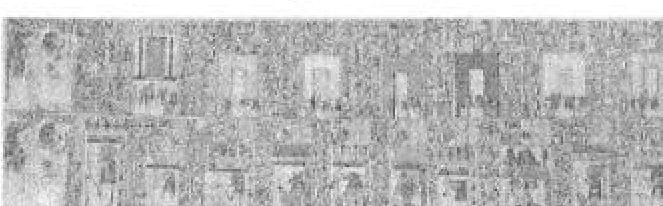
وتنتقل القصـــة لتصف سي اوزير وهو يقف مع والده في شرفة قصره التي تطل على حـــــدائق القصر والوادى فيشـــــاهدا في طريق الصحراء الذى يمتد بجوار القصر جنازة عظيم من كبـــار الاغنياء ، يصفها وصفا دقيقا ، يتقدمها الكهنة المبجلون وهم يحملون تمثال زورق آمون المقدس الذى يرمز الى مركب الشمس التي ستحمل الميت في رحلة العالم الاخر يحيط بها مرتلو الاناشيد الدينية وعازفو الاوتار القدســــة وحاملو المشـــاعل ، وموكب حاملي سلمات القرابين ولوحـــــات مختلف انواع الغذاء والمأكولات والفــــواكه التي ستحتاج اليها روح الميـــت في رحلة الاخرة يتبعهم سرب الندابات والنائحات وقارعو الطبول الجنـــائزية وحاملو الباخر التي تعطر الجـــو ويصل عبيرها الى شرفة القصر ...

وتسير خلف الجنـــــازة قافلة من العربات تحمل الاثاث الجنائزى وما سيحتاج اليه الميت من ملابس وأدوات للزينة ومصاغ ...وبعد انتهاء مرور الموكب بطقوسه ومراسيمه ومشــهده المهيب ، شاهدا جنازة أخرى لرجـــل فقير يحمل على محفة في كفنه البسيط ولا يسير في الجنازة اكثر ممن احتاج اليهم الامر لحمل النعش ، ليس هناك من خسره سوى مشـــعل يتيم يضيء الطريق الى القبر – ان وجد ..

هنا قال الاب لابنه : كم أتمنى أن تشيع جنازتي بمثل ما شيعت به جنازة ذلك العظيم بما أحاط بها من جلال وطقوس ومراسيم ؟

فرد عليه الابن : لا .. انى أتمنى أن تكون جنازتك كالجنازة الثانيـــة بصدقها ووقارها وتجردها من الخداع وزخرف النفاق الذى لا ينفـــع في الاخرة ، وان كان يرضي الناس فهو

صفحات من بردية آني في رحلة العالم الآخر « كتاب الموتى »
أعلى : آني في محكمة البروج الإثني عشر
أسفل : أبواب السموات السبع





طائر الفونكس «السمندل» الاسطورى رفيق رحلة العالم الآخر فى زورق الشمس ...

يغضب الرب ...

فلما غضب الاب على ابنه ووصفه بأنه عاق قال له الابن تعال معى لنحتكم الى الاله الذى استجاب الى دعائكم ورزقكم بى وما تعتبرونه من ورث ونزلا معا الى الحديقة وتوجها نحو المحراب الذى اقامته الام فى ركن من الحديقة للتعبد والشكر للاله الذى حقق امنيتها ، وهنا يظهر الاله حور على شكل الصقر المقدس عندما يستنجد به الابن ، ويظهر من بقايا البردية التى فقدت بعض اجزائها كيف حملهما الاله حور فى زورق الشمس وطار بهما فى اتجاه الافق الغروب ليختلط بالنجوم الازلية مارا بالنجوم السبعة التى تحرس الشمس ... وقد سقط للأسف من البردية وصف تلك الرحلة وما ارتبط بها من اساطير والتى يرجح انه قصد بها ما سموه السماوات السبع بكائناتها الاسطورية ودور كل منها فى رحلة العالم الآخر ، وهى التى تكرر وصفها وما احيط بها من اساطير فى كتب الموتى ومتون الاهرام ورحلة الى .

وتنتقل القصة بوصولهما الى محكمة اوزوريس او محكمة النور حيث يشاهدا الاله الاكبر وهو جالس على عرشه تحيط به الشخصيات المقدسة التى سمع عنها الاب وعن دور كل منها فى العالم الاخر ، وامام الاله الميزان الذى توزن فيه الحسنات والسيئات التى يحملها معه القلب ويشاهدا الرجل الفقير اللذان شاهدا جنازته وهو يقف بين يدى الاله وهو يرتدى اجمل الثياب وحول قلبه الموضوع فى الميزان هالة من نور .

وأخذ الابن يشرح لابيه - بما أوتى من نعمة المعرفة - كل ما يجرى فى المحكمة ، وان الحسنات هى الثروة الوحيدة التى يحملها الانسان معه الى العالم الاخر او عالم الخلود الاوزيرى . وعندما خرجا من القاعة شاهدا رجلا ضريرا فقئت عيناه من التعذيب وقد تقطعت اوصاله واحترق لسانه ولا يستره الا كفن مهلهل قابعا فى خلفه المشوهة ذلك المقيم الذى تمنى الاب ان تشيع جنازته بالعظمة والفخامة الذى شيعت بهما جنازته .

وتشمل البردية وصفا لاكثر من رحلة من الرحلات المختلفة سواء للتحليق فوق الجنة او البروج السماوية او عذاب القبر وذلك فى تفسير كل مشهد من مشاهد الحياة وارتباطه بالعالم الاخر وما يدور فيه من حوار بين الاب وابنه ، كما تمتلىء البردية بالحكم والمواعظ التى ينطق بها الابن فى مختلف المناسبات .

ومن امثلة ذلك الحوار قول الابن لابيه :

« هل اتاك على مكان تحتفظ فيه بمالك فلا يسرقه اللصوص .. او تمتد اليه يد الطامعين او تلتك به عيون الحاسدين ، وتعيش مشغول البال خوفا من ضياعه ؟ ... لا تحتفظ به فى الخزائن ، ولا تصحبه معك فى القبر . ليس هناك من مكان امين تحتفظ به فيه الا ان تسلمه للاله يحتفظ به لك كامانة تنفعك فى عالم الخلود .

فيســـال الاب ابنه سى ـ أوزير « ولكن كيف أرصلها الى «الاله» ؟

فيرد عليه : « انفقها فى أعمــال الخير ، وفيما ينفع رفقاءك فى الحياة من انسان وحيوان وكائنات تعارنك فى الحياة ، وانفقها على المحتاجين ... هذا هو اقرب طريق لوصولها الى الاله، وستجدها فى انتظارك على ابواب عالم الخلرد » .

ومن اقواله : « ان الروح كالجسد تحتاج دائما الى غذاء .

فغذاء الجسد بالقرابين والمكولات، وغذاء الروح بالصلوات والتضرعات،

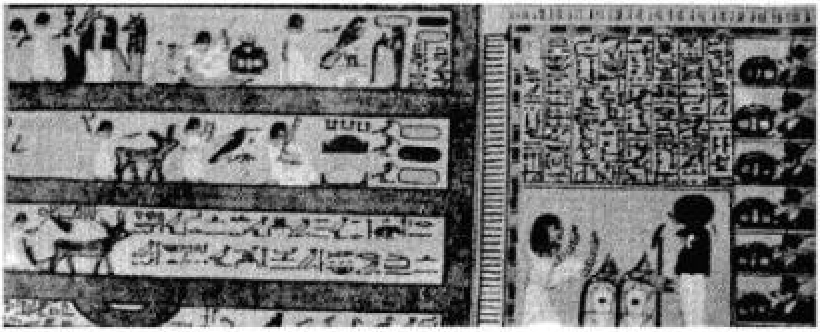
● كما أن ادب الرحـــلات كان العنصر الاساسى فى بناء هيكل ادب العقيدة وتدرين مخطوطاته الدينية ، كان له دوره الفعال فى نسج اساطير الخلق والتكوين وهى الاساطير الآتى يسرد فيهــــا الكاتب ما يتخيله عن معبوداته والهته وما يضفيه عليها من سحر ومعجزات تقربها الى خيـــال الشعب وتجعل منها فى نفس الوقت دعامة لادب العقيدة ، لذا فقد نشأت تلك الاساطير جنبـــا الى جنب مع نشأة العقيدة وكانت اساطير التكوين بدورها رحلات فى عالم العقيدة .

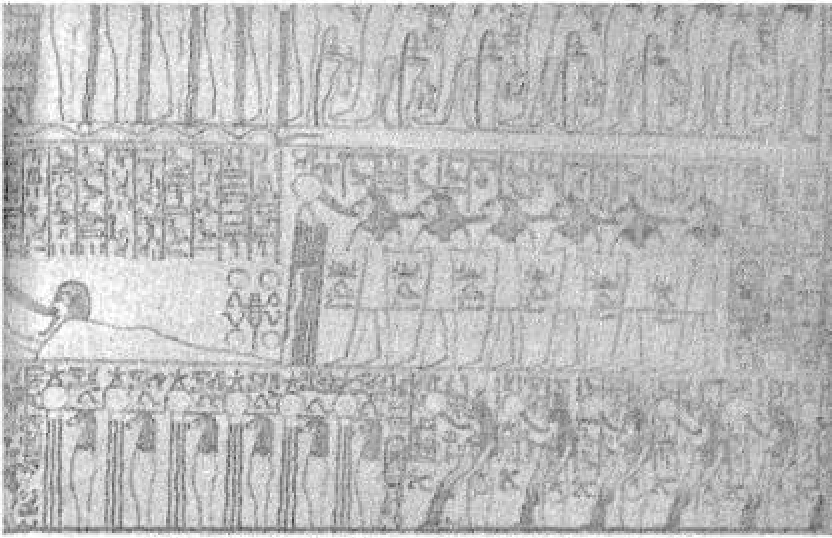
ومن اشهر الاساطير وادب رحلاتها أسطورة الثالوث والعالم الاوزيرى، وأسطورة حورس والعقرب . وصراع حورس وست ، وأســـطورة دموع ايزيس وماء النيل ، وروح وأســـمه الخفى ، وأســـطورة ايزيس ومركب أمون ، وأسطورة انقاذ البشرية ، وقد تحول الكثير من تـلك الاساطير الى ملاحم شعبية وتمثيليات دينية، وتحول بعضها الى مسرحيات تصـــاحبها الاناشيد والفرق الوسيقية وتمثل فى أعياد الالهة واشترك فى بعضـــها الشعب مع الكورس والملك والملكة مع الممثلين من كهنة المعبد .

● برديات وستكار وقصص الف ليـــلة وليـــلة ●

ان برديات وستكار التى تمثل أدب الرحلات فى عالم السحر والخيال ، تعتبر من أروع الامثلة فى أدب القصة فى الدولة القديمة . وهى قصص رويت على السنة الامراء التسعة من أولاد الملك خوفو فى مجالس سمره التى كان يجمع فيها الحكماء والندماء والسحرة والادباء من معلمى أولاده. وكان كل أمير يروى فى ليـــلة من الليالى فى مجلس الســـمر قصة من قصص معجزات السحر ورحـــلات

البرزخ .وطريق الوصول الى الجنة ...   ... الى امام حارس باب الجنــة ....





مـ.حه من قصص ادب الرحلات التصويرى « غرة بوت عنخ امون »

السحرة فى عالم السحر ، وكانوا يجمعونها عن رواتها بواسطة أعوانهم ومعلميهم ، وعن حلقات السحر بالمعابد ، ويقومون بتكريتها ونسخها وتلاوتها فى حضرة الملك فى المجلس.

وتعتبر تلك القصص من أبرع الامثلة التى وصل فيها الخيال والتصور ذروته فى الخروج من عالم الواقع ، الى عالم الاساطير مما يثبت حب المصريين من اقدم عصور الادب لقصص السحر وخوارق الاعمال .

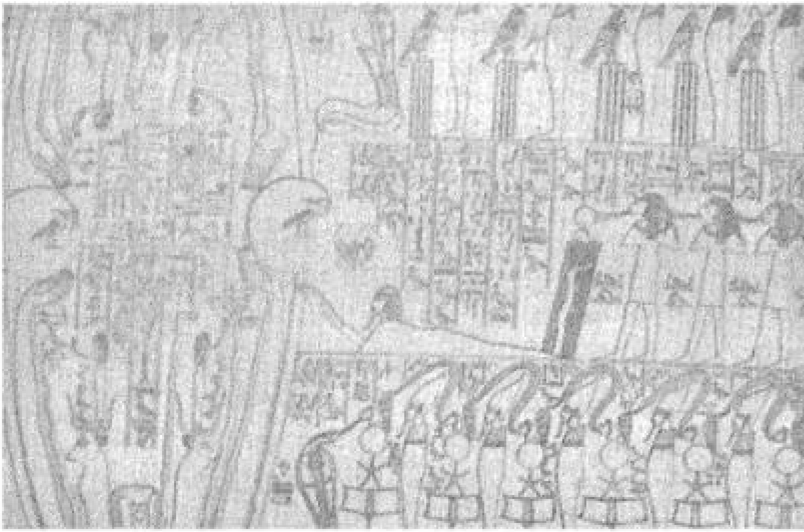
وتشبه برديات وستكار فى تسلسلها وتعاقبها واحدة بعد الاخرى قصص الف ليلة وليلة المشهورة . ولم يصل الينا للاسف منها سوى اربع قصص واحدة منها فقد جزء كبير من بردياتها وهى قصة العجوز والصندوق السحرى . وقصة الاميرة والسمكة الذهبية ، وقصة الخائنة والتمساح المسحور ، وقصة الخاتم المسحور .

ويتخلل القصص حوار ذكى بين الملك والسحرة او بينه وبين اولاده الذين يحاول كل منهم ان تفوق المعجزات التى جمعها فى قصته معجزات الآخرين ، والا يكون الملك قد سمع عنها من قبل .

● حصار يوبا (يافا) ●

ان قصة على بابا احدى قصص الف ليلة أخذت فكرتها من قصة القائد تحوتى وحصار حصن يافا وهى من القصص الفرعونية الشهيرة التى تجمع بين الوقائع التاريخية والمغامرات الخيالية ...

تروى القصة المسجلة فى بردية هاريس (رقم ٥٠٠ بالمتحف البريطانى) أن القائد تحوتى أحد قواد تحتمس الثالث الذى اشترك معه فى حملات فلسطين وصل بجنوده الى حصن يافا وكان من أمنع حصون فلسطين ولكنه لم يتمكن من الاستيلاء عليه فعسكر بجنوده خارج المدينة وأرسل من جواسيسه من اوهم أمير يافا بأن تحوتى خان سيده فرعون مصر وأنه تخلف مع بعض جنوده المتمردين على فرعون الذى غادر يافا بعدما يئس من الاستيلاء عليها وعاد بجيوشه الى مصر ، ويريد تحوتى التعاون معه ،

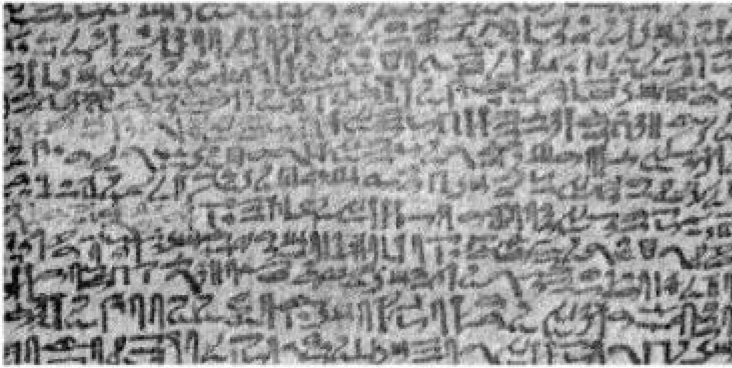


كما أنه أحضر معه الكثير من هدايا مصر ونفائس فرعون وأسلحته السحرية يود أن يقدمها اليه والى الأميرة بصلة جزية ثمنا لانضمامه الى حاشيته .. كما أخبره أنه سرق صولجان تحتمس السحرى الذى ذكرت الأساطير أن ضربة منه تكفى لأن يفقد عدوه وعيه .

وأقام تحوتى وليمة فى معسكره للأمير وحاشيته أسرفوا فيها فى شرب الفاخر الخمور حتى فقدوا الوعى فيدهم جميعا بيانما كانت أصوات الدفوف وطبول الرقص وأنغام الآلات الموسيقية تلهى حرس الأمير وجنوده خارج الخيمة عما يدور بداخلها .

واحضر تحوتى مائتى قفر كان قد أعدها خصيصا وشحنها مائتى فارس من المحاربين الأشداء يحمل كل منهم قوسه وسهامه ومعداته الحربية وحمل كل اثنين منهم على حصان حربى ثم أرسل رسلا من رجال الأمير ليخطروا الحراس بفتح أبواب القلعة والسماح لقافلة الهدايا المرسلة للأميرة بالدخول وتسليمها لها، ورافق تحوتى القافلة بنفسه متخفيا فى زى سائس الخيل حتى اذا دخلت القافلة الى ساحة القلعة خرج الجنود بأسلحتهم من القدور وهاجموا القلعة واستولوا عليها بعدما قيدوا قوادها بالسلاسل التى احضروها معهم ضمن أسلحتهم ... وهكذا سقطت يافا فى أيدى جيش مصر - وبردية القصة عبارة عن رسالة مرسلة من القائد تحوتى الى تحتمس الثالث يعلن فيها سقوط يافا وقلاعها فى أيدى المصريين ويشرح له الخدعة وطريقة استيلائه عليها .

فان كانت تلك القصة قد انتقلت الى الأدب الحديث باسم على بابا والاربعين حرامى ، فمما لاشك فيه أنها أوحت لقدماء كتاب الاغريق قصة حصان طروادة وتحايل الجنود بالدخول الى القلعة باختفائهم داخل الحصان الخشبى وخروجهم منه بأسلحتهم واستيلائهم على القلعة . والتى تعتبر من روائع الأدب الاغريقى القديم والتى كتبت بعد خمسة قرون من قصة قلعة يافا ...



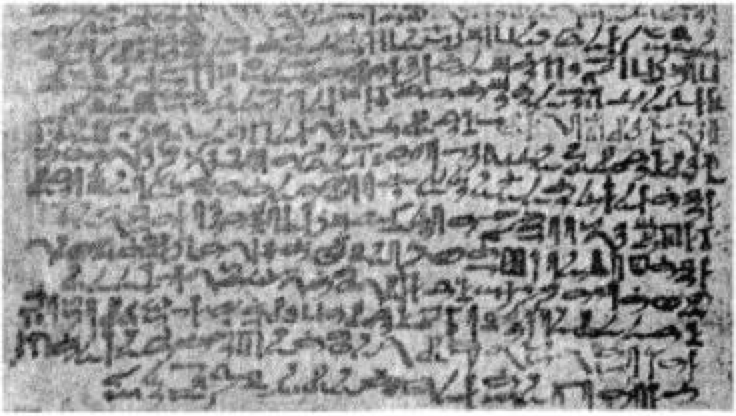
بردية قصة ون امون « بردية برس بالمتحف البريطاني »

● جزيرة الثعبان ●
(الجزيرة المسحورة)

أحد نماذج أدب الرحلات فى الدولة الحديثة التي وصفها كثير من الكتاب باسم « قصة السندباد الفرعوني » . يبدأ بطل القصة بسرد مغامراته فى احدى برديات بريس التي وجدت ضمن حفريات الدولة الحديثة بوصف مغامرات رحلته . فيصف سفينته التي يبلغ طولها مائة وعشرين ذراعا ويبلغ عرضها اربعين ذراعا يقودها مائة وعشرون ملاحا من امهر ملاحى مصر، قلوبهم اقوى من قلوب الاسود ، وعيونهم أبعد من عيون الصقور ، وسواعدهم تصارع أعتى الامواج ، ولهم خبرة بالبحر واسراره . كانوا يعرفون من أين تهب العاصفة قبل تحركها ، وكانت قبة السماء طوع أمره يعرف منها طريق سيره ويستخيرها لتتنبئه بما يخبئه القدر . ... ومع ذلك فقد غدر به اله البحر وهو فى غفلة عما تطويه صفحات المصير ، فهاجمه البحر وباغته بامواجه التي بلغ ارتفاعها أحد عشر ذراعا . حطم سفينته وغاص بهما الى قاعه بجميع بحارتها فلم ينج منهم أحد سوى بطل القصة ، ليروى قصة رحلته التي تعتبر من أروع أمثلة أدب الرحلات الفرعونية ...

يبدأ مغامراته بقوله « بعد ثلاثة أيام وأنا متعلق بلوح خشبي مما تخلف من بقايا السفينة - تتقاذفني الامواج حتى ألقت بي الى شاطىء . نمت فى ظلام الوحشة فوق رماله . ولم يوقظني الا نداء الجوع للبحث عن غذاء لمعي ... الا صوت معي الجوعان » .

كان الشاطىء يمتلىء بأشجار التين وثمارها الذهبية وعناقيد العنب كأنها تتدلى من السماء وثمار كثيرة لم أرها من قبل ، كانت الزهور والطيور والاسماك المختلفة الاشكال والالوان ... تشير جميعا الى انني فى عالم جديد لم يطرقه أحد من قبل . فأكلت حتى شبعت وحفرت حفرة [illegible] بالاخشاب واشعلت نارا [illegible] شكرا لآلهة وقدمت له على [illegible] قرابين الشكر . فاذا بصوت يدوى كالرعد اضطرب له جو المكان واهتزت منه الاشجار وارتعشت أوراقها فرفعت رأسي لأشاهد أمامي ثعبانا عملاقا طوله ثلاثون ذراعا ، له رأس فى حجم ثور ضخم ، ولحية طولها ذراعان ، وعيناه بلون الفيروز الحر ، ولون



جسمه غطى به نقوش ذهبيــة وزرقاء كالوشم السحرى .

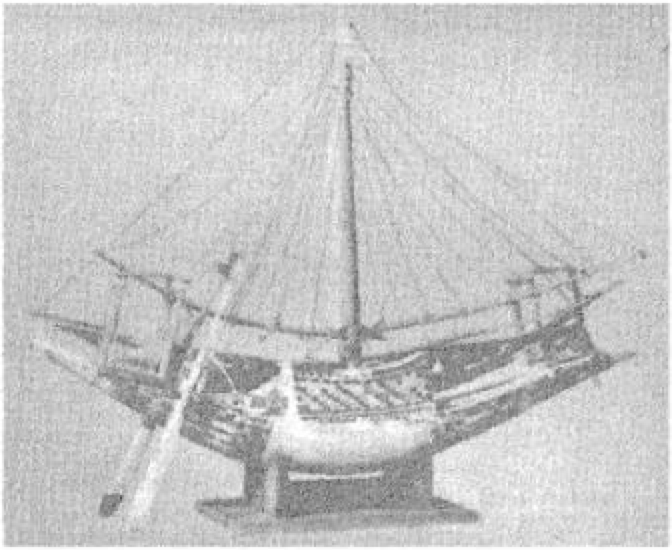
فنطق بلهجته المخيف وقال : من انت ايها القزم الحــقير ... كيف وصلت الى هنا .. ومن اتى بك الى جزيرتى المسحورة ؟

عقد الخوف لسانى ولم اســمع سوى ضربات قلبى وقد سكن كل شيء فى الوجود حولى حتى امواج البحر وريح الجبل ، فلتح الثعبان فمــه وحملنى بين فكيه وزحــف بى الى كهفه فوق قمة جبل الجـزيرة ، فاذا بالكهف اكبر من قاعــة فرعون . والقــانى فى ركن الكهف ولكنــه لم يمسنى بسوء فتحسست جسمى الذى كان بين انيابه فوجدته ســليما . وطوى الثعبان نفسه وتكور كالهرم المدرج ورفع رأسه وعيناه تشـعان ببريق ساحر ، واعاد ســؤاله مرة اخرى : « ايها القزم الصغير .. من انت وكيف وصلت الى مملكتى ؟ »

فاخبرته اننى خرجت بسفينةلفرعون التى يبلغ طولها مائة وعشرين ذراعا برفقة مائة وعشرين ملاحا من اقوى وابرع ملاحى مصر للسفر الى مناجم الذهب والاحجار الكريمة فى اركبتيم وقصصت عليه قصة معركتنا مع اله البحر وكيف لقى جميع الرجال الأشداء حتفهم رغم علمهم بأسرار البحر ولغة النجوم ولكنهم لم يستجيبوا لاستخارة الاله أمون الذى حذرهمن بدء الرحلة فى ذلك اليوم ، وقد أغفلوا على تلك الاستخارة فواجه كل منا مصيره .

وبعد ما سمع قصتى باكملها وتاكد انى لا اقول الا الحق وبحق الاله رع الذى تشرق طلعتـــه كل يوم على الجزيرة ليدير دورته اليوميةفى الافق فيرعى مخلوقاته ويدبرمصير كل كائن عليها ...

ومن بقايا الحوار الذى فقد جزء كبير منه يفهم أن الثعبان كان أحـد الالهة المقربين للاله الأعظم لنقــل تعاليمه ورسالته الى البشر ، ولكنــه عصى الاله وخرج عنطاعته عندما ظن انه بما اعطى من قــوة وأسرار قد اصبح اقوى من الاله نفسه ، فحوله الاله الى ثعبان قوى وعملاق كرمــز للشر ، وتركه يتحكم فى مصــير الكائنات فى مملكته وفى من امن به من سكانها . كما كشف عنه الحجاب ليعرف الغيب ، وكان ذلك أول انتقام للاله العظيم من الثعبان حيث استخف



من الغيب أنه فقد نعمة الخلود التي يتمتع بها الالهة وان نهايته ومصيره ومصير مملكته قد رسمت صورتها وتحدد ميعادها ولن يفلت منها .

ويقول الثعبان : « لأنى اعلم الغيب وأرى ما سيحدث في المستقبل كما اخبرتك ، فقد عرفت انك ستصل الى ارض مملكتي في ذلك اليوم واعلم مصير من كانوا معك . أرى في الغيب انك ستمكث بيننا اربعة اشهر تعود بعدها الى اهلك واحبابك .. وهانا اراك تضمهم الى صدرك وكتبالك ان يكون قبرك في أرض بلدك الذى جئت منه .

فان كنت قد سألتك من انت وكيف جئت فما ذلك الا لاعرف هل ستكون صادقا معى أم لا ؟ » .

سأقص عليك اسرار مملكتي التي يحيط بها المحيط الأزرق العظيم من كل جانب ، وهو مسئول عن حمايتها ستعيش بين اخوتي وابنائي وعددهم خمسة وسبعون ثعبانا واتباعهم وخدامهم وفتاة واحدة جميلة، ستجد في جزيرتي كل ما اشتهى قلبك وعيناك وبطنك .. لا اطلب منك الا الطاعة والشجاعة والصبر ... ستأتي سفينة تائهة بعد أربعة اشهر لتحملك الى ارض مصر التي تبعد عن مملكتي بمسافة زمنية قدرها شهران .

... وتنتقل البردية الى نهاية الرحلة حيث يقول الثعبان الكبير وهو يتطلع الى الافق البعيد انه يرى المركب آتية في اتجاه الجزيرة وعلى بعد ثلاثة ايام منها .. ويصف بطل القصة كيف كان يصعد كل يوم الى قمة شجرة عالية ينظر الى البحر في انتظار المركب حتى كان اليوم الثالث فاذا بأشرعة مركب من مراكب مصر تظهر في الافق فيهبط من اعلى الشجرة وهو يهلل ويرقص فرحا ، ويركع أمام الثعبان العظيم عالم الغيب . ووصلت السفينة وألقت مراسيها فما ان شاهد

بحارة السفينة الثعبان حتى ارتجفوا من الرعب .

فأمرني الثعبان أن أطمئنهم وانهم سيبقون في ضيافته وحمايته حتى تبحر السفينة مع شروق الشمس لتعود سالمة الى أرض الوطن ... عندما طلع الفجر ظهر الثعبان وركعت أمامه كرمز للتعبير عن الشكر . قلت له انني لن أنسى جمائله قلت انى سأخبر فرعون الذى سيفرح قلبه لرؤياى ولعودتى سالما لانني قريب من قلب فرعون وعرشه . سأخبره أنك أعظم من فرعون لانك اله تتحكم في مصير الكائنات وتعلم الغيب . سأعود محملا بهدايا فرعون مصر سأجلب لك العطور المقدسة والبخور والجلود والنسيج والبردى والاحجار الكريمة التى لا توجد بجزيرتكم .

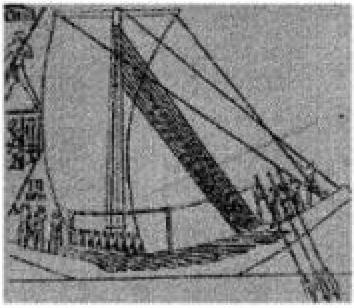
وهنا فتح الثعبان فمه وضحك ضحكة لها صليل الاجراس وقال : أنا لست في حاجة الى هداياك . ان كل شيء اقول له كن فيكون . كلمة منى تحول الاخشاب الى عطور مقدسة والصخور الى أحجار كريمة . ومحار البحر يحمل لى لآلئه وأسماكه تكسو الرمال بالعنبر ...

وأمر بتحميل سفينتنا بمختلف الهدايا والتقائص والمحاصيل والنباتات التى لا يوجد لها مثيل بأرض مصر، قال احملها هدية منى لفرعون والتمس أن تقدم لى القرابين فى معبد الهكم العظيم ...

وتنتهى القصة بقول الثعبان وهو يودعهم : « لا تفكر في العودة ثانية لأنك اذا عدت فسوف لا تجدنى ولن يكون لجزيرتى من وجود .. هذا هو الغيب الذى ملكت القوة الاطلاع عليه، والمصير المحتوم الذى نقشه في لوح القدر وكشفه لى من هو اعظم منى »

لقد أثارت قصة الجزيرة المسحورة في السنوات الاخيرة جدلا في كثير من الاوساط العلمية المعنية بتاريخ قارة الاطلنتس بعدما كشف الاستاذ لدنف بعض صفحاتها المفقودة ضمن برديات متحف لننجراد وأوضح العلاقة بينها وبين أسطورة القارة المفقودة من حيث التشابه في كثير من وقائعها وما ورد بها من أوصاف مع ما ورد في برديات كهنة هليوبوليس ومتون اهرام المايا والازتيك في أمريكا وكتاب افلاطون « التيمايوس » ووثائق قدماء الفينيقيين حيث وصف جميعها قارة الاطلنتس بأنها كان يطلق عليها اسم جزيرة الثعبان ... كما أن البنت الجميلة التى كان يحتفظ بها في جزيرته ، وقد فقد للاسف الجزء الخاص بدورها في القصة - ويرمز بها الى ايزيس التى ذكرت برديات هليوبوليس انها أتت الى الارض مع ابنها حورس بعدما قتل ست اله الشر أخاه وزوجها أوزيريس اله الخير ونادى بأنه أصبح الاله الاوحد الذى يتحكم في مصير الاشياء والكائنات فأنزل الله لعنته على الجزيرة فاختفت في قاع المحيط ...

وتنتهى أسطورة الاطلنتس بقول





احدى القصص الفرعونيـــــة بالخـط الهيراطيقى على لوحات الاوســـــتراكا

الكاهن مو لاتباعه من كهنة حورس المبجلين وهم يغادرون السفينة : « اذا عدتم فلن تجدوا الجزيرة واهلها » . وهي نفس اقوال الثعبان للاحي سفينة السندباد المصرى وهو يودعهم عنـــد مغادرتهم الجزيرة فى رحـــلة العودة الى مصر .

مغامرات ون امون

من بين امثلة ادب الرحـــلات فى الدولة الحديثة قصة مغامرات ون امون التى وجدت بردياتها فى احدى مقابر الاسرة العشرين فى مدينة الحيبة . وهى قصة كاهن يروى مغامراته فى رحلة قام بها من طيبة بأمر حريحور حاكم طيبة وكاهنها الاكبر للذهاب الى سوريا لشراء خشــــب الارز اللازم لتجديد زورق امون المقدس ويظهر من الوثيقة التى دونت بها القصـــــة ان العلاقات السياسية بين مصر وسوريا، لم تكن على ما يرام ومنع حكام سوريا تصدير اخشاب الارز اللازمة لصناعة الزوارق المقدسة والتــوابيت والاثاث الجنائزى بالمعابد .

وقد تطوع ون امون بالقيام بتلك المغامرة والسفر الى بيبلوس لاحضار الاخشاب المطلوبة ، وزوده حريحــور بتمثال من البرونز للاله امون لحمايته ويطلق عليه اسم «امون رفيق الطريق» بعد مغامرة طيبة عرج « ون امون» فى طريقه على سمندس حاكم تانيس لمعاونته ماليا ، فلما علم سمندس ان الخشب مطلوب لزورق امون المقدس زوده بالذهب والفضة اللازمين لشراء الخشب والبخــور اللازمين للمعبد كقربان منه للاله ، وبعض الهدايـــا النفيسة من العـــاج والبردى ونسيج الكتان .

وابحر ون امون فى ســـــفينته الشراعية بصحبة مجموعة من امهـــر ملاحى مصر الاشــداء . كانت «دور» اول مدينة وصلوا اليها على الشاطىء الفينيقى بعد رحلة استغرقت شهرين استعانوا فيها بالقبة الســـماوية فى تحديد خط السير ومعرفة اتجاه الرياح واحوال البحر . وبينما كان ملاحــو السفينة يستريحون على الشاطىء من عناء الرحلة تربصت بهم عصابة من « اهل ذاكر » تسللوا الى السفينة فى غفلة من ملاحيها وسرقوا ما بها من ذهب وفضة وما حمله ون امون من هدايا ليقدمها الى حاكم بيبلوس من سمندس ملك مصر . ولما تقدم بالشكوى



« مجموعة بريس متحف اللوفر » ..

لحاكم صور، فلقي الأخير مسئوليته عن رد المسروقات .

وبعدما غادر « ون - أمون » مدينة صور في طريقه الى بيبلوس اكتشف بالقرب من شاطئ صور سفينا لاحدى قبائل الثاكر الكنعانية التي اليهم سارق الذهب والفضة من سفينته ، وقد دله عليهم تمثال رفيق الطريق فباغتهم برجاله في الليل ووجدها فرصة لاغتصاب اموالهم تعويضا اوريعا حتى يسترد ما فقد . ويستمر ون آمون في رحلته ليصل الى بيبلوس عند شروق الشمس وكانت اخبار رحلته وقصته مع اهل ثاكر قد سبقته اليها فرفض امير بيبلوس اقامته في بلده تجنبا للمشاكل . ويشرح ون آمون في برديات القصة كيف قضى اياما طويلة في محاولة مقابلة الأمير شخصيا ورفضه مغادرة الميناء قبل ان يحقق رغبة الاله آمون .

وهنا يتذكر ون آمون تمثال رفقة الطريق الذي كان قد اخفاه طوال تلك المدة في قاع السفينة خوفا عليه من السرقة فيلجأ الى استخارته فتتحقق المعجزة فورا واذا بالامير يرسل اليه رسولا يدعوه لزيارته ويصف ون آمون مقابلته لامير بيبلوس بقوله : « كان الامير الذى عرف بضخامة الجسم وشراسة الطباع جالسا في ايوانه الخاص بالدور العلوى بقصره الذى يطل على الميناء وظهره للنافذة المطلة على البحر السورى بأمواجه المتلاطمة ويدور حوار عنيف بين الامير ون آمون يسخر فيه الامير من ون آمون ويصف رحلته ومغامراته بأنها « مغامرات أطفال » ويسخر من الاله رفيق طريقه الذى لم يتمكن من حفظ الاموال التى احضرها لشراء الاخشاب والتى يدعى انها سرقت منه بينما يعلم الامير انه هو الذى سرق اموال قبائل الثاكر ويرفض ان يعطيه الاخشاب الا بعد اداء ثمنها فالاخشاب ملك له وحده وليست ملكا لآمون .

ويدور حوار طويل يقول فيه ون امون ان اخشاب الارز ملك لآمون وما الامير الا حارس عليها وان لبانو (لبنان) التى تنمو بها تلك الاشجار هى مزرعة الاله ، ويحمل الامير مسئولية رفضه ارسال الخشب للزورق المقدس . وهنا يثور احد شباب العائلة من الحرس الخاص للأمير فيتطاول على ون امون ويحاول قتله ويتهمه هو والهته بالدجل، وهو يقول له فليظهر الهك قوته وينقذ حياتك ، فيتدخل الامير ويمنعه من قتله ، ويأمر ون امون بالعودة الى سفينته ومغادرة بيبلوس قبل شروق الشمس .. فيخرج ون امون والشاب لايزال يسخر من اله رفيق الطريق، ويصرخ فيه بأعلى صوته ما الهك الاخرس لا ينطق ... وما كاد ون امون يصل الى السفينة حتى ارسل الامير فى استدعائه ثانية وقد خشى الامير ان تنزل لعنات الاله عليه ايضا كما هدده ون امون قبل خروجه ، فالظاهر ان الشاب الذى اظهر معجزة الاله وان اعاد النطق الى الشاب

وعلى عما تلوه به الامير وحاشيته

وأمر الامير بتسليم ون آمون الشحنة كهدية منه لمعابد امون وقربانا للاله • ولكن الامير اخبره بأنه غير مسئول عنه وعن سفينته بعد مغادرتها شواطىء بيبلوس لانه يعلم ان احدى عشرة سفينة من سفن قرصان اهل ثاكر تتربص له خارج الميناء لتهاجمه عند خروجه الى عرض البحر لتستولى على الشحنة بعد ان تغرق سفينته وتقتل ملاحيها •

وتستمر القصة لتصف مغامرة ون آمون عندما اشاع انه سيبقى ضيفا على الامير لمدة عشرة ايام حتى يصبح القمر بدرا فيغادر بالسفينة في ضوء القمر • ولكنه انتهز فرصة ظلمة الليل وهبوب العاصفة لتسلل بسفينته خلسة الى عرض البحر ، وعندما اشرقت الشمس اكتشفت قافلة القرصان هربه فتتبعوه عدة ايام حتى اقتربوا من سفينته فظهرت معجزة رفيق الطريق مرة اخرى فثار اله البحر وارتفعت امواجه كالجبال وقامت عاصفة حطمت اشرعة السفن وكسرت مجاديفها واخذت الامواج تتقاذفها بملاحيها ولم يتمكنوا من اللحاق بسفينته وشحنتها المقدسة •

اما سفينة ون آمون فقد قذفت بها الامواج الى شاطىء ارض « سايا، (قبرص) وهنا تبدأ مغامرة جديدة عندما تنزل عصابة من جبالها لقتله، وانقذه منها جلوه اميرة المدينة الذين تصادف مرورهم بالقرب من الشاطىء وحملوه اليها ، فلما عرفت من هو وسمعت منه قصة مغامراته مع « رفيق الطريق » لتوصيل شحنة زورق الاله المقدس وقد قامت بترجمة حديثة وصيفة الاميرة وهي مصرية الاصل فاكرمت الاميرة وفادته وقامت بحمايته هو ورجاله ، ثم غادر الجزيرة بعد اقامته بها اسبوعا قام فية باصلاح ما حدث لسفينته من خلل اثناء جنوحها ، وحملته الاميرة بالهدايا والقرابين لملك مصر ومعابدها كما كانت اول من اعتنق ديانة المصريين بعد ما شاهدت معجزات التمثال •

وتغادر سفينة ون آمون شواطىء الجزيرة بين تهليل الاهالى ودعواتهم له ولسفينته لتستمر فى رحلة مغامراتها • • •

وهنا تنقطع القصة ولا نعرف كيف وصل بشحنته الى طيبة ، ولا شك انه وصل سالما ونجح فيما اوكل اليه ليكتب قصته على صفحات تلك البردية •

● قصة سنوهيت (سنوحى) ●

لقد اجمع علماء الدراسات المصرية على ان قصة سنوهيت هى ابدع القصص المصرية ، وانها تتفوق على ما عداها باسلوبها وتركيبها ولغتها وما اجتمع لها من عناصر التكوين لادب الرحلات والمغامرات • وكانت من احب القصص الى قلوب المصريين، وقد وصل الينا الكثير من اجزائها ومن مختلف العصور الفرعونية

الشباب والجمال في قصص الف ليلة وليلة



ابتداء من الاسرة الثانية عشرة حيث دونت لاول مرة في عهد سنوسرت الاول حتى أواخر الاسرة العشرين ، وقد وجدت منسوخة في برديات مختلف تلك العصور وعلى الواح الاستراكا • وكانت هذه القصة تدرس في المدارس وتروى في القصص الشعبي كما كان يغنى كثير من مقاطعها الشعرية في حفلات السمر •

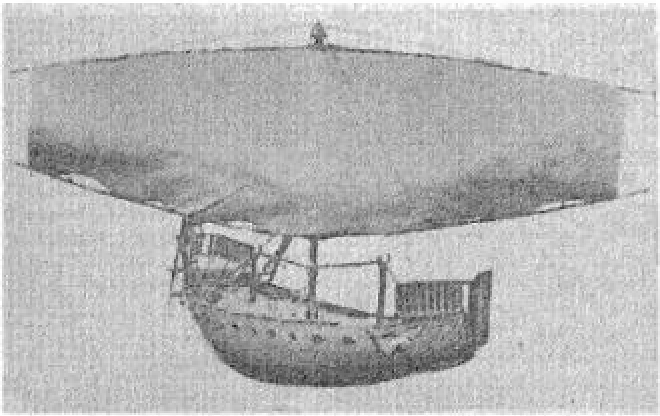
كان سنوهيت شخصية حقيقية فقد كان الوزير الاول في عهد امنمحات الاول أول ملوك الاسرة الثانية عشرة •• ويذكر المؤرخون ان الملك مات بسبب مؤامرة دبرت ضده وقامت على أعقابها دسيسة قام بها بعض رجال القصر للمناداة بأحد ابنائه من ام غير الملكة الشرعية لتولى العرش •• وكان سنوسرت ولى العهد الشرعى الذى كان يشارك اباه فى الحكم فى ميدان القتال مشغولا فى محاربة اللوبيين •

ويقال أن كبير أمناء القصر وكان على ولاء لسنوسرت وكان فى نفس الوقت يحقد على سنوهيت ، كان يعلم بالمؤامرة فأرسل لسنوسرت يطلب اليه العودة وكما وصفه سنوهيت فى قصته ، وعاد الصقر طائرا كالبرق وامكنه القضاء على المؤامرة قبل ان تنفذ » •

وتدل ظواهر الامور على ان سنوهيت كان له ضلع فى المؤامرة ضد سنوسرت وهو ما يفسر سبب فراره عند وصول سنوسرت الاول وتوليه الحكم •

وفى قصته التى يرويها عن نفسه نراه يبتدىء بذكر القابه ووظائفه فيقول انه الامير الوراثى ومدير ضياع الملك والسمير الوحيد المحبب اليه • كنت خادما وانيسا للملك وكنت فى خدمة الاميرة صاحبة الثناء العظيم زوجة سنوسرت الملكة والابنة الملكية لامنمحات المسماة نفرو فى بلدة الهرم « خنم اسوت » • فى السنة الثلاثين فى اليوم التاسع من الشهر الثالث للفيضان دخل الملك افق الاله فطار الى السماء ليتحد مع قرص الشمس ويمتزج بجسم خالقه فخيم الصمت على القصر وأغلق بابيه العظيمان وجلس رجال القصر منكسى الرءوس على الركب - كان

سفينة المغامرات فى الرحلات البحرية



قلبي يتحرق وخارت قواي واستولت الرعدة على جميع اعضائي ، فقفزت باحثا عن مكان أختبيء فيه بعيدا عن القصر لان هناك شجارا كان يدور فيه » .

ويصف في قصته كيف كان يتسلق اشجار الايك حتى لا يراه حراس النهار ويتسلل كالثعلب الهارب من الصياد بين عيدان القمح حتى لا يلمحه حراس الليل . ويروى كيف اجتاز الحدود التي يقوم عليها حصن « جدار الامير » الذي شيد ليصد غارات البدو .

وفي ليل غاب قمره وارتفع عواء ذئابه وخرجت الحشرات من جحورها زحفت على صدري فوق الرمال وبين الصخور ، وعندما تنفس الصبح كنت قد وصلت الى ارض « بتني » وفي جزيرة كم اور استلقيت على الشاطيء للاستجمام . لقد خنقني العطش والتهب حلقي حتى ذقت طعم الموت شربت الماء المر لاطفيء عطشي فزدته لهيبا . وفي ظلام الليل الثاني سمعت خوار قطيع من الماشية ورأيت خلف كثبان الشاطيء قبيلة من قبائل البدو تشعل نيرانها ، فذهبت اليهم فعرفني شيخ من بينهم كان قد زار مصر واكرمت وفادته ، فاعطاني ماء وطبخ لي لبنا ولحما جافا مما يحمله قبائل البدو في رحيلهم ، وقدمني الى ابناء قبيلته الذين احسنوا معاملتي واعتبروني واحدا منهم ...»

ثم تخلف عنهم ليسير في طريق اخر غير طريق قوافل البدو حتى لا يقع في ايدي جنود فرعون الذين خرجوا للبحث عنه . ويحكي سنوهيت كيف قضى اياما كالغزال الشارد في قلب الصحراء الواسعة ، وكيف اشتغل في قطع الاحجار في مناجم الفيروز حتى وصل الى ارض « رتنو العليا » ، حيث قابل اميرها شيخ قبيلة « عمو نتشي » ، ولما عرف انه قادم من مصر اخذ يمدح له في ملكها العظيم سنوسرت بقوله : « حقا ان مصر سعيدة لان ملكها يفلح في حكمه وان بلاده « فلسطين » تدين له بالولاء والحب » . ولما كان قد سمع عن اسمه كاحد رجال قصر والده الامناء فقد اكرم وفادته واستبقاه عنده وفي ذلك يقول سنوهيت : « وقد جعلني الامير على رأس ابنائه ، وقال لي أمل ان تكون هنا سعيدا بيننا ، ستسكن معنا ونعاملك بحب وشفقة ،

وزوجني من كبرى بناته ، وجعلني اختار لنفسي احسن ما في حيازته من الاراضي التي تمتد من حدود بلاده الى ارض النهرين فاخترت اجملها وتسمى ارض « ياء » كان فيها التين والكرم ونبيذها اكثر من مائها شهدها غزير ، وزيتونها كثير ، وكل الفاكهة محملة على اشجارها ... وكان فيها الشعير والقمح ذو السنابل الذهبية وماشية يخطئها العد من كل نوع .

وكان نصيبي عظيما واعظم منه ما نلته من حب الناس . وقد نصبني امير « رتنو » حاكما على احسن قبيلة من قبائل بلاده ، فوضعوا لي الخبز لاكلي اليومي والخمر لشرابي اليومي واللحم المطبوخ والدجاج المشوى خلاف ما في الصيد من خيرات . وضعوا الكثير من الالبان بكل الاشكال والحلوى ، وقضيت عدة سنين وانا سيد قومي والجميع يدينون لي بالحب والولاء .»

ويصف في جزء اخر من القصة واقعة مبارزته مع بطل قوى من فلسطين جاء يتحدى قوته ليبارزه ويحطم سطوته ، وهنا يقول سنوهيت : « جاء رجل قوى من فلسطين ليبارزني

في معسكري ، وكان بطلا منقطع النظير ـ اخضع جميع قبائل فلسطين واقسم ان يحاربني ، وتآمر مع رجال قبيلته ان يأخذ ماشيتي واملاكي غنيمة، وادعى ان رجالي فتحوا بابه واخترقوا سياجه ودبروا سرقته .. وسألني الامير فقلت له ان ذلك حقد عليك لانه رأى انني زدت من سلطتك والى كالثور الماشية في قطيع غريب .. ان الثور يحب النزال ولن يقلق لقهره خوفا من ثور ربما كان مصارعا له في القوة . فاذا كان قلبه مصمما على الحرب فدعه ينطلق بارادته ، وهل الاله يعلم بما قدر له ؟ او هل يعرف هو كيف يكون المصير ...

« وفي الليل شددت قوسي . وفوقت سهامي وشحذت خنجري ، وعند الفجر كانت فلسطين باكملها قد جاءت وقد اثار قبائلها فتهيأت للنزال، وهنا برز كالثور الثائر فكان كل قلب يحترق من اجلي وكل قلب مكلوم بسببي ، وهجم على فجاة فتقاذفت سلاحه فسقط درعه وفأسه وحزمة حرابه ، ومر سهمه بي طائشا فتركته

ولم اقض عليه بضربة قاضية وهو تحت رحمة سلاحي وقبضتي الحديدية .. تركته ليقترب مني ويهاجمني ثانية ، فارسلت سهمي عليه فالتصق بعنقه فصاح وهو يخور كالثور القتيل وقد انبطح على انفه فاجهزت عليه بفأسه وصحت صيحة النصر، ووضعت قدمي على رقبته ، فكان قربانا لمنتو ... فتقدم الامير وضمني الى صدره ، وامرت رجالي فاخذوا متاعه واثقلوا ماشيته واستولوا على كل ما في معسكره ـ وما دبره من نكاية بي جعلته يحيق به ولقد فعل الاله ذلك رحمة بفرد غضب عليه وجعله يفر الى ارض اخرى ويحرم من وطنه فعفا عنه واعاد الفرحة الى قلبه » ..

ويعود فيقول : « انت ايها الاله الذى امرت بهذا الهرب كن رحيما واعدني ثانية الى مقر الملك ـ لارى المكان الذى يسكن فيه قلبي ، وان تدفن جثتي في الارض التى ولدت فيها وخرجت منها » .

وارسل سنوسرت الى سنوهيت وزوجته يستعطفهما ويستأذنهما في المجيء الى مصر ويؤكد لسنوهيت الذي يحفظ له كل ولاء واخلاص انه هرب خوفا على حياته ممن تآمروا على قتله لابعاده عن القصر ويذكر سنوهيت في خطابه انه جر الى بلاد فلسطين باسم سنوسرت ملك مصر .

ويكمل سنوهيت قصته فيقول انه بعد ان تلقى مرسوما ملكيا بالعفو عنه والعودة الى مصر (ونشر بيانه كاملا بما فيه من توقيعات واختام) لم يمكث الا يوما واحدا في « ياء » حيث سلم ثروته لابنائه وولى اكبر ابنائه مكانه زعيما على القبيلة . وعندما وصل الى حدود مصر صحبه رجال القصر الى العاصمة وجاءوا في الصباح المبكر لدعوته لزيارة الملك وكان ابناء الملك في استقباله عند بوابة القصر وكان اللقاء مع فرعون والملكة وديا واحتفلوا به احتفالا انساه « ما سرقته السنون من عمره » .

« جعلوا السنين تغادر جسمي وانسلخت عني . البسوني افخر الثياب من اجمل الكتان وعطروني باحسن انواع العطور ، وقال جلالته لن تخاف ولن ترتاع ستكون امينا على القصر وبين رجال حاشيتي » واهدى لي بيت حاكم مقاطعة بما يليق بسمير اول للملك ، وقد بناه السد الصناع وزينه امهر الفنانين وكان اثاثه جديدا ..



البرج المسحور

وقد اقيم لي قبر من الحجر وسط المقابر الملكية اشرف عليه كبير مهندس العمارة بأمر من الملك ، واخذ النقاشون ينقشونه ومهرة النحاتين ينحتونه وزودوه بكل ما يليق بقبر السمير الاول للملك من اثاث جنائزى ، ورتب لي الكهنة الجنائزيون ورصع تمثالي بالذهب ، واعد لي تماثيل الالهة المرصعة بالاحجار الكريمة . ان جلالته هو الذى امر بصنعها وقد تمتعت بعطف من الفيض الملكى الي ان اتى يوم الانتقال الى القبر » .

● الاميرة الجميلة والبرج المسحور ●

من قصص الدولة الحديثة المحببة الى قلوب المصريين والتى تتشابه مع قصص « مغامرات الشاطر حسن وست الحسن » في الف ليلة وليلة وكانت من اكثر القصص تداولا لعدة اجيال . وتبدأ القصة بتاجر وزوجته تقدمت بهما السن ، رزقهما الاله كل شيء الا ابنا يرثهما ويصلى على قبرهما وهو ما يعتبرانه ارفع نعم الرضا ، وتستجيب المعبودة حتحور لدعواتهما فيرزقان بطفل جميل يطلقان عليه اسم « هبة السماء » بعد أن كانا قد فقدا الامل في الانجاب ويحملان الطفل الى المعبد ليباركه الكاهن ويقدما قرابين الشكر للاله . عند خروجهما تقابلهما عرافة على باب المعبد فتقرأ طالع الطفل وتتنبأ بمصيره فتقول « ان نهايته سيلقاها بكلب او ثعبان او تمساح » .

وحتى يهرب من هذا المصير ارسله ابواه ليعيش في بيت ناء وسط الصحراء في معزل عن الناس والحيوانات بعيدا عن اعدائه الثلاثة ويسهر على حراسته كل من الابوالام بالتبادل .

في يوم من الايام بينما كان يطل من شرفة البيت المطلة على الصحراء شاهد صيادا يسير يتبعه كلبه الامين فلما سأله عن ذلك المخلوق الذى لم يره من قبل قال له الصياد انه الكلب الصديق الوفي الذى يؤنسه والرفيق المخلص الذى يحميه . فالح على والديه ان يحققا امنية تسعد قلبه باقتناء كلب يكون صديقا يؤنسه ويحميه ، فاحضرا له جروا صغيرا قام بتربيته ..

ومرت الايام وكبر الابن واصبح شابا قويا وجميلا وكبر معه كلبه الذى اصبح صديقه المخلص الذى لا يفارق قط ويسهر على حمايته بخلاف ما تنبأت به العرافة ، وطلب من ابويه ان يخرج من سجنه ويقوم برحلة يواجه بها الحياة ويمتع قلبه وهو يقول « سافعل ما يرضى قلبى وبفعل الاله ما يرضى قلبه » . وخير

لى ان اعيش واموت مرة واحدة وهو اكثر ، من ان اموت عدة مرات فى انتظاره بغير ان اعيش لامتع قلبى »

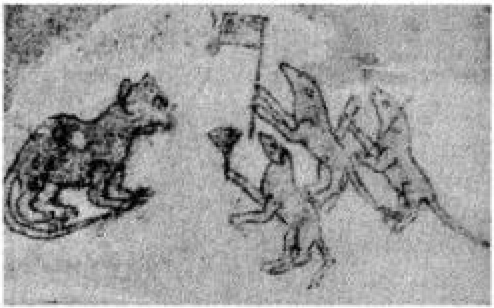
وهكذا يخرج بطل القصة فى رحلة بعيدة الى « نهارينا » ليس له رفيق سوى كلبه واحلامه · ويحكم نهارينا امير قاسى القلب له ابنة واحدة اية فى الحسن والجمال وكما هو الحال فى قصص الف ليلة وليلة وحكايات الشاطر حسن فالامير يحجب ابنته فى قلعة او برج حصين تصفه القصة بأن له سبعين نافـــذة ترتفع عن الارض سبعين ذراعا ويحيط بالبرج بركة عميقة ملأى بالحيات والتماسيح

ويشترط امير نهـــارينا على من يريد ان يتقدم لطلب يد ابنته ان يكون من العائلة المالكة وان يتسلق حوائط البرج ليصل الى نافذة ست الحسن، بعد ان يصارع التماسيح والحيـــات قبل ان يصل الى اسفل حائط البرج نفسه ·

وتتابع تفاصيل القصة ومغامراتهـــا بان يتعرف بطل القصة على وصيفة الاميرة وكاتمة اسرارها ويرشيها بان يغريها بانه سياخذها الى حبيبهـــا الفارس الذى حرمت من لقائه بعد ما اودعه الامير فى سجن بعيـــد فى الصحراء · فتدله على سرداب سرى يصل الى القلعة وفى مأمن من بركة التماسيح والحيات · ويخبر الوصيفة اثناء الحديث أنه من ابناء ملك مصر، ولكنـــه هرب من مصر ومن القصر خوفا من زوجة أبيه التى كانت تدبر مؤامرة لقتله والتخلص منه ليـــرث ابنها العرش ·

وينجح بطل القصة فى الوصـــول الى نافذة الاميرة ، (وقد سقط من البردية تفاصيل طريقة تسلقه لحائط البرج والوصول الى نافـــذتها على ارتفاع ٧٠ ذراعا) وما تكاد الاميرة الجميلة تشاهد فارس احلامها حتى تقع فى حبه كما يقع هو فى حبهـــا من اول نظرة عندما سحره جمالها الاسطورى وعندما يعلم الامير بقصة غرامها يرفض ان يزوجها منـــه عندما عرف حقيقته وقصته المختلقـــة بأنه من أبناء الملك ، ويأمر بالقبض عليه والقائه فى بركة التماسيح · هنا تهدد الاميرة الجميلة بأنهم لو مسوا حبيبها بسوء فستلقى بنفســـها من نافذة البرج لتلحق به · فيتراجـــع الاب تحت ضغط أم الاميرة ايضـــا ويوافقا على طلبها وتتزوج البطـل الذى تطلق عليه القصة اسم الامير الشاب

ويقص الامير الشاب على حبيبته نبوءة المصير ونهايته المكتوبة على يد كلب او افعى او تمساح ، وهنـــا ترتعب الاميرة وتطلب منه ان يقتـل كلبه ، ولكنه يرفض ان يضحـــى بصديقه الوحيد الذى رافقـــه فى رحلته الشاقة القاسية حتى وصـــل اليها سالما وتحققت احلامهما معـــا هو وهى · قص عليهـــا كيف كان لا ينام الليل ليحرسه فى نومه فيمنع عنه غدر البدو ولصوص الصحراء ، كان يمنع اى كائن يحاول الاقتراب منه سواء من الحيوانات أو الزواحف او الحشرات ·· كان يصـــيد له الطيور والارانب التى يتغذى عليها ويدله على ابار الماء ليروى ظمأه وقال ان الكلب أصبح الان يخافهما الاميرة ويحبها لانها أحبت سيده ، وهذا وفاء لن تجده فى قلوب البشر ·· وهنا يرق قلبها عندما رجعت الكلب يرقد تحت قدميها ولا يدرى ما يدور حول مصيره · فتعتذر له عما بدر منها ، وتقول له « ان حبها له وخوفها عليه من ان يكـــون الكلب وهو اخلص صديق سيكون الاداة فى يد المصير ، كما كان أبوها وهو احب الناس اليه سيكون سببا فى نهايتها ·· واداة فى يد المصير » ·



وفد الفئران يرفع راية التسليم امام القط «الفار باويطة»

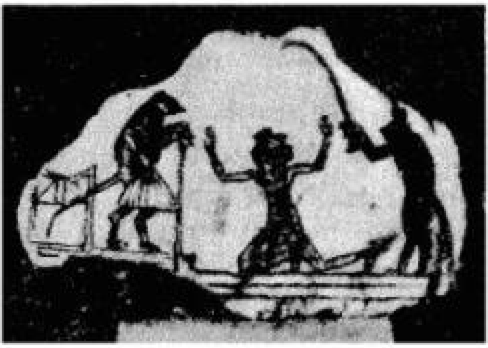
وتنتقل القصة فجأة الى ساحر عملاق يعيش في كهف بالقرب من طريق القصر يشاهدا عنده تمساحا كبيرا مقيدا بالحبال ويقول لهما

لا تخافا لقد قيدته بحبال سحرية حتى لا يؤذيكما او يعترض طريقكما وتنتقل القصة مرة اخرى ، لفقد بعض اجزائها ، الى الامير الشاب وهو نائم في ظل الشجرة بحديقة القصر

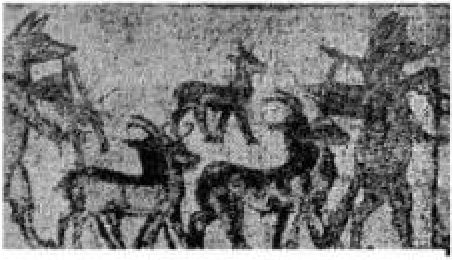
وتأتى الاميرة وتقبل جبهته وهى تخشى ان توقظه وتعود وهى تحمل اناء مملوء باللبن وتضعه بجواره ليجذب اللبن ثعبانا ضخما يخرج من بين الاعشاب فيشرب اللبن جميعه الموجود بالاناء حتى يمتلىء وينتفخ ولا يقوى على الحركة فينقلب على ظهره فتظهر الاميرة من مخبئها خلف الشجرة وتستل خنجرا من حزامها وتشق به بطن الثعبان ويستيقظ الامير وهو يقول لها :

« انت هدية اله الخير لى » فترد عليه وقد ارسلنى فى الوقت المناسب لارد مخالب اله الشر الثلاثة عنك »

وتنتقل القصة مرة أخرى بعد فقد جزء كبير من بردياتها .. حيث يخرج الامير الشاب فى رحلة للصيد ومعه



القاضى الفأر المجوز والجلاد القرد : محاكمة القط ...



الذئب يرعى الغنم

كلبه الامين ليخوض احـــدى برك الصيد كما تعود ان يتبع كلبه الامين الذى يدله على المسالك الآمنة واماكن الطيور فاذا به يفاجأ بتمساح ضخم يخرج له من بين عيدان البـــردى ليقبض عليه بين فكيه ويأخذه الى كهف الساحر العملاق ويقول له « انا مصيرك الذى كان يتبعك » وقـــد رأيتنى مقيدا لان اجلك لم يكن قـــد حان ، ويهرب الكلب ويجرى مسرعا الى الاميرة ...

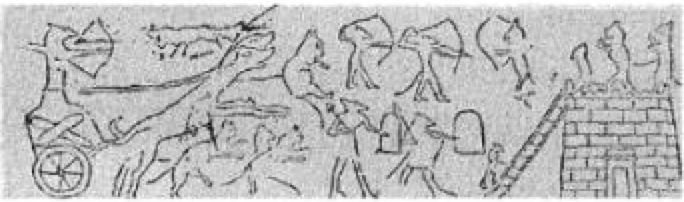
وهنا تنتهى القصة التى فقـــدت بقيتها او نهايتها التى قد تكـــون موجودة ضمن برديات مختلفـــات ومقتنيات المتاحف العالمية الى ان يحين الوقت لترى النور فتلقى ضوءا على استكمال قصة من ادب الرحـــلات المصرى القديم او العالمى الحديث .

● ادب الرحلات فى عالم الحيـــوان ●

ان قصص كليلة ودمنة التى تعتبر من روائع ادب الشرق القديم التى جمعت بين الحكمة والفلســـفة فى الادب التحريرى المسرود على لسان الحيوانات وجدت لها جذور ومرجـــع



لعبة الشطرنج بين الأســـد والغزال المتحف البريطانية



معركة الفئران ومى تغزو قلعة القطط « متحف تورينو »

فى ادب القصة واساطير رحلاتها عند قدماء المصريين من اقدم العصور – كان لها وقع خاص فى الادب الفرعوني الذى رمز الى الالهة والمعبودات بمختلف الحيوانات وما يرتبط بعالمها من أسرار فى الحياة او فى عالم المجهول · عبروا بها عن عالم الفلك فاطلقوا اسماءها ورمزوا بها الى كل ما يرتبط بدورة الفلك فى قبة السماء · عبروا بها وبصورها عن الكواكب والافلاك والبروج السماوية والهتها ومعبوداتها · فكان من الطبيعى ان يعبروا بها ايضا عن الادب التعليمي والثقافى ·

وقد وصل الينا الكثير من قصص الرحلات فى عالم الحيوان التى وضعها الحكماء والمعلمون والفنانون لتعليم الاطفال ، مدونة فى لفائف البرديات او على لويحات الاوستراكا ومن أشهرها ما دونه الحكيم كاجمني معلم اولاد الملك حوفى فى الاسرة الثالثة ، او ما كتبه الاديب كايرس والمعلم تاورى ·

ومن أشهر قصص الاطفال التى كانت تدرس فى المدارس فى الدولة الوسطى وتوارثت الاجيال اكثرها حتى نهاية الدولة الحديثة وانتقال بعضها الى ادب الاغريق – قصة الثعلب والاوز ، وقصة الذئب راعى الغنم ، وقصة التمساح العجوز وقصة الثور والثعبان ، وقصة النحلة وزهرة عباد الشمس ، وقد زينت جميع القصص بالرسوم التعبيرية وبعضها بالرسوم الساخرة التى تعتبر بداية فن الكاريكاتور فى العالم ، ولا تختلف القصص فى مضمونها وطريقة سردها والحكم التعليمية التى ترمى اليها عن قصص كليلة ودمنة او قصص الاطفال الحديثة ·

كما نسب قدماء المصريين فى قصصهم الى كل شخصية من الشخصيات الحيوانية صفة مميزة التصقت بها على مر العصور وما زالت تلازمها حتى الان · فالاسد يرمز الى القوة ويعبر فى كثير من القصص عن الملك ، والتمساح يمثل الغدر ، والكلب الوفاء ، والثعبان الشر والسحر ، والقرد الحكمة ، والثور القوة الغاشمة والغباء ، والثعلب المكر ، والنحلة النشاط والعطاء ·

ومن هنا يتبين لنا ان القصص كليلة ودمنة العالمية وفكرة معالجتها لشئون الحياة والحكم والمجتمع واستخلاص الحكمة عن طريق النطق على السنة الحيوان والطير والتعبير بالرسم الساخر فى القصص المثير للرغبة فى الاطلاع والتشويق الى القراءة والمعرفة – كانت بذورها من ابتداع الاديب المصرى الذى كان له الفضل فى وضع نواة ادب الرحلات فى العالم ، اقدم الادب العالمى لقصص رحلات العالم الآخر ، ورحلات الجنة والنار ، وقصص الف ليلة وليلة ، ورحلات السندباد البحرى وغيرها من الادب العالمى القديم والحديث الذى تناقله الادباء عبر الاجيال ·

سفراء النغم

حسن كامل الصيرفي



أنا ، والمساء ، وهذه النجمة
سفراء شعر قد علوا قمه
يتلقفون الوحي من شفة
تجري على همساتها الحكمه
شقوا حجاب الليل ، وانتزعوا
أسراره ، وتعقبوا الظلمه
فمحوا كتائبها وما تركت
في النفس من يأس ومن غمه
وحنوا على الأمل الخفوق يدا
تحيي الرجاء ، فأمنت نومه
صاغوا لهذا الفجر روعته
وهبوا لمهد جفونه حلمه
حتى اذا طلع النهار بدا
لا جهمة فيه ولا غيمه
رسموا لأهل الأرض في نسق
حسن الجنان ، فأتقنوا رسمه
وتأرجوا عطرا يراوحها
نسما يعانق أخته النسمه
وجلوا على الدنيا محاسنهم
هبة الفراديس تنشر الرحمه

•••

أنا ، والمساء ، وهذه النجمه
كلم تجمع شملها نغمه
الحسن : وحي ... والمساء له :
سحر ... وشعري حوله : بسمه

الرحلات

فى الأدب الإنجليزى

د. إنجيل بطرس

عندما يذكر أدب الرحلات في الادب الانجليزى ، فلعل أول مايتبادر الى الذهن أعمال مثل « رحلات – كابتن كوك » و « ايوثين » لكنجليك و « رحلات جاليفر » لجوناثان سويفت . و « روبنسون كروزو » لدانيال ديفو .

وهنا يتعين علينا التوقف لحظة للتمييز بين نوعين على الاقل من كتب الرحلات ... أما النوع الاول فهو وصف الرحلة الذى يشكل نوعا متخصصا من الكتابة يدخل في باب الادب اذا اكتملت له بعض الصفات الادبية التى لاغنى عنها فيما يعد أدبا من الكتابة بوجه عام ولايدخل فى نطاقه مايفتقر الى تلك الصفات . فاذا اكتملت له هذه الصفات سمى أدب الرحلات ، والبه تنتمى رحلات كابتن كوك مثلا او « ايوثين » او كتاب لين عن « المصريين المحدثين » او الغسق في ايطاليا للروائى د . هـ . لورنس .. أما فيما عدا ذلك فيطلق عليه وصف الرحلات ويشمل العديد من الكتابات التى تعد سجلا لرحلات تفتقر الى الصفات الادبية والشخصية التى سنشير اليها فيما بعد .

أما النوع الثانى فهو العمل الادبى الذى ينتمى الى نوع من الانواع الادبية المعروفة كالدراما أو الشعر أو الرواية ، ويتخذ شكل الرحلة أو تشكل الرحلة عنصرا هاما من عناصر تكوينه ، كما هو الحال فى كوميديا شيكسبير المعروفة « العاصفة » أو قصيدة « الملاح العجوز » للشاعر الرومانسى كوليريدج ، أو رواية مثل « رينصون كروزو » ، أو قصة نقدية ساخرة مثل« رحلات جاليفر »، أو رواية رومانسية مثل « جزيرة الكنز » للكاتب روبرت لويس ستيفنسون .

وهنا يمكن أن تكون الرحلة

الخيالية رحلة على مستوى الواقع الخارجي ، كما هو الحال في قصة « روبنصون كروزو » التي يقوم فيها البطل الخيالي برحلة يدعي الكاتب انها رحلة حقيقية تنتهي به الى جزيرة غير مأهولة بالسكان يعيش عليها بمفرده طوال نيف وثمان وعشرين سنة ... كما يمكن أن تكون الرحلة رحلة نفسية تتم على المستوى الداخلي لشخصية من شخصيات الرواية مثلا ويتحقق في نهايتها نوع من المعرفة بالذات أو

د. هـ. لورانس



بالغير ، وهو ما يحدث في كثير من الروايات الحديثة بوجه عام ...

ثم هناك ذلك النوع الذي تتم فيه الرحلة على المستويين الواقعي والنفسي كما هو الحال في قصة كونراد « قلب الظلام » التي تصف رحلة الى اعالي نهر الكونغو ابان فترة السيطرة البلجيكية يشهد فيها راوي القصة انواعا من الظلم والاستبداد والقهر الذي يعانيه الافريقي على يد الرجل الابيض الذي يدعي أنه جاء الى القارة السوداء يحمل اليها النور والحضارة ، ويكتشف ان قلب الظلام قد يكون قلب افريقيا وقلب الانسان — وقد يكون قلبه هو اذا ما ساده الشر والتقى منه حب الانسانية والاخلاص للمثل العليا .

وكما هو الحال في رواية فرجينيا وولف « الى المنار » حيث تدور القصة حول اتجاه نية الاسرة الى القيام برحلة الى المنار ، لاتتم الا في نهاية الرواية بعد وفاة الام واثنين من ابنائها ، وذلك على مستوى الواقع ، اما على المستوى النفسي او الرمزي ، فهناك رحلة اخرى تتحقق في نهايتها وحدة الاسرة وجمع شملها حين يفلح الاب ، وصورة زوجته المتوفاة في مخيلته ، في اكتساب ود ابنه وابنته بعد شيء من الجفوة والصراع الداخلي .

وسنحاول فيما يلي ، وبعد أن نلقي نظرة سريعة على بعض امثلة

الرحلات

ادب الرحلات ، وهو كل ما نستطيعه فى حـــدود هذا المقال - أن نبين العلاقة التى تربط بين هذين النوعين من كتب الرحلات ومدى تأثر الواحد منهما بالآخر ، لامن ناحية الشــكل فحسب بل الى حد ما من ناحيـــة الرواج والانتشار على مســــتوى القراء ايضا .

***

ادب الرحـــلات اذن هو مايمكن أن يوصف بأدب الرحلـــة الواقعية ، وهى الرحلة التى يقوم بها رحـــالة الى بلد منبلاد العالم ويدون وصفا لها يسجل فيه مشاهداته وانطباعاته بدرجة من الدقة والصدق وجمـــال الاسلوبوالقدرة على التعبير، تختلف من شخص الى اخر ، ومن رحلـــة الى اخرى ...

اما تحديد مايمكن أن يوصـــف بالادب منها مقدما ومالا يمكن اضفاء صفة الادب عليه ، فمن الامـــــور الصـعبة .. فتعريف أى نوع ادبى بدرجة كافية من الدقة امــــر متعذر لان لكل عمل ادبى شــخصية متميزة ترفض الخضـــوع للتصـــنيفات الجامدة ... ومع ذلك يرى النقاد أن هناك صـــفتين هامتين لا بد من توافرهما فى ادب الرحلات ، وهما :

اولا: أن يكون من يكتب عن الرحلات رحالة بطبعه محبا للسفر .. وثانيا أنيكتب بالاسلوب الذى يجعل وصفه للرحلة يعكس روح الرحلـــة والرغبة الشديدة التى تتملكه للقيـــام بها . وهكذا يمكن القــــول بأن طرفى هذا النوع من الادب هما الموضـــوع أو الرحلة ذاتها من ناحية ، وشخصـــية الرحالة من ناحية اخرى . ولعـــل خير امثلة ادب الرحلات هيماتكشف من شخصية الرحـــالة بقدر ما تقوم بنجاح وصف البلاد التى يتنقل بينها والنـــــاس الذين يلتقى بهم . فاذا كان هذا هو الوســـط الذهبى ، ففى احد طرفيه توجـــد الامثلة التى تقع شخصية الرحالة فى مركز الانتبـــاه وفى الطرف الاخر تقع الرحلة الجافة التى لاتحمل اثرا لشخصية صاحبها وتلك الشـــخصية المميزة بعد أن تصبح مجموعة من الحقائق العارية من السمة الانســـــانية التى تميز العمل الادبى .

وكما ذكر احد نقاد هذا النـــوع من الادب ، كان لكل من كبـــــار الرحــــالة الانجليز فى بداية عصر الرحـــلات فيما بين ١٥٥٠ - ١٦٦٠ من امثال هاكلوت ودامبير، وانسون اسلوبه واتجـــاهه الخاص . ومع ذلك فقد كانت تجمع بينهم صـــفات عامة ، اهمها انهم جميعا رحالة فى المكان الاول ... اما هدف معظمهم فكان اعطـــاء المعلومات من ميـــل قوى نحو الاقتصاد . ولذا كانـــوا يميلون الى تأكيد ماهو نافع اكثر مما هو شيق من التفاصـــيل . هذا



صموئيل كولردج



شكسبير

بالاضافة الى أنه كان لديهم جميعا ذلك الميل الانسانى الى قص قصة جيدة .

وقد كان الهدف من الرحلة ــ وكان يتمثل فى القرنين السادس والسابع مثلا فى التجارة مع الصين أو اكتشاف بلاد جديدة أو الحصول على الذهب من السكان الاصليين ــ يعمل على فرض نوع من الحبكة على وصف الرحلة . فقد كان هناك هدف ينبغى تحقيقه ، فاما أن تحققه الرحلة وتنجح ، واما الا تحققه وتبوء بالفشل . وهكذا كانت تشكل وحدة الحدث عنصرا هاما فى معظم هذه الرحلات ، وان كان شكل اليوميات يستخدم أحيانا . ولكنه يؤدى بالطبع الى انعدام وحدة الحدث وماتضفيه على وصف الرحلة من تشويق واثارة لفضول القارىء ، اذ يختفى خيط الاحداث وسط وصف الاماكن وتسجيل المسافات والاحداث المنفصلة .

ويتمتع الكثير من الرحالة بمقدرة ادبية كبيرة ، وحتى اذا افتقدوا الاستعداد الطبيعى للكتابة الادبية فان الرغبة التى لا تقاوم فى جعل قصة اسفارهم قصة مثيرة مشوقة . كانت تعينهم على انتاج وصف افضل لرحلاتهم .. ويمكن القول بوجه عام بأنه بالرغم من وجود الرحالة الادباء الذين يتألقون فى الكتابة والتعبير ويجيدون اختيار الالفاظ والاساليب ، واولئك الذين لايعيرون الاسلوب اى اهتمام بحيث يأتى وصف الرحلة ثقيلا يعوزه الجمال والرشاقة ، فان معظم كتب ادب الرحلات مكتوبة بلغة سهلة واسلوب خال من الصنعة .

ولعل من اهم جوانب القدرة الادبية لدى الرحالة المقدرة على خلق جو المكان الذى يصفه والايهام بواقعيته بحيث يشعر القارىء وهو يتابع الرحلة انه يبحر فى المحيط الاطلنطى بحثا عن ارض جديدة او يفاوض قبيلة افريقية يحاول الحصول منها على اكبر قدر ممكن من الذهب فى مقابل بضعة عقود

من الزجاج الملون ، أو يجوب شوارع القاهرة القديمة أو يقف مشدوها داخل معبد هندي قديم، أو يلمس بمخيلته جمال الجبال والانهار والبحيرات في بقاع ايطاليا المختلفة مثلا .

***

فاذا القينا نظرة سريعة على خريطة أدب الرحلات في انجلترا أولا ، وجدنا ان الفترة الواقعة بين ١٥٥٠ـ١٦٦٠ وهى فترة الاستكشافات الانجليزية وبداية حركة الاستعمار الانجليزى ، حين حاولت انجلترا اللحاق باسبانيا وهولندا والبرتغال في هذا المجال ـ هى فترة أوائل كتاب أدب الرحلات أو جامعيها مثل ريتشارد هاكلوت (١٥٥٢ ـ ١٦١٦) الذى يرجع اليه الفضل فى جمع وصف أكبر عدد من الرحلات فى « الرحلات البحرية الرئيسية » (١٥٨٩) ، والذى يعده الاستاذ لويس ، أحد كبار دارسى هذه الفترة ـ اكثر كتبها نفعا وامتاعا.

وفى بعض اعمال سير والتر رالى مثل « اكتشاف غيانا » (١٥٩٦) وجدنا ان أهم مايميز هذه الكتابات هو الاحساس بالزهو والفخر بما تحققه هذه الرحلات الاستكشافية من مد للنفوذ الانجليزى وفتح اسواق لتجارتها الى الشعور بالعجب بما يرى الرحالة من اشياء جديدة مبتكرة ، والقدرة فى بعض الاحيان على وصف الشياء ـ كثمرة جوز الهند مثلا بشكل يمكن القارىء من تصورها علما بأنه لم يرها قط...

ويؤكد الاستاذ لويس فى كتابه عن القرن السادس عشر ان افضل هذه الرحلات واكثرها امتاعا بالفعل هى تلك التى تدين بشىء ما الى كل من الرحالة والرحلة معا .

أما فى القرن الثامن عشر الذى اتسعت فيه رقعة الامبراطورية البريطانية حتى شملت الهند فى نهايته ، فقد اتسع مجال الرحلات وشملت جميع بقاع العالم تقريبا . وفى منتصف القرن اصبحت الرحلة الى ايطاليا وفرنسا حلم الجميع ، وزادت الرحلات الى الشرق والى مصر ... وفى الثلث الاخير منه اتجه الاهتمام الى افريقيا ودفعت الحكومات والجمعيات الخاصة بالرحلات اليها . وانتشرت عادة قراءة ادب الرحلات كوسيلة من وسائل الترفيه وقتل الوقت . ومن أهم كتب الرحلات فى هذه الفترة رحلات « كوك » الاستكشافية التى نشرت فى ثلاثة مجلدات بين ١٧٧٣ و١٧٧٤ قام « كوك » بكتابة الثانى منها .

أما ما حظيت به مصر من اهتمام لدى الرحالة فى اواخر القرن الثامن عشر والنصف الاول من القرن التاسع عشر ، وادى الى ازدهار ادب الرحلات الخاص بها ـ فيرجع الى عدد من الاسباب منها الاهتمام

الرحلات



تشارلز داروين

بالشرق وخاصة بعد ظهور ترجمات جديدة لكتاب « الف ليلة وليلة »، ثم نتيجة للحملة الفرنسية وما اثارته من اهتمام بتاريخ مصر وآثارها واهميتها الاستراتيجية ٠

وقد قام بعض الدارسين بدراسة ماكتب فى تلك الباب بكثير من التفصيل ٠ ويعتبرها النقاد اشهر كتب الرحلات فى الانجليزية على الاطلاق ومن اهم امثلة ماكتب عن مصر الى جانب «المصريين المحدثين» الذين سبقت الاشارة اليه « ايوثين » (١٨٤٤) لكنجليك ويعتبرها النقاد اشهر كتب الرحلات فى الادب الانجليزى على الاطلاق ، « والهلال والصليب » لاليوث واربرتون ، وكتاب هاربيت مارتينو : « الحياة فى الشرق حاضرها وماضيها »(١٨٤٦) و« حياة القرية فى صعيد مصر » (١٨٥٢) - لبين سانت جون ثم « رحلة من كورنهيل الى القاهرة الكبرى » (١٨٤٦) للروائى الكبير ثاكرى ٠ وفى معظم هذه الكتابات يتبارى الكتاب فى وصف سحر مصر : نيلها وصحرائها، قراها ومدنها القديمة ، آثارها وطباع اهلها ٠

ومن الطبيعى آن تتطور كتب الرحلات عن مصر ، فبينما نجد فى بداية الامر اهتماما بوصف الاماكن والآثار والمتاحف ، نجد فيما بعد اهتماما ، باهل البلاد واتجاها الى تسجيل الانطباعات الرحالة الشخصية اكثر من مجرد الوصف الموضوعى لما يراه من اشياء اثناء رحلته ٠ وقد اجتذب سحر مصر السياح والتجار وعلماء الآثار ودارسى الكتاب المقدس والادباء والفنانين بحيث يعتبر ادب الرحلات عن مصر ثروة ضخمة من الكتابات المتنوعة فى الادب الانجليزى ٠

ومما يلاحظ على ادب الرحلات فى القرن التاسع عشر بوجه عام ان الاهتمام لم يعد مركزا على وصف الآثار والمتاحف والمؤسسات والكنائس بقدر ما هو موجه الى الرجال والنساء وعلاقتهم بما يحيط بهم ، وان نجاح الرحالة فى اثارة الاهتمام انما يرجع فى كثير من الاحيان الى مايبديه من ملاحظات شخصية على اولئك الذين يتنقل بينهم ٠

ويتضح هذا التغير على وجه الخصوص فى كتابات العلماء الطبيعيين الذين يقومون برحلاتهم بدافع علمى ٠ ومن اهم الرحلات فى هذا المجال رحلة البيجيل (١٨٣٩)

الرحلات

لتشارلز داروين ، والتي ترجع شهرتها ، لامكانتها في تاريخ العلوم ، فقد جمع اثناءها داروين كمية ضخمة من العينات البيولوجية التي استخدمها اساسا لنظريته عن النشوء والارتقاء وليس هذا فحسب ، بل أيضا لما تتميز به من صفات كسجل لرحلة تتسم بالجمال والقدرة على اجتذاب القراء .

ومن أشهر أمثلة ادب الرحلات ايضا في هذا القرن كتاب جورج بورو : « الثورة في اسبانيا » (١٨٤٣) لما يتميز به الكاتب من قدرة على خلق جو اسبانيا واضفاء الحيوية على البلاد وسكانها .

فاذا اكتفينا بهذا القدر من الاشارة السريعة الى بعض امثلة ادب الرحلات بوجه عام ، امكن تلخيص ذلك في ثلاث نقاط :

اولها : استقاء بعض التفاصيل التي يستخدمها الادباء في كتاباتهم كما هو الحال في كوميديا العاصفة لشيكسبير فقد اثبت الدارسون انه يعتمد في بعض تفاصيل الرحلة التي تضع العاصفة حدا لها على بعض تفاصيل الرحلات السابقة لمسرحيته .

وكما هو الحال ايضا في رواية روبنسون كروزو التي يمكن ان يقال انها نتاج لكل ما سبقها من رحلات الى جانب ما يمكن أن يكون مؤلفها دانيال ديفو قد استقاه من رحلة البحار اسكندر سيكليرك بالذات .

ونفس الشيء يمكن أن يقال عن القصيدة « البحار والعجوز » لكوليردج ورواية « رودريك راندوم » لتوبياس سموليت وغيرها .

وثانيا : اسهام وصف الرحلة الى حد ما بعنصر من عناصر التكنيك او الشكل الفني لبعض الاعمال الادبية الاخرى وخاصة الرواية بوجه عام والرواية التي تعتمد على ما يسمى الرحلة الفلسفية ، او الرحلة الثقافية كما هو الحال في « رحلات جاليفر » مثلا وفي الكثير من الاعمال اليوتوبية التي تقدم صورا لعالم مثالي مجهول كما ترى في « يوتوبيا » سير توماس مور والكثير مما تلاها من روايات يوتوبية .

ثالثا : استخدام الكاتب ذاته لبعض مادة كتب الرحلات الخاصة به وليس بغيره من الكتاب في بعض ما يلي من أعماله الادبية . ولدينا امثلة لذلك في دواوين جميع شعراء القرن التاسع عشر تقريبا ، من وردزورث الى تينيسون وبراوننج . والتي يقال انها عمق آثار رحلاتهم في كل صفحة من صفحاتها تقريبا .

اما في أعمال الروائيين د . هـ . لورانس وأ . م . فورستر في العصر الحديث فنجد أمثلة لاستخدام نفس المادة تقريبا في نوعين ادبيين متميزين .

وفي حالة لورنس ، فكما يقول احد النقاد « فكان القيام برحلة يبرز دائما خير ما في لورنس » . واسعد كتب رحلاته « البحر وسردينيا » وهو

وصف لرحلة قام بها هو وفريدا فى ١٩٢١ من صقلية الى سردينيا ومنها الى ايطاليـــا • ولا تكاد الرحلة فى جوهرها تعـــدو رحلة عادية كعشرات الرحلات التى يقوم بها السياح ولكن عبقرية لورنس جعلت منها رحلة نادرة فقد لمست يده السحرية الاماكن والناس وجعلت منهم شيئا مختلفا تماما •

اما « الفسق فى ايطاليا » فكتاب ملىء بهجة ويشغل معظم الكتاب وصف الحياة فى قرية على بحيرة طردا ، حيث أمضى لورنس بعض الوقت ، وهنـــا أيضا يخلق لورنس روح المكان وينفـــذ الى حياة الناس • ونلمس شخصية الكاتب فيما يلف الصورة التى يقدمهـــا من غضب اذ يرى الحياة فى تلك القـــرية تصبح شيئا فشيئا الية قبيحة ، فالفسق هنا فسق مجتمع الفـــلاحين القديم ، حيث كان الرجال ينظمون حياتهم تبعا لفصول السنة ويعملون مع زوجـــاتهم وابنائهم فى الحقول والكروم ويعيشون من نتاج عملهم • ويرجع غضب لورنس

ادوارد مورجان فورستر



الى أن تلك الحياة آخذة فى الانحسار اذ لم يعد الشباب الايطالى يرغب فيها بل أضحى يريد الالات والمال والمـــدن والهجرة الى أمريكا • لقـــــد أحب لورنس الحياة الطبيعية البدائية وكره الحياة الصناعية وميكنة الحيـــــاة والسعى وراء المال والبعد عن الطبيعة وجمالها ورقتها وبساطتها • ولكنه وجد أن ما حدث فى انجلترا كان آخذا فى الحدوث فى ايطاليا وفى انحـــاء العالم والجدير بالملاحظة اننا نجد هنا بعض أهم عناصر فلسفة لورنس التى عبر عنها فى بعض اعماله الروائيـــة وخاصة فى « عشيق الليدى تشاترلى »

اما كتابه التالى فى أدب الرحلات « صبحيات فى مكسيكو » فقريب الشبه برواية « الحية المجنحة » •

اما فورستر الذى اصبحت روايته « رحلة الى الهند » من الكلاسيـــات المعترف بها فقد كتب قبلها «جبلديفى» وهى مجموعة من الرسائل يصف بها رحلة قام بها للهند واستند اليها دون شك عند كتابة روايته الاخيرة فيمـــا بعد • ففى وصف الرحلة ينقل الكاتب ما تثيره الهند فى نفسه من احساس بالاثارة والترفيه والفضول • ويدون انطباعاته المباشرة بوضوح عما يقابله من أشياء وأحداث • ويؤكد ان الهند روحوان على الذين يرغبون فى فهمها ان ينظروا اليها نظرة روحية؛ ويعبر عن الروح القومية موضحا ان الهند القائمة على الحب يجب ان تعلو فوق وسائل التفرقة وأن تسعى الى الحفاظ على تراثها الثقافى وقيمها القيمة •

كل ذلك يمكن استشفافه عن طريق اسلوب اخر فى الرواية حيث تكتسب بعض الاحداث والتفاصيل الوقرمزية تضيف الى جمال الرواية وقدرتهـــا على التأثير •

د. سامية
أحمد أسعد

مع الشاعر

جيرار دي نرفال في "رحلة إلى الشرق"

في بداية القرن التاسع عشر، نشطت العلاقات بين مصر وفرنسا نشاطا محسوسا مرجعه الظروف السياسية والعلمية السائدة آنذاك، وخاصة حدث تميزت به الآداب الفرنسية في ذلك القرن، ألا وهو « الميل الى الغريب ».

اتخذ موضوع مصر في الأدب الفرنسي آنذاك، أشكالا مختلفة منها الرؤية الزائفة، أما الرؤية الصحيحة التي تكاد تكون تسجيلية، أو هرب النفس القلقة الضجرية نحو آفاق جديدة ... ومن ثم كانت هناك فئات ثلاث من الكتاب الذين تحدثوا عن مصر، الذين تحدثوا عنها دون أن يروها ... والذين تحدثوا عنها دون أن يروها وانما قرأوا عنها ... والذين تحدثوا عنها مستوحين تجربتهم الشخصية وملاحظتهم للواقع مباشرة ... وبالتالي، تنقسم الاعمال الادبية الفرنسية التي عالجت موضوع مصر الى : أعمال خيالية بحتة، وأعمال يستند فيها الخيال الى الواقع، واعمال كانت ثمرة لملاحظة الواقع مباشرة، وأيا كانت هذه الاعمال، فمن النادر أن ترى كاتبا من كتاب القرن التاسع عشر الفرنسي عرف مصر من قريب أو بعيد ولم يهتم بها ولم يؤخذ بسحرها ...

ومن الادباء الفرنسيين الذين تحدثوا عن مصر في القرن التاسع عشر، أدباء يحملون أسماء يعرفها القارىء العربي حق المعرفة : شاتو بريان، وجيرار دى نرفال، وجوستاف فلوبير، وأوجين فرومونتان، وفيكتور هيجو، وأناتول فرانس، الخ ... لكن الذى يطلع على أدب الرحلات الفرنسي في ذلك القرن يلمس أن جيرار دى نرفال كان أول من اهتم بمصر اهتماما خاصا، وأول من عالج موضوعها معالجة فنية رائعة. وليسمح لنا بأن نفرد هذه الصفحات له، دون مساس بالقيمة الادبية لكتابات الادباء والرحالة الاخرين ..

أوحت مصر الى هذا الكاتب بجزء هام من أعماله. فلقد تحدث عنها في كتابه « رحلة الى الشرق » وفي

رواية رمزية لاحقة بهـــذا الكتاب : « قصة الخليفة الحاكم » ، وقصـــة قصيرة « ايزيس » وقصيدة اسطورية « حورس » ضمن ديوانه « الاوهام »٠

كانت قراءته لديوان ف ٠ هيجو « الشرقيات » قـــد فتحت له أبواب الشرق على مصراعيها ٠ كما انه درس منذ صباه ، التاريخ والآداب الشرقية، والخط العربى والفـــارسى ٠ ثم جاء الوقت الذى اتصـــــل فيه بالشرق التقليدى الذى تخيله الرومانسيون ، « بشر تحت اشجار النخيل » فحسب ٠٠

لكن ، ما هى الاسباب التى دفعته الى طـــريق الشرق ومصر بالذات ؟ النزوة ، الهوى ، نداء المجهول ، ام هذه الاسباب مجتمعة ؟ الواقع ان الذى دفع نرفال الى الرحيل أسباب شخصية، والظروف المحيطة به ٠ فلقد كان عام ١٨٤١ عاما اليما فى حياته، شهد نهاية علاقته بالمغنية جين كولون التى احبها حتى العبادة ، وتراءى له، على فترات متباعدة، شبح اخذ يهرب منه ، بعد ان أدرك انه يدفـــعه على حافة الهاوية ، وانه شبح الجنـــون.

شاتوبريان



الكئيب يترقبه ويقترب منـــه ٠ ولم يخطىء الادراك ٠ ففى ذات ليلة ، لم يعد الى منزله ، ورد على صـــديق يسأله : الى اين ؟ بقـــوله : « الى الشرق »٠٠٠ ثم اخذ يسير وراء نجمة مختارة وهو يغنى ٠ويخلع ملابسه، ويبعثرها من حوله ٠٠٠ وامسكت به احدى الدوريات ، وقادته الى احدى المصحات العقلية ٠ وأمضى بعـد ذلك

ثمانية اشهر فى مستشفى د ٠ بلانش لان حالته كانت خطيرة ٠ وامتلأت هذه الشهور الثمانيةبالالم والعذاب ، وسادها الظلام الشامل٠وبعد انيخرج من المستشفى ، قرر أن يهرب بعيدا تحت سموات اخرى ، قرر أن يهربمن هذه الاشهر الثمانية بالالم والعذاب مع نفسه ، قرر أن يسترد الشمس المشرقة ، شمس الشرق الذى حلم به فى شبابه ٠ حاول ان يقـــاوم رتابة الحياة، ومايفرضه المجتمع من عادات وواجبات ، وقرر ، وهذا اهم ما فى الموضوع ، أن يواجه الجنـــون الذى يترقبه ، وأن يخوض معركة حاسمة ضده ، على ارض الشرق ، اراد ان يثبت لنفسه وللآخرين انه لم يكنسوى ضحية حادث عابر ٠

وكانت الرحلة ، بالفعـــل ، علاجا ناجعا ــ فلقد استرد نرفال ، فى هذا الشرق البعيد ، ثقته بنفسه وبالحياة، وانتصر مؤقتا على الشبح الذىيطارده لقد عرفت مصر « ارض ابى الهول والاهرام وموطن حورس وأوزيريس » كيف تخاطبه ، وتساءل : « الا يستعيد عقله المريض انسجامه مع العالم على هـــذه الارض الرءوم ، ام تمثـــال ايزيس المحجب ؟ » ٠

وركب نرفال المركب منمارسيليا ، فى اول يناير ١٨٤٣ ، ووصـــل الى الاسكندرية فى ١٥ ينـــاير ثم الى

مع الشاعر جيرار دي نرفال في «رحلة إلى الشرق»

القاهرة ، أو بالاحرى الى بولاق - عن طريق النهـر - في ٢٥ من نفس الشهر • وامضى في القـاهرة ثلاثة اشهر ، وتخلى عن فكرة السفر الى الصعيد •

وبعد ان عاد من رحلته ، اراد ان يجعل من مذكراته كتابا يدعم مكانته كشاعر واديب • واستمرت عمليـة النشر ست سنوات - في المجلات اولا، وفي شكل مقالات - ، من ١٨٤٤ الى ١٨٥١ ، ظهرت بعدها « رحلة الى الشرق » في شكل كتاب •••

اراد نرفال اولا ان يكون فكرة كاملة عن البلد الشهير الجميل الذى قدم اليه - مصر - لكنه لم ير منهـــا الا الاسكندرية ، والفسطاط ، والقاهرة، وعين شمس والجـيزة ، وشبرا ، والاهرام وبولاق • كمـــا انه راى المنصورة واجمل اجزاء الدلتا • لكنه لم يقم بالرحلة التقليدية - كانت قد اصبحت تقليدية منذ الحملة الفرنسية الى مصر - الى الاقصر واسوان لزيارة الاثار ، ايمانا منه بان « عـــادات المدن الحية جديرة بالملاحظة اكثر من بقايا المدن الميتـــة » • والواقع ان نرفال لم يهمل الاثار او التاريخ • وانما اراد ان يقرا عنهما الكثير قبل المشاهدة •

ولا يحذو نرفال ، اثناء رحلته ، حذو اولئك السـائحين الذين يريدون رؤية كل شيء ولا يظهـرون الا في الاماكن المناسبة التي تليق بهم • فهو كثيرا ما يسير بلا هدف بعينه معتمدا على الصدفة وحدها ، متوقفا امـام هذا المشهد او ذاك ، جالسا في هــذا المقهى او ذاك ، الـخ •• وكثيرا ما استرعت انتباهه الحمامات التركيـة والاسواق، وحفلات الزفاف ، وحلقات الذكر ، ورقصات العوالم • وكم من مرة توقف فيها ، كما يقول ، امام الحاوى ، او المصارع ، او القرداتي، ونرفال من الرحالة الذين يحبـــون الاختلاط بالناس ، والاشـــتراك في الحفلات الشعبية ، والســـير وراء النساء حتى ولو كن محجبـــات ، والتحدث الى اولاد البلد ، الخ •••

لم تعتمد « رحلة الى الشرق » على الذكريات وحدها ، بل استلزمت ايضا القراءات ، منها - واهمهـــا - ذلك الذى كتبه القنصـــل الانجليزى وليم لين « عادات وتقـــاليد المصريين المحدثين » حتى عندما صور ما يعرفه ادخل نرفال في نســـج السرد بعض التفاصيل التى اخذها عن الكتـــاب الانجليزى ••• فعل ذلك ، مثلا ، في الفصـــل المسمى « عرس على ضوء المشاعل » ، والاخر المسمى مقابلة مكة، وجدير بالذكر ان نرفال لم يكن اول من استخدم كتاب القنصل الانجليزى فقد سبقه في ذلك « كلوت بك » هذا ويفضل كاتبنا ان يستوحى الاسطورة التى يتغذى منها حلمه وخياله • وان رجع الى الكتب ، فلكى يختار منها ، ولا يحتفظ الا ببعض الملاحظات عن العادات والاحتفالات والازياء وبعض



الافكار العامة عن الاسلام الذى يظل منصوفا للاعجاب ، بل والحب ... كما أنه يعرف كيف يخفى ما يأخذه عن الاخرين . وتتمثل وسيلته المفضلة ، فى هذا الصـــدد ، فى ايراد بعض المقتطفات على لسان احدى الشخصيات على سبيل المثال ، الاساطير العربية عن الاهرام نقل لبضع صـفحات كتبها المستشرق فاتييه ، لكن الشيخ أبو خالد هو الذى يرويها لنرفال فى « رحلة الى الشرق » بصفة عامة ، يعرف هذا الكاتب كيف يذيب عناصر السرد ، بحيث يستحيل التمييز بين ما قرأه وما رآه ...

●●●

كانت الاسكندرية اول مدينة مصرية تراءت له ، الا أن ابنيتها الاوروبية خيبت أمله وتركت فى نفسه أثرا سيئا . ولم تحظ آثارها ، خاصـــة حمامات كليوباترا وعمـــود الصوارى ، باهتمامه فسارع بالذهاب الى القاهرة التى طالما حلم بها وهو شاب . وتخيلها وكأنها مدينة من مدن « ألف ليـلة وليلة » كان يتعجل الذهاب الى مدينته الساحرة، مدينة صلاح الدين الحقيقية الحية ، التى يأمل أن يجد فيها العزاء والسلوى ، وكان يبحث عن « مملكة مجهولة بعيدة عن الحاضر ، عن وطن جديد ، وطن الوهم والسراب » ، وها هى ذى المدينة التى سيبقى فيها ثلاثة اشهر ، ويكتشف فيها أسرار الشرق . وعندما قارن الخيال بالواقع، اكتشف أن حلمه لم يكن خيالا ووهما ، بل اشتمل على جزء كبير من الواقـــع . ولدت فيه القاهرة احاسيس متناقضة خيبت أمله فى أول الامر ، وخيل اليه أنه سيمضى فيها شهورا « مملة » ... لكن ، مهلا ... فمصر بلد الاسرار ، لا تكشف عن نفسها الا شيئا فشيئا ، شأنها شأن نسائها المحجبات آنذاك . يكفى أن يظهر موكب عرس ، تحفه الاضواء والضوضاء ، فى الشوارع الخالية المظلمة ، لكى يتبدل الحال ، وتتفتح لنرفال آفاق جـديدة . كانت القاهرة بالنسبة له « فردوس التغيير» حقا ، وعثر فيها على آثار العبقرية العربية والتاريخ الاسلامى . بل ان العنوان الذى أطلقه على الجزء المصرى من الكتاب « نساء القاهرة » يدل على ايثاره لهذه المدينة الخالدة .

●●●

عندما وصل نرفال الى القاهرة، لم يره الذهاب الى الفندق ، وفضل أن يبحث عن منزل للايجار فقد قيل له أنه يمكن ان يستأجر منزلا مكونا من عدة طوابق ، وله حديقة ، بثلاثمائة قرش فقط ، وبالفعل ، استأجر منزلا بالقرب من شبرا . اختار هذا المنزل من بين عدة منازل اخرى زارها مع الترجمان ، وذكره بالقصـــور التى يسكنها الامراء فى جنوة وفينيسيا ، فهى منازل « ذات الفناء تحيط بهـــا الاعمدة ، وقاعات رائعة الزخـرفة أرضيتها من المرمر وتكثر فيهـــا النافورات ، وحدائق تظللها أشـــجار

الشاعر
جيرار دي نرفال
في رحلته الى الشرق

ضيقة ، وللاسف فان الكثير من هذه المنازل مهدد بالانهيار ، لانه يرجع الى عهد المماليك . لكن منازل القاهرة ليست كلها قصورا شامخة .. فمنازل القاهرة لا تتشابه ، شأنها شأن العناصر المتباينة التي يتألف منها مجموع سكانها . فالى جانب القصور الحقيقية ، توجد مساكن بائسة ، فقيرة متهدمة . يشير نرفال ، مثلا الى الفرق الشاسع بين المنزل المتواضع الذي يسكنه الخادم منصور والقصر الذي يسكنه ابراهيم باشا في شبرا ، حيث الذوق الشرقي الخالص والحدائق الغناء التي يضرب بها المثل ..

كانت شوارع القاهرة الضيقة تموج بالحياة الشرقية ، بكافة مظاهرها ، وكل ما فيها من بذخ وفقر . تجلس فيها مثلا بائعات البرتقال والموز والقصب اللاتي يقارنهن نرفال بالتماثيل القديمة وتماثيل كليوباترا ... أما المدينة فمقسمة الى احياء ، تحيط بكل واحدة منها اسوار على غرار مدن العصور الوسطى .

وكان الموسكي هو الحي الذي استوقف نظر نرفال بصفة خاصة ، والحي الذي تذكره فيما بعد ، في ساعات الالم والمحن . وكان الناس في القاهرة يسيرون على الاقدام او يركبون الحمير . لكن ، نادرا ما يركبون العربات لانها وسيلة مواصلات ينفرد بها السادة ومن يلوذون بهم ولقد اهتم نرفال بمتاجر القاهرة ، ومقاهيها ، وحماماتها . وهذا شيء طبيعي ، لان في هذه العناصر كانت تتلخص الحياة الشرقية كما يراها الغربيون ...

كانت الاسواق عرضا سخيا للالوان الزاهية ، يذكر المشاهد « بألف ليلة وليلة » . واثناء سيره في احداها ، التقى نرفال اثر سيدتين حتى دخلتا احد المحلات ، فقال : « ليتني واحدا من اولئك الباعة الذين يبسطون اقمشتهم امام الراغبين ، كما كان يفعل البائع مع ابنة الامير امام متجر بدر الدين ! ... لو انني كنت مكان احدهم لقلت كما قال فتى بغداد : « دعاني ارى وجهيكما ثمنا لهذا القماش ذي الورود الذهبية ... هكذا اكون قد نلت اكثر مما استحق » ! .

اما حمامات القاهرة فكانت ابنية رائعة ، طالما ملأها الخيال الاوربي بالفاتنات والحوريات . وهي ملجأ رحيم في ايام الخماسين الحارقة . وتتميز هذه الحمامات بقبابها المملوءة بالثقوب ، مما يجعلها تشبه السماء والمستحمون يلتفون في قطعة طويلة من قماش الكتان تجعلهم يشبهون التماثيل القديمة . وينتقلون من قاعة فردوسية الى اخرى مجاورة حيث « الكيساتية » والوان شتى من العذاب الجسماني . والغريب حقا هو ان حرارة الحمامات ، بالرغم من شدتها ، تريح المستحم من حرارة رياح الخماسين : « تحارب نار بنار الدنيوية نار جهنم السماوية » ولم تخيب القاهرة امال نرفال . ولم تتعارض مع الفكرة التي كان قد كونها عنها بعد قراءاته عن الشرق وتقاليده ولقد عثر فيها على ما حلم به وان

كان التراب قد غطاه وزحف عليه التقدم الحديث

❊❊❊

اراد نرفال ان يقف على اسرار الحياة الشرقية · ومن ثم ، تخلى ، عندما وصل الى القاهرة ، عن كل ما يمت الى العادات الاوربية بصلة لذا ، استأجر منزلا كما قلنا ، وعمد الى ارتداء الزى القومى : القى شالا على كتفيه ، واحاط رأسه بمنديل ، وحلق ذقنه على الطريقة التركية ، آنذاك ، ولبس طاقيتين احداهما حمراء والاخرى بيضاء ، وارتدى سروالا واسعا من القطن الازرق وصديريا احمر مطرزا بالفضة ··· وبذا استحق أن يطلق عليه اسم « شلبى » الاسم الذى يطلق على الانيقين والقادرين من الشباب !··

وبفضل هذا الزى ، استطاع رحالتنا ان ينضم الى مواكب العرس، كما استطاع فيما بعد ان يشاهد موكب الحجاج ، وجدير بالملاحظة انه لم يفعل ذلك من باب الحذر او الحيطة ، وانما رغبة منه فى الاندماج فى الحياة المصرية اندماجا كاملا ·

وفى تلك الايام كان الزى النسائى دليلا على الطبقة الاجتماعية التى تنتمى اليها صاحبته · فالفلاحات يرتدين جلبابا ازرق لا يقلل من جمالهن فى شىء ، بل على عكس ذلك يشبههن بالتماثيل القديمة : « ان بائعات البرتقال ، بجلابيبهن الزرقاء واساورهن ، واعقادهن الفضية ، اية فى الجمال · انهن صورة طبق الاصل من التماثيل المصرية القديمة : الصدر ممتلىء ، والكتفان والذراعان غاية فى الروعة ··· اما نساء الطبقة الراقية فيرتدين الحبرة · وكلهن يضعن الكحل فى العين ، ويخضبن اليدين بالحناء » ·

وعن الزى النسائى عامة ، كتب نرفال اجمل صفحات كتبت عنه وعن سحره الغامض ابدا: « ان زى النساء الغامض يجعل الحشد الذى يملأ الشوارع اشبه بالحفلة التنكرية ·· ويسرح الخيال ازاء الغموض الذى يكتنف وجوه النساء ولا يمتد الى كل مفاتنهن · يفلت احيانا من الاكمام الفضفاضة المرفوعة فوق الكتف ، ذراع مرمرى شاحب ، او ترى يدا تزينها الخواتم ، والاساور الفضية، او قدما عارية محلاة برنة الخلخال ···· هذا ما يمكن أن تلمحه به العين ، وتحدسه ، وتعجب به ··· واحيانا ، تبتعد ثنايا الحجاب قليلا ، وترى من خلال الفتحة التى تظهر بينه وبين القناع الطويل المسمى « برقع» عينا جميلة ، وشعرا ملفوفا ضيق الثنايا مثلما فى تماثيل كليوباترا ، واذنا صغيرة مثلبة تهبط منها على الجيد والخد عناقيد من القطع الذهبية او الفضية ··· عندئذ ، يشعر المرء بالرغبة فى سؤال عينى المرأة المصرية المحجبة ، وهذا أخطر ما فى الامر ··· تنتظر وراء هذا الحاجز عينان ملتهبتان ، مسلحتان بكافة انواع الاغراء التى يمكن أن يدعمها بها الفن ··· لم افهم فى اول الامر الجاذبية التى يتميز بها الغموض الذى يكتنف النصف الاهم من سكان الشرق ··· عادة ما تجد المرأة التى تشعر انها لفتت للنظر الى أن ترى ، اذا كانت جميلة · اما التى تفتقر الى الجمال

مع الشاعر جيرار دي نرفال في "رحلة إلى الشرق"

لتعرف كيف تسدل حجابها . انه لبلد الاحلام والوهم حقا ، بلد يخفى فيه القبح وكأنه جريمة لا تغتفر » .

●●●

وتحتل المرأة مكانة هامة فى «رحلة الى الشرق» . كيف دخلت الى الكتاب وكيف تركزت حولها احداث الجزء المصرى من الرحلة ؟ ...

فيما يلى ، السرد على هذين السؤالين : عندما استأجر نرفال المنزل السالف الذكر ، استيقظ فى اليوم التالى ، وفوجىء بشيخ الحى يعيد اليه المبلغ الذى دفعه بالامس . لماذا؟ هل اساء السلوك ؟ لا ! ... كل ما هناك انه اعزب . وتقاليد البلد تدين الوحدة والعزوبية ، وتقرنهما بسوء السلوك ... ماذا يفعل كاتبنا الآن ؟ هل يترك المنزل ؟ أو يتزوج ؟ هل يضطر أن يفعل فى افريقيا ما تجنب فعله فى أوربا حتى الآن ؟ لذا قرر أن يبحث عن مخرج من هذا المأزق ، ما دام بقاؤه متوقفا على الزواج ، أو بالاحرى على هذه المرأة التى تدور حولها الاحداث .

وبعد بحث طويل ، اهتدى الى الجارية زينب ، بطلة « رحلة الى الشرق » . منذ اول نظرة القاها نرفال على الجارية ، سحرته بزيها الملون ، ووشمها ، وانفها المثقوب ، ويديها وقدميها المخضبة بالحناء . لم تقبل أن تشرب الا لبن الماعز ... واراد نرفال أن يسألها عن اشياء كثيرة . لكنه لم يحظ بجواب خاصة انه كان يجهل العربية . واقتصر الجواب فى اغلب الاحيان على بعض الحركات والايماءات المعبرة .

وقال الكاتب لنفسه ان القدر ساقه لكى يلعب دوراً فى حياة هذه الفتاة : « شاء القدر الآن أمر من هنا ، وكتب لى التأثير على حظها ، حسنا كان أم سيئا » .

وسرعان ما اصبحت زينب مصدرا للمشاكل ، بدلا من أن تكون حلا لها . لم يشأ أن يخرج ويتركها وحدها ، فاستأجر العجوز منصور وزوجته ، وكلفهما بحراستها اثناء غيابه . اما عن زينب فقد رفضت أن تدير شئون المنزل أو أن تطهو الطعام ، قائلة انها « سيدة » لا « خادمة » . وكانت تقضى وقتها فى النظر الى الشارع من المشربية . هكذا اصبح سيدها عبدا لها ، وقضى ايامه فى خدمتها وتعليمها الفرنسية ... كما كانت طلباتها لا تعرف حدا . ولا نهاية : طلبت من نرفال أن يشترى لها حبرة من الحرير الاسود ، وثوبا ، وحذاء . واقتادته لكى ترى فيلا كان يعرض فى شبرا آنذاك ... وعلاوة على كل هذا ، كانت تؤمن بالخرافات : كانت تضع البصل فوق الباب قبل أن تنام . وذات صباح ، دخل نرفال غرفتها ، والقى البصل من الشباك . ولم يكد يفعل ،

حتى غضبت الجارية ، ووصـــفته « بالفرعنة » ، وقالت له أن الجمل يطــرد الارواح الشريرة والامراض الوبائية .

وعندما أوشك على العـــودة الى فرنسا ، قال نرفال لزينب انها حرة فى أن تبقى فى القاهرة اذا شاءت . لكنها بكت ، على خلاف ما توقع ، وهكذا اصطحب زينب ، عند رحيله ، لكنه تركها فى مدرسة فرنسية ، عندما توقف المركب فى بيروت ...

●●●

وتحتل الاحتفالات والاعياد ايضا مكانا هاما فى « رحلة الى الشرق » وعودة الحجاج من الاحتفالات التى ظلت ذكراها ماثلة طويلا فى ذهنه . انه مظهر مثير من مظاهر الحيـــاة العربية ، و « ســيمفونية ملحمية واسطورية » ، و « شىء اشبه بالجيش



الزاحف ، ذاب لتوه فى حشد هائل » يسير الموكب ، من باب الفتوح الى باب زويلة ويتوقف الحجاج اثنـــاء سيره ، فى الجوامع ، الى ان يصل الى الطريق الطويل الضيق المؤدى الى القلعة . وعند ظهور « المحمل » ، ينتاب الحشد شىء اقرب الى النشوة الجنونية ، كل هذا وسط الطبيعة الهائلة التى ينساب فيها النيل عبر الوادى الخصب .

وشهد نرفال احتفالا آخر اســمه « الدوسة » حيث ينـــام ما يقرب من ستين شخصا على الارض ، ويعقدون الاذرع تحت الرأس ، وينتظرون مرور الشيخ ، كبير الدراويش . وبعد أن يمر عليهم الشيخ ، ممتطيا صهوة جواده ، يقـــومون ولا يمسهم ضرر ، منشدين مهللين ... يقـــول نرفال معلقا ان بعض الافرنجيين يزعمون أن « حماس هؤلاء القوم ينمى فيهم قوة عصبية تمحو لديهم الاحســـاس بالالم ، وتمنح الاعصاب قدرة خارقة على المقاومة » . والعهـــــدة على الراوى ! ...

تأثر كاتبنا أيضا بالاحتفال الشعبى بالمولد النبوى ، حيث رأى ، ضمن ما رأى ، الدراويش وحلقات الذكر . وحلقات أخرى حول الشعراء الذين يروون أجزاء من رواية « أبو زيد الهلالى » وقد لاحظ نرفال أن الاقباط يشتركون مع اخوانهم المســلمين فى حلقات الذكر ، مما يضفى عليهـــا مظهرا مهيبا جليلا . وتأثر بغنائهم الذى حمله الى آفاق بعيدة ، الى وطن صوفى تؤمه ذكريات حياة عاشها قبل حياته على هذه الارض . وعنـــدما استمع اليهم وهم ينشدون ـ « لا اله

مع الشاعر جيراردي نرفال في "رحلة إلى الشرق"

الا الله ! » – استيقظت احاسيس دفينة فى نفسه ، وامتــلأت عيناه بالدموع ، وتملكه الحماس .

ونرفال شاعريعرف كيف يرى العالم المحســوس . لذا احتلت الطبيعة

المصرية مكانا هاما فى كتابه . عندما صعد الى القلعة،ورأى المدينة العربية القديمة تمتد تحت ناظريه ، « منظر من أجمل المناظرالتى رآها فى العالم، انه عالم من الاشكال والالوان ، مصر كلها ماثلة فيه بجوامعها ، ونخيلها،

ونيلها ، وآثارها العربية والفرعونية وشمسها ، وصحرائها ، الخ ...

انها لسمفونية رائعة يتحدث عنها الشاعر باعجاب جم . كما ذهب الى حدائق الروضة ، وحدائق شــبرا ، وتوقف لكى يرى الشمس ساعة المغيب: « جاء المساء ، وهبط قرص الشمس وراء خط الجبال الغربية المتحركة ، وفجأة انتقلت الطبيعة، من ظل الغسق البنفسجى الى ظلمة الليل المائلة الى الزرقة » .

وعندما صور الطبيعـــة ظل ذلك الشاعر الذى يصــبغ ما يراه بلون حالته النفسية ، اذا كان سعيدا، رأى فى كل شىء الجمال والروعة . واذا تخبط فى أحلامه القلقـــة ، انتابه الحزن ...

ذات يوم ، وصف طلوع الشمس على القاهرة وصفا حزينا قال فيه :

« ... الفجر المسرع الذى يرسم فى السقف رسوم النــوافذ المتقاطعة ، ونسمة الصباح المحملة بالعطر النافذ تلك النسمة التى ترفع ستـــار بابى وتجعلنى المح فوق سور الفناء رؤوس النخيل المتماوجة ... كل هذا يأخذنى

ويسحرنى ... أو يحزننى حســب الايام ، لان شمس الحزن السوداء .. تطلع احيانا أيضا فوق وادى النيـل المضىء ... »

***

لو اتسع لنا المجـــال لواصلنـــا حديثنا عن « رحلة الى الشرق » .

لكن ... لا بد من انتهاء الحديث ! ولنقل ، فى ختامه ، ان كافة النقـاد اجمعوا على ان «رحلة الى الشرق» ، وخاصة الجزء الخاص بمصر « نساء

القاهرة » ، كتاب ساحر ، يتصــم بالنبرة النضرة المبتكرة والطبيعية فى

آن واحد . ولقد طال الحديث عن اسلوب نرفال الانيق فيه ، والجــانب الفكاهى منه ، والحوادث المفاجئة التى يشتمل عليها الخ ... وانه لكتابمن

اهم كتب القرن التاسع عشر الفرنسى، ويعد هذا الكتاب منطقة محايدة بين

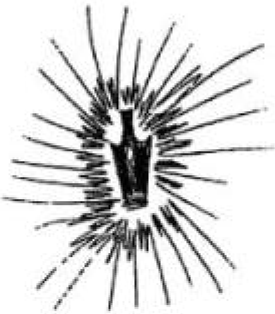
الميل الى الغربة عند الرومانسيين ، والفقرات الادبية التالية انه كتــاب لم يتكرر ، لكن مؤلفــــه لعب فيه دور الرائد المجدد . فلقد تحدث فيه عن

العالم اللامرئى، قبل رامبوه. وسبق شارل ديديه فى الحديث عن « ليالى القاهرة ».واهتم، قبل موريس باريس بالاسرار الخــافية ... ودون كتب

الرحلات التى نشرت فى القرن التاسع عشر ، ظلت « رحلة الى الشرق » الكتاب الذى احتفظ بشبابه وقيمتـــه الادبية والفنية .

فوزى عطوى

أكتب لى



أكتب لى ، اكتب اشعارا ،
اشعارك تنفض احلامى ؛
اكتب لى ، انى ظامئة
ردد لى قولا اعبده
هل تطمع ان قلت : الدنيا
صدقنى ، وجدانى ملك
تسالنى : ماذا من شرحى
بى انثى ايقظها حب
ابكى ، ام افرح ؟ لا ادرى
امس استوحشت فلم اسمع
ووقفت اداعب شباكى ،
حاسدة اذنى ، لما ،
زعمت لى انك تهزا بى .
ياليت قدرت فاخبرها
اكتب لى ، بعد احزانى ،
ينسينى احزان الدنيا
اخبرنى ، هل تنس يوما
هل تترك لى ذكرى تنعى ؟

• بيروت •

اشعارك خبزى الروحانى .
اشعارك تمسح اشجانى !
لكلام حلو ريان ،
« اهواك ! » بريك تهوانى !
فى عينى ، باقة الحان !
لتجاوى شعر وجدانى !!
لهواك السمح النيسانى !
من غفوة عمر وسنان !
افرحنى الحب وابكانى !
همسا شعرى التحنان ،
فرانى بنت الجيران ،
قالت لى قولا آلانى ،
ورثت لى حبى الصبيانى ،
كم ذقنا طعم النيران !
اكتب لى ، جدد ايمانى
شعر احياه ويحيانى !
وجهى ؟ هل يوما تنسانى ؟
قل لى ، يا اغلى انسان ! ؟

• فوزى عطوى •

د. سوزان اسكندر

صفحات من أدب الرحلات

بين ماركوبولو

تعتبر الرحلات نبعا غنيا استقى ولا يزال يستقى منه كتاب كثيرون مادتهم ، ومما لا شك فيه ان الرحلات تتيح الالتقاء ببيئات وطبائع واجناس وانماط ومفاهيم وعادات لاعهد للشاهد بها من قبل فلا تلبث ان تترك آثارها على نفس الكاتب المشاهد وقلمه . كما تختلف هذه الآثار باختلاف احساس الكاتب وثقافته وطبعه الادبى فى كثير من الاحيان . لهذا نجد ان هذا النوع من الادب يختلف فى مؤلفاته باختلاف عصر الكاتب وثقافته وغرضه وهدفه من الكتابة .

فاذا ما تعرضنا الى اقدم ما كتب من أدب الرحلات فى ايطاليا وهو كتاب « عجائب الدنيا » أو « المليون » لكاتبه الرحالة « ماركوبولو » (١٢٥٤ – ١٣٢٤) فاننا نجد انه بالرغم من ان الكاتب قد قصد به تدوين « مذكرات تاجر » يهديها الى التجار ، الا أن تسجيله الدقيق لكل ما رآه ولكل ما شد انتباهه فى رحلته يفوق هذا الاهتمام وهذا القصد فيتجاوزه ، ويثير اهتمام جمهور القراء الغربيين على اختلاف مستوياتهم وبلادهم ومعتقداتهم

فالسرد يقوم أســاسا على ذكريات يسترجعها الكاتب وهو فى سجنه بعد خمسة عشر عاما من عودته من رحلته التى اســتمرت فترة طـويلة قضاها فى رحاب الحضــــارة الشرقية

كانت السنوات الاربع والعشرين التى قضاها « ماركوبولو » فى رحلته تمثل اجمل سنى عمره ، فهى فترة شبابه ، ولذا فان من يقرأ صفحات « المليون » يحس بمشاعر السعادة ـ التى كانت تجيش بها نفس الكاتب .

والبرتومورافيا



البرتو مورافيا

تنتقل اليـــه من خلال الاشــياء والاشخاص والاحداث ••• ولذا فاننا نجد ان حماسه لمــا رأى ولذكريات الدهشة التى شعر بها « ماركوبولو امام الغرائب التى شاهدها هى التى الهمته ما كتب •

فهى ذكريات شاب يكتشف لاول مرة عالما غريبا • نجد فيها الاشادة بوصف مدائن ضخمة تزخر بالحياة ، وسهول خضراء ، وجبال شاهقة ، وانهار عظيمة هادرة كالبحر ، وقصور تكاد تصل الى حد الخرافة فى ضخامتهـــا وفخامتها •••

ثمة حب للاستطلاع وولع شــديد بالبحث عن كل ما هو عجيب وغريب يسيطران على ما نقله « ماركوبولو » لقرائه • ولولا وقوع « ماركو بولو » اسيرا فى يد أهل جنوا وقضــاؤه فى السجن أياما طويلة ـ وهو من قضى حياته فى التجول والبحث فى أرجاء العالم ـ لما عاش ذكرياته وماسجلها

وحين يســجل « ماركو بولو » رحلته هذه ، نجده ينتقـــل فى سهولة ويسر من الاشارة الى الموارد والمواد التى تشغل اهتمام التجار الى الحديث عن الناس وعن معتقداتهم وفضائلهم ورذائلهم وعاداتهم ، فيقول مثلا انه يتحدث عن المادة التى تعرف عليها اللاحقون على انها زيت البترول .

وكان قد رآها فى ارمنيا الكبرى :

« بهذا المكان نبع يخرج زيتا فى وفرة كبيرة ، تكفى لمله مائة سفينة فى المرة الواحدة ، ولكنه غير صـــالح للطعام بل للاشعال ، وهو جيد لمرض الجلد وغيره ، ويأتى الناس من اماكن

صفحات من أدب الرحلات

بعيدة قاصدين هذا الزيت . ولايشعل أهل تلك المنطقة زيتا سراه» ..

***

وفى جو يذكرنا بجو الف ليلة وليلة تستمر رحلة « ماركو بولو » فى مملكة المغول بقصورها الفخمة وحدائقها الرائعة ، ونبلائها ، وفرسانها ونسائها الجميلات . يصف « ماركو بولو »كل هذا فى تحليل ودقة وفى شغف وحماس يكاد يصل الى حد التغنى به ، فتبدو روايته وكأنها اسطورة حلوة حاكها خياله الخصب فى حين انها تدوين لما شاهده وبهر عينيه وفتنه وهو فى اعذب ايام الشباب واسعدها .

نسمعه حين يتحدث عن بلاط الملك، يقول : « ان الذين يؤمنون بالخان الكبير سيدا لهم ، وهم بارونات كبار، يغطون افواههم وانوفهم بلفائف من الحرير حتى لا تصل انفاسهم الى ما يأكله سيدهم . وحينما يريد الخان الكبير أن يشرب تصدح كل الات الموسيقى ، وهى متوفرة بأعداد كبيرة بالقصر ، تنساب انغامها حينما يأخذ الكأس بيده ، فيركع البارونات وجميع الحاضرين فى خشوع كبير

ومن بين ما سجله أيضا رحالتنا خلال تجواله الطويل فى بلاد الشرق الاقصى ما نقرأه عن بعض عادات التتار فيقول : « ساحكى لكم ايضا عن عادة من عاداتهم ، فانهم يزوجون اولادهم الموتى ، اى انه حينما يكون لرجل ابن ميت ، وتأتى السن التى كان يجب ان يزوجه فيها لو انه بقى حيا يبحث عن رجل له ابنة ميتة تناسبه، ليقيما صلة القرابة بينهما فتعطى الفتاة الميتة زوجة للفتى الميت .ويكتب الابوان وثيقة الزواج ، ثم يقومان بحرقها ، وحين يتصاعد دخان الوثيقة فى الهواء ، يقال ان الوثيقة تنتقل الى العالم الاخر وبذلك يصبح هذان المتوفيان زوجين فى العالم الاخر ويقيم الوالدان افراحا عظيمة .. وحين يتم كل ذلك يعتبران نفسيهما قريبين وصديقين كأن ابنيهما على قيد الحياة» .

ثم تتلاحق المشاهد والمناظر والاجواء الغريبة . وهكذا نجد الرحالة الكبير الذى كان يهتم بالتجارة والسياسة وقد استأثر باهتمامه هذا العالم الجديد الغريب بتفاصيله وخصائصه ، فكان كتابه تعبيرا صادقا عن شطر من «عجائب الدنيا » وهذا هو العنوان الذى كان يقصده لكتابه .

***

والى جانب هذا فانه مما لا شك فيه أن كتاب « المليون » ، يعتبر من أهم ما كتب فى ادب الرحلات فى ايطاليا وذلك من الناحية التاريخية، فهو من اول المؤلفات التى كتبت باحدى اللغات العامية التى كانت تسود

ايطاليا في ذلك الحين وعلى هـذا فهو من أولى الوثائق الادبية التي تسجل طورا من اطوار اللغة الايطالية

في اولى خطواتها نحو الانفـراد بكيانها كلغة قائمة بذاتها لتحل محل اللاتينية في ايطاليـا ومرجعا هاما لدراس تاريخ اللغة الايطالية ٠

واذا ما انتقلنا الى القرن الثـامن عشر نجد أن ادب الرحلات يتخـذ الطابع الفكرى العام لعصره فيصبح

مصدر استثارة للاذهان ويمثل في حد ذاته لونا هاما من الوان النثر في تلـك الاونة ٠ فقد تعددت ميول

الكتاب ورجال الفـكر واهتماماتهم باحتكاكاتهم ببـلاد وعادات وتقاليد ومجالات وشخصيات معاصرة لهـم

سواء في ايطاليا أو في مختلف البلاد الاوربية ، مما أسهم وشجع على خلق جو من المقارنة بين الاوضـاع في ايطاليا وغيرها من البلاد وساعد هذا

بلا شك على القاء نظرة شـاملة على المسائل القومية والعالمية على حد سواء وعلى ايقاظ الوعى في ايطاليا لاحياء تراثها الاصيل ٠

ومن المؤلفات الجديرة بالـذكر في هذا المجال والتى ترتبط ارتباطـا

وثيقا من حيث المضمون بمشاكل عصر التنوير وفكره، نذكر « رحلات انريكو ونطون في الاراضي الاسـترالية المجهولة وفي مملكة القردة» وقد نشر عام ١٧٦٤ بالبندقية للكاتبه الفينيسى ـ الارمنى الاصل ـ سيرمان (١٧٠٨ ـ ١٧٨٤) ٠ يعرض الكاتب في كتابه هذا تجارب فاشلة عاشها صديقـان انجليزيان « انريكو » و « روبرتو »

في بيئة خيالية في اراض تسـكنها شعوب همجية خرافية ٠ وعن طريق

هذا العرض اراد الكاتب ان يصـور بالرمز والتشـبيه ، عادات عصره وفكره في اسلوب ناقد ساخر ٠ وبهذا

الاسلوب كان الكاتب يتطلع متفائلا الى ارساء مجتمع صالح منظم حسبمـا تمليه مبادىء الفكر المستنير ٠

اما بالنسبة لحظ ادب الرحلات بين انماط الادب في القرن العشرين فقـد كان وفيرا ، ويرجع ذلك الى التقدم الكبير في وسائل المواصلات وسرعتها،

مما ساعد الكثيرين على الانتقال في سهولة ويسر الى اى بقعة من بقـاع الارض ، كما يرجع ذلك ايضا الى عامل هام اخر الا وهو ان بعض الكتاب

عملوا كمراسلين للصحف ومندوبين لعموم النشر في بقاع كثيرة من العالم وهكذا نالوا حظهم من الرحلات التى

قاموا ويقومون بها في بلاد غريبـة عليهم ، وكان ان سـجلوا رحلاتهم واحاسيسهم في انتاج ادبى وفير ٠

نذكر من بين هؤلاء جويدو بيوفيني (١٩٠٧ ـ ١٩٧٤) وهو من الاسماء اللامعة في الادب الايطالى منذ الحرب العالمية الثانية ، ونشرت له روايات

عديدة منها على سبيل المثال «النجوم الباردة » التى نال عنها جـائزة « ستريجا » سنة ١٩٧٠ كان بيوفيني يعمل مراسلا صحفيا لجريدة كوريري

ديلاسـيرا » (١٩٣٥ ـ ١٩٥٢) ولجريدة « لاستامبا » منذ سنة ١٩٥٢ هذا بالاضافة الى انه كان يشترك في تحرير المجلة الادبية « سولاريا »

وقد ساعدت ظروف عمل كاتبنا في الصحافة على كثرة سفره والتقـائه

بمجـالات ومجتمعات مخـالفة في انجلترا وبولندا وبلغاريا وفرنسا

والولايات المتحدة ، فانعكست صورة هذه المشاهد واللقاءات على كتاباته العديدة ، ولذا فان من يقرأ كتبه عن الرحلات يلمس مقدرته على تصويرها بصدقه ، ومع أن هذا التصوير كان وليد الواقع الا اننا نلمس فيه احساس الاديب وقلمه حتى وان عمد الى البحث عن بيانات اقتصادية و اجتماعية او سياسية او بيئية .

وبينما اهتم الكثيرون من رجال الفكر فى اوربا بوصف المجتمع الامريكى وعقد مقارنة بين القارة القديمة والقارة الجديدة ، نجد أن تحقيقات بيوفينى الدقيقة لاتخرج فى كثير من أجزاء مؤلفه المذكور عن هذه القاعدة ، بل انها تتجاوزها لتعطينا صورة للولايات المتحدة بكل دقائقها وخصائصها التى ايقظت روح البحث والدراسة فى نفس الكاتب . وعلى هذا فقد اتت رحلته نتاجها فى صفحات من الملاحظات التى ابداها فى رحلته التى قطع خلالها عشرين الف ميل بطول الولايات المتحدة وعرضها والتى كان يرسلها اولا بأول الى جريدة « كوريرى ديلاسيرا » . وجدير بالذكر انه جمعها فيما بعد فى كتابه المذكور « عن امريكا » .

ولقد نجح بيوفينى فى مهمة المراسل الصحفى بمقدرته الكبيرة على الوصف والتحليل ، ولهذا نراه يلتقى اثر الحقائق صغيرة كانت او كبيرة بنفس الاهتمام . فقد تسحره وتشد انتباهه مجرد جملة قيلت بنفس القدر الذى قد يثيره فى نفسه منظر جسر « بروكلن » ، فما من مظهر من مظاهر المجتمع الامريكى الا وتعرض بيوفينى لدراسته .

ومما يؤكد حكمنا هذا ما ذكره الكاتب حين تحدث عن منهجه الذى يتوخاه فى الكتابة عن رحلاته ، يقول بيوفينى فى هذا الصدد : « كان فى امكانى القيام برحلة اسرع ، بهدف بيان الاوضاع العامة فى البلد بدلا من الرصد التفصيلى لاجزائها المختلفة . ولكن هذا النهج كان سيقلل من القيمة التسجيلية للكتاب ، حتى وان كانت له بعض الميزات ، من بينها انه يبرز وقائع قد تختفى فى زحمة التفاصيل الدقيقة ، او تظل قابعة فى المكان الثانى فلا تستطيع الملاحظة المبنية على الاحداث التوصل اليها » .

يدون بيوفينى احساسه تجاه مظاهر الحضارة الامريكية فى كتابه « عن امريكا » باسلوبه الخاص فيقول « ليست الحضارة الامريكية حضارة آلية فى اساسها (فاساسها القلق ، مضطرب ، متميع) ولكنها حضارة تمتلك قلعة ضخمة من الالات ، تفخر بها كما نفخر نحن بالاعمال الفنية » .

وحين يصل الكاتب فى جولته الى شيكاغو ينتبه الى ظاهرة يلحظها فينقلها الى القارىء فى سرعة ودقة : « حياة الشارع





موجودة في امريكا ، ولكنها ليست نفس الحياة القائمة في شارع مونتي نابوليون ، او شارع «بوينوس ايرس» او « الشانزليزيه » ، انما هي تختلف عنها اختلافا جذريا لانها حياة قائمة على « المحركات » التي تجرى بين نيويورك وشيكاغو ، او بين شيكاغو وسان فرانسسكو وعلى الوف الاميال

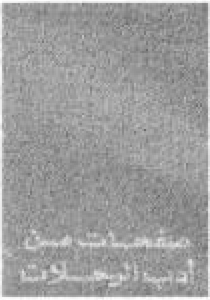
ويجدر بنا في هذا المجال ان نخصص جزءا من الحديث عن جانب لا يقل من انتاج الكاتب الروائي الايطالي الكبير البرتو مورافيا .

فقد اهتم هو الاخر بهذا اللون ونشر مؤلفات عديدة كانتحكلها وليدة زيارته لبلاد مختلفة مثل الاتحاد السوفييتي والهند والصين وبلاد افريقيا . فقد كتب « شهر في الاتحاد السوفيتي » (ميلانو — بومبياني ١٩٥٨) و فكرة عن الهند » (ميلانو — بومبيا في ١٩٦٢) ، و « الى اية قبيلة تنتمي ؟» (ميلانو — بومبيا في ١٩٧٢) .

يتحدث مورافيا في مقدمة كتابه « الى اية قبيلة تنتمي ؟ » عن نهجه وغرضه من الكتاب يقول : «كتبت هذا الكتاب على النحو التالي : « كتبته اثناء رحلتي في افريقيا ، التي قمت بها للترفيه عن نفسي ورغبة مني في التعرف ، دون ان اتعمد اجـــراء تحقيقات او بحوث مما يسعى الكتاب الى اجرائها « عمدا » عندما يكونون بصدد الكتابة عن رحلاتهم في افريقيا وجدت ان انقل نفسي فقط ، كمـــا انا بالثقافة والمعلومات المتــاحة لي ، لا اكثر ولا اقل . واذا ما كنت قد قرأت كتبا عن افريقيا فقد فعلت ذلك بدافع من الفضول ، لا رغبـــة في التخصص في هذا المجال لما في ذلك من الاستحالة . وكتابي هذا يشتمل على انطباعات .. وهــكذا فــان الهدف الذي يرمي اليه هذا الكتاب ليس هدفا اخباريا او تعليميا ، كمــا انه لا يهدف الى ابداء الاحكام ولكنه يهدف الى ان يوحي للقــارىء بنفس الاهتمام وبنفس الاعجــاب اللذين دفعاني الى السفر الى القـــارة السوداء » .

وبالفعل نقرأ في هذا الكتاب لونا من ادب مورافيا يتسم بطابعه الخاص ، فصفحـــاته التي على شكل مذكرات تصف جولات حددها كاتبها بالزمان والمكان ولاتتســم مثل مثيلاتها لنفس الكاتب ، في كتبه الروائية المشهورة بذلك الاحساس «بالملل» او «السأم» او «اللامبالاة» وغيرها من الاحاسيس التي تسيطر عادة سيطرة كبيرة على عالم مورافيا الروائي .

واذا ما تساءلنا عن هذا الاختلاف في ادب الكاتب الواحد ، فاننـــا سنجد ان الاجابة قد تكمن في اختلاف



المناخ والمادة الروائية، بل ان رغبته في التغرب ربما تكون وراء خروجه عن عالمه المألوف الذى يتسم بهذه الصفات ، الا أن كاتبنا ظل دائمـــا

وأبدا البرتو مورافيا الذى تستهويه وتجذبه النفس البشرية التي يحـــاول أن يستكشفها ويصف دخائلها ودقائقها في صبر ودقة بالغين مســـتندا في ذلك الى خبرات حيـــاته وثقـــافته المتعددة الجوانب ٠

ومما لاشك فيه أن عنوان الكتاب « الى اية قبيلة تنتمى ؟ » يشـــد انتباهنا ، وقد نتساءل لماذا اختـــار مورافيا هذا الســـؤال ليكون عنوانا لكتابه ، ولكن تســـاؤلنا لن يطول فاذا ماتصفحنا كتاب مورافيا سنجد مذكرة من بين مذكـــراته تحمل نفس الســـؤال عنوانا ٠ وقد دونها في مارس ١٩٧١ ٠ في هذه المذكـــرة يحكى مورافيـــا عن جولة قام بها ليشبع رغبته في رؤية الأسود حسب ما كان يعتقد بوجـــودها في بعض المناطق التىرآها محددة علىالخرائط وهو لا يزال تلميذا بالمدرسة ٠وعلى هذا فقد اقترح على سائقه انيصحبه بالسيارة الى "المنطقة كاراموجا، وهي تقع في طرف من أطـــراف أوغندا بالقرب من كينيا ٠ وهنا ســـنحت الفرصـــة له ليتعرف على الكثير فوصف طريقة الحيـــاة فيها وتحدث عن عادات القبـــائل وعن عصبيتها هنـــاك ٠ ومن الطريف انه من بين من تقابل معهم مورافيا رجل افريقى تبادل مع كاتبنـــا حديثا انتهى بهذا الســـؤال الذى القاه الافريقى على الايطالى : « الى اية قبيلة تنتمى ؟ »

ويبدو ان الســـؤال قد شد اهتمام مورافيا وســـيطر على وجدانه حتى انه اختـــاره عنوانا لمذكـــرته هذه ولكتابه ايضا الذى يتحدث عن رحلته في افريقيا ٠

ومن الخصـــائص المميزة التى نلمسها في وصف مورافيا لمشاهداته في رحلاته ان كاتبنا لايقف موقفـــا سلبيا تجاه ما يراه او ما يسمعه في اثناء تجواله في بلدان رغب ـ حسب قوله ـ التغرب فيها ، بل أننا نجـــده ينقل لنا نظرته وأحيـــانا حكمه على عالم غريب يكتشفـــه ويحاول ان يدرسه ويحلله بروح الناقـــد ، وذلك خلافا مع ما قاله في مقدمـــة كتابه المذكور ٠ وتأييدا لهذا فاننا نستشهد بما قاله هو نفسه في احدى مذكرات كتابه وقد دونها في عنتيبة ـ فبراير ١٩٧١ ، تحت عنوان «جبـــال القمر» : « تعتبر جبال القمر مثالا للاسطورة التى قد تظهرلسبب واحد وحيد وهو عدم وجود وسائل للاتصـــال ٠ وهذا هو ما حدث دائما في افريقيا، وربما مازال يحـــدث حتى الآن في بعض المنـــاطق غير المطروقة ٠ تولـــد الاســـطورة أينما كان الطريق غير معبد وأينما اضـــطرت الاقدام الى

السير. وقد يبدو غريبا للبعض هذا الربط بين السير على الاقدام والاسطورة . وهانا أجيب : فالامر ليس بشديد الغرابة ، حيث ان « السير على الاقدام » غالبا ما يعني « عدم الوصول » . وجبال القمر كانت اسطورة لان احدا لم يستطع الوصول اليها لقرون طويلة ولان احدا لم ينزل بها ، حيث انه ما أن قصدها المسافرون عن طريق البحر الاحمر او من المحيط الهندي او من مصر الا وفقدوا جميعا في الطريق ، فقتلتهم القبائل المعادية ، او الملاريا ، او عرقلت المستنقعات

او الصحارى طريقهم ، او افناهم الجوع والعطش ، او الشمس والمطر. وهكذا ظلت جبال القمر بعيدة المنال لأزمنة طويلة ، وتبعا لهذا كثرت حولها الخرافات : قالوا انها شاهقة جدا ، وأن النيل ينبع منها ، وأن بها مناجم ذهب واحجار كريمة وأنها تلامس السماء بل وأن العالم ينتهي عندها . فلما لم يستطع الانسان الوصول اليها بجسده وصل اليها بخياله ، ليرفع على قممها راية الخيال العجيب ».

يظهر من هذا النص أن مورافيا لايكتفي بأن يدون مشاهداته وملاحظاته بل انه كثيرا مايعقب عليها ويحللها ويعطي تفسيرات لها وحكمه عليها .

وتحت عنوان رقصات الافريقيين (لاجوس – ابريل ١٩٦٣)، وهو من ابواب الكتاب السابق ذكره ، يثير رقص الافريقيين اهتمام وشغف مورافيا فيشرحه لقرائه بحركاته ونغماته ، ويبدي رأيه وحكمه عليه، فيقول : « يرقص الافريقيون . هنا في لاجوس من قال لي أن العمال

يرتجلون أحيانا في معسكرات عملهم رقصات على إيقاع « محرك » الحفار او المثقاب . ومن يعرف بساطة الموسيقى التي تصاحب الافريقيين في رقصاتهم ، وتتمثل في طبول تدق بالايدي ، أو حفيف أغصان النخيل ، أو فرقعة الاصابع لن يبدو له غريبا أن يحول الافريقيين هذا « المحرك » الصاخب الى آلة موسيقية . وعلى كل فالخبر له مغزاه . فهو يشير قبل كل شيء الى الميل الافريقي الشديد للتعبير بالرقص لا عن هذه التجربة الهامة او تلك . وانما عن الحياة بأكملها .. ومن ناحية اخرى فهو ينبهنا إلى انه من بين من نسميهم بدائيين – ينفرد الافريقي بمقدرته على الاندماج في سعادة ، بل قل في خطوات راقصة في الحضارة الصناعية الحديثة .

اما عن الميزة الثانية فتكفيها كلمات قليلة ، ففي القارات الخمس تجد شعوبا بدائية تعبر بالرقص عن مظاهر حياتها الدينية والاجتماعية . ولكن الافريقي هو الوحيد الذي نجح في ان يصبح رجلا حديثا مع احتفاظه الكامل بمقدرته الاصيلة على الرقص ».

يستطرد مورافيا في حديثه عن الرقص الافريقي فيصل الى ان يشهد بأن الرقص الحديث الذي يعتبر من مظاهر الحضارة الصناعية يرجع في اصوله الى الايقاع البدائي الذي ادخله الافريقي في العالم الحديث ، بل ويعتبره « أغلى هدية قدمتها افريقيا للانسانية » وهو في نفس الوقت علامة واضحة على تأثير الافريقيين على العادات المعاصرة ».

عاطف مصطفى

حوار حول أدب الرحلات مع الشاعر

صالح جودت

أدب الرحلات ذلك النوع الفريد من الادب ، والذى برزت فيه قلة من كتابنا المعاصرين ، امتعت المعجبين بهذا الفن الفريد ...

وحب الاسفار لايجىء عفو الخاطر ، ولكن يغرس في النفوس منذ نعومة الاظفار ويعشقه الاديب الفنان خلال رحلته الطويلة مع فنه يبدع ويفرز ادبا مليئا بالمغامرة ، محببا للنفس التى تشتاق الى هذا الفن النادر فى حياتنا الادبية .

وقد لاندهش اذا عرفنا ان صالح جودت الشاعر والاديب يتناول هذا الفن بقلمه من خلال رحلاته الطويلة عبر معظم بلدان العالم ، متنقلا طائرا يحلق فى أجواء ذلك العالم البعيد ، واصفا لنا بقلمه مارآه ، مقدما لنا وجبة شهية محببة لنفوسنا ...

الى جانب العديد من مقالاته التى نشرت بالمصور والكواكب وحواء عن رحلاته هذه كتب كتابين عن هذه الرحلات ايضا هما « قلم طائر » و « اساطير وحواديت » ونستشف من كتاباته حلو الوصف ، وعذب العبارة الشفافة التى تحمل اجمل المعانى .. كل هذا جعلنى اتوجه اليه حاملا بعضا من اسئلتى التى قد تضىء لنا جانبا من حياته الادبية ...



● قلت للشاعر صالح جودت : عرفكم الناس شاعرا واديبا وصحفيا من الرواد ، والكثيرون لا يعلمون جانبا هاما من نشاطكم الادبي المتعدد وهو ادب الرحلات ، نريد القاء الضوء على هذا الجانب الهام من ادبكم وكيف احببتموه ؟ ولماذا ؟ ..

— من اوائل الكتب التي قرأتها في صباي ، من ادب الرحلات ، كتاب « عيسى بن هشام » للمويلحي ، الذي طوف به مع المعقول في رحلة من الموت الى الحياة .

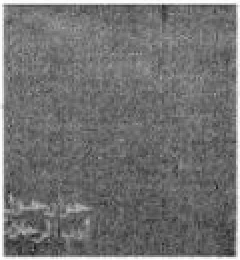
ثم كتاب جول فيرن الكاتب الفرنسي الذي اخذ الناس في رحلة خيالية الى المستقبل ، قبل ان تظهر هذه المخترعات . ومن العجيب ان اكثر ما حلم به جول فيرن من المخترعات قد تحقق فعلا في القرن العشرين .. ثم كتاب « رحلات » جاليفر الكاتب الانجليزي الذي اخذنا في رحلة ممتعة الى عالم من المخلوقات الصغيرة التي تختلف في حجمها عن صورة الانسان العادي ، ثم رحلات ابن بطوطة من المغرب الى المشرق ، وهي رحلات واقعية ، وان كنت لا استبعد انه اضفى عليها كثيرا من صنع خياله ، أو اخيلة الناس الذين التقى بهم في مسيرته الرائعة .

كل هذه الكتب قرأتها في صباي ، بلغاتها الاصلية ، فحببت الي الاسفار ، فلما ادركت الشباب ، انكببت على الاسفار ، وطوفت بكل ركن من اركان العالم ، حتى بلغت اليابان شرقا ، وامريكا غربا ، والقطب شمالا . وكتبت عن كثير من هذه الاسفار في كتابي « قلم طائر » الذي وصفت فيه رحلتي حول العالم سنة ١٩٥٩ ، وفي كتاب « اساطير وحواديت » .

● ما هو صاحب التأثير الاكبر ، الرحلة الجسدية خلال السفر ، أم الرحلة مع فنان عبر حياته من خلال ديوان شعر ؟ ...

— لا شك ان الرحلة الجسدية لها اثرها على الكاتب . فهي انفتاح على دنيا جديدة بكل اجوائها والوانها وحضاراتها ، وثقافاتها وفنونها وغزلها وجدها ، والاسفار مادة للكاتب لا تفنى ، وقد كانت هي الالهام الاول لكثير من الكتاب العالميين مثل سومرست موم ، وأرنست همنجواي وغيرهما .

● وانت تشاهد مكانا جديدا لاول مرة كنت قد قرأت عنه ، هل تنطبق غالبا الصورة المرسومة في خياله





على الواقع ، ام تجد الصـــورة المرسومه من خلال الكتاب الذى قرأته حول هذا الموضـوع اكثر خصبا من لقائك المباشر بالمكان ؟

— من عادتى أن اقرأ كل ما استطيع عن كل بلد انوى زيارته قبل ان ابدأ الرحلة ، ولهذا فاننى لا اذهب الى اى بلد بذاكرة بيضــــاء ، بل بذاكرة مشحونة بالمعلومات • بيد ان مهرجان الروعة ينطلق بعـد وصولى الى هذا البلد ، حين اسمع المعلومات تنطق والصور تتكلم والخيال يتحـول الى حقيقة رائعة •

● من الاحسن — فنيا — فى تصوير المكان الذى يصفه الكاتب ، من خلال مشهد روائى او من خلال قصــيدة شعرية ، او الذى يصفه فى فصــل من كتاب رحلة •• لماذا ؟

— القصيدة تستطيع أن تلتقط لقطة شاعرية من اى بلد يزوره الشاعر ، مجرد لقطة ولكنها لا تمثل كل شىء فى هذا البلد • والقصة او الرواية كذلك ، تلتقط بضع لقطات محدودة ، ثم تضفى عليها سياقا من صــنع الخيال • أما المقالة ، والمقالة وحدها ، فهى التى تستطيع أن ترسم الصــورة الصادقة للبلد ، وتتيح للكاتب براحا متسعا وسابغا للوصف الشامل •

● ماهو اول شىء تحــاول ان تعرفه فى مدينة تلقاها لاول مرة خلال اسفارك ؟

— الجو ، ثم المرأة ، ثم الطعام ، ثم الاغنية ••

● ما هى المدينة التى زرتهــا واحببت ان تعيش فيها ، وبمعنى ادق كانت قاهرة اخرى بالنسبة لك ؟

— اجمل مدائن العالم — فى اعماقى هى القاهرة ، وتليها بالترتيب سـان فرانسسكو ، ثم طوكيو ، ثم باريس •

فاذا شاءت قسوة القدر يوما ان اعيش خــارج القاهرة ، فالمدينة التى اختارها بغير تردد ، هى سان فرانسسكو فان جــوها ربيع دائم ، والخضرة والازدهار فيها مستمران طول السنة ، هذا فضــلا عن انها اربع مدائن فى قلب مدينة ، الاولى امريكية ، والثانية زنجية ، والثالثة صينية ، والرابعة ايطالية ، فالاقامة فيها هى فى الواقع رحلة فى عدة قارات •

جول فيرن



سومرست موم



● من هم ابرز كتاب ادب الرحلات في العالم الذين اعجبت بهم والتقيت بهم خلال رحلاتك الطويلة ؟ ..

– لعلي اجبت على بعض هذا السؤال في سؤال سابق .. واضيف أن أول من التقيت بهم من كتاب الرحلات ، هو المرحوم محمد ثابت ، الذي كان يدرس لي التاريخ في المدرسة الثانوية . وقد كان الاستاذ ثابت أول مصري طاف بكل ركن من أركان العالم . وله عن رحلاته عدة كتب لم يسبق الى مثلها اي رحالة في الارض .

ومن كتاب ادب الرحلات الذين التقيت بهم فانطبعت صورهم في اعماقي ، الروائي الامريكي الكبير ارسكين كولدويل ، الذي طبعت من كتبه الستين ، ستون مليون نسخة ، اخرج الكثير منها على الستارة ، واشهرها فيلم « طريق الدخان » .

ولهذا الروائي اسلوب غريب في حياته ، هو أنه يعيش في كل ولاية من الولايات المتحدة الامريكية ، سنة أو اثنتين أو ثلاثا ، حتى يتاح له أن يعرف كل ركن من بلاده .

وآخر رواية قرأتها له ، هي (البحث عن بيسكو) التي يدافع فيها عن قضية الملونين ويحارب التفرقة العنصرية . ذلك أنه نشأ في الجنوب بين احضان الملونين وكان لمربيته السوداء ولد اسمه (بيسكو) وهو في هذه الرواية يتصور أنه قد فقد اثر بيسكو ، فراح يعيش في كل ولاية ردحا من الزمن بحثا عن بيسكو ولكنه في الواقع يتخذ بيسكو مجرد رمز ، بينما هو يعالج مأساة الملونين في كل ولاية .

● كانت الفترة التي تخصصت فيها في تناول ادب الرحلات من اخصب الفترات انجازا لهذا الفن ، هناك دوافع متعددة ، لهذا يحب محبوك في هذا اللون أن يستفيدوا من تجربتك الخصبة المثمرة في هذا المجال .

– الواقع أن تقدم السن ، وقسوة المرض قد اقعداني عن السفر في السنوات الاخيرة ، وإن لم يقعداني عن مواصلة الانتاج في عالم المقالة والرواية والشعر .

● اختلف تناولك لشخصياتك وبلادك التي زرتها عن الكثيرين من الادباء الذين كتبوا في هذا المضمار

محمد ثابت همنجواي







•• هل تسمحون بالقاء الاضواء على منهجكم الخاص ؟ •

ـ انا اخـذ كل زاوية من زوايا الحياة في كل بلد أزوره ، بطريقة شاعرية لا بمجرد السرد الوصفي ،

ثم اخذها الى جانب ذلك بنظرة مصرية ، مثل ذلك ، انني حينما زرت سان فرانسسكو ، نظمت قصيدة

أصف فيها موقفا لي هناك ذات ليلة اقول :

سمعتني ربة الحسـان الغلي
وانا ارنو الى الوجه الحبيـب
فاستغربت ومضت تسال على
كل من حولي ، ولكن لامجيب

قلت يا فاتنة الحسان اطمئني
لا تهابي نظرتي ، اني غريب
عربي الروح مصري القبيلـه
هائم في سان فرانسسكو الجميلة

فاذا عنهـا الذي يجهلني
ومحـا التاريخ في أعماقها
واطمأنت ومضت تسـائلني
عن نظرتي وعن اشـواقها

وعن الزهو الذي يشـغلني
حينما انمي الى أعراقهـا
نسب لا يدعي غيـر مثيله
في روابي سان فرانسسكو الجميلة

وفي لندن ، في وقفة مثل هذه ، في حفلة دبلوماسية قلت عن حسناء لقيتها هناك :

قالت لهم : من الغريب ها هنا
اتسالين يا « جوان » من انا ؟

انا ؟ انا اكـرم منك محتدا
انا ؟ انا اعرق منك موطنـا

انا ابن شعب يتحدى الزمنـا
ابن الروابي الخضر من ارض سنا

المجد كان لجدودي ولنـا
ولم ازل بما ورثت مؤمنـا

● من الملاحظ أن هذا الفن لم يعد مزدهـرا كما كان من قبل في الادب العربي القديم ولم تعد المعاناة كما كان يلاقيها كتاب هذا الفن من مشاق السفر ، مما كان يدعو الى وصـف المشاهد وصفا حيا دقيقا ، والان بعد ان تيسرت سبل السفر بالطائـرات والبواخر ، افتقـدنا الوصف الدقيق والملاحظة المتأنية العميقة التي كان يضـفيها الاديب على ما يكتبه من وصـف لما يراه •• ماذا قدمتم من بديـل في ادبكم لكي يزداد جاذبية وتشوقا للقارىء ؟

ـ هذا امر طبيعي لان حضـارة المواصلات قد الغت المسافات ، فلم تعد في السـفر مشقة ، واتيح لاكثر الناس ان يأخذوا مغامرة السـفر بغير خوف ، وقرأ الناس كل شيء عن كل بلد ، حتى أرهقـه ادب الرحلات ان ينقرض واعتقد ان مصير الرحلات سيقتصر يوما ما على اللقطـات الشعرية والاعمال الروائية دون الوصف •



هدية العدد صورة

قاسم أمين
محرر المرأة

● ولد في أول ديسمبر عام ١٨٦٣ بمدينة الاسكندرية عن اب تركي وأم مصرية والتحق بمدرسة رأس التين الابتدائية وهو في الثامنة من عمره ، فلما أتم دراسته بها دخل المدرسة التجهيزية - الخديوية الآن - وفضل أن يلتحق بالقسم الفرنسي .

● بعد المرحلة الثانوية ، اتجه ابيه القانوني فتقدم لنيل اجازة الحقوق ، فكان أول الناجحين في شهادة الليسانس عام ١٨٨١

● عمل عقب تخرجه بمكتب مصطفى فهمي المحامي ، الذي اصبح رئيسا للوزراء فيما بعد ، وكان قاسم وطنيا متحمسا شأن الشباب المثقف في ذلك الوقت ، فانضم الى تلك الحلقة الذهبية التي احاطت بجمال الدين الافغاني واشرب تعاليمه

● في عام ١٨٨٢ سافر قاسم أمين الى فرنسا في بعثة حكومية ليدرس القانون ، وتقابل هناك بجمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده ، فاتفقوا على مواصلة محاربة الاستعمار في مصر ، فانضم قاسم أمين الى جمعية العروة الوثقى التي اسست هناك وانجز دراسته بتفوق .

● في عام ١٨٨٥ عاد قاسم أمين الى مصر ، ليعمل في سلك القضاء .

● في عام ١٨٩٤ عين قاسم أمين وسعد زغلول مستشارين بقرار واحد ، وكانت أحكام قاسم أمين القضائية لها مغزاها الاصلاحي في معظم الاحيان ، فكان يهتم كثيرا بفهم دوافع المتهم .

● كان من أبرز الذين عملوا باخلاص على جمع الاموال وتهيئة كل أسباب نجاح فكرة انشاء الجامعة المصرية منذ عام ١٩٠٦ .

● اقترن اسم قاسم أمين بحركة تحرير المرأة واهتم بتصحيح وضعها الاجتماعي والثقافي فكتب سلسلة من المقالات تحت عنوان « أسباب ونتائج » دعا فيها الى تعليم المرأة لكونها المربية الاولى في الاسرة . ونادى بسفور المرأة او بالحجاب الشرعي الذي يكشف وجه المرأة ويديها وقدميها بدلا من الحجاب الذي كان يغطي بدنها كله ، ودعا الى خروجها للحياة والعمل أيضا كلما دعتها الضرورة الى ذلك .

● ضمن افكاره كتاب « تحرير المرأة » فأثار ضجة كبيرة وتعرض لهجوم كبير من المحافظين ، وألفت كتب كثيرة للرد عليه ولكنه تمسك برأيه ودافع عنه مرة أخرى في كتابه التالي « المرأة الجديدة » ويبدو فيه أكثر تطورا فطالب فيه المرأة نفسها بتمزيق الحجاب بيديها

● ظل يقوم بدوره الاصلاحي حتى توفي في ٢٣ ابريل عام ١٩٠٨

● من مؤلفاته : « المصريون - بالفرنسية - عام ١٨٩٤ » و « أسباب ونتائج » و « اخلاق ومواعظ » عام ١٨٩٨ و « تحرير المرأة » عام ١٨٩٩ و « المرأة الجديدة » عام ١٩٠٠

رحلة الشهر

والملتقى .. في زين القرى

ورحلة هذا الشهر الى الجزائر الحبيبة ..
الى تلمسان ، مدينة « المقري » صاحب « نفح الطيب » ... مدينة « ابن الفحام » مخترع اول ساعة دقاقة في التاريخ ... مدينة الشعر والادب والعلم و « زين القرى » .. التي نافست معاهدها في عصر يغموراسن ، جامعات بغداد والقيروان .



مولود قاسم

في تلمسان ، ينعقد هذا الشهر الملتقى الاسلامي التاسع، الذي درج على اقامته كل عام ، المجاهد الوطني العربي الاسلامي الثائر ، الاستاذ مولود قاسم ، وزير التعليم الاصلي والشئون الدينية ، داعيا اليه علماء الاسلام من كل فج عميق ، وحاشدا له شباب الجامعات الجزائرية من الجنسين ، ليفهموا في امور دينهم ، وليبنوا مستقبل وطنهم على أسس راسخة من الهدى المحمدي المشرق والوعي الاسلامي الخلاق .

ويتعمد الاستاذ مولود قاسم ان يجعل الملتقى كل مرة في مدينة غير المدن التي عقدت فيها الملتقيات السابقة ، حتى يتوفر لرادة الملتقى ان يعرفوا ـ سنة بعد سنة ـ كل ركن من أركان

الجزائر ، وفي الوقت ذاته ، يتيح لكل شـــباب الجزائر ان يشاركوا في أمور الدين على مدى الملتقيات ·

وستكون هذه ثالث مرة اسعد فيها بزيارة الجزائر ·
الاولي ، في الملتقى الاسلامى السابع بمدينة تيزى اوزو، عاصمة القبائل ، منذ عامين ·

والثانية ، في العاصمة نفسها ، حيث انعقد مؤتمر الادباء ومهرجان الشعر هذا العام ·

وسيمثل مصر في ملتقى هذا الشهر ، شاعران من مصر ، اعجب ما في امرهما ان احدهما يمثل الشعر الجـديد ، وهو الاستاذ صلاح عبد الصبور ، والثاني ··· انا

واعجب من ذلك ، ان صلاح عبد الصبور قد اختار ـ كما ذكر لي ـ أن يقول نثرا ··· لا شعرا ·

احب ان اضيف ان قولة امير الشعراء: « اختلاف الرأى لا يفسد للود قضية » تصدق ، اكثر ما تصدق ، على صـلتي بصلاح عبد الصبور · فهو انسان كريم الخلق ، رقيق الحاشية، نختلف ما نختلف حول نظرية الشعر ، ولكننا متى التقينا في الداخل او في الخارج ، قلبنا المعركة الى موضوع للمضاحكة والايناس في جو كله مودة وصفاء ·

وقد يسالني احد القراء قائلا :
ـ فيم تذهب الى ملتقى اسلامى ربما كانت يوما من فقهاء الدين ؟

فاجيبه قائلا انني ما تعودت ان اتجاوز حدودى · ولكنني اذهب الى الملتقى ، كما ذهبت الى الملتقى الاسبق ، شاعرا ·

في الملتقى الاسبق ، شاركت بعدة قصائد دينية لم اكتبها خصيصا للمناسبة ·

اما هذه المرة ، فقد اجاز لي الاستاذ مولود قاسم ان القي ما اشاء من الشعر الديني ، او الوطني ، ولكني لمحت بين الدراسات المحددة للملتقى هذه المرة موضوعا راقني :

هل كان الشعر والفن من اسباب انهيار ملك العــرب في الاندلس ؟ ··· وعمومها ··· هل الشعر والفن عاملان هدامان أم بناءان ؟

في هذا الموضوع نظمت ···

وهذا هو موضوعى فى الملتقى القادم وفى الهلال القادم باذن الله .

وبالمناسبة ... اقول ان احساس الانسان قد يصدق احيانا ... الا اذا نقضته ارادة الله .

واحساسى – منذ ان خرجت من محنة المرض الذى الزمنى الفراش بضعة اشهر من اخريات السنة الماضية ومطالع هذه السنة فى مستشفى القوات المسلحة بالمعادى – ان موعدى مع الله هو مطلع العام القادم .

ولهذا ، فاننى دائبة منذ شهور فى مصالحة من خاصمونى بحق او بغير حق .

وما كدت اطأ ارض الجزائر فى المرة الاخيرة ، حتى سألت عن الكاتب الجزائرى الاستاذ محمد الميلى ، الذى كتب عنى كلمات مريرة فى يوم من الايام ، فما كدت ألتقى به حتى عانقته ، ورددت له ثلاثة ابيات حلوة للبهاء زهير ، يقول فيها :

وان كان ولا بد من العتب ، فبالحسنى
فقد قيل لنا عنكم كما قيل لكم عنا
وما أحسن ان نرجع للود كما كنا

زينب .. بنت الشهيد

بالمناسبة ، اقول ان اول وجه نسائى لمحته بمجرد هبوط طائرتنا الى ارض الجزائر فى مؤتمر الادباء ، شابة سريعة الحركة ، خفيفة الظل ، ضاحكة السن ، خارقة الذكاء ، عرفت فيما بعد انها اديبة وكاتبة ومقدمة برامج فى الاذاعة ، اسمها زينب .

وكان الميكروفون فى يدها كزهرة التيوليب فى يد ناعمة .

وقد تنقلت به من حديث الى حديث .. مع كل اعضاء الوفود .. الا انا

وحين سألت عنها ، قيل لى انها قرينة محمد الميلى .

وعرفت السبب ، فلم اغضب ، بل استوقفت القوم سؤالا عنها ، فقيل لى انها سيدة تتقد ثورة وعروبة وفداء ، وان الفرنسيين قد اعدموا اباها خلال الثورة الجزائرية .

وفى صمت ، انحنت روحى لزينب ، بنت الشهيد ، اجلالا لرمز يتمثل فيه الف الف شهيد .

الإمـــام أبـــو زهـــرة



الشيخ محمد
أبو زهرة

وسنفتقد في هذا الملتقى بتلمسان ، عالما من أجل علماء الاسلام شارك معنا ، بل كان على رأسنا ، في مثل هذا الملتقى بمدينة « تيزى أوزو » الجزائرية منذ عامين ، هو المغفور له الامام محمد أبو زهرة .

كان رحمه الله صاحب ذاكرة لا تخطىء ، وحجة لا تغلب ، حتى لقد جعل له الاستاذ مولود قاسم ، وزير الشئون الدينية بالجزائر ، استثناء انفرد به . فقد كان الوقت المحدد لأى معقب على بحث من البحوث ، لايتجاوز عشر دقائق ، الا الشيخ أبو زهرة ، فقد كان له أن يعقب ما شاء أن يعقب دون نظر للساعة ، ذلك لانه كان حجة الحجج في الدين ، وكان فوق هذا خفيف الظل ، لا يمل الناس حديثه مهما اطال .

وكان له صاحبان يجلسان ويسيران عن يمينه ويساره دائما ، هما الشيخان الجليلان الدكتور احمد الشرباصى ، ومحمد الغزالى .

وكنا نسميهما « أركان حربه »

وكم من مرة في سامر الليل ـ بعد انتهاء جلسات الملتقى ـ اوقعنا بينه وبينهما بالدعابة ، فكان يخلعهما من المنصب ، ثم لا يلبث أن يوليهما في الصباح ...

وكان رحمه الله شجاعا ، لا يخشى في الحق لومة لائم ، مما حمله على رفض مشيخة الازهر أكثر من مرة في عهد ماقبل ثورة التصحيح .

واذكر مرة ـ في ذلك العهد ـ أن الدولة دعت فيلسوف الوجودية الفرنسي جان بول سارتر وصاحبته سيمون دى بوفوار لزيارة مصر .

وتصادف أن عقد في ذلك الوقت مؤتمر فكرى موسع بالقاهرة . فانتهز الامام أبو زهرة الفرصة ، ووقف يصرخ بأعلى صوته في وجه الوزير الذى يرأس المؤتمر : « كيف أبحتم لانفسكم في دولة دينها الاسلام ، ان تدعوا ـ على حساب الدولة ـ رجلا وخليلته .. وبأية صفة دعوتم هذه الخليلة وانفقتم عليها من أموال المسلمين ؟ » .

وكانت هذه واحدة من المرات التى اعترضت تعيينه شيخا للازهر !

عنابة .. موطن الربيع

وعلى ذكر الجزائر ... اقول ان مهرجان الشعر الماضي ، اقيم في المدائن الجزائرية الاربع : الجزائر العاصمة وتيزى اوزو ، وقسنطينة وعنابة .

وفي الاخيرة ، وقف الاديب السعودى الكبير عبد العزيز الرفاعي يهمس لنفسه قائلا :

عنابة .. بقعة من الجنان اخلدت الى ارض الجزائر . عشقها الربيع فسكن اليها .. ومر بها صاحبنا فعاد الربيع الى قلبه الجاف .. واخضلت فيه اغصانه اليابسة .. ولكن .. لم تزد همسته عن ابيات خمسة ..

فمن يعجبوا بالربيع الغضاب
فان شبابي الربيع هنا
لقد مد كفيها له لهفة
تصافح راحتها الالوف
فأبقى على كفيها قلبه
واغفى .. فما استكان الا رعشة

وقال : هنا .. يستطاب المقام
أيا ورد فانثر بها الاعيشنا
وان سالوا .. اين ياوى الربيع ؟
فان حشاشاته الوطنا

المهرجان الاسلامي في لندن

ينعقد بمدينة لندن في ابريل القادم اكبر مؤتمر اسلامي . خصص له اعتماد يتجاوز مليونا من الجنيهات الاسترلينية .

وسيشمل المهرجان خمسة عشر معرضا مستقلا لمختلف نواحي الثقافة الاسلامية ، تقام في عدد من الاروقة والمتاحف بلندن وغيرها من المدن البريطانية .

وسيستمر المهرجان ثلاثة اشهر ، ويشرف عليه مجلس الفنون البريطاني ، الذى تلقى مددا كبيرا من المال من مصر والسعودية وايران وغيرها من الدول الاسلامية والعربية لتحقيق الفكرة .

وستعرض خلال المهرجان ٢٥٠٠ قطعة من الفن الاسلامي ، استعيرت من مختلف المتاحف الاوربية والاسلامية ، وسيشمل البرنامج عدة حفلات من الموسيقى العربية والاسلامية ، وتلقى

عدة بحوث دينية ، وتعرض عدة كتب وافلام عن الاسلام واحداثه وآثاره فى قاعة « البرت هول » وتقام بعض العروض الفولكلورية من الدول المشتركة فى المهرجان ٠

وستكون من بين القطع المعروضة من الفن الاسلامى ، سجاجيد ومنمنمات وزخارف معدنية ومشربيات ومنسوجات ورسوم ومخطوطات وأعمال فسيفسائية (موزاييك) ٠

والى هذا المهرجان رحلتنا فى العام القادم ان شاء الله

اما الرحلة الى العاصمة المغربية ، التى كان مقررا أن تتم فى الفترة ما بين ١٥ ابريل و ١٥ مايو الماضيين ، للمشاركة فى المهرجان الكبير الذى يقام فى « الرباط » بمناسبة مرور الف سنة على ميلاد الشاعر الاندلسى ابن زيدون ، فقد أجلت الى اكتوبر القادم بإذن الله ٠

حسن عبد المنعم



حسن عبد المنعم

صديقنا كاتب القصة اللامع ، الاستاذ حسن عبد المنعم الذى طالما استمتع قراء « الهلال » بنتاج قلمه الفنان ، عاد من جولة ثقافية فى الولايات المتحدة الامريكية دامت شهرا كاملا، ليجد نفسه فى رحلة داخلية من وزارة الثقافة، التى كان وكيلا أول لها لسنوات طويلة ، الى وزارة الاعلام ، حيث عين رئيسا لاتحاد الاذاعة والتليفزيون ، بدرجة وزير ٠

وقد قطعت شوطا كبيرا من رحلة حياتى مع حسن عبد المنعم من السنة الاولى بالمدرسة الثانوية ، الى أن تخرجنا معا فى كلية التجارة ٠

وقد شاء حسن حظنا ، اذ نحن فى المدرسة الثانوية ، ان نتتلمذ على ايدى اساتذة عمقوا فينا حب الادب والفن ، اذكر منهم الاديب الكبير المرحوم محمد فريد ابو حديد ، الذى كان يدرس لنا التاريخ ، والرحالة المصرى الاول المرحوم محمد ثابت الذى كان يدرس لنا الجغرافيا ، والفنان الكبير المرحوم عباس الخرادلى، وهو مؤسس معهد الموسيقى العربية ، وكان يدرس لنا العلوم٠٠ كما كان الموسيقار العظيم محمد عبدالوهاب يدرس لنا الموسيقى والاناشيد ، وكان يومئذ فى حوالى العشرين من عمره ٠

وقد يبدو مستغربا ان نكون - حسن عبد المنعم وأنا - من خريجى كلية التجارة ٠

ولكن الغرابة تزول اذا عرف ماذا كانت برامج هذه الكلية على ايامنا ٠

كانت برامجها - الى جانب علوم المحاسبة والاقتصاد وإدارة الاعمال - تشمل دراسة جميع مسرحيات الكاتب المسرحى الانجليزى جولزورذى ، بالانجليزية ، وتاريخ الادب الفرنسى فى

القرن الثامن عشر ·
كل هذا في السنة الاولى ·
وفي السنة الثانية ، كنا ندرس عشرين من أعظم مسرحيات الادب الانجليزي الى جانب تاريخ الادب الفرنسي في القـــرن التاسع عشر ·
وهكذا كان خريجو كلية التجارةفي ذلك العهد يواجهون الحيـــاة بعد تخرجهم ، وفي جعبتهم ، الى جانب ثقافتهم الاقتصادية ، لمسة أدبية متعمقة ، وحصيلة وافرة من اللغات الاجنبية ·
رحم الله ذلك العهد ··· حينما كان عدد الطلبة في أية كلية لا يتجاوز الخمسمائة ، وكان الاســاتذة يتخيرون منا الطلبة المأمولين للمستقبل ، فكريا واجتماعيا ، ويولونهم عناية خاصة ، ويعقدون معهم صداقات وثيقة ·

وداع ســـمـــيـــرامـــيـــس

ليلى مقرح ، شاعرة تنظم بالعربية والفرنسية والانجليزية وهي لبنانية الاصل ، عاشت زهرة العمر في مصر ، الى أن أصابها القدر الذي أصاب المئـــات والآلاف من المصريين ، ومن الاخوة العرب المقيمين في مصر ، وفجعهم فيما يملكون ، وشردهم في فجاج الارض ·
وعادت ليلى الى لبنان ، وجعلت همها القدس ، وأسسـت جمعية فداء القدس ، تحشد لها القوى العــالمية من كل الدول لانقاذ أولى القبلتين ومسرى محمد ومهد المسيح عليهما السلام، من رجس اليهود ·
وقامت ثورة التصحيح ، فانفتحت أحضان القاهرة لمن هجروها راغمين · وجعلت ليلى تعود الى القاهرة فترة من عام، تجلس في شرفة فندق سميراميس ، ترســل عينيهــا الى النيل الحبيب ، وترهف أذنيها الى أحاديث الصالون الفكرى – رواق الحكيم – الذى يضم توفيق الحكيم ود· حسين فوزى ومصطفى مرعى ويوسف وهبى وابراهيم الورداني وأنور أحمد وثروت أباظة وعباس الاسواني وأنا وغيرنا من عشاق مصر وخدام الفكر ·
وفي الشهر الماضي ، جاءت ليلى ، فقيل لها ان سميراميس في طريقه الى الزوال ·
سيهدمونه ، بكل ذكرياته العريقة ، وبكل طــرازه الذى تجرى عليه دموع الزمن وينبعث منه عبق التاريخ ، ليقيموا مكانه فندقا على طراز حديث حيث لا شرفات على النيل ، ولا صدور تتنفس هواء الله ··· بل نوافذ مغلقة ترغم عباد الله

على ان يتنفسوا الهواء المكيف ، او « المكندش » كما يقـــول اخواننا في الخليج ٠
وبكت لمياء ، ونظمت قصيدة نجتزيء منها بهذه الابيات :

يا درة كم رصـــعت بمفــاخر
سيظل يذكـــرها ويبكي نيلهـــا
يا ملتقى الادباء عاشوا سـحرها
يا منبع الافكار يروع جيلهـــا
كم عاشت الدنيا بدارك عـــزها
ومن الليالي ما حلا ترتيلهـــا
شاهدت تاريخ السياسة كلهـــا
نقشت على الجدران منك فصولها

شكر الله الجر .. في ذمة الله

الشـــاعر المهجري الكبير شكر الله الجر ٠٠٠ عاد الى وطنه الاول ، لبنان ، منذ ســـنوات قريبة بعد قصـــة كفـــاح طويلة عريضـــة من اجـل العيش ٠٠٠ قصـــة سنرويها في عدد قادم من « الهلال »٠

وعاش ســـنواته الاخيرة حياة هادئة ، لقيته خلالها في بيروت اكثر من مرة ، وكانت المرة الاخيرة ، في الاحتفـــال بذكـــرى الاديب اللغـــوي الشـــاعر الكبير عيسى اسكندر المعلوف ، ابي الشـــعراء الثلاثة فوزي وشـــفيق ورياض المعلوف ٠

وكانت شكواه لي ـ خلال لقاءاتنا ـ انه كان يلقى من التقدير في المهجر اكثر مما لقي في موطنه لبنان ٠

كان اكثر شعره في المهجر حنينـــا الى الوطن ، وكان اهل لبنان يحتفون بشعره ـ على البعد ـ حفـــاوة بالغة ، فلما عـــاد اليهم ، لم يحتف به احد ، اللهـم الا الاذاعـــة اللبنانية التي افسحت له مكانا امام ميكروفون بين الحـين والحين ٠٠

ومنذ اســـابيع ، ذهب شـــكر الله الجر للقـــاء ربه في صـــمت وهدوء ، الى حـد ان اصدقاءه في العالم العربي لم يسمعوا بالنبأ الحزين الا بعد ايـــام طويلة من رحيله ٠
ولم يفكر لبنان ـ حتى الان ـ في اقامة حفلة تأبين له،

ولم اقرأ - حتى الان - اى رثاء له بقلم احد شعراء لبنان وهم كثر .

حيا الله الشاعر العراقي عبد الخالق فريد ، الذى جاءنا منذ ايام يحمل هذه الابيات المحزونة في رثاء شكر الله الجر :

احقا مضى عنا الهزار وصوحت
رياض الهوى من سحره المتأرج
وضاعت اغان في دياجير غربة
فلابارق من لحنه المتموج
لقد كان للابداع وحيا وفتنة
وينبوع الهام عظيم متوج
وخلف في كل القلوب لهيبها
وحزنا عميقا مستديم التأجج
لك الخلد شكر الله ياشاعرا مضى
فابدع في الاشعار سحر التوهج
ستطوى حكايا الحب الا حكاية
بها صغت احلام الغرام المؤرج
خيالك في اعماق روحى ماثل
وذكرك يوحى بالشعور المهيج
سابكى بدمع العين ابكيك مثلما
بكى في رياض الحب زهر البنفسج

● عبد الخالق فريد ●
● بغداد ●

قرأت هذا الشهر

● تاريخ التعليم في العراق
(مطبعة المعارف ببغداد)

بعد أن اصدر الكاتب العراقي الكبير عبد الرزاق الهلالي الجزء الاول من هذا الكتاب سنة ١٩٥٩ عن تاريخ التعليم في العهد العثماني ، يطالعنا الان بالجزء الثانى منه ، عن تاريخ التعليم في عهد الاحتلال البريطانى (١٩١٤ - ١٩٢١) .

دراسة شاملة واعية ، ترفع الستارة عن حقائق استعمارية رهيبة.لعل من ابرزها ان المستعمر قد برمج التعليم بحيث تكون اللغات الكردية والتركمانية والفارسية هى اللغة الاولى التى

تحل محل العربية في بعض المناطق التي يتكلم سكانها بهـذه اللغات ، حتي تعمق جذور الاقليمية لتكون سدا عاليا قائمـا بينهم وبين الفكرة العربية السائدة في العراق ·

● عروبة فلسطين والقدس
(المكتبة العصرية ببيروت)

بحث قومي جليل ، للاديب الشاعر احمد عبد الغفور عطار يثبت فيه أن عروبة فلسطين والقدس أصيلة منذ عشرات الالوف من السنين ، وأن الهيكل لم يكن مقدسا لدى سليمان واليهود ·

● اغنيات لبلادي
(الهيئة المصرية العامة للكتاب) ·

هذا ديوان لشاعر صاعد ، مؤمن بمصر وحرية مصر ، ساخط على النكسة ، وصانعي النكسة ، هو الشـاعر محمد كمال الدين امام ، الذي يقول في صلاة للقاهرة :

تلفت في فرحة غامـــره
وقلت : نعم ، انها القـاهره
فيالية الدهر مجد العصـــور
وعاصمة الامة الثـــائره
وعملاقة الشرق رغم الجراح
تطل على بابه ســـاهره
وتمسى له الدفء في الزمهرير
وتغدو له الظل في الهـاجره

● كلمات من شاعر أسمر
(الهيئة المصرية العامة للكتاب)

والشاعر الاسمر ، صاحب الخيال المجنح ، هو النبوى حافظ أمان ،

وهذا ديوانه الانيق يجمع بين الوطنية والعاطفية والغنائية يقول في غنائية نظمها على شاطيء سيدى بشر :

لو كنت معي
وهواك معي
والجو رقيق النسمات
نتراقص فوق الموجات
نتقضي احب الاوقات
في حب المغني
مع هذا الاسمر

● فنون افريقية
(الهيئة المصرية العامة للكتاب)

أحاديث جديدة على القاريء العربي ، عن الفن التشكيلي الافريقي في أصالته وفتنته ، بقلم الاديب حلمى عبد الجـواد السباعي ·

● ص · ج ●

أنور
أحمد

في الذكرى الثانية للشاعر عزيز أباظة
صفحات مطوية من رسائله

في ذكراه الثانية، خلق الكاتب أمام حزمة من الرسائل، كتبها صديقي الشاعر الراحل عزيز أباظة، وبعث بها الي من مصيفه في لوزان بسويسرا، حيث اعتاد في أعوامه الأخيرة قضاء الصيف مستشفيا ومستجما في شقة صغيرة كان يستأجرها هناك، ويعيش فيها كما قال في احدى رسائله « حياة اشتراكية بمعنى الكلمة. الباشا عليه شراء اللوازم من السوق، والست عليها المطبخ، وابنتي عفاف عليها غسيل الصحون وباقي الخدمات وهي كثيرة، وكل يوم أتذكر مثلا كان يردده قريب مسن دائما « اللي يطلع من داره، يقل مقداره »، ولكنها عيشة لذيذة على كل حال ».

كان عيد ميلاده يوافق يوم ١٣ أغسطس، وهو نفس يوم ميلاد ابنتي التوأم نسرين، وهديل، فكنت أرسل اليه رسالة تهنئة من مصيفي بالاسكندرية تصله عادة في يوم عيده. وكان رحمه الله يرد على برسالة حافلة، يطربها على مقطوعة جديدة من شعره يهديها الي. وانني اذ أعود اليوم الى هذه الرسائل، أجد أنه ليس من حقي أن أكتم ما فيها من نثر فني رائع، وشعر يجمع بين جزالة الاسلوب والبناء، وطلاوة المعنى وحلاوة الغناء.

وليغفر لي القارئ، اذ يجد في بعض سطور هذه الرسائل تمجيدا لشخصي، فما حيلتي مع الصديق العزيز الذي كان يحسن الظن بي، ويدفعه الحب الى الاسراف في مجاملتي بما لا أستحق؟ علم الله لا أزكي نفسي، ولكني أعرض نماذج من أسلوب عزيز أباظة في النثر، لتكون تحت أنظار الدارسين لأدبه من نثر وشعر.

كتب الي من لوزان في أغسطس من عام ١٩٧٠ ردا على رسالتي اليه فقال:

« تأدى الي كتابك الرائع، وهو سموة في مشارف الأدب الموثق، فما قرأته مرة فمرة حتى خلتني أتنقل فيه من بدائع ترسل عبد الحميد، الى تواضع ديباجة الوليد، يتألق فيهما ما من على الله به من موطود صداقتك، وكريم تقديره. وما أظن ان أوبة بائس غريب منكوب، أو وصل وامق مطول مكروب، بالذ للنفس، وأروى للروح من اخلاص صديق موهوب.



الشاعر الكبير عزيز اباظه
الذكرى الثانية للرحيل ..

« وماذا عن عيد ميلادى ؟ »

« الا ترى انه تذكرة للاهب وقد الصبا الذى خمد ، ويلتع عود الشباب الذى انخضد وريق عنفوان العمر الذى نفد · ثم هو مرخص ، بعد ذلك بغد وما يخفيه هذا الغد من امد ، طال او قصر ذلك الامد ؟

على اننى تحت وطأة هذا كله — وهذا عجيب فى اسلوب الحياة — لما يزال لى جفن يباعد البعد بين هجماته، وصدر يثير الشوق من وارى لفحاته ، وقلب يلج به الوجد فيتدافع فى منهوك نبضاته ·

ومن لفحات ذلك الصدر ، ومن نبضات ذلك القلب ، هذه النفاثة التى اقدمها بين يديك ، وهى مهداة اليك :

خميلة فى حواشى النيل مونقـــة
منشورة طلة الاعطاف راوحهـــا
همس وتضحى بها سمراء لاعبة
يا جـــارة النيل فى علبا زمالكه
أبثك الشوق مشبوبا تســاقطه
ترى اعهــــدى مرعى ام انبعثت
اليك الشكوك والشكوى لذى جنف
لم تهف لى منك مذ بنا محبــرة
مخمورة الشوق جالت فى رقائقها
اطالع الصبح مطويا على شــجن
واسال البرق هل وافت لوابضه
وكم اهبت بقلبى أن يــكف وأن
وقال فاختر · فقلت الصبر اجمل بى
زيدى جفاء وحســبى اننى رجل
أن عينى ترى الايام محصــنة
وان قلبى وان صــارمت مبقله

يلفها الضــاحكان الروض والماء
بالضم صبح وبالتقبيل امســاء
كانهـــا فتنة يافلى واغــراء
حيث الضحــى لعب والليل لألاء
على مفــاتنه أرواح وانداء
تمضى الى لذة التغيير حــواء ؟
ضــراعة يتحاماها الاعزاء
كانها من نشــيد الخلد اجزاء
به مقبلــة الفاظ بيضــاء
فان نجا الليل فالظلماء رمضاء
والطائرات الهيهـا عنك انبــاء
يســلو فاعرض عنى وهو اباء
وربما حمد الرق الارقـــاء
أنت الهواء له والشمس والماء
اذا تراءتك ·· والايام اعــداء
وان التى اذا عابوه صـــماء

***

وفى عام ١٩٧١ تعرض الصديق الراحل لازمة خاصة زلزلت كيانه ، وكادت تعصف بحياته وتلقى به فى مهاوى اليأس ، لولا انه وقف يواجه العاصفة بما عرف عنه من شموخ وسموق ، وكان ذلك على حساب صحته واعصابه وماله ، ثم جاء الصيف وسافر الى مصيفه بسويسرا وكتبت اليه فى عيد ميلاده ، وحاولت فى رسالتى ان اسرى عنه ، فاشرت الى المحنة التى يمر بها ، ثم اردت ان استخرجه الى جو مرح ، فلجأت الى الخيال والاساطير ، باسلوب اقرب الى اسلوب المقامات ·

واستأذن القارىء فى تسجيل ما جاء برسالتى، فقد كتبت اليه اقول :



فى الذكرى الثانية

- ومرت الأيام ، ومضى عام ، وأطل عيد جديد ، وانطلقت القلب عبر البحر الى الصديق الغريب بالبلد النازح ، وقد حمل معه من الهموم ، والكدر المركوم ، ما تنوء به الجبال الرواسى ٠

عام مضى حافلا بالأحداث ، عامرا بأسباب الأمل ، مرهصا بفجر جديد يشرق علينا بالأمانى العذاب ٠

ولكن الحياة فى لؤمها تأبى الآن تفاجأ المرء بالمنغصات من حيث لا يحتسب ، وكأنها تستكثر عليه هناء لا يشوبه الكدر !

ولكنك أيها الصديق أعلم منى بالحياة وما فى طبعها من غدر ، وأقدر منى على قهرها بالصبر ،

ولديك من القوة والحكمة مايعينك على تحمل الصدمات ، واجتياز العقبات والارتفاع فى شموخ على ما ينوء ببعضه أقزام الرجال ٠

فاطرح عنك أيها الصديق فى ذكرى ميلادك ما يبهظ قلبك من أسى ، وما يغشى نفسك من هم ، لكى تخلص لك فى هذه الذكرى أطياف الأيام السعيدة التى عشتها ، وذكريات الأمجاد العظيمة التى حققتها ، وما أكثر ما حققت من أمجاد تفرض نفسها على الزمن ، وتتحدى الحياة بكل ما فيها من زيف وأباطيل ٠

وفى عيد ميلادك ترفرف حولك عرائس الشعر ، وتهبط من عليائها لتحتفى بك آلهة الفن ، ويحتشد الجميع فى حلقة من حولك ليقيموا مهرجانا للشعر فى عيده ، يضفرون على جبينه أكاليل الغار ، بينما ترقص « فينوس » ومعها « ديانا » وقد حملت قوسها وراشت سهامها ، وينشد « أبوللو » أروع أهازيجه ، وتلقى « مينرفا » بمأثورات من حكمتها ، ويعربد « كيوبيد » حول القلب الأخضر الذى يأبى على المشيب ٠

وكأنى بهم أيها الصديق يتنافسون عليك ، وكل منهم يريد أن يستخلصك لنفسه ٠ وكأنى بصوت آلهة الحكمة يرتفع قائلا :

- انه « عزيز » الحكيم ، لقنته الحكمة وفصل الخطاب ٠

فيقاطعها « أبوللو » صائحا :

- بل هو الشاعر الفنان ، رب القوافى والأوزان ، أعرته قيثارتى فداعب أوتارها فانبعثت منها أروع الألحان ٠

ليقفز بينهما « كيوبيد » قائلا :

- انكما تهذيان ، فصاحبى عاشق وَلهان ، فى قلبه من كنانتى سهمان ، وكل يصدر عنه من ألحان ، أو ينضح به قلبه من أشجان ، فى صورة شعر

واوزان ، أو حكمة تبقى على الزمان ، هو من فعل سهامى فى قلبه الفنان .

« فاهنأ أيها الصديق بما هيأ الله لك من مجد فنى ، وليسعدك أن ميلادك لم يكن عبثا ، فقد جملت حياتنا بما فاضت به عبقريتك ، وما زلنا ننتظر منك المزيد فى عمرك المديد بإذن الله ... »

وبعد أيام جاءني رده الآتى :

— نعمت أمس بتسلم خطابك الكريم فكان الخطاب الوحيد الذى ذكرنى وذكرنى ، وما أظننى قادراً أن أسبغ عليه وصفه الحق ، ذلك لأن كل وصف له يتعذر ككليل القدرة عن تبين قيم الجمال فى معارفه ، ويقف حسير الطرف دون شامخ مشارفه . وحسبي وعجزى غريق فى بحره الخضم ، أن أقول انه الصداقة الخالصة متدفقة فى اليانع المنثور من رفيع الكلام . وأنه الوفاء موشيا فى سطور كالأنداء الحور ، وما أندر الوفاء فى هذه الأيام .

« حدثتنى عن التجلد ، ودعوتنى الى الصبر ، والصبر تكليف غليظ أسأل الله أن يوفقنى الى خوض مشقاته ، وأن يعيننى بلطفه وأنا أترنح صاعدا الى مرقاته .

« وحدثتنى بخيالك المجنح — متراقصا فى تقدير الصديق — عن أبوللو ومنيرفا وديانا وفينوس !

« أية قضية خاسرة تحمل أمرها أيها المدره الكبير ؟ أعنى تحدثت أم عن « شوقى » العظيم ؟ لقد غالطتنى لحظات حسبت فيها أنك نقلت الحديث الى ذلك الخالد فى الشوامخ الروائع من آثاره ، لا عن حواريه الذى يسعده ويكرمه أن يتذكى فى عبقرى غباره .

أكان يوم ميلادى يوما سعيداً أم يوما شقيا ؟

« اننى لأميل الى تقديره والاشادة به ، ذلك لأن الحياة جميلة جميلة لا ريب ، وقد يدعم الاقتناع بجمالها تلك الأعاصير التى تدهم الناس فيها جامحا طغيانها ، وتلك المشاق التى تنتابهم متعددة ألوانها . تماما كالأشواك التى تمر بها الاصبع وهى جاهدة لاقتطاف زهرة نضيرة ، أو كهذه الظلمة الغاشية التى يجترعها الانسان لتداعبه فى وضح الفجر اشراقاته الحالية .

« وبعد ... فهذه مقطوعة حزينة أرسل بها اليك ، وكنت أريد الا أشق بها عليك ، ولكننى آثرتها لأنها صاعدة من أعماق أعماق النفس » .

ثم أرفق بخطابه المقطوعة التى تعكس حالته النفسية والتى سماها « ربيع العمر » والتى قال فيها :

يا ربيع العمر من حالى الصبا — قد ما هاج اشتياقه شجونى
يا ربيع العمر من حالى الصبا — من على فرقتك الدهر معينى
عهد لا أعرف للدنيا سوى — أنها مسرح لهوى ومجونى
بسفر الصبح فالقاه وبى — بهجة النفس واشراق الجبين
واذا الليل دجا راجيته — أتخطى من حبيب لخدين
يعرض الهم فتجليه كما — يقلع الفجر أهاويل الدجون
وكأن العيش يختال بنا — بين أمواه وأيك وغصون
زال كالرشفة من كأس الطلا — راويا من حسر بلى وحنينى



في الذكرى الثانية

أين صحبي ولداتي ؟ عصفت بالاغرين فجاءات السنين
واذا المرء مضت اترابه ذاق أو كاد تباريح المنون
يا عشياتي التي اجزعها ساعدا ادعم راسي بيميني
زاكي اللوعة مضموم الجوى واكف الادمع مصبور الانين
لا تقولي من اخو البث الذي هاجنا .. من صاحب اللحن الحزين
التفاتات تفاءلتي أنا ... والشئون المستهلات شئوني

ثم جاء صيف عام ۱۹۷۲ .

وكان آخر صيف سافر فيه الى لوزان :

وكنت مريضا بالحمى عندما حل موعد كتابة الرسالة التي أهنئه فيها بعيد ميلاده ، فتحاملت على نفسي وكتبت اليه ، فجاءني رده ، وكان آخر كتاب اتسلمه منه في مثل هذه المناسبة ، وهذا نص الكتاب :

« سعدت اليوم بتسلم كتابك الذي أترقبه كل عام بصبر مكظوم ، وود منهوم ...

« أي كتاب هذا يا صديقي الكريم !؟ انه تراقى الى مشارف لا يبلغها النخبة من اشياخ أهل الأدب ، ولا يرتفع اليها القدرة من ارباب الفكر ، فقد جمع الى طلاوة الأسلوب المحسود ، تسامي الفكر المحشود ، ورزانة العمق المنشود ، فظلته وأنا مقبل عليه التهمه أنني أتنقل بين مقدرات عزت على جهابذ المقتدرين ، ونغمات تقصر دونها سعاة الملهمين . فان كانت الحمى التي حدثتني عنها هي التي سلست فيه هذا القدر من الابداع ، فلن يضيرك ان أسأل الله ان يهبك قسطا منها كلما تهيأت لتدبيج عمل أدبي جامع ، أو مذهب فني رائع ، فانك عند ذلك بفضل حماك هذه مستو على عرش الجمال والكمال ، ومبدع ما انت آخذ فيه على غير مثال .

« ولقد عاجمت الحياة وعاجمتني ، فلم أعرف فيها أكرم وأسمى من متعة المرء بصديق يتحسس ألم صديقه حتى يتأدى اليه ، فيشركه فيه ، ثم يحمله عنه كأنما كتب هذا الألم عليه .

« وكل حياة لها أنسها ، ولها بأسها ، ويقيني انك لن يشغلك على شاغل ما تراخى لي الأجل ، ويقيني أيضا انك ستظل تذكرني اذا بلغ غايته هذا الأجل . ورب أخ لك ...

ورحم الله البحتري حين يقول في وصف الصديق الكامل :

بعيد عنك ما استغنيت عنه وطلاع عليك مع الخطوب

• وذكرتني بعيد ميلادي فقلت وقلت ، وسافت لي صداقة التعبير ، وتزلت انت على حكمها فسددت وصدقت !! ولكن اكان عيدا يوم ميلادي هذا ؟ وكيف يكون عيدا وقد قذف الى هذه الدنيا — على خلاف ما تقول — برجل من اوساط الناس لم يحدث فيها اثرا ، ولم يترك فيها خبرا • واوساط الناس يجيئون ويذهبون كالسحابة العقيم ، لا هي اظلت صحيت ، ولا هي امطرت فروت •

• ولست ادري الآن لماذا تتدافع الى ذاكرتي بعد الفراغ من كتابة هذه الاسطر الاخيرة مقطوعة لشاعر جاهلي حفظتها في مطلع شبابي ؟ اهي صدى لما يجول في اعماقي ؟ ربما •

لقد حببت لي الارزاء حتى … بليت وقد اتى لي لو ابيد
والاقي ولا يلقي نهار … وليل كلما يمضي يعود
وشهر مستهل بعد شهر … وحول بعده حول جديد

يا صديقي الحبيب :

كتابك العجيب قد زلزل نفسي بحق ، اثار بي ما اثار وسبر من جراحي ما سبر ، فلا يزعجنك ذلك ، فانه مركوز في خليقة البشر • ان الالم الباسم ، مطهر للنفوس من الالم الجاثم ، وان ذكرك لي في يوم حفاوتك بحبيبتي نسرين ومسحيل لهي ومضة مشرقة ، وايثارة موفقة • الخ •

اما الشعر الذي طوى عليه هذه الرسالة الاخيرة ، فكانت مقطوعة يتحدث فيها عن يوم ميلاده ثم يذكر الموت ويترقبه • وقد انقبضت نفسي عندما قرأت هذا الشعر رغم حلاوته ، ولكني لم اكن اتصور ان تكون هذه اخر رسالة اتلقاها من الصديق العزيز •

وهذه هي المقطوعة :

يا يوم ميلادي رجعت •• اما وجدت … لمصاك بعد معاودا ومعاودا
ارهقتني عدا كما الحسر التي … عددا فلتي لا احسسه واقفا
ماذالك يقضا للحياة وانما … اجد الردى بخطوه منى راصدا
من ذاق فقد لذاته خلق الردى … حوليه يخطر هابطا او صاعدا
تهفو عليه يظل يرقب لحظة … تقتات اما صاحيا او واجدا
ويبيت يلقى نفسه لا سائلا … يرجى ولا تحت الصفائح راقدا
المرء يلقى الموت ثم يهزه … موت فيذكر •• لم يلق جاهدا
يا يوم ميلادي بعثت لواعجا … القلب في كبدي وهجت مواجدا
انى ذكرتك والصبا متقصر … نشوان يلتمس الكعاب الناهدا
فاذا التفتت عله اصحاب عرامه … ما كان من غير الكواعب واجدا
اصبحت يعيش النهوض وربما … استحسن فرحت مصاحبا ومعاقدا
ذهب الصبا متقصورة ايامه … ومضى الشباب معاصيا ومعاندا
تلك المعاصي المشرقات فليتني … ما زلت ايتها ملحا عامدا
ويح المساكين ركبتني فاحملني … فتركت غير مجبرا لا زاهدا
ان لم اتح لله مفضل العفو … لم اومن برحمة الها واحدا

محمد عثمان يس

صور سودانية

قد لا يوحي هذا الاسم بانه لعربي يمعن في العروبة ، وربما ظن السامع انه لاحد زعماء شرق او غرب السودان ولكن الحقيقة هي ان اباه « ابو فرجة » اى صاحب العصاة الضخمة الغليظة كان احد امراء المهدية من شمال السودان الذين حاربوا الانجليز في شرق السودان مع البطل المشهور عثمان دقنه الذى وصفه تشرشل بانه اول قائد في تاريخ الحرب يجرؤ على كسر مربع عسكرى للجيش الانجليزى .

وعندما ولد له ابن سماه كنتباى على احد اصحابه من فرسان الهدندوه

كنتباى أبو فرجة

تخرج كنتباى ابو فرجه في مدرسة الادارة كناظرللمامور في العشرينات عندما كانت تلك المدرسة ينتخب لها الطلاب من ابناء الاسر العريقة ...

قالت احدى النساء اللسنات عندما وقفت امامه في محكمة ام درمان ولم تجده يصرخ وينهر خصمها كما كانت تتوقع وتريد ، وقد نظرت الى قامته المديدة وحجمه الضخم وهدوئه الشديد : « يا بحر ابيض لاموج .. لا عرق » ..

والذين شاهدوا النيل الابيض اثناء الفيضان عند التقائه بالنيل الازرق عند « المقرن » قرب الخرطوم ورأوا كيف يستهزىء ذلك الشاب الازرق المندفع الهابط من قمم اثيوبيا بالشيخ الابيض المتئد القادم من اواسط افريقيا ويجره جرا للخلف الى مشارف خزان جبل الاولياء جنوب الخرطوم ويجعله يتبسط ويمتد زيادة في امتداده وانبساطه المعهود — يدركون مبلغ النكاية التى نالت اليها هذه المرأة الساخرة اللسنة

ولكنها لم تعد الحقيقة ، فكنتباى ابو فرجه هادىء منبسط طيب النفس

بشبــــه النيل الابيض الذي يتدفق على مصر طوال العــام باكثر مما يتدفق عليهـــا النيل الازرق رغم فورته وثورته وهياجه .

❊❊❊

التقيت به لما كان مأمــــورا في ام روابه في غرب السودان ، عندما ذهبت اليها مع زميلي السيد احمد حسن القمر لنتمرن على يديه على فنون الادارة اثناء دراستنا لها في اوائل الاربعينيـــــات ونزلنا في الاســـــتراحة ، التي تجاور أحد بيوته ، فغمرنا بعطفه وكرمه زهاء أسبوع ذهب بعده زميلي اليه وطلب منه في أدب جم ان يســـاعدنا في الحصول على خادم يقوم لنا بالطهي والغسيل ، وما الى ذلك -فاستمهله السيد كتشاي وارسل في طلبي ولما قابلته ضرب كفا على كف وقال لي : « هل سمعت ما قاله زميلك ؟ انه يطلب خادما ليطبخ لكم .. سبحان

تشرشل : وصف كتشاي بالجرأة والشــجاعة ..



الله ... والله الــكم لن تواقوا نارا ما بقيتم في هذه المدينة ! »

وظللنا نطعم في منـــزله طوال ثلاثة اشهر تخللها شهر رمضان ، فكان يحضر الى استراحتنا بنفســه ومعه « الســحور » ويوقظنا عند السحر لنتناول الرقاق والخشــاف ويصر ان نأكل حتى يتبين الخيـــط الابيض من من الخيط الاسود ..

والغريب في الامر أن دخل السيد كتشيـــاي ابو قرجه انذاك لم يكن ليزيد كثيــرا عن جملة راتبينا .. وكانت له زوجتان واسرة كبيرة ، وعدد من طلاب الحاجات ، ثم اننا باثوابنـــا المتميزة الجـــديدة كنا نستطيع ان نشم رائحة الرشوة او استغلال النفوذ ان كانت ثمة شيء منها ، ولكننــــا غادرنا ام روابه ونحـــن نعجب لــــكرم هذا المأمور العفيف اليد واللسان .

وصحبته مرة للتحقيق في حادث قتل في ضواحي المركز فركبنـــا السيارة لساعات ظل طوالها يتغنى بشعر احمد شوقي لا سيما قصيدته:
ســلام من صبا بردى ارق
ودمع لا يكفكف يا دمشـــق
ويردد في اضطراب شـــديد قوله :
وللمســـتعمرين وان الانوا
قلوب كالحجـــارة لا ترق

وقبيل المغيب ظهرت احدى طيور الحبارة فاخذ بندقيته وصوبها عليها واطلق الزناد ولكن الحباره طارت ولم تسقط فالتفت الى وراع

صور سودانية

من الضحك وقال : « عارف شنو ؟ .. عندما صوبت عليها أغمضت عيني الشمال وعندما أطلقت النار أغمضت اليمين أيضا ! .. »

والذين لم تكتحل أعينهم بجمال غرب السودان في الخريف من شباب العروبة وظلوا يستمتعون بجمال الطبيعة عبر شاشة السينما والتليفزيون وباتت مرثيات الجمال عندهم عالقة بأصباغ الريف الانجليزي والغابة السوداء ووادي الراين في ألمانيا — لا يدركون مدى الجمال في كثبان كردفان عندما يطل عليها الخريف فيكسوها بالخضرة وتظل بعضها حمراء أو صفراء أو مزيجا من ذلك . ويخرج الشباب للرقص والغناء عند الأصيل وفي المساء ...

كنا نتحرج من قلب أم روابة الى النيل القادم من جبال النوبة والذي لا صلة له بنهر النيل (نيل مصر كما يسميه هيرودوت وغيره من قدماء المؤرخين) .. فنتزل اليه من خلال شجيرات الأشجار والذرة مستضيئين بالقمر الطل لنستمع الى ذلك السلم الموسيقي الرائع العجيب ...

من بنات الجوامعة وهن يطفن حول النيل يحملن جرار الماء على رءوسهن في نسق بديع تتقدمه الصغيرات ثم المتوسطات الى أعلى السلم الموسيقي ويتغنين :

« الله ليا الليمون سقايته على واحي أنا »

ولا يسعنا أن نساعدهن في انشادهن الا بالاستماع والسير خلفهن في بطء وهدوء الى أن يلتقين بفرحهن الشبان الذين يوقعون اللحن بالتصفيق والرزيم وترتد أمواج النيل الصغير أصداء السيمفونية البسيطة . ونعود الى أم روابة عندما تنكسر حرارة الرمال وتهب النسمات الباردة المنعشة .

وتمر السنون ويحال كتنباي أبو قرجه الى المعاش . ويعمل في مشروعه الزراعي الخاص في أبو قنيم بالنيل الأبيض . ويزرع القطن وترتفع أسعاره ارتفاعا جنونيا في أوائل الخمسينات . فيصير من الأثرياء ..

والذهب الى بريطانيا بصحبة الرئيس السابق اسماعيل الأزهري قبيل الاستقلال وعند انتهاء الزيارة ادخل احدى مستشفيات لندن للعلاج والبس جلابيتي الفضفاضة واطالع كتابا عربيا . فتحوم حول سريري الممرضات وهن يبتسمن وتبدو على خدودهن حمرة الخجل . وتتقدم احداهن وتسألني ان كنت من السودان اذ ان احد المرضى من السودان كان يجلس في نفس السرير



هيرودت

ويلبس نفس اللبــاس ، ويقرأ كتابا بنفس الحروف وقد غادره منــذ شهر . فانقبض نفسي . واخاف ان يكون ذلك السوداني ممن لم يتعودوا الانضبــاط والدقة ، فاسألها في لهفة : « من هو ؟ .. صفيه لي » .

فتقول : « ضخم على شــنبه خطوط ولا يتكلم الانجليزية مثلك .. وهو كريم . كريم للغاية » .

فتطوف بخاطري اخيلة وصــور للكريم ومن يكون ؟ واردد قول ايليا ابو ماضي :

قالوا الا تصف الكريم لنــا
قلت على البــــديه

ان الكريم لكالــربيع
تحبه للحســن فيه

وتهش عند لقـــائه
ويغيب عنك فتشــتهيه

واذا تحرق حاســـدوه
بكى ورق لحاســـديه

كالورد ينفح بالشـــذى
حتى أنوف السـارقيه

واتخيل ان يكون المريض السوداني الذي سبقني على السرير هو كتتباي ابو قرجه ولكنني لم اكن قد سمعت عن حضوره للندن .

وعند المساء تجيء كبيرة الممرضات التي تعتمر طاقية فلورنس نايتنجيل وتلبس البزة السوداء ، تمييزا لها . وتقف عند سريري وتقول « انت من السودان . فهل تعـــرف البرنس جرجا ؟ » .

ويتحولني بعض الطلاب السودانيين وأروي لهم ما قالته الممرضـات فينتهزون الفرصة المواتية للتعليـق في شخصية المريض السابق والاختلاط بالممرضات الجميلات وتطلق شـعار الكرم السوداني ممـا الحق به ذلك الامير القادم من افريقيا .

وتظل الحيــاة كريمة تلاحقني في لندن في أحد المنـازل التي يرتادها مرضى السودان فقـد نازل كتتباي ابو قرجه قواعد الكرم فيه وجعلنـا نفر منه خجلا ونرتشفها رشيق ذات يد ...

وكان الخبــر اللاحق به في اوائل الستينات قبل وفاته عند منزله احد الكناكين في الخرطوم وقد بدت عليه آثار المرض والكبــر وتشاعفت التجــاعيد على وجهه ورقبته ، فسمرنا بعض الوقت . واذا به فجأة يحملق بعينيه الذابلتين عبر النظارة الى سرب من الفتيات اللاتي عبـرن الشارع وهن يتبخترن في خفيف الثياب ويستعرضن سيقانهن الجميلة خلال فجوات الثوب اللامع فيقول : « خلي بالك ياود اخوي .. شوف شوف البنات . ياسلام . يا حسرة . جاءتنا الفال بعد ان هجم علينا المرض والكبر ورمينا السلاح » ! .

● محمد عثمان يس ●

● الخرطوم ●

العزف على نغم تونسي

د. عبده
بدوي

ابصرت فى عينيك صدقا رائعا
وقصيدة صداحة الاوزان
والفجر يزهر من وراء غمامة
سطعت ببرق اسمر فرحان
وحديقة يهفو على غدرانها
وغصونها الهدباء عصفوران
وجزيرة خضت الحياة لاجلها
وسبحت فى بحر من الالوان !
علقت نفسى فى الجفون فسافرت
فى رحلة ذهبية الالحان
واجتحت اسراح الزمان بليلة
وانسبت بين « شقائق النعمان »
وسهرت بين جهنم من لؤلؤ
وعلوت خلف جزائر المرجان
ورايتنى - والحب يخطر بيننا -
افقا يضم رحابة الاكوان !

***

قالت - وقد ازف الرحيل واجهشت
ايامنا وتشابكت كفان -
اترى نعود لواحة مسحورة
فى « القيروان » بلهفة الظمآن ؟
قد عاش آباء لنا فى فرحة
فوق الجبال وخضرة الوديان





آنا على شدو الحياة ، ومرة
عاشوا على شدو السيوف القانى
« فبنو سليم (١) » قصة مروية
بالشعر رفافا وبالفرسان
لا تزل فى روحنا اصداؤهم
بالحرب عاصفة وبالتحنان
انى لاذكر اننا فى ظلهم
عشنا طويلا بين عش حنان !
فهتفت .. يا اختاه ان زماننا
هذا بخيل قاحل الوجدان
لكن لنملا عمرنا بسعادة
خلست على كره من الازمان
.. فتفجرت جسدها ، وذابت غيمة
وترقرقت فى آهة عينان
آه من الاهداب فى اطرافها
قد صرت دمعا هم بالاذعان
شدى على العينين حتى لا ارى
متدفقا من جنتى احزان
فاذا بقيت غدوت دمعا باسما
واذا سقطت فقدت كل كيانى !

❁❁❁

ويجىء صوت اجوف متقطع
« حان الرحيل » فيرجف القلبان
ويموت ضوء فى السماء ، ويرتمى
شلق ، واكتب معجلا عنوانى !
وتصيح اخت قد رات اعوالها :
ما اضيق الدنيا على الانسان ؟
ويعيد شيخ قد راى اشواقنا
قد احكمت «يازارع الريحان (٢)»
.. ويحول موج بيننا فى برهة
ونضيع فى دوامة الطوفان !

(١) قبيلة عربية لها اصول بالجزيرة العربية ومصر
(٢) اشارة الى البيت المشهور
يا زارع الريحان حول بيوتنا
لا تزرع الريحان لست مقيم !!

محمد
الطاهر فضلاء
الجزائر

المسرح نضال

الأدب المسرحي تـراث حضاري للانسان ، منذ ان اجاد هذا الانســان مهمة التقليد ، بعد اكتشـــاف المواهب المتنوعة في نفســه

ومن الجدير بالملاحظة ان هذا الذي تم من اكتشـاف الانسان لمواهبه هو السر في عظمته ، والعنصر الاساسي في قدرته ، والمنفذ الاوسع لافاق ارادته .

لعلني لا اكون مبالغا ان قلت ان موهبة الانســـان في الكشـف عن قدراته ، لا تتجلى في ذلك الوشاح من الحس الثري لذهنيته ، والمتدفق بالتصـور الكاشف من حقيقته - بقدر ما تتجلى في تلك الصور التلقائية التي أسفرت عن معانيها حينما سمع خرير الماء ، فغنى .. وأبصرت عيناه زهرة برية فابتسم .. ورأى الفضـــاء الرحب تغمره أشعة الشمس ، فراح في نشوة من الطرب ، فرقص ..

اجل ، لقد ضحك الانســان وغنى ورقص ، ولقد سخر بهذا من الآلام ، الام الثقل والابعاد في عالم مجهول تغمره التناقضات من كل جوانبه .. فهو حينما ضحك في مأساة ، وغنى في مقبرة ورقص في الظلام على الاشواك - انما كان يعلن في عظمة لا توصف بالبيان - انه يتحدى .

وهو بهذا التحدي يتسنم قمة الصراع مواجها بصدره المجرد اعتى ظواهر الاعاصير مهما كانت قوتها ومهما كان مصدرها ..

لم يعرف هذا الانسان حينمــــا استوت السماء على الارض الا ان يضحك ويغني ويرقص . ولو عرف



هوميروس

نقائضها اول ما عرف ، لانهار وباد . فالضحك والغناء والرقص الذي ، من مواهب هذا الانسان الاولي ، وقد فجرها هو من طبيعته حينما اكتشف قدراته ومواهبه الكامنة فيه . وهو بكل هذا قد فتح باب الصراع على مصراعيه ، وغرس في الصخر منارة التحدي لمواجهة كل القوى الجذية لحريته وابادته . كتب بهذا اول صفحة من اول كتاب في سجل النضال الانساني من اجل البقاء ومن اجل الخلود .

وجاءت فترة التاريخ لصراع الانسان على هذا الكوكب ليقول لنا مؤرخو الادب المسرحي ان صراع الانسان ـ للزمن مثلا ـ هو الذي فجر فلسفة الزمن ، وخلق منها الها قادرا سماه : « الزمن » (كرونوس) .. وان صراعات الانسان في الحياة وللحياة ـ خلقت الافكار التي تطورت الى الهة تعبد ، وترغب ، وترهب .

واذا كانت نظرية هؤلاء المؤرخين لهذا الفن من الادب صحيحة ومقبولة يستريح عندها المنطق ، فاننا نحن نستنتج منها ان اله المسرح هذا (ديونيسيوس) انما هو فكرة مجردة قبل اي شيء آخر ، تفتقت عنها

نفسية الانسان عندما ادرك حاجته الى قوة يعتمدها في مواجهة القوة بالقوة . اما الفكرة ذاتها فليست الا نتيجة للمرح الغامر ، وللطرب الراقص ، وللعربدة الغريزية التي تحجب كل اتزان ..

ان هذا الاله الاسطوري او الفلسفي ، وهو ما دعي اله الخمر والعربدة ، او اله التراجيدية المستهترة ـ اله يبعث على التفكير ويدعو الى التأمل ، في مسرحية نحتية ، تسمو احيانا بطلاينيتها الى اسمى آفاق المعرفة والفكر ، وفي نفس الوقت مجسم لا على مظاهر العظمة في هذا الصراع الانساني الممتد عبر الزمن جيلا بعد جيل ، لم يفتر ولم ينقص ولم يعتوره الذبول ، فكأنه اله حقا لا يقهر ولا يغلب . اما الحقيقة التي لا سبيل الى ردها ، واما الواقع الزمني الذي لا ينكر ، فهو هذا الانسان الذي ابلى الصراع وما بلى ، وتحدى الزمن ضاحكا ساخرا يغني في مقبرة ويرقص في الظلام على الاشواك .. يفنى كل شيء ولا يفنى ، ويأكل كل شيء امامه وهو ماض في طريق البقاء كأنه البقاء ..

● خطوات المسرح العربي ●

ان المسرح العربي يبدأ اولى خطواته على امزجة قلقة ، هزتها الاحداث العصيبة ، المتطورة باستمرار ، والعاملة بجد على ابتلاع هذا الكيان العربي في نفس الارض العربية . وليس من اليسير الهين استقرار القدم على ارضية ينذرها البركان بالانفجار كل حين .

ونضال المسرح العربي في مواجهة هذا النزاع العربي القلق ـ نضال فدائي مستميت ، لا بد له من ايمان



عميق ، ومن صلابة حديدية تكـون التضحية دعامتها وذروة سنامها . وهو ما نقف عنده في اعجـاب واعتزاز ، ونحن نقرأ تاريخ الرواد الاوائل لنضال المسرح العربي في كل البلاد العربية .

اجل . لقـد كان نضال المسرح العربي في بداية مراحله مرتكزا على جانب الشكل وحده ، لانه بذلك اراد أن يعلن عن وجوده في الذهنيـة العربية ككيان له صلاحياته للحياة وللبقاء ، والذى يطلب لهذا المسرح مضمونا عربيا وواقعا عربيا ، فانه لن يجده الا مجسما مكثفا في ذلك الصراع المثالي الذى كان هـؤلاء الرواد الاوائل القربـان الاول على مذبح إله المسرح فوق الارض العربية

● الشكل اولا .. ●

● ما هذه الشنشنة ذات الاجراس من هذه الوضة العصرية الغامرة ، التى تحجب الصورة من الشـكل ، لتضع مكانها ، المفاهيم ، مجردة من كل شكل ثابت ؟

● ما هذه الرمزية الجديدة في طرح الافكار ، والتى تتشبث بلغـة الطلاسم في الحوار ، ثم تدعى أنها تحمل القوافل الى النور ؟

● ما هذه الموجة العـارمة الصاخبة ، التى تزحف بمعاول الهدم

.. وكلها تصميم على ازالة كل اثر من آثار الصور العريقة ، وكل لون من الوان الاشكال العادية ، لتحل محلها الصور الخيالية الباهتة ، والاشكال الذهنية الغامضة . كأننا جوقة عميان لا تبصر الا بالسمع ، ولا تقرأ الا بالتأمل ؟ او كأننـا فرقة مجاذيب لا نريد أن نفهم بقدر ما نتكلم ولا يهمنا الاستمتاع بالجمال الا في هذا اللون الصاخب من الغموض ..

لقد قوضنا هياكل المسرح القديمة بدعوى التجديد والتطوير ، لاننـا رأينا زمن المقاصير الذهبية قد ولى ، وعهد الكواليس والقصـور القفصة على الخشبة ــ قد ذهب الى غير رجعة ، وسنة ارتياد الحفل المسرحي بطقم يوحي بالجلال ، ويعيـد الى الاذهان مظاهر الطقوس الوثنية في عبادة الالهة ، الهة الحب والجمال والفن كل ذلك ولى مع الزمن ودخل في مأثورات التاريخ .

ولكن ، ما ضرنا ، وما ضر ادب المسرح وفنه ، ان نحن قمنا بترميمات علمية ــ في زمن العلم ــ لعدد من هذه الهياكل المعمارية القـديمة ، لبنـايات المسارح القديمة ، ذات الاشكال الاغريقيـة والرومانية والكلاسيكية ، فقد نكون في حاجة اليها ان نحن احتفظنا في انفسنـا برهـافة ودقة الذوق السليم الذى يعرف كيف يستمتع بمختلف أشكال الجمال ... ثم لا يمنعنا هذا من ان ننطلق في كل إتجاه نختاره ونستقر عليه في بناء مسارحنا الجديدة ، في المكان الذى نريد ، وعلى الاشـكال التى تروق .

فهل نحن اذا هدمنا مقاصير هذه المسارح القديمة ، او مسحنا اثر الشكل الجلالي على خشـباتها ، أو كبرنا هيكل الواجهات الحـديدية وازلنا عنها كل اثر للنقوش والزخارف

والصور ، وعوضناها بواجهات من المواد الشفافة البسيطة ـ نكون قد قطعنا رأس البورجوازية التى كانت تحتل المقاصير ، ونسفنا ذلك الجدار الوهمى الذى كان يفصل ما بين انسان على خشبة المسرح يدخل من الكواليس ، وانسان فى قاعة المسرح يأتى اليها من الشارع ؟

أعتقد ان هذا ليس الا قفزة على الحبل فى لعبة لاعلاقة لها بالتجديد ولا بالتطور . اللهم الا اذا اعتاجت نزوة التمرد على سنن الحضارة ، ودفعت بشدة فى اتجاه الزحف التترى الذى أغرق مكتبات الحكمة وحول ماء دجلة الى حبر ودم مدة اربعين يوما ـ من ثقل ما ألقى فيه من العلماء وكتب العلم . وهو ما يربأ عنه ويأنفه بقوة انسان القرن العشرين .

والفن المسرحى اشد ما يكون الحاحا فى طلب المضامين الجيدة لأنه اكثر فنون الادب التصاقا بالواقع ولكنه فى نفس الوقت ـ اول الفنون الادبية طلبا للصور الجمالية الباهرة التى تربط الفنون اليها وتأسر القلوب بفتنتها ، ليتم لها بعد ذلك ما تريد من الايحاء والتأثير الذى يولد الانفعال معها فى مسيرتها الانسانية عبر الاجيال والقرون .

ان هوميروس فى أروع ملاحمه واسخيلوس فى أمجد فواجعه ، وسوفوكليس فى الطف وأمتع مآسيه ويوريبيديس فى أحسن وأجمل تراجيدياته ، وأرستوفانيس فى الع ملاهيه .

وكذا شيكسبير ، وجوته ، وبيرانديللو ، وأبسن ، وموليير ، وكورناى ، ومعهم اشهر كتاب المسرح الكلاسيكى والرومانسى والواقعى ، وكذا كتاب وشعراء المسرح العربى بما فيهم ابناء وكتاب الملاحم والمقامات ، احمد شوقى ، عزيز اباظة ، توفيق الحكيم ومن قبلهم ومن بعدهم . كل هؤلاء لم يكونوا يلتقطون ويكتبون ويخرجون للمسرح ولجماهير المسرح ـ هذه الافكار المجردة التى تعيش مع الناس فى حياتهم اليومية يلتقطونها من الشارع ومن الحقل ومن المعمل ثم يقدمونها الى الناس « مائدة خام » وفى لغة المساكين والفلاحين والعمال ، لكى يقال عنهم انهم فى خدمة واقع الناس ، وانهم واقعيون وانهم مع الطبقات الكادحة ، الى غير هذا من الشعارات .. ولكن هؤلاء الادباء والفنانين المسرحيين كتبوا بلغة الادب والفن وفجروا الافكار الخالدة من الحياة نفسها كما هى وكما يجب ان تكون ، ورسموا ظلال كل شىء على كل شىء ، من غير استخفاف بالمثل ، ومن غير استهتار بالمبادىء والقيم ، الخلقية والجمالية معا . فجاءت اعمالهم الادبية والفنية روعة الادب والفن ، وبقيت آثارهم فيما كتبوا ـ تراثا حضاريا انسانيا خالدا .

ومسرح هذا شأنه عندما خاض معاركه النضالية ـ لم يكن يفترض لبلاغته ومثله افكارا عابرة تغرى ببريقها وبشعارات الاشهار فيها ، ثم تتبخر حال الجمهور تلاشى . ولكنه كان يأخذ افكاره من الحياة نفسها . مظهرا ومخبرا ، وشكلا ومحتوى ، ومادة وروحا ، ومجدا وجمالا ، واصالة وعبقرية .

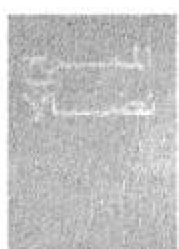
وهذا التراث الانسانى مجتمعا ، هو الذى الهم ولا يزال ملهما لكبار المفكرين فى العالم حيث كان الدعامة القوية التى قامت عليها مدنية القرن العشرين .

من اجل البقاء ..

هذا نضال المسرح فى المجتمع الانسانى الكبير ـ عربيا كان او غربيا ـ باعتباره التراث الحضارى للانسان اينما كان . اما اذا قصرنا الخطو ، ورجعنا الى المجتمعات المحدودة ، قومية كانت او وطنية ، فاننا نجد المسرح بالنسبة لنا ولمختلف المجتمعات فى اوطاننا ، نجده يناضل ويصارع اولا فى سبيل البقاء حتى ذا استوى قائما على قدمين ، واستقل فى النظرة الى شتى الانفعالات والتفاعلات التى تزخر به هذه المجتمعات ـ الفى نفسه كيانا مجردا من روحه ، يسمع الناس فيه اصواتهم ويرون فيه ظلالهم ، ولكنهم لا يسمعون صوته ، ولا يرون ظله ، ونتساءل ، ولعلنا لا نجد لتساؤلنا اى جواب :

بدعوى التطور والتجديد ، والتمرد احيانا ـ نريد من المسرح ان يتجرد من جلده ، ويمسح عنه كل اثر من عراقته واصالته ومقوماته ليصبح بعد ذلك مهرجا مسفا ، يرقص مع الداهين فى الاسواق والساحات ، ويمضى دوما فى اتجاهات فولكلورية يطبل ويزمر ثم لا شىء فى المحتوى غير التطبيل والتزمير .

هذا الى جانب الفئة الثالثة ، ذات الاثر فى العلم وفى الحكم . اهملت جانب المسرح ، والتفتت عنه بما



تراه الامم ، وتركت واجب العناية به بين ايدى الحائرين التائهين الذين لا يبتون فى امر حتى تزحمهم امور ، ولا يجدون حلا لمشكل حتى تتعقد المشاكل من حولهم :

وغور النبع بهذا الجدول
وغمت العين بهذا الجدول
وعصفت ريح السموم هاهنا
وهاهنا ، وضاع شدو البلبل

الموقف الوسط

فما هو موقف الاديب العربى والادباء العرب ، بازاء هذه التناقضات التى ظلت وما زالت تشل ـ الزحف الحضارى للمسرح العربى ؟

اما المسرح العربى ، واما المسرحيون العرب ، فليس لهما بين هذا وذلك موقف وسط . ذلك ان الاديب المسرحى او الفنان المسرحى لا يعترف بهذا الظلم الذى تدعوه الاعتدال بين النقيضين .

ان المسرح العربى ـ ادبا وفنا ونضالا ـ يشجب بشدة ، الجمود والجموح معا ، ويدين بقوة ، التبلد والتمرد معا . انه يريد ان يكون فنا مستقلا حرا لا يتقيد بحبل من مسد ، ولا بسوار من الذهب ، شأنه فى ذلك شأن الاريج العطر ، يسرى مع النسمات فى كل مسار ، ويشق طريقه فى كل مدار ، ثم لا يشيره زكام يمنع الاستمتاع به ، ولا انحراف لذوق يرى الحسن فيما ليس بالحسن

ان المسرح العربى حين يصمد لكل الاعاصير ، ويبقى اسمه عاليا ورسمه قائما انما هو يناضل . والمناضل لا يحدد لنضاله ساعة الخلاص لا سيما اذا التزم فى خط النضال بالمثل الحضارية التى تنبع من قلب الانسان وعقله ، ومن عواطفه وافكاره . فهو دائما منتصر وان طال

عليه الزمن ، ودائما كأسو وأن استحال هو الى رماد .

فما الذى سوف تقوله عنا الاجيال فى مسيرة الانسان الحضارية ؟ اذ نحن ابينا للمسرح العربى ان يكون حيث يجب أن يكون . واتخذنا من رواد الثقافة لا اداة طيعة فى يد الاعلام ، وقبلنا ابديا من اقباس الحضارة ، لا مشعلا يضىء دربا مشغولا ثم تتكفىء انواره وتخبو شعلته حينما تنتقل الحركة منه الى غيره .

فماذا تقول هذه الاجيال عنا ان نحن رفضنا — فى اصرار — رسالة المسرح الفكرية والجمالية ، وعوضناها بهذه الصور الفولكلورية بدعوى الواقعية كشعار خال حتى من اللهوء وبدعوى التطور والتجديد ، ولا شىء منهما غير الطلاسم والهوس ؟ .

● فى الحياة وفى الاحياء ●

والذى نقوله فيما يسمى بالاسلوب الحديث ، الشكل والمضمون ، وما نقرره فيه من ان الشكل صورة ، صورة ملهمة مرحية لابد لها من الظهور . والمضمون فكرة مرجهة رائدة ، يجب ان تستقر فى هذه الصورة ، لتتفجر منهما معا حركة تبعث الدفء فى الحياة وفى الاحياء

ان قضية الالتزام فى المسرح بمفهومها اللغوى والاجتماعى والادبى ، ثم السياسى — قضية عالمية انسانية ما فى ذلك شك . وهى فى نفس الوقت قضية ترتبط ارتباطا وثيقا بمصير الاجيال من امتنا الكبيرة ووطننا الكبير . ونحن بازائها ملزمون على مواجهتها بما تتطلبه من الصراحة والنزاهة والصدق .

فالالتزام بقضايا الوطن فى كل معاركه الداخلية والخارجية ، وقضايا القومية ، بكل ما تفرضه من التضحيات امام التيارات المختلفة ، بازاء التكتلات الصغيرة والكبيرة ، وقضايا التحرر والانطلاق ، وما تفرضه من التضحيات الفردية والجماعية . كل هذا يجل فى المسرح — عن المواقف الفردية ، مهما كان لهذه المواقف وزنها وثقلها .

● اللغة .. ●

وقضية اللغة المسرحية ، وان كانت فى جوهرها من المتصلات فى تفكيرنا العربى ، ومن الدخيلات فى الفكر العربى — الا انها لتمضها مع واقعنا ، وسيطرتها على هذا الواقع الحياتى فينا ، اصبحت من القضايا المصيرية ، لا يؤثر فى وجودها ولا يقتلع جذورها موقف فردى ، مهما كان هذا الموقف وجيها وسليما ، ومهما كان هذا الفرد رائدا امينا .

● الفن الفن .. ●

وقضية الفن للفن ، كقضية الادب للادب ، والجمال للجمال فى معنى الافكار المجردة .. هذه القضية وليدة قرون من تاريخ الانسان شغلت حيزا من الادب ، وحيزا من فن الادب ، لا يكفى لمجابهتها مجرد مقال او مقالات ، وبحث او بحوث يكتبها وينشرها اديب كبير او كاتب بليغ ، او ناقد فيلسوف ، فالقضية ستبقى قائمة ، وسيبقى الحوار فيها بازدياد عاتقا للانطلاقه الجماعية ، ما لم نهتم بها فى اطار الجامع والمجالس العليا للعلوم والاداب والفنون .

● الجمهور ●

وقضية الجمهور المسرحى ، هذا الجمهور المظلوم ، المحكوم عليه بجتر

المسرح نضالا

الاحكام القاسية ، اعتمادا على مجرد واحد ، وهو انصرافه عن العروض المسرحية الى غيرها ، وعدم اهتمامه بما يضطلع به المسرح من مهام ، وما يعانيه من وقر ، وما يتطلبه من الامكانيات .

وجدير بالمسرحيين العرب خاصة والادباء العرب بصـ:ـة عامة – الا يتنكبوا طـريق البحث العلمي لمعرفة الاسباب التي صرفت الجماهير عن هذا المسرح او ذاك ، فليس عسيرا علينا ان الحـل بين ايدينا ، متى صحت الارادة ، وصدقت العزيمة ، فالمسرح – كما قال فيلسوفنا العربي توفيق الحكيم – هو أقصر طرق الادب للوصول الى الجمهور ، ولكنه اكثر الطرق امتلاء بالعوائق والصخور .

● حرية المسرح ●

وفي تعداد القضايا والمشاكل التي تعترض طريق المسرح العربي ، وتزرع امامه العوائق والصخور ، وتفرض عليه وعلى القـائمين به ، التردد الطويل والتعثر المستمر – ، قضية الحرية ، وهي من اعسر القضايا التي يعاني منها المسرح ، ولن تزال كذلك ، ما يمنـا لا نريد ان نربط عجلته بحرية الثقافة والثقافة وحدها

● التأليف .. ●

اما التـأليف المسرحي فهو ادب صرف وليس للادب في مفهومه الفنر

والحضاري غير الرفعة والسمو .. فاما ان يكون ادبا رفيعا او لا يكون بالمرة . ولن يخضع هذا الادب الرفيع للمقاييس التي تنبع من معينه ، ولن يرضى بالوشاح الذي لا تنسج يداه خيوطه . فهل يكون من الاليق للمسرح وللادب وفن المسرح ، ان يكون التأليف فيه اشهارا لفكرة طارئة ؟ او ترداد النغمة واحدة ؟ انه لو وقع ذلك في المسرح . لاغتاظ المسرح ، وخرج من هيكله معتذرا . وبقى الهيكل وحده كالقصر المهجور .

وأمـــا التنظيم المسرحي – في هياكله الفنية – فله من الوســائل والطرق ما يجعل الكسب فيه ميسورا .. ولكن هذا الكسب سيؤول الى الافلاس حتما ما لم تدعمه بالحرية ، وما لم نشجب فيه كل انواع الاحتكار، وحتى ذلك النوع الذي يتقنع بالرغبة في ازالة الفوضى . ولعل كلمـــة « اللامركزية » التي وضعناها لبعض انظمتنا المسرحية – تكون من أصلح المبادىء للانطلاق منها نحو الانعتاق، اذا نحن اعطينا للكلمة معنـــاها الحركي ، واقتحمنا امامها حــرية الاختيار . والا فهي شعار او اشهار

ثم يأتي العـرض المسرحي ليطل لنا بحجته ، معتذرا هو الآخر في الانسحاب من المسرح بذلك الحوار الذي نملأ به السمع والبصر : نريد هذا العـــرض ، ولا نريد ذاك . محتكمين في ذلك الى اذواقنـــا ومذاهبنا وتأثراتنا ، من غير اهتمام برسالة المسرح في عروضه ، ومن غير عناية برغبة الجماهير فيه . فكان المسرح حقل للتجارب ، وكان الجماهير فيه قطعـــان تساق الى المراعي .

● النقد ●

ويأتي مع العرض المسرحي ، النقد المسرحي ، وهو التقييم الصـــحيح



هنريك ابسن



موليير

للمسرح في عروضه المختلفة ، متى اتسم هذا النقد بالصدق والنزاهة ، وربأ بصاحبه عن جانبي التحامل والمجاملة ، واتخذ من نفسه الميزان المعتدل الذي لا يميل للضعف ولا يرجح للقوة ، وهو ما لم نره علينا الا نادرا من بعض كبار النقاد .

● الهواة ●

وتطالعنا قضية الهواة ، هواة المسرح من الشباب الموهوب الذي يمكننا ان نجابه به الفراغ والضياع ، اذا نحن احتذناه بعين الجد التي نأخذه بها في ميدان التربية والتعليم مثلا ، فما أكثر المهرجانات الادبية والفنية ، وما أوسع مداها في شعوبنا وأوطاننا ، وما أكثر هذه الهوايات على اثراء مجتمعنا بمختلف الانشطة . الا انها تنمو – وهي براعم – في جو خانق من التقليل والتضليل ، وكلاهما قاتل وكلاهما مبيد .

● قضايا جانبية ●

ثم تأتي بعد هذه القضايا الهامة – المذكورة وغير المذكورة – قضايا أخرى نقول انها جانبية . ومنها على سبيل المثال :

– نوعية المسارح النضالية ، وكيفيتها في الترفيه والتوجيه معا ، وضرورة تجنيد هذه النوعية في اطاري الثقافة والاعلام .

– التوجيه المسرحي ، بتحديد الطريقة المثلى على الخط الثقافي الواضح في التوعية ، من غير تحويل خشبة المسرح الى منبر للوعظ والتبشير .

– تحديد الصلاحيات والالتزامات للمسرح في ميدان التعلية والتأهيل ، واعتبار ذلك حقا مشروعا من واجب الاعلام في كل وسائله ان يضعه في خدمته وخدمة جماهيره ، من غير اي خضوع للمقاييس التجارية والاعراف المتبعة في الاخذ والعطاء .

ثم ان الادب والفن المسرحي عندنا لا بد لهما من منهاجية علمية ، لا تخضع للظروف ، ولا تتكيف بالامزجة ، ولا تخضع للمقاييس الغريبة التي تصيب حينا وتخطىء احيانا . ولا بد لهما من تنظيم محكم يضبع الموازين الاسس ، ولا يتأثر بالايحاءات والايعازات ، مثله : السمو الذي لا تشوبه الهنات ، وصحة ؟ الريادة التي لا تقبل التبعية .

● محمد الطاهر فضلاء ●
● الجزائر ●

ابراهيم
الخضري

صفحتان من الرحلة وهامش

القرية تعرف و « البندر »   والكثرة في وطني الاكبر
الكل يشير باعجاب :   هذا قد ثار وما قصر
وانا ما زلت كبركان   يغلي يتلظى يتفجر
مهلا سأقول لكم شيئا   ثار البركان وما فكر

●●●

قلمي . كلماتي . اعماقي   جنت ثارت نفثت نارا
ومررت شواظا من لهب   وسحقت كبارا وصغارا
وكفرت بقومي تاريخا   وعبدت بلادي احجارا
وحميت الدار ولكني   لم احم الصاحب والجارا

●●●

كم قلب رف ليغمرني   بالحب . وعين ترعاني
ويد مدت لأب حدب   نحوي وشعور انساني
فلويت الكف ولم احفل   منهم بالقاصي والداني
لم اذنب كلا لم اذنب   نفذت ارادة اوطاني

●●●

وهنالك همس يزعجني   دوما ويذكرني الثمنا
ويقول : عساك بما اسلفت   ذكرت الامة والوطنا
وحملت العبء بمقدرة   وهجرت الراحة والوسنا
فاكاد اجيب وبي خجل :   الكل تلاشى غير ... « انا »

●●●

والموجة ما زالت غضبى   وانا وشراعي لم نرس
والناس تشير كما كانت   طفل لم يحفل بالدرس
وقصارى الامر اقول لكم   في همس لو اجدى همسي
اعظم بالثورة لو اني   فجرت الثورة في نفسي

وطويت الصفحة فى صمت   فالصورة تبدو مهزوزة
وتركت السطح لفارسه   فرسان السطح لهم ميزة
وذكرت الخط .. فارعشنى   وتذكر ترى ابريزه
وظفى البركان وغضبته   قد كانت رفضا وغريزه

ولدى سيناء وفى الجولا   ن نكست الهامة اجلالا
ونفضت الزيف باجمعه   ونسيت يمينا وشمالا
ووقفت احيى بخشوع   فى الجبهة قومى الابطالا
ان ماتوا ثم فقد بعثوا   فى كل فؤاد آمالا

قد كنت اسافر فى تيه   والدرب يمزق أقدامى
معصوب العين بلا أمل   لم أدر ورائى وامامى
واليوم اليوم بما بللوا   امشى والشعلة قدامى
ويطول السير فلم اعبأ   فالنصر يداعب احلامى

آمنت بقومى تاريخا   مهما كانوا وكما كانا
آمنت بارض انهارا   تجرى بالخصب وكتبانا
من ارض الشام الى نجد   فالى بغداد وتطوانا
آمنت بهم وبوحدتهم   فكرا شاؤوا ام وجدانا

وكفرت بنبت لم يسق   لم ينم ، بارض مصرية
لم المح فيه ملى قرب   نفحات البيد .. الوحشية
وانا من طاف بآفاق   كانت فى الصفحة مرويه
ويمدك • بعدت ولكنى   آمنت اخيرا بغزيه

● الهامش ●

يا نهر بلادى لاتبخل   فالاخى فى الجبهة ظمآن
يا زرع بلادى لا تخلف   فلنا من حولك غرثان
يارب الكل الا فانصف   الكل بسوحك اخوان
الا • فالقول بلا وعى :   بركان بركان بركان !

د. صلاح عدس

تذكرة طبية

قرحة المعدة

قرحة المعدة هي أحد الأمراض التي تزداد نسبتها بين المتعلمين والمثقفين ، ولذلك تنتشر في البلاد المتمدينة نظرا لتعقد ظروف الحياة الحديثة مما يسبب زيادة الضغوط النفسية على الأشخاص

وهناك مجموعة من الأمراض تعرف علميا باسم « الأمراض السيكوسوماتية » أي « الأمراض الجسدية النفسية » ، ومن بينها مرض السكر ، والقرحة ، وارتفاع ضغط الدم ، والذبحة الصدرية ، والتهاب القولون ...

وقد سميت هذه الأمراض بذلك الإسم لأن العوامل النفسية تلعب الدور الأكبر في نشأتها . فما هي إلا أمراض جسدية تعكس متاعب نفسية وعصبية ...

●●●

وقرحة المعدة تصيب أكثر ماتصيب الشخص النحيف العصبي المزاج ، فهذا هو الطابع المميز لأغلبية المرضى المصابين بالقرحة ..

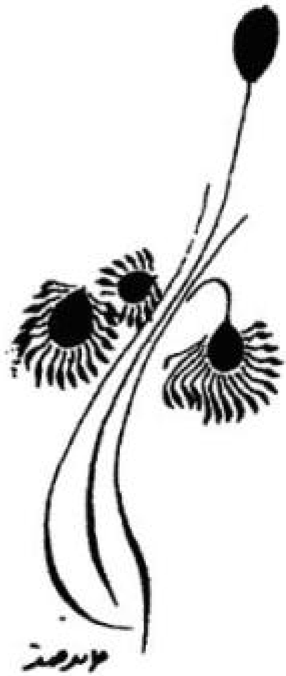
ولكي نفهم العلاقة بين العوامل النفسية وقرحة المعدة وغيرها من الأمراض « السيكوسوماتية » نقول أن المواقف الانفعالية مثل حالات الغضب والاكتئاب تزداد فيها افراز مادة « الادرينالين » في الجسم التي تعمل على رفع ضغط الدم وتضاد مفعول الانسولين مسببة زيادة السكر في الدم ... كما أننا نكون في تلك الحالات خاضعين لسيطرة جهاز عصبي مستقل عن قشرة المخ هو الجهاز العصبي الذاتي الذي يعمل أوتوماتيكيا بعيدا عن تدخل الارادة ... وأن تفريعات هذا الجهاز العصبي المتصلة بالمعدة تعمل على زيادة افراز حامض « الايدروكلوريك » مما يسبب القرحة بجدار المعدة وذلك عند استمرار تأثيرها ...

وهكذا نجد أن استمرار التوتر النفسي يؤدي الى نشأة ضغط الدم المرتفع ، أو مرض السكر ، أو قرحة

المعـــدة وغير ذلك من الامراض الجسدية النفسية ...

فالمعدة تفرز فى حالاتها الطبيعيـة حامض « الايدروكلوريك » للمساعدة فى هضم الطعـــــام الا ان زيادة الحموضة بسبب الانفعالات المستمرة يؤثر على جدار المعدة فيتآكل جزء منه مسببا القرحة .. وهنا نتساءل عن اعراض قرحة المعدة، ونجيب على ذلك بان المريض يشكو من قىء بعـد الاكل وقد يتقيأ دما ...

ولكن يمكن التأكد من التشخيص بواسطة التصوير بالاشعة او بواسطة منظار خاص لرؤية الجدار الداخلى للمعدة ...



●●●

ويهمنا الان ان نعرف ماذا نفعـل لتجنب الاصابة بالقرحة وماذا نفعل اذا كان المرض فى بدايته او كـــان مزمنا منذ امد طويل ...

ان معرفة طبيعة القرحة وكيفيـــة نشأتها يفيدنا كثيرا فى الوقاية منها وفى علاجها ...

فان افراز حامض «الايدروكلوريك» بل ، وكل العمليات الحيوية الكيماوية داخل الجسم تتم بطريقة اوتوماتيكية فكل تفاعل يتاثر ويؤثر فى التفاعلات الاخرى بحيث يظل هناك باستمرار فى داخل الجســـــم نوع من التماثلية والتوازن والهارمونية . وتتحقق تلك الاوتوماتيكية عن طريق الاعصــــاب والهرمونات ، فاذا حـــدث اى خلل كيماوى او عصبى اختـــــل النظام الاوتوماتيكى داخل الجسم ...

وهذا يفسر لنا سبب زيادة حمض الايدروكلوريك فى حالات القرحة بل يفسر لنا ايضا سبب نشأة جميـــــع الامراض باستثناء تلك المجموعة من الامراض التى تسببها الجراثيم او الاصابات ..

وتسمى تلك النظرية التى نجحت فى تفســـــير ظاهرة المرض باسم « السيبرنتيكا » .... والسيبرنتيكا هى احدث العلوم ، وهى تجمع بين

تذكرة طبية

الطب والرياضيات ، واهم تطبيقاتها هي اختراع العقول الاليكترونية ...

ونستفيد من ذلك بأن نتجنب الانفعالات الحادة ، وأن نتجنب الدخول في مواقف من شأنها احداث التوتر أو الاكتئاب لدينا ، وذلك كي لا يحدث خلل في أوتوماتيكية التفاعلات الكيماوية بالجسم ، وبذلك تقل نسبة حامض الايدروكلوريك التي تفرزها المعدة في مستواها العادي .

وقد يكون نصحنا بتجنب التوتر والانفعالات من الامور المتعذرة في عصر يسوده التوتر والقلق ، كما أن الشخص المثقف يحمل على رأسه هموم الكرة الارضية ، فان المزيد من التفكير معناه المزيد من اكتشاف اخطاء العالم ، وبالتالي المزيد من الثورة والرفض والسخط والتوتر ..

فهل معنى ذلك أن قرحة المعدة وغيرها من الامراض « السيكوسوماتية » هي قدر الانسان المعاصر ؟ ..

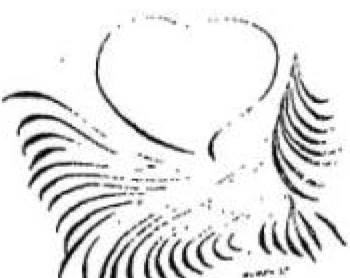
يبدو لي ذلك فكلما كان الشخص مرهف الحس واسع الثقافة طاردته بعنف اكثر مثل تلك الامراض وعلى رأسها قرحة المعدة ...

فالقيء هنا هو رفض للطعام بل للعالم والحياة ينتهي بالنزيف الداخلي والنزيف في حالة قرحة المعدة هو نزيف فعلي لا مجرد صورة أدبية ...

***

وأخيرا نتحدث عن علاج قرحة المعدة وذلك يستلزم الراحة الجسدية والنفسية والابتعاد عن التدخين والمشروبات الكحولية الى جانب استعمال مواد مضادة للحموضة مثل مركبات « البلادونا » ... ثم لا بد أيضا من « ريجيم » خاص للطعام يتناول فيه المريض وجبات خفيفة مثل الفواكه واللبن ...

وان اللبن بغض النظر عن قيمته الغذائية له أيضا قيمة علاجية في تحصين القرحة لانه يكسو جدار المعدة بغشاء يقيها ضد



المزمنة . فاذا لم ينفع كل هذا كان لا بد من الجراحة ...

اى اننا ننصح بالبدء بالعقاقير ، فالعقاقير تحاول عمل تعديلات فى الخلل الكيماوى الذى يقلب التفاعلات داخل انسجة الجسم ، وبذلك تحاول اعادة التوازن فى النظام الاوتوماتيكى بداخلنا ...

اما الجراحة فقائمة على فكرة الاستئصال ... انها لا تعالج المشكلة ، وانما تتخلص منها نهائيا

هذه نبذة سريعة عن قرحة المعدة والتى تصيب ايضا جدار الاثنى عشر، وقد تلمسنا خلالها اسبابها وطبيعة نشاتها وكيفية الوقاية منها وعلاجها

معلومات

● اخر انباء الطب ، ان العقل الاليكترونى يستخدم الان فى تشخيص الامراض ، ويستطيع ان يحلل الدقائق التفصيلية للرسوم التى يصنعها رسام القلب الكهربائى بحيث يكتشف اى خلل بالقلب قبل ان يستطيع ذلك اى طبيب ، بل حتى قبل ان يحس المريض باى تعب فى قلبه ... اى انه يستطيع التنبؤ بامراض القلب وهى لا تزال كامنة ...

● حاذر من ان تستعمل اقراص « الامفيتامين » وغيرها من ادوية التخسيس لانقاص وزنك دون استشارة طبيب ، لانها ذات تاثير ضار على الجهاز العصبى مما قد يسبب له الادمان او مضاعفات بالاعصاب او القلب .

● اذا كنت مصابا بحب الشباب فاحذر ان تضغط على الحبوب التى فى وجهك باظافرك فقد ينتج عن ذلك بعض الالتهاب اواثر لا يزول وخاصة اذا كانت الاظافر ملوثة ببعض الميكروبات او غير نظيفة ...

● على كل مريض بالقلب ان يتجنب ستة اشياء هى : السمنة ، والانفعال ، والاجهاد ، والشاى ، والقهوة ، والتدخين ...

● فى حالة الاصابة بالارتيكاريا، يمكن استعمال محلول من كربونات الصودا لتخفيف تهيج الجلد ...

● فيتامين « ا » يوجد فى الجزر وا لاوراق النباتية الخضراء، والكبد ، وزيت السمك ، وزيت كبد الحوت . وهو ضرورى لصحة الجلد وسلامة العين ...

● عند التعرض للاصابة بالزكام عليك بخمسة اشياء هى : الراحة ، والتغذية الجيدة ، والمسكنات ، وفيتامين ج ، وفيتامين ب المركب ..

● لا تتناول القهوة قبل الاكل وانما بعده ، كى لا تضر معدتك ، واجعل اخر فنجان قبل الذهاب الى السرير بثلاث ساعات كى لا يصيبك الارق ...

من كوكب الأرض

محمد
حسن
فقي

فتك الليل . والظلام يغشيني ببردين .. ظلمة وسكون
والورى فيه بين غاف سعيد .. برؤاه .. وساهر محزون
والرؤى فيه مثقلات فهذى .. بالأماني . وهذه بالشجون
ساخرات . فهن كفل من الغيب .. ضنين بسره المكنون
ايها الليل ما أراك حفيا .. بمسراتنا ولا بالمآسى

***

في دياجيك تستتر المقادير .. كما تستتر في الاضواء
فالخوك النهار رغم تجليه .. لهذا الورى .. شديد الخفاء
نحن عمي برغم اعيننا النجل .. وصم .. والكون في ضوضاء
ماتفيد الشكوى . ولا ينفع العتب .. ومايملكان رد القضاء
ليس إلا الرضا . فيارب شكوى .. ضاعفت من مهانة وابتئاس

***

يا زمانا بنوره ودجاه .. ظل يطوى الانام دون احتفال
منذ ان دبت الحياة على الارض .. وهم في تمزق ونضال
ورأينا مطالع النور حابت .. دون أهل اليمين .. أهل الشمال
ورأينا مطالع النور حابت .. دون أهل اليمين .. أهل الشمال
فاذا بالقتاد يخضر بالرى .. ويشكو الجفاف حلو الغراس

***

أتكون الحياة تحبو الاماني .. بكفين .. سمحة وبخيله؟
مثل روض يعطي الثمار لقوم .. ثم يعطى لآخرين نجيله
كيف يقضي؟! اختارهذا عدوا .. دون ذنب واختار هذا خليله
لست ادرى .. اعينه تبصر الحق .. فيقضي له بعين كليله
ام هى القوة التى جرت المنطق جرا .. فالحكم ضد القياس؟

***

ام يكون الورى هو الجائر الجانح عن نهجه السدد فصام

فهو يأبى على الطبيعة الا ·· منحه ـ وهو في الخاطر سجدا
واخو الفكر والشاعر يشتك ·· فيرجو منها ارتفاعا ورفدا
وهما للبليد حينا ·· وحينا ·· يتمنى الحسام لو كان غمدا
وهي ذات القسطاس فالويل للطامع في غير حكمة القسطاس

❀❀❀

قد تأملت ثم قلت لنفسي ·· لم كانت نوازع الناس شتى؟
لم لا يقتنع المفكر بالفكر ·· ويرضى للحس بالحس سمتا ؟
والسري السري يحلم بالمال ·· فيأبى ـ على الثروة ـ صمتا
والغني الغني يحلم بالمجد ·· ويرجو طودا ·· وقد حل نحتا
لم هذا ؟! لقد لقيت من الشك بلاء ·· وادنى وسواسي

❀❀❀

وأراني دون الانام شقيا ·· بحياتي ·· ودونهم ذا اشتكاء
قد تخيلت للحياة مثالا ·· عبقريا ·· وضل عنه رجائي
وحوالي من رفاقي عنيف ·· ورفيق بريبتي واجتوائي
لو يحسون بعض حسي لما ريعوا بما يعرفون من برحائي
رب خفض في العيش قد ساقني الخسف ·· فآثرت دونه افلاسي

❀❀❀

انا في الدرك يا رفاقي ·· فخلوني بدركي ·· واستوطنوا الافلاكا
رب درك بكل مافيه من بؤس ·· يعود الشيطان فيه ملاكا
قد رأيت الاشراك فيه فقالت ·· الى حيث لا ارى الاشراكا
حيث لا يحسب الترفع عن الناس ·· سكونا جثمته لو حراكا
ما رماني بوحشتي وهواني ·· بل حباني كرامتي واتئاسي

❀❀❀

ان في القمة الرفيعة احقادا ·· ونفسي تضيق بالاحقاد
ولقد يلتقي الكريم بقوم ·· جلسوا فوقها على الاجساد
كان اولى بهم من القمم الشم ·· حضيض السجون والاصفاد
كيف ارضى بقمتي وحوالي شـتيت بها من الاوغاد ؟
بل سارضى بالدرك فالدرك يقيني من خيبتي وانتكاسي !

❀❀❀

اقصروا اللوم عن فؤاد جريح ·· بنصال مسمومة وسهام
قد تردى الى الحضيض اختيارا حينما دانت الذرى للرغام
فامامي قوم وكانوا ورائي ·· وورائي قوم وكانوا امامي
وتلفت فارتضيت ورائي ·· معشرا واستطلت من قدامي
ايها الناس لو عرفتم خفايا بعضكم لاسترحتموا بالناس



من قصص البطولة في التاريخ

هوراتيوس...

كانت مدينة روما العظيمة قبلة العالم القديم ، يؤمها الناس من جميع الاقطار وتسري أحكامها على ما جاورها من بلاد . وكان يحكمها في المائتين والخمسين سنة الاولى بعد تأسيسها ، ملوك انحدروا من أسر مختلفة لا تستقر أسرة في الحكم بضع سنوات حتى تغير عليها اخرى فتخلعها من الحكم حتى تأتي غيرها ، وهكذا .

وكان ملوك أسرة « تاركين » حكاما « قساة » ظالين ، غلظت اكبادهم ، وتحجرت قلوبهم ، لا يحسبون للرحمة معنى ، ولا للعدل أو الانصاف تقديرا حتى ضاق الرومان بالشكوى من ظلمهم واستبدادهم ، فثاروا على طغيانهم ، وصمموا على نزع الحكم منهم ، وتحويل البلاد الى جمهورية .

استجار الملك « تاركوين » بملك آخر اسمه «لارس بورسينا» وطلب منه ان يقاتل الرومان ، حتى اذا ما انتصر عليهم . أعاد «تاركوين» الى العرش .

بطل الجسر

أمين سلامة

كان «لارس بورسينا» يتوق منذ مدة طويلة الى تدمير روما ، ولكنه كان يحجم عن ذلك خوف بأسها وقوتها وثرائها . فكتم ما فى نفسه عن « تاركوين » واخذ يستعرض الامر فى ذهنه ، ويفكر فى الموضوع من شتى نواحيه . واخيرا وجد ان خير وسيلة ينتصر بها على الرومان ، هى ان يثير ضدهم حفيظة الولايات الاخرى ...

طفق «لارس بورسينا» يتصل بحكام الولايات الايطالية الاخرى ويطلب منهم مساعدته فى تدمير روما . ولما كان شعور الولايات الاخرى هو نفس شعور « لارس بورسينا » فقد انضموا اليه واتفقوا على امر . لان الولايات جميعها كانت تخاف اليوم الذى تهزمها فيه روما ، وتسومها الذل والاستعباد ، فتصبح روما وحدها أعظم الولايات قوة فى العالم بأسره .

***

اتفق حكام الولايات مع « لارس بورسينا » وأرسلوا اليه برجالهم مزودين بالعتاد والمؤونة .. فتجمع جيش لجب قوامه تسعون ألف مقاتل واستعد للزحف على روما .

أعد المغيرون عدتهم للهجوم على روما فى كتمان شديد ومهارة فائقة ، حتى ان الرومان لم يعلموا شيئا عن الخطر المحدق بهم الا بعد ان صار الجيش المهاجم على مقربة من المدينة . كاد الرومان يقهرون ويغلبون على امرهم لولا حقيقة واحدة . هى ان روما كانت على احد جانبى نهر التيبر . وكان العدو على الجانب الاخر . وكان السبيل الوحيد لعبور النهر فى ذلك الوقت ، جسر خشبى ضيق ، حيث كان النهر سريع الجريان ، فلا يستطاع عبوره بالزوارق .

اخذ الرومان على غرة وفوجئوا بجيش جرار كامل العدة والعدد يقترب ليزحف على مدينتهم ، ويهزمهم فى عقر دارهم . فلم يستطيعوا الخروج لملاقاته على الجانب الاخر من النهر ، وردعه على اعقابه ، اذ لم يكن امامهم متسع من الوقت يجمعون فيه قواتهم ومعداتهم ، فرأوا ان الامل الوحيد امامهم ، هو تدمير ذلك الجسر الخشبى ليعوقوا تقدم العدو نحوهم ريثما يستعد الجيش لملاقاته .

عندما بدأ الرومان يحطمون الجسر ، كان العدو قد بلغ الجانب الاخر للنهر قريبا من

الجسر ... وماذا يفعل الرومان وقد صار العدو على جانبه الاخر. ما كان في مقدورهم تحطيم الجسر بتلك السرعة قبل ان يعبر اول جندي من الاعداء . وما هي الا دقائق معدودات حتى يسير طابور المهاجمين الى المدينة عبر الجسر الضيق ! ..

أطار الخوف لب الرومان والم بهم الجزع خشية أن يتمكن المغيرون من اجتياز الجسر قبل ان ينهار .

***

بينما كان الرومان في حيص بيص ، تقدم أحد جنودهم ويدعى « هوراتيوس » متطوعا بالدفاع عن مدخل الجسر على الجانب الاخر ، ولم يذهب معه سوى رجلين آخرين .

كانت مهمة اولئك الفرسان الثلاثة ، هي دفع العدو بعيدا عن الجسر ريثما يدمره الرومان من جانبهم ، فيمتنع المهاجمون من اجتيازه ... وهل يدور بخلد أحد أن ثلاثة جنود يستطيعون عرقلة تقدم جيش مهاجم في عدد الحصى ؟ .. نعم ، كان ذلك في الامكان !



هوراتيوس

كان الطريق الوحيد الموصل الى الجسر ، هو ممر ضيق تكتنفه الصخور من الجانبين . فلا بد من عبور ذلك الممر اولا ، قبل الوصول الى الجسر . وكان الممر لا يتسع لمرور اكثر من ثلاثة اشخاص معا ولا سبيل الى تحطيم الصخور الصلبة لتوسيع الممر ، لان ذلك كان يقتضي وقتا طويلا يكون فيه الرومان قد استعدوا وخرجوا اليهم .

كانت شجاعة نادرة ، واقداما فذا من « هوراتيوس » وزميليه « هيرمينيوس » ، و « سبوريوس لارتيوس » ان يقدموا على ذلك العمل الانتحاري .

فمما لا شك فيه ، انهم سيلقون مصرعهم على ايدي المعتدين . وحتى لو فرض المستحيل ، ونجوا من القتل ، فانهم لن يستطيعوا الهرب اذا ما انهار الجسر ، لانهم سيكونون على الجانب الآخر من النهر مع العدو .

لم يفكر هؤلاء الثلاثة في مصيرهم ، بل كان كل همهم ان يؤخروا تقدم العدو ، ويبعدوه عن الجسر ريثما يدمره مواطنوهم . فوقفوا بحرابهم وسيوفهم على الجانب الاخر من النهر امام مدخل الجسر ، بينما اخذ الرومان يجدون في تحطيم اخشاب الجسر التي تصله باليابسة .

بلغ الاعداء مدخل الجسر ، وضحكوا ملء اشداقهم اذ رأوا كل من اتى لمحاربتهم ، ثلاثة من الجنود ليس غير ! .. لو كان هذا الجيش احتفالا ، لما خرج لملاقاته ثلاثة جنود ... ! فكيف به من الابطال الاشداء ؟!

وترجل بعض الجنود من على افراسهم ، وتقدموا من الحرس الثلاثة فاذا بالابطال يقتلون أولئك القادمين في سرعة فائقة .. وهكذا كلما تقدم ثلاثة من الممر ، قتلهم الفرسان الثلاثة . توقف المهاجمون حائرين لا يدرون ماذا يفعلون ، والممر لا يتسع لغير ثلاثة ، ما ان يخرجوا من الممر حتى يقتلوا .

كان « استور » رئيسا لاحدى كتائب المهاجمين ، وكان بطلا مغوارا ، فارع الطول عريض المنكبين ، قوى العضلات ، ماهرا في القتال ، فتقدم من « هوراتيوس » مشهرا سيفه الضخم يريد أن يجندل المدافع الشجاع . ولكن هذا الاخير كان اسرع منه بلحظة ، فسارع الى جانبه في سرعة بالغة ، فلم يصب السيف مقتلا من « هوراتيوس » ، بل جرحه في ساقه . وفي نفس الوقت انبرى البطل الى « استور » وهوى على وجهه بسيفه البتار ، فشطره نصفين فخر مجندلا .

كان الرومان في نفس الوقت يحطمون الجسر بأقصى سرعة ممكنة ، وكان وشيك الانهيار ..

صاح الرومان في الابطال الثلاثة أن يعودوا بأسرع ما يمكن قبل أن يسقط الجسر الى التيار الجارف . قفز « هيرمينوس » و « سبوريوس لارتيوس » عائدين فوق الجسر الذي سقط في النهر بعد مرورهما بأقل من لحظة محدثا صوتا يصم الآذان ، ورشاشا بلغ عنان السماء .

بيد أن « هوراتيوس » ظل في الجانب الآخر من النهر ، يفكر في قلق عظيم ، هل له أن يقتل ، أو هل في استطاعته أن يجد لنفسه سبيلا للفرار ؟..

كانت اصابته من سيف « استور » بالغة ، وكان مرافقوه في خوف شديد عليه ، خشية الا يستطيع الفرار بسرعة كافية قبل أن يقتله الاعداء . لأخذوا يصرخون بأعلى أصواتهم يحثونه على الفرار والنجاة بنفسه

كان « هوراتيوس » يرتدي كامل بزته الحربية ، ودرعه الثقيلة ، وبذا يصعب عليه السباحة في تيار النهر الجارف ...

ولكنه مع ذلك استطاع النجاة والقى بنفسه في الماء بسرعة غريبة ، واذ كان رجلا فتيا قوى العضلات، فقد استطاع أن يقاوم التيار ويعوم وسط المياه المتدفقة التي تجري ، ولكن سباحته كانت بطيئة .

واخيرا استطاع بعد مشقة ، أن يبلغ الشاطيء ، حيث كانت هناك عشرات من أيدي الاصدقاء تنتظره ، فانتشلوه من الماء وحملوه بسرعة الى الشاطيء ، وضمدوا جراحه ، بينما كان بقية الرومان يملأون الجو بالتصفيق والهتاف ...

لما رأى العدو انه من المتعذر عليه عبور النهر السريع الجريان، الا اذا أراد أن يبحث عن آخر ، عاد أدراجه يجر أذيال الخزي والفشل ، وبذا سلمت روما من تدمير محقق .

بعد أن ضمد الاطباء جرح « هوراتيوس » ، حمل الى المدينة وسط هتافات النصر، ووضعت على رأسه أكاليل من الزهر . والى اليوم تجد اسم «هوراتيوس» بين أعظم الابطال الذين خلد التاريخ اسمهم .

إبراهيم
صبري

الأمل الممنوع

● اعوام تفرق فجرنا فى الكون طلوعا !
صنعت بحواجزها سدا .. بالوهم منيعا !
والقدر الساخر يمنحنا .. املا ممنوعا !
والامل الزاخر يصهرنا فى الحب جميعا ..

●●●

وكانا توام ميلاد .. عمرا وزمانا !
فالقلب الهائم لا يعرف للحب اوانا !
يتحدى الأمس بما اوعى.. ويبدد «كانه»
ويطير باجنحة الماضى .. ليعيش الآنه

●●●

وفضول عيون ترمقنا .. كذؤاب السيف
تتساءل :منذ؟ ..ولماذا؟ وعلام؟ وكيف ؟!
تتمنى ان تنفضو مثل النغمة الزيف ...
وتقول كم ارتاح ربيع فى حضن الصيف !

●●●

يمنحه دفئا لا يخبو .. من فورة نبض
وحنانا يدفق ينبوعا .. ابدى الفيض
برحيق صنعته خبر بزهور الحوض
وشذى لا تعرفه الا وجنات الروض



ونشيد لقــــاء تعزفه أشجى الأوتار
تتغنى بالحب وتسـلو بهـوى الأعمار
وتذيب الشلو على شـفة تحمى الأسرار
وتضيع العمر لكى نحيا .. فوق الأعمار

●●●

فتعال نحى بلا عمر .. لنعيش العمر ..
نتحدى اقدار المجرى لحيـاة النهر ..
ليصب مياها دافقة فى عرض البحر ..
ويجاوز أرضـا تتلظى بهجير الصـبر !

●●●

سنعيش لتروى قصـتنا الأرض الظمآنه
بروافد تسقى كـل الأفئـدة الهيمـانه
وهوى يتحدى الدهر ويسـتحوذ أزمانه
ويمد ربيع الحب ليضحى الدهر أوانـه

●●●

ونسير على ملأ الدنيا فى أجمل ركب ..
نختال على نغم اللقيا فى أعطـر درب ..
نبتسم لمن حقد ـ وهما ـ زمنا للحب ..
هل يقدر أن يمنع يوما خفقـات القلب ؟!

محمد حسن

الجديد في المكتبة الغربية



الشيخ الحكيم

الكتاب : الدوس هكسلي

المؤلف : سيبيل بفورد

ان تقييم اى انسان للأديب والروائى البريطانى المتعدد المواهب، الدوس هكسلى ، يتوقف على جيله، فهكسلى فى كل جيل يكتشف شخصية جديدة • اذا كنت من جيل عشرينات هذا القرن ، فانك ستجده مثالا يحتذى ، وستكون صورته لديك اسطورية • صورة الروائى المتعمق فى الثقافة الاوربية ، مع يأس ما بعد الحرب ••• صورة رجل دنيوى ظريف • بعد جيل تصبح صورته هى صورة نصير السلام، الصوفى ، الذى عزل نفسه عن أوربا ليعيش مع الشوامخ من أمثال توماس مان ، وايجور سترافنسكى وأرنولد شوينبرج وجيرالد هيرد ، وكريستوفر ايشروود، فى جنوب كاليفورنيا •••

أما بالنسبة للجيل الجديد ، فان الاسم يثير – خصوصا لمن لا يقرأ – صورة رائد عقار الهلوسة وتجارب عالم الوهم الجماعى • هكسلى اذن مجموعة شخصيات ، أو تصورات ، غير عادية ، منطقية ومحيرة فى آن معا تنعكس على مؤلفاته (٤٧ مؤلفا) من « أصفر كروم » و « عالم العجيب» الى « الوسائل والاهداف » و « فلسفة الدوام » و « أبواب الادراك » ••• و ••• جزيرة »!

هذا التصور يقدم لك مركزا فى هذا الكتاب ، والمؤلفة فى هذه الترجمة المشوقة ، تحاول ان تركز على هكسلى فى جميع تحولاته ومظاهره • باعتبار

أن التراجم هي « أعطاء الانسان نوعا من الشكل بعد وفاته » كما تقول الكاتبة فرجينيا وولف ، وباعتبار التراجم « فنان خلف اليمن » ، كما تقول المؤلفة «ومن ثم فهي تجمع – بمنتهى الامانة والدقة ... الحقائق، وأنصاف الحقائق ، وما لا يرقى الى مرتبة الحقائق ، حتى مذكراته ومسوداته ... وفواتيره ، لم تغفلها، « فالهدف من هذا الكتاب » كما تقول « هو تقديم صورة صادقة لحياة الدوس هكسلي الانسان » . ومن ثم فان الكتاب لا يتضمن نقدا ادبيا او تقييما لفكره ، وان كان بالضرورة يتضمن جانبا كبيرا من كتاباته وفكره ... وحصيلة كل هذا ان هكسلي كان رجلا طيبا ومتحضرا متألقا ، رجلا على جانب كبير من الامتياز والتفوق، ومن الصعب أن نتصور كاتبا آخر – في اى زمان – يستحق هذا التقدير، فهناك جانب من الشذوذ في معظم الكتاب، هو جزء من عبقريتهم ،ولكنك لا تجده في هكسلي .

لقد زاد حجم قراء هكسلي بعد سنة ١٩٣٦ ، وكان معظمهم قراء جددا ، وكان هناك النقاد .. ولكن هذا تاريخ أدبى يبتعد عن هدف هذا



الكتاب ، وان كنا نحب أن نعرف كيف كانت تستقبل كتبه ، حتى نقف على قلق الكاتب على عمله الفنى ، ولكن هكسلي « توقف من زمان طويل عن قراءة أى شيء عن نفسه .. كلما أمكنه ذلك » ، مع أن الرجل لم يتوقف عن الكتابة طوال حياته ، لأن هذه كانت حرفته ، وهذا هو الشيء الغريب في هذا الرجل ، فقد كانت حياته غير عادية ، بحيث يعجب المرء كيف أصبح صاحبها كاتبا على الاطلاق ، فبطريقة مباشرة ، وفزيولوجية محددة ، كانت المقادير ضده بشكل مثير ... ففي كلية ايتون ، وهو بعد في السابعة عشرة، أصيب بالتهاب القرنية ،كانت نتيجة ١٨ شهرا من العمى التام علم خلالها نفسه ، بقوة وشجاعة وتصميم ، القراءة بطريقة « برايل » للمكفوفين، والكتابة على الالة الكاتبة والشجاعة والمثابرة والتصميم ليست أمورا غريبة على أسرة هكسلي ، فهي صفات تميز الصفوة من المفكرين الفيكتوريين الذين كان الدوس سليلهم فجده هو ت . هـ . هكسلي ، العالم البيولوجي صاحب نظرية التطور ، وجده الاكبر كان دكتور ارنولد اوف ربي ، وعمه الكبير كان ماثيو ارنولد

في هذه الفترة التي لم يكن فيها يميز بين النور والظلام ألف رواية طويلة فقدت تماما بعد طرحها في السوق ، وتعلم العزف على البيانو ... وحينما بدا يسترد بصره بالتدريج ، بدأ كفاحا لا يهدأ ، ليس فقط لمجرد العودة الى زمرة المبصرين، بل الى زمرة المبصرين الذين يقرأون قدرا بنهم .. ثم الى زمرة المبصرين الذين يكتبون ، وهو ما لم يتوقف عنه طوال حياته .

وعودة البصر الى هكسلي ، واستخدامه العجيب لهذا البصر ، كانت

الجديد فى المكتبة الغربية

اولى معجزات هكسلى ، اما المعجزة الثانية فهى زواجه من ماريا نيس ، التى التقى بها فى قصر ليدى اوتلين موريل ، خلال الحرب العالمية الاولى، وكل من يقرأ عن ماريا هكسلى ، لا بد ان تسحره ويحبها ، وكذلك تفعل النوس ، فقد كانت ماريا طبيعية ، تتميز بالوضوح والقدرة على الحب والتعاطف مع الاخرين ، مما جعلها خير عانية كزوجها .

الواقع ان صفات ماريا هى ما كان ينقص زوجها ، لذلك أحبها وقدرها، ولعل نقص هذه الصفات عنده كان عيبا لم يكن هو غافلا عنه ، وان كانت له علاقة بفقد امه التى توفيت بالسرطان ـ كما توفيت ماريا بعد ذلك ـ وهو بعد فى الرابعة عشرة ، وكان تاثير وفاتها عليه بالغ الاثر ، تعكسه كلمات هكسلى وهو يروى قصة صبى فى العاشرة فقد اباه ، فى كتابه « السمو الرمادى » ، حين يقول : « ... وبقى معه ، كامنا فى الاوقات العادية ، طافيا على السطح فى بعض الاوقات ، شعور ملازم بالقشاشة ، والزوال ، واليأس من كل سعادة انسانية » .

وكانت ماريا ، وحرفة الكتابة، هما ضرورتا حياة حافلة بالتطور والتقدم، من العدمية الانيقة ، الى روائية العشرينات ، الى الايمان بالحقيقة الروحية التى ينطوى عليها العالم المتطور ، والتى تضفى على اى شىء قيمة او معنى . ولقد كان تدوين الكلمات على الورق ضرورة بالنسبة لهكسلى ، كان التدوين بمثابة تحويل تجاربه الى حقائق ، ومن ثم اصبح كل شىء مادة خام لطاحونه الادبى العجيب : رحلاته ، الصور التى يراها الكتب التى يقرؤها ، الموسيقى التى يسمعها ، الناس الذين يلتقى بهم ، فلا غرابة ان اصبحت رواياته المبكرة مرآة لعصره ... وحتى فى الاطوار التالية من حياته ، عندما اصبحت رواياته اللامعة مجرد ذكرى ، فانك تلمس ان بصيرته النفاذة ، من خلال ضباب عقاقير الهلوسة ، لم تلاحظ شيئا كان ينبغى تسجيله ، ولم تسجله !

غير انك لا تجد صورة لماريا فى اعماله ، لانها حقيقة واقعة ثابتة لا تحتاج لتسجيل. بعد وفاة ماريا فى ١٢ فبراير سنة ١٩٥٥ ، اصبحت عاطفة الحزن متاصلة فيه واحساسه بالحب مغروسا فى اعماقه ، لامجرد شىء عابر ، بل كصفة تسمو على الزمن وتمكنه من العيش فى تفوق وامتلاء، مستمرا فى الكتابة حتى قبيل وفاته فى ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٦٣ ... بيومين !

كلمة العلم فى مساواة الجنسين !

الكتاب : الجنس والقوة فى التاريخ

المؤلف : أمورى دى رينكورت

من آن لآخر ، تطبع كتب مهمة ، وتمر من المطبعة فى هدوء، حتى ينتبه اليها قارىء فطن ، او اكاديمى ، او مجادل عنيف . وكتاب « الجنس والقوة فى التاريخ » من هذا النوع من الكتب ، خصوصا الآن : العام العالمى للمرأة ، فالكتاب يعالج مشكلة المرأة والرجل ، وهى مشكلة ضخمة تمس

جوهر الحياة ، وطبيعـــة تركيب الحضارة ....

والمؤلف ، دى رينكورت مفــكر ومؤرخ فرنسى بارز ، له مؤلفات عن التبت ، والهند ، وامريكا وغيرها . فهو حين يتصــدى لهذه المشكلة ، يتصــدى لها بقدر ضــخم من المعرفة ، متساوقا مع تيار التاريخ ، وما قبل التاريخ ، مستعينا بقوانين ونظريات علم الاحياء ، والفلسفة ، فيخرج بنتيجة تقول ، انه بينما يصنع الرجال التاريخ ، فان النســاء هن التاريخ نفسه . وهذا ليس تفــكيرا صوفيا كما قد يبدو لاول وهلــة ، ولكنه حقيقة ، اذا تجاهلتها الحضارة الانسانية او نسيتهــا ، كانت كمن يحاول الانتحار ...

ودى رينــكورت ليس اول من يخبر بأن الحضارة الغربية تحتضر ، ولكنه ربما كان اول من رأى ان المســاواة الكاملة بين الجنسين لدرجة الخنثوية فى زماننا هذا ، هى سبب تدهــور الحضارة ، فحين يصبح التمييز بين



الجنسين غير واضح ، فالهلاك هــو قدرها المحتوم .

ونحن اذا اخذنا هذا الراى بشكل ســطحى ، فانه يعتبر هجوما على الحركة النسائية ، قد يرحب به اعداء المرأة وانصار الجنس الخشن ، ولكن دى رينكورت يضعنا امام الأمر الواقع فيقول : « ان حركة تحــرير المرأة المعاصرة ، حين تهدف الى محــو الفوارق بين الجنسين الى حد قــد يؤدى الى الخنثــوية ، والقيم ذات الجنس الواحد ، فان ذلك ينطوى على الموت الاجتماعى والثقافى ، ونهــاية الحضارة التى نقره ، فالعلم والتاريخ يوضحان بجلاء ان التطور كان عكسيا ، فأول الكائنات الحية كانت وحيــدة الخلية ، خنثوية ، ثم تطورت الحياة فى الارتقاء بالفصــل بين الجنسين ، حتى وصلت الى ارقى تطــور فى الانسان : بالرجل والمــرأة » ...

ويبرهن دى رينكورت على نظريته ، فيبرز الازدواجية فى التطور التاريخى ازدواجية بين عقلانية الرجل ، وبداهة الانثى ، ثم يتتبع هذه الازدواجية ، مع وعى بتركيز الحضارة الغربيــة على عقلانية الرجل وحدها ، بعكس حضارة الصين والهند التى حافظت على اتزان جميل بين الذكر والانثى ، مع انه قبل عصر هومر ، وعصــور ما قبل العقلانية فى عصر البرونز ، كانت النساء كيانات منفصلة ولكن متعاونة ، فى عالم متناسق ، بشكل أو بآخر ، مع الطبيعة .

ويؤكد دى رينكورت ، ان الابتعاد عن الطبيعة معناه الكارثة ، فالاغريق حين مجدوا الرجولة وقللوا من قيمة الانوثة ، تركوا للحضارة الغربيــة تراثا من التعاسة والشقاء ، وهكذا شهد الاغريق اول صراع بين المرأة والرجل ، فأول ثورة نســائية فى

الجديد في
المكتبة
الغربية

التاريخ بدات في عصر الشاعر ايريبيدس ، ثم توالت الثورات النسائية في عهد الرومان، وهي ثورات لاتظيرلها الا في ايامناهذه ،المحفوفة بالمخاطر ، • فثورات روما حطمت البناء الاخلاقي والاسرى ، وهبطت بمعدل المواليد بشكل خطير ، ونخرت الامبراطورية من الداخل ••• قبل ان يدمرها البربر بزمان طويل •

هل تقضي الثورة النسائية الحديثة على حضارة الانسان ؟ ان ما تنطوى عليه هذه الحركات بالنسبة للحاضر واضحة ، وهي من الخطورة بحيث لا ينبغي أن تترك للمؤيدين المتحمسين، او غوغائية النقاد • ان أنصار المرأة سوف يضعون دي رينكورحطي مصاف المتعصبين ضد المرأة ، مع أن ما قام به هو مجرد بحث علمي متجرد ومستفيض ، يمحص الفكر في التراث الانساني ، ليخرج بهذه النظرية ولكن كثيراً مما وصل اليه دي



رينكورت سوف تقابله المرأة بغضب شديد ، فهو مثلا يرى انه لم توجد امرأة عبقرية ، وأن النساء يعشن دائما على هامش العبقرية ، وحتى في العهود التي حكمت فيها نساء مثل اليزابث الاولى في بريطانيا ، وكريستينا في السويد ، وكاترين العظمى في روسيا ، لم نجد فيلسوفة واحدة ، أو رسامة واحدة ، أو نحاتة أو مهندسة او عالمة أو موسيقية فليس لان النساء لم يجدن الفرصة ليصبحن عبقريات ، بل لانه تعوزهن العبقرية الخلاقة نفسها ••• حتى مدام كورى لولا عبقرية بيير • وكأنما الطبيعة الهائمة قد خصت الرجل بالقدرات العقلية ، وخصت المرأة بالقدرات الفسيولوجية !

الاستاذ المتجول !

الكتاب حياتي

المؤلف : اوسكار كوكوشكا

اوسكار كوكوشكا ، وهو الان في أواخر الثمانين ، يعد أحد الاساتذة العظام ، المسئولين عن الحركة الحديثة في الفن • وهو يبدأ كتابه مدعيا ضعف الذاكرة ، ولكنه يقدم لنا ترجمة شخصية لا يفوتها شيء • حتى ولا التعليقات اللاذعة عن الجمال . والوطنية « في هذا القرن الذى يشبه الكابوس » ، وثورة التكنولوجيا التي أخذت الانسان على حين غرة ، فانتزعت من حياته أسلوبها المحافظ قبل أن يجد الانسان لحياته أسلوبا جديداً !

كان أسلاف كوكوشكا من بوهيميا: أبوه كان صائغا ماهراً يعيش في

براج ، اضطره الافلاس الى الانتقال بأسرته الى فيينا، ومن ثم فان ذكريات الصبي كوكوشكا المبكرة ، عن أيام النمسا البهيجة قبل الحرب العالمية الاولى . وكمصدر شخصيات « بورتريه » ، كانت له صداقات

عديدة ، خصوصا صداقة وتأييد « أدولف لوس » المهندس الذى احتضنه وكان يجلب له الموديلات من صفوة المجتمع النمسوى الامبراطورى ، أحدهم كان حائك ثياب الامبراطور نفسه ، الذى كان يهديه « البدل التفصيل » ، مقابل الصور التى يرسمها له . وكان أول معرض دولى اشترك فيه سنة ١٩٠٨ ، قدم فيه « تابيسيرى » ساخرا فى أربع لوحات كبيرة ، وتمثالا كصفيا سماه « المحارب » ، وصورة شخصية له فاغر الفم سماها « تعبير عن صرخة عاطفية » ، فكانت معروضاته مثار تفكه شديد ، وسميت الحجرة التى عرض فيها « حجرة الرعب » ... ومع ذلك بيعت كل لوحاته .

وتلقه لوس الى سويسرا ، فتفتحت له مناظر الشتاء السويسرى الرائع عيون كوكوشكا على عالم جديد . وأنتج لوحة « منظر لبنيس دى ميرى » التى اشتراها متحف كولونيا بمبلغ ١٨٠٠ مارك ذهبي سنة ١٩١٢ . أما برلين ، المدينة البروسية القديمة التى

أصبحت فجأة مدينة عالمية ، فقد ألهمت كوكوشكا الحركة العنيفة ، وضجيج المرور ، والاعلانات المضيئة ، ومكبرات الصوت ... وعلب الليل . وكان مرسمه صندرة بناء تحت حضور ، مثلجة فى الشتاء ، ولكن مكاتب صحيفة « دير ستروم » كانت تحته ، وعلى صفحاتها نشر ٣٧ من رسومه .

وحين وثق من تقبل الجمهور للوحاته ، عاد الى فيينا ، حيث التقى لاول مرة برسوم « تيتيان » ، وعنها أدرك لاول مرة « انتصار الضوء » ، وهى خاصية النورانية التى ميزت تيتيان عن جميع الرسامين الايطاليين ، وفى فيينا رأى المرأة ورأوقته .

وكانت له مغامرات نسائية عنيفة انعكست فى لوحاته ، فى حرارة اللقاء ، وسمو الحب ، وألم الفراق .. وفجأة هجر الفن لينضم الى سلاح الفرسان ، واشترك فى الحرب التى وضعت خاتمة امبراطورية النمسا ، وكانت حربة جندى روسى تضع خاتمة لحياته الفنية .. وعاصر كوكوشكا الحرب العالمية الثانية ، واجتياح براج ، وتزوج أولدا ... التى رسمت له طريق الهرب من براج ! .

الأمير الثاني

الكتاب : ادوارد الثامن

المؤلف : فرانسيس دونالدسون

عرف العالم دوق ودوقة « وندسور » عاشقين يستحقان العطف والاحترام ، لانهما ضحيا بالعرش والتاج فى سبيل الحب ... رغم أن الشعب البريطانى رأى فى تنازل ملكه ادوارد الثامن ، عن العرش للزواج من مطلقة قصورا عن أداء الواجب غير مفهوم !

هذا الكتاب يصور الدوق العاشق فى صورة جديدة ، وربما هو يتبنى وجهة نظر الشعب البريطانى « وقت الحادث » ... أو ربما كان طول العهد بالقصة قد عراها من مسوح الرومانسية ، وأظهرها على حقيقتها ... ورغم أن مؤلف الكتاب امرأة ، فانها ترى أن ادوارد الثامن ربما يكون آخر ملك يحاول أن يتصرف فى ملكه كما يحلو له ، فقد عجل تصرفه

الجديد في
المكتبة الغربية

الطائش بأزمة دستورية قاسية ، كادت تسقط الوزارة البريطانية ، وأثار تنازله دهشة العالم، فقد كان من أحب الامراء الى قلوب الشعب ، وأهم حلقة بين بريطانيا والكومنولث ، وكان ينتظر منه كملك ، أن يجدد دماء الملكية البريطانية العريقة ويجعلها أكثر مسايرة للعصر .

ولكن نظرة فاحصة على خلفية ادوارد الثامن تبرر تصرفه ، فقد نشأه أبوه جورج الخامس على التقاليد الملكية البريطانية : أن يرتاب في الامتياز والتفوق ، ويتجاهل العقل والروح ، غير انه كان على جانب كبير من الجاذبية ، يهتم بالناس، ويجعل من الابتسام ومصافحة الاخرين فنا ... ولكن مع الوقت تملكه الملل ، وأصبح الامير النشيط ، الذي يمزج الحياة باللذة بالنفس ، في وقار حزين يشبه اوراق جوقات التماثيل في الكنائس ، متقلب المزاج ، منصرفا الى مسراته .. أحب ثلاث مرات ، في كل مرة نساء متزوجات !

وبمجرد لقائه بالامريكية المطلقة واليس سمبسون ، بدأ يتصرف بالتشاحية (السلوك بطريقة تلفت اليه النظر) وطيش متعمد . ولم تكن واليس جميلة . ولكنها كانت مرحة جذابة تأسر الرجال ، وتحب الجواهر والبخور التي يمكن أن يوفرها لها زواجها من ادوارد ، ولم تدرك أبدا أن علاقتها يمكن أن يطلبها من أن تصبح ملكة بريطانيا ، وربما ظنت ، كما ظن ادوارد ، أن مجرد الاصرار كفيل باصلاح كل شيء في النهاية ... ولكن ادوارد سرعان ما فقد شعبيته، فلم تكن لديه أدنى فكرة عن السلوك السوي الذي يجب أن يتحلى به ملك دستوري ، ... أما رئيس وزرائه فقد كان يراه مجنونا !

ولا داعي لرواية الاحداث التي أدت الى تنازل ادوارد عن العرش، فهدف هذا الكتاب هو دراسة شخصية الرجل وشكله وخلاصة هذه الدراسة ، أن الرجل كان أنانيا بدرجة عزلته عن الواقع ، وقادته الى مغازلة النازي ، في وقت كان النازي عدوا لبلاده ، وجعلته يتخلى عن مصالح شعبه في سبيل اسعاد امرأة لا يريدها هذا الشعب .

وتحرص المؤلفة على نفي الاشاعات التي احاطت بسلوك ادوارد الغريب في ذلك الوقت ، فتنفي مثلا أنه كان سكيرا مدمن خمر ، أو أنه كان ضحية مؤامرة على بلاده ... أي التكلف واعتناقها لتصرفاته ، والمؤلفة أيضا تنفذ كل تبرير « لفعلته » ... التبرير الوحيد الذي تأخذ به ، هو أن اصرار ادوارد على المستحيل — أي الزواج من المطلقة — ربما كان محاولة للتخلص من العرش، بما ينطوي عليه من مسئوليات هو ليس أهلا لها .

وتنتهي أخيرا الى أن دوق وينسور كان أميرا سحرته امرأة الى ... مسخ !

عبد المنعم
محمد جاسم



عتاب على هذه الشطحات

ان (الهلال) هي الوجه الناصع والصفحة المشرقة لأدبنا العربي ، هذا الذي لم يسلم من يد الزمن حيث عاثت به فسادا – على مر العصور – ولعبت بتراثنا الفكري والحضاري اني شاءت ، في فترة سوداء حالكة مرت بها جواهر هذا التراث اللامع وذخائر الادب الرائع فبات يئن تحت وطأة المستعمر منتظرا اليد الرؤوم التي تنتشله من ظلمات هذه الهوة السحيقة والحدث الرخيص الذي طمر فيه . حتى كانت مجلتنا الغراء احدى هذه الايدي التي نفتخر بانها اليد المعطاء التي تستخرج بين قبضتها كل ما تقرأ من الدر والجوهر ...

واستمر (هلالنا) يكبر على مر العصور والدهور حتى كان بدرا تماما ، يطالعنا بكل جديد مستحدث ويقدمه باطار ادبي شيق جذاب . فما تجد فيه من الشعر الا ارقه واعذبه ، ولا نقرأ به من التراث الا اسماه واعرقه ، ولا نلمح فيه من سبع الماضين والمحدثين الا ثمينه ونادره . ولكن لكل جواد كبوة – كما يقولون – وهذا ما حصل وبا للاسف في الاعداد الاخيرة من المجلة ، لاسيما في عددها الرابع من سنتها الثالثة ابريل عام ١٩٧٥ .

وسرعان ما زاد اندهاشي – ولا اخفيكم سرا – حين قرأت بعضا من الشعر كان في وزنه غير مضبوط وهو خليط من مجزوء الكامل والمنسرح ، واخر كان في معناه ركيك النسج مهلهله . والتدليل على ما اقول ، هاك اقرأ معي هذه الابيات . وكن انت الحكم على ما تقرأ .

ففي الصفحة (٩٢) قصيدة لمبارك المغربي يقول في بعض ابياتها :

مابالنا تهمي مدامعنا
ان لم يكن في انهمالها سبب ؟

وكذلك :

والشرق جال القلب فرد
حتى كان السماء تلتهب

وكذلك :

يا مصر يا دار العلاء ويا
مثوى الالى للعلاء كم وهبوا

وكذلك :

فيها سعادة اهلنا وبها
امالنا والعطاء والرحب

معارك أدبية

عاتب على
هذه الشطحات

الا ترى ان الصدر في هذه الابيات من مجزوء الكامل ، والعجز فيها من المنسرح ؟!

ويقول في بيت آخـر من القصيدة نفسها :

كانت لنا رمـزا لوحدتنـا
وملاذنا ان توالت الخطوب

الا ترى ان الشطر الثاني من البيت غير موزون ؟!

وفيها يقول ايضا :

حتى كان السـماء تلهمها
مـا لم تجبه بمثله الكتب

وكذلك :

فلك فجـادت بخير ما ملكت
للفـن والابـداع ما تهب

الا ترى ان الصدر في هذين البيتين من المنسرح والعجز من مجزوء الكامل؟! علما ان بعض ابيات القصيدة من مجزوء الكامل في شطرى كل بيت منها، وهاك الشاهد على ما اقول :

رغم الشتاء ورغم حـدته
قد شب بين ضلوعنا اللهب

قالوا مضت بقلوبنا ونوت
دنيـا الى العليـاء تنتسب

« ست الغناء » وسر روعتـه
اما شدت يتعجـب العجب

كما ان بعضا آخر من ابياتها من بحر المنسرح في شطرى كل بيت منها. فهاك استمع معي :

والفـن ماذا دهاه فانحبست
انفاسه واللحـون تضطرب

ما قادها في طريقهـا نصب
لكن سـعي ينتهي لها الحسب

بالفن ضمت شتات امتنـا
حتى التقت بالاهلة الصلب

اتركك وهذه القصيدة ناقدا محـللا لترى صحة ما اقول .

وقصيدة الدكتور مختار الوكيل ص (١١٦) ابسط ما نقول في وصفهـا ان الفاظها لا تسمو حتى بالبسيط من لغة النثر حتى سئمتهـا فنبذتها مالة منها ضاجرة . وهاك شاهد ما اقول :

فكانت وحـدة كبـرى
لشـعبين هي القطب

اترى موضع (هي) في هذا البيت عورة تحط منه وتلبينه .

والا اين « ماليـسر »
واين حديثهـا الكـذب

اترى قوله (والا) تليق بلغة الشعر ؟! ثم ما هذه التقريـرية الجافة التي يكفر بها حتى النثر ؟

معارك أدبيـــة . . .

عن السـحر والسـحرة

في العـدد القـادم ..

والا فالعفــــــاء على
مغــان شانها الغــــرب

ولن يلجيــــكمو زهو
ولن يتفــــكمو عجـــب

ولا أعرف من أجاز من علماء النحـو جزم المنصوب حتى قال (ولن ينفككم) بتسكين الكاف ولو قال (لم ينفككم) أو (ولن ينفككم) لاستقام البيت نحوا وعروضا .

ومثلها كذلك :

ولن ينفعــــكم عـــــون
ولن يجــــديكمو عتب

ولو قال (ولم يجــديكم عتب) لاستقام البيت نحوا وعروضا .

به النعر للنـــــســا ان
وحتما يسـهل الصعب

انه الاغراق في التكريرية والايغال في الجهالة ، حتما ، ليست بلفظة اللغانية يتلالا بها هذا الشعـر .

ثم انظر هذه القوافي القلقــة التي حشرها الشــاعر حشرا في قوالب شــعره الجامدة هذه ، والا فما معنى : عجب ، العطب ، الوشب الريب ، المصوب . أب !؟ انهــا حلت ضيفا ثقيلا على الابيات التي ختمت كل واحدة بها ، ناهيك الاخطاء الطبــاعية والعروضية التي لم تسلم منها قصائد أخرى كقصيدة مصرع العتريس (دارها يوما) حيث أن كل أبياتها من مجزوء الرمل ما عدا بيتا واحــدا فقط زادت فيه تفعيلة واحدة فكانت خمسا والبيت هو :

وتحدينا بهالايام والناس تحدينا القضاء

الا تتفق معي أن هذا البيت يحوي خمس تفعيلات من بحر الرمل (فاعلاتن) ومفروض أن تكون أربعا كسائر أبيات القصيدة ، ولو حذفت كلمة (الايام) وحرف العطف الذي بعده لاستقام الوزن حيث تصبح ، وتحدينا به الناس تحدينا القضاء .

واعتقد ان هذا لم يكن خطأ طباعيا حيث اننا نعرف ان الخطأ الطباعي يتمثل بتقديم حرف على حرف او حذف نقطة او نقطتين او حرف او حرفين اما ان تزاد كلمة يعقبها حرف عطف فهـــذا لا يرد .

وليس غرضي مناقشتي هذه القلب من قيمة المجلة وتجريحها والنيل منها فهي من شوامخ القراءة العربي وهي الساحن الامين للشعر والناطقين بها

حيث تقف كل ما من شــأنه اعلاء مكانة هذه اللغة السماوية الســمحاء لتسطر على صفحاتها حــروفا تنبض بالحياة تتدفق بالخصب ، تتفسـح في فضاءات الكون . ولكني جئت بهــذه السطور عاتبا على هذه الســقطات وتلك الهنات .

واخيرا ما لي الا أن أقول « فذكر ان نفعت الذكرى » . والسلام .

● عبد المنعم محمد جاسم ●
● الجمهورية العراقية محافظة ذي قار ●

د. أحمد الحوفي

في هلال شهر يونيه الماضي كلمة للدكتور حسان الحاج ابراهيم عقب بها على مقال « استكناه الغيب » المنشور بالهلال في يناير ١٩٧٥ واذا كان من حقه ان يعقب فان من حقي ان اعقب على التعقيب في هدوء وهوادة وتكريم

معركة في غير معترك



١ ـ قلت في مقالي بعد ان لخصت روايتي الطبري وياقوت : ويظهر من هذا أن العرب كانوا يتشاءمون بكلاب الحوأب . فانكر سيادته هذا الاستنباط .

لكنني مازلت ارجحه لان كلاب الحوأب هي التي وردت في الحديث الشريف الذي آثرت الا اذكره ، وهي التي ارتبطت بمسيرة السيدة عائشة مع الجيش المحارب للامام علي .

اما الكلاب الأخرى ، فان العرب لم يكونوا يتشاءمون بها ، فقد ربوها ، واعزوها ، واعتمدوا عليها في الحراسة ، وضربوا بها المثل في الوفاء . ولم اشا أن اتكلف التعليل لاختصاص كلاب الحوأب بالتشاؤم اذا نبحت ، الا أن السيدة عائشة مرت هي والجيش المحارب بأماكن عدة ، في كل منها كلاب ، فلماذا قال النبي عليه الصلاة والسلام : ليت شعري أيتكن تنبحها كلاب الحوأب سائرة الى الشرق في كتيبة ؟

لم اشا أن اتكلف تعليلا لهذا ، بل آثرت ان اوجزه .

٢ ـ لاحظ سيادة الناقد ان اصحاب السيدة عائشة لم يشاركوها في تشاؤمها ، بل انهم خالطوها زاعمين ان الماء ليس ماء الحوأب ، راجين ان يحملوها على متابعة السير .

وهذه الملاحظة حق ، ولكن ينقصها ان تقول ان بعضهم كان على معرفة بهذا التشاؤم ، وبعضهم لم يكن على علم به ، وكان من الطبيعي أن يخفي العارفون تشاؤمهم ، ويغلبوا عليه عزيمة السير ، ولهذا زعموا للسيدة عائشة ان المكان ليس هو ماء الحوأب ، لتواصل مسيرها معهم .

ولا غرابة في هذا الاختلاف ، فقد كان من العرب من يتشاءم بالطير البارح ويتفاءل بالسانح ، وكان منهم من يرى عكس ذلك (الاغاني ١٥٧/٩ والعمدة ٢٠٣/٢ وبلوغ الارب ٣٦٨/٣ ومفتاح دار السعادة لابن القيم) .

وكان من بينهم من تشاءموا بالغراب والجراد والبازي والرخم

والبوم والثور الاعضب وبعض الاشجار مثل الغرب والبان والفلاة، الخ الخ ... ومنهم من لم يتشاءم بها .

ولهذا نجد كثيرا منهم يسفهون المتشائمين ، لان التشاؤم يدعو الى الكف والاحجام ، ويشجعون المتفائلين ، لان التفاؤل يشجع على الانجاز والاقدام .

وافتخر ربيعة بن مقروم بأن مقادته بيد الله ، فلا يثنيه طير سانح ، ولا يعوقه غراب ، وهو على مذهب أهل العالية في تشاؤمهم بالسانح ، وهو ما يطير من اليمين الى اليسار :

اصبح ربي في الامر يرشدني اذا البوت العصير والظبا
لا سانح من سوانح الطير يثنيني ولا ناعب اذا نعبا

ونجد مثل هذا في شعر المرقش الثعلبي ولبيد والنابغة الذبياني وزبان ابن سيار وعوف بن عطية التيمي ، ثم جاء الاسلام فكثر تنديد الشعراء بالزجر والزاجرين ، لانه يفل العزائم ، ويعوق عن الاعمال ، ويكل الغيب الى غير الله تعالى علام الغيوب ، كما نجده في قول أبي الشيص انه يبرئ الغراب من الطيرة ، واذا كان الناس يتطيرون منه لان اسمه قريب من الغربة فاولى بهم ان يتطيروا بالابل ، لانها مطايا الغربة والفرقة .

الناس يلحون غراب البين لما جهلوا
وما على ظهر غراب البين تطوى الرحل
ولا اذا صاح غراب في الديار احتملوا

٣ ــ وقد استبعد سيادته ما ذكرته في مقالي انهم غالطوهما زاعمين ان الماء ليس ماء الصواب ، راجين ان يحملوهما على السير ، ولم يستبعد ما ذكره ياقوت انهم حلفوا لها انه ليس الصواب ، وهم يعلمون انه الصواب .

٤ ــ اما قولي : ويظهر انهم كانوا يتشاءمون بكلاب الحواب ان تنبحهم ويتفاءلون بها ان لم تنبحهم ، فانه ينبغي لنا اذا صدقنا بتشاؤمهم بنباح هذه الكلاب بخاصة ان نصدق بنقيضه اذا لم تنبحهم ، ولهذا النقيض مظهران : احدهما سلبي خالص والآخر ايجابي خالص وهو التفاؤل ، وكلاهما ينفي التشاؤم ويخلص منه ، وهذا هو الذي اردته بقولي ويظهر كذا .

٥ ــ واما ادعاء الشاك التي اعتمدت على رواية ياقوت ، فيكفيني في تقويض هذا الادعاء التي ذكرت المصدرين في كتابي (الحياة العربية من الشعر الجاهلي) في صفحة ٤٨٧ من الطبعة الخامسة سنة ١٩٧٢ والتي لخصت الفكرة العامة من الروايتين ، ولم اجد بينهما خلافا يعتد به ، فمن التجني ان يقول السيد الناقد ان هذا يشبه من يقول (ويل للمصلين) لانه لا ارب لي في بتر روايته ، ولا يرتضي منهجي العلمي أن تجنى على مؤرخ أو باحث في القديم أو في الحديث .

٦ ــ يبقى بعد هذا تنبيه الاستاذ الناقد على انه ينبغي لنا الا نأخذ مثل هذه الروايات على علاتها .

وهذا تنبيه غير ذي موضوع ، لاننا معشر المعرفة جميعا نعلم ذلك ، ونفهمه ، ونؤمن به ، ونطبقه . ولكنني في مجال العرض لموضوع (استكناه الغيب في الشعر الجاهلي) المحاولة مجملة ببعض معتقداتهم ، واستنبطت انا ، وغلبت الظن حينا ، اذ الموضوع كله غيبيات لا اساس لها من علم تجريبي وتمن وحي سماوي .

وبعد فاسأل الله تعالى ان يقينا شرور انفسنا ، وان يجعلنا ممن يعرفون الحق ، ويكافلون به ، ويدعون اليه .

دعوة حارة

محمود
العتريس

أنا أدرى بك منهم .. أنا أحرى
أنا مارست الهوى .. حلوا ومرا
أنا عندى من أطاييب المنى ..
وتجاريب الليالى ، ألف ذكرى
وبجنبى ظامىء .. لا يرتوى ..
لو سقوه نشوة العشاق طرا
فى دروب الغيد قد طال السرى
بلياليه ، فما أعياه صبرا ....
يعشق الحسن ، ويهوى تاره
كلما أرهقه ، وصلا وهجرا
***
أنا أدرى بالذى تبدينه ...
وبما تخفينه ، أدرى ، وأدرى
لست غرا يعبث الوجد به
لا .. ولا نضوا به العشق أضرا
وبما أعلم من أمر الهوى
أعلن القول ولن أكتم سرا
لو يراك الناس ، ظلا وندى
لا أرى إلا جحيما مستعرا
وهج الشوق بعينيك رؤى
ولهيب الوجد فى الخد أسرا



والجوى اللهفان فى الخطـو حكى
عن ليـال فى دروب العشـق حيرى
والنـدى ينسـاب عذبا ... سـاجيا
من شـفاه تعصر الالبـاب عصرا
عبثا يخـدعنى عن عاصـف ...
فى حنـاياك ، احال الليل فجـرا
اننى مثلك ، لهفـان الجـوى
غير انى اكتم اللهفـة سـرا
فى وقار ظالـم .. ارهقـنى
حمـله ، فوق هموم العمر ، عمـرا
ما علينـا ، لـو تسـاقينا المنـى
وقضـينا للهـوى الوامق امـرا
ليلة نترعهـا من عمـرنا ....
فنغطى من جوانا ... ما تعـرى
ثم ننسـاها اذا شـئت ، وان
شـئت ، اوليناه اخرى ثم اخـرى

•••

لا تبـالى .. ان ما نهفـو له ...
ويراه البعض بهتـانا ، وكفـر
كان احـلام الليالى ، كلهـا
مذ توالت فى رحاب الدهـر تترى ●

مع قراء الهلال

نصر الدين عبد اللطيف •

على امتداد ستة أشهر حب مع قراء الهـــلال ، تواعـدنا والتقينا هنا ست مرات ... وفى كل مرة كان يعيش اللقـــاء معى قلبى ، والشوق ، والمأثـــورات الثلاث من وصايا أدب الكاتبين : « لا تسهب ! » ـ : « لا تتأستذ ! » ـ « لا تنس أن يكون : فى كل شيء ، شيء لله » !

والامر فى الاولى والثانية من هذه المأثورات ، وكما ترى ، غنى عن البيان ...

أما الثالثة فتوصى بأنه الى جانب العناية بتقديم ما يصـــلنا من جيد انتاج الكاتبين والقارئين ـ فلا بد أن يكون هناك جهد مضاف نبذله خاصا وخالصا لوجه الله ، بأن نتنـــاول من هذا الانتـــاج بعض ما لايرجى نفعه ، فنمنحه من علمنا ما يصلح به شأنه ... :

قصيدة مكسرة ـ : نجبر كسورها ...

مقال قليـــل القيمة ـ : نقومه !

قصـــة لا تصـــلح : نصلحها !

... لكننى لم البث أن اكتشفت بعد اللقاء الثالث ، أنه لم يعد يكفى أن يكون فى كل شيء ، شيء ـ فقط ـ لله !...

فقد أخذ الانتاج القادم بالبريد يأتى فى معظمه محمـــلا بكل مواصفات « ما لايرجى نفعه »!

... كثر القاصون والشعراء فى بريدى ، وقـــل بينهم المتفرد ، والمجيـــد ، والمجدد !...

القصص ـ ولها فى لقاء قريب حديث طويل ـ اكثرها متهافت وهزيل !

... والشـــعر معظمه كلام ، أى كلام ، باهت ، مضطرب ، يتميز بانعدام اللونه والمذاق، والوزن، والاتزان !.

وتبقى لى بعد ذلك حيرة المحب المعـــذب الذى لايملك « ريشة » لتصليح شعر الاحباب ... ولا يستطيع الصبر على

وخزت العتاب الى والسؤال عن السر فى عدم النشر ! ..

ولقد خطر لى ، فى لحظة طيش : ، ان أجعل من لقاء هذا الشهر حلقة من بعض ما يفيظنى فى بريد الشعر .. ولكنى ، لحسن الحظ ، تريثت ...

فرأيت ان اكتفى بهذه العينات البسيطة المخففة الدمهــا بدون ذكر الاسماء الكاملة لاصحابها ، وبدون تعليق ..

ويعلم الله ..

من قصيدة ل : ع . ب . دقهلية :

« ما ذلك اليوم .. ماذا قد ســـبى
ناشـــدتك الله كفى ... لا تلومينى
لـــو تعلمـــى اى شئ كان يمتعنى
برغم شـوقى وحنانى .. عذرتينى !
فقصرى اللـــــوم لا تلقى بى التهم
انى برئ وما بى اليـــوم يكفينى !
« قد بت لا ارتجى شــيئا ولم ابســم
ويعلم الله انك قد ســـــــحرتينى

لا قلتم ولا قلنا :

من قصيدة : ا . م مصر الجديدة :

« تعالى اليــــوم الى عهـــدى
وننسى ما جـــــرى منـــــا ....
« تعالى ... ولا صار ، ولا كان
ولا قلتـــم ولا قلنــــــا ...
« وما اســـعد العـــودة
للحب كمــــا كنـــــا
« والى جانب الذكـــــــرى
نقضى معـــا جلســـــتنا » !

حسام وعراك !

من الصبية ل : م . ا . ح . ـ السيدة زينب :

« كان حبى لها ...
غير حب الناس لبعضهم ذاك
« ولكن ذات يوم
وبدون سابق حسام او عراك
« رايتها فى اليوم ذاك
وقلت لها اريــد لقيــاك » !

مع قراء الهلال

انت التى ..

من قصيدة لـ : غ . س . غ . :

« اليوم تحررت منكى ...
« وساذهب بعيدا عنكى ...
« انت التى ...
« روضتنى فى سجنكى
« وعذبتنى فى حبكى
« الفرى الان اين قلبكى
« للعبه وعودى ادراجكى
« لاتصطنعى البكاء ...
« فلن يشفع لكى بكائكى
« ولن يفيد حزنكى
« ولا تقولى الملكى ...
« عودى وحدكى
... وحدكى » ! ..

***

وبعد ... فان المساحة المتاحة لنا من صفحات « الهلال » و « الزهور » لا تتسع الان – والى ان تنفرج اختناقات الازمة العالمية فى الورق – لان ننشر كل ما يحمل البريد الينا من الانتاج قصصا وشعرا ، وان نقدم لكل من كتب قصة أو نظم قصيدة تقريرا مفصلا عن قصته أو قصيدته : مزاياها ، وحسناتها ، و ... ومبرراتنا فى ارتكاب جريمة عدم نشرها ! ...

كذلك ، ومع الاسف ، لا تتسع هذه الصفحات ايضا – وحتى تزول المعوقات الورقية – لاعطاء دروس خصوصية فى فنون كتابة القصة ، ونظم الشعر ، ودراسة العروض والقوافى !

ان الفن ، والقصص ، والشعر – موهبــــة فى البداية ... والموهبة تعلن عن نفسها دائما ومنذ البداية ! ...

واذن . فليضع الاقلام غير الموهوبين وليتزود الموهوب ، قبل ان يكتب للنشر ، بالدراسة والعلم والتمرس والتجربة فلا يتعثر فى قواعد اللغة ، ولا يتبعثر من بين يديه المعنى ... ولا يتناول الفكرة من ذيلها ! ...

و ... للحديث تتمة لمن ينشدون التعلم !

لكل سؤال جواب

عبقرى ، ولكن ..

● فى معظم ما يقدم « الهــلال » كل عام من بحوث « الملتقى الاسلامى » فى الجزائر وغيرها ، لاتكاد تجد عملا جادا وعصريا ، يفند مفتريات خصوم الاســلام ومن لا يعرفونه من الكتاب والمفكرين الاجانب ...

لماذا لم يقم « الهلال » ، مثلا ، وحتى الآن – من يرد على مزاعم كاتب ومفكر كبير من بلد صديق ، هو « اندريه مالرو » الفرنسي الذى كتب ونشر وقال : « ان الاسلام لم يأت بشيء جديدا ، فانه حتى فى أوج عزه قد اكتفى بالنقل ، وهو وان كان قد أجاد النقل ، الا انه لم يخلق ، ولم يبتكر » ... ؟

سامي حداد

عمان

لو انك قرأت باسمعان بحوث « الهلال » عن الملتقى الاسلامي كل عام ، لعرفت بنفسك الجزء الاول من سؤالك !

وبالنسبة لما زعمه « مالرو » ، فقد انبرى له ، فى نفس الموضـــوع ، مواطن من جنسيتـــه وأبناء بلده ، هو المستشرق الكبير صديق العروبة والاسلام الاستاذ جاك بيرك الذى بدد زعم « مالرو » وافحمه ، وقال فى رده :

« ينبغى أن يبقى « مالرو » فى حيز اختصـاصه ، فانه مغامر وكاتب عبقرى ، ولكنه ليس بمؤرخ جيد جـاد .. ولو سايرناه فى زعمه لجاز لنا أن نعيب على رومـا مايعيبه هو على العرب بالنسبة للحضارة اليونانية واللاتينية .

.. كلا يا « مالرو » لأن العرب فى الاسلام لم يكتفـوا بالنقل ، بل جاءوا بجديـــد ، وخاصة فى الرياضيات ، ولو اتخذنا ابن رشد مثالا لوجدنا ، فى ضوء الدراسات الحديثة ، انه ذهب بعيدا فى التجديد ، انطلاقا من فلســفة ارسطو .. كما أن ابن خلـــدون كان منقطع النظير فيما مضى ، وكان متقدما بضـــعة قرون على اهل زمانه فى مجال فلسـفة التاريخ ... »

التفكير : – عبادة ..

● لم اشأ ان اذكرك ، شخصيا ، بذكرى الفيلســوف العظيم هيجل – وقد مرت بنا فى مارس الماضى – حتى لا تعتذر ، كالعادة ، وفى شيء من السخرية – بضيق المساحة ، وقلة الصفحات ! ..

شريف ابو الفتوح

المعادى

– لو انك وغيرك من عشـــاق الفلسفة والفلاسفة ، عرفتم مدى جهلى الفلســفى ، لما لاحتقرتمونى هكذا وكأننى ، شخصيا ، الموكل الوحيد فى العالم العربى بأحياء ذكــرى عظماء الفلسفة فى العالم الغربى !

ومن حسن الحظ انك لم تشأ ان تذكرنى بهذه الذكرى ، فاننى ، وبغير سخرية ، لا أعرف عن هذا الفيلســوف الالمانى العظيم اكثر من ان اسمه الكامل جورج ڤيلهلم فردريك هيجل .. وانه بسـط مذهبه فى مؤلفات اشــهرها « علم المنطق » و « موســوعة العلوم الفلسفية » ..

وأنه أثر بفلسفته المثالية المطلقة ومنطقهـا الجدلي في عصره وما بعده ... وأنه كتب عن التـاريخ ، والدين ، والأخلاق ، والجمال ...

... وأنه ، في فترة من حياته ، كان يقيم في غرفة مفروشة ولاحظت صاحبة البيت أنه لا يحضر للصلاة في الكنيسة، بل يظل في مكتبه يفكر ويبحث ، فضايقها ذلك منه ، ولفتت نظره الى أن استغراقه في التفكير يحـرمه من ثواب العبادة ... فقال لها في ايجـاز : سيدتي ... ولكن التفكير هو الآخر عبادة !..

مختارات من بريد الشعر هذا الشهر

وكفى بربك هاديا ونصيرا ..

من قصيدة للشاعر علي عبد المجيد حجازي (ميت غمر)

مصر شـامخا ، وابن الحياة قديـرا
فلك نشـأت ـ مع الكفـاح كبيرا
وبنات عمرك ثائـرا ومناضـلا
وصمدت ـ في العهد البغيض ـ مريـرا
ما نالت الأعـداء منك ، وصوتها
قد كان في سـمع الزمان هديـرا
صـنعتك عزما وأبنتك بصـيرة
لتضيف للمجد التليـد سطـورا
فرفعت يا سـادات راية أمـة
وجعلت محنة أرضـها تحـريرا
لم ترض بالوضـع الذليـل ، وانما
كانت خطـاك ارادة وعبـورا
كانت على الأعـداء ضربة حـازم
جعـل المعاقل والحصـون قبورا

بالحب والاخلاص

من قصيدة للشاعر الكبير عبد الوهـاب عرب في تهنئة الملك خالد ... :

ملك حبيب للقلـوب وسـاكن
في قلب شـعب عاشق ولهـان
ياحاميـا للدين من أعدائـه

يا حاكمـــــا بشريعة القـــــرآن
للمسلمين تعــــد أكرم ســـــاعد
منه يفيض الخير كالطـــــــوفان
انى أبايع (خالدا) بقصـــــيدة ...
اشدو بها للنـــــاس كالكـــروان
انى ابايعه بقلـــــب خـــــافق
بالحب والاخلاص لا بلســـــانى ...

لست أنسى ..

من مقطوعة للاستاذ سيد أحمد الهمشرى (الاسكندرية) ....!
هل رايت النور يسرى بين افنان الـدروب
او سمعت الروض لحنا من غناء العنادليب
او رايت الهدب سهما موغلا بين القلوب
او رايت الزهر يحكى فتنة الثغر الرطيب
كل هذا فيض سحر ، من بهاك . يا حبيبى !

كان لى قلب ..

من شـــعر محمد عزت الطيرى (جامعة أسيوط) ... :
كان لى قلب وكانت لى على الدنيا امانى
وربيع أخضر البســـمات وردى الاغانى
واناشيد غرام ، فى هوى الغيد الحسان
***
كان لى قلب ولكن لم يعد فى الجوف قلبى
وطريقى تاه منى ... لم يعد لى اى درب
وربيعى صار قفرا ، بعد ان ودعت حبى

الربيع الضائع ..

من قصيدة لجلال محمد عبد الله ، مهداة الى روح الشـــاعر محمد الجبار :
تعود العصـــافير عند المغيب
وفى صـــوتها غصـــة من الم
تغنى اغانى المســـاء الغريب
ومن حولها همســـــات الندم
لقد ســـافر اللحن عنـــا وعنها
غريقـــا ، ومـــات بغير كفن
وكان هو الحب والشـــعر يحلو
غناء بطـــول بطـــول الزمـــن
اضاعته مثل ضـــياع الزمـــان
ومثل السراب ، وحيث العـــدم

صفحة من التراث

الفارابي

صاحب إحصاء العلوم

عندما يعاد كتابة تاريخ التقدم العلمي في العالم ، فسوف يحتل الفيلسوف العربي ، أبو نصر الفارابي مكانة خاصة ... فهو أول من وضع « نواة » لدوائر المعارف في العالم منذ أكثر من ألف سنة ، ضمنها أهم معارف عصره .. وهو أحد معلمي الانسانية، وواحد من أشهر فلاسفة الاسلام والفكر الانساني في الشرق والغرب على السواء .

ولد أبو نصر محمد بن محمد طرخان الفارابي بولاية فاراب بتركيا سنة ٨٧٠م واشتهر باسم منسوب الى ولايته ، وأقام في بغداد التي تلقى فيها علوم الفلسفة على يد أبو فرمتي يونس الذي اشتهر بترجمته للكتب اليونانية، ثم سافر الى حلب وانتقل منها الى دمشق حيث توفي بها سنة ٩٥٠ م عن ٨٠ عاما

كان الفارابي فيلسوفا صوفيا يحب الاسفار ويميل الى البحث والتأمل، ويلقب بالمعلم الثاني حيث كان أرسطوطاليس يلقب بالمعلم الاول .. وكان يأ.. ـد بشدة اعمال التنجـ ـم ومحترفيها ، ويتهكم على من يحصون الكواكب والنجوم ويقولون بأن هناك ارتباطا بينها وبين حياة الناس وأعمالهم ، وان بعضها ينبىء بالحظ والثراء وبعضها الآخر يخبر بالفشل والشقاء ! ...

وأعمال الفارابي الفكرية والفلسفية لا تحتاج الى تعريف ، فهو الذي عرض ونقد وحلل الفلسفة اليونانية وعملاقها أرسطو بعبقرية نادرة .

وكتابه الشهير « أحصاء العلوم » لا يمكن بأي منظار موضوعي – في اطار عصره – الا ان يكون أول دائرة معارف ، أو أول موسوعة علوم شاملة وحسبنا لبيان أهمية هذا العمل العظيم، أن نشير أولا الى أثره عند علماء الغرب في القرون الوسطى .

ويتناول الكتاب في أقسامه الخمسة معظم معارف عصره من لغة، وفلسفة ومنطق ، ورياضيات ، وعلوم طبيعية وغيرها ، فهو يحاول تصنيف العلوم ، وتعد هذه المحاولة الاولى في بابها في تاريخ الفكر الاسلامي والتصنيف ضربا من جمع المعارف وتكوين المعاني .

وبالاضافة الى (احصاء العلوم) فقد ألف الفارابي عدة كتب أخرى نذكر منها (رسالة العقل) ، و (الجمع بين الحكمين) وأيضا (كتاب الموسيقى الكبير) الذي يعد أعظم مؤلفات العرب في الموسيقى وقد ترجمه الى الفرنسية في الثلاثينات من هذا القرن بعناية المستشرق الفرنسي رودلف ديرلنجيه .

وللفارابي رسالة في السعي للوصول الى السعادة العليا التي يقول انها لا تتم الا بانشاء المدينة الفاضلة من ذوي العقول الفلسفية ... ويرى كثيرون أن ما ذهب اليه في هذا الشأن كان على غرار ما ينشده افلاطون في كل من جمهوريته الخيالية ودولته (يوتوبيا) المثالية ولكن تصدى لهذا القول قوم يؤكدون أن مؤلف الفارابي لا يمت بسبب الى ما كتبه أو نادى به فيلسوف سابق .

وكانت له فوق ذلك معرفة بالطب ومواهب بارزة في الموسيقى علما وفنا حتى ليروى انه صنع آلة موسيقية عزف عليها مرة فأضحك الحاضرين ، وعزف ثانية فأبكاهم ، ثم عزف ثالثة فأنامهم !

قد كان فيما مضى ان ان فى بلد
قلب شجى ، بكته اعين البلد
وان شدا فى ربوع الانس ذو طرب
ترنح الربع من شاد ، ومن غرد
وكان حبل الوفا والود متصلا
بين القلوب متين النسج والعقد
واليوم اخلق هذا الحبل وانبترت
اوصاله بيد البغضاء واللدد
واها على زمن سمح الخلال صفا
ودا ، وطاب منى ، ولى ولم يعد
ما ان يمر على بالى فاذكره
الا بكيت ، وفت الحزن فى عضدى
ابكى .. وتبكى معى الدنيا على سلف
غر الفعال ، اعفاء أتهوى ، مجد
عهد اصفياء الدنا دهرا ، وعطرها
يا ليت ايامه دامت الى الابد ..

● محمد امين الجندى ●

● الغلاف الأول ●



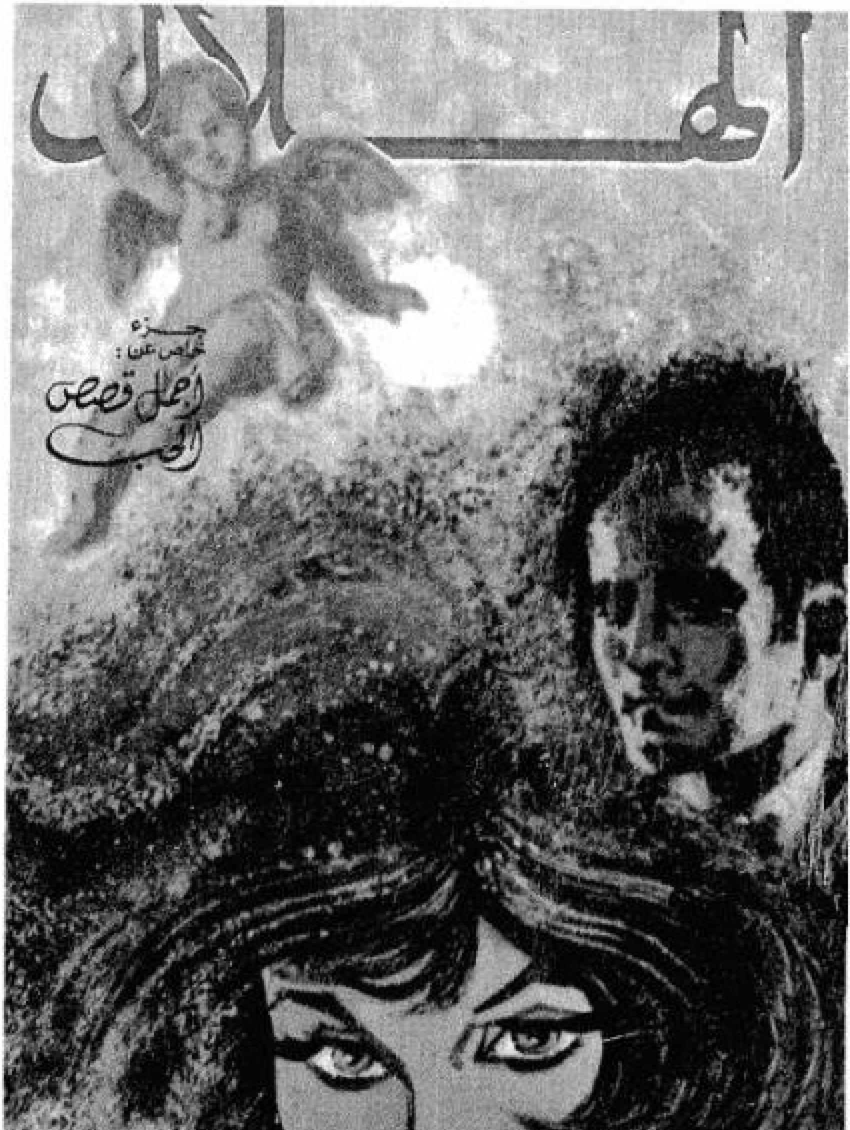
ادب الرحلات ـ لوحة
للفنان : جمال قطب

● الغلاف الأخير ●



افراح التتاح الثلاثة
تصوير : فاروق عبد الحميد




الهلال
جزء
خاص عن :
أجمل قصص
الحب

الهلال

رجب ١٣٩٥
أغسطس ١٩٧٥

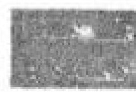
مجلة شهرية تصدر من دار الهلال — أسسها جورجي زيدان سنة ١٨٩٢ — العدد الثامن — السنة الثالثة والثمانون — أول أغسطس ١٩٧٥ — ٢٤ رجب ١٣٩٥

ثمن العدد : في جمهورية مصر العربية ١٥٠ مليما

قيمة الاشتراك السنوي : ١٢٥ قرشا في جمهورية مصر العربية وبلاد اتحادي البريد العربي والافريقي ١٥٠ قرشا سابقا . في سائر أنحاء العالم ٦ دولارات أو ٢ جنيه والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال . في جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية . في الخارج بشيك مصرفي والأسعار الموضحة بالبريد العادي .. وتضاف رسوم البريد الجوي والمسجل الى الأسعار المحددة عند الطلب .

الادارة : دار الهلال . ١٦ شارع محمد عز العرب . القاهرة

تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »





ـيم مدكور — امينة السعيد — احمد رامي



بسم الله الرحمن الرحيم

• كلمة الهلال •

قرأت

حكاية طريفة عن الحجاج بن يوسف الثقفى :

امر الحجاج صاحب حراسته ان يطوف بالليل ، فمن وجده بعد العشاء ، ضرب عنقه

وطاف صاحب الحراسة ليلة ، فوجد ثلاثة شبان يتمايلون ، وقد بعث عليهم آثار الشراب ، فأحاط بهم وقال لهم : من انتم حتى خالفتم امر امير المؤمنين ؟

قال الاول :

انا ابن من دانت الرقاب لــه
ما بين مخزومها وهاشمها
تأتيه بالرغم وهى صاغرة
يأخذ من مالها ومن دمها

فامسك صاحب الحراسة عنه ، مخافة ان يكون من اقارب امير المؤمنين

وسال الثانى : من انت ؟

فقال :

انا ابن الذى لا تنزل الارض قدره
وان نزلت يوما فسوف تعود
ترى الناس افواجا الى ضوء ناره
فمنهم قيام حوله وقعود

فامسك عن قتله ، مخافة ان يكون من ابناء اشراف العرب

ثم قال للثالث : من انت ؟

قال :

انا ابن الذى خاض الصفوف بعزمه
وقومها بالسيف حتى استقامت
ركاباه لا تنفك رجلاه فيهما ؟
اذا الخيل فى يوم الكريهة ولت

فامسك عنه ، اذ حسبه واحدا من اشجع العرب

فلما اصبح الصباح ، رفع امرهم الى الحجاج ، فاحضرهم ، واستنطقهم ، فاذا الاول ابن حجام ، والثانى ابن فوال ، والثالث ابن حائك

فعجب الحجاج من فصاحتهم ، وقال لجلسائه :

ــ علموا اولادكم الادب ، فوالله لولا فصاحة هؤلاء لضربت اعناقهم

صالح جودت

من قصص الحب في :

القرآن

د. أحمد الشرباصي

تقول اللغة ان « الحب » هو الوداد ، ونقيضه : البغض . وتقول : الحب والمحبة ميل النفس الى ما تراه وتظنه خيراً . وحب الله لعباده هو رضاه عنهم، ويتبع ذلك احسانه اليهم ومحبة العبد لربه هي تعظيم الله، وطلب الزلفى لديه ، والتقرب اليه بالطاعة والعبادة

والله ـ جل جلاله ـ يحب اصنافا من الناس ـ كما يحدثنا القرآن الكريم ـ فهو سبحانه يحب المتقين والمحسنين ، والمتطهرين، والتوابين ، والمتوكلين ، والصابرين والمقسطين .

وهناك أصناف من الخلق لايحبها الله عز شأنه ، فهو لا يحب المعتدين ولا الظالمين ، ولا الكافرين ، ولا المفسدين ، ولاالمسرفين، ولاالخائنين، ولا المستكبرين ، ولا الفرحين .

والحب وصف مشترك بين الله والاخيار من عباده ، والقرآن يقول في سورة آل عمران : « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ، ويغفر لكم ذنوبكم ، والله غفور رحيم ». فمحبة العبد لله طريقها محبة الانسان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، واتباع سنته ، والاقتداء بهديه ومحبة العبد لله كما يقول الصوفية حالة لطيفة يجدها من نفسه ، تحمله على موافقة أمره سبحانه برضا لا تصحبه كراهية وتقتضي منه ايثار الخالق على كل شيء ، وعلى كل أحد .

ومحبة الله تعالى لعبده هي ارادته الاحسان اليه واللطف به ، او هي ثناؤه سبحانه على العبد .

و « الحب » ، كما يقول الصوفية حرفان : حاء وباء . و «الحاء» اشارة الى «الروح» و «الباء» اشارة الى «البدن»، فالحب الصادق لايدخر عن محبوبه قلبه ولا بدنه .

ويقول القرآن الحكيم في سورة المائدة : « ياأيها الذين آمنوا من



يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ، أذلة على المؤمنين ، أعزة على الكافرين ، يجاهدون في سبيل الله ، ولايخافون لومة لائم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم » ·

ونفهم من هذا النص الكريم ان من يصدق في حبه لربه ، ولا يرتد عن دينه ويقينه ، فالحب دائم ، واليقين قائم ، والله يحب عباده الطائعين بالرحمة واللطف والاحسان والثناء ، كما يحب العبد ربه بموافقة أمره في كل الأحوال ·

وقد نقلوا عن الخضر قوله : « ان الزاهدين في الدنيا اتخذوا الرضا عن الله لباسا ، وحبه دثارا »·
وقيل : لا تطمع في حب الله مع محبة المال والشرف ·
وقال حاتم الأصم : « من ادعى حب الله غير ورع عن محارمه فهو كذاب ، ومن ادعى حب الجنة من غير انفاق ماله فهو كذاب ، ومن ادعى حب النبي صلى الله عليه وسلم من غير محبة الفقر فهو كذاب » ·

ويقول الله تعالى في سورة طه مخاطبا موسى عليه السلام :«والقيت عليك محبة مني ، ولتصنع على عيني» اى احببتك ، وطرحت في قلوب الناس محبة لك ·

وقد حدثنا كتاب الله المجيد عن الوان من الحب ، منها الحب الابوى المتمثل في حب يعقوب لولده يوسف، عليهما السلام · ويعقوب يعبر عن هذا الحب ، حين يطلب اخوة يوسف

لابيه ان يرسله معهم ليرتع ويلعب : « قال : اني ليحزنني ان تذهبوا به واخاف ان يأكله الذئب وانتم عنه غافلون »·

ويعبر يعقوب عن هذا الحب في هذه الآيات : « وتولى عنهم وقال : ياأسفا على يوسف ، وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم ، قالوا : تالله تفتا تذكر يوسف حتى تكون حرضا

او تكون من الهالكين ، قال انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما لاتعلمون ، يابني اذهبوا

فتحسسوا من يوسف واخيه ، ولا تيأسوا من روح الله انه لاييأس من روح الله الا القوم الكافرون » ·

ويعبر يعقوب عن هذا الحب الذى اشتد أواره بعد فراق يوسف ، وغيبته التى امتدت وطالت · فالله

حيث تقول الآيات : « ولما فصلت العير قال ابوهم انى لاجد ريح يوسف لولا ان تفندون ، قالوا تالله انك لفى ضلالك القديم ، فلما ان

القــرآن

جاء البشير القاه على وجهه فارتد بصيرا . قال : الم اقل لكم انى اعلم من الله ما لا تعلمون ؟ » .

***

والقرآن المجيد يحدثنا عن حب الانصار لاخوتهم المهاجرين الذى سما الى مرتبة الايثار . فيقول فى سورة الحشر : « والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم . ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا . ويؤثرون على انفسهم . ولو كان بهم خصاصة . ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

وفى كتاب الله الجليل انواع أخرى من الحب لاتبلغ درجة الحب المحمود عند الله تبارك وتعالى . ففى سورة القيامة يحدثنا القرآن عن حب الدنيا حيث يقول : « كلا . بل تحبون العاجلة . وتذرون الآخرة » . وهناك حب المال الذى يقول عنه القرآن فى سورة الفجر : « وتأكلون التراث اكلا لما . وتحبون المال حبا جما » . ويقول فى سورة العاديات ايضا : « ان الانسان لربه لكنود . وانه على ذلك لشهيد . وانه لحب الخير لشديد » والخير هنا يراد به المال .

وهناك حب الشهوات والملذات والرغبات . حيث يقول القرآن فى سورة آل عمران : « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب » .

والقرآن العظيم يخبرنا فيما يحدثنا به من حديث الحب ان الانسان قد يحب ما فيه شر له أو ما هو مكروه لديه . يقول فى سورة البقرة : « كتب عليكم القتال وهو كره لكم . وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم . وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم . والله يعلم وانتم لا تعلمون » .

وان الانسان يحب من يريد له الشر ويتربص به الدوائر . فالقرآن يخاطب المؤمنين فى شأن فريق من اليهود أو المنافقين . فيقول فى سورة آل عمران : « يا ايها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانة من دونكم لايألونكم خبالا . ودوا ما عنتم . قد بدت البغضاء من أفواههم . وما تخفى صدورهم اكبر . قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون . ها انتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم . وتؤمنون بالكتاب كله . واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ . قل موتوا بغيظكم . ان الله عليم بذات الصدور . ان تمسسكم حسنة تسؤهم . وان تصبكم سيئة يفرحوا بها . وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا . ان الله بما يعملون محيط » .

***

ولو اردنا تفصيل القول عن حديث القرآن الكريم عن الحب لامتد المجال وطال .

ولكن هناك فى القرآن المجيد « قصة حب » عجيبة رائعة . هى قصة حب امرأة العزيز ليوسف عليه

السلام ، ولقد فـــرد القرآن لهذه القصة معظم السورة التي ســميت « سورة يوسف » • وقد صدر كتاب الله العلي الاعلى قصة يوسـف باية تدل على روعتها ، يقول فيها الحـق جل جلاله : « نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين » ••

وقصة يوسف ـ فوق ما فيها من العبرة والعظة والتوجيـــه ـ تجتمع فيها الخصائص الفنية للقصـــة كما يعبرون ، فهي حافلـــــة بالحركة ، والصراع ، والاحداث، وفيها عناصر الانفعال ، والتشويق ، والمفاجأة •• •• الخ

هذا يوســـــف الفتى الكريم ابن الكريم ، ابن الكريم ، ينشأ جميـلا باهر الجمال ، طاهرا كامل الطهر ، اثيرا عند والده، حتى يعصف الحسد باخوته لابيه ، فيكيدوا له كيـــدا ، ويتخلصوا منه بالقـــائه في البئر بعيدا نائيا ، ويزعمـــوا لابيهم ان الذئب قد أكله •

ثم يلتقطه بعض السيارة المسافرين، وفي مصر يبيعونه بالبغي والظلم عبدا رقيقا الى كبير وزراء الملك في مصر، ويتفرس كبير الوزراء في يوســـف أصدق الفراسة ، ويتوسم فيه النبوغ والخير ، فيوصي زوجته الجميلة الفاتنة بيوسف خيرا ، ويوصيها راجيا بأن تحسن معاملته ، وأن تكـــرمه قـدر استطاعتها ، رجاء أن يشب ويكبر ، فيكون للوزير المحروم من الذرية عونا على بعض شئونه الخاصة او العامة، او يكون لكبير الوزراء وزوجته ولدا يقوم لهما مقام الولد ، فتقر به أعينهما ويكون من بعد وارثا لهما •

وينمو يوسف الجميـــل الوســيم ويشب ، وهو يزداد مع الايام جمالا وشبابا ، وتشاء له عناية الله تبارك وتعالى أن يكون ـ في قابل أيامه ـ صاحب تمكين وطيد ومنزلة عالية ، بطهارته وذكائه وعلمـــه ، ومعرفته حقائق الامور وعواقب الاحـــداث ، وارادة الله فـوق كل شيء : « والله غالب على أمره ولكن أكثر النـــاس لا يعلمون » •

ويبلغ يوسف رشده وقوته ونموه فيما بين الخامسة والعشرين من عمره والثلاثين ، ويؤتيه الله سبحانه بصرا بالأمور ،وحكمة في التصرف ،والهاما وتوفيقا في معالجة ما يعـــرض من المشكلات والنوازل •

يقول الحق جل جلاله في ذلك :

« وقـــال الذي اشتراه من مصر لامرأته ، اكرمي مثـــواه ، عسى أن ينفعنا ، أو نتخذه ولدا • وكذلك مكنا ليوسف في الارض ، ولنعلمه من تأويل الاحاديث ، والله غالب على أمره ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، ولما بلغ أشـــده آتيناه حكما وعلما ، وكذلك نجزي المحسنين »

هذا مقطع تمهيدي من القصة ، أو مقدمة احداثها ، أو مرحلة أولى من مسيرتها •

واخذت امرأة العزيز ، وهي الانثى الناضجة التي جاوزت الثلاثين فيمـــا يظهر ، أخذت تنظر الى فتاها وخادمها ورقيقها ، نظرة أخرى غير النظرة التي نظرها زوجها الى يوسف • لقد أراد كبير الوزراء ـ كما رأينا ـ أن يكون يوسف عونا له أو قائما مقام الولد المحـــروم منه وأراد الله تعالى من قبــــــل ومن بعـــد أن يكون يوسف رفيع الشـــــــان ، عالي المكانة ، صاحب السيادة ، ولكن امرأة العزيز أرادته عشيقا لها فهي مفتونة ببهائه مبهورة بجماله ، فسيطرت عليهــــا

القـرآن

غرائز الحس ، ووساوس الشيطان والنفس .

ولعلها قدرت في نفسها أن بلوغها ما تريد من هذا الفتى الرقيق الخادم، أمر سهل ميسور ، سيسارع الفتى اليه ويحرص عليه ، ولكنه في واد اخر فهو لا يتأثر ولا يستجيب .

وكان الامر في اول الطريق تلميحا وتلويحا ، لا اعلانا وتصريحا ، فأخذت تتفنن في طرق الاثارة والتحريض ، حتى بلغ بها التهالك في حبهـا أن تتبذل امامه ، وتعرض مفاتنها عليه ، وتلطفت في مخادعته واثارته ، لتحمله على ارادتها ، ليستجيب لرغبتها ، والفتى الطهـور الامين لا يزداد الا اعتصاما بربه ، وصيانة لثـوبه ، وحفظا لامانته ، ووفاء للرجل الذي آواه ورعاه واكرم مثواه ، وائتمنه على بيته واهله .

ونفدت حيلة المرأة الهلوك ، ونفد صبرها واحتمالها للمخـادعة ، فاستسلمت واسلمت قيادها ، ولجأت الى المصارحة والمكاشـفة ، بعد أن عجزت أمام حبها الطاغي وشـوقها العارم وعاطفتها المتأججة .

فماذا كان منها وهي السيدة المطاعة صاحبة الترف والنعيم ؟

خلت بيوسف ، واحـكمت اغلاق الابواب ، ووقفت امامه صريعة هواها الجموح ، ونسيت عزها وجاههـا وسلطانها ، وقالت له : هيت لك ... هاأنذا بين يديك ، فهلم اقبل وبادر !

وهنا يشمخ يوسف بعزة الفضيلة ، وأنفة العفة ، وكبرياء الطهر ، ونور الايمان ...

فلا يستجيب للاغراء وانه لقوى ، ولا للاثارة وانها لشديدة ، بل يقول في عزم وإباء مستعيذا بربه : معاذ الله ، انه الهي الذي كرمني فأحسن مقامي بين الناس ، ووفقني للاعتصام به ، والتمسك بالامـانة والصيانة ، وحفظني من الاثم والخيانة .

ولعله أراد بالرب هنا صاحب الدار ومالكها ، وهو العزيز الذي أحسـن معاملة يوسف ، وأوصى به خيرا ، فلا يجوز في شرعة يوسف أن يخونه مهما كان الاغراء ، ومهما كان التحريض، فان الخيانة عاقبتهـا النـدامة والخسران .

ولم تكف المرأة الهلوك عن تهالكها برغم اباء يوسف ورفضه ، فواصلت المحاولة لبلوغ رغبتها ، وكان يوسف قد أراد أن ينجو بنفسه وطهره ، ففـر الى الباب يريد الخـلاص من الموقف المزلزل الذي لا يعرف مابعده ،وجرت المرأة الهلوك وراءه تحاول ارجاعه بكل حيلة ووسيلة ، وجذبته من قميصه فانشق من خلفه .

وهنا حدثت المفاجأة المذهلة ...

ماكاد يوسف وامرأة العزيز يبلغان الباب في هذه المطاردة الثائرة ، حتى وجدا « العزيز » عند البـاب ... يوسف في خوف وفزع ، خشـية الاتهام والافتراء ، والمرأة في دهشة وخوف خشية الافتضاح . ولكنهـا تماسكت وضبطت اعصابها ، ولـم

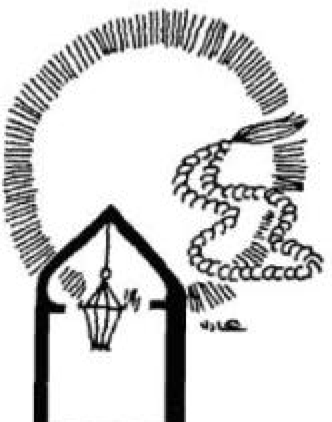
تعمم حيلة ...

سرعان ما لجات الى مكرهاوخداعها لزوجها ، فانقلبت بسرعة من امــرأة مغرمة تتهالك على أن ترضى رغبتها مع خادمها ورقيقها وفتاها . يوسف ، الى زوجــة تتظـــاهر امام زوجها المفاجىء لها فى وضــع غير كريم ، وغير لائق ، بأنها حريصة على شرفه، ثائرة من اجل كرامتــــه ، وطالبت بالسجن او العذاب الاليم ليوســف الذى ادعت بانه اراد الاعتداء عليها.

وذهل يوسف لهذا الافتراء الجرىء، ولكنه تماسك ، وقرر الحقيقة المؤسفة فى حماسة الصادق وقوة المؤمن .

ووقف الزوج حــــائرا لا يدرى ما يصنع ! .

ولكن شاهدا من اهلها لفت الانظار والافكار الى البرهان والدليل :



ان كان قميص يوسف قد انشق من امام ، من جهة صدره ، فهى صادقة فى دعواها ، وهو كاذب لانها تكون قد دافعت عن نفسها وعرضها وهو يهجم عليها ـ كما زعمـــت ـ حيث اخذت بتلابيبه لتدفعه عنها، لحاول أن ينتزع قميصه منها ، فانشق وهما يتنازعان او يتصارعان ...

وان كان القميص قد انشـــق من خلفه فهى كاذبة فى دعواها ، وهو صادق فى انه فر منها ، فلاحقته ، وجذبته من ورائه ، فانشق القميص .

واستبان الصبح لذى عينين .

وادرك الزوج جـــريمة زوجته ولكنه لم يثر ، ولعله كان ضـعيف الغيرة او ضعيف الارادة امام زوجته فاراد ان يطوى الخبر ، وان يســتر الفضيحة ، فنصح ليوسف بأن يكتم النبأ ، ونصح لامرأته بأن تستغفر مما ارتكبت .

ويصور القرآن المجيد هذا المشهد الصـــاخب الثائر المليء بالامواج المتلاطمة ، فيقول :

وراودته التى هو فى بيتهـــا عن نفسه ، وغلقت الابواب ، وقالت : هيت لك . قال : معاذ الله ، انه ربى احسن مثواى ، انه لا يفلح الظالمون

ولقد همت به ، وهم بها ، لولا ان رأى برهان ربه ، كذلك لنصرف عنه السوء والفحشـــاء ، انه من عبادنا المخلصين .

واستبقا الباب ، وقدت قميصه من دبر ، والفيا سيدها لدى البـــاب . قالت : ما جزاء من اراد بأهلك سوءا الا ان يسجن أو عذاب اليم ؟

القرآن

قال : هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها : ان كان قميصه قد قد من قبل فصدقت ، وهو من الكاذبين • وان كان قميصه قد من دبر ، فكذبت وهو من الصادقين •

فلما رأى قميصه قد من دبر قال : انه من كيدكن ، ان كيدكن عظيم • يوسف أعرض عن هذا ، واستغفري لذنبك ، انك كنت من الخاطئين » •

ولقد وقف أهل التفسير طويلا عند قوله تبارك وتعالى : « ولقد همت به وهم بها ، لولا أن رأى برهان ربه » وذهبوا في فهم هذا النص مذاهب . وخلاصة حديثهم أن جمهور المفسرين يقولون : ان المعنى انها همت به هم فعل ، وهم بها هم النفس ، ثم تجلى له برهان ربه ، وتجلى له ايمانه ، فترك وانصرف •

ويرى صاحب « المنار » ان المعنى هو انها همت به كي تضربه جزاء تأبيه ، وتمنعه ، وهم هو بالدفاع عن نفسه ، ورد العدوان بمثله ، ولكنه فكر وتدبر ، فآثر الهرب ، لأنه يعرف عواقب الموقف لو حدث اعتداء ودفاع

ويرى صاحب « ظلال القرآن » رأيا آخر يصوره بهذه الكلمات :

« الذي خطر لنا ان قوله تعالى : « ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه » هو حكاية عن ماض قبل واقعة المراودة وتغليق الأبواب . وموقف التأبي الكامل الذي لا لين فيه ولا اتجاه ، وأنها همت به قبل ذلك ، وقد يكون ذلك مرات ، وهي تغريه اغراء المرأة الصامت ، الذي لا يصرح كما صرحت أخيرا •

وهم بها هم ميل نفس في لحظة من لحظات الضعف البشري — قبل أن يؤتى الحكم والعلم — ثم جاءه برهان ربه فيما أوتي ، وعصم من تأثير الاغراء الأنثوي • وهذا ما يقول عنه القرآن : « كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين » •

والسوء هو الاستجابة النفسية للاغراء ، والفحشاء هي الفعل الذي ينتهي اليه •

فلما كان الموقف الأخير ، كان يوسف محصنا تجاهه بما رأى من قبل من برهان ربه ، فكان رده حاسما قاطعا ، لا يقع معه هم ولا ميل في أية صورة من الصور •

هذا ما خطر لنا ونحن نواجه النصوص ، ونتصور الظروف ، وهو أقرب الى الطبيعة البشرية والى العصمة النبوية ، فقبل ايتاء الحكم والعلم ما كان يوسف سوى بشر • نعم انه بشر مختار ، ومن ثم لم يتجاوز همه الميل النفسي في لحظة من اللحظات فأما بعد الحكم والعلم فقد رأى برهان ربه ، ولم يعد للضعف البشري في مثل هذا الأمر سبيل •

ولا داعي لتكلف تفسير الهم بأنه هم الضرب ، حيث لا يوجد من النص دليل • وكذلك لا داعي لتفسير الهم بأنه ميل نفس في تلك الواقعة ، مع أنه قال : « معاذ الله ، انه ربي

أحسن مثواى ، انه لا يفلح الظالمون » •

فكان برهان ربه حاضرا معه ،فلم يكن ليهم بعد هذا ولو بالميل النفسى كما قال الجمهور •

وموقف المرأة معه هكذا داعية جاهرة ، اقرب الى التنفير منه الى الاغراء الذى يضعف معه ، فيحتاج الى ما يوقف اندفاعه ، ولو كان اندفاع الميل النفسى لا الحيوانى » •

***

لكن الرواية لم تتم فصولا

كان ماكان، وحاول الزوج الضعيف الغيرة أن يطوى الخبر ، وأن يخفى الأثر ••• ولكن هيهات ، فللقصور آذان ، ولجدرانها عيون ••• فسرى النبأ الى طائفة من نساء المدينة .

وأخذن يتحدثن به ، ويزخرفن فيه ، ويستنكرن على امرأة العزيز هذه المراودة ، بعد أن سيطر عليها حبها ليوسف ، واخترق شغاف قلبها واستبد بها •

وسمعت امرأة العزيز بأحاديث النسوة واستنكارهن ، فأرادت أن تكيد لهن ، وفى الوقت ذاته تدافع عن تصرفها ، وتجعل لها عذرا فيما ارتكبت ، حتى تقيم الدليل على أنها مقهورة ، وانهن لو وقفن موقفها ،

لعذرنها واشفقن عليها فدعتهن الى مأدبة فى دارها ، وأجلستهن جلسة لينة مترفة ، وقدمت اليهن الوانا

من اللحم والفاكهة ، وأعطت كل واحدة منهن سكينا تقطع بها مابين يديها ، ولعلها رأت أن تكون السكين قاطعة مرهفة الحد •

وبينما النسوة مشغولات بالطعام واستعمال السكاكين ، أمرت امرأة العزيز فتاها يوسف الجميل الفاتن الجمال ، ان يخرج عليهن فجاة ببهائه وروعته ، فاذا الدهشة تذهلهن ،واذا هن بسبب هذا الحسن الرائع والجمال البارع ـ يفقدن اتزانهن ، أو وعيهن فيجرحن بالسكاكين الماضية الرهفة أيديهن ، بدلا من تقطيع ما يأكلن ، ذاهلات عما يفعلن ، واندفعن يقلن ـ كأنهن تواصين بالقول ـ : حاشا لله، ما هذا بشرا ، ان هذا الا ملك كريم !!

وانتهزت امرأة العزيز الفرصة وسخرت منهن قائلة : فذلك الذى لمتننى فيه !" وأنتن الان بعملكن هذا قد شهدتن لى ، فقد أوتى يوسف ـ كما يعبر صاحب الظلال ـ من روعة الجمال ما غلب البابكن فى الوهلة الاولى من ظهوره امامكن ، فما قولكن الان فى أمرى معه ، وافتتانى به ، وقد ترعرع فى دارى ،وبلغ أشده واستوى أمام سمعى وبصرى، أشاهد جماله ليلى ونهارى ، فى قعوده وقيامه ، ويقظته ومنامه ، وطعامه وشرابه ، وحركته وسكونه ، وطالما ترامت له فى زينتى ، وعرضت عليه ما ظهر وما خفى من محاسنى ومفاتنى ، وهو لا يزداد الا اعراضا عنى ، واحتقارا لتصرفى !

وواصلت امرأة العزيز الاستجابة لطغيان عاطفتها ، فهددت يوسف ـ ان لم يستجب لها ـ بأنها ستسجنه وتذله وتقهره • ولكن يوسف لم يبال بهذا الوعيد ، بل اتجه الى ربه يرجوه ويدعوه ، ويقول له فى نجواه : ان السجن أحب اليه من الاستجابة لذلك النداء الاثيم : نداء الشهوة المسعورة العارمة ، وسأل ربه أن يصرف عنه كيد هؤلاء

القرآن

النسوة ، حتى لا يضعف او يلين ـ ذات مرة ـ امام الكيد الموصول والتحريض المستمر والاثارة المزلزلة، فاستجاب الله دعاءه ، وحقق رجاءه ·

وتصور السورة الكريمة هذه المرحلة من القصة بهذه الكلمات :

« وقال نسوة فى المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه ، قد شغفها حبا ، انا لنراها فى ضلال مبين ، فلما سمعت بمكرهن ارسلت اليهن ، واعتدت لهن متكئا ، وآتت كل واحدة منهن سكينا ، وقالت : اخرج عليهن ، فلما رأينه اكبرنه ، وقطعن ايديهن ، وقلن : حاش لله ما هذا بشرا ، ان هذا الا ملك كريم·

قالت : فذلكن الذى لمتننى فيه ، ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ، ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونن من الصاغرين ·

قال : رب السجن احب الى مما يدعوننى اليه ، والا تصرف عنى كيدهن اصب اليهن ، واكن من الجاهلين· فاستجاب له ربه، فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم »

●●●

ثم بدا لاهل العزيز ان يسجنوا يوسف الى اجل غير معين ، لاخفاء القصة ، وكف السنة الناس عن الخوض فيها ، ونسبوا الى يوسف ما نسبوا من اتهام ملفق ، لتسويغ سجنه ، والزور قديم العمر ·

وقضى يوسف فى السجن ما قضى، وهو يبشر بدعوة التوحيد ، ويظهر من علمه وتعبيره الرؤى ما يظهر ، وبعد بضع سنوات هيات الاقدار ليوسف ان يستشيره ملك مصر حينئذ فى رؤيا رآها ، ويفتيه يوسف فيها بعلم وفهم وفطنة، ولا يغيب ذلك كله عن ذهن الملك ·

ويرسل الملك الى يوسف يستدعيه لمقابلته ، فيابى يوسف ان يخرج من السجن، حتى يحقق الملك فيما صنع النسوة من كيد وافتراء ، حتى لا يلقاه ورقبته معلقة بتهمة هو منها برىء·

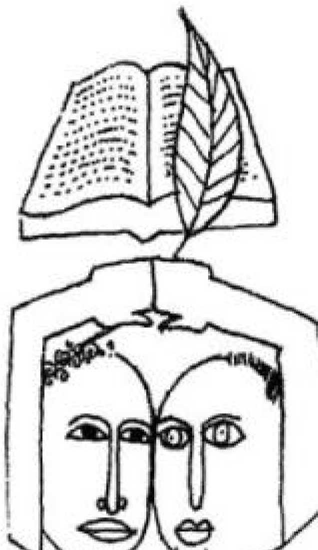
انه لا يفرح بالحرية الظلنية ، ولا يسارع الى الخروج من السجن قبل ان تظهر براءته واضحة معلنة على رءوس الاشهاد · انه يطلب الى الملك ان يستجوب اولا هؤلاء النسوة اللاتى قطعن ايديهن ، حتى يمحص تلك المكايد التى ادخلته السجن ، ويعلن براءته ونزاهته على الملا ·

واستجاب الملك لطلب يوسف هذا

الانصاف ، وجمع النسوة ، وسألهن حقيقة الامر ، فجهرن ببراءة يوسف، وقلن : حاش لله ، ما علمنا عليه من سوء .

وهنا تقدمت امرأة العزيز فى قوة وجرأة ، واخذت تنفى عن يوسف الاثم ، وتنزهه عن العيب ، وتعترف بانها راودته عن نفسه فاستعصم .

وذكرت أن اعترافها هذا ، تريد منه ان يعلم يوسف انها لم تسمح لنفسها ان تطعن فى شرفه وهو غائب فى السجن ، وها هى ذى الان على رءوس الاشهاد تشهد بطهارته وبراءته ، وتشهد على نفسها بانها اساءت اليه ، واساءت الى نفسها ،



وتسأل ربها تبارك وتعالى العفو والمغفرة .

تقول السورة الكريمة عن هذا المشهد من مشاهد القصة :

وقال الملك : ائتونى به فلما جاءه الرسول قال : ارجع الى ربك فاسأله مابال النسوة اللاتى قطعن أيديهن ؟ ان ربى بكيدهن عليم .

قال : ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه ؟ . قلن : حاش لله ما علمنا عليه من سوء . قالت امرأة العزيز : الان حصحص الحق ، انا راودته عن نفسه، وانه لمن الصادقين ذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب ، وأن الله لا يهدى كيد الخائنين ، وما ابرىء نفسى ، ان النفس لأمارة بالسوء ، الا ما رحم ربى ، ان ربى غفور رحيم » .

ورجعت امرأة العزيز الى الحق ، واعترفت بالحق ، واعتصمت بالحق ، فأثنت على يوسف وفكرته، وعادت الى ربها تائبة مؤمنة .

وكان لابد من المصير الكريم العظيم ، ليوسف التقى الامين ، فاذا الاقدار تجعله صاحب الرأى والسلطة . واذا الله يقدر يوسف قدره ، ويرفع ذكره : « وقال الملك ائتونى به أستخلصه لنفسى ، فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين أمين .

قال: اجعلنى على خزائن الارض، انى حفيظ عليم .

وكذلك مكنا ليوسف فى الارض ، يتبوأ منها حيث يشاء ، نصيب برحمتنا من نشاء ، ولا نضيع اجر المحسنين ، ولأجر الاخرة خير للذين امنوا وكانوا يتقون » .

د. سيد نوفل

أجمل قصص الحب في

الأدب العربي القديم

اذا كان الحب هو الحياة، وكان الادب صورة الحياة والانسان ، فليس عجبا ان يكون الحب نبع الادب العربي الفياض ، وملهم شعر الضاد الخالد على الزمان ... والنسيب ، او حديث الحب ، او المطلع الغزلي للقصيدة العربية ، هو آية الرابطة الوثقى بين الادب والحب .. فالوقوف بمعاهد الحبيبة بعد رحيلها ، ووصف طيفها المترائي في كل آن ، والبكاء الحار في يوم الفراق ـ تلكم جميعا ، وما اليها ، اشجان يستفتح بها الشاعر قصائده منذ الجاهلية حتى العصر الحديث ، ويستلهم بها روائع الخيال ، وآيات البيان .. ولم يفلح الشعراء الذين ثاروا على نهج الحب ، كابي نواس والمتنبي ، لانهم ثاروا على طبائع الاشياء ، ولهذا لم يجدوا بدا من النزول على حكمها . وحين فقد بعض الشعراء حافز الحب المعطاء، بالاستهتار او التكسب او اللهث وراء اعراض الحياة الدنيا ، تصنعوا الحب تصنعا ، وغنوا في غير انفعال اناشيد السابقين من المحبين المخلصين ...

هذه سبيل الشعر العربي منذ المهلهل الذي أرق الشعر بأحاديث الهوى والحب ، وابن أخت امرىء القيس الذي صبغ الشعر بصبغة الغزل الثابتة ، الى عنترة ، فحسان بن ثابت فذي الرمة فالمجانين ، فعمر بن أبي ربيعة ، حتى ابن زيدون ومن تبعه الى شوقي أمير الشعر العربي العظيم •

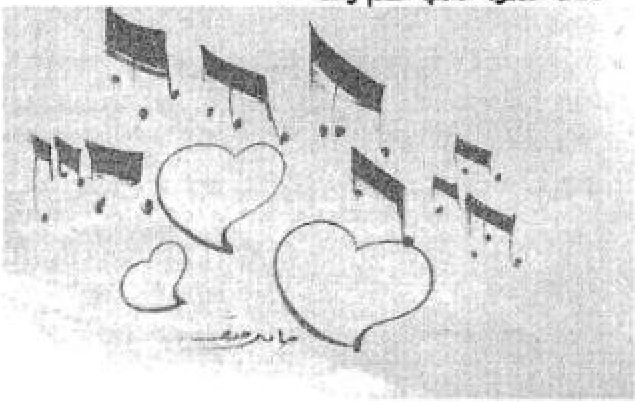
● السياسة والحب ●

بل ان السياسة والفكر وسائر العلوم العربية ، قد اصطبغت جميعا بصبغة الحب ، ونعمت في جناته ، وتعذبت في نيرانه ، حيث تشابه فيه متاع النعمة بمتاع العذاب ••

وكان محمد رسول الله يسمع في المسجد من كعب بن زهير وحسان بن ثابت أحاديث الهوى في الشعر •• وانكر عمر ، في تشدده السياسي ، على حسان مذهبه ، ولكن حسانا تكسره بصنيع الرسول •• وتعصب معاوية الى القرشيين بتوفيد ما جبلوا عليه من النعمة والفتاء وما يتصل بهما من أحاديث الحب والهيام •• وعارض العراق الغزل في معارضته السياسية لحكم الشام •• وحين انحرفت السياسة انحرف معها حديث الحب بالتشبيب ومحاولة النيل من الحرائر ، وكان العرجي في العصر الاموي أبلغ مثل لذلك •• بل ان الامر استشرى حتى بلغ مناسك الحج في مثل قول الشاعر :

يا حبذا الموسم من موقف ... وحبذا الكعبة من مسجد ! •
وحبذا اللاتي يزاحمننا ... عند استلام الحجر الاسود ! •

وفي مصر ، برزت محاولة لاصلاح ما اعوج من أحاديث الهوى •• فقد منع عبد العزيز بن مروان والي مصر الاموي العطاء عن الشعراء الا اذا ذكروا أمه بالاسم في شعرهم ومدحوا فضائلها وسجاياها ، تذكيرا بأن عظمة المرأة من عظمة الرجل ، وان قيمة الامة فيهما معا •• ويروى أن الرشيد ، زعيم النهضة العربية العباسية ، حبس أبا العتاهية وضيق عليه حين تزهد وامتنع عن الغزل وراء عابا •• ومهما تكن الدوافع ، فذلك برهان على صلة السياسة بالغزل خاصة في اعتدادها التام ، لتلك العصور ، على الشعر دعامة للدعوة لمذاهب الحكم ونظمه ••



● الحب والفلسفة ●

وكان الحب ابرز ما يكــون فى الفلسفة العربية .. وابن قيم الجوزيه يجمــع ، فى كتابه روضة المحبين ، خمسين لفظا للحب ، يمعن فى تفسيرها وتحليلها ، وبيان دقائقها واسرارها ، ويورد الكثير من احوال اصحابها . ويفصل اصولها وسبلها ، كما يفصل الوانها من الحب والكلف والوجـد ، واللوعة والغرام ، وغيرها ..

ويفلسف الشعراء الحب ، فيرونه اعز ما يملك فى الحياة ، والفارق بين الانسان والجماد ، ومصدر الاخــلاق الكريمة .. فيقولون :

اذا انت لم تعشق ولم تدر ما الهوى فكن حجرا من يابس الصخر جلمدا

ويقولون :

وما سرنى انى خلى من الهـوى ولو ان لى ما بين شرق ومغـرب

ويقولون :

وما احببتهــا فحشــا ولكن رايت الحب اخلاق الكــرام

وابن سينا ، الفيلســوف العربى العالمى ، وضع رسالة فى تحليل العشق ونظم قصيدته الشهيرة المعبرة عن تلاقى الارواح فى عالمى السماء والارض :

هبطت اليك من المحل الارفـع ورقاء ذات تعزز وتمنـع

ولابن الفارض فى ذلك قصيدة منها :

بينى وبينك فى المحبة نسبة مطوية من قبل هـذا العالم

نحن الذين تعارفت ارواحنـا من قبل خلق الله طينـة آدم

على ان ابن حزم ، الفيلسوف الوزير الاديب الاندلسى ، وعلم النصف الاول للقرن الخامس الهجرى ، سبق وتفوق فى كتابه : « طوق الحمامة فى الالفة والالاف » .. وعنيت بدراسته فى القرن التاسع عشر اوربا الشرقية والغربية ، وانزله المستشرقون منزلته الرفيعة ..

وقد فلسف ابن حزم فى رسالته الحب اعمق فلسفة وحلله ادق تحليل ، وجمع روعة البيان وسمو الفكر .. وقسمها ثلاثين بابا .. منها عشرة فى اصول الحب ، تشمل باب من احب بنظـرة واحدة ، وباب المراسلة ، وباب السفير .. ومنها اثنا عشر بابا فى اعراض الحب وصفاته الحميدة وغير الحميدة ... وتشمل ابواب الصديق المساعد ، والوصل ، وطى السر ، والكشـف والاذاعة ، والوفاء ، والغدر ، والضنى ... ومنها ســتة ابواب فى الآفات الداخلة على الحب ، وهى ابواب العاذل والرقيب ، والواشى ، والهجر ، والبين ، والسلو .

● قصة البطولة والحب ●

وارتباط البطـولة والحب فى الادب العربى امر سائر مطرد ، بل انه سائر مطرد فى جميع الآداب العالمية التليدة .. ومن اروع امثال هذا الارتباط سيرة

عنترة بن شداد العبسى ، من شـعراء المعلقات وابطال الجاهلية الخالدين . وقد اصبحت هذه السيرة قصة للبطولة فى عصر المواجهة العربية المنتصرة على العدوان الاستعمارى الصليبى فى القرن الحادى عشر الميلادى .. وظلت كذلك فى عصر المواجهات العربية المتصلة لالوان الاستعمار المتعاقبة على وطننا حتى القرن العشرين ..

وسيرة حياة عنترة التى تمثـل الشجاعة والغرام ، ترهص بالاخـلاق الرفيعة التى اوحى بها الاسلام ، واعلى كلمتها ، وكانت مثار الاعجاب والتقدير من خاتم المرسلين واصحابه الراشدين .. فقد عاش عنترة بن شداد العبسى فى النصف الثـانى للقرن السادس الهجرى . وكان ابوه من زعماء قبيلة عبس ، ووالدته أمة حبشية .. وظل الفتى الشجاع يعانى لونه الاسـود ورفض ابيه نسبته اليه على عـادة عرب الجاهليـة فى أولاد الاماء ، واعتبارهم من العبيد لا الاحرار ... ويهيم حبا بابنة عمه عبلة . لكن رقه يؤدى الى رفض عمه له ، ويزيد نيران الهوى بين جوانحه لهيبا ..

ولا يضعف الشاعر الشـجاع ولا يتخاذل ، وانما يزداد قوة وهيـاما واصرارا ... ويستطيع آخر الامر أن يحطم الاعراف الجامـدة والتقاليـد الظالمة ، وان يكره أباه على الاعتـراف بحريته ونسبته اليه ..

فبعد ما اشتهرت بطولات عنتـرة واعماله الباسلة الخارقة ، شنت قبيلة نبيان حربها الضروس الضنية على بنى عبس .. ودعاه ابوه لرد الغازين . لرد عنترة وقد نفـد صبره وارهقـه هواه : وهل يحسن العبد القتال ؟ لكن اباه يجيبه على الفور : قاتل ، فانت حر ! ويعلن فى الملا نسبة عنترة ابنه الفوار اليه .. ويسجل عنترة البطل الانتصارات التاريخية فى حرب داحس والغبراء ، وينال حبيبته عبلة ، ويعيش حتى تتقدم به السن ، ويموت الشيخ العجوز فى معركة ضارية يخوضـها ضد قبيلة طيء ..

ومنذ تحرير الفارس اتصـلت له اسباب القوة والنصر ، فاخذ يقـود الكتائب فى غزوات متصلة على طيء وغطفان وحنيفة من اعداء عبس .. وسجل أروع ملحمات البطولة فى حرب داحس والغبراء التى امتدت عشرات السنين .. وسارت فى العرب أحاديث انتصاراته ، وروائع اشعاره ..

ولكن عبقرية الحرب والشعر تزيد حساده والمبغضين له من اعـداء قبيلته المنتصرة به ، فلا يكف شعراؤهم عن هجائه بسابق الرق وبأمه الجـارية الحبشية .. لكنه يدفع ذلك بقوة وبأمر شديدين يتمثلان في الكثير من شعره .. ومنه قوله :

ان المنية لو تمثـل مثلت … مثلى اذا نزلوا بضنك المنـزل
انى امرؤ من خير عبس منصبا (١) … شطرى ، واحمى سائرى بالمنصـل (٢)
واذا الكتيبة احجمت وتـلاحظت … الفيت خيرا من معم مخـول
والخيل تعلم والفـوارس اننى … فرقت جمعهم بضربة فيصـل
اذ لا ابادر فى المضيق فـوارسى … او لا اوكل بالرعيـل الاول ...
ان يلحقوا اكرر وان يستلحموا … اشدد وان يلفوا بضنـك انزل

فعنترة ، كما يصور نفسه من شعره ، هو المنية تفتك بالناس ، ولا يفتك احد بها . وموضوع النسب لا يصـح ان يثيره الحاسدون .. فهـو من عبس شطره لابيه ، أما شطره لامه فيغنى عنه سيفه البتـار الذى لا يختلف فيه

---

(١) المنصب : الاصل
(٢) المنصل بضم الميم وكسر الصاد : السيف .

المتخلفون ، والحرب تشهد له حين يتردد المترددون ويخشى هولها الخائفون . انه افضل من الذين اجتمع لهم شطرا النسب من الاب والام ان المعين المخولين .. وهو الى جانب شجاعته وحسمه فى القتال ، يكتمل به الاباء ونبل الخلق ، حتى يفضل الجوع على الماكل غير الكريم ... فاى عظمة لمخلوق ارفع من هذه العظمة ؟ !

وعشق ابى الفوارس عنترة يتمثل فى غزله النابع من قلب متيم ، يحب عبلة حبا عميقا ساميا ، يصرفه عن كل امراة سواها ، وتستيقن بذلك عبلة ذاتها ، وان قامت السدود والحواجز بينهما سنوات طوالا ..

ولئن سالت بذاك عبلة خبرت   ان لا اريد من النساء سواها

وهو يذكرها فى كل وقت وان ، ولاتصرفه عن تصورها وتذكرها شواغل الحرب ... بل ان سيوف العدو حين تلمع وتصيب جسده فيقطر منها دمه ، تذكره بصورة ثغر عبلة الباسم ، فيود تقبيل سيوف الاعداء وان سامته سوء الفناء والبوار :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل   منى وبيض الهند تقطر من دمى
فوددت تقبيل السيوف لانها   لمعت كبارق ثغرك المتبسم

وتطول عليه الايام ، ولا ينال مناه فى القرب منها ، ويمنونه ويمنى النفس بلقائها فى الغد الذى يزداد طولا ونايا ، ويزيده هياما وشوقا :

قالوا : اللقاء غدا بمنعرج اللوى   واطول شوق المستهام الى غد !.

ويتحول شوقه الى ما يتصوره نارا شديدة الاوار ، مستعرة اللهيب ، تمحو نقوش المبرد اذا دنا منها :

وتخال انفاسى اذا رددتها   بين الطلول محت نقوش المبرد

وهكذا يتخيل نفسه فى عذاب مقيم ، وفى بعيد منعزل عن الحياة ، بما حيل بينه وبين الحبيب الذى يملك كل نفسه ، ويفيض بحبه قلبه ، ولا يجد للحياة اى معنى بدونه :

وقد ابعدونى عن حبيب احبه   فاصبحت فى قفر من الانس نازح

وكثيراً ما انطوى على نفسه يعاتب الدهر اللدود الذى لا يلين ولا يرحم ، ويخفى الجوى بين جوانحه ، ولكن الدموع تفضح ما خفى من هواه ..

اعاتب دهرا لا يلين لناصح   واخفى الجوى فى القلب والدمع فاضح

لكن الحب لم يستذل عنترة ، بل زاده قوة وشجاعة واقداما ، وزاد اخلاقه النبيلة سموا وطهارة .. واذا ما ارادت الحبيبة ، بعد الظفر الشاق بها ، ان تثنيه عن القتال ، وان تحبب له الحرص على الحياة ، نهرها وسخر من فكرها ، وجابهها الراى فى تصميم قائلا :

بكرت تخوفنى الحتوف كاننى   اصبحت عن غرض الحتوف بمعزل
فاجبتها ان المنية منهل   لا بد ان اسقى بكاس المنهل
فاقنى حياءك (١) لا ابالك واعلمى   انى امرؤ ساموت ان لم اقتل

---

(١) اقنى حياءك : احفظيه ولاتضيعيه .

بل ان الحب بآماله وإشراقاته جعله يحب الحياة ، في جميع مظاهرها ، ويندمج فيها أيما اندماج ، ويزداد نضالا في سبيلها ..

وهكذا كان عنترة ، ببطولته وحبه المثالي ، مصدر الهام وتطلع للأمة العربية في الجاهلية والاسلام ، وعامل قوة في نضالها ضد قوى الاستعمار والعدوان لمختلف العصور ... ولهذا لم يكن عجبا ان تكون سيرة عنترة ، أو عنتر كما تسميه العامة وأن تصبح من الادب الشعبي الخالد على الزمان، وهي تضم نحو عشرة آلاف بيت من الشعر السهل المرسل ..

وتقع الطبعات التي ظهرت منها في القرنين التاسع عشر والعشرين في اثنين وثلاثين جزءا .. وهي متعددة الزمان متشعبة المكان .. لأحداثها، تسبق مولد عنترة ثم تقص أثر البطل في مراحل النشأة والبطولة والشيوخة، وتتناول غزواته وانتصاراته ... وتتجاوز جزيرة العرب ، حتى تشمل العالم القديم المعروف من مصر والحبشة وفارس والهند والجنوب الاوربي .. وقد اكتملت في مصر في القرن الرابع عشر الميلادي ، على اختلاف في منشئها ومؤلفيها ..

وقد نقلت هذه الملحمة أوربا في القرن الثامن عشر .. وفي القرن التاسع عشر ادخلها مؤرخو الادب الاوربيون في ميدان الادب العالمي المقارن ، وأطلقوا عليها اسم « الياذة العرب » .. وكان الشاعر الفرنسي الشهير لامارتين تستولي عليه نشوة الاعجاب والحماسة لعنترة .. ووضع الفيلسوف الكبير « تين » عنترة في صف أبطال الملاحم العالمية الكبرى ، مثل سيجفريد ، ورولاند ، ورستم ، وأوليوسيوس ، وأخيل .. وشبهه بعض المستشرقين بهرقل في الادب الاغريقي، وشبهه آخرون بشمشون الجبار في العهد القديم ..

وهكذا أعز عنترة البطولة والحب في حياته ، كما أعزهما وخلدهما بعد مماته ..

أقاصيص الحب العذري

والادب العربي ، وخاصة الشعر ، حافل بأقاصيص الحب .. وفي صدر الاسلام كان هنالك الشعراء العذريون المفتونون بأحاديث الهوى ، على نحو



واقعي ، يبرزون فيه المحاسن والمتاع بالجمال والوصال .. ومن هؤلاء عمر ابن أبي ربيعة ، والاحوص بن محمد وعبد الله بن قيس الرقيات ..

لكن هنالك طائفة اخرى ذهبت في الحب مذهباً مثاليا عفيفا ، وهم شعراء البادية في الحجاز ، والذين يطلق عليهم اسم العذريين .. وقد جاء هذا الاسم نسبة الى قبيلة عذرة البدوية الحجازية موطنا ، اليمنية أصلا . وقد اطلق « الحب العذري » على الحب الطاهر ، تزينه رقة الشعور ، ورهافة الحس ، ونبل العاطفة ، والترفع عن مظاهر المتاع المادي الدنيا .. وكثرت قصص العشاق العذريين في القرن الأول الهجري ، تأثرا بدعوة الاسلام ، ومعانيها الرفيعة السامية .. ومنهم جميل وصاحبته بثينة ، وقيس وصاحبته لبنى ، والمجنون وصاحبته ليلى ، وعروة بن حزام وصاحبته عفراء ، وذو الرمة وصاحبته مي .

ومسالكهم في الحب ذات فتنة وعبرة معا ، ونجتزىء منها بقصص ابن الملوح او مجنون ليلى ، وجميل بن معمر ، وقيس .

● قصة ابن الملوح ●

وابن الملوح من اشهر الشعراء في صدر الاسلام ، وقصة حبه كانت مصدر الهام ادبي منذ حياته حتى هذا العصر .. وهو في أصح الروايات عامر بن ملوح بن مزاحم من قبيلة بني عامر . وصاحبته هي ليلى بنت مهدي بن سعد ، وتتصل بنسبه ... وقد اشتهر حديثا باسم قيس كما رويت له أسماء اخرى . وقد عاش في القرن السابع الميلادي ، وتوفي في منتصف العقد التاسع منه .

ويروى انه مر في صدر شبابه على نسوة يتحدثن ، فدعينه فنزل واخذ يتحدث اليهن في مودة .. ووقعت عينه على ليلى فتمكن حبها من قلبه لاول نظرة .. وخصها بحديثه .. وحاولت صواحبها صرفه عنها لكنه زاد اقبالا عليها .. ثم سالها : هل لديهن طعام ؟ فاجابت : لا ! وحينئذ عمد الى ناقته فنحرها واخذ يقطعها .. وجاءت لتمسك معه اللحم وهو يقطعه ، فجعل يحز بالمدية في يده حتى ادماها فجذبت المدية من يده وهو لا يدري .. وحين اخذا يشويان اللحم ظل ، في استغراقه بليلى ، يقلب الجمر بيده حتى أحرقها ، ولم يتنبه الا ان شدت يده من النار بهدب قناعها .. ! ثم ذهبت وقد تحكم عشقها من قلبه ، وبادلته الحب ، واخذا يرعيان الغنم معا ، ويتجاذبان اشعار الغرام ، الى ان حجبت عنه فداخله الجنون .

وفي ذلك يقول

تعلقت ليلى وهي ذات تمائم ولم يبد للاتراب من ثديها حجم..
صغيرين نرعى البهم ياليت اننا الى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم

ولكن المجنون كان يتردد على ليلى سرا ويزورها ليلا ، الى ان كشف امره ، فشكاه اهل حيها الى مروان ، فكتب الى عامله يهدر دمه ، اذا وجده

عند ليلى ·· وحين اشتد بها السقم للبعد عنه حج بها اهلها للاستشفاء ، وزوجوها من ثقيفي تعلق بها ، فازدادجوى عامر وجنونه ، وقال شعرا كثيرا يمثل حاله ··

ثم صمم على لقائها رغم اهدار دمه قائلا :

ولا خير في الدنيا اذا انت لم تزر حبيبا ولم يطرق اليه حبيب

ولقى المجنون ليلى وهو يهذى فسلمت عليه ثم قالت :

اخبرت انك من اجلي قد فارقت اهلك لم تعقل ولم تفق

فرفع رأسه اليها في حلم جميل منشدا :

قالت جننت ، على رأس ، فقلت لها : الحب اعظم مما بالمجانين

لو تعلمين اذا ما غبت ما سقمى وكيف تسهر عيني ، لم تلوميني !··

وفارقته في أسى شديد ، وزاد وجدهبها ، فهجر الناس الى الوحش يعايشها ·· واراد اهله علاجه بالحج ، فحملوه الى البيت الحرام ، وأخذه أبوه الى الكعبة طالبا ان يدعو الله ليتسيه ليلى ·· لكنه يقول : « اللهم زدني بها كلفا ، وفيها تلفا ! » ، وانشد :

وناديت أن يا رب اول سؤلتي لنفسي ليلى ثم انت حسيبها

لئن اعط ليلى في حياتي لا يتب الى الله خلق توبة لا اتوبها ٠ !

ثم انساب من اهله ، وأمعن في البادية معايشة للوحش واندماجا فيه ، وبحثا عن معاهد ليلى بين الشام واليمن وركوبا الى جبل التوباد يستوحيه ذكرى ايامها العزيزة الذاهبة ·

ويحتال المحتالون لصرفه عن حاله ،لكنه يرى ذكر ليلى ومراسلتها وتنسم اخبارها هي كل ما بقى له من الحياة ·· ويظل كذلك حتى ينعيها الناعون اليه بعد سقمها او تنقل الرياح اليه نبأ وفاتها فيموت بموتها ··

ومهما يكن من أمر الباحثين في شخصية المجنون وتفردها أو تعددها ، وصحتها أو انتحالها ، فانها لاريب شخصية كانت ذات اثر بعيد المدى في سيرورة ذلك المذهب الشعرى القائم على الفناء في المحبوب ، وتقدير أن الحياة معه وحده ، ولا حياة بغيره ·

وذلك تأويل قول الاصمعي ، سألت اعرابيا من بنى عامر بن صعصعة عن المجنون العامرى · فقال : عن ايهم تسألني ؟ فقد كان فينا جماعة رموا بالجنون ! فقلت : عن الذى يشبب بليلى ؟ فقال : كلهم يشبب بليلى ·· ! ، وأستنشده الاصمعى لبعضهم، فانشده من اشعار الجوى لعدد منهم ·· وحين استزاده الاصمعى ، قال الاعرابي : « حسبك ! فوالله ، ان في واحد من هؤلاء لمن يوزن بعقلائكم اليوم » !

● قصة جميل بن معمر ●

وجميل هو ابن عبد الله بن عامر ، نشأ في قومه بني ربيعة بوادى القرى، بين مكة والمدينة · وعشق بثينة منذ صباه من قومه وهما لا يزالان صغيرين، وتناقلت الانباء عشقهما ·· وحين شب خطبها فردوه على عادة العرب في استهجان الزواج لمن جرى بينهما الغرام ··

وروى ان عشقهما جاء على اثر سباب بينهما ·· فقد كان يسرح أبله يوما بوادى البغيض ، فالتت مع جوارلها وعبثن بفصيل له ، فتساب جميل وبثنية وسمع من حديثها ما سباه وملك لبه ·· وعبر عن ذلك فقال :

واول ما قاد المودة بيننا   بوادي بغيض يا بثين سباب
وقلت لها قولا فجاءت بمثله   لكل كلام يا بثين جواب

واستعدى أهلها عليه ، بعد أن شاع امره ، مروان بن هشام الوالي الاموي على تيماء ، فمضى مستخفيا الى الشام لا يكف عن أناشيد الغرام ببثينة ..

وبذلت المحاولات لافراقه عنها بغيرها ، ولكن المحاولات تفشل جميعا بل تزيده هياما بحبيبته التي خلقت له وخلق لها .. ويقول كثير مثل قوله :

علقت الهوى منها وليدا فلم يزل   الى الآن ينمي حبها ويزيد
وافنيت عمري في انتظاري نوالها   وافنت بذاك الدهر وهو جديد

وكان امير المؤمنين عبد الملك بن مروان ، يتابع انباء جميل وبثينة ، ويجد متاعا عظيما في الاستماع اليها من كثير عزة صديق جميل .. وبعد أن تقدمت بها السن دخلت على الامير لمازحها فاجابته بذكائها الذى اسر جميلا أول ما لقيها ...

فقد روى انها دخلت على عبد الملك وقد اخلقها الدهر وناءت بآلام الهوى المبرح طويلا .. فقال لها مازحا « ما الذى رأى فيك جميل حتى عشقك ؟ ! » فقالت : « ما رأى فيك الناس حتى ولوك الخلافة » ! ..

ومهما يكن من شيء فقد شرد الحب جميلا ، بعد أن اهدر دمه ، وظل مع ذلك يحتال لاختلاس لقائها او النظر اليها رغم ما يخلفانه من تأجيج نيران الهوى ولجأ الى الشام ، ولجأ الى اليمن .. ثم لم يجد بدا من اللجوء الى مصر ، وأن يتزود بنظرة من حبيبته قبل الرحيل ..

وفي ذلك يقول الشاعر المفتون في قصيدته الدالية الشهيرة :

الا ليت ايام الصفاء جديد   ودهرا تولى يا بثين يعود !
وما أنس م الاشياء لا انس قولها   وقد قربت نحوى : أمصر تريد ؟!
ولا قولها لولا العيون التي ترى   اتيتك فاعذرني فدتك جدود
خليلي ما أخفي من الوجد ظاهر   ودمعي بما اخفي الفؤاد شهيد
اذا قلت : ما بي يا بثينة قاتلي   من الحب قالت ثابت ويزيد
وان قلت ردي بعض عقلي اعش به   مع الناس قالت : ذاك منك بعيد

وبعد أن يستفيض في وصف الهوى المتبادل بينهما ، يتمنى أن يحظى بالمبيت ليلة في واديها ، وأن يجدد ما رث من حبل الوصال ..

الا ليت شعري هل ابيتن ليلة   بوادى القرى انى اذن لسعيد
وهل اهبطن ارضا تظل رياحها   لها بالثنايا القاويات وئيد ..
وهل ألقين سعدى من الدهر مرة   ومارث من حبل الوصال جديد !

لكن مقامه بمصر يتصل ، ويزيده جمالها تذكرا لها ، حتى يسقم ويمرض مرضه الاخير ، ويموت بمصر بعد أن يبعث بنعيه مع حلته اليها ، وهو :

بكر النعي وما كنى بجميل   وثوى بمصر ثواء غير قفول
بكر النعي بفارس ذي همة   بطل اذا حم اللقاء مذيل ..

ويبلغها النعي ، وترى حلة حبيبها ، فتخر مغشيا عليها ، وتفيض روحها منشدة :

وإن سلوى عن جميل لساعة من الدهر لا حانت ولا حان حينها
سواء علينا يا جميل بن معمر اذا مت بأساء الحياة ولينها ..

وهكذا يموت العاشقان الثاليان في العام الاول للقرن الثامن الهجري ... وتخلد مصر ، ويخلد الشعر العربي والادب العالمي ، حب جميل وبثينة ...

● قصة ابن ذريح ●

وابن ذريح هو قيس بن ذريح الليثي الكناني عاش بين العقدين الثالث والتاسع للقرن السابع ، ولد ومات ببادية المدينة .

وقد أحب قيس لبنى وأراد زواجها ولكن اباه الفتى الشريف يعارض لانه يريد مصاهرة رجل شريف غني مثله . ويلجأ ابن ذريح الى الحسين بن علي أخيه في الرضاعة ليذهب معه الى ابي لبنى ليقنعه بقبول يده .. ويحتفي ابو لبنى بحفيد الرسول ويجيب رجاءه على ان يخطب ابنته ابو الفتى حتى لا يسلقه العرب بألسنتهم نقدا وتجريحا ، فوق ما يسلقونه على الرضا بزواج العاشقين .. ويذهب الحسين الى ابي الفتى فيقنعه ، ويتم الزواج بين المحبين ويسعدان به اتم السعادة .. لكن الام تغار من زوجة ابنها ، وتصر على التفريق بينهما ، ويقتنع الاب بحجة ان لبنى عقيم وان ثروته سوف تنتقل الى اهلها ..

وتحتال الوالدة للتفريق بين ابنها وحبيبته ، ويقاوم الابن سبع سنين حسوما ، ثم تنتصر الام حين تصر على قتل نفسها بالوقوف على الرمضاء في ظهيرة اشد الايام حرارة ، او ان يطلق الابن زوجته .. ويتغلب بر الوالدين على الحب ، فيضحي بحبيبته في سبيل الابقاء على حياة امه ..

وتزداد نار الحب بالفراق اشتعالا .. ويمرض قيس فيزوجه والداه من شريفة جميلة لكنه يهجرها .. كما يتزوج لبنى أهلها من فتى غطفاني مرموق لكن حبهما يزداد لقيس .. ويتواصلان ، ويحتال قيس حتى يطلقها .. ويستعيد زواجها في احدى الروايات .. وفي رواية اخرى انها ماتت قبل زواجها فمات قيس على اثرها .. وان معاوية ابن ابي سفيان اهدر دمه قبل وفاته لاصراره على وصال متزوجة من غيره .. وكانت اشعار قيس من اجمل اشعار الهوى العذري . ومنها في وصف الوان حبه ومعاناته :

أحبك أصنافا من الحب لم اجد لها مثلا في سائر الناس يوصف
فمنهن حب للحبيب ورحمة بمعرفتي منه بما يتكلف
ومنهن الا يعرض الدهر ذكرها على القلب الا كادت النفس تتلف
وحب بدا بالجسم واللون ظاهر وحب لدى نفسي من الروح الطف

ومنها في وصف شقاء الفراق :

اقضي نهاري بالحديث وبالمنى ويجمعني والهم بالليل جامع
لقد رسخت في القلب منك مودة كما رسخت في الراحتين الاصابع
احال على الهم من كل جانب ودامت فلم يبرح على اللواذع
الا انما ابكي لما هو واقع فهل جزعي من وشك ذلك نافع ؟
وقد كنت ابكي والنوى مطمئنة بنا وبكم من علم ما البين صانع

وهكذا كانت قصة ابن ذريح ولبنى مسرحا للاحداث السياسية يتلاقى فيها الصراع بين شيعة علي والامويين ، مثلما هي مسرح لصراع المعاني الانسانية بين بر الوالدين وهوى الحبيب وكانت على كل حال غناء اعظم غناء للشعر العربي ، وللادب الانساني ، وللامثال العليا الخالدة ...

محمد عبد الغنى
حسن

أجمل قصص الحب فى

الأدب العربى الحديث

لقد استطاع شاعر مثل « عمر بن أبى ربيعة » فى العصر الاموى أن يصور لنا أروع مغامراته الغرامية فى قصص شعرى جميل . وما قصيدته الرائية التى مطلعها : (أمن آل نعم انت غاد فمبكر) الا نموذج رفيع لهذا الضرب من القصص الغرامى الفاتن • على ان ابن أبى ربيعة ليس الا واحدا من حفنة من شعراء العرب السابقين صوروا لنا حبهم فى قصص ياخذ بمجامع القلوب •

الحق أن شعراءنا المحدثين والمعاصرين قد اثبتوا ـ بما تركوا لنا من قصصهم الشعرى الغزل ـ أنهم لا يقلون عن سابقيهم من رفقاء الدرب الطويل استمتاعا بالحب، وتخليدا له فى شعرهم ••• ولن نحصى منا تلك القصص الشعرية القصيرة الحلوة التى أبدعها لنا شعراء الحب من أمثال خليل مطران وابراهيم ناجي وأحمد رامي ، وجبران خليل جبران ، وأبو القاسم الشابي ، وعبد القادر رشيد الناصرى ، والياس فرحات ، وصالح جودت ، وعبد الخالق فريد ، وغيرهم ممن لا يسعفنا المجال بذكر اسمائهم •

والحق أيضا أن هؤلاء الشعراء قد جعلوا من حبهم حكايات تحكى، وقصصا تقص ، حتى لنجد شاعرا مثل (صالح جودت) يختار لبعض دواوينه حكايات قصصية مثل : (حكاية قلب) و (ليالى الهرم) و (اغنيات على النيل) ••• بل انه لا يبالى حين يجعل الثرثرون من حديث حبه « حكاية » فى الحى حين يقول :

قالوا حبك حبنـــــا حـــكاية فى حينـــا
يوغــل فيها الموغلون من قصــــا ، ومن دنـــا
ما ضرنا من قولهـــم يا فاتنى ؟ ما ضرنـــا
وما علينـــا منهمو وما لهم ، وما لنــــا ؟
أما ملأنا الجو عطـــرا ، وجمـــالا وسنـــا ؟؟



ابو القاسم الشابي



د. ابراهيم ناجي

ولقد وفق الشاعر العربي المعاصر في أن يجعل من حديث حبه حديثا يروى وحكاية تقص . تماما كما فعل شاعرنا (صالح جودت) في حكايات حبه. وما قصة (خصلة الشعر) التي سجلها الشاعر المهجرى الياس فرحات الا خير توكيد لما نود أن نقول ... لقد أهدت اليه حبيبته خصلة من شعرها توكيدا لما بينهما من عهد ، ثم شاءت ظروف الحياة وملابساتها أن يفترق كل منهما في طريق ، وأن يجد كل منهما عش الغير الذى كان يحلم به ... واذا بصديقنا الياس فرحات ينظم (الحكاية) في قصيدة نشرت سنة ١٩١٨، وما كانت تنشر حتى شرقت وغربت ، ورواها الناس وحفظوها في العالمين الجديد والقديم ، وفيها يقول فرحات :

خصلة الشعر التى اعطيتنيها ... عندما البين دعاني بالنفير
لم ازل اتلو سطور الحب فيها ... وسأتلوها الى اليوم الاخير
خنت عهد الحب لا بأس ، فانى ... مكتف بالاثر الغالى الثمين
لست بعد اليوم أحيا بالتمنى ... بعد ان متبقتى عشر سنين ؟
احمد الله ! انما الاخلاف منى ... انني كنت لك الحب الامين
راجعى سيرة حبى راجعيها ... فهى نور ساطع للمستنير
واذا مرت بك الريح سليها ... انها تعرف من امرى الكثير ...

ولما اسعدنى الشاعر الياس فرحات بزيارتى فى سان باولو بالبرازيل صبح اليوم الذى كنت عائدا فيه الى أرض الوطن بعد رحلة طويلة ، ذكرته بقصة « خصلة الشعر » . ولم اكن اقصد ان اتنكر ناسيا ، او اتبه غافلا ، فافاق بعد روايتها له كأننى ايقظته من نوم لذيذ ..

والواقع ان شعراء العاطفة والحب فى عصرنا الحديث لم يبخلوا على قرائهم بأروع قصص حبهم . وليس الشاعر منهم صاحب قصة واحدة ، ولكنه صاحب قصص وقصص ... حتى ان الزواج والحياة الزوجية المستقرة لم تصرفهم عن خلق قصص جديدة فى الحب ... ! فهذا شاعرنا (ابراهيم ناجى) يقرر صديقه وصفيه (صالح جودت) انه لولا اتساع افق زوجته

(ما استطاع ناجي أن يواصل رسالته كشاعر . وهو يطالعها كل يوم بقصائد مطولات عن حبه القديم . ثم يختتم أمسياته كل ليلة بجديد من غزلياته ، مرة في « راقصة » ، وأخرى في « سمراء الحقل » ، وثالثة في « هند » ورابعة في « سونيا » وخامسة في « زازا » .. الخ ...) . وعجيب جداً – بل ومؤسف – أن تنتهي هذه الحكايات كلها الى « سراب » ... قد عبر عنه ابراهيم ناجي بقوله :

كم أناديك في التداني فترتد   بلا مغنم لي الأصداء
وأناديك في دماني أتنسا   ب على حسرة لدى الدماء
وأناديك في التداني وما اط   مع الا أن يستجاب النداء
باسمك العذب ، انه أجمل الأسـ   ـماء مهما تعددت أسماء

لفظة لا تبين ، تنطلق الأقـ   دار عن قوسها ، ويرمى القضاء
وهي بين الشفاه ناي وتغر   يد وطير وروضة غناء
وهي في الطرس «قصة» تذكر الأحـ   ـباب فيها ، وتحشد الانباء

وليس من الضروري في عالم القصص الشعري العاطفي أن يمسك الشاعر قلمه ليقول لنا في صراحة : هذه قصة حبي فاسمعوها ! أو ينبهنا – فيما يشبه الانذار – الى أنه يعرض علينا حكاية غرامه . فالشاعر انسان رقيق رفيق . ولم يبلغه غلظ الطبع أن يدق لنا ناقوس حبه في صراحة مكشوفة . فالشاعر (أبو القاسم الشابي) قد فرغ من صلواته في (هيكل الحب) ليقص لنا حكاية حبه في حرارة وتدفق وعمق حيث يقول :

عذبة أنت كالطفولة كالأحـ   ـلام ، كاللحن ، كالصباح الجديد
كالسماء الضحوك ، كالليلة القمـ   ـراء ، كالورد ، كابتسام الوليد

يالها من طهارة تبعث التقديس في مهجة الشقي العنيد
يا لها رقة تكاد يرف الورد   منها في الصخرة الجلمود ...
أنت .. ما أنت ! أنت رسم جميل   عبقري من فن هذا الوجود
فيك ما فيه من غموض وعمق   وجمال مقدس معبود
أنت ما أنت ؟ أنت فجر من السحر تجلى لقلبي المعمود
وتبثين رقة الشوق والأحـ   ـلام والشدو ، والهوى في نشيدى
أنت أنشودة الأناشيد غنـ   ـاك اله الغناء ، رب القصيد

خطوات سكرانة بالأناشيد ، وصوت كرجع ناي بعيد
وقوام يكاد ينطق بالألحا   ن في كل وقفة وقعود
كل شيء موقع فيك حتى   لفتة الجيد ، واهتزاز النهود

فاذا كان شاعرنا ابو القاسم الشابي لم يجد من اللائق لجلال الحب أن يعرض علينا قصة حبه معنونة بعنوان صريح لا غبار عليه من لف أو تعمية أو تورية ، فان شاعرنا المرحوم «عبد القادر رشيد الناصري » قد رأى من الاوفق أن يكاشفنا بحكاية غرامه العارم في ملحمة طويلة ، جعل عنوانها: (قصة حبي) · ولا بأس ان نجعلها من اجمل قصص الحب في الشعر العربي الحديث · وهذه الملحمة كان «الناصري» كثيراً ما يشير اليها في معرض الحديث عن آثاره ويصرح — غير مرة — بأنها تقع في اكثر من خمسمائة بيت ، ولكن الذي نشر منها في جريدة « الزمان » البغدادية ، ومجلة « الورود » اللبنانية لا يكاد يصل الى خمس هذا القدر ، على حين استقام للمحققين النابهين : هلال ناجي ، وعبد الله الجبوري منها ستة وثمانون ومائة بيت ، أودعاها الجزء الثاني من « ديوان الناصري » الذي اشرفا على جمعه وتحقيقه بعناية بالغة · ويقول عبد القادر رشيد الناصري في افتتاح قصة حبه :

هذه قصـــة حبي وصـــبايا   كتبتهـــا بدم القلب بدايا
كلمـا غنيت منها مقطعـــا   رقص الكون على سحر غنـايا
هي سلوى القيـد في الليل اذا   لعب الشـوق بأكباد الصبايا
وستبقى في فم الدنيا صـــدى   وترى الدامي ، وحزني ، وأسايا

***

قصـــة الحب الذي الهمني   غزلاً يسبي ، وانغاما شــجيه
وتراتيل هــوى ، مابثهـــا   « قيس » من قبل «لليلى» العامرية
فكأني والهــوى أســطورة   من أساطير العصـــور الازليه
وأنا وهي التي احببتهـــا   كوكبا وحي بأفق الشـــاعريه

***

بعثت للحب فيها صـــورة   عن هوانا والمحبون صـــور
وعن الشـــوق الذي اذبل في   روض أحلامي مخضـــل الزهر
وعن السـهد الذي شـاركني   مضجعي الناس بمسود الفكر
وعن الشــك الذي اسلمني   لضـــلالاتي ، وأوهامي الاخر

***

أهو الحب ام عــذاب خالـــد   ملا الـنفـــا بعيني ظلاما
أم هي النـــار التي في اضلعي   اكلت قلبي وبعته حطـــاما
أم ولا ادري ســوى اني يد   اقسمت أن تشرب الكأس غراما
يورك الحب الذي اطعمتـــه   كبدا حـــرى ، وأشواقا يتامى

وبعد هذا الافتتـــاح الموضح اخذ الشاعر يسرد قصة حبه في أسلوب أخاذ ، وعاطفة جياشة ، ونغم ساد حزين ·

وليس الشاعر « النـاصري » هو الوحيد بين شعراء العـراق المعاصرين الذي عرض قصة حبه ، فالشاعر « عبد الخالق فريد » كان لقصة حبه بقية عرضها في ديوانه « صلاة المطـــر » ، وهو سادس ديوان يعرض هذه البقية ، بعد دواوينه : (نداء الاعماق) و (أغاني الحان القديم) و (المطر الضائع) و (أحزان البنفسج) و (الشـــروق الغارب)·

***

ويســـوقنا الحديث عن أجمـل قصص الحب في الشعر العربي الحديث

الى قصة الشاعر (ابراهيم طوقان) مع فتاة احلامه من « وادى الرمان » فى ارض فلسطين ، التى يقول فيها :

ايا وادى الرمـــان لاطبت منزلا ... اذا هي لم تنعم بظلك سرمـــدا
كأنى لم انزل بيـــارك مـــرة ... ولم الق فى اهليك حبا ، ولاندى!

والحق أن فتاة « وادى الرمان » قد الهمت شاعرنا ابراهيم طوقان قصة حب كبير ... فقد شاهدها مرة فى مكتبة الجـــامعة الامريكية ببيروت ، فتمنى أن يكون حظه منها كحظ كتابها الذى تقلبه اناملها ، وقال فيها :

وغريـــرة فى المكتبه ... بجمـــالها متنقبـــه
ابصرتها عند الصبا ... ح الغض تشـــبه كوكبه
جلست لتقرا ، او لتكـ ... ـتب ما العلـــم رتبـه
فدنوت اسـترق الخطى ... حتى جلست بمقـــربه
وحبســت ، حتى لا ارى ... انفـــاسى الملتهبـــة
ونهيت قلبى عن خفـو ... ق فاضـــح ، فتجنبه..

وهل يغفل تاريخ الادب العربى الحديث قصة الحب بين الشـــاعر « جبران خليـــل جبران » والكاتبة النابغة الانسة « مى »؟ لقد تراسـل الاثنان وكانت بينهما رسائل تعد من أجمل ما أثر فى الادب العربى المعاصر. وما أرق شاعرنا جبران وهو يكتب الى « مى » قائلا :(يكفينا ياصديقتى ما فى الايام والليالى من الدمـــوع والاوجاع والمتاعب والمصاعب ! ان من يستطيع الوقوف أمام المجرد المطلق لا يلتفت الى كلمة جاءت فى كتـاب ، او ملاحظة أتت فى رسـالة . اذن ! فلنضع خلافاتنا ـ واكثرها لفظية ـ فى صندوق من الذهب، ولنرم بها الى بحر من الابتســامات !.. ما أجمل رسائلك يا مى ، وما أشهاها ! فهى مثل نهر من الرحيق يتدفق من الاعالى ويسير مترنما فى وادى احلامى ، بل هى كالاوتار ...)

وقصة الحب الجميلة بين جبران ومى لم يحوها كتاب قائـــم بذاته ، أو حكاية مستقلة . ولكنها قصة فاتنة تحتويها الرسائل المتبادلة بين جبـران ومى ، فهى رسائل تشف فى مجموعها عن قصة حب عميق ، وغرام دفين لم توف الايام بثمرته التى كانت مرجوة.. الى أن كان ما كان من محنة مى فى مغربها الاخير ...

وكانت العيون والقلوب تقع على الانسة « مى » فلا تلبث ان تقـع فى



جبران خليل جبران



الياس فرحات

شباك حبها . وهو حب كان مبعثه في الغالب التقدير الروحي لا الاعجاب الجسدي . لقد أحبها أحمد لطفي السيد ، باشا ، وأحبها الدكتور يعقوب صروف ، وأحبها الشيخ مصطفى عبد الرازق، وأحبها الدكتور منصور فهمي ، وأحبها سلامة موسى ،وأحبها احمد حسن الزيات ، وأحبها الشاعر « اسماعيل صبري باشا »وأحبها حتى الدكتور شبلي شميل ـ على شيخوخته العالية ! كما احبها مصطفى صادق الرافعي ! أما عباس محمود العقاد فقد احبها كذلك ،وكانت احد حبيه في حياته ... أما حبه الاخر فكان لسارة ، التي صنع فيها رواية برمتها عنوانها : (سارة) ولما سأله المرحوم (طاهر الطناحي) عن الحب في حياته اجابه بقوله :(لقد احببت في حياتي مرتين: « سارة »و « مي »)· وقال عن مي : (كانت مثقفة ، قوية الحجة ، تناقش· وتهتم بتحرير المرأة واعطائها حقوقها السياسية· كما كان فيها بعض صفات الرجال ، من حيث انها جليسة علم وفن وأدب ، وزميلة في حياة الفكر· اى ان اهتمامها كان موزعاً بين العلم والانوثة ...)

فالعقاد ـ باعترافه ـ أحب في حياته كلها ـ وفي وقت واحد ـ حبين اثنين وهذا بالطبع غير حبه الساذج العفيف البريء في صباه .. أما حبه لمي ـ التي كان يسميها في شعره :(حسنا) وكان يسميها في قصة سارة (هندا) ـ فقد كان حبا يقوم على الاعجاب والتقدير لمواهب الفكر ومجالي الروح ، وفيها يقول من قصيدة تحت عنوان : الى حجاج روما ، وكانت مي تقوم برحلة اليها :

الى روما ! لكم منا الولاء ... وثناء عاطر بعد ثناء
وسلام كلما شاء لنا ... شارق الصبح ، أو أظلم المساء
في حماكم كعبة ترمقها ... مهج منا ، وأعناق ظماء
كعبة ، لاكالتي يعمرها ... بينكم رهط القسوس الحلفاء
من حياة هي ، لا من بنية ... فناؤها صخر ، وبناها طلاء..

ويقول منها مخاطبا « مى » التى رمز اليها باسم «حسن» :

أنبئني يا «حسن» من ذاك الحمى ... أنت ، لا القبلة من ذاك البناء
وجلتني اليوم في مغربها ... وجهك الباسم ، لا وجه «ذكاء»
سكنت روما التي أنت بها ... وسرى يمنا بها سارى القضاء
وكساها لك نساج الربى ... كل يوم زينة تستلى الشتاء

أما حب العقاد لسارة – كما هي باسمها في القصة لا باسمها الحقيقي – فهو حب من نوع آخر غير حبه لمي ... ويقول في تعليله للفرق بين الحبين : (قد يميز الرجل امرأتين في وقت واحد ، ولكن لابد من اختلاف بين الحبين في النوع أو في الدرجة ، أو في الرجاء ...

فيكون أحد الحبين خالصا للروح والوجدان ، ويكون الحب الآخر آخذا في الادبار – والهبوط · أو يكون أحد الحبين مغريا بالرجاء ، والحب الآخر مشوبا باليأس والريبة

ويصور لنا العقاد بقلمه الفرق بين الحبيبتين : سارة ، وهند – التي ترمز الى الآنسة مى – بقوله : (لقد كانت سارة وهند على مثالين من الأنوثة متناقضين : كلتاهما أنثى حقا لا تخرج عن نطاق جنسها ، غير أنهما من التباين والتنافر بحيث لا تتمنى احداهما أن تحل محل الثانية وتوشك أن تزدريها · فاذا كانت سارة قد خلقت وثنية في ساحة الطبيعة ، فهند خلقت راهبة في دير، من غير حاجة الى الدير ! تلك مشغولة بأن تحطم من القيود أكثر ما استطاعت، وهذه مشغولة بأن تصوغ حولها أكثر ما استطاعت من قيود ، ثم توشيها بطلاء الذهب ، وترصعها بفرائد الجوهر ... الحزن الرفيع ، والألم العزيز شفاعة عند « هند » مقبولة اذا لم تكن هي وحدها الشفاعة المقبولة · أما عند «سارة» فالشفاعة الأولى – بل الشفاعة العليا – هي النعيم والسرور ... تلك يومها جمعة الآلام ، وهذه يومها شم النسيم !...)

ولن نستطيع أن نلخص هنا قصة « سارة » أو قصة الحب العنيفة الجميلة بين العقاد وسارة ولكن قصيدة « أنت هي الدنيا » التى نظمها العقاد في هذه الأنثى الفاتنة تستطيع أن تلخص لنا أجمل قصص الحب في الأدب العربي الحديث، حيث يقول شاعرنا رحمه الله :

ماذا من الدنيا – لعمرى – أريد ... أنت هي الدنيا ، فهل من مزيد ؟
فيك لنا نور ، ونار معا ... والنجم زهرا والمدى بعيد
وفيك روض مسفر عاطر ... وجوهر حر ، ودر نضيد



ابراهيم طوقان

ونشـــوة الخمـــر اذا قوبلت   بنشـــوة منك متـــاع زهيـد
والفن – ان لم تك نجـــواه من   نجواك – لغو باطل لا يفيــــد

وكل مافى الـــــكون من روعة   لها التقلير فيك حى جـــديد
بل انت دنيا غيـر هذى الدنى   وكل حب فيه كـــــون وليد

واذا كانت « سارة » ، بما فيها من الحب العنيف ، والشك المريب هى من اجمل قصص الحب فى الادب العـربى الحديث ، وهى نوع من ادب الاعتراف الصريح عندنا ، فان هناك قصــــة (جزر الخطيئة) لصديقنا الشـــاعر المهجرى الكبير (شـــكر الله الجر) الذى انتقل الى رحمة الله من اشهر ، وكنت معه على أمل ان القاه فى جزر الخطيئة ناقدا لها ، ومعـــرفا بها . فشاء الله أن التقى بمواقع خطـــــاه ومواطىء قدمه فى ريو دى جانيـــرو والجزيرة الجميلة ، وجزيرة « باكتا » فى ميــــاه المحيط الاطلسى بالبرازيل حيث شهدت تلك البقاع الفاتنة الحسن مدارج حبه ، وصبوات غرامه .

والحق ان قصة (جزر الخطيئة (١) للشـــاعر شكر الله الجرهى من أجمل قصص الحب فى أدبنا المعـــاصر . ولا يعيبها مافيهـــا من صراحة وحب للاســـتمتاع الى أبعد الحدود ، كما لا تعاب قصة (سارة) للعقاد بذلك .. وحسبهما انهما كتبا عن الحب من واقع تجاربهما الذاتية ، كما كتبا عن المتعـــة فى الحب بما لاعهد للمكتبة العربية العفيفة به .

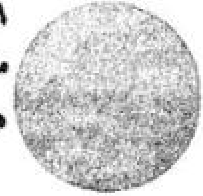
ولقد كرع الشاعر شكر الله الجر من نبع الحب الجميل دون أن يجد فى النهاية بللا لغلته ، او اشــــباعا لنهمه ... وحسبه انه عاد فى آخر قصته – او فى اولها – ليغرد فى أسف الذى فاته كل شىء :

ويحنا نتلمس السـعادة فى الحب   فالفى اروا حنـــــــــــا الما
لم تقلص ، ولا تروى ، من الحسـ   ـن عيونا ، ولا تبل فمـــــــا
تتلاقى اوجهـــــا على هذه الار   ض وتمضى فى ليلها حلما ...

(١) نشر دار الثقــــافة ، بيروت لبنان – ١٩٠ صفحة من القطع الكبير

صالح
جودت

الشعر والفن



« قيلت فى الملتقى الاسلامى الذى عقد من ١٠ الى ١٩ يوليه بمدينة تلمسان بالجزائر ، جوابا عن سؤال مطروح بالملتقى : هل الشعر والفن عاملا بناء ، أو هدم فى حياة الشعوب ؟ »

مَنْ زانها باللمحات الحسان ؟ ... ومن كساها الخزّ والطيلسان ؟
ومن غذاها بعبير الربى ... ومن سقاها من عيون الجنان
ومن جلاها من سُلاف النهى ... وصبوة الروح وسحر البيان
من زفّه للتاريخ أحلى الرؤى ... فبارك الرحمن هذا القران
ومن بنى من لبنات العلا ... أمجادها حتى غدت تلمسان
وأصبحت فى الغرب زين القرى ... ونافست بغداد والقيروان ؟
والله ، لا السيف على بأسه ... ولا جلال الملك والصولجان
فكل هذا عَرَضٌ زائل ... والفن والشعر هما الباقيان



من ادّعى أنهما فتنة — من عبث الليل ولهو الدّنان
من أنكر الخير بمُحيّاهما — ومن قضى أن يُوءدَ التوأمان !

لا تظلموا الفن بهذا القلى — أو تصموا الشعر بهذا الهوان
فما جمال العيش لولاهما — وراحة الروح وأنس الجنان

وجهان من إشراقة الخلد لم — يأت بأحلى منهما الأصغران
لو اغتربنا عن مغانيهما — تقتلنا بعدهما الغربتان

هاما بنور الله زُلفى ، كما — هام بنور القمر الفرقدان
وحُبّبا فينا ، كما حُبّبتْ — فى جنبات الكعبة الصخرتان

❁❁❁

الفن ؟ عاش الفن تعويذةً — تضفى علينا لمسات الحنان
وتطرح الهم وتجلو الأسى — وتجمع الاحباب تحت الكنان

الفن ، نستقبل من لطفه — وجه الربيع الطلق فى كل آن
لولاه لم تخطر بنا فرحة — ولا زها عرس ولا مهرجان

وسوف يبقى الفن ملء الدُّنى — ويلبث الفنان ملء العِيان
ماهدهد القلب صدّاح المنى — وغرد الطير على غصن بان
وأودع اللهُ اللهاةَ الشجى — وألهم الابداعَ طرف البنان

الشعر والفن

ما أجدب الأيام إمّا خلت   من نغمات الكرد والأصفهان
وبئس ليلٌ مابه آهةٌ   من أم كلثوم ومن اسمهان
وياهوى « المألوف » إما استوت   أنغامه فوق ثغور القيان
ويا هناء الروح إما انتشت   برنّة العود وسحر الكمان
بَعدهما تحلو الليالى كما   تحلو صلاةُ الفجر بعد الأذان

***

والشعر ؟ عاش الشعر إرثا به   يهز عطفيه ضمير الزمان
أبقى على الفصحى ترانيمها   وردّ عنها اللهجات الهِجان
يا رحم الله عكاظا ، أما   كانت لفرسان القوافى الرهان
وكانت الحجّة فى عهدهم   وكانت المجمع والبرلمان
يقضون فيها من خلافاتهم   بالشعر ما تعجز عنه السنان
ويُسْدنون البيت فى رفعهم   للملحمات الغرّ حول السدّان

***

الشعر ، لا الشعر الجديد الذى   يطول أو يقصر كالأفعوان
أضحى ، وقد قصّوا تفاعيله   وهنًا كصوت العبد بعد الختان
تراه من عُجمة إيقاعه   يكاد يحتاج إلى ترجمان
ويقرع السمعَ بلا غنّة   ويُرسِل الوقعَ بغير اتّزان
فشَطر بيت كله كلمة   وآخر عِدّته كلمتان
وثالثٌ يجرى على أربع   كالكلب أو كالقرد أو كالأتان

ويلبس الألـــوان مجـــــلوبة ... من عالم الصُّــفرة والارجوان
مصـدورة الوجـدان مأجورة ... ممســـــوخة الأصباغ كالبهلوان
يا عرب الدنيــــا ألا فانفـروا ... وأنكروا بالله هـــذا الرّطان
فالشــــعر ما خلّد دستوره ... خليلنـــــا البصري عبر الزمان
فـــلا أبو الطـــيب أزرى به ... ولا ارتضى شوقى له أن يُهان

***

يا رادة الاســــلام عفـواً اذا ... أدرتُ كأس الشعر حول الخوان
ملأتهـــا حبّـاً فأســـكرتكم ... من صفوها الحلو الحلال الرّيان
أيهما أدنى لكم ؟ هل عمر الخيــام أم كسرىُ أنو شــيروان ؟
و «المعّرىُ» الفرّد ، هل نفحه ... أبقى لكم أم نفح «يمورسان» ؟
من قال إن الشعر أزرى بنــا ... وبدّد الملك وهدّ الكيان ؟
والله ما ازرت بنـــا محنــــة ... فى الدهر الا الشعب حين استكان
أســـلم للبـاغى مقـــاليده ... فانفلت البغى طليق العنان
لا تظلموا الشـــعر ، فيا طالما ... كان على الطاغوت حربا عوان
وطالمـــا أحيـــا موات المنى ... وأشعل السيف بكف الجبان
وطالمـــا جلجــل فى قـومه ... يحمى ذمـار الحـق كالديدبان
قـــد يرجـــع الملك الى ربه ... وتنتهى الهـــالة والهيلمــــان
ويذهب الجـاه ويذوِى الغنَى ... وينضب الماء وتخلو الجفـــان
ويسقط الظــالم عن عرشـــه ... وتخمــد النــار ويفنىُ الدخان
ويلبث الشــــاعر فى قبــره ... حياً ويبقى الشعر فى العنفوان

الشـعر إن فات يدىّ انتهى … حظى من الدنيـا فما لى يـدان
والله مالى غـير ايقـاعه … وسيلة ترجى بها الحسنيان

وهبتـه لله أرجـو به … كـرامة العفـو وظـلّ الأمان
نظمته من وسـوسات الحشى … وصغته من خـدقات الجنان

وسقته أنشـودة للهـدى … وصـنته من عثرات اللسـان
فإن تفجرتْ ففى غضـبة … يرضى عليهـا الله والقبلتـان

وفى سـبيل الوطن المفتدىَ … وحسـبةٌ لله يوم الطعـان
وإن تذللتُ فعـن توبـة … لله أتـلوها بقلب مشـدان

لعلنى فى نـدمى أجتـلى … رحمتـه إن توزن الـكفتان
وان تهللت فعـن فرحـة … بنعمـة الله رضـاً وامتنـان

فهـو الذى كم ردّ عنى الردى … ومدّ لى فى العيش هذا الليان
وان تغـزلت فلا عن هـوى … للناعسـات الناعمـات اللدان
وانمـا تسـبيحة للـذى … استودع الحسن وجوه الحسان

***

الشـعر ، ما أدناه من عروة … تربطنـا إمـا نـأى المشرقان
الشـعر ، ما أغلاه من دعوة … إمّا دعانا للفـدا الممعـان

الشـعر ، ما أحـلاه من ندوة … إن ضمنا فى الله هـذا المكان
مهمـا افترقنا فى الدنى بعـده … تظل فى أعمـاقنا تلمسـان

● صالح جودت ●

الشـعر والفـن



أجمل قصص الحب

الأدب الفرعونى

ادب الحب ، هو ادب الحياة .. الحياة الاجتماعية فى انبل علاقاتها الانسانية علاقة الرجل بالمرأة ، ووضع تلك العلاقة فى المجتمع ـ تلك العلاقة التى كان المصريون القدماء اول من وضع الاسس التى نشأت عليها ، مع نشأة الحضارة نفسها ..

وقد وصفها موراى فى « عظمة مصر » بقوله : « ليس هناك شعب من شعوب العالم القديم او الحديث رفع منزلة المرأة كما رفعها سكان وادى النيل فنالت حقوقها المدنية والاجتماعية من حرية ومساواة مع الرجل بتشاريع الدين ودساتير المجتمع » .

فتلك العلاقة ومنزلة المرأة فى حياة المجتمع ، هى التى افسحت الطريق للاديب الفرعونى للكتابة عن الحب ، وللحب ..

فكتب عن الحب القصص .. وللحب الاغانى والاناشيد ..



الكاتب الشعبي



الكاتب العام

● **الادب .. والادباء .. والحب**

الادب المصرى القديم هو اقدم انواع الادب ، يتميز بأصالته بحكم توغله فى القدم . كانت له شخصيته القوية وطابعه المميز الذى كان انعكاسا لظروف البيئة فى الزمان والمكان واستجابة مباشرة للعوامل الفكرية والاجتماعية والبيئية والتاريخية التى حددت مفاهيمه والهمت مواضيعه وحددت اساليبه ... فكان انتاجه الخلاق الذى وضع الاساس الذى اهتدى به الادب فى العالم القديم وترك بصماته على الكثير من عناصر الادب العالمى الحديث .

فالكاتب المصرى كان اول من امسك بالقلم .. رأى مولد الزمان فسجله .. وعاصر اول تجربة لبناء الحضارة فدونها . فكان اول من كتب التاريخ . وخلد بقلمه تراثه الفكرى ...

بدأ بأدب السماء التى وهبته نعمة الكتابة وعلمته كيف يمسك بالقلم ، وتدرج منه الى الحكمة وادب التعاليم مرورا بأدب القصة وادب الاساطير .

كان اول من كتب الشعر وغناه والادب وصنفه والقصة ورواها .. كان اول من كتب للمسرح ، واول من ابتدع الادب التصويرى المصور، فجعل من الادب فنا جميلا ومن فنون كتابته واساليبها مادة لذلك الفن ، فغاص بفنون ادابه جميع جوانب التجارب الانسانية وفتح افاقا جديدة للادب ، فكان سخيا فيما قدمه عبر تاريخه الطويل وما خلفه من تراث فكرى خالد .

● كان للكاتب المصرى او حامل القلم مركز ممتاز فى المجتمع وكانت مهنة الكتابة من المهن المرموقة التى تصل فى بعض مراتبها الى درجة التقديس ، وكان لكاتب الادب او كاتب المعرفة النصيب الاكبر فى ادارة دفة الامور وتصريفها سواء فى قصر فرعون او دور الحكم ، وكان الوزير الاول يسبق اسمه عادة لقب الكاتب . فكانت الكتابة حلم الكثيرين حيث تفتح لهم افاقا واسعة .

وبمراجعة تاريخ حياة الكثير من العظماء نجد انهم بدأوا حياتهم بمهنة الكتابة فوصلوا عن طريقها الى مناصب هامة فى الدولة . ولعل اكبر مثل لاعتزاز هؤلاء العظماء بلقب الكاتب ان كثيرا من رجال

الدولة والفنـــانين والمهندسين والاطباء ورؤســـاء الكهنة والقواد العسكريين كانوا يضيفون الى القابهم لقب الكاتب · كما خلـــد البعض انفســـهم بأن نحتوا بعض تماثيلهم على شــكل الكاتب حامل القلم ·

ان الكثير من النصـــوص القديمة تبين مكانة الكاتب في المجتمع المصرى القديم منها بردية حكيم يوص ابنه:

« اعد نفسك لتكون كاتبا وحامـــلا قلم المعرفة

« انها اشرف وظيفـــة تليق بك وتقربك من الاله وترفع شانك

فيوم ان تنادى شخصـــا واحدا يلبى نداءك الف شخص

فتعلو بقلمك على رءوس الاخرين

« ان ما يخطه قلمك سيعيش ابد الدهر وتكون اكثر خلودا مما ينقشه الاخرون على الحجر الصـــلب لانه سيعيش في قلوب الناس ورءوســـهم فلا تمتد اليه يد العبث او التخريب

« تعلم كيف تحرك اصابعك القلم· وكيف يحرك عقلك اصابعك فلا يخط قلمك الا الحكمة والمعرفة وما ينفـــع الناس

اجعل ملف البردى وادوات الكتابة اصدقاءك

ســـتجد انهم اوفى الاصــــدقاء واخلص الندماء ·

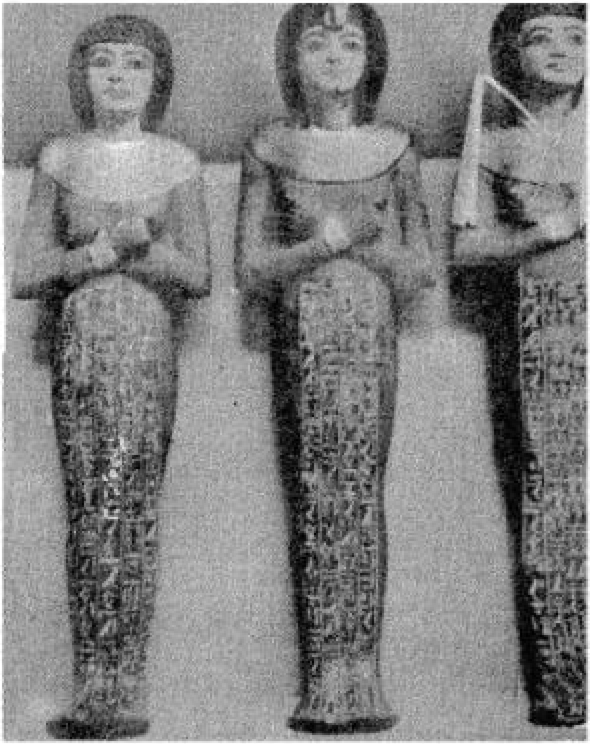
« ستزينك الكتابة بما هو اجمـــل من ملابس الكتان وعطـــور اللوتس ان ما يخطه قلمك هو اعظم ميراث لا تعبث به يد الطـــامعين واثمن من ارث في ارض ناحيـــة الشرق او مقبرة ناحية الغرب ·

« ان الكتابه مهنة مقدســة تقربك الى الاله الذى منحـــك العقل والقلم وتقربك من فرعـــون والناس وتجعلك حبيبـــا للجميع وقريبا الى قلوب الجميع فغذاء العقـــول الذى تقدمه للنـــاس ماة. اما غذاء البطون الذى



كاتب الوحى ورش نحوته على كتفه





تماثيل الاوشابتي .. وصيفات الحب في العالم الآخر

ومن اقوال سنب حتب في وصف ادب الكتابة قوله :

« الكتابة تجعل الكاتب اسعد من امراة وضعت طفلا ، كميلاد الطفل الذى يعوض الام اضعاف ما تحملته من الام في حمله وولادته فلا تشعر باى تعب وهى تقوم لترضعه وتعطى ثديها في فمه كل يوم ».

« فرح هو قلب الكاتب الذى يزداد شبابا كل يوم »

« فرح وهو يسترد اضعاف ما اعطى .. من حبهم وتعظيمهم له ، ومثلها بردية امون حتى حافظ سجلات قصر فرعون » .

« كن كاتبا .. حتى يريح عقلك اجهاد جسمك

كن كاتبا حتى تصبح سيد نفسك ولا تكن تحت امرة اسياد كثيرين

كن كاتبا فتنعم عليك الالهة بحاسة جديدة مقدسة ، حاسة تميزك عن الاخرين فترى ما لا يراه الاخرون وتسمع ما لايسمعه الاخرون . سترى وتسمع بعقلك وقلبك عالم ما وراء الطبيعة . ستتمتع بشهوات عقلك فتسعد قلبك ، ومن كان قلبه سعيدا اسعد الاخرين . ستعيش بمعرفتك وحكمتك التى سيوحى بها اليك تحوتى لتدونها الفك وترسمها ريشتك لتتناقلها الاجيال وتعيش معها مخلدا ».

لقد عبر قدماء المصريين عن الكاتب وهو يجلس القرفصاء وقد نشر على ساقيه ملفا من ملفات البردى وهو يمسك بطرفه باحدى يديه كى يطوى

ما تم كتابته ويمسك بالاخرى ادوات الكتابة من دواة الحبر الاسود والاحمر واقلام الغاب (البوص) او ريشة الرسم .

وكان الكاتب يظهر عارى الرأس دلالة على أنه كاتب عمومى او شعبى ليقوم بتدوين المراسلات والوثائق والعقود الخاصة وحساب المحاصيل والمنتجات لعامة الشعب .

اما الكاتب الرسمى او الحكومى الذى يعمل فى دواوين الحكومة ويحمل شهادة دراسية خاصة ويقوم بتحرير العقود والمستندات الرسمية او وثائق المحاكم فكان يميز عن الكاتب العمومى بغطاء الرأس

اما الاديب وكاتب المعرفة والحكمة فقد رمزوا له بالكاتب الجالس وقد استوى على كتفيه قرد وهو رمز الاله تحوت ، اله الحكمة والكتابة والوحى ، والذى ذكر من صفاته انه يبتدع الكلمات ويجلس فوق رأس الكاتب ليحميه ويوحى اليه بالافكار التى يسطرها .

أما الكاتب كاتم الاسرار فرمز له بالكاتب الجالس الذى يخفى جسمه وساقيه رداء نقش عليه ما يرمز الى قدسية ما يحافظ عليه من اسرار .

وكاتب المعبد الذى يحتفظ باسرار الوجود والمعرفة المقدسة ، فقد ظهر فى عدة أوضاع منها حامل القلم المقدس على شكل صولجان يحمل رأس أحد الالهة التى تحمى المعرفة المقدسة .

ومن رسالة حكيم لابنه :

● فلتكن امنيتك ان تصبح كاتبا فالكتاب اعظم قيمة من مسكن الحياة حيث تشرق الشمس او مقبرة حيث تغرب

انه اجمل من القصر فى البستان او لوحة الدعاء فى هيكل المعبد .

هل بيننا من يضارع زدفرا ؟

هل بينكم من يتساوى مع امحتب ؟

هل فى عصرنا من هو مثل نفرى



حتحور الهة الحب والجمال وحامية المحبين ..

واختي او بتاح حوتي وكاخبر سنب وهم أعظم العظماء

هل بينكم من يقول انه مثل بتاح حتب او كاترس ؟

وتستمر الرسالة في سرد اسماء كثير من الادباء واعلام القلم في مختلف نواحي الادب • وجميع تلك الشخصيات التي ورد ذكرها في البردية ليست غريبة على التاريخ فرددفرا هو احد ابناء الملك خوفو وكان اديبا وشاعرا كتب كثيرا من القصص والاشعار •

وامحتب مهندس الملك زوسر وكانت القابه تجمع بين الطب والهندسة والكتابه والادب

وبتاح حتب عاش في عهد الملك اسيسي •

ويعتبر التاريخ هذه المجموعة او القائمة من الكتاب في مقدمة الادباء المحترفين وكانت اعمالهم الادبية وتخصص كل منهم في ناحية من نواحي الادب موضع تقدير وتعظيم عند قدماء المصريين ابتداء من الاسرات الاولى •

كان الملوك والحكام يشجعون الكتاب ويقربونهم ويمجدون اعمالهم، بل وصل بعضهم الى اكبر المناصب سواء المدنية او الدينية او العلمية او الكهنوتية وكان الكثير من اعمالهم يحفظ ضمن مقدسات المعابد ويدرس في المدارس •

وفي احدى برديات الاسرة التاسعة عشرة وجد نص ملكي اصدره الملك سيتي الاول باعفاء الكاتب والاديب من الضرائب والجزية بانواعها •

لما كان الكاتب العبقرى ينسب اعماله من الخلق الادبي الى الوحي، فقد نسب كل كاتب ما يوحى اليه بانتمائه الى اله او معبود خاص من الهة المعرفة المقدسة ، فنسبوا الى تحوت المعرفة المقدسة والحكمة والى امحتب بعد تقديسه ورفعه الى مرتبة الالهة نسبوا اليه الطب وجعلوا الها لكل علم من العلوم وفن من الفنون.

وكانت الالهة حتحور الهة الحب والجمال هي التي يستمد منها وينسب اليها ادباء قصص الحب وشعرائه ما ينزل عليهم من وحي ومايقدمونه من عمل خلاق •

وكان الكاتب او الاديب في كل فن وناحية من نواحي الادب يحتفظ في بيته او في محراب عمله بتمثال لالهة الوحي ويقدم لها القرابين عن كل ما يقوم به من عمل ادبي خالد كما كان يحمل تميمتها لتحميه وتوحي اليه بالمعرفة المقدسة •

● لقد رفع المصرى القديم مكانة المرأة المصرية من مئات السنين قبل بدء الاسرات . فلعبت عـلاقته بها



المعبودة حتحور الهة الحب والجمال بارك احد المصريين ..



موقف غرامي .. المعبودة ايزيس
تبارك رمسيس الثاني ..

دورا هاما فى بناء حيـــاة مجتمعه واستقراره وتدعيم تراثه الحضارى. نالت المراة المصرية حقوقها ومكانها ومكانتها التى لم تنلها امراة اخرى فى تاريخ العـــالم القديم او الحديث ... خلد علاقته بها ومكانتهـــا فى المجتمع فى فنونه وادابه ـ عبر تلك العلاقة فى فنون النحت والتصـــوير وفى ادبه الدينى والدنيوى .

اختار اكثر الهه الخلـــق والتكوين من النساء ، واعتبر الام مصـــدر نشأة الخلق للحياة وجميع الكائنات. اختارها لتمثل الهة الخصـــب والخير والجمال والفنون والفضـــيلة والموسيقى والوحى للفنانين والادباء.

كما كانت المراة المصرية اول امراة فى تاريخ البشرية والمجتمعـــات الانســـانية تنال حقوقها المدنية ومركزها الاجتمـــاعى الممتاز الذى ساواها بالرجل واحتلت بجـــانبه مركز انصـــاف الالهة والمبجلين . فكانت اول ملكة فى تـــاريخ البشرية مصرية ... وقد جلس على عرش مصر خـــلال تاريخها الطويل ثمانى عشرة ملكة ابتـــداء من الملكة مرى انون فى الاسرة الاولى فى القـــرن الخامس والثلاثين قبـــل الميلاد الى كليوباترا فى القـــرن الاول قبـــل الميلاد .

●ان وضـــع المراة المصرية



منضدة «التواليت» في قصر احدى اميرات الاسرة ١٨ عليها ادوات الزينـــــة ومستحضرات التجميل وقناع الزينة وعليه « الباروكة » والمصاغ والعقود وامامهــا اواني المساحيق وادوات تجميل العيـــون والاظافر والمرآة والامشاط والعطور والكريمات

ومنزلتها في المجتمع منذ فجـــــر الحضارة ، والاحترام المتبـــادل بين الرجل والمرأة الذى حددته لمجتمعـــه شرائعه السماوية وعقائـــده الدينية ومساتيره الاجتمـــاعية ، هي التي وضعت اسس ادب الحب وقصائـــده واغانيه • اطلق الرجل على زوجته اسم (ست ان بر) اى ســـيدة الدار ونادتــــه باسم (سي) أي السيد ، وهي الاصـــطلاحات العامية المتوارثة الى الان وهي « ســـــت البيت و « سي فلان ».

كما نادى الحبيبة باسم الاخت •• ونادت الحبيب باســـم الاخ •• لذا نرى اســـــم الاخ والاخت يتردد في جميع قصص الحب واغـــانيه بمعنى الحبيب والحبيبة • ومما هو جدير بالذكر ان تكـــر اسم الاخت والاخ للتعبير عن المحبوب كان سببـا في ذلك الخطأ الذى وقــع فيه كثير من المؤرخين القدمــــاء وبعض مؤرخي العصر الحديث من ان الـــزواج من الاخوات كان مسموحا به عند قدماء المصريين ، في حين ان الوثـــــائق الرسمية لم تذكر حادثا واحدا لزواج اخ من اخته الا في بعض الحـــالات الملكية التي كانت حجتهم فيها ان يحتفظوا بالدم الملكي المقـــدس في حـــدود الاسرة المالكة ، كما فسرت بعض البحوث الحديثة تلك العلاقة

بان اسم الاخت الذى ورد فى تاريخ ملوك بعض الاسرات قصد به الاخت الملكية او الملكة المحبوبة والمفضلة ، ويؤكد تلك النظرية ان كتب الموتى وتشاريعها الدينية حرمت جميعها الزواج من الاخوات ، كما ورد فى تشاريع كتاب الى فى المادة التاسعة التى حرمت الزواج من الاخت او الابنة او الخالة او العمة ...

ومركز المرأة المصرية فى وادى النيل كان ارفع من مركز المرأة عند جميع الشعوب فى العصور القديمة أو حتى فى عصرنا الحديث ولقد دهش مؤرخو اليونان من حرية المرأة المصرية ومكانتها عندما قارنوها بالمرأة الاغريقية فاخذ مؤرخوهم يسخرون من الازواج المصريين الذين يعيشون فى مجتمع تتحكم فيه النساء • فذكر يوسيفوس ان المرأة المصرية كانت تحتفظ فى عقود الزواج بالعصمة فى يدها وان نظام وراثة الملكية كانت تتبع نظاما نسائيا اى من الامهات الى البنات • كما بالغ ديودورس الصقلى فى قوله ان خاضعة الزوج لزوجته فى وادى النيل كان من الشروط التى تنص عليها عقود الزواج •

كان ذلك الادعاء الخاطىء نتيجة للاحساس بالفارق الكبير والمركز الذى تبوأته المرأة المصرية فى المجتمع المصرى وبين مركزها الضئيل فى المجتمع الاغريقى والاثينى بل فى مختلف مجتمعات الحضارات المعاصرة سواء المرأة البابلية او الرومانية وكانت جميعها مجتمعات للرجال لامكان للمرأة فيها ، وقد ظهر ذلك واضحا فى ادبهم الذى انتشر الى ادب الحب – وقصصه واغانيه الذى كانت له مكانته الرفيعة فى الادب الفرعونى•

ادب قصص الحب

لقد ظهر ادب الحب مع بداية ظهور الادب نفسه ابتداء من الدولة القديمة والعصر العتيق التى اختلط فيها الادب بالاساطير الدينية وابطالها من الالهة والكائنات الخرافية • حاول فيها الكاتب القديم البحث عن الخلود واسرار ما وراء الطبيعة فى اطار الحياة نفسها ... بدأ اساطيره بمغامرات انطلاق الروح نحو السماء



القناع و «الباروكة» المرصعة بالذهب

واختلاطها بالنجوم الازلية والتعرف على ابطالها .

ان اساطير الخلق نفسها سواء اسطورة عين شمس او اسطورة الثامون واساطير حورس وست او ايزيس واوزيريس واسم رع الخفى ، وهى اقدم ما ظهر فى الادب الفرعونى او الادب العالمى القديم تفسر كل منها نظرية الخلق عن طريق قصص الحب والتزاوج بين مختلف الالهة . تتجمع فيها جميع العواطف والغرائز الانسانية من التعارف الى الحب والكره والحقد والخير والشر والغيرة والحسد والنهايات السعيدة ... ما هى الا قصص حب ابطالها من الالهة والمعبودات تدور احداثها بين عالم الوجود ، عالم الغرائز والشر وعالم الخلود ، عالم العواطف والخير .

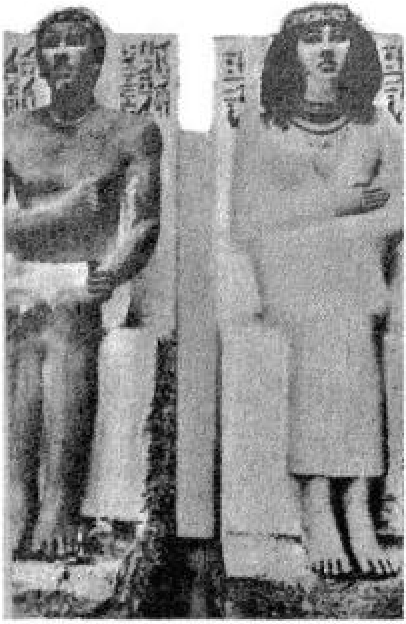
ومع ذلك الادب الدينى ظهرت اول قصص الحب فى العالم ، التى حاول فيها المصرى القديم اظهار مشاعره والتعبير عن احاسيسه التى يستمدها من واقع حياته الاجتماعية وعلاقاته الانسانية بعد اخفائها تحت غلالة من التستر ، فاشرك فى ابطال قصصه بعض الالهة والالهات ، وحول الحب الى نوع من المقدسات ابتكر له الها ومعبودات تعبر عن العواطف والغرائز البشرية ، فجعل من حتحور الهة للحب والجمال واختار الهة للخير والشر ، والغيرة والحسد والزواج والتناسل .

يضع لها ادوارا فى قصصه وتمثيلياته . وابتكر التمائم وما ارتبط بها من اعمال السحر التى تخدم المحبين وتحقق احلامهم وامانيهم وتخدم الاديب فى التحليق بخياله. وهكذا تداخلت قصص الحب المقنع مع اساطير العقيدة ، واشترك ابطالهما فى الادوار التى صاغها الاديب المصرى القديم فى الدولة القديمة بالاسلوب والطابع الذى كان محببا الى قلوب المصريين فى ذلك العصر .

لقد استمر ادب الحب وارتباطه بالعقيدة حتى ظهور الدولة الوسطى وظهور الثورة الادبية الاولى بعد عصر الاضمحلال والتى اطلق عليها المرحلة الكلاسيكية فى الادب الفرعونى تغلبت فيها على الادب الافكار العميقة والبحوث الفلسفية الى حد ما ، وفيها تطورت اساطير الحب الى قصص الحب التى تربط بين الدنيا والاخرة .. بين المحسوس والغيبى فظهر ما اطلق عليه تعبير



حفلات السحر فى الدولة الحديثة

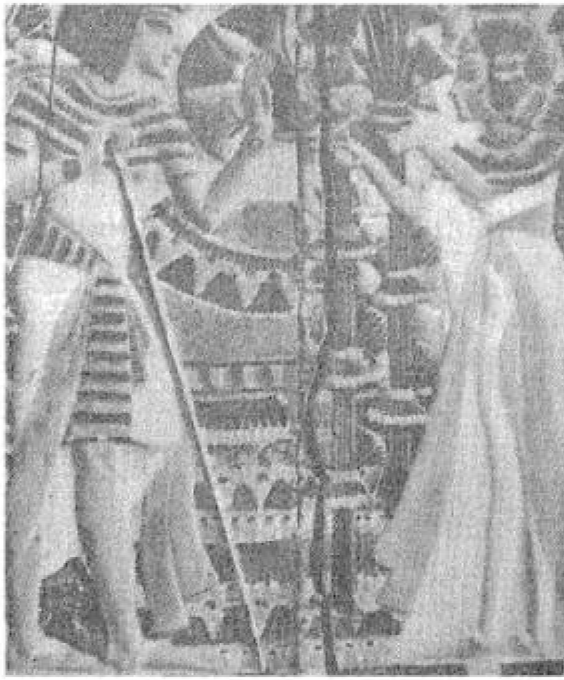


المرأة والرجل في مجتمع الدولة القديمة « الأسرة الثالثة ٢٨٠٠ق.م »

الحب الخالد في القصص المستمدة من أيمان المصرى القديم بخلود الروح ، وانتقل كثير من قصص الحب الخالد استمر في لقاء موعود بين المحبين في العالم الآخر ـ لقاء تمهده لهما حتحور الهة الحب التي كان المحبون يحتفلون بأعيادها ويحملون تمائمها وتعاويذها ويتعهدون في محراب معبدها على الإخلاص ، لذا فقد لعب السحر بأنواعه وأساليبه دورا كبيراً في قصص الحب التي ظهرت في ذلك العصر.

ومع ثبات النظام الاقتصادى والاجتماعي في عصر الفتوحات العسكرية ونشأة الامبراطورية ظهرت موجة جديدة من قصص الحب وأناشيده يغلب عليها طابع البطولة والمغامرات التي تحلل مشاعر أبطال القصص خلال وصف الأحداث السياسية والعسكرية في أسلوب فنى أقرب الى واقع المجتمع والحياة ، اتخذت لها أسلوبا أدبياً جديدا وطابعا لغويا يجمع بين القوة والبلاغة في التحليل والتصوير والتعبير ، وهو العصر الذى ظهرت فيه قصص سنوهيت وون أمون وغيرها من روائع قصص الحب والمغامرات والرحلات .

في عهد أخناتون وثورته الفكرية احتجبت اللغة الفنية التقليدية وقواعدها ولم يعد الشعب يفهمها أو يستسيغها وبدأ القوم يكتبون



لقاء في الحديقة .. من قصص الحب في الدولة الحديثة ..

الشعر بلغة العامة وهى اللغة التى الف بها اخناتون ، انشودة الشمس ومنابع الاصلاح الدينى ودستوره الاجتماعى والاناشيده ومزاميره ، وكانت جميعها على شكل قصائد شعرية فاصبحت الطابع المميز لادب ذلك العصر ٠

وفى العصر الذهبى للدولة الحديثة عصر الرخاء والثراء والاستقرار انتقلت قصص الحب وقصائده واشعاره من الطابع الكلاسيكى الى الطابع الزخرفى لا فى الخيال والتصوير فقط بل فى الاسلوب الادبى واللغوى حينما حلت « اللغة العامية المختارة » التى اطلق عليها الارخون اسم اللغة المصرية الحديثة وتعتبر تطورا واستقرارا لنظام الكتابة وقواعد اللغة ٠ وقد سمحت تلك اللغة الجديدة للكاتب والاديب ان يعبر بسهولة عن مشاعره باسلوب رومانسى تغلب عليه روح التحفظ فى التعبير ٠

وقد كتبت قصص الحب فى ذلك العصر معظمها بالشعر المنظوم او المنثور وامتازت الاشعار والقصائد الغنائية بالجمع بين التجريد والانسجام والايقاع مع التحرر الذى وصل الى ما اطلق عليه الادب المكشوف ٠ وفى هذا العصر ظهر الشعر الغزلى لاول مرة ،وهو الشعر المعبر عن العواطف والوجدان والذى ترعرع ليثبت ولع المصريين فى ذلك العصر بالتمتع بكل نواحى الحياة

في مختلف فنونهـــا بما في ذلك الموســـيقى والفنون والآداب والتي اتخذت جميعها اساليب جديـــدة من التجريد والتحرر والمرونة في التعبير التي تجلت فيها العواطف الانسانية بقوة وحرارة ، فانتشر اســـتعمال الشـــعر المنظوم والمنثور في كتابة قصص الحب وقصائده واغنيـــاته وامتد الى ظهور المسرحيات الموسيقية او الاوبريت .

وقد وصلت الينا مجموعة قيمة من البرديات اهمها برديات فستربيتي وهاريس وبريس الموزعة على متاحف اللوفر والمتحف البريطـــاني ومتحف تورينو .

● لقد تضمنت قصص الحب في العصر الذهبي لأدب الحب الذي يصله ادباء الفرعونيات بالعصر الرومانسي في الدولة الحديثة ، تضمنت الكثير من اشعار الحب وقصـــائده التي اصبحت جزءا من الادب الغنـــائي الذي يتغنى به الفنون والمغنيات في حفلات الســـمر ومجالس الشراب والافراح الشعبية . امتازت الصـــور الشعرية في ذلك العصر برقة اللفظ وانسجامه وموسيقيته وكثيرا ماكان المستمعون يهتفـــون في تحية المغنى بتعبير رقيـــق وهو « ليغنى القلب ولتشدو الروح » .

من اشهر واجمل قصـــائد الحب واشعاره مجموعة اغـــاني قصص سنوحي للاميرة الجميلة نيكاهيت او مجنون نيكاهيت كما لقبه بعض ادباء الفرعونيات وهي مســـجلة باللغة الهيراطيقية على مجموعة من البرديات التي يحتفظ بجزء كبير منها المتحف البريطاني ضمن برديات هاريس كما يحتفظ كل من متحفي تورينو وفيينا ببعض اجزائها ويطلق عليها اســـم برديات طيبة الغنائية .

ومن اجمل تلك الصور الشـــعرية « قصيدة حبيبتي مقبلة » وتقول :

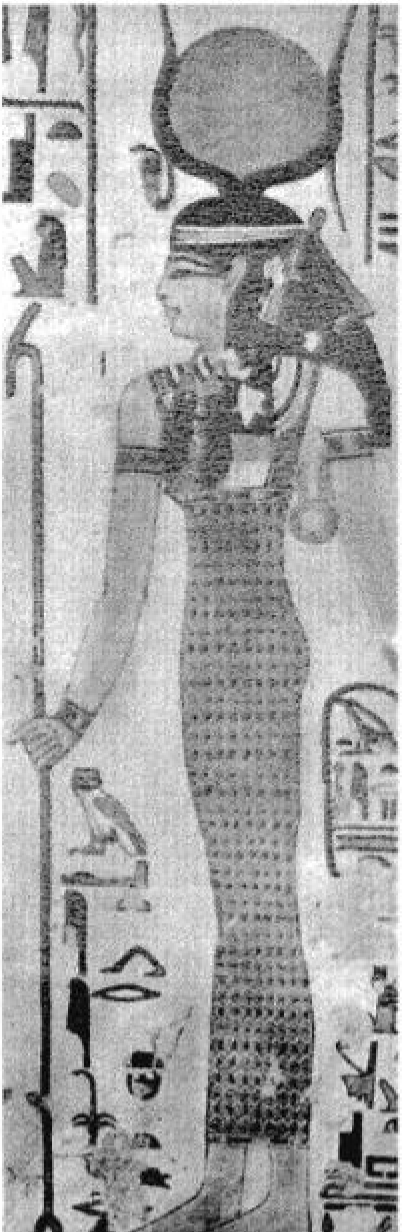
« هانا ارى حبيبتي مقبلة

تتهادى كنسمة الربيع
بقوامها الذي يشبه النخلة الرفيعة
مرفـــوعة الراس يداعب الريح ضفائرها
وتزين الثمار الحمراء خدودهـــا وجيدها
تكاد قدماها لا تلمسان الارض
وهي تخطو كراقصات المعبد
وتتماوج ذراعـــاها ويداها في دلال
كأمواج البحر
واسمع صوتها يحمله الى النسيم من بعيد
كرنين قيثارة الحب »
هانا ارى حبيبتي مقبلة
فيتوهج قلبي وامد ذراعي لاضـــمها الى صدري .
ويهتز قلبي فرحا وهو ينتقـــل من صدري الى صدرها
ويهتز قلبها فرحا وهي تهمس ...
حبيبتي لا تبتعـــدي عني وابقي بجانبي
لنقطع رحلة الحياة ونحن نجـــدف في قاربها سويا
جنبا الى جنب . حتى نصل معا الى شاطىء النهاية
تبارك حبنا اشعة الشـــمس وترعى حبنا عين الاله .

●●●

« عندما اضمها الى صدري
احس كانى شممت البســـتان باكمله
بزهوره وطيوره وغديره وفاكهتـــه
عندما اضمها الى صدري
احس كاني شممت ارض بونت
بعطورها وبخورهـــا وزيوتهـــا العطرية
ان حبها يملأ قلبي قوة
ان حبها يحيطني بتمائم الحفظ
وهي تغني لي تعاويذ الماء »
« عندما اضمها الى صدري
اشعر اني ســـكرت .. وانا لم اشرب الخمر

واذا لثمتها وفمها مفتوح احسست
بنشوة
الرحيق المقدس وحلاوة عسل النحل
واذا نظرت في عينيها
الواسعتين
رأيت في سوادهما نور قلبها المضيء
وكشف عما يخفيه من سر
لا يأذن أحدا ليبوح به اليه ..
غيري
« يا ليتني كنت جاريتها التي
تغسل لها قدميها
فلا تريحهما الا على يدي
يا ليتني كنت جاريتها التي تدلك
جسمها
حتى لا يلمسها احد غيري
يا ليتني كنت جاريتها التي تغسل
ملابسها
فاسحت بشيل الطيب العالق بها
يا ليتني كنت جاريتها التي تقوم
بتجميل وجهها
حتى المس كل جزء فيه واقبله
يا ليتني .. اكون العقد الذي
يطوق عنقها
فلا تطوقه الا ذراعاي
يا ليتني .. اكون القلادة والتمائم
التي تزين صدرها
ترقد على صدرها وتستمع الى
دقات قلبها
يا ليتني .. اكون الخاتم الذي
يزين اصبعها
فاحتفظ باصابعها بين اصابعي
يا ليتني .. اكون الاساور التي
تزين معصميها
حتى احتفظ بهما بين يدي
يا ليتني اكون الخلخال الذي
يزين قدميها
حتى لا يطوقهما احد سواي
يا ليتني .. اكون البستاني الذي
يقطف الزهور
التي تزين غرفتها لاحمل كل زهرة
منها رسالة حب
يا ليتني .. اكون زهرة اللوتس
التي تزين ضفائر شعرها



حتى لا تلمسه او تعبث به الا اصابعى
يا ليتنى .. اكون عقد الورود
الذى يزين صدرها ويداعب .
خدها ويلمس شفتيها
ويبتسم للقائها كلما نظرت اليه »

● ومن اغانى قصص الحب التى ترجع الى الاسرة التاسعة عشرة اغنية « لانى بعيد عنك » وتوجد عدة نماذج منها سواء على لويحات الاوستراكا او البرديات وينسبها بعض المؤرخين الى قصة حب سنوحى (سنوهيت) المشهورة مستشار الملك امنمحت الاول اى انها ترجع الى الاسرة الثانية عشرة، وتقول القصيدة الغنائية :

لانى بعيد عنك .. فى رحلة بعمر ابعاد
اصبحت كمثال فقد يديه
او رسام فقد بصره
او مغن فقد صوته
او قارب تحطم شراعه
او طائر انكسر جناحه
اصبحت كبستان جف ماء الجدول الذى يرويه
اصبحت كشجرة جفت غصونها فتساقطت اوراقها
اصبحت كقوس بغير سهام
وقيثارة بغير اوتار
وسماء لا نجوم فيها
ومعبد بغير الالهة او تراتيل
لانى بعيد عنك فى رحلة
رحلة رسمها القدر .. فى صحراء المجهول
زادى الامل .. الذى احيا به
الامل فى انتظار اللقاء
لانى بعيد عنك

● ومن اغنيات برديات تل العمارنة التى ترجع الى الاسرة الثامنة عشرة المأخوذة من احدى قصص الحب المشهورة فى ادب تل العمارنة « عودة المحارب » وتتردد الاغنية على لسان الجميلة مريت اتون وهى تنتظر حبيبها الغائب فى ميدان القتال .

« ساكون فى انتظارك ... دائما فى انتظارك
فانتظارك هو الامل الذى احيا به واعيش له
وما دامت تميمة حتحور تزين صدرك العريض
وتوامها يزين معصمى فالاله سيحفظك لتعود سالما
الى كما وعدنى حالى بمحراب المعبد

« ساكون فى انتظارك
سارتدى اجمل ازيائى
واتزين باجمل مصاغى
كالشجرة التى تتزين باجمل ازهارها
وانضج ثمارها لتستقبل طيور الربيع
ساكون فى انتظارك كبحيرة البردى التى تزين سطحها
زهور اللوتس .. وتنتظر البط العائد من رحلة المجهول
لتضمه الى احضانها وتنسيه مشقة الرحلة
ساكون فى انتظارك كعيدان القمح التى تتزين
بسنابلها الذهبية لتستقبل طيور السمان
وتخفيه عن عيون الشر
ساكون فى انتظارك كزهور عباد الشمس
التى تولى وجهها شطر الاله من الشروق الى الغروب
وهى تصلى له فيمنحها بركات الشمس وتمنح
الحياة اريجها العطرى
ساكون فى انتظارك .. كشجرة الجميز المقدسة



عازف القيثار الاعمى ، والفتى الحب فى احدى حفلات السمر بالدولة الحديثة

التى تتزين بثمارها الوردية وتمتد غصونها
فاتحة ذراعيها لتستقبل كـــروان الفجر وتستمع
الى ترتيله وترددها معه ليحفظــه الاله فى رحلاته
ساكون فى انتظارك كالنخلة التى تتزين
بقلائد ثمـــــارها المتلألئة الالوان وتعلو براسها
لتسترق السمع الى همسات النسيم عليها
تحمل اخبار الغائب .. خلف الافق البعيد
ساكون فى انتظارك يا حبيبى
دائما فى انتظارك .. حتى تعود »
(برديات هاريس ٥٠٠)

●●●

● وفى قصيدة أخـرى من نفس العصر وهى من البرديات التى كشفت عنها الحفريات الاخيرة بتل العمارنة والتى يناجى فيها حبيبته فيغنى :
« اذكرى حبنا وانت تجلسين تحت شجرة الجميز
لقد تعاهدنا فى ظلها عند اول لقاء
ان يدوم حبنا الى الابد
لقد زرعناها معا ونحن اطفال
ان حبنا ينمو مع نموها .. ويكبر معها
ويزداد قوة بازدياد قوتها
استمعى الى حفيف اوراقها
فهى تهمس لك بالحان قلبى
انظرى الى غصـــونها .. التى تمدها
لتصد عن حبنا عيون الشر والحسد
انظرى الى ثمارها الحلوة الحمراء
انها تحمل لون خديك وحـــلاوة شفتيك

• ان شجرة الجميز التي غرستها
يدى بغرسها
نمت وتفتحت .. وباتت تتكلم
كلامها كالعسل وصوتها كتغريد
الحمام

الذي يتغازل على اغصانها الجميلة
اغصانها تتزين باوراق بلون
البردي الاخضر

وثمار يفوق لونها العقيق الاحمر
في لهيب الحر تمنح الارض ظلها
تنثر نسماتها العليلة التي تحمل
اريج ثمارها

مختلطا مع عطر زهور اللوتس

التي تظلل بحيرته

انها تنادي توبا الجميلة ابنة
البستاني العجوز

وتضع في يدها رسالة كتبتها ورقة
من أوراقها الخضراء

لتسرع بها الى الحبيبة الجميلة ..
تقول فيها

ابنتي الحبيبة لقد حان ميعاد اللقاء
تعالي واقضي وقتا في أحضان
ظلي

لقد اشرق الربيع ومعه ميعاد لقاء
الحبيب

أن كل بستانيي الحديقة سيفرحون
ويتهللون

لاستقبالك وشروقك على البستان
كشمس الربيع

ارسلي خدمك من قبلك يحملون
ادواتهم

فليحضروا الجعة والنبيذ من جميع
الاصناف

والخبز والفطائر من جميع الاشكال
والفاكهة الرطبة من جميع الالوان

.. تعالي ياابنتي الجميلة .. فهذا
يومك



اذكريني وانت ترقدين في احضان
ظلها الكبير

الذي ظلل حبنا وكبر معه

.. ساعود مع الربيع

سيخبرك البستان عن موعد عودتي

عندما تتفتح زهوره وتغرد طيوره

على شجرة الجميز فتبتسم وترقص

لفرحة اللقاء عندما يتعانق قلبانا

في ظل شجرتنا المقدسة

(برديات شستربيتي)

●●●

● من بين برديات قصص الحب الجميلة التي يغلب انها تنتهي الى قصة شجرة الجميز المقدسة بردية اخرى عبارة عن جزء من حوار شعري يحمل نفس الطابع والاسلوب :

احتفلی به ٠٠ وزيديه بقد
واضيفی اليه اليوم الذی يديه
حتی تصبح ايامك ثلاثة ٠٠ ككل نثاء
تجلسينها فی احضان ظل ويجانبك حبيبك
تقدمين له كأس الخمر ٠٠ التی تشتركان فی شربها معا
ستقتدلی غصونی لتخفيكما عن العيون



انی كتومة احفظ السر ٠
لن أبوح بشیء مما أراه ٠٠ وإن المرثر بكلمة

●ولم يخل الادب الفرعونی فی الدولة الحديثة من مسرحيات قصص الحب الشعرية والتی يرجح انهـــا كانت مسرحيات غنـــائية من نوع الاوبريت الحديث ٠ وتحوی مجموعة برديات شستربيتی من الادب المصری القديم اكثر من مثل لتلك المسرحيات منها علی سبيل المثال ذلك الحـــوار الذی يظهر فيه العاشق وهو يمر امام بيت المحبوبة ويسترق النظر خـــلال باب البيت الذی تركته مفتوحا :

« انها جميلة ٠٠ جمالها منقطـــع النظير
انها ستطل بوجهها لكوكـــب الزهراء
فی باكورة سنة سعيدة
ضياؤها فائق ٠٠ وبشرتها وضاءة
الفتنة فی لحظ عينيها
والسحر فی حديث شفتيها
لا يخرج من فمها الا أحلی الكلام
كانغام قيثار ساحر فی محـــراب المعبد
فرعاء العنق ناعمة الثدی
شعرها أسود لامع
وجهها باسم كزهرة اللوتس عندما
تســـتقبل اشعة شمس الشروق الذهبية
ذراعاها تفوق الذهب طلاوة
واصابعها كأنها زهر البشنين
عقليمة العجز ٠٠ نحيلة الخصر



لها ساقان تفوقان ما فيها من جمال اخر

رشيقة الحركة عندما تتبختر فى خطوها الساحر

ان اعناق الرجـــال تتثنى .. لتشاهدها

سعيد من يقبلها ..
فانه يكون على راس الشباب القوى
ها هى اتية ذاهبة الى الشاطىء
كاترابها ولكنها وحيدتهن »
ـ فترد عليه وهى تمر بجـــواره كانها تناجيه :

« ان المحبوب يهيج قلبى بصوته
وقد جعل المرض يتملك منى
انه جار بيت امى

بابه المفتوح بجوار بابى
ومع ذلك ليس فى اســتطاعتى ان اذهب اليه
جميل يا والدتى ان تهاجمينى فى ذلك
قائلة .. كفى تفكيرا فى ذلك
فاقول لها انى لا افكر فيه او اتكلم عنه
لكن قلبى هو الذى يتوجع عنـدما يتحدث لى عنه

ويذكرنى به كلما نسيته او حـاولت ان انساه
فقد اسرنى حبه
الام ـ تاملى يا بنيتى الحبيبة
انه مجنون .. مجنون .. مجنون
البنت ـ ولكنى انا ايضا مثله .. مجنونة
وهو لا يعرف مقدار شغفى بتقبيله
والا لكان فى استطاعته ان يرسل لوالدتى
يا حبيبى .. ان مصيرى اليك
لقد قضت بذلك حتحور .. الهة الحب

تعال الى فقد تركت بابى مفتوحا لاشاهد جمالك
ستفرح بك امى .. وسيفرح بك الناس عامة
ان قلبك يتعذب .. كما يتعـذب قلبى
لم لا تدعهمـــا يلتقيـــان .. ويتعانقان »

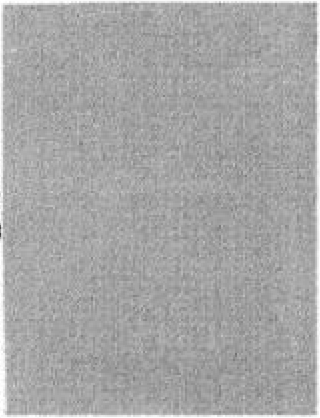
وهكذا تستمر تلك المســاجلة الغرامية فى سبعة فصول كما وردت فى برديات شستر بيتى التى جمعها العالم الكبير سليم حسن فى كتاب الادب المصرى القديم ·

من أجمل قصص الحب في الأدب الأندلسي

د. محمد أبو الأنوار

الأميرة الشاعرة

عاشقة.. وملهمة



في أدبنا العربي في الأندلس كثير من شعر الغزل والمجون ، وهي أشعار تعكس مزاج البيئة وطبيعة الحياة الاجتماعية بوجه عام ، ثم هناك ذلك المؤلف القيم كتاب « طوق الحمامة » لابن حزم ، وهذا الكتاب الى جانب كونه دراسة نفسية وفلسفية لعاطفة الحب فانه في الوقت ذاته يقدم وقائع محددة عن تجارب ونماذج من الحياة العاطفية لعدد غير قليل من الامراء والقواد والشعراء وللمؤلف نفسه ، ويبقى من الممكن دائما القول بان ابرز حكايا الحب على الاطلاق واكثرها جاذبية وبريقا في الادب الاندلسي قصة ولادة الاميرة العاشقة الملهمة .

هي ربيبة بيت الخلافة الاموية بالاندلس وابنة الخليفة الاموي محمد ابن عبد الرحمن بن عبيد الله الناصري ، الملقب بالمستكفي بالله ، الذي ولي الخلافة بقرطبة عام ٤١٤ هـ ، وقد سمى ابنته « ولادة » ولعله راعى في ذلك اسم جدته العليا لابيه ، ولادة بنت العباس أم الوليد بن عبد الملك وأخيه سليمان .

ويصف أبو حيان ، المستكفي ، فيقول : « ولم يكن هذا المستكفي من هذا الامر في ورد ولا صدر ، انما ارسله الله تعالى على أهل قرطبة محنة وبلية ، اذ كان منذ عرف غفلا عطلا ، منقطعا الى البطالة ، مجبولا على الجهالة ، عاطلا من أي خلة تدل على فضيلة ، عضته الفتنة فأملق حتى استحال طلب

المدينة ، رأيته أيام الضعف بالمرية في الدولة العمرية ، ولم يكن معه لحظه الاحتفال لتحقير أمره، يقصد أهل الفلاحة أوان حصدهم للالتقاء بسائلهم من زكاتها تكليما ومخاطبة .

وانتهى به الأمر إلى الهروب من قرطبة ، فخرج على وجهه ، كما يقول ابن بسام « وقد لبس ثياب الفتيات متنقلا بين امرأتين لم يميز منهما لزاله على التخنث ، وخرج عن قرطبة فمات بأقليش ، فكانت دولته سبعة عشر شهرا مضطربا نكدات سودا مشرهات مشئومات » وتوفى سنة ٤١٦هـ

هذا الوالد كان قد تزوج من أمة حبشية غير مسلمة هي « بنت سكرى المورورية » ويظن أن هذه المرأة كانت أما « لولادة » ، ويقال أيضا أن جدة ولادة لأبيها كانت أم ولد وتدعى « حوراء » ، وعلينا تبعا لذلك أن نراعي خلائق الوراثة وعلاقتها في هذه الفتاة التي أفردت لها أمهات الكتب القديمة أحاديث وأخبارا ونوادر يستنبط من بعضها أنها شخصية لا تتكرر كثيرا، وقد هام بحبها خلق كثير من علية القوم ، أشهرهم وأقواهم شاعر الأندلس العظيم « ابن زيدون » .

● عرش الجمال بعد عرش الخلافة ●

تركها أبوها وهي في السادسة والعشرين من عمرها الهجري ، أكمل ما تكون أنوثة ونضجا ، ويبدو أنه ترك لها شيئا غير قليل من الثروة التي جمعها أثناء خلافته ، وكأنما أرادت هذه الفتاة وقد سقط الملك عن أسرتها ، أن تتخذ لها من عرش الجمال مملكة لا تنازع فيها ، وتستبد بعلية القوم حيث لا راد لسلطانها ، ولا شريك لها فيما تملك ، فأعدت في قصرها ندوة أدبية وفنية – كالصالونات الشائعة في العصور الحديثة – يحضرها العلماء والأدباء ووجوه القوم، حيث المساجلات والمحاورات والاستمتاع بأرقى أنواع الفنون من موسيقى وغناء .

في هذا المنتدى الذي اتخذته عرشا لمملكة جمالها، كانت كما جاء في نزهة الأبصار والأسماع « رفيعة الطبع كريمة النفس ، شريفة الأصل ، جميلة الشكل ، وكانت لا تترك أحدا يتصرف في مجلسها ولا بالدرهم الفرد » .

وفي شعرها ما يدل على مدى تحررها وتصونها معا . فهي تقول :

أنا والله أصلح للمعالي ... وأمشي مشيتي وأتيه تيها
أمكن عاشقي من صحن خدي ... وأعطي قبلتي من يشتهيها

ويبدو من أخبارها وقد تعشقها الكبراء أن تصونها ضد الطامعين فيها قد صدهم عنها عدا ثلاثة أولهم : ابن زيدون ، وثانيهم : أبو عامر بن عبدوس ، وثالثهم : أبو عبد الله القلاس . أما هذا الأخير فلم يصمد أمام هجمات ابن زيدون ، وأما ثانيهم فقد قاتل دون صلته بها وحرصه عليها قتالا استخدم فيه كل أنواع الأسلحة الممكنة : الضعف عندها والتذلل لها ، والوقيعة بابن زيدون ، حتى دخل السجن وفر من قرطبة كلها ، ثم البذخ في العطاء الندى لها .

ولكن ولادة لها مع ابن زيدون قصة تطول وتتعدد فيها الأحداث والمواقف، ويبقى أعظم ثمار هذه القصة في أن ولادة ألهمت الشاعر ، وألهبت حواسه الفنية لاسيما وهي صادة عنه هاجرة له .

الأميرة الشاعرة

الشاعر في محراب الجمال

عرف الشاعر ولادة في فترتها الأدبية ، وكان اذاك في مطالع شبابه في العشرين من عمره أو فوقها بقليل ، وكان عزبا شديد التفتح للحياة ، مفطورا على حب الحسان والشغف بالجمال ، ومما ينسب اليه في سن باكرة قوله :

اختنت تلك الهوى غصبا ولى ثلث وللمحبين فيما بينهم ثلث
تالله لو حلف العشاق انهم موتى من الوجد يوم البين ما حنثوا
قوم اذا هجروا من بعد ما وصلوا موتى من الوجد يوم البين ما حنثوا

وعندما اقبل على مجلس ولادة في ناديها كان قد فاز بمكانة عليا عند ابي الحزم بن جهور رئيس الحكم الجمهوري الجديد بقرطبة ، وكان الشاعر يتمتع بثروة وافرة وذيوع شهرة أدبية ، وكان طموحا شديد التطلع للمعالي ، ويصفه ابن بسام فيقول : « كان ابو الوليد من ابناء وجوه الفقهاء بقرطبة في أيام الجماعة والفتنة ، وبرع أدبه وجاد شعره وعلا شأنه وانطلق لسانه فذهب به العجب كل مذهب وهون عنده كل مطلب » كانت همة الرجل العالية وطماحه المسرف لا يقفان عند حد ، واستطاع ان يحقق كثيرا مما اراد رغم المصائب القوية التي احاطت به ، فقد وصل الى مكان الذروة بين شعراء الاندلس ، واصبح ذا الوزارتين ، ولم يكن لديه من مطالع شبابه والى مماته اعلى كعبا وارفع منزلة من ولادة سليلة بيت الخلافة ، وربة الجمال النافر ، وصاحبة الدل والعجب والترفع والكبرياء ، تلك التي يتعشقها الكبراء ويسعى الى ناديها النجباء ، وهي لما تزل بينهم أمرة ناهية معطية مانعة ، شديدة القرب منهم عزيزة المنال عليهم ، ومثلها يثير تطلع الطامحين الى العلا اياكان مركبه ، وابن زيدون ليس شديد الثقة بنفسه فحسب بل شديد العجب بها عظيم اليقين ليس بمكانته فحسب بل بمواهبه ايضا ، كما قال ابن بسام آنفا : « فهون العجب عنده كل مطلب » .

اقبل ابن زيدون عليها ووقع بكل ذكائه وعلو همته ورفيع منزلته الموقع المناسب من نفسها فاقبلت عليه ، وكانت لحاظ العيون رسول غرام بينهما كما يقول ابن زيدون :

اما الغضنى فوقلة لحظة عين كأنها والردى جاءا على قدر
فهمت معنى الهوى من وحي طرفك لي ان الحوار لمفهوم من الحور

ويبدو ان ابن زيدون كان موفقا في هذا الدور الاول من اقباله عليها وتوثيق علاقته بها ، اذ ان المتوقع انه ضرب على الاوتار التي ترضي كبرياءها وجمالها ولعلنا نحس شيئا من ذلك في قوله :

رشا الصيد الجوانح قصدا من جفون كحلن عمدا بسحر
ابرز الجيد في قلائل بيض وجلا الخد في مجاسد حمر
وتثنت بعطفه اذ تهادى خطرة تمزج الدلال بكبر

ووقع الشاعر منها بهذا التلطف وذلك التودد موقع الرضا والقبول ومن ثم نراها تكتب اليه تعده باللقاء ، فتقول :

ترقب اذا جن الظلام زيارتي　　فاني رأيت الليل أكتم للسر
وبي منك ما لو كان بالبدر ما بدا　　وبالليل ما ادجى وبالنجم لم يسر

والى هذا الذي من علاقة حبهما لم تكن ولادة فيضا للالهام العالي في شعره ، بل كانت تلك المحبوبة التي يلذ للحبيب مجلسها وملاحظتها وازجاء مقطوعات شعرية تنال اعجابها ورضاها . وكان يسعى جاهدا الى لقائها متى كان ذلك ميسورا . لكن الايام لم تصف لهما بل عنت عوائد فرقت بينهما . ومن وراء هذه الفرقة كان نبع الالهام الحق لشاعرنا . حيث الحرمان والالم والشوق واللهفة . ولولا هذه الكارثة العاطفية التي احاقت به لفقد ديوانه اروع ما فيه من شعر الغزل . وهو ثلث ديوانه واشهى ما فيه .

● منافسوه في حبها ●

كانت ندوة ولادة تتسع لكبراء القوم . وهي مرغوبة منهم جميعا ، الكل يتنافس على رضاها وقربها . وقد ظفر ابن زيدون بها الظهور فاحفظ النفوس عليه . وكان من اخطرهم عليه في المنافسة الوزير ابو عامر بن عبدوس الذي كان يتودد الى ولادة ويحاول استرضاءها متوسلا الى ذلك بمكانته الزائفة وثرائه العريض وتصنعه الادب وهو ضعيف فيه . وكان الى جانب ذلك ذا صبر في لجاجة والحاف على ما يريد ومثل ولادة في كبريائها وتسلطها لا تضيق بمثل هذا الرجل لانه يتحمل منها القسوة والتكبر والشطط بل ينافق لها فيما تريد ويزين لها ما تهوى ويستحسن منها كل ما تفعل
وقد استغل ابن عبدوس كل بادرة لسوء الفهم بين ولادة وابن زيدون . وكان يذكيها بخبرته الواسعة في الدس والكيد ، بل انه تعدى الكيد عند ولادة الى الكيد عند أبي الحزم بن جهور . وكان من نتيجة ذلك ان قذف ابو الحزم بن جهور بابن زيدون في أعماق السجن ويختلف الدارسون في مدة سجنه فيقال انها خمس سنوات . ويقال انها خمسمائة يوم .

● الشاء السر ●

يقال ايضا ان ولادة كانت تريد من الشاعر ان تكون الصلة بينهما مكتومة غير ذائعة وفي بداية العلاقة اكد ابن زيدون لها التزامه بهذا المطلب ، وعبر عن ذلك في قوله :

اصونك من لحظات الظنون　　واعليك عن خطرات الفكر
واحذر من لحظات الرقيب　　وقد يستقام الهوى بالحذر

ولكن ضيق ابن زيدون بمنافسيه ثم هجومه في اشعاره عليهم لاسيما هجمته على ابي عبد الله القلاس ، وأبي عامر بن عبدوس قد جعلته يلجأ

الى الفاظها بالكلام من حبه لها وعلاقته بها الى الحد الذى قال فيه انتقاصا من ابن عبدوس :

اكل شهي اصبنا من اطايبه ... بعضا وبعضا صفحنا عنه للفار

وكان ابن عبدوس يلقب بالفار . والشاعر فى هذا القول وامثاله جرح بعنف ولادة ، بل ان الغيظ ذهب به الى انشاء رسالته الهزلية الشهيرة التى كتبها على لسان ولادة وبعث بها الى ابن عبدوس حتى يصده عنها ، ومن اخطر ما يلاحظ على هذه الرسالة – وقد سبق الى ذلك الاستاذ على عبد العظيم فى دراسته القيمة عن ابن زيدون – انها فى الوقت الذى تلقى فيه بابن عبدوس من شاهق الى أسفل سافلين فانها تجرح تصون ولادة وتظهرها بمظهر المرأة المجربة الهلوك على الشهوة من الرجال .

ومن هنا غضبت ولادة واحست فى نفسها بالجرح الذى تكرهه ، انها امرة على عرش جمالها ، والامرة على هذا النحو لا يدوم لها عرشها عزيزا متينا بالسقوط بل بدوام الترفع والتمنع على راغبيها . ومن ثم امتنعت ولادة على ابن زيدون وزادت قطيعتها له ، وجاء هو الآخر وزاد الطين بلة عندما هاجم ابن عبدوس ومس ولادة ، وعمق فى نفسها الاحساس بالاهانة : اذ قرر انه استبدل بها غيرها ، وذلك حيث يقول لغريمه ابن عبدوس :

وغره من عهد ولادة ... سراب تراءى وبرق ومض

هى الماء يأبى على قابض ... ويمنع زبدته من مخض

وهكذا تجمعت عوامل شتى عملت فى نفس ولادة هجر ابن زيدون والتمنع عليه . وانتهت ادوار الحب الاولى والمنافسة فيها بدخول ابن زيدون سجن ابى الحزم بن جهور بتهمة التآمر ، وكانت محنة الشاعر قاسية ، وقد حاول جاهدا بتوسلاته وقصائده العديدة الى ابن جهور ان يصفح عنه ، ولكن شيئا من ذلك لم يصل به الى ما يريد ، فتمكن آخر الامر من الهروب من سجنه واستطاع صديقه أبو الوليد بن جهور أن يستشفع له عند والده ابى الحزم بن جهور ، ثم شاءت الاقدار ان يموت أبو الحزم ، وأن تعود علاقة المودة والصداقة بين ابن زيدون وبين الحاكم الجديد ابى الوليد بن جهور .

● الدور الخطير فى الحب ●

انه دور الالهام والابداع الفنى الذى جاد به تعذيب ولادة لابن زيدون وهذا الدور الاخير تتوزعه ثلاث مراحل : فى السجن ثم فى قرطبة بعد خروجه من السجن ، ثم فى اشبيلية بعد هروبه اليها . وهذه المراحل الثلاث تدور فى فلك التودد اليها ومعاتبتها ومحاولة استرضائها وشجب الوشاة المفسدين بحقدهم عليه وطمعهم فيها . والشاعر فى هذا الدور كان شديد الصدق فى حبه المودة والصداقة بين ابن زيدون وبين لهواه .

الأميرة الشاعرة

انه في هذا الدور قد تخلص من نوازع نفسه التي كانت تستبد به في شبابه فتجعله ميالا الى العنف والاندفاع والعجب الذي يهون امامه كل شيء ، وكأنما اكتشف ان تلك النوازع التي كانت تملؤه لا توافق طبع ولادة لانها هي الاخرى ممتلئة بها ومن ثم لم يستطع كل واحد منهما ان يفرغ في كأس الاخر ما يحلو له وما يرغب فيه ، لان صاحب العجب لا يقبل عجبا يواجه به ، وصاحب السيطرة يرفض سيطرة الاخرين ويقاومها ، وكذلك صاحب الكبر والعناد ، ولا شك ان تكوين كل منهما في الدور الاول كان معاكسا لتكوين الاخر ، لان الاتفاق في هذا النوع من الصفات يورث التضاد والصدام ·

اما بعد دخول ابن زيدون السجن فقد هدأت نفسه وقام الحب الذي في اعماقه يباشر وظيفته الخطرة التي يباشرها في اعماق البشر حين يروض العجب والكبرياء والزهو والعناد الى خضوع واستسلام واسترحام ·

وابن زيدون في هذا التحول يتفق مع الفطرة ولا يشذ عنها، وهو في ذلك يمتاز على ولادة في صحته النفسية وسلامة تكوينه الفكري والشعوري ·

لذع الهجر والحرمان والصدود اعماق الشاعر بآلام قاسية جعلته يدور حول نفسه شارها متوسلا وفجرت هذه الآلام ينبوعا من فنه الشعري هو اشهى ما في شعره كله على روعة شاعريته وقوتها ، واذا كان شعر الغزل يشغل ثلث ديوانه تقريبا فان الضراعة والتودد الى المحبوبة ومحاولة استرضائها الذ واشهى واعمق ما في غزله واكثره ايضا ، بحيث يمكن القول بان هذا الوتر يستغرق ثلاثة ارباع شعر الغزل عنده ·

لقد هزت صدمة الهجر اعماق الشاعر فأخذ يتوسل ويتضرع بين يدي المحبوبة قائلا :

احين علمت حظك من ودادي	ولم تجهل محلك من فؤادي
وقادني الهوى فانقدت طوعا	وما مكنت غيرك من قيادي
رضيت لي السقام لباس جسم	كحلت الطرف منه بالسهاد

وبرغم تعذيبها له وتجنيها عليه يفديها من آلامها بنفسه ويقول :

ايوحشني الزمان وانت انسي	ويظلم لي النهار وانت شمسي
واغرس في محبتك الاماني	فاجني الموت من ثمرات غرسي
لقد جازيت غدرا عن وفائي	وبعت مودتي ظلما ببخس
ولو ان الزمان اطاع حكمي	فديتك من مكارهه بنفسي

بل انه يراها قد رضيت عن الاعداء، وكأنها بذلك اصبحت منهم ، وهو مضطر الى حب هؤلاء الاعداء من اجل اقبالها عليهم وصلتهم بهم ، لانه لا يستطيع الحياة بدونها يقول :

صاحبت اعدائي لانك منهم	يا من يصح بمقلتيه ويسقم
اصبحت تسخطني فامنحك الرضا	محضا وتظلمني فلا اتظلم
يا من تألف ليله ونهاره	فالحسن بينهما مضيء مظلم
قد كان في شكوى الصبابة راحة	لو انني اشكو الى من يرحم

الأميرة الشاعرة

وعقب هروبه من السجن ، وقبل أن يظفر بالعفو عنه أضاف الى تراثه الشعرى نونيته التى مطلعها :

أضحى التنائي بديلا من تدانينا   وناب عن طيب لقيانا تجافينا

ولقد توج ابن زيدون شعره الغزلي في ولادة بهذه القصيدة التي تمثل مكانة عليا في الشعر العربي لدرجة أن كثيراً من الشعراء فتنوا بها وقاموا بمعارضتها في حياة ابن زيدون وعلى مر العصور بعده حتى أحمد شوقي في عصرنا الحديث ، وقد عد نخبة منهم شيخ العروبة احمد زكي باشا في دراسته عن ابن زيدون التى اصدرها سنه ١٩١٤ ·

وهذه القصيدة مليئة بالحنين والشوق مؤكدة أن ما وقع انما هو بفعل الوشاة معترفة بأن هوى المحبوبة في قلبه دينه الذى لم يتحول عنه يقول في أبيات منها :

غيظ العدى من تساقينا الهوى فدعوا   بأن نغص فقال الدهر آمينا
فانحل ما كان معقوداً بأنفسنا   وانبت ما كان موصولا بأيدينا

... ...

لم نعتقد بعدكم الا الوفاء لكم   رأيا ولم نتقلد غيره دينا
تكاد حين تناجيكم ضمائرنا   يقضي علينا الأسى لولا تأسينا
لا تحسبوا نأيكم عنا يغيرنا   أن طال ما غير النأى المحبينا

ولا ينس التغنى بجمالها كأنما يحاول بذلك أن يفتح مغاليق صدودها أمامه فيقول في هذه القصيدة أيضا :

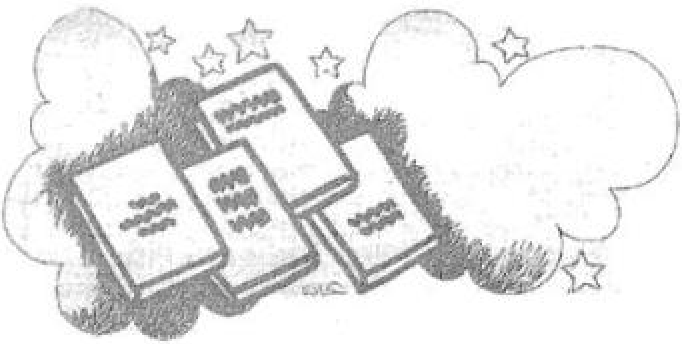
ربيب ملك كأن الله أنشأه   مسكا وقدر انشاء الورى طينا
أو صاغه ورقا محضا وتوجه   من ناصع التبر ابداعا وتحسينا

وبعد أن نزح الشاعر الى اشبيلية هاربا طالبا للأمن والمجد معاً ، ظل يناجي هواه وحبه في قرطبة ومن مقطوعاته في ذلك :

هل تذكرون غريبا عاده شجن   من ذكركم وجفا أجفانه الوسن
يخفي لواعجه والشوق يفضحه   فقد تساوى لديه السر والعلن
يا ويلتاه أيبقى في جوانحه   فؤاده وهو بالأطلال مرتهن

وله موشحتان في الديوان قالهما في قرطبة وساكنيها ، ويقال أن الشاعر ذهب الى الزهراء مقتربا من قرطبة متخفيا وطامعا في أي نوع من الاتصال بالمحبوبة ، وراغبا في الطمأنينة على أهله الذين نالهم من الجهور ما يسوء ، وكتب الشاعر الى محبوبته قصيدته :

انى ذكرتك بالزهراء مشتاقا   والأفق طلق ومرأى الأرض قد راق
كذلك الله قلبا عن تذكركم   فلم يطر بجناح الشوق خفاقا



واستمرت به الايام في معاناة وشقاء حتى مات قبل محبوبته بحوالي عشرين عاما .

● عاشقة نفسها ●

خلائق النفس وكل ما يزخم ذات الانسان من قوى معنوية هو وجوده الحق الذي يشكل أنماط سلوكه وابعاد مطالبه ، وبقدر ما يملك الانسان من امر نفسه وما يوجه من مسيرة حياته يتم له ما يريد طبقا لصفاته المعنوية التي هي حقيقة جوهره ، وولادة الجميلة سليلة بيت الخلافة ماتت فوق الثمانين عانسا لم تتزوج ، وكان أقوى ما تملكه الجمال والانوثة والذكاء . ولكن زحمها في وجودها الداخلي العجب ، وملائها الكبرياء ، واحتواها حب السيطرة والتحكم ، وانتفت الخضوع للفطرة التي تكمل بها الانثى فلم تقلبها على خلائق نفسها الانوثة الراغبة في البيت والخدع ، والامومة المشوقة للطفل وانما عظم في اعماقها من الصفات ما جعلها تتأزم ذلك وتفر منه وابرز ما عظم في اعماقها نوع من رد الفعل يرفض القهر ويفر منه ويخطىء في تحديد اشكاله ويتوسع في حقيقة معناه حتى انه يدخل فيه ما ليس منه .

وتبعا لهذا تولدت لديها رغبة قوية في التعويض فاستعاضت عن السقوط الذي التصق بشخصية ابيها بقوة وعظمة في ذاتها ، وعن عرش الملك والخلافة بعرش القلوب التي تهفو اليها وتخر بين يديها ، وعن ادارة بلاط الدولة بادارة بلاط الندوة ، وعن خضوع الاتداد والافراد بخضوع المحبين والطامعين من أعلى المستويات .. وكل هذا مرده انها تحقق ذاتها قبل اي شيء ، ولعبادة الذات بين البشر انماط من السلوك وطرائق من البدع كثير منها يكشف عن نفسه والاكثر يختبىء وراء وشاح من الحق المزيف ، او الخير المصطنع ، او العادة المرذولة والمواضعات الفاسدة .

ولكن الانا ولادة التي اصابتها في نفسها ووجهت سلوكها وشكلت سيرتها عذبت شاعرنا والهمته نماذج شعرية تمتاز بانها لون من الفن الشعري الصادق الرائع يطلبه القارىء في ديوان ابن زيدون قتيل هوى ولادة واصلته وهاجرته ، معذبته وملهمته .

د. أمين العيوطي

اجمل قصص الحب في

الأدب الإنجليزي

من الغريب انك تكاد لا تجد عملا فنيا واحدا يخلو من قصة حب ... ولعل السبب في هذا ان الانسان لا يحيا بالخبز وحده . فالحب طاقة محركة في حياته ، ووسيلته الى الاستمرار وقهر الموت . ولهذا فان الفنان حين يعرض للحب ، فانه يمس كبد الحياة الانسانية ... الحب اذن محور اساسي في الفن ، لانه محور هام في حياة البشر .

... لكن الانسان ايضا لا يحيا بالحب وحده . فاذا كان الحب وسيلة الى الرزق في الاطار الاجتماعي الذي يعيش فيه . فقصة الحب في العمل الفني اذن تشكل خيطا من ذهب في النسيج الاجتماعي لهذا العمل . ومن خلال قصة الحب غالبا ما يكشف الفنان عن قصور ما في الخلفية الاجتماعية التي يعرض عليها هذه القصة . فقصة مجنون ليلى تثير الاحساس بقسوة العرف وتسلط التقاليد التي تؤدي الى مأساة اثنين عاشقين نتعاطف معهما .

وقصة روميو وجولييت تهدف . من خلال تصوير معاناة العاشقين بعاطفة سامية ، الى تعرية العلاقات الانسانية الشائهة في مجتمع « فيرونا » التجاري الذي كانت تحكمه القيم المادية والتنافس والتناحر بين فئات البرجوازية الصاعدة . والقصد في الحالين ان يصل الفنان بقارئه الى رؤيا انسانية اعمق ، ووعي انساني وحضاري ارقى .

والتنويعات على قصة الحب الواحدة عديدة وغنية غنى التجارب الانسانية ذاتها . فليس من الغريب ان تستغل قصة روميو وجولييت في فيلم « قصة الحي الغربي » لتعزف تنويعة على نفس الفكرة على مستوى الصراع بين البيض والزنوج وليست هذه هي المرة الاولى التي يحدث فيها هذا . فقد سبق اليها كتاب كثيرون مثل الروائية الانجليزية « جورج اليوت » التي استغلت نفس القصة واعطتها ابعادا جديدة تخدم فكرها الاجتماعي والخلقي في روايتها « طاحونة على نهر الفلوس »



● الحب الممنوع ●

في هذه الرواية تصور لنا جورج اليوت قصة حب رقيق بين الزهور بين ماجي تليفر ذات التسعة عشر ربيعا وبين فيليب ويكم ، والذي مصاب بعاهة بدنية . لكنه يجمع بين رهافة الشعور الانساني ورقة الفنان ، بل انه فنان مولع بالرسم .

وماجي فتاة مشبوبة العواطف ، متوقدة الحس ، جامحة المشاعر والخيال ، رومانسية مجنحة لا تستطيع أن تحيا دون أن ترضي حاجتها الملحة الى أن تحب وأن تكون محبوبة . وهي في هذا أقرب الى أبيها منها الى عائلة أمها .

لكنها تعيش وسط جو لا يسمح بالجري وراء العواطف . فعائلة أمها مسوقية ، ضيقة الأفق ، لا تملك الخيال ، وليس بين أفرادها نساء ورجالا مجال للعاطفة في حياتهم . فهم مشغولون بجمع المال ، وحب التملك . وكل همهم محصور في ارتقاء السلم الاجتماعي ، والتخلص من بصمة المسئولية التي ترتبط بهم كافراد . وهم في هذا كله يمثلون البيئة الاجتماعية التي تعيش فيها ماجي . وعنهم ورث توم ، شقيق ماجي ضحالتهم الانسانية ، وعدم قدرتهم على المشاركة في الطاقة الروحية والخيالية لدى سائر البشر . ولهذا كان العداء حتما بين ماجي وشقيقها توم ، ثم بينها وبين الوسط الذي تعيش فيه .

ويمتد الأمر أن ينشب صراع بين أبيها وبين والد فيليب المحامي الرابح في القرية . والصراع اذ جانب طبقي اذ انه يمثل الصراع بين البرجوازية الصغيرة والطبقة الوسطى . والاب تدفعه رعونته ومشاعره المحتدمة على الدوام الى الاصطدام بويكم ، ممثل الطبقة التي يحاول هو أن يصعد اليها . وتكون النتيجة أن يخسر طاحونته التي تقوم على نهر الفلوس ، والتي كانت دائما ملكا لآل تليفر . وتؤول الطاحونة الى ويكم ويضطر الاب الى أن يعمل بالطاحونة لارتباطه العاطفي بالبقعة التي تقوم عليها وتكفيرا لعائلته عما لحقها من ضرر بسببه .

وينعكس هذا الصراع على فتاتنا الرومانسية الحالمة . فأخوها يعترض طريق حبها ، ويهددها ان يبلغ اباها بقصة هذا الحب ان لم تقطع علاقاتها بفيليب . وبين حقد توم على آل ويكم ، وبين حب ماجي لأبيها الذي لا يسمح لها بجرح مشاعره ، تقع الفتاة صريعة فتقطع على نفسها عهدا الا تعاود الاتصال بفيليب .

لكن تيار النهر المتدفق حين

يصطدم بسد لا بد أن يجد لنفسه مسارب أخرى ، والفتاة لا بد أن تجد لنفسها وسيلة لارضاء عواطفها ... وتواتيها الظروف حين تنتقل الى بيت خالتها لتقيم مع لوسى صديقة الطفولة · وهناك تلتقي بستيفن جست ، خطيب لوسى · وهو شاب مرفه ، وسيم ، ينجذب الى ماجى بما لها من جمال غجرى متقد ، وحس متوقد · وهي تصده المرة بعد المرة وفاء منها للوسى ، لكنها فى نفس الوقت مشدودة اليه بحاجتها الطبيعية الى ارواء عواطفها الجياشة ·

ووسط ظروف تلعب فيها الصدفة دورا كبيرا يخرج الاثنان لنزهة فى قارب · ويجرفهما التيار بعيدا عن البلدة ، وماجى مغيبة عن المسافة والزمن · حتى اذا جن الليل وجدا نفسيهما فى بلدة أخرى ، وتحتم عليهما قضاء الليلة فى أحد فنادقها · يستيقظ فى ماجى احساسها بكل ما سيترتب على هذا من اقاويل ومخاطر · ويحاول ستيفن جاهدا ان يقنعها بالزواج منه ، فأى مصير يمكن ان ينتظر لوسى اذا تزوجت من لا يحبها ... لكن مشاعر الوفاء والولاء لكل علاقات الماضى تدفع ماجى الى الرفض ، فتصر على العودة لتواجه كل النتائج التى ترتبت على لحظة نزالة ، ولتكفر عن اثمها فى حق الآخرين ·

وتعود ماجى لتواجه العيون والألسنة ، بل والأيدى المستهترة أحيانا فيطردها اخوها توم من البيت ، ولا تجد الفا يفهمها ، ولا يفهم موقفها واصرارها على دفع ثمن غلطتها سوى قلب راعى الكنيسة الذى لا يسلم هو الآخر من السنة القوم · لكنها على أيه حال تجد لها ركنا قصيا تعيش فيه وتتعيش من بعض الاعمال اليدوية ·

وذات ليلة تفاجأ بفيضان النهر الذى يهدد البلدة · وتتجه افكارها فورا الى الخطر الذى يحدق بأخيها فى مسكنه بالطاحونة ، فتهرع الى قارب ، وتظل تجدف حتى تصل اليه وتنقذه · وفى القارب تشرق على اخيها حقيقة الروح الطاهرة التى تسكن جنبى ماجى ، ويدرك كم كانت قسوته عليها اشد وأنكى من كل ما تعرضت له · لكن الادراك يأتى متأخرا · فالقارب يصطدم بجذع شجرة عائم فيغرق الاثنان معا وقد احتضنا احدهما الآخر واتحدا معا فى الموت ·

فى هذه القصة اذن تعارض جورج اليوت الرومانسية الجامحة بالواقع الاجتماعى ، وتنتصر لعلاقات الماضى والقيم رغم ما بها من جمود وضيق افق وفى سبيل هذا الهدف تحيط بطلتها بكل ما يمكنه قمع يقظة الخيال والقلب والحس فيها ، بل انها تفتعل الصدفة وتثير فى الطبيعة فيضانا كاسحا ، لتصل بنا الى ان القلب والعقل يلتقيان اخيرا ، وان كان ذلك فى الموت حيث لا حاجة بنا الى أيهما ·

ولعل أحد أسباب هذه النهاية ان جورج اليوت كانت تكتب لجمهور قراء يتكون من الطبقة الوسطى المتزمتة التى كانت تصر على ضرورة ان تكون الرواية تعليمية تدعم ما تؤمن به هى من قيم اجتماعية وخلقية ، وتدين كل خروج على ذلك بأن تصادر اى اعمال تجرؤ على

مناقشة معتقداتها أو ما كانت تعتبره من المحرمات مثل الجنس أو الدين . وهو نفس ما حدث بفرنسا مثلا لفلوبير عندما نشر رواية « مدام بوفاري » ، أي أن جورج اليوت كانت تتملق التعصبات الاجتماعية لدى قرائها ، وانها لم تكن من الجرأة بحيث تواجه جمهورها وأن تصدم حساسيته بأي شكل من الاشكال .

وكان لا بد أن يأتي جيل من الفنانين يتمرد على هذا الموقف من الفن ، فلم يمض القرن التاسع عشر حتى خرج الى الوجود كتاب من امثال هيوبرت كراكنثورب ، وهنسخت او سليفان ، وجورج مور ، وتوماس هاردى وغيرهم ، الذين انبروا لهذا العمل بهدف تأكيد حرية الفنان في اختيار ما يراه من موضوعات وفي معالجته لها بحرية دون التقيد بضيق افق قرائه . وقد نال هاردى بالذات عناء كبيرا عندما نشر روايته الشهيرة « تس سليلة ال دربرفيل » ، وناله عناء اكبر عندما نشر آخر رواية له « جود المغمور » حتى كف بعدها عن كتابة الرواية .

الحب الحر

تبدأ قصة الحب في « جود » بانجذاب جود ، الذي يعمل نقاشا ، الى أرابلا ، فتاة القرية التي تشع حسنا . وهو انجذاب ينسيه تطلعه الى أن يلتحق بالجامعة يوما لكي يكتسب المعرفة لعله يصبح يوما ما قسا . وأرابلا لا تنظر الى الزواج الا على أنه ضمان للعيش في كنف رجل يكفلها ويشبع نزمها ، وترى في جود الرجل الوحيد الذي تستطيع ان تعطيه نفسها بكل ما فيها من جموح . وعلى الرغم من أن لحظة الانجذاب تغلف وجود « جود » باشعاعات وردية دافئة . الا أن ومضة ادراك بسوقية المرأة وابتذالها تشرق في عقله . ويتزوج الاثنان رغم مايعذب جود من احساس بأنه يضحي بتطلعه الى المعرفة وعلى الاسهام في بناء أبناء جيله ، امام لحظة ضعف غريزي . ويثور الصراع بينهما بعد الزواج . هي تريده لها كلية ، فتحاول أن تعزله عن كتبه . وهو يعذبه الاحساس بضعفه الغريزي ويحاول أبدا تثقيف نفسه ذاتيا .

ويؤدى الصراع بينهما الى أن يدعم في نفسه الشعور بأن ارتباط الزواج كان خطأ وقتيا له نتائج بعيدة المدى لأن العلاقة بينهما لم تقم على أساس من الحب ، أو الفهم والتعاطف المتبادلين . بل ويصل به الامر الى ادراك أن أى ارتباط بالزواج قيد على حرية المرء ، وأن العهد الذى يقطعه المرء على نفسه عند الزواج بأن يحب امرأته ويرغبها بنفس الدرجة دائما رغم يبدده الزواج ذاته . وهكذا ينتهي بهما الامر الى الانفصال .

وينطلق جود الى بلدة كريستمنستر الجامعية حيث يأمل في امكانية تحقيق اماله ، وان داخله شعور خفي ايضا بأنه من الممكن أن يلتقي هناك بابنة عمته سو التي تعمل في نفس البلدة . وهناك يكتشف أن الجامعة لم تخلق الا لابناء المليونيرات ، لا لشخص مكافح مثله . تستغرقه حرفته في نقش الاحجار ، على أمل أن يحقق حلمه يوما ما .

لكنه يلتقي بابنة عمته ، فيجدها فتاة ذكية ، مرهفة الحس متوقدة

أجمل قصص الحب فى الأدب الأنجليزى

العقل والقلب . وعلى الرغم من أنها تعمل فى حانوت لبيع التماثيل الدينية ، الا أنها فى أعماقها شأنها فى ذلك شأن جود ، تؤمن بالطبيعة وتعشق التماثيل اليونانية الوثنية .
فهما صنوان فى أن مشاعرهما المتأججة تختفى وسط رماد مدفأة الروح والفرق الرئيسى بينها وبين ارابيلا انها قد حققت قدراً من الاستقلال الاقتصادى ومن الثقافة .

ومرة أخرى تلتهب مشاعر جود ، رغم احساسه انه رجل متزوج ، وأن أمله فى ان يصبح يوماً قساً لا بد أن يتأثر بعقد علاقة مع امرأة أخرى هى أيضاً قريبته . لكن وثنيتها التى يراها فى عبادتها للحضارة الهيلينية تشده اليها . فهى لا تؤمن الا بقانون الجاذبية والتناسل ، وتذوب شوقاً الى العودة الى حياة الطفولة والحرية .
لكنهما رغم هذا لا يلتقيان لان كلا منهما يحمل داخله رواسب التعاليم الاجتماعية التى رسخت فيه ولهذا لا تجد « سو » بداً ، لكى تطهر نفسها ، الا بالزواج من رجل يكبرها سناً ويعمل معلماً . ولكن تكتشف انها تنفر منه لدرجة انها تقفز ذات ليلة من النافذة حين يقترب من سريرها . ويدرك الرجل سرها ، ويقرر أن يسرحها لكى تعيش مع حبيبها كيفما تشاء .

وتمضى الايام بالعاشقين ، يرفضان الزواج خشية أن يؤدى بهما الى تحجر عواطفهما ، لان التجربة قد علمتهما ان العلاقة الزوجية تقوم على الزام الطرفين بأن يحب احدهما الآخر .
وأنها لهذا لا بد أن تنتهى الى زوال الحب ، وأن أسمى صور العلاقة تقوم على الوفاء والصدق فقط من جانب الطرفين . ويعيش الاثنان حياة ورجية ينجبان خلالها طفلين .

لكن ارابيلا تعود الى الظهور فى حياة جود فترسل له ابنها منه ، وهو طفل فى السابعة . وتبدأ عيون الناس والسنتهم تطارد الاثنين . وفى الدرجة تلاحق ابن جود من ارابيلا تعليقات الاطفال السخيفة ويصدك رأى الناس فى علاقتهما الى محاربة جود فى رزقه وأمام هذه الضغوط الاجتماعية يضطر الجميع الى الرحيل عن البلدة ، ويعيشون حياة ترحال . والحال يسوء بهم يوماً بعد يوم . لكن حبهما لايهمد بل انهما يزدادان تعلقاً احدهما بالآخر وتحمل « سو » طفلا ثالثاً . ويصل الحال بهما ذات مرة ، اثناء بحثهما عن مأوى ، أن يرفضهما اصحاب المنازل واحداً وراء الآخر ، مرة لما يحيط بهما من شبهات ، ومرة لكثرة العيال . ومع كل مرة تزداد مرارة ابن ارابيلا . لكنهم يجدون أخيراً حجرة تأويهم مؤقتاً .

ويخرج جود وسو للبحث عن سكن لكنهما حين يعودان يجدان طفل جود قد شنق الطفلين وشنق نفسه لانه ، كما قال فى رسالة خطها الى أبيه قبل موته ، قد يئس من حياته لكثرة عددهم .

ويصاب الاثنان بصدمة مروعة ، حتى أن « سو » تفقد جنينها . وترتق الصدمة أعصابها فتقرر هجر جود والعودة الى زوجها ، وتترك جود ليقع فريسة حمى تودى بحياته .

ولعل هاردى كان أول روائى انجليزى ، فى القرن التاسع عشر المعروف بتزمته الشديد ، يتناول موضوعاً كهذا بهذه الصراحة والجرأة .

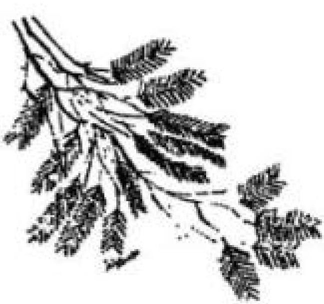
والحقيقة أنه عندما شرع هاردى يكتب الرواية كان هناك اتجاهان متعارضان يسودان مجال الادب : الاول يدعو الى « الاحتشام » والتمسك بالاخلاقيات المتعارف عليها ، والثانى ينادى بضرورة معالجة الحياة كما هى رغم كل التعصبات ... وكان الاتجاه الاخير يتمثل فى الروايات التى تجاسرت على اقتحام مناطق التجربة الجنسية والعواطف والاحاسيس التى لم يكن لها وجود من قبل فى مجال الرواية . وكان هدف هذا النوع من الرواية تخليص الفرد من قيد العرف والتعصب والكاموروح التحرر ، وتصوير الانسان كما هو على الطبيعة بدون اى زيف اجتماعى يخفى تحته الوجه الحقيقى له .

وقد امتدت هذه الموجة اصلا من فرنسا فى اواخر الثمانينات من القرن الماضى عندما نشرت تراجم للروائيين الفرنسيين ، وعندما قدمت مسرحيات ابسن على المسرح الانجليزى ، مما دعا الصحافة الادبية ان تشن حملة على ما سماه النقاد المحافظون « بالادب القذر » . واثار هذا عاصفة من الجدل بين دعاة التزمت ودعاة الصراحة ، وكان هاردى بين من نادوا بحرية الفنان فى معالجة ما يشاء من موضوعات ، وبتحرير الفنان من قيود التقاليد الادبية المحافظة فقد كان يؤمن بضرورة توسيع مجال الرواية بحيث يتضمن كل أوجه الحياة بلا حياء زائف .

وكان هذا الاتجاه الجديد يقوم على أساس الدعوة الى حرية الفرد ان يعيش حياته كما يحب فى وجه القيود التقليدية التى اعتبرها ابسن « دعائم المجتمع » المتهرئة . ولهذا جاءت « جود الغامض » لتصور الفرد ممثل الحرية ، وسط البيئة التقليدية التى تقهر الفرد . أى أن هذه الرواية كانت جزءا مما سماه النقاد « فلسفة الا يخشى المرء شيئا ، وان يكون له الجرأة على ان يعيش كما يحب لا كما تريدنا الطبقة الوسطى أن نحيا ، وأن تكون لديه شجاعة رغباته بدلا من جبن الآخرين » .

وقد انطوت هذه الفلسفة ليس فقط على ضرورة تحرير الرجل ، بل ايضا تحرير المرأة حتى تطور شخصيتها . وتضمن هذا الاتجاه ما سموه بالحب الحر . وقد جاءت هذه الدعوة كرد فعل ضد زواج المصلحة والزواج المدبر واى نوع من الزواج يقوم على اسس تجارية أو مادية ، لا على حب متبادل بين الطرفين .

المهم أن هاردى الذى يدلوه فى هذا الاتجاه بروايتيه الأخيرتين ، وقد كان من اهمية هذا ان مهد الطريق لمن جاء بعده من الروائيين وعلى رأسهم د . هـ . لورانس الذى اشتهر بكتاباته الصريحة عن الحب ، والعلاقات بين الجنسين ، والذى كان أول من تناول فى رواياته نوعا جديدا من الحب لعل أقرب تسمية له هى « الحب المحرم » .



د. سامية أحمد أسعد

أجمل قصص الحب في الأدب الفرنسي

يثير الحديث في هذا الموضوع تساؤلات عدة: أولها، بل لعل أهمها: ماهي قصة الحب الجميلة؟ أهي تلك القصة التي تنتهي نهاية سعيدة نرى فيها الحب يجمع بين البطل والبطلة بالزواج، أو اللقاء بعد طول الغياب؟. أم أنها تلك القصة التي تنتهي نهاية حزينة، نرى فيها الموت أو الفراق أو التضحية تباعد بين الحبيبين؟.. فضلا عن ان الحب ألوان كماهو معروف.. فالحب العذري أو الأفلاطوني يحتم على العاشقين أن يفترقا ويضحيا بسعادتهما، لأن تلك غايته ومنتهاه. وبذا، تصبح نهاية قصة الحب الأفلاطوني نهاية مأساوية، من حيث الشكل ـ اذا جاز هذا التعبير ـ، وسعيدة من حيث المضمون...

يزخر الأدب الفرنسي بقصص الحب الجميلة، حتى ليحار المرء اذا أراد أن يختار أجملها، وبما أن هذا الاختيار عملية تقديرية تخضع للمزاج الخاص، فانني أقول انّ من أجمل هذه القصص «تريستان وايزولد» في العصر الوسطى، وقصص الحب التي عاشها الشاعر الفرنسي «رونسار» في القرن السادس عشر، و«أميرة كليف» في القرن السابع عشر، و«هليويز الجديدة» عن قصة الحب العنيفة اليائسة التي عاشها الفيلسوف «روسو» في القرن الثامن عشر.

واذا اتجهنا الى الرومانسية، التقينا بالشاعر «لامارتين» الذي تغنى بحب «لالفير» التي اختطفها منه الموت... والشاعر «الفريد دي موسيه» الذي عاش تجربة عاطفية فريدة مع «جورج صاند»، والكاتب العظيم «ف. هيجو» الذي



بودلير



لامرتين

ظل - بالرغم من مغامراته النسائية العديدة - مرتبطا طول حياته بحبيبته ورفيقته « جولييت دروريه »..

ومن الفنانين الذين صاغوا من تجربتهم العاطفية اعمالا فنية خالدة الشاعر « بودلير » الذى عرف الخير والشر من خلال حبه « لجان دوفال » أو فينوس السوداء كما سماها ، ومدام « ساباتييه » التى عرف الى جوارها الهدوء والسكينة. وتطول القائمة ... وبما انه قد سبق لنا الحديث عن بعض هذه القصص « فى « الهلال » ، فسوف نختار ، بالتالى ، قصصا اخرى قد لايعرفها القارىء العربى كما يعرف القصص السالفة الذكر ..

. بداتها باسطورة « تريستان وايزولد » التى التقت فيها حضارات متباينة وجمعت بين الاحاسيس النبيلة التى سادت العصر الوسيط والحب الانسانى العنيف الذى تقف العادات والقوانين عاجزة امامه . سحرت هذه الاسطورة الباب القراء على مر القرون . وها هى ذى كما وصلت الينا ، بعد التعديلات العديدة التى ادخلت عليها : وهب تريستان - ابن ملك ليونواه وبلانشفلور ، اخت الملك مارك ملك كورنواى - للشقاء منذ مولده . فقد فقد أبوه الملك عرشه وماتت امه اثناء مولده.. وعندما بلغ الخامسة عشرة ، سافر بحثا عن المغامرة ، فانتهى به المطاف الى بلاط خاله الملك مارك ، حيث اثار اعجاب الجميع بشجاعته وبقدرته فى العزف على الهارب .. ويقتل تريستان - ومعنى اسمه « الحزين » - يقتل العملاق مورهولت ، قريب ملك ايرلندا. لكن العملاق يجرحه ، قبل موته ، برمحه المسموم ... ويوضع تريستان وهو مجروح فى مركب تتركه للتيار وتظل تسبح الى ان تصل الى ايرلندا . وتسارع الملكة اليه ، وتداويه بالسحر ، وتعهد اليه بابنتها ايزولد الشقراء ليعلمها الموسيقى . وعندما يعود الى كورنواى ، يتهمه البارونات بالحيلولة دون زواج خاله . فيقترح تريستان الاذهاب بنفسه الى المرأة الوحيدة التى يقبل الملك مارك الزواج منها : ايزولد التى طالما حدثه عنها .

وتقول اسطورة اخرى ان الامر كان متعلقا بالبحث عن امرأة سقطت شعرتها الذهبية من فم طائر تحت قدمى الملك . ويعود تريستان الى ايرلندا ، ويقتل وحشا ضاريا .

ثم يطلب يد ايزولد للملك مارك . لكن ايزولد تتذكر أن الشظية التى

عثروا عليها فى رأس العملاق مورهولت قطعة من سيف تريستان

فتعمل على قتل هذا الاخير . لكن امها تحملها على العفو عنه، وتعطيها شراب الحب الذى سيجعل الملك مارك يحبها وتحبه . وأثناء الرحلة ،

يشرب تريستان وايزولد ، خطأ ، شراب الحب الذى سيربط بينهما الى

الابد ...

وتزف ايزولد الى الملك . لكنها عندما يجن الليل تضع مكانها فى فراشها ، فتاة اخرى تأمن اليها .

وتستمر قصة الحب بين العاشقين . ويعمل أعداء تريستان على اقصائه عن البلاط ، وان لم يقتنع الملك

مارك بانه اخطأ فى حقه . مع كل هذا : يسعى كل من العاشقين الى رؤية الاخر ، ويلتقيان ليلا ، فى

الحديقة ، تحت شجرة بجوار النبع .

ولكى يخاطب تريستان الفتاة ، يلقى فى الماء قطعا خشبية هى بمثابة رموز اتفقا عليها ... ويشى بهما

مرة أخرى القزم الشرير فروسان ، ويحكم عليهما بالموت حرقا . لكنهما

ينقذان بمعجزة ، ويلجأن الى الغابة، حيث يعيشان حياة بائسة ...

ويكتشف الملك مكانهما ، وعندما يراهما راقدين ، عفيفين ، وبينهما

سيف تريستان ، يتأثر ويحترم نومهما . لكنه يود أن يترك اثرا لجيئه . فيضع سيفه مكان سيف

تريستان ، كما يضع خاتمه فى اصبع ايزولد ! ..

وعندما يستيقظ العاشقان يتأثران بكل هذا الكرم . فتعود ايزولد الى بلاط زوجها بينما يرحل تريستان

الى بريتانيا ، حيث يتزوج هناك ايزولد ذات اليدين البيضاوين ، ويصادق اخاها قاهردين . لكن

تريستان لا يقرب زوجته ، ويحاول ، بشتى الوسائل ، أن يرى ايزولد الشقراء ، فيتنكر فى زى مريض

بالبرص تارة ، وزى مجنون تارة اخرى .. وعندما يعود الى بريتانيا، يقف الى جوار قاهردين فى مغامرة

عاطفية خطرة يجرح خلالها جرحا مميتا ... وينادى تريستان ايزولد الشقراء ، المرأة الوحيدة التى احبها. وسرعان ما تلبى النداء . لكن

ايزولد ذات اليدين البيضاوين تغار ، وتخدع تريستان المحتضر ، وتقول له أن المركب قدم بالفعل ، لكن لايحمل حبيبته ... ويموت العاشق

يائسا . وما تكاد ايزولد الشقراء تصل الى الشاطىء حتى ترتمى على جثته وتموت هى الاخرى !

ويعلم الملك مارك بموت الحبيبين، ومن شراب الحب فيأمر بدفن الجثتين فى كورنواى .. وتقول الاسطورة أن شجرتين نبتتا فوق

قبريهما ، وتعانقتا ... تلك هى الاسطورة البدائية المؤثرة التى صاغتها روح الصلت الابداعية . وظلت تشغل أذهان الادباء والفنانين

ولعل اشهرهم ريتشارد فاجنر ، الموسيقار الذى استوحاها فى الدراما الموسيقية الشهيرة « تريستان وايزولده » ـ (ثلاثة فصول) التى قدمت لاول مرة فى ميونيخ عام ١٨٦٥ .

●●●

اذا ذكر القرن السابع عشر الفرنسى ، ذكر المسرح تلقائيا .. وتعتبر هذه الفترة عصر ازدهار الادب المسرحى ، سواء تمثل فى المأساة أو الكوميديا ... اما الرواية ، فكانت لونا ادبيا يخطو خطواته الاولى آنذاك . لكن الرواية العاطفية التحليلية تمثلت اروع ما تمثلت فى كتاب وضع حجر الاساس لهذا اللون الذى كتب له الازدهار فيما بعد ، ونقصد به قصة الحب الجميلة التى كتبتها مدام دى لافاييت ونشرتها عام ١٦٧٨ بلا امضاء تحت عنوان « اميرة كليف »..

بطلة الرواية مدموازيل دى شارتر ، فتاة ربتها أمها تربية صارمة . وهى ، فى الوقت نفسه ، من اكبر الوارثات فى المملكة .. وتتزوج الفتاة رجلا لا تحبه ، لكنها تحترمه ، وتقرر الاخلاص له : انه الامير دى كليف الذى احبها حبا جما من أول نظرة ... وبعد الزواج بقليل ، تلتقى الفتاة ، فى حفلة راقصة نظمتها الملكة بشاب نبيل ساحر هو مسيو دى نيمور . ويهيم بها ، ويلمح لها باعجابه ـ لكنه لا يفصح لها عن حبه صراحة ... عندئذ ، يستولى على الفتاة شعور لم تعرفه من قبل ، وتزداد اضطرابا كلما التقت بنيمور .. وتموت أمها ، بعد أن تقول لها انها « على حافة الهاوية » وأن « عليها ان تبذل جهدا كبيرا كى تحتفظ بتوازنها ».

وترتجف الفتاة امام الحب لكنها تريد ، فى الوقت نفسه ان تظل لزوجها . فتقرر فجأة ان تضع نفسها تحت حماية زوجها ، وتعترف له بعاطفتها الناشئة . ولا تخفى عنه خوفها من ان تتعرض للقيل والقال فى البلاط ... وتتوسل اليه قائلة : « اشفق على ، واحمنى اذا كنت مازلت تستطيع ذلك » . فيتأثر مسيو دى كليف فى نهاية الامر ، ويسمح لزوجته بالذهاب ـ وان كان فى ذروة اليأس ، الى كولومييه ، حيث يملك منزلا ريفيا منعزلا .

وسرعان ما تندم الزوجة على اعترافها لغيار زوجها ، ويصبح « أبأس الرجال والتعاهم » ، ويستولى عليه القلق .

وذات يوم ، تقول احدى صديقات مدام دى كليف ان هذه الاخيرة تحب التنزه بمفردها ليلا فى الغابة . واذ يسمع ذلك نيمور يفكر فجأة فى الذهاب الى كولومييه لكى يرى حبيبته دون ان يرى ... ولا يشك الزوج ، الذى سمع ذلك ايضا ، فى ان الشاب ينوى رؤية زوجته .

ويسافر نيمور ، وفى اثره نبيل ارسله الامير ، ويدخل الحب الحديقة ، ويقترب من المنزل ، ويراقب حبيبته . لكن الاحساسيس الزائفة المفرطة تقول للامير ان نيمور قابل زوجته سرا . واذ يرى نهايته تقترب ، يستدعى مسيو دى كليف زوجته ويلومها على خيانتها له ...

لكنها تقول له انه اخطأ الظن ، بعد فوات الأوان . ويمـــوت الامير، وتصبح الاميرة حرة في الاستسلام لهواها .

ويعرض عليها نيمـــور الزواج ، لكنها تعترف له بحبها وتقول له في نفس الوقت انها اعتزمت عـــدم الزواج ، لانها لا تريد سعادة دفع زوجها حيـــاته ثمنا لها .. وتعتزل الارملة الحياة الاجتماعية ، وتذهب للعيش في مكان بعيد . وبعد فتـرة مرضـــت خلالها ، تموت ، وتروح ضحية لاخلاصها .

ارادت الكاتبة في هذه الرواية ، ان تصور لنا ، على حقيقتها ، حياة البـــلاط (١٦٦٠ ــ ١٦٦٨) التي عرفتها معرفة وثيقة عشر سنوات . لكنها ارادت ــ الى جـــانب هذا ــ ان تكتب مأســـاة الحب والغيرة ، تلك المأســـاة التي تدور احداثها بين شخصيات ثلاث ، والتي يذكـــرنا بناؤها ببناء مآسي راسين ..

لم يحدث في هذه الروايـــة ، ان التقى العاشقان بالصدفة، لان اللقاء امر تفرضه عليهما متطلبات حياتهما الاجتماعية وتقاليد البلاط ، يود كل منهما الا يلتقي بالاخـــر ، وينسى هواه، ويسترد حريته . لكن المجتمع الذي يعيشان فيه يحكم عليهما باللقاء اليومي . هذا المجتمع ايضـــا هو الذي يحول دون تعبيرهما الحر عن العاطفة التي تحرق قلبيهما . ولعل من اجمل الاشـــياء التي يعجب بها القارىء في هذه الرواية قوة التقاليد الاجتمـــاعية التي تحرم على المرأة الكلام او حتى الاشـــارة بالحركة والايماء عن عواطفها الخفية .. لن تبوح مدام دي كليف بحبهـــا الا في الصفحـــات الاخيرة ، عندما ينتهي كل شيء بالنسبة لها .

وقد عرفت مدام دي لافاييت كيف تروي لنا قصة حب تعيشـــها البطلة بكل جوارحها ، ولا تفكر خلالها الا فيمن تحب ، دون الالتجـــاء الى التعبير الذي يخدش الحياء ، وذكر شيء عن حب الجسد . ولا يجب ان ينسينا الاقتصاد المقصود في الكلمات والمواقف ، الحنان الخالص والاحـــلام التي تستسلم لها البطلة. ففي احدى الصفحات نراها تمضي لياليها وحيدة في الحديقة ، وهي تتأمل صـــورة نيمور . الا ان هذه النبرة الحنـــون نادرة الى حد ما ، لان الكتـــاب في مجموعه كتاب قاس . فنيمور شـــاب كريم ، شجاع ، ذكي ... ومحب لكن حبه انانيـــة ، ورغبة بحتة في الامتــــلاك . عندمـــا يعلم مثلا ان الزوجة اعترفت لزوجها ، لا يفكـــر فيها ، ولا يدرك انه احل الشـــقاء في منزل اصدقائه ، بل يفخـــر في قرارة نفسه لان حب البطلة له بلـــغ بها هذا الحد .. من ناحية اخرى، يخضع مســـيو دي كليف زوجتـــه للاسئـــلة الجـــارحة المهينة . بل ان القسوة لم ترحم البطلة نفســـها . فطبعها الفضيلة لم يمنعها من الانحياز حينا فحـــينا الى الكذب والعمـــل المرسط .

في هذه الروايـــة ، يبدو الحب



جورج صاند



فكتور هوجو

للبطلة وكأنه وهم زائل في الصفحات الاخيرة ، يطلب منها نيمور الزواج كما قلنا • وهي حرة ، وما من شيء يمنعها من الارتباط به ، اللهم الا ذكرى الامير التي بدأت تنمحي شيئا فشيئا • ومن ثم ، يتضح لنا أن الذي يقف حائلا بين البطلة والحب السعيد لا هو الفضيلة ولا هو شبح الواجب وانما هو الخوف• فهي تعتقد أن الحب يدوم طالما لم يبلغ غايته • وتجرؤ على قول هذا لنيمور ، بل تجرؤ على أن تقول له انها لو تزوجته ، فسوف يلتفت الى أخريات • واذا كانت ترفض طلبه، فلأنها تحبه حبا جنونيا ، ولا تحتمل مجرد التفكير في خيانته لها !

●●●

المعروف عن الكاتب الروائي الفرنسي بلزاك أنه كاتب واقعي أهتم أكثر ما أهتم بتصوير المجتمع الفرنسي آنذاك ، سواء كان مجتمع الريف أم مجتمع المدينة • ولا شك أن القارىء العربي يعرف جيدا « أوجيني جرانديه » التي صور فيها البخيل بعد موليير ، و « الاب جوريو » الذي أحب ابنتيه لدرجة الجنون فتنكرتا له • لكن القليلين يعرفون أن بلزاك كتب قصة حب جميلة نشرها عام ١٨٣٥ ، وأطلق عليها اسما شاعريا « زنبقة الوادي » •• بنى بلزاك هذه القصة بناء مبتكرا فهي تتخذ شكل رسالتين احداهما طويلة جدا تكاد تغطي الرواية كلها • والاخرى تقتصر على بضع صفحات • الرسالة الاولى اعتراف من الكونت فيلكس دي فيدينيس الى الكونتيسة ناتالي دي مانرفيل ، والرسالة الثانية رد الكونتيسة عليه • ترشح هاتان الشخصيتان أن ترتبطان بالزواج • لكن الكونتيسة تلاحظ أن خطيبها يستسلم فجأةاحيانا للحلم والشرود• فتسأله عن السبب • فيروي لها قصة حياته :

لقد تربى تربية صارمة حرمته من الحنان • وفي يوم من الايام ، دعي الى حفلة راقصة لاحظ فيها سيدة آية في الجمال ، جاءت وجلست الى جواره في ركن من الصالون • وسحره جمالها لدرجة انه لم يستطع ان يمنع نفسه من أن يغمر كتفيها بالقبلات • بعد ذلك ، أخذ يحلم بتلك المرأة المجهولة التي سحرته • وذات يوم ، تعرف عن طريق احد الاصدقاء على الكونت دي مورسوف وزوجته • وسرعان ما ادرك أن الكونتيسة دي مورسوف والمرأة المجهولة شخص واحد • في التو واللحظة ، أحس حيالها بحب أبدي ، واطلق عليها تلك الاسم : « زنبقة الوادي »، الوادي الذي يقع فيه قصرها في مقاطعة «الاندر» • واستخدم فيلكس كل ما يملك من سحر وجاذبية ليتقرب من الكونت واولاده • واصبح ، بالفعل ، صديقا حميما للعائلة ، العائلة التي لا يسودها الوفاق والانسجام • فالزوج مهاجر قديم يكبر زوجته بكثير ، ويكاد يكون مجنونا ، مما يجعله يفرض على زوجته حياة لاتحتمل • لكن الزوجة تتحمل كل

أجمل قصص الحب

في • فرنسير ملائكي حبا في اولادها، وشيئا فشيئا، تتأثر برقة فيلكس ومشاعره. لكنها لا تعطيها الا حدودا معينة، تتلاءم وواجبات الحجز. وتبذل جهدا كبيرا لتسيطر على العاطفة التي تنمو في قلبها، وتخلطها بعاطفة الامومة .. وتعود الملكية، وتترتب على عودتها تغييرات لها الفضل الاكبر على موقف العائلة المالي. ويفضل والد الكونتيسة دي مورسوف، يصبح فيلكس سكرتيرا خاصا من سكرتيري لويس الثامن عشر. ويقرر فيلكس ان يظل مخلصا لحبه الافلاطوني. لكنه يلتقي بماركيزة انجليزية فاسدة، وجميلة، تجعله يعدل عن قراره. وهكذا يجد نفسه موزعا بين ملاك وشيطان، بين حب طاهر بريء، وحب حسي لا يستهدف الا متعة الجسد. لكنه لايستطيع ان يضحي باحدهما في سبيل الاخر الى ان تحين لحظة يفقد فيها الاثنين عندما علمت الكونتيسة دي مورسوف بعلاقته بالاخرى، مرضت لدرجة انها اشرفت على الموت جوعا وعطشا، واصبحت لاتقدر على هضم اي طعام. اما الماركيزة فهجرته بعد ان هجرها دون ان يترك كلمة واحدة .. وفي اللحظة التي تموت فيها الكونتيسة، تعطي فيلكس خطابا تخبره فيه انها احبته في الروح والجسد معا، منذ اللحظة الاولى التي قابلته فيها في الحفلة الراقصة. ومنذ ذلك الحين، سيطر على حياتها شبح كان سببا في الميل الى الكآبة التي عاودتها على فترات. بعد ان ينتهي فيلكس من رواية قصة حياته، تقول له الكونتيسة دي مانرفيل انها ترد اليه حريته، وتحذره من رواية هذه القصة لامرأة رائعة قد يلتقي بها ويحبها، لانها قد لا تحتمل مصاحبة اشباح نسائية ثلاثة.

تسيطر على الكتاب شخصية مدام دي مورسوف الملائكية التي تحتفظ بطهرها بعد دفع حياتها ثمنا لذلك والنبرة التي تسيطر على رد ناتالي تنهي هذه المأساة بنغمة ساخرة غير متوقعة. اما الرواية فتحتل مكانا خاصا بين كتابات بلزاك. فهي رواية شاعرية يستعيد فيها المؤلف ذكريات الصبا والشباب، ويلتقي بمقاطعة « التورين » التي ولد فيها. كل هذا في اطار قصة جميلة يسيطر عليها العفاف والهوى الجامح.

وتعكس هذه القصة قصة الحب التي جمعت بين المؤلف ومدام دي برني، المختارة لديه، التي اصبحت مدام دي مورسوف، تلك المخلوقة الرائعة التي تحلت بجمال الروح والجسد. لقد اراد الكاتب ان يجعل منها صورة « للكمال العذري » و« المرأة الفاضلة ». لكن عبقريته الواقعية جعلت منها مخلوقة من لحم ودم دون ان تفقدها طهرها وسحرها. وها هو المشهد المؤثر الذي تصارع فيه البطلة الموت :

« جلست الى جوارها، واخذت يدها لاقبلها، فاحسست انها جافة ملتهبة. وادركت دهشتي الاليمة من الجهد الذي يبذله لكي اخفيها. عندئذ، امتدت شفتاها الباهتتان على اسنانها الجافة، لتحاولا ان ترسما واحدة من تلك الابتسامات المفتعلة التي تخفي تحتها ايضا سخرية الانتقام، وانتظار المتعة، ونشوة الروح وخيبة الامل.

« قالت لي : آه ! يافيلكس ! انه الموت. وانت لا تحب الموت ! الموت البغيض. الموت الذي يمقته كل مخلوق، حتى الشجيع العاشق. هنا ينتهي الحب : كنت اعرف ذلك جيدا .. آه ! لم تمليقه الى هذا

الحمد يا فيلكس ؟ لقد جئت أخيرا ! وهانذا أكافئك على اخلاصك بهذا المشهد المروع ... أنا التي أردت أن أظل جميلة مضيئة في ذاكرتك . وأعيش فيها كالزنبقة الخالدة، اقفي على أوهامك . ان الحب الحقيقي لايحسب شيئا . لكن ، لاتهرب . وأبق . قال مسيو اوريجيه انني تحسنت كثيرا هذا الصباح ، وانني ساعود الى الحياة ، وأبعث تحت نظراتك . وبعد ان استرد شيئا من القواى ، وأعود الى تناول قرم من الطعام ، سأصبح جميلة ، مرة اخرى . أنا لم اتخط الخامسة والثلاثين ، وأستطيع ان أعيش سنين جميلة . فالسعادة تعيد الشباب ، وأنا أريد ان اعرفها . لدى بعض المشروعات الجميلة : سنتركهم .. ونذهب معا الى ايطاليا » .

●●●

ولا يمكن أن نختم هذا المقال دون أن نذكر أجمل قصص الحب التي شهدها القرن العشرون والتي تأثرنا بها بصفة خاصة ، مما جعلنا نترجم جزءا مما أوحت به ، ونقصد بها قصة الحب التي ربطت الشاعر لوى « أراجون » بالكاتبة «الزا تربيوليه» .

قابلها « أراجون » عام ١٩٢٨ في أحد مقاهي مونبارناس . قدمها له صديقه الشاعر مايكوفسكي وكانت تمت اليه بصلة قرابة . وتعني هذه المقابلة الكثير بالنسبة لحياة « أراجون » ، ومؤلفاته على السواء . فلقد أراد أن يكون الشاعر الذي تغنى « بالزا » ، بالمعنى الكامل لهذه العبارة ، بالمعنى الاصلي لهذه العبارة ، الا وهو الخلق والابداع أي أن « الزا » شكلت أعماله عندما غيرت من كيانه وجعلت لهذه الأعمال معنى .

وقد نناقض أنفسنا ونقول : ليس هناك فرق حقيقي بين المؤلفات التي سبقت لقاء « الزا » ، والمؤلفات التي لحقته . كل ما هنالك اننا نلمس نوعا من التفتح خلال مراحل ثلاث : سراب « الزا » واقع « الزا » ، زواج السراب والواقع ، وعنه نشأت أسطورة « الزا » .

لكن الغموض يكتنف « الزا » ، وان كانت حقيقة واقعة . وبفضل هذا الغموض ، يظل الشاعر في الغابة المسحورة . « ما من امرأة لها حقيقة تحاكي حقيقة « الزا » .. والشاعر اذ يذكرها لا يمجد أبدا كائنا مثاليا ، بل يمجد امرأة حقيقية فريدة من نوعها ، ربطتها به تجربة الحب ، تلك التجربة الانسانية الفريدة . وفي الوقت نفسه ، لايرسم « أراجون » صورة « الزا » أبدا ، حتى لو حملت القصيدة اسمها . انه يتحدث عن وجودها من خلال شفافية التلميح الى عينيها، ويديها ، وعطرها ، شعرها، ومواجعها ، وصوتها ، وكيانها .

وحقيقة « الزا » الغامضة ليست الا احساسا موضوعيا بالحب وفقا للمفهوم السريالي ... في « الزا » تتجسد فكرة الحب . ولقد كان الشعراء السرياليون ينظرون الى الحب على انه تجربة ميتافيزيقية ، وأعمق شكل للعلاقات المتجددة بين الانسان والعالم . وهكذا تصبح المرأة وسيطا بين الانسان والعالم اللانهائية ..

أراجون



بلزاك



د. مصطفى ماهر

أجمل قصص الحب في

الأدب الألماني

يعرف الكثيرون عن الالمان صفات الصرامة والمثابرة فى البحوث العلمية والبراعة فى المبتكرات التكنولوجية ويربطون بينهم وبين معالم حضارة العصر الذى نعيش فيه ... وقد يذكر البعض ما قدمه فلاسفة الالمان الفكر الانسانى وما برع فيه الموسيقيون من اعمال فذة ... ما الادب الالمانى فحظه من الانتشار بيننا قليل . وقد يظن الظانون انه يتسم بكثير مما تتسم به الحضارة العلمية والتكنولوجية من صرامة وصلابة وغلظة ، او ما تتسم به الفلسفة من صعوبة . وكم تكون دهشتهم عندما يرونه علينا بالمشاعر الانسانية الرقيقة ويجعلون الحب وقصصه فيه مكانا كبيرا ...



جوته

تطالعنا فى العصر الوسيط قصة شعرية تحمل اسم بطلها الفارس « ابريك » اقتبسها من الفرنسية وصاغها واحد من فطاحل شعراء القرن الثانى عشر واوائل القرن الثالث عشر هو هارتمان فون أوى .. واذا كانت هذه القصة تحمل اسم البطل فان دور البطلة فيها ابرز واعظم . انها المرأة المحبة المخلصة الصبور التى تحتمل فوق ما يحتمل البشر فى سبيل حبيبها وسمعته وكرامته ...

تحكى القصة عنها انها كانت على فقرها فتاة رائعة الجمال ، واحدة من اجمل البنات ، وان قدها المشوق كان يحيط به ثوب اخضر ممزق مهلهل فقد لونه ورونقه ، وانها لو أوتيت الى جمالها مالا وغيرا يليق به لكانت اجمل واعظم امرأة ..

فقد كانت تتلألأ في ثيابها الرثة كما تتلألأ الزنبقة البيضاء سامقة بين كل داكن من الحسك والأشواك · وكان أن أحب الفارس ايريك ، ابن الملك لاك ، هذه الفتاة الجميلة الفقيرة ، وكيف لا وقد كانت من أصل عزيز مال عليه الدهر – وتزوجها وعاد بها الى مملكته ···

وعرف الحبيبان السعادة في أسمى صورها ، حتى أغراهما الحب بأن ينعزلا عن الناس ، وأن يعيشا للحب وحده · ولكن الفارس لم يكن ملك نفسه ، بقدر ما كان ملكاً لطبقته ، وكان ذلك يفرض عليه من الواجبات الشيء الكثير ، وعلى رأس هذه الواجبات : ممارسة الفروسية عملاً ومساعدة الضعفاء والمحصورين حتى ينالوا من الأقوياء حقوقهم ·· وهكذا كثرت ضده الشائعات ، وأصبح الفارس ايريك مضغة في الأفواه وأشك الناس بحق وبغير حق في قدره ·· فلما علمت الزوجة الوفية والحبيبة المخلصة بكيد نساء ورجال البلدة حزنت حزناً شديداً ، وباتت تفكر في طريقة تصلح بها الحال دون أن تجرح أحاسيس زوجها واعتزازه بنفسه ··

وأطالت المرأة الحزينة التفكير دون أن تجد المخرج المأمول · فلم يعد أمامها من سبيل إلا الشكوى في صمت إلا أن يكون زوجها غائباً أو نائماً ، فكانت عند ذلك ترفع صوتها بما في قلبها ·· وحدث ذات يوم أن نام زوجها بين ذراعيها ، أو هكذا ظنت

فقالت آسفة :

« ··· ويلك أيها الرجل المسكين
« ويلي ، أنا المرأة البائسة ،
« إذ تناهى الى مسمعي عن حبي
« حديث لعله مقيت » ·

وسمع ايريك كلامها فساورته فيها الظنون ، وسألها ، فحدثته بالخبر وطلبت اليه أن يعود الى حياة الفروسية النشيطة ، فزاد شكه فيه · وقرر على أية حال أن يمتطي صهوة الجواد ويخرج الى المعارك ، فأمرها على أن تصحبه ، فاشترط عليها أن تصحبه كخادم حقيرة وإلا تفتح فمها بخير أو شر ، فإن تكلمت فله أن يعاقبها ·· وسكتت على الإهانة والعقاب طوال الطريق وهي راضية لأنها ترده الى طريق الصواب ، وهي راضية لأنها تنبهه الى الأخطار ··

وحدث أن أصيب ايريك في معركة نازلهما الفارس « الجراف اورينجلس » وظن الجميع أنه قد مات ، إلا « انيته » ، ظلت مؤمنة بأنه لا يزال على قيد الحياة ، وظلت تحمله في نعش أينما ذهبت · وعرض « الجراف اورينجلس » عليها أن تتزوجه فرفضت وأصرت على الإخلاص لزوجها حياً أو ميتاً · ولم يجد « الجراف » من سبيل يسلكه معها سوى العنف ، فأقام حفل العرس رغماً عنها ، وقد دبر أمره على اكراهها · ولم تكف « انيته » عن البكاء والنحيب حتى سمع الميت الصوت وصحا وقفز من النعش وخطف السيف وعاقب « الجراف » الآثم ·

وأيقن « ايريك » من حب زوجته وإخلاصها له ، وعزم على أن يصلح ما فسد من أمره وأن يكون جديراً بها ···

أجمل قصص الحب في الأدب الألماني

ويضم الأدب القصصي في العصر الوسيط الألماني قصة شعرية عظيمة أخرى تدور حول الحب هي قصة « تريسان وايزولد » التي استعار شاعرهم الكبير « جوتفريد فون شتراسبورج » مادتها من المصادر الفرنسية والبريطانية ...

فاذا تركنا العصر الوسيط وقصصه الجميل الكثير ، واعتبرنا لشعراء الغزل المشاهير من أمثال فالتر فون « فوجيلفايد » الذي كان اماما لشعر الحب الرقيق ثم أسرعنا الخطا الى عصر الازدهار الكبير في فترة من القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، كان جوته (١٧٤٩ - ١٨٣٢) يتربع تيها على عرش الادب لا يكاد ينازعه منازع الا صديقه شيللر - وجدنا انفسنا حيال شاعر اتصلت حياته بقصص من الحب متتالية وتحرك قلمه بالتعبير الجميل عنها . ولعل من ابرزها قصة حبه لفتاة من شتراسبورج عرفها في اكتوبر من عام ١٨٧٠ هي « فريدريكه بريون » ابنة الراعي البروتستانتي ، ما أن رآها بثوبها المميز ، وقبعتها المصنوعة من القش ، وقوامها الرشيق ، حتى هام بها ، وعبر عن سعادته بها في قصائد منها : « ترحيب وتوديع » و « زهيرات ووريقات » و « اغنية الربيع » :

« ودق قلبي ، هيا أسرع الى ظهر الجواد !

وقائما تحركت بالفعل ، قبل ان يسبق تفكيري .

وكان المساء قد بدا يهدهد الارض
وكان الليل يتدلى على الجبال
وشجرة البلوط ترتفع في ثوب الضباب عاليا
وكأنها عملاق يقوم قيام الصروح
حيث اطلت الظلمة من بين الخمائل
بمائة من العيون السود .

***

ورأيتك ، فانسابت فرحة رقيقة
من لحاظك الحلوة الي
واذا قلبي لديك كله
وكل نفس من انفاسي من اجلك
واحاط الربيع بلون الورود
محياك الحبيب
وتلك الرقة الناعمة - ايتها الالهة
لقد كنت ارجوها وما كنت اراني
جديرا بها » .

***

ولقد اشتهرت قصة « آلام فرتر » في المانيا وفي خارج المانيا واصبحت جزءا من الادب العالمي ، لما فيها من صدق في الاحساس وصدق في التعبير .. وهي تدور حول شباب احطمه الاحلام والخيالات والانفعالات الى أبعد مما يستطيع العقل والتفكير المتزن ، يهيم بفتاة بسيطة ، ارتبطت لسوء حظه من قبل برجل آخر ، لا غبار عليه ، ولا عيب فيه ، فهي لا تجد سببا في فسخ خطبتها اليه . فما يكون من العاشق اليائس الا ان ينهي حياته بطلقة من مسدسه . فلنبدأ من البداية :

« يقيم الشباب هنا حفلة راقصة في الريف ذهبت اليها راقصا . وعرضت على فتاة من أهالي هذه المنطقة ان اصطحبها للرقص . وهي فتاة طيبة ، جميلة ، لا تتمتع بما يشد الاهتمام او الملاحظة . واتفقنا على ان اكترى عربة تحملنا نحن هذه الفتاة ، وابنة عمها الى مكان الحفل على ان نأخذ معنا شارلوته التي



شيللر

ستكون في انتظارنا على الطريق .. وقالت مرافقتي ونحن نجتاز القاعة الفسيحة ذات الأشجار القليلة ناحية استراحة الصيد : « ستتعرف بفتاة جميلة » . وقالت ابنة عمها : « وعليك أن تلزم الحيطة ، وأن تحترس من الوقوع في حبها » ، فسألتها : « ولماذا ؟ » ، فقالت : « لأنها مخطوبة الى رجل طيب جدا ، رحل منذ بعض الوقت ليرتب بعض أموره بعد وفاة أبيه وليتقدم لشغل منصب مرموق » .. ولم يكن في هذا الخبر ما يثير اهتمامي » .

وما مر وقت قصير حتى كان أمر شارلوته يهمه ، وكان حبها يملأ عليه حياته .

« انني في الصباح عندما استيقظ من أحلام صافية أمد ذراعي اليها ، فلا ألقاها ، وألتمسها في الليل في سريري عندما يخدعني حلم أثم يصور لي كأنها تجلس بجواري على المرج وكأني أمسك يدها وأطبع عليها آلاف القبل ، فيذهب مسعاي أدراج

●●●

ومن أجمل قصص الحب التي عاشها جوته وخلدها في شعره ، قصة حبه لماريانه فيلمر التي لا تنفصل عن «الديوان الشرقي للمؤلف الغربي» .. كان جوته قد تجاوز الستين من عمره ، فالتقى بالحسناء الملهمة أثناء رحلة قام بها الى هايدلبرج . وكان شعر حافظ الشيرازي الذي ترجمه المستشرق النمساوي همر فون بورجشتال قد فتح أمام الشاعر الألماني عالم الشرق بكل ما فيه من فكر ووجدان وايمان وعلم وخيال . وكتب جوته مع ماريانه كثيرا من الشعر الجميل . وتسمى جوته باسم حاتم وسمى ماريانه زليخا .

زليخا

« على حافة النبع البهيج
الذي يتلاعب بخيوط من الماء
لم أدر ما تشبث بي .
كانت هناك حروف شفرة
خطتها يدك خطا رقيقا
فخفضت بصري ميالة اليك
وهاأنذي عند نهاية الجدول
والطريق العظيم النضيد
أرفع بصري مرة أخرى الى أعلى
لأرى من جديد حروف شفرتي الرقيقة
فكن دائما ميالا الى » .

حاتم

ليت المياه الهائجة المائجة
ليت أشجار السرو تعترف لك بالحقيقة :
ما ذهابي وايابي الا
من زليخا الى زليخا .

●●●

وتسير بنا قصص الحب الحلوة في الأدب الألماني فتمر بأسماء لامعة من بينها نوفاليس ، وموريكه ، وتوماس مان ، وريلكه ، وتصل بنا الى العصر الحديث ، وما أكثر حديث الحب بين أدباء وشعراء هذه الأيام .

د. عاتكة الخزرجي



تحية حب

إلى كل من يمت إلى العروبة بسبب ما بين المحيط إلى الخليج ...

تمهلْ – أبيتَ اللعنَ – جرت عن القصد
فليس لمثلي أن تقابَلَ بالصدِّ

بلادُكَ – إنْ ترْشد – بلادي وإنها
عشيري وأحبابي وأنفس ما عندي

هوايَ بها .. ما حدت عن عهد حبها
وحاشا لمثلي أن تحيدَ عن العهد

وكيف وقد ملكْتُها كل مهجتي ؟
وإني لأخفي في الهوى فوق ما أبدي

هواي بها .. إني نذرتُ جوانحي
إلى كل شبرٍ في العروبة مُمتَد

اليكم .. الى الصحراء ، للرمل ، للـــــربى
لموج الخليج الثرّ .. ليلوحُ من نجـــد
لمكةَ .. للبطحـاء . للخيـــف من منىً
لسيناء ، للجولان ، للقدس ، للخلدِ . .
إلى كل عـــرقٍ فى العـروبة نــابضٍ
وكل فؤاد يذكـــر الله بالحمـــد . . .
الى تونس ، أو للجـــزائر ، للهـــوى .
بمغربنـا الأقصى القـريب على البعـد . .
يمينا ، لقــد أحببتـــكم حبَّ زاهــدٍ
وأعنف أهــواء المحبين فى الزهـــد
ومن أجلـكم أرجو الشــهادة فى الهوىَ
فلله ما يَلقى الأخـــــلاء فى الودّ !
لئن كان فى بغـــــداد مهـدى فاتنى
أرى أهلكم أهلى ومهـــدكم مهـــدى
« وهل أنا إلا من غزيّةَ إنْ غــــوت
غويت وإن ترشد فقى رشدها رشدى»؟
يمينـا لقـــد أحببتـــكم حبَّ والــهٍ
يفــديكم بالنفس والمـال والولدِ
وهل بعد بذل النفس فى الحب غــايةٌ
وهل عندكم فى الحب بعض الذى عندى ؟
يمينـــا لقـــد أحببتكم حبَّ راهـب
يرى غير حبِّ الله فى الله لا يجـــدى
وهل بعـد هـــذا الحب فى الحب غـايةٌ
وهل عنـــدكم بالله بعض الذى عنـدى ؟

رحلة الشهر

شريط من دولة المهاترات

من المؤسف ان تهبط المهاترة السياسية حتى تخرج عن نطاق السياسة وتتسلل الى حقل الادب ، بكل ماله من كرامة وقداسة .

اقيم في احدى الدول العربية مهرجان شعرى ، دعى اليه شعراء من كل بلد عربى الا مصر طبعا ، لان مصر هي التي ينصب على رأسها الاسفاف كل ليلة من صوت الدولة الداعية لذلك المهرجان ، بكل اسف .

وشكرا للصديق الكريم الذى تفضل مشكورا بموافاتي بشريط مسجل لوقائع هذا المهرجان من اوله الى اخره ، مع رسالة كريمة يستنكر فيها ان تهبط تلك الدولة العربية الى المستوى الذى تستأجر فيه واحدا ممن يكتبون الشعر الحديث للنيل من مصر واعلام مصر ، الاحياء والاموات !

وصاحبنا هذا له تاريخ طويل في التهجم على مصر ورجالات مصر ، منذ ايام عبد الكريم قاسم ، ومن يحب أن يراجع تاريخه فليقرا كتاب « جناية الشيوعيين على الادب العراقي » الذى الفه الاديب العراقى الكبير هلال ناجى .

كان صاحبنا هذا يقول للمصريين انه سيجعل من جماجمهم منافض للسجاير !



وفى ذلك المهرجان الذى اقيم بتلك الدولة العربية الحاقدة على مصر ، وقفت الشاعرة العراقية الموهوبة الدكتورة عاتكة الخزرجي ، الاستاذة بجامعة بغداد تعقب على القصائد ببحث علمى ممتاز قالت فيه :

« وحصيلة هذا المهرجان الاول للشعر الوطنى فى هذا البلد ... نلمحات طيبة من الشعر الصافى الاصيل ، بعضها يذكرنا بالاخطل الصغير ، وبعضها ينقلنا الى الخيام وبعضها ينقد بسخرية موليير ، وبعضها يصور طرائف الموضوعات ، كان ترى الراعية ، وأن تسمع ، وبعضها وبعضها ...

« الا انه الى جوار هذه النلمحات الاصيلة الطيبة ، جاءت نلمحات من سموم غريبة ، لا ادرى كيف انحدرت ولا من اين جاءت .

« وأرجو الا يتبادر الى الاذهان أننا ممن ينكر على الشعر التجديد ، أو ممن يؤمن بالعمودية المطلقة . فقد كانت فى هذا المهرجان قصائد عمودية ، الا انها بمزيد من الاسف لم يكن لها من سمات الشعر الا الهيكل الخارجى ، ولعلها والفية ابن مالك سواء ان جازت لنا المقارنة .

« ولم يكن اغلب ما سمعنا من الشعر الحديث المستوى المنتظر لهذا اللون من الشعر ، الذى كان عليه أن يجمع الى الاصالة ، الابداع والجدة فى المظهر والجوهر ، الا انه ـ وبمزيد من الاسف ايضا ـ كان خلوا من كل ذلك .

« ورحم الله الدكتور طه حسين اذ يقول : ولكلا للشعر قديما كان أو حديثا ، أسسا يجب ان ترعى ، وخصائص يجب ان تتحقق فليس يكفى ان ينشيء الانسان كلاما على اى نحو من انحاء القول ، ثم يزعم لنا انه قد انشأ شعرا حديثا ، فالشعر يجب أن يبهر النفوس والاذواق بما ينشأ فيه من الخيال والصور ، ويجب ان يسحر الاذهان والنفوس معا بالالفاظ الجميلة التي تمتاز احيانا بالرصانة وتمتاز احيانا بالرقة واللين ، فاذا استطاع الذين يحبون هذا الشعر الحديث أن يقدموا الينا منه ما يمتعنا حقا ، فمن الحمق ان ننكره او ننزوى عنه لا لشيء الا لانه لم يلتزم ماكان القدماء يلتزمون من الاوزان والقوافى .

ولم يكن رأى العقاد ، تغمده الرحمة ، يختلف عن رأى الدكتور طه حسين ، العقاد يقول ان هدم الفن الجميل الذى امتازت به لغة العرب بين لغات العالم لا يصدر الا عن عجز

او اصرار على الهدم ، ولا خير في دعوة يتولاها العجز العقيم ، والضغينة النكراء ·

والحق ايها السادة ، ان كانت لي كلمة متواضعة اقولها بعد هاتين ، فان اخشى ما اخشاه على ناشئتنا اليوم هو المضي في الانجراف وراء بدعة العصر الحاضر ، اعني التيار الجديد الذي يسمونه الشعر الحر انما اريد لهم ان يحلوا الابداع محل البدعة والا يستهينوا باوزان الشعر وقوافيه محاولين ان يجروا وراء شعر الغرب وما هم بمستطيعين ، فيضيعوا بذلك عليهم الاثنتين ، كما يقولون ·

ان اخشى ما اخشاه على ناشئتنا هذه البدعة التي ازعم الا رموز مبهمة ، ومجازات مغلقة ، حشرت في كلام يكاد يكون مطلقا من القافية حينا او من الوزن احيانا ، يزعم اصحابها انها حدث جدد في ادبنا المعاصر، وانها تحرير للشعر العربي من قيود ثقيلة طالما رزح تحتها وناء بحملها·

ان صعوبة الوزن والقافية، لايشكوها شاعر مبدع مطبوع انما هي عقبة كاداء بوجه الناظمين المقلدين · وجمال شعرنا العربي آت من رصانة قوافيه واتساق انغامه · وثقوا ان الشاعر الاصيل لا يلقى اى عنت في هذين ، انما تتسق له الاوزان من تلقائها وتاتيه قوافيه طيعة مختارة · ويرحم الله ابا الطيب اذ يقول : انام ملء جفوني عن شواردها ·

ان احلى مثل للشعر العربي المعاصر هو الذي يجمع الى جلال القديم جمال الجدة ··· في الافكار والاخيلة والصور والمعاني ، مع حفاظ اكيد على عمود الشعر ، دون تنكر لما وضع السلف ودون امتهان لقدسية التراث ، مع ابقاء على التربة الغنية والجذور الاصيلة ، وان تطلع على الناس بادب محدث هو خير الاثنين وصفوة التراثين العربي والغربي »·

هكذا قالت الشاعرة عاتكة ··· حياها الله وصفق لها الحاضرون تصفيقا حادا ـ كما يسجل الشريط ـ ثم وقف بعدها صاحبنا الذي حدثتكم عنه ـ واسمه عبد الوهاب البياتي ـ وهو الذي لم يسلم من لسانه شاعر ميت او حي ··· حتى اصدقاؤه ، ومنهم ـ او كان منهم ـ صلاح عبد الصبور ونزار قباني وغيرهما ·

اقول ، وقف صاحبنا هذا يعقب على حديث الدكتورة عاتكة ، وانا انقل قوله عن الشريط المسجل ، كلمة بكلمة :

« عفوا ، انا لا اريد من تعليقي اهانة احد ، انما اود ان اقول انني كانني سمعت منذ لحظات صوت صالح جودت يتكلم · وانا اعتقد ان القضية بشكلها العلمي ، والاستاذة او السيدة عاتكة الخزرجي وهي استاذة في الجامعة وكنت انتظر وقد درست الادب اعتقد خارج العراق ، وقد

تعلمت أن تدلى برأيها الموضوعى ولكنها جلست فى هذا المكان وتكلمت كما يتكلم استاذنا محمد مهدى البصير ، وهو استاذى ايضا ، وهو رجل اعمى وقد درس لنا الادب العربى وهو لا يعرف الا اربعين اوثلاثين كلمة يرددها . والدكتورة عاتكة مع احترامى الشديد لها (!) القت حتى كلماته حتى بنفس الاسلوب الذى كان يلقيه علينا منذ ثلاثين سنة » .

وبعد هذه السخرية من استاذه ... السخرية بجهله وبعماه ... مضى يقول :

« المسالة ليست هى بالمفاضلة وما اشبه كما ذكرت ، ولا اريد السخرية بالشعراء المصريين ، لاننى احبهم واحترمهم احترم الشعراء الحقيقيين طبعا ، ولا احترم صالح جودت ولا عزيز اباظه ولا احمد رامى ، لان هؤلاء ليسوا شعراء على الاطلاق » .

وقال بعد ذلك : ان فى النجف الاشرف ، وهى مدينة مقدسة فى العراق ، اكثر من عشرة الاف ينظمون الشعر ، وليس بينهم شاعر واحد » .

واعفيكم ايها القراء من بقية حديثه ، فلعلكم اكتفيتم بهذا القدر من ادبه .. مما يغنينا عن الرد عليه ، بعد أن سب جميع شعراء مصر والشام ... وحتى العراق !

مهرجان المسرح بدمشق

● اقيم فى دمشق فى الفترة ما بين اول و ١٥ مايو الماضى مهرجان مسرحى كبير شاركت فيه معظم الاقطار العربية وتضمن عدة عروض مسرحية رائعة وندوات صباحية عن المسرح . وقد كنت احد اعضاء وفد البحرين الذى شارك فى هذا المهرجان .

وقد استغربت من مجلة « الهلال » عدم الاشارة اليه فى حين انه جدير بعدد خاص يعرض للندوات التى سايرت العروض . واذكر اننى رأيت من الهلال اعدادا خاصة عن مهرجانات ومؤتمرات عربية اذكر منها العدد الخاص بالمؤتمر الاسلامى بالجزائر (عدد اكتوبر سنة ١٩٧٣) والعدد الخاص بالمهرجان الثقافى بالسودان (عدد مارس سنة ١٩٧٥)

● محمود احمد الملا ●

● البحرين ●

ـ عذرنا ، اولا ، ان مجلة « الهلال » لم تدع الى هذا المهرجان . وثانيا ، اننا نهتم بالادب والشعر اساسا ، لان الهلال ليست ـ اساسا ـ مجلة فن . وثالثا ان منظمى المهرجان لم يهتموا بموافاتنا بالدراسات التى القيت فى هذه الندوات .

قــرأت هـذا الشـهـر

● في عالم الصيد : احمد حسن الباقوري
كان عبد الله بن مسعود في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجاء ذكر الفتنة ...

يقول ابن مسعود :

« وذكر النبي الفتنة ، فقال : هي الهرج
« قلت : وما الهرج يارسول الله ؟
« قال ، حين لايأمن المرء جليسه
« قلت : فيم تامرني ان ادركت ذلك ؟
« قال : كف نفسـك ويدك وادخل دارك
« قلت فان لم تسعني داري ؟
« قال ادخـل بيتك (أي الزم غرفة نومك)
« قلت : فان دخل على بيتي ؟
« قال : ادخل مسجدك وقل ربي الله ، حتى تموت » .

هذا الحوار ، يرويه لنا استاذنا الجليل ، الشـيخ احمد حسن الباقوري ، في صـدر كتابه الممتع : في عالم الصيد.

أما لماذا الف شيخنا هذا الكتاب ، فجوابه في هذا الحوار الذي نقلته لك . فقد عبرت بنا سـنوات طويلة سـاد فيها الهرج ، فوجد الشـيخ خلالها في انكبابه على الصيد وشئونه بعدا بعيدا عن كل ما يمس شأنا يتصل بالسـياسة من قريب او بعيد ، رغبة في اتقاء الهرج .

ويحدثك هذا الكتـاب عما لايعلم الكثيرون منا في هذا العالم العجيب ، عالم الصيد .

● يحدثك عن المجاعة التي منيت بها مصر في عهـد المستنصر ، حتى اكل الناس القـطط والكلاب والحمير ، فلما لم يجدوها ، اعدوا الكلاليب وراحوا يصـيدون المارة من الناس وياكلونهم ... حتى انهم اكثرا من نفذ فيهم حكم الاعدام .

● وعن قبائل من العرب ، منها هذيل وأسـد وبلعنبر وباهلة ، اشتهرت باكل اللحوم البشرية .

● وعن الايل ـ وهي تيس الجبـل ـ وكيف انه يصـادق السـمك ويسير الى جانبه فلا ياكله ، وياكل الحيـات . مما

جعل صيادي السمك يلبسـون جلد الإبل ، حتى يأمنهم السمك فيصطادوه !

كتاب لا تقل متعته به عن كتاب « الحيـوان » للجاحـظ وان يكن كتاب الشيخ احفل واشمل .

(٢٥٤ صفحة ـ دار الفتح)

● سنوات الهوان :

ابراهيم سعده

وهذا كتاب له صلة بسابقه ، فليست سـنوات الهوان الا سنوات الهرج ..

ومؤلفه ، الصحفي الشاب الظهور ابراهيم سعده ، يرفع لك الستارة في هذا الكتاب عن الماضي القريب الاسـود ، وما نهب الناهبون فيه من اموال الدولة ، وعن كلاب الحراسة وما نهشت من القصور ، وعما عانـاه الشـعب من التزييف والخوف والهوان .

(٢٧٠ صفحة ـ الناشر : احمد يحيى)



احمد حسن الباقورى

● حصاد العقل :

محمد سعيد العشماوى

صاحب هذا الكتاب من رجال القضـاء ، وهو في الوقت ذاته من أعضاء رواق الحكيم ، ومن أصفيـاء توفيق الحكيم ، ولهذا استطاع هذا الكتاب ان يظفر بمقـدمة ممتعة ومنصـفة من شيخ الرواق ، يصف فيها المؤلف بانه « مفكـر من ذلك الطراز الشـامل لشتى نواحي الفكر الانسـاني .. يحب الغوص الى الاعماق ولا يكتفي بالسطوح . وعنايته بدراسة الانسـان والانسانية ظاهرة في كل ما كتب واخرج من مؤلفـات . فقد نشر كتابين قبل هذا الكتاب ، هما (تاريخ الوجودية في الفكر البشري) ثم كتاب (ضمير العصر) .... »

ويتناول الكتاب حصاد العقل الإسـلامي والعقل الغربي ، مع تبيان سبل الاصلاح الفعـالة الكفيلة بان تبني الانسـان المعاصر على اسس حضـارية بناءة ..

(١٩٢ صفحة ـ دار الكتاب اللبناني)

● الحريات العامة :

عبد الحميد متولي

دراسـة بناءة ، صدرت في اوانـه تبحث فيهـا عن

ايديولوجيتنا . وهذه الدراسة عن الحريات العامة تشمل نظرات فى تطورها وضماناتها ومستقبلها والمفاضلة بين النظام الحزبى والاتحاد الاشتراكى .

(٢٨٩ صفحة ـ منشأة المعارف بالاسكندرية)

● بين الجزيرة والكهف :

الياس شليطا

كتاب فريد الاسلوب ، يبحث عن الحق والخير والجمال ، ويذكرك بروائع جبران من النثر الشعرى .

وله مقدمة حلوة ، هى تحية من الشاعر الكبير عمر ابو ريشة للمؤلف ، يقول فيها :

« ليت العمر راحلة بين « الجزيرة والكهف » لتعشق ما يريده الحق الذى كشفت عنه ، وسوف يعترف لك العالم الكبير الواسع بوقوفك امامهذا الانسان الكبير ـ بالرغم من فقره المادى ـ الذى يكاد يفقد اسمه الذى شانه لتجاوزه ـ به ـ الفاصل والحد ، حيث يقف الجوهر ضد العرض ، والحلم توام الواقع . انه الصفاء الاسمى واراك قبست منه ، ولست احسبك تتوقف » .

(١٠٧ صفحات ـ مطابع عقيقى ، غورطا)

● عباقرة رحلوا زهورا :

فايز فرح

مجموعة من السير الخالدة للراحلين فى الشباب ، مثل الاسكندر (٣٣ سنة) وجان دارك (١٩ سنة) وموزار (٣٥ سنة) وشوبان (٣٦ سنة) وشيلى (٣٠ سنة) وابو القاسم الشابى (٢٨ سنة) وسيد درويش (٣٠ سنة) .

(١٨٩ صفحة ـ مطبوعات ـ الشعب)

● حكايات وجدان :

حسين خريس

ديوان انيق من الشعر الوطنى والوجدانى والعاطفى ، للشاعر الاردنى الجهير حسين خريس ، المستشار بجامعة الدول العربية .

ومن الاراء الناضجة لهذا الشاعر انه يرى ان العلاقة بين الناقد والشاعر يجب ان تقوم على المحبة والالفة ، باعتبارهما طرفى قضية لابد من تعايشهما فى سلام حتى تصل القضية الى غايتها من البوح عن سر جمالها وروائع معطياتها .

(٢٠٧ صفحات ـ المكتبة العصرية بصيدا)

● ص . ج ●



هدية العدد صورة: الدكتور زكي مبارك

● ولد بقرية سنتريس بمحافظة المنوفية في ٥ اغسطس عام ١٨٩١ من اسرة اعتزت بكرامتها وبغنى النفس، فنشأ عصاميا ، وتعلم في الازهر ، ثم دخل الجامعة ونال الدكتوراة عام ١٩٢٤ بتقدير جيد جدا ، ولما شبت الثورة الوطنية في مصر عام ١٩١٩ أسهم فيها زكي مبارك بخطبه النارية مما تسبب في سجنه ...

● سمي بالدكاترة لانه اول من حصل على الدكتوراه في الفلسفة من الجامعة المصرية القديمة ، ثم حصل على دكتوراه أخرى من الجامعة الجديدة فضلا عن الدكتوراه التي نالها من السوربون عام ١٩٣١ بتقدير مشرف عن كتابه القيم « النثر الفني في القرن الرابع الهجري » .

● كتب الشعر والنقد ، والفلسفة الاسلامية ، وكان يعايش الحياة بروح فنان منطلق صادق مع نفسه ، وهو يعد من ألمع الشخصيات التي برزت في الحياة الادبية والصحفية في الثلاثينات والاربعينات .

● عمل مدرسا في الجامعة المصرية ومفتشا للتعليم واستاذا في الجامعة الامريكية وبعض المدارس الاجنبية واستاذا للادب العربي في جامعة بغداد .

● صاحب رصيد ضخم في الكفاح الادبي والعربي ، وكان في مقدمة المدافعين عن اللغة العربية ، والمطالبين بتعميم تعليمها في الجامعات والمدارس، و « كلية الطب » ايام الاحتلال البريطاني . وكان من المؤمنين بالقومية العربية والدافعين عن عروبة مصر .

● عرف بالجرأة والصراحة والاعتداد بالنفس ، ويعد كتابه (الاخلاق عند الغزالي) وكتابه (التصوف الاسلامي) وكتابه (النثر الفني) من الكتب الهامة في المكتبة العربية ، والتي كان لها دور كبير وهام في حياتنا الادبية والفكرية ..

● بلغ عدد الكتب التي ألفها اكثر من اربعين كتابا بعضها بالطبعة الفرنسية وديوان شعر (ألحان الخلود) كما قام بتحقيق كثير من كتب التراث العلمي والادبي ،واشترك في تحرير كثير من الصحف والمجلات الادبية .

● قال عنه أحمد حسن الزيات : « انه أحد الكتاب العشرة الذين يكتبون لغتهم عن فهم ، ويفهمون ادبها عن فقه ، ويعالجون بيانها عن طبع » وصدق الزيات ، فزكي مبارك كان مدرسة قائمة بذاتها في ادبنا الحديث

● توفي في ٢٣ يناير ١٩٥٢ عن ستين عاما ، بعد حياة عامرة بالكفاح والنضال الوطني ، من أجل الكلمة التي عاش محبا لها ، وترك الحياة وما زال الكثير من انتاجه لم يطبع حتى الآن .

بحيرتا الفيروز

حسن كامل الصيرفي

إلى صاحبة العينين الفيروزيتين

يقولُ بعضُ الناسِ في المشرقِ
مَنْ لبسَ الفيروزَ لم يغرَقَ
لكنني أنقضُ هذا الذي
يزعمه الكهانُ في المشرقِ

***

بحيرتا الفيروزِ .. عمقاهُما
عمقُ المحيطِ الأرحبِ الأعمقِ
يحيرانِ الفكرَ في ومضةٍ
رجراجةِ اللمحةِ كالزئبقِ ..
قد طوتا الليلَ بأغوارهِ ..
مِن ظاهرِ الأسرارِ والمغلقِ .. !
إن تشرعا اللحظَ إلى غايةٍ
يسرعْ، فلم يُسبَقْ، ولم يلحق
كخاطفِ البرقِ إذا شمته .. ،
يا حُسْنَ هذا الخاطفِ المبرق .. !



كالنجم في اللمع .. وفي رقصه ،

كالسيف في الحد ، وفي الرونقِ

●●●

بحيرتا الفيروز .. يا حيرة الـ

سباح – في لجيهما – المرهقِ

كم من غريقٍ ود لو أنه

يعود كي يلتقى الذى قد لقي !

●●●

كم شرك ، ينتصب في نظرةٍ

في كل شط منهما ، محدقٍ .. !

يسخر بالناظر في ثورةٍ

مجنونةٍ .. والناظر المتقي .

تفترق الأهواء في قيدها ،

ويلتقى المأسور بالمطلقِ

كما التقت ساحرة فيهما :

متفاتين الأخضر والأزرق .. !

أمينة السعيد

لم يشهد العالم فى يوم من ايام تاريخه الطويل تجمعا نسائيا كالذى حدث اخيرا فى مدينة المكسيك بمناسبة عام المرأة العالمى .

وكانت هيئة الامم المتحدة قد قررت ان يكون عام ١٩٧٥ هو عام المرأة العالمى بقصد تنشيط الحركة النسائية فى العالم اجمع ، واعطائها خصوصا فى الامم المتخلفة دفعة قوية تتيح للنساء الاشتراك بنصيب النصف فى مشاريع التنمية وفى اقرار اسس السلام العالمى التى بدونها لا يمكن لشعب من الشعوب ان ينصرف بجهوده وطاقاته الى تهيئة الاسباب الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التى تنهض باحوال الشعب ، وتتيح لطوائفه المختلفة ان تتمتع بمناخ معيشى وعلمى كريم يتناسب مع كرامة الانسان ويصون آدميته ..

حول المؤتمر النسائى العالمى بالمكسيك

ولقد جاء عام المرأة ومؤتمرها الكبير نتيجة للدراسات المكثفة التى قامت بها هيئة الامم المتحدة على مدى السنوات العشرين الاخيرة فى اسباب تدهور الاقتصاد العالمى نتيجة لتخلف الامم النامية وعجزها عن الوفاء بمتطلباتها مع اضطراد زيادة عدد السكان فيها ، مما احالها الى عبء ثقيل على الامم المتقدمة ، واوشك ان يؤثر على المستويات الحضارية المعيشية لابناء هذه الشعوب ..

وابرز ما اكدته هذه الدراسات المكثفة ان العلة تقوم اساسا على تخلف المرأة الشديد خاصة فى البلاد النامية نتيجة لعجزها عن المساهمة بنصيب النصف فى مشروعات التنمية ، هذا العجز الذى يصنعه الجهل وتقويه العوائق المختلفة



سيدة مصر الاولى جيهان السادات ، ودور بارز فى مؤتمر المرأة العالمى بالمكسيك . . .

حول المؤتمر النسائي العالمي بالمكسيك

التي تضعها في طريق المرأة تقاليد وأعراف متوارثة ·· وبناء عليه رأت هيئة الامم المتحدة أن تقوم بجهد استثنائي في سبيل النهوض بأحوال المرأة تمهيدا لاعتلائها المكانة اللائقة بها لا في مجال الانتاج والتنمية فحسب بل في المجال السياسي حيث ينبغي أن تكون لها كلمة مسموعة في اتجاهات بلادها الداخلية منها والخارجية ··· ثم توجت هذه المنظمة العالمية جهودها بمؤتمر المكسيك الذي انعقد بالمكسيك في يوم ١٩ يونيو الماضي·

ونظرا لاهمية الغرض المقصود من عقد هذا المؤتمر حرصت نساء العالم بأجمعه على حضوره ، ورأينا وفودا من مختلف بقاع الارض تمثل شعوبه البيضاء والسوداء والسمراء والصفراء ، وقد بلغ عدد الوفود ١٣٥ وفدا كل منها ينتمي الى دولة معينة · وكان عدد السيدات في هذه الوفود ستة آلاف سيدة غير اعضاء الجمعيات غير الحكومية وممثلات حركات التحرير ومنها منظمة التحرير الفلسطينية والمنظمات الافريقية ···· وبالاضافة الى كل هذا الف صحفي بينهم ما لا يقل عن سبعمائة مصور ان لم يكن اكثر ···

ولقد بدا الاهتمام العظيم بهذا المؤتمر واضحا بحضور سيدات على شهرة عالمية مثل جيهان السادات، ومسز باندرانيكا رئيسة وزراء سيرى لانكا ، وفالنتينا تريشكوفا رائدة الفضاء السوفييتية المعروفة ، والاميرة اشرف بهلوى توأم شاه ايران ومسز محمد علي بوتو رئيس حكومة باكستان ومسز ماركوس زوجة رئيس جمهورية الفلبين ، وغيرهن من القائدات والمجاهدات في مجال تقدم المرأة ···

وبانعقاد المؤتمر تأكد ما كان متوقعا من أن قضية المرأة المطلوب مناقشتها من خلال قضايا السلام والتنمية والمساواة ، انما تختفي وراءها تيارات متباينة جدا خصوصا في المؤتمر الرئيسي الذي يمثل الحكومات ، فالواقع أنه لم يكن المؤتمر الوحيد بمدينة المكسيك اذ سبقته بأيام حلقة دراسية للاعلاميين والاعلاميات الشابات ، ثم مؤتمر ثالث سار بموازاة المؤتمر الرئيسي للهيئات غير الحكومية . ولقد سمى « التريبيون » وهي كلمة رومانية قديمة معناها « المدافع عن حق الشعب »، وقد اتخذت المنظمات الاهلية هذا الاسم شعارا لجمعهن غير المقيد باتجاهات الحكومات وسياساتها مثل المؤتمر الرئيسي الذي كان



جيهان السادات مع
الأميرة أشرف بهلوي الأخت
التوأم لشاه ايران ..

حول المؤتمر النسائي العالمي بالمكسيك

باعتباره تابعا لهيئة الامم المتحدة وهي منظمة تضم الحكومات ، ولا يشترك في مؤتمرها سوى وفود حكومية ملتزمة بالاراء الرسمية لدولها ·· ولقد اثمر هذا الالتزام عن اختلاف شديد في وجهات النظر من حيث مفاهيم السلام والتنمية الاقتصادية على وجه التخصيص نظرا لاختلاف المذاهب السياسية والفكرية والاوضاع الاقتصادية والعقائدية للدول المشتركة بوفودها في المؤتمر ··

ولا بد من الاعتراف بأن دول العالم الثالث التي مازالت تعاني من ذيول الاستعمار ورواسبه قد لعبت دورا هاما في التغلب على التيارات السياسية المعاكسة ، وابراز ضرورة البدء بتحرير الاراضي من محتليها كذلك القضاء على التفرقة العنصرية ثم المساواة في المعاملة بين الدول المتقدمة والمتخلفة صناعيا كاجراء لا يمكن تحقيق السلام العالمي الدائم بدونه ·

ففي ظل هذا السلام القائم على عناصر الحرية والحقوق الانسانية للبشر تستطيع الشعوب أن تتحرر ، فتستطيع المرأة بالتالي أن تنال حريتها ، وتحتل المكانة المرجوة لتمكينها من المشاركة بنصيب النصف في مشاريع التنمية التي يتوقف عليها رخاء العالم وارتفاع المستوى المعيشي فيه ـ خاصة في الدول النامية ـ الى المنسوب اللائق بكرامة الانسانية ··

وبعرض مشاكل المرأة في شتى بقاع العالم بدا واضحا أن العقبة الكبرى الماثلة في طريق تقدمها هي شيوع الامية بين صفوفها ، وما نتج عن هذه الامية من عزلة تامة للمرأة، وتمزق واضح في جهودها ، بالاضافة الى المسئوليات العائلية الملقاة بكاملها على عاتقها ، مما يحرمها من اى فائض للوقت تسهم به في المشاريع والخدمات العامة ···

ويمكننا ان نقرر حقيقة اكيدة هنا وهي ان كلمة السيدة جيهان السادات احدثت آثارا طيبة ولذلك استحقت الاعجاب ونالت اكثر تصفيق في المؤتمر كله ، فقد بدات خطابها بعرض المكاسب السخية التي أتى بها الاسلام للمرأة فكانت هذه المكاسب اضخم ثورة اجتماعية في تاريخ البشرية ·· وكيف ان هذه المكاسب التي ما زال بعض نساء العالم المتقدم محروما منها الى الآن اعطت للشعب الاسلامي دفعة حضارية وضعته في مقدمة العالم علميا واقتصاديا ، ثم توالت عصور الاستعمار التي امتصت دماء الحياة في بلادنا وادخلت من المؤثرات الغربية عن بيئتنا



فى الصورة العليا ، فالدهايم السكرتير العام للأمم المتحدة يهنىء السيدة جيهان السادات بعد خطابها الرائع وفى الصورة الثانية السيدة جيهان تجلس بين الوفد المصرى فى الجلسة الافتتاحية للمؤتمر العالمى للمرأة بالمكسيك . . .



ما وضع العوائق في سبيل المرأة ، وقدها بالتصريح الى الانزواء التام عن مجال الخدمة العامة ..

كذلك اثارت السيدة جيهان في خطابها المركز قضية السلام وصعوبة تحقيقه في ظل الاحتلال والتفرقة العنصرية وحرمان شعب فلسطين من حقه الشرعي في ان يكون له وطن يعيش في ظله امنا من التشريد الذي يعانيه الان ..

ولقد اثار حديثها عن الدين الاسلامي اهتمام الناس جميعا وشدهم الى حقائق لم تكن معروفة لهم من قبل ، كما جاءت اشارتها الى احتلال الاراضي والتفرقة العنصرية بمثابة القنبلة التي أطاحت بالواجهة الهادئة المصطنعة التي اسدلها المؤتمر امامه ، فانكشفت التيارات السياسية المختلفة ، وانكشفت الاغراض الحقيقية ، مما ترتب عليه قدر لا يستهان به من التوعية العامة اتاح للوفود العربية أن تحرز نجاحا سياسيا منقطع النظير عندما اقنعت الرأى العام في المؤتمر بضم الصهيونية الى الاستعمار والتفرقة العنصرية ، واعتبارها عدوا لدودا للحرية يتحتم على الشعوب ادانته ومقاومته. ولقد أحرز التصويت على هذا الرأى اغلبية كبيرة في المؤتمر اثبتت ان التحرك العربي الذي بدأته جيهان السادات كان ناجحا الى ابعد حدود النجاح.

والى جانب هذا الكسب خرج المؤتمر بورقة عمل تسرى لمدة السنوات العشر القادمة ، وضعها السكرتير العام لهيئة الامم المتحدة وأقرتها اللجنة التحضيرية للمؤتمر ، وهي لجنة تتألف من ممثلي ثلاث وثلاثين دولة . والمقصود بهذه الوثيقة أن تستمر الجهود المكثفة في طريقها خلال مرحلة السنوات العشر القادمة لتحقيق المساواة الكاملة بين النساء والرجال ، فلا ينتهي الكفاح من أجل هذا الغرض الانساني العام بانتهاء العام الحالي وهو العام العالمي للمرأة ..

حول المؤتمر النسائي العالمي بالمكسيك

وورقة العمل تتضمن الى جانب قضية المساواة ، تأكيد حق المرأة في صنع القرارات السياسية ، وفي التخطيط لمشاريع التنمية الاقتصادية ضمانا لقدرة هذه المشاريع على خدمة متطلبات الاسرة ، كذلك تأكيد ضرورة افساح الطريق امام النساء لتولي المناصب القيادية ، والاهتمام المكثف بتحرير المرأة

الريفية من القيود القاسية التى تعيش فيها .. بالاضافة الى ضرورة تركيز الاهتمام الاول على مكافحة الامية بين النساء ونشر التعليم فى صفوفهن والعمل على تأهيلهن للأعمال الفنية المختلفة حتى لا ينحصر جهدهن خارج البيت فى الاعمال التافهة ..

•

وبهذا البرنامج الحافل تكون هيئة الامم المتحدة مع المنظمات النسائية غير الحكومية قد قدمت للعالم - خصوصا الجانب النامى منه - خطة كاملة متكاملة تقع مسئولية تنفيذها على عاتق الشعوب والحكومات ، ولو اخذت هذه المسئولية على محمل الجد ، فسوف نرى بعد عشرة اعوام عالما جديدا قادرا بامكانياته البشرية المتوازنة على النهوض بالانتاج العلمى والاقتصادى الى المستوى الحضارى اللائق بالقرن الحادى والعشرين من تاريخ الانسانية ..

•

السيدة جيهان السادات ترد على اسئلة الصحفيين فى احد اللقاءات الصحفية بالمكسيك



عبد الرزاق
الهلالي

بمناسبة العام الدولي للمرأة

الزهاوي
والدفاع عن المرأة

يحتفل العالم في هذه السنة ، سنة ١٩٧٥ ، بعام المرأة الدولي ، اعترافا منه بمالها من اثر في حياة الشعب ، وتمجيدا لما بذلته من جهود ، في سبيل نهوضها وتحررها ، في شتى مجالات الحياة العامة ·

ولما كانت المرأة العربية ، من بين نساء العالم اللاتي ناضلن ، نضالا مريرا من أجل النهوض والتحرر ، اجتماعيا وسياسيا ، واستطاعت ، خلال نصف قرن من الزمن ، او يزيد ، ان تحقق الكثير مما كانت تصبو اليه ، بالرغم مما كان ولايزال ، يعترض طريقها من عقبات ، — لكل هذا ، وبمناسبة ، العام الدولي للمرأة ، يطيب لي ، ان اعطي القارىء ، ولاسيما من الجنس اللطيف ، صورة خاطفة ، عن جهود احد الرجال الذين وقفوا الى جانب المرأة في مطلع هذا القرن ، ونالوا العنت والارهاق ، وهو يدافع عنها ، ويطالب بانصافها ، اما هذا الرجل ، فهو شاعر العراق الكبير ، المرحوم جميل صدقي الزهاوي ·

اما كيف كان هذا الجهاد ، وأي طريق سلك في سبيله ، فله قصص هامة ، وطريفة ···

● الزهاوي وقاسم امين ●

لقد عمر الزهاوي (٧٣) عاما ، قضى منها في ظل العهد العثماني ، نصف قرن من الزمن ، وكانت مظاهر الحياة العامة في العراق ، خلال هذا العهد ، تتميز بالجمود والتخلف والجهل والفقر والتأخر ، في شتى مرافق الحياة ، ولم يكن للمرأة ، شأن يذكر ، فالرجل سيدها ، يزوجها من



جميل صدقي الزهاوي



قاسم امين

يشاء ومتى يشاء، ويطلقها متى يشاء، وهي همل ، قصاراها أن تقبع وراء جدران بيتها ... وكان الرأي في هذا المجتمع، الا تثقف او تتعلم ، والا تشم نسيم الحياة ، بل هي كالمتاع يرمى في زاوية من زوايا الدار، للرجل أن يتمتع به ، أو أن يلقيه مهملا ! » (١)

وبالرغم من بعض التطور الذي حدث في بعض الاقطار العربية ، في نهاية القرن التاسع عشر ظلت المرأة العربية ، على حالتها هذه ، ليس لها من يجرؤ على الدفاع عنها ، والدعوة لانصافها ورفع الحيف عنها ، الى أن قام في مصر ، المصلح الاجتماعي المرحوم (قاسم امين) حاملا هذا اللواء ، اذ اصدر في سنة ١٨٩٩م كتابه (تحرير المرأة) ، فاحدث صدوره ضجة كبيرة ، ومعارضة شديدة ، وجدلا عنيفا ، ولكن قاسم امين ، لم يخف ولم يتراجع ، بل بادر للرد على معارضيه ، ومناوئي فكرته ، بكتاب اصدره بعنوان (المرأة الجديدة)، فاحدثت آراؤه رنوة قوية ، وشغلت الالسنة والاقلام ، ليس في مصر وحدها ، بل وفي معظم انحاء الوطن العربي ، آنذاك ...

ولما كان شاعر العراق الزهاوي على اتصال دائم بالصحف والمجلات العربية ، ولا سيما المصرية منها ، وشغوفا بالاطلاع على كل مايدعو الى التحرر الفكري والاجتماعي ، من الافكار والآراء ، فقد وجد في دعوة (قاسم امين) هذه المصرة الكبير الذي اثار فيه الرغبة للاسهام في نصرة المرأة، والدفاع عنها ، اذ لم تمض اربع سنوات على تلك الدعوة ،

(١) محاضرات عن جميل الزهاوي : الدكتور ناصر الحاني ـ القاهرة ـ ١٩٥٤ .



الزهاوي

حتى بادر بكتابة مقال جريء ، بعث به الى جريدة (المؤيد الاسبوعي) القاهرية ، فنشر له في عددها الصادر يوم (٢٧ اغسطس سنة ١٩١٠) بعنوان (المرأة والدفاع عنها)، سلك فيه مسلك قاسم أمين، في الدعوة لتحرير المرأة ، والاخذ بيدها الى ما فيه خيرها ، وخير الامة عامة بسببها ..

فما الذي اثاره الزهاوي من آراء في مقالته هذه ؟

لقد ناقش بصراحة وجراءة ، موضوع (الطلاق) وأبدى استنكاره للاسلوب الذي يتبعه الرجل في تطبيقه فقال : (أجاز المسلمون ، أن يقسو الرجل ، فيطلق المرأة ، ويستبدلها بغيرها ، كسقط من المتاع) ثم تساءل قائلا : (لماذا لم يجز المسلمون ، أن تطلقه ، لتنجو من شراسته ؟ وقد قال تعالى في كتابه المبين بعد آية الطلاق ـ ولهن مثل الذي عليهن ـ ؟ لماذا لايكون لها ، هذا الطلاق ، مثلما هو عليها ، لتتم المساواة ، وتسود العدالة كما هو مدلول الآية ؟!)

وناقش الزهاوي بعد ذلك ، حقوق المرأة المهضومة ، مناقشة صريحة ، قائلا :

« ليست المرأة المسلمة مهضومة من جهة واحدة ، بل هي مهضومة من جهات عديدة : فهي مهضومة ، لان (عقدة الطلاق) بيد الرجل ، يحلها وحده ، ولا ادري لماذا يجب رضاء المرأة في الاقتران ، ولايجب رضاها في الفراق ، الذي يعود تبعته عليها وحدها ؟! وهي مهضومة ، لانها لاترث من ابويها ، الا نصف مايرثه اخوها الرجل • وهي مهضومة لانها تعد نصف انسان ، وشهادتها نصف شهادة ! وهي مهضومة ، لان الرجل يتزوج عليها بثلاث اخر ، وهي لاتتزوج ، الا به !.. وهي مهضومة لانها وهي في الحياة ، مقبورة في حجاب كثيف ، يمنعها من شم الهواء، ويمنعها من الاختلاط بابناء نوعها !)•

وختم مقالته هذه، ببيان (مضار الحجاب) وما يترتب عليه من نتائج خطيرة ، عدد منها عشرة مضار ، بين فيها ما يلحق المجتمع بسبب الحجاب من مشاكل ومتاعب ، وقال في ختام مقالته هذه : (أخر المسلمين عن امم الارض ، حجاب تتشبث به المسلمات !)

● ثورة عارمة ●

لقد وصل عدد المؤيد الاسبوعي، وفيه هذه المقالة ، الى بغداد ، فما الذي حدث ؟!

حدث ، بعد الاطلاع عليه ، لاسيما من قبل كبار رجال الدين ، ثورة عارمة ، وهيجان شديد ، واعتبروا ، الزهاوى ، بما جاء له فى مقالته هذه ، كافرا زنديقا، فثارت العامة عليه ، واختفى فى بيته ، لايخرج منه خوفا على حياته !

وألف عالم كبير من علماء بغداد ، هو العلامة الشيخ سعيد النقشبندى ، رسالة فى الرد عليه ، سماها (السيف البارق ، فى عنق المارق) وطالب بعض منهم ، حين راجعوا والى بغداد (ناظم باشا) بعزله من وظيفته التى كان يشغلها آنذاك وهى وظيفة مدرس فى مدرسة الحقوق ، فعزله الوالى منها ، تهدئة للخواطر واخمادا للفتنة التى احدثها هذا المقال الجرىء ، الذى كان أشبه بحجر كبير ألقى فى بركة من الماء الراكد !

● خوف وتراجع ●

فما الذى فعله الزهاوى ، رحمه الله ، تجاه هذه الثورة العارمة ، والهيجان الشديد؟! لقد خاف وتراجع وأنكر أن يكون هو كاتب هذه المقالة ، اذ نشر على صفحات جريدة (الرقيب) البغدادية ، فى عددها الصادر ، يوم (٧ شوال سنة ١٣٢٨هـ)، كلمة بعنوان (الى ناظم الحكومة فى بغداد) جاء فيها قوله : (.. أسمع أن أحدا المشايخ المتلبسين بالتقوى فى بغداد البلد الذى يسيطر عليه حكم الدستور، وعدله الوافى – أخذ يثير فتنة جسيمة ، فيحرض الجاهلين على الايقاع بى ، باسم الدين البرىء من الظلم ، جراء مقالة اجتماعية ، نشرت بإمضائى فى (المؤيد الاسبوعى) كما فى (تنوير الافكار) (١) دفاعا عن المرأة ، وهى عدا كونها ، شبهات ضعيفة استفهامية، تزول عن نفسها لم تتعين بعد ، أكاتبها أنا أم هى مزورة على لسانى من (عدو) لى فى العراق ؟

والذى أرجوه من الحكومة الدستورية ، هو الا تقتص من الصابقين اكفهم بغيى ، اذا كان ما يريده المحرضون – اكثرهم اكثر من واحد – بل تعنى بتعليمهم وانقاذهم من الجهل ، لئلا تمتد ايديهم ، الى ملكه اخر مثلى ، يتمنى فى كل كتاباته اصلاحا للأمة اجتماعيا !)

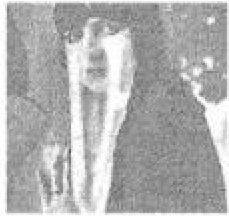
وبعث بكلمة اخرى ، الى مجلة (العلم) التى كان يصدرها العلامة المرحوم السيد هبة الدين الشهرستانى ونشرت فى عددها الصادر فى شهر ديسمبر سنة ١٩١٠ قال فيها :

« قد كان بمرأى من سيدى ، الاستاذ ، ومسمع ، ما اصابنى قبل ايام ، من الاضطهاد الذى أحضره بعض المتعصبين ، بتكفيره اياى ، لمقالة اجتماعية ، نشرت باسمى فى أحد أعداد المؤيد ، دفاعا عن حقوق النساء ، قبل ان يتحقق الامر ، فيعلم أنا كاتبها ام هى مكذوبة على من قبل عدو لى فى العراق !

« على ان ظاهر المقالة – وان لم تكن منى – لايفيد – طعنا فى الشريعة الطاهرة ، بل جل ما فيها من شبهات استفهامية ، كثيرا ما يأتى الكتاب ، بمصر وسورية بأمثالها ، يعبرون وضعها فى موضع البحث ، ليظهر

---

(١) من المجلات التى كانت تصدر فى بغداد .



الزهاوي

وجه بطلانها ، بأقلام العلماء الاعلام، نفعنا الله بعلومهم ، ولكن الجاهلين غاروا على الدين ، وخافوا عليه ، من الضياع ، وهاجوا وماجوا ، كأن الدين قارورة تتكسر بأقل نفخة ، ولم يعلموا انه أرسى من الجبال الشم ، لا تقدر معاول المبطلين أن تنحت من أصله، فغيروا وجه الكلام ، واشاعوا بين العوام ، ان كاتبها يقول ، بتعدد الازواج ، وهو قول ينكره الشرع الشريف ويعافه العقل المنيف... الخ».

الشهرستاني يعلق

وقد عقب العلامة الشهرستاني ، على كلمة الزهاوي هذه ، بكلمة قال فيها :

« لو قامت على قائل تلك المقالة ، الوف من الصحف ، ونهض لردها الوف من الكتاب والعلماء واقام كل كاتب الف دليل وبرهان على ابطال مضامين تلك المقالة الردية ، فهل يقصد من ذلك كله ، غير اظهار فسادها للناس؟ وهل النتيجة المطلوبة من جميع ذلك ، شيء غير افحام المعترض. ، واقناعه بأن الاسلام دين قويم حق ، لا باطل في احكامه ؟

« هل نطلب من تلك المقدمات الا هذه النتيجة ؟ فاذا تحقق عندنا ، ان الفاضل الزهاوي ، ينكر صدور تلك المقالة من قلمه ، ويعترف بفساد ما تخيل الناس من ظاهرها ، ويظهر أن الاحكام التي سنها شرعنا الاطهر هي الاصلح بحال النساء ، عقلا وعرفا ، فقد بلغنا امنيتنا ، وظفرنا بتلك النتيجة على احسن صورة ، واقل مؤونة وسعى !

« ثم لايخفى على احد، صعوبة (تكفير) المسلم المعترف بالشهادتين ، المذعن بما جاء به النبي (ص) ولو على وجه كلي ، قال الله تعالى (ولاتقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا) وان الهجمة على اعتقاد المسلم ودينه ، اشد من الهجمة على اعماله واخلاقه ».

ثم ختم تعقيبه هذا قائلا :(ونسأل حضرة الزهاوي ، دام علاه ايضا ، ان يرشح على العالم الاسلامي ببغداد من فيض يراعه ، ويساعد دينه الحنيف بقوة علمه واطلاعه ، ويقيم الشكوى على الجريدة التي نسبت اليه ما يهينه ويهين الدين ، ويفضح عدوه العراقي الذي تجاسر عليه ، وعلى شرعه المتين في تزوير هذه المقالة ....

مناصرة ولي الدين يكن

وبالرغم من هذا الانكار والتنصل ، فقد عزل الزهاوي من وظيفته وظل حبيس داره اياما، خوفا من هجوم العامة عليه ، ولم يفده



ولي الدين يكن



الأخطل الصغير

(التلغـــراف) الذي بعث به الى (نظارة المعارف) في اســتانبول ، طالبا اتصاله باعـــادته الى عمله . فلما تناهت اخبـــار هذه الحملة على الزهاوي، الى الشاعر المصري المرحوم ولي الدين يكن ، بادر وهو في مصر فنظم قصيدة انتصاراً له ، ورداً على الضجة التي قامت ضده في بغـداد ، حيث قال :

اسيى بدار الظلم اعيـــاه امره ... اما من فتى في الناس حر يناصره
الى الناس احرار وفيهم احبـــة ... فما تخيهم لايـــرى من يؤازره
عفاء على الزوراء بعد (جميلها) ... اذا ريعه المصور اخلق دائـــره
الم به خطب من الجـــور فادح ... كما انقض باز القم الريش كاسره

وقال فيه مخاطبا الذين وقفـــوا ضده :

فاما فتى فيكم (جميل) بحصرة ... ستبقى عليكم شـــاهدات مآثره
وان تحجبوا من فضـله كل باهر ... فليس ضياء الشمس يحجب باهره

ثم التفت الى الزهاوي قائلا :

اخي، وفجاج الارض بيني وبينه ... اعيذك من هم تبيت تســـاوره
اعيذك عن وجد يشـــجيك نازلا ... واهوال ليل مظلم انت ساهـــره
توقف في ظلمـــائه غير منجل ... كواكبه تســـطو عليها دياجره
تشـــوقك البيت الذي كنت بدره ... لقد اظلمت حزنا عليك مقاصره
واصبح زاهي الروض بعدك ذاويا ... وناح على دوحاته لك طائـــره

● الزهاوي والأخطل الصغير ●

وقد تذكر الزهـــاوي ، وهو في محنته هذه، انصديقه الشاعر الاخطل الصغير ، في بيروت ، مستمر على اصـــدار جريدته (البرق) فملاذا لايستنجد به ، لكي يشـــحذ له اقلام بعض الادباء لنصرته ، لاسيما وان والي العراق الجديد (جمـــال بك) الســـفاح ، سيقدم الى العراق عن طريق بيروت !؟

يقول المرحوم الاخطل الصـــغير بصدد هذه الواقعة : (وكان فاتحة الود بيننا وبين فيلســـوف العراق وشاعره ، ذلك اننا جمعنا لنصرته ـ وكان قد اسرء اليه من زعانف بلده ـ المرحومين ، الشيخ اسكندر العازر ، والشيخ محيي الدين الخياط ، شـــاعر بيروت وكبير ادبـــائها ، وذلك عندما علمنا ان الزهاوي قد اقصي عن وظيفته في مدرسة الحقـــوق ، في عهد ولاية ناظم باشـــا عليها ، فرحنا نترقب مرور (جمال بك) واليها الجديـــد ببيروت ، لنثير ضجة في صحفهـــا حول (عزل) الزهاوي ، ونتصـــير حكومة (المشروطية) نحو كبار ادباء العرب الذين ســـاعدوهم بادبهم على



الزهاوي

به صروح الظلم ، ومهدوا للدستور سبيل الظهور كما فعل فيلسوف العراق جميل صدقي الزهـاوي في العهد الحميدي من غير ما خشية ».

وهكذا أثمرت هذه الوساطة ، لان الوالي الجديد اطلع على كل ما كتب ، فلما وصل الى بغداد ، أعاد الزهاوي الى وظيفته ، وأصبحت بين الاثنين صداقة توجت باختيار الزهاوي عضوا في (مجلس المبعوثان) نائبا عن لواء المنتفق !

● واخيرا اعترف الزهاوي ●

ومهما يكن من شيء فقد مـرت تلك الزوبعة بسلام ، وخرج الزهاوي منها نائبـا في مجلس المبعوثان في استانبول ، وظل انكاره لتلك المقالة مسجلا على صفحات (العلم والرقيب) الى أن سأله الاديب المصري الاستاذ أحمد محمد عيش في سـنة ١٩٣٢ ، عن أحرج ساعات حياته ، عند ذاك اعترف قائلا :

« وأحرج ساعاتي .. يوم هـاج الشعب العراقي قبل ٢٢ سنة ، لمقالة شديدة نشرها لي (المؤيد) في مصر في الدفاع عن المرأة ، حتى قبعت في داري اسبوعا ولم أخـرج منها خوف اغتيـال الشعب الحارد ، لي !)

● الدفاع عن المرأة من جديد

ويعتبر الزهاوي في ضـوء كل ما تقدم ، من المصلحين الاول الذين رفعوا لواء نصرة المرأة والدفـاع عنها ، ولم يكن دفاعه هذا منحصرا في تلك المقالة الجريئة القوية ، بل جعل من شعره ميدانا لهذا الدفاع وقد اكد في شعره على مظاهر اربعة من حياة المرأة ، هي :

١ ـ نقد طريقة الزواج والطلاق .
٢ ـ نقد تعدد الزوجات .
٣ ـ الدعوة الى السفور ومحاربة الحجاب .
٤ ـ الدعوة لتعليم المرأة ومشاركتها في الحياة العامة .

ولسنا هنا في مجال الاستشهاد بما جاء في شعره حول هذه المظاهر ، لان دواوينه حافلة بالنماذج الكثيرة ولكننا مع هذا سـنقدم للقارىء ، بمناسبة العام الدولي هذا ، بعضـا منها كما يلي :

قال في قصـيدة من قصائده المشهورة :

مزقوا بالبنـات والامهات … وأهانوا الازواج والاخـوات
هكذا المسلمون في كل صقع … حجبـوا للجهالة المسلمات

وبعد ان عدد مضار الحجاب قال :

زوجوها من غير ماهي ترضى … من غـلام غمر اخي سـيئات
الخبيثون للخبيثـات في الشر … ع والطيبـون للطيبـات
ايها المشتكي عن القول ما انت … بذي قدرة على اسـكاتي

وقد دعا في شعره دعوات صريحة وجريئة الى السفور ، وهزأ بآراء القائلين بحجاب المرأة ، وناقشهم مناقشة قوية ، وفي احدى قصائده يقول :

الويل للانثى الضعيفة   من القسوة الذكر العنيفة
ما ان ينال حقوقه   احد بآراء سخيفة

ثم يقول :

ان الزهور على السفور   رتقية منها الصحيفة
ما في السفور معرة   تخفى على امرأة عفيفة
ان النظيفة في قرارة نفسها   تبقى نظيفة
والفرق جسم بين الخلاق   في الرزينة والخفيفة

ومن قصائد الزهاوي ، التي احدثت ردود فعل قوية، تلك القصيدة الميمية ، التي هاجم فيها الحجاب ، ونشرها في عام ١٩٢٦، على صفحات جريدة (الميزان) الدمشقية والتي قال فيها :

اسفري فالحجاب يا ابنة فهر   هو داء في الاجتماع وخيم
كل شيء الى التجدد ماض   فلماذا يقر هذا القديم ؟
اسفري فالسفور للناس صبح   زاهر والحجاب ليل بهيم
لم يقل بالحجاب في شكله هذا   نبي ولا ارتضاه حكيم
هو في الشرع والطبيعة والاذ   واق والعقل والضمير ذميم
ليس عند الفتاة حجاب   بل يقيها تثقيفها والعلوم

●●●

ومن طريف ما وقفت عليه، تلك القصيدة التي نشرها في الرد عليه ، الشيخ رضا الشبانى ، (قاضي البقاع السابق)، نشرها على صفحات جريدة (البلاغ) البيروتية ، موجها كلامه الى الزهاوي قائلا :

خل عنك السفور يا ابن الزهاوي   فهو داء في المسلمين وخيم
هتك العرض في البلاد وحلت   فوق راس العباد منه هموم!
فالحجاب، الحجاب يا ابنة فهر   فهو امر في ديننا محتوم
في الاحاديث والكتاب عليه   نص خير الورى ونص الكريم

ثم قال :

والحجاب الشرعي ، لا شك فيه   حفظ الاخلاق وفيه لزوم
وخروج النساء من غير عذر   سافرات شر وخبث ولوم
يوم كان الحجاب كان امان   ورخاء ودولة ورسوم
وحياء وعزة ووفاء   وانتصار وكان خير عميم

والقصيدة طويلة .

●●●

وبعد

فهذا هو شاعر العراق الكبير جميل صدقي الزهاوي ، وتلك هي مواقفه الكثيرة ، التي وقفها في سبيل الدفاع عن حرية المرأة ، والانتصاف لها ، وذلك ما ناله من الاذى والمضايقة والاضطهاد، عرضناه للقارىء الكريم، بمناسبة العام الدولي للمرأة ، انصافا لهذا الرجل الذي يعتبر بحق ، اول نصير للمرأة، بعد قاسم امين ، في عالمنا العربي .

● بغداد ●   ● عبد الرزاق الهلالي ●

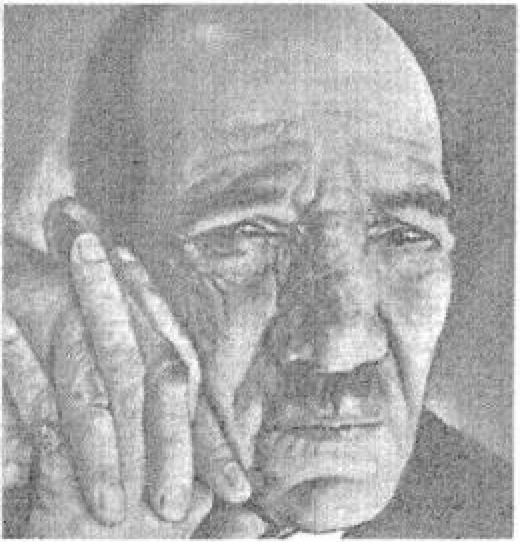
محمد محمود رضوان

رامى
شاعر الحب والوفاء والحرمان

احمد رامى دعامة من دعائم النهضة الشعرية الحديثة ، واحد رواد حركة احياء الاتجاه الكلاسى فى شعرنا العربى ، وهى الحركة التى اعادت للشعر العربى فى مطالع هذا القرن مجده الزاهر مع التجديد فى المضمون والاحتفاظ بالاصالة والموسيقى والوزن الشعرى ... وقد قدم رامى عطاء ثاخرا فى مجال الشعر العاطفى والشعر الوطنى والمسرحية الشعرية كما ان له دورا ثريا فى تجديد وتطوير كلمات الاغنية العربية خاصة على لهاة كوكب الشرق الراحلة العزيزة ، وقد قدم اجمل وادق ترجمة لرباعيات الشاعر الفيلسوف ، عمر الخيام ...

فلا اقل من ان تكون هذه الكلمات تحية وفاء لهذا الشاعر الكبير الذى مازال شاب الروح والقلب والوجدان رغم تجاعيد السنين وقسوة المرض .

هذه تحية اليه ، وهو يطفىء هذا الشهر الشمعة الثالثة والثمانين من عمره المديد ان شاء الله .



اذا أردنا تصنيف رامي في مجال الشعر العربي ، فاننا نعده احد شعراء المدرسة الرومانسية الذين يتعبدون في محراب الصبر الجمالي ويتغنون بسحر الطبيعة وفتنتها هربا من قسوة الواقع ومرارته ، مع التأمل الحزين العميق في الذات ومع التحليق في سموات الخيال مع اطياف النجوى والذكرى والمجهول

●●●

وشاعرنا الرومانسي يعشق الطبيعة ويهيم في اجوائها ويسبح في مجاليها ويتغنى بروابيها الفيح أثناء خلواته وتأملاته ·

ان رامي يصور لنا اتجاهه الوجداني والفني وهيامه بالسباحة في بحار الخيال مع الرؤى والاطياف ونشوته في ظلال الطبيعة ، فيقول :

شاعر يطلب السمو على اجنحة الشعر في سماء الخيال
ويرى المجد في الخلود بما غنى فغنى به فم الاجيال
لا يبالي اذا تبسم ثغر العيش ام عبثت وجوه الليالي
يستمد المعنى الجليل من الشيء الذي راحت له بكل الجمال
ويحاكي صوت الطبيعة في الحانها من شدو ومن اعوال
في صياح الكروان او نعبة البوم على دارس من الاطلال
وحفيف الغصون او هبة الريح تدوي في البيد والادغال
وخرير الغدير او ثورة البحر تسامت امواجه كالجبال
صوته من فم الطبيعة ينساب انسياب الحياة في الاوصال
كيف تلقي الغامه وهي في الكون نشيد من لحنه السيال

ان رامي شأنه شأن شعراء الرومانسية يلجأ الى احضان الطبيعة فرارا من عذابات الحياة وقسوة الواقع علَّه يتشد الامان وراحة النفس بين مجاليها مما يجعله يشخص مظاهر الطبيعة ويضفي عليها من الصفات

والملامح ما يجعلها نديما له وسميرا فى وحدته التأملية الهائمة .

فالتشخيص فى شعر رامى يتجلى فى شعر الطبيعة لديه وهو كثير خاصة حين يخلو الى ظلال الطبيعة فى سكون الليل يبثها أحزان روحه وآلام نفسه

نفس الريح فى حفيف الغصون — همسات من سرى المكنون
وظلام الدجى أقل سوادا — من حنايا فؤادى المحزون
ونجوم السماء حيرى كعينى — تذرع الأرض فى طلاب خدين
طال يا ليل سهدها وقيامى — فتسلب عن ثوبك المجون
ودع الفجر يملأ الكون نورا — وابتساما بالطالع الميمون
ودع الطير ترسل النغم الحلو — وتورى من كامنات الشجون
انما يجمل الصباح ويحلو — بأنين من شدوها وحنين

وهو لا يجد من يبثه هموم قلبه ولا يجد انيسا يشاركه احاسيسه وأحزانه سوى طائر حزين على غصن فيهمس له متناجيا .

يا طائرا يبكى على فنن — هيمان من غصن الى غصن
تبكى على الف تحن له — وأنوح من حزنى على سكنى
لك الله فى الليل خالقه — تسرى الى قلبى بـلا اذن

ويتمنى أن يستعير من الطائر جناحيه حتى يطير الى شوامخ القنن يتأمل ابداع الخالق فى جمال الطبيعة وفتنتها فيقول :

هبنى جناحك كى اطير به — واحط فوق شواهق القنن
وأظل فوق الكون مبتهجا — بجماله الناضر الحسن
النهر رقراق .. جوانبه — مياسة بغصونها اللدن
والزهر مفتر .. مباسمه — مبتلة بالعارض الهتن
والبدر وضاح ... غلائله — تنساب فى سهل وفى حزن

● شاعر الحب والحرمان ●

ورامى كشاعر رومانسى عاشق يجد فى الحب أيضا الملاذ والملجأ لينسى هموم الحياة وأشواكها ... بل انه يؤمن بأن الحب هو نبع الشعر :

الحب نبع الشعر منه تفجرت — عين المعانى والخيال السارى
الحب لحن النفس وقعه على — وتر القلوب بنان موسيقار
الحب يفسح فى الحياة مراحها — ويحلها ببدائع الاثمار

والحب عنده مرتبط بحسن الطبيعة وفتنتها ... فهو فى حبه الحالم ينشد فى ملهمته صورة مثالية ترتبط لديه بالطبيعة الساحرة التى يحبها ويهيم فى أجوائها ، فيتغنى بملهمة مثالية : رقيقة كالنسمة هامسة كالطير متشبثة كالبدر ، وهى صورة مثالية تفصح عن قلب عاشق متبتل فى محراب الحب والجمال فى سمو ومثالية :

احبه كالطير الذى يستخفه — الى اللوح والترجيع برد ظلال
احبه كالآمال لاح بريقها — فشامت بها نفسى وأشرق بالى

رامى



صالح جودت واحمد رامى .. صداقة نادرة وفية .

احبه كالبدر الذى فاض نوره   على فيح جنات وخضر تلال
احبه كالنسمات هبت عليلة   فانت الى قلبى رسائل حالى

ان رامى المحب يبدو لنا من خلال شعره فى صورة محب مثالى ينشد فى ملهمته المعنى الجميل والصورة المثالية ... واذا كنا نفتقد معاناة التجربية وعدم النفوذ الى سرائر روح المرأة فان ذلك يعود كما اعتقد الى انه لم يتمرس بالحب ولم يخبر تجاربه بصورة كاملة ... ولذا فانه لم يخبر تلون المرأة وتغيرها ... فجاء شعره مجرد لوحات شاعرية تصف جمال المرأة وحسنها وتأثيرها فى فنه كمخلوق مثالى جميل او كتمثال فنى رائع يكتفى منه بلذة التأمل والهيام فى سحره وجماله وابداع تكوينه .

وحين يصطدم هذا الشاعر الرومانسى الحالم بالواقع ويخبر تلون المرأة او غدرها وتلونها فانه يهتز بعنف ويصاب بخيبة امل شديدة حين يرى تحطم ذلك التمثال الجميل الفاتن الذى رتل فى محرابه اجمل اغاريده ولا يجد الا الدموع والسلوى واجترار الذكريات .. ذكريات تلك الصورة الرقيقة الحالمة لتلك المعبودة المثالية .

اننا اذا رجعنا الى شعره وجدناه غالبا يدور حول هذه المعانى .. معانى الحزن والهيام واللوعة والشجن والذكريات السعيدة التى ولت والوحدة القاتلة ومناجاة الطبيعة علها تشفى الام نفسه ومناجاة الطير علة يبلغ محبوبة الام نفسه واحزان روحه على الفراق انه هنا يكتفى بسكب دموعه واجترار احزانه حتى انه يستمرئه الحرمان والحزن واللوعة فى غياب الحبيب

هاتى املئى كاس الشقاء فاننى   استمرئه الاحزان يا ايامى
الحزن ابقى وهذب خاطرى   والفنى الق الحياة السامى
واسال اسراب الدموع فصقلتها   صوغ المعانى فى شجى انغامى
وارق احساسى ومد عواطفى   فوصلت كل الناس فى ارحامى
فاسمتهم احزانهم وحملت من   اعبائهم شططا من الالام
لكننى عودت نفسى ان ترى   الغاء هذا العيش ظل جهام
واكلت الذى بالنواح فاصبحت   تستعذب الانات فى الانغام

وهو فى وحدته يحلو له ان يخلق له ذكريات حب غابر ويشجيه ان يستعيد صور الذكرى بكل ظلالها والوانها .. وهو يستعذب الالهوالشجن مع استرجاع تلك الصور فيحلو له ترديد اللحن الحزين ويغلب نفسه فى سادية كعاشق رومانسى هائم يستعذب الالم والاسى فى حبه وهواه :

ذكريات عبرت افق خيالى   بارقا يلمع فى جنح الليالى

رامي

نبهت قلبي من غفـــــوته   وجلت لي سر أيامي الخـوالي
كيف أنســاها وقلبي   لم يزل يذكـــر حبي
إنها قصة حبي

وهكذا يحلو لشاعر الحب والغزل أن يردد ذكريات حبه الذاهب ويستعيد صور ذكرياته الغابرة في ليالي وحدته ولحظات تأمله .

●●●

لعل من أكثر الصداقات امتدادا وإخلاصا وصدقا تلك الصداقة الفريدة العميقة المتبادلة بين شاعر ليالي الهرم صالح جودت وشاعر الشباب أحمد رامي والتي تمتد لأكثر من ثلاثين عاما حتى إنه أصبح لا يطيب لأحدهما يوم إلا إذا سمع صوت الآخر ولا تحـلو لأحدهما ليلة إلا إذا سامر الآخر وهي صداقة وفية نفتقدها كثيرا الآن وهي تذكرنا بصداقة العقاد والمازني ، وهناك رســائل أدبية ممتعة متبادلة بين الشاعرين الكبيرين في فترات مختلفة وقد سجل كل منهما مشــاعره وأحاسيسه نحو صديق عمره ورفيق دربه شعرا ففي الحفلة التي أقامتها جمعية المؤلفين والملحنين بنــادي السيارات المصري في شــهر نوفمبر عام ١٩٦٧ تكريما لأحمد رامي بمناسبة فوزه بجائزة الدولة التقديرية للآداب ، ألقى صالح جودت قصيدة عن رامي قال فيها :

يا نجي العمــر يا ذكرى   إذا رمت الخـــــاطر
يا غزالي في المغــــات   وأنسي في البـــــواكر
ربع قرن جمعتنـــــا   فيه حبـــات الأواصر
ولمتنــــا ذكريــــات   وعظـــــات ونـــوادر
لم تزل في خاطري نـــورا   على نور الخــــواطر
وصــداي في رحـــلة   العمـــر وزادا للمســافر

ثم ألقى رامي قصيدة في نفس الحفلة ناجى فيها صديق عمره شاعر ليالي الهرم ، صالح جودت قال فيها :

يا رفيقي في صـــبوتي بالضحى   ورواحي آخر الليل شجيـــا
ونجيي في حــديث لم أدع   منه إلا لك دون الناس شـيا
وعقيدي عنــد رأي أقتضى   رفعه في دارة الفكــر عليــا
وجليسي في نضــال ابتغى   أن أراني فيه صلبا وقـــويا
ونصـــيري في حياة عشـتها   قانعا بالوعد منها ورضـــيا
ونديمي حـــين ألقى ما سرى   في مناجـــاتي سحرا بابليا
طالما ألهمتني ما صغتــــه   فاسمع اليوم الذي سقت اليــا
أعذب الشـعر الذي أنشده   ما أنجيك به الآن حفيـــا
تقبل الدنيا فلا يســعدني   غير أن ألقاك بالدنيا هنيـــا

إن رامي هنا يبدو لنا في صورة الوفاء مجسدا بكل معانيه ...

وبعد ، فتحية إلى رامي في عيد ميــلاده ، ونتمنى أن يظل شـاب الروح والقلب والوجدان ليظل يسعدنا بنفحات قلبه المفعم بالحب والوفــاء

د. السيد الجميلي

تذكرة طبية

التهابات المصران الغليظ

المصابون بالتهابات المصران الغليظ في بلدنا كثيرون . والحقيقة ان هنـــاك ثلاثة انواع من التهاب القولون في الانســـان .. وهي :

ا ـ التهاب القولون المخاطي ..
ب ـ التهاب القولون الرخصي الحاد ..
حـ ـ التهاب القولون المتقرح ..

اولا : ـ الالتهاب القولوني المخاطي :

وهو اكثر حدوثا في الاناث عن الذكور .. وفي هـــذه الحالة يلتهب الغشاء المخاطي المبطن لجدار القولون الداخلي ، وتتميز هـــذه الحالة من الالتهاب المعي الغليظ بازدياد عـــدد مرات التبرز مع افراز مخـــاط على هيئة خيوط طويلة على شكل شرائط مقرونة بانتفـــاخ البطن مع تقلص معوي شديد والم بالعانة .

وفي هذه الحالة يكون البـراز سائلا لين القـــوام لونه يميل الى البياض . وسبب هذا الاســـهال هو ازدياد تهيج وحركة الامعاء ، وهي التي تسمـــى بالحركة الدودية وهي التي تشبه تموجات جسم الدودة وهي تسير .

واهمال هذا المرض دون الاسراع بالعلاج ، يؤدي الى تفـــاقم المرض ، ونقص الوزن ، والضعف العام ، وفقر الدم ، وسوء التغـــذية مع الم مبرح بالمنطقة القطنية بالعمود الفقري ..

ولا يجب ان نتجاهل الاثر النفسي على حدة المرض ولا على سرعة الشفاء .

العـــلاج : ـ

بمجرد اكتشاف المرض يجب ان ينصرف المريض الى تعليمات الطبيب المعـــالج وينفذهـــا ، لا ان ينصرف للممنوعات ويعرض عن المســـموحات من الغذاء .. وفي هذا المرض يجب ان يعالج المريض نفسيا اولا وقبل كل شيء اخر وان يلزم الراحة التـــامة ذهنيا وجسمانيا ، على ان يأمل في

شناء ، ولن يكون ذلك الا بثقته فى الطبيب المعالج . هذا فضلا عن تجنب الاغذية الدسمة واللحوم والخضروات الطازجة والفواكة البضة .

فمثلا ممنوع الفجل ، والبصل ، والجرجير من الخضروات .. والمانجو والكمثرى والمشمش من الفاكهة .. لان الالياف السليلوزية لا تهضمها العصارة المعوية فتمر كما هى خلال القناة الهضمية لا تتاثر ولكنها تؤثر فيها باثارتها وتهييج الغشاء المخاطى المغلف لها من الداخل .

اما المسموحات فهى ان يكون الغذاء سهل الهضم مثل العسل الابيض، والجبن القريش ، والشاى ، والبسكويت ، والعيش المحمص ، والبيض النيىء ، وهلام الكوارع ، والحساء ، واللحم البقرى ، وتقا الارز ـ هذا مع الاقلال من الارز والمكرونة ...

اما عن العلاج بالعقاقير فان مركبات الايدروكسيكينولين والكلورا مفنيكول ومشتقات البلادونا ، فان نتيجتها حسنة حسب الجرعة التى يقررها الطبيب المعالج .

ثانيا : التهاب القولون الرشحى الحاد :

وفيه ترتفع درجة حرارة المريض التى قد تصل الى ٣٨ م درجة مئوية مع الم ممض ومغص فى الجزء الاسفل والاوسط من البطن مع اسهال شديد يكون فيه البراز سائلا غير متماسك كريه الرائحة محتويا على كميات كبيرة من المخاط .

العلاج :ـ

راحة تامة فى الفراش مع تناول حساء سميك وشوربة دجاج ، وهلام الكوارع سهلة الهضم ، وشرب اللبن ـ مع سرعة عرض المريض على الطبيب لتقرير العلاج اللازم لان مغبة ازمان هذه الحالة سيئة ..

ثالثا : التهاب القولون التقرحى :

يعزى العلماء هذا المرض الى الاميبا او الى درن الامعاء الا ان كثيرا من حالات التهاب القولون المتقرح قد وجدت تحاليلها ومزارعها خالية من اى ميكروب او طفيل ، ولهذا سمى هذا بالالتهاب القولونى غير النوعى

وهذ المرض غير المعروف سببه على وجه التحديد ، يحدث عادة فى منتصف العمر اى ما بين العشرين والاربعين ، وتحدث فيه قرح فى المصران الغليظ ينزف منها الدم بكميات كبيرة ومعه كميات لا بأس بها من الصديد وكميات اعظم منها من المخاط . وقد تصل عدد مرات التبرز يوميا الى عشرين مرة فى اليوم الواحد .

ومن جراء ذلك يعانى المريض من هزال عام وفقر دم وانيميا حادة نتيجة فقد كميات هائلة من الدم وضعف الشهية للاكل مع اكتئاب نفسى

ومغص دائم وقلق مستمر على طول المعى الغليظ ..

وقد تستمر هذه الحالة عــدة شهور تصل الى ستة او اكثر ويكون شفاؤها متعذرا ، بيد ان هنـــاك حالات قليلة استجابت للعلاج بعد مرور سنوات على علاجها دون جدوى وهذا من التجارب الشخصية .

ومع تعقد المشكلة بالنسبة للمريض : صحيا وجسمانيا ونفسيا الا اننا لا يجب ايضا كما اسلفنا ان نغفــل العامل النفسي فقد يكون هذا المرض من جراء اصـــابة المريض بصدمة عاطفية او ماشاكل ذلك .

ومتى عرف السبب ، كما يقولون بطل العجب ، وحيث ان الســبب غير معروف على وجه التحديد ، اذن فمن المتعذر شفاؤه ، ولكن يجب علينا ان نزيل التوتر والقلق النفسي من المريض وبعد ذلك نبدأ في علاجه عمليـ وعلميا ..

العـــلاج :ــ

ويستحسن ان يكون علاج هذه الحالة في المستشفى لاجراء نقل دم للمريض عند اللــزوم وعمل منظار شرجي له ، فضلا عن اجراء اشعة بالالوان بمادة الباريوم ليتم تصـوير الامعاء الغليظة بها .

ويكون غذاء المريض طبقا للحالة وكما سبق ، سهل الهضم خفيفــا كالعسل الابيض والعيش الحمص ، وحساء الكتاكيت ، والارانب ويتجنب اللحوم السمينة والخضروات والزيوت والسمن البلدى .

وقد اعطت مركبات الانسولفيدين وعقار الكورتيزون نتـــائج بارعة في العلاج وهي من روائع الطب الحديث .. اما اذا تطورت المشكلة وتعددت مضاعفاتها فلا بد من تدخل الجراحة لحسم الموقف وازالة الجزء التالف من هذا المصران الغليظ وجعل البقـــاء للاصلح .

لمعلوماتك :

● هرمون التستوستيرون الذى يقوى الرغبة الجنسية وينشــطها عند الرجال قد يسبب تلفا بخــلايا الكبد اذا تعاطـــاه المريض بكميات كبيرة ودون اشراف الطبيب ، وقـــد يسبب له مرض « اليرقان » ..

● قد تاتي نوبات الذبحة الصدرية على غرار الالام الروماتيزمية في الكتــف اليسرى والذراع الايسر او العنق احيــانا .. ومن ثم يهملها المريض وتكون نتـــائج ذلك بالغة الخطورة .

● اذا ازدادت شهيتك للاكل بصورة غير طبيعية ، وصاحب ذلك نقص مطرد في الوزن ، فاعرض نفسك سريعا على طبيب الغدد الذى يعالجك حتى يفيدك بما عنده .

● في حالة الاصابة بشــلل الاطفال يجب ان يعطى الطفل المصاب مصل شلل الاطفال ، لان اصــابته بالمرض لا تمنع من ان يصاب بنوع آخر من شلل الاطفال ، لان الفيروس المسبب لهذا المرض له ثلاث فصائل او ثلاثة انواع ، وقد يصاب الطفل لسوء الحظ بنوع ، وبعد فترة يصاب بالفيروس من النوع الاخر ..

إبراهيم
عيسى

حبيبي عنيد

حبيبي عنيد .. عصى المدى
اذا سال جرح الهوى غردا
اقمت له معبدا في الضلوع
فلما اتى حطم المعبدا
فرشت له في الحنايا الورود
فقال نسيت الشذا والندى
وغنيت بين ربيع الحنين
فقال واين اضعت الصدى ؟
اذبت له الليل نورا وكحلا
فقال ولم تعطني المرودا
جمعت النجوم له عقد ماس
فقال اريد بها مقعدا
فقلت كفى يا حبيبي دلالا
ومد لقلب غريق يدا
فاني اراك بعين حنيني
واهواك من قبل ان اولدا
فقال غدا في كهوف المساء
سنفترس الليل والفرقدا
فجئت على صهوة الشوق ارجو
وادعو الى فرحتي الموعدا



ولكن وجدت المساء غريبا
يمد الى اسى اسودا

فعدت اليه ونار العتاب
تسابق فى شفتى الندا

فقال نسيت . . . وماذا اذا ما
نسيت . . . وضاع عتابى سدى

كفاك دلالا . . . كفانى عذابا
كفانا اعتنا بنا الحسد

تعال فقلبى . . تثنى بجنبى
وضل بأشواقه واهتدى

لدى شفة النبع عند الحمام
مناقيره . . ليبل الصدى

فقل لى متى ارتجى الموردا
ويحتضن الزهر قطر الندى

متى ياحبيبى ابل صداى
وابلغ من شفتيك المدى ؟

غدا .. ! لا تقلها .. اشوقى اليك
سيقتلنى ان رجوت الغدا

***

فقلنى . . وحن . . وعلمنا كلانا
وعبنا لايامنا الموعد

إبراهيم الأسيوطي

شيخ الفلاسفة في مجمع الخالدين

الدكتور إبراهيم مدكور

« الدكتور ابراهيم بيومي مدكور ، كاتب وفيلسوف، ومصلح اجتماعي وسياسي. اشترك في الحركة الوطنية وهو لا يزال شابا ، واعتقل وسجن بين من سجنوا من شباب الطلبة في ثورة ١٩١٩ ، ثم عاد الى السياسة وهو في سن الخامسة والثلاثين ، واختير عضوا بمجلس الشيوخ حيث قضى خمس عشرة سنة ، نقد فيها نظم الحكم ، ونادى باصلاح الاداة الحكومية ، ودعا الى تحديد الملكية الزراعية.

واجتذبته دعوة الاصلاح والتجديد فاسهم في حمل رايتها والاضطلاع ببعض أعبائها في مجلس الانتاج والخدمات سنين عدة » .

د . مهدي علام
(المجمعيون)

لقد فاز « شيخ الفلاسفة » بالتزكية . ثم انتخب بالاجماع « سابقا أول » في مجمع الخالدين .. وكان مشهدا مهيبا حين أعلن « شيخ المجمعيين » استاذنا زكي المهندس الرئيس النائب للمجمع - والذي ناهز السابعة والثمانين من عمره المديد - تنازله من ترشيح نفسه لرئاسة المجمع ، وفي الوقت ذاته رشح « شيخ الفلاسفة » بالأمين العام للمجمع لمنصب الرئاسة ...

لقد دخل الشيخان المجمع في الفوج الثالث في ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٤٦ على أثر زيادة أعضائه الى أربعين - ولهذا الرقم شأن في تاريخ الأكاديمية



د. ابراهيم بيومى مدكور

الفرنسية ، اذ اعتبر رمز الخلود لاعضائها ـ فهما من «العشرة الطيبة» الذين استقبلهم المغفور له د . احمد امين (وثالث الاحياء منهم د . احمد زكى شيخ الكيميائيين ، ونذكر من الفرسان الراحلين : عبد الرزاق السنهورى ، عبد الوهاب عزام ، محمود شلتوت ، مصطفى نظيف) . واريد بشيخ الفلاسفة أن يكون متكلمهم ـ لانه أصغر من دخل المجمع سنا من الاعضاء حتى اليوم (٤٤ سنة) ـ فكانت كلمته الاولى باسمهم عن « اللغة المثالية » .

وفيلسوفنا الكبير يعد بحق محصلة انماط الثقافة المصرية المتعددة منذ فجر النهضة العربية الحديثة فى مطلع القرن الماضى حتى اليوم ، فقد جمع بين الثقافة الازهرية الخالصة ، والثقافة الوسط فى مدرسة القضاء ودار العلوم ، والثقافة الجامعية عندما اضاف الى ثقافته العربية الاصيلة ثقافة لاتينية جمع بين دفتيها الدراستين الادبية والقانونية .

ولد ابراهيم ابن الشيخ بيومى مدكور بقرية « ابو النمرس » بمركز الجيزة فى اول ابريل سنة ١٩٠٢ ولاهلها شهرة كبيرة فى حى الازهر التجارى العريق ..

والتحق بكتاب القرية ثم بمدرستها الاولية . واتم فى وقت واحد دراسته بها وحفظ القرآن الكريم . فارسل الى الازهر حيث قضى ثلاث سنوات فقط خاضعا للنظام التقليدى الذى كانت تنفرد به جامعتنا العتيدة .. قبل أن يلحقها التطوير فيما كان يسمى « القسم النظامى » . ثم التحق بمدرسة القضاء الشرعى ، وقضى فيها خمس سنوات تمثل فورة الشباب ، فقد اسهم فى حركة الشباب الوطنية ، واشترك فى ثورة ١٩١٩ .

كان على اتصال بحركة الطلاب ، ولم يحرم من بعض الضربات بالهراوة والعصا مثل كل الشباب !! وقبض عليه وسجن بتهمة توزيع المنشورات فى سنة ١٩٢١ . والطريف فى الامر أن والده كان عمدة القرية انذاك ولم يحضر ابنه كالمعتاد فى عطلة نهاية الاسبوع . ثم علم باعتقاله ، فذهب للشرطة ليتعهد بحسن سيره وسلوكه كولى امره لعدم بلوغه سن الرشد ، ولانه ما زال فى مرحلة التحصيل بعد

والتحق بدار العلوم حيث حصل على دبلومها ، وكان ترتيبه الثانى بتقدير ممتاز عام ١٩٢٧ .

ودخل معترك الحياة ، فاشتغل بالتدريس عدة شهور فى المدرسة الابراهيمية بالاسكندرية ، ثم اكمل العام الدراسى بمدرسة الجمالية

الدكتور إبراهيم مدكور



د. مهدي علام



د. زكي المهندس

الابتدائية بالقاهرة . واختير بعدها لبعثة حكومية الى انجلترا .

ويعتذر من التخلف عن البعثة تحت ضغط الوالد . ولكن الاحوال في بحر السياسة الصاخب تلعب دورها ... فقد كان والده عضوا في الهيئة الوفدية . وفاز بعضوية مجلس الشيوخ في اول مجلس نيابي دستوري عام ١٩٢٣ عندما شكل الزعيم الخالد سعد زغلول اول وزارة ديمقراطية في تاريخ مصر الحديث . وأرادت حكومة الاهلي في عام ١٩٢٨ وهي وزارة محمد محمود صاحب اليد الحديدية أن تنكل به جزاء تمسكه بمبادئه . فلم تجد الا ابنه تصب عليه جام غضبها فنقلت الابن الى انفو ... فكان رده على ذلك هو الاستقالة من وظيفته . وسافر الى فرنسا على نفقته في اول فبراير سنة ١٩٢٩ . وفي يوم سفره ظهر له مقال في صدر احدى الصحف اليومية بعنوان : « من لندن الى انفو — هكذا تكون تصرفات الحكومة » .

ولم يكد يمضي عام حتى رد اليه حقه . وضم الى البعثة مرة اخرى ... وما لبث ان اغتصب منه هذا الحق مرة اخرى ... في وزارة إسماعيل صدقي عام ١٩٣٠ .. فأكمل الدراسة على نفقته ..

ويحقق الفيلسوف ارادتها الماضية في باريس لينتقل من الفجر الوردي الى الشمس الطالعة على ساحل الحياة .. فيحصل على اربع دبلومات تعادل درجة الليسانس في الاداب . اولاها في سنة واحدة . والثلاث الاخر في الثانية (١٩٣١) عندما ملك ناصية اللغة الفرنسية ... كما يحصل على ليسانس الحقوق في سنتين اخريين (١٩٣٣) . ليتوج هذا كله بدكتوراه الدولة في الفلسفة بدرجة التفوق الممتازة في نهاية سنة ١٩٣٤ . بعد ان نوقش في رسالتين هما : « منطق ارسطو واثره في العالم العربي » و « منزلة الفارابي في المدرسة الاسلامية » . وقد طبعت الرسالتان في باريس في السنة ذاتها

وبذلك استكمل ادوات البحث العلمي . وتزود بزاد من لغات قديمة وحديثة .

وعاد الى مصر في مارس سنة ١٩٣٥ . وفضل الانضمام الى هيئة التدريس بكلية الاداب بالجامعة المصرية على مدرسة دار العلوم . وانتدب للتدريس في بعض كليات الازهر . وفي الحقيقة . لم يحس بالغربة في كلية الاداب فقد كان طه حسين عميدا . ومحمد عوض محمد رئيس لجنة النظام والمراقبة . ومعهما عبد الوهاب عزام . وامين الخولي . وابراهيم مصطفى . وعبد الحميد العبادي (وكان استاذا للشيخ الفلاسفة في التاريخ الاسلامي في مدرسة القضاء) . اما قسم الفلسفة فكان يضم منصور فهمي، مصطفى عبد الرازق . ابو العلا عفيفي . اندريه



سعيد زغلول

لالاند (وكان رئيس قسم الجغرافيا بالسربون ، وهو صاحب معجم المصطلحات الفلسفية الشهيرة) . هوكارت، وهم يمثلون كبار الاساتذة ونسبة الاجانب واضحة ... والى جانبهم عثمان امين (فاز بعضوية المجمع هذا العام) ، احمد فؤاد الاهوانى ، محمد عبد الهادى ابوريده، توفيق الطويل ، نجيب بلدى ، محمود الخضيرى .. ثم أبرز تلامذة شيخ الفلاسفة عبد الرحمن بدوى ، محمد عثمان نجاتى ... ويمثلون تلك المجموعة الكوكبية العظيمة التى تدور فى ذلك الفلك الخطير ، وهو كلية الاداب ... وقد قيض الله للفلسفة الاسلامية ان تبعث على ايديهم فى ثوب جديد فى منتصف ثلاثينات هذا القرن بعد نحو الف عام ..

واذا كان ابن سينا هو الشيخ الرئيس فى الزمن القديم ، فان شيخ الفلاسفة يعتبر بحق « الشيخ الرئيس الثانى » فى العصر الحديث بفضل ما صنع للفلسفة الاسلامية . وفى الحق ايضا ، لقد وضع الامام الاكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق اللبنات الاولى للتوضيح حقائقها فى فكرنا المعاصر ، الا ان خلفه شيخ الفلاسفة المعاصرين بعد ان برز على رأس عشرة قرون ليحاكى الشيخ الرئيس الاول فى شموله وموسوعيته ، رسم لها منهجا متميزا بين المناهج ، وهو الذى قعد لها واصلها ونهض بأعباء الفتح الجديد للمدرسة الحديثة فى الفلسفة .

ويقوم منهج شيخنا الرئيس على اساسين . أولهما البحث التاريخى الذى يصعد بنا الى الاصول الاولى، وينمى معلوماتنا ، ويزيد ثروتنا العلمية . وثانيهما البحث المقارن الذى يقابل بين الاشخاص والاراء وجها لوجه ، ويعين على كشف ما قد يكون هناك بينها من شبه أو صلات . وعنده ان « أقوم طريق لذلك ان يعرض الفكر الاسلامى فى ذاته ، فيدرس دراسة واقعية فى ضوء ما وصل الى المسلمين من أفكار اجنبية ، وعلى اساس ما ولدته البيئة الاسلامية نفسها من بحوث ومناقشات . ويعرض مباشرة عن طريق واضعيه والقائلين به كى يمكن ادراكه على حقيقته وتفهمه على وجهه . ثم تتبع أدوار تكوينه : نشأة، ونموا ، وكمالا ونضجا ، ويبين مدى تأثيره فى الخلف والمدارس اللاحقة .

وقد طبق هذا المنهج فى رسالته الثانية لدكتوراه الدولة عن الفارابى التى كانت من منطلق أن هذه الشخصية لها منزلة فى الفلسفة الاسلامية اكبر مما كانت تبدو عليه ، فرأى انصافا له أن يبين منزلته ، وقد اثبت انه يعتبر الاستاذ الحقيقى للشيخ ابن سينا . ثم طبقه كذلك فى كتابه الاكاديمى الاصولى فى الفلسفة الاسلامية على ثلاث نظريات فلسفية اسلامية هى : السعادة ، النبوة ، النفس وخلودها . وليست هذه النظريات الا نموذجا لدراسة ينبغى محاكاتها ، وجزءا من سلسلة يجب استكمال حلقاتها . فلا تزال هناك نظريات تتسع لها مثل : واجب الوجود ، العلم الالهى ، الخلق والابداع ، السببية والغائبة ، العناية ومذهب التفاؤل الخ ... من نظريات ميتافيزيقية وطبيعية ، وسيكولوجية واخلاقية . وهى مجال خصيب ينبغى ان يكون له نصيب من دراسة وعناية

الباحثين من أصـــحاب الماجستير والدكتوراه .

وقد قادته هذه الدراسة الى نتائج ثلاث رئيسية ، أولاهـا ان المسلمين استطاعوا أن يخلقوا بيئة عقليةخاصة بهم ، ويكونوا حياة فكرية مستقلة ، كيفمــا كانت الافكار الاجنبية التي سرت اليهم . وثانيها أن الفلســـفة الاسلامية ذات طابع خاص وشخصية مستقلة أخص خصائصها التوفيــق والاختيار ، توفق بين النقل والعقل ، وتؤاخي بين الدين والفلســـفة . وثالثها أن الفلسفة الاسلامية حلقــة هامة في سلسلة الفكر الانســـاني أخذت وأعطت ، وتأثرت وأثرت ... أخذت عن الفلسفات القديمة ماأخذت

ثم أسهمت في تنقيحها واضافة جديد اليها فبعثت الفكر اليهودي من مرقده مما أدى الى ظهور تفكير يهودي يحمل طابعا اسلاميا واضحا، كما هو الحال في كتابات ابن جبرول ، وابن ميمون . ودفعت الفلسفة المسيحية دفعة قوية . فقد كانت لترجمة الانتــاج الفلسفي الاسلامي آثار لا تنــكر في المدارس المسيحية ، وفي أكبر ممثليها مثــل البير الاكبر ، والقـــديس توماس الاكويني .

وعلى ذلك ، انضمت الاسكولائيــة الاسلامية الى الاسكولائية المسيحيةفي تغذية رجال النهضة والعصر الحديث، مما يربط حلقات هذه السلسلة بعضها ببعض . وقد بدأت أولا في أثينا .. لتنتقل منها الى الاسكندرية .. ومن هذه الى بغداد ـ وهي قطب الرحى في العالم حين ذاك ـ تداولها قرطبة في قلب الاندلس ، وما تفرع عنها من العواصم الاسلامية .. حيث استقرت فيها الفلسفة نحو خمسة قرون كانت الحياة العقلية فيها راكدة في الغرب، ثم تحولت الى البندقية ، مونبلييه ، باريس ، ليدن ، اكسفورد ..

لم يلبث شيخنا الرئيس ســـوى عامين اثنين ، ليفجأه القدر في والده .. ويرشح الزعيم مصطفى النحـاس فيلسوفنا د . ابراهيم لمجلس الشيوخ

وهكذا صار الفيلسوف سياسيا ، يسيس الفلسفة ، ويفلســف السياسة كان قد تخطى الخامسة والثلاثين بشهور في صيف ١٩٣٧ عندما انتخب عضوا بمجلس الشيوخ .. وامتـدت عضويته بالقرعة لخمس سنوات مرة ثانية عام ١٩٤١ . ثم اضطر للاستقالة من الجامعة عام ١٩٤٢ نزولا على مبدأ عدم الجمــع بين الوظيفة وعضوية البرلمان ، ولكن تمسكت به كليــة الآداب ، فظلت تنتدبه للتدريس بهـا حتى عين أخيرا استاذا غير متفرغ للدراسات العليا بقسم الفلسفة ، ولا يزال يشغل هذا المنصب حتى اليوم .. وأعيد انتخابه عام ١٩٤٦ مرة أخرى .. وفلسفته للسياسة : « تقوم على مبادىء ثابتة ، وأصول واضحة ، تحارب الطغيان ، وتتنزه عن الاهواء، لاغضب الرأي ، واضطر لان يستقيل من حزب الوفد أكبر الاحـــزاب السياسية ، وآثر الأســـتقلال على الحرية » .

وقد نشر في تلك المدة كتــابين ، أولهما «الادارة الحكومية» عام ١٩٤٢ بالاشتراك مع مريت غالي لتبســيط الاجــراءات الادارية ، والتخلص من البيروقراطية .. وثانيهمــا « رقيب صحفي ، بالاشتراك مع صبري أبو علم

الدكتور
إبراهيم
مدكور



مصطفى عبد الرازق



د. طه حسين

والجدير بالذكر ـ كما يقول شيخنا الرئيس ـ أن الكتاب الأخير صودر، وفتشت البيوت ، وجمع من المكتبات والاسواق !! فكم كانت الرقابة العسكرية صارمة في عهد الاحتلال وخلال الحرب العالمية الثانية .

ولم يقنع كفايه دائما أن يكون رجل فكر فقط سواء فى الفلسفة أو السياسة .. بل عمل على أن يقرنهما بالعمل .. وقد أفاد من عمله هذا خبرات وتجارب واسعة ، مما كان له الاثر فى عمله فى مجلس الانتاج والخدمات الاجتماعية ، فقد عين نائب رئيس للاول ، ورئيسا للثانى عام ١٩٥٣ ، وقد سبق ذلك تعيينه وزيرا للانشاء والتعمير فى فجر ثورة٢٣ ١٩٥٢ فى وزارة لم تلبث أن استقالت فى اليوم التالى لتأليفها ، فلم يقدر للوزارة التى كان مفروضا لها الظهور على يديه أن تظهر الى الوجود ! وها هى وزارة التعمير لا تظهر الى الوجود الا فى عهد العبور والتعمير والتنمية ..

ان التواريخ لتتداخل تداخلا عجيبا فى حياة شيخنا الرئيس ، فتداخل نشاطه العلمى فى نشاطه السياسى والاقتصادى ... ويطغى أحيانا عمله الرسمى على عمله الاكاديمى ... ولكنه يوفق دائما بين هذه الانشطة المختلفة فلم يكد يدخل مجمع الخالدين عام ١٩٤٦ ، وهو لم يتعد بعد منتصف الحلقة الخامسة من عمره المديد .. حتى بعثت هذه الشعلة المتقدة من الالمعية والنشاط الحياة والتجديد فيما حولها .. فقد انتخب فى مكتب المجمع فور تعيينه ، وحمل عبء لجنة المصطلحات الفلسفية والاجتماعية ، وهى بسبيل اخراج « المعجم الفلسفى » فى العام القادم .. وخلف منصور فهمى فى منصب الامين العام عام ١٩٥٩ ، فانعكست طاقته العجيبة فى التنظيم والادارة على نشاط المجمع ، فأشرف على اخراج مجلدات «المصطلحات العلمية» بصورة مستقلة سنويا فى نهاية كل دورة حتى بلغت الان ١٦ مجلدا تحوى نحو ٥٠ الف مصطلح . وقد قطع المجمع بذلك شوطا بعيدا حتى أصبح ويعتبر بحق ، اكبر هيئة تعنى بالمصطلح العلمى فى العالم العربى » .

ولا يفوتنا ان نشير الى ان للعمل الاكاديمى وجها اخر، الا وهو تحقيق التراث ونشره ... فقد اضطلع شيخنا الرئيس بعبء اخراج اكبر موسوعة اسلامية ظهرت فى الفلسفة حتى الان ، وهى كتاب «الشفاء» للشيخ الرئيس الاول « ابن سينا » منذ ١٩٤٩ ... وخلال الربع قرن الاخير نشر ٢٣ جزءا ، ولم يبق الا جزء واحد ، وقد راجعها وكتب لها مقدمات وافية باللغتين العربية والفرنسية . وينقسم « الشفاء » الى اربعة اقسام ، وهى المنطقيات ، والرياضيات ، والالهيات ، وما وراء الطبيعيات (الميتافيزيقيات) .

الشاعر المفقود

علي بن
هادية

عشتُ للشعرِ ، في طموحي المجيد
صامتا ، أستلذُّ توقيعَ عودي !..
عشتُ في عالمي المحجبِ ، أسمو
بشعوري ، إلى انعزالي السعيدِ
عشتُ في فترة ، تململَ فيهـــا
شعبُنا ، لانبعاثه من جـــديد
أينعتْ شـــاعرتي ، في زمـــانٍ
شغلتْنا فيهِ ، كانَ كسرَ القيودَ
طاقةُ الشعبِ ، سخرتْ في نبوغ
تونسيٍّ ، ليهدمِ أقوى الســـدودِ
طاقةَ الشعرِ ، قدتها في « التزامٍ »
قبل أن يُبحثَ (التزامُ) القصيدِ

●●●

لكِ يا « تونسُ » الحبيبةَ وجدي
فيهِ جاهي ، وفيه حفظ عهـــودي
أخلصُ الأوفياءِ ، جـــاد بنفسٍ
دونَ مَنٍّ ، ومات موتَ الشهيدِ
وكثيرٌ ، تقدموا بقليـــــــل
تركوا الأولينَ خلفَ الســـدودِ
وأنا في هـــواك ، أفنيتُ ليلي
ساعيا في بنـــاءِ مجد تليـــد
أنا شيدتُ « بالملاحمِ » صـرحًا
أدبيا عـــلا بِشـــور الخـــلود

●●●

مات من قبلُ شـــاعر عبقـــري
عاشَ ميتا ، لم يحظَ منك بعيد !

زهِد الناس فيه حيا، وصاحوا
بعدَ ما مات: رحمة للفقيد!
عاش يسعى لوردة، لم ينلها
لِيدجِيَ سوءِ حظه المنكود!
بعدَ ما ماتَ، ناولوه مِرارا
باقة، صُمِّمَتْ بأبهى الورود!
وأقاموا ذكرى! لو ذكرى
عوّضت نحسه بخيرِ السعودِ



عاش ميّتا! ومات حيا! وهذي
نكبةُ الحظِّ فيك، عند الشهودِ
حبّذا الدرسُ! راق معنى ومغزى
إنما الدرسُ كان غيرَ مفيدِ!
جُدِّدت بعده صحائف غبن،
حييت أنجما لجيل جديد!

●●●

أنا للشعرِ قد وهبتُ حياتي
وتحمّلتُ عيشة الموءود
شِئتني، لمن جنى عليّ، فإني
لعزيزٌ بهمتي في حدودي!
أنا كالنحلةِ الشقيّةِ تسعى
بعد تنغيصها لِكدٍّ جديد
تحرم الدهرَ شهدها، فهو ذخرٌ
كوّنته لغيرِها من بَعيد
وكذا الشعرُ ذو غذاء لمجد
خيرُ ذخرٍ، للشاعر المفقود!

● علي بن هادية ●
● تونس ●

محمد حسن

الجديد في المكتبة الغربية



وسقط الصنم !

الكتاب : اينشتين، حياته وعصره

المؤلف : رونالد كلارك

ادى رصد مجموعة من العلماء البريطانيين ، لكسوف الشمس سنة ١٩١٩ . الى اكبر حدث علمي في هذا القرن : نظرية النسبية لاينشتين ، وهي النظرية التي جعلت من عالم

الطلقات الميكانيكية الذى ابتدعه سير ايزاك نيوتن ، مجرد أوهلم ... ومع ذلك ، ومع العجب والاعجاب بنظرية اينشتين المعقدة وأسرارها ، فان المرء لا يتمالك نفسه ، حين يراجع مسيرة

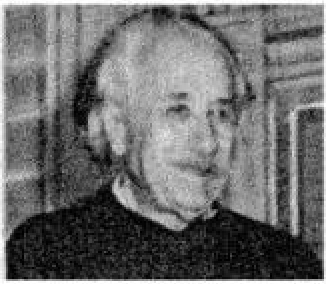
اينشتين ، ان يشعر بالامتعاض من هذا العالم ، الذى رفع استاذ طبيعة نظرية ، الى مصاف الالهة ، فنظرة على حياة الرجل واعماله ، توضح

بجلاء ، سخافة تاليهه ، واضفاء صفات القائد السياسى ، والحكم الالهى ، وشافى الاعرج والاكمه ، على استاذ شارد الذهن !

ولا شك أن اينشتين نفسه ادرك هذه السخافة ، فحرص على أن يبدو في صورته المألوفة : صورة القديس المتواضع ، في ملابسه الفضفاضة .

هذه هي قناعة المؤلف في هذا الكتاب، وهو يرى أن ظاهرة تأليه اينشتين ، هي المسئولة عن الفواجع التي حلت بحياة عالم الطبيعة العظيم !

ورغم كل ذلك : رغم احتقار عالم لتأليه انسان فان، ورغم كل السنين التي مضت منذ فاجأ أينشتين العالم بافكاره ، فمن المؤكد أن الرجل كان ذا جاذبية طاغية ، أسرت المؤلف ، وجعلت من ترجمته شيئا طريفا يقرأ



اينشتين

لا مجرد ارقام ونظريات جامدة ، ليس من السهل فهمها •• او فهم سلوك الرجل نفسه ، الذى يبدو مضحكا سخيفا ، عندما لا يكون فى حالة تفكير ••

لولا هذه الجانبية لكان هذا الكتاب هو الملل بعينه ، فالكتاب يركز بشكل زائد على التوافه ، ويبذل الكثير من الجهد والوقت ليبرز نين الرجل لتجاربه الاولى ، ويخصص حيزا كبيرا لمؤسسات الرجل وسياساته ، وذهابه ومجيئه ومحاضراته ، ويغرق فى « لولا هذا الحادث لتغير مجرى التاريخ » • ولعل جانبية اينشتين هى التى انزلقت بالمؤلف الى « عبادة البطل » ، لدرجة جعلته يلقى اللوم على كل شىء ، الا الشىء المناسب ، فيركز على تناقضات اينشتين كالذى يكره وطنه

بلا مبرر ، وكنصير سلام وافق على صنع — واستخدام — الاسلحة النووية ، وكرجل علم تورط فى تأييد الصهيونية ••• ثم يبرر كل هذا ، ويحاول اخفاء هذه الحقائق ، زاعما انه رغم عبقرية اينشتين كمفكر نظرى ، فمن حقه ان يغير رأيه ، كأى انسان عادى •

ومع ذلك فالترجمة حافلة بالطرائف تقدم تفاصيل نابضة بالحياة ، لتطوره من مجرد انسان مغمور يعانى صعوبة فى اجتياز امتحاناته المدرسية بنجاح وفى الحصول على عمل يقتات منه ، الى كهل موقر ، يبدو انه يسخر فى قرارة نفسه من العالم ، بورعه

وقداسته ، وانانيته فى صياغة آرائه ونظرياته التى لا يفهم المرء كثيرا من تفاصيلها ، وان كان يدرك — بشكل ما — انها مهمة ، فكلمات مثل « الزمن » و « البعد الرابع » و « منحنى الفراغ » و « النسبية » تفهم ريفيا ••• وليس بمجرد الادراك السليم ! •

ان انجازات اينشتين غير العادية تبدو هنا طازجة ، وان غاب المنطق الذى يبرر تحويل قصة علمية من قصص عجز الانسان وقصوره •• الى اسطورة من اساطير الاغريق !

Einstein, the life and Times, by Ronald W. Clark, Illustrated World.

بين رؤساء افريقيا ••• شاعران!
الكتاب : من هو فى افريقيا
المؤلفان : جون ديكى والان ريك

لم تعد افريقيا قارة سوداء ، ولم تعد سياستها لغزا كما كانت ارضها قبل ان تستكشف فى القرن التاسع عشر ••• فى فترة الاستقلال كانت الانقلابات تترى بنسبة تكاد تفوق نسبتها فى امريكا اللاتينية ، فكانت معاهد اوربا وامريكا وجامعاتها هى، مثلا، ومأوى اولئك الذين تحطم طموحهم على صخور القبلية: البعض رأى من الحكمة ان يقنع بالسلامة فى المنفى ، والبعض الآخر لقى مصيرا كالحا • ومع ذلك ، فمن الغريب ان

الجديد في
المكتبة الأفريقية

القارة السوداء لا تعرف الحقد والثأر ، لدرجة ان الكثيرين من قادتها المنفيين ، اما عادوا واما يعيشون في منفاهم في سلام ·

ولحسن حظ المؤلفين ان كل شيء هادىء في افريقيا الان ، ومع ذلك لم يتمكن المؤلفان من تضمين كتابهما آخر التطورات في اوغندا وزامبيا وانجولا، ولكن هذا امر هين بالقياس الى الكوابيس التي يلاقيها كل من توفر على وضع دليل من هذا الطراز ·· ولاول مرة نجد دليلا يقرأ ، فهو ليس كمثيله البريطاني ، مجرد مجموعة من الحقائق والارقام المرصوصة بل هو حافل بالطرافة والفكاهات والاحاديث الشيقة · منه تعرف مثلا ان الرئيس الجزائري هواري بومدين يكره المؤتمرات الصحفية ، ويهوى صيد الحمام · وفيه يوصف فيليكس هوفيه بوانيه ، رئيس ساحل العاج ، بأنه قوي ، قصير ، ممتلىء الجسم ، له وجه لطيف كوجه « الجن الاسطوري » ، وأن أسعد اوقاته هي التي يقضيها في الفيلا التي يملكها على شاطىء البحيرة في سويسرا ·· وأن دانييل أرب موا ، نائب الرئيس الكيني ، حريص على ان يستعمل جميع موظفيه مصعد كبار الشخصيات ··· وأن دكتور باندا يهوى ارتداء قبعات الهامبورج السوداء ، ويغير وزراءه بنفس البساطة التي يغير بها الانسان فرشاة اسنانه ·

ونحن جميعا نعرف المركز الادبي للرئيس السنجالي ليوبولد سنجور ، ولكن كم واحدا منا يعرف أن مارسيللو دوس سانتوس ، قائد حركة تحرير موزمبيق (فريليمو) شاعر أيضا ؟ وأن الرئيس كاوندا ، رئيس زامبيا ، يعزف على الجيتار ويغني الاناشيد الشعبية ··· وأن الرئيس عيدي امين رئيس اوغنده، يتمتع بروح فكاهية وأن الفرد ويتي – سيف ، الحاكم العسكري لاقليم ريفرز في نيجيريا ، يمارس رياضة اليخوت ، والطيران ، والانزلاق ، والغطس ، والجولف ··

من هو في افريقيا·· مؤلف هام ومقروء !

Whos who in Africa John Dickie and Alan Rake. African Buyes and Frader ltd, London.



الرئيس هواري بومدين

● قصة نجم ●

ترجمات كبار الفنانين لها طابع خاص ، فهي تثير اهتمام عشاق الفن الذين لا يكتفون بالعمل الفني ، بل يريدون معرفة المزيد عن نجومه ، خصوصا الجزء « الخاص جدا » من هذه الحياة ، وبأدق التفاصيل ،

كالمغامرات ، والمؤامرات ، والتنافس ... » وما الذى حدث حقيقة ، عند تصوير هذا المنظر او ذاك !

فجان ماريه اليوم فى الحادية والستين ، ولكنه كان من المع نجوم فرنسا فى الاربعينات والخمسينات .. وحتى السبعينات ، اى انه كان معبود الجماهير لعدة اجيال . كان اكثر ممثلى المسرح والسينما الفرنسية وسامة ، وكان الفتى الاول لعظم مسرحيات وافلام الروائى الشهور جان كوكتو ، « كالعودة الابدية » و « الحسناء والوحش » وغيرهما ...

فى هذا الكتاب يروى « جان ماريه » ذكرياته فى صدق واخلاص يسترعى النظر ، وهى ذكريات ساحرة مثيرة ، فيروى كيف هبط باريس سنة ١٩٣٨ ، وهو ممثل مغمور ، قصير النظر ، له صوت ثاقب واسنان قبيحة ، فاثار اهتمام جان كوكتو حينما قابله عرضا فى احد الحفلات ، وسرعان ما اصبح من عشاق كوكتو وملازميه .

وتستلفت نظرك علاقة الجنس بين الاثنين ، لقد كان لكل منهما – على حدة – مغامرات واسعة متشعبة . وان كان معظمها شاذا . ومنذ اللحظة التى استدعاه فيها جان كوكتو ، واعترف له قائلا : « انها لكارثة ، فلتنى احبك حتى اخر فصل من الكتاب – وهى رواية صادقة للحظات موت الكاتب الكبير سنة ١٩٦٣ – فان شخص كوكتو يسيطر على الكتاب ، ولان كوكتو كان عبقريا ، فان ذكريات « ماريه » عنه فيها اخلاص يبلغ حد التعصب وهى من ثم تقدم لنا لمحات ساحرة لعملية الخلق عند كوكتو ، فضلا عن اخص خصائص الكاتب العبقرى ...

وفى الكتاب لمحة فريدة عن طريقة كوكتو فى تصريف شئونه ، فهو دائما فى حاجة الى المال ، ودائما يعتمد على « كرم » اصدقائه . ويذكر « ماريه » انهما حينما تقابلا لاول مرة ، كانت كل فواتيره تجمع اولا باول ، وترسل الى اخصائية التجميل المشهورة شانيل ... لتدفعها نيابة عنه .. وشانيل واحدة من قائمة طويلة من عشيقات كوكتو .

وفى الكتاب قصة « القصيدة الملتهبة » ، التى دفعها كوكتو من تحت عقب باب غرفة نوم صديقه فى ساعة من الليل متاخرة .. والقصيدة وحدها تصلح موضوعا لرواية مثيرة !

ولكن ترجمة « ماريه » ليست كلها عن كوكتو ، ففيها وصف رائع لطفولته . ونشاته بين جدة محبة ، وعمة ، وام غيور تبلغ فى غيرتها حد الجنون ، فيها عنصر الماساة الذى ربما فسر مرونة « ماريه » العجيبة وسرعة تكيفه لظروف الحياة . فقد عوض « ماريه » طفولته الكئيبة بحبه العجيب للمسرح، وتعريف ما سماه فقره المدقع فى الذكاء والثقافة باتقان فن التمثيل والاخراج ، وبذل الجهد الخارق والعمل الدائب ... وحتى فى علاقته بكوكتو ، قال بصراحة يحسد عليها انه اضطر ان يحتفظ بصداقة الكاتب العبقرى ... وما تنطوى عليه من فرص !

والكتاب فوق كل ذلك سجل حافل للحياة اليومية فى عصره ، عصر ما قبل الحرب العالمية الاخيرة

واتشارها ، في باريس حيث يعيش ممثل طموح لا يهمه شبح الحرب ، بقدر اهتمامه بتحقيق مطامحه .. عصر تبدو فيه باريس كقرية لاهية غارقة في اللذات ... ولكنه لا ينس واجبه الوطني ، فيسجل اسمه في صفوف المقاومة ، ويهرب السلاح للفرنسيين الاحرار ، داخل طبقات ثيابه الفاخرة ... ثم بعد ذلك ومن شرفة مسرح الكريون ، وبين بروفات العمل الفني ، يجد لديه الوقت ليشاهد موكب الجنرال ديجول المنتصر ، وهو في طريقه إلى الشانزليزيه !

Histoire de ma vie, Par Jean Marais, Albin Michel.

الرحلة

قلما تخرج المطابع كتابا مثل هذا الكتاب ، الذى يروى قصة كفاح ابوين في مواجهة كارثة انسانية تكاد تحيق بابنهما الوحيد ... فاذا عرفنا ان الاب كاتب مشهور ، هو روبرت ماسى ، الصحفي بمجلة نيوزويك الامريكية ، وسترداى ايفتنج بوست ، ادركنا كيف ان اسلوب الكاتب اثرى التجربة وقدمها نابضة بالحياة !

والكتاب يدور حول مكافحة مرض النزف الوراثي (الهيمو فيليا) ، وهو المرض الذى قضى على حياة الامير الكسيس ، ولى عهد قيصر روسيا ، واخر سليل الاسرة رومانوف ، وجعل اخر ايام الاسرة كابوسا رهيبا ، عجل بانهيارها ، وهو نفس المرض الذى اصاب ابن الكاتبين في سن مبكرة ، الامر الذى جعل الكاتبين يصوران ما سجله التاريخ كمهزلة لاسرة رومانوف ، ماساة انسانية من الطراز الاول !

وتبدا القصة سنة ١٩٥٧ ، حينما حمل الوالدان طفلهما الى الطبيب لمعرفة سر اصابته ونزفه ، ليكتشفا انه مصاب بالهيموفيليا ... تلى ذلك قصة شجاعة نادرة ، « والرحلة » هى قصة لكفاح الاسرة ضد المرض ، التى كللت حتى الان بالنجاح !

وتركز الام على الجانب الانساني ، فتصور الام الابوين ، وسنوات العناية الطويلة بالطفل ، وتصف الاثار النفسية والفيزيولوجية للمرض على ابوين مرهقين وطفل عاجز ، بشكل يحرك المشاعر ... ثم تبرز شجاعة الطفل ، ومحبة وعطف الوالدين ، فضلا عن ساعدوهما في المحنة ، الامر الذى يجعل من « الرحلة» وثيقة انسانية تسترعى الانتباه .

ويركز الاب على الجانب الفنى للمرض ، فيقول ان الهيموفيليا مرض الملكة فيكتوريا ، ملكة انجلترا ، معروف باسم مرض الملوك ، فتحملت العوامل الوراثية للمرض ، لتنقله إلى

جان كوكتو



● في أعدادنا القادمة

● السحر والسحرة في « معارك أدبية »

● الحضارة العربية ودورها في يقظة أوربا

● العقاد والمرأة

أبنائها ، ومنهم فتاتان ، تزوجت احداهما من أسرة رومانوف الروسية، ومن ثم حدثت مأساة الاسرة المعروفة ... والثانية تزوجت من أسرة هابسبرج في اسبانيا . ومع ذلك فالمرض ليس ملكيا وليس نادرا ، فهو يؤثر الذكور دون الاناث ، ويصيب واحدا من بين كل ٢٠ الف طفل . والمريض لا ينزف بسهولة اكثر من الاخرين ، بل هو ينزف لمدة اطول ، وهو لا يموت من شكة دبوس أو جرح في الاصبع ، بل من النزيف الداخلي الذى يعجز ويدمر المفاصل والمخ . ومعظم مرضى الهيموفيليا يموتون دون الخامسة .. وحتى بعد عمليات نقل الدم المنتظمة للعناصر الناقصة ، يعيش ١١٪ منهم فقط حتى سن ٢١ .

وتبدأ « الرحلة » منذ عرفت الاسرة ما أصاب ابنها ، وتبدأ في محاولات حمايته من الاصابة أو الاصطدام بأى شيء صلب ، واكتشفت الام انه لايكفي تغطية أثاث المنزل بالوسائد اللينة ، وانما لا بد من تغطية العالم كله بهذه الوسائد ، ومن ثم فانه خلال عملية نمو الطفل، سقط مرات عديدة، وعانى الام النزيف ، وعمليات نقل الدم . وفي كل مرة كان الابوان يعانيان من تأنيب الضمير والألم النفسي الذى لا يطاق ، وكثيرا ما رحب الاب بالعمل الصحفي الذى يجعله يفر من البيت بآلامه ومسئولياته ، اما الام فتعترف أنها كثيرا ما فكرت في الانتحار . فمن يعيش مع الهيموفيليا تحت سقف واحد ، قد يقتله الخوف ، ويصبح كمجرد مشدود في مصيدة رهيبة ، تقابله صدمة كهربائية كلما اقترب من اى فرصة ممكنة للنجاة ، فيظل يدور بجنون حول نفسه ، حتى لا يقترب من اى مخرج » !

وبالطبع فان الكتاب يعكس اعترافا عميقا بفضل كل من عاونهما ، ابتداء بالطبيب الذى ضرب بتقاليد المهنة عرض الحائط حين علمهما كيف يقومان بعملية نقل الدم لابنهما في البيت ، وانتهاء بالاميرة المشهورة انستاسيا ، التى تعيش الآن في فيرجينيا ، والتى روت لهما تجاربها مع شقيقها المصاب بهذا المرض ، حقيقة أن أسرته ليست ثرية ، ولكنها كانت تملك التصميم ، فابتلعت كرامتها ، وقامت بحملات لجمع الدم الذى يحتاجه بالتوسل للاصدقاء والاقارب والغرباء ليتبرعوا بالسائل الحيوى ، « فاستجداء الدم أصعب احيانا من استجداء المال » !

خلاصة الرحلة أن بوبى الآن طالب بالسنة الاولى بجامعة برنستون ، رغم أن المرض دمر ركبته تماما واصبح عليه أن يستخدم عربة كهربائية للتحرك في الكلية ، ولكن ذلك لم يمنعه من ممارسة النشاط . فدعم حملة أحد المرشحين للرئاسة الامريكية ، وتعلم الطيران ومارس السباحة .. ولم يقلل المرض أبدا من استمتاعه بالحياة !

Journey, by Robert Massie and Suzanne Massie, Knopf.

المسار

عبد الستار محسن الجواد

طويلة طريقنا بعيدة المسار
نهايتاها نقطتان فيهما انتظار
تسير فوق ظهرها لغاية مشاة
آونة وتمتطي متون امنيات
مواكب تنساب في عروقها الحياة
دائبة الحراك لا ترتد للنفار

***

تبدا من نقطتها الاولى لتستزيد
معا تطيق تجتني من يومها العتيد
لعيشها المنشود في مسارها البعيد
تبذر تسقي الحب كيما تجتني الثمار

***

تنسج من خيالها اردية الخلود
تنساب في مسارها خلف رؤى الوجود
تبحث عن منابع تفيض بالوعود
تلوح للظماء ماء يملأ القفار

***

لا هاديا امامها تمشي على هداه
يرسم خط سيرها فتقتفي خطاه
ينور الدرب لها بالرشح من سناه
بثاقب من فكره تتابع السفار

***

تمشي ولن يستوقف المرور آخرون
ساروا عبر الدرب لم توقفهم القرون
ساعون نحو غاية وهم لعابرون
اولى نقاط الليل حيث يرقد النهار

***

جماعتان لن ترى بينهما تماس
لا تطلب الحياة منهما لها التماس
يرتمسان في بحار سرها ارتماس
ويخرجان دونما ندية تجار

هنالك عبر الدرب في نهاية المسير
تستوقف الجميع في مطالها الاخير
« شوشة » تعكس في مناظر تثير
ماكان منذ البدء حتى غاية المسار

***

وسائل من يارى قد اوقف الجموع
عن سيرها زاحفة تبحث عن ينبوع
عن عين ماء عندها موسى اعتراه جوع
وحوته البائس اذ يلوذ بالفرار

***

ومصر والعزيز قد اشقاه في فتاه
اذ قال «رب السجن» والاب الذى بكاه
وصاحب النار التى شاء لها الاله
ان لا تكون غير جنة وحسن دار

***

وصاحب التنور حول محور صغير
بفلكه يدور في عالمه الكبير
ينذر بالطوفان ان سيبلغ المصير
كما انبرى الزوجان ياكلان من « ثمار »

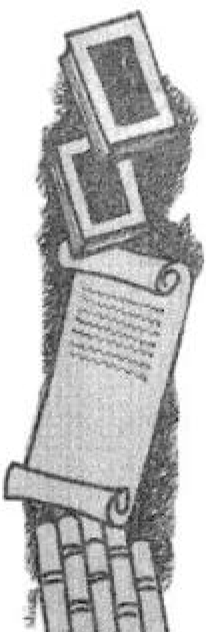
***

اكان فيمن قد عصاه اول العصاه
ولم يكن من قبل في جنته سواه
آدم حتى استوجب الاقصاء من سماه
وظل فيه يجتنى بنوه كل عار

***

ترى كم انساب على جوانب الطريق
مواكب تبحث عن سر لها عميق
من يارى .. لمن الان تعلو وتستفيق
وتقتفى خطا لمن سرىٰ بها وسار

● عبد الستار محسن الجواد ●
● كربلاء ـ العراق ●



مع قراء

الـهـلال..

● نصر الدين عبد اللطيف ●

كتبوا الى ، والاقلام فى أيديهم بنادق من غضب ! .. فتفجرت بين يدى ومن حولى كلماتهم قذائف ، وشظايا وأسئلة كعرائض الاتهام وتساؤلات .. !

● قال السائلون : لماذا نشرت فى العدد الماضى نماذج من شعرنا الذى هو دون المستوى ، فأحرجتنـــا بالنشر ، و ... كسفتنا ! ..

وأقول لهم ... :

ـ فى ولاية جورجيا الامريكية تصدر صحيفة متخصصـــة فى « الموضوعات الشائكة » ، اسمها « تاجيت » . وعلى صدر الصفحة الاولى فى كل عدد يقدم رئيس التحرير هذه النصيحة « اذا اردت الا تنشر عنك خبرا ما حدث ، فلا تدعه يحدث .. » !

● وقال الاخرون المتسائلون : ما دمت تنشر مثل هذا الذى هو دون المستوى ، فلماذا لم تنشر لنا ؟...

والى هؤلاء اقول ما روى ابو العباس المبرد ، قال :

ـ دخل الاصمعى على الخليفة هارون الرشيد فى مجلســه بين الناس بعد غيبة كانت منه ، فقال له : يا اصمعى ... كيف انت بعدنا ؟ « فقـــال : « ما لاقتنى بعـــدك ارض ! » ... فتبسم الرشيد ، وسكت ..

وبعد ان خرج الناس ، قال الرشيد : « يا أصمعى .. ما معنى قولك : ما لاقتنى بعدك ارض ؟ » ... فقال الاصـــمعى : يعنى

ما استقرت بي ارض !

فقال الرشيد : هذا حسن ··· ولكن لا ينبغي ان تكلمني وانا بين يدى الناس الا بما افهمه ، فاذا خلوت فعلمني ! ··

●●●

● السيد حافظ ـ الاسكندرية :

ـ ملاحظاتك قيمة ، ووجهة نظرك جديرة بالتسجيل في مناقشة بحث « المسرح ·· نضالا » للاستاذ محمد الطاهر فضلاء الجزائر ··· ومن اجل مزيد من الحوار حول المسرح العربي في وطننا العربي نرجو أن نقدم مقالك في باب معارك ادبية في عدد قادم ···

● نبيل عثمان ـ الجيزة :

ـ عندك حق ··· ففي احيان كثيرة ، ومن باب الاختصار، لا داعي لنشر السؤال ··· يكفي ذكر اسم السائل ، وتقديم الجواب ···

ولقد بدأت تنفيذ الفكرة كما ترى ، في هذا العدد ، ولنعتبرها تجربة ···

●حمدى الاسيوطي ـ مصر الجديدة :

ـ للاديب والمؤرخ والانسان ، الالماني ، توماس مان ـ مزايا كثيرة ··· لقد استطاع بقلمه السخرية ، وكثير من فهم اسرار اللغة ، أن يضع نفسه بين صفوف المؤرخين ، وأن يفوز عن جدارة بجائزة نوبل في القصة ··· ولد عام ١٨٧٥ وتوفي عام ١٩٥٥

● حسان علي مرسي ـ القاهرة :

الترجمات العربية لرباعيات الخيام كثيرة ، ولعل اجملها وارقها ـ وذلك رأي شخصي ـ هي الترجمة التي نقلهـا عن الفارسية شاعرنا الكبير احمد رامي ···

وقد عرفت اوروبا رباعيات الخيام عن طريق الترجمة التي قام بها الشاعر فيتزجرالد ·· ومن الطريف ان هذا المترجم لم يكن يحذق اللغة الفارسية ، ولم يزر بلاد الشرق مطلقا ، وانما عرف الخيام عن طريق احد المستشرقين بجامعة اكسفورد ··· وقد طبعت هذه الترجمة اكثر من مائة مرة في احجام والوان مختلفة ، وتألفت في لندن جماعة اسمها « نادى الخيام » يحرص اعضاؤها على « الحج » مرة كل عام الى قبر المترجم «فيتزجرالد» الذى غرسوا على قبره شجرة ورد جلبت من نيسابور موطن

مع قراء الهلال

عمر الخيام ...

● اكرم عبد العليم ـ المنامة :

لا احب أن نختلف حول امر كهذا . فلكل بعد الثقافة ، ثرثة وتذوقه ....

انت تفضل هذه المقطوعة من شعر بهاء الدين زهير ، على كثير مما تقرأ وتسمع من شعر هذه الايام .. وأنا افضل عليها الكثير من شعرنا الماضي ! ...

وأنت ترفعها فى تقويمك لها الى السماء السابعة .. وأنا لا أستطيع أن ارفعها حتى الى السماء الاولى ! ...

ولا ضرورة للتناطح بيننا من اجلها ، فلننقلها هنا ولنحتكم الى القراء :

كيف يخفى عن حبيبي كل ما تم عليــه
وهو فى قلبي مقيم ، اقرب النــاس اليه
بلرسولى .. قبل الارض اذا جئت اليه..
ثم عرفه بانى ... كنت غضبان عليه !
قرب الواشين حتى اكثروا القول لديــه
كيف يرضى لى حبيبه ما جرى بين يديه ؟
ياكتابا من حبيب ... انا مشتاق اليه ...
جاءنى منه سلام ... سلم اللـه عليه !

● ماجدة أسعد ـ العباسية :

ـ بالطبع ، يمكن أن تكون « الزوجة الكاملة » مصــدر وحي والهام لزوجها الاديب او الفنان أو الشاعر ... والمهم يا آنستي ، أو سيدتي ، من هى ، وأين هى الزوجـة الكاملة ـ اوصافها وصفاتها .. انا شخصياـ عندى لذلك واحد وأربعون سببا ـ لا أعرف ! ...

ولكنى ، ومن باب العــــلم ، اعلم ان سير هاربرت والينجتون ـ قاض انجليزى كبير ـ حدد اربع عشرة صــفة ينبغى أن تتوافر فى الزوجة التى تستـحق أن توصف بأنهـا « زوجة كاملة » :

الفتنة ـ العقل ـ الحب ـ الصبر ـ الاقدام ـ انكار الذات ـ التضحية ـ الوفــاء ـ الاخلاص ـ النفع ـ الغيرة ـ الرقة ـ الحنان ـ و ... خفة الدم (! ..)

كلام ، أى كلام !

● الى صلاح محمد بدوى بحيرة ● فاطمة محسن نور ـ لبنان (الجنوب) ● ح . محمد صادق ـ تبسه : الجزائر ● العوفى عاشور ـ مهاجر : باريس ● فوزى اسماعيل ـ كفر الشيخ ● مأمون صافيا ـ جبله ● طارق ابراهيم ـ القاهرة ● محمد عبد الفتاح الطويل ـ طنطا ● عزت امين شكرالله ـ المنيا ●

ـ لست ، والله ، بخيلا ولا « متباخلا » بالتوجيه والنصح لمن يريد من الاعزاء قراء هذا الباب ، عشاق الفن والشعر والقصة والادب ...

لكنى لا أؤمن كثيرا بجدوى النصائح والتوجيهات ، وخاصة حين تكون ردودا موجـــزة تحكمها المساحة المحدودة والمتاحة لنا من صفحات « الهلال » ...

كذلك ، فانه من سوء الحظ ، أو حسنه ، أننى طالب علم ولا تملك الكثير مما يمكن أن يقال للناشئين أو لغيرهم نصحا وتوجيها ...

على أية حال فان موجز ما يقال بالنسبة للشعر مثلا ، أنه من اهم الاعتبارات أن تكون متفتـــح القلب للشعر ، تحبه ، تحسه ، تفهمه .. وتهتز لما يعجبك منه ، ولا تمل من محاولاتك أن تكتبه ..

● أن تعرف جيدا اللغة التى تكتب بها وتعبر عن خلجات نفسك ...

● وأن تعرف منذ البداية قدرا كافيا من المبادىء والمعلومات عن بحـور الشعر والاوزان والعـــروض والقوافى (وذلك متاح فى كتب بعض المراحل الدراسية وفى كتب تجدها فى أهم المكتبات) .

● أن تقرأ لكبار الشعراء قديما وحديثا .. وأن تتزود بزاد متجدد من الثقافة الشعرية فكرا ولغة وذوقا ... وأن تحاول دائما أن تكون مجددا ، لا مقلــدا .

و ... لو تحقق ذلك كله ، فلن تكون بحاجة الى نصح وتوجيه منى أو ممن أهم وأعلم منى .. كذلك ، وبالطبع ، لن تكون واحدا ممن يكتبون كلاما ، أى كلام ، يحسبونه شعرا ، ثم يبعثون به الى الناشر ، فاذا لم أنشره ، غضبوا ، وأطلقوها موقعة يضيع فيها المنطق ، ويظهر الادعاء راكبا حمار الحمق ، منتصرا ، يطوح رجليه فى صلف وخيلاء !

● عدنان رحال ــ عمان :

ــ يقول عنه النقاد والمثقفون فى وطنه الجزائر : « عبقرية ملتزمة بقضايا الانسان والحرية »... فـ « كاتب ياسين » أديب جزائرى كبير ، تعالج كتاباته شعرا وقصة ومسرحا ، مختلف قضايا الساعة بروح عصرية ملتزمة بقضايا الحرية والتحرر فى العالم ...

ولا يضايق « كاتب ياسين » أنه يكتب بالفرنسية ، وهو القائل : « اتكلم العربية ، واكتب الفرنسية ... كان لا بد من تعريف الفرنسيين بانفسنا ... »

من اشهر مؤلفاته الروائية والمسرحية : « نجمة » و « الجثة المحاصرة » و « الاجداد يزدادون ضراوة » و « دائرة الانتقام » و « مسحوق الذكاء » و المرأة المتوحشة » و «الرجل ذو الحذاء المطاطى » و « محمد ، خذ حقيبتك » ... وتعرض مسرحياته على مسارح باريس ، وبروكسل والجزائر ... ولد « كاتب ياسين » بمدينة سطيف ١٩٢٩ ، ويعيش الآن فى الجزائـــر العاصمة ، ومازال خصبا يغنى التراث العربى بفكره وادبه ...

● بدوى سعيد سيد أحمد ــ الدقى :

ــ لا أحبها ، ولا أتعامل معها ، ولا اعمل بها : النصائح !

ربما تعجبك ، وتنفعك ، هذه الكلمات لكـــاتب ساخر ، نسيت أسمه :

سوف تحتفظ بشبابك دائما ، اذا عشت حياة شريفة ... واكلت ببطء ... ونمت فترة كافية ... وعملت بجد ... وعبدت الله مخلصا ، و ... كذبت فى سنك !

● شكرى محمد توفيق ــ رمل الاسكندرية :

... وهناك الفاظ كثيرة يتبادر للسامع أنها عامية وهى فصيحة ، أعرف منها : « الحس » بمعنى الصوت ، و « وشوش » من الوشوشة وهى كلام فى اختلاط ، و « شكمه » بمعنى الجمه واسكته ، والشكيمةهى حديدة فى اللجام تعترض فم الفرس ...

وايضا « شاف » بمعنى تشوف والمتاف ، و « العتمة » : الظلام ، و « جامد » : قوى أو متين ، و « خـــوى » لمع ، و « التو » : الزمن القصـــير ... و « راح » : ذهب ، و « خش » : دخل ، و « عبط » من التعبط وهو الجلبةوالصياح

و « استلقى » : ثانى . و « الثلغ » وفى الفصحى احمق دالع .
وكذلك : رجل حمش ، من حمشه ، اى أغضبه ...
وبالنسبة لما ذكرت عن « الاسماء المشتركة » فان من غرائب اللغة العربية ان كلمة « عجوز » لا تؤنث ... فهل العجز والهرم « ميزة » نتفرد بها نحن القلابة ابناء الجنس الخشن ؟!

● عبد الله محمود الشايع ـ الرياض :

ـ بهذه اللغة الرقيقة ، والنقية كدمعة وفاء ـ لمست احزان اصدقاء فقيد الشعر ، محمد الجيار ...

● حمدى لبيب (المهندس) ـ الجيزة :

ـ مع كل هذا الاصرار ، والاستمرار ، تجربة ومعاناة ـ كان يجب أن يبتسم القدر ! .. غريبة .. لماذا لم يبتسم ؟ !

● عمر مصطفى البكرى ـ السودان :

... ضعيفة جدا والى حد لاتستطيع معه ان تقطع طريقها للظهور فى « الزهور » ـ قصيدتك : « لا تسلنى » !

● محفوظ وهبة ـ صيدلى اسيوط :

ـ لا شيء مما تظن ... وبالنسبة لمجموعة مزامير العودة ، والحب فى الشرق ـ فكل ما فى الامر ، ان حبك للشعر اكثر من قدرتك حتى الان على الوزن والتعبير والفكر ! .

ومعذرة ، فانا مصاب بحالة « مهذب جدا » هذا الشهر ..

لذلك ، وللاسف ، وحتى تنتهى هذه الحالة الطارئة ـ فلن احقق رغبتك فى رسالتك ، عندما طلبت منى ان اشتمك !

● شوقى عبد الدايم ـ كفر الشيخ :

ـ هذا هو ، يا اخى ، قدرنا ، ولا بد ان نواجه تحديات روح العصر ، والعصر : خطف ، وزحام ، وزيف ، و .. شعراء كثير ، وشعر قليل !

ولقد فتحنا على اى حال فى « الزهور » ـ مع هذا العدد من « الهلال » ـ نافذة نطل منها على الشعر والشعراء تحت عنوان « شيء من الشعر ... وقليل من النقد ! » .. اقراها واكتب لى ...

الشعر الحلمنتيشى

حسين طنطاوى

النمل .. والإنسان!

النمل أحسن من بنى الإنسان
فيه ، طباع حلوة - عاجبانى
عاداته - فى مشيه - فى شغله
تمتاز عن عاداتنا - بزمان
ع الأرض يمشى - فى (طابور) رائع
(تنظيمه) فى منتهى الإتقان
من غير هرجلة - خناق - دوشة
أبداً - وتلك طباعنا (آه يانى)
حتى إذا (فركشته) بعصاية
ستراه - نظم نفسه - فى ثوانى
مع أن (دنياه) بدون عساكر
أو (قسم بوليس) فى أى مكان
وترى ابن آدم - فى الشوارع دائما
فى زحمة - فى هيصة - كاينداني
ينسى النظام - إذا تجمع مرة
فى سينما - جمعية - دكان

النمـــلُ (دنيــــاهُ) بلا نقـــديةٍ
وبدونِ أســـواقٍ ـ ولا أثمــــانِ :
لكنّهُ (فى الإدخـــارِ) بطَبْعِــــهِ
متفوقٌ دائمــــا على الإنســــانِ
فى الصَيْفِ (يَخزِن) أكلَهُ فى جُحرِهِ
ليعيشَ أيامَ الشِـــتا فى أمـــانِ
لو جِيــاءَ (بردٌ) واســتحالَ خُروجُه
وَجَدَ الطعـــامَ ـ بجُحــرِهِ الملآنِ
وأرى ابنَ آدمَ ـ مُسرفا ومُبـــذِّرا
وكأنّه من إخــوةِ الشَيْطــانِ
قولوا معى ـ يا سادتى : (يا ليتنــــا
نَتَعلمُ التــدبيرَ ـ م الحيــوانِ) !
إنى أشوفُ النمل ـ يحمل (قشــةً)
عِ الضَهْرِ ـ أثقـلَ منه فى الميــزانِ
يمشى بها (ميــلاً) بدونِ تبـــرمٍ
أبدا ـ ولا غضــبٍ ـ ولا غَلَيــانِ
وإذا تشــقلبَ فى الطـــريقِ بحمْلِهِ
ســتراهُ ينهضُ ـ بل يُحــاول تــانى
وترى جميعَ النمــلِ ـ صَفــا واحدا
يتعاونون ـ بهمــــةٍ ـ وتَفَـــانى
لا يعرفون اليــأسَ ـ إن كفاحَهُــمْ
دَرْسٌ ـ يُشَغِّلُ همهَ الكســـلانْ
قلْ لابن آدمَ : (خُــــد دروسا حِلوةً
فى الصَبْرِ والتصــميمِ م الحيــوانِ)

صلاة الحب

لو تسأليني اليوم من اهوى
روحي فدى عينيك يا سلوى

يا فتنة في السكون هائمة
يدعوك قلب دائم الشكوى

حتام هجرك يا معذبتي
لم يبق لي صبر على السلوى

نفسي تلوب وادمعي نضبت
وانا على الآلام لا اقوى

ارنو اليك ، وفي دمي ذكر
تهتاجني هيمانة نشوى

وملاحن للشوق دافقة
يا حلوتي ، عن خافقي تروى

فاظل من ياس ومن الم
احيا على الحرمان والبلوى

سلواي يا لحنا يخدرني
هذي صلاة الحب والنجوى

● عبد الخالق فريد ●
● بغداد ـ الاعظمية ●

● الغلاف الأول ●



احمل قصص الحب لوحة للفنان : جمال قطب ..

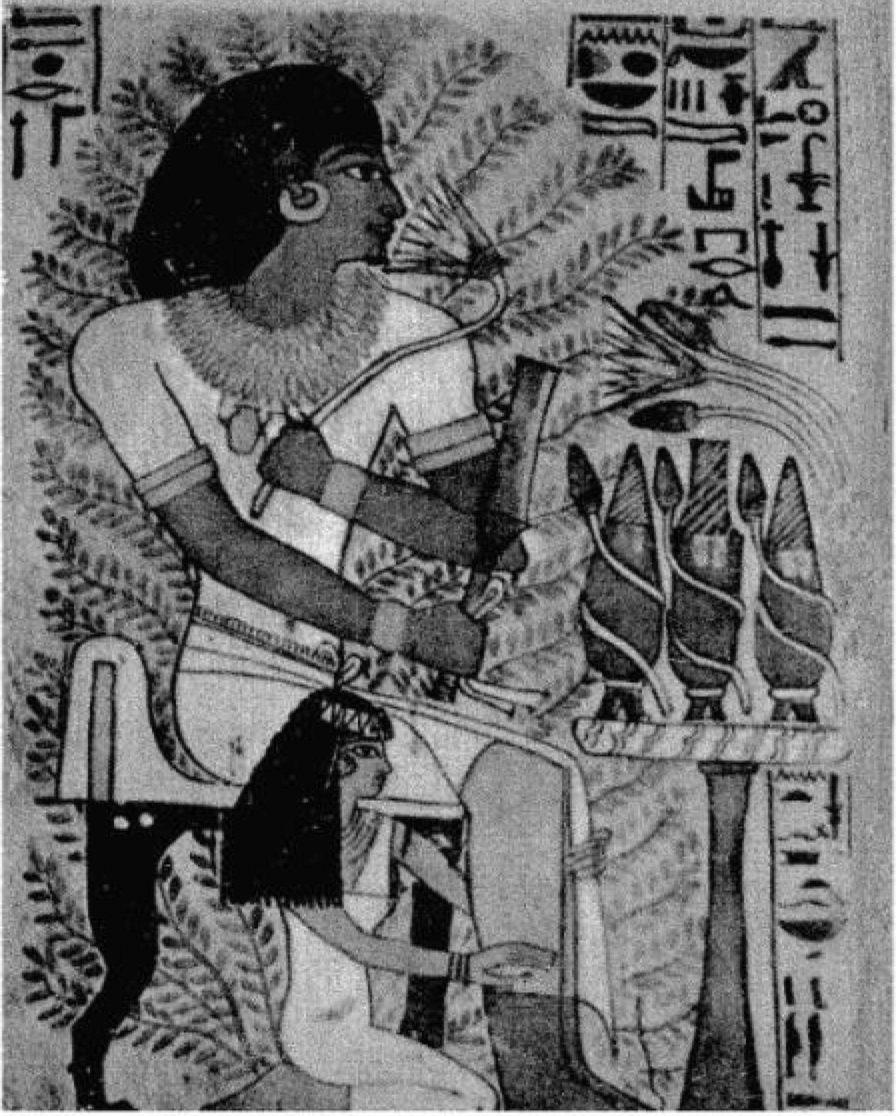
● الغلاف الأخير ●

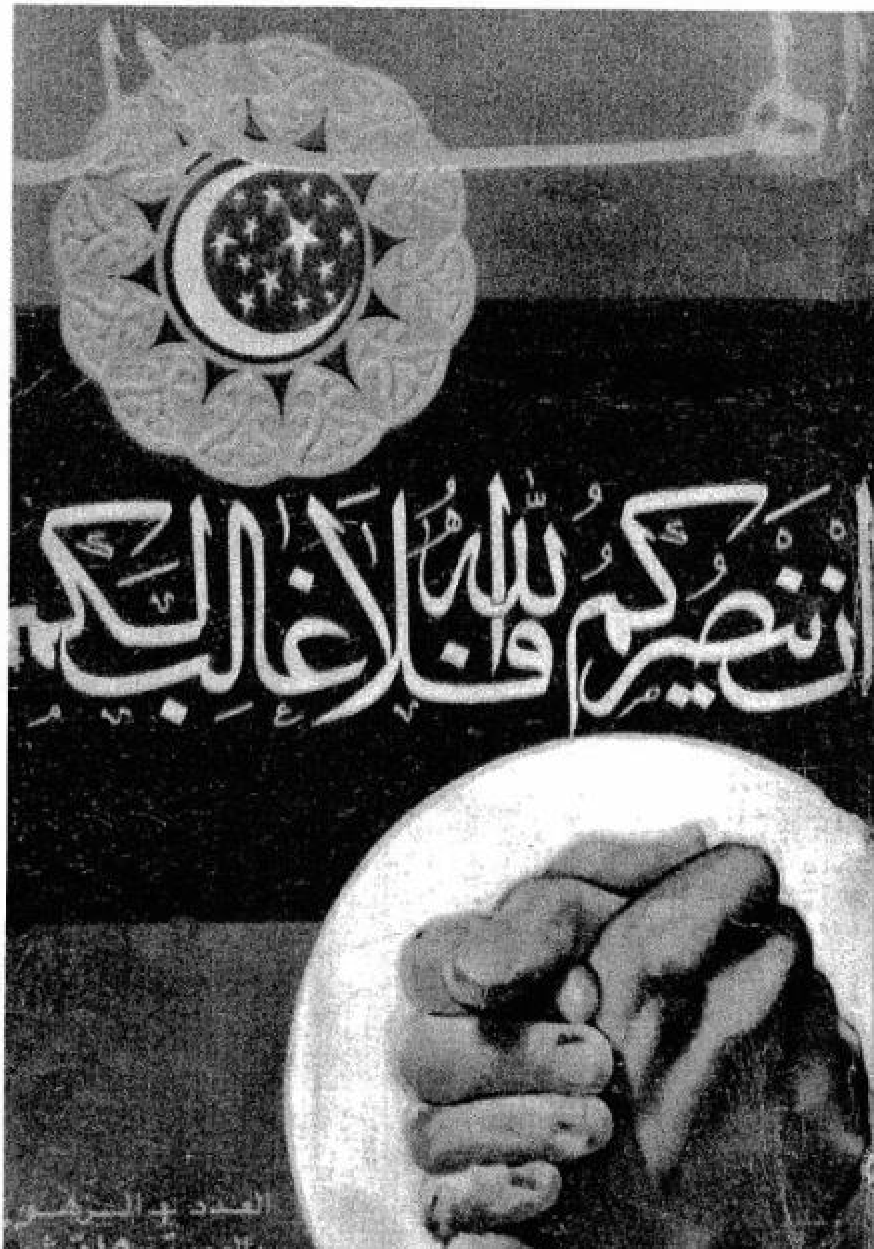


لوحة من مشاهد قصص الحب عند الفراعنة ..

● أجمل قصص الحب عند الفراعنة ●

(اقرأ الموضوع داخل العدد)




إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ

الهلال

شعبان ١٣٩٥
سبتمبر ١٩٧٥

مجلة شهرية تصدر
عن دار الهلال —
أسسها جورجي زيدان
سنة ١٨٩٢ — العدد
التاسع — السنة
الثالثة والثمانون —
أول سبتمبر ١٩٧٥
٢٤ شعبان ١٣٩٥

رئيس مجلس الإدارة
فكري أباظة

نائب رئيس مجلس الإدارة
صالح جودت

رئيس التحرير
صالح جودت

مدير التحرير
نصر الدين عبد اللطيف

المشرف الفني
جمال قطب

سكرتير التحرير
عاطف مصطفى

ثمن العدد : في جمهورية مصر العربية ٥٠ مليما
قيمة الاشتراك السنوى : «١٢» عددا في جمهورية مصر العربية وبلاد اتحادى البريد العربى والافريقى ١٥٠ قرشا صاغا . في سائر أنحاء العالم ٦ دولارات أو ٢ جنيه والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال . في جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية . في الخارج بشيك مصرفي والأسعار الموضحة بالبريد العادي — ويضاف رسوم البريد الجوى والمسجل على الأسعار المحددة عند الطلب .
الإدارة : دار الهلال — ١٦ شارع محمد عز العرب — القاهرة
تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »



زكي نجيب محمود د. عاتكة الخزرجي ابراهيم المصري

بسم الله الرحمن الرحيم



كلمة الهلال

أصبح الملتقى الاسلامي الذى يعقد بالجزائر كل سنة ، منذ تسع سنوات ، من اجمل التقاليد الاسلامية ، اذ يقصد اليه علماء المسلمين من كل فج عميق ، يتدارسون امور دينهم ودنياهم ، ويرسون اسس الدولة الاسلامية المنشودة التى بشر بها الهادى عليه الصلاة والسلام

وقد كان اللقاء هذه المرة فى مدينة تلمسان، ومن حصيلة البحوث التى القيت فيه ، هذه الاحاديث الاسلامية التى ينتظمها هذا العدد من « الهلال »

ولا يقتصر اللقاء فى كل مرة على علماء الاسلام القادمين من جميع الدول العربية ، بل انه ليضم اليهم ممثلى الهيئات الاسلامية من كثير من الدول الافريقية ، كنيجيريا واوغندا والصومال وجزر القمر وجزر موريس وغيرها ومن بعض الدول الاسيوية والاوربية ، كاندونيسيا وتايلاند وايران ، وتركيا ويوجوسلافيا .. الخ

يضاف الى هذا ان اللقاء يضم الى جانب اقطاب الاسلام ، عدة مئات من شباب الجامعات والمعاهد والثانويات الجزائرية ـ من الجنسين ـ يستمعون ويسألون ويشتركون فى المناقشات .. هؤلاء هم الجيل الجديد من ابناء الجزائر ام الابطال .. الجيل الذى ينشئه الرئيس البطل هوارى بومدين

على روح الاسلام الصحيح والعروبة الصادقة والخلق الكريم

و « دينامو » هذه الملتقيـــات ، هو الاخ العزيز الاستاذ مولود قاسم وزير التعـــليم الاصلى والشئون الدينية ، وهو ـ فضلا عن تاريخه فى الجهاد ضد الاستعمار الفرنسى ـ رائد التوجيه الاسلامى ، المندفع اليـه بكل شبابه وبكل حماسه وبكل ايمانه

اما الملتقى القادم ـ وهو العاشر ـ فسينعقد فى العام القادم باذن الله بمدينة « عنابة » .. عاصمة الجزائر الصناعية .. ويسمونها « مدينة الحجار » التى طالما كانت حربا على الكفار والفجار » كما سجعها الوزير مولود قاسم

وانه ليسعد « الهلال » ان يقدم هـذه الاحاديث الاسلامية ونحن عـلى ابواب ايام رمضان المباركة ، التى نفحتنا بعبير الانتصارات الاسلامية الكبرى ، واقصاها موقعـة بدر الاولى فى عهد النبى عليه الصلاة والسلام ، وادناها موقعة بدر الثانية ، التى كتب الله لنا فيها النصر على بنى اسرائيل سنة ١٩٧٣

نسال الله ان يجعل رمضان القادم بشير خير للأمة الاسلامية ، ونصرا من الله وفتحا قريبـا ..

● صالح جودت ●

مولود قاسم
وزير التعليم الأصلي والشئون الدينية
"الجزائر"



أصالة إسلامية

كلمة الإفتتاح

أود أن أبدأ هذه الكلمة بما ختمنا به الملتقى الثامن في بجاية ، وأرحب بالاساتذة الافاضل في مدينة الورود والشقائق ، والجنان والحدائق مظلة الهواء والعيون ، ومنهل الاداب والفنون ، مثوى العباد والزهاد ، ومعقل بني عبد الواد ، في عاصمة يغمراسن بن زيان ، في تلمسان .

نجتمع اليوم لتدارس نقاطا ستا ، الاوليان في صميم تاريخنا ، وتاريخ العالم الإسلامي عموما .

١) ـ احداهما : مساهمة تلمسان الزيانية في الحضارة والفكر الاسلاميين والعالميين ـ اسباب ازدهارها وعوامل انهيارها .

٢) ـ وثانيهما : موقف اسطنبول وباقي العالم الاسلامي من سقوط الاندلس وآخر مسلميها . وأمام الغزو الاوروبي للعالم الاسلامي عموما .

وواضح من عنوان النقطة الاولى اننا نود ان نستعرض ما ساهمت به عاصمة يغمراسن فى مجال الفكر والحضـارة لا على صعيد الجزائــــر فحسب ، ولا المغرب الكبير ، ولا حتى العالم الاسلامى على سعته ، ولكن ايضا على مستوى الحضارة والفكر العالميين .

فيكفينا ان نذكـــر أن احد اساطين الفكر على مســتوى العالم الاسلامى ، والمؤسس الاول لعلم الاجتمـــاع البشرى ، كما يقول هو نفسه بحق ، عبد الرحمن بن خلدون ، درس يافعـا فى هذه المدينة حسبما يذكــره ويفصله هو فى حيـاته التى كتبهـا بنفسه ، كانت منهله الاول الذى اصبح به فيما بعد ما اصـبح ، حتى اسس قواعـد علم الاجتماع البشرى قبل اوجست كونت ، وويبــــر ماركس ، وليفى بروك ، ودوركايــم ، وغورفيتش ، وبانيكيليفيتش وغيرهم من الهايمات والفيتشات !

وبالنقطة الثــانية نريد ان نلقى نظــرة « موقف الدولة العثمانية وباقى العالم الاسلامى من سقوط الاندلس ومن اخــر مسلميها ، وامام الغزو الاوروبى للعالم الاســلامى عموما » لنعرف فيما اذا كانت الدولة العلية على مراحل نشاتها ، ونموها ، ثم هرمها ، قامت بواجبها نحو اهــل الاندلس الذين كانوا فى غمـة ، ثم نحـــو باقى العالم الإسلامى الذى كان يلاقى ضربات الغزو الاوروبى الشرس ، ام بقيت سلبية ، تتفرج ، وتنتظــر ، المصير المحتوم لمن كان يلوذ بها ، وبرى فيها المنقــذ الوحيــد الى جانب الدفاع الذاتى ؟

هناك من يقول أن اسطنبول لم تحرك ساكنا ، أو لم تمكن

كلمة الإفتتاح

متحركا ، والخرون يقولون انها فعلت كل ماتستطيع ، او انها ما كانت تستطيع فعل شيء !

٣) – وبالنقطة الثالثة اردنا ان نتاكد من صحة او ضعف دعوى من يقول ان الشعر في الاندلس بسخفه ، واسفافه، ودعوته الى التحلل من كل شيء ، ثم الى الانحلال ، الذى يعقبه الاختلال ثم الاحتلال ، وقد اعقبه فعلا كما نعلم جميعا ، كان السبب فيما حدث ، ام انه كان مجرد مرآة وانعكاس ، وان الشعر وصف لشيء موجود مستقل عنه ، غير متوقف عليه ، وغير كامن فيه ؟

٤) – وبالنقطة الرابعة قصدنا ان نوسع من سابقتها ، ونشمل الاداب والفنون عموما ، ونمد بصرنا في تتبع فعلها لنشمل العالم بنظرتنا العالم اجمع ، لننظر في « دور الاداب والفنون عموما ، والشعر والموسيقى خصوصا ، في تعزيز اخلاق امة او انحلالها ، وفي شحذ عزائمها او قتل روحها »٠

فهناك بلدان استعملت هذه الاداب والفنون ، ورعتها ، وغذتها ، ونمتها ، ووجهتها لتعزيز وحدتها ، وتقوية بنيانها ، وتماسك مجتمعها ، وتحقيق اهدافها ، وابراز شخصيتها٠ واخرى تركتها تنمو هكذا فوضويا تبث فيها الانحلال والفوضى ، وتخرب بها بيوتها بايديها ، وتجلى بها كيراقش على نفسها ٠

٥) – وبالنقطة الخامسة وددنا ان تطرق في ملتقاكم هذا نقطة في صميم حياة الامة الاسلامية ، وتتصل وثيق الصلة بدعوة الاسلام وبها تنفر شبابها من الاسلام او تجذبه اليه ،

وهو المتعرض لمختلف الهزات والزوابع ، والدعـايات الكاذبـة والاغراءات ، وهو التساؤل الملح عن « العدالة الاقتصـادية والاجتماعية فى الاسـلام وواقع الامة الاسلامية اليوم»

ونحن نعرف ان الاسلام الذى تدعـو جميع أركانه الى التعاضد والتعاون وإلى الاخوة الحقة والتضامن ، ويسـتنكر جميع اصناف الاستغلال واللامبالاة ، الى ان جعل أمـام مثـل ابن حزم دية الميت جوعـا على الامة كلها ، واعتبر كل فرد فيها مسئولا عن الجائع والعريان ، وفصـل ذلك كله فى باب ما سوى الزكاة ، اذ لم يتوقف فى فهمه للاسلام عند ثانية ركن الزكاة ، بل قال ان للدولة ان تاخـذ اكثر من الزكـاة عند الضرورة ، و"الزكاة ، ان سمحتم بالمقـارنة ، تماثل ضرائب اليوم فى غير بلاد الاسـلام ، اى أن للدولة ان تأخذ اكثر من الضرائب لاسعاف الفقير والمحتاج ولصالح الامة ·

ثم لنتذكر ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان أول من اعلن وطبق فيما نعلم ذلك التساوى فى العناصر الحيوية للامة ، وهى الماء ، والكلأ وما فى حكمه (وهى الارض)، والنـار وما فى حكمها (وهى الطاقة)·

٦) – وبالنقطة السـادسة ارتأينا ان ندرس ، مقصـد الشريعة من الحج والطريقة التى يؤدى بها اليوم »، وننظر فيما اذا كانت هذه الطريقة توافق مقصد الشريعة ، وفيما اذا لم تكن بعض انواع السلوك اثناء الحج متنافية مع هذا القصد ، وفيما اذا لم تكن بعض تلك المظاهر تضر بالاسلام، عوض أم تفيده، وفيما اذا لم تكن منه منفرة ، بدل ان تكون به مبشرة ، وندرس هذا كله على ضوء مقصد الشريعة الذى هو صالح هذه الامة وعزة دينها·

هذه هى النقاط الست ، التى نود ان نتدارسـها معا بكل صراحة واخوة ، لصالح الامة فى مجموعها ·

وإذ اشكركم على روح الاستعداد الطيب ، ارحب بكم مـرة اخرى فى تلمسان ، واتمنى لكم مقاما طيبا فيها ، ولاعمالنـا مطلق النجاح ·

د. زكي نجيب محمود
(مصر)

طبيعة الشعر.. وصلتها بالأخلاق

ابدأ حديثي بما سوف أنتهي اليه ، وهو ان الفنون ـ والشعر احدها ـ لم تخلق لتخدم الاخلاق ، الا ان يجيء ذلك بطريق غير مباشر ولا مقصود ...

النقطة الاولى ، التي أريد لها أن تكون الركيزة الاساسية في حديثي هذا ، لانها لو ظفرت منا بالقبول ، جاءت نتائجها تترى في جلاء ـ هي الفوارق بين القيم العليا الثلاث : قيم الحق والخير والجمال ، فلئن جمع بينها أنها معايير نلجأ اليها طلبا للهدى ، فهي تعود فتتفرق ، ليكون لكل منها مجال خاص ، فأما قيمة الحق فمجالها العلوم ، أو ما يجري مجرى العلوم من شئون الحياة العملية ، وأما الخير فمجاله أفعال الانسان الارادية ، وأما الجمال فمجاله الفنون ...

في مجالات ثلاثة ، وعليها قيم ثلاث ، تلتقي كلها في الانسان ،لكنها من الاختلاف فيما بينها ، بحيث اذا اختلط في أذهاننا حابلها بنابلها ، خرجنا من الخليط بحياة مطموسة المعالم ، لا العلم فيها علم ، ولا الاخلاق اخلاق ، ولا الفن فن .

قيمة الحق تتميز عن أختيها بأنه لا دخل للانسان في اختيارها ، فأمامه حقيقة واقعة ، كالشجر والحجر والماء والافلاك ، ولقد أمده الباحثون عن تلك الحقيقة الواقعة بأقوال

يزعمون له أنها قوانين الاشياء ، فما عليه ـ ليعرف أين الحق فيها وأين الباطل ـ الا أن يقيس القول بالواقع فلا حيلة له في الامر ، لانه مفروض عليه ٠

وأما الاختان الاخريان : قيمة الخير وقيمة الجمال ، فمختلفتـــان عن ذلك لانهما ماخوذتان لا من عالم الواقـــع كما يقع ـ بل هما ماخوذتان من عالم الامكان ، فمبادىء الاخلاق فيمـــا « يمكن » للفعل البشري ان يصعد اليه، وسواء اســـتطاع ذلك بالفعل أم لم يستطع ، فالمبادىء هناك أمامهـــا الانسان ـ أو أقيمت له ـ لتكون الهدف المنشود، وبدائع الفنون هي ما «يمكن» ان يلوذ به الانسان من واقـــع كريه ،



وكذلك هي ما يمكن ان يفسر لنا سلوك الانسان ٠

لكن هاتين القيمتين، وان تشابهتا في التعلق بالمثـــل الاعلى ، فهما تختلفان : فمهمة الاخلاق هي أن تقوم المعوج من سلوكنا ، ومهمة الفنون ـ ومنها الشعر ـ هي أن تفسر سلوكنا لا ان تقومه ٠

لنأخذ فكرة من الاخلاق ، وصورة من الشعر ، كي نتبين الفارق بينهما ، تقول لنا الاخلاق ـ مثـلا ـ بوجوب التعاون بين الناس ، ليكون الهدف من قولها هذا هو أن تصـلح حيـاتنا العملية ، بحيث تدخل فيها التعاون اذا لم يكن قائما ٠٠٠

ويعطينا الشعر صورة لرجل يطلق عليه اسم هاملت ، لا لكي نصـحح شيئا في حياتنا ، بل لنفهم تلك الحياة كلما صادفنا بين الناس رجل شبيه بهاملت ٠

وعلى ضوء هذه التفرقة بين الاخلاق والشعر ، اذا سألنا : هل يؤثر الشعر في اخلاق الناس ؟ اجبنا في ثقة : ليست هذه مهمته ٠ فان جاء تأثير كهذا ، فانما يجيء بطريق غير مباشر ولا مقصود ٠

❀❀❀

لفيلسوفنا ابي نصر الفارابي نظرية في طبيعة الشعر ، يحق لنا ، بل يجب علينا ـ نحن الوارثين لهذا التراث العقلي العظيم ـ ان نفاخر بها اصحاب

المذاهب النقدية المعاصرة فقبل أن نوطن السنتنا بما قاله فلان أو فلان من غير أهلنا ، ينبغي أولا أن نستمع الى ما قاله ذوونا فيما نريد الحديث فيه ثم نقارن به ، ونزيد عليه ـ مما قاله الآخرون .

للفارابي ـ كما قلت ـ نظرية في طبيعة الشعر ، جديرة منا بالنظر الفاحص لأنها تلقي شعاعا قويا من الضوء على علاقة الشعر بالاخلاق ، وملخصها هو أن للطريق بين الشعر في طرف ، وسلوك الانسان في طرف آخر ، ثلاث مراحل : فهنالك ـ أولا ـ صورة يرسمها الشاعر ، كما أن هناك ـ ثانيا ـ خبرة ماضية مخزونة في الذاكرة ، فاذا ما طالعنا الصورة التي رسمها الشاعر ، استدعت من مخزون

طبيعة الشعر .. وصلتها بالأخلاق

الذاكرة شيئا من الخبرة الماضية ، ذا علاقة بها ، من تشابه أو تباين ، وهنا تأتي المرحلة الثالثة ، وهي أن نبني على تلك الخبرة المستدعاة من الذاكرة وقفة سلوكية ازاء العالم ـ وعلى ذلك فيمكن القول بأن الصورة الشعرية كانت هي المحرك لنا في توجيه سلوكنا ، وان يكن ذلك قد تم عرضا وبلا قصد صريح ..

ويبدو لي أن هذه النظرية الفارابية في طبيعة الشعر ، تحل الاشكال الذي ما انفك قائما بين النقاد ، وهو : هل يخضع الفن لمباديء الاخلاق ؟

أو بعبارة أخرى تلوكها السنة نقادنا اليوم : أيكون الفن هادفا أم لا يكون ؟

فلو كان الفارابي بيننا اليوم لأجاب : كلا ، ليس الفن هادفا بطبيعته ، ولكن ذلك لا يمنع أن تأتي منه النتائج السلوكية التي نريدها ، وذلك شبيه بقولنا : ان الريح قد دفعت شراع السفينة فحركتها ، لكن الريح كانت لتظل هي الريح بكل مقوماتها ، ان كانت هنالك سفينة تتحرك أو لم تكن .

انه لا مناص لنا من التفرقة الفاصلة بين مجال الشعر من ناحية ، ومجال الاخلاق من ناحية أخرى ، فلكل من المجالين طبيعته ومعياره ، وان الشعر ليظل شعرا ، سواء أرضيت عنه مبادىء الاخلاق أم لم ترض ، مادام قد حقق لنا ما تقتضيه طبيعة فنه ، فلا فرق عند الفن بين أن يصور الشاعر فضيلة أو أن يصور رذيلة ، طالما هو قد أجاد في كلتا الحالتين ، ان دنيا الشعر ترحب بأبي نواس ترحيبها بزهير ، وأن ملتون بفردوسه المفقود شاعر في الجانب الالهي من قصيدته ، كما هو شاعر في جانب تصويره للشيطان .

ومع ذلك فالنظرية الفارابية ـ كما أفهمها ـ تريحنا من العناء ، وتقف بنا

موقفا وسطا ، لان مؤداها هو ان تصوير الشاعر يعقبه تغير في سلوك الانسان .

دون ان يكون ذلك التعاقب عن سببية حتمية فالشعر يظل شعرا بقيمته الفنية ، حتى لو لم يعقبه تغير في السلوك ، كمثل للريح وشراع السفينة الذي تدفعه . فاذا قلنا ان الغاية الخلقية هي مدار البناء الفني ، وجب ان نضيف الى هذا القول ، بان الشعر يبطل ان يكون شعرا ، اذا هو قصدنا تلك الغاية الخلقية قصدا مباشرا ، اذ لا بد — في نظرية الفارابي — من بناء الصورة الخيالية اولا . وهي الصورة التي لا يراعى في بنائها الا معايير الفن الشعري وحدها ، ثم يترك الامر لـ ـا توحيه الصورة المرسومة لمن يطالعها، فاذا كانت صورة محببة الى نفسه ، تقمصها وسلك على هداها ، او كانت صورة منفرة ، عافها وكف عن مزج نفسه بها ، وهكذا يحقق الفن الشعرى ما يراد له ان يحققه في مجال الاخلاق بطريق غير مباشر ، ودون ان يفرط في شروط الفن الشعرى وما يقتضيه .

ان الف باء العمل الفني ، هي ان يستقطر الفنان من مادة فنه كل قطرة فيهـــا ، فلكل فن مادته الخامة : للموسيقى الصوت ، وللتصـــوير الضوء اى اللون ، وللشـــعر اللفظ ، وللنحت الحجر ..

ومهمة الفنـــان الاولى ازاء مادته الخامة ان يخرج منها عبقريتها الدفينة فيها ، فاول ما نطالب به الشـــاعر العربى ، هو ان يظهر لنا عبقرية اللغة العربية وان يخرج الى الاذان مكنون سرها ، وانه لهراء العابثين يمجدنا ذلك الذى تسمعه من بعض شعرائنـــا اليوم . من دعاة العـــامية ، او من القائلين باستخدام الشعر وسيلة لغاية اسمى منه ، فاذا كنت شـــاعرا . فالاولوية هى للشعر ذاته ، ثم تأتى بقية الاغراض عوارض طـــارئة على الجوهر ...

***

مادة الشعر الفـــاظ مما تستخدمه انت واستخدمه انا في قضـــاء شئون حياتنا ، لكن لكل لفظة جانبين ، فلها الدلالة المنطقية التى تشير بهـــا الى الاشياء، ولها كذلك الغزارة النفسية، وعلى هذا الجـــانب النفسى يرتكز الشعر . فليست كلمات اللغة بمقتصرة عن كونها رموزا كرموز الرياضة ، بل هي الى جانب هذا تشبه الكائنات الحية في تطورها كلما امتد بهـــا زمن استعمالها اذ تظل اللفظة تزداد امتلاء بابعادها الوجدانية مع تنوع الظروف التي تتقلب فيها مع القلوب ، وليست كل الفاظ اللغة في هـــذه الغزارة الوجدانية سواء ، بل منهـــا مالا يجرى مع تيار الشاعر الا بالقل القليل ، وعندئذ يكاد يقتصر على دلالته المنطقية وحـــدها ، ولكن منها كذلك ما يمس عبا من تيار الشـــاعر حتى لتصبح اللفظة كنبضـــة القلب ، ومن

هذا النوع الغزير بأغواره الوجدانية ينسج الشاعر شعره

الشعر هنا على نقيض العبارة العلمية ، فلئن كان المثل الاعلى للعبارة العلمية هو ان تكون واحدية المعنى ، لا يداخلها لبس ولا غموض ، ولا يتعدد تفسيرها عند القارئين ـ فان المثل الاعلى للقول الشعرى هو أن يحمل من المعانى مالا حصر له اذا استطاع الشاعر ذلك ، بحيث تتعدد زوايا الرؤية عند مختلف السامعين أو

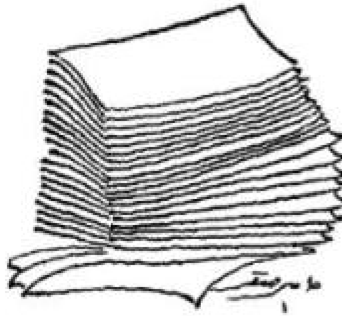
طبيعة الشعر .. وصلتها بالأخلاق

القارئين ، وذلك لان الشاعر اذ ينتقي لشعره أغزر الالفاظ قدرة على استثارة المشاعر ، فانما يسوق لنا فى قوله الشعرى ما يمكن ان تكون له استجابات مختلفة عند مختلف المنشدين ، ولذلك فسؤالنا الاول عند تقدير القيمة الشعرية ليس هو : ماذا قال الشاعر ؟ بل هو : كيف قال الشاعر ما قاله !

ولكى ترى الفارق البعيد فى الالفاظ بين دلالاتها المنطقية ومضموناتها الوجدانية انظر الى هذه الكلمات ـ مثلا ـ ماء ، ظل ، وطن ، ام ... انظر اليها من حيث هى أسماء تحدد معناها القواميس ، ثم أنظر اليها مثيرات للوجد والحب والالم والامل ، انظر الى ما تثيره كلمة « ماء » عند الظامىء ، وكلمة « ظل » عند التائه فى الصحراء وكلمة « وطن » عند المجاهدين فى سبيل الحرية لبلادهم ، وكلمة « ام » عند كل انسان ...

ان الدلالة المنطقية للفظة تجعل اللفظة رمزا رياضيا لا حياة فيه ، بل ان قوتها عندئذ هى فى أن تخلو من الحياة حتى لا يفسد المعنى ، وأما فى الدلالة النفسية فان اللفظة تكون كالنجم الذى يعطيك من مكنونه بقدر ما تحفر جوفه لتستخرج مافيه ، وأقول ذلك لتزداد وضوحا بأن الشعر ـ كغيره من الفنون ـ يقف عند وسيلته لا يريد وراءها وراء ، فاذا رأينا وراء تلك الوسيلة هدفا فانما جاء ذلك هدفا غير مقصود .

ومن هذه النقطة ذاتها ، انبثقت مناقشات ، ولا تزال تنبثق . واغلب الرأى هو أنها سوف تظل ، ما دامت فى الدنيا فنون ينتجها ناس ويتلقاها اخرون ، وهى مناقشات مدارها هذا السؤال : أاذا كانت وسيلة الفن هى فى الوقت نفسه هدفه الاول والاهم ، بحيث اذا وجدنا له هدفا اخر وراء تلك الوسيلة ، عددناه هدفا جانبيا لم يقصد لذاته ، ـ أفيكون الفن اذن ـ منحصرا فى ذاته وبغير معنى ؟ أيعزف الموسيقى لنفسه ، وينشد



الشاعر الشعر لنفسه ؟ فـاذا كانت الفنون موجهة الى الناس ، فماذا يراد لها أن تقول لهم ؟

هل يراد لها ـ مثلا ـ ان تحمل لهم رسـالة فى السياسة او فى الاخلاق او فى حقيقة الكون والكائنات او غير ذلك ؟

وجوابى عن هـذا السؤال هـو سؤال لو خطر بالغ فيما يشيع بيننا اليوم من حديث عن الفن الهـادف وغير الهادف ، اقول ان جوابى عن هذا السؤال الهام ، قريب من وجهة النظر التى طرحها فيلسوفنا الفارابى عن الشعر ، والتى أسلفت ذكرها ، ولعلى لا اخطىء كثيرا اذا قلت انه كذلك جواب شبيه بما قاله الناقد المعاصر رتشاردز حين تعرض لطبيعة الشعر بصفة خاصة ، والفن كله عامة ، وهو ان الفن يعنى ما يعنيه بالايحاء لا بالتوجيه المباشر ، فقد توحى اليك القصيدة الشعر بما توحى ، فى الاخلاق وفى غير الاخلاق ، على انها فى الوقت نفسه ، قد توحى لغيرك بمعنى اخر دون ان يكون احدكما حجة على الاخر ، ومن هنا يجىء للشعر ثراؤه فى تنوع التأويل ...

واما اذا اردنا ان نعثر له على المعنى الواحد الوحيد الذى قصد اليه الشاعر والذى لا يختلف فى تحديده قارئان، فذلك امر عسير ، لسبب بسيط وهو ان ذلك المعنى الواحد الوحيد ـ ان وجد ـ فهو فى بطن الشـاعر كما كانوا يقولون ...

أعيد القول مرة أخرى : ان وسيلة الشعر ، والتى هى اللفظ ، هى فى الوقت نفسه هدفه الاول والاهم، يقف الشاعر عند لفظه وقفة المصور عند الوانه ، والموسـيقى عند أنغامه والنحات عند قطعة الرمر أو الجرانيت، يسأل نفسه : كيف استخرج من جوف هذا اللفظ عبقريته فى جرس النغم وتلوين الصورة والقدرة على الايحاء ؟

ولنضرب هذا المثل توضيحا لتغلغل الشاعر فى حنايا لفظه ، على وجه غير مألوف لنا عند استعمال اللغة فى شئون الحياة الجارية :

روى ان الخنساء سمعت حسان ابن ثابت ينشد فى عكاظ قوله :

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى
واسيافنا يقطرن من نجدة دما

فقالت له الخنساء تنقده ، وهي الشاعرة الخبيرة باللغة وسرها :

ضعفت افتخارك وأنزرته في عدة مواضع .

قال : كيف ؟

قالت : « لنا الجفنات » والجفنات ما دون العشر ، فقللت العدد ، ولو قلت « الجفان » لكان اكثر ....

طبيعة الشعر .. وصلتها بالأخلاق

وقلت « الغر » والغرة هي البياض في الجبهة ، ولو قلت « البيض » لكان اكثر اتساعا ... وقلت « يلمعن » واللمع شيء يأتي بعد الشيء ولو قلت (يشرقن) لكان اكثر لان الاشراق ادوم من اللمعان ... وقلت «بالضحى» ولو قلت «بالعشية» لكان ابلغ في المديح ، لان الضيف بالليل اكثر طروقا ... وقلت « اسيافنا » والاسياف دون العشر ، ولو قلت « سيوفنا » لكان اكثر ... وقلت « يقطرن » فدللت على قلة القتال ، ولو قلت ، « يجرين » لكان اكثر لانصباب الدم ، وقلت « دما » (والدماء) اكثر من الدم ! ..

ومن نقد الخنساء الشاعرة لحسان ابن ثابت ترى كيف يغوص الشاعر في جوف اللفظة ، ولا يكتفي بظاهر دلالتها او بمجرد كونها تشير الى مسميات بعينها وذلك لان الشاعر يريد لكل لفظة في شعره ان تجيء مترعة بمعناها وفحواها ، انه يستخدم اللفظة على نحو فريد ، لا يشبه اى ضرب من ضروب استخدامها الاخرى . انه يريد من اللفظة ان توحي وان تستثير عند السامع حلو ذكرياته او مرها .

***

لقد قيل كلام كثير عن المترادفات في اللغة ، ان اللفظتين المترادفتين في المعنى – عند المتكلم من عامة الناس – تغنى احداهما عن الاخرى لانها تساويها ، فقل عن رجل أنه ابى او انه والدى ، فالامر سيان ؟ أو قل عن حيوان انه الليث أو انه الاسد فقد دللت عليه بأى اللفظين ، لكن الامر مختلف عند الشاعر الذى يحس باللفظ احساسا اخر اغنى واغزر ، اذ اللفظتان المترادفتان عنده تتقاربان تقارب الشقيقتين في أسرة واحدة لكنهما لا تتطابقان فتراه ينتقى منهما ويختار .

تلك هي طبيعة الشعر أو قل انها طبيعة الفن على اطلاقه ، واعنى الاهتمام بوسيلة الاداء لانها الى جانب كونها وسيلة فهي في الوقت نفسه الغاية الاولى فمن الاجحاف بالشعر ان نطالبه بالخروج عن نفسه وبالتنكر لطبيعته ليخدم شيئا

آخر سواء · أخلاقا أو غير أخلاق

لكن لا خوف على هذا الشيء الآخر ، فسيخدم بما يحقق رغباتنا في ذلك

سيخدم بالطريقة التي ترضى الفن ، الا وهي طريقة الاثارة والايحاء ·

أن الشاعر اذا سها عن فنه لحظة — وقد يسهو — فوقف منا موقف الواعظ المرشد فانه في هذه اللحظة

عينها ، ينفي عن نفسه أن يكون شاعرا ، فأفضل ما يكون الشاعر معلما أخلاقيا حين لا يحاول ان يعلم ، ولقد يكون عند الشاعر شيء

من حكمة الحياة يريد أن يعلمنا اياها ، بل هو أحق الناس بجمع

الحكمة من تضاعيف الحياة ، لان رجلا أرهفت حواسه بمثل ما أرهفت حواس

الشاعر تكون حكمة الحياة أقرب الى أطراف أنامله منها الى سواه ·

ولكن من أدراك أن الحكمة التي يستقطرها الشاعر من حقائق الحياة

يتحتم أن تجيء خادمة للأخلاق كما نريدها ؟ ألا يجوز أن تكون رؤية الشاعر للنفس البشرية أن الظلم

شيمتها ، وانها اذا عفت عن الظلم فلعلة خافية ، أو أن تكون رؤيته لطبائع الناس هي انهم منافقون

يقولون لن يلقى الخير ما يشتهى وان يكن قولهم كذبا ، ويدبرون ظهورهم لن أخطأ النجاح والتوفيق ؟

ومهما يكن من أمر فليكن واضحا أن تجميع الحكمة على هذا النحو ليس هو الشعر لانها ضرب من

التعميم ، والتعميم في الاحكام عمل عقلي ، لاشأن للذوق الشعري فيه اللهم الا أن يكون جانب الفن منه هو

طريقة الصياغة ، الشعر في أخص خصائصه يقف عند الجزئيات المفردة من سلوك أو مرئيات أو غير ذلك مما

يجيء ادراكه محددا بحدود المكان والزمان ، فاذا رأيت أحكاما عامة ترد في سياق الشعر ، فاعلم أنها

انما جاءت لا لتكون شعرا بذاتها بل جاءت لتكمل صورة جزئية فردية فريدة أراد أن يصورها الشاعر كأن

تجيء — مثلا — على لسان احدى الشخصيات في مسرحية شعرية ···

انك اذا كنت حكيما فلست بشاعر، وان كنت شاعرا فلست بحكيم ، ولم تفت هذه التفرقة بين الحكمة والشعر

أسلافنا ، فقال بعض نقاد العرب الاقدمين : المتنبي والمعري حكيمان ، والشاعر هو البحتري ·

ان من أعمق الكتب التي شهدها مجال النقد الفني ، كتاب « لاوكون » للشاعر الناقد الالماني « لسنج » ، فقد فصل القول في بيان التفرقة بين

الفنون موضحا كيف أن لكل فن مجاله الخاص لا تظهر عبقريته الا فيه فاذا كانت هذه التفرقة واجبة بين فن وفن ، مع أن الفنون أبناء أسرة واحدة

فالتفرقة أوجب بين الفن من جهة وما ليس بفن من جهة أخرى ، فلو أراد فن الشعر أن يكون رسالة أخلاقية ضاع منا الفن والاخلاق معا ·

وعندما أراد « لسنج » أن يحد مجال الشعر قال انه الفعل ، سواء كان ذلك الفعل فعلا لكائن حي أم كان فعلا لكائن من كائنات الطبيعة من غير الاحياء ولما كان الفعل فى طبيعته سيرة من أحداث تتعاقب على فترة من زمن ، كان الحدث الزمني هو لب الشعر وصميمه ، فليس من مجال الشعر أن يصف شيئا ثابتا فى مكان ـ لأن ذلك من شأن التصوير وإنما الحركة هي مجال الشعر وحركة الحياة بصفة خاصة ، ولذلك فلا عجب أنه اذا كان من شأن التصوير والنحت أن يجمدا موضوعاتهما لتسكن فيها الحركة عند

طبيعة الشعر.. وصلتها بالأخلاق

لحظة ثابتة ، فان من شأن الشعر أن يحرك موضوعه حتى لو بدا فى ظاهره شيئا ساكنا ، ومن هنا ترى الشاعر يتحدث الى الاشياء وكأنها فى وجدانه كائنات حية ، يحدث الجبل والبحر والسحاب والهواء ، كما يحدث ناقته وجواده فضلا عن حديثه مع الاناس من الموتى أو من الاحياء ، فالكون كله فى وجدان الشاعر مفعم بالحياة لأنه متدفق بالحركة ، ولولا الشعر ـ كما يقول العقاد ـ لظلت الطبيعة خرساء كما تحب أن تراها النظرة العلمية ، يقول :

والشعر الصلة ، تفضى الحياة بها
الى الحياة ، بما يطويه كتمان

لولا القريض لكانت ـ وهى فاتنة ـ
خرساء ليس لها بالقول تبيان

ما دام فى الكون ركن للحياة يرى
ففى صحائفه للشعر ديوان

فلئن كانت النظرة العلمية تجعل الانسان جزءا من الطبيعة ، تجعله ظاهرة من ظواهرها ، فان الشعر يجعل الطبيعة جزءا من الانسان، تحيا بحياته ، وتنشط بفاعليته ، ليس فيها عنده شيء موات .

يقول لنا الشاعر بشعره : هذه هي الحياة وهذا هو نبضها كما احسه ، وان لم يستطع ان يحسه معى سائر البشر اجمعين ، فماذا يقول الاخلاقي؟ انه يقدم لنا المباديء المطلقة الثابتة ليقول لنا : هذا هو ما ينبغي ان تكون عليه الحياة البشرية، والفرق بين ما هو كائن فى تصوير الشاعر ، وما ينبغي أن يكون، هو الفرق بين الشعر والاخلاق

●●●

الاخلاق تأمر ، والشعر يفسر بماذا يأمرنا شعر المتنبي او شعر ابي العلاء مع انهما الشاعران اللذان وصفهما القدماء بانهما حكيمان وبين الحكمة ومبادىء الاخلاق وشيجة قربى . بماذا يأمرنا شعرهما ؟ انه لا يأمرنا بشيء ولكنه يزيدنا فهما لطبائع البشر . الشعر كاشف عما استتر من لواعج النفس وخلجاتها ، لا يفرق فى ذلك بين خير وشر ، انه يكشف الغطاء عما لا تراه العين العابرة من طبائع الناس ، وانه ان عجب ان هذا الانسان فى وسعه ان يعلو الى اسمى مدارج

الفضيلة ، كما فى وسعه كالفنان يسفل الى أحط مهاوى الرذيلة ... ومهمة الشعر أن يخوض فى الاعماق الخبيئة ليرى الرواسب على القاع ، فيخرجها

من حالة اللاشعور المبهم الغامض، الى حالة التصوير الواضـــح ، ليرى الانسان نفسه كما هى ...

ان الشاعر لا يصـــور لك فردا ، معينا ، أو حالة شعورية خاصة ، من

حب أو كراهية أو غضب أو رضا ، فهو يقدم لك العام فى الخاص ، وهذا هو موضع الاعجاز فى جيد الشعر ، اذ هو يقدم لك حالة مفردة ، ولكنها فى الوقت نفسه تستطيع أن تكون نموذجا تقاس به سائر الحالات ...

الاخلاق تنهانا عن الرذيلة وتحضنا على الفضيلة، اما الشعر فيفتح أعيننا على منابع الرذيلة والفضيلة معا ، فاذا كان علمنا بهذه الينابيع يقـــوم سلوكنا من تلقاء نفسه بلا وعـــظ



صريح — كان ذلك هو الجانب الاخلاقى من الشعر .

الشعر محايد ، يصور لك العبقرى والابله على حد سواء ، فهو كالشمس تشرق على الكائنات بغير تمييز، وأنه لخطأ شائع بيننا ان يقال عن الشعر انه تعبير عن نفس صاحبه، لكن هذا التعريف الضـــيق قد ينطبق على قلة قليلـــة من الشـــــعر الغنائى ، أما الشعر من الضروب الاخرى فلا شأن له بنفس صاحبه ، لان نفس الشاعر من حيـــث هو فرد واحد ، ليس لها كل هذه الخطورة فى حياة الناس ، والقرب الى الصواب أن نقول ان الشاعر بعبقـرية الفن فى فطرته، يعطينا من نفسه الحالة الخاصة فاذا هى تصوير للانسان من حيث هو نوع بشرى متجانس الافراد ..

واذا كان الشاعر يعبر عن نفسه فهو فكيف امكن للشاعر المسرحى — مثلا — ان يسوق فى مسرحية واحدة حشـدا من الانفس المتباينة ، فاى هذه الانفس تكون نفس الشاعر ؟ فى اى الاشخاص الذين صورهم شكسبير ، يعبر الشاعر عن ذاته ؟ أهو ترويلس العـــاشق الساذج (فى مسرحية ترويلس وكرسيدا) أم هو هيكتور الفارس النبيل أم يوليسيز ذو الفكر الناصح ؟ .. أم هو كاسندرا التى ترى العالم قاسيا لا رحمة فيه ؟ ان الشاعر يقدم هؤلاء وغير هؤلاء لا يقال عن احد منهم انه اخطأ او اصاب وذلك لانه لم يكتب ليدعو الى شىء بعينه ، وانما كتب ليكون شاعرا .

من اخوات ثلاث : العلوم والفنون ودنيا السلوك ، العلوم قانونها الحق، والفنون قانونها الجمال، ودنيا السلوك قانونها الخير ، وعلى رءوسهن تقوم الحضارة، كما يقوم المثلث على اضلعه الثلاثة تلتقى الاضلاع عند الرءوس ، لكن واحدا منها لا يلغى واحدا .

أحاديث إسلامية

أحمد توفيق المدني
(الجزائر)

كيف انهارت الأندلس؟

ان العامل الاول من عوامل انهيار بلاد الاندلس ، كان سلوك الاندلسيين انفسهم فالدولة الاسلامية الاخيرة ، وهي مملكة بني الاحمر بغرناطة ، كانت ، حسبما يرويه كل رجال التاريخ من عرب ومن اجانب ، قوية برجالها ، قوية بسلاحها . زاخرة بمقاتلين من ابطال صناديد ، فيها من المدافع الضخمة ، ومن البارود ، ماكان يكفي لا للدفاع فقط عن حدود البلاد وقلاعها ، بل كان يكفي لاسترجاع الكثير مما اخذه العدو منها .. لكن الله قد اصابها مع تلك القوة ، ذلك الحول في بصيرتها ، فانها لا تعمى الابصار ، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور .

يقول احد كرام الباحثين من المغرب الاقصى ، هو الاستاذ عبدالكريم التواتي ما نصه : (في الوقت الذي كانت فيه الارادة الاسبانية تتجه نحو الوحدة ، وتتناسى الخلافات ، كانت الارادة العربية على العكس من ذلك ... وحتى في هذه الاوقات الحاسمة ، لم يستطع اصحابها أن يتوحدوا ، ويجمعوا صفوفهم ، وتلك كانت عادتهم منذ العهود الاولى التي كان الدين الاسلامي صاحب الكلمة النافذة في هذه البلاد . وانما صاحبتهم عنصريتهم القبلية ، وما يتبع هذه العنصرية من تضارب في المصالح الشخصية التي لم يستطع العرب ان ينسوها حتى في أحلك الظروف . وقد رأينا أن العرب لم يتورعوا ، بعد أن قسموا الاندلس العربية الى امارات وممالك متناحرة متخاذلة ، تولى أمورها ملوك الزمام - الا يثيروها حروبا شعواء ضد بعضهم البعض ، وأن يستعينوا في هذه الحروب باعدائهم) .



الى ان يقول : (واستمرت هذه الحروب الاهلية التى كانت تصيب الوحدة العربية الاسلامية فى الصميم، مخلفة جروحا عميقة، وذنوبا فظيعة فى كل القلوب والنفس . حتى أصبحت مع مرور الأيام حروبا انتقامية ، تدور رحاها سجالا بين مختلف الامراء والقادة ، والاسبان فى كل ذلك ، يذكون نار هذه الحروب ، ويؤججون لهيبها ، باغراء زعيم على زعيم ، ونصر فريق على فريق ، حتى اذا حفرت اخاديد سحيقة بين الاخوة والاشقاء ، اخذوا ينزلون ضرباتهم المدمرة على الكل ، ويتسالون من الجميع) ...

هذا ما رأيت الادلاء به من كلام باحث خبير ، من أولئك الذين كانوا من صناديد الابطال ، قال بهم الخلاف والتطاحن الدموى الاخوى، الى تسليم سيفهم لعدوهم ، بكف جبان رعديد .

لا والله لن يغفر لهم التاريخ ذنوبهم ، ولا يجد أى باحث منصف سبيلا للدفاع عن ذلك السلوك المعوج الاعوج ، الذى ادى الى ارتكاب تلك الجرائم المنكرة .

مثلا ، بينما يوحد الاسبان صفوفهم ويجهزون جيوشهم ، وبينما يعلن الملك فرناند والملكة ايزابيلا عزمهما على محق آخر دولة اسلامية ببلاد الاندلس وبينما يعلن البابا فى رومة أن هذه الحرب ضد المسلمين انما هى حرب مقدسة ، وان من قتل فى معامعها مات شهيدا ، وبينما يفرض البابا على المسيحيين كافة ضريبة «الصليبية» من اجل تحطيم المسلمين لا فى بلاد الاندلس فحسب ، بل فى عقر ديارهم بالمغرب العربى — نرى العلامة المقرى الجزائرى يقول عن الاندلس يومئذ

وكان السلطان أبو الحسن ، قد استرسل فى الملذات ، وركن الى الراحات واضاع الاجتهاد ، واسند الامر الى بعض وزرائه ، واحتجب عن الناس، ورفض الجهاد والنظر فى الملك وكثرت المظالم والمغارم، فانكر الخاصة والعامة منه ذلك ، وكان ايضا قد قتل كبار القواد) .

نعم . قد ثار عليه اخوه محمد بن سعد ، الملقب بالزغل ، أى الفتى النبيل المقدام ، وانتصب ملكا بمالقة، وهكذا انقسمت مملكة غرناطة الى قسمين ، امام العدو ، وكانت تشمل يومئذ ثلاثين مصرا ، وثمانين مدينة صغيرة ، وعددا لا يحصى من الابراج والحصون والمعاقل ، وكان عدد سكانها يقدر باربعة ملايين نسمة .

لكن انقسام ملكين ، لمملكة صغيرة، امام عدو عظيم ، لم يكن كافيا . فازدادت المصيبة هولا وتدخل عنصر جديد فى الموضوع ، وانقسم ملوك ثلاثة ، يحارب بعضهم بعضا ، تلك الرقعة التى كانت آخر أمل للمسلمين بديار الاندلس .

كان الملك ابو الحسن قد اصطفى لنفسه حظية اسبانية ، ورزق منها باولاد ، الى جانب ولديه من زوجته الكريمة ، عائشة الحرة ، وهي ابنة عمه . فكان كبير اولاده من زوجه « عائشة » هو أبو عبد الله محمد . وكان كبير اولاده من الحظية الاسبانية « ثريا » هو يحيى . وتعلقت همة هذا السلطان باسناد ولاية العهد ، ليحيى ابن الاسبانية ، فانقسمت نفس مدينة غرناطة ، وهي تحت الخطر الشديد الى قسمين متعاديين ، كل قسم منها يؤيد أحد الولدين ..

وتفاقم الامر ، وادلهم الخطب . اذ بينما ابو الحسن والزغل يتقاتلان وهما اخوان، تقع الفتنة الدهماء بين ابني الملك الحسن ، وتنقسم نفس

كيف انهارت الأندلس؟

المدينة العاصمة الى شقين متعاديين متقاتلين ..

كان هنالك بطل يسجل التاريخ اسمه في كتاب الخالدين ، هو القائد « علي العطار » لم تأخذه العزة بالاثم، وكان يجمع بين المسلمين في حروبهم ضد النصارى ، فيقذف في قلوب هؤلاء الرعب ، ويثخن فيهم ، ويسمو على ان يجعل بطولته تحت امرة ملك خاص ، أو أمير خاص ، فهو قائد اندلسي مسلم يقاتل دفاعا عن وطنه ، ويستعد كل يوم للموت فداء دينه ...

ولعلكم تعجبون اذا ما قلت لكم ان ذلك البطل الذي تقدسه مدينة غرناطة المسيحية الى اليوم ، وتتغنى انشودات العامة باسمه ، ويحفظ سيفه ضمن اطار من البلور في المتحف الكبير كان قد ناهز التسعين من عمره ، وهو يصول في ميادين القتال ويجول على رأس كماة المجاهدين، الى أن استشهد، والسيف بيمينه يقطر دما ، في معركة حامية الاوار ..

تفاقم أمر الخلاف ، فاذا بغرناطة الابية تخلع سلطان الملك ابي الحسن، وتبايع ابنه أبا عبد الله محمد ملكا . يفر الملك من وجه ابنه الى احدى المدن الساحلية ، فيعلن أن ابنه قد شق عصا الطاعة وأنه هو ، وهو الملك الشرعي الواجب الطاعة ثم ما لبث أن عاد على رأس جيش، فانتصب ملكا بقسم من مدينة غرناطة بينما كان قسمها الآخر، قسم العمال والطبقة الوسطى وهو البيازين ، محافظا على ولائه لابنه الذي بايعه ، فأصبحت مملكة الاندلس الصغيرة ، وهي أمام خطر السقوط والتلاشي، ذات ثلاثة ملوك : الملك أبي الحسن، وشقيقه الملك الزغل وابنه الملك ابي عبد الله محمد. يقول شكيب ارسلان في كتابه عن تاريخ الاندلس : « ولما وصل ابو عبد الله الى الحاضرة ، اي - غرناطة - ثار به والده واصحاب والده من جهة ، انتصرت له أمه ومن اليها من جهة اخرى ، فكان هنالك في ذلك الوقت الضيق ، مشهد الحماقة الاعظم ، وجرى من الامور المنكرة ما ليس في كتاب ، وامتلأت الاسواق بالقتلى بعضهم ينادي باسم ابي عبد الله ، وبعضهم ينادي باسم والده ابي الحسن ، وكان اكثر ميل العامة الى ابي عبد الله ، فسالت الدماء ، وأصبحت حمراء غرناطة اسما على مسمى » .

وصل الحال بهؤلاء التاكيد ، أن ابا عبد الله الزغل ، اصاب النصارى في احدى غزواته بكارثة مزلة ، في ناحية مما يليه من البلاد ، واثخن فيهم ، فاذا بالملك المشئوم ، ابي عبد الله محمد يبعث برسالة الى ملك

الاسبان يعتذر فيها عما فعل هبه ، ويقول ما معناه : لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا !

في هاتيك الاثناء ، تألبت المسيحية كلها ضد المسلمين ، وهم كما رأينا ، وجند فرديناند وايزابيلا يكونون جيش من اثنى عشر الف فارس ، واربعين الفا من المشاة ، وستة الاف من معبدى الطرق امام الجيش ، وكان على رأس المتطوعين الفرنسيين الذين معه القائد ، كاسطون اليونى ، وكان على رأس المتطوعين الانجليز ، اللورد سكالس ، وكان المتطوعون الالمانيون ، يشتغلون بالمدافع ويحسنون توجيه ضرباتها .

لقد كان الاندلسيون بما لديهم من سلاح وعتاد ومدافع ورجال يستطيعون الثبات حتى النصر ، وكانت فيهم روح قتالية سجلها لهم التاريخ ، ربما لم تكن موجودة يومئذ في غيرها ، انما هم كانوا لسوء الحظ يتقاتلون داخليا فيما بينهم ، اكثر مما كانوا يوجهون الضربات للعدو الهدد المشترك .

اتعجبون كيف سقطت مملكة غرناطة شهيدة بين ايدى حسادها ، على ملك شقى مأفون ، بلغت به الخسة والنذالة أنه بعث يهنيء الملك ، فرديناند ، لاحتلال مدينة مالقة ، وتحويل مسجدها الاعظم الى كنيسة ، وما ذلك الا لان مدينة مالقة كانت معقلا لعمه وعدوه ابى عبد الله الزغل

هكذا سقطت مملكة غرناطة ، لانها كانت تحفر بيدها قبرها ، وتهيىء بنفسها اسباب سقوطها واذا كان بها جماعة غفيرة من الفاوير ، فقد كان بها ايضا جماعة اشربوا فى قلوبهم دعوة الهزيمة ونشر سمومهم وطامعهم . الم يكن من الاندلسيين من يقول ، منذ الوهلة الاولى :

حثوا رواحلكم يا اهل اندلس فما المقام بها الا من الغلط

الغصن ينثر من اطرافه وأرى هذه الجزيرة منثورا من الوسط
من جاور الشر لا يأمن عواقبه كيف الحياة مع الحيات فى سفط؟

العامل الثانى من عوامل انهيار مملكة الاندلس ، ومأساة اهلها ، هو العامل المغربى ، هو سلوك اهل الشمال الافريقى نحو ذلك القطر العربى الاسلامى المنكوب بأهله قبل ان يكون منكوبا بأعدائه . فالذى نعلمه ، مما سجله التاريخ ، هو ان المغرب العربى والمغرب الاقصى بالذات ، كانت له اليد الطولى والقدح المعلى فى ادخال الاسلام وجيوش المسلمين الى الاندلس . فمنه اجتاز طارق بن زياد وموسى بن نصير المضيق ، الى جبل طارق ، تلبية لدعوة الانقاذ التى تلقاها من الاسبانيين المستضعفين فى الارض ، والجند الاسلامى المغربى هو الجند الذى وطد مملكة الاسلام هنالك ، وجعلها تسود وتمتد طيلة ثمانمائة سنة ولقد كانت مملكة الاندلس تزداد قوة ، او تزداد ضعفا ، على مقدار ما كانت عليه ممالك المسلمين ببلاد المغرب العربى من قوة ومنعة ، او من ضعف وانهيار .

وشاء الله أن تمتد يد الخراب شيئا فشيئا الى بلاد الاندلس ، رغما عن علو كعبها فى العلوم ، ورقة شعرها ، وسمو فلسفتها ، بواسطة ما اخترعته ، ومنذ نشأتها تقريبا ، من شقاق قبلى ، وتناحر سياسى ، وحروب وفتن اولية قاتلة ، حول عروش واهية ودول هزيلة ، وكنا نرى القوم — على صفحات التاريخ — يقتلون فيها نفوسهم ويبيعون فيها بنفيسهم ، ويتداولون فيما بينهم قسوة وشراسة ، حتى انه لصدق عليهم قول شاعر

صقلية الشهيدة الفحل عبد الجبار بن حمديس :

احين تغالني أهلها طوع فتنة
يضرم فيهـــا نـاره كل حاطب
ولم ترحم الارحــام منهم اقارب
تروي سيوفا من دماء الاقارب

عندئذ كان الأسبان يغتنمون الفرص وهم أهل حزم وفطنة وصـــلابة ، وينهالون على البـــلاد يأكلونها من وسطها ومن أطرافها ، فتعلو أصوات الاستصراخ والدعوة للجهـــاد ، من العدوة القصوى ، وما كان أسرع بلاد المغرب العربي ، والمغـــرب الاقصى بالذات ، بالنجدة الفعالة ، في حماس واندفاع جريء ، ومن ذا الذي ينسى جهاد أمير المرابطين « يوســـف بن

كيف انهارت الأندلس؟

تاشفين » وجهاد تلك الجموع الفائرة الدافقة ، وكيف تمكنوا من أصـــابة الاعداء في الصـــميم وكسروهم شر كسرة في وقعة الزلاقة الشهيرة، سنة ٤٨١ هـ ١٠٨٨ م · ثم توالت أمواج الجهاد منطلقة من المغرب نحو الاندلس في ثلاث دفعات ، قضـــت في نفس الوقت على امال الاعداء ، وعلى ملوك طوائف تربعوا فوق العروش باســـم الاسلام : فاذا بهم ، وبواســـطة تلك العروش ، يحاربون الله ورسوله ، عندما يحـــــزون رقاب المسلمين ، ويهرقون دماء عزيزة ، اشتراها الله من المسلمين لتكون وقاية لبلاد الاسلام ثم من ذا الذي ينسى اسراع أمير المؤمنين ، الموحد ، عبد المؤمن بن على ، يبسط سلطانه الرحيم العادل ، على بلاد الاندلس ، منذ سنة ٥٥١ هـ (١١٥٦ م) ، فكانت أيام الموحدين بتلك الاصقاع غررا في جبين الدهر ، توجتها معـــركة الارك سنة ٥٩١ هـ (١١٩٤ م) ، وما زالوا يوحـــدون ويجمعـــون الكلمة ، الى ان انحلت عصبيتهم ، وذاقوا مرارة الهـــزيمة سنة ٦٠٩ هـ (١٢١٢ م) في موقعة العقاب الشهيرة التي هلك فيها معظم الجيش الاسلامي : ولم يقم للمسلمين بعدها أمر يذكر · وانهـــارت دولة الموحدين الضخمة ، الجامعة ، فخلفتها بتونس ، دولة بني حفص » ، وخلفتها بالمغرب الاوســـط دولة بني زيان ، وخلفتها بالمغـــرب الاقصى دولة بني مرين ·

ثم اخذ منذ تلك الواقعة شـــان الاسبان في النمو ، والقوة والاتحاد · وشان الاندلسيين في الانهيار والضعف والخلاف الذريع ، وذلك رغمـــا عن وقائع باهرة ، وبعض انتصـــارات مشهودة ، واشتغلت دولة بني مرين ـ على الاغلب ـ بمحاربة الجـــار المسلم ، في ممـــلكة بني زيان ، عن امداد اخـــوانهم بالاندلس الا بالشيء اليسير ، في مناسبات عدة ·

العامل الثالث ، في انهيـــار دولة الاســـلام بالاندلس ، الى جانب ما سلف، هو ما يمكن أن نسميه بانهيار العالم الاســـلامي ، في ذلك الوقت بالذات ، فكيف كانت حالة العـــالم الاسلامي حول البحر المتوسط خـــلال تلك الايام الحالكة السواد ؟

لم يكن للعرب يومئذ حكم ولا دولة الا حكم تلك الدول الواهية بالمغـــرب العربي · كانت مصر، وكانت الشام، هما قلب العروبة النابض الخفاق ، كانتا خاضعتين لحكم دولة المماليك الاتراك الذين اشترى منهم صلاح الدين الايوبي فيما مضى ، اثنى عشر الفا ، من أجل مقارعة الحمـــلة الصليبية الطاغية ، فأسسوا بعد الايوبيين ملكا

قويا وذاع صيتهم الى أن بلغت دولتهم الهرم ، فلم تستطع المحافظة على أقطارها ، فضلا عن امداد أقطار أخرى مهددة بالزوال والانقراض •

أنني لا أنكر فضل وحزم وشهامة السلاطين المماليك ، الذين أطنب ابن خلدون في ذكر محاسنهم ، ولاما كان لهم من القدح المعلى في انقاذ الاسلام وبلاد الاسلام بالشرق • كلنا يذكر باجلال واكبار الظاهر بيبرس ، وهو يفتت بين يديه الجبارتين معاقل الصليبيين على سواحل الشام ••• والسلطان قطز ، وهو يقهر الموجة المغولية المخربة سنة ٦٥٨هـ (١٢٦٠م) بعين جالوت ، تحت صرخة : « وا اسلاماه » ••• والسلطانة شجرة الدر ، وهي تقهر الصليبية الفرنسية على شاطىء النيل ، وتضع ملك فرنسا « سان لوى » أسيرا بدار ابن لقمان بمدينة المنصورة ، الى أن آلت تلك المملكة آخر أمرها للسلطان قانصوه الغوري ، الذى كان يقاوم ويقارع عوامل الانحلال والتفكك ، ويمد يد الاعانة لملوك الهند المسلمين الذين كان الاستعمار البرتغالي يهدد بهم ، بواسطة أسطوله بالبحر الاحمر ، الى أن مات مقاتلا ، والدم يقطر من سيفه ، وهو في الثمانين من عمره • فدولة المماليك كانت أعجز من أن تمد يد الاعانة الى مسلمي الاندلس •

أما العامل الرابع ، فهو بعد الدولة العثمانية نوعا ما عن مواطن الكفاح في بلاد الاندلس • فقد كانت الدولة العثمانية الناشئة سنة ١٠٩٣ م ، قد أخذت في النمو والارتفاع ، وكانت تتجه في فتوحاتها صوب الغرب الاوروبي ، حتى تجعل من البحر المتوسط بحيرة اسلامية • انما هي كانت تلك الوقت، تحارب ، من الشرق الى الغرب : شاه ايران الشيعي ، وروسيا ، ودول البلقان ، والمجر والنمسا ، ولو أنها غفلت طرفة عين عن ثغرة واحدة من تلك الثغرات الممتدة على مسافة تزيد على العشرين ألف كيلو متر لنال الاعداء من قبلها، ولحطموها ، خاصة انها كانت تحاصر من قبلها مدينة القسطنطينية التي تهفو اليها قلوب النصرانية جمعاء •

على أن الدولة العثمانية ، وهي في حالتها تلك، قد بلغها صراخ واستنجاد أهل الاندلس ، وكانت على خلاف كبير مع دولة المماليك بمصر والشام ، الذين تعصبوا لايران خوفا على ملكهم من أن ينهار •• تفاهمت مع السلطان قانصوه الغوري ، وعقدت معه هدنة ، كما يؤكد المؤرخ التركي الكبير ، الوزير ضيا باشا في تاريخه عن بلاد الاندلس ، واستعدت تجهز جيشا وأسطولا ، لامداد المسلمين • والعثمانيون كانوا « جندرمة » الاسلام لكن الاسبان ، وكانت المسيحية كلها



كيف انهارت الاندلس؟

الى جانبهم ، قد اخذوا حذرهم ، وتلافوا الامر قبل وقوعه ، فجهزوا أسطولا ضخما يعترضون به الاسطول العثماني من جهة ، وبادروا باحتلال المدن الساحلية الاندلسية التى يمكن أن يصلها المدد العثمانى ، من جهة أخرى ·

يومئذ عزم العثمانيون على سلوك خطة جديدة ذات شقين ، لانقاذ مسلمي الاندلس ، ولارجاع مملكتهم لهم · وكان العثمانيون الذين تمكنوا من الاستقرار فى مدينة « استامبول » يقفون على سواحل بحر الادرياتيك الشرقية ، فالشق الاول من خطتهم ، كان يقتضي الوصول باقرب سرعة الى حدود اسبانيا الشمالية ، وليس بينها وبينهم من حائل الا البلاد الطليانية ، ومحاربة الاسبان فى الشمال ، قصد تخفيف الضغط على المسلمين في الجنوب · وكانت فرنسا التى اربتها اسبانيا واذلتها واسرت ملكها تسهل على العثمانيين ذلك الهدف ، وذلك بمهاجمة ايطاليا من ناحية الغرب ، بينما يهاجمها العثمانيون بلوغا من الجنوب الشرقي وفعلا قد انزل خير الدين باشا جنده بميناء اوترنتة الايطالي ، واخذ ينتظر الهجوم الفرنسي ، لكي يخضع ايطاليا ويصل الى الحدود الاسبانية ، فيتغير وجه التاريخ · لكن فرنسا احجمت عن ذلك العمل فى اخر ساعة ، خوفا من ثورة الراى العام المسيحي ·

اما الشق الثانى من الخطة العثمانية فهو اختراق كامل للبلاد العربية ، والوصول جنوبا الى ميادين المعركة ضد الاسبان · وهكذا تمكن سليم القاطع من دحر المماليك ، والاستقرار ببلاد الشام وبمصر ، اجتاز طرابلس وبعث بأسطول من بحارته الاشداء ، تحت قيادة البطلين « عروج » وخير الدين ، لانقاذ مسلمي الاندلس ، والاتجاه بهم الى ارض المغرب العربي ، لا بصفتهم لاجئين ، انما ليكونوا هنالك مستعدين لخوض معركة الانقاذ ·

وتطورت الحوادث بسرعة ، وكان ما كان مما نعرفه جميعا ، من الاحتلال الاسبانى لكل الساحل الجزائرى ، من عنابة لرس هنين ، وكان استنجاد الجزائريين بالاسطول العثمانى ، ثم تحرير المدن الساحلية الجزائرية ، ثم اقامة دعائم الدولة العثمانية الجزائرية ، وهكذا اصبحت دولة الخلافة تقف أمام الاسبانيين وجها لوجه ، لا امام قلعة وهران العظيمة فحسب ، بل أمام الساحل الاسبانى الجنوبي ، بلاد الاندلس ، حيث كان نحو المليونين من المسلمين ، يحتلون المعاقل والسهول بين جبال البشرات ، وينتظرون الانقاذ ، واستعادة الدولة والامجاد ·

تأسست الدولة الجزائرية واكتمل بناؤها وتم توحيدها بعد خمسين سنة ، ودمرت شر مدمر كل هجوم اسبانى عليها ، مما اكسبها مكانة رفيعة في كل بلاد العالم الاسلامى · وتولى أمرها البطل المغوار « قلش علي » فاخذ بأمر من السلطان يدبر طريقة لاغاثة ثورة المسلمين بالبشرات ، واعادة ملكهم لهم ·

عين الاندلسيون ، باتفاق سري مع قلش علي باشا يوم غرة نوفمبر ١٥٦٨ ، لاعلان الثورة العارمة وجهز الباشا الجزائرى جيشا ضخما ، قوامه ١٤٫٠٠٠ من رماة البنادق يشد ازرهم ستون الفا من المجاهدين الجزائريين ، مهمته استرجاع وهران ،

والاندفاع بكل قواهم نحو الساحل الاسباني . هذا فضلا عن اربعين سفينة جزائرية عثمانية ، كانت تحمل الرجال والسلاح ، وقفت في اليوم المعين ، يوم غرة نوفمبر ، امام مرسى المرية ، بحيث كانت تستعد لانزال ما في جوفها من رجال واثقال . لكن ارادة اللـه حالت دون ذلك . فان احد رجال الثورة الاندلسية قد انكشف امره ، فعلم الاسبان سر المؤامرة ، واستعدوا لها ، ولم يجد الاسطول الجزائري ، كما كان يرجو رجالا يتسلمون السلاح ، ويقبلون المقاتلين وهكذا خسر الجزائريون فرصة المباغتة .

وفي شهر يناير من السنة الموالية ١٥٦٩ ، اعلنت الثورة العامة ، فشملت كل جبال البشرات وكان اسطول جزائري عثماني ، يشمل بثمان وثلاثين سفينة حربية معمرة رجالا وسلاحا ، يحاول انزال قوته في اماكن متفق عليها من قبل ، لكن الاسبانيين كانوا مستعدين في كل مكان على الساحل لصد تلك المحاولة الجريئة ، فاصبح الاسطول الضخم يتجول حول الساحل ، بغية ايجاد مكان صالح لانزال الرجال والسلاح .

ولاجاله زوابع واعاصير فصل الشتاء الشهيرة ، فاهلكت منه ثلاثين سفينة ، ذهبت لقاع البحر بما عليها من رجال واثقال ، وما تمكنت من انزال ما عليها ، الا السفن الست الباقية ...

لكن عزيمة الجزائريين والعثمانيين لم تهن امام هذه الكارثة ، ففي السنة الموالية وخلال شهر اكتوبر ، تمكن قلش علي من انزال اربعة الاف رجل من رماة البنادق المركزة على الساحل الاندلسي ، مع عدد من ابطال الحرب المجربين لكي يتولوا القيادة . واستمرت الحرب قاسية شديدة بين الثائرين الاندلسيين والجزائريين من جهة ، وبين الجند المتوحش الاسباني من جهة اخرى .

وبعث قلش باشا في العام الموالي عددا اخر للثائرين ، واعلن عزمه على السفر بنفسه لتولي قيادة المعركة الاسلامية في اسبانيا ، لكن اساطيل المسيحية كلها قد تجمعت في البحر المتوسط بوعد لمهاجمة الاسطول العثماني ، وتدميره ، فاضطر قلش باشا ، تحت الحاح سلطان استامبول الى البقاء على راس ولايته المجاهدة ، ليشارك في المعمعة العظمى ! ..

واستمرت المعارك قاسية رهيبة ، تولى كبر الناس فيها الدون يوحنا الاسقري ، الابن غير الشرعي للملك ، فكان سفاحا فظيعا ، يلتذ بذبح النساء والاطفال بين يديه ، ويحرق المزروعات والقرى حتى اصبحت البلاد خرابا وحطاما ، ثم قاد هذا السفاح نفسه ، سنة ١٥٧١ ، الاسطول المسيحي الصليبي ، الذي تمكنت اسبانيا والبابوية من جمعه ، وكان يشمل ٣٠٠ سفينة ، يعلوها ثمانون الفا من الرجال المقاتلين ، فالتقوا مع الاسطول العثماني في مياه ليبانت ، على سواحل اليونان ، وكان مؤلفا من ٢٥٠ سفينة ، وبعد اعمال بطولة غريبة ، شارك فيها قلش علي بنفسه ، على راس عمارة جزائرية ، دارت الدائرة على العثمانيين ، فغرقت من سفنهم (٩٤) سفينة ، من بينها ٣٠ سفينة جزائرية ، وكانت خسائر المسلمين فادحة ، ومن جملة اسباب هذه المعركة البحرية الرهيبة ، اقدام العثمانيين على اعانة اهل الاندلس ، كما راينا .

اخفقت الثورة في الاندلس ، ومات زعيمها البطل محمد بن امية وتلاشت امال المسلمين ، وضاعت وياللاسف بلاد الاندلس نهائيا .

دراسات إسلامية

د. محمد علي رفعت
"مصر"

الثروة في الإسلام

الثروة مال كثير متجمع في حوزة ما .

والمدلول الشائع للفظ « المال » انه كل شيء ذى قيمة تبادلية ومن ثم فهو مقابل للحيازة وللتصرف فيه . ولذلك ينسحب هذا المدلول على النقود التي هي ممثلة للمال الحقيقي ووسيلة لمداولته ..

وفي الغالب الاعم يكون هذا المال شيئا نافعا ، بل ان شريعة الاسلام تشترط المنفعة في المال المقيم وذلك تماشيا مع حكمة الخطر على تداول الاشياء الضارة .

على ان شرط القابلية للحيازة يخرج من محيط المال المقيم اشياء تنفع الناس ولا غنى لهم عنها مثل الماء والهواء ، وهذه الاشياء تسمى اصطلاحا « الاموال الطليقة » .

المال المقيم الذى يشتمل على طيبات الارض التي توجد على الفطرة والتي تكون في حوزة أفراد أو جماعات معينة ـ ولذلك يمكن تسميتها بأموال الفطرة (الطبيعة أو الارض في لغة رجال الاقتصاد) .

كما يشمل هذا المال النافع الاضافية التي يستثمرها الانسان أو ينميها أو يستصنعها بمجهوده من أموال الفطرة ، وكذلك الخدمات التي يؤديها الانسان لغيره حسب دربته ومهارته وملكاته .

وسواء أكان المال مال فطرة أم مالا اضافيا ، فان شريعة الاسلام واضحة كل الوضوح في نسبة نشأته .

الله خالق كل شيء ومدبره ..

« الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور » الانعام .

« وخلق كل شيء فقدره تقديرا » الفرقان .

« سبحان الذى خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون » ـ يس .

« الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم » ـ الروم .

« ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي



تجرى في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لايات لقوم يعقلون » ـ البقرة ٠

« الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين » ـ الاعراف ٠

هذه الايات البينات واضحة الدلالة على ان المصدر الحقيقي لما هو كائن في الارض وفي السماء ، من انسان وحيوان ونبات وجماد ـ انما هو ارادة الخالق جل شأنه ٠ انه سبحانه صاحب الامر كله ٠

ولقد ذكر لفظ الخلق ومشتقاته اكثر من مائتين وخمسين مرة في القرآن الكريم ٠ فالله قد خلق اموال الفطرة التي تندرج في مفهوم « الثروة المادية » كما انه قد خلق الانسان وسواه ومكنه في الارض ٠ فماذا الانسان بمجهوده يخرج اموالا مضافة؟ او يكون وسيلة استكثار اموال مضافة ٠

وقد شاءت ارادته العلية ان يميز الانسان على غيره من المخلوقات فحباه عقلا وفكرا ووجدانا لم تحظ بها تلك المخلوقات ٠

كذلك اقتضت حكمته تعالى ان يكلف ذلك الانسان بالعبادة وان يختصه بالاستخلاف في الارض ويتسخير طيباتها لنفعته ومتاعه ٠

« واذ قال ربك للملائكة اني جاعل بشرا من صلصال من حما مسنون ، فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ، فسجد الملائكة كلهم اجمعون ، الا ابليس ابى ان يكون من الساجدين » ـ الحجر ٠

« ولقد كرمنا بني ادم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » ـ الاسراء ٠

« واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم ما لا تعلمون، وعلم ادم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء، ان كنتم صادقين، قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم » ـ البقرة ٠

لا جرم ان يكون الفكر الاقتصادي الاسلامي ، في معالجته لقضية الثروة منطلقا من عقيدة الخلق ، وان تكون تطلعاته نابعة من سنن الشريعة واحكامها وضوابطها ٠ فاموال الفطرة ملك لخالقها لامراء في ذلك ، ولكنه قد استخلف الانسان فيها استخلافا مقصورا ، غير مطلق ، اذ لا يصح بداهة ان يكون الاستخلاف تنازلا مطلقا عن كافة حقوق المالك الحقيقي لكائن يدركه الموت ويفنى ٠

في حديث رواه مسلم : « يقول ابن ادم مالي مالي ! ٠٠ وهل لك يابن ادم من مالك الا ما اكلت فافنيت او لبست فابليت ، او تصدقت

الثروة في الإسلام

فامضيت ! ، ٠

لابد ان تكون هناك شروط واوضاع لانضباط ذلك الاستخلاف ولضمان حسن التدبير او تجنب سوء التصرف « امنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » ـ الحديد

يقول الزمخشري في تفسيره لهذه الاية انها تعني « ان الاموال التي في ايديكم انما هي اموال الله بخلقه وانشائه لها ، انما مولكم اياها ، وخولكم الاستمتاع بها ، وجعلكم خلفاء في التصرف فيها ، ، فليست هي باموالكم في الحقيقة ، وما انتم فيها الا بمنزلة الوكلاء النواب » ٠

ويرى الامام ابن تيمية أن الاصل ان الله سبحانه وتعالى انما خلق الاموال اعانة على عبادته ، لانه انما خلق الناس لعبادته ٠

وهكذا تكون هذه الحقائق الكبرى التي تعرف على الفطرة ، والتي تؤكدها الشاهدة ويدركها التامل ـ حقيقة الخلق بمشيئة الله وبقدرته دون غيره ، وحقيقة الاستخلاف وحقيقة التسخير ـ هي المسلمات الاولى للفكر الاقتصادي الاسلامي في معالجته لاموال الفطرة ٠

ونستنتج من ذلك أن الاستخلاف لا يعني ملكية حقيقية للمستخلف ، بل هو تملك بالوكالة و ملكية حيازة

وكذلك نستنتج ان الاصل في هذا الاستخلاف هو العمومية أي هو للجماعة التي يشترك افرادها في مصالح روحية ومادية ٠ فاذا كانت هناك حيازة فردية فلا بد أن تكون خاضعة لتنظيم الجماعة ٠

وفي شريعة الاسلام ربط محكم متصل الحلقات بين مصالح المسلمين ربط وسوى من الجماعة مجتمعا يخدم الفرد ويحميه ، واقام من الفرد عضوا عاملا واعيا يفيد المجتمع وينميه ٠

ويقول الامام ابو حامد الغزالي في عبارة جامعة لمصالح المسلمين المرسلة « أن مقصود الشرع في الخلق خمسة : وهو ان يحفظ عليهم دينهم ، ونفسهم، وعقلهم ، ونساءهم ، ومالهم فكل ما يتضمن حفظ هذه الاصول فهو مصلحة ، وكل ما يفوت هذه الاصول فهو مفسدة ، ودفعها مصلحة » ٠

وتضاف الى ذلك قاعدة أخرى من القواعد المقررة في الشريعة هي : مبدأ سد الذرائع ، ومقتضاه ان ما لم يتم الواجب الا به فهو واجب ٠

والى جانب كل ذلك ، يشترط في الاستخلاف ، بحيازة اموال الفطرة او بتملكها بالوكالة ، أن يلتزم المستخلف فيها بواجبات عليه ان يقوم بتأديتها على مايحقق حكمة في الخلق ٠٠ فاذا ما عجز الملتزم عن التأدية او اهمل فيها او قصر حقوقه على تحملها سقط حقه في الاستخلاف كله أو بعضه على قدر قصوره ٠

وقد نجمل اركان هذا الالتزام ، جهد المستطاع ، في احياء الارض وثمراتها وفي انماء اموال الفطرة بالطرق المشروعة ، وفي تنفيذ احكام الشرع في الانفاق والبذل ، كاداء الزكاة بكافة انواعها ، واعطاء الصدقات ، وغير ذلك من أبواب الانفاق في اصلاح احوال المسلمين بعامة ٠ ولايحل للمستخلف الاسراف والتبذير وكذلك لا يحل له تجميد استثمار الاموال او تعطيل ذلك الاستثمار ٠

فاذا كان هذا شان اموال الفطرة في قضية الثروة ، فما حكم الاموال المضافة التي يكسبها الانسان

بجهوده .

لا جدال في أن شريعة الاسلام تولي سعي الانسان في طلب الرزق اهمية كبرى تتساوى وأهمية العبادة ، فلديها أن عمل الانسان شامل لنوعيه الديني والدنيوي .

وهذا الشمول يوضح لنا ذلك المزج المثالي الذي تجريه الشريعة بين قيم الاشياء المادية ، وقيم الرياضة الروحية التي تصون الناس من الشطط والزلل ، وتحميهم من الفساد .

اذا علمنا ان شريعة الاسلام تولي ذلك الاهتمام البالغ لعمل الانسان نفسه ، سواء كان القيام به وسيلة التقرب الى الله سبحانه وتعالى، أم اداة لقضاء حاجاته المعيشية ، فليس لنا ان نعجب من أن نظرة التشريف والتمجيد التي تراعي بها الشريعة شخصية الانسان قد امتدت كذلك لما يصدر عنه من عمل ، طالما ظل ذلك العمل محققا لغاية مشروعة .

لقد ورد في القرآن الكريم آية تتحدث عن العمل واخرى تتحدث عن العمل .

« ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين » _ فصلت .

« ليأكلوا من ثمره وما عملته ايديهم افلا يشكرون » _ يس .

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » _ التوبة .

وفي الحديث :

« أن الله يحب اذا عمل احدكم عملا أن يتقنه » .

واذا كان في هذا الحديث حث على اتقان العمل ، وعلى الاخذ بأرقى الاساليب العلمية والفنية في ممارسة العمل ، فان في القرآن الكريم حثا متكررا على التدبر في معالم الكون، والتدبر في آيات قدرة الخالق، وهل يتدبر المرء أمرا وهو لا يتقن ما يعمل انما الذي ينبغي مراعاته في شأن العمل الدنيوي انه لا يقتصر على عمل الاجير ، بل انه في شريعة الاسلام يشتمل على النشاط المثمر في كافة صوره وأوضاعه فصاحب المصنع يعمل حين يدير مصنعه ، وصاحب المتجر يعمل حين يمارس تجارته ، وصاحب المزرعة يعمل حين يشرف على مزرعته ولا يستثنى من ذلك العمل اليدوي

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لأن يمشي احدكم مع اخيه في قضاء حاجته افضل من ان يعتكف في مسجدي هذا شهرين » .

وقال عليه الصلاة والسلام ايضا:

« ان اشرف الكسب ..كسب الرجل من يده ».

ولقد اطلقت شريعة الإسلام رخصة العمل للقادرين عليه ، ولم تنه عنه الا اذا كان يتولد عنه مفسدة او ضرر _ كالكسب الحرام ، والغش والظلم ، والقمار ، والربا والاحتكار ، والسرقة والرشوة ..

وهكذا يكون العمل المثمر نبعا تتدفق منه روافد الاموال الانسانية التي تتألف منها ومن اموال الفطرة ثروات الافراد والجماعات .

واذا اختلفت الاموال الانسانية في معاملتها عن اموال الفطرة ، فلأنها تعتبر كسبا يرتب لصاحبه حقوقا تمتاز على ما يتمتع به حائز اموال الفطرة ، بالقدر الذي يحميه وينميه ، ولكنه يظل خاضعا لسنن الشريعة في تحقيق المصالح المرسلة وفي التزام صاحبه بكافة الاحكام الخاصة باستعماله والتصرف فيه .

واخيرا تجدر الملاحظة بأن احجام الثروات تتغير وتتبدل بسبب التصرف

فيها أو بتداولها ...

ذلك أن تداول الثروة يعني انتقال حيازتها ، سواء كان ذلك على سبيل التملك والارتفاق كما هي حال الاموال الفطرية ، أم على سبيل الكسب من الجهود البشرى ·

ويتم ذلك التداول ـ اما على وجه المبادلة ـ مبادلة مال مقيم بلغير على وجه الوفاء بالفروض والواجبات الشرعية ، أو على وجه الهبة ، أو الوصية ، أو التوريث ، أو غير ذلك من أوجه البر والتكافل ·

وأيا ما يكون مدار التداول، فالحال ان شريعة الاسلام قد عالجت قضية الثروة من حيث نشأتها فاطمأنت الى سلامة تحصيلها وصلاحية الحائز لها « ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التى جعل الله لكم قياما » ـ (النساء)

فاذا كانت الثروة من أموال الفطرة فهي ، على الضرورة ، خاضعة لسنن الشريعة وأحكامها في الانتفاع بهـا وكذلك هي خاضعة للجماعة في تنظيم تداولها ـ ومن هذه الاموال مالا يجوز للافراد تملكه ·

يقول رسـول الله صلى الله عليه وسلم :

« الناس شركاء فى ثلاث : الماء ، والكلا ، والنار »

ويرى علماء الشريعة أن مقصـود هذا الحديث هو تثبيت الملكية العـامة للمـواد الضرورية ، منعا لتمكين المحتكرين لها من سوء استغلال حاجة الجماهير اليها ·

واذا كانت الثروة من الامـوال الضافة ـ من الاسترعاء والاستخراج والاستصناع والمتاجرة ـ فهى ايضـا

الثروة

في الإسلام

خاضعة لاحكام الشريعة من المنشـا والانتفاع بها ، ولتنظيم الجماعة من حيث مراقبة تداولها ·

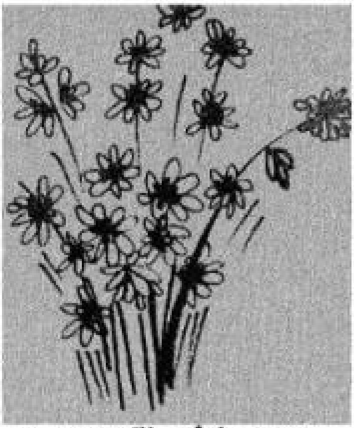
ذلك بأن هذه الاموال انما هي ثمار تقابل جهود البشرية ، سـواء أكان باذلوها أفرادا أم جماعات ·

فاذا كان الباذل فردا فله ثمـرة مجهوده ، وعليه أن يوفي حق الجماعة فيها · وان كان البـاذلون جماعة ، فلكل من افرادها نصيب مقدور ـ يمتاز فيه من شارك منهم بثروة (رأس مال) الى جانب مجهوده ، أو من شـارك بثروة عن طريق المضاربة لان مثـل هذه المشاركة لا تستقيم الا اذا تحمل الطرفان الغرم واقتسما الغنم · ولقد حرمت شريعة الاسلام «الفائدة» التى تحصل كعائد لرأس المال الذى انفصل عن ادارة صاحبه ، أو عن مشاركته فى المضاربة ، لان ذلك العائد يصبح قرضا ربويا ·

ولتداول الثروة صلة اجتماعيـة اصيلة ، تنشأ من علاقته بنشـأة الثـروة ومن اتصـاله بطرائق الاستكثار منها، ومن مجاراته أساليب توزيعها فى الجماعة ·

ان صاحب الثروة لا يحل له ان يحتكرها ، ولا ان يجمدها بان يحجبها عن الاستثمار او يعطل ذلك الاستثمار فان فعل ذلك ، كان فعلـه توقيفا لوظائفها الاجتماعية التى هى من حق الجماعة عليه ، وعندئذ يحق لولى الامر ان يتخذ ما يراه مشروعا لضمان تأدية تلك الوظائف ، حتى لو اقتضى الامر الاستيلاء عليها أو تأميمها ، أو مصادرتها ·

اما شروط التداول فتندرج في فقه المعاملات ، وهى تكون تسعة أعشار الشريعة ، على ما يقول الفقهاء بل انهم يذكرون ان التفقه في الدين واجب على من يمارس عمليات التـداول المتصلة بالثروة من أرباب التجارات والصناعات ·



ويروى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه قوله : « لا يبيع فى سوقنا هذه الا من تفقه فى الدين » .

وفى الحديث : « ان الربا ثلاثة وسبعون بابا » .

●●●

وأما تداول التوزيع للأموال المضافة أى ثمار العمليات الانتاجية أو مجمل الدخل القومى بلغة هذا العصر ، فلابد أن تراعى فيه مقتضيات التكافل الاجتماعى . وقد سنت شريعة الاسلام حد الكفاية (أو حد الاستغناء) لكل عضو من أعضاء المجتمع، لتضمن له حاجاته الضرورية التى لا شك تتماشى مع أحوال ذلك المجتمع حسب الزمان والمكان ، فاذا عجز انسان لسبب خارج عن ارادته ، عن أن يوفر لنفسه ولمن يعولهم من أهله الحد المناسب لمعاشه ومعاشهم ، على نحو ما يجرى عليه العرف السائد ، تكفل بذلك بيت المال ، ولا يستثنى غير المسلمين من هذه المعاملة ، فان لهؤلاء نفس الحقوق التى يتمتع بها المسلمون

« وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل » ــ (الاسراء)

« والذين فى أموالهم حق معلوم، للسائل والمحروم » ــ (المعارج) .

وفى الحديث :

من ترك كلا فليأتنى فأنا مولاه » ــ أى من ترك ذرية ضعيفة ، فأنا كفيل به .

ويروى أبو يوسف فى كتاب « الخراج » أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، أمر بكفالة العامل اذا أقعدته الشيخوخة أو العاهة عن العمل. اذ أنه مر ذات يوم بشيخ كبير ضرير يسأل الناس فضرب عضده من خلفه . وقال : من أى أهل الكتاب أنت ؟ .. فقال : يهودى، قال : فما ألجأك الى ما أرى؟ قال : أسأل الجزية والحاجة ، والسن . فأخذ عمر بيده الى منزله فرضخ له بشىء ثم أرسل الى خازن بيت المال فقال : انظر هذا وضرباءه. فوالله ما أنصفناه ان أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم . انما الصدقات للفقراء والمساكين . والفقراء هم المسلمون،وهذا مسكين من أهل الكتاب ووضع عنه الجزية وعن ضربائه .

●●●

ومتى توافر حد الكفاية لكل عضو من أعضاء المجتمعيكون توزيع الأموال المضافة أى ما تبقى من الناتج القومى، على المشاركين فى العمل حسبنتائجه الا أن الشريعة لا تطلق لهؤلاء العنان فى الترف والاسراف فىاتلاف ما أفاء الله عليهم ، لو ما عملته أيديهم . بل هى تنهى عن الاسراف والتبذيروالترف وتحض على القصد والاعتدال ، على عكس ما تشاهد فى المجتمعات الاستهلاكية الحديثة .

ولهذا يقول الفقهاء ان الاسلام لا يسمح بالثراء الشخصى الا بعد توفير حد الكفاية للمجتمع ، وان هذاالسماح مشروط بشرطين :

أ ــ عدم التفاوت الكبير فى الغنى . « كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم » ــ الحشر .

ب ــ وعدم الانغماس فى الترف .

الثروة في الإسلام

– « وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها ، فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » – الاسراء

●●●

يتبين مما تقدم من الحديث أن هناك ارتباطا وثيقا بين تداول الثروة ونشأتها وتحصيلها وتوزيعها استعمالاتها في شريعة الاسلام . وقد رأينا كيف تعالج هذه الشريعة الجوانب الاساسية في قضية الاموال ، ولاسيما في اثباتها قاعدة ارتهان التحصيل والحيازة بالعمل النافع ، في اشتراط حد الكفاية قبل اجراء التوزيع وكذلك في مطالبة القادرين على الانفاق أن يفعلوا ذلك على الدوام في سبيل الله ووفاء لحقوقه في أموالهم .

هكذا تقيم شريعة الاسلام بنية اجتماعية شاملة ، بنية التكافل الاجتماعي ، رياضة للقادرين ، وملاذا للمحتاجين ، وتوثيقا لعرى الاخوة وأواصر التعاون . وفي نفس الوقت تؤمن للثروة المكانة السليمة النافعة فتصونها من العبث والضياع وتمكنها من تأدية وظائفها الاجتماعية على أحسن وجه وأكمل منوال .

ولهذا تكون الشروط والاوضاع التي يتم فيها تداول الاموال في ظل الشريعة كفيلة بتحقيق ما درجنا على تسميته ، في مصطلحات هذا العصر ، بالعدالة الاجتماعية والعدالة الاقتصادية – وهما في الواقع هدفان مرتبطان أشد ارتباط ، مما يتعذر معه التمييز بينهما وخاصة في مجالات التطبيق .

فالعدالة لغة تعني المساواة أو الانصاف . وهل تكون هناك مساواة حقيقية لايصحبها انصاف

وشريعة الاسلام تقرر المساواة بين الناس جميعا على اختلاف أجناسهم ، فهي تسوي بينهم، أولا وقبل كل شيء وفوق كل شيء في القيمة الانسانية المشتركة ، والمستحق من حقيقة الخلق ونشأة الانسان عن أب واحد ، فيمتنع لذلك أي تمييز على أساس الجنس أو السلالة أو العنصر .

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم» – الحجرات .

وفي خطبة الوداع يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : يا أيها الناس، ان ربكم واحد ، وان أباكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، وليس لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أبيض ، ولا لأبيض على أحمر ، فضل الا بالتقوى .

ويروى أنه عليه الصلاة والسلام سمع أبا ذر الغفاري يتلاحى مع بلال رضي الله عنهما ، ويقول يا ابن السوداء : فغضب الرسول وانتهر أبا ذر وقال له : « انك امرؤ فيك جاهلية ، ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل الا بالتقوى أو عمل صالح » فوضع أبو ذر خده على الارض وأقسم على بلال أن يطأه بحذائه حتى يغفر الله زلته هذه .

كذلك تسوي الشريعة بين الناس في الحقوق والواجبات ، وفي المسئولية والجزاء ، وفي المثوبة والعقاب، وفي فرص العمل والكسب المشروع والتعامل ويبدو أن مثل هذه المساواة مجالاتها واسعة ، وسبلها متشعبة ، الا أن سنن الشريعة شاملة لكافة مناحي الحياة البشرية ومتطلباتها – فمنها المعاملات وممارستها ، وفيها طلب العلم والسعي وراء الرزق ، وفيها الحماية من الجور والظلم ، ومنع الاعتداء والقصاص من المعتدين ... لا تفرقة ولا تمييز في المعاملة .

« يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون » ــ (المائدة) .

وفي الحديث :

« لا تفلح أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوى بي » .

***

أما في المجال الاقتصادي ، فالمساواة التي تسنها شريعة الاسلام تتمثل بالدرجة الأولى في الأخذ بما يحقق تكافؤ الفرص بين الناس ومن ثم يصير النظام الاقتصادي المنشود وسيلة لهدف . فهو نظام صالح ومكين طالما ذلل مشاق الحصول على الأرزاق ونال فيه كل مجتهد ثمار اجتهاده ، وحصيلة عمله ، وطالما حافظ على الأموال ونماها ، وحال دون تركيزها لدى فئة قليلة ، تسيء استخدامها ، أو تتخذها أداة استغلال وفساد ومجون .

كل ذلك الى جانب مراعاة ضرورات التكافل الاجتماعي . هكذا نستبين مناط المساواة الاقتصادية في شريعة الإسلام ونتلمس دعائمها الكبرى التي تجعلها جهد المستطاع ، في حماية الكسب المشروع ، وفي تأميم المشاركة الجماعية في أموال الفطرة التي هي ضرورية لجميع الناس وفي توفير مستلزمات التكافل .

وليس من المبالغة في شيء القول بأنه يستحيل على العاقل المنصف أن يتصور وعاء من صنع البشر يتسامى الى ما استحدثته شريعة الاسلام من عدالة اقتصادية وما كفلته للناس من عدالة اجتماعية ــ كلاهما ميسورة ومتيسرة بالايمان الصادق .

وقد نختم هذا الحديث باستجلاء لبس لدى بعض المتشككين في أمر المساواة الاسلامية . يتساءل هؤلاء كيف تكون مساواة في الاسلام والقرآن يقول :

« ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات »

وصحة مدلول هذا النص تبين من استكمال الآية ومن نص الآية التي سبقتها في سورة الزخرف ; وهما :

« وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم . أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون »

في هاتين الآيتين رد على اعتراض الكفار على اختيار الله لشخص أولاه كامل ثقته ووضع فيه سر رسالته الكاملة للناس . ولم يكن ذلك الشخص بصاحب مال أو جاه أو سلطان . بل كان المصطفى المختار رجلا فقيرا ، شديد التواضع ، لا يقرأ ولا يكتب . ومع ذلك فقد اختصه الله بأعظم رسالة

واذ تستنكر الآية الثانية اعتراض الكفار فانها تشير في نفس الوقت الى اختلاف الناس وتفاوتهم في العقول والملكات والقدرات انما كان لحكمة التعاون والتكافل وتبادل المعونات والخدمات ، فلا ينبغي للمعترضين أن يتطاولوا ولا أن يفتخروا بما جمعوا من مال ومتاع ، فان رحمة الله خير مما يجمعون .

وعلى كل حال فان المساواة الاسلامية انما تتعلق بمعاملة الناس وتعاملهم وعدم التفرقة بينهم بسبب الجاه والمال والقوة . فاذا اختلفوا في القدرات واذا تفاوتوا في العقول واذا تباينوا في الاتجاهات فحسبهم أن التعاون يوحدهم ، وأن التكافل يجمع شملهم ، وأن التراحم يسمو بهم الى العلا .

حكايات خالدة من : فاس وتلمسان

د. عبد الهادى التازى
(المغرب)

لم يكن هنالك غير الاتصال المباشر ، وغير الطريق الدبلوماسى وسيلة لكى تدرك كل من « تلمسان » و « فاس » ان عدوهما يوجد خارج بلاد المغرب .. وقد ساعدت سفارة الامير ابن تاشفين الى الامير ابى سالم على فهم عميق للموقف وبين هذا وذاك كانت المنافسة تنصرف الى ميادين اخرى ميادين التشييد والتحضير الى التعاون وتبادل الخبرات العلمية .

كان اختفاء دولة الموحدين باعثا رئيسيا على طموح عدد من الولاة للاستئثار بالحكم فى المناطق التى كانوا يتولونها ،وفى اولئك من كان ينتسب لعشير او قبيل يقف وراءه يسنده ويعوله ... وبين هذا وذاك لا ننسى أن للمغاربة قاطبة سواء منهم المتواجدون فى القصاء واوسطه أو ابناء اعداء يتربصون بهم الدوائر على الضفة الاخرى للحوض المتوسط المقابلة لضفتهم ... ولهذا فليس ببعيد ان نسمع منذ ذلك الوقت عن وجود اياد خفية . وبارزة احيانا وراء الهاب الفتن بين اهل هذه الاقطار مما لم تستطع كتب التاريخ القديمة ولا الوثائق

الديلوماسية المعاصرة لتلك المرحلة ان تكتفه على كل حال ، لا سيما ونحن نعلم ما نعلمه جيدا عن امـــر مملكة غرناطة ووضـــع المسلمين بالاندلس انذاك ، وعن تصميم الحرب الصليبية على نسف الوجود الاسلامي والعربي هناك بمختلف الوسائل والطرق حتى تعطل النجدات التي كانت تصـــل باستمرار من الثغور المغربيـــة الى اولئك المظلومين والمضـــطهدين من اخوتنا اهل الاندلس ٠

فطبيعي أن في صـــدر ما كانت تفرضـــــــه استراتيجية الاستعمار الاجنبي ، أن يعمد الى تلهية القادة في اقطار المغرب وانشغالهم ببعضهم بعضا عن مكايده ومخططاته ، وبهذا ندرك جيدا الاسرار التي كانت تختفي وراء تبادل عدد من السفارات بين المملكتين من جهـــة ، وبينهما وبين غرناطة او بين قشتالة من جهة أخرى٠

لقد وردت على مملكة فاس سنة ٦٧٠ ــ ١٢٧٢ سفارة من ابن الاحمر ملك غرناطة استدعت ارسال بعثة ديلوماسية الى الامير الجـــزائري يغمراسن ٠٠٠

وتوجهت سنة ٦٧٤ ــ ١٢٧٦ سفارة ثانية برئاسة الامير تاشـــفين الذي اجتمع فور وصوله بالامير يغمراسن حيث أبلغه رسالة السلطان يعقـــوب الذي كان يتأهب لجـــوازه الاول الى الاندلس ٠ لقد كان القائدان في مستوى المسئولية ، وكان الاتفـــاق المبرم بين الطرفين ضربة قاسية للعدو المتربص بالاندلس الذي توجه بكل ثقله لتأليب غرناطة نفســـها على فاس ومحاولة كسر الاتفـــاق الجزائري المغربي ، الامر الذي استدعى ارسال سفارة مغربية ثالثة الى تلمسان حيث آل الامر الى عودة العلاقات الى سابق عهدها ٠٠٠

وبالرغم من ضراوة المنـــاورات القشتالية ، ومسها لتشمل الخلافات مملكة تونس أيضا ، فان القـــادة ــ لحسن الحظ ــ ماانفكوا يسترجعون صوابهم الفينة بعد الفينة ، ويتساءلون لحساب من هم يتناحرون ويتصارعون؟

وان القـــاء نظرة على الوثائق القشتالية لتبين وحدها الى أي مدى كانت تتحرك الســـياسة الخارجية للايقاع بين الممالك الاسلامية ، وقد ذهبت تلك التحركات الى أن اخذت توعز بالاحتفاظ ببعض الشـــخصيات السياسية المغربية كرهائن تســـلم عند الحاجة لهذا الفريق أو ذاك رغبة في المساومة واثارة للتشغيب ٠

ولم يكن هناك غير الاتصال المباشر وغير الطريق الديلوماسي وسيلة لكي تدرك كل من تلمسان وفاس ان عدوهما يوجد خارج بلاد المغرب٠ولقد ساعدت سفارة الامير ابن تاشفين الى الامير ابي سالم على فهم عميق للموقف ، وبين هذا وذاك كانت المنافسة تنصرف الى ميادين اخرى : ميادين التشـــييد والتحضير ، الى التعاون وتبـــادل الخبرات العلمية ٠٠

لقد رأينا السلطان ابا عنان اللـــام وجوبة في تلمسان يستدعي سنة (٧٥٨ ــ ١٣٥٧) مولاه العـــلامة المعدل الفيلسوف ابا الحسن عليا بن احمد التلمساني الملقب بابن الفحام ، ليطلب اليه ان يقوم في فاس بتشييد ساعة مائية على مقربة من مدرستـــه العظيمة التي كمل بناؤها عام ٧٥٦ ــ ١٣٥٥ وذلك ليعزز ناحية المدرســـة بما عرفته جامعة القرويين من الساعة المائية المتقنة التي صنعها ابن الجباب

حكايات خالدة من : فاس وتلمسان

٦٨٥ ـ ١٢٨٦ وساعة الصنهاجي ٧١٢ ـ ١٣١٢ (١) .

لقد ظلت (مكانة) (٢) ابن الفحام المائية فنية رائعة تزدان بها طالعة فاس ردحا من الزمان لكن الاسرار التكنولوجية لسيرها اختفت باختفاء معالمها الاولى . ومع ذلك فقد اسعدنا الحظ بوجود نص معاصر للفترة التي شيدت فيها الساعة يعطي فكرة اولى عن ساعة ابن الفحام ويتعلق الامر بفقرات من جنى زهرة الآس للجزنائي تحدث عن أن أبا عنان صنع رحمه الله مجانة بطيسان وطسوت من نحاس ... وجعل شعار كل ساعة أن تسقط صنجة في طست وتنفتح طاق على يد مؤقته أبي الحسن ...

وقد اشار ابن القاضي في (الجذوة) لما افادة الجزنائي ولكن من غير أن يضيف تفصيلات اكثر ، وهكذا بقي سر « المكانة » مجهولا حتى لقد تحدث بعض المعلقين عن عملية سحر كانت تتحكم في تسييرها !

وقد عثرنا على مخطوطة في المكتبة الملكية تحمل عنوان « اللسان المعرب عن تهافت الاجنبي حول المغرب » للمؤرخ الناقد ابي عبد الله السليماني التلمساني الفاسي المتوفى أواخر ١٣٤٤ ـ ١٩٢٦ قدم فيها صاحبها معلومات جد مفيدة ودقيقة عن ساعة ابن الفحام .

ونظرا لاهميتها من جهة وشبهها القوي بزميلتها ساعة تلمسان التي انشئت بعدها من جهة اخرى فقد رايت من المفيد ايراد هذا النص احياء لذكر موقف المملكتين ، يقول العلامة التلمساني :

« ... ومنجانة المدرسة العنانية هي رئيسة بابها واعظم ما يستوقف المار بها ، ذات ابواب على عدد ساعات الليل الزمانية ، ذات تماثيل محكمة الصنعة ، مركبة في قمر يسير على خط الاستواء سير نظيره في فلكه . ومهما سامت بابا من تلك الابواب اول ساعة ، ينقض من البابين المقابلين عقابان في يد كل واحد منهما صنجة صفر يلقيها على طست من الصفر مجوف بوسطه ثقب ، وبالطست فرخ عقاب من صفر ، فينهش الارقم المتصل بالقمر فرخ العقاب نهشة او اكثر بعدد الساعة فيرن الطست بحسبها ويسمع من بعيد ، ويصفر العقاب كذلك ، وعلى هذا المثال سيرها الساعة بعد الاخرى الى الصباح ، ثم يتقدمه نور النهار كذلك ... ويحرك مجموع ذلك الات

---

(١) عرف العالم الاسلامي سلسلة من الساعات المائية في العصر الوسيط ونشير بالخصوص لساعة جامع الكتبية بمدينة مراكش على ما يذكره العمري في المسالك وساعة دمشق التي ذكرها ابن جبير ... وساعة المدرسة المستنصرية ببغداد .

(٢) المنجانة او المنقانة ماخوذة من الفارسية (بنقان) التي تعني الساعة المائية ، وقد تحرفت الكلمة عندما عربت الى ماكانة وتجمع على موالكن بمعنى ساعات الجيب أو الجدار ...

متصلة ببعضها تحريفوة الماء الجارى أسفل بيت المنجانة ··· وقد بقى — يقول السليمانى — الى الان منها، أى الساعة آثار تدل على بديع صنعتها وعلو همة منشئها ، قال : « واما منجانة تلمسان فلم يبق من آثارها الا برجها الماثل على باب مشورها وبه الان منجانة كبيرة افرنجية على الطراز الحديث » ·

وكان السليمانى قبيل تقديمه وصف ساعة مدرسة أبي عنان ، قال : « وهو — اى المعدل ابن الفحام — وهو الذى صنع نظيرها بتلمسان لسلطانه ابى حمو الزيانى وقد وصفها مؤرخهم بما هو مشهور ، ومعلوم ان ابا عبد الله السليمانى يقصد الى الساعة التى تحدث عنها يحيى ابن خلدون وأبو عبد الله التنسى ، وأبو عبد الله المقرى ·

وبالمقارنة بين وصف الساعتين يتجلى ان الفرق بينهما يكاد لا يوجد ، اللهم اذا ما استثنينا — فيما يتعلق بساعة تلمسان اللاحقة — صورة « الجارية المحتزمة التى تبرز من باب الساعة كاظرف ما انت راء ، بيمناها اضبارة فيها اسم ساعتها منظوما ، ويسراها موضوعة على فيها كالمبايعة بالخلافة لامير المؤمنين ايده الله ·· »

ولقد شغلت الاثار المتبقية الى الان من ساعة مدرسة ابى عنان عددا من المحققين والمتخصصين فى الساعات المائية وبخاصة من علماء اوربا وامريكا فذابوا يجتهدون فى القاء الضوء على آليتها ، ولعل من المفيد ان نسجل افادة للبروفسور « بيل » ممزوجة بتعليقات الدكتور (برايس)

توجد فويق كل طست من الطسوت الثلاثة عشر البارزة والمحمولة على دعامات خشبية منقوشة ، اثنتا عشرة نافذة مقوسة فى الجدار الذى يتأخر عن الطسوت، كما توجد نوافذ اخرى، على نفس الجدار ، مستطيلة الشكل أصغر من الاولى فوق طنف يعتمد على ستة وعشرين مسندا وهذه النوافذ الاخيرة كانت بدورها محمية بطنف من القراميد الخضراء فتحت فوقه سلسلة ثالثة من النوافذ المستطيلة الشكل ايضا، وجميع هذه الطسوت والمساند والابواب بمثابة ميناء للساعة ·

ويمكن أن نتصور من خلال ما تبقى من هذه البناية الاثرية ان كل طست من هذه الطسوت كان يقع عليه صنجة معدنية تنزل عليه وهى ناشبة فى نهاية خيط يمر عبر مسند الطنف الخشبى ·

ويلاحظ فعلا انكل واحد من الثلاثة عشر مسندا من التى توجد فوق الطست مباشرة ، مجوف فى نهايته التى تشرف على الطست ، على عكس بقية المساند التى لا تسامت الطست والتى عددها ثلاثة عشر ايضا ، فانها غير مجوفة · وهكذا فان الخيط الذى يحمل الصنجة يقع تمريره بوساطة اداة ذات حركة آلية منجانية توجد فى غرفة خلف الجدار ·

وتوجد هناك — على الارجح — قناة خشبية تمس ذلك الخيط عند ممره عبر الجدار بين النوافذ التحتية وبين التى تقع وسطا ، لاننا نلاحظ اثر هذه القناة فى قاعدة النوافذ وجوانبها ·

وهكذا فبعد وقوع الصنجة والايذان

بالساعة ، تدخل الصنجة في ثقب الطست وتمر مع الخيط في الوقت المناسب ، داخل الجدار وعبر القناة العمودية بين النوافذ ، ويمر الخيط مع صنجته بدون شك على بكرات ثم ينزل ثانية ليقوم بنفس الدور عبر المسند المجوف ويهبط بالصنجة المعدنية التي يحملها على الطست الموالي بحيث يقع الاشعار بحلول الساعة،

ولم يكلف أي من (ييل) ولا (برايس) نفسه عناء البحث عن العنصر الهام الذي تعرضت له المصادر القديمة ، وأعني به انفتاح الباب ، الذي كانت له اشارات اخرى اضافة الى انه يدل على حلول الساعة ·

واعتقد ان الباب كان يفتح عند بداية الساعة ثم لا يلبث أن يغلق قليلا قليلا بحيث يشير في حركته هذه الى ارباع الساعة وأقسامها ودقائقها بمعنى انها عندما تكون الساعة في ربعها الاول يكون المائل من الباب ربعه ، وعندما تكون الساعة في منتصفها يكون المائل من الباب نصفه، وهكذا حتى تنغلق تماما مؤذنة بانتهاء الساعة ···

على ان هناك ملاحظة اخرى جديرة بالعناية ، تلك ان عدد الطسوت كما نلاحظ، وعدد المسانـد التي تصدر عنها الصنجة ثلاثة عشر، وليست أثني عشر وهذا من جهة يساعد على معرفة عدد الطاسات في مكانة تلمسان ، وقد ظل مسكوتا عنه في النص ، ومن جهة اخرى فانه يشع علامة تساؤل · لماذا ثلاثة عشر وليس اثنى عشر على عدد الابواب فوق · اعتقد ان الطست الزائد كان بمثابة نجدة في انتظار تهييء المكانة للدورة الجديدة ·

واذا كانت ساعة المدرسة العنانية قد جزئت فقط على ساعات الليل على أن يتجدد سيرها لاستقبال النهار على ما هو الحال في ساعة تلمسان ولو أن النص في هذه لم يتعرض للنهار·· فقد انشئت بمدينة فاس بعيد هذا التاريخ وبالضبط سنة ٧٦٣ ـ ١٣٦٢ ساعة مائية تحتوي ليس فقط على اثنتى عشرة ساعة ، ولكن على أربع وعشرين ساعة ·

ويتعلق الامر بالساعة التي صنعها أبو زيد عبد الرحمن الجاي بأمر من السلطان ابي سالم ··· والتي توجد معالمها الى الان بغرفة الموقتين في صومعة جامع القرويين ···

فقد ادرك العلماء حاجة الجامع الاعظم القرويين لساعة مائية تتوفر على اربع وعشرين ساعة كاملة تشتغل بالليل والنهار حتى تضمن ضبط الاوقات عندما تتعذر الاستفادة من الساعات الشمسية والساعات الرملية التي تزخر بها جنبات الجامعة ، وهكذا نقف عندما ندخل الى غرفة الموقتين بالجامع وعلى اليمين بالذات بقايا هذا الاثر العلمي الرائع الذي كنت قدمت عنه بحثا منذ سبع عشرة سنة ، فاستدعى ذلك مقدم الدكتور برايس المستشار في تاريخ التنجيم من جامعة (ييل) الامريكية الذي قام بدراسة ميدانية لهذه الساعة التي



تعتبر اقدم ساعة مائيــــة متبقية فى العالم !

وان العزم وطيد على بعث الحياة فى هذا التراث الاسلامى بفضـــل الخبرة التى نعتمد عليهـــــا من المتخصصين المقرسين ·

ولنترك بعد هذا جانب التنافس فى المجـــال الثقافى الى الميدان الاجتماعى : لقد كان الامـام العزفى والى سبتة ـ اعادها الله لاهلها ـ يسمع اوائل القرن الســادس عن احتفالات مملكة قشتالة ـ وهى قريبة منه ـ بعيد ميلاد السيد المسيح ،فرأى ـ اجتهادا منـــه وتعبيرا عن تشبث

المسلمين ايضا بدينهم واعتزازهم بنبيهم ـ ان يسن عادة الاحتفال بعيد المولد التى لم تكن معروفة فى المغرب على عهد المرابطين والموحدين ··· ولا شك ان اصداء الاحتفالات بالمولد قـــد وصلتهم من اربيل التى كان ملكهـــا مظفر الدين يقيمها على ذلك العهد ·

لقد استحسن السلطان ابو يعقوب يوسف هذه المبادرة ورأى فيها بدوره مناسبة للتذكير المسلمين بسيرة هـذا النبى العظيم ولذلك نراه يصدر أمره باتخاذ اليوم الثانى عشر من ربيـــع الاول عيدا اسلاميا فى جميع اطراف المملكة ·

ومن هنا أمسى عيد المولد وكأنه نفس الاعياد الشرعية الاخرى بل انه اصبح بمرور الزمن فرصة للقاءات وندوات واحتفـــــالات كبرى يدعى اليها علمـــــاء من الحرمين الشريفين وبيت المقدس ، طهــــره الله من الرجس ، وباقى البلاد الشرقية حيث كانت تتبارى قرائح الشعراء والكتاب فى اضفاء اجمل الصور محـــاولة ان تقرب الى الاذهان عبقرية الرسول عليه الصلاة والسلام الذى اســــتطاع اصحابه وانصاره أن يعززوا بمبادئـه ورسالته تخوم اســــيا وافريقيا ويتوغلوا فى جنبات اوربا ···

بالرغم من أن بنى مرين لم يجرؤ اخوانهم بنو زيان ، على ادعاء انهم من سلالة النبى صلى الله عليـــه وسلم ، فانهم برزوا فى التعبير عمـــا يكنونه لاهل البيت من تكريم وتقدير وتشريف ·

واذا كانت مجالس الاحتفاء بهـــذه المناسبة قد اكتست فى مملكة فـــاس حلة الابداع وجمال الايقاع فانهــــا فى مملكة تلمسان بلغت الاوج ونالت رضا الفرج ، فما شئت من نمــــارق مصفوفة وزرابى مبثــوثة ، وشماع كانها الاسطوانات القــائمة على مراكز الصفر المموهة ، والخليفــة أيده الله صدر مجلسها ممتطيا سرير مملكته ، يسر الناظرين رواؤه ، ويثلج الصدور عزه ، وتحار فى كمالاته خلاله النهى حفافيه ملأ التجلة من قومه، واعيان الطبقات من اهل حضرة خلافته ، على مقاعد عينتهـــا الاختصاص ، ورتب

حكايات خالدة من : فاس وتلمسان

بعضها فوق بعض للناصب ، تخالهم قطع الرياض المنضرات فاغضى الجلال من ابصارهم وخفضت المهابة من اصواتهم ، فلا تبصر الا جمالا ولا تسمع الا همسا ، يطوف عليهم ولدان اشعروا اقبية الخز الملون وبأيديهم مباخر ومرشات ، يقيم دخان عبيرها المفعم للاكتاف الجو فتمطر هذه الحفل وابلا من ماء الورد المنسوب الى نصيبين (١) والسمع قائم مسعر عترته على بعد من الخليفه من الخليفة مقتر، يردد نغمات الالحان ويرتب رنات الايقاع وينشد خلال ذلك امداح سيد الرسل وخاتم النبيين ..

بهذا الوصف الجميل يرسم يحيى ابن خلدون لوحة فريدة لليلة من الليالى الساهرة التى كانت تنتهى بموائد كالهالات من خرس شهور ، وانواع من المطاعم تعقبها الفواكه والحلوى فيطعم الناس بين يدى الخليفة ويصلى معهم الصبح ويفترق الحفل على موعد العام القادم ...

وبعد ضرب هذا المثل من الامثال العديدة التى كانت تلاقى فيها تلمسان وفاس نحاول ان نتعرف على لون اخر من الوان التنافس ، ونقصد الى التنافس فى المجال العلمى ، اعنى مجال الاجتهاد والتعقب فيما يتعلق بالنوازل الفقهية التى تكون عادة وليدة للحياة اليومية التى يعيشها الجمهور .

وهكذا بالاضافة الى الامثال العامية السائرة التى تترجم عن تلك الاجواء نلاحظ تقصى كل من تلمسان وفاس بعضهما البعض فان اقطاب العلم فى هذه المملكة يرون انهم اجدر باخذ رايهم ورجالات المعرفة فى المملكة الاخرى يرون انهم المرجع الذى لا ينبغى ان تتجاهل اصالته ...

وقد زخرت كتب الفتوى بقضايا طريفة فتحت العيون على مسالك ومدارك ما كان لها ان تظهر لولا ذاك الحوار الهادف ، لعلنا لا نزال نذكر المراجعات التى كانت بين علماء فاس وعلماء تلمسان حول نزاع الامام الونشريسى والقاضى الورياكلى الذى طالب بالحصول على مرتبه كله من (مدرسة الرخام) المقابلة لباب الخصة من جامعة القرويين مع انه ، اى الورياكلى ، لم يدرس الا زهاء ثلاثة اشهر ... وانتصر اهل تلمسان للامام وانتصر اهل فاس للقاضى ...

لكن الحادثة التى اسالت مداد رجال الافتاء واثارت حماس رجال القضاء هى تلك التى استدعت رحيل نابغة من نبغاء تلمسان الى فاس ونعنى به ابا عبد الله بن الفتوح التلمسانى الذى انخرط فى سلك حلبة

---

(١) وصف ياقوت فى معجم البلدان مدينة نصيبين التى تحتوى على اربعين الف حديقة ، والتى توجد فى طريق الموصل لمن يقصدها من سوريا ، وهى اليوم فى عداد تركيا .

المدرسة العنانية ، ثم لم يلبث ان أمسى من اقطاب العلم حيث رشح لرياسة تدريس الفقه بمدرسة العطارين فى فاس ...

قرر أحد الاثرياء من تلمسان ان يتزوج ، ولكنه - وهو أدرى بحاله - اشترط ان تكون خطيبته ثيبا وليست بكرا على نحو ما يتشوق اليه عامة الناس ، وتمنى كثير أن يصاهروه لكنهم كانوا لا يتوفرون على « السلوكات » ، وحدث أن دلست عليه عائلة فزوجته ابنة لها على انها ثيب ، ولما دخل بها اكتشف انها بكر فقام يطالب برد المبالغ المصروفة لان شرطه لم يحترم ، ولما رفع الامر الى مفتى تلمسان استغرب المفتى الشكوى واجاب ساخرا : قم ! قم ! انت كمن تلف له قب فوجد حماما بكامله ... اشكر الله وانصرف .

ولما لم يقتنع السائل رحل يرند شكراه لاصدقائه اشاروا اليه بان يقصد مفتى فاس ... لقد كانت هذه المدينة فعلا ، وبالرغم من كل المنافسات محل احترام و تقدير ، الم تسمع عن بعض مكاييل تلمسان التى تصحح قيمتها مقابلة ووزنا بمد فاس الذى اتصل تعديله بمد سيدنا زيد بن ثابت رضى الله عنه !

لقد رحل الرجل الى فاس واتصل بالمفتى وكشف له عن الحال ، وصوب فيه المفتى النظر وصعده فادرك من قرائن الظاهرة ان القب بالنسبة الى هذا السائل كان ارحم له من الحمام ! فحكم له بحق طلب التعويض ... وقد وقف العلماء جميعهم فى صف فتوى فاس منتقدين فتوى تلمسان باعتبارها لم تراع حالة السائل الكهل ... !

وقد كان مدركهم فى ذلك انه حتى ولو صرف النظرعن شرط الرجل - والمسلمون عند شروطهم فان مجرد رؤية الشخص الخاطب قد يكون لها دخل فى الموضوع ، وقد ضربوا لذلك مثلا حالة العجوز الذى اشترى - فى عهد الخليفة عمر - جوزا فلم يستطع كسره ورده للبائع ، فلما امتنع البائع ارغم على ذلك من طرف سيدنا عمر استنادا الى انه كان من واجبه ان يلاحظ حالة المشترى وقدرته ، كما ضربوا المثل بحالة مشترى الثور فى اول الدراس ولم يشترط انه دراس فوجده على خلاف ذلك ...

تلك كانت قصة الشيخ التلمساني بما يحف بها من طرافة ومتعة وهى تذكر فى الكارثة التى حلت بالمسلم ابى الحكم مالك بن المرحل الذى اشترط على العكس من شيخ تلمسان ان تكون خطيبته بكرا فوجدها على نحو ما وصفه فى عينيته ، فقد رسم ابن المرحل مرسومه صورة كاركاتورية فى عينية بديعة اقتطف منها هذه الابيات .

فخطبن لى فى بيت حصن ، قلن لى
وكذبن، بل هو بيت قبح شائع
بكرا زعمن ، صغيرة فى سنها
حسناء تسفر عن جمال بارع
فوجدتها شوهاء تحسب انها
مقروعة فى راسها بمقارع
حولاء تنظر راسها فى ساقها
فتخالها مبهوتة فى الشارع
عرجاء ان قامت تعالج مشيها
ابصرت مشية ظالع او خامع

الى ان يقول :

حتى اذا لاح الصباح وفتحوا
باب المدينة كنت اول كاسع
والله ما لى بعد ذلك بامرها
علم ولا بامور بيتى الضائع !

الثقافة والحضارة والمعلبات

د. عثمان أمين

لايخطر ببالي ان التحدث هنا عن الثقافة والحضارة بمفهومها الحديث ، فهذا امر لاقبل لي به ، ولا حاجة بنا اليه . وانما مقصودي ان ارسم خطوطا سريعة توضح نظرتي اليهما وموقفي منهما من خلال لغتنا العربية ، وهي كما تعلمون لغة جوانية على الاصالة ، تجعل الصدارة للمعنى والقيمة والفكرة ...

حفزني الى هذه الخواطر اننا نشهد هذه الايام من اثار الغرب فيما يسمونه « حضارة » و « ثقافة » ، ما يدعونا الى وقفة تأمل وتفكير . اغراق في الاقتصاديات ، واستعباد للماكينات وسباق الى الالكترونيات ، وازورار عن القلب والجوهر والروح في الانسان ... ونشهد موكبا حاشدا من الصور تلاحقنا بها السينما والصحف والاذاعة والتليفزيون — تجعلنا نجري ونلهث الى غير غاية ونعيش على هامش انفسنا ، وكأنما اضحى مثلنا الاعلى ان نقيم في معسكرات او مخيمات وكأننا خطوط هندسية او ارقام حساب .

وباسم الثقافة والحضارة اهدروا الناطقية فينا ، وباسم العقل ، بعد أن ابتذلوه ، تنكروا بما هو روحي وابدي ، وسخروا من الاديان بعد أن سخروها لحكم الجماهير .

قالوا لنا ان تقدم العلم سيمهد السبيل الى الوئام بين جميع الشعوب . ولكن المبدأ الاعلى للعلم ، وهو السماحة والنزاهة ، قد آلت



رومان رولان

منهم ولم يفهموا دروسه ، حتى قال أحد علمائهم : « متى خرجنا من مجال تخصصنا عدنا كما كنا بدائيين » . . .

ان الثقافة والحضارة لا يرتجلان ولا يستعاران ولا يستوردان ولا يقومان باللوائح او المراسيم .. والشعوب لاتثقف ولا تتحضر الا فى اناة وتريث وعكوف . ولن تبلغ من ذلك ما تريد الا بالتعهد والرعاية . وكلها تتنافى مع العجلة والتهور والاندفاع .

وليست الثقافة ولا الحضارة محفوظات او مجهزات او « معلبات » بل هى كما قال هريو : « ما يتبقى فى نفوسنا بعد ان نكون قد نسينا كل ما حفظنا » .

وليس شان الثقافة والحضارة كشان ما يسمى باللغة العصرية باسم « القهوة الفورية » inst ant coffee أو Nescafé وشتان عندنا بين هذه القهوة « الجاهزة » وبين القهوة المجهزة ، أعنى تلك التى لا تصير قهوة الا بعد اعداد خاص وعلى مراحل ، وتلك فى نظرنا هى نفحة الحضارة الحقيقية فى عمل القهوة : لانها تتطلب تريثا وعناية ، وتجعل للذهن مجالا للتأمل والروية ..

وما قلته عن القهوة الفورية نستطيع ان نقوله عن بعض الافكار الجاهزة والايديولوجيات المستوردة والعقائد المجهزة حتى قبل ان تجهز . كما يقول برجسون . ويحضرنى فى هذا المقام حكاية واقعية تعبر فى نظرى عما اريد أن أؤكده من جوانية الثقافة والحضارة ، وانهما لا تقومان الا بالمرانة والاصالة .

فى سنة ١٩١٠ مثلت مسرحية « أوديب ملكا » على مسرح « اورانج القديم » فى فرنسا وكان الثرى الامريكى « كارنيجى » من شهود المسرحية ، فاعجب بها أيما اعجاب. وما كاد ينتهى التمثيل حتى نهض من مكانه واسرع الى مدير المسرح يهنئه ، ووجه اليه السؤال التالى :

« كم من الدولارات تلزم لاخراج هذه المسرحية فى امريكا على هذا النحو من الابداع ؟ فأجابه الفنان الفرنسى : « مع الاسف يا مسيو كارنيجى ... ليست الدولارات هى

الثقافة والحضارة والمعلبات

الشيء المطلوب هنا ، بل يلزم لذلك الفان من السنين » !

واكبر الظن ان المثير الفرنسي اراد ان يقول ما قاله من قبل الشاعر العربي القديم :

حسن الحضارة مجلوب بتطرية
وفي البداوة حسن غير مجلوب

واود ان انوه هنا ان وزارة الثقافة المصرية قد احسنت حين راعت هذا المعنى عند انشائها « المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب » ، فدلت بهذا على انها قد انتبهت الى ان لجان هـــذا المجلس لا تنشيء ثقافة ، وانما ترعى الثقافة القائمة، وان هذه الرعاية امر يحتاج الى الجهد والوقت والمال ..

والواقع اننا لا نستطيع ان نبحث عن ثقافة او حضارة بمعزل عن وعي الانسان وموقفه منهما . ان الناطقية الانسانية هي مركز الكون كله والعالم الخارجي او « عالم الاعيان » ، كما يقول المتكلمون الاسلاميون لا يكون كذلك الا بالقياس الى « عالم الاذهان » . وكل امر « واقع » فهو ملون دائما بموقف الذات من الموضوع . ان الذات « تقد العالم على قدها » كما يقول « كانط » ، والانسان ليس مجرد نتيجة للتاريخ ، بل هو القوة المحركة للتاريخ . والدين دعامة اساسية للحضارة ، لانه منبع للقيم الروحية ، ولانه هو « البعد الجواني للانسان من حيث هو انسان » . فما من حضارة تصلح لان يطلق عليها هذا الاسم اذا جعلت ديدنها ان تتنكر للدين والقيم الروح . وهناك مجتمعات متقدمة ربما نجحت في حل مشكلات الانتاج ولكنها لم تستطع حتى اليوم ان تحل مشكلة الانسان . والانسان لا يقنع بالمادة بل يريد الروح ، ولا يكتفي بالحياة في الحاضر بل يتطلع الى حياة المستقبل .

ان الحضارة تقوم في النهاية على الايمان كما يقول « مادارياجا » ، والايمان رابطة اخلاقية تجعل الناس يرتفعون فوق مصالحهم الشخصية المباشرة . وان المدافع والذخائر والمؤن مادة لاحياة فيها بغير الايمان .. وفي معركة « فالمي » تغلب الايمان بلا مدافع على المدافع بلا ايمان » !

والحرية والعدل روح المجتمع المتحضر . ولا يمكن ان يقوم مجتمع بلا حرية ولا عدالة ، وليس هناك سوى اختيار واحد ، اما الحرية واما الطغيان . فاذا انتفت الحرية قصم طغيانك كما تشاء ، فاشية او نازية

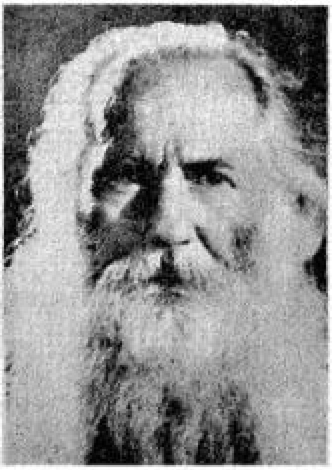
أو دكتاتورية أو «النازية» أواستبداد الصعاليك .

المجتمع المتحضر هو المجتمع الاخلاقي أو « المدينة الفاضلة » بتعبير الفارابي ، وهي تلك التي يجعل أهلها أمورا سياسية خاضعة للقانون/الاخلاق ويدابون على الانصات الى صوت الضمير . ولا ريب أن العلوم الاخلاقية والنفسية والاجتماعية هي اليوم الزم من علوم المادة التي هي أدنى الى ان تكون خطرا يتهدد الناس في مجتمع لايزال أهله على جهل بأنفسهم . ومن البين كما يقول مالك بن نبي ، ان تربية انسان متحضر واعداده أصعب من صنع محرك ، أو تعويد قرد على ان يلبس رباط رقبة .

ان الروح هي التي تتيح للانسانية ان تنهض وتتقدم . وحيث تغيب الروح يكون السقوط والاضمحلال ، لان ما يفقد القدرة على الصعود لا يملك الا أن يهوى منجذبا بثقل لا سبيل الى مقاومته . والدين هو « منبع » القيم الاجتماعية . ولكنه يقوم بهذا الدور في حال نشاته وانتشاره وحركيته ، وحين يعبر عن فكر الجماعة . أما حين يصبح الايمان مطويا بغير اشعاع أعني حين يصير ايمانا فرديا . فان رسالته التاريخية تنتهي على الارض، اذ يكون عاجزا عن تحريك دفة الحضارة . ويصبح ايمان متعبدين ، يعتزلون انفسهم عن الحياة ويهربون من واجباتهم ومسئولياتهم _ « مالك ابن نبي » : وجهة العالم الانساني ، ترجمة عبد الصبور شاهين ، سنة ١٩٥٩ .

في ١٨ من يونيو سنة ١٩١٦ القى (رابندرانات تاغور) محاضرة في جامعة طوكيو خاطب فيها الشبيبة بقوله : « انكم لا تستطيعون ان تتقبلوا الحضارة الحديثة كما هي . ان واجبكم ان تدخلوا عليها التغيير الذى تتطلبه عبقريتنا الشرقية . وواجبكم ان تبثوا الحياة حيث لا يوجد الا الماكينة ، وأن تستعيضوا بالقلب الانساني عن حسابات المصلحة الباردة ، وأن تتوجوا الحق والجمال حيث لا سلطان الا للقوة الغاشمة والنجاح اليسير . ان حضارة أوربا نهمة ومسيطرة ، تلتهم البلاد التي تغزوها ، انها تبيد الافراد والهيئات والشعوب التي تعوق مسيرتها الفاتحة .

رابندرانات طاغور



انها حضـــارة كلها سياسية ، تستسيغ لحوم الآدميين ، انها تقهر الضعفاء وتثرى على حسابهم ، انها آلة للطحن · انها تبذر ، اينمـا ذهبت ، الحسد والغيرة والشقاق ·· انها تصـنع الفراغ حولها · انها حضارة علمية لا انسانية ، ومصدر قوتها انها تركز جميع قواها صوب غاية واحدة، الثروة والسلطة وتحت اسم الوطنية لا تراعى كلمة الشرف · انها تمد بلا خجل شباكها ، وتسيجها الكذب، وتقيم للمعبود الهائل البشع الذى تعبده المعابد المشيدة للكســب والمنفعة ···

ونحن نتنبأ دون تردد بأن ذلك لن يدوم ، لأن فى العالم قانونا اخلاقيا مهيمنا ينطبق على الجماعات كمـا ينطبق على الافراد ، فان هدم كل مثل أعلى فى الاخلاق ينتهى بأن يؤثر فى كل عضو من اعضاء الجماعة ، ويولد عدم الثقة والاستهتار · ويحطم فى الانسان كل ما هو مقدس ، ان حضارة تجعل دأبها ان تتمرد على القوانين التى سنها العلى القدير لا تستطيع ان تنتهى الا الى « كارثة » ·

ورومان رولان الذى سجل بعض فقرات هذه المحاضرة فى « يومياته » أعلن ان هذه المحـاضرة التى تبين منعطفا فى تاريخ العالم لم يكن لهـا صدى فى كبرى الصحف الاوربية ولم تنشر الا فى المجلة المسماة (اوت لوك) The outlook الصادرة بنيويورك فى ٩ من أغسطس ١٩١٦

الثقافة عندنا ليســت معلومات محفوظة ولا تطبيقات منقولة بل هى فى مفهومها الصحيح شىء يجــاوز المهارة أو البراعة فى أى ناحية من نواحى العلوم النظرية أو العملية ·

الثقافة مرادفة فى نظرنا لحضور القلب ويقظة الروح ، وهما لا يكونان الا مع الضمير الحى والعقل الناضج والقلب السليم · ومتى اســتيقظ الوعى والضمير فى الانسان اصبح النظر والعمل عنده متلازمين لا يفترقان وأصبحت حياته مصداقا لافكاره : فبعد عن الآلية والانانية ، وقصد الى الغايات بأفضل الوسائل ، واتجه الى الجوهر والخير ، دون وقوف عنـد الظاهر والاعراض ··

والاساس المتين الذى تقوم عليـه الثقافة الواعية ، ثقافة القلب والعقل والحس ، هو الاعتقاد بالقيم الروحية والمبادىء الاخلاقية ، فلسنا نتصـور أن مثقفا واعيا لا تصــدر افكاره واعماله عن يقين راسخ بأن الثقافة – كالحضارة – تقوم على الايمان ، أى على الرابطة الاخلاقية التى تدفع الناس الى أن يفكـروا ويعملـوا متساندين ، مرتفعين على بواعـث الانانيـــة والاثرة متخطين نوازع المصلحة المادية المباشرة ·



الفارابي

والانسان المثقف منوط برسالة أخلاقية اجتماعية عليه أن يؤديها ، فهو بحكم وعيه المستنير تكون رسالته السعي الدائب الى تقدم المجتمع واسعاده ، فهو يجعل جهده أن يذكي في نفوس الناس الشعور بالمثل الاعلى وهو ذلك الشعور الذي استضاء بنور العقل ، فاصبح حرية نابعة عن الذات ووعي للحقوق والواجبات: ينبه وعيهم للحقوق حتى لا يستغلهم المستغلون وحتى يتعاونوا فيما بينهم ، وحتى يبذلوا جهودهم من اجل المجتمع .

والمجتمع لا يتطلب من المثقف لكي يؤدي هذه الرسالة ، أن يكون عارفا فحسب ، بل أن يكون على الخصوص « فاضلا » . ولا يتطلب منه أن يكون قد وصل الى أعلى درجة من الثقافة فحسب ، بل الى أعلى درجة من الاخلاق في عصره . وما من واحد من أهل الثقافة يستطيع أن يزهو بنجاح دعوته لاصلاح امته ما لم يكن قد بدأ بإصلاح نفسه ...

ان الثقافة الحقيقية هي تلك التي يتألق فيها نور العقل والايمان .

اما المدنية فقد سجلت موقفي منها منذ أكثر من أربعين سنة في مذكرة جيب قلت ما نصه : ان أعظم ما يميز « المدنية » عندي خلق التسامح والبعد عن التحيز وتجنب الميل مع الهوى . وما دامت المدنية الحاضرة لا تزال مشوبة بنزعات العصبية ونزوات الكراهية ، وعلى الخصوص في الامور السياسية ، فهي بعيدة في جوهرها عن المدنية الحقيقية « الجوانية ص ٣٦ » .

في سنة ١٩٢٧ استوقفتني مشكلة العلم والاخلاق ، ومضيت أقرأ وأتأمل وكانت نتيجة هذه الدراسة التأملية مقالا نشرته بعنوان : « هل العلم صديق للانسان ؟» فاتحفيه انني لا أرى حدا لما يأتي به الانسان من مغامرات رهيبة في آفاق العلم ، وان العقل لا تساوره الحيرة بإزاء ما ستكون عليه الحياة أمام أطفالنا » .

وتحصر أسباب تخوفنا من العلم مع أنه فيما يقال رهن اشارة الانسان وطوع أمره : « وانه ليهولنا أمر القوى التي استطاع العلم ابتداعها حتى اليوم ، وقد يساورنا القلق لفكرة القوى التي قد يوفق الى ابتداعها في الغد . فقد يأتي يوم نرى فيه الوجود الانساني نفسه تحت رحمة عالم من العلماء ، ونرى أن لمسة زر صغير قد تفجر قوى عنيفة تقضي على

الثقافة والحضارة والمعلبات

جماعات وشعوب بأسرها ٠٠ »

أكانت هذه نبوءة منى بالاخطار التى سيتعرض لها العالم بعد ذلك بعشرين سنة بفضل الاسلحة الذرية ؟

مهما يكن الامر فقد مضيت فى مقالى فعبرت عن املى فى ان يكون العلم فى المستقبل قوة رحيمة كلها خير وبركة تخفف اعباء سكان الارض جميعا • وانكرت مع ذلك ان الشك يخامرنى فى استطاعة العلم ان يجعلنا اوفر سعادة وهناء ، وان كنت على يقين بانه لا يجعلنا اكثرحكمة ورشادا ، واشرت فى وضوح الى ان صداقةالعلملانسان أو عداوته له انما هى مسالة انسانية فى صميمها ، ترجع الى قوة النفوس ومتانتها •

« والامر كله يتوقف علينا ، وعلى مدى شعورنا بوجوب الاصلاح عن الخطة السقيمة التى سارت عليها قافلتنا فى ماضيها • ولو سار اهل العلم على اساس الحكمة والروية لزال خوفنا منه ، ولاصبحنا نرى فى ذلك المحسن المفضل الذى يدر الخير على الجنس البشرى جميعا ، ومن ثم نستطيع أن نستخدم المال الذى اعتدنا انفاقه على السلاح والذخائر فى وجوه الاصلاح وفى تحسين مرافق الحياة تحسينا من شانه ان يحل مشاكل الانتاج والطعام والزراعة والصناعة وما اليها ، وان يهيىء لنا حياة ارغد وأهنأ واوفر سلامة واطمئنانا، وعالما ارحب مكانا لاقامتنا القصيرة مما كان عليه فى تاريخه المضطرب العصيب »

ووجهت التحذير الذى كثيرا ما وجهه المفكرون المعاصرون بعد اطلاق القنبلة الذرية فى الحرب العالمية الثانية فقلت : « لقد آن لنا أن نتعلم كيف نعيش معا فى وفاق وامن وسلام وان نعمل على تنظيم انفسنا وضم صفوفنا فى مواجهة الفتنة النائمة التى لو قدر لها ان تستيقظ لقضت على الغالب والمغلوب على السواء »

وكتاب الاستاذ البير باييه بعنوان « اخلاق العلم » يؤكد موقفى الجوانى من العلم والاخلاق والمدنية ، فالفصول الاولى منه تؤكد هذه الفكرة : وهى ان العلم لا يستطيع ان يرشدنا الى القيم الاخلاقية ، ولا الى ما ينبغى ان يكون ، ولهذا يجب « الا نطلب الى العلم مالا يسوغ له ان يعطينا » (دفاع عن العلم ص ٥٣) •

اننى بعد ان طوفت فى الافاق شرقا وغربا ، التماسا لمعنى الثقافة والحضارة – لا اجد معبرا عن موقفى منهما خيرا من بيت عربى للشاعر الصوفى فريد الدين العطار يقول فيه:

فان تقرا علوم الناس الفا
بلا عشق فما حصلت حرفا

ذكرى الإسراء

د. عبده بدوى

أيها النور الذى ما زال خفاق السنا
والذى أيقظ طيرا ، والذى زف منى
والذى من كل سر قد تدلى ، ودنا
لم تزل تسمو وتسمو فوق هاتيك الدنا
فاذا الكون صلاة ، ونقاء ، وجنى !

***

ليلة الاسراء طوفى بأباريق الضياء
صبى فى نفوس الناس أفراح السماء
لم يزل فينا حنين للاناشيد الوضاء
ولصوت من رسول الله ريان الصفاء

***

ليلة المعراج كونى صيحة للمسلمين
فلقد نمنا طويلا تحت أقدام السنين
ثم قمنا فوجدنا ظلمة فوق الجبين
فامسحى الظلمة عنا وابعثى النور الدفين

***

أيها النور الذى قد كان للارض هدية
لم تزل فينا من القرآن آيات ندية
لم تزل فينا النجاوى ، والأحاديث الشجية
فاملأ العقل بنور ، واملأ الروح حسية
فغدا يشرق فجر ، وتغنى البشرية !



أحاديث إسلامية

وليد الأعظمي
العراق

هذه نماذج تثير في نفوس سامعيها نشوة النصر وعز الظفر، كما تقدم لنا خلاصة التجارب والعبر، فتنير لنا السبيل الى الحياة المستقرة المطمئنة الكريمة .. وكذلك نعرض من الشعر العربي جانباً آخر قاتماً جافياً، مثبطاً للهمم، يثير الهواجس، ويغلف القلوب برين الانانية والانعزال واللامبالاة .

نماذج خيرة ونماذج شريرة من .. الشعر

نبدأ اولا بالشعر الايجابي البناء قال عبد الله بن معاوية بن جعفر :

انا وان احسابنا كرمت
لسنا على الاحساب نتكل
نبني كما كانت اوائلنا
تبني ونفعل كالذي فعلوا

يحملنا هذا الشاعر الى العمل ويدفعنا الى البناء، والا نكتفي بالافتخار بماضينا وكرم احسابنا . بل يريد منا أن نضيف امجاداً الى امجاد اوائلنا .

ومثله قول الشاعر :

اذا اعجبتك خلال امرىء
فكنه تكن مثل من يعجبك
فليس على المجد والمكرمات
اذا جئتها حاجب يحجبك

وكذلك قول الطغرائي :

ابى الله ان اسمو بغير فضائلي
اذا ما سما بالمال كل مسود

وان كرمت قبلي اوائل اسرتي
فاني بحمد الله مبدأ سؤددي ..

ويستمع الناشيء الى اخوانه التلاميذ ينشدون قول المرحوم الرافعي :

بلادي هواها في لساني وفي دمي
يمجدها قلبي ويدعو لها فمي

فيحب بلاده، وينمو هذا الحب في قلبه، ويشب على الاخلاص للوطن، والتضحية والفداء للدفاع عنه .

ويقرأ قول ابن الرومي :

ولي وطن اليت ان لا ابيعه
وان لا ارى غيري له الدهر مالكا

فيتأكد الاخلاص لوطنه في قلبه ،

وتتوهج شعلة الوطنية بين حنايـــاه ويرن في اذنيه قول الامام عبد اللـــه ابن المبارك وكان يقاتل الروم فى ثغور الشام . وقد بعث برسالة الى صديق له كان معتكفا فى المســجد الحرام . قال ابن المبارك :

يا عابد الحرمين لو ابصرتنـــا
لعلمت انك بالعبـــادة تلعب
من كان يخضب جيده بدموعــه
فنحورنا بدمائنــا تتخضــب
ريح العبير لكم ونحن عبيرنـــا
رهج الســنابك والغبار الاطيب

أن قول ابن المبارك وفتواه هذه تبين لنا ان الجهاد والدفاع عن الوطن، لا يعـــدله شىء ، حتى الاعتكاف فى المسجد الحرام. بل انه أعتبر الاعتكاف فى مثل هذه الحالة لعبا .

ويستمع الى قول الشـــاعر خير الدين الزركلى فى نكبة دمشق ســنة ١٩٢٤ م :

ما كان من الم بجلـــق نازل
وارى الزنـــاد لزنده بى وارى

احمد شوقى



أن الـــدم المهراق فى جنباتهـــا
لدمى وان شــفارها لشفارى
دمعى لما منيت به جارهنــــا
ودمى هناك على ثراهـــا جارى

فيحس بالوحدة الشاملة لاقطـــار امته فى المشرق والمغرب، ولا يقف شعوره عند الحدود المصطنعة لكل قطر .

ويقرأ قول ابى العلاء المعرى :

ولو انى حبيت الخلـــد فردا
لما احببت بالخلـــد انفـــرادا
فلا هطلت على ولا بـــارضى
ســحائب ليس تنتظم البــلادا

فيبتعد عن الانـــانية ، ويحب ان يعم الخير اخوانه كافة ، فلا ينفرد وحده بأثرة عنهم وينشد قول صفى الدين الحلى :

سل الرماح العوالى عن معالينا
واستشهد البيض هل خاب الرجا فينا
لقد سعينا فلم تضــعف عزائمنا
عما نروم ولا خابت مساعينـــا
انا لقوم ابت اخلاقنـــا شرفا
ان نبتدى بالاذى من ليس يؤذينا
بيض صنائعنا سود وقائعنـــا
خضر مرابعنا حمر مواضينـــا
لا يظهر العجز منا دون نيل منى
ولو رأينا المنايا فى امانينـــا

فيرفع رأســه مفتخرا معتزا باخلاقه الفاضلة وشرفه السامى ، وأنه غير معتــد ، يبتـــدىء بالاذى من ليس يؤذيه .

ومثله قول الربيع بن ابى الحقيق

انا اذا مالت دواعى الهـــوى
وانصـــت السامع للقائـــل
واضطرب القوم باحســـابهم
نقضى بحق عادل فاصـــل
لا نجعـــل البـــاطل حقا ولا
نعرض دون الحق بالبـــاطل
نخـــاف ان تســـفه احلامنـــا
فنخمـــل الدهر مع الخامـــل

ويقرأ الناشىء قول صفى الدين الحلى:

بقدر لغـــات المرء يكثر نفعه
فتلك له عند الشدائد اعـــوان

نماذج خيرة ونماذج شريرة من الشعر

تهافت على حفظ اللغات مجاهدا
فكل لسان في الحقيقة انسان

فينشطه ذلك ويحبب اليه تعلم اللغات واتقانها بسهولة وشغف ، ولا يراها ثقيلة مفروضة عليه · ويهزنا جميعا قول القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني في الاباء وصيانة النفس والترفع عن مواطن الابتذال وبيع ماء الوجه :

يقولون لي فيك انقباض وانما
راوا رجلا عن موقف الذل احجما
ارى الناس من داناهم هان عندهم
ومن اكرمته عزة النفس اكرما
اذا قيل هذا مورد قلت قد ارى
ولكن نفس الحر تحتمل الظما
وما كل برق لاح لي يستفزني
ولا كل ما في الارض ارضاه منعما
ولم اقض حق العلم ان كنت كلما
بدا طمع صيرته لي سلما
ولم ابتذل في خدمة العلم مهجتي
لاخدم من لاقيت لا بل لاخدما
ولو ان اهل العلم صانوه صانهم
ولو عظموه في النفس لعظما

وهذا العالم الجليل الخليل بن احمد ، يطلبه والي الاهواز سليمان بن علي عم الخليفة لتأديب ولده · فيخرج الخليل الى رسول الوالي خبزا يابسا ويقول له : مادمت اجده فلا حاجة بي الى سليمان ··· ويقف الرسول حائرا متعجبا · ثم يقول للخليل : فما ابلغه عنك ؟ فقال الخليل :

ابلغ سليمان اني عنه في سعة
وفي غنى غير اني لست ذا مال
سخى بنفسي اني لا ارى احدا
يموت هزلا ولا يبقى على حال
والفقر في النفس لا في المال تعرفه
ومثل ذاك الغنى في النفس لا المال

فيشعر القارىء والسامع بالعزة والحرية وصيانة النفس · ومثله قول ابن مطروح :

واجل ذنبي عندها عدم الغنى
فكانه شيب الم بمفرقي
قالت سل الايام قلت انا امرؤ
تابى السؤال خلائقي وتخلقي
واذا سالت سالت ربا واحدا
قطعت يد مدت الى مسترزق
ان لم انل بالمغرب الاقصى المنى
حاولت ذاك ولو باقصى المشرق

ومن بابه قول الشاعرة عائشة التيمورية :

بيد العفاف اصون عز حجابي
وبعصمتي اسمو على اترابي
وبفكرة وقادة وقريحة
نقادة قد كملت ادابي
ما عاقني خجلي عن العليا ولا
سدل الخمار بلمتي ونقابي
عن طي مضمار الرهان اذا اشتكت
صعب السباق مطامع الركاب
بل صولتي في راحتي وتفرسي
في حسن ما اسعى لخير مآب

وهذا شوقي يدعو كلا منا بقوله :

قم للمعلم وفه التبجيلا
كاد المعلم ان يكون رسولا
ارايت اشرف او اجل من الذي
يبني وينشىء انفسا وعقولا

فيتمنى كل سامع ان يكون معلما، ثم يمضي شوقي ليلفت انظارنا الى وسائل التعليم وغاياته واصوله وفلسفته :

واذا اصيب الناس في اخلاقهم
روح العدالة في الشباب ضئيلا
واذا اصيب الناس في اخلاقهم
فاقم عليهم ماتما وعويلا

ومثله قول حافظ ابراهيم :

لا تحسبن العلم ينفع وحده
ما لم يتوج ربه بخلاق

وهذا العريان بن مهلة النبهاني الشاعر العربي ، كان اخوه قتل ابنه – ابن



حافظ ابراهيم

الشاعر – وجاءه اقرباؤه واصدقاؤه يعزونه ويسمع كلمة الثار تلوكها بعض الالسن .

فيقول العريان قولته الرائعة فى الاصطبار والتريث وعدم التسرع والنظر فى عواقب الامور :

اقول للنفس تأساء وتعزية
احدى يدى اصابتنى ولم ترد
كلاهما خلف من بعد صاحبه
هذا اخى حين ادعوه وذا ولدى

ومثله قول الآخر :

قومى هم قتلوا اميم اخى
فاذا رميت يصيبنى سهمى

***

وعلى الضد من هذه الامثلة الرائعة فى الشعر العربى ، نستعرض نماذج اخرى موحشة تشيع فيها الانانية ، وتتصاعد من تضاعيف الفاظها ادخنة تنقبض بها الصدور وتختنق الانفاس ، وتصور الحياة ارهاقا وتعبا ونفاقا وغشا وكذبا ، فتضمر براعم الامل فى النفوس ويستولى على الضمائر الشك والريبة وعدم الثقة وينتهى ذلك بالضياع والتسيب واللامبالاة .

ومن ذلك قول ابى العلاء المعرى :

وكلنا قوم سوء لا اخص به
بعض الانام ولكن اجمع الفرقا
لا ترجون اخا منهم ولا ولدا
وان رأيت حياء اسبغ العرقا

هذا الشاعر المعاصر الشيخ محمد لاسمر يقول :

هل من مجيب لامرىء سائل
فى كل يوم عن صديق صدوق
اقسمت بالله وآياته
ما فوقها من صاحب او صديق
لا تسرج ودا من خليل فما
يصفى لك الود اخوك الشقيق

اما استحى هذا الشاعر من اصدقائه واصحابه ، ان يكون تقديره لهم وانطباعه عنهم بهذه الصورة ، ثم يقسم بالله وآياته على هذا الانطباع وهو شيخ يعرف معنى القسم اكثر من غيره ؟..

ثم يأتى مرة اخرى ليؤكد لنا هذا الانطباع ثانية وانه امضى ثلث قرن يبحث عن صديق فلا يجده . ولا يكتفى بذلك بل يبين لنا ان الناس وحوش وذئاب وهو منهم ويحذر الناس من نفسه :

مضت ثلاثون عاما ما فتئت بها
منقبا عن اخى صدق فلا اجد
ولست اياه انا كلنا بشر
لا الفرع زاك ولا اعراقه مجد
ترمى الوحوش بما فينا ونقذفهم
عنا وافضل منا الذئب والاسد
فليحذر الناس منى اننى حذر
منهم وحسبى ان اعلنت ما جحدوا

ويعود ابو العلاء المعرى ليبين لنا ان العقل والدين لا يجتمعان :

اثنان اهل الارض ذو عقل بلا
دين وآخر دين لا عقل له

ويأتى الرصافى ليقول :

لا يخدعنك هتاف القوم بالوطن
فالقوم فى السر غير القوم فى العلن

نماذج خيرة ونماذج شريرة من

الشعر

احبولة الدين ركت من تقادمها
فاعتاض عنها الورى احبولة الوطن
فما لهم غير صيد المال من غرض
في اليوم والغد والماضي من الزمن

ماذا يقول الشاب الناشىء اذا سمع قول الرصافي هذا ؟ الا يسرى الشك الى القلوب الناشئة اذا علموا براى الرصافي هذا بعد تجاربه الطويلة وكفاحه ومواقفه .
وابشع من ذلك قوله ايضا :

اذا مات جيلى خط من جاء بعده
اكاذيب عنه بالثناء تزوق
وما كتب التاريخ في كل ماروت
لقرائها الا حديث ملفق

ماذا ابقى الرصافي لامته من امجاد حتى تفاخر بها ؟ اذا كان تاريخنا كله تزويقا وتلفيقا ؟

ولماذا الجامعات والمؤسسات والمجامع العلمية . وهل يريد الحاقدون والتربصون بنا من اعدائنا اكثر من هذا ؟ وهو شاهد منا علينا ؟

ويقول الشاعر العربي طرفة بن العبد :

اذا كنت في حاجة مرسلا
وانت بها كلف مغرم
فارسل حكيما ولا توصه
وذاك الحكيم هو الدرهم

ويأتي اخر لينزع عن المرء كل الفضائل مادام فقيرا بقوله :

فصاحة سحبان وخط ابن مقلة
وحكمة لقمان وزهد ابن ادهم
اذا اجتمعت في المرء والمرء مفلس
ونودى عليه لا يباع بدرهم !

وهذا موسى بن عبد الله ، ينشدنا ابياته وكأنها غازات سامة خانقة ، تنضح جزعا وتقطر يأسا :

تولت بهجة الدنيا
فكل جديدها خلق
وخان الناس كلهم
فما ادرى بمن اثق
رأيت معالم الخيرات
سدت دونها الطرق
فلا ادب ولا كرم
ولا فضل ولا خلق
فلست مصدق الاقوام
في شيء وان صدقوا

ونستمع الى ابي بكر الصنوبري لنعرف (همته) :

ما ساعة تمضى بلا وتر
بساعة تحسب من عمرى
قم باكر الفجر الى شربة
يغنى بها الشرب عن الفجر
لا تسقنا خمرا وهات اسقنا
ان كنت ساقينا اخا الخمر
ان لاصحابى ان يسكروا
فنادهم حى على السكر

وشاعر اخر من بهيمة الانعام يقول :

انما الدنيا طعام
وشراب ومنام
فاذا فاتك هذا
فعلى الدنيا السلام

وهذا مسكين الدارمي كان له صديق يبيع الخمر السود وهى كاسدة فطلب من مسكين ان ينظم ابياتا يرغب النساء في شرائها فيقول :

قل للمليحة في الخمار الاسود
ماذا فعلت بناسك متعبد
قد كان شمر للصلاة ثيابه
حتى خطرت له بباب المسجد
ردى عليه صلاته وصيامه
لا تقتليه بحق دين محمد

وتغنى بها المخنثون . واذا بالنساء يتهافتن على الخمر السود يشتريتها . والغواني يفرضن الثناء .

د. سيد كريم



لغز الحضارة

خطأ زمني في عمر الحضارة الفرعونية !

● هيرودوت ـ أبو التاريخ ـ كان أول من حاول كتابة تاريخ مصر الزمني في القرن الخامس قبل الميلاد ، ولكنه وكأجنبي ، لم يتمكن من الاطلاع على التاريخ الحقيقي لمصر الذي كان من الأسرار المقدسة التي يحتفظ بهـــا كهنة المعابد ، لذا فقد اعتمد فيما دونه من تاريخ مصر على الحوار والأســاطير الشعبية ، فجانبه الصــواب في الكثير مما سجله على أنه تاريخ مصر الحضاري والزمني ..

ثم جاء بعد هيرودوت عدد من مؤرخي اليونان والرومان في الفترة التي تلت عصر هيرودوت حتى أواخر القرن الأول الميلادي ، وقد اعتمد معظمهم في كتابة التاريخ على الوثائق التي كانت تحتفظ بها جامعة الاسكندرية وما جمعه البطالمة من تاريخ مصر الفرعونية عندما كلفوا الكاهن المصري مانيتون بوضـع قوائم الملوك منذ بدء التاريخ حتى نهاية الأسرات الفرعونية والتحديد الزمني لحكم كل منهم ..

ثم عاد الاهتمام بكتـابة تاريخ مصر الزمني في أواخر القرن الماضي وأوائل القرن العشرين بعد اكتشاف حجـر رشيد وفك رموز اللغة المصرية القديمة وكتابتها « الهيروغليفية » وما صـاحب تلك المرحلة من أعمال البحث والتنقيب وترجمة البرديات ، مما ألقى ضــوءا جديدا على الحضارة وتاريخها الزمني.. كان من أهم المشكلات التي تواجه المؤرخين توقيت تتابع الملوك والأسرات والتحديد الزمني لعصر كل ملك ، وقـــد انتهى اتفاق معظم المؤرخين وكتـــاب العصر الحديث على أن تاريخ مصر يبدأ عام ٣٢٠٠ ق . م

ثم جاء عصر التكنولوجيا ليقول بدوره كلمته على ضوء البحث العلمي بالكربون المشع والكمبيوتر ويحول أسرار الآثار ورموزها وألغازها الى أرقام ، حددت التاريخ الزمني لحضارة مصر



هيرودوت ـ المؤرخ الاغريقي
« ٤٨٤ ـ ٤٢٥ ق . م »

● الذين كتبوا التاريخ !

ظل تاريخ مصر الحضارى والزمنى سرا من الاسرار المقدسة التى يحتفظ بها الكهنة فى احرازهم وضمن متونهم حتى تقاوم الزمن فى مواجهة العناصر الهدامة من ثورات وانقلابات كانت تعمل كل موجة من موجاتها التى تجتاح البلاد على محو تراث الحضارة ونهب وثائقها وتشويه معالم تاريخها ...

بدأ اهتمام العالم الجديد ـ الذى كان يتمثل فى حضارات الاغريق والرومان ودول حوض البحر الابيض الناشئة والتى كان علماؤها ومفكروها وبناة حضاراتها ينظرون الى مصر كمحراب للحكمة ومنبع للمعرفة ـ بدأ اهتمامهم بمصر فى اواخر القرن السابع قبل الميلاد حيث توالت بعثاتهم الى ارض النيل موطن الاله هرمس حامل شعلة المعرفة لتلقى العلم فى جامعاتها ومعاهدها ومعابدها التى تملأ الوادى ، فكانت تلك الشعلة هى مهد الحضارات جميعها التى نقلت عن مصر بذور العلوم والفنون والآداب والعقائد والفلسفات جميعها التى بنت كيان المجتمع الانسانى على مر العصور .

هكذا بدأ اهتمامهم بدراسة تاريخ مصر ... حاولوا كتابة تاريخ مصر الحضارى والزمنى الذى مازال يتناقله المؤرخون والاثريون حتى اليوم ..

فمن هم الذين كتبوا تاريخ مصر الزمنى ؟

١ ـ سولون :
Solon
(٦٤٠ ـ ٥٥٨ ق . م .)

الحكيم والسياسى والشاعر الاغريقى ـ اكبر حكماء اثينا السبعة واول من كون لها مجلسها التشريعى وانتخب له اعضاءه الاربعمائة .

كان اول من كتب عن مصر وتاريخها بعد زيارته لها لدراسة التشريع فى معبد رايس ، وقد ساعده الملك امازيس بعد ان اقنعه باعتناق الديانة المصرية على دخول معاهد المعبد التى كانت محرمة على الاجانب .

وقضى فى مصر سنتين تركز اهتمامه فيهما على تاريخ الحكم ونظمه



مانيتـــون المؤرخ المصري
« ٣٢٥ – ٢٦٨ ق ٠ م »

فى مصر وعلاقة التشاريع بالعقـائد الدينيـــة ٠ فكتب تاريخ مصر على شكل مجموعة من الوثائق والمذكرات كانت الحافز والدافع لعلماء اليونان وحكمائها وكتـــابها لزيـارة مصر والاهتمام بالبحث فىتاريخ حضارتها الثقافية وتطورها ٠

٢ – هيكاتيوس :

Hecataeus of Melitus

(٥٨٠ – ٥١٩ ق ٠ م ٠)

المؤرخ الجغرافى والرحـالة ، زار مصربعد سولون وعاش فيها ٣سنوات متنقلا بين معابدها ومعالمها الجغرافية والعمرانية ٠٠٠ وكان أول من رسم خريطة جغرافية للعالم بين فيهـــا أرض مصر التىتمتد حدودها الجنوبية الى المحيط الجنوبى ودون تاريخ مصر فى الكتاب الثانى من موســـوعته المشهورة « رحلة حول العالم » التى قدم لها بقولـــه : « ان عظمة مصر تتمثل فى ماضـيها الذى يعيش فى حاضرهـــــا بعمقه وعراقته وجذور الحكمة والمعرفة التى تمتد الى عهد الخليقة »

٣ – هيرودوت :

Herodotus

(٤٨٤ – ٤٢٥ ق ٠ م ٠)

« أبو التاريخ » الكاتب والرحالة الاغريقى الذى وجه اهتمـــامه لكتابة التاريخ عندما قام بتسـجيل حروب الاغريق والفرس ، فقام بزيارة بـلاد اسيا الصغرى واشـــور ، ثم اكمل رحلاته الى فلسطين وغزه ، وانتهى به المطاف فى مصر حيث قضى بهــا سبع سنوات دون فيها تحقيقـــات ومذكراته عن مصر وتاريخها ٠

كتب هيرودوت ٩ كتب خصـــص الكتاب الثانى منها وجزءا من الكتاب الثالث عن مصر ، ورغم غزارة مادته ودقة تفاصـــيله فى سرد الاحداث والوقائع الا ان الصواب قد جانبـه فى الكثير من التحقيقات الخاصـــة بتتابع الملوك والاحداث أو التـــاريخ الزمنى لمراحل الحكم ، وينسـب ذلك بعض المؤرخين الى جهـــل هيرودوت باللغة المصرية القديمة وكتابـــاتها الهيروغليفية رغــم طول اقامته فى



حجر بالرمو ٢٤٢٥ ق.م

مصر، وأنه اعتمد على جمع معلوماته عن طريق التراجمة وصغار الكهنة والاساطير الشعبية المتداولة .

٤ ـ مانيتون :

Manethon

(٣٢٥ ـ ٢٦٨ ق . م .)

المؤرخ المصرى كاهن معبد سمنود (سب نتر). وصل فى أواخر أيامه الى مركز الكاهن الاكبر لمعبد هيليوبوليس ـ كان أول من كتب تاريخ مصر الزمنى وقوائم الملوك ابتداء من فجر التاريخ أو ما أطلق عليه بداية الخليقة حتى نهاية الاسرة الثلاثين التى اعتبرها نهاية الاسرات الفرعونية فكان أول من قسم تاريخ مصر الى عهود وعصور وأسرات وحدد بدقة التاريخ الزمنى لحكم كل أسرة من الاسرات ومدة حكم كل ملك من الملوك ، وقد ساعده على ذلك ما وضعتحت يده من الوثائق والمستندات التى كانت تحتفظ بها المعابد المصرية القديمة وكتاباتها المختلفة كما كان يتقن اللغات الاغريقية والقدرنية والشرقية .

كتب تاريخ مصر فى ثمانية مجلدات خص منها « الاجبتياكا » بأجزائها الثلاثة بقوائم الملوك وأسمائهم والاحداث التاريخية الهامة التى ارتبطت بحكم كل منهم وهى التى جمعها واحتفظ بها كل من افريكانوس ويوسيفوس من مؤرخى اليونان ، والراهب سينكليوس من مؤرخى العصور الوسطى . بينما فقدت بقية المجلدات وطرأ عليها الكثير من التحريف والتغيير من كثرة نقلها بواسطة مؤرخى العهد القديم بعد أن فقدت أصولها فى حريق مكتبة الاسكندرية .

ويعتبر مانيتون فى نظر علماء التاريخ المصرى القديم المرجع الاول بعد الآثار نفسها .

٥ ـ ديودورس :

Diodorus Siculus

(٩٥ ـ ٢١ ق . م .)

المؤرخ الصقلى عاش فى روما فى عهد يوليوس قيصر وأغسطس، وكتب تاريخ العالم فى ٤٠ مجلدا خص منها تاريخ مصر الفرعونية والحضارة الاشورية بالخمسة أجزاء الاولى وعاش فى مصر من عام ٦٠ ـ ٥٧ ق . م . حيث جمع معلوماته التى دونها عن تاريخ مصر من حواره مع كهنة معبد زايس وكهنة منف والوثائق التى تحتفظ بها جامعة الاسكندرية ، وقد اهتم بتسجيل الاسرات التى توالت على الحكم بعد الاسرة الثلاثين التى انهى بها مانيتون قوائمه حتى موت كليوباترا ونهاية حكم البطالمة



الذى يعتبره نهاية حكم الفراعنة

٦ ـ سترابون :
Strabo
(٦٣ ـ ٧ ق ٠ م ٠)

المؤرخ المقدونى الأصــــل الذى اشتهر من ســـفره بمغامـــراته ورحلاته الى مختلف بلاد مقدونيـــا والبحر الابيض ، وقضى فترة طويلــة فى الاسكندرية حيث كان يتردد عليها كثيرا ويجتمع بعلمـــاء جامعتهـا الشهيرة ، وقام برحلته المشهورة فى النيل حتى وصـــل الى حدود مصر الجنوبية لدراسة معالمها التاريخيـة والجغرافية ، وموســوعته ، التاريخ الجغرافى ، تتكون من ٤٧ مجلدا خص منها مصر بالمجلدين السابع والثامن عشر وهى من بين المجلدات القليلة الباقية ٠

٧ ـ بلينى :
Gaius Plinius
(٢٣ ـ ٧٩) م ٠

المؤرخ الرومانى ـ اشتهر برحلاته ودراساته الخاصـــة بالجغرافيـــة الســــياسية فى عهد الامبراطـــور فاسياســيان الذى قربه اليه وعينه مشرفا على الاسطول مما ساعده على القيام برحلاته فى البحـــر الابيض التى قام فيها بزيارة شمال افريقيـــا وبلاد اليونان وســــوريا ومصر التى امضى ثلاث ســـنوات متنقـــلا بين الاسكندرية ومختلف مراكزها العلمية الشهيرة ، درس خلالهــــا علاقــة التطورات السياسية ونظم الحكـــم بالتراث الحضارى والثقافى فى تاريخ مصر القديم وكتب تاريخ العالم فى ٣٧ مجلدا ٠

٨ ـ بلوتارك :
Plutarch
(٤٦ ـ ١١٩) م

المؤرخ والفيلسوف الاغريقى ٠ كان استاذا للفلسفة والرياضيات فى اثينا عندما زارها الامبراطور نيرون ودعاه لزيارة روما حيث انضم الى مجلس علمـــائها الامبراطورى وتجنس بالجنسية الرومانية، ثم عينه هادريان حاكما على اليونان حتى يتفرغ لكتابة دراساته عن تاريخ الاغريق وعلاقته بروما ، وقام بعدة رحلات لشـــمال افريقيا ومصر لجمع المعلومات عن



بردية تورين ١٥٨٠ ق . م

تاريخ الاسكندر والبطالمة وعلاقة روما بمصر . ثم التحق في سلك الرهبنة عام ٩٥ م . وانقطع لكتابة مذكراته وتسجيل وثائقه التي تعتبر من المراجع التاريخية الهامة التي تخص مصر وتاريخ الفراعنة جزءا كبيرا منها ويبلغ عدد المؤلفات والكتب والوثائق التي تركها ٢٢٧ مصنفا لم يفقد منها الا القليل .

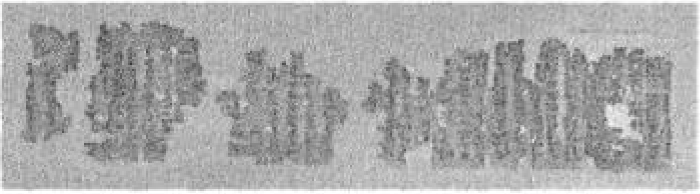
٩ ـ افريكانوس

Africanos Julius

(١٧٠ ـ ٢٣٥ م)

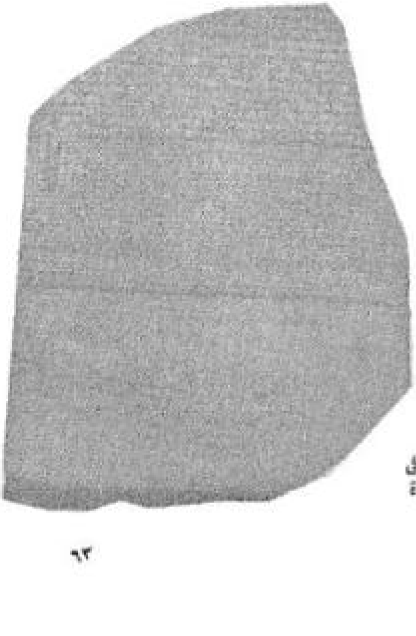
المؤرخ والرحالة المسيحي من مواليد القدس ، كتب تاريخ العالم ، من ٥٤٩٩ ق . م الى ميلاد المسيح ، واعتبر ان ذلك التاريخ هو بداية تاريخ الانسانية أو تاريخ الحضارة المصرية كما ذكر مانيتون .. وكان افريكانوس اول من حاول كتابة التاريخ الزمني للحضارة المصرية من مؤرخي الغرب ، فكان له الفضل في جمع مخطوطات ووثائق مانيتون القديمة التي كانت مبعثرة بين الاسكندرية واثينا وروما .

وكتب افريكانوس تاريخ العالم في خمسة اجزاء خص الجزءين الاول والثاني بتاريخ مصر .

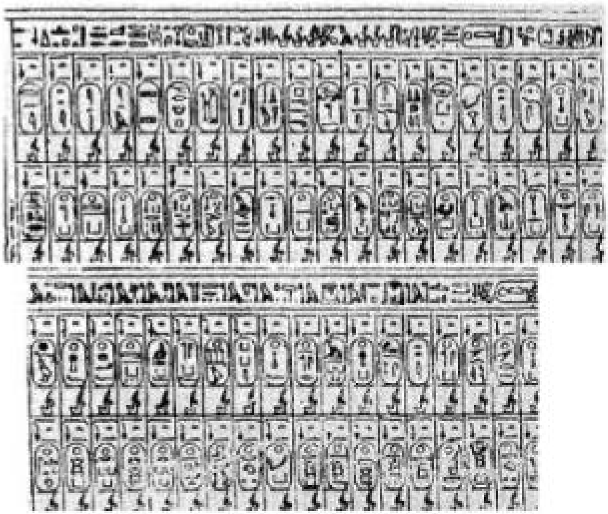


١٠ ـ يوسيفوس :
Josephos - Flavius
(٣٧ ـ ٩٣ م)
كاهن اورشليم ومؤرخ اليهود ـ كان عالما في القانون والفلك والتنجيم كتب تاريخ العالم والحضارات القديمة من ناحية علاقة اليهـود بمختلف الشعوب والحضارات القديمة ، وخص جزءا كبيرا من بحوثه عن تاريخ مصر وتاريخ اليهـود في كل من القانتين وتانيس والاسكندرية في مختلف العصور من الدولة الوسطى حتى عهد الرومان ٠

١١ ـ يوسيبيوس :
Eusebius Caesarea
(٢٦٠ ـ ٣١٠) م
المؤرخ المسيحي ـ ولد في القدس وتعلم في الاسـكندرية حيث درس اللاهوت والتاريخ والتشريع كما درس فضل مصر على المسيحية ابتداء من الحفاظ على حياة المسيح عندما لجأ اليهـا ثم دورها في نشر الديانة المسيحية ومقدساتها في العـالم المسيحي ورحلات القديسين الى مصر وحملهم الرسالة منها الى انحـاء العالم ٠٠ وتتكون موسـوعته عن « تاريخ العالم » من بدء الخليقة حتى عصر دقلديـان » من عشرة مجلدات جمعها تلامذته بعدوفاته حيثاضطهده الرومان بعد كتابتها ٠ وذكرت وثائق الفاتيكان انه مات شهيدا في السجن أثناء حملة الاضطهاد التي قام بها دقلديان ضد المسيحيين ، وقد حوى الكتاب الاول من كتبه العشرة تاريخ مصر من وقت خروج اليهود من مصر حتى عودة المسيح اليها ٠



حجر رشيد ، مرحلةجديدة في كتابة التاريخ الزمنيالحضارة الفرعونية



قائمة الملوك : لوحة ابيدوس ١٢٩٠ ق.م

١٢ ـ سنشللوس :

Syncellus George

(٧٤٠ ـ ٨٦٠ م)

الراهب المؤرخ البيزنطى ـ بطرك القسطنطينية . كتب موسوعته التاريخية « تاريخ العالم من ادم الى دقلديانوس » وقام بتكملتها فيما يختص بتاريخ الامبراطورية المسيحية تلاميذه بناء على وصيته من التحقيقات والمذكرات التي تركها .

سجل تاريخ الحضارات القديمة وتسلسلها والتى بداها بالحضارة الفرعونية وتاريخ ما قبل الاسرات على شكل جداول وقوائم زمنية جمعها من تحقيقاته فيما كتبه قدماء مؤرخى الاغريق والرومان وما سجله كهنة الفراعنة .

وقد علق مؤرخو العصر الحديث على قوائم التاريخ الزمنى التى وضعها سنشللوس عن تاريخ الفراعنة بقولهم : « ان ادق ترجمة للتاريخ الفرعونى هى التى وضعها افريكانوس واكمل ترجمة هى التى وضعها سنشللوس » .

● لقد توقف تاريخ مصر بعد هؤلاء المؤرخين مئات السنين ، لم يظهر جديد فى تراثه الحضارى او تقييمه الزمنى حتى اواسط القرن التاسع عشر بعد اكتشاف حجر رشيد وفك رموز الكتابة الهيروغليفية عام ١٨٢١ حيث بدأت مرحلة جديدة فى كتابة التاريخ الزمنى على ضوء ما تكشف فى الحفريات وما كشفت عنه لفائف البرديات وما نطقت به المتون ونقوش اللوحات وما دون على حوائط المقابر وجدران المعابد .

فظهر جيل جديد من المؤرخين وعلماء الاثار منهم ولكنسون، وصمويل برش من الانجليز . ثم البعثة البروسية الامبراطورية التى رأسها لبسيوس عام ١٨٤٢ وقدمت لعالم الاثار موسوعتها المصورة عن تاريخ مصر .

وفى عام ١٨٥٨ بدأت بحوث اوجست ماربيت والبعثات الفرنسية حيث اعيد



لتنظيم الاثار والعمل على تصنيفها وتقييمها وتسجيل تاريخها ووضع لوائح وقوانين الاثار والحفريات بعدما توالت اعمال النهب وسرقة الاثار وتهريبها وهى التى ملات متاحف العالم •

ثم بدات مرحلة القرن العشرين بجيل جديد من علماء الاثار بدات بالسير فلاندرز بترى واسوار نافيل وجريفث وبلاكمان ونيوبرى ويت من علماء الانجليز ورايزنر ووتلوك من امريكا • كما كان للبحوث التى قام بها ادولف ارمان وزملائه فى برلين لوضع قاموس اللغة المصرية القديمة وهى الموسوعة التى جمعت اعمال جورج ستندورف واعوانه الالمان بجانب سير والاس بادج وجريفث وجاردنر من انجلترا وجوتيه وليفرفر ولم تغفل الموسوعة اعمال العلماء المصريين وفى مقدمتهم العالم المصرى الدكتور سليم حسن الذى كان من المشرفين على وضع القاموس . كذلك بحوث كل من الدكتور لفرى رزكى سعد وعبد المنعم ابو بكر من ابناء مصر

● مراجع التاريخ الزمنى •

بدأ قدماء المصريين بتسجيل احداث تاريخهم فى العصور القديمة وما قبل الاسرات • بدأ الكهنة القدماء يؤرخون الاحداث عندما عرفوا النقش المقدس (هيروغليفوس) الذى بدأوا به تسجيل تاريخهم الدينى والسياسى بلغتهم الفرعونية • اختصروه على شرائح العاج والاخشاب والاردواز ولويحات الفخار (الاستراكا) وانتقلوا منها الى اوراق البردى ولفائفه التى كانت نواة صناعة الورق فى مختلف الحضارات حتى العصر الحديث ، فاطلق العالم اسم البردى (بابيروس) على الورق فى جميع اللغات • ثم انتقلوا فى تسجيل احداث تاريخهم الى جدران المعابد نفسها ولوحات الجرانيت والمسوريت حتى تقاوم الزمن •

ومن اهم المراجع التى امكن بها تنظيم التاريخ الزمنى وتسلسله ما

خلفه بعض الفراعنة المصريين من سجلات اتفق على تسميتها « بقوائم الملوك » . كان الهدف منها اثبات شرعية الملك للعرش وتدوين نسبه متسلسلا من أول الملوك الشرعيين الذين نسبوا اصلهم الى « انصاف الالهة » وبدءا اصلهم بالملك « مينا » وهو الاسم المقدس للعرمر موحد البلاد تحت علم اله الشمس ومؤسس الأسرة الملكية الاولى .

ومما يلفت النظر أن تلك القوائم رغم دقة بعضها في سرد أسماء الملوك وتاريخ كل منهم الا انها كانت تسقط في تسلسل كثير منها بعض اسماء الملوك الذين كان يرى الكهانهم ليسوا شرعيين لانه لا يجري في دمائهم اللون الازرق لون السماء الذى ينتسب اليه انصاف الاله سواء عن طريق الاب أو الام غير الملكية او الذين اغتصبوا الحكم بطريق غير شرعي سواء من المواطنين او الاجانب المغيرين ، أو من الملوك الشرعيين فكانت تلك الفجوات في تسلسل ملوك الاسرات سببا في الخلافات والتناقضات التي ظهرت فيما بعد عند كتابة التاريخ الزمنى للحضارة المصرية الذى وصل الينا عن طريق مختلف المؤرخين ومعظمهم من الاجانب كالاغريق والرومان الذين كانوا يجهلون اللغة الفرعونية ، ثم ما نقله عنهم مؤرخو العصر الحديث قبل فك رموز اللغة الفرعونية ، وكذلك ما كشفته الحفريات والاثار الاخيرة وما حققته البحوث العلمية الحديثة مما كشف النقاب عما ارتبط بذلك التاريخ الزمني من غموض وفسر ما احيط به من الغاز .

وأهم قوائم الملوك التى اتخذها المؤرخون وعلماء الاثار مرجعا لكتابة التاريخ الزمنى لمصر وللحضارة الفرعونية ما يلى :

١ ـ حجر بالرمو :

لوحة من حجر الديوريت الاسود عثر عليها في منف وانتقلت الى جزيرة صقلية عام ١٨٧٧ وحفظت في متحف عاصمتها في بالرمو ـ تسجل اللوحة ملوك ما قبل الاسرات في الوجهين القبلي والبحرى الى الملك « نفر ار كا رع » وميزت كلا من ملوك الوجهين بتيجانهم . كما سجل النص المنقوش على الحجر ملوك الفراعنة ابتداء من « مينا » موحد القطرين ومؤسس الاسرة الاولى الى أواخر الاسرة الخامسة مع اهم الاحداث التي وقعت وارتبطت بحكم كل منهم ـ كما سجلت منسوب فيضان النيل خلال كل عام .

٢ ـ لوحة سقارة :

لوحة من الحجر الجيرى وجدت في مقبرة الكاهن « تونري » كاهن منف في عهد رمسيس الثاني وتحوى اسم ٥٨ ملكا ابتداء من الملك (مربى رع)

سادس ملوك الاسرة الاولى وانتهت برمسيس الثاني واسقطت ملوك الاسرات السابعة والثامنة والتاسعة كما اسقطت اسماء كل من الملكة حتشبسوت واخناتون وتوت عنخ امون .

٣ ـ قائمة الكرنك :

اقامها تحتمس الثالث (الاسرة ١٨) في معبد الكرنك ونقلت منه الى متحف اللوفر في باريس . تحوى هذه اللوحة اسماء ٦٢ ملكا تبدأ بالملك سنفرو مؤسس الاسرة الرابعة وتستمر بسرد اسماء الملوك حتى نهاية الاسرة السادسة . واسقطت ملوك عصر الاضمحلال فانتقلت من الاسرة السادسة الى الاسرة الحادية عشرة مباشرة واستمرت حتى الاسرة الرابعة

عشرة ثم اسقطت عهد الهكسوس لتبدأ مرة أخرى بالاسرة السابعة عشرة وتنتهى بتحوتمس الثالث الذى أمر بتدوينها .

٤ ـ لوحة ابيدوس :

وهى مدونة على احد جدران معبد سيتى الاول (الاسرة ١٩) سجلها رمسيس الثانى بن سيتى الاول ويرى واقفا يقدم القرابين للملوك المنقوشة اسماؤهم . وتعطى القائمة اسم ٧٦ ملكا تبدأ بمينا مؤسس الاسرة الاولى وتنتهى بسيتى الاول الذى عملت اللوحة فى عهده حيث أمر رمسيس بكتابتها ، وقد اسقطت القائمة ملوك الاسرات التاسعة والعاشرة من عهد الاضمحلال كذلك ملوك عصر الهكسوس، كما انها اسقطت اسم حتشبسوت أسوة بلوحة سقارة لاعتبارها ملكة غير شرعية . كما اغفلت اللوحة اسماء كل من أخناتون وسمنكرع وتوت عنخ امون وآى لانهم خرجوا عن ديانة آمون .

٥ ـ قائمة بردية تورين :

ترجع الى عصر (الاسرة ١٩) وهى محفوظة بمتحف تورين بايطاليا ـ وتمتاز لوحة تورين بانها قسمت الملوك الى مجموعات تبعا لعواصم الملك وحددت حكم كل ملك بالسنين والشهور والايام ، وتحتوى على اكثر من ٣٠٠ اسم ابتداء من ملوك ما قبل التاريخ واطلق عليهم اسم «المبجلون» واستمر سردهم حتى نهاية (الاسرة ١٨) ، كما ظهر فيها عدد كبير من ملوك الهكسوس وظهر فيها لاول مرة اسماء كل من حتشبسوت واخناتون وامون التى سقطت فى القوائم الاخرى .

واللوحة الموجودة حاليا بمتحف تورين تهشمت للاسف بعض اطرافها وفقدت بعض اجزائها وما تبقى منها سليما يحتفظ بسجل كامل لملوك الدولة الوسطى .

٦ ـ لوحة الكاهن (عنخف ان سخمت) :

لوحة من الحجر الجيرى وجدت فى ثانيس ومحفوظة فى متحف برلين، يرجع عهدها الى (الاسرة ٢٢) ، وقد سجل فيها الكاهن نسبا طويلا لاجداده يمتد حتى الاسرة الحادية عشرة والفترة تبلغ حوالى ١٤٠٠ سنة . وقد سجل فيها اسماء الملوك الذين عاصروا اجداده . ولما كان من بين القاب الكاهن ان سخمت انه من علماء الفلك فقد حدد التتابع الزمنى للملوك واسراتهم عن طريق الظواهر الفلكية والتقويم الكهنوتى ، وهى الطريقة التى التجأ اليها واعتمد عليها الكاهن مانيتون فى كتابة التاريخ الزمنى وتسجيل قوائم الملوك .

٧ ـ قوائم مانيتون :

هى القوائم التى دونها الكاهن المصرى القديم ضمن موسوعته التى كتبها عن تاريخ مصر واطلق عليها مؤرخو الاغريق اسم « اجيبتياكا » ، وقد كلفه بكتابتها بطليموس الاول لتصحيح تاريخ الفراعنة الذى شوهه مؤرخو الاغريق ابتداء من هيرودوت الى مؤرخى عهود الاحتلال والاضمحلال كما عرف ان التاريخ الحقيقى لمصر الفرعونية تحتفظ به المعابد ويعتبر من اسرارها المقدسة .

وقد وصف كتاب الاغريق الكاهن مانيتون بانه « اعلم اهل مصر بتاريخ ولغة القدماء، وكان ضليعا فى الكتابة الهيروغليفية بجانب الكتابات «الديموطيقية والهيراطيقية، كان متعمقا » اللغة اليونانية القديمة وآدابها . كما كان من اكبر علماء اللاهوت والفلك وعندما طلب منه كتابة تاريخ مصر



الملك زوسر

وضعوا تحت تصرفه جميع الوثائق والمستندات التي تحتفظ بها خزائن المعرفة السرية بمعابد تانيس وهليوبوليس ، كما تولى مركز الكاهن الاعظم لمعبد هيليوبوليس تقديرا للاداء من خدمات عندما لعب دوره المشهور في نشر عبادة المعبود سيرابيس الذى جعله معبودا لكل من المصريين واليونانيين عام ٢٨٥ ق ٠ م والتي اقنع بطليموس الاول باعتناقها فتمكن بذلك من اخضاع البطالسة للعقيدة الفرعونية فلم يكن سيرابيس الاصورة جديدة لعبادة المعبود امون ٠ كما اشترك معه الفيلسوف الاغريقي السكندري تيموثيوس في كتابة نصوص وتعاليم العقيدة حتى يتمكن من نشرها عند الاغريق والرومان اسوة بايزيس وزيوس امون ٠

كانت قوائم مانيتون من ادق المراجع التي حددت التاريخ الزمني لمصر ، وقد قسمها الى مرحلتين ٠ المرحلة الاولى التي اطلق عليها مرحلة الخلق والتكوين، وهي مرحلة ما قبل الاسرات التي بدأت بعصر انصاف الالهة من الكهنة المبجلين وهو العصر الذى انزلت فيه الالهة تعاليم العقيدة وبذور المعرفة وتشريع الحكم ونظم المجتمع الانساني.

وتلى ذلك العصر اربعة عهـــود مختلفة من بينها حكام الدلتا وعهـــد الوحدة الاولى ثم عهد الانفصال وعهد حكام اتباع تحوتى في الجنوب وانتهت تلك المرحلة بقيام نعرمر احد حكام الوجه القبلي بتوحيد القطرين مؤسس الاسرة الاولى الذى اطلق عليه اسم مينا وقد حدد مانيتون في قوائمـــه الفترة الزمنية لكل عهد من تلك العهود وعدد الملوك والحكام معتمـــدا في ذلك على التقـــويم الكهنـــوتي القديم لمعبـــد هيليوبوليس ٠

كان مانيتون اول من قسم المرحلة الثانية من تاريخ حكم الفراعنة الى اسرات حدد عددها بثلاثين اسرة فبدأ بمينـــا مؤسس الاسرة الاولى وتنتهي بنختابنو الثاني اخـــر ملوك الاسرة الثلاثين كما كان اول من قسم الاسرات الى عصور ودول وهو التقسيم المعمول به حاليا ٠ وقد حدد في قوائمه مدة حكم كل ملك من ملوكها وعدد ملوك كل اسرة واسمائهم وقد بلغ عـــدد ملوك الثلاثين اسرة ٤٥٩ ملكا حكموا مدة ٥٢١٨ سنة وقد اعتمد في التحديد الزمني على التقويم التحـــوتي الذى وضعه كهنة معبد هيليوبوليس الملك تحوتي ثاني ملوك الاسرة الاولى الذى اتخذ من اله المعرفة لقبا له وحدد بداية حكمه بالسنة الاولى من التقويم التحوتي ٠ ويعتبر مانيتون التـــاريخ الزمني لبداية الاسرة الاولى هو السنة الثانية والستون قبل التاريخ التحوتي وتعد موسوعة مانيتون التاريخيـــة وقوائم الملوك التي وضعها من المراجع الرئيسية التي كانت تحتفظ بها جامعة الاسكندرية ومكتبتها المشهورة والمصدر الوحيد الذى نقل عنه جميـــع مؤرخي الاغـــريق والرومـــان تاريخ مصر والتراجمة التي تناقلها وتداولها مؤرخو

العصور المتتالية حتى العصر الحديث فى كتابة تاريخ مصر .

نصوص الانساب

تسجيلات وقوائم غير ملكية دون فيها كبار الكهنة وعظماء رجال الدولة انسابهم وربطوا التاريخ الزمنى فيها بذكر اسماء الملوك الذين عاصرهم اجدادهم . وقد وجد الكثير منها مدونا على جدران المقابر او مسجلا فى برديات المقابر والمعابد كما وجدت بعض القوائم والنصوص المماثلة فى مقابر بعض الامراء الذين دونوها لاثبات نسبهم الى الاسرة المالكة بذكر تسلسل نسبهم فى شجرة العائلة او الاسرة وامتد بعضها لاكثر من اسرة من الاسرات التى سبقتها .

● كان تحديد التاريخ الزمنى للاسرات وتسلسلها ـ الذى كتب تاريخ مصر الفرعونية وحضارتها الخالدة ـ من المعضلات التى واجهت الكتاب والمؤرخين طوال العصور الماضية . يرى البعض انه بدأ فى فترة ما بين ٣٥٠٠ ، ٢٢٠٠ ق . م وحددوا عدد الملوك الذين حكموا خلال تلك الفترة ما بين ٤٢٠ ، ٤٥٠ ملكا وحاكما . بينما يرى البعض الاخر انه يبدأ ما بين عام ٢٧٠٠ ، ٥٥٠٠ق . م وحددوا عدد الملوك الذين حكموا خلال تلك الفترة بما لايقل عن ستمائة ملك وحاكم . وقد اجمع مؤرخو العصر الحديث على ترجيح كفة الفريق الاول وانهم يرون ان الفريق الثانى كان متأثرا بكتابة المؤرخ المصرى مانيتون السمنودى وكانوا يتهمونه بانه غالى فى تحديد التاريخ الزمنى بالنسبة لاسرات الدولة القديمة وعصور الاضمحلال . بل انه بالغ فى تحديد عدد الملوك رغم انه ذكر اسماءهم جميعا ومدة حكم كل منهم بدقة بالسنوات والشهور مستعملا فى ذلك لاول مرة التقويم النجومى الذى ظهر فى الاسرة الاولى والذى اشير اليه فى اكثر من بردية من البرديات القديمة عند بعض الاحداث التاريخية الهامة خاصة ما ارتبط فيها بالمعابد فى الدولة الوسطى وبعض الاحداث التاريخية فى الدولة الحديثة التى دونتها الكهنة فى برديات‌هم .

لقد كان لاكتشاف حجر رشيد وفك رموز اللغة الفرعونية وكتاباتها فى بداية القرن الحالى دور فعال فى اجتذاب اهتمام علماء الاثار فى اعادة النظر فى كتابة تاريخ مصر الحضارى والزمنى خاصة عندما كشفت ارض وادى النيل عن الكثير مما فى باطنها من اسرار وما فكته الرموز الهيروغليفية من الغاز احتفظت بها جدران المعابد وحوائط المقابر والالواح الحجرية واللوحات الفخارية ولفائف البرديات . اصبح التاريخ الزمنى للحضارة المصرية

الملك خوفو



موضع اهتمـــام كثير من معاهد الاجيبتولوجيا وعلمائها وبعثاتها من مختلف انحاء العـــالم ، كما اهتم علمـــاء مصر لاول مرة من بعد مانيتون المصرى بكتابة تاريخ مصر والاهتمام بتصـــحيح التاريخ الزمنى للحضارة ومراحل تطورها .

وقد لعبت حفريات الدولة الحديثة وخاصة اكتشاف مقبرة توت عنخ امون وحفريات تل العمارنة والدير البحرى التى كشفت عن كثير من الملوك والملكات الذين اغفلت اسماؤهم فى قوائم الملوك او سجلات المؤرخين ، لعبت دورا هاما فى الغمـــوض الذى احاط بتسلسل الحكم وثغرات التاريخ الزمنى لـــمدة حكم الاسرات . كما بقيت ناحية هامة فى تاريخ مصر لم يشملها التصحيح وهو دور الثورات الشيوعية التى قامت بعد الاسرة السادسة فى تخريب الاثار والمتـــون والوثائق (كما ورد فى برديات ابيور) وتشـــوية التاريخ وتحـــريف وقائعه بالنسبة للاسرات الفرعونيـــة المالكة التى سبقت ذلك العهـــد او الاسرات التى توالت على اغتصاب الحكم والتى اطلق المؤرخون عليها اسم عصر الاضمحلال — مما كان سببا فى اختفـــاء الكثير من سجلات قوائم الملوك ووثائق اعمالهم وبالتالى التاريخ الزمنى لحكـمهم . وكان المرجع الوحيد لتاريخ مصر فى عهدهم تلك القوائم التى دونها مانيتون وهى القوائم التى كانت موضع انتقاد كثير من مؤرخى العصر الحـــديث

بدأ الاهتمام بدراسة تاريخ الاسرات القديمة وخاصة الاسرات الثلاث الاولى وما سبقها من عصر ما قبل الاسرات بالحفريات والابحاث التى قام بها عالم الاثريات « امرى » التى قضى فيهـا ما يقرب من الاربعين سنة فى منطقة سقارة والتى وجه اهتمامه فى السنوات الاخيرة للكشف عن مقبرة امحتب — المهندس والحكيم الذى الهه المصريون الاغريق لعدة اجيال .

لقد احدثت اكتشـــافات امرى فى العصر العتيق وما قبل الاسرات وعصر الاسرات الثلاث الاولى انقـــلابا فى مفهوم التاريخ وقوائم الملوك وبالتالى للتاريخ الزمنى لحكمهم — لقد كشفت ابحاثه عن حقيقة عـــدد الملوك الذين حكموا ضمن كل اسرة من تلك الاسرات الاولى فاثبتت صدق قوائم مانيتون القديمة وما ورد بها من ملوك ، وقـــد اتخذ امرى من قوائم مانيتون مرجعـــا فى البحث عما ورد بها من اول حكم مينا مؤسس الاسرة الاولى الى سنفرو مؤسس الاسرة الرابعة اسرة الاهرام كان عددهم ٢٦ ملكا بلغت مدة حكمهم ما يقرب من ٧٥٠ عاما وليس ٤٠٠ عام كما حدده مؤرخو النصف الاول من القرن الحالى .

يأتى بعد بحـــوث تاريخ الاسرات الاولى وما حققته اكتشـــافاتها من تصحيح لتاريخ ذلك العهد وما ارتبط بذلك التصحيح من تشكيك فى التاريخ الزمنى المتفق عليه — يأتى البحـــوث التى شغلت الكثيرمن العلماء والكتاب وما اطلق عليه « لغز الهرم الاكبر — كان اخرها البحـــوث التى اعلنها الاستاذ اندريه بوشان عام ١٩٧٢ . لقد كشفت تلك البحـــوث عن جانب جديد من جوانب لغز الهـــرم الاكبر غيرت المفهوم التاريخى والانشائى .

وتلك البحـــوث — ســـتكون موضوع بحث خاص عن البحث العلمى كما حددت البحوث التاريخ الزمنى لاقامة الهرم بما يزيد اويبعد عن ٢٥٠٠ ســـنة عن عصر الملك خوفو والاسرة الرابعـــة — اسرة الاهـــرام — مما وضع التاريخ امام لغز جديد وهو : « اما ان هناك خطأ تاريخيا فى تاريخ بناء الهرم الاكبر !

واما ان هناك خطأ زمنيـــا فى تاريخ الاسرة الرابعة التى بنيت الاهرام فى عهدها !

وإما ان خطأ زمنيا وقع لتاريخ الحضارة المصرية كلها ! .

● التاريخ الزمنى والبحث العلمى

لقد دخل علم الاثار كغيره من بقية العلوم التى تحرك عناصر الحضارة ومقوماتها وتساير تطور مدنية المجتمع وضربات نبضها ... دخل فى عصر التكنولوجيا .

فى مقدمة الوسائل العلمية الحديثة التى وضعتها التكنولوجيا فى خدمة علماء الاثار كربون القياس الزمنى المشع ويعد من النتائج المباشرة لبحوث الطبيعة الذرية .

وتتلخص نظرية الكربون المشع فى ان الاشعة الكونية تخترق الغلاف الجوى وتعمل على تكوين ما يسمى بالتفلير المشع للكربون *Radio Isotope* او الكربون ١٤ (نسبة الى وزنه الذرى) فهذا الكربون الموجود فى الجو فى الكائنات الحية من نبات وحيوان

كما ينتقل الى الانسان ايضا عن طريق تلك الكائنات العضوية التى يتغذى بها . وتبقى تلك الاشعاعات الكربونية فى كل كائن بنسب ثابتة ما دام على قيد الحياة ثم يتوقف عن امتصاصها عند توقف الحياة حيث تبدا فى الاستهلاك او الخروج من الكائن العضوى على مرحلة زمنية طويلة . فمثلا تتناقص كمية الكربون بنسبة ٥٠٪ بعد مرور ٥٧٠٠ سنة وتصل الى ٢٥٪ بعد ١١٤٠٠ سنة وتصل الى ١٢٪ ½ بعد ٢٢٨٠٠ سنة وهكذا .

وقد توصل علماء التكنولوجيا الى اختراع اجهزة دقيقة لحساب التفجير المشع للكربون وتحديد النسبة المئوية لوجوده فى بقايا الكائنات العضوية كالاخشاب والعظام – وبالتالى العمر الزمنى لها ويطلق بعض علماء الطبيعة على ذلك الجهاز ترمومتر قياس الزمن مما لا يفسح المجال للطرق البدائية التى كانت متبعة الى الان فى قياس الحرارة أى عمر الاثار بمختلف وسائل الاستنتاج والتخمين وجس النبض .

لقد قام العلماء فى السنوات الاخيرة بعمل كثير من التجارب على ما وجد فى الحفريات الاثرية من المخلفات العضوية وخاصة الاخشاب

والحبوب والعظام البشرية والمومياء، فأعطت نتائج دقيقة ومذهلة . أمكن بواسطتها تحديد التاريخ الزمنى لحضارات المايا والازتيك الغامضة كما أمكن بواسطتها تحديد كثير من آثار الحضارات الافريقية والرومانية .

وقد استخدمت اخيرا فى التحقيقات الخاصة بقارة الاطلنتس المفقودة وعلاقتها بالاثار التى وجدت فى قاع المحيط بالقرب من الشواطىء الاسبانية كما امكن بها لاول مرة تحديد تاريخ العصر الجليدى من بقايا الحيوانات والغابات التى اكتشفت تحت طبقات الجليد فى سيبيريا وشمال اوروبا .. لقد وضعت عدة محاولات فى معاهد البحوث الامريكية والالمانية لوضع الاثار المصرية تحت منظار الكربون المشع للتأكد من التاريخ الزمنى للحضارة الفرعونية مهد الحضارات وما لابس بعض مراحل ذلك التاريخ الزمنى وحقيقة عمر الحضارة من غموض وذلك بأخذ بعض عينات من عهد البطالمة والعصر الرومانى والعهد القبطى، فوجدت مطابقة لما ذكر فى المراجع والوثائق التاريخية ، بينما كشفت موميات واخشاب احد مقابر الاسرة الثانية عشرة ان عمرها ٥٢٠ سنة اى بفارق قدره حوالى ١٣٠٠ سنة بينما فى عهد رمسيس الثانى كان هناك فارق زمنى لا يزيد على ٥٠ سنة ، ثم كانت المفاجأة عند الكشف على بعض مخلفات مقابر الاسرة الثانية حيث وجد أن هناك فارقا زمنيا يصل الى ٢٤٠٠ سنة .

• العصور المقدسة وعهود ما قبل الأسرات

للمؤرخ يوسيبيوس (يوسيفوس) نقلا عن قوائم مانيتون

	العهود والأسرات	الفترة الزمنية (سنة)	التقويم الأزلي المقدس	التقويم المصري	التقويم الميلادي [illegible]
١	عصر الآلهة ([illegible])	١٣٩٠٠	١ ك		٢٠٥٤٤
٢	عصر أنصاف الآلهة ([illegible])	١٢٥٥	١٣٩٠٠		١٦٦٤٤
٣	ملوك العهد الأول (ملوك الشمس)	١٨١٧	١٥١٥٥		١٥٣٨٩
٤	ملوك العهد الثاني (٣٠ ملكا)	١٧٩٠	١٦٩٧٢		١٣٥٧٢
٥	ملوك العهد الثالث (١٠ ملوك)	٣٩٠	١٨٧٦٢		١١٧٨٢
٦	عهد البحث والحقيقة	٥٨١٢	١٩١١٢		١١٤٣٢
٧	بداية الأسرة الأولى (مينا - توحيد القطرين)		٢٤٩٢٥	١ ت	٥٦١٩
٨	قوائم الأسرات (٣٠ أسرة)	٥٢٨٠			
٩	نهاية الأسرة ٣٠ (نختانبو الثاني)		٣٠٢١٣	٥٢١٨	٣٤٣ ق م
١٠	الإسكندر الأكبر (البطالمة)	٣٠٢	٣٠٢٢٨		٣٠ ق م
١١	ميلاد المسيح		٢٠٥٤٤	٥٥٥٨	١ ميلادي

لقد ثبت أن النتائج التي يقدمها نظير الكربون ١٤ من الدقة بحيث لا يزيد على ٥٠ سنة في الخمسة الاف سنة الاولى ويصل اليها لايزيد على ١٢٠ سنة في العشرة الاف .. ان ذلك الخطأ الزمني في تاريخ مصر سيعيد الى المؤرخ مانيتون اعتباره فهو الذي كتب التاريخ الزمني لمصر ابتداء مما أطلق عليه بدء الخليقة وحكم الكهنة المبجلين من عام ١٦٥٠٠ ق.م الى نهاية حكم الفراعنة وحدد فيه بداية الاسرات عام ٥٦١٩ ق.م بدلا من عام ٣٢٠٠ ق.م الذى حدده المؤرخون الاجانب .

الاسرة	اسماء الملوك: الاسماء اليونانية	اسماء الملوك: الاسماء المصرية	مدة الحكم	مجموع السنين	التقويم الزمني (الحرفي)	التقويم الميلادي ٣٠٦٥	
التاريخ الزمني للملوك والاسرات (مانيتون)							
١	١- مينيس	مينا (نعرمر)	٦٢		-٦٢	٥٦١٩	٣٢٠٠
	٢- اثوتيس	حور عحا	٤٧		+١ ت	٥٥٥٧	
	٣- كنكينيس	زر	٣١		٤٧	٥٥١١	
	٤- اوتيفيس	وادجي	٢٣		٧٨	٥٤٨٠	
	٥- اسفايدس	اوديمو	٢٠		١٠١	٥٤٥٧	
	٦- ميبيدس	انزيب	٢٦		١٢١	٥٤٣٧	
	٧- سمبس	سمرخت	١٨		١٤٧	٥٤١١	
	٨- بنيشس	قاعا	٢٦	٢٥٣	١٦٥	٥٣٩٣	٢٩٨٠
٢	١ بويثوس	حوتب سخموي	٣٨		١٩١	٥٣٦٧	٢٩٨٠
	٢ كايخوس	رع نب	٣٩		٢٢٩	٥٣٢٩	
	٣ بينوتريس	نترى انه	٤٧		٢٦٨	٥٢٩٠	
	٤ تلاس	بري اب سن	١٧		٣١٥	٥٢٤٣	
	٥ سثنيس	سخم رخي	٤١		٣٣٢	٥٢٢٦	
	٦ ستاريس	نتر كا	١٧		٣٧٣	٥١٨٥	
	٧ نفركريس	نفر كا رع	٢٥		٣٩٠	٥١٨٦	
	٨ سيزوخريس	خع سخم	٤٨		٤١٥	٥١٤٣	
	٩	خع سخموي	٣٠	٣٠٢	٤٦٣	٥٠٩٥	٢٨٨٠
٣	١ نخروفيس	سا نخت	٢٨		٤٩٣	٥٠٦٥	٢٧٨٠
	٢ تسور ثروس	ترو جيتر	٢٩		٥٢١	٥٠٣٧	
	٣ تيريوس		٧		٥٥٠	٥٠٠٨	
	٤ ميزوخريس	نخرفيس	١٧		٥٥٧	٥٠٠١	
	٥ سويفيس	زوسر الثاني	١٦		٥٧٤	٤٩٨٤	
	٦ توسرتاسيس	حوتدرتس	١٩		٥٩٠	٤٩٦٨	
	٧ آخس		٤٢		٦٠٩	٤٩٤٩	
	٨ سفوريس	نب كا رع	٣٠		٦٥١	٤٩٠٧	
	٩ كرفيرس	حوني	٢٦	٢١٤	٦٨١	٤٨٧٧	٢٦٨٠

٤	١ سوريس	سنفرو	٢٢		٧٠٧	٤٨٥١	٢١٨٠
	٢ سوفيس الاول	خوفو	٦٣		٧٢٩	٤٨٢٩	٢١٥١
	٣ سوفيس الثاني	خفرع	٦٦		٧٩٢	٤٧٦٦	٢١٤٠
	٤ منكريس	منقرع	٦٣		٨٥٨	٤٧٠٠	٢٦٠٠
	٥ راتويسيس		٢٥		٩٢١	٤٦٣٧	
	٦ بيخريس		٢٢		٩٤٦	٤٦١٢	
	٧ سيبرخيريس	شبسسكاف	٧		٩٦٨	٤٥٩٠	٢٥٦٦
	٨ تمفتيس		٩	٢٧٧	٩٧٥	٤٥٨٣	
٥	١ اوسرخيريس	اوسركاف	٢٨		٩٨٤	٤٥٧٤	٢٥٦٠
	٢ سفريس	ساحورع	١٣		١٠١٢	٤٥٤٦	٢٥٥٤
	٣ نفرخيريس	نفركاو رع	٢٠		١٠٢٥	٤٥٣٣	٢٥٤٩
	٤ سيسيريس	نفرفف رع	٧		١٠٤٥	٤٥١٣	٢٥١٦
	٥ خيريس	نيوسر رع	٢٠		١٠٥٢	٤٥٠٦	
	٦ راثوريس		٤٤		١٠٧٢	٤٤٨٦	
	٧ منخيريس	منكاوحور	٣٩		١١١٦	٤٤٤٢	
	٨ تانخيريس	جدكارع	٤٤		١١٥٥	٤٤٠٣	٢٤٧٨
	٩ اونوس	اوناس	٣٣	٢٤٨	١١٩٩	٤٣٥٩	٢٤٥٠
٦	١ اثوثيس	تتي	٣٠		١٢٢٩	٤٣٢٦	٢٤٨٠
	٢ فيوسيس	ببي الاول	٥٣		١٢٨٢	٤٢٧٣	٢٤٠٢
	٣ ميثوسوفيس	مرنرع	٧		١٢٨٩	٤٢٦٦	٢٤٧٧
	٤ فيوپس	ببي الثاني	١٠٠		١٣٨٩	٤١٦٦	٢٤٦٧
	٥ منثيسوفيس		١		١٣٩٠	٤١٦١	
	٦ نيتوكريس		١٢	٢٠٣	١٤٠٢	٤١٥٥	
٧	٧٠ ملك على الحكم	[illegible]		(٧٠ يوم)	١٤٣٥	٤١٢٣	٢٢٨٠
٨	٢٧ ملك من ملوك منفيس			١٤٦	١٤٣٥	٤١٢٣	٢٢٨١
٩	٢٠ اخثوس ١٨ ملك من ملوك هيراكليوبوليس			٤٠٩	١٥٨١	٣٩٧٧	٢٢٤٢
١٠	١٩ ملك من ملوك هيراكليوبوليس			١٨٩	١٩٩٠	٣٥٦٨	٢١٤٤
١١	١٦ ملك من ملوك ديوسبوليس			٤٣	٢١٧٩	٣٣٧٩	٢١٤٤
	(نهاية كتاب مانيتون الاول) (الاسرات الاولى)				٢٢٢٢	٣٣٣٦	١٩٩٨

١٢	١	امن امحي	امنمحات الاول	٢٦		٢٢٢٢	٤٤٣٦	٢٠٠٠
	٢	سيزوكرتس	سنوسرت ١	٤٦		٢٢٤٨	٤٤٢٠	١٩٧٠
	٣	امن امحي	امنمحات ٢	٣٨		٢٢٨٤	٤٣٧٤	١٩٢٨
	٤	سيزوستريس	سنوسرت ٢	٤٨		٢٣٢٢	٤٣٣٦	١٩٠٤
	٥	لامارس	سنوسرت ٣	٨		٢٣٧٠	٤١٨٨	١٨٨٧
	٦	اميرس	امنمحات ٣	٨		٢٣٧٨	٤١٨٠	١٨٤٩
	٧	امن امحي	امنمحات ٤	٨		٢٣٨٦	٤١٧٢	١٨٠١
	٨	سكميوفريس	الملكة سبك نفرو	٤	١٦٠	٢٣٩٤	٤١٦٤	١٧٨٨
١٣		٦٠ ملكاً من	سلالة ديوسبوليس		٤٥٣	٢٤٩٨	٤١٦٠	١٧٧٨
١٤		٧٦ » »	» كسويس		١٨٤	٢٨٥١	٢٧٠٧	١١٢٥
١٥		٤٣ » »	» تانيس		١٥١	٤٠٣٥	٢٥٢٤	
		٤٣ » »	» طيبة					
١٦		٣٢ » »	» تانيس		٥١٨	٤١٨٦	٢٤٧٢	
١٧	١	سالاتيس	[illegible]	١٩		٤٧٠٤	١٨٥٤	
	٢	بنون ابوبه		٤٤		٤٧٢٣	١٨٢٥	
	٣	اباخناس		٣٦		٤٧٦٧	١٧٩١	
	٤	ستاعن		٦١		٤٨٠٣	١٧٥٥	
	٥	سيسيرس		٥٠		٤٨٦٤	١٦٩٤	
	٦	سترتوس		٢٩		٤٩١٤	١٦٤٤	
	٧	اسث		٢٠	٥٠٩	٤٩٣٤	١٦١٥	
١٨	١	آموس	احمس الاول	٢٥		٣٩٦٣	١٥٩٥	١٥٧٨
	٢	خبرون	امنحتب الاول	١٣		٣٩٨٨	١٥٧٠	١٥٤٦
	٣	امسرفيس	تحتمس الاول	٢٤		٤٠٠٠	١٥٥٧	١٥٢٥
	٤	امنسيس	تحتمس الثاني	٢٢		٤٠٢٥	١٥٣٣	١٤٩٥
	٥	ميرافرس	حتشبسوت	١٣		٤٠٣٧	١٥١١	١٤٩٠
	٦	مسفراجموتوسيس	تحتمس الثالث	٢٦		٤٠٦٠	١٤٩٨	١٤٦٩
	٧	توتموزيس		٩		٤٠٨٦	١٤٧٢	
	٨	امنوفيس		٣١		٤٠٩٥	١٤٦٣	
	٩	اوروس		٣٧		٤١٢٦	١٤٣٢	
	١٠	اخيرس		٣٢		٤١٦٣	١٣٩٥	
	١١	راثوس		٦		٤١٩٥	١٣٦٣	
	١٢	خبرس		١٢		٤٢٠١	١٣٥٧	
	١٣	اخيرس		١٢		٤٢١٣	١٣٤٥	
	١٤	ارميزيس		٥		٤٢٢٥	١٣٣٣	
	١٥	رمسيس		١		٤٢٣٠	١٣٢٨	
	١٦	امنوفاث	حورمحب	١٩	٢٦٢	٤٢٣١	١٣٢٧	١٣٢٣

١٩	١	سيثوس	سيتى الاول	٢١		٤٢٥٠	١٣٠٨	١٣٠٣
	٢	رابساكس		١٦		٤٢٧١	١٢٨٧	١٢٦٠
	٣	امنوفتيس		١٠		٤٢٢٧	١٢٢١	١٢٢٣
	٤	امنس	امنمس	٥		٤٢٤٧	١٢١١	١٣٠٢
	٥	ثورريس	مرنبتاح	٧	١٠٩	٤٢٥٢	١٢٠٦	١١٩٧
	٦		تاوسرت					١١٩٥
			نهاية كتاب مانيتون الثاني					
٢٠	١	ستناخت	ستنخته	٢		٤٢٥٩	١١٩٩	١١٩٢
	٢	اوسيمارس	رمسيس الثالث	٤٢		٤٢٦١	١١٩٧	١١٦٨
	٣	رمسيس الرابع	الخامس			٤٢٩١	١١٦٥	١١٦٠
	٤	» الخامس	السادس					١١٥٤
	٥	» السادس	السابع					١١٥٠
	٦	» السابع	الثامن	١٠١				١١٤٥
	٧	» الثامن						١١٣٧
	٨	» التاسع			١٣٥	٤٣٩٤	١٠٦٤	١١١٠
٢١	١	سمندس	حرحور ١			٤٤٩٤	١٠٦٤	١٠٨٥
	٢	بسوسنس	بيعنخي ١			٤٥٢٠	١٠٤٨	١٠٥٤
	٣	نفرخرس	خاخبرا			٤٥٦١	٩٩٧	
	٤	امنوفتيس	بسوسنس ١			٤٥٦٥	٩٩٣	١٠٢٩
	٥	اوزوركون	سمندس			٤٥٧٤	٩٨٤	١٠٢٩
	٦	بيسناخس	بينوزم ٢			٤٥٨٠	٩٧٨	١٠٠٩
	٧	بسوسنس	بسوسنس ٢		١٣٠	٤٥٨٩	٩٦٩	٩٨٤
٢٢	١	سيسونخس	ششنق ١	٢١		٤٦٣٤	٩٣٤	٩٥٠
	٢	اوسرثون	اوسركون ١	١٥		٤٦٤٥	٩١٣	٩٢٩
	٣		تاكيلوت ١	٢٩		٤٦٦٠	٨٩٨	٨٩٣
	٤		اوسركون ٢	١٣				٨٧٠
	٥		ششنق ٢					٨٤٩
	٦	تاكيلوتس	تاكيلوت ٢			٤٦٨٩	٨٦٩	٨٤٧
	٧		ششنق ٣	٤٢		٤٧٠٢	٨٥٦	٨٢٢
	٨		باشن					٧٧٢
	٩		حورسا ايزيس		١٢٠	٤٧٤٤	٨١٤	٧٦٧
٢٣	١	بطوباستس	باطوباست	٤٠		٤٧٤٤	٨١٤	٨١٧
	٢	اوسرخو	اوسركون ٣	٨		٤٧٨٤	٧٧٤	٧٥٧
	٣	بساموس	تاكيلوت ٣	١٠		٤٧٩٢	٧٦٦	٧٤٨
	٤	زت		٣١	٨٩	٤٨٠٢	٧٥٦	
٢٤	١	بوخوريس	تفنخت			٤٩٠١	٧٢٥	٧٣٠
	٢		بوخاريس	٦	٦			٧١٥

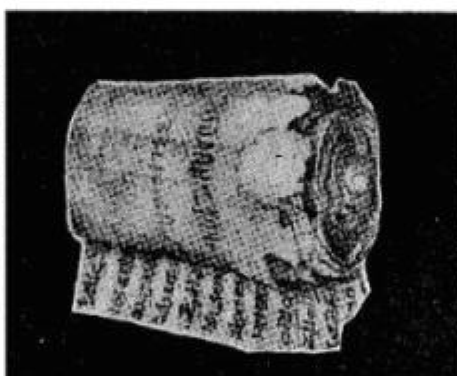
٢٥	١	سباكون	شباكا	٨		٤٨٩٤	٧١٩	٧١٦
	٢	سبيخوس	شباتاكا	١٤		٤٨٤٧	٧١١	٧٠١
	٣	تاركوس	تهارقا	٨	٤٠	٤٨٦١	٦٩٧	٦٦٠
٢٦	١	ستيفناتوس	بسماتك الأول	٧		٤٨٧٩	٦٧٩	
	٢	نخبسوس		٦		٤٨٨٦	٦٧٢	
	٣	نكاو ١	نكاو الأول	٨		٤٨٩٢	٦٦٦	
	٤	بسماتيكوس	بسماتك الثاني	٥٤		٤٩٠٠	٦٥٨	
	٥	نكاو ٢	نكاو الثاني	٦		٤٩٥٤	٦٠٤	
	٦	بساموثيس		٦		٤٩٦٠	٥٩٨	
	٧	وافريس	واح ايب رع	١٩		٤٩٦٦	٥٩٢	
	٨	اموزيس	أحمس الثاني	٤		٤٩٨٥	٥٧٤	
	٩	بسامو خريتس	عنخ كا ام رع	٦ ش	١٥٠	٥٠٢٩	٥٢٩	
٢٧	١	كامبيزس	قمبيز	٦		٥٠٢٩	٥٢٩	
	٢	داريوس	دارا الأول	٣٦		٥٠٣٥	٥٢٤	
	٣	اكزركسيس الأول	خشايارشا	٢١		٥٠٧١	٤٨٧	
	٤	ارتابانوس		٧ ش		٥٠٩٢	٤٦٦	
	٥	ارتاكزركسيس	ارتحشاشا	٤١		٥٠٩٣	٤٦٥	
	٦	اكزركسيس	خشايارشا الثاني	٢ ش		٥١٣٤	٤٢٤	
	٧	سوجديانوس		٧ ش		٥١٣٤	٤٢٤	
	٨	داريوس ٢	دارا الثاني	١٩	١٢٤	٥١٣٥	٤٢٤	
٢٨	١	اميرتيوس	اميرتايوس	٦	٦	٥١٥٤	٤٠٤	
٢٩	١	نفريتيس	نفريتيس الأول	٦		٥١٦٠	٣٩٨	٣٩٨
	٢	أخوريس	هكر أخوريس	١٣		٥١٦٦	٣٩٢	٣٩٢
	٣	بساموثيس		١		٥١٧٩	٣٧٩	٣٧٨
	٤	نفريتيس	نفريتيس الثاني	٤ ش	١٢٤	٥١٨٠	٣٧٨	٣٧٩
٣٠	١	نختانبيس	نختانبو ١	١٨		٥١٨٠	٣٧٨	٣٧٨
	٢	تيوس		٢		٥١٩٨	٣٦٠	٣٦١
	٣	نختانبوس	نختانبو ٢	١٨	٣٨	٥٢٠٠	٣٥٨	٣٥٨

● ان الخطأ الزمني وفقـا لذلك التصحيح فى قوائم الملوك ومدتحكمهم الحقيقي قد بلغ ٢٤١٩ عاما حيث حدد بده تاريخ الاسرات الفرعونية عـام ٥٦١٩ ق ٠ م بدلا من عام ٣٢٠٠ ق ٠م الذى جرى عليه العرف كما اجمـع مؤرخو القرن الماضي ٠ كما ان تاريخ بناء هرم الجيزة الاكبر ومراكب الشمس يعود الى عام ٤٨٢٩ ق٠م بفارق زمني قدره ٢١٧٢ سنة ٠ وتاريخ تأسـيس الدولة الوسطى وقيام الاسرة ١٢ ابدا عام ٣٢٣٦ ق ٠ م بدلا من ١٩٩٨ اى بفارق زمني قدره ١٢٣٨ سنة ٠٠٠ وهكذا يأخذ هذا الفارق الزمني فى التناقص حتى الدولة الحديثة حيـث تصل الى عام ١٥٩٥ بدلا من ١٥٧٨ وهو الفارق الذى نتج من سـقوط اسمي توت عنخ امون واخناتون ومدة

حكمهما من قوائم المؤرخين ثم يستمر التاريخ الزمنى لحكم الملوك والاسرات من الاسرة الثامنة عشرة حتى نهاية الاسرات وبالتالى حتى نهاية حكم الاسكندر الاكبر والبطالمة وبداية التقويم الميلادى بدون اى فارق أو خطأ زمنى .

● ان تصحيح ذلك الخطأ الزمنى فى تاريخ الحضارة المصرية سيزيد من قدم الحضارة الفرعونية عما جرى عليه العرف يحدده المؤرخون والاثريون القدامى وتأثر بهم كتاب العصر الحديث . كما ستؤكد عراقة الحضارة المصرية وكونها « مهد الحضارات جميعها » . سيقطع الشك والبلبلة التى حاول بعض الكتاب فى العصر الحديث اثارتها فى محاولة يقصد بها عزو بعض مقوماتها الى بعض الحضارات الاخرى كالحضارة السومارية والاغريقية القديمةوالكريتية والفينيقية والصينية لتقارب نشأة كل منها مع الحضارة الفرعونية نفسها واشتراكها فى بعض عناصر الحضارة كعلوم الفلك والتنجيم والعقائد والفنون .

● اكمالا للبحث ارى انه قد ان الاوان لان يقوم علماؤنا بدورهم فى اعادة النظر فى التاريخ الزمنى للحضارة المصرية ـ الذى يعتبر روح الحضارة نفسها ـ على ضوء البحوث العلمية والتكنولوجية الحديثة وذلك بوضع تلك الاثار تحت المجهر التكنولوجى وهو الكربون ١٤ المشع ، وتشخيص ما اكتنف تاريخها من غموض . ويكفى اخذ بعض المخلفات العضوية من اثار كل اسرة من الاسرات او مقبرة من المقابر او حفرية من الحفريات سواء من القطع الخشبية او لفائف المومياء او غيرها مما يملأ مخازن المتحف المصرى . وبذلك يمكن كشف النقاب عن كثير من الالغاز والاسرار التى ما زالت تحمل كثيرا من علامات الاستفهام حول التاريخ الزمنى لحضارة مصر الخالدة .



واحدة من لفائف البرديات التى تزخر بها مخازن المتحف المصرى تحتفظ بين طياتها بمفتاح لغز الحضارة

ما ضرّ هذا الغرّ..

د. عاتكة الخزرجي



ما برحت ذكراك في خاطري
ولم تزل تقيض لي مضجعي
فيم أنا أشكوك برح الجوى
وأنت في لهوك لما تعي ؟
مولاي قد جرت على منصف
يصدقك الحب فلا تدعي
يا ويح لي من جاهل غافل
ما ضر هذا الغر إن يرجع ؟
يشكو لنا الشوق وأولى إذن
أن يشتكي الشوق الى المدعي
دلائل الأشواق معلومة
يا ويلتا من هازل لوذعي
أشكوك يا مترف .. هل راحة
ترجى لهذا المتعب الموجع ؟
أكاد من فرط الضنى لا أرى
أوشك أن ألقى به مصرعي
مضناك أشقى فهو في سكرة
إخاله من بعدها لا يعي
مولاي لا تقس بلغت المدى
وما بقوس الصبر من منزع

رحلة الشهر

رسالة من السادات

سمعت – وأنا فى الملتقى الإسلامى بمدينة تلمسان بالجزائر – نبأ منح أكاديمية الفنون درجة الدكتوراه الفخرية لروائدنا الأجلاء ، توفيق الحكيم ومحمد عبد الوهاب ويوسف وهبى وزكى طليمات .

وقرأت الخطاب الوفى الكريم الذى ألقاه الرئيس محمد أنور السادات فى حفل تقديم وثائق هذه الدرجة الى أقطابنا الأربعة ، وهو أول خطاب من نوعه فى تاريخ مصر القديم والحديث .

ليست هذه أول يد لأنور السادات على أهل الأدب والفن فله كثير من الأيادى على خدام هذين المجالين .

أذكر منها « صندوق معاشات الأدباء والفنانين » الذى يقدم العون لكل أديب أو فنان تلم به محنة، ويخصص معاشا دائما وكريما لكل أديب أو فنان يقعده العمر أو المرض أو البطالة عن كسب لقمة العيش .

وأذكر منها عشرات ومئات من الحالات التى عولج فيها المرضى من أهل الأدب والفن على حساب الدولة فى الداخل والخارج .

وأذكر منها الأوسمة والنياشين التى قدمها الرئيس لأهل الأدب والفن تكريما لإضافاتهم الى التراث المصرى ..



واذكر منها خطابا سمعناه من الرئيس فى قصر عابدين منذ سنوات قريبة دعا فيه القوامين على الفن الى العناية بامر الطاب الفن الذين تقدمت بهم السن ، وتخطيط ادوار لائقة بهم فى الافلام والمسرحيات وتمثيليات الاذاعة والتليفزيون .

واذكر منها عشرات من اللقاءات الفردية والجماعية بين الرئيس وبعض اعلام الادب والفن فى مختلف المناسبات .

واذكر منها ايادى حانية له على ، احدثها عاطفة وعطف السيدة الحنون قرينته على فى المحنة الصحية التى عبرت بى والزمتنى الفراش بضعة اشهر فى مستشفى القوات المسلحة بالمعادى ...

وآخر اياديه على ، هو الخطاب الذى لقيته عند عودتى من الجزائر هذه المرة ، تقديرا لديوانى الاخير « الله والنيل والحب » الذى رفعته اليه منذ اسابيع قريبة . يقول فيه :

« السيد الاستاذ صالح جودت

« تحية طيبة ، وبعد ، تلقيت بوافر الشكر هديتكم الادبية « الله والنيل والحب الذى اودعته الكثير من نفسك الرقيقة وشاعريتك المتوقدة ، وشدوت فيه بانبل احساس واسمى عاطفة . والتى سأسعد بقراءته .

ومع تقديرى لما تبذلونه من جهود فى مضمار الادب والثقافة لتشارك بقلمك فى اضاءة الطريق بمشعل الامل ونور المعرفة ، اسال الله القدير ان يوفقنا فى بناء مصر الغد ، مصر الجديدة بمجدها الخالد وحضارتها العريقة .

« مع اطيب تمنياتى بموفور الصحة ودوام التوفيق ..

● انور السادات ●

الملتقى الإسلامى بتلمسان

انا اليوم فى ارض الجزائر ام البطولات ... للمرة الثانية هذا العام .

المرة الاولى كانت فى « الجزائر » العاصمة ، فى اواخر ابريل الماضى ، للمشاركة فى مؤتمر الادباء ومهرجان الشعر .

اما هذه المرة ، فانا فى تلمسان ، الملقبة بزينة القرى ، للمشاركة فى الملتقى الاسلامى الذى ينعقد بها منذ اليوم حتى العاشر من هذا الشهر ، ويحتشد له علماء الاسلام فى كل فج عميق يتدارسون شئون دينهم ودنياهم ، ويضعون الخطط

الواجبة لبعث العالم الاسلامي تحقيقا لأحلام الفيلسوف الراحل عبد الرحمن الكواكبي ·

وسنفتقد هذه المرة عالما من اجل علماء الاسلام ، شارك معنا ، بل كان على رأسنا ، فى مثل هذا الملتقى بمدينة « تيزى اوزو » الجزائرية منذ عامين هو المغفور له الامام محمد ابو زهرة ·

كان رحمه الله صاحب ذاكرة لا تخطىء ، وحجة لا تغلب ، حتى لقد جعل له الاستاذ مولود قاسم ، وزير الشئون الدينية بالجزائر ، استثناء انفرد به · لقد كان الوقت المحدد لأى معقب على بحث من البحوث ، لا يتجاوز عشر دقائق ، الا الشيخ ابو زهرة ، فقد كان له ان يعقب ما شاء ان يعقب دون نظر للساعة ، ذلك لانه كان حجة الحجج فى الدين ، وكان فوق هذا خفيف الظل ، لا يمل الناس حديثه مهما اطال ·

وكان له صاحبان يجلسان ويسيران عن يمينه ويساره دائما ، هما الشيخان الجليلان الدكتور احمد الشرباصى ومحمد الغزالى ·

كنا نسميهما « اركانه حربه » ·

وكم من مرة فى سامر الليل ـ بعد انتهاء جلسات الملتقى ـ اوقعنا بينه وبينهما بالدعابة ، فكان يخلعهما من المنصب ، ثم لا يلبث ان يوليهما فى الصباح ···

وكان رحمه الله شجاعا ، لا يخشى فى الحق لومة لائم ، مما حمله على رفض مشيخة الازهر اكثر من مرة فى عهد ما قبل ثورة التصحيح ·

واذكر مرة ـ فى ذلك العهد ـ ان الدولة دعت فيلسوف الوجودية الفرنسى جان بول سارتر وصاحبته سيمون دى بوفوار لزيارة مصر ·

وتصادف ان عقد فى ذلك الوقت مؤتمر فكرى موسع بالقاهرة · فانتهز الامام ابوزهرة الفرصة ، ووقف يصرخ باعلى صوته فى وجه الوزير الذى يرأس المؤتمر : « كيف ابحتم لانفسكم فى دولة دينها الاسلام ، ان تدعو ـ على حساب الدولة ـ رجلا وخليلته ·· وباية صفة دعوتم هذه الخليلة وانفقتم عليها من أموال المسلمين ؟ »

وكانت هذه واحدة من المرات التى اعترضت تعيينه شيخا للأزهر !

المهرجان الإسلامي في لندن

ينعقد بمدينة لندن في ابريل القادم اكبر مؤتمر اسلامي ، خصص له اعتماد يتجاوز مليونا من الجنيهات الاسترلينية .

وسيشمل المهرجان خمسة عشر معرضا مستقلا لمختلف نواحي الثقافة الاسلامية ، تقام في عدد من الاروقة والمتاحف بلندن وغيرها من المدن البريطانية .

وسيستمر المهرجان ثلاثة اشهر ، ويشرف عليه مجلس الفنون البريطاني ، الذي تلقى مددا كبيرا من المال من مصر والسعودية وايران وغيرها من الدول الاسلامية والعربية لتحقيق الفكرة .

وستعرض خلال المهرجان ٢٥٠٠ قطعة من الفن الاسلامي ، استعيرت من مختلف المتاحف الاوربية والاسلامية. وسيشمل البرنامج عدة حفلات من الموسيقى العربية والاسلامية ، وتلقى عدة بحوث دينية ، وتعرض عدة كتب وافلام عن الاسلام واحداثه وآثاره في قاعة « البرت هول » وتقام بعض العروض الفولكلورية من الدول المشتركة في المهرجان .

وستكون من بين القطع المعروضة من الفن الاسلامي ، سجاجيد ومنمنمات وزخارف معدنية ومغربيات ومنسوجات ورسوم ومخطوطات واعمال فسيفسائية (موزاييك) .

والى هذا المهرجان رحلتنا في العام القادم ان شاء الله ...

اما الرحلة الى العاصمة المغربية ، التي كان مقررا ان تتم في الفترة بين ١٥ ابريل و ١٥ مايو الماضيين ، للمشاركة في المهرجان الكبير الذي يقام في « الرباط » بمناسبة مرور الف سنة على ميلاد الشاعر الاندلسي ابن زيدون ، فقد اجلت الى اكتوبر القادم باذن الله .

ملحمتان ... في أوراق موسوليني

هل كان الشاعر الامريكي ازرا باوند ، الذي مات في منفاه بمدينة فينسيا الايطالية في نوفمبر الماضي عن ٨٧ سنة ،

•

مجنونا حقا ... او ان السياسة تستطيع ان تصم اى انسان بالجنون ، حتى ولو كان أعقل العقلاء ؟

كان ازرا باوند يكره اليهود ويحب موسوليني ويؤمن بالفاشية ويبشر بها في شعره ، فاتهمته الحكومة الامريكية بالخيانة العظمى - خلال الحرب العالمية الثانية - ولكنها لم تقدمه للمحاكمة ، بل اكتفت بايداعه مستشفى الامراض العقلية بواشنطن ، على أساس أنه مجنون ... الى ان استشفع له الشاعر الامريكي الكبير روبرت فروست سنة ١٩٥٨ ، فافرج عنه ، على ان يرحل عن البلاد ... فاختار باوند ايطاليا وطنا له ..

وقد نظم باوند - على مدى ثلاثين سنة - ١٠٦ ملاحم شعرية ، اختفت منها اثنتان ، ولكن المؤرخ الامريكي دويليو صمويل اهتدى اليها اخيرا بين مجموعة من اوراق موسوليني استولت عليها السلطات الامريكية في نهاية الحرب العالمية الثانية .

ويقول المؤرخ صمويل - وهو الآخر من المعجبين بموسوليني وقد وضع عنه نحو عشرين كتابا - ان باوند نظم هاتين الملحمتين بالايطالية ، وبعث بهما الى موسوليني في السنوات القليلة السابقة لنهاية الحرب ، يمجد فيهما الفاشية ، ويلعن الديموقراطية والصهيونية والنظم المالية التى اشترعها اليهود المرابون .

وقصيدة ضائعة .. لرامي

وما دمنا نتحدث عن الشعر الضائع ، اقول انني عثرت بين اضابيري القديمة منذ ايام على ابيات جميلة لاحمد رامي ، نظمها في جلسة عاطفية اذ نحن بدمشق الفيحاء سنة ١٩٦٠

تقول الابيات ، وعنوانها « الى روضة » :

يا روضة على زهرها
عند طلوع الفجر دمع الندى
لما شدا الطير على غصنه

وردد الالحان رجع الصـــدى
مالت مع النســـمة هفافة
تطرب نور الفجـــر لنا بيا
لا ترســلى الدمع على فائت
هذا هو الصبــيح يحيى غدا
اهــدى الغاريدى الى روضة
ارســلت فيها ناظرى يجتلى
فاصــبحت روحى فى نشـوة
ترف كالظــل على الجـدول
ناجيــت آمالى ، وما دار فى
وهمى انى بالـــغ تأملى
حتى اذا اشـتد بروحى الظما
وطال بى الشــوق الى المنهل
سمعت فى صدرى نداء الهوى
يا قلب هذا وردها ••• فانهل

وأخرى ... لفضل إسماعيل

وبين تلك الاضابير ••• عثرت على ابيات لشــاعر السـويس الراحل محمد فضل اسماعيل ••• بعث بها الى فى ٨ ـ ٢ ـ ١٩٦٢ يدعونى الى تلاوة بعض شـــعرى فى قصر الثقافة بالسويس :

اذا اتجهت الى بحر فخذ معكا
شصـــا وقارب صيد واحمل الشبكا
واذكر اخاك ولا تبخل على فمه
بما ملأت به من لؤلؤ فمــكا
فالبحـر كالبر فيه الظلم منتشر
فالضعيف اتجه وامهد له بركا
فقد عرفتك معوانا وداعيــــة
للاشتراك ، ونبراسا لمن سلكا

اســـكندرية ان غنيت شاطئها
حينا وارقصت فيها النجم والفلكا
فللســـويس نداء ان اخذت به
فسوف نطعمكم من بحرها السمكا
لقد دعتني ، فادعوكم لدعوتهـا
بالأمر ، مادمت فيها الآن مشتركا
ان كان للشعر شيطان يصـــوره
فصالح شاعر الغيه ملكـــا

رحم الله فضلا ، فقد كان خفيف الظل ، مجاملا لاخوانه ، وليت السويس ، وقد عاد اليها مجدها · تذكره ولو بتمثـــال نصفى فى قصر الثقافة ·

وثالـــثـــة .. لنـــاجى


د . ابراهيم ناجى

تلقينا من القارىء الكريم السيد مصطفى يعقوب عبد النبى البيولوجى بالهيئة العامة للمساحة الجيولوجية ، هذه الابيات التى عثر عليها بالجزء الخامس ـ مجلد ٩٣ من مجلة «المقتطف» بتاريخ أول ديسمبر سنة ١٩٣٨ بعنوان « بعد الشباب » للمرحوم الدكتور ابراهيم ناجى ، ولم ترد فى ديوانه الشامل الذى نشرته وزارة الثقافة سنة ١٩٦١ :

ذهب الشـــباب فجئت بعد ذهابه
تزكين ســـنا اطفـــاته بيديك
انى لتلفحنى النســـائم كلما
حملتهـــا حرق الشـــوق اليك
القى لها وجيــــبا على خديك
وارى لها جمـــرا على شفتيك
لاتنعفى نظـــرا اليك فوالذى
جعل الهــــوى قدرا على كفيك
ما تلتقى عينى بعينك لحظــــة
الا رايت صـــباى فى عينيك

محمد هارون الحلو

وجدت بين بريدى عقب عودتى من الجزائر هذه الرسالة الحزينة :

● تحية طيبة ، وبعد ، تتشرف أسرة الراحل الشاعر محمد هارون الحلو أن تخبر سيادتكم بنبأ وفاته يوم ٧ مايو سنة ١٩٧٥ . وذلك بعد أن اكتشفنا فى أوراقه الخاصة بعد وفاته بفترة ، مايفيد بضرورة أخبار سيادتكم بذلك .

أسرة الفقيد

– رحم الله هارون ، فقد زاملنى بضع سنوات ، حين كنت مراقبا للبرامج الثقافية بالاذاعة ، وكان هو ، مع زميليه الاستاذين عبد الغنى سلام وسليمان النكي – الذى لقى وجه ربه منذ شهور قريبة – مشرفين على الشئون الدينية بالاذاعة .

وهارون من خريجى دار العلوم ، وهو من تلاميذ المدرسة العتيدة ، مدرسة الشعراء الفقهاء ، محمد عبد المطلب ومحمد الاسمر وعلى الجندى واضرابهم .

وكان رحمه الله مكثرا فى الشعر ، نظم فى حياته اكثر من ثلاثين الف بيت ، اكثرها فى المناسبات كالرثاء والمجاملات والاخوانيات والاغراض الدينية ، وله ديوان ضخم يضم اكثر منظوماته .

وكان هارون دمث الاخلاق ، جادا فى حياته وعمله ، لايحب الدعابة ولا يطيق المزاح ، ولهذا خفت صلته بالمجتمع ، فكان مجتمعه الاساسى هو البيت والاسرة .

وقد رحل عن الدنيا وهو فى نحو الستين ، دون ان يأخذ نصيبه منها ، عوضه الله عنها خيرا فى الآخرة ..

قرأت هذا الشهر

● قضايا ومسائل فى الادب والفن (الهيئة العامة للكتاب)
مجموعة نقدات نابضة فى الادب والفن ، بقلم الناقد الحصيف على شلش تتناول موليير وسارتر وميخائيل نعيمة وعلى محمود طه وغيرهم من اعلام الادب والفن فى مختلف فجاج العالم .

● لا تولد قبيحا (مكتبة مدبولى)
صورة نفسية فريدة ، بقلم انسان يفيض شاعرية وحساسية هو الاستاذ رجاء عليش ، الذى يقول فى المقدمة ، كرهت القبح كما لم يكرهه انسان فى العالم ، لانى عرفته كما لم يعرفه انسان فى العالم : صداقات محطمة ، امال منهارة ، هروب دائم وفظيع من وجه قوى شيطانية رهيبة تطاردنى .

● ظواهر الخروج من الجسد . ادلتها ودلالاتها
(دار الفكر العربى)
هذا كتاب جديد من الكتب التى تخوض بك فى عالم الروحانيات المجهول ، للرائد الروحى الجهير الدكتور رءوف عبيد وكيل كلية الحقوق بجامعة عين شمس .

● انيس منصور . آه منه واه عليه (مطابع سجل العرب).
كتاب حافل بالادب والطرافة وخفة الظل ، يتناول فيه المؤلف ، الشاعر والاديب اليمنى الكبير عبد الله بن يحيى العلوى ، شخصية زميلنا العزيز انيس منصور ، بدعابات ممتعة من الشعر والنثر .

● انا روح شاعرة (الهيئة العامة للكتاب).
ديوان رقيق للشاعرة الرقيقة نجاة شاور رجيع ، فيه وطنيات ووجدانيات وانسانيات خفاقة .

● عودة الفيضان (مطبعة السنة المحمدية)
مجموعة قصائد تؤلف ملحمة عاطفية زاخرة بالعاطفة ، والموسيقى ، للشاعر السعودى المطبوع عبد السلام هاشم حافظ .

● المسحوق السحرى (مكتبة الانجلو المصرية)
مجموعة مسرحيات قصيرة هادفة حافلة بالنقد والتوجيه وخفة الروح ، للقصصى اللامع غبريال وهبه .

● ص . ج ●



هدية العدد

صورة الشاعر

علي محمود طه

● ولد في مدينة المنصورة في اغسطس عام ١٩٠١ لاسرة عريبة عريقة كانت تشتغل بالتجارة وتعلم في الكتاب حيث حفظ القرآن فيه، ثم في المدرسة الابتدائية بالمنصورة ، ثم «الفنون التطبيقية» بالقاهرة، فتخرج فيها عام ١٩٢٤ ، عين بعدها « مساعد مهندس معماري » في هندسة المباني بالمنصورة .

● بعد استيعابه لروائع الشعر العربي والفرنسي بدأ يترنم بقول الشعر منذ سن باكرة وقد استهوته الغنائية في الشعر وبدأ يراسل صحف ومجلات القاهرة وهو مايزال تلميذا في المرحلة الابتدائية . فنشرت له أول قصيدة عام ١٩١٨ بجريدة « السفور » .

● التقى شمل شعراء أربعة في مدينة المنصورة في حقبة واحدة (١٩٢٧ ـ ١٩٣١) وهم : علي محمود طه ، وناجي ، وصالح جودت ، والهمشري حيث كونوا مدرسة لهـا منابع ثقافية واحدة وسمات متقاربة في اللفظ والاسلوب والصورة .

● في عام ١٩٣١ عمل موظفا في وزارة التجارة والصناعة بالقاهرة .

● أصدر ديوانه الاول « الملاح التائه » عام ١٩٣٤ حيث غلبت عليه الروح الرومانسية القلقة بالحزن والاسى والقلق والحيرة ، فأحدث صدوره صدى طيبا في الاوساط الادبية واستقبله الادباء والنقاد بحفاوة بالغة وكتب عنه الدكتور طه حسين فصلا نقديا اثنى فيه على شاعريته وفنه .

● بعد صدور هذا الديوان نشر « الملاح التائه » شراعه ومضى في رحلة طويلة زار خلالها اوربا كانت بمثابة نقطة تحول في حياته وفنه وانتهاء لمرحلة الرومانسية الحزينة القلقة . ونشر بعد عودته ديوانه « ليالي الملاح التائه » الذي تغنى فيه بطبيعة اوربا ومجاليها ومفاتنها فأبدع قصائد في عيد الكرنفال في فينيسيا وخمرة نهر الراين . وقد اتسعت شهرته بعد أن غنيت قصيدته « الجندول » .

● صدرت له سبعة دواوين هي : الملاح التائه ، ليالي الملاح التائه ، زهر وخمر ، أغنية الرياح الاربع ، ارواح واشباح ، الشوق العائد ، شرق وغرب وله كتاب نثري بعنوان « أرواح شاردة » .

● توفي في ١٧ نوفمبر عام ١٩٤٩ عن ثمانية وأربعين عاما ودفن في مسقط رأسه بمدينة المنصورة .

● صدرت عنه دراسات كثيرة وعملت عنه عدة رسائل جامعية ..

رسالة من

إبراهيم المصري

إلى الشاعر

صالح جودت

●... اهديتنى ، يا اخى العزيز ، ديوانك الجديد « الله والنيل والحب » . ولقد احسست وانا فى رحلتى مع ديوانك احساس من يستقل زورقا يجرى به فوق نهر تنساب مياهه فى دعة ولين وفى تمهل محبب يتيح له ان يشهد على الشاطئين كل ما يحفلان به من مفاتن استوحيتها انت الشاعر اجمل واعمق ما يمكن ان تقدمه الى وجداننا الظامىء من رؤى واخيلة واحلام ...●

ولقد أمضيت أنا أوقاتا جد ممتعة مع ديوانك هذا ، فكان بلسما لروحي المتعب وراحة لعقلي المكدود . فحملني على أجنحة خيالك الى حيث الجمال الخالص ، والمشاعر الصافية ، والحياة الحرة الزاخرة بأروع الانفعالات .

والديوان في الحق واحة لا نكاد نتجول فيها حتى تأخذنا منها ظلالها الوارفة ، وأفنانها الزاهرة ، وثمارها اليانعة ، فنقف حيالها مفتونين ، ولا نستطيع الا أن نسلم بأن الروح التي ابتدعتها هي روح شاعر فذ وفنان أصيل .

ان أول ما يلقاه القارىء من هذا الديوان الفريد هو تلك « الثلاثية المقدسة » المشهورة التي طالما صدحت بأبياتها لقيثارة الغناء العربي أم كلثوم ، والتي يرتفع فيها الشاعر الى عالم علوي فيه الايمان الكامل ، والصفاء الغامر ، واللهفة الوجدانية المتطلعة الى فسحات النور والطهر ، والمقترنة بالدعوة الحارة الى القوة والجهاد ، فيقول مخاطبا الكعبة بيت الله الحرام :

رحاب الهدى يامنار الضياء
سمعتك في ساعة من صفاء
تقول : أنا البيت ظل الاله
وركن الخليل ابى الانبياء
أنا البيت ، قبلتكم للصلاة
أنا البيت ، كعبتكم للرجاء
فضموا القلوب وولوا الوجوه
الى شرق النور عند الدعاء
وسيروا الى هدف واحد
وقوموا الى دعوة للبناء
يزكي بها الله ايمانكم
ويرفع هاماتكم للسماء

❊❊❊

ثم يطلق الشاعر هذه الابيات المدوية يستنهض بها عزائم أمته ، ويذكرها بماضيها المجيد ، ويحثها على التفوق والاستعلاء :

أمة علمها حب السماء
كيف تبني ، ثم تعلو بالبناء
سادت الايام لما آمنت
أن بالقوة يسمو الاقوياء
فاذا استشهد منهم بطل
كانت الجنة وعد الشهداء

❊❊❊

ثم تتقد في صدر الشاعر دعوة الوجدان والقلب ، فيتحول بنا الى الدنيا ، فتخلبه عاطفة الحب فيصور لنا ما تحركه هذه العاطفة في نفسه من مشاعر وخلجات ، ترق تارة وتعنف أخرى ، حائمة حول الجمال ، نزاعة الى احتضانه ، مازجة بينه وبين أصل الانسان ، عاجزة عن تذوق طعم الحياة الا به ، فيهتف :

رسالة من
إبراهيم المصري
إلى الشاعر
صالح جودت

لا تلوميني لافكاري الجريئه
اول القصة في الارض الخطيئة
لا ابونا ادم عف ، ولا
امنا كانت من الذنب بريئه
عصرا في دمنا تفاحة
ما لنا فيما تلاقيه مشيئه
هي في كل ذهاب نغم
ولها ترنيمة في كل جيئه

بيد أنه وهو يصطدم بالمرأة لايستطيع الا أن يبهت ويرتاع. فيحدق فيها ويتأملها ـ فيهوله تلونها ، ويضنيه تقلبها ، ويعجب كيف أن الحاضر هو كل شيء في نظرها ، وأن قرب الحبيب هو وحده الذى ينعشها، وبعده يكربها ويضجرها ، بل وينسيها ذلك الذى كان بالامس غايتها وقبلتها. فيرسل هذه الابيات الحزينة الشاكية المرة :

يا قلب لاتحفل بها . واكتب نهاية حبها
لا ، لاتصدقها وان حلفت بعزة ربها
ان التى احببتها يا قلب ، عبدة كذبها
وهى التى لاتحتوى قلبا ، تحب بقلبها؟
اقما ترى شرك الخديعة فى مظلة هدبها
وعيونها المتلونات بغدرها وبريبها
تعطيك اجمل مااشتهيت اذا ظللت بقربها
فاذا نايت هنيهة ، لعب الهوان بلبها
ومضت الى الجار القريب فكانته بثوبها!

❋❋❋

وهنا نلمس توافقا عجيبا بين روح صالح جودت ومنزعه ، وروح ومنزع الشاعر الفرنسى الذائع الصيت « بول جيرالدى » فى ديوانه المشهور « انت وانا » . فكلاهما عرف المرأة ، وكلاهما فطن الى طبيعتها ، وأماط اللثام عن تلك الطبيعة فى شعر تمتزج فيه الرقة والعذوبة بالاسى العميق والعجز المرير عن فهم الغوامض والاسرار التى تكتنف شخصية الانثى ، والتى حيرت ولاتزال تحير الرجل عندما يعشقها ويهيم بها .

ونرى هذا المنزع اكثر وضوحا وابلغ فى مصريته تاثيرا ، يتجلى فى هذه الابيات التى يضطرم فيها عنف الحب وعذاب الشك والغيرة اضطراما يقترن فيه خداع النفس اللذيذ بالثقة القريرة فى عودة الحبيب :

كم خاطر محير يذهب بى مذهبه
يظل يستجوبنى الليل واستجوبه

وفى الصباح أسمع الصوت الذى أرقبه
فيتلقى لى كلمات الحب .. ومن دابة
فيذهب الشك الذى عانيت، أغلبه
وأنثنى أقول: هل يخون؟ لا أحسبه
والله يكون كاذبا ... لكننى أحبه
فحبه ... أن الحبيب كم يلذ كذبه
ما دام قد عاد .. فقد عاد الى قلبه!

وفى هذه المقطوعة أيضا يصور لنا الشاعر بنفس الرقة والنعومة والروح المصرية العذبة ، مشهد حسناء تتهادى على شاطىء البحر فى الصيف ، مزهوة بنفسها ، مفتونة بمحاسنها ، تنهبها أبصار الرجال ، فتضطرب وتتعثر على الرغم منها ، فيضاعف اضطرابها من لهفة الرجال عليها ، فيزيدها دلالا واعتدادا وكبرا فيقول :

يا دمية تتهــــادى
وفتنة تتبخطـــر
الصيف والرمل والبحر
... والنسيم المعطر
وشعرك الذهب الطيف
... مائجا يتبعثر
الى أغار من الشمس
... حينما تتخطــر
تجرى عليك بسحر
حلو السلافة أسمر
وأنت تمشى الهوينى
تخــاف أن تتعثر
ولا تبالى قلوبــا
على طريقــك تنثر
يا أكبر الناس حسنا
لا تطغ .. فالله أكبر!

***

ويظل الشاعر يتنقل بين ألوان الجمـــال ، وتتعدد صلاته بعرائس شعره ، ويعانى الكثير من أقبـــالهن وصدهن ، ومما طبعت عليه المرأة من حب للمرح والحياة قد يغلب فى نفسها على الهوى الصادق وما يكلف أصحابه من تضحيات . فيبرح به هذا الطواف فيتصور امرأة خيالية مثالية لم يعرفها قبله رجل ، ولم تشبها شائبة من مكر أو دهاء . فيهيم بها هيام الفنان برائعة هو الذى أبدعها . وبات يتعبدها ، ويرى فيها أجمل وأكمل امرأة . فينشد :

ما أنت الا امرأة فى الخيـــال
رأيتهـــا بالقلب رؤيــا المثال
مشتهاى أن تحيا بفكرى .. ولا
تخطر فى الدنيا لغيرى ببـــال
ومـــا أنانى أنا ... انمـــا
أخشى عليها من قلوب الرجـــال

رسالة من
إبراهيم المصري
إلى الشاعر
صالح جودت

غير أن الشاعر مهما فر من الواقع ، ولاذ بدنيا الخيال ، واعتقد أن فى الحب الخيالي راحة له وسلوى، فهو لا يمكن أن يكتفي بالخيال وحده، ولابد أن يرتد الى المرأة واقعا محسوسا ، وجمالا نابضا ، والهاما حيا ، وشعلة تلهب منه الفكر والقلب والروح .

وهكذا بعد أن فر صالح جودت من الواقع الى الخيال لم يسعه الا أن يرتد من الخيال الى الواقع ، ويطلب المرأة ذاتها ولو فى وقدة الالم وحمى العذاب ، فيناجيها متضرعا ويصرخ :

يا ملاكي ، نشر الليل غلالات الظلام
فافتحي قلبك للأحلام والنجوى ونامي
واتركيني فى اشتياقي واحتراقي ياغرامي
جئت استشفي من الحب، فضاعفت سقامي
ياملاكي، سامحي طيشي، ورقي لجنوني
واغفري الماضي ومايوحيه من سود الظنون
وارحمي ضعفي اذا ماشئت الا ترحميني
هل ترين اليوم الاك خيالا في عيوني

***

يا ملاكي ، انا من احببت في الحب عذابي
ونثرت الغزل المشبوب في كل الروابي
وبنار الشوق واللهفة احرقت شبابي
انقذي روحي من النار ، وفوزي بالثواب !

***

ولكن هل حب المرأة وحده يمكن أن ينقع غلة صالح جودت ، ويستغرق عواطفه وفكره وحواسه ، ويصرفه عن التطلع الى الحياة الكبرى؟ انمشاعره التي تتفتح على المرأة لتتفتح ايضا على الوجود كله ، ولاسيما على وطنه الاثير ، على بلاده العزيزة ، على مصر الغالية التي يحمل لها بين جوانحه حبا يكاد يعلو على كل حب ، والتي اشاد بها في ديوانه « الحان مصرية »، ويشيد بها أيضا في قصائد شتى من هذا الديوان .

فاستمع اليه يتغنى بالقاهرة عاصمة بلاده ويمجدها فى هذه الابيات الرائعة:

صلاة على أرضك الطاهره
سلام على روحك الشاعره
وحب مدى الدهر ياقاهره

***

سلام على ليلك المؤنس
سلام على الورد والنرجس

اذا انقض الفجر لا تياس
وان عبس الدهر لا تعبس

***

جلالك يصنع نور الصباح
وحقك يعلو ولا يستباح
فكم من غوى اتى ثم راح
وكم من عتى طوته الرياح
ولا زلت من الف عام
منار الهدى والسلام
ستزجيع ايامك الزاهره
وتعلو بتودك يا قاهره

***

وتفيض بالشاعر عواطفه الوطنية كما تفيض مياه النهر الخالد على ارض مصر . فيمجد النيل ايضا ، هبة الله لوطنه ، ويراه رمزا للحب والكرامة والبطولة والحياة فيقول :

يا نيل يا هدية الاله
يا نغمبا كانه صلاه
يا قبلة الحب على الشفاه
يا حياة تسعد الحياه

***

سيكتب الله لك السلامه
فسلطانك الحب والكرامه
وانت مهد المجد والشهامه
وانت للحرية المثل
يحمى حماك شعبك البطل

***

والان وبعد ان انتقيت هذه الروائع من ديوان صالح جودت «الله والنيل والحب» ووقفت منها موقف من يخاطب احد قرائها ، ويحاول ان يكشف له عما فيها من طرافة وجمال ، اتجه اليك انت ايها الاخ العزيز صاحب الديوان ، واقول ان تلك الروائع هى صور حية تعكس لنا ابرز خصائص شاعريتك ، من رقة فى العاطفة ، واصالة فى الحس ، واتقاد فى الخيال ، واشراق فى العبارة ونفاذ فى النظرة الى المرأة والحب . هذا الى عاطفة وطنية متاججة ومشتعلة، تضرم فى نفوسنا حب مصر ، وتجعل من هذا الحب المقدس دينا فى اعناقنا . تحثنا انت الشاعر الملهم على ان نؤديه بكل ما فينا من نزاهة فى القصد ، وارادة فى العمل ، وعزم على الكفاح، وتاهب دائم للبذل والتضحية .
فتقبل خالص اعجابى وحبى ، واسلم ودم لاخيك ....

ابراهيم المصرى

قيثارة الشعر

حسن كامل
الصيرفي



أريدُ أن أسمعَ شِعرى وهو يَروى من فَمِك
أريدهُ مُسْتَطرا .. مُطــــرزا بقَلَمِكْ ..
كأننى استَوْحيتُهُ فى رقةٍ من كَلِمِــــك
أسمعهُ مُوقّعــا أغنيةً من نَغَمِكْ . .

***

أريد أن أســمعَهُ مُرتّلا برقّتِــــكْ
كأنه إشراقةٌ مطــلةٌ من بسْــــمتكْ
كأنه فى فرْحِهِ مُستلهَمٌ من ضِــحكتِكْ
كأنهُ فى حزْنِه مُطهَّـــرٌ بدمْعَتِكْ . .

***

أريدُ أن أســمعهُ : هَمْسَ النسيمِ للزهر
أريدُ أن أسمعه : وحْىَ الفــؤاد للوتر
أريد أن أسمعهُ : خَفْقَ النجوم فى السَّحَرْ
أسمعه فارْتقى إلى العــوالمِ الأخرْ . . .

***

أريدُ أن أســمعه ، وقد شَدَاه بُلْبُـــلْ
كأنهُ من الســـماء فى الصــباحِ مُنزَلْ
كأنه فى مسمَعى من الجِنان مُقبــــلْ
ترنيمةٌ . ترتيــلة . . تسـبيحة ، تأمــلْ

صفحة من التراث

جار الله تاج الإسلام الزمخشري

صاحب (الكشاف عن حقائق التنزيل)

في مثل هذه الايام ، منذ تسعمائة عام ، ولد محمود بن عمر بن محمد ابن عمر الخوارزمي الزمخشري صاحب التاليف الزاهرة والتصانيف الفائقة ، والامام الكبير في علوم الحديث والتفسير والنحو واللغة والمعاني والبيان ..

كان الزمخشري أحد أئمة عصره ، تشد اليه الرحال من كل مكان ... وقد أخذ الادب عن شيخه منصور ابي مضر ورحل الى بلاد كثيرة وخاصة الى مكة المكرمة حيث قضى زمنا ، فصار يقال له « جار الله ».

ولد الزمخشري بزمخشر وهي قرية كبيرة من قرى خوارزم ، وتوفي بجرجانية خوارزم بعد رجوعه من مكة

وقد احب الزمخشري العربية وتبحر فيها وكتب في نحوها وصرفها ، واستن سنة جديدة في وضع المعاجم اللغوية تلتزم الترتيب الابجدي التزاما كليا ...

كما صنف الزمخشري التصانيف البديعة ، ومنها كتاب (الكشاف عن حقائق التنزيل) الذي يقع في جزءين كبيرين في تفسير القرآن ، وقد صادف نجاحا وتقديرا كبيرا ، ويعتبر اثره الخالد حيث أودع فيه من رموز كنوز المعاني ، ما لم تطمح عين بصيرة نحو مرماه ، في عبارات احكم نسجها من البراعة حتى صارت امثالا وشواهد ..

وغير هذا الكتاب وضع الزمخشري مؤلفات كثيرة ، منها (أساس البلاغة في اللغة) ولم يبلغ كتاب قبله في التمييز مبلغه .. وكذلك كتاب (شافي العي من كلام الشافعي) ، و (المفصل في النحو) ، و (شقائق النعمان في حقائق النعمان) ، و (البدور السائرة في الامثال السائرة) ...

وقد أنشد الزمخشري الشعر ، ومن شعره يرثي شيخه أبا مضر الذي تلقى عنه الادب والعلم :

وقائلة ما هذه الدرر التي تساقط من عينيك سمطين سمطين
فقلت هو الدر الذي كان قد حشا ابو مضر اذني تساقط من عيني !

ومما أنشد لغيره في كتابه الكشاف عند تفسير قوله تعالى في سورة البقرة :(ان الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها) :

يا من يرى مد البعوض جناحها في ظلمة الليل البهيم الاليل
ويرى عروق نياطها في نحرها والمخ في تلك العظام النحل
اغفر لعبد تاب عن فرطاته ما كان منه في الزمان الاول

وقيل ان الزمخشري اوصى أن تكتب على لوح قبره هذه الأبيات ..

أحمد سيد محمد

العقاد والمرأة

كانت المرأة ، ولا تزال ، وستظل محورا جذابا لاحاديث المفكرين والادباء · ما بقيت على الارض فكر تتصارع ، واحاسيس تجيش في الصدور ، فتجد من الفنون الجميلة مرايا تنعكس على صفحاتها من خلال وسائل التعبير الفنية المختلفة ·

وكثيرا ما يختصم المفكرون حول المرأة ، لان حديثهم عنها يصطبغ بلون نظرتهم الشاملة للحياة ، وفلسفتهم الكاملة للمجتمع ، فهم يرتبطون دائما – في مواقفهم منها – بقيم مذاهبهم المتعددة التي يدينون بها ويروجون لها ·

والادباء – ايضا – يختلفون في مواقفهم من المرأة ، وان استمدوا جميعا من وحيها نسيج ابداعهم الفني ، لكنهم يبدون متعاطفين معها راضين عنها ، شاكرين ودها حينا ، وحانقين ساخطين احيانا ·

والعقاد مفكر حر ، واديب حساس يرتبط بعرى وثيقة من هاتين الصفتين بالمرأة ·

فهو يدين بالحرية التي استمدها من معايشته الصادقة لوجدان امته ، وتأمله الثاقب خصائص بيئتها ، ومقومات شخصيتها المنحدرة من اغوار التاريخ والمتطلعة الى آفاق الغد البعيد ، وقد جند حياته للدفاع عن تلك العقيدة · فقاد اباطيل الزاعمين التقدمية ، وسفه احلام المتزمتين المستمسكين بخرق بالية من الثواب الرجعية وكان للمرأة – من ذلك كله – نصيب موفور ·

واحب العقاد اكثر من امرأة ، وعبر عن احاسيسه في تلك التجارب ، فاصبحت احاديثه عنها مفكرا ومجربا ، نظرية متكاملة الابعاد ·

● علاقاته العاطفية ●

عاش العقاد حياة خصبة عامرة بالكفاح الطويل الشاق في الميادين السياسية والاجتماعية والثقافية ، وكان يؤمن بأن الحب بالنسبة للرجل رياضة فراغ وسكن من جهاد ، وانه نزوة خيال لا حقيقة لوجوده ، وانه



لاغرابة من تجاور حبيبين فى قلب واحد بشرط اختلافهما فى النوع أو الدرجة ، فكان طبيعيا أن تتعـــدد علاقاته العاطفية فى أطوار عمـــره المختلفة .

وقد حاول بعض دارسيه تحديد عدد اللاتى كانت له علاقات عاطفية بهن ، فذكر الاستاذ «طاهر الجبلاوى» خمسة نماذج ، وعدد الدكتور «عبد الحى دياب» أربع نسوة هن : «سارة – مى زيادة – الصلبة – الممثلة »، وأصبح الاستاذ « أنيس منصور » عن ثلاث هن : «سارة » – مى زيادة – مديحة ».

والذى يتأمل ما كتبه العقـــاد فى شعره ونثره يستطيع تحديد تجربتين عاطفيتين محددتى المعالم الى جوارهما عدة تجارب تختلف قوة وضعفا فى الافصاح عن سمات امرأة معينة .

وكانت أولى التجربتين مع الاديبة « مى » التى رمز العقـــاد لها فى قصته الوحيدة وفى شعره بـ « هند »:

وله الحب لنا عاش الوليـــد — وحماه الله من كيد الحسود
وبدا فى مهده بل عرشـــــه — ضاحكا يأمر فينا ويســـود
« هند » ماترضعه ؟ ترضـــعه — بالقاويق حيـــاة لا تبيـــد

ولم تكن علاقته بهند لتمنع حب غيرها ، فقد تنـــاولا من الحب ما يتناوله العاشقان على مسرح التمثيل، ولا يزيدان ، وكان يغازلها فتومىء اليه باصبعها كالمنذرة المتوعدة، فاذا نظر لعينيها لايدرى أتســـتزيده أم تنهاه ؟!.. وكانت تعرف أن صاحبها يعرف غيرها من النساء لكنها لاتهتم بذلك ما لم تتميز واحـــدة منهن ، فلما علمت بقصته مع « ســـارة » كانت القطيعة ...

أما التجـــربة الثانية فكانت مع سيدة لبنانية الاصل عاشـــت مع أسرتها فى القاهـــرة ، وهى التى استعار لها العقاد اسم « سارة »

العقـــاد والمـــرأة

ولم تكن سارة – على حد تعبيره – « أجمل امرأة فى عالم النساء ، ولكنها – فى أدق تعبير – حزمة من أعصاب تسمى امرأة ، وهيهات أن تسمى شيئاً آخر غير امرأة ، استغرقتها الانوثة فليس فيها غير الانوثة، ولعلها انثى ونصف انثى.. لانها اكثر من امرأة واحدة فى فضائل الجنس وعيوبه » ...

واستطاعت سارة أن تستولي – حينا – على قلب صاحبها فغمرته بفيض زاخر من مشاعر الحب السخية المتناقضة :

وحياة بين روض وغدير ... وحياة بين ألفاف كتاب
هذه أو تلك يحسوها العبير ... ويروى سرحها ماء الشباب
لا ظلام الليل يخشيه ولا ... لفحة القيظ ولا اليوم المطير
فى دلال منك موفور الحلى ... وكلال منك كالظبى البهير

●●●

فليالات كل يوم وخصام ... جائر الحكم كثير العلل
ترتمى فيه بأهوال جسام ... بين سخرى المنى والقبل

●●●

وعلى توقيع انغام الرجاء ... تبعث القلبين حبا وخصاما
عبث الطفلين فى مهد الصفاء ... كلما راعتهما الضجة ناما

شرب العقاد من كأس الحب حتى ثمل، وكلما أوشك أن يفيض شرابه اكتمل ، ولم يزل فى سكرة النعيم حتى افاق على لذعة الشك فى سلوك صاحبته .

والحب مزرعة ينبت فيها الوهم ومدينة تستوطنها الشكوك ، فاخذت تنغص حياته أيما تنغيص ، ولقد كانت شكوكا مرة « لا تغسل مرارتها كل انهار الارض وكل حلاوات الحياة، كانت كأنها جدران سجن مظلم ينطبق رويدا رويدا ولا يزال ينطبق وينطبق حتى لا متنفس ولا مهرب ولا قرار »، وكان يصور مشاعره ازاء تلك الاحاسيس بقوله :

انى لفى الحى بقربك كالذى ... يحنو على ولد مريب المولد
ابدا يغص بقربه وببعده ... ما بين عطف اب وجفوة مبعد

ثم طلب من صديقه الاستاذ « طاهر الجبلاوى » ان يراقب سارة ويطلعه على سلوكها ، فأكد له فكرة خيانتها، وان كان الاستاذ الجبلاوى قد اخبرنى – بعد وفاة العقاد – انه لم ير من سلوكها ما يقطع الشك باليقين لكنه قوى هذا الاعتقاد لدى صديقه حتى تزول الغاشية التى كانت تستولى عليه ، فودعها العقاد وكأنه يتنفس الصعداء قائلا :

مضى الشك منحوما وما كان ماضيا ... فليتك تنضى عن قميصك راضيا
وجل عن الصديق الله هاجر ... والله مهجور والا تلاقيا

وظل بعدها فترة يعانى رجعات الداء ويستلهم الصبر والسلوان :

مهلا على الصبر مهلا ... ما كان رزؤك سهلا
ما هكذا الحب يسلو ... او هكذا الحب يسلى
لا بل عذاب طويل ... والويل يتبع ويلا

والتجربتان السابقتان هما المحك الذى ينبغى ان يدور حوله الكلام عن طبيعة حب العقاد لانهما تعكسان صدق احساسه فى التعبير عن عواطفه وان كان له فى غيرهما من التجارب قصائد تفوح منها رائحة الجنس البين ، وافكار عن تصور الحب يسمو فيها الى اعلى مراتب العفة ٠

وقد اتهم العقاد بانه لم يعرف الحب الا جنسا فحسب ٠

فالاستاذ رمزى مفتاح يزعم انحب العقاد يقاسبمقياس الشهوةوالحرمان لا فرق عنده بين هذه وتلك ، وانه لموقف الشهوات الدنيا لا تريد الا ريا ٠

والاستاذ « انيس منصور » يرى ان من يقرأ ما قاله او نظمه العقاد عن « سارة » يجد ان سارة ليستحبا كبيرا وانما هى رغبته الكبيرة، جنسا فقط، وعلاقته مع امراة مؤكدة يحاكى كل بنات جنسها ٠ ومن المؤكد ان استاذنا العظيم قد لمس وتلمس ، وانه لم يحترم المراة ولا احبها ٠ فهل حقا لم يحب العقاد ؟وهل حقا ان حبه جنس وشهوة فحسب ؟

لقد تعودنا ان نحكم على عاطفة الحب بمقياسين هما العفة ، او الجنس ، وكلاهما – فى رأيى –اجدر الا يسمى حبا ، وانما نسمى احدهما بالحرمان والثانى بالشهوة ، لان الخيط الذى يفصل بين بواعث الحب والجنس فى النفس الانسانية خيط رقيق ، وان كان الفصل فى السلوك ممكنا ٠

ولعل تبادل التعبير عن الامرين فى بعض اللغات الحية يشير الى الصلة الوثيقة بينهما ، فاللغة الانجليزية تعبر عن الحب بكلمة Love وعن الجنس بعبارة Make love واللغة الفرنسية عن الحب بكلمة Amour وعن الجنس بعبارة Faire l'amour

ونحن لاندرك حقيقة الحبباعتباره عاطفة نفسية بين الجنسين الاعندما تنضج مشاعرنا الجنسية ولاتحتدم ثورة الحب الا فى الفترة التىتحتدم فيها ثورة الجنس فى عمرنا ٠

والمحبون العذريون او العروضيون،لم يخل احساسهم بالحب من الجنس فحب العقاد على اساس هذه النظرة حب طبيعى ، لاهو بحب العروضيين ولا بحب الشهوانيين ٠

ولقد فرقالعقاد بين الحبباعتباره علاقة نفسية وبين الرغبة التى تنقضى بانقضاء المطلب ، وهو القائل لسارة :

« انا الرجل الذى يعرف لك كرامة غير كرامة الجسد » ٠٠

● تصور طبيعة المراة ●

اهتم العقاد بدراسة المراة من الناحيتين الجسمية والنفسية ، وبنى كثيرا من ارائه فى خصائصها النفسية على اساس تصوره طبيعتها الجسمية ٠

واهم ما يميزها جسميا – فى نظر العقاد – هو ضعف بنيتها، وان كانت عناصر الانوثة والذكورة موزعة بنسب متفاوتة بين الجنسين ٠ وقد شغلت المراة بخصائص الانوثة من حمل وولادة ورضاعة بعض الوقت ، وتحملت بسببها متاعب كثيرة فى سبيل نظافة جسمها من الاقذار التى تفرضها هذه الخصائص ٠

وقد اتخذ العقاد من ضعف الانوثة عنوانا لشخصية المرأة : فهو ينفى عنها صفة « الارادة » ويستدل على ذلك باستجابة المرأة لدواعى النسل تشدانا للذة مع معرفتها التامة بآلام الولادة ، ويحكم بالشذوذ على بعض النساء اللاتى اقترنت سمعتهن فى التاريخ بصفة الحزم • ويفسر ظاهرة حزم المرأة عندما تلزم نفسها بنظام معين فى الطعام او الشراب محافظة على رشاقة جسمها بأنه ضعف فى الحقيقة ، لانه استسلام لغريزة اقوى من غريزة اخرى •

وعلى اساس رأيه فى « ارادتها » نظر الى اخلاقها ، فالمرأة — عنده — كائن طبيعى وليست بالكائن الاخلاقى، والمرأة قادرة على الايمان السابق بما يضعه لها الرجال من معايير اخلاقية ، ولكنها لم تخلق فى تاريخها الطويل ، ولن تخلق بعد اليوم قانونا اخلاقيا تؤمن به وتصير عليه غير قانونها الذى تتلقاه من الرجل ••

ويرى العقاد انه من ضلال الفهم ان يخطر على البال بأن الحياء صفة انثوية ، او ان النساء اشد استحياء من الرجال ، فحياء المرأة من وحى الفطرة او من وحى الرجال، ومن ثم فان حياءها الطبيعى لا يعتبر قيمة خلقية ، وحياؤها الذى تستوحيه من الرجال تدين له بقدر اتصاله بشعور الرجل نحوها ، ولذلك فانه عندما يجتمع النسوة بعيدا عن أعين الرجال ينسين هذه الاداب ولا يكترثن بخرء كن يباليته وهن بأعين الرجال فى المحضر والمغيب •

ويصف العقاد المرأة بالرحمة ،ولكن عاطفتها النوعية اقوى من عاطفتها الوطنية ، ورحمتها تنبعث من دوافعها الفطرية وأهـ ا الأثرة — فهى تشفق على الآخرين بمقدار ما تقيس به الجزع على نفسها •• لا يرى العقاد فى تلك الخلق الطبيعى ما يصلح للتقدير خلق الرحمة الا اذا ارتبط بما يمليه سلطان الضمير والوجدان الادبى •

ويصف العقاد المرأة بالرياء ،ويراه طبعا أصيلا فيها :

خل الملام فليس يثنيها حب الخداع طبيعة فيها
هو سترها وطلاء معتنها ورياضة للنفس تحييها
وملاذها فيمن تكيد به من يصطفيها او يعاديها
انت اللوم اذا ارتت لها مالم يرده قضاء باريها

ويرد العقاد قدرة المرأة على الرياء الى ارتباطه بجوانب أخرى فى شخصيتها فالمرأة منذ ازمان بعيدة تعودت اخفاء حبها طلبا للسبق ، كما تعودت الآلام الجسمية فاكتسبت قدرة فى مغالبة الخوالج النفسية، واعتادت ممارسة الزينة ، وهى لون من الوان الرياء •




العقاد ومي زيادة التي رمز لها في قصته وشعره بهند

وتتناقض المرأة – عند العقاد – استجابة طبيعية لخصائص أنوثتها فأبرز خصائصها صفتان : (احساس الوالدة ، واحساس العاشقة) وكلاهما مصدر للتناقض ، فالأمومة تغمرها في لحظة واحدة – هي لحظة الولادة – بمشاعر متناقضة من الألم واللذة ، شعور الألم القاتل عند الوضع واللذة الكبرى بالانجاب ، والحب يغمرها بلذة الانتصار والهزيمة في لحظة واحدة ، لذة الظفر بمن أحبت ، وهزيمة الاستسلام له •

فاذا ثارت في نفسها أحاسيس الأمومة أرانت الدنيا سلاما وأمنا ، واذا ثارت في نفسها أحاسيس العاشقة أرانتها حربا وجحيما •

والاغراء – في نظر العقاد – صفة أنثوية ، وهو سلاحها القوى الذى تستعيض به عن ضعف عزيمتها •

طبعها كالفخ ينهاك ويدعو ... وبلاء النفس في مس جناها
أن تقل فز بالجنى ، قلت : رويدا ... الجنى كيد فهل تأمن كيدا ؟
الجنى قيد فهل تحمد قيدا ؟ ... الجنى يا ويحها النهى اذاها

وتستمد المرأة قدرتها على الاغراء من جمالها ، وزينتها ، ودلالها •
وجمال المرأة – كما يراه العقاد – جمال تابع غير مستقل ، لأنه ينظر الى جمال جسمها على انه مكان لتكوين الجنين •

وليست المرأة أكثر تذوقا أو ادراكا للجمال من الرجل ، ومع ذلك فان ادراكها للجمال يتميز بعدة خصائص أهمها : أن نظرة المرأة الى الجمال نظرة جزئية ، فاذا نظرت الى الرجل تفرست في كل جارحة على حدة ، وأن النزعة النفعية تغلب على مزاج المرأة أكثر من النزعة الجمالية وأن شعورها بالجمال محدود لا يبلغ درجة الخلق والابتكار الا نادرا ، وأنها قد تخضع في احساسها بالجمال الى الايحاء والشهرة من قبل الفرد أو الجماعة •

ويشيد العقاد بالذوق العربي في تصويره جمال جسم المرأة كما يمثله « كعب بن زهير » في قوله :

العقاد والمرأة

هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة   لا يشتكى قصر منها ولا طول

وزينة المرأة من خصائص طبيعتها الانثوية ، ولكن العقاد يقصر بواعث الزينة عندها على اثارة انتباه الرجال، فالزينة ايحاء للرجل ، ومن اجله تتزين المرأة ، ولا تزال صارفة كل عنايتها الى تزيين ظاهرها وتحسين هندامها ووسائل اعجابه بها ٠

ويعترف العقاد بالصلة الوثيقة بين المرأة والحب فهو شغلها الشاغل ، وصناعتها الدائمة ، ومع ذلك فان العقاد يصفها بالتبذل السريع في حبها ، لانها تستغرق فيه ، والحب الذى يبلغ هذا المبلغ اقرب الى التبذل ، فالنفس الانسانية لا تصبر طويلا على حالة الاستغراق والشبع والامتلاء ٠

والمرأة لا تخون الرجال فحسب ، فهى لا تعرف الوفاء حتى مع بنات جنسها، وقلما تحترم وعدا أو تصون عهداً ٠

وفاء بنات حواء قيود   تصاغ لهن من طبع وعرف
فما فيهن مخلصة لأخرى   وما فيهن مخلصة لإلف
تضيع على اضطرار كل انثى   ولا تصغى لعهد او لحلف

والبواعث التى تستهوى المرأة فى حبها الرجل كثيرة ، ولكنها تتركز حول امرين هما : حب الشباب وحب المال ، فالشباب نعمة الخلود والمال عنوان القوة ، والصبر وسعة الحيلة، ووسيلة للحصول على ما غلا ثمنه من ادوات الزينة ٠

والمرأة فى حبها الرجل تنشد اشباع رغبات متعددة تتداخل فيما بينها لكن العقاد يحدد خمسة نماذج من النساء يغلب على كل نموذج منها مطلب معين ٠

فالمرأة الام ينبعث حبها من بواعث التضحية والحنان ، وقد تعطف على الرجل فتهواه بوحى من عاطفة الامومة ٠

والمرأة الزوج يستهويها الرجل من ناحية المعيشة والعلاقات الاجتماعية المرتبطة بالزوجية

والمرأة العاشقة تحب الرجل الذى يستثير حواسها ٠

والمرأة الهلوك تحب من الرجل الشهوة الحيوانية ٠

والمرأة اللعوب تطلب من الرجل اللعب والمداعبة والغزل الصاخب المتجدد

❊❊❊

ويؤمن العقاد بأن الغيرة وليدة الحب ، وان المرأة اكثر شقاء فى غيرتها من الرجل ، لأنها أحوج الى الحب ، والخوف عليه من الفقد والهجران، لانها اميل الى الاستسلام واسرع الى الانبهار ، ولان طبيعة

احاسيسها ـ وان اختلفت من الشباب الى الكبر ـ تؤكد فاعلية الغيــرة فى نفسها ، ففى شبابها تتضاعف الغيرة بسبب سذاجتها ، وفى كهولتها تشتد غيرتها بقدر اشتداد الخطر من ادبار العمر والخوف من تقلب الرجال ·

ويذهب العقاد الى القول بأن المرأة اقل ذكاء من الرجل ، مستدلا على ذلك بضعف خيالها ، وبانها لم تبدع فى شيء من الاشياء حتى فى الامور التى انقطعت لها منذ زمان بعيد كالحياكة والطهو والغنــاء والزينة · واذا كان هناك بعض النساء نبغن فى امر من الامور فان العقاد يرده الى ســبب اتصال هؤلاء النابغات برجال نابهين، وكانه يقول : « وراء كل عظيمة رجل » اما اللاتى نبغن بعيــدا عن اعين الرجال فان العقاد يفسره بســبب من توزيع عناصر الانوثة والذكــورة بين الجنسين ·

***

والذى يتأمل تصــور العقاد لطبيعة المرأة يجده قد جانب التوفيق فى بعض احكامه ولعل مرد ذلك الى تاثره بآراء بعض المتشائمين الذين يكرهون المرأة ويغمطونها حقها ، كما أن العقــــاد استقى بعض ادلته من تجاربه الذاتية ، وهى حالات فردية لا يمكن قبــــول تعميمها ، وقد حاول العقاد أن يصور لنا طبيعة المرأة من خــلال « الانثى السرمدية » وهذه المرأة لا وجود لهـا فى الحياة لان المرأة ككل كائن حى وليد امتزاج مواريث العرق بعوامل البيئة ·

● موقفه من قضايا المرأة ●

ارتبط موقف العقــاد من قضـــايا المرأة بتصــــوره طبيعتها ونظرته الشاملة لقيم مجتمعها الخاص والعام·

واهتمامه بقضاياها يستمد قيمته من اهتمامه الكبير بكيان المجتمع كله فليســت حقوق المرأة ـ فى نظره ـ مســالة فرد ولا مسالة امة ، ولكنها كانت ولن تزال مسالة النوع الانسانى باسره ، فلا مناص فيها من الضوابط التى تعبر عن مصلحة النوع وتتجاوز المصلحة العاجلة ، وهنا نظر العقــاد الى النظام الاسرى نظرة اكبار وتقديس ·· فالاسرة فى نظـــــره هى الامة الصغيرة التى تمســك اليوم بما بناه النوع الانسانى فى ماضــيه ، وهى التى تزول بذلك البناء غدا الى اعقاب النوع الانسانى فلا امة حيث لا اسرة بل لا آدمية حيث لا اسرة · ومن عاداها فهو عدو للنوع الانسانى باسره· وانكر العقاد على الشــيوعيين موقفهم من الاسرة فهم ينادون بازالة كيانها لانها ـ فى نظرهم ـ عامل مســـــاعد على الاستغلال يسول للنفس البشرية الجشع والاثـــرة ، وهم بذلك عاجــزون عن ادراك الفــرق بين النظـــام فى حد ذاته والانحرافات فى تطبيقه ، واصلاح الفســاد هو الاجدر بمعوالهم لا هدم النظام من اساسه ·

والعقاد وان لم يتزوج لظـروفه الخاصة فانه كان داعية الى الزواج ، يرى فيه الغاية المثلى من حياة الانسان لانه اساس نشاة الاجيال ونمو الحياة واستمرارها ·



العقـــاد والمـــرأة

أنيس منصور : تحديد العلاقات العاطفيـــة

والحياة التى يريد العقـــــاد استمرارها فى المجتمع السليم ليست حياة التبذل فى العلاقات الجنسية ، فقد تنفر بالاباحيين من كل صـــنف ، وأظهر تناقض الشـــيوعية فى هذه القضية ، فهم ينادون الحرية لأهواء الفرد العارضة على الرغم من المصلحة النوعية ، بينمـا يقيمون مذهبهم على أساس تغليب مصـــلحة الجماعة على حساب الافراد .

وللمرأة الزوجة ـ فى نظر العقاد ـ دور هام فى الاسرة والمجتمـــع فهى القادرة على تحقيق الســـكن النفسى ، وتحقيق المصلحة الاجتماعية بما ركب فيها من تنوع الاحســـاس ، والقدرة على الحب والايناس ـ ولذلك فان العقـــاد يعترف للزوجة بكل الحقوق التى تناسب طبيعتها : فلها الحق فى اختيار زوجها ، وابرام عقد زواجها . اما القوامة على الاسرة فهى مسئولية الرجل استحقها بتفضيل الفطرة وواجب الانفاق .

وبموجب قوامة الرجل على زوجته فان العقـاد يعطى الرجل حق تأديبهـا عند الحاجة الى ذلك مســـتدلا بقوله تعالى : « فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتى تخافـــون نشـــوزهن فعظوهن واهجـــروهن فى المضـــاجع واضربوهن فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا . ان الله كان عليا كبيرا . »

ولا ينكر العقـــــاد على المرأة حق انفرادها بزوجة دون شريكة ، ويعتقد أن هذه الحـــــالة هى المثلى ، ولكن الضرورات قد تدعو الرجال الى تعدد الزوجات .

ويهيب العقاد بالمرأة الشرقية التى ميزها عن المرأة الغربية فى فضـــائل الامومة والزوجية أن تظل محـــافظة على هذه الميزة ، ولا يعنى العقـــــاد بذلك أن يتحـــــول بيت الزوجية الى سجن يفرض عليهـــا وانما ينبغى أن تكون هذه الميزة حقـــا من الحقـــوق المفروضة على المجتمع لأن عملها فى البيت اكبـــر وأجل من أن تجمع بينه وبين الســـعى فى طلب الرزق . وكم من عمل تستطيعه المرأة ولا يجور على رسالتها الطبيعية . وحذر العقـــــاد من الاعمال التى تخل بنظام العلاقات الاسرية ولا تناسب طبيعة المرأة كالعمل بالسياسة والحروب .

وينكر العقاد القول بالمساواة التامة بين الجنسين ويراهـا ظلما لكليهما وللمجتمع الذى يضمهما مادام يقضى بالمساواة فى الحقوق على تفاوت فى الواجبات والكفاية والانتاج .

والمساواة ـ كما يريدها مدعوها ـ تعنى القول بافضلية جنس النساء على الرجال اذ لا فرق بين أن تقول المرأة انها مثل الرجـل فى كل شيء أو أن تقول انها أرجح منه وأكمل منه، لانها تقوم بعمله وعملها فى الوقت نفسه.
ويقرر العقاد ان هذه المساواة المزعومة لم يقم دليل عليها ، لامن التاريخ ولا من تكوين الفطرة بل قام الدليل على كذبها وبطلانها . وقد وضعت الشريعة الاسلامية الحد الفاصل فى مسـألة المساواة بقوله تعالى :

« الرجال قوامون على النسـاء » ، « ولهن مثـل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة » .

فالتفرقة بين الجنسيـن لاتتعدى تكاليف المعيشة وعلاقات المجتمع الى غيرها من تكاليف العقيدة أو فضائل الاخلاق ومطالب الروح .

***

وتعليم المرأة واجب اجتمـاعى فى نظر العقاد لانه من اكبر وسائل رقيها وتهذيبها واصلاح بيتها، وليس الهدف من تعليمها هو اعدادها للزوجية وانما الهدف منه أن تصبح امرأة قادرة على النهوض بنصف أعباء المجتمع فى الهيئة الاجتمـاعية لاننا لانعلم الفتى ليكون زوجا ولا فرق بين الجنسيـن فى حقوق التعليم .

وقد رفض العقاد فكرة حجاب المرأة بمعنى حبسـها فى البيت ووصف القائلين به بالجمود ، وأكـد أن هذا الحجاب ـ كما تخيلوه ـ لم يتحقق أبدا فى زمن قديم أو حديث . ويرى أن الاعتدال بين الاباحة المطلقة والقسر الشديـد هو خير ما يتبع مع المرأة بين السفور والحجـاب ـ وقد حبذ العقاد فكرة اختلاط الجنسين لـما فيه من دعم كثير من الفضائل الاجتماعية والنفسية والخلقية .

● اثر المرأة فى حياته الادبية ●

استلهم العقـاد قصته الوحيـدة « سارة » من تجاربه مع المرأة ، كما حفل شعره بالتجارب العاطفية المتعددة من علاقته بها . وقد كان لتأمله حالات نفسه التى تضعف أمـام المرأة حينا فتصدم بكبريائه أثر فى عمق التفكير واتجاهه الى التحليل والتفلسـف . ودفعته تجاربه مع المرأة الى اهتمامه بدراستها الجسمية والنفسـية ، ولقد عمقت هذه الدراسة مفهومه للنفس الانسانية ، وربما كان اعتماده على المنهج النفسى فى دراسته بصورة عامة، وفى عبقرياته بصفـة خاصة اثرا من آثار المرأة فى حياته الادبية .

وقد اثرت دراسته لقضية المرأة بين البيت والمجتمع فى انتاجه الادبى كما وكيفا ، واثبتت أصالته الفنية

وقد تأثر اسلوبه من ناحية الشكل ـ بالمرأة ـ وارتبـط هذا التأثـر بالموضـوع ، فترق الكلمات وتكثر العناية بانتقـالها عندما يتحدث عن الحب ويتجه الاسلوب الى العنف والى عبارات السخرية عندما يناقش رأيا أو يعارض فكرة ، ويعمـد الى تحديد معانى الكلمات واختيار الالفاظ القوية عندما يحاول شرح حقيقة من الحقائق الجسمية او النفسية .

والدارس لادب العقاد يرى للمرأة فيه نصيبا كبيرا ان لم يكن حديثـا مباشرا عنها او حولها ، فباعث كامن فى نفسه يبدو من خلال السطور .

فوزي عطوي

يا بسمة الأمل

ذَرَّذَرْتُه إربا ، بعثرتُه رقعــــــا
شعرا كتبناهُ ، في سفرِ الجمالِ ، معًا ،
أنكرتُ كلَّ هوى ، لم تبقَ قافيــــةٌ
في دفتر الحبِّ ، إلا جفنتـــه دمعــا !
أحلامي الزهرُ ما عادَت تهـــدهدُني ،
ما عدتُ ألمحُ للأحــلام متسعــا ،
والأمنيـــات شجاها الحزنُ فانحطمَت
والقلبُ لامَسَهُ التذكار فانصدعا ،
قولي : جُنِنت ! دعي بعض الذي حفظَت
لي كبريائي ، لا تغـرى بيَ الطمعـا ،
هل يجرَعُ الذلَّ مَن جرَّعته سُمًّا ،
والذل أرخَصُ ، في الأهواءِ ، ما جُرِعا !!

***

يا بســـمةَ الأمسِ ، أينَ الصفو يغمرنا ،
والحب باتَ من الأشجان منتقعــا ،



أينَ المنيهاتُ تحييها وتقتلهـــــــا ،
والأمسياتُ تبيحُ الاثمَ والورَعـــا :
أينَ انـسـيابُك ِفوقَ الثغر أغنيـــةً
يوم الســماحةُ أملت ، والندى سَمِعا ؟
وهدبك الشاعر الموهوبُ ، أنظمـــه
سحرا ، وينظمنى ، فى سره ، مُتَعـــا
كل الذى كان لم يُنْقِذْ لنــا أمـلا ،
والوجدُ فرّق ما بالأمس ِ قد جمعــا !!
يا بسمة الأمس ، هَلّا الذكـريات غـدا
تحيى الأساطيرَ ، أو تستحضر البدعا ،
لئن بَعُـــدْنا ، فان الـكبريا أذنت ،
وإن قتربنا ، فان الشوقَ قد شفعـــا !!

الحضارة العربية
ودورها فى يقظة أوربا كما يراها راهب أسبانى

د. الطاهر أحمد مكى

ولد خوان اندريس فى قرية بلانيس من مقاطعة بلنسية ، ذات يوم من عام ١٧٤٠ ، وكانت بلنسية منذ أيام الفتح الاسلامى الاولى تربة مهيأة لازدهار الثقافة العربية لقد نأى بها موقعها غداة الفتح عن الثورات والفتن والقلاقل السياسية ، وجذب اليها اعتدال جوها ، ووفرة خيرها ، أسرا عربية نبيلة ، وأصبحت فيها يقول ابن سعيد فى كتابه « المغرب فى حلى المغرب » ، « مشكاة الحضارة ، جليلة القدر » ، وترك ذلك كله أثرا واضحا فى حياة الناس ، عاداتهم وأخلاقهم وآدابهم .

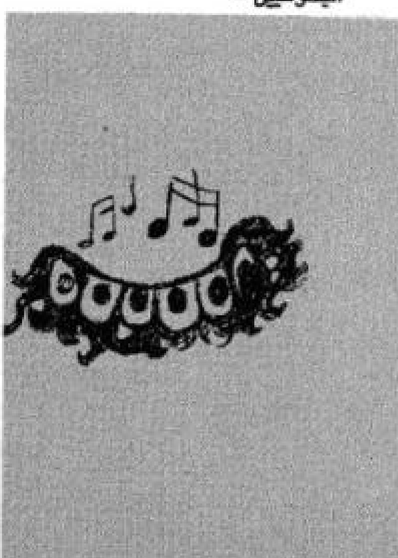
ولقد ظل ثلث سكان المنطقة على

لم يقف عنده احد طويلا ، ويمر به الباحثون فى وطنى عجل ، لا يكادون يتبينون دوره فى زحام الاحداث ، رغم انه أنصف العرب والحضارة العربية فى وقت كان العرب فيه همَلا ، عزت عليهم النصفة ، ولا يكاد يحس بهم انسان .. ولقد دفع ثمن انصافه للعرب غاليا يكفى أن أقول اننى شقيت طويلا وانا ابحث له عن ترجمة وافية . لقد اهملته المعاجم الصغرى والوسطى كلها ، وفى مختلف اللغات ، وخصته دوائر المعارف الكبرى بسطور قليلة ، أوردت فيها مؤلفاته دون أن تقول عن شخصه شيئا يذكر ، رغم انه عاش فى وضح التاريخ ، انه راهب اسبانى من اليسوعيين يدعى : خوان اندريس .

الاقل ، حتى مطلع القرن السابع عشر ، يتحدثون العربية ويدينون بالاسلام سرا أو علانية ، ويقاومون في اصرار عنيد وصلابة غير عادية قهرهم على اعتناق الكاثوليكية ، وارغامهم على التحدث بالاسبانية ، الى أن صدر قرار طردهم نهائيا من وطنهم عام ١٦١٣.

وما زال الكثير من اسماء القرى في هذه المنطقة يحمل اسماء عربية حتى يومنا هذا مثل : بنى قيس ، وبنى عيسى ، وبنى الوزير ، وبنى على ، وبنى عاصم ، وبنى خلف ، وبنى قاسم ، ومئات اخرى غيرها من الاسماء .

في هذه البيئة العبقة بأريج التاريخ العربي نشأ وتربى خوان أندريس ، ولا نعرف شيئا عن طفولته ، ولا شيئا كثيرا عن شبيبته ، ولكننا نلتقى به فجأة راهبا ينتمى الى طائفة اليسوعيين .



وفي ضوء النتائج ، ومع غيبة المصادر الحية ، نستطيع أن نرد روافد ثقافته الى نبعين أصيلين . أولهما يتمثل في الحكايات والاساطير ومظاهر الحياة العملية واليومية التي استقرت في مسقط رأسه عن العرب ، ولم يكن قد مضى على طردهم من وطنهم عند مولده أكثر من قرن ونصف من الزمان ، ويقدر عدد هؤلاء الذين اخرجوا من ديارهم وأموالهم بمليون من المسلمين ، ولكنهم لم يذهبوا جميعا ، لقد تخلف منهم ألوف حماهم الاقطاعيون ليعمروا لهم الارض ، وخبأهم أصحاب المصانع ليفيدوا من مهاراتهم ، وهي آثار لا تزال باقية حتى أيامنا هذه ، وكانت سببا كافيا لكي تقدم لنا مقاطعة بلنسية عددا من المستشرقين العظماء ، يأتي على رأسهم العالم الجليل جوليان ريبيرا (١٨٥٨ ـ ١٩٣٤) صاحب البحوث العميقة المتصلة عن الحضارة الاندلسية ، وتلميذه فرانسيسكو بونس

والرافد الثاني تعاليم اليسوعية وكان اليسوعيون أمة وحدهم في تاريخ التعليم الاوربي الحديث . لقد أسس هذه الطائفة الراهب الاسباني اغناثيو دى لويولا (١٤٩١ ـ ١٥٥٦) ، عام ١٥٣٤ م ، اذ كان يرى ومعاونوه أن خير وسيلة لمقاومة دعاة الاصلاح الديني من البروتستنت ، أن يجتمع لاتباع المذهب الكاثوليكي فضيلتا التدين والعلم ، ومن أجل هذا جعلوا همهم أن يعلموا ناشئتهم أغزر العلم ، وأشده جهدا ، وأكثره تجويدا واعترفوا بأنهم كانوا يتخذون من الآداب الرائعة شباكا يتصيدون بها النفوس .

كان واقع الحياة حوله ، ومنهج الطائفة التي ينتمى اليها ، يدفع به الى البحث في الحضارة العربية ،

الحضارة العربية

فقد كان تعليمها وتعلمها شائعا على ايامه ، فى مسقط راسه وبين طائفته بخاصة ، وفى اسبانيا بعامة ، غير أننا نستبعد أن يكون قد اجادها وتمكن منها ،

●●●

لم تظل حياة خوان اندريس فى اسبانيا،فقد تجاوز طموح اليسوعيين الجانب التربوى والدينى ، واتخذوا منهما طريقا الى القوة السياسية ، والى السيطرة على السلطة الزمنية ، فاصطدموا مع الملك كارلوس الثالث (١٧١٦ — ١٧٨٨) وكان شخصية فريدة وفذة فى تاريخ الملوك باسبانيا الحديثة شبيها بالخديو اسماعيل فى مصر — من غير اخطائه طبعا ! — لقد عمل حاكما على نابلى فى ايطاليا قبل ان يجيء الى اسبانيا ملكا، فرأى الكثير من مظاهر التقدم المادى والفكرى خارج وطنه ، فلما آل اليه العرش عام ١٧٥٩ م وجد اسبانيا فى حالة من الشقاء والبؤس والتخلف ما يخجل معه ان يكون ملكا عليها ٠ مثلا : أمر باضاءة شوارع العاصمة والمدن الكبرى ، وكانت غارقة فى الظلام منذ سقوط دولة الاسلام فى الاندلس ، لان رجال الدين الكاثوليك كانوا يرون فى هذا النور عادة اسلامية يجب التخلص منها ، وأمر بتبليط الشوارع ، وتقصير العباءات، وبدأ فى انشاء الطرق والموانى، والمبانى العامة ، وحث الاكاديمية الاسبانية على أن تنشر « قاموس اللغة الاسبانية » ، وامهات كتب الادب الاسبانية ٠

وفى عهده نشر اول فهرس للمخطوطات العربية فى الاسكوريال ، ولم يكن يهتم كثيرا بمعارضة الناس له ، ويرى « أن رعيته كالاطفال يبكون حين يأخذون الى الحمام » ٠ والغى محاكم التفتيش ، وقد أنهمت بملاحقة اليهود ودعاة الاصلاح من المسيحيين، واجتثاث المسلمين بعد سقوط دولة الاسلام وظلت قائمة حتى أيامه ، وكانت حبة غيـن الملوك والبابوات قبله ٠

وعندما احس بأن اليسوعيين يعارضون اصلاحاته ويثيرون العامة عليه ، حل نظامهم فى ٢ من ابريل عام ١٧٦٧ م ، وصادر املاكهم ، ونفاهم خارج الدولة ، وطلب من البابا كليمنت الرابع والعشرين أن يلغى نظامهم هذا ، فاستجاب له ، واصدر قرارا بحل طائفة اليسوعيين عام ١٧٧٣م ، وكانوا اقوى منظمة عرفتها الكنيسة الكاثوليكية ٠

عندما صدر قرار طرد اليسوعيين من اسبانيا ، انسحب خوان اندريس الى ايطاليا ، وفيها أمضى حياته ، ولقد اصبح امين مكتبة القصر الملكى فى نابولى ، ولم يعد الى اسبانيا الا مرة واحدة حين توفى والده ، ولكن الحال فيها لم يعجبه، فلم تطل اقامته بها ، وعاد الى ايطاليا من جديد ، وتوفى فى روما عام ١٨١٧ ٠

فى ايطاليا الف عددا كبيرا من الكتب الهامة ، اشهر من بينها بخاصة اثنى « رسالة عن موسيقى العرب » ، والكتاب الذى الفه باللغة الايطالية، وسماه : « أصول الادب بعامة ، وتطوراته ، وحالته الراهنة » ،

وشغل الحديث عن الفكر العربي مساحة منه تبلغ الجزءين تقريبا ، وكان كالجاحظ من قبل ، وربما على نحو اوضح ، اول من التفت في اوربا الى التأثير والتأثر المتبادل بين الادب والحضارات ، واول من وضع يده بقوة على تأثير الادب العربي في الاداب الاوربية ، ودرس ذلك على نحو منهجي ، بقدر ما تسمح به ظروف عصره ، وتتبع مصادر التأثير وروافده وان لم يكن قد عرف بعد ، لا هو ولا غيره ، أن ثمة علما سيعنى بهذه القضايا اسمه : الادب المقارن • لقد سبق عصره بكتابه ، وخطا ببحثه الخطوة الاولى ، وان تجاهله الدارسون الاوربيون ، دعاة العالمية ، لانه قال : ان كل ادابهم تدين بتطورها للادب العربي •

يقول خوان اندريس في مقدمة كتابه هذا : « لم يدرس أحد الادب العربي حتى الان بما يليق واهميته • ولقد قدم لنا هربلوه وهوتنجيه وبكوك واخرون معلومات وافرة يمكن أن تساعد على نحو ما في انارة طريقنا ولكن أحدا لم يحاول أن يعرفنا به على نحو دقيق • لقد دفعت بي المادة ، وهي جديدة ، الى البحث المتحمس ، وأمل أن أخرج منها بنتائج سارة ، ولحسن الحظ فان كرم الملك الكاثوليكي كارلوس الثالث ، وهو المنشط الجيد للدراسات الادبية ، شرفني باهدائي فهرس مكتبة الاسكوريال العربية الذي الفه غزيري ، وهو هدية لا تقدر في الحقيقة بثمن ، لكانة الهدى ، وللذخائر التي تضمها الثقافة العربية وما أعظم ما أدين به لعمل غزيري الخالد وكم افدت من أخباره ، ان كل ما هو وارد هنا عن القسم العربي أدين به لفضله •

« ان هذه المخطوطات القيمة

جعلتني اقف على الدور الكبير الذي لعبه الادب العربي في نهضة اوربا الحديثة ولتوضيح هذه النقطة الهامة ما اكثر القضايا التي تفرعت عنها ، وكان يجب علي أن اسبرها ، وما اكثر البحوث الجديدة التي كان يجب علي أن اقتحم لجها • وان معرفة الادب الاسباني ، وهو مجهول لكثيرين كالادب العربي ، ودراسة كتاب العصور الاولى منه ، وهم اليوم في عالم النسيان ، وتحديد أصول الثقافة الحديثة ولغاتها وشعرها ، ودراسة شعراء اسبانيا ، وشعراء بروفانس القدامى ، وبحوث أخرى كثيرة ، ليست باقل عذابا ، والقد ضرورة ـ كل ذلك اضاء لي الطريق لاكتشاف الحقيقة • ولقد تبدو غريبة لكثيرين ، ولكنها الحق خالصا : ان الفكر الحديث يعترف بامومته للعربية ، لا في العلم فحسب ، وانما في الادب أيضا • ولكي أوضح على نحو افضل تأثير العرب في ثقافة اوربا ، اردت ان آتي بجديد في قضية تصارع أمم كثيرة حولها عبثا ، كل يدعي هذا الشرف لنفسه ، بينما نحن جميعا ندين به لاولئك العرب : الورق والارقام والبارود والبوصلة ، اشياء كلها جاءتنا عن العرب ، وربما الساعة الدقاقة أيضا • والجبرية ، وبعض الاكتشافات ذات النضج الآن كانت معروفة عند تلك الامة ، وكثير غيرها ، قبل ان تبلغ اخبارها الآن لاسلافنا •

« وكذلك المدارس والمراصد

والمجامع العلمية ، ومؤسسات ادبية أخرى ، لا تفكرفي اننا ندين بوجودها للعرب ».

« اما وقد تهاوت الفكرة السائدة، والناهضة للادب العربي ، فمن الضروري أن نحارب فكرة أخرى ليست باقل شيوعا ، وهي في صالح الاغريق ؛ انهم لا يملون القول في أن بعث الدراسات القيمة في أوربا يعود الى سقوط القسطنطينية ، وأن الاغريق المهزومين جاءوا معهم في القرن الخامس عشر بحب الادب ، كما انتقلوه فيما مضى الى جوانب أخرى منها ، اما انا فعلى العكس ، سوف اظهر ان سقوط الامبراطورية الاغريقية لم يفد الادب اللاتيني إلا فائدة محدودة للغاية، ذلك ان ايطاليا كانت قبل هذا الوقت مثقفة جدا ولها ذوق في الادب والفن أفضل مما كان عند الاغريق » .

لقد وجد خوان أندريس نفسه في الحقيقة بازاء شعب بلغ من الحضارة مرتبة عالية ، وبشعوب أخرى حوله متأخرة الثقافة ،فتراءى له بطبيعة الحال أن أولئكم لا بد أن يكونوا قد اعاروا تراثهم الادبي لهؤلاء . يقول : « بينما تبذل المدارس المسيحية جهدها في تلقين الناس الاناشيد الدينية ، وتعلمهم القراءة وعد الارقام ، وبينما يهرع الناس جميعا في فرنسا الى متز وسواسون ، يحملون معهما اناشيدهم الكنسية ، لكي يلخصوها على النحو المتبع في كنائس روما ، نجد العرب يعكفون السفارات بحثا عن الكتب القيمة ، اغريقية ولاتينية ، ويقيمون المراصد لدراسة الفلك ، ويرحلون ليستزيدوا معرفة بالتاريخ الطبيعي ، وينشئون المعاهد لتدرس فيها العلوم بشتى انواعها » .

ثم يذكر الترجمات التي قام بها العرب لآثار الفرس والهنود والسريان والمصريين ، والاغريق من بينهم بخاصة . ويشير الى الجانب الذي كان له اثره من النصوص الاغريقية التي ترجمت من العربية الى اللاتينية في بعث حركة الدرسيين .

ويذهب خوان اندريس الى أن حركة التاليف العلمي في اوربا ، في مجالات الطب والرياضة والعلوم الطبيعية ، تدين بنشأتها الى العرب ، ويدلل على ذلك بذكر عدد من الاعلام الذين اضطلعوا بترجمة التراث العربي الى اللغة اللاتينية يومئذ ، وبالذين جاءوا منهم طلابا الى الاندلس الاسلامي ، فدرسوا في معاهده وعادوا الى بلادهم علماء نافعين . ولن اقف طويلا عند هذه التأثيرات العلمية ، لانها تتجاوز نطاق البحث ومنهجه ، ولكن يهمنا منها بخاصة ما اتصل بالادب والفنون .

يرى الراهب اليسوعي أن الفيلسوف ورجل الدين القطلوني رايموند لل (١٢٣٥ - ١٣١٥) ، وهو من جزيرة ميورقة ، يدين للادب العربي في كثير مما كتب ، وانه في نظرياته الفلسفية اتكا على تراث ابن عربي (١١٦٤ - ١٢٤٠ م) فقد كان هذا الفيلسوف مأخوذا باخلاص المسلمين لدينهم ، واظهر في تاليفه ودا خالصا وعميقا نحوهم ، وجاء



ذلك وليد معايشة طويلة للتراث العربي وحاول ان ينقل الكثير من التقاليد الدينية الاسلامية الى الحياة المسيحية ، فنادى بفصل النساء عن الرجال في الكنائس ، وان تبدأ الرسائل باسم المسيح ، كما يبدؤها المسلمون باسم الله ، وان تتلى اسماء الله في الكنائس ، كما يرتل المسلمون القرآن في المساجد . وكان يكتب في العربية على نحو ما يكتب في لغته القطلونية ، ويستعملها في حواره مع المسلمين ، وفي التبشير بالمسيحية في شمال افريقية . وكتب مؤلفه : « كتاب الكافر والعلماء الثلاثة » بالعربية اولا ، ثم ترجمه بنفسه الى اللغة القطلونية ، وهو كتاب واسع الذيوع في العصور الوسطى ، وترجم الى اللغات : العبرية واللاتينية والفرنسية والاسبانية . وذهب الى ان

ديكارت اخذ عن اعلام الفكر والجدل المسلمين مبدأه الذي يقول : « انا افكر فانا موجود » .

واما يتصل باسبانيا اشار هذا اليسوعي العلامة الى حقيقة باللغة الاعمية ، وهي استعمال الناس في الاندلس لغتين دارجتين : احداهما عربية والاخرى رومانية ، ولم تغب عن ذهنه حسرات البرو القرطبي ، مطران قرطبة ، المعروفة : « ابناء ديني سعداء بقراءة شعر العرب وقصصهم ، ويدرسون بنهم كتابات فلاسفة الاسلام وعلماء التوحيد ، لا لكي يدحضوا آراءهم ، وانما لتصبح لغتهم العربية صحيحة وانيقة . اين يمكن ان اجد مسيحيا علمانيا يستطيع ان يفهم الشروح اللاتينية للكتاب المقدس ؟ . من منهم درس الاناجيل او كتب الانبياء او الرسل ؟ . آى ! ، كل الشبان المسيحيين الذين يتميزون بذكائهم لا يعرفون غير اللغة العربية والادب العربي ، ويحتفظون في بيوتهم بمكتبات ضخمة منه ، ويطلقون اين ما حلوا : يا له من ادب رائع ! . على العكس ، تحدث اليهم عن الكتب المسيحية ، وسوف يردون عليك باحتقار : انها لا تستحق اي اهتمام يا للحزن ، ان المسيحيين نسوا حتى لغتهم ، وبالكاد يوجد بين كل الفسنا واحد يستطيع ان يكتب الى صديق له رسالة باللغة اللاتينية كما يجب ان تكتب ، ولكن اذا اردت من يكتب باللغة العربية من بينهم فسوف تجد اشخاصا كثيرين للغاية ، يكتبون هذه

اللغة فى اناقة زائدة ، وينشدون بها شعرا جميلا ، لا يقل من وجهة النظر الفنية عن مستوى الشعراء العرب انفسهم ».

ولم يغب عن علمه ايضا وجود بضع مئات من الوثائق العربية فى كنيسة طليطلة الجامعة ، خلفها النصارى الذين كانوا يستعملون العربية فى كتاباتهم . ورأى ان الشعر الاسبانى انما نشأ فى اول أمره تقليدا للشعر العربى ، لان من الطبيعى ، فيما يرى ، أن يفضى تعامل النصارى مع المسلمين وهيبة التقليد عند الاولين ضرورة ، كما أن تعامل الفرنسيين مع الاسبانيين ، مسيحيين أو مسلمين ، ورحلات شعراء التروبادور ، تجعلنا نؤكد ، بأن الشعر البروفنسالى يجب أن يعترف بابوة الشعر العربى له ، قبل أن ينتسب الى الشعر الاغريقى أو اللاتينى » ، لان البروفنساليين لم يكن لهم علم بهذين الادبين ، على حين كان الابداع العربى اقرب اليهم موردا .

ويرى ان قافية الشعر العامى ، واشكال الشعر الحديث ، وخاصة ما اتصل منهما بالشعر البروفنسالى والذى اثر بدوره فى الشعر الايطالى قد اخذت عن العرب . وذهب الى ان موسيقى التروبادور والفونسو العالم ذات اصل عربى ، ولاحظ ان الحكايات والقصص والاساطير الخرافية ترجع فى نشأتها الى اصول عربية ايضا .

وقد بقيت اشارات هذا اليسوعى المنفى عامة، لا يمكن توثيقها كاملة فى عصره ، لان تراث الاندلسيين لم يكن قد نشر منه شىء اما اليوم ، وبعد ما يقرب من مائة وثمانين عاما على تأليف كتابه ، فيمكن توضيح هذه القضايا على نحو افضل، فى ضوء ما تحصل لدينا من حقائق اكتشفها المستشرقون اسبانيين وأجانب، وتسمح لنا بأن ندرك قيمة التأثيرات المختلفة التى باشرها الادب العربى فى الاندلس فى الاداب الاوربية المختلفة والادب الاسبانى من بينها على نحو خاص .

كان كتاب خوان اندريس لخطوة واسعة نحو ادب مقارن حقيقى ، وان لم يحمل اسم الادب المقارن ، ولا كان تطبيقا دقيقا لمناهج هذا العلم ، فلم يكن ثمة علم قد ظهر بعد يحمل هذا الاسم ، وله مناهجه الواضحة ، وحسبه من فضل انه كان علميا وموضوعيا ومنصفا ، لانه وضع يده على جوهره : التأثير المتبادل الذى يتجاوز حدود الادب القومى .

علي
الجمبلاطي

ابتهالات

دعاء

رباه إن وارت غيوم خطيئتي
عنّي سناك وحجّبت أيّامي
فامنن عليّ بيسارف من رحمة
حتى أرى وضح الطريق أمامي
أنت الربيع إذا حياتي أقفرت
وسنا الشعاع إذا ألم ظلامي
إني أحسّك في دمي وبمهجتي
نورا يبدد ظلمة الأوهام
وأراك جبارا رحيما عادلا
في كل ما قدرت للأقوام

يا إلهي ...

عشقتك وانتشيت هوى وحبا
وجئتك هائماً .. روحاً وقلبا
أحسّك في دمي نوراً شفيفاً
وفيض قداسة ينساب عذبا
فزدني من هواك وخل قلبي
يعش في نورك الأبدي صبّا
وما أنا غير صوفي مشوق
تطلّع نحو ذاتك مشرئبا ...
ولم ير من يقدسه بحب
سواك .. ولم يجد إلاك ربّا

على محمد الزامل

مسبحة من حبات الدموع

صَبَّ أحبَّ الدمعَ من خشيتكْ
فذاق طيب الأنس في ساحتِكْ
طابت له اللوعة مهما قسَت
به فألفى الامنَ في صُحبتكْ
يجيشُ فيه شوقه كلّما
طافت به أطياف قدُّسيتكْ

***

يارب نار الوجد كم برّحت
بأنفس تهفو إلى رؤيتك
شفّها الشوق ففرّت إلى
بابك تبغى الأنسَ في حضرتك
زاد لظى الوجد بها فانثنت
إلى ظلالِ الوصل من سرحتك
تلتمس القوة في ضعفها
بين يديك في حمى قدرتك
أعوزَها البرء فألفته في
نحوالشِر والاخلاص في طاعتك
فهبْ لها النورَ وهيىء لها
صبحا ترى فيه سنا طلعتك
حقق لها يارب ما تبتغى
من فيضك الجم ، ومن نعمتك

واغفرْ خطـاياها وآثامهـــــاَ

واقتح لها بابا إلى رحمتـــــكْ

أطفىء لظى الالام بين الـــورى

بالنسمة الفيحـــاء مِن نفحتـكْ

واشفه جراحا طـال تحنانهـا

للمسـة الحلوة من راحتــكْ

***

يارَبِّ . هـذا القلبُ ألهمتــه

نورا رأى فيــه سنا عـزتك

فطــارَ من شَوق ومن لهفــة

يدفعـهُ الحب إلى شـدتكْ

سعى إلى بابك فافتـــــح له

بابك واغمـره باشراقتـــكْ

حقق له الامالَ وامـــدد لــهُ

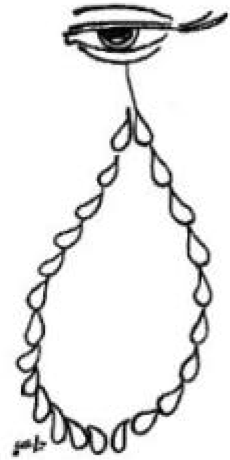
يديك وابعث فيــه من قـوتكْ

حَسْبِى من الدنيـا شذاك الـذى

طـويت معه العمر فى روضـتكْ

مِسبَحتى قد صُـعت حباتها

من أدمع تنهـل من هيبتــكْ



د. صلاح عدس

مفكرة طبية

الحساسية

كثيرا ما يأمرك طبيبك بتجنب البنسلين ، أو اجراء اختبار للحساسية قبل استعماله ، وذلك بحقن نقطة منه تحت الجلد وملاحظة ما يحدث . فاذا تكونت بقعة حمراء مثلا ، منعك من تعاطي البنسلين لانك مصاب بالحساسية ضده ... فما هو تفسير ذلك ؟

ان الحساسية هي رد فعل شاذ او زائد عن المألوف تجاه بعض المواد التي تدخل الجسم ...

وهذه المواد المثيرة للحساسية قد تكون بعض المأكولات او بعض المواد في الجو او بعض الادوية او بعض الامراض ...

اما المأكولات المسببة لحالات الحساسية فمن امثلتها البيض ، والسمك ، والشيكولاتة ، والموز والفراولة ...

وأما المواد التي قد نستنشقها من الجو فتسبب الحساسية ، فمن امثلتها الغبار ، وحبوب اللقاح ، وبودرة التلك .

ومن امثلة الادوية التي تتعلق بالحساسية ، السلفا ، والبنسلين ، والنوفالجين ،والاسبرين، وأما الامراض التي قد يسبب وجودها حالة من حالات الحساسية فمن بينها امراض الكلى ، او الجهاز الهضمي ، او وجود بؤرة عفنة بالجسم ..

وقد يكون سبب الحساسية موضعي مثل لدغ الحشرات او ارتداء الصوف أو النايلون ، أو بودرة الوجه وحاجيات الماكياج ...

وقد يكون سبب الحساسية مجرد التعرض للشمس ، أو حتى مجرد عوامل نفسية ...

ولكن ماذا يحدث من تغيرات داخل الجسم في حالة الحساسية ؟ لنأخذ مثلا لدغ الحشرة ، فاننا نشاهد عندئذ احمرارا وتورما موضعيا واكلانا وهرشا بالجلد .

فما السبب في كل هذا ؟ السبب هو زيادة مادة تفرز في الجسم تسمى الهستامين وهذه المادة هي المسئولة عن كل الصور المرضية للحساسية في الجسم ...

وهذه المادة لا يزداد افرازها في الحالات العادية ... اذ ان التفاعلات الكيماوية داخل انسجة الجسم وخلاياه تتم حسب نظم ثابتة تورث من الاباء للابناء وكانما هناك ذاكرة في داخل الخلايا تجعلها تقوم بتلك التفاعلات الكيماوية الحيوية طبقا للنظم الثابتة الموروثة ... هذا في الحالات العادية بحيث انك اذا ما تناولت اى طعام او استنشقت اى شيء فان شيئا ما يتغير فيك او يشذ ... ولكن قد يحدث أن تفقد الخلايا ذاكرتها ، وهنا تقع

تفاعلات كيماوية شاذة مخالفة للنظم العادية ومن امثلة تلك التفاعلات الشاذة ما نجده في حالات الحساسية

والحساسية قد تصيب الصدر بالربو ... وقد تصيب البطن على شكل قيء واسهال ومغص .. كما قد تسبب في العيون مرض الرمد الربيعي .. وقد تسبب في الجلد حالات الارتكاريا او الاكزيما ...

اما الربو فينتاب المريض على شكل نوبات من ضيق التنفس والنهجان وعدم القدرة على اخراج الزفير والكحة المصحوبة بالبلغم ...

واما الرمد الربيعي ففيه يحس المصاب بحرقان واكلان في العينين مع دموع وافرازات بيضاء وعدم التمكن من النظر في ضوء الشمس ... لذلك يجب استعمال النظارة الشمسية القاتمة في تلك الحالات الى جانب قطرة او مرهم كورتيزون ، حسبما يشير الطبيب .

اما الارتيكاريا فهي طفح جلدى على صورة تورم واحمرار وهي التهاب حاد ، اى انه يسبب احمرارا محليا وتورما ومرضا لبعض الوقت ، ثم يمضي كل شيء الى حال سبيله .

اما الاكزيما فهي التهاب مزمن اى يستمر مدة طويلة ، وتتميز بانها تأتي على صورة بقع حمراء يبدو بها رشح واكلان وقشور ...

والحساسية يمكن علاجها تحت اشراف طبي باستعمال المضادات للمادة الهستامين مثل اقراص الانتستين وكذلك الكورتيزون والكالسيوم والادرينالين ...

اما اذا كان السبب يتعلق بالعوامل النفسية فيجب استشارة طبيب نفسانى

معلومات

● فيتامين ج مفيد لصحة الجلد واللثة والعينين ، وهو يوجد في الطماطم والبرتقال ، واليوسفي ، والليمون ... كما يستعمل فيتامين ج ايضا في حالات الانفلونزا والانيميا ونزلات البرد والروماتيزم .

● لاتستعمل مركبات «الامفيتامين» للتخسيس للمصابين بارتفاع ضغط الدم ، او الذبحة ، او الارق والعصبية .

● استعمال الاسبرين بكثرة قد يسبب الصداع والدوخة ووش الاذن وزغللة بالعين وحموضة بالمعدة . وكذلك الميل للنزيف والغثيان والقيء

● لاتستعمل مركبات «الكورتيزون» ان كان مصابا من قبل بمرض السكر او السل او قرحة المعدة او هبوط القلب او الالتهاب المزمن بالكلية – لان الكورتيزون يزيد تلك الحالات سوءا .

● لا تعطى طفلك « حقنة التسنين » من تلقاء نفسك وبغير استشارة الطبيب ، فهي عبارة عن فيتامين « د » وزيادة هذا الفيتامين قد تسبب ترسيبا للكالسيوم في الكلى ...

● توصل الدكتور « ماكس بون » في امريكا الى اختراع « سوتيان خاص » ترتديه السيدات يستطيع اكتشاف سرطان الثدى في مراحله المبكرة، وذلك بقياس التغيرات الطفيفة في درجة حرارة انسجة الثدى ..

● التغذية الجيدة + الرياضة البدنية + النوم الكافى + الراحة = الصحة ...

● اللبن الزبادى يمنع تصلب الشرايين . فقد اثبت الدكتور جورج مان ، في تجاربه اخيرا ان الزبادى يقلل من كمية الكوليسترول التي ينتجها الجسم ، والكوليسترول مادة معروفة باحداثها لتصلب الشرايين واثارها الضارة على القلب ..

● اثبت الدكتور «دينيس بوركيت» ان زيادة الالياف في الطعام تقلل حدوث الاصابة بسرطان المستقيم او الشرج ... والالياف تكثر في الفاكهة والخضروات مثل الخرشوف والجزر والطماطم والخس والجرجير.

غبريال وهبة

قصة

مصرع الحب

ما هي ذي اللحظة الرهيبة قد حلت أخيرا .. تلك التي ادركاه كلاهما منذ زمن ليس بالقصير أنه لا مهرب لهما منها .. وشعر الاثنان بها مفعمة لوعة واسى والما ممضا .

ولكنها كانت أشد هولا بالنسبة لسناء منها لجابر .

انها ما زالت تهواه وتحبه بعمق .

انه لم يسأم عشرتها فحسب ، بل هام بحب أخرى وغرق الى الاذنيه في لجة هذا الغرام .

انه شيء يدهش جابر ويحيره في هذه الايام عندما يتذكر انه ظل لبضعة أعوام مضت يحس بقلبه يدق بعنف لرأى سناء ذات القوام الملفوف ، والعينين الزرقاوين ، والشعر الذي يمتزج فيه النحاس بالذهب .. ولطالما ردد لزملائه في كلية الاداب انها فتاة احلامه ، وانه لا يكاد يبصر في الدنيا سواها . وشد ما تعذب وتألم في تلك الاونة . كان اذا لمحها مقبلة خفق قلبه وطار لبه . واذا جلس اليها ذهل عقله ، وطاش صوابه، وضاعت ارادته .

كانا يستذكران دروسهما معا .. وذات أصيل تلبد الجو بالغيوم القاتمة الحزينة وعندما نشر الليل أرديته السود دوى الرعد وانهمر المطر مدرارا وطفق يلطم زجاج نافذة غرفتها المطلة على كورنيش الاسكندرية . وكان اهلها نياما يغطون في نومهم مبكرين كعادتهم كل ليلة . فاذا بها تنهض وتقف بجوار فراشها وتقول له فجأة وهي تتثنى في اغراء :

– هل لي بمن يدلكني ويدفيء أوصالي الباردة !؟

فخفقت أحشاؤه خفقة انتفض لها جثمانه ، وقفز لها قلبه بين ضلوعه ، واطرق مليا ريثما يربط نافر جاشه ولم يلبث ان قال لها في خجل واضطراب :

– ستنالين ما تبغين عندما تتزوجين ...

– نعم ! ٠٠ أما أنت فانني أعتبرك مثـــل شقيقتي تماما !

بلع الاهانة وهـــو يزدرد لعابه ٠٠ ولكن ما كاد الليل ينتصـــف حتى استجاب لنداءاتها الهامسة ، وامـــسكـ‍ه جسدها الدافيء وهي مستسلمة بين أحضانه، بينما كان المطر ما زال يهطل بغـــــزارة ومصاريع النوافذ ترتج وتصطدم تحت صفعات الريح التي كانت تعوى وتعول بالخارج ٠

تزوجها وهو بعـــد طالب بالسنة النهائيـــة درءا للفضيحة ٠

تنفس جابر الصعداء عندما تبين أنها لم تحمل منه واحس بالملـــل يتسلل الى نفســه حتى قبل أن يلتقى بنوال ٠

وها هى ذى المضيفة بشركة الطيران تستحوذ على تفكيره ومشـــاعره منذ أن صادفها في معهد التحق به ليدرس اللغة الالمانية ٠

انها أنضر شبابا من سناء ٠٠ هيفـــــاء سمهرية القد ٠ تنسدل على محياها الناعـــم الجميل جدائل شعرها الاسود الفاحم، وتطوقه كما تطوق السحب وجه



مصرع الحب

القمر، وتطل منه عينان نجلاوان ينبعث منهما سحر بنات سوريا وفتنتهن. وكم استهواه أن عيونهما لم يحدث أن التقت الا وتوردت وجنتاها خفراء وغضت من بصرها حياء. لقد سبته خفة روحها، والمعية نكاتها الممتزجة بعذوبة براءتها..

تعددت لقاءاتهما بنادى الجزيرة، وكم أطربه صوتها الشجى وهى تشدو بأغنيات اسبانية رقيقة حالمة تنبثق من بين شفتيها القرمزيتين فتبدوان كزهرة رشيقة تتفتح فتعبق نغم الحياة بعبيرها الزكى.

كانت سناء تعرف كل ذلك، رغم أن جابر فعل ما في وسعه ليخفى الحقيقة المرة عنها لا يدفعه الى ذلك سوى بقية من خجل، وفضل من مروءة.

وهى فى الواقع قد ادركت كل شىء قبل وقوعه

لقد احست بغريزتها أن شعوره نحوها قد فتر. فها هى ذى قبلاته قد انقطعت أو كادت. وعناقه أصبح متكلفا وكأنه يؤدى واجبا ثقيلا بغيضا. وحديثه معها أمسى نادرا فيه افتعال وافتقار الى حرارة الصدق... وبات يوليها ظهره فى الفراش وسرعان ما يستغرق فى النوم تاركا اياها تتلظى فى جحيم الشك وانقلبت الآية عليها بعد أن حاولت اثارة شكه وغيرته... فقد ارصلها طبيب اسنانها ذات مساء الى المنزل بعربته وادعت لزوجها أنها شعرت بدوار فى عيادته بتأثير الحقنة المخدرة. وكانت تعمد بعد ذلك الى اعادة سماعة التليفون الى مكانها فى لهف وعجلة اذا ما اقبل من الخارج وفاجأها وهى تتحدث. فلم تثمر هذه الطريقة. وظلت الهوة تتسع بينهما

وها هى ذى قد استشفت وجود نوال قبل أن تظهر فى حياته وعرفت مدى الجاذبية التى تشد جابر نحو الفتاة الشابة العذراء

كان لا يني جهدا فى مراعاة شعورها..

– أرى من الافضل أن ننام فى حجرتين مستقلتين لفترة من الوقت يا حبيبتى...

أليس كذلك؟ وطبعا أن شعورى نحوك لم يتغير. فأنت تعلمين أننى أحبك يا عزيزتى

ليته لا ينافق بكلمات الحب والاعزاز التى يغلف بها حديثه...

ان قلب سناء يصرخ داخل صدرها!.

كان يعنى هذه الكلمات فعلا فيما مضى. وكنت أحس بصدقه. أن أول مرة ناداني فيها بحبيبته كانت فى ليلة من ليالى ديسمبر ونحن فى السنة الثالثة بالكلية ... ولكن لماذا تلح على هذه الذكرى.. الانها فى احدى ليالى الشتاء:

وما جدوى ذلك الآن؟! ها هى ذى رغم ذلك تتذكر، ان كل شىء

يطوف بمخيلتهـا كأنه حدث بالامس ... انها تحس فى هذه اللحظة كأن سكينا مرهفة النصل تلتوى وتعمل فى احشائها تمزيقـا وتقطيعا .

وفجأة صاح بها

ـ سناء ! .. لماذا تبدين ساهمة شاردة هكذا ؟!

ما هذا ؟! لقد ناداها باسمها لاول مرة منذ زمن طويل . لا ريب أنه قرأ فى وجهها ما تعانيه .. وها هى ذى تحذر نفسها مرارا وتكرارا خلال لياليها المليئة بالشقاء التى انقضت ساهرة، من أن تثور فى وجهه ... وعليها أن تكون سمحة كريمة مع جابر وأن تقابل الاساءة بالصفح .

نعم ... يجب أن تفعل ذلك حتى تمس قلبه وتثير اعجابه بها فيحبها ثانية .

ان الامر فى الواقع لن يكلفها غير ذلك حتى تستعيد حبه مرة اخرى .

وها هى ذى تقـول له :

ـ حسن يا جابر .. ثم اردفت :

ـ هون عليك ...

اننى لا أريد منك شرحا أو تفسيرا . ان هـذه الامور ليست غلطة احد .. أليس كذلك ؟ واذا كنت قد فقدت حبك لى فليس الامر بيدك .

فقال لها فى ضجر :

ـ ولكنى فقدته الان اننى أوليك حبى بالطبع ان مشاعرى نحوك كما هى لم تتغير .

ثم استأنف حديثه قائلا :

ـ فى الواقع ، ان المرء لا يمكنه ان يتهور ...

ارتج عليه وتوقف عن الحديث لحظة ثم مضى



يسب الشيطان ويلعنه وهو يقـول انه لا يستطيع شرح الموضوع وايضاحه .

ـ ولكنك لست بحاجة الى هذا الشرح . اننى أفهم ما تعنيه .

كانت تكذب عندما فاهت بهذه الكلمات . ثم قالت :

ـ انهـا نـوال .. أليست هى ؟

وعندما ذكرت ذلك .. كانت تعتقد انه لا ريب سيدهش ويعجب بشجاعتها ويشعر بأنه لا توجد امرأة يمكن أن تمنحه حبا مثل حبها وأن عاطفته القديمة نحوها ستبعث من جديد .. ولن يلبث أن يحتويها بين ذراعيه .

ولكن ها هو ذا جابر يزمجر قائلا :

ـ يا لله ! .. حسن الان ... كان لا بد أن تعلمى . فهى نـوال فعلا !

فقالت له فى حذر :

ـ طبعا .. اننى أعلم ذلك منذ زمن طويل ...

اننى افهم جيدا ... أنت تعنى انك تحبها ؟

مصرع الحب

وراحت تقول لنفسها .. يعينا سيعترف لها انها مجرد نزوة ، وانه في الحقيقة لايحب احدا غيرها . والامر لا يزيد عن انه فتن بملاحة نوال في لحظة ضعف .

ان ذلك سيرضيها على الفور . وسوف تخبره انها مقدرة لموقفه متفهمة له ...

اخذت تتطلع اليه ورات كيف رفضت عيناه ان تلتقي بنظراتها

– ما دمت تجبريني على ان اتحدث ...

ثم اردف ببطء هو يضغط على الكلمات :

– نعم ... انني احبها ... والامر اخطر بكثير مما تتصورين !

يا للمصيبة ! .. لقد سالت عن ذلك وجاءها الجواب صاعقا ! بها تشعر بلطمة هائلة اصابتها في العمق حتى النخاع . وكان تيارا من الزمهرير قد تسلط على عظامها حين فاه بهذه الكلمات

احست بالدماء تغيض من وجهها . انه سيرى وسيعرف كم عانت كثيرا ... وسيدرى ما كابدته من الامبريحة وسياسف لذلك ويحبها . يحبها ثانية ، كحبه لها في الماضي .. بل يفوقه بكثير ..

– انني اكره ان اقول ذلك يا سناء ... انت تجعلينني اشعر انني وغد . ولكن لكل شيء نهاية ان عاجلا او اجلا اليس كذلك ؟ لقد قضينا اوقاتا سعيدة معا ... و ... و .. سوف اتذكرها على الدوام و ... واحس ...

تعثرت الكلمات فوق شفتيه . وكان حديثه ثقيلا على نفسها . فانطلقت في سرعة ويأس تنشد اسلوبا وخطة جديدة ...

– جابر .. لقد اسعدتني مثلما لم يسعدني احد في هذه الدنيا . ولن انسى لك هذا الجميل ما حييت انني ... لا الومك على شيء .

الكرم ! .. سيشعر ان كرمها قد فاق كل حد ... ولا يمكن ان يصدر مثله من اية امراة الا اذا كانت تحب الى ابعد حدود الحب وتحتمل في سبيله اقسى ما يمكن ان تحتمل من عذاب وتضحية .

فمنعم بكلمات قاسية، ولكنها اكرهت نفسها على ان تصم اذنيها ، وان تغلق عينيها ...

ولكن هناك ورقة اخيرة بقيت لديها ... يجب ان تواصل الشوط معه الى اخر مداه ... وان ترتفع الى قمة النبل والسمو حتى تستعيد حبه ..

– جابر ... لن اعتد او ابكي ... ولن يصدر مني ما يغضبك ... انني اعدك بذلك . ان الامر فوق طاقتك اذا لم تعد قادرا على ان تحبني بعد الان . فان امور الحب لا تخضع للارادة ... تماما مثلما اجد الامر خارجا عن ارادتي في انني ما زلت احبك ، وسأظل مقيمة على حبك دائما .

صمتت لحظة كانت كافية لتتحقق من انه لن يندفع قائلا لها انه يجب ان يبادلها حبا بحب .

- اذا اردت أن تكون هذه هي النهاية ... فلتكن .

لم تستطع أن تواصل الحديث ... تمزق حسرتها .. واحتبست الكلمات في حلقها .. وتقلصت عضلات وجهها .

تقدم جابر صوب الباب .

ولكن ماهو ذا على وشك أن يتكلم . انه يهم بالحديث ... سيقول لها أن هذا الكابوس لم يكن حقيقيا .. وانه يحبها اكثر من اى وقت مضى .

- يا الهى ... انك تتكلمين لتهوين الامر على ، وتخفيف وقعه على نفسى ... غير أنى سأقولها لك .. ان أسوأ ما فيك اشارتك للشك حولك بشتى الطرق . واكاذيبك التى لا تنتهى وغرورك ، وعنادك وصلابة رأسك ! .

حملقت فيه سناء فى دهشة وذهول ، غير



مصدقة لما يقول ...

- مالك تنظرين الى هكذا ؟! نعم ... فوالله ما رأيت مخلوقة اخبث ولا أبرع خدعة ، ولا احذق بافانين الكذب ، منك . لقد كسحتك ذرعا ولم يبق لى فى قوس الصبر منزع ...

حاولت أن تدافع عن نفسها ، ولكن حلقها الجاف أبى أن يسعفها .

أسرع يفتح الباب وانطلق خارجا بعد أن صفقه وراءه بعنف !

صوبت الى الباب نظرة مأخوذة وقد جحظت عيناها واصفر وجهها ودارت الغرفة بها دورانا ...

ترنحت واحست بالارض تهوى تحت قدميها، وانهارت مغشيا عليها ...

ومن عالم موحش ... عالم الفراغ والسكون والظلام انسل اليها فجر الوعى شاحبا واهنا... وبدأت تفيق . ثم يرف جفن مزعج حول انثيها .. وتتفتح اطرافها .. وقبل أن تتذكر شيئا ، تشدها الغيبوبة من جديد ...

مضت عقارب الوقت مسرعة ... واذا بجفنيها يرتعشان واجتاحها خوف مفاجىء بعث الدم دافقا الى اوصالها الباردة، فكانت اول فكرة ومضت فى ذهنها من خلال الضباب الاسود الذى كان يتراقص امام ناظريها .. ان جابر اذا علم انها هوت الى الارض فاقدة الرشد سوف يدرك ، ويفهم ، ويقدر ... سوف يحبها ثانية ! .



محمد حسين مصطفى مختار

عن السحر والسحرة

ان لمجلتكم فضلا كبيرا فى انتشار الثقافة العربية فهى غنية بالموضوعات المفيدة ، ففى كل شهر المواضيع تختلف عن ذى قبل وتأخذ شكلا ونوعا جديدا سواء كان فى المواضيع أم المقالات ام القصص أم القصائد . فهى حقا منهل للعلم والمعرفة ، وهذه حقيقة لامجال فيها للشك ، ومن يقل غير ذلك فهو مغالط وغير منصف للحق .

وقد قرأت فى عددكم الاول لشهر يناير لعام ١٩٧٥ م الخاص بالسحر والسحرة موضوعا عن السحر والسحرة عند قدماء المصريين بقلم الدكتور سيد كريم ، ولقد ذكر فى هذا الموضوع عن المعجزات والسحر (ص٥٤) . ذكر الدكتور (بان معبد زايس المذكور هو الذى تعلم فيه سيدنا موسى عليه السلام ودرس اللاهوت والحكمة وفاق بقية السحرة امام فرعون عندما القى بعصاه فتحولت الى افعى اكلت افاعى بقية السحرة) .

وهذا الكلام خطأ وألف خطأ ، لأن سيدنا موسى عليه السلام لم يتعلم السحر والحكمة من هذا المعبد كما قال الدكتور سيد ، وانما الذى علمه الحكمة الله سبحانه وتعالى . وكلام د . سيد ينافى الحقيقة التى نعرفها .. لأن ذلك غير وارد فى القرآن الكريم والقرآن الكريم لم يذكر بأن سيدنا موسى تعلم فى اى معبد .

قال تعالى وهو اصدق القائلين (ومن اصدق من الله حديثا)

وقال تعالى (ولما بلغ اشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين) سورة القصص آية ١٤ وهذه الآية الكريمة تدل على أن الله علم موسى وآتاه العلم والحكمة ، ثم ان موسى لم يتعلم السحر كما زعم د. سيد ، وانما الله سبحانه وتعالى هو الذى قلب العصا الى حية تسعى قال تعالى (فلما أتاها نودى من شاطىء الوادى الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة .

ان يا موسى انى انا الله رب العالمين ، وان الق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى اقبل ولا تخف انك من الآمنين » سورة القصص اية ٢٩

كذلك اخبر الله سبحانه وتعالى عن عصا موسى ، قال تعالى (وما تلك بيمينك يا موسى · قال هى عصاى اتوكأ عليها واهش بها على غنمى ولى فيها مآرب اخرى · قال القها يا موسى فالقاها فاذا هى حية تسعى · قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى · واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء اية اخرى لنريك من اياتنا الكبرى اذهب الى فرعون انه طغى) سورة طه اية ١٧ ـ ١٨ ـ ١٩ ـ ٢٠ ـ ٢١ ـ ٢٢ ـ ٢٣ ·

وهذه اية صريحة تخبر بأن الله هو الذى جعل العصا تنقلب الى حية ، وموسى لم يتعلم السحر لان القرآن الكريم لم يذكر ذلك ·

ولا توجد اية فى القرآن الكريم تشير الى ان الانبياء والرسل قد تعلموا السحر فى معابد كما زعم الكاتب ·

وهذه من المعجزات التى خص الله بها انبياءه ورسله ·

وكذلك نجد ان الكاتب فى (ص ٥٤ ـ ٥٥) يقول (كما اشتهر الكاهن الاعظم بمعبد حورس القديم (دير المحرق بمعجزة شفاء الابرص ، الى ان يقول (كما ورد فى برديات روبن ولى ، ومما يجدر بالذكر ان ذلك المعبد هو الذى اقام به سيدنا عيسى عليه السلام اثناء هروبه واقامته فى مصر) ·

هذا ما قاله د · سيد بالحرف الواحد ، وللاسف ان هذا الكلام خطأ لان عيسى عليه السلام لم يتعلم فى هذا المعبد ، وانما الذى علمه ذلك الله عز وجل ، وان عيسى عليه السلام حينما قال « واخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله » كذلك فى ابراء الأبرص واحياء الموتى جميع هذه الاشياء والمعجزات (باذن الله) · ولم يتعلم ذلك فى معبد حورس كما زعم الكاتب ·

قال تعالى : (ومن اصدق من الله قيلا) ·

قال تعالى : « ورسولا الى بنى اسرائيل انى قد جئتكم باية من ربكم انى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله ، وابرىء الاكمه والابرص واحيى الموتى باذن الله وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين) سورة آل عمران اية ٤٨ ، هذا ما حكاه القرآن الكريم عن عيسى عليه السلام ولم يقل انه تعلم فى معبد معين كما قال الدكتور سيد كريم ·

انصدقه أم نصدق القرآن الكريم ، وهذا كلام الله وليس كلام البشر قال تعالى (ومن اصدق من الله حديثا) ·

فبالله عليكم قبل ان تكتبوا اى كلام يمس الدين الاسلامى عليكم بالبحث والتدقيق لان ذلك شىء هام ، ولانه يمس الدين الاسلامى ·

وفى (ص٥٥) ذكر الكاتب بالحرف الواحد (كما اشتهر كهنة امناسة بمعجزات ما اطلق عليه سر الاحلام الخاصة بتفسير الاحلام وقراءة الغيب والوساطة والاتصال الروحى عن طريق الاحلام وتمكين الرؤيا للاطلاع على المجهول · وتحوى برديات تورين

عن السحر والسحرة



الكثير من صفحات كتب السحر (سحر) الاحلام وكتاب مفتاح الاحلام . وفي هذا المعبد درس سيدنا يوسف الرياضيات والفلك وعينه فرعون كاتبا بالقصر واميناً على المخازن بعد نبوءته المشهورة في تفسير الاحلام) .

هذا كلام د . سيد بالحرف الواحد . ويخصنا قوله (وفي هذا المعبد (معبد اهناسيا) درس سيدنا يوسف الرياضيات والفلك . الى آخره) .

وهذا الكلام لم يرد في القرآن الكريم ، لان القرآن الكريم قص حياة سيدنا يوسف عليه السلام في سورة يوسف ولم يذكر انه تعلم في المعبد كما ذكر المؤلف .

قال تعالى (ولما بلغ اشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين) سورة يوسف آية ٢١ .

قال تعالى (ودخل معه السجن فتيان قال احدهما انى اراني اعصر خمرا وقال الاخر انى أراني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين .

قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل ان يأتيكما . ذلكما مما علمني ربي انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالاخرة كافرون) سورة يوسف آية ٣٥ .

لم يقل يوسف ذلك مما تعلمت في معبد اهناسيا كما ذكر المؤلف ولكن قال (ذلكما مما علمني ربي) .

اما عن تفسير الاحلام .

قال تعالى :

(وقال الملك انى أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات يا ايها الملأ افتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون . قالوا أضغاث احلام ومانحن بتأويل الاحلام بعالمين . وقال الذى نجا منهما وادكر بعد امة انا انبئكم بتأويله فارسلون . يوسف ايها الصديق افتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات لعلى أرجع الى الناس لعلهم يعلمون) سورة يوسف آية ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ .

وحينما فسر يوسف عليه السلام الحلم كما علمه الله قال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي .

قال تعالى (وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين امين . قال اجعلني على خزائن الارض انى حفيظ عليم . وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع اجر المحسنين)

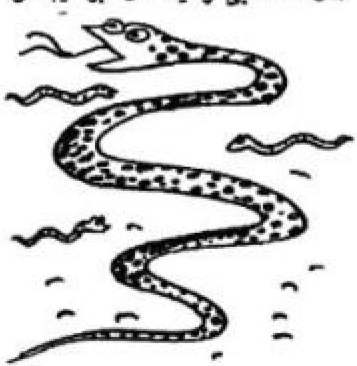
سورة يوسف آية ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥

هذا ما ذكره القرآن الكريم في قصة سيدنا يوسف عليه السلام . لم يتعلم في المعبد كما قال الكاتب د . سيد وانما علمه الله وكفى بالله عليما كذلك نجد ان الكاتب ذكر في صفحة

٥٥ ، ٥٦) قوله : « كما حوت برديات وستكار التي ترجع الى الاسرة الخامسة « المعجزات » التي كان يقوم بها الكاهن « جدي » أحد سحرة معبد هليوبوليس امام الملك خوفو حيث كان يفصل رءوس الطيور عن أجسامها ويضعها في أركان القاعة الاربعة ، ثم يتلو عليها تعاويذه السحرية فتلتحم الرءوس بالاجساد وتعود الطيور للتحليق وهي تصيح وتغرد ٠ الى أن يقول ٠ وفي هذا المعبد أقام سيدنا ابراهيم فترة من الزمن ودرس الكثير من أسرار سحرهم »

والانسان لايستطيع ان يخلق ذبابة ولو اجتمع الناس جميعهم ٠ الا باذن الله كما قال عيسى عليه السلام٠ قال تعالى (ورسولا الى بني اسرائيل اني قد جئتكم بآية من ربكم اني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وابرىء الأكمه والأبرص وأحيي الموتى باذن الله وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين) آل عمران آية ٤٨ ٠

قال تعالى (الم تر الى الذى حاج ابراهيم في ربه ان آتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربي الذى يحيي ويميت قال انا احيي واميت قال ابراهيم فان



الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين) سورة البقرة آية ٢٥٧ ٠

قال تعالى (واذ قال ابراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ اربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم ان الله عزيز حكيم) سورة البقرة آية ٢٥٩ ٠

هذا ماذكره القرآن الكريم ، وهذا الذى يجب أن نؤمن به ٠

قال تعالى (ومن أصدق من الله حديثا) ٠

وان من واجبنا نحو القرآن الكريم أن نتقرب الى الله تعالى بقراءته وتدبر معانيه كما علينا تنفيذ أحكامه، والالمام بعلومه ومعارفه والاهتداء بهديه والتخلق بأخلاقه ٠ واذا انكر انسان اى آية او شيئا مذكورا في القرآن فانه يكفر والعياذ بالله ٠

وأهل السنة والجماعة يقولون بأن أصدق الكلام كلام الله ، وخير الهدى هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ٠ ويؤثرون كلام الله على غيره من كلام أصناف الناس ، ويقدمون هدى محمد صلى الله عليه وسلم على هدي كل أحد ٠

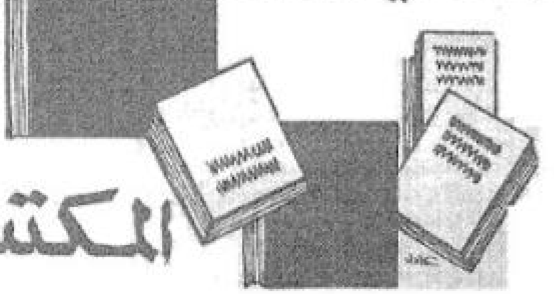
ان مجلتكم الفاضلة يقرؤها الكثير والكثير من الناس ، وحتى لا يلتبس الامر على عامة الناس ، أكرر رجائي لكم بتوخي الدقة ، ومن واجبنا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كما امرنا ديننا الحنيف ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم٠

● ملاحظة : أنا أؤمن بالسحر لأن السحر موجود ولأن النبي صلى الله عليه وسلم سحر٠ ولن يصاب الانسان الا باذن الله ٠ ولن يصيبنا الا ما كتب الله لنا ٠٠

● محمد حسين مصطفى مختار ●
● جدة ○

محمد حسن

الجديد في المكتبة الغربية



تحية وفاء

تظهــر قريبا اول دراسة للشاعر « اودين » بقلم صديقه ستيفن سبندار، والكتاب ليس مجرد كتاب سيرة ، بل سلسلة لقاءات حية بالنــاس الذين عرفوا الشاعر في مراحل مختلفة من حياته ، والتركيز فيه على الانسان لا مؤلفاته : على شخصيته ، وفكاهاته، وعاداته ، واسلوبه في الحياة ... أو كما قال صديقه : « هذا هو اودين الحقيقي » . وهو عمل هام لان اى تقييم للشاعر فيما بعد ، ومرجع لا بد منه .

ويرى المؤلف أنه لابد من مرور وقت طويل قبل أى تقييم حقيقي لاودين ، لان نصف اشعاره لم ينشر ، وبين ما لم ينشر اشعار ممتازة . ولقد ظلت مجموعة المقدمة من شعراء بريطانيافي الثلاثينات والاربعينات ، مثل أودين ، وسبندار ، وماكنيس ، وايشاروود وريكس وارنر وغيرهم ، أصدقاء لعدة حقب ، وهو أمر غريب في عالم القمم الادبية الحافل بالتنافس والدسائس والاحقاد . ولعل ذلك راجع الى انهم كانوا يعيشون حيــاة متشابهة ، فلم يقتن احدهم ثروة ، ولا كان لاحدهم قصر وخدم ، بل ظلوا من ابنــاء الطبقة الوسطى ... رغم الشهرة الدولية ! .

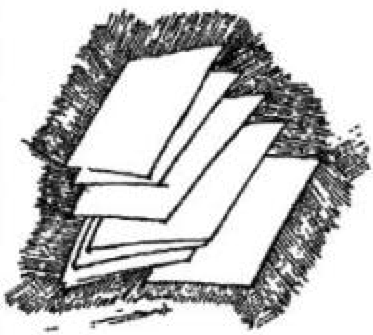
ومفتاح حياة أودين أنه كان يعرف قيمة الوقت ، فكان مخلصــا لمواعيده ومسئولياته لدرجة الهوس ، ســواء كان الموعد حفلة أو تسـديد دين . وربما كانت حياته تبدو بوهيمية ، ولكنها في الحقيقة كانت في غـاية التنظيم ، وكان سعيدا لانه من ابناء الطبقة الوسطى . وكان خوف الشاعر من احتمال التاخر عن موعد يفسـده

أحيانا فى مآزق محرجة ... مثلا كان عليه مرة أن يقدم قراءة شعرية فى حفل ، ولفرط حرصه على الموعد وصل مبكرا ساعتين ، فلم يجد أمامه ما يفعله سوى قضاء الوقت فى البار .. يعلم الجرسون كيف يجهز كوكتيل المارتيني بالفودكا ، وطبعا كان يجرب كل كوكتيل يصنعه ... وحين حان موعد الحفلة لم يكن أودين فى حالة طبية .. من كثرة « تذوقه » كئوس الكوكتيل !

W.H. Auden: A Tribute, by Stephen Spendar, MacMillan.

● ذو الألف وجه ! ●
الكتاب : كبلنج
(المرأة ، والشبح ، والنار)
المؤلف : فيليب ماسون

أول قصة طويلة قرأتها للكاتب والشاعر البريطانى روديارد كبلنج منذ أكثر من ثلاثين عاما ظلت حية معى على مر الأيام ، فلم يسبق أن شهدت عاطفة صادقة كهذه العاطفة ، ولا جحودا صارخا



كالجحود الذى صوره كبلنج بقوة وواقعية وصدق فى قصته « الضوء الذى خبا » : قصة شاب بريطانى ضحى بكل شيء فى سبيل حبه ، حتى وطنه ، ومع ذلك أنكرت حبيبته حبه وتضحياته !

حينما ظهر كبلنج فى لندن سنة ١٨٩٠ ، قابله الوسط الأدبى بحماس ، ووصفه بأنه بلزاك أو ديكنز عصره والمرحلة التى ميز الوقور مقالها الافتتاحى ووصفه هنرى جيمس ، بأنه « أكمل عبقرى عرفته » .. وفجأة أصابت الرجل نكسة ، بفضل الكراهية المتبادلة بينه وبين المثقفين المتجمدين ، لدرجة نسى معها هؤلاء عبقرية الرجل ، فى غمرة احتقارهم لسياسته ... قال أحدهم : « ليس فى شعره لمحة من الاحترام للانسان ، وانما فيه كرنفال عجيب من السكارى ، والمشاغبين ، والمتعجرفين فى ثيابهم العسكرية ... يتصايحون ويحيون العلم البريطانى »!

ومع ذلك فان جورج اورويل قال عنه فى سنة ١٩٤٦ - أى بعد أكثر من نصف قرن : « خلال ثلاثة أجيال أدبية، احتقره كل مثقف متحرر ... وفى النهاية ، نسى الناس تسعة أعشار المتحررين ولم ينسوا كبلنج » !

وحينما كان كبلنج فى قمة صراعه مع المثقفين سنة ١٩٢٩ ، قال أحد النقاد : « ان اللمسات الأخيرة فى فنه هى التى تجعله يبدو سطحيا » ... أما ت . س . اليوت فوصفه بأنه « أعظم أديب بريطانى فى جيله » .. وقال هـ . ى . بيتس : « لم استمتع أبدا بعبارة واحدة من عباراته » ... أما لويس فقال : « انى أعجب كيف يشك من له حاسة أدبية ، فى أن كبلنج فنان عظيم جدا » !

وهكذا نرى أن هناك من يرفعونه الى القمة ومن يهبطون به الى الحضيض لماذا اذن كل هذا التناقض والخلاف ؟ ليس لأنه كاتب غير مستقر ، لأن كلا

من ديكنز وورد زورث كانا كذلك ـ احيانا ، بل لان كبلنج ارتدى عدة اقنعة ، ولم تبرز شخصيته فى كتاباته تماما ... او كما قال اليوت : « لم يحمل للقارىء رؤية جديدة » ، وفى عصر رفع شعار « الفن للفن » كان كبلنج فنانا حقريا ، انغمس فى الاعجاب بالاستعمار البريطانى ، وتحمس لغزوات جنود الامبراطورية ـ الذين لم يفلح فى الانخراط فى صفوفهم قط ! ... كان قبليا بطبيعته وان فصلته ممارسة فنه عن القبلية فلم يكن واثقا من انتمائه الى اى قبيلة!

ويرى مؤلف الكتاب أن سر هذا التناقض يكمن فى حياة كبلنج نفسها: السنوات الخمس الاولى من حياته عاشها فى بومباى ، والاستعمار البريطانى فى أوجه فى الهند ، حيث كان يعهد بتربية ابناء البريطانيين الى الخدم ، ولكن فى مقابل حزم التربية البريطانية ، كان خنوع التربية الهندية الامر الذى جعل الطفل البريطانى فى الهند ديكتاتورا وسيدا مطاعا لا يجرؤ خادم على عصيان أمره ... ولا يأبه والداه بسلوكه ! .

وفجأة ينتقل كبلنج ـ مع والديه ـ الى بيئة جديدة فى جنوب اسيا ، حيث عهد به ـ وباخته ـ الى دار حضانة تسلل الوالدان دون أن يشعر الطفلان، وتركاهما فى هذه البيئة الغريبة بحجة ان من غير المناسب أن يعلم الطفلان ما حدث ولماذا حدث ... ولم يبصر الطفلان ابويهما لمدة خمس سنوات . وخلف هذا « الهجر » شعورا بالوحدة القاسية ، ومرارة شديدة فى نفس الطفل الحساسة .. وانعكست هذه الوحدة والمرارة على قصصه التى كتبها بعد ذلك بعشرين سنة ، وهى قصص حافلة بالرعب الاهل ، يحس فيها بوحدة ملك انزل عن عرشه قسرا ، ونفى فى كوخ ضيق كئيب ، تحكمه امراة تجاهره العداء ، بحجة أن التدليل افسده فاصبح وقحا كثير الاسئلة وتبدأ حلقة شريرة : المرأة الشقاء الصغيرة كئوس الكراهية والشك واليأس مترعة، فان حب العالم كله ، لن يمحو هذه الذكرى » !

ترى الاصلاح فى اخضاعه ، فيتمرد ، فتعاقبه ، فيلجأ الى الخداع والكذب لينجو من العقاب ... وتنتهى الحلقة الشريرة بالعمى ، وكوابيس النوم ، وتمرض نفسه ، ويحطم كل شىء فيعاقب من جديد !

كان هذا فى قصة « البيت الموحش » التى ختمها بقوله : « حينما تتجرع بعد جنوب آسيا ، التحق كبلنج بمدرسة لاعداد ضباط الاحتلال ، وكانت تعاليم الامبراطورية أن الاولاد يجب أن ينشأوا على الطاعة العمياء وكبت عواطفهم ، خصوصا عاطفتى الخوف والالم ، ويتقبلوا العقوبة حتى ولو كانت ظالمة ، وحتى يشتد عودهم يجب أن يعيشوا فى ظروف اقسى من ظروف السجن ... وطبعا كان هذا ضد طبيعة الفنان الحساس كبلنج ، فشعر بمزيد من الوحشة والوحدة . بحيث أعفى تماما من ممارسة الرياضة .. وكبت كبلنج تمرده لاحساسه بأن الامبراطورية فى حاجة فعلا الى هذا النوع من الرجال ، وفى نفس الوقت حسد الاولاد على حسن ادائهم : كان يود انيكون واحدا منهم، ولكنه كان عاجزا ، فترك المدرسة ونفسه موزعة بين الكره والاعجاب .

وعاد كبلنج الى الهند وهو فى السابعة عشرة ، ليعمل كاتبا صحفيا ، ومرة اخرى شعر انه غريب وسط

الجالية البريطانية المتغطرسة ، فشعر بمزيد من العزلة وسط مجتمع كانت القاعدة الموضوعة للشاب البريطاني فيه أن « يرى ولا يدع أحدا يسمعه ، ولكن كبلنج كاتب ، وبهذه الصفة كان عليهم أن يسمعوه ، فصرخ ثائرا ، ولم يكن الصراع ملائما للتقاليد البريطانية البـــاردة ·· وكانت كتاباته الاولى محاضرات فيما ينبغى أن تكون عليه الحال ، كانت دراسات تبرز علمـــه الغزير فى مواجهـــة المتغطرسين المسطحيين · لهذا السبب ايضا كانت مجموعة قصصه الاولى ـ وهـــو فى الثالثة والعشرين ـ قوية صارخة ، مفرطة فى الغرابة والسخرية والتمرد على الاوضاع ، أعجب بها الفرنسيون وكرهها الانجليزبرودهم وغطرستهم ·

وغادر كبلنج الهند وهو فى الرابعة عشرة ليحترف الكتابة فى لندن ··· وعمل بجد ، وانتج كثيرا ، ولكن حاجته الى المرأة أزعجته ، لخوفه من تأثيرها على عمله ··· ومع ذلك أحب امرأة متزوجة ، ثم نقل حبه الى أختها حتى كاد يخطبها. وفجأة التقى بالفتاة التى بادلته الحب وهو فى السابعة عشرة ، فطاردها ، وتفانى فى العطاء لها ، ولكنها رفضته ، وآلمه الرفض والجحود ، فخلده فى رواية « الضوء الذى خبا » ، كما قدمنا · ولكن الحادث زاد من شعوره بالوحـــدة . وحاول « التعويض » بصـــداقة فتاة امريكية ، وفجأة تركها ليقوم برحلة عمل فى الخارج ، مرضت خلالها فتاته فأسرع بالعودة ليعلم من أختها انهـا ماتت ·· فتزوج من الاخت !

ورغم أن الاخت لم تمنحـــه الحب والخيال، الا انها كانت الام التى رعته طوال حياته وأبعدته عن المتـــاعب ، ووهبته طفلين أحبهما من كل قلبه·· وفجأة مات أحدهما ، ثم تبعه الاخر ، فتحالفت عليه الالام الاشجان ، فأخرج أفضل كتبه ·

هذه هى الخلفية التى ينبغى على القارىء أن يرى أعمـــال كبلنج فى ضوئها ··· فالكتابات الهندية الاولى محاولات لاقناع القارىء بأنه يشاطره قيمه ، وان كان فى قرارة نفســـه رافضـــا لهذه القيم ·· وفى لندن ألفت محاولاته لفت الانظار اليه حتى كادت تختفى ، وبدا يظهر نضجا وعمقـــا يدعو الى الدهشة ، رغم اصطدامه بالمثقفين المتحررين ··· بعد الزواج تحول الى داخل نفسه ليفجر طاقاته فى قنوات جديدة ، وان بقيت ذكريات الهند فى الخلفية ··· ومع ذكريات الالم والحزن فى فقـــد ولديه فر من نفسه : غطى حرب البوير فى جنـــوب افريقيا ، حيث ظهرت وطنيته واضحة وكان حماسه للحرب سببا آخر فى احتقار المثقفين له !

بعد الحرب تحول كبلنج مرة أخرى الى داخل نفسه ، واتبع أسلوبا جديدا فأخرج أفضل اعماله على الاطلاق ··

قال اليوت مرة : « ان كبلنج كاتب من العسير فهمه ··· ومن المستحيل تجاهله » ، ولكن الكاتب معا يعسر فهمه، ويمكن أن تفسر شخصية كبلنج المزدوجة : ظاهرة اللامع المصقول كالمرآة يعكس الاخلاقيات الفيكتورية ، عكسا ميكانيكيا أحيـــانا ·· وباطنـــه نار متأججة : تريد أن تطهر الضمير الانسانى ، وتمحو الآم الانسانية أو على الاقل تشاطرها اياها ·· مع امل دائم فى رحمة الله !

Kipling: The Glass, The Shadow, & The Fire, by Philip Mason, Cape

● الثائرة البريئة ! ●

الكتاب : انجيلا ديفيز

« ترجمة شخصية »

استـــاذة جامعية متهمة بالاشتراك فى قتل قاض فى قاعة المحكمة ، وشابة جميلة مثقفـــة ، وثائرة أوحـــت لانطونيونى باخراج الفيـــلم افلامه ،

وطريدة المباحث الامريكية ـ هذه هي انجيلا ديفيز · حقيقة أن الفيلسوف البريطاني برتراند راسل كان ثائرا ، اشترك في المظاهرات ، واصطدم بالقانون والمجتمع ، ودخل السجن رغم لقبه النبيل ··· ولكنه لم يكن أبدا من طائفة المنبوذين !

لقد تفتحت عينا انجيلا ديفيز على مظالم التفرقة العنصرية في الولايات المتحدة ، فوجدت نفسها منبوذة في مجتمع من البيض ، ولا ذنب لها الا لون بشرتها ، فقد ولدت في مدينة برمنجهام بولاية الاباما ، معقل التفرقة العنصرية في الولايات المتحدة ، لوالدين يعملان بمهنة التدريس ، كل منهما ـ لضمان لقمة العيش ـ عدم اثارة هيئة التدريس البيضاء ولكن مع هذا الحرص اشتريا محطة بنزين ، كاحتياط للمستقبل ، اى ان الأسرة ، رغم الظروف غير المواتية · كانت لاتنقصها الثقة بنفسها ، ولم تكن ابدا سلبية ، كانت أول أسرة سوداء تنتقل للاقامة في حي للبيض ··· وكانت انجيلا في الخامسة . حينما نسف البيض منزل الاسر ثم ليطردوها من الحي كله ··· بعد ذلك شهدت انجيلا مزيدا من الارهاب لبني جنسها ، وشهدت تكديس الاسرة للسلاح لاستخدامه اذا ما دعت الحاجة ·· مع استمرارها في ممارسة مهنة التدريس للبيض ، ومع البيض !

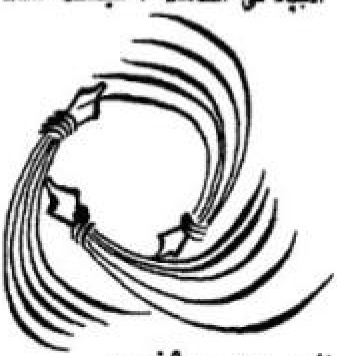
وكانت انجيلا طفلة ذكية ، في بلد فيه الفرص التيسة والكراهية ، فاقتنصت الفرص وتجنبت ـ بمهارة ـ الكراهية ، وفي الكلية كانت واحدة من السود القلائل المتفوقين ·· وسار معها النجاح والتفرقة في ركاب واحد، وعملت بجد ، وكانت من ألمع الطلبة ، ولكن نجاحها لم يعزلها عن الام بني جنسها ، وان نظرتها الموضوعية العلمية ، وثورتها على الظلم ، الى الانضمام الى اليسار الثائر ، فكانت النتيجة طردها من منصب التدريس ، فلاول مرة تدرك ، وتلمس بنفسها · الجحيم الذي يعيشه السود ، واثرت فيها « خطابات السجن » التي كتبها جورج جاكسون ، تأثيرا عميقا ، لان هذه الرسائل كانت تصرخ من الظلم بشدة اكثر مما كانت تصرخ بكتابات زولا « اني اتهم » ·

لهذا السبب ، ورغم بعد انجيلا عن مسرح الحادث ، أصبحت في قائمة المطلوب القبض عليهم ، وظلت انجيلا طريدة « العدالة » شهرين ، وسجينة « العدالة » ١٦ شهرا ، قبل أن تبدأ محاكمتها ، لتبرئها قاض ابيض ، ومحلفون بيض !

لماذا احتفلت انجيلا ببندقية وهي بريئة ؟

لأن تجربة السود علمتها ان الثائر بغير سلاح النسان محكوم عليه بالموت ··· والامثلة كثيرة كثيرة ··· بدرجة تدعو الى الملل !

Angela Davis, an Autobiography, Hutchinson.



الجديد في المكتبة العربية

محمـــود
العـــتريس

العودة في الخريف

« الى « العـــرسى مطروح » مهـــد الطفولة ومرتع الصبا وصــبابة العمــــــــر »

بلد الجمَال أنا هنَا . . لو كنت تذكر من أنا
أنا من رضعت حنان صدرك واحتضنت السوسنا
أنا من حبوت على ترابك بالدموع وبالمنى
أنا من سبحت فى البكتور ومن ذرعتك موهنا
وعلى مآذن (سيدى العوام) قمت مؤذنا
وأنا الذى لما أزل أشدو بحبك معلنـــا
أتراك تذكــــر من أنا .. بين الأحبة ها هنا ؟!
حاشاك أن تنسى فتاك وأنت أصدق من حنا
« مطروح » هل عند الزمان لديك مما عندنا ؟!
انى أعود مع الخريف وما جنيت ، وقد جنى !
فأراك فى زهو الشباب ـ كما تركت ـ وأقتنا
وأرى شــبابى تحت أطباق الهموم تغضنا
لولا بقايا من هنـاء شط ، أو صفو دنـا
قدر وأوهـــام وذكـرى لا تمل تقــودنا
فاذا بهـــا بين الدنا ملء الدنا ، واذا بنـا ..
بلد الجمال وحسب شأنك ذا البهاء وذا السنا
والله لم أنس (العجاج) ولا الربى والأغصنا
لم أنس أهلك خيرة الأعراب فرسان القنا
لم أنس شط اللازورد على الشطوط مهيمنا
وأنا وقلبى فى شراع العمر نستبق الجنى
لم تنس هاتيك الرؤى فلعلهـــا لم تنسنا
« مطروح » يا مهد الطفولة ، لاعدمتك موطنا
عذرا اذا قصرت فى قولى ، وغيرى أحسنا
فلــكم أهاج الفـرح أشـجانا ، وعطل ألسنا !

نصر الدين عبد اللطيف

● غرفة مكتب فخمة الاثاث ، مقفلة النوافذ ، تعلو احد جدرانها صورة كبيرة للمصلح الاجتماعي « كريم ابراهيم » .. ويجلس في ركن منها « حسنى » شاب في مقتبل العمر . وخطيبته « سناء » التي ترتدي زيا خشنا من القماش الرمادي عبارة عن قميص رجالي بجيبين وبنطلون ●

ثوب واحد لكل النساء

سناء : انت لم تعد تحبني !

حسنى : هذه اسطوانة جديدة ؟

سناء : لا ... ولكنها « حقيقة جديدة » اكتشفتها اخيرا ! .. انت لم تعد تحبني لشخصي ، وانما ....

حسنى : (مقاطعا) وانما ، لماذا؟

سناء : لانني ، كما تقول لي دائما ، ابنة الرجل الذي دخل التاريخ اخيرا ! .. ،

حسنى : الحقيقة ان والدك يعتبر الان اشهر رجل في المدينة !

سناء : انه على كل حال لم يكن يسعى للشهرة !

حسنى : ربما ... ولكن مشروعه العجيب الجرىء ، الذي عرف كيف ينفذه ، قد احدث تحولا خطيرا في مجتمعنا ! .

سناء : انهما مشروعان من فضلك لا مشروع واحد ...

حسنى : هذا صحيح ! ... كان مشروعه الاول انه اقنع جميع مصممي الازياء و « الموضات » النسائية بالتوقف تماما عن العمل ..

سناء : اراد ان يريح الرجال من نفقات نسائهم ، وموضاتهن » ! ..

حسنى : ثم اكمل جميله فظل يجاهد حتى نفذ مشروعه الثاني ...

سناء : جهاد استمر اكثر من عام!

حسنى : فعلا .. ولو ان التنفيذ لم يتم الا منذ ثلاثة اشهر، بعد ان الف جمعية « الرجل المدهش » وسعى حتى ضم اليها معظم الرجال في المدينة

وبذلك استطاع أن يجعل كل النساء في مدينتنا يرتدين هذا الزى الموحد الذى يشبه زينا نحن الرجال ! ..

سناء : (في جفاء) ومن يومها والدنيا لا تسعكم من الفرحة بهذا الانتصار ! .

حسنى : لا تنسي أن صحف البلاد الاخرى تتحدث الان عن رجولتنا وحزمنا ... وان الناس في كثير من بلاد العالم بدأوا يهتمون بهذه (التجربة الخطيرة) !

سناء : (تتنهد) طيب ... انبسطوا !..

حسنى : وأنت .. ألست مبسوطة ؟

سناء : (في صوت يكاد يختنق بالبكاء) طبعا !..

حسنى : والدك دخل التاريخ !

سناء : ... من باب لم يدخله احد من قبل !؟

حسنى : (معجبا) ياله من رجل عظيم !

● صوت خطوات مقبلة يظهر بعدها والد سناء ، كريم ابراهيم ، رجل في نحو الخمسين بادى الصحة والقوة .. يدخل وهو يقول باسما: ●

كريم : رجل عظيم ؟ .. من هو ؟ ان كل الرجال الان في مدينتنا عظماء! (يقبل ابنته ، ويصافح خطيبها ثم يجلس الى المكتب ويضع أوراقه).

حسنى : كنا نتحدث عنك ياعمى..

كريم : (ضاحكا) الحقيقة ياسناء ان خطيبك شاب لطيف جدا ..

سناء : (مندفعة بسذاجة) ولكنه يحبك كل الحب ؟!

كريم : (ضاحكا) هذا خطأ فظيع ! .. الحب كله لازم يكون لك انت وحدك ! ..

سناء : (لخطيبها) سامع ؟!

حسنى : (باسما) ياله من ظماعة !

كريم : (مقاطعا) اه ... اظن انه يجب أن تنكسفا مني !

حسنى : (وهو يتاهب للقيام) على كل حال يا عمى نحن ذاهبان الان الى المطار ...

كريم : (ينظر في ساعته) فعلا . حان الموعد ... (باهتمام) اسمع يا حسنى .. لا تنس انك تنوب عني في استقبال اعضاء بعثة الصحافة والشئون الاجتماعية القادمة من بعض الدول المجاورة لزيارتنا ودراسة تجربتنا ... كن لبقا مجاملا في تصرفاتك مع الجميع ... وانت يا سناء لا تدلى بتصريحات لاحد ...

سناء : ولكن اذا سألنى ...

كريم : دعي كل هذا لي أنا ! مهمتكما فقط هي الترحيب بالبعثة بعد نزولها من الطائرة ، ثم مصاحبتها الى هنا في مقر (جمعية الرجل الحمش) ولا شيء أكثر من ذلك ··· فاهمة !

سناء : (تهز رأسها موافقة ، وتتقدم الى والدها فيقبلها في جبينها) الى اللقاء ···

حسني : (يصافح والد خطيبته ويخرج وراءها) الى اللقاء ···

● يخلو كريم الى أوراقه ، وبعد لحظة تدخل سيدة شابة ترتدي الزي الموحد لكل نساء المدينة وتبدو عليها علامات الانفعال والغضب ··· ●

كريم : (يرفع رأسه) من ···· آه ··· عفاف ؟ · ماذا جرى ؟

عفاف : (تنفجر باكية) لا شيء يا أبي ··· ولكنه طلقني !

كريم : (في دهشة وانزعاج) طلقك ؟ كيف ؟ و ·· (يتمالك) تعال هنا بجانبي ··· اروي لي كل ما حدث ···

عفاف : لقد تغيرت أحواله تماما منذ بضعة أسابيع ، دائما ساخط غاضب بلا مبرر ، يتجنبني ويشيح بوجهه عني ! ·· لم تعد ملاطفاتي وتحملي ، وصبري ··· (يخنقها البكاء)

كريم : (يربت وجهها مهدئا) فيه ··· وبعد ؟

عفاف : كنا نتأهب اليوم للحضور الى هنا لنرى البعثة القادمة من الخارج ، ولكني لم أكد ارتدي ثيابي وأقبل عليه ، حتى توقف فجأة وأخذ يتفحصني بنظرات قاسية ، وكأنه يرى منظرا لا يحتمل ! ولم يلبث أن تملكه غضب مفاجيء فصاح في وجهي يسب ويشتم بلا سبب ! ··· واختطفنا ورقة الطلاق !

كريم : على كل حال اطمئني ··· سأعرف كيف ···

● يسكت فجأة ، اذ يسمع أصوات مشادة بين شخص يريد الدخول وساعي المكتب يمنعه ··· وأخيرا يدخل ذلك الشخص غاضبا محنقا ·· انه كمال ، المحامي الشاب ، زوج ابنته عفاف ●

كريم : كمال ! ·· تعال ··· ابن حلال ، كنا نتحدث عنك !

عفاف : (تنخرط في البكاء بصوت خافت) ···

كمال : (في لهجة جافة) طبعا هي قالت لك كل شيء !

كريم : ولكن ···



كمال : (مقاطعا) ولكني مصمم على موقفي .. حضرت فقط للتفاهم على المسائل المالية اذا شئت ألا يصل الامر الى المحاكم .

كريم : (مترفقا) يا ابني .... لماذا تهدم سعادتك بيديه ؟!

كمال : سعادتي ؟! (يضحك بمرارة) انا سعيد ؟ .. انا ؟!

كريم : (مسايرا) لنفرض انك ..

كمال : (مقاطعا) ولماذا نفرض ؟انا شقي ، تعس (يتنهد) وكل الرجال في مدينتنا كذلك ! ..

كريم : (في دهشة) كل الرجال في مدينتنا تعساء ؟!

كمال : طبعا ، ما عدا حضرتك ..

كريم : (متهكما) هـــذا استثناء ظالم ! . ولماذا انا وحدي ؟

كمال : لانك انت سبب تعاستهم !

كريم : (جادا) اسـمع ... لقد بذلت وسعي فترفقت معك وسايرتك في الحديث ، بقطع النظر عن اساءتك لابنتي زوجتك ، وعن لهجتك العجيبة الخشنة ، لكي نصل الى نتيجة .. لكي تصارحني بكل شيء .

كمال : (مقاطعا) الحقيقة انني لم احضر الان الا لاصارحك بكل شيء ..

كريم : هذا جميل ... (لابنتـــه عفاف) ... دعينـــا الان وحدنا ياحبيبتي ... (تخرج عفاف فيتجه الى صهره) تفضل ...

كمال : على ان تتحملني للنهاية !.

كريم : لك على ذلك ...

كمال : اذن فاسمع ياسيدي ... سأصارحك بما يدور في اذهان الرجال وبكل حقـــائق الاحوال السيئة في مدينتنا بسبب ...

كريم : (مقاطعــــا في شيء من الدهشة) أظن ان هذا شيء آخر غير موضوعنا ... اننا نتحدث عن حياتك الزوجية ... و

كمال : أنسيت وعدك لي الان بأن تصبر وتتحملني ؟! ومع ذلك انا لم اخرج عن موضوع الحديث ... انها المقدمات ... الاسباب التي توصلنا للنتائج ...

كريم : يمكنك اذن ان توجز وتختصر .. تحدث فقط عن المهم !

كمال : المهـــم ان مشروعـــاتك الاصلاحية ـ كما تسميها ـ مشروعاتك التي انتهت الى تصفية اعمال مصممي الموضات والازياء النســـائية والى اجبار النساء على زي موحد مشابه لما يلبس الرجال .. هذه المشروعات وان تكن لها مظاهر الاصــــــلاح الاجتماعي ، الا انها اقلقت النســـاء ونشرت الكآبة والخراب في المدينـة واقلقت الرجال !

كريم : (مسايرا) ربمـــا كان مفهوما ان تتضايق لذلك بعض النساء ، ولكن لماذا يتضايق الرجال وهم الذين ايدوا الفكرة وتحمسوا لتنفيذها ؟!

كمال : ان كل الرجال في كل مجتمع يسرهم ان يحدوا من نفقات (الموضات) النسائية ... ولهذا انساق رجالنا وراء دعوتك دون ان يفطنوا للنتائج الوخيمة !

كريم : النتائج الوخيمة ؟!

كمال : نعم ! .. فقد تعطل مصممو الازياء ، وتشرد مساعدوهم وعمالهم ... واكتسحت البطالة الاف الموظفين والعمال في مؤسسات الازياء ، وفي معاهد التفصيل ومعامل مستحضرات الزينة والتجميل ! .. وانت تعلم ان البطالة تعني الفقر ، والفقر يعني ازمة في الزواج وعدم استقرار الحيـــاة الزوجية ...

ثوب واحد
لكل النساء

كريم : لا بد لكل نجاح من ثمن !.. وضريبة مثل هذه الاعمال الكبيرة الناجحة انها لا تخلو من بعض الخسائر أو الضحايا !

كمال : ولكن الخسائر هنا زادت وغطت على رأس المال ! .. والضحايا هم كل المحاربين ، ما عدا المشرف العام !

كريم : انك تستخدم عبارات ضخمة!

كمال : لاعبر عن أضرار ضخمة تهدد مجتمعنا بالانهيار .. قل لي

ياسيدي : هل يمكن أن يقوم مجتمع عصري ناجح وسعيد بغير تهذيب ، وذوق ، وحب ، وفن وطموح ؟

كريم : طبعا لا ! ..

كمال : ومن الذي يشيع تلك الصفات والاعمال ويوحي بها في مثل هذا المجتمع ؟ .. اليست المرأة الجميلة ؟

كريم : معقول ! ..

كمال : واذا جاء (مصلح اجتماعي) فجرد كل النساء في ذلك المجتمع من كل مظاهر الجمال .. وابقى لهن حقوق المساواة وحريات التعليم والعمل والاختلاط ، ولكنه قيدهن في زي موحد متشابه خشن يظهرهن كنسخ رخيصة من اشباه الرجال - فهل تعرف ماذا فعل ذلك الرجل لمجتمعه ؟!

كريم : تعني ؟ ..

كمال : (مستطردا) اعني ياسيدي ان مجتمعنا العصري بعد مشروعاته (الاصلاحية) قد فقد أهم دعائم المجتمع الناجح السعيد ... أصبحنا نرى المرأة معنا في البيت وفي العمل وفي الحياة العامة ، مخلوقا عجيبا يشبه الرجل وهو ليس برجل ، فلم تعد تبالي بهاء ولم تعد تثيرفينا مايدفعنا للجد والتفوق للظفر بحبها واعجابها ... ومن هنا أجدبت القرائح ، وجفت الاقلام .. اذاعتنا أصبحت جافة مملة ! ... والاغاني باردة لا روح فيها ولا حياة ! ... والصحف لا تجد جديدا تقدمه للناس ...

وفي هذا الفراغ (الفراغ الاجتماعي) الموحش ، وأزمة البطالة، وانعدام مظاهر الجمال - تعقدت نفوسنا وتجمدت وفقدت نعمة الاهتمام بالحياة والتجارب معها .. انا شخصيا ...

لكل سؤال جواب ...

مع قراء الهلال

في العدد القادم

كريم : (يتنبه من استغراقه العميق فى الاصـــغاء) آه ٠٠٠ أخيرا أنت شخصيا ٠٠٠

كمال : أنا شـــخصيا لم يمنعنى اعجابى بأفكارك ، وحبى لزوجتى ، ابنتك ، من التأثر بما حولى ! ٠٠٠أصاب الكساد عملى كمحام ، وتجمد احساسى وتبلد ، ودخل الشقاء حياتى الزوجية ٠٠٠ ومع ذلك فأنا لست الا واحـــــدا من ألوف الرجال الذين يعانون أضـــــعاف ما أعانى وليس أمامهم الا الاستسلام لهذا (المـــوت الاجتماعى) أو ٠٠٠ التمرد !

كريم : (مستنكرا) التمرد ؟ ! ٠

كمال : ان الشقاء يا سيدى يولد اليأس ، واليأس يؤدى الى الانهيار أو الانفجار ! ٠٠

كريم : (فى شيء من الحزن) شد ما أحس انك تفتح على أبوابا كثيرة كانت مغلقة !؟

● ساعى المكتب يقتحم الغرفة فى ذعر واضطراب ٠٠٠ ●

الفراش : سيدى ٠٠٠ هل افتح لك النافذة لترى المعركة ؟

كريم : معركة ؟

الفراش : (وهو يفتح النافذة) يمكنك أن تسميها بدون مبالغـــة : الحرب الثالثة !٠٠ لقد خرج الأهالى كلهم يتســابقون وكأنهم لم يروا فى حياتهم بعثة من الضـــيوف ! ٠٠ البوليس والمتطوعون يحاولون عبثـــا أن يحموا أعضاء البعثة وخاصـــة نساءها ، من الزحام والفـــوضى والاندفاع الجنونى ! ٠٠

كريم : (وهو يغادر مقعـــده فى اضطراب) أهناك بين أعضاء البعثة نساء !؟

● تدخل ابنته عفاف مضـــطربة وتسرع الى النافذة ٠٠٠ ●

عفاف : نعم يا أبى ٠٠٠ نســـاء جميلات ، لابسات أحدث « الموضات » ٠٠٠ فساتين مدهشة !

كريم : آه ٠٠٠ هذا خطر جديد لم يكن فى الحسبان !

كمال : ألم أقل لك يا سيدى !؟ لقد اشتعلت الثورة !! (يغـــادر المكان مسرعا) ٠

كريم : (يتجه الى النافذة ثم لا يلبث أن يتراجع وكأنه لا يطيق النظر

... فيصطدم بابنته سناء التي تدخل في عجلة واضطراب وبين يديها ثوب لامع ●

سناء : أبي ... انظر !.. فستان جديد لي !

عفاف : (تهرع اليهـــــا) أريني يا سناء ... الله ! مدهش ، بديع !!

كريم : فستان جديد !؟

سناء : نعم ... اختطفه لي رفعت سكرتيرك الخاص ! .. كلهم فعـــلوا ذلك ! ... لقد تخاطف الرجال في الفوضى والزحام حقائب سيدات البعثة وأمتعتهن ، سرقوها ومضوا يتقاتلون عليها ، وتسارعت نساؤهم لاختطاف محتوياتها ! ..

كريم : (ينهـــار في مقعـــده) يالكارثة ... ياللعار !!

● كمال يدخل في عجلة واهتمام ووراءه احد ضباط الشرطة ●

الضابط : نريد ان تسـلمنا فورا مفاتيح مخزن الملابس النسائية بجمعية « الرجل الخشن » ...

كريم : ولكن يا سيدي ... لماذا ؟

كمال : لقد سيطرت قوات الامـــن أخيرا على الموقف ، وانقذت سيدات البعثة ، وتم احضارهن الى هنا في غرف السكرتارية ، ولكنهن في حالة (يهبلة) تدعو للرثاء ! .. وقـــد أمرت سلطات الشرطة ان تصرف لهن ملابس مؤقتة من الزى الموحد لنسائنا ... من تلك (الاثمولة) اياها ! ..

كريم : (يفتح درجا يتناول منـــه المفاتيح ، فيأخذها الضابط ثم ينصرف مسرعا ...)

كريم : (في حالة انهيار وحزن) أهكذا يا رب ، في غمضة عين ، تنهار الاعمال الكبيرة !؟

كمال : الاعمال التى لا تقوم على فهم روح العصر وطبيعة الناس فيه ! .

● تدخل ســيدة اجنبية ولكنهـا ترتدى الزى الموحد لنســـــاء المدينة وفي يدها ورقة صغيرة مكتوبة ●

السـيدة : هنا مكتب تلغراف من فضلك ؟

كريم : مكتب تلغراف !؟ (بصوت خافت) يظهر انها اجنبية ، غريبـــة عن البلد (يخاطبها) : حضرتك من سيدات البعثة الصحفية ؟

السيدة : (وهي تتنـــاوله ورقة التلغراف) نعم ..

كمال : (ينحنى متطلعا الى الورقة ثم يقرؤها بصوت عال يتخلله الضحك) : « النجدة ! .. الحقونا بكميـــات ضخمة من الفساتين ! .. أرسلوها بالطائرات ، بالصواريخ الموجهة ان امكن !!

خواطر

الذئب والحمل :

العقل والثروة الغـداء ما اتفقا
الا ليفترقا فى آخـــر الســبل

كلاهمــا يبتغى شراً بصــاحبه
وهــل نوفق بين الذئب والحمــل

ثورة القلم :

قال الفرنسى قولاً قد جرى مثلاً
تداولتــه الليـــالى من فم لفم

لم تنتج الثـــورة الكبرى لنا ثمراً
لو لم تواكب خطـــاها ثورة القلم

ماهدّ أعمدة (الباستيل) مدفعنا
بل هـــدّها قلمٌ يرغى من الألم

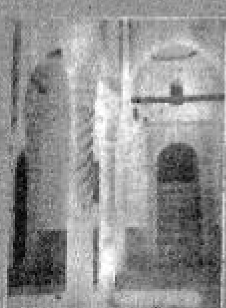
● شكر الله الحر ●

● الغلاف الأول ●

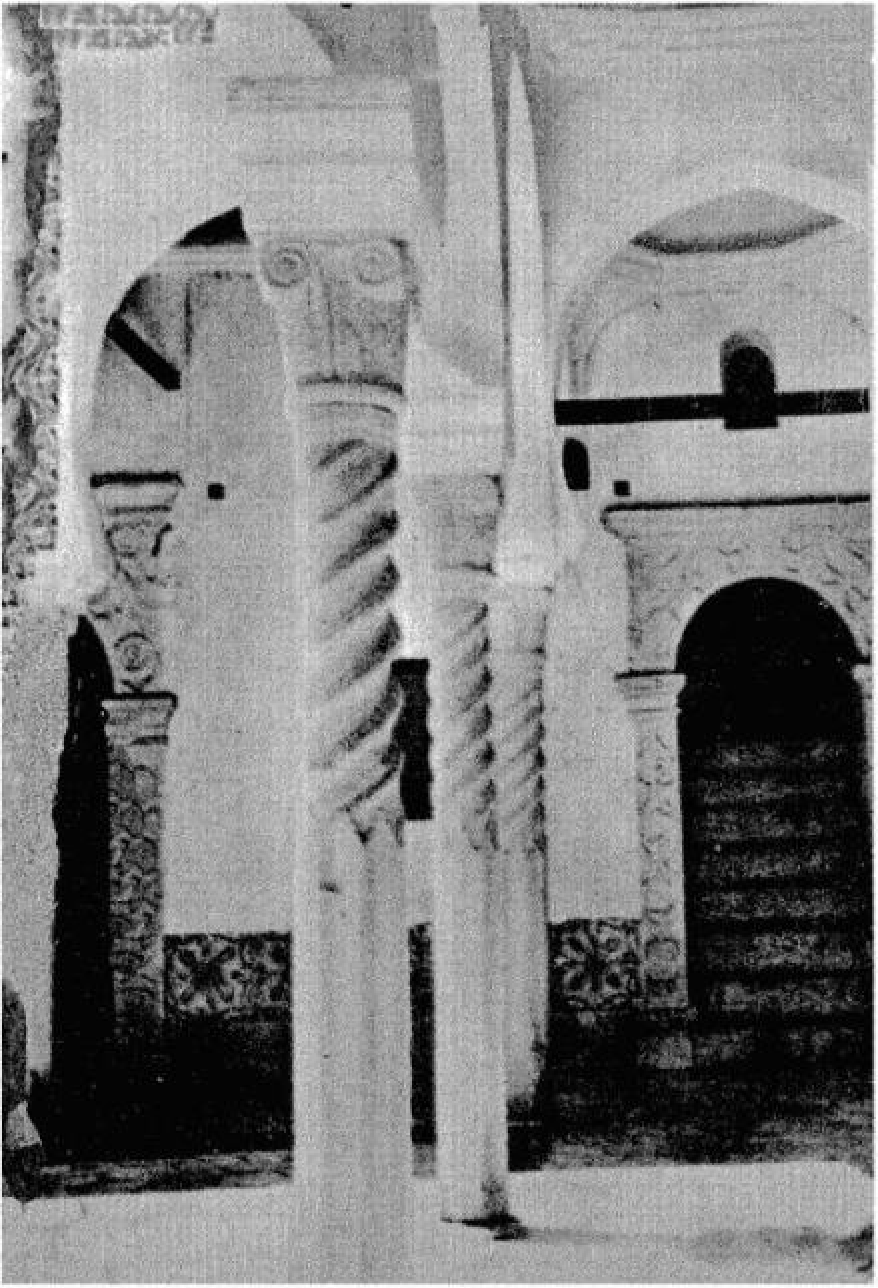


للفنان : جمال قطب

● الغلاف الأخير ●



زخـــرفة حول اطار
الشبابيك ـ الجزائر




الهلال
عدد خاص عن
الأحلام
الهلال + الزهور
+ الهدية = ١٥ قرشا

الهلال

رمضان ١٣٩٥
أكتوبر ١٩٧٥

مجلة شهرية تصدر من دار الهلال – أسسها جورجي زيدان سنة ١٨٩٢ – العدد العاشر – السنة الثالثة والثمانون – أول أكتوبر ١٩٧٥ – ٢٦ رمضان ١٣٩٥

رئيس مجلس الإدارة
فكري أباظة

نائب رئيس مجلس الإدارة
صالح جودت

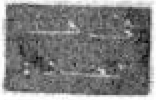
رئيس التحرير
صالح جودت

مدير التحرير
نصر الدين عبد اللطيف

المشرف الفني
جمال قطب

سكرتير التحرير
عاطف مصطفى

ثمن العدد : في جمهورية مصر العربية ٥٠ مليما
قيمة الاشتراك السنوي : ١٢٥ عددا في جمهورية مصر العربية وبلاد اتحاد البريد العربي والافريقي ١٥٠ قرشا صاغا . في سائر أنحاء العالم ٦ دولارات أو ٢ جنيه والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال في جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية . في الخارج بشيك مصرفي والاسعار الموضحة بالبريد العادي – وتضاف رسوم البريد الجوي والمسجل على الاسعار المحددة عند الطلب .
الادارة : دار الهلال – ١٦ شارع محمد عز العرب – القاهرة
تليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)





د . عبد العزيز كامل   د . سيد كريم   د. رءوف عبيد

بسم الله الرحمن الرحيم



كلمة الهلال

هذا يوم من ايام الله ... يوم بدر الثانية ، التى وقعت فى ٦ اكتوبر منذ عامين

ها هو ذلك اليوم يعود الينا هذا الاسبوع ، بكل ذكرياته وكل امجاده

هناك حكاية يجب ان يعيها كل عربى ، ويرويها لابنائه ليرووها لابنائهم

فى يوم اول اكتوبر سنة ١٩٧٣ ، كان السيد حافظ أسماعيل ــ سفيرنا الآن فى موسكو ــ يزور العاصمة الامريكية ، ويتباحث مع الدكتور كيسنجر فى سبيل ايجاد حل سلمى لازمة الشرق الاوسط

ولم يكن يدور بخلد الدكتور كيسنجر ، ولا بخلد احد من ساسة العالم ، ان مصر كانت يومئذ قد يئست من الحل السياسى ، وانها كانت على وشك تفجير المعركة التى فوجىء بها العدو ، كما فوجىء بها العالم كله

ولعل حديث السيد حافظ اسماعيل يومئذ قد استطاع ان يفتح جانبا من قلب الدكتور كيسنجر ــ واقول جانبا من قلبه ، ولا اقول كل قلبه

وكان ابا ايبان ، وزير خارجية اسرائيل ، هناك فى العاصمة الامريكية فى الوقت ذاته ، يجمع التسولات لبلاده من اغنياء اليهود فى امريكا ، على عادته فى كل عام

وفى يوم ٤ اكتوبر ، التقى الدكتور كيسنجر بوزير الخارجية الاسرائيلى ، وقال له :

ــ لماذا لا تحاولون ان تقدموا اية مبادرة ، ولو محدودة ، لتهدئة الحالة فى الشرق الأوسط ؟

فضحك ابا ايبان ، وامتد عنقه فى غرور ، وقال :

ــ لا تخش شيئا من جعجعة العرب يا دكتور كيسنجر • ان العرب ليسوا أمة قتال انهم مجموعة شعوب متخلفة ، لن تقوم لها قائمة قبل خمسين



كلمة الهلال

سنة ، على اقل تقدير .

كان هذا يوم ٤ اكتوبر سنة ١٩٧٣

وفي يوم ٦ اكتوبر ، كانت بدر الثانية

وفي يوم ٨ اكتوبر – اى بعد الحكاية التى ذكرتها باربعة ايام فقط – ابرق ابا ايبان نفسه الى الدكتور كيسنجر يقول له : انقذوا اسرائيل !

من الذى صنع هذه المعجزة ؟

من الذى جعل الخمسين سنة ، التى تحدث عنها ابا ايبان ، تهبط الى اربعة ايام ؟

انها مصر .. قائد مصر ، وجيش مصر ، وشعب مصر

انها مصر ، قلب الامة العربية ، ومن حولها جسد الامة العربية يحوطها ويرعاها ويباركها

لقد اثبتت الامة العربية يومئذ – ولاول مرة فى تاريخها الحديث – انها امة عملاقة تنهار امام قواها حصون العدوان ، كما انهار السد الترابى وكما انهارت تحصينات خط بارليف تحت اقدام المصريين فى يوم بدر الثانية

ذكرتنا الامة العربية يومئذ بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال للانصار :

« والله انكم لتكثرون عند الفزع ، وتقلون عند الطمع »

واذا كانت هناك فئة ضالة فى هذه الامة ، قليلة العدد ، شيوعية المدد ، تحاول ان تغض من قدر مصر ، فاننا نكتفى بان نواجهها بثلاثة اسئلة :

● اين كنا يوم ٥ يونيه سنة ١٩٦٧ ... واين نحن الآن ؟

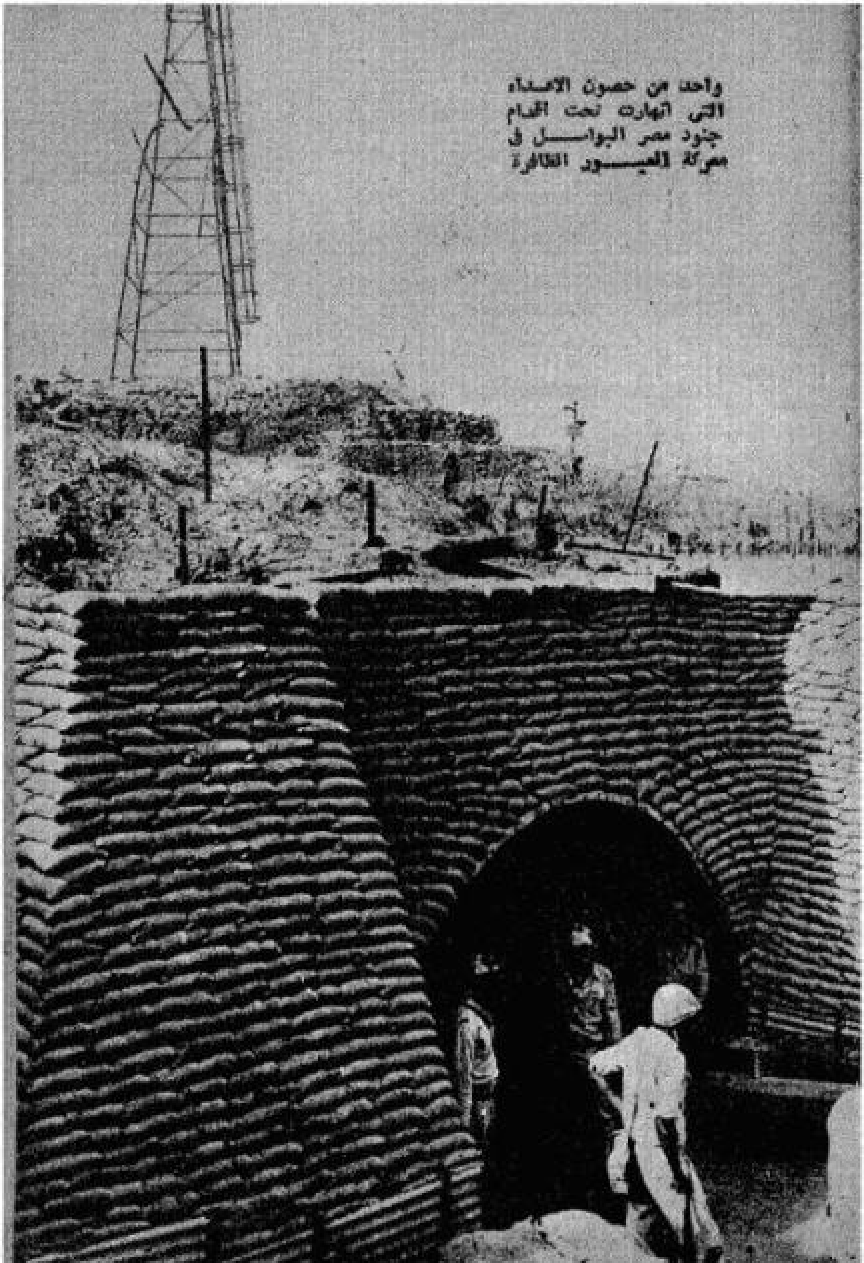
● لقد صادقنا الاتحاد السوفييتى منذ سنة ١٩٥٤ حتى الآن ... فهل خطت قضية فلسطين طوال هذه السنوات التى تجاوزت العشرين ، خطوة واحدة الى الامام ؟

● ما هى الصورة ... وما هو الامل الذى يبقى لقضية فلسطين ، لو خرجت مصر من المعركة ؟

ان مصر لن تخرج من المعركة ...

ولكنه مجرد سؤال !

● صالح جودت ●



واحد من حصون الاعداء
التي انهارت تحت اقدام
جنود مصر البواسل في
معركة العبور القاهرة

الأحلام في القرآن

د. سيد نوفل

لاتزال الاحلام سرا مغلقا على علماء النفس والاجتماع ، ولا يزال استكشاف حقائقها ودلالاتها مثار اهتمام البحث العلمي منذ عهد (فرويد) ... بل انها قد اخضعت للتجارب في جامعة (شيكاجو) الامريكية منذ وضع (اسيرنسكى) و (كليتمان) بعض النائمين تحت الفحص ، واستكشفا الحركات السريعة للعين اثناء النوم مصاحبة للاحلام...

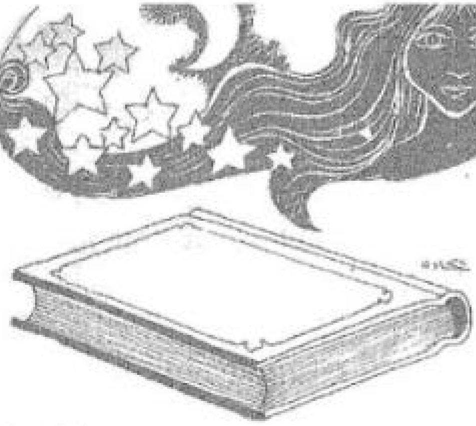
ومن المقبولات العلمية الآن ان الشخص العادى يحلم كل ليلة عدة احلام بين اربعة وستة ، وأنها تقع في شكل صور بصرية في أغلب الاحوال ، وان كانت ترد مشابهة للحياة الواقعية في احوال اخرى ... وقد تؤثر الآلام العضوية في الاحلام ، لكن ذلك يتناول الشكل وحده دون المضمون ...

فهذا النمط الفريد من السلوك البشرى ، والنشاط النفسى الوحيد للانسان اثناء النوم ، موضع العناية المتصلة ، والتفسيرات المتنوعة من العلماء والباحثين ... وهم يسعون الى اختراع الوسيلة الكفيلة بتسجيل الحلم كتابيا اثناء حدوثه ، حتى يمكن بحثه بحثا علميا صحيحا ، واستكناه دلالاته المطردة مع الناس جميعا ، أو المتنوعة بتنوع المزاج والانسان ..

ومهما يكن من امر ، فلا تزال للاحلام على الانسان تأثيرات اى تأثيرات . ولا يزال حلم بهيج يبعث في النفس اسباب السعادة والاطمئنان والرضا بالمستقبل ... ولايزال حلم كئيب يثير في الانسان القلق والضيق ، مهما درس وتعلم ، واحاط بتفسيرات العلماء وتأويلات الباحثين..

وقد عرفت الاحلام شعوب لا تدين بالديانات السماوية، وعنيت بتفسيرها وتبيان دلالاتها . بل ان الانسان قد عرف الاحلام قبل أن يعرف الديانات ، كما يقول بعض المؤرخين. فقد ذهب بعضهم الى أن الكشف الآلهى في الاحلام عقيدة كل شعب ، بل كل فرد ، وانها قديمة قدم العالم، ويتعذر على التاريخ تسجيل بدايتها ...

وفي اسفار العهد القديم ، وفي آيات القرآن الكريم ، وفي أحاديث غيرهما من الكتب السماوية ، قطع بدلالات الاحلام على الاحداث المستقبلية



وانها بمنزلة الوحى لمن خصهم الله بنبوته ورسالته والهامه ... والرؤيا الصادقة هى بدء الوحى الالهى ، كما روى عن رسول الاسلام الكريم ... وفى القرآن الكريم من الاحلام او الرؤى آيات بينات ...

● الرؤيا والحلم ●

والرؤيا قد غلبت فى اللغة على ما يرى فى المنام من الاحلام . وبهذا تتحد الرؤيا والحلم ، بضم الحاء وسكون اللام ، فى الدلالة على ما يراه النائم .. ويفرق البعض بين الرؤى والاحلام . فيقول ان الرؤى هى التى تبقى فى الذاكرة واضحة بعد اليقظة وانها تمثل حقيقة غيبية، ويطلب الرائى لذلك تعبيرها او تأويلها . وأما الحلم فليس له صفة الوضوح والاثر الباقى في النفس بعد اليقظة .. ولهذا لا يطلب الرائى تفسيره وانما ينصرف عنه ولا يأبه له ...

وقد ورد فى القرآن الكريم «اضغاث احلام» اى احلام ملتبسة مضطربة يصعب تأويلها . وذلك مأخوذ من « الضغث » بكسر الضاد، وهى قبضة من الاعشاب مختلطة الرطب باليابس والطيب بالردىء ... واضغاث الاخبار هى الاخبار المضطربة غير المستقيمة ولا المتجانسة . ولعل وصف الاحلام بذلك يرجع ان الحلم كالرؤيا منه الواضح المستقيم ومنه الغامض المضطرب ...

● رؤيا الخليل ابراهيم ●

ومن اول الرؤى القرآنية رؤيـا ابراهيم الخليل ابى اسماعيل واسحاق جدى العرب والعبريين . فالمسلمون يطلقـون على ابراهيم خليل الله ، ويرونه الجد الاعلى لمحمد الذى عبد الله على ملة ابراهيم قبل الوحى بالاسلام . وكذلك يراه العبرانيون رأس سلالتهم ، والمثل الاعلى للصلاح

.. وورد قصته في العهد القديم ، كما أورد القرآن الكريم قصته موجزة حينا ومطولة حينا آخر .

وقد عبد قومه الأوثان فعارضهم وحطمها ، فألقوه في النار جزاء على ذلك . لكن الله نجاه منها وجعلها بردا وسلاما عليه . وترك ابراهيم فلسطين لجدب ألم بها، ورحل الى مصر حيث تزوج هاجر المصرية وأنجب منها اسماعيل جد العرب . ثم رحل بالزوجة المصرية وابنها الى مكة حيث بنى الكعبة ورأى رؤياه التاريخية ، التى أورد حديثها القرآن الكريم في هذه الآيات البينات ، بعد أن دعا ابراهيم ربه أن يهبه ولدا صالحا : « فبشرناه بغلام حليم . فلما بلغ معه السعي قال : يا بني اني أرى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى ؟ قال : يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين . فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين . ان هذا لهو البلاء المبين . وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه في الآخرين . سلام على ابراهيم . كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين . وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين .. »

فالخليل ، بعد شوق ودعاء يرزقه الله ولدا صالحا . لكنه حين يبلغ معه السعي أى مرحلة العمل والمصاحبة ، رأى في المنام انه يذبح ولده العزيز قربانا لله . ولم يكن بد من ان ينفذ رسول الله وحي ربه في المنام ، وفاتح ابنه بما رأى فوجد منه الايمان الوثيق والرضا بالقضاء الالهي ... وحينئذ سلما لله أمرهما وصرع ابنه على جبينه أرضا امتثالا لأمر الله ورضاء بقضائه . واستل الأب السكين يذبح ولده . لكن الله تداركهما بلطفه ، وأرسل اليه كبشا ثمينا يذبحه قربانا لله ، ويفتدى به ابنه ... ويذكر الله للخليل مرتين احسانه ، كما يذكر له الايمان وتصديق الرؤيا ويمنحه السلام، ويبشره بابنه اسحاق نبيا صالحا ..

والاسرائيليات تظهر في تفسير هذه الرؤيا بتأكيد أن الذبيح هو اسحاق وليس اسماعيل ، حسبما أورد العهد القديم في سفر التكوين .. وينحو كثير من المفسرين هذا المنحى . لكن غيرهم يؤكد أن الذبيح هو اسماعيل أبو العرب وينسب الى أبي بكر وابن عباس وغيرهما من الصحابة أنه اسماعيل لقول رسول الله (ص) انا ابن الذبيحين يعني جده اسماعيل وأباه عبد الله الذي افتداه عبد المطلب بمائة من الابل . وأبو عمرو بن العلاء يسخر من القائلين بأن اسحاق هو الذبيح ، والعهد القديم يورد الخبر على انه وحي من الله بذبح اسحاق وليس رؤيا ، ويتفق فيما عدا ذلك من تفاصيل ...

ومهما يكن من أمر فان الرواية القرآنية تدعم مكانة الرؤيا الرسولية وتؤكد انه لا يأتيها الريب من بين يديها ولا من خلفها ...

● يوسف والاحلام ●

واشهر احاديث الرؤى في القرآن ، واعظمها روعة وجمالا ، حديث رؤيا يوسف بن يعقوب ، عليهما الصلاة والسلام ·

وقد أوردها الله سبحانه في قوله·

« اذ قال يوسف لابيه : يا أبت اني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين · قال يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين · وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب ، كما أتمها على أبويك من قبل ابراهيم واسحاق ، ان ربك حكيم عليم »

ويقول المفسرون لقد رأى يوسف ، وهو صغير ، ان احد عشر كوكبا ، وهم اشارة الى بقية اخوته ، والشمس والقمر ، وهما والداه ـ قد سجدوا له ، فهاله ذلك · فلما استيقظ قص رؤياه على ابيه فعرف الاب ان ابنه سينال منزلة عالية ومقاما رفيعا في الدنيا والاخرة ، وان ابويه واخوته سيخضعون له ··· فامره بكتمانها ، والا يقصها على اخوته كيلا يحسدوه ويكيدوا له ، ويوقعوا به · واضاف ان الله سيختاره ويخصه بنعم عظيمة ويعلمه من معاني الكلام وتعبير المنام ما لا يفهمه غيره ، وانه سبحانه سيجعله بالنبوة خيرا لاهله وامتدادا جديه : اسحاق وابراهيم ···

وتجرى رواية الاصحاح السابع والثلاثين من سفر التكوين في العهد القديم بان يعقوب ، او اسرائيل ، أبا يوسف قد شغف به حبا لانه ابن شيخوخته والبسه قميصا ملونا ·· فنقم عليه اخوته ذلك وابغضوا اخاهم الصغير ، ولم يلقوا عليه السلام ·

وقص يوسف على اخوته وابيه حلمين · اما الاول فهو كما يقول يوسف· « نحن حازمون حزما في الحقل · واذا حزمتي قامت وانتصبت ، فاحتاطت حزمكم وسجدت لحزمتي »

وأما الاخر فهو « ان الشمس والقمر وأحد عشر كوكبا ساجدة لي » · وقد انتهره ابوه لما قص ، وزاد اخوته له بغضا ···

وتستغرق قصة يوسف خمسة عشر اصحاحا من سفر التكوين ، واحداثها تتفق في جملتها مع ما اورده القرآن الكريم ، وان اختلفت في التفاصيل · ويعزو مفسرو القرآن الكريم ذلك الاختلاف الى تحريف الاسرائيليين وانتحالهم ···

وقد انزل الله سورة كاملة في القرآن الكريم باسم يوسف ، تصور حياته الدائرة حول رؤياه ان الشمس والقمر واحد عشر كوكبا ساجدة له ···

وخلاصة حياة يوسف ان اخوته حسدوه لحب ابيه اياه وايثاره عليهم جميعا ، فالقوه في جب وزعموا لابيهم ان الذئب قد اكله ، وحملوا اليه قميصه ملطخا كذبا بدم شاة ذبحوها .. وياس ابوه ويصبر مع تذكر دائم ليوسف وامل متجدد في لقائه ...

ويلتقط بعض السيارين المارين بالجب يوسف ، ويبيعونه لعزيز مصر اى وزيرها او رئيس شرطتها . ويثق العزيز بيوسف ويسلمه جميع شئون بيته ...

وتهيم زوجة العزيز حبا بيوسف وجماله اللافت وشبابه الفتان ، وتراوده عن نفسه ، لكنه يابى خشية من الله وحفاظا على ثقة سيده فيه . وتكيد امراة العزيز ليوسف ، وتلقى به في السجن ، حيث يحبس مع اثنين غضب عليهما فرعون مصر وهما ساقيه وخبازه ...

ويصبر يوسف لقضاء الله في ثقة ويكتب له ربه النجاة والعزة عن طريق تعبير الاحلام » .

فقد راى الساقى والخباز حلمين ، وطلبا من يوسف تأويلهما ، واجابهما على الوجه الاتى في نص القرآن الكريم:

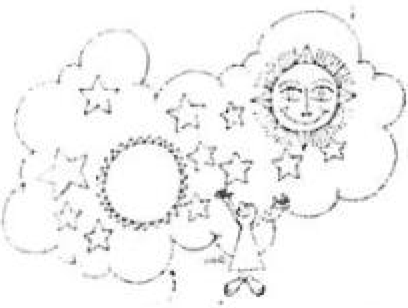
« ودخل معه في السجن فتيان . قال احدهما انى ارانى أعصر خمرا ، وقال الاخر انى ارانى احمل فوق راسي خبزا تاكل الطير منه . نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين .. »

فقال يوسف بعد مواعظ غاليات :

« يا صاحبى السجن .. اما احدكما فيسقى ربه خمرا واما الاخر فيصلب فتاكل الطير من راسه . قضى الامر الذى فيه تستفتيان ... » .

ويصلب الخباز بعد ثلاثة ايام او نحوها ، ويعود الساقى الى عمله بجوار فرعون ...

ويرى الملك رؤيا تفزعه ، ويطلب من اهل الحكمة والراى في مصر تعبيرها دون جدوى ... « وقال الملك انى ارى سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف ، وسبع سنبلات خضر واخر يابسات . يا أيها الملأ افتونى في رؤياى ان كنتم للرؤيا تعبرون . قالوا اضغاث احلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين » .



ويدل الساقى الملك على يوسف لتأويل ما رأى ... ويرسل فرعون الساقى الى يوسف ، فيؤول الحلم بأنها سبع سنوات خصبة مقبلة ، تعقبها سبع أخرى جدباء ، وأن الحكمة فى ادخار بعض منتوجات الاولى لمواجهة ضائقات الاخرى ..

ويعجب الملك بيوسف فيقربه عزيزا أو وزيرا أول لمصر يرعى له شئون شعبه ، ويمحضه كل ثقة ...

وتدور الايام دورتها بعد أن نزل الجدب بالشام ، فيذهب أخوة يوسف الى مصر طلبا لبرها الذى لم تنضب وسعا فى تقديمه للشعوب الشقيقة جاراتها منذ أقدم العصور .. ويستقدم يوسف أباه وزوجة أبيه وأخاه الصغير مع أخوته ... ويدخلون عليه فيخرون سجدا له ، على عادة أهل ذلك الزمان ... وتصدق رؤيا يوسف بعد طول الاوان ..

ويوجز الله سبحانه على لسان يوسف العبرة من هذه القصة البليغة فى بيانها ، المعجزة فى دلالتها ، فيقول تعالى : « انه من يتق ويصبر فانه لا يضيع أجر المحسنين » ثم يزداد يوسف تواضعا لله وشكرا لآلائه وتطلعا الى رضوانه فى دار البقاء ، فيدعوه :

« رب قد آتيتنى من الملك ، وعلمتنى من تأويل الاحاديث ، فاطر السموات والارض ، انت وليى فى الدنيا والآخرة ، توفنى مسلما والحقنى بالصالحين » .

والقصة كما أوردها القرآن تفيض ايمانا بالله ، وثقة بوعده فى الختام وعملا وسلوكا مثاليين ... أما المفسرون فقد أضفوا عليها من ألوان الفن الروائى ، وجمال الحب ، وروعة الخيال ما زادها فتنة وبهاء ...

● رؤى خاتم المرسلين ●

ورؤى خاتم المرسلين محمد ، صلوات الله وسلامه عليه ، آية في صدق الاحلام ، وفي تثبيت الايمان بنصر الله ، وفي التغلب على المصاعب الجسام ...

ويكفي ان نشير في ذلك الى آيتين اثنتين ، عظيمتي الدلالة ، بل هما الدعامتان في مسيرة الدعوة الاسلامية التي اظلت العالم بالوية الحرية والعدل والسلام ، ونشرت في ارجائه جميعا اعظم الحضارات واخلدها على الزمان ...

وهاتان الآيتان الكبريان هما غزوة بدر وفتح مكة ...

فغزوة بدر الكبرى هي التي جاءت بعد خمسة عشر عاما من معاناة المسلمين بطش المشركين ومن الصبر على العذاب ثم الهجرة نجاة بدين الله وسعيا لاعلاء كلمته ، والتي سجل فيها المسلمون الثلاثمائة على الكفار الالف نصرا مبينا ، اعقبه لانتصار السلمي والعسكري المتصاعد حتى التمام .

وفي هذه الغزوة كانت رؤيا محمد الصادقة في المنام من اقوى حوافز النصر ، كما كانت رؤياه حين تحفز الجمعان للالتقاء من أعظم الدعائم لنصر القلة المؤمنة على الكثرة الكافرة ...

وفي رؤيا الرسول قبل المعركة نزل قول الله تعالى « اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو اراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الامر ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور . واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا ، ويقللكم في اعينهم ، ليقضي الله امرا كان مفعولا » .

وهكذا تثبت رؤيا المنام برؤية اليقظة كما اراد الله ان يكونا سبيلا لنصر الاسلام والمسلمين ...

وحين اصطف المسلمون لقتال صفوف المشركين التي تفوق صفوفهم مرات عدة وعددا ، اتجه الرسول الى الله ينشده ما وعده ، ويبتهل اليه مناديا : اللهم فنصرك الذي وعدتني !.. اللهم ان تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد..»

ومضى فى هتافه بربه ، مستغرقا فى مناشدته النصر ، حتى سقط رداؤه عن منكبيه ، وهو لا يدرى ٠٠٠ فرده ابو بكر عليه ، وناداه فى اشفاق مخلص او ايمان مكين : « يا نبى الله ! ٠٠ بعض مناشدتك ربك ! ٠٠ فان الله منجز الك ما وعدك ٠٠ » ولكن محمدا مضى فى دعاء ربه حتى ناله الجهد او الم به الاطمئنان ، فخفق خفقة من نعاس راى خلالها نصر الله ٠٠٠ وانتبه من نعاسه مستبشرا، يروى للمسلمين رؤيا النصر، ويزيدهم تحريضا على القتال ، ويقول :

« والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر الا ادخله الله الجنة ٠٠٠»

وكان نصر الفئة المؤمنة الباهر ، وكانت فاتحة الاعلاء لكلمة الاسلام وحقه وعدله ٠٠٠ واما فتح مكة العظيم ، فكان للرؤيا المحمدية الصادقة فيه شان كذلك اى شان ٠٠٠ وليس أبلغ من القرآن الكريم حديثا عنه فى سورة الفتح ومنها قوله تعالى :

« انا فتحنا لك فتحا مبينا ، ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما ، وينصرك الله نصرا عزيزا٠ هو الذى انزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ، ولله جنود السموات والارض وكان الله عليما حكيما ٠٠٠ »

ويقول تعالى شانه :« وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها ، فعجل لكم هذه وكف ايدى الناس عنكم ، ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما » ٠

ثم يقول سبحانه عن حلم محمد بفتح مكة سلما :

« لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين ، محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون ، فعلم مالم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا » ٠

وهكذا كان محمد مؤمنا شديد اليقين بوعد ربه، حين قاومدعاة الغزو الحربى لمكة ، وحين قاوم اثناء فتحها السلمى الرائع جميع مظاهر العنف ، فكان تصديقه وعد الله ، وكان صدق الله وعده ٠٠٠٠

وبعد ، فهذه لمحات عن الرؤى فى القرآن الكريم ٠٠٠ وان تجاربى الذاتية فى الاحلام ـ وحديثها يطول ـ لتؤكد لى ان العلم مكتشف يوما ما تاويل الاحلام الصحيح ، مثبت الصلة الروحانية الوثقى بين الانسان وخالقه من ناحية ، وبين نفوس المخلصين المؤمنين من ناحية أخرى ٠٠

أ.د. أحمد الشرباصي

ابن سيرين وتفسير الأحلام

المشهور لدى كثير من الناس ان تفسير الاحلام ـ او تعبير الرؤيا ـ عمل يقوم به صنف من النـاس قد يكونون أقرب الى الارتزاق والاستغلال ، منهم الى العلم والمعرفة ، مع ان هذا العمل قد قام به خلال التاريخ علماء اجلاء ، وفقهاء كبراء ، وعلى رأسهم الامام العظيم ابن سيرين ، بل حدثنا كتاب الله المجيد ، بأن هذا العمل قد قام به بعض الانبياء ، مثل يوسف عليه السلام ، والى هذا يشير التنزيل الحكيم حيث يقول : « ودخل معه السجن فتيان ، قال احدهما انى أرانى اعصر خمرا ، وقال الآخر انى أرانى احمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه ، نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين » .

فمن ابن سيرين هذا ، صاحب تعبير الرؤيا ، وتفسير الاحلام ؟

إنه الامام الفقيه المفسر المحدث المعبر : أبو بكر محمد بن سيرين الانصارى البصرى التابع ، المقدم فى الزهد والورع ، وفى التفسير والحديث والفقه وتعبير الرؤيا ، وهو مولى انس ابن مالك ، الذى كان معاصرا للامام الزاهد العظيم الحسن البصرى ، رضوان الله على الجميع .

واصله من بلدة : « جرجرايا » وهى مدينة خربت ، من أعمال النهروان الاسفل بين واسط وبغداد من الجانب الشرقى ، وفيها قال الشاعر :

الا حبـــذا يوما جـررنا
ذيول السهو فيه بجـرجرايا

وكان أبوه سيرين ــ فيما يقال ــ يعمل في قدور النحاس . وامه تسمى « صفية » ، كانت مولاة لابي بكر الصديق ، وقد طيبها عند زواجها ثلاث من زوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويدعون لها، كما حضر زواجها ثمانية عشر صحابيا من اهل بدر فيهم ابي بن كعب، يدعو وهم يؤمنون على دعائه .

وكانت امرأة حجازية تحب صبغ الثياب بالالوان ، وكان محمـــد اذا اشترى لها ثوبا اشترى الين ما يجد لا ينظر في بقائه ، فاذا كان كل يوم صبغ لها ثيابها ، وماريء رافعـــا صوته عليها قط واذا كلمهـــا كان كالمصغي اليها .

وقد ولد ابن سيرين بالبصرة سنة ثلاث وثلاثين للهجرة ، لسنتين بقيتا من خلافة عثمان رضي الله عنه .

ويشترك ابن سعد مع النووي في وصفهما له بأنه كان ثقـه مأمونا عاليا رفيعا ، فقيها اماما ، ورعا كثير العلم .

ويقول عنه مورق العجلي : « ما رأيت رجلا افقه في ورعه ، ولا أورع في فقهه ، من محمد بن سيرين » !

وكان ابن سيرين واحدا من الطبقة الثانية من رواة الحديث ، روى عن جمع من الصحابة : منهم أبو هريرة وعبدالله بن عمر ، وزيد بن ثابت ، وأنس بن مالك ، وجندب بن عبد الله البجلي ، وعبد الله بن الزبيـر ، وعمران بن الحصـــين ، وعدي بن حاتم ، وســـليمان بن عامر ، وأم عطية الانصارية

وسمع من جمع من التابعين فيهم عبيدة السلماني ، وقيس بن عبادة ، وسالم بن يسار وشريح ، وعلقمة ، والربيـــع بن خيثـم ، ومعبـــد ابن خيثم ، وحميـــد بن عبـــد الرحمن الحميري ، وعبد الرحمن بن ابي بكرة ، وأخته حفصه ، وخلائق آخرون .

فروى عنه جماعات .

وكان يقول : « ان هذا العلم دين ، فانظروا عمن تأخذونه » .

وكما كان عالما بالحديث ، كان عالما بالقضاء ، حتى قال عثمان البتي :

« لم يكن بهذه البلدة احـــد اعلم بالقضاء من محمد بن سيرين » .

وجمع الى هذا علمه بتعبير الرؤيا وتفسير الاحلام، حتى صار يشار اليه بالبنان في هذا المجال، وأصبح اماما حجة فيه، وهذا جعل بعض المتأخرين عنه يكتبون رسائل في تعبير الرؤيا وينسبونها اليه لتروج وتنتشر .

ولقد نشأ ابن سيرين بالبصرة ، واستقر فيها ، وعمل بزازا ، يشتغل بتجـــارة البز على عادة الاعلام من علماء هذه الامة الذين لم يحل العلم بينهم وبين العمل والاحتراف .

ولم تخل حياة ابن ســـيرين من التاعب والمصاعب ، ولقد ذاق مرارة السجن في بعض الديون التي ركبته.



ولم يستطع الوفاء بها . ولما صار فى السجن عرف السجان قدره فجاء الى ابن سيرين يقول له : اذا كان الليل فاذهب الى أهلك ، واذا أصبحت فتعال ، فأنف ابن سيرين أن يفعل ، وقال للسجان : لا والله ، لا أعينك على خيانة السلطان .

ولا عجب أن يكون منه هذا الموقف الرائع ، فالتاريخ يحدثنا بأنه كان مثلا يحتذى فى الورع والتقوى .

لقد كان متحيزا فى دينه ، لا يقترب من شبهة ولا ريبة ، كثير التنظف والتعفف والتطهر .

لا يغتاب ولا يحسد ، واذا اغتاب أحدا تصدق بدينار، واذا مدح أحدا قال : هو كما يشاء الله ، واذا ذم أحدا قال : هو كما يعلم الله .

يكره المراء ويقول لمن يماريه : انى قد أعلم ما تريد ، وانا أعلم بالمراء منك ، ولكنى لا اريد أن أماريك .

ويقول : لو يعلم الذى يتكلم أن كلامه يكتب عليه لقل كلامه .

ويتلو قول الله تبارك وتعالى :

« وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين » .

ثم يقول : اللهم محصنا ، ولا تجعلنا كافرين .

واذا ودع شخصا قال له: اتق الله واطلب ما قدر لك من حلال فانك ان أخذته من حرام لم تصب أكثر مما قدر لك !

وطالت حياة ابن سيرين بعض الطول ، حتى قاربت الثمانين ، وقد عمرها بالعلم والعمل ، والتقوى والورع ، ثم لحق بربه يوم الجمعة ، لتسع مضين من شهر شوال ، سنة عشر ومائة ، وكما شهدت البصرة ميلاده ، شهدت وفاته ، رضوان الله عليه .

•••

هذه خلاصة القول عن محمد بن سيرين فى التاريخ .

ويأتى الحديث عن الكتاب المنسوب اليه ، تحت عنوان ، « تفسير الاحلام :

والبعض يسميه : « منتخب الكلام فى تفسير الاحلام » ، وهو كتاب لطيف الحجم ، ظهر مطبوعا اكثر من مرة .

وهناك من يشكك فى نسبة هذا الكتاب الى ابن سيرين . ولهذا التشكيك بواعثه التى نعرض لها بعد قليل . كما ان ابن النديم قد ذكر لابن سيرين كتابا اسمه « تعبير الرؤيا » . وهناك ايضا من يشكك فى هذه النسبة

وقد جاء فى اول الكتاب المسمى « تفسير الاحلام » هذه العبارة :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد النبى الامى ، وعلى آله

وصحبه وسلم • وبعد ، فهذا كتاب جليل في تعبير الرؤيا ، ينسب الى الامام محمد بن سيرين رحمه الله تعالى ••• »

ومنذ هذه السطور الاولى في طليعة الكتاب تشم رائحة التشكك في نسبة الكتاب الى صاحبنا ، وسنعود الى بحث هذه القضية بعد قليل •

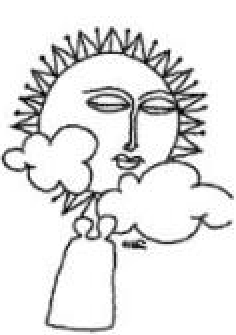
ويحرص ابن سيرين في الباب الاول من كتابه – ان صحت النسبة – على ان يبين صلة تفسير الاحلام بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، فهو يبدأ أولا بذكر الصفات التي يلزم ان يتحلى بها المعبر للرؤى المفسر للاحلام ، واغلبها اخلاق دينية ، ثم يبين ارتباطالتعبير للرؤيا بكتابالله عز وجل ، والاهتداء به ، والاستمداد من معينه ، وكذلك ارتباط هذا التعبير بالحديث الشريف ، فيقول :

« اعلم وفقني الله واياك الى طاعته ،ان الرؤيا – لما كانت جزءاً من ستة وأربعين جزءاً من النبوة – لزم أن يكون المعبر عالما بكتاب الله ، حافظا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خبيرا بلسان العرب واشتقاق الالفاظ عارفا بهيئات الناس ضابطا لاصول التمييز ، عفيف النفس ، طاهر الاخلاق ، صادق اللسان ، ليوفقه الله لما فيه الصواب. ويهديه لمعرفة أولي الالباب ، فان الرؤيا تعبر باختلاف الازمنة والاوقات فتارة تعبر من كتاب الله تعالى ، وتارة تعبر من حديث الرسول عليه السلام ، وتارة تعبر عن المثل السائر، وربما صرفتعن الرائيالى نظيره أو سميه •

وقد تؤول الرؤيا من لفظ الاسم مرة ، ومرة من ضده ، ومرة من اشتقاقه ، ومرة بالزيادة ، ومرة بالنقصان •

فأما التأويل من القرآن الكريم ، فكالبيض يعبر عنه بالنسوة ، لقوله تعالى : « كأنهن بيض مكنون » وكالحجارة يعبر عنها بالقسوة ، لقوله تعالى : « ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة » وكاللحم الطري يعبر عنه بالغيبة ، لقوله تعالى : « أيحب أحدكم أن يأكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه » •

وكالمفاتيح فانه يعبر عنها بالكنوز ، لقوله تعالى : : « وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة » فتزيد امواله، لان الكنوز لا يتوصل اليها الا بالمفاتيح، وكالسفينة



يعبر عنها بالنجاة ، لقوله تعالى : « فأنجيناه وأصحاب السفينة » ولقوله تعالى : « فأنجينـــاه ومن معه في الفلك » .

وكذلك يرى أنه قد دخل دارا أو بلدة أو محـلة ، ولم يكن له عادة الدخول اليهـــا يعبر عنها بحلول مصيبة أو ذل ينال أهل ذلك الوضع، لقوله تعالى :

« ان الملوك اذا دخلـوا قـرية أفسدوها ، وجعلوا أعزة أهلها أذلة » وكاللباس يعبر عنه بالنســاء ، لقوله تعالى : « هن لباس لكم وأنتم لباس لهن » .

وكالغراب يعبر عنه بالرجل الفاسق لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم سماه فاسقا . وكالفارة يعبر عنها بالمرأة الفاسقة ، لقـوله صلى الله عليه وسلم : « الفارة فاســقة » ، وسماها أيضا : فويسقة ، وكالضلع يعبر عنه بالمرأة أيضـــا ، لأن رسول الله صلى الله عليه وســلم قال : « المرأة خلقت من ضـــلع أعوج » وكأسكفة الباب السفلى — أي عتبته يعبر عنها بالمرأة ، لمـــا روى عن ابراهيم عليه السلام انه قال لـــولده اسماعيل : « غير اسكفة بابك » يعني زوجته .

ومن حديث الكتاب نفهم انه قـد يكون هناك تلطف وتأنق في التمـاس التأويل أو التعبير ، كما في شـــان النرجس والورد مثلا ، اذ يعبر عنهما بقلة البقـــاء وقصر الأجل ، وذلك لسرعة ذبولهما .

وقد يكون التأويل في مجال التعبير والتفسير قريب المأخذ جدا ، كقـــول الكتاب ان كل رجل مسمى « الفضل » يعبر عنه بالفضل ، وكل رجل اسمه « راشد » يعبر عنه بالرشد ، وكل رجل اسمه « سالم » يعبر عنـــه بالسلامة .

ومن العجائب في باب التعبـــير والتفسير للأحلام أن الشيء قد يفهمون عنه معنى متصلا به ، أو عائدا اليه . كما رأينا في فهم الرشـــــد من اسم « راشد » ، أو معنى الســـلامة من اسم « سالم » .

وقد يفهمون من الشيء ضد معناه، مثل البكاء ، اذ يعبر عنه بالفرح ، ومثل الضحك يعبر عنه بالحـــزن ، ومثل الرجلين يقتتلان ويصطـــرعان فانه يعبر عن المصروع المغلـــوب بأنه الغالب .

والمشـــهور عنـــد الناس أن الرؤيا تكون عادة في حلم يراه الانسان ليلا ولكن ابن سيرين يقرر — فيما ينسب اليه — أن وقت الأحلام قد يكون ليلا، وقد يكون نهارا : « واعلم أن أصدق أوقات الرؤيـــا أواخر الليل، ووقت القائلة بالنهار » .

ومن الأدب والذوق في تعبير الرؤيا وتفسير الأحلام أن يحسن الانســان التخلص وهو يقوم بمهمة التعبـــير والتفسير ، فلا يصـــدم من يفسر له بقسوة في تعبير، أو غلظة في مواجهة



تؤذى وتسىء . يقول الكتاب : « فان دلت الرؤيا على فاحشة ، او تبيح امر، اخفاها عنه، وعبرها له بحسن عبارة ، واخفى عنه ما تدل عليه هذه الرؤيا » .

وكتاب « تفسير الاحلام » المنسوب الى ابن سيرين يكثر النقل عن الامام جعفر الصادق فى تعبير الرؤيا ، وهو ابو عبد الله جعفر بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسن السبط، الهاشمى القرشى؛ سادس الائمة الاثنى عشرعند الامامية، ولقب بالصادق لانه لم يعرف عنه الكذب قط ، وكان جريئا صداعا بكلمة الحق ، وكانت له مكانة عالية فى العلم ، وكان من اجلاء التابعين ، واخذ عنه الامام ابو حنيفة، والامام مالك وآخرون ، وتوفى بالمدينة سنة ثمان واربعين ومائة .

يروى عنه الكتاب مثلا ما ياتى : جاءه رجل فقال : رايت كان ابى ناولنى حديدا ، وسقانى شربة من خل ، فما يكون ذلك ؟

فقال له الامام : ما رايت من الحديد فانه شدة لقوله تعالى : « وانزلنا الحديد فيه باس شديد » ، وربما تعلم بعض اولادك صنعة داود عليه السلام واما شربك الخل فانك ترزق مالا من مرض يصيبك ، يطول فيه مضجعك ، فان توفاك الله تعالى يكون عنك راضيا ويغفر لك الذنوب : المستقبل منها والماضى .

وينقل عنه الكتاب ايضا : جاءه رجل فقال له : رايت كان الشمس طالعة على جسدى . فقال له الامام: تنال امرا عظيما ، وشرفا جسيما ، من قبل الملك ، ودنيا شاملة مع ذلك الشرف .

وجاءه اخر فقال : رايت الشمس طالعة على قدمى دون سائر جسدى .

فقال له : تنال فى معيشتك من البر والثمر ونبات الارض ، مما يطأ قدمك وتنتفع به ، وتكون مقربا من جهة الملك .

ويروى عنه ايضا : جاء رجل الى جعفر الصادق فقال : رايت كانى عانقت القمر ، فقال له : اعزب انت ؟ قال نعم . قال : تتزوج بامراة احسن اهل زمانها .

ثم غاب عنه الرجل مدة طويلة ، ثم جاءه فقال له . يا سيدى ، انى تزوجت امراة لم يكن احسن منها ، ورأيت البارحة كانى احمل القمر ، فقال : ستلد لك هذه المراة ولدا احسن اهل زمانه وتحملَ به ، فقال الرجل : هى الآن حامل : ، فكان الامر كما فسر رضى الله عنه .

وسال رجل جعفر الصادق فقال : انى رايت كانى اخوض فى المطر يوما وليلة .

فقال له : ما احسن ما رايت انت تخوض فى الرحمة ، وترزق فى الارض سعة فى الرزق .

وجاءه رجل فقال له : رجل رأى فى منامه كان مطرا نزل على راسه خاصة فقال : هذا رجل مذنب ، كثرت ذنوبه عليه ، واحاطت به خطيئته ، الم يسمع قوله تعالى : « وامطرنا عليهم مطرا »



فساء مطر المنذرين » .

وسئل جعفر الصادق عن رجلرأى انه يأكل السحاب ، وبين يديه سحب كثيرة .

فقال الامام : نعم ما رأى هذا الرجل من أهل تعلم العلم ، وارتفاع في الذكر وحاز الفخر ، ونال من ذلك ما لم ينله أحد ، وله ثناء حسن رجاء .

وسئل عن رجل رأى كأن السحاب أظله ، فقال : ان كان هذا الرجل سقيما فيشفى ، وان كان فقيرا فالله يغنى فقره ، وان كان مظلوما ينتصر، لان السحاب رحمة ، وكانت سحابة تظلل الرسول الكريم ــ صلى اللهعليه وسلم ــ فى وقائع الحروب .

●●●

ويؤكد كتاب « تفسير الاحلام » المنسوب الى ابن سيرين معنى الاستعانة بالقرآن الكريم فى تعبير الرؤيا ، فهو يذكر مثلا أن رجلا جاء الى ابن سيرين وقال له : رأيتكأنى اؤذن ، فقال : تقطع يدك ! .

ثم جاء رجل آخر ، وصاحب الرؤيا الاولى ما زال واقفا ، فقال الثانى : رأيت كأنى اؤذن . فقال له : تحج ! وعجب الحاضرون ، فقال ابن سيرين : رأيت الاول سيماه سيما الشر فأولت بقوله تعالى : « ثم أذن مؤذن أيتها العير انكم لسارقون » ، ورأيت الثانى سيماه سيما الخير ، فأولت بقوله تعالى : « وأذن فى الناس بالحج » .

ويقول ابن سيرين فى الكتاب فيما ينسب اليه : « الرعد مع الريح سلطان جائر ، والبرق للمسافر خوف ، وللمقيم طمع، لقوله تعالى : هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا » .

ومن الشواهد عى تأكيد الاستعانة بالقرآن فى تفسير الاحلام أن ابن سيرين يقول فى الباب الخامس من الكتاب المنسوب اليه : « فمن رأى أنه اغتسل فى نهر أو بحر ، ولم يتقذر هولا ولا ذلا ولا علاجا لنفسه ، أو رأى أنه اغتسل فى ماء ، فان الغسل ذهاب وهم وغم وحزن ، وفرج وشفاء فان كان مهموما أو فى ضيق فرج الله عنه ضيقه ، وان كان مريضا شفاه الله تعالى ، وان كان مديونا قضى دينه وان كان ذا خوف آمن الله خوفه وان كان فى سجن خلصه الله منه» قال تعالى : « اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ، ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لاولى الالباب » .

ومن الشواهد ايضا قوله : «الرياح ان كانت طيبة ولطيفة ، فهى بشارة وبركة ، لقوله تعالى : « وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته » وان كانت سوداء مظلمة فهى هم وغم . لقوله تعالى : « وعاد اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم » .

ومن الشواهد قوله فى الباب الثامن : « السكر من غير شراب مكروه لا خير فيه » ، لقوله تعالى : وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ، ولكن عذاب الله شديد .

ومن الشواهد قولهفى الباب الثامن

والعشرين : «فمن رأى أنه عطشان ، وأراد أن يشرب من نهر ، فلم يشرب ، فإنه يخرج من حزن، لقوله تعالى فى قصة طالوت : « إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى ، ومن لم يطعمه فإنه منى » قال بعضهم : من أراد أن يشرب فلم يشرب لم يظفر بحاجته !!

ويعقد الكتاب بابا يعرض فيه تأويل قراءة سور القرآن ، حيث يتناول القرآن سورة سورة ، ذاكرا تأويل قراءة كل سورة مبتدئا بالفاتحة مختتما بسورة الاخلاص .

***

وهنا تبدو لنا بعض الملاحظات فيما يتعلق بالاستعانة بالقرآن المجيد فى تعبير الرؤيا ...

نراه مثلا يقول : « فإن رأى أنه يأكل نارا من غير لهب ، فإنه يأكل مال يتيم » .

وكان يستطيع هنا الاستئناس فى هذا التأويل ، بقول الله تعالى فى



سورة النساء :« إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا » .

وفى الباب الرابع يقول :«والشمس هى الملك ، وربما كانت أحد الابوين

وكان من المستحسن أن يستشهد فى ذلك بقول القرآن الكريم ، وهو بصدد رؤيا يوسف : « إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين » فقد ذكر أهل التفسير أن المراد بالشمس والقمر هنا أبوه وأمه .

وفى الباب الخامس يقول الكتاب: « المطر غيث ورحمة » ، وكان ينبغى له أن يستشهد بقول الله تعالى عن المطر فى سورة لقمان : « إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث » أى المطر، وقوله فى سورة الشورى : « وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته » .

ويذكر الكتاب فى الباب السابع : « ومن رأى أنه يعصر العنب فإنه يخدم السلطان » ، وكان ينبغى له أن يستشهد لذلك بما ذكره القرآن فى قصة يوسف : « ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إنى أرانى أعصر خمرا .. » أى عنبا ، وكان هذا الفتى يخدم السلطان كما جاء فى القصة

وجاء فى الباب السابع عشر أن « البقرة السوداء سنة مخصبة ، وإذا اجتمعت بقرات سود كانت سنين مخصبة بقدر سمنها ، إن ملكها ، أو كانت لأهل ذلك الموضع الذى هو فيه ، ولحوم

البقر اموال ، وان كانت هزالا فهي سنون مجدبة ، فمن رأى بقرة سمينة فهي سنة مخصبة من تلك السنين » .

وقد كان من المستحسن ان يستشهد في ذلك بما قصه القرآن المجيد في في سورة يوسف من رؤيا الملك ، فقد جاء ذكر البقر في الرؤيا ، وفسروا البقر بالسنين ، وذلك حيث يقـــول القرآن : « وقال الملك انى أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجـــاف ، وسبع سنبلات خضر واخر يابسات . يا ايها الملأ افتونى في رؤياى ان كنتم للرؤيا تعبرون ، قالوا اضغاث احلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين . وقال الذى نجا منهما وادكر بعد امة انا انبئكم بتأويله فأرسلون : يوسف ايها الصديق افتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف ، وسبع سنبلات خضر واخر يابسات لعلى أرجع الى الناس لعلهم يعلمون ، قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله الا قليلا مما تأكلون ، ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون ، ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث النـــاس وفيه يعصرون »



ويقول الكتاب في الباب الثامن : « من رأى نهرا من خمر فان كان في روضة خضرة مجهولة ، فانه ينـــال دخول الجنة اذا شرب منه .. » وقد كان من الممكن ان يستأنس لذلك بقول الله تعالى في سورة محمد : « مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن،وانهار من لبن لم يتغير طعمه، وانهار من خمر لذة للشاربين

❋❋❋

ثم تأتى ملاحظات نلاحظها في باب الاستعانة بالحديث النبوى على تعبير الرؤيا :

في الباب التاسع يقول : « من رأى ان في يده طولا فانه يكثر ماله ونفقته وكرمه » . كما قال في الباب الاول : واما التأويل من الامثال الســـائرة فكالرجل يرى في يده طولا فانه يعبر باصـــطناع المعروف ، لقولهم : هذا أطول منك يدا وباعا ، اى اكثر منك عطاء » .

وكان من الممكن لابن ســـيرين أن يجعل ذلك من باب التأويل المستمد من الحديث النبوى الشريف ، فقد روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لزوجاته : « أولكن لحوقا بى أطولكن يدا » ، أراد أطولكن يدا بالعطاء ، اى اكثركن اعطاء للناس .

وفي الباب الرابع يقول الكتاب : اللبن هو فطرة الاسلام وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان من الممكن ان يستعين هنا بما جاء في قصة الاسراء والمعراج ، حينما عرض جبريل على النبى الخمر والماء واللبن

فأخذ النبى وعاء اللبن ، فقال جبريل ، هديت الفطرة » ٠

***

هذا وفى الكتاب اشارات تدل على أن نسبته الى ابن سيرين ضعيفة غير متيقنة ، كأن يتكرر فى الكتاب مثـــل قوله :« يحكى أنه جاء رجل الى محمد ابن سيرين » وقوله : « جاءت امرأة الى محمد بن ســـيرين » والمؤلف لا يتحدث عن نفسه فى العادة بهـــذه الصورة ٠

ومن الاشارات على ضعف نسبـــة الكتاب الى ابن ســــيرين أن ترد به أقاصيص تحتاج الى تمحيص ، مثل ما جاء فى الباب الرابع : « جاءت امرأة الى محمد بن سيرين فقالت : رأيت القمر قد دخل فى الثريا وناداني نداء من خلفى : أيتها المـرأة ، امضى الى محمد بن سيرين فقصى عليه رؤياك ٠

فقبض ابن سيرين على يديها وقال لها : كيف رأيت ؟

فأعادت الكلام ثانية ٠ فعند ذلك أصفر وجهه ، وقام وهو آخذ ببطنه. فقالت أخته : ما بالك مصفر الوجه؟ قال : وكيف لا يكون ذلك ، وقد زعمت هذه المرأة انى قد أقبر بعد سبعـــــة أيام ٠

فدفن فى اليوم السابع رحمه الله » !

وهكذا يتحدث ابن سيرين عن نفسه بعد أن مات وصار فى القبر !! ٠٠ أهذا معقول ؟

وفى الباب الســـــابع يقول عن « التين » : « وكان يسميه محمد بن سيرين بالتبر » ويقـــول عقب ذلك مباشرة : « قيل ان رجلا أهدى الى الامام محمد بن سيرين جملا ٠٠ » ٠ وهكذا يتحدث ابن سيرين عن نفسه بضمير الغائب ٠ ويذكر اسمه حينا مجـردا من كل لقب ، وحينا ينعت نفسه بلقب « الامام » ٠

هذا معقول ؟!

وفى الباب الحادى عشر يحكى سيرين ـ كما يزعم الكتاب ـ حكاية عن أبى حنيفـــة ، مع أن ابن سيرين مات قبل موت أبى حنيفة بأربعين سنة، فابن سيرين مات سنة مائة وعشر ، وأبو حنيفة مات سنة مائة وخمسين !

وفى الباب العاشر يورد الكتـــاب أقاصيص لا تليق عن النواحى الجنسية مما لا يناسب مقام الامام الجليل محمد ابن سيرين ٠

الغلب الظن ـ ان لم يكن اليقين ـ ان الكتاب جمعه جامع ، مما روى عن ابن سيرين ثم نسبه اليه ٠

والله جل جلاله أعلم بحقيقة الامر ٠

الرؤيا وتعبير الرؤيا في الأدب الإسلامي

أنور الجندي



تقول العرب « الرؤيا » : تعبير عما يراه الانسان في نومه وما درجنا على تسميته بالحلم . وقد كانت الاحلام وتفسيرها محل عني به الانسان على مدى الازمان . وكان لها قبل الاسلام مفهوم مستمد مما ورثته البشرية مما كان مختلفا باختلاف الامم . فلما جاء الاسلام وتحدث اشارة القرآن للرؤيا في عديد من المواضع نشأ في الفكر الاسلامي مفهوم واضح ونظرية لها ابعاد شغل بها الباحثون والادباء والمفكرون شغلا عظيما ...

وفيما عدا ما اورده الفخر الرازي والزمخشري في تفسيريهما من مفهوم الرؤيا فاننا نجد عددا كبيرا من الدراسات التي تناولت الرؤيا وعلاقة الرؤيا بالنبوة وعلاقتها بالولاية وآداب الرؤيا وتعبير الرؤيا .

وقد تقاسم الباحثون هذه القضايا في مجالاتهم المختلفة : مشرعين وفلاسفة وصوفية وادباء وابرز هؤلاء الباحثين هم :

الفارابي في كتابه : آراء اهل المدينة الفاضلة .

الغزالي : في كتابه « مقاصد الفلاسفة » .

وفي كتابه « الاحياء »

وفي كتابه « كيمياء السعادة »

ابو حيان التوحيدي : في كتابه « المقابسات »

ابن سينا : في كتابه « اثبات النبوات »

الايجي : في كتابه « جواهر الكلام »

النابلسي : في كتابه « تعطير الانام »

اخوان الصفا : في رسائل اخوان الصفا .

ابن رشد : في كتابه « الحاس والمحسوس »

ابن عربي : في كتابه « فصوص الحكم »

التهانوني : في كتابه « كشاف الاصطلاحات » .

ابن خلدون : في كتابه « المقدمة »

السالمي : في كتابه « الاشارة الى علم العبارة » .

طاشكبرى زاده : في كتابه « مفتاح السعادة » .



ابن خلدون : اضغاث الاحلام لا تقبل تاويلا

القنوجي : في كتابه « ابجد العلوم »
ابن سيرين : في كتابه « منتخب الكلام » .

وقد تناول الادباء والفلاسفة هذه المادة الخاصة بالرؤيا والاحلام بتوسع كبير ، وربطوها بالقرآن الكريم الذي اورد مادة الرؤيا في سبع مرات أو سبع رؤى : في يوسف أربع منها ، والخامسة وقعت لابراهيم ، واثنتان للرسول صلى الله عليه وسلم .

وقد فسر المفسر الرازي الآية (الذين امنـوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الاخرة) بأنها الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له .

وتقسم هذه الدراسات (الدينية وفقهية وصوفية وفلسفية) الاحلام الى مصادر ثلاثة : منها ما هو من الله سبحانه وتعالى وهي الرؤيا الصالحة ومنها ما هي من الشيطان وهي الرؤيا الباطلة . ومنها ما هو اضغاث احلام وهي : حديث النفس .

● الرؤيا الصالحة ●

هي الرؤيا التي يشرف فيها النائم على المستقبل واعتبرت جزءا من ستة واربعين جزءا من النبوة .

يقول الغزالي : الرؤيا طور ضعيف من اطوار النبوة ، وبينها وبين النبوة مرتبة واضحة المعالم ، ويرى ابن خلدون والغزالي ان الرؤيا الصادقة هي للبشرية جميعا ويقول ابن سيرين ان الرؤيا من الله أساسا ثم يضيف الباطل من الرؤيا الى الشيطان باعتباره الداعي اليها والموعز بها ويكاد الاجماع ينعقد بين علماء السنة على ان الرؤيا الصادقة هي من وحي الله، وهي بشرى منه سبحانه كنحو ما يحذر الله الانسان في منامه من الشر ويرغبه في الخير .

● الرؤيا الباطلة ●

اما الرؤيا الباطلة فهي من الشيطان او وسوسة النفس حيث يرى فيها الانسان ما يهواه او يتمثل فيها له ما يخفيه في يقظته على حد تعبير النابلسي او هي من اثر الطبائع والامزجة كما يقول ابن سيرين :
والاضغاث هي المنامات التي لا أصل لها كما يقول الغزالي والتي ترتد الى حركة القوة المتخيلة وشدة اضطرابها

● مفهوم متكامل ●

وهكذا يختلف المفهوم الاسلامي للرؤيا عن المفهوم الذي عرفه الفكر البشري القديم وخاصة الفكر الهليني الذي يقصر الرؤيا على وسوسة النفس وحدها . وهو ما قال به علماء النفس المحدثون وفي مقدمتهم فرويد ، أما المسلمون فقد قدموا مفهوما جامعا شاملا للعناصر المختلفة ، وفي مقدمتها الرؤيا الصادقة التي تعد اسلامية المصدر كما عبر عن ذلك الدكتور توفيق الطويل في بحوثه المتعددة في كتابيه: الاحلام والتنبؤ بالغيب . حيث قال انها لم تكن معروفة في التراث الهليني وقد اعتبرها المسلمون شاهدا على وجود النفس وطريقا الى كشف الغيب ونمطا للولاية ، ذلك أن الاسلام يقوم اساسا على الوحي الالهي والايمان

الرؤيـا

بعالم الغيب، وقد قرر القران وجود النفس واستقلالها عن البدن وهيمنتها على الجسم ، اذ بغير هذا لا تستقيم اموره من بحث وحســـاب ونحوه ، ولذلك دعا الاسلام الى التزام الاخلاق الحميدة والبعدعن الشهوات ولم يغفل مطالب الجسم والدنيا معها (١)

ويورد التهانوتي في كتابه كشـاف اصطلاحات الفنون : مفهوم الاسلامفي الاحلام فيقول: صدق الرؤيا معزو الى الله سبحانه القادر على كل شيء فهو يخلق في قلب النائم او في حواسـه الاشياء كما يخلقها في اليقظان وهو سبحانه يفعل ما يشاء فلا يمنعه من ذلك نوم ولا غيره .

ولذلك فان القول بأن الاحلام هي استجابة لمؤثرات حسية أو نفسية مما قال به (ارسطو) وجدده (فرويد) على أنه حكم عام هو مفهوم ناقص لانه ينطلق أساسا من المفهوم المـادى الذى ينـكر النفس فقـــد استبعد الهلينيون عـــامل ما فوق الطبيعة وقصروا انفسهم على الرغبات والميول والغرائز والنزعات العاطفية وكان مرد هذا القصور هو انشطار النظـــرة وتوقفها عند حدود الجانب المـادى وحده .

● تاويل الرؤيا ●

عرف المسلمون علم تعبير الرؤيا وهناك ثلاثة مؤلفات هامة في هــذا المجال هي :

تعطير الانام في تعبير المنام : عبد الغني النابلسي

منتخب الكلام في تفسير الاحـلام : محمد بن سيرين

الاشارات في علم العبارات : ابن شاهين الظاهري

وتبدأ هذه البحوث من القـول بأن الانسان الحساس هو غير هذا الجسم وانهيخرج من البدن في حالة النوم ، فيشاهد هذا العالموهذا قول المسعودى أما ابن سيرين فيقول ان الرؤيا تقـــع للمرء وهو نائم ذاهل العقل والحس معا ، اذا غاب العقل والحس بالا ، فان النفس تكون يقظة منتبهة تقـوى على التعقل والفهـــم ، ذلك أن روح النائم تسرح في الدنيا وتمتد منبسطة خارج الجسد ، وان لبث جزء منهـــا على اتصال به فتدرك في النـــوم مكنونات الغيب المحجب ، ويقول ابن غنام ان الروح ترحل عن الجسد الى عوالم الغيب فان تيقظ النائم فجأة قبل أن تعود من رحلتها ادركه الجنـــون وقيل أن الارواح تصعد الى السماء ، ويرى البعض أن الرؤيا باب من أبواب الولاية والكرامة فيرى صاحبها من الامور ما يقع في اليقظة بعد ذلك وهذا هو مفهوم السنة الجامع الذى يختلف عن مفهوم الصوفية المتأثرين بمذهب وحدة الوجود والذين يفسرون الرؤيا في ضوء نظريتهم عن فنـــاء الذات (السـهروردى وابن عربي) ويختلف عن مفهوم الفلاسفة (الفارابي وابن سينا) القائم على متابعة الهلينيين فيما يسمى بالعقل الفعال .

ويقرر ابن خلدون في المقدمة أن اضغاث الاحلام لا تقبل تأويلا ، وأن الرؤيا الصادقة لها تعبير ولتعبيرها قوانينعامة . والتعبير يتطلب أمرين: معرفة المناسبات بين الصور ومعانيها ومعرفة مراتب النفوس التي تظهــــر الصور في خيالهم ، ومن أجل هــــذا يختلف التأويل في الحادثة الواحـدة بين رجلين وبين زمنين . وتحـــوى كتب التعبير جداول تضـــم أسماء الاشياء التي تظهر في الاحلام والمعاني التي يعنيها كل منها ، ولكن هنـــاك تحفظا هو ان الرمز الواحد قد يحمل

---

(١) الاحلام:الدكتور توفيق الطويل

معاني متعددة تختلف باختلاف الامم والافراد وتختلف في الفرد الواحد عن الاخر باختلاف احواله وسلوكه ،وان كان هناك قدر مشترك بين النـــاس جميعا في كل زمان ومكان ·

ومن أجل أن تصدق الرؤيا يشترط أن ينام المرء على طهارة ويستحب الوضوء قبل النوم، لان النفس اذا لم تكن طاهرة لم تتمكن من التحليق في الافـــاق ، وعلى المسلم الا ينـــام الا على نقـــاء قلب وصـــفاء سريرة ولا يكون على البطن كذلك لا ينام على جوع او ظما كما يرى المؤولون للرؤيا انه من المستحب للمؤمن انينام على جنبه الايمن ··· اما النوم على البطن فانه يؤدي الى اضغاث الاحلام، ويشترط الا يكذب الانسان في رواية الرؤيـــا ، وانه اذا رأى المؤمن في منامه ما يضره يقول : اعـوذ بالله من شر ما رأيت ·

ويرى ابن خلدون ان المرء يتأثر في منامه بما يفكر فيه قبل نومـــه ، يقول : ان الانسان اذا اعد نفســـه قبل النوم اعدادا نفسيا في سبيل فكرة معينة فانه سيرى تلك الفكـرة في منامه ·

● تعبير الرؤيا ●

يحكى ان رجـــلا جـــاء الى ابن سيرين يخبره عن حلم رآه حيث كان يؤذن فقال له ابن سيرين : تقطـــع يدك ، وجاء اليه اخر يخبره عن حلم يماثلحلم الاول فقال له ابن سيرين : تحج الى بيت الله الحرام ! ··

ودهش الحـــاضرون لهذا التناقض بين التفسيرين مع ان الحلم واحد ، وسالوا ابن سيرين عنه فاجابهم بما معناه : ان الاول رجل تبدو عليـــه سيماء الشر والاذان الذي قام به في النوم يدل على انه سارق وســـوف تقطع يده وذلك بدليل قوله تعالى : (وأذن مؤذن أيتها العيـــر انكم لسارقون) ·

اما الرجل الثـــاني فتبدو عليه سيماء الخيروالاذانه يدل على انه سوف يحج الى بيت اللهالحرام بدليل قوله تعالى :

(وأذن في الناس بالحج)·

ومن هذا وغيره من تعبيـــرات الرؤيا تبين ان هناك ثلاث نظرات :

(١) احلام ترتبط فيها البشريـــة كلها باختلاف الامم والملل والثقافات ·

(٢) اختلاف عند الفرد الواحد باختلاف ظروفه واحواله ·

(٣) اختلاف الفصول والازمان ·

ويرجع ذلك الى القدرة الخاصـــة على اســـتنتاج المعبر نفسه ، كذلك مما وصل اليه ابن خلدون ان الرؤيا تقع في مبـــادىء النوم ، او عنـــد نهايته والعلم الحديث يقرر ان النوم العميق لا وعي فيه ولا شعور وان الاحلام تقع في مرحلة الانتقـــال التدريجي الى حال اليقظة ·

● النوم يقظة ●

ويرى رجال التصوف ان النـــوم يقظة وان النفس البشرية مشـــغولة اثناء اليقظة بصور المحســـوسات وهموم البدن وهي عندئـــذ تائهة لا تفهم ســـوى ما يأتي به الحس من اوهام واباطيل ، اما في النـــوم فينجلي عن بصرها الغشـــاء وتحلق في سماء المعرفة طليقة لا يشـــغلها شاغل ·

ويعتقـــد الغزالي ان ما يبصره الانسان اثناء نومـــه اولى بالمعرفة مما يدركه عن طريق الحواس ، وقد اخطأ الناس حين ظنوا ان المعـــرفة تقع ابان اليقظة اذ هم ينسون ان العقل مشغول عن ذلك بهموم حياته الدنيوية فلا يســـتطيع ان يفهم من امور الحق شيئا (١) ·

---

(١) التنبؤ بالغيب : د · توفيـــق الطويل ·

د. عاتكة الخزرجي

حتى اشتكتني خرز المسبحة

وجهك أهو السحرُ أم فتنةٌ
أم عالمٌ أعجز أن أفتحه ؟
سمرته رقّت وراقت فيا
لله هذا الخد ما أملحَه
رقّ على قلبٍ رقيق له
يكاد بالإدلال أن يجرحه
وراق في عين محبٍ به
من علل تكاد أن تفضحه
يا ريشة الملهمِ يا سِرّه
لله هذا السرّ ما أوضحه
ضللتَ في دنياك يا ضلّة
لن تستميح الشدى أو تمنحه
وجهك نورٌ هو أم جنة ؟
أكاد إن رامقت طرفي به
أن أبصر المبدع أو ألمحه
وكم به سبّحتُ لا ارعوى
حتى اشتكتني خرز المسبحه
وا حيرتي مَنْ لي الى قلبه ؟
للصامت المتشلق أن أفتحه ؟!



د. سيد كريم

تفسير الأحلام عند المصريين القدماء



● حضارة مصر قديمة قدم الزمن .. فالمصرى القديم اول من شق طريقها

كانت اولى خطواته على ذلك الطريق هى البحث عن المعرفة .. معرفة سر الوجود .. معرفة ماوراء الطبيعة .. خفايا ظواهرها ، وسر قواها .. فى ناحية العقيدة عرف الإله والوحدة والروح وآمن بالخلود .. وفى ناحية الفكر ضرب كثيرا فى متاهات النفس البشرية ، تطلع الى السماء فكشف من اسرار « القبة السماوية » الحركة الدائمة وخلودها الازلى وابعادها اللانهائية ونظام الكون الابدى ، فآمن بالخالق وبقوته التى تحرك ذلك الكون السماوى .. وانعم عليه الخالق بالحكمة المقدسة والمعرفة بالعلوم.



بتاح .. الاستخارة والرؤيا الصادقة - معبد منف - « الدولة القديمة » ...



اوزوريس .. محراب الرؤيا المقدسة - حلم ترمز وتوحيد القطرين ..

وفى طريق المعرفة الطويل تفتحت امامه ميادين علومها النظرية والتطبيقية من هندسة ورياضيات وعمارة وطب .. وميادين آدابها وفنونها فى مختلف مجالات الحياة والمجتمع ، كما حاول أن يخضع كل ما واجهه من اسرار وغموض فى ظواهر ما وراء الطبيعة الى البحث العلمى نفسه ، ونسبها جميعا الى قدرة الخالق الذى وهبه اسرار المعرفة بقدر ايمانه بوجوده وقدرته وقوته .

وفى بحثه عن سر الظواهر الخفية كانت الاحلام فى مقدمة الشواغل التى جذبت اهتمامه .. حاول كشف مـ كنهها من خلال المعرفة المقدسة . فسرها بذاتها وسيلة للتخاطب بين عالمين آمن بوجودهما وعلاقتهما ببعضهما البعض . فسرها بانها « لغة سماوية » انزلها الاله تحوت اله المعرفة والكتابة عن طريق خونسو المعبود القمرى ليبلغ الكلام للنائم فى قريته الروحى ويمكنه من الاتصال به والتخاطب معه ليرشده فى حياته ويبصره بما يخبئه له القدر .. والرؤيا حاسة من الحواس الباطنة - حاسة الشفافية التى يهبها الاله للانسان على قدر ايمانه بالخالق وطاعته لمعبوداته .

فكانت الاحلام ولغتها ورموزها ، و « شفرة » فك طلاسمها التى بدا اهتمامه بها ، كاحد مفاتيح العقيدة التى بدات بها الحضارة نفسها وقبل عهود الاسرات بسنوات طويلة .

● وصفت برديات هرمس (موسوعة للمعرفة المقدسة واسرار ما وراء الطبيعة) وصفت الاحلام بانها لغة انزلها الاله تحوت المعبود

القمرى لهرموبوليس كوسيلة للتخاطب بين عالم الحياة او العــالم الارضى وعالم الروح او عالم الخلود • وصف ان لكل آدمى قرينا يطلق عليــه « الكا » او الخيال اللازم ، يلـزمه طول الحياة ويتبعه فى العالم الاوزيرى او العالم الابدى ـ وهو ما يعبر عنه فى الحياة بالنفس • وقد رمزوا للكا بذراعين يمتدان نحو الســماء . يرتبطان بالجسد او الرأس (العقـل والضمير) ويشيران الى اعلى حيث توجد « البا » او الروح • فالكا او النفس هى وسيلة الاتصال بين الروح والجسد فهى التى تلازم الجسد فى الحيــاة وتلازم الروح فى رحلة الحساب ومحكمة العالم الاخر •

والاحلام هى لغة التخــاطب بين الروح والنفس لتوجهها وتبصرها بما يخبئه لها المستقبل ، بقدر ما يسمح به الاله ، وتكشف لها عما تضمره لها الارواح الشريرة لتفاداها وتعمل على اتقاء شرها ، او توحى اليها من اسرار المعرفة بالحياة والوجود من علوم وآداب وفنون • فتلك الاحلام وصورها او لغتها ، يتلقاها الانسان عن طريق حاسة من الحــــواس السماوية الباطنة وهى غير الحواس الارضية الظاهرة ، اطلقوا عليهــــا « حاسة الرؤياء او الشفافية النفسية» فبقدر طهارة النفس وصــلاح المرء وعمــق ايمانه تقوى عنـــده تلك الحاسة السادسة ويدرك لغتهـــا وقواعـدها واسرارها وشفرة تفسير رموزها • ولا ينقطع اتصال جســده بروحه •

وقد وصفت برديات هرمس الاحلام بانها لغة لها حــــروفها ورموزها التصويرية كما ان لها خطوطهــــا المختلفة ، كما هو الحال فى اللغـــة المصرية القديمةبخطوطها الهيروغليفية والهيراطيقية والديموطيقية واشــكال حروف كل منها وطريقة قراءتها ، او كما هو الحال فى اللغة العـــربية



الكا « النفس او القرين » واسطة الاتصال بين الجســـد والروح او عالم الحياة والعــــالم الاخر عن طريق الاحــــلام والرؤيا ...

واختلاف خطوطها الكوفى والرقعـــة والنسخ • فتختلف صور الرئيـــات ومعانيها فى الاحلام تبعا لنوع الحلم وطبيعته •

وتنقسم تلك الاحــــلام الى ثلاثة انواع :

١ ــ الرؤيا الصادقة : التى تنقل للانسان التنبؤ بالمستقبل والغيب أو مختلف نواحى الوحى بالمعـــرفة المقدسة الذى يهبط على اهل المعرفة من علماء وادباء وفنانين • الى وحى الرسالة الذى ينزل على انصـــاف الالهة والكهنة المبجلين والمرسلين

٢ ــ احلام الحياة : التى تعبر عن العواطف والغرائز والعلاقاتالانسانية وما يرتبط بها من حب وحقد وحسد وصراع فى اطار الحياة وماسياتها •

٣ــ احلامالكيان الجسمانىالجسد وصحته والنفسوامراضها وما يتعرض له الانسان من خير وسوء •

وينقســـم تفسير الاحــلام ، او

« شفرة » فك رموزها بالنسبة لتلك الانواع الثلاثة الى احلام تفسيرمعناها الحقيقى حيث تظهر بها الاشياء وصورها على حقيقتها وتكون غالبا فى احلام الرؤيا الصادقة والوحى المقدس بانواعه والنوع الثانى هو الاحلام الرمزية والتى وضعوا شفرة لصورها ومعانيها وما يعبر عنه كل منها • والنوع الثالث الالغاز السحريةوالتى تفسر بمضمونها المركب والمتشابك وكثيرا ما تكون صور المرئيات بعيدة تمام البعد عما ترمز اليه او تختلف دلالتها فى صورة عن اخرى •

كانت الاحلام وتفسيرها من علوم المعرفة المقدسة التى تدرس فى بيوت الحياة او معاهد المعابد، وكان يخضع من يتعلمها الى مزاولة الكثير من الرياضات الروحية والتطهير النفسى المشابهة لاعمال اليوجا او الحرمان الحسى والصيام النفسى والجسدى حتى يحصل على لقب « شرحب » وهو مماثل للاستاذية الجامعية ، وينتمى حامله الى كهنة المعبد ويسمح له قانونا بمزاولة مهنته المقدسة •

وقد تخصصت عدة معاهد من « بيوت الحياة » بالمعابد فى علم الاحلام وتفسيرها اشتهر كل منها بنوع معين من الاحلام وطريقة تفسيرها كشفت عنها لفائف البرديات والواح الاوستراكا التى اكتشفت ضمن حفريات تلك المعابد والمقابر المحيطة بها •

من اقدم المعابد التى ورد اسمها فى التاريخ القديم ونسب اليها علم الاحلام وتفسيرها معبد الاله بتاح القديم بمدينة ابيدو القديمة (أبيدوس) التى كانتعاصمة الجنوب فى العصر العتيق وقد جمع كهنة المعبد بين تفسير الاحلاموالسحر والاستخارة المقدسة ، وهو المعبد الذى اقام فيه نعرمر اول ملوك الفراعنة وموحد القطرين ، قبر اوزوريس ومحرابه المقدس •

ثم ظهر « بيت حياة » معبد بتاح بمنف — الذى اسسه امحتب واشتهر بالعلاج بالاحلام وفرض الرؤيا ••• واشتهر بعد ذلك معبد اهناسيا (حت حنن نسو) او هنتس — التى كانت عاصمة البلاد فى عهد الاسرتين التاسعة والعاشرة ، وهى التى قيل ان يوسف عليه السلام درس بها وقام بتفسير احلام ملك الهكسوس ابو فيس الذى كافاه على نبوءاته الصادقة بان سمح بدخول اليهود الى ارض مصر • ثم معابد حورس وامون رع فى ابيدوس وطيبة والتى اشتهرت فى الدولة الحديثة بتفسير الحلم الصادق والاستخارة وفرض الرؤيا والتى وردت فى تاريخ عدد من ملوك الاسرتين الثامنةعشرة والتاسعةعشرة •• كما اشتهر معبد دندرة (تانتير) باحلام الحب والعواطف الانسانية •

وقد اتخذ كل معبد من تلك المعابد معبودا او الها خاصا لحماية الاحلام ، فاتخذ خونسو المعبود القمرى لاهناسيا كما اتخذت معابد بتاح فى منف الاله تحوت المعبود القمرى لحماية الاحلام ، وفى معبد دندرة اتخذت الالهة حتحور الهة الحب والجمال حامية لاحلام المحبين

● برديات تفسير الاحلام

لقد خلف لنا قدماء المصريين مجموعات قيمة من برديات تفسير الاحلام يرجع بعضها الى العصر القديم والبعض الاخر الى الدولة الحديثة ، تم اكتشافها فى كل من اهناسيا ومعبد ابيدوس وبعض مقابر طيبة ، وتختلف عن بعضها البعض فى طريقة التفسير ورموز التعبير تبعا لدى ارتباطهابالعقيدة والسحر واثرهما على المجتمع فى كل عصر • ومن أهم تلك البرديات مجموعة



لحـوت ... اله المعرفة والمعبود القمرى لاهناسيا • لغة الاحلام ورموز تفسيرها ...



الاله تحوت : اله المعرفة ، اول الكتابة

برديات اهناسيا وجداول تفسير احلامها وكانت فى الاصل عبارة عن موسوعة كبيرة ضمن اسرار العلوم المقدسة بالمعبد وترجع الى الاسرة الثانية عشرة ، وقد وضعت الاحلام وتفسيرها على شكل جداول وضعت امام كل مرئى دلالته ان كان يرمز الى خير او سوء كما هو موضح فى البردية المصورة وتبدا البردية بجملة ‥ اذا رايت نفسك :

تنظر خلال نافذة مفتوحة : ـ خير ـ دعواتك استجيبت

ترى الاله اوزير : ـ خير ـ طول العمر وحياة مطمئنة

ترى قزما : ـ سوء ـ ستموت فى منتصف العمر

تجلس فى ظل شجرة : ـ خير ـ ستتخلص من متاعبك •

تجلس بين افرع شجرة مزهرة : ـ خير ـ وفرة الرزق والاستغناء عن الناس

تصعد قمة جبل مرتفع : خير ـ نجاح فى عمل وعلو فى المركز

تشرب الخمـــر : خير ـ تنطق بالحكمة وتسحر الناس بحديثك

تشرب اللبن : ـ خير ـ شفاء من مرض ودوام الصحة •

تجلس فى ضوء القمر : ـ خير ـ ان الاله غفر خطيئتك •

تسقط فى بئر او تجلس فى حفرة : ـ سوء ـ ستدخل السجن

ترتدى رداء ابيض : ـ خير ـ شفاء من مرض عضال

ترتدى رداء ممزقا او متسخا : ـ سوء ـ ستصاب بمرض او حادث

تتقبل زهرة من الاله حتحور : ـ خير ـ سعادة فى الحب واخبار سارة

تذبح اوزة : ـ خير ـ تقتل عدوك

النار تمسك بملابسك : ـ سوء ـ تتعرض لحادث اليم

تسير عاريا : ـ سوء ـ تتعرض لفضيحة او تهمة •



صفحة من برديات تفسير الاحلام ـ حفريات طيبة « الدولة الوسطى »

رأيت كلبا يتبعك : ـ خير ـ خدمة من صديق وفى

ثعبان يتسلل الى حجرتك : ـ سوء ـ شر متوقع من اعمال السحر

تجذف فى نهر النيل : ـ خير ـ ستنجح فى عمل تقوم به

تسير فى حقل سنابله مزهرة : ـ خير ـ رزق وفير

تسير فى حقل ارضه جدباء ـ : سوء ـ خسارة وفقد ثروة .

ترى السمك فى البحيرة : ـ خير ـ فرصة سانحة للكسب

ترى سمكة بين يديك : ـ خير ـ رزق سياتيك غير متوقع

ترى بط الصيد فى البحيرة : ـ خير ـ تصلك رسالة او اخبار من بعيد

● وفى ميدان تفسير الاحلام فى الدولة الحديثة ـ وهو العصر الذى لعبت فيه الاحلام وتفسيرها وقراءة الطالع بمختلف وسائله والسحر وممارسة اعماله ـ لعبت دورا هاما فى حياة المجتمع بجميع طبقاته حتى اصبح للملك عراف خاص لقراءة طالعه وتسجيل نبوءاته وآخر لتفسير الاحلام يحمل شهادة المعرفة المقدسة من المعبد .

وقد وصل الينا الكثير من برديات الاحلام التى جمعت من معابد وحفريات ابيدوس وسقاره ومنف كما وجد بعضها منقوشا على لوحات الاوستراكا وشقف الفخار ، وجدت معظمها على شكل جداول للشفرة لرموز وصور مختلف الكائنات مصنفة حسب انواعها وخصائصها مع تفسير ما يعبر عنه كل منها .

فما يراه الانسان فى حلمه من

أنواع الطيور يعبر كل منها عما يلي :

الفونكس (العنقاء) او السمندل· وهو طائر اسطورى ورد وصفه وصوره فى كتب العقيدة ورحلات العالم الاخر . فاذا قدر للانسان ان يراه فى الحلم، فمعناه البشرى بالجنة والخلود فى العالم الاخر ·

وطائر الايبس (ابو منجل) : الحكمة وبلوغ المجد

الصقر : – اذا كان يحلق فى السماء فاردا جناحيه معناه بلوغ الامل ورضاء الالهة وطهارة النفس

واذا حط على كتفك : – الانتصار على الاعداء والحماية من الحسد

واذا وقف فوق رأسك : – زوال مركز مرموق

الاوز : – عدو . فاذا كان يلتقط الحب معناه خسارة فى الرزق واذا رأيته مذبوحا فستتخلص من عدو ·

الهدهد : – اذا حط على نافذتك : – رسالة او خبر سار من حبيب ·

اذا شاهدته ميتا او مذبوحا : زوال الحسد او السحر

الخفاش : – اذا شاهدته يحوم حولك : – دسيسة او نميمة

اذا حط على رأسك : نبأ سيىء

البط البرى : – نزوله فى بركة ماء : وصول اخبار سارة ·

صيد البط : توسيع فى الرزق وكسب حلال

السمان : رؤية السمان اخبار سارة – مفاجأة فى محيط العمل

الحمام : – سعادة عائلية وامنية تتحقق

الغراب : – سماع صوته شؤم – وطيره فى سرب توقع مصيبة ·

الدجاج : – امنية تتحقق وسعادة فى المنزل

رؤية البيض مع الدجاجة : رزق وفير منتظر

سقوط البيض وكسره : – اخبار سيئة

● من بين البحوث التى ظهرت حديثا عن التفسير العلمى للاحلام تلك البحوث التى قام بها الاستاذ هانز كوريت وقام فيها بعمل مقارنة بين الاحلام وتفسيرها عند قدماء المصريين وبين مختلف مراجع التفسير القديمة المتداولة · وقد ضمن بحوثه موسوعة جمع فيها خمسمائة رمز ولفظ واسم جمعها من برديات التفسير المحفوظة بالمتاحف العالمية وقدمها بترتيبها الابجدى ووضع بجانب كل اسم او رمز تفسير الحلم الفرعونى الخاص به أو الدال عليه بجانب التفسيرات المرادفة فى المراجع الاخرى بجانب التفسير العلمى الحديث لكل منها ·

وقد ثبت من تلك المقارنة اوجه الشبه القريبة بين ما وضعه قدماء المصريين من تفسيرات من آلوف السنين وبين ما امكن استخلاصه من الدراسات العلمية الحديثة ، بل ان التفسيرات المصرية كانت اكثر عمقا وتفصيلا اذا قورنتبسطحيةالتفسيرات المتداولة عند مختلف الشعوب ·

ومن بين نماذج تلك التفسيرات التى تضمنتها الموسوعة على سبيل المثال مما نقل عن البرديات الفرعونية :

الكلب : صديق يرمز للوفاء ان كان لونه ابيض

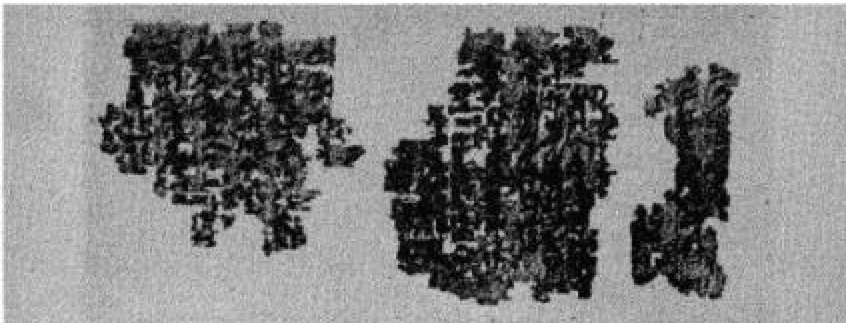
اذا سار خلفك : صديق يسعى لخدمتك

اذا كان لونه اسود : صديق تحترس منه

اذا سار امامك : صديق حسود او حقود

اذا عقرك فى ساقك : صديق ينقلب الى عدو

اذا رأيت كلبا ميتا : ستفقد صديقا



صورة الجنة في متون آني ، تظهر بها السبع بقرات التي تعبر عن حور الجنة ومدخل الجنة ابتداء من البرزخ وسنابل القمح الذهبية

هز ذنب الكلب : نهاية سعيدة او سعادة في البيت

بينما اجمعت التفسيرات الاخرى على ان الكلب يرمز الى الصداقة والاخلاص .

البقرة : ترمز اصلا الى حتحور الهة الجمال والحب عند المصريين ، وعبر عنها الاغريق بفينوس الهة الجمال .

تعبر في الاحلام عن المرأة ، او الجمال والحنان ـ والصبر على المتاعب ـ رغد العيش ـ والسعادة العائلية ، ويتوقف ذلك على الوضع والشكل واللون الذى تظهر به في الحلم .

الثور : على عكس البقرة ، فهو يرمز الى الغضب وثورة الاعصاب والتهور والتسرع في عمل بدون روية

الحذاء : اذا كنت ترتدى حذاء جديدا ـ ستنجح في مشروع او عمل ناجح .

اذا كنت ترتدى حذاء ضيقا ـ عقبة تعترض طريق نجاحك

اذا خلعت حذاءك وسرت بدونه ـ اصابة بمرض

اذا كنت ترتدى حذاء ممزقا ـ اهمال في عمل تؤديه

اذا كنت تسير بفردة حذاء واحدة ـ فشل وخسارة في عمل .

كما اعطوا تفسيرات مختلفة لعلاقة شكل الحذاء ولونه وما يرمز اليه

السمك : رؤية السمك في الماء ـ فرصة سانحة للكسب

صيد السمكة ـ رزق وفير وكسب في العمل او التجارة

رؤية السمكة ميتة ـ امنية لن تتحقق

سقوط السمكة في الماء ـ ضياع او فقد شيء ثمين

رؤية سمكة حمراء ـ اخبار سارة في الحب

اكل السمك ـ اخبار سيئة او مرض

رؤية سمكة تحترق ـ حداد وحزن

رؤية ثعبان السمك بين الاسماك ـ دسيسة او نميمة

ان يقدم لك شخص سمكة ـ صدق في الوعود

المنضدة : الانتقال الى مسكن جديد

بجانب نافذة مفتوحة ـ زيارة من اصدقاء او احباء

بجانب نافذة مغلقة ـ انتظار زائر يخلف الوعد

عليها زهور ـ فرح واخبار سارة

عليها طعام ـ اخبار سيئة

عليها طعام تاكل منه ـ تصاب بمرض



صفحات من برديات بريس للاحلام « المتحف البريطانى »

بجانب الحائط ـ فراق

بجانب باب المنزل ـ فرح واستقبال ضيوف

المفتاح : اذا وجدت مفتاحا ـ ستكشف سرا كان خافيا عليك

رؤية المفتاح فى الباب ـ ستفتح لك ابواب الرزق

رؤية مفتاح مكسور ـ ضياع فرصة او خسارة

رؤية مفتاح الحياة ـ استجابة الدعوات

وهكذا تضع برديات تفسير الاحلام عند الفراعنة « شفرة » لك الرموز بتفاصيل تعبيراتها ومعانيها ، كما أضافوا اليها علاقتها بالزمان والمكان وعمر الشخص وحالته الاجتماعية والتأثيرات الفلكية وبرج ميلاده ، والتى وضعوا لهامعادلات وجداول تحتاج دراستها الى ممارسة وتخصص لتفسير ما وصفوه بما وراء الاحلام من كشف للغيب وتنبؤ بالمستقبل .

● لقد وصفت احدى برديات طبية للاحلام التى تعود الى الدولة القديمة ما يتعرض له الانسان من امراض او سوء او اصابات وفسرت دلالة كل منها كما يلى :

اذا احسست بالم فى اذنك ـ ستسمع خبرا سيئا

اذا اصبت بصمم فى اذنيك ـ تتعرض لوشاية

اذا احسست بالم فى عينك ـ سترى ما يسيئك

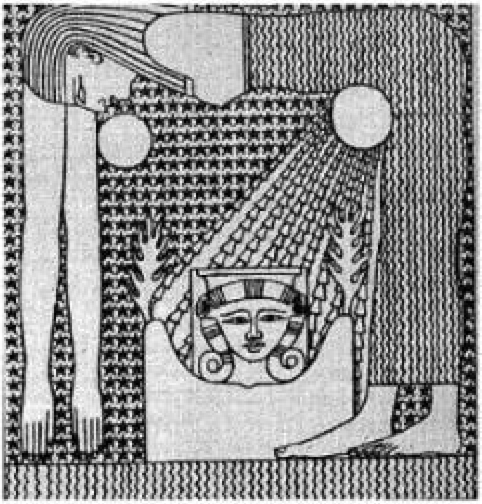
اذا فقدت عينك اليمنى ـ فشل فى الحب او فراق

اذا فقدت النظر ـ تتعرض لمؤامرة فى الخفاء

اذا اصيبت فى يدك اليمنى او فقدتها ـ خسارة فى تجارة

امحتب اله الطب والاحلام والعلاج





حتحور إله الحب والجمال ، حامية احـــلام الحب ..

اذا كانت الاصابة في اليـــد اليسرى ـ تفقد الاعتماد على شريك

اذا اصبت في فخذك ـ تعجـز عن اتمام عمل

اذا اصبت في ساقك ـ تفشل في السعي في مشروع

اذا فقدت ساقيك ـ تنجح في مهمة شاقة

اذا اصبت في راسك ـ خيانة من شخص تثق به

اذا فقدت الحياة في حادث ـ طول العمر وزوال الامراض

والعكس اذا رايت نفسك في صحة جيدة وتتمتع بالشباب

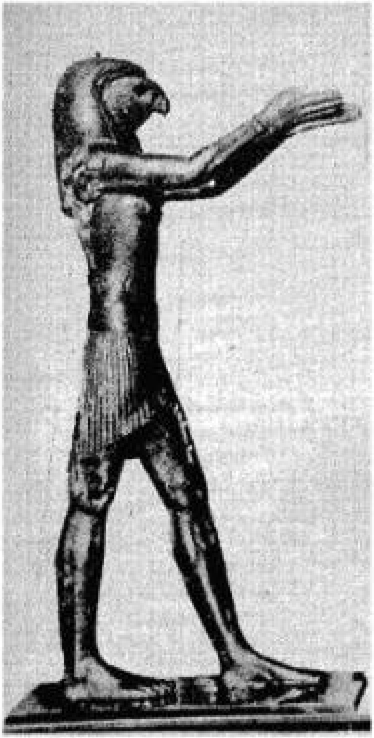
اذا رايت طبيبا ـ ستصاب بمرض

اذا رايت دما ـ خير وشفاء من مرض

اذا كان الدم ينزف منـــه ـ خبر سيىء عن مريض

اصابة او تشـــويه في الوجه ـ متاعب ومشاكل تنتظرك

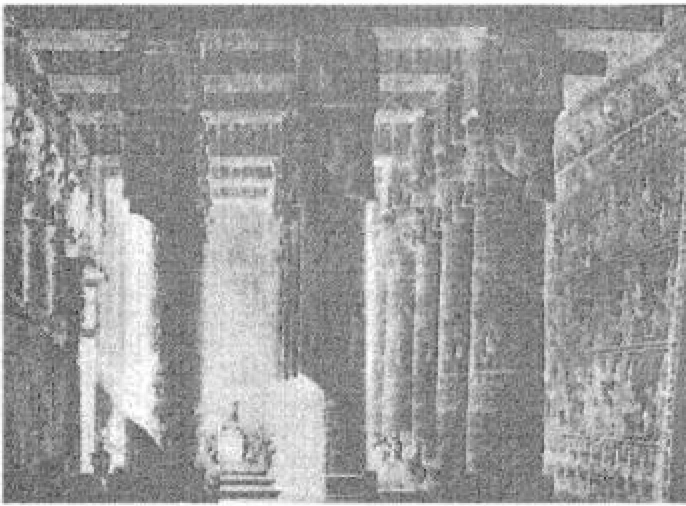
اذا وجدت وجهك ملطخا ـ الفشـــل في اختيار الاصدقاء



حورس : الصقر الجميل واسطورة احلام الحب الخالد بين اداوودتشرة

● الالوان والاحلام

وصلت بكثير من برديات تفســـير الاحــــلام علاقة الالوان بالرؤيات واختلاف دلالتها بالنسبة لتفسير الوانها فكما ورد سابقا ان الكلب اذا كان لونه ابيض رمز الى الصديق الوفي بينما نذكر انه اذا كان لونه اســـود رمز الى الصديق الفاجر الذى يتحول الى عدو .. كما ان السماء اذا كان لونها ازرق فهي تعبيـــــر عن الامل والصفاء والفرج القريب ، واذا كانت صفراء دلت على الغيرة والحسد من الاعداء ، واذا كان لونها احمر دلت على توقع المصائب والاخبار السيئة



مشهد بين اعياد الحب فى معبد دندرة ويتم الاحتفال فى قاعة الرؤيا والاحلام

واذا كانت ذهبية اللون عند الشروق دلت على السمو والنعم الوفيرة .

وتلعب الالوان ودلالتها دورا هاما فى تفسير الاحلام وما اطلق عليه لغة الالوان التى تكمل لغة الاحلام نفسها فاللون هو الذى يكمل الصورة ويعطى الحلم تفسيره الحقيقى .

وتفسر بردية بتاح حوتب دلالة الالوان ومعانيها وما يعبر عنه كل منها :

الاسود : الالم والقهر
الابيض : الطهارة . الصدق . نور الآلهة
الاصفر : الحسد . الحقد . شر الاعين
البنى : الخداع . المكر . عدم الصراحة
الاخضر (القاتم) : الشر . الخيانة
الاخضر (الزاهى) : الخير . الخصوبة
الذهبى : الحكمة . السمو
الفضى : التردد . عدم الثقة فى النفس
الازرق : الوفاق . الثقة
السماوى : الصفاء . الامل
الاحمر : العنف . الشهوة . الخطيئة
القرمزى : الشجاعة ـ الثقة بالنفس .
البنفسجى : الشفافية . الايمان
الأحمر الباهت : الخوف . التردد .. الشك

وقد ورد بالبردية تفسير مطول عن علاقة اللون الذى يظهر به الشخص فى الحلم او لون اعضائه بما يعبر عن شخصيته ولون ملبسه بما يعبر عما يضمره . كما ينطبق ذلك على الجو الطبيعى لمحيط الحلم كالوان السماء والارض والاشجار او الاسقف والحوائط الداخلية ..

● الجنة والنار فى الاحلام

ان صورة الجنة والنار التى وردت فى متون العقيدة وكتب الموتى اتخذها الفراعنة مفاتيح لتفسير كثير من الاحلام . فالبقرات السبع السمان التى تقدم للانسان علامة دخول الجنة (وهى تمثل الالهة حتحور وتعبر عن



قلادة الزهور ، وزهور اللوتس ، وعناقيد العنب ، فى أحلام الحب

الحور التى تخدم الانسان فى الجنة ؟ وقد فسروا ظهورها فى الاحلام بالخير العميم والرزق الوفير — وهى السبع بقرات السمان التى رآها فرعون فى الحلم وفسرها له يوسف عليه السلام بسنوات الخير التى تعقبها سنوات الشدة . وقد وضع مفسرو الاحلام لكل ما ورد فى صور الجنة والنـار من مرئيات تفسيرا وتأويلا يرمز الى دلالتها من بينها :

رؤية الاله حوريس — خير — كتبت له الجنة

رؤية الميزان — خير — ظهور الحق وكسب القضية

رؤية السنابل خضراء — خير — وفرة فى المحصول

رؤية السنابل ذهبية — خير — نزول النعم

الشرب من نهر الخمـر — خير — تنطق بالحكمة والمعرفة

شرب اللبن من ثدى حتحـور — خير — ثروة تهبط من السماء

قطف الثمرة المقدسـة — خير — سعادة عائلية ووفاق

ارتداء الملابس البيضاء — خير — طهارة النفس وراحة الضمير .

رؤية اماتتى حارس الجحيم — سوء — سوء المصير

رؤية بركة التماسيح — سـوء — تتعرض لحادث غدر

ترى اللهب يخرج من الارض — سوء — نذير بسوء وخراب يحـرق كل شيء .

ترى البـركان ثائرا — سوء — غضب الالهة

تسقط فى بئر مظلم — سوء — تقع فى خطيئة تغضب الالهة

تركب مركـب الشمس — خير — السعادة فى الدنيا والاخرة

● الطب .. والاحلام

لقد ورد ذكر الاحلام ودورها فى الطب الفرعونى القديم سـواء فى تشخيص الامراض أو علاجهـا والوقاية منها فى اكثر من بردية من برديات الدولة القـديمة ، كما نالت

اهتماما خاصـــا فى كل من الدولة الحديثة وعصر البطالســـة الذى انتقلت فيه من مصر الى بلاد الاغريق .. وأقدم اشارة الى علاقة الاحــلام بالطب ما ذكر فى موسوعة كناور عن الطب القديم من أن امحتـــب الحكيم والمهندس والطبيب الخاص بالملك زوسر والذى الهه قدماء المصريين خلال عدة عصور ولقبوه باله الطب ، فقد ورد فى برديات تاريخ امحتب انه كان يعالج المرضى فى بيت الحياة بمعبـد بتاح بعدة وسائل مختلفة ، منهـــا العلاج بالموسيقى والارواح والعــلاج بالاحلام فذكر انه بتحليل أحلام المريض وتفسيرها يمكن تشـــخيص امراضه وموضعها ، كما انه كان يعـــالج المرضى بالاحلام ايضا وهى الطـريقة التى اطلق عليها الفراعنة اســـم « فرض الرؤيا » أى أن يقوم الطبيب بتنويم المريض ويفرض عليه احــلاما أو رؤيا خاصة يعمل بواسـطتها على شفائه من امراضه .

وقد اختلــف المفسرون فى معنى فرض الرؤيا ففسرها البعض بأنهـــا نوع من انواع الطب الروحانى كما فسرها البعض الاخر بأنهـــا التنويم المغناطيسى الذى برع فيه كهنة قدماء المصريين واستغلوه فى السحر والطب



شراب اللبن من ثدى
هاتور ــ السعادة فى الحب



الالهة حتحور الام راس البقرة الطفل
ترضع شجرة الحياة الشابة الغربية
فى اعطها

النفسانى .

وقد اشتهر اكثر من معبد فى مختلف العصور فى علاج المرضى بالاحلام وفرض الرؤيا ، ومن اشهر من مارسها حور بانيش كاهن معبد ابيدوس فى الدولة الحديثة وبيت الحياة فى معبد طيبة فى الدولة الوسطى ، ومن امثلة تفسير الاحلام فى برديات احلام الامراض وتشخيصها التى وردت فى احدى برديات الدولة القديمة ما يلى :

اذا رايت فى الحلم طبيبا : –
ستمرض قريبا وتلازم الفراش

اذا اصبت بشلل كامل : –
شفاء من مرض مزمن

الاستحمام فى حوض : –
مرض فى المفاصل

الاستحمام فى ماء عكر : –
حمى طارئة

الاستحمام فى البحر : –
زوال الحمى

ثعبان يلتف حول الساقين : –
تصلب فى الشرايين

اذا لدغك عقرب فى يدك اليسرى –
مرض فى القلب

نسج العنكبوت على صدرك : –
التهاب فى الرئة

طيور تحوم فوق راسك : –
مرض فى العينين .

اذا كنت تاكل سيقان البردى : –
مرض فى الاسنان

اذا اقتسمت كعكة مع احد : –
اصابة بالعدوى

فقدت شعر راسك : –
الام فى الراس

اذا اكتسى جسمك بالشعر : –
مرض جلدى

اذا سار النمل على جسدك : –
مرض فى العظام والعمود الفقرى

اذا شاهدت خلية النحل : –
مرض فى الاذن

اذا شاهدت بطنك عاريا : –
نزلة معوية

اذا شاهدت دما ينزف من جرح فى البطن : – قرحة فى المعدة .

اذا كنت تاكل عنقودا من العنب الطازج :
مرض فى المصارين

اذا قطفت العنقود جافا : –
قرحة فى المعدة

اذا قطفت فاكهة ووجدت بها ديدانا : –
ديدان فى المعدة

اذا كنت ترقد فى القبر : –
شفاء من مرض مزمن وطول العمر

● احلام الحب

بدأت احلام الحب باسطورة الحب الخالد بين الالهة ، وعلاقة الحب بالاحلام بدأت باسطورة الصقر حورس وهو فى معبده بإدفو عندما شاهد فى الرؤيا المقدسة او الحلم الصادق الهة الجمال حتحور التى وصفها بأنها تسبح من ضوء القمر واشعة الشمس ، وطلب منه الاله ان يطير اليها ويتخذها زوجة له . وفى نفس الوقت رأت حتحور فيما يراه النائم رأت حورس الصقر الالهى الجميل وهو يظللها بأجنحته الذهبية ويتقدم لطلب يدها بعدما قدم لها تفاحة من الشجرة المقدسة كرمز للحب الدائم ، وطار اليها حورس كما امره ابوه الاله فوجدها تنتظره فى محراب المعبد وهى فى ابهى زينتها، فطوق جيدها بعقد من براعم الزهور ووضع فى شعرها زهرة من زهور اللوتس ...

وحملها حورس فى سفينته الذهبية المقدسة ذات الاشرعة الارجوانية التى نسجت من خيوط الشفق وطرزت باشعة الذهب ومجاديفها الذهبية

ومقابضها من الابنوس والعقيق ، وسارت السفينة تتهادى على صفحة النيل الذى صبغه القمر باشعته الفضية، وسار خلف سفينة العروسين موكب المحبين تصاحبهم انغام الآلات والعازفين ودفوف الراقصات المنشدين واصوات المغنيات والمغنين، واشتركت السماء مع الارض فى أفراحها المقدسة · سارت القافلة ثلاثة ايام بلياليها قطعت فيها المسافة بين المعبدين · وعند وصولها ، احتفل بعيد زواجهما الذى استمر سبعة أيام اطلق عليها « أعياد الحب » ·

وفى نفس الميعاد من كل عام وهو الشهر الاول من فصل الفيضان « رمز الخصوبة والخير » يحتفل الشباب بعيد حتحور الذى تسير فيه مواكب الشباب فى النيل من ادفو الى دندره حيث تقام الاعياد ·

ولما كانت قصة الحب الخالد أو قصة زواج الآلهة قد بدأت بحلم أو رؤيا صادقة فقد اعتبرت حتحور حامية لاحلام المحبين ··· واشتهر معبدها بتفسير الاحلام والرؤيا، وكان بحديقة المعبد بحيرة مقدسة اطلق عليها بحيرة احلام الحب ، كانت الفتيات يلقين فيها زهور اللوتس فى الليالى القمرية لترى كل منهن حلما او رؤيا تجد فيها الجواب على كل اسئلتها او تحقيقا لامنياتها وآمالها ومتطلبات قلبها ·

كما اشتهر الكهنة والسحرة بعمل تمائم الحب المختلفة التى تحمل صورة حتحور لاجابة مطالب المحبين فى التقريب بين القلوب وفرض الرؤيا، او رؤية المحب فى الاحلام وحماية الحب من الحسد والغيرة وتقلبات عواطف القلب ·

تدور رموز احلام الحب عادة حول انواع معينة من الفاكهة والاشجار والطيور والكائنات اصطفاها الحب لاحلامه واصبح لكل منها فى مشاهد الحلم وتفسيره ·

كان للتفاح (فاكهة الجنة) المركز الاول فى احلام الحب ، ويسمى التفاح باللغة الفرعونية « تبح » أو « دباح » وهو الذى حرف فى اللغة العربية الى اسم تفاح ··· واشتهر التفاح وزراعته بصفة خاصة فى الدولة الحديثة ، واشتهرت مزارع التفاح التى زرعها رمسيس الثالث فى قنتير بشمال الدلتا وكان يقدم منها سلالا الى كهنة طيبة لتقديمها قربانا للالهة

وفى احدى برديات الاسرة ١٩ وجد قرار ملكى يمنح زراع البساتين ملكية الاراضى التى يزرعونها تفاحا· وقام البطالمة بزراعة بساتين للتفاح فى حدائق معبد حتحور فى دندرة لوضع زهوره فى محراب الهة الحب والجمال وتقديم الثمار قرابين فى أعيادها ·

ومن غرائب الصدف ان الاساطير حول آدم وحواء وشجرة التفاح والحية التى وردت فى مختلف الاساطير القديمة وقصص الكتب السماوية ، اشتركت صورها وتفسير رموزها فى احلام الحب عند قدماء المصريين وبرديات تفسير احلامهم ·

● وفيما يلى نماذج من مقتطفات برديات تفسير احلام الحب بالدولة الحديثة من حفريات معبد دندرة، ومقابر اسرات الدولة الحديثة وعهد البطالمة ، تشترك جميع برديات التفسير بأن رؤية حتحور الهة الجمال وحامية الاحلام ، وتظهر على شكل امرأة جميلة أو على هيئة البقرة هاتور ـ فظهورها يفسر بخلود الحب ودوام السعادة والرابطة المقدسة فى الحياة والعالم الاخر ·

كما ان شرب اللبن من ثدى البقرة



امنحتب الثاني ورؤيا ابي الهول ومعارك فلسطين

معناه دوام السعادة العائلية ووفرة البنين ، وفي بردية التفاح واللوتس تشتركان دائما في احلام الحب ·

رؤية شجرة التفاح المزهرة : ـ امل يتحقق وحب يتفتح

قطف تفاحة من الشجرة : ـ خطبة ووعد بالزواج

اكل التفاحة الناضجة : ـ زواج يتحقق

اكل تفاحة خضراء : ـ عقبات وحسرة في الحب

اكل تفاحة فجة : ـ وعد كاذب

وجود دودة في التفاحة : ـ قطيعة وفراق ·

رؤية الثعبان في شجرة التفاح : ـ حسد وسوء تفاهم

اذا اكل الثعبان من التفاحة : ـ خيانة في الحب

رؤية النحلة على التفاحة : ـ تردد وعدم ثقه

وجود عش طير بين افرع الشجرة :ـ انتقال الى بيت الزوجية

وجود عش خاو : ـ خصام وهجر

عقد زهور التفاح حول العنق : ـ وعد صادق بالحب

قلادة زهور التفاح على الصدر :ـ السعادة الزوجية والاخلاص

زهرة اللوتس في الشعر : ـ حب العقل والقلب

زهرة اللوتس في اليد : ـ تلقي رسالة او هدية من الحبيب

رؤية زهرة لوتس متفتحة في ضوء القمر : ـ حمل وانتظار مولود

رؤية سمكه حمراء على ورقة اللوتس : ـ مولود طفلة جميلة

رؤية ضفدعة على ورقة اللوتس:ـ مولود طفل

الاستحمام عارية فيبركة اللوتس:ـ

تعرض الحب للوشايات

نزول البط فى بركة اللوتس : ـ عودة حبيب غائب

طيران العصافير فوق البركة : ـ وصول اخبار سارة او رسالة

اذا قدم الحبيب زهرة ذابلة : ـ وعد كاذب

كما يشترك فى احلام المحبكثير من الفواكه والاشجار كالرمان والجميز ونخيل الدوم والتمر وزهور التمرحنة، ولكل منها تفسير خاص تبعا لوضعها وطريقة ظهورها فى الحلم ...

● ابو الهول والرؤيا الصادقه

ارتبط اسم أبى الهول وما احيط به من اسرار أو نسج حوله من اساطير من قديم الزمن ، بما اطلق عليه « الرؤيا الصادقة » التى جعلت منه كعبة للحج المقدس لملوك الاسرة الثامنة عشرة، واستمرت حتى أواخر العصر الرومانى . وقد اختلف المؤرخون فى تفسير معنى الرؤيا الصادقة التى نسبت الى أبى الهول ، فسرها البعض بانها « الاستخارة » واجابة المطالب التى كان يقوم بها الملوك والقواد فى معبد أبى الهول ، وقد ورد ذكرها فى برديات الدولة الوسطى كما وضحتها برديات تل العمارنة الخاصة بالدولة الحديثة وما كشفت عنه التنقيب الحفريات التى قام بها الاستاذ سليم حسن عند رفع الرمال عن جسم أبى الهول والكشف عن لوحات النذور والحج والشكر والقرابين التى كانت تحيط باسواره وتزين محرابه ، والتى كشفت علاقة أبى الهول بالرؤيا الصادقة او الرؤيا التى كان يظهر فيها فى احلامهم عند نومهم فى محرابه المقدس ، فيكشف لهم عن المستقبل ويشير عليهم بما يقومون بعمله ـ وهى الاحلام التى وصفها التاريخ بانها تحققت وحققت لمصر النصر بأمر الاله ...



مرنبتاح سيتى ـ حلم المعركة

من أول الاحلام الصادقة التى سجلتها برديات تل العمارنة الرؤيا التى رأى فيها تحتمس ابا الهول ـ عندما نام فى محرابه كعادته كلما لجأ الى استخارته فيما يقدم عليه من اعمال ، والتى وصفها بان الاله قال له : « بعدما يتخذ الصل (الكوبرا) مكانه على رأسه ستكون كل الارض الاجنبية خاضعة لنعليه » وذكر ان الاله امره بان يزحف لمحاربة فلول الهكسوس والبلاد الاجنبية التى بدات تثور على مصر وتهدد حدودها فى اواخر عهد الملكة حتشبسوت ، وذكر تحتمس الثالث انه قام بزحفه المقدس وانتصاره فى معركة مجدو المشهورة بأمر من الاله الذى ظهرله فى الرؤيا وحدد لهميعاد الزحف وبشره بالنصر ، وانه كان بجواره طوال المعركة كما وعده، وقد سجل تحتمس الثالث انتصاره المجيد

في احدى لوحات القرابين والشكر التي وضعها في محراب ابي الهول.

● وقد اقتفى امنحتب الثاني خطوات ابيه تحتمس العظيم في عقيدته وتبركه بابي الهول فبنى له محرابا خاصا وقدم له اكبر لوحات القرابين حجما واعظمها قيمة ، طولها اربعة امتار ونصف وعرضها متران ونصف ذكر فيها فضل الرؤيا الصادقة واستخارة الالة في انتصاراته على اعدائه .

ووصف الحلم والرؤيا الصادقة بقوله :

كان مشغول البال حائر الفكر في امر الثورات التي اندلعت في فلسطين حتى رأى فيما يرى النائم الهه العظيم يبشره بالنصر على الاعداء ، مما شد عزيمته وقوى روحه لمنازلة اعدائه ، « ستكون في قوة سخمت اله الحرب . وقوة منتو اله القتال، وستفتح المدينتين وتخضع كل السلالات ... »

وقد اشار الى تلك الواقعة قائده العظيم ثانتي الذى وجدت في مقبرته وثائق وصف المركة ، وقد اشار بدوره الى الرؤيا بقوله :

« انتصر على اعدائه وفتح المدينتين واخضع كل السلالات وساق الى منف في استعراض كبير الامراء والعظماء والقواد والاسرى من كل السلالات التي تقطن فلسطين ، وكان عددهم ٩٠ الف اسير ومعهم ٦٠ عربة من الذهب والفضة خلاف الف عربة ملونة بكامل معداتها . وكان الفضل للاله الذى ظهر له في الرؤيا وطلب منه ان يخوض المعارك وسيكون بجواره ليحميه ويمده بالشجاعة وقوة البأس .

● من اشهر الوقائع التاريخية فيما يختص برؤيات ابي الهول الصادقة ما سجلته لوحة تحتمس الرابع التي وجدت بين مخلبي ابي الهول وتقص متونها على مايلي :

« اتفق ذات يوم ان ابن الله المسمى تحتمس اتى راكبا عربته وقت الظهيرة ، وجلس يتفيأ ظل الاله العظيم فغشاه النعاس عندما كانت الشمس في وسط السماء ، فرأى جلالته الهه المبجل يتكلم بفمه كما يتكلم والد مع ابنه قائلا : انظر الى يا بني « تحتمس » اني والدك « حور ام اخت – خبري رع اتوم » (الاله الطيب ابن اتوم – حامى حورأى الافق) اني سامنحك ملكي على الارض حاكما على الاحياء . وستلبس التاج الابيض والاحمر على عرش الاله « جب » (اله الارض) ستكون الوارث الوحيد للعرش – ستكون الارض ملكك في طولها وعرضها وكل ما يضيء عليه الرب الهيمن بنوره . وطعام الارضين سيكون ملكك . وجزية كل الاقطار لعهود طويلة من السنين . واني موليوجهي ناحيتك وقلبي معك . ستكون انت الامين والحافظ على كل الشيائي . لاني اشعر بالم في كل اعضاء جسدى . ورمال المحراب الذى انا فيه قد غمرتني : التفت الى لتفعل ما ارغب فيه وما اطلبه منك لاني اعلم انك ابني الذى يحميني : تأمل اني معك واني مرشدك .

ولما فرغ من كلامه هذا استيقظ ابن الملك سامعا ذلك .. سمع كلمات الاله ووضعها في قلبه ، وقال لاتباعه دعونا نسرع الى بيتنا في المدينة ، ونقدم القربان للاله ونقدم الثناء للاله والتمثال الذى عمل « لاتوم حور ام اخت » ، لقد تحققت تلك الرؤيا الصادقة واستولى تحتمس على العرش وهو رابع اخوته السبعة وحل

محل اخيه « أمن أبت » الوريث الشرعي للعرش ـ وأسرع الى انجاز ما عليه من دين لهذا الاله ، فأزال الرمال عن جسده فعلا ، وبنى سورا حول مربض التمثال، وقد تم اكتشاف اللوحة المذكورة بعد اعادة ازالة الرمال عن جسده فعلا ، وبنى سورا الحفريات التي قام بها الاستاذ سليم حسن عام ١٩٣٦ والتي كشفت في نفس الوقت سر أبي الهول ومختلف متون الرؤيا ولوحات الحج والنذور والقرابين لن تحققت احلامهم وكتبوا صفحات خالدة في تاريخ الحضارة المصرية .

● احلام .. ملوك الفراعنة

● من نعرمر الى .. كليوباتره

الاحلام قديمة قدم التاريخ نفسه .. كتبت أول صفحة في تاريخ مصر الفرعونية عندما جلس أول ملك على عرش وادي النيل ، وطوت اخر صفحة أسدل بها الستار على اخر من جلس على العرش .

● لقد بدأ حكم نعرمر (مينا) ٣٢٠٠ ق.م بحلم مقدس عند زيارته للقبر الرمزي الذي اقامه للاله اوزوريس ويدفن به راس الاله في مدينة (ابيدوس) عاصمة الجنوب في عهد ما قبل الاسرات .

وتحكي الاسطورة ان القائد نعرمر اخذته سنة من النوم وهو يستريح في المحراب بعد ان انتهى من تشييده للاله ، فشاهد في رؤيا صادقة الاله اوزوريس يناديه ويقدم له صولجان الصقر المقدس ويأمره ان يعد جيشه ويقوده في زحف مقدس لينشر عقيدة اوزوريس ممثلة في ابنه الالهحورس الحي (صقر الافق) في طول وادي النيل الذي كان يتنازعه مختلف العقائد ويتقاسمه العديد من الالهة والمعبودات بعدما قتله اله الشر وقطع جثته الى اجزاء بعثرها في طول البلاد وعرضها .

وهكذا عمل نعرمر بمشيئة الاله التي املاها عليه في الحلم ، وقاد زحفه المقدس لتوحيد العقيدة ، فوحد البلاد وحقق وحدة وادي النيل ـ وحدة شعب ، ووحدة عقيدة ، دامت الوف السنين .

● وكما لعبت الاحلام دورها في جلوس أول ملك على عرش مصر كان لها دورها في التنبؤ بمصير اخر من جلس على عرش الفراعنة ، وهو حلم كليوباترا في معبد ايزيس عندما كانت طفلة لا يزيد سنها على اثنى عشر عاما ، وكانت ابعد ما تكون عن وراثة العرش ، الحلم الذي فسرته لها عرافة المعبد بقولها انها :

« ستعتلي عرش مصر وتعبر البحر العظيم لتحكم روما وتصبح سيدة الشرق وتتوج راسها بتاج مصر والشرق، ويركع كل غاز عند قدميها. وتموت والتاج على راسها وسيدة الحياة تحرسها » والمسافة الزمنية بين الحلمين من ٣٢٠٠ ق . م الى ٣٠ ق . م هي عمر الحضارة الفرعونية باكملها. لقد لعبت الاحلام دورا هاما في كتابة تاريخ كثير من الملوك الفراعنة عبر ذلك التاريخ الطويل .

● لقد اشتهر ملوك الدولة الوسطى بالاستخارة بالرؤيا في معبد حورس ، وانه كان يظهر لهم في الرؤيا عند نومهم في محراب الرؤيا المقدس ، ويجيب على اسئلتهم وكان لتلك الاستخارات الفضل في كثير من الاعمال العظيمة التي قاموا بها وخاصة في الغزوات والفتوحات التي كللت بالنصر .

● واشتهر ملوك الدولة الحديثة



الإسكندر الأكبر – احلام زيوس

في الاسرتين ١٨ و ١٩ باحلام الرؤيا الصادقة وسجلوها في متون وبرديات تاريخهم ، ومن اقدمها حلم الملكة حتشبسوت ١٤٩٠ ق٠م التي ذكرت فيه « ان الاله رع امون ظهر لها في رؤيا صادقة وهي نائمة في محرابه المقدس وناداها بقوله يا ابنتي وبشرها بانها ابنته وانه انجبها من امها لحمس بعد ان زارها في مخدعها متجسدا هيئة زوجها تحتمس الاول ، وانها الوريثة الشرعية لعرش وادى النيل »٠ وقد اعتمد كهنة المعبد على تلك الرؤيا واصدروا نبوءتهم بانها ابنة الاله وصاحبة الحق المقدس في العرش وان تتولى مقاليد الامور كلها وحدها وتنحية زوجها تحتمس الثالث ٠

وقد تحول ابو الهول خلال الاسرة الثامنة عشرة الى كعبة يحج اليها الملوك ويلجأون الى استشارته حينما كان يظهر لهم في الرؤيا الصادقة ، ومن اشهر احلام الملوك تلك التي وردت في متون لوحات وبرديات كل من تحتمس الثالث وامنحتب الثاني وتحتمس الرابع (١٤٧٠_١٣٩٧ق٠م) وسيرد ذكر تفاصيلها فيما بعد ٠

● كما وردت ضمن تاريخ رمسيس الثاني (١٢٩٠ ـ ١٢٢٣ ق٠م) قصة الحلم الذي رأى فيه حيات صغيرة تزحف من اركان الغرفة نحو عرشه ، وتحاول حية رقطاء من بينها تسلقه ٠٠٠ وقام عراف معبد امون بتفسير الحلم وقال له : « انه ولد طفل من اليهود في الربع الاخير من الشهر القمري وانه عندما يكبر سيتآمر على حياته » ٠

فاصدر رمسيس امره المعروف بقتل جميع اطفال اليهود الذين ولدوا خلال الاسبوع المذكور ٠٠٠ وكانت قصة موسى المشهورة الذى التقطته اخت فرعون من اليم « فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا » (سورة القصص) وتآمر اليهود على أهل مصر ، وخياناتهم المعروفة. وطردهم على يد مرنبتاح ٠

● ومن بين احلام الملوك التي ارتبطت بقصص الانبياء ايضا حلم ابوفيس ملك الهكسوس ١٦٥٦ ق٠م « وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان ياكلن سبع عجاف ٠ وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات ٠ ياايها الملأ افتوني في رؤياى ان كنتم للرؤيا تعبرون » (سورة يوسف) ، والتي فسرها بسنوات الخير الوفير التي تليها سنوات القحط والشدة والتي كافأه عليها الملك بان عينه امينا على خزائن المحاصيل وسمح له بهجرة بني اسرائيل الى مصر ٠

● ومن اشهر احلام ملوك الدولة الحديثة حلم الملك مرنبتاح (فرعون موسى) (١٢٢٣ ـ ١٢١١ ق٠م) تصف احدى لوحات النصر قصة الحلم في معركته المشهورة التي انتصر فيها على الليبيين وشعوب البحر فالكرنك الاخبار وصلت الى جلالته بان ملك الليبيين تسلل بجيوشه عبر الواحات وبتل حدود مصر تعاونه شعوب البحر التي اتت من الشمال ، فاستنجد

مرنبتاح بابيه الاله فرأى جلالته ـ له الفلاح والحياة والصحة ـ تمثال بتاح واقفا امامه ، وكان التمثال الحى مثل ارتفاع ... ومد يده واعطاه سيفه القاهر ، وقال له اقص عنك القلب الخائف ، سأكون معك ، واشد ساعدك ، ولن افارقك ، سيقدم لك ست صاحب أمبوس يد المساعدة ... لن يترك سيفك رأسا مرفوعا الا وتحرجه ، ولن يترك رمحك قدما تدنس ارض جب الا...»

وتصف اللوحة كيف أعد مرنبتاح جيشه فى اسبوعين وزحف على رأس جنوده الابطال بعربته التى تسبق الريح حاملا رماحه وقوسه الذى لم تتمكن اربعة من اقوى السواعد على شده وانتصر فى المعركة بفضل الرماة الذين قوى الاله سواعدهم وملأ قلوبهم بالشجاعة ، وكان الاله يرفرف طوال المعركة فوق عربة جلالته لم تفارقه عينه كما وعده فى الحلم ـ

واستمرت المعركة ست ساعات فلطمن شروق الشمس حتى توسطت قلب السماء . هرب ملك الليبيين وسقطت الريشة من فوق رأسه ، وترك زوجاته الاثنتى عشرة ومعهن ذهبه ونفائسه ومتاعه . واصابت سهام جنود فرعون ظهور قواده وهم يفرون خلفه كالجرذان ، وبلغ عدد القتلى منهم ومن شعوب البحر ١٩ الف قتيل .

ووصفت اللوحه المعركه بتفاصيلها الكاملة مع بيان عدد الاسرى والغنائم التى استولى عليها المصريون ، وعرضت فى احتفال النصر فى منف ، من بينها ٦١١١ اسيرا ٢٤٠٠ من شعوب البحر وزوجاته الاثنتا عشرة و٩٠٠٠ من معدات الحرب وعرباته ، و١٢٠٠٠ من قطع السلاح الخفيف .

وكان بين الغنائم مجموعة من الثيران والاغنام ذبحت كقرابين للاله فى عيد النصر .

وقدم مرنبتاح النفائس التى تركها ملك الليبيين فى خيامه بعد فراره قدمها هدية لمعبد الاله بتاح فى منف الذى صدق وعده فى الحلم ونصر ابنه فى النود عن ارض الاله المقدسة .

● ومن اشهر احلام الملوك فى تاريخ مصر التى اطلقوا عليها اسم الرؤيا المقدسة التى غيرت مجرى العقيدة والتاريخ ـ رؤيا اخناتون المقدسة التى عاصرت تاريخه بأكمله فى رسائل التوحيد والتى فسر فيها الرؤيا وعلاقته بالاله بقوله « الله وحده لا شريك له ـ عرشه فى السماء وانا ظله فى الارض » ووصف انه كان يتلقى رسائل الاله وتعاليمه وتشاريعه وهو نائم تحت الشجرة المقدسة بحديقة القصر ، وكان يرى يد الاله فى الرؤيا ممتدة مع اشعة الشمس لتخط تلك الرسائل ليستيقظ ويمليها على كتبة المعبد المقدس . وكانت الرسائل والاناشيد او المزامير والصلوات تتلى جميعها بالشعر والاسلوب البليغ الذى لم يكن اخناتون يتقنه .

● ان احلام الملك نخاو الثانى (٦٠٩ ـ ٥٩٤ ق.م) التى كانت تقوم بتفسيرها له العرافة مبليت (بردبات نبوءات العرافه مبليت) وهى النبوءات التى كانت سببا فى وقف اعمال الحفر فى قناة السويس وارسال البعثات للطواف حول القارة الافريقية ووصول المصريين الى بلاد الكمبله ، ثم حروب نخاو فى فلسطين وقتل يوشع ملك اليهود ـ كتبت تلك الاحلام وتفسيرها وقائع تاريخه الحقيقى حيث كان لا يقوم بعمل حربى أو سياسى أو اصلاحى الا بمقتضاها .

● من احلام الملوك التى غيرت التاريخ وبيات خارج حدود مصر . الحلم الذى تراءى للاسكندر الاكبر

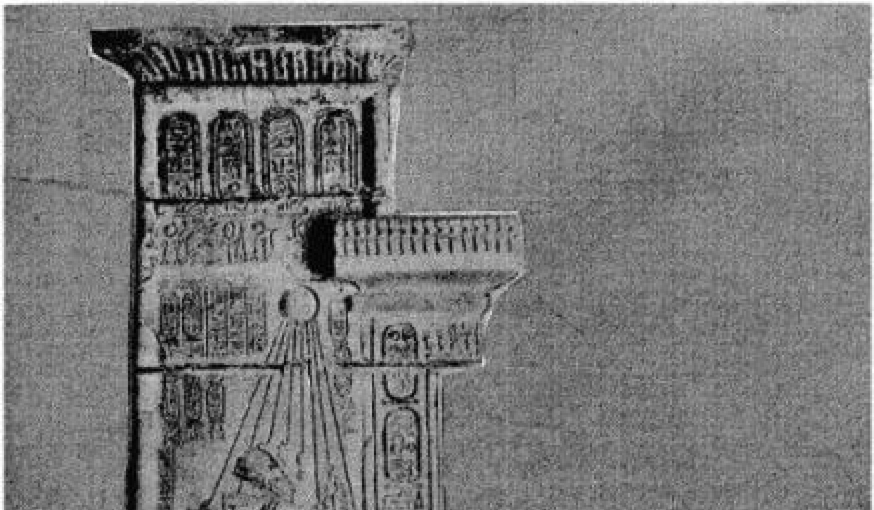
(٣٣٢ - ٣٢٢ ق.م) فى مقدونيا قاعد جيوشه وبدأ فى الاستعداد لغزو بابل والبلاد الاسيوية . ويروى المؤرخ الاغريقى كالستينوس الذى رافق الاسكندر فى غزواته ورحلته الى مصر بقوله :

« ترجل الاسكندر عن فرسه فى ساحة التدريب واستراح فى ظل شجرة من اشجار الحور ، فاخذته سنة من النوم رأى فيما يراه النائم الاله زيوس أمون اله المصريين يناديه باسمه ويأمره ان يتجه الى ارض وادى النيل ويذهب لزيارة الاله زيوس امون فى معبده بسيوه ويتلقى بركته ليحميه وينصره فى غزواته » .

فغير الاسكندر خططه الحربية وتوجه بجيشه الى مصر فكان أول ما قام به عقب وصوله اليها زيارة معبد امون فى سيوه وهناك فى محراب المعبد ظهر له الاله مرة اخرى فى رؤيا صادقة وناداه بقوله : « انك ابنى . وانى اعطيك الشجاعة وامرتك ان تحضر لزيارتى انى امنحك السيطرة على كل البلاد . وكل البلاد الاجنبية تحت قدميك » .

وهى الرؤيا التى صدق عليها كهنة المعبد عندما سمعوا صوت الاله يخرج من فم تمثاله المقدس فى عيده المقدس ويعيد تلاوة النداء، فنادوا بالاسكندر ملكا على مصر واعلنوا انه من نسل الاله امون، فاعتنق الاسكندر الديانة المصرية وتبعه الكثير من قواده الذين رافقوه فى رحلة زيارة معبد سيوه .

وخرج من مصر ليزحف بجيوشه ويفتح البلاد الاجنبية ويصل الى الهند ليحقق الرؤيا ... ولم يعد الى مصر الا ليدفن بجوار ابيه الاله امون كما طلب فى وصيته .



احلام اخناتون ورؤية
رسالة الوحى ...



هدية العدد صورة :

الدكتور: توفيق الحكيم

● ولد حسين توفيق الحكيم بالاسكندرية عام ١٩٠٢ في ٨ اكتوبر وتلقى تعليمه الابتدائي بدمنهور والثانوي بمدرسة العباسية الثانوية بالاسكندرية ، وتخرج في مدرسة الحقوق بالقاهرة .

● شغل اثناء دراسته بالكتابة للمسرح ، وارادت اسرته ان تبعده عن الحياة المسرحية في مصر ، فاوفدته في بعثة الى باريس ليحصل على الدكتوراه في القانون ، ولكنه تفرغ لفنه الذي يحبه ويعشقه .

● عين وكيلا للنائب العام بطنطا عام ١٩٢٨ لمدة خمس سنوات ثم استقال وعاش في عزلة حتى اخرج اول كتاب له وهو مسرحية « اهل الكهف » سنة ١٩٣٢ ثم « شهرزاد » في نفس السنة ومثلت « اهل الكهف » على المسرح في عام ١٩٣٥ من اخراج زكي طليمات .

● في عام ١٩٣٤ عين مديرا لادارة التحقيقات بوزارة المعارف وتقلد الكثير من المناصب ، واشتغل بالصحافة ، ونال جائزة الدولة عن كتابه مسرح المجتمع ثم عمل مديرا لدار الكتب في عام ١٩٥١ ، وفي عام ١٩٥٤ انتخب عضوا بمجمع اللغة العربية ، واختير رئيسا للمركز المصري للمسرح التابع لهيئة اليونسكو في ٣٠ ابريل ١٩٧١ ، وقبل ذلك عين عضوا متفرغا بالمجلس الاعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية . وفي ٢٠ يوليو ١٩٧٢ اختير رئيسا فخريا لجمعية الادباء المصرية ..

● في عام ١٩٥٨ منح وسام « قلادة الجمهورية » وهو اعلى وسام في مصر .

● يتناول توفيق الحكيم في كتاباته مختلف الانواع الادبية .. الرواية والقصة والمسرحية والمقالة وكثير منها يعتمد على التجريد الذهني وانطلاقة عقله .

● له مسرحيات كثيرة اشهرها « ايزيس » « السلطان الحائر » « يا طالع الشجرة » « الطعام لكل فم » « شمس النهار » « عودة الروح » وقبل كل هذا « اهل الكهف » التي اظهرت مقدرته ككاتب مسرحي كبير .

● من أهم ما يتميز به انتاجه معالجة الافكار الوطنية سواء اكان في اطار قصصي او مسرحي مما كان له الاثر الكبير في اذكاء روح الكفاح وتنمية الوعي القومي ، الى جانب معالجة القضايا الاجتماعية التي تمس حياة الشعب . كل ذلك في اطار فني يضفي عليها حياة وقوة واصالة سواء في السرد او الحوار .

● في يوليو ١٩٧٥ منحه مجلس اكاديمية الفنون الدكتوراه الفخرية بصفته رائدا في فن الكتابة للمسرح اثر في وجدان الشعب المصري والامة العربية لمدة ٥٠ عاما

● تحية من « الهلال » العريقة الى واحد من اكبر مفكرينا الذي اثر في الفكر المصري واثر فيه وما يزال يؤثر .. امد الله في عمره وابقاه فخرا لمصر القاهرة ..

د. رءوف عبيد



دراسات حديثة في الأحلام تؤكد روحانية الإنسان والكون!

كان عالم النفس النمساوى الشهير سيجموند فرويد هو صاحب الفضل الاول فى توجيه الانظار الى العناية بالاحلام كوسيلة لتشخيص بعض الامراض العصبية ولمحاولة التوصل الى علاجها ..

وقد حاول فرويد ان يضع بيانا لرموز بعض الاحلام ولما تشير اليه من معان او من رغبات مكبوتة . ولكن اتضح فيما بعد ان هذه الرموز غير دقيقة ، بل غير صحيحة بالمرة ، بالنظر الى تفاوت بنى البشر تفاوتا كبيرا فى تكوينهم النفسى ـ العقلى بمقدار تفاوتهم فى كل مقومات شخصيتهم .

بعد فرويد ابتدأ موضوع الاحلام يأخذ أهمية خاصة فى البيئات العلمية التى تعنى سواء فى اطار علم النفس بمفهومه التقليدى ، أو فى اطار علم الباراسيكولوجى أو ماوراء النفس ، الذى هو دراسة لجميع الظواهر غير المألوفة بغير الارتباط بفلسفة مسبقة عن الوجود سواء أكانت فلسفة مادية أم غير مادية ..

ولا ريب أن بحوث الباراسيكولوجى ، اتجهت وجهة واضحة وصريحة ، وان كانت بطيئة متثاقلة ، نحو التحرر من الفلسفة المادية عن الكون وعن الانسان ، لان نتائج هذه البحوث اخذت تفرض نفسها فرضا على الباحثين العلميين

واخذت تدفع بهم دفعا الى آفاق جديدة عن الانسان فى علاقته بالكون لاتلتئم ابدا مع معطيات الفلسفة المادية ، بل بالاكثر مع روحانية الحياة بوجه عام ، وروحانية الانسان بوجه خاص .

وكلمة « روحانية » فى هذا المقام – مقام دراسات الباراسيكولوجى – لا تعنى سوى مفهوم محدود جدا ، وهو ان قدرة الانسان على الاحساس تتجاوز بلا نزاع قدرة حواسه الخمس المادية التى لاتمثل مجتمعة الا قبسا باهتا جدا من قدرات الاحساس التى تبين انها غير مرتبطة ارتباطا تاما بحواسه المادية .

وانتفاء الارتباط المحتوم بين قدرة الاحساس فى الانسان وبين حواسه المادية يلعب دوره فى اليقظة كما يلعب نفس الدور فى النوم ، وربما بشكل اكثر وضوحا . ومن هذا جاءت اهمية دراسة الاحلام فى خدمة البحوث الروحية التى تسير جنبا الى جنب مع بحوث الباراسيكولوجى فى طريق نفى الارتباط المحتوم بين قدرة الاحساس وبين حواسنا الخمس المعروفة : وهى النظر ، والسمع ، والشم ، واللمس والذوق .

ولا يمكن أن يتسع المقام هنا لتناول كل جوانب الارتباط بين دراسة الاحلام ، وبين بحوث « علم الروح الحديث » ، لان هذا موضوع يطول شرحه ويحتاج الى مؤلفات عديدة لتلخيص النتائج التى وصل اليها الباحثون العلميون ، ولتوضيح مدى ارتباط هذه النتائج بالفلسفة الروحية الوضعية عن الانسان والكون .

ولكن يكفى هنا ان اتناول هذا الموضوع فى ايجاز شديد جدا من ثلاث زوايا فحسب وهى :

الاول : صلة الاحلام بظاهرة الطرح الروحى ، او الخروج من الجسد المادى .

الثانية : صلة الاحلام بظاهرة « التليباثى » اى التخاطر او قراءة الافكار .

الثالثة : ماذا عن احلام الاجنة وهى فى بطون امهاتها اى قبل ان تنزل الى الوجود المادى ، وتستخدم حواسها الاستخدام المألوف ؟

❋❋❋

الزاوية الاولى : صلة الاحلام بظاهرة الطرح الروحى ، او الخروج من الجسد المادى :

هل يملك الانسان حقا جسدا اثيريا يحمل الحياة والعقل ويمكنه ان يغادر الجسد المادى فى اثناء النوم ؟ لا شىء يمكنه ان يجيب اجابة حاسمة واضحة سوى تحقيق ظاهرة الطرح الروحى، او الخروج من الجسد .

وهذه الظاهرة لها صلة وثيقة بالاحلام ، او بالادق ببعض المشاهد والرؤى التى قد يراها الحالم، والتى قد يتصور عندما يستيقظ انها مجرد



فرويد : العناية بالاحلام من اجل تشخيص بعض الامراض

اضغاث احلام، فى حين انها قد تكون مشاهد حقيقية ، او بالادق مشاهد موضوعية يكون قد شاهدها فعلا بسبب قدرته على الخروج من الجسد .

وظواهر الخروج من الجسد متنوعة : فهناك خروج واع وآخر غير واع ، وهناك خروج يتم فى النوم العادى وآخر يتم فى الغيبوبة المغناطيسية ، خصوصا فى الدرجات العميقة منها ، وثالث يتم فى الغيبوبة الوساطية

ويبدو ان ثمة صلة بين وساطة الاستشفاف او الجلاء البصرى ووساطة الخروج من الجسد ، لان الوساطة الاولى تمثل مقدمة او تمهيدا للوساطة الثانية ، خصوصا اذا احسن التدريب والمثابرة لمدة كافية مع ضبط الوعى ، وذلك حتى يتذكر الوسيط ما جرى له اثناء الطرح الروحى الواعى .

والظاهر ان حالات الخروج من الجسد كثيرة جدا ، واكثر مما نتصور . ويبدو انها تحدث لعدد غفير من الناس فى حالة النوم العادى ، وايضا فى حالات التخدير اثناء العمليات الجراحية . كما لوحظ حدوث عدد منها فى حالات الالم الشديد ، او الخطر الداهم ، او الذعر البالغ ، او اللهفة المفرطة عند رؤية شخص عزيز منتقل ، او على قيد الحياة الارضية .

وبلغ من ذيوع هذه الحالات ان العلامة المعاصر جوزيف بانكس راين — الذى يعمل حاليا رئيسا لقسم الباراسيكولوجى بجامعة ديوك ، بالولايات المتحدة الامريكية ، وفى نفس الوقت رئيسا لمؤسسة البحث فى طبيعة الانسان ، عندما اعلن عن ترحيبه بما قد يصل اليه من هذه الحالات لفحصها ودراستها ، تلقى حوالى عشرة آلاف حالة من اشخاص فى كل انحاء العالم شاهدوا اجسامهم المادية ترقد على الفراش وهم مطروحون منها طرحا واعيا !

ولاريب ان راين يستهدف بذلك اخضاع هذه الظاهرة الى نفس اسلوبه الرياضى الفذ الذى اتبعه فى دراسة ظاهرتى التلباثى (التخاطر) والجلاء البصرى ، والذى انتهى به الى القطع بصحة الظاهرتين رياضيا بعد عشرات من السنين ، حتى لقد انتهى به الامر الى تحويل « قسم السيكولوجى » بجامعة ديوك الى « قسم للباراسيكولوجى » ايمانا منه بأن علم النفس الحديث ينبغى ان يقام على دراسة هذه الظواهر غير المألوفة ، لانها هى التى تكشف كشفا صحيحا عن ابعاد النفس الانسانية ، وملكاتها الحقيقية، وهو نفس الدرب الذى سلكته جامعات اخرى اوربية وامريكية .

والاسلوب الرياضى يعتمد بصفة اساسية على التكرار المتواصل ، لان هذا التكرار هو الذى يبرز على الامد البعيد العنصر الثابت او المستقر فى الظاهرة محل البحث . وهكذا يمكن ان تثبت اية « ظاهرة روحية » بطريقة مجردة ، او ان تنتفى بنفس الطريقة ، وفى النهاية تحتل الحقائق مكانها اللائق فى رحاب العلم اليقينى ، وتحل محل الشكوك والاوهام .

ومن المهتمين ايضا بدراسة هذه الظاهرة الدكتور اوجين ا . برنارد استاذ علم النفس بجامعة الدولة

بكارولينا الشمالية · وهو يعتقد في صحة هذه «الظاهرة» لانها وقعت له شخصيا في ثلاث مناسبات · كما يعتقد ان شخصا من كل مائة شخص قد مر بهذا الاختبار الذي لا ينتمي الى أي جنس ، أو مستوى ، أو عمر ، او حالة اقتصادية ·

ويعتقد برنارد ـ كما يعتقد العدد الاكبر من العلماء الذين بحثوا هذه الظاهرة أن العقل يمكن ان يظل في نفس مكان رقاد الجسد ، او ان يطرح الى الوف من الاميال ، وان الانفصال بين العقل والمخ قد يدوم من بضع ثوان الى بضع ساعات ·

ومن بين الحالات التي مرت به حالة شخص مر باختبار الخروج من الجسد عندما كان يجلس الى مكتبه ، وعندئذ سافر عقله الى مدينة لم يسبق له زيارتها مطلقا · وبعد عودة «التصباح» عقل هذا الشخص في جسده كان بمقدوره ان يصف بدقة شارعا ، ومبنى اداريا ، واشخاصا كانوا يعملون به· ويقول برنارد انه اضطر ان يذهب بنفسه للتحقق من صحة الحالة وانه شاهد نفس الشارع ، والمبنى ، والموظفين على نفس النحو الذي قيل له · · ·

وهو يعتقد كما يعتقد جل الباحثين ان هذا الاختبار يحدث في اوقات الضيق ، وحالات الولادة ، والجراحة والخوف الشديد · وانه من الممكن تنمية هذه القدرة على الخروج من الجسد وجعلها ارادية ، وانه يأمل ان يختبر هذه المواهب المتقدمة في ظروف معملية تقتضي اخذ درجة حرارة الانسان «الخارج من جسده» وهو في غيبوبته ، اذ يقال انها تنخفض عندئذ · كما تقتضي استخدام جهاز يدعى « اليكتروسفالوجراف » لقياس نماذج الموجات الذهنية وتصويرها · وسيكلف الشخص بطرح روحه الى مكان مغلق لقراءة قائمة بكلمات موجودة هناك ثم يعيد سردها بعد انتهاء الطرح ·

ويقول الدكتور برنارد : « يوجد الكثير مما نجهله عن العقل وقدراته. واعتقد أن نظرية الطرح الروحي يمكن اثباتها ومراقبتها ، ولو انني لا أعلم كم من الوقت يقتضي ذلك ، ومن الواضح انه اذا تم الاثبات العلمي الاخير فستعاد من جديد صياغة كتب العلوم الطبيعية ، ناهيك بكتب الفلسفة ، والنفس ، والطب ·· على ما يلاحظه براد شتايجر في مؤلف حديث له عنوانه « المسافرون بالعقل »·

وفي سنة ١٩٥٢ طرح الدكتور هورنل هارت على ١٥٥ طالبا بجامعة ديوك سؤالا هذا نصه : « هل سبق لك ان رأيت حقيقة جسمك الفيزيقي من زاوية تقع تماما خارجا عنه ، كالوقوف الى جانب الفراش ومشاهدة نفسك راقدا عليه أو كالتحليق في الهواء بجوار جسمك »؟

فأجاب بالايجاب ٣٠ ٪ منهم · وبعد دراسات موسعة على طوائف أخرى من الطلبة انتهى الدكتور هارت الى ان ٢٠٪ على الاقل من مستوى الطلبة الشبان يعتقدون انهم اختبروا نوعا او آخر من انواع الطرح الكوكبي · أو الخروج من الجسد ·

وانتهى الدكتور هارت الى ما يلى مما يتفق مع حقائق العلم الروحى الحديث ، وهو انه : « يوجد عالم غير منظور من حواسنا الفيزيقية ، وهو مع ذلك عالم للاختبار الموضوعى وللاتصالات الاجتماعية بين الشخصيات الواعية »···· كما انتهى الى ان « المخ جهاز يعبر به الوعي عن نفسه· اكثر منه مولدا ينتج هذا الوعي ، وان جوهر لب الوعي الانسانى يمكنه ان يراقب وان يعمل على مسافات بعيدة عن المخ »·

وموضوع الصلة بين العقل والمخ، ومن منهما صاحب السيادة على الاخر موضوع عويص فى مركز « القضية الروحية » ، لا فى أطرافها، ولا يتسع له المقام هنا ، ومن يريد المزيد فيه فليرجع الى الفصل التاسع من الجزء الاول من مؤلفنا « مطول الانسان روح لاجسد » ، ففيه العديد من نتائج البحوث الخطيرة الحديثة التى جرت ولا تزال تجرى فى هذا الشأن بمعرفة أعلام وفلاسفة كبار ·

وكذلك أيضا موضوع « ظواهر الخروج من الجسد » ، فان المقام لا يتسع له هنا ، وفى مؤلف آخر لنا يحمل هذا الاسم صادر حديثا ، العديد من نتائج التحقيقات العملية المؤيدة بالأدلة المادية ، بما فى ذلك الصور التى التقطت فى ظروف حاسمة للجسد الأثيرى، وهو خارج الجسد الفيزيقى فى غيبوبة التنويم المغناطيسى ، وأيضا فى غيبوبة الوساطة الروحية ·

دراسات حديثة

الزاوية الثانية : صلة الاحلام بظاهرة التلباثى أى التخاطر أو قراءة الفكر :

لا اعتقد انه يوجد الان عالم نفس مطلع اطلاعا كافيا على ما يجرى من بحوث فى شأن ظاهرة « التلباثى » والتخاطر ينكر هذه الظاهرة ، فان علماء النفس فى العالم أجمع قد سلموا بها بعد تجارب مثابرة امتدت الى عشرات من السنين واتخذت فيها جميع الاحتياطات ضد احتمالات التسرع فى الاستنتاج أو الخطأ فيه·

وأنا اسجل هذه الحقيقة مدركا تماما خطورتها ، ومؤكدا انه حتى علماء النفس فى الاتحاد السوفييتى وفى الكتلة الشرقية ، أصبحوا يسلمون تماما بها ، برغم ان بعضهم - لا كلهم - لايزال يكابر فى سائر الظواهر الروحية بسبب الارتباط المسبق بفلسفة مادية معينة عن الوجود· ولكن موقفهم من «التلباثى» هو التسليم التام به ، بل والحماس الشديد له لاعتقاد هذا البعض ان « التلباثى » قد يسعفهم فى دحض بعض الظواهر الروحية الاخرى مثل الاستشفاف ، والكتابة التلقائية ، والتنبؤات الصادقة أيضا ···

وبلغ من تقدم البحوث فى الاحلام فى الغرب ان بدأوا يدرسون مدى صلة الاحلام بظاهرة « التلباثى »· او بعبارة أخرى مدى صلة ما يحلم به احد النائمين بما قد يدور فى ذهن شخص اخر تربطه به صلة من الصلات ، ويستوى ان يكون هذا الشخص الاخر قريبا - مكانيا - من الشخص الحالم أم بعيدا عنه ·

وفى سنة ١٩٦٢ تأسس « معمل لدراسة الاحلام » علميا فى مركز مايمونيدس الطبى ببروكلين بنيويورك· وقد وصلوا الى نتائج هامة كثيرة

في ليلة واحدة . وذلك يوحي بأن الاحساس بالمكان والزمان ، وأن قوة الارادة كلها عناصر لازمة لحدوث ظاهرة « الادراك عن غير طريق الحواس » في الدراسات المعملية . وهذا الادراك يشمل الجلاء البصري، كما يشمل أيضا ظاهرة « التلباثي » وتصدق هذه النتيجة على الادراك خارج الحواس في اليقظة التامة كما تصدق على نفس الادراك في حالة النوم أو الغيبوبة .

والظاهر أن المسافة المكانية لا يعتد بها كثيرا هنا . ففي بعض الدراسات التي تمت في مركز « مايمونيدس » كانت المسافة تسعة وعشرين مترا بين غرفة الوسيط وغرفة النوم ، ولكن في تجربة استطلاعية أخرى ظهرت نتائج مقنعة مع أن المسافة بين الوسيط والمتطوع النائم كانت ٢٣ كيلومترا ، وفي تجربة أخرى كانت المسافة ٧٢ كيلومترا . وكان بعض من أحسن النتائج يظهر في تجارب تفصل فيها بين النائم المتطوع والوسيط مسافة كيلومترات عديدة .

وفي احدى الدراسات التجريبية زيدت المسافة الى ٢٢٠٠ كيلومتر ، فلم تحدث نتائج ذات بال . وقد لا يعزى الفشل الى بعد المسافة . بل قد يعزى الى مصادر أخرى منها قوة الوسيط ، وقدرته على التركيز ، وبالتالي على احداث التأثير المطلوب عن طريق « التلباثي » في عقل المتطوع النائم ومنها عجز هذا المتطوع عن استقبال التأثير المطلوب ، وهو أمر متصور حدوثه مهما قربت المسافة بينهما .

وقد تبين أيضا من هذه البحوث نفسها أنه عندما تحتوي الأهداف المراد نقلها « بالتلباثي » على مضمون عاطفي فان انتقالها يكون



يضيق أيضا عنها المقام هنا ، لكن يكفي أن أذكر منها مثلا أنه في خلال سنة ١٩٦٦ تمت جلسات استطلاعية عديدة لم يخبر فيها المتطوعون للنوم والخضوع للاختبارات بأن أي وسيط سيحاول التأثير في أحلامهم عن طريق « التلباثي » . وفي هذه التجارب لم يكن هناك أي تناسب بين الأهداف المختارة وأحلام المتطوعين . وقد طلب ذات مرة من متطوع أن يحاول أن يرى في منامه صورة فنية مجهولة عنه ، ولكن كانت موضوعة في صندوق مغلق ومعلقة في سقف غرفة الاختبار . وفي نفس الوقت كان أحد الوسطاء يحاول أن ينقل « تلباثيا » الشعور بصورة أخرى دون أن يعلم المتطوع بذلك .

ووجد الحكام ترافقا مباشرا بين حلم المتطوع وطبيعة الصورة الفنية المطلوب رؤيتها عن طريق الجلاء البصري في كل الليالي التجريبية الاربع، وكان هناك توافق مع الصورة الأخرى المنقولة عن طريق « التلباثي »

دراسات حديثة

اقرب الى الاحتمال من الاهداف الخيالية من مثل هذا المضمون .

فمما يسترعي الانتباه انه عند المرور على مجموعة الصور التى استخدمت كاهداف ، ان الصور الاكثر نجاحا فى النقل كانت هى تلك الصور التى تحتوى على محتويات مثيرة او خطيرة تؤدى الى تحريك غريزة الرغبة فى الحياة فى الافراد . كما كانت الاهداف (أى الصور المنتقاة للاختبارات) ذات المضمون الجنسى أو العدوانى تثير تخيلات واحاسيس قوية ، ومماثلة فى النائم المتطوع . ومثلها الاهداف ذات المضمون الدينى كصورة مكان عبادة ، أو كصورة دينية .

وهذه البحوث كلها تجرى على قدم وساق فى العالم اجمع الان تحت اسم « البارا سيكولوجى » كما قلت .. ومازلنا نعيش فى عزلة تامة عنها لغاية الان .. فمتى يتحرك المسئولون فى هذا المجال عندنا لتعويض ما فاتنا من تقدم خطير فيها ؟

ومن يريد أن يعرف ولو شيئا قليلا عن نور هذه البارا سيكولوجى الان فليطلع على عدد يونيو - اغسطس ١٩٧٥ من مجلة « العلم والمجتمع » التى يصدرها مركز مطبوعات اليونسكو التابع لهيئة الامم المتحدة ، فسيجد فيه بعض البيانات المفيدة فى هذا الشأن مدونة باقلام نفيف من الباحثين الذين ينتمون الى جنسيات متعددة .

الزاوية الثالثة : ماذا عن احلام الاجنة وهى فى بطون امهاتها؟

هل تحلم الاجنة وهى فى بطون امهاتها ، أى قبل ان تنزل الى الوجود المادى ؟ لو انك طرحت هذا السؤال على عالم من مدرسة فرويد لاجابك بلا تردد انها طبعا لا تحلم لانها لم تمر باية اختبارات تحرك عندها تداعى المعانى على النحو الذى يحدث فى الاحلام . وكذلك لانه لا توجد لديها بعد رغبات مكبوتة تريد التعبير عنها باحلام صريحة او رمزية .

وهذه الاجابة اتوقعها من ابناء مدرسة فرويد لثلاثة اسباب :

أولها : أن فرويد كان يعتقد أن حياة العقل مرتبطة بالمخ ، وما دام المخ لا يعمل بعد فى الجنين فان العقل لا يعمل بعد بصورة شعورية ولا ينشط الى العمل الا بعد أن يستكمل اسباب نموه ، ثم يتصل بظواهر الوجود فى العالم المادى بعد الولادة ولو بفترة قصيرة .

ثانيها : أن فرويد كان لا يعتقد بوجود سبقى للروح ، او بالادق بوجود حياة ماضية للروح ، وسابقة على ميلاد الجسد المادى ، وشأنه فى ذلك شأن كل انصار علم النفس المادى . وما دام هذا الوجود المسبق منتفيا فلا يتصور أيضا وجود ذكريات كامنة فى « لا شعور الجنين » تسمح له بأن يحلم ، ولو على نحو ما .

ثالثها : لان علم النفس حتى فى ايام فرويد كان لا يزال علما نظريا ، تلقى فيه الخطر الفروض ارتجالا ، ثم تؤسس عليها الخطر النتائج ارتجالا ايضا . اما الان فقد تطورت الحال فى بحوث « البارا - سيكولوجى » وعلم الروح . وتغير فيها منهج البحث الى اسلوب التجريب الواقعى ، بعد الافتراض

النظرى فى كثير من القضايا الكلية والجزئية ..

ولقد اثبتت التجارب العملية فى دراسة عمل المخ – مع الاستعانة بالرسام الكهربائى – أن الجنين فى بطن امه يحلم كثيره ، وامكن صنع رسومات كثيرة لتسجيل نشاط مخ الجنين فى اثناء احلامه ... فبماذا يحلم الجنين ؟ وما هى الصور التى يشاهدها او الاصوات التى يسمعها ، او الاشياء التى يلمسها ، مع انه بحسب المذهب المادى لا يكون قد اكتسب بعد شيئا من الحواس ، او من خبرة الاحساس ، أو من الوعى ، أو من الذكريات ، أو من الرغبات التى تصنع الاحلام عند كل كائن حى ؟

أما من الناحية الروحية فمن المتصور ان تكون الذكريات السابقة للجنين هى المسئولة عن هذه الاحلام بعد اذ انزلقت من الشعور الى اللاشعور فى لحظة ارتباط الروح « بالمحتقل » المادى المعد لها فى رحم الام بحكم نواميس التطور والارتقاء

وهذا الموضوع وثيق صلة بموضوع اخر ، وهو مشاعر الاجنة واحاسيسها ، وهى فى بطون امهاتها . فانه يكاد يكون من المسلم به الان أن حياة الجنين الشعورية تبدأ قبل الولادة ، لا منذ الولادة فحسب كما كان يقال فيما مضى .

وبعبارة اخرى فان حواس الجنين تعمل قبل أن يخرج الجنين الى عالم الاحساس . وقبل ان تتكامل حتى أدوات الاحساس الخمس المعروفة . مما يدل على استقلال الشعور عن ادوات الاحساس وهو مما يلتئم مع المذهب الروحى ، ويتعارض مع المذهب المادى الذى يربط بين الاحساس كوظيفة ، وبين ادوات الاحساس كوسيلة ، كما يربط بين الشعور والتفكير وبين اكتمال نمو المخ بوصفه المسيطر الاول والاخير على الجهاز العصبى للانسان

أما بحسب التحقيقات الروحية فان مصدر الاحساس هو الروح : تلك الشعلة المقدسة التى تهب الحياة للجسد المادى والتى تنزلق الى الرحم بعد حدوث الحمل بفترة ما ، حاملة معها العقل فى صورته اللاشعورية وبالتالى فانالروح حاملة العقل حياة مستقلة عن الجسد المادى الذى هو محض رداء مؤقت للروح ينبغى أن تنفضه عنها ، عندما لايعود صالحا لارتباطها .

وعندئذ تعود الروح للعالم الحق الذى منه جاءت واليه تعود . كما يعود الجسد المادى للارض التى منها جاء واليها يعود . وعندما تحيا الروح فى عالمها الحق . فانها تمضى ايامها فى حياة حقة تسمو كثيرا على تلك الحياة التى عرفتها فى عالم المادة ، والتى عاشتها فى ساعات يقظتها ، وساعات نومها . وايضا فى تلك الساعات التى امضتها بين اليقظة والنوم لا تعلم : هل هى تحلم فى يقظة؟ او هىمتيقظة فى عالم من صنع محض احلامها ، وأوهامها . ورغباتها الكبوتة سواء اكانت مشروعة ام غير مشروعة ؟

وهكذا يبين تماما اندراسة الاحلام هى دراسة خطيرة لمحاولة استكشاف بعض المجاهل الوعرة فى تكوين الانسان ، وحقيقة ملكاته ، ومصيره . وانها اجل شأنا بكثير مما كان يتصور اى عالم فيما مضى،

بما فيهم العلامة سيجموند فرويد الذى كان أول من نبه الاذهان الى ضرورة العناية بدراسة الاحلام . وذلك بهدف التشخيص والعلاج فحسب . وهكذا كل علم يسير دواما نحو الامام ، وهذه هى بعينها سنة النشوء والارتقاء .

د. أحمد
متولي مسلم



عن الحقيقة في دنيا الاحلام

من اقدم العصور شغل قادة الفكر والعلماء بمسألة الاحلام وحاولوا استطلاع حقيقتها ... وكان لفلاسفة اليونان اهتمام خاص بالاحلام .

وصفها سقراط بالقدسية والقدرة على التنبؤ ... ووصفها افلاطون بانها وحي الى الروح التي تسبح في الحقيقة الكلية ... ووصفها ديموكريتس بانها امتداد لنشاط المخ الذاتي في غيبة الادراك الحسي ...

وايضا وصفها ابو قراط (ابو الطب العلمي) بانها نتيجة لنشاط المخ .. وكذلك وصفها ارسطو بانها ظهور طبيعي لنشاط المخ ، وانكر قدرتها على التنبؤ وربط مضمونها بادراك العالم المحيط بالانسان ..

ومهما كان نصيب هذه الاراء من الصحة ، فهي تأملات لا تعتمد على اساس علمي ... فكيف يفسر العلم الحديث الاحلام ؟

نعتمد في دراسة الاحلام على ما يتذكره الاشخاص من احلامهم عندما يستيقظون ، وعلى ملاحظة سلوكهم اثناءها ، وتسجيل موجات المخ الكهربية ، وحركات العينين اثناء النوم ... ومن متابعة هذه الدراسة، وجد ان النوم تتخلله نوبات نوم خفيف مع سرعة حركات العينين ، بالتبادل مع نوبات نوم عميق ، مع بطء هذه الحركات ... وتظهر الاحلام اثناء فترات النوم الخفيف ، فاصحاب النوم الثقيل لا يحلمون ، لان النوم الثقيل يسبب تعطيلا لاجزاء المخ العليا (الفصين المخيين ، وجذع المخ الذي يعتبر جهازا مجمعا) ، المسئولة عن النشاط العقلي .. اما في حالة النوم الخفيف فيستمر النشاط العقلي ،



ارسطو



ديموقريطس



أبقراط

وتظهر الاحلام ، لان المراكز المسئولة عن تكوينها لا تتعطل ..

وقد يتساءل القارىء : أيهما أصح النوم المصحوب بالاحلام ، ، أم النوم الخالى منها ؟ والاجابة : لا اختلاف بين من يحلمون ومن لا يحلمون ... بشرط الا تكون احلاما مزعجة كالتى توجد فى حالات القلق والاكتئاب .

وما مصدر الاحلام ؟ ومن اين تأتى محتوياتها ؟ ومن اى المواد تأتى هذه المحتويات ؟

(١) أول مصادر الاحلام ، المنبهات الواردة من العالم المحيط بالانسان : هذه المنبهات يدركها النائم بطـــريقة مشوهة .. نضرب هذا المثل : تناولت غذائى وقرأت صحيفتى ، وأخذتنى سنة من النوم ، صحوت منها مذعورا .. فقد حلمت انى اركب قطارا ، وان عصـــابة هاجمت الركاب لسرقتهم وقاومت اللص فأمسكنى وأخذ يضرب رأسى بيد مطرقة . وظل يشتد فى ضرباته على رأسى حتى صحوت على طرقات عالية من ورشـــة تصليح سيارات تحت شقتى ! ..

يتضح من هذا الحلم انى سمعت طرقات الورشة وانا نائم وبلغت هذه الطرقات مخى ، فالحقها بسلسلة من الرغبات والافـــكار ، وكنت متأثرا بحادث سطو قرأته فى الصحيفة قبـل النوم . ومن هنا كان الحلم ..

وكان يمكن لطرقات الورشة ان تسبب فى حلما ثانيا او ثالثا ، حسب الجو العام الذى يتكون من تداعى الافكار وهذا يشبه ما يحدث لنا فى اليقظة :

فأى منبه خارجى يثير فينا ارتباطات مختلفة ، تؤدى الى افكار متصـــلة بخبراتنا السابقة. فقد يسمع الشخص ضجة معينة ، فيتذكر هزيم الرعد ، او الغارة الجوية، او ارتطام الامواج بشاطىء البحر ...

وفى النوم تصل منبهات عـــديدة الى المخ، تثير خليطا غريبا من تداعى الافكار ، التى تختلف عن المصادر الحقيقية لهذه المنبهات. وهذا التشوه فى المنبهات التى يلتقطها المخ ، يشمل الكم كمـــا يشمل الكيف ، فقد تثير المنبهات الضعيفة احساسات قوية ، فيحلم الشخص ان سيفا وخـــزه فى صدره ، لمجرد عضة بعوضة ، اويحلم بانه يصلى نارا حامية ، عندما تصل اليه حرارة المدفأة !

(٢) المصـــدر الثانى للاحلام ، المنبهات الصادرة من جسم الانســـان وهو نائم ، من اعضائه الداخلية : من المثانة الممتلئة ، او القلب المضغوط عليه ، او الوضع غير المريح للجسم، او الصعوبة فى التنفس، فيشعر النائم انه يختنق ، او يغرق ، او يرزح تحت عبء ثقيل !

(٣) واكبر مصدر لمحتويات الحلم هو خزانة الافـــكار والانطباعات والذكريات ، التى نسميها الذاكرة ،

عن الحقيقة في دنيا الأحلام

واساسها الفسيولوجي الآثار التي تطبعها في المخ خبراتنا السابقة . وفي الحلم تستحيل هذه الآثار الضعيفة الى صور شديدة الوضوح ، تثير مختلف العواطف .

كيف يتم اختيار مواد الحلم ؟

كثيرا ما يحلم الناس بانشغالاتهم اليومية ، وما يحيط بها من انفعالات ، فالطفل الصغير قد يحلم بالعفاريت ، والاكبر منه يحلم بالامتحانات ، والطفل الفقير يحلم باللعب ، والجياع يحلمون بالطعام ، والمغتربون يحلمون بالوطن ، والمساجين يحلمون بالحرية .. فلهفة الشخص وحاجته تقرران ادراكاته الحسية وما يرتبط بها من الافكار والذكريات ، فالنائم يدرك ادراك الحقيقة ، ما يرغب أن يكون حقيقة ، أو ما يخشى أن يكون حقيقة !

وفي الاحلام تظهر الانفعالات ومخاوف قوية وصراعات داخلية ، ورغبات لم تشبع .

وصف ليو تولستوي في « أنا كارنينا » حلما عاود بطلة الرواية كل مساء ، في قمة مأساتها العاطفية ، وصراعها بين واجبها نحو زوجها ، وحبها لعشيقها . حلمت أنهما أصبحا زوجيها ، واخذ يقتربان اليها ، ويبكي زوجها ويقبل يديها قائلا : ما اجمل كل شيء الآن وكان عشيقها الذي انقلب زوجا لها حاضرا هو الآخر وكانت « انا » التي ظنت كل ذلك مستحيلا فيما مضى — تقول ضاحكة . ان الرجلين اصبحا سعيدين راضيين

مثل هذا الحلم مبني على العواطف القوية . لكن احلاما أخرى قد تبنى على كلمة عابرة او ملاحظة بسيطة .

وليس في الحلم جديد ، بمعنى ان ما يظهر في الاحلام سبق ممارسته والتفكير فيه في ماضي الانسان ، بدليل ان احلام الشخص الذي اصيب بالعمى منذ ولادته ، لا توجد صور مرئية في ذاكرته ، لذلك لا يرى في الحلم مرئيات كالشخص العادي ، بل يحس بالاصوات والروائح والاشكال الملموسة فقط .

ولا يمكن تحديد مصدر الحلم في جميع الاحوال . فكم من حلم شديد التعقيد ، تمتزج فيه المنبهات الداخلية والخارجية مع خبرات مختلفة في النوع والتوقيت . ولذلك يعرف الاحلام احد العلماء الرواد في هذا المجال ، بأنها مزيج من آثار المنبهات التي سبق ورودها الى المخ بطريقة ابعد ما تكون عن الواقع .

لماذا نصدق مانحلم به ؟

يتميز الحلم باستعمال الصور البصرية الباهرة البياض والسواد ، وقلة الالوان ، وندرة الكلام .. وندرة الكلام في الحلم دليل على

ضعف التحليل والتفكير ... فالتفكير الحالم يقف عند مستوى التفكير العيانى المميز للأطفال الصغار ، أى أنه لا يستعمل التفكير المجرد الذى يتميز به الكبار . وكذلك يتميز الحلم بأننا نصدق كل شىء فيه بدون نقد ولا اعتراض ، مهما كان غير معقول كل شىء ممكن فى الحلم : مخاطبة الميت، الوجود فى مكانين فى نفس الوقت ، الحياة فى الماضى البعيد ! .. ولا توجد حدود للزمان والمكان فى الاحلام .

وتفسير ذلك أن التفكير المجرد ولغة الكلام يقعان على مستوى تطورى أرقى من مستوى التفكير العيانى باستعمال المرئيات ، لذلك أثناء النوم تتعطل هاتان الوظيفتان الراقيتان . وتنشط الوظيفة البدائية (التفكير العيانى) .

وهذا أيضا سبب تعطل ملكة النقد فى الحلم ، فلا يلاحظ الحالم عدم منطقية الاحداث .

تأويل فرويد للاحلام

فى مطلع القرن العشرين طلع الطبيب النمسوى « فرويد » بنظرية عن الاحلام



تولستوى

توجزها فى أنها تمثل رغبات ومشاعر لم تشبع ، مخبوءة فى اللاشعور ، قاصرة على الرغبات والمشاعر الجنسية ، التى تعود الى فجر الطفولة

ولا يمكن أن ينكر دور الغريزة الجنسية فى الحياة الانسانية ، لكن من الخطأ أن نتجاهل الثراء والتعدد فى العواطف الانسانية ، فنقصرها على الرغبة الجنسية فقط .. والاحلام - كما رأينا - تعكس جوانب كثيرة من شخصية الانسان بخبراته واهتماماته وآماله وعواطفه ومهنته اليومية ، وخزانة معلوماته ومعارفه . والمشاعر الجنسية - الواضحة أو المخبوءة - تلعب فى الاحلام دورا أصغر بكثير من هذه الجوانب ، التى تشغل الفكر والاهتمام .

وافترض « فرويد » أن الاحلام تستعمل صورا رمزية ، فالملك رمز للأب ، والثعبان رمز لذكورة الرجل ، والحجرة رمز للأنثى - وقد رأينا أن الاحلام تنبع من أحداث فى حياة الناس ، ملأت أذهانهم واستغرقتهم حتى طبعت فى أحلامهم ، بدون استعمال الرموز فى التعبير . ان « فرويد » اخترع مسألة الرمز ليساير النظرية الشخصية التى أقامها ، فهو يلوى الحقائق بمهارة لتساير الفروض التى افترضها . وهذا هو العكس تماما للفروض المتبعة فى البحث العلمى .

د. سامية أحمد أسعد

في الادب الفرنسي ، نجد ان الحلم ، بالمعنى الواسع لهذه الكلمة - المعنى الذي يتعارض مع العقلانية مثلا - لم يتخذ الاهمية التي يستحقها في عالم الادب الا في الفترة التي سبقت الرومانسية مباشرة ...

قبل ذلك في القرن السابع عشر الذي سيطر عليه العقل ، مقصيا الخيال والاحساس بعيدا ، اضفي على الحلم معنى مستهجن قد يتلخص في الربط بين الحلم والهذيان ، واضطراب العقل ...

الأحلام في الأدب

الحلم ... نبوءة تعلن عن شيء ما قد يحدث أو لا يحدث مستقبلا ... والحلم لايصل الى الحالم الا في شكل « ذكرى » شيء مضى سواء تم ذلك اثناء النوم ام اثناء اليقظة ... يقول الشاعر «بول فاليري» في هذا الصدد : الحلم فرض ما دمنا لا نعرفه ابدا الا بالذكرى .. لكن هذه الذكرى شيء نصنعه نحن حتما .. فنحن نبني احلامنا ، ونعيد رسمها ، ونعبر لانفسنا عنها ، ونعطيها معنى ومن ثم تصبح قابلة للسرد ..»

والحلم قد يبعث على التفاؤل كما قد يبعث على التشاؤم ومن ثم كانت اهمية تفسير الاحلام ، على مر العصور ، التي تحولت الى علم قائم بذاته ، اوحى الى فرويد بكتابيه علم الاحلام وتفسير الاحلام .. والحلم نشاط معنوى ونفسي يقوم به الانسان عادة اثناء النوم ، في اللحظات التي يتغلب فيها اللاشعور على الشعور كما انه يتنافى مع الواقع ومن هنا ، كان الربط بينه وبين عالم الشعر الذي يعتمد اساسا على الخيال



سيجموند فرويد

وفي القرن الثامن عشر « عصر الانوار » كما اطلقوا عليه ، ظلت الحال على ما هي عليه ، وظلت الاولوية لدراسة الواقع الانساني ، والاجتماعي ، والسياسي ، الخ ... مع مطلع القرن التاسع عشر فقط ، بدأ الحلم يتخذ قيمة شاعرية واصبحت النظرة اليه نظرة خيال يبنى في حالة اليقظة ، وفكر يحاول ان يهرب من ضغوط الواقع . بل ان البعض واكثرهم من الشعراء ، نظروا اليه على انه « الواقع الحقيقي »

الفرنسي



جول فيرن

يقول الشاعر بودلير : « احلام الانسان نوعان : النوع الاول ملئ بالحياة اليومية ، ويختلط بطريقة غريبة كثيرا او قليلا بالاشياء التي رآها الشخص اثناء النهار وثبتت على لوحة ذاكرته الكبيرة . هذا هو الحلم الطبيعي . انه الانسان نفسه .. اما النوع الاخر من الاحلام ، الحلم العبثي غير المتوقع الذي لا علاقة له بطباع الحالم او حياته او عواطفه ، هذا الحلم الذي اميل الى وصفه بالهيروغليفية ، فيمثل طبعا الجانب الطبيعي الاعلى من الحياة ! » .

ونظر البعض الاخر الى الحلم على انه حياة ثانية ، تسير في خط متواز مع حياة الواقع ... يقول الشاعر « جيرار دي نرفال » : « الحلم حياة ثانية ... لم استطع ان انفذ ، دون ان ارتجف ، من هذه الابواب العاجية التي تفصل بيننا وبين العالم اللامرئي ... ان اولى لحظات النوم صورة للموت . ويستولي الكسل المبهم على فكرنا ، ولا نستطيع ان نحدد اللحظة التي تواصل فيها « الذات » عمل الوجود ، بشكل اخر .. انه لمكان غامض يقع تحت الارض ويضاء شيئا فشيئا ، وتخرج فيه من الظلال والليل الوجوه الشاحبة الساكنة التي تقطن العالم الاخر .. » .

رائد احس « مارسيل بروست » ، رائد الرواية الفرنسية المعاصرة ، باهمية الحلم في الادب وقال صراحة انه اعتمد على الحلم عندما كتب « البحث عن الزمان المفقود » ، و « الزمان المستعاد » ، رابطا كما هو واضح من العنوان بين الحلم والزمان والابداع ... يقول « بروست » : « اذا كنت قد اهتممت دائما بالاحلام التي نحلمها اثناء النوم ، فلانها تعوض الزمان بالعمق وتساعدنا على ان نفهم ما في الحب ، مثلا ، من

الأحلام في الأدب الفرنسي

ذاتية ... ولربما سحرني الحلم أيضا لتفاعله الهائل مع الزمان » .

ثم يقول في مقام آخر : « كان الحلم ولا يزال حدثا من الاحداث التي تركت دائما أعظم الاثر في حياتي . وساعدتني بلا شك على ان اتشبع بالطابع الذهني البحت للواقع . ولن أصل عونه عندما أكتب .. » .

ولعل هذه الكلمة التي قالها رومان رولان ، عن العلاقة بين الحلم والفن : « الفن حلم الانسان حلم من نور ، وحرية ، وقوة صافية » من أجمل ما قيل في هذا الصدد ..

واذا ما انتقلنا الى القرن العشرين ووقفنا عند المدرسة السيريالية ، وجدنا انها أولت الحلم أهمية كبرى ، وجعلت منه دعامة اساسية من دعاماتها ... لقد تميزت هذه المدرسة ، ضمن ما تميزت به ، باستكشاف اللاشعور ، عن طريق الكتابة الاوتوماتيكية ، وسرد الاحلام ، والنوم المغناطيسي ، الخ أي بمصالحة الحلم والواقع .

يقول « اندريه بريتون » رائد المدرسة السيريالية : « الحلم متصل فيما بينه ، وهو يحمل اثر التكوين المنظم . لكن الذاكرة وحدها هي التي تعطي نفسها حق تقطيعه ... وتصويره على أنه سلسلة من الاحلام لا الحلم ذاته ... وأنا مؤمن بذوبان هاتين الحالتين ، الحلم والواقع ، في شيء اشبه بالواقع المطلق ، بشيء « فوق الواقع » اذا جاز التعبير » .

كثيرا ما استخدم الادباء الحلم كوسيلة فنية متميزة ، فالحلم ، في الرواية مثلا ، يمكن الشخصية من قطع صلتها بالواقع مؤقتا ، لكي تكشف عما في نفسها ولا تريد او لا تستطيع البوح به للشخصيات الاخرى . في هذه الحالة ، يكشف لنا الحلم عن الخبايا والنوايا لكنه يمكن الرواية في الوقت نفسه ، من السير الى نهايتها .

أما في المسرحية ، فكثيرا ما لجأ الكتاب الى الحلم ليعرضوا أحداث المسرحية عرضا منطقيا مسلسا . ويصبح الحلم ، في هذه الحالة ، نبوءة تعلن عن الاحداث ولا تلغي عنصر التشويق ، لأن الحلم قد يتحقق أو لا يتحقق في الواقع .

ولطالما تمتع الشعراء خاصة بما يتيحه الحلم من حرية – في التعبير مثلا – لا تتقيد بقانون ، اللهم قانون الحلم . ولا نبالغ اذا قلنا ان الشعراء حالمين بطبيعتهم ، فكتاباتهم تكاد تكون دائما تعبيرا عن الواقع الطلق السالف الذكر ، لنتذكر ، بهذه المناسبة ، قصيدة الشاعر فرلين : « حلمي الاليف » :

كثيرا ما احلم ذلك الحلم الغريب النافذ
احلم بامرأة مجهولة ، أحبها وتحبني
ليست ، في كل مرة ، هي هي تماما
ولا اخرى تماما ، وتحبني وتفهمني
فهي تفهمني . وقلبي الشفاف
لها وحدها – للأسف ! لا يصبح مشكلة
لها وحدها ، وعرق جبيني الشاحب
هي وحدها تستطيع ترطيبه بدموعها
اسمراء هي ، أم شقراء ، حمراء الشعر ؟ لا أدري
اسمها ؟ اذكر انه حلو رنان
كأسماء المحبين النافين من الحياة
ونظراتها اشبه بنظرات التماثيل ،
أما عن صوتها الجاد ، الهادىء ، البعيد ،
فله نبرة الاصوات العزيزة التي صمتت !

الاحلام الادبية الشهيرة كثيرة

متعددة ، منها ، على سبيل المثال ، حلم غريب من حيث المضمون، الا وهو « حلم دالومبير » الذي كتبه « ديدرو» عام ١٧٦٩ · تدور الاحداث في منزل عالم الرياضيات « دالومبير » لقد دار بينه وبين الفيلسوف « ديدرو » حديث عاد على اثره الى بيته متأخرا ، لكن التفكير استولى عليه ، وبات العالم ليلة مضطربة أمتها الكوابيس· فقلقت صديقته مدموازيلدى لسبيناس للامر وظلت الى جواره طول الليل ، واخذت تدون ما يقوله وهو نائم · ثم اطلعت دكتور بردو الطبيب الشهير الــذى استدعته لمعالجة صديقها ، على ما دونته ، ويتحدث الطبيب هنا بلسان ديدرو وعن نظريــاته ··· وبينمــا يخرج النائم من القيود والغيبوبة التى راح فيها ، تبدأ مناقشة اخـرى، بين الطبيب ومدموازيل دى لسبيناس موضوعها الاساسى أن الانســـــان مجموعة من الاجسام الصغيرة، تجتمع مؤقتا ،وتحتفظ الاعضاءفيها باستقلال نسبى ، حتى فى تبعيتها المشتركة للجهاز العصـبى تلى ذلك اعتبارات غريبة عن التشوه الخلقى واسبابه ، والتشابه العضوى العميق بين الرجل والمرأة وفيزيولوجيـا الاعصــــاب والاحساس ، الخ ··· تمتلىء هذه الصـــفحات بالأحاديث النافذة ،


ديفرودتش


مارسيل بروست

والافتراضـــــات الجريئة التى بدت وهمية انذاك، لكن الاكتشافات والتقدم العلمى الاخير فى ايامنا هذه اثبتان اغلبها كان صـحيحاً · وهكذا يكون « ديدرو » قد تنبأ من قرنين بمـا يتحقق اليوم ·

ولنقف لحظة عند حلم من نــوع اخر من حيث المضـــمون ، حلم يقوم عليه كتاب الشـاعر « جيرار دى نرفال » « اوريليا » أو « الحلم والحيــاة » عام (١٨٦٥) كتب « نرفال » هذا الكتـــاب فى لحظات البصيرة التى تركها له الجنون الذى احاط ايامه الاخيرة بالظــلال · كان قد كتب قبل ذلك قصتين « سيلفى » و « اوكتافى »، ربط فيهما بين الحلم والواقع ربطا وثيقا منسجما، واعلن فيهما عن الموضــوع الرئيسى الذى عالجه فى « اوريليــا » : ملاحقته لصــورة مبهمة لحب فريـد · يعثر « نرفال »على ذلك الحب الفريد كلما سار فى طرقـــات الحلـم ، انه حب « اندريان »، احدى بنات مقاطعة لى فالواه التى لمحها ايام كان مراهقا، لكن السلسلة انقطعت الان ، وها هو الشاعر يعمل على تثبيت خطوط ذلك الحب الذى لا نظـــير له ، والذى تمثله كل امرأة احبهــــا بعد ذلك ولم تكن سوى صـــورة مهزوزة من المرأة الاولى والوحيدة التى احبها·· وهنا ، فى هذه المحاولة التى يقــوم بها المؤلف كى ينتزع من الظـــلال والحلم ما يمسكان به ، يتخذ شبح اندريان الوردى الاشقر « شــكل اوريليا » · واوريليا صـورة اصدق من الاصـــل ، لانها وجدت نتيجة لاختفاء الاصل وموته ··· فليذهب الشــاعر الان الى عالم الموت لكى يبحث عنها ويجتمع بها· وهذهالرحلة الى الجحيم تجلعه يشعر بقلق غامض وكلما غاص فى عالــم الظلمات ،

الظلم اسلوبه على غير عادته ...

وهكذا تشهد « أوريليا » على الجهد الذى بذله الشاعر ليمسك بما لايمكن التعبير عنه ورتبته · ولنا ان نتصور ما كان يمكن ان يكون عليه هذا الكتاب ، لو أن الجنون مكن نرفال من اتمامه ... وجدير بالملاحظة ان « نرفال » كان يعرف انماطا من ذلك الشكل الفنى الذى كان يعمل على الوصول اليه : « يبين سويدنبرج بهذه الرؤى للحلم اكثر مما يبين بها للنوم · وكتاب ابوليه « الحمار الذهبى » ، و « الكوميديا الالهية » التى كتبها دانتى ، نموذجان شاعريان لدراسة النفس الانسانية ·· وايا كان الامر، فان « نرفال » حاول أن يبذل جهدا اخيرا ، مما يضفى على كتابه عذوبة يائسة مبتكرة تمس القارىء لانها تصور التجربة الذاتية الحية الحميمة ...

ولعل قراء الفرنسية يذكرون الكاتب الروائى الذى امتع صباهم وشبابهم وحملهم على جناح الخيال والحلم الى العوالم التى اكتشفها العلم فيما بعد، ونقصد به « جول فيرن » الذى نتوقف عنده الآن ، لما تتميز به اعماله من احلام عديدة مبتكرة ·

ولد جول فيرن فى مدينة « نانت » عام ١٨٢٨ ، ومات فى « اميان » عام ١٩٠٥ ، أتم « فيرن » دراسته الثانوية فى نانت ، ثم سافر الى باريس عام ١٨٤٨ ليدرس فيها الحقوق · لكن الجد والمسرح كانا يستهويانه اكثر من اى شىء آخر ·

الأحلام فى الأدب الفرنسى

فأخذ يتردد على بعض الصالونات الادبية ، وصادق «الكسندر دوماس» الاب الذى كان يملك « المسرح التاريخى » آنذاك ، وبدأ يكتب الوانا شتى من المسرحيات ·

كتب « فيرن » أول مسرحية عام ١٨٥٠ ، وكانت مسرحية شعرية من فصل واحد لاقت نجاحا نسبيا · وبالرغم من ميله الى الادب ، كتب « فيرن » رسالة فى القانون، وقدمها، وقبلت ، لكنه رفض أن يكون خلفا لابيه المحامى · فأخذ يبحث عن عمل آخر · وفى الوقت نفسه ، أخذ يتردد على المكتبة الاهلية ، ويهتم بالاكتشافات العلمية العديدة التى كشفت له عن امكانية ميلاد عالم جديد، واضفى عليها طابعها الغامض المجهول شاعرية وسحرا ·

وبينما كان يتردد على المكتبة تعرف على الرحالة الاعمى « جاك اراجو » ، والتقى عنده بعديد من الرحالة وعلماء الجغرافيا الذين راحوا يفتحون له ابواب البلاد البعيدة والاراضى العذراء التى لم تطأها قدم بعد · ووفق فى العثور على وظيفة ، واصبح سكرتيرا للمسرح الغنائى ونشر بعض القصص القصيرة ، ورواية تاريخية ، وواصل الكتابة للمسرح ·

وجدير بالذكر انه كتب اوبرا ، « كولان ــ مايار » ، فلاقت نجاحا منقطع النظير ، وعرضت اربعين مرة · وفى أوقات فراغه ، واصل « فيرن » دراسة الجغرافيا ، والرياضيات ، والطبيعة ، بطريقة منتظمة ، سعيا الى اكتساب « لغة » تناسب « الرواية العلمية » التى اخذ يحلم بكتابتها ·

عام ١٨٥٧ ، تزوج « فيرن » وعمل فى البورصة ، ليسد حاجته الى المال · كان يستيقظ فى كل يوم فى الخامسة صباحا ، ويظل يكتب حتى العاشرة ، ويقضى بقية اليوم فى

البورصة ، في هذه الفترة من حياته. كتب عن « ادجار بو » وقام برحلة الى اسكتلندا ، وواصل كتابة الاوبريت .

عام ١٨٦٣، ذهب للناشر هيتزل، حاملا مخطوط روايته « خمسة اسابيع في منطاد » ، ولشدة ما اعجب بها الناشر ، وقع مع المؤلف عقدا يحتكر بمقتضاه نشر مؤلفاته ... وتعهد « فيرن » بتسليم الناشر كتابين في العام لمدة عشرين عاما . او اربعين مجلدا في فترة العمر .. وجدد الناشر العقد خمس مرات ، وفي كل مرة ، كانت الشروط افضل بالنسبة للمؤلف ... وسرعان ما قوبل بحماس بالغ ، وترجم الى جميع اللغات الاوربية . وطول اربعين عاما من العمل المتواصل ، اتم « فيرن » مؤلفاته التي كانت اساسا للرواية العلمية الحديثة التي ظلت ، منذ ذلك الحين ، تشغل خيال اولئك الذين يميلون بطبعهم الى تجاوز حدود عالمنا هذا . ولاشك ان اسماء روايات « فيرن » ماثلة في الاذهان : « صحراء الثلج »، « رحلة الى جوف الارض »، « من الارض الى القمر »، « حول القمر »، « اولاد الكابتن جرانت »، « عشرين الف فرسخ تحت الماء ».

ولعل كتابه « حول العالم في ثمانين يوما » اشهر مؤلفاته . نشر هذا الكتاب مسلسلا في جريدة كانت تصدر آنذاك . فازداد توزيعها زيادة مذهلة ، وكان المراسلون الامريكيون يرسلون البرقيات الى نيويورك متحدثين فيها عن آخر احداث الرواية .. ولقد عاد هذا الكتاب بالاضافة الى رواية « ميشيل ستروجوف » على المؤلف بثروة عظيمة مكنته من شراء يخت ثالث قام فيه برحلات كثيرة الى ان جرحت ساقه في حادث عام ١٨٨٦ فاستقر في « اميان » مدينة زوجته.

وواصل كتابة « الجزيرة الغامضة » و « ابو الهول والثلوج » ، و « امام العلم » الخ ...

ظل « ج . فيرن » في طي النسيان فترة غير قصيرة ، ثم اخذ يستعيد مكانته الحقيقية ، وعاد الى ما كان عليه دائما ، مهما قال النقاد : كاتب البالغين والاطفال سواء بسواء .

وجدير بالذكر أن « فيرن » من الكتاب الفرنسيين النادرين الذين ترجمت مؤلفاتهم في العالم اجمع . ولقد اثر على عصره لدرجة أن البعض سماه « عصر ج . فيرن » .. ولقد ذهب احد النقاد الى حد القول ان قصيدة رامبو الشهيرة « المركب السكرى » ليست سوى نقل جزئي غامض عن رواية « عشرين الف فرسخ تحت الماء » . ففي الرواية ذكر مثلا البيت الشهير الذي يقول فيه الشاعر : « ورأيت احيانا ما ظن الانسان انه رآه » ، اربع مرات ، لكن بشكل مختلف .

وروايات « ج . فيرن » كلها روايات مغامرات نشر اولها « خمسة اسابيع في منطاد » عام ١٨٦٣ ، يقوم دكتور صمويل الرحالة الذي لا يكل ، والصحفي الذي يترقب المغامرات دائما برحلة جوية في منطاد سماه « فيكتوريا » ، ونقله حسب التصميمات التي وضعها له ، يصحبه في المغامرة التي يقوم بها نيد كينيدي وخادمه جو . على المنطاد ان يطير فوق افريقيا الشرقية، من زنزبار الى منابع النيل، لكي يربط بين اكتشافات برتون وسبيك واكتشافات بارث .

وتتخلل الرحلة مجموعة من المغامرات ، منها ، على سبيل المثال، مغامرة فريدة تنقذ المجموعة خلالها مبشرا كانت تقتله احدى القبائل . ويضطر الرحالة الى الهبوط على الارض ، ويبحثون عن الماء ، ويتعرضون لاقسى الوان العذاب ،

الأحـــلام فى الأدب الفـــرنسى



دى نيرفال

بدرجة ان كنيدى يكاد يفقد الصواب وينتحر ، وفى النهاية ، يصلون الى واحة يجدون فيها الصيد والماء . وبينما هم يحلقون فوق بحيـــــرة فيكتوريا ، يفقد المنطاد كمية من الغاز لم يتوقعوها لكنهم يواجهون الخطر بشجاعة ، فيفصلون الســـلة عن المنطاد ، ويتعلقون بالغطاء . وكاد يكون موتهم حتميـــا ، لولا ان بعض الجنـــود الفرنســيين هبوا لانقـــاذهم بالزوارق . ويعود الرحالة الثلاثة الى انجلترا ، بعد ان بلغوا الغاية من رحلتهم ، ويســـــتقبلهم مواطنوهم بالحماس والفرح .

تكمن اهمية هــــذا الكتاب فى الاكتشافات الافريقيـــة الجريئة التى قام بها انذاك الرحالة الفرنسيون ، والطليان ، والانجليز ، والالمان ، وهى اكتشافات تشبه تماما تلك التى سعى اليها بطل هذه الرواية . يضاف الى هذه الاهمية حماس « ج . فيرن » الذى تخيل غزو الانسان للفضـاء ، وقيامه بنوع جديد من الاكتشافات وهكذا تنبأ « ج . فيرن » بالطـــائرة ولو انه عاش حتى اليـــوم ، لرأى طائرات الجامبو تحلق فى السماء مدنا متنقلة ، ولرأى الطائرة تستعمل ايضا كأداة للعدوان ، والعنـــف ، والجريمة ..

ثم كانت « رحلة الى جـــــوف الارض » (١٨٦٤) التى تبـــــدأ احداثها فى منزل هادىء يقع فى حى هامبورج القديم ، حيث يعيش اكسيل الذى يساعد عمه الاستاذ لندبروك فى اعماله . والعم عالم فى الجيولوجيا وعلم المعادن . لكن الامور تتقلـــب فجأة عندما يكتشف الاثنان قطعة من مخطوط قديم كتب عليها بعض الرموز ويقول فيها ارن ســـــكنوسم ، عالم الكيمياء الايســـلندى الذى عاش فى القرن السادس عشر ، انه نفـذ الى جوف الارض ، من احدى فتحات فوهة بركان سنيفلز الخامد فى ايسلندا . ولم يضيع الاستاذ العالم وقتا ، واعد فى الحـــــال حملة قادها . بعد ذلك بشهر واحد ، نزل العم وابن اخيـــه فى اعماق الارض ، يصــــــحبهما مرشد ايســـــلندى يتميز بالهدوء بل بالبرود ، على عكس سيده الثائر دائمـــا ... وتتخلل الرحلة احداث مثيرة : ضـــلال اكسيل ، العطش ، عبـــــور بحر ارضى تضيئه ظـــاهرة كهربية مجهولة ، وتنمو على شاطئه نباتات عملاقة ترجع الى عهد ما قبل التاريخ ... كما يشهد المستكشفون معركة مميتة بين حيوانين ينتميـــان الى العصر الحجرى . وهناك ايضا العاصفة ، والغرق ، واكتشاف انسان العصر الحجرى ، ولقاء كائن حى لا هو بالانســـــان ولا هو بالقرد ، يرعى قطيعا هائلا من الحيوانات المندثرة ..

ويعثر الرحالة على خنجر يعلـــوه الصدأ ، وعلى حجـــــر حفرت عليه بعض الحروف . ويتضـــــح لهم ان الخنجر والحروف يدلان على الطريق لكن هذا الاخير انسد نتيجة لهزة ارضية . وعندما يحـــــاولون تفجير العائق ، يتسببون فى كارثة ارضية حقة . صحيح انهم يســـــيرون فى



شارل بودلير

الطريق الذى اشار اليه العالم الايسلندى لكنهم يجرون فى الرحم بحرا كاملا • وبعد سقوطهم فى هوة سحيقة ، ترفعهم المياه ، هم والطوف الذى يستقلونه ، الى نفق رأس • ثم تختفى المياه نتيجة لتبخرها ازاء حرارة المواد البركانية التى تدفعها•

ويحدث انفجار هائل يطرد المستكشفين من فوهة بركان سترمبولى النشط ، بعد أن دخلوا من فوهة ستيفلز الخامد !

تساءل النقاد والقراء : أتعد هذه الرواية أفضل روايات فيرن ؟ والرد فى الواقع متوقف على مزاج كل فرد • لكن ، مما لاشك فيه ان لهذه الرواية صفات أدبية لا تنكر • فالطريقة التى يصف بها المؤلف المناظر الخيالية الخارجة عن المألوف تتسم بالدقة والحيوية معا • والشخصيات الثلاث التى صورها من الشخصيات التى تبقى فى الذاكرة فضلا عن تماسكها من حيث الدراسة النفسية •

تلت هذه الرواية رواية أخرى «من الارض الى القمر» (١٨٦٥)، أصبحت فيما بعد جزءا من «حول القمر» التى نشرت عام ١٨٧٠ ، تتفق أحداث هذه الرواية مع نهاية الحرب الأهلية فى امريكا • نحن فى «الجان - كلوب» حيث تقرر مجموعة من رجال المدفعية الاتصال بالقمر ، عن طريق قذيفة هائلة من الالمنيوم ، يلقيها مدفع هائل طوله ٩٠٠ قدم • وتلقى القذائف فى أول ديسمبر ، فى العاشرة عشرة الا ثلاث عشرة دقيقة ، على أن تصل الى القمر فى اليوم الرابع لاطلاقها •

ويطلب الفرنسى ميشيل اردن ، الذى يبالغ فى تقدير كل شيء «الا الناس والصحاب»، يطلب من المجموعة أن يسافر فى القذيفة الى القمر • وهذا ما يفعله ، مصطحبا معه رئيس «الجان - كلوب» ، عدوه اللدود الذى تصالح معه اخيرا ، والكابتن نيكول الذى لا يعتقد أن المهمة سوف تنجح •

وتجهز القذيفة بأحدث الادوات العلمية ، وتعد بحيث تشبه عربات النوم فى القطارات ، وتلقى فى ليلة ماطرة ، فى حضرة الآف من البشر• يحيا الرجال الثلاثة حياة فائقة لطيفة لمدة اربعة ايام ، كأنهم على ظهر واحدة من عابرات المحيطات الفاخرة • ومع ذلك ، تتخلل الرحلة بعض الاحداث الخارقة للعادة : على سبيل المثال ، ارادوا أن يحتفلوا بانتقالهم من محور الارض الى محور القمر •• فأقاموا حفلة صغيرة غريبة شعر كل منهم أثناءها انه مرفوع فى الهواء ، ورأوا الاكواب والزجاجات تسبح حرة فى الفضاء داخل القذيفة • فأدركوا انهم خرجوا للتوهم من دائرة الجاذبية الارضية •

وتتلقى القذيفة على غير انتظار بجسم هائل يجعلها تخرج عن الخط الذى تسير فيه وتمس القمر ، مما يمكن المسافرين من رؤية القمر ووصفه دون أن يضطروا الى الهبوط عليه • ثم تبتعد القذيفة عن القمر ، وتعود الى الارض ، حيث تسقط فى المحيط الهادى وتطفو على سطحه • وينتشل المسافرين زورق يحمل مدير مرصد كمبريدج وسكرتير «الجان - كلوب» ، اللذين تابعا رحلة اصدقائهما فى الفضاء ، بواسطة تلسكوب ضخم وضعوه على الجبال الصخرية ••

هكذا تنبأ «ج • فيرن» بغزو

الفضاء ، وجعله خياله الخصب يتصور الآلات والمعدات التي صممها مهندسو الفضاء فيما بعد : سفن الفضاء وامكانية التحام بعضها بالبعض الآخر ، والهبوط الى القمر. الخ …

اما عن «عشرين فرسخ تحت الماء» التي نقلتها استديوهات هوليوود الى الشاشة في فيلم يتذكره الكثيرون بلا شك ، فنشرت بعد سابقتها بخمسة اعوام ، أي عام ١٨٧٠ .

❋❋❋

واخيرا ، كانت « حول العالم في ثمانين يوما » ، عام ١٨٧٣ ، يتراهن الجنتلمان الانجليزي فيلياس فوج ، مع ثلاثة من زملائه في النادي ، على القيام برحلة حول العالم في ثمانين يوما . فيصطحب معه خادمه الوفي باسبارتوه ، ويبدأ الرحلة . لكنه يتهم بسرقة بنك انجليزي ، فراقبه رجل بوليس يصر على القاء القبض عليه اثناء تجواله في الهند ، وتتاح لفوج فرصة انقاذ ارملة شابة مات زوجها المهراجا ، وكان لا بد أن تحرق حسب التقاليد الهندية .

وفي الصين ، تنتظره مغامرات اخرى . ويصر رجل البوليس على ملاحقته ، حتى بعد أن اصطحب فوج معه الارملة الشابة التي انقذ حياتها . لكنه لا يستطيع القبض عليه ، لان امر القبض تأخر في الوصول اليه نتيجة لتحركاته المستمرة ، ويصل فوج الى امريكا ، وينجو من هجوم شنه قبائل «السيو» الهندية على القطار الذي كان فيه ، والذي يربط الشاطىء الشرقي لامريكا بشاطئها الغربي . لكن عاصفة جامحة تهب ، وبالتالي لا تستطيع السفن الراسية في الميناء السفر الى اوروبا .

ولا يتردد فوج ، ازاء هذا الموقف ، في استئجار مركب لحسابه الخاص . وينفد الوقود اثناء الرحلة وتعترض هذه الاخيرة احداث اخرى . لكن رجل البوليس يقبض في النهاية على فوج بعد أن وصله الامر الخاص بذلك . وسرعان ما يطلق سراح فوج ، بعد اثبات براءته . ويظن فوج في أول الامر انه تأخر يوما عن الموعد المحدد ، وخسر الرهان بالتالي . لكنه يدرك بعد ذلك أن رحلته في اتجاه الشرق جعلته يكسب يوما ، ويكسب الرهان فيطير من الفرح ، ويطلب الزواج من الارملة الهندية التي توافق فورا .

في هذه الرواية ، يختلط العنصر الكوميدي باستمرار بالعنصر الروائي بمعنى الكلمة : مغامرات فوج ، والخطط التي يلجأ اليها لتخطي العقبات ، الخ .. ومما لا شك فيه أن اهمية هذه الرواية تكمن في التناقض الدائم بين برود البطل الانجليزي والحماس الهائل الذي يبديه للتغلب على الزمان والمكان ..

هكذا حلم « ج . فيرن » بالتقدم العلمي ، كما حلم غيره بالحب ، ومستقبل افضل للانسان ، والادب ، مهما كان واقعيا ، لا يمكنه أن يغفل الحلم ، والا اغفل احدى مقوماته الاساسية ، والركيزة التي يعتمد عليها نشاط الانساني الابداعي ، أنا كان …

عن الأحلام فى الأدب الإنجليزى

● نبيل راغب ●



اتخذ الأدب الإنجليزى – شأنه فى ذلك شأن معظم الآداب العالمية – من الأحلام مادة غزيرة لكتابة العديد من القصائد والروايات والمسرحيات ... وكان جيوفرى تشوسر « الملقب بأبى الأدب الإنجليزى – أول من ربط بين الحلم

الذرى والرؤية الدينية بحكم ارتباط الأدب بالدين منذ العصور الوسطى. بل وترجم معظم أعمال الأدب اللاتينى « ماكروبيوس » الذى عاش فى القرن الرابع الميلادى ، وهى أعمال تعتمد أساسا على الرؤى الدينية مثل « أسطورة الزهرة » و « منزل الشهرة » و « حلم الدوقة » و « أسطورة النسوة الطيبات »

و « مجلس الأقرار » و« الجلاند ». كما ألف « تشوسر » بنفسه قصيدة روائية طويلة بعنوان « رؤيا فلاح الحراث » ...

وهذه الأعمال الشعرية والروائية فى نفس الوقت تجسد الحلم الذى يمر به البطل على أنه الطريق الذى يشقه لكى يبلغ مرحلة الخلاص والغفران . وهذه الفكرة رسخت فى الأدب الإنجليزى بعد « تشوسر » لدرجة أنها تحولت الى اتجاه أدبى معترف به بصرف النظر عن الأغراض الدينية التى قصد بها

بعد « تشوسر » يأتى الشاعر الإنجليزى « ادموند سبنسر » لكى يكتب قصيدة روائية باسم « دافيداء » وفيها تتحرك الشخصيات كالطيف



هـ . ج . ويلز

عن الأحلام في الأدب الإنجليزي

الحلم وترتفع بنا الى آفاق نورانيـة لا تمت الى عالمنا المادى بصلة .

واستـــمر هذا الاتجاه فى الادب الانجليزى حتى بلغ قمـــة أخرى له تمثلت فى قصيدة لورد « تينيسون » المعروفة باسم « حلم النسوة الفاتنات» وفيها يتخذ من مادة الحلم مضمونا اثيريا يستغرق القارىء فى عوالم أخرى لها قوانينها وحياتها الخاصة بها . ولكن « تنيســون» لم يستخدم الحلم كمجرد سياحة فى عالم خيالى ولكنه يوظفه هذه المرة لالقـــاء ضوء جديد على العالم الواقعى الذى يعيش فيه .

فى الرواية الانجليزية

عندما بدأت الرواية الانجليزية فى التبلور كشكل أدبى متعارف عليه ، تسللت اليها الاحلام . وسرعان مااتخذ منها الروائيون دافعا يكمن وراء سلوك ابطالهم مثلما فعل « دانيال ديفو » مع «روبنسون كروزو» . بل ان بعض الروايات تحول الى حلم طويل مثل رواية « أليس فى بلاد العجائب » للويس كارول ... ولـكن لم يقتصر دور الاحلام فى الادب على خلق عالم خيالى مثالى للهروب من أدران هذا العـالم . ولكنها توغلت فى ميدان النقد الاجتمـاعى عن طريق المقارنة بين عـــالمنا كما نحيـــــاه ، وبين عالـــم المســـتقبل كما يجب أن نحياه .ولذلك ارتبط مفهوم الاحلام باتجاه هروبى وآخر بناء ...

فالاتجاه الهروبى يجنح الى الخيال المسرف ، ويخلق عـــالما كله اوهام جميلة وبشر يقتربون فى صفاتهم من الملائكة ، والكاتب لا يهتم الا باثارة خيال القارىء ومنحه فرصة جميلة لكى يقضى وقتا رائعا يهرب فيه من وطأة الواقع الجاثم على كاهله ، ولا يهم انه سيعود الى هذا الواقع ان عاجلا او آجلا ، ولكن المهم انه تمكن من منحه بعض السويعات لكى يريح اعصابه المنهكة . فالرواية فى هذه الحالة حلم جميل لا بد وأن يستيقظ منه القارىء فى النهاية .

وقد اختلف النقاد وعلماء النفس فى أثر هذا الحلم على نفسية القارىء فبعضهم قال ان القارىء ينتهى من قراءة مثل هذه الرواية وهو أشـد اقبالا على الحياة ومواجهة للصعاب كنتيجة للراحة النفسية التى مرت بها اعصابه ، ويتخذون من رواية « رحلة الحاج » للروائى الانجليزى « جون بانيان » نموذجا لهذا الاتجاه بكل ما يحمله من تسابيح صوفية وابتهالات روحية ورؤى وتطلعات نورانية .

ويقول البعض الاخر من النقـــاد وعلماء النفس أن العكس هو الذى يحدث تماما ، لان القـــارىء بعد ان يضع الرواية جانبا يرى الدنيا أشـد قتامة بالمقارنة بالعالم الوردى الذى كان يعيشه مع أبطال القصة . ولذلك فان نقمته على أحوال الدنيا تشتد ، وربما زاد سخطه ورفضه الى حدود لا يعلم مداها الا الله ...

ولكن يبدو أن الاثر الذى تحدثه الرواية يختلف من قارىء الى آخـر نظرا لان نفسيات القـــراء تختلف اختلاف بصمات الاصابع ولا يمـكن تصنيفها بهذا الصف تحت بنـــود ثابتة .

ومن أشهر الروايات التى تتخذ من الاحلام مادتهارواية « الجنس البشرى



شيكسبير

القائم من المستقبل للروائي الانجليزي « بالوارليتون » ، ورواية « النظر الى الخلف » للامريكي « ادوارد بيلامي » وفيها يقفز البطل من عام ١٨٨٧ الى عام ٢٠٠٠ ، اذ يستيقظ ذلك الشاب من بوسطون ذات صباح فيجد نفسه فى عالم مثالى لا يمت الى عالمنا هذا بصلة · والرواية كلها سرد لهذا العالم الوردى الجميل ··

ولم يكن « بيلامي » اول من تزعم هذا الاتجاه فى الادب الامريكي بل سبقه الى هذا « هوثورن » · ولكن « هوثورن » كان يميل الى الاصلاح الاجتماعى والوعظ الاخلاقى اكثر من اهتمامه بالحلم كمادة قابلة للتشكيل الفنى

واستمرت الاحلام كمضمون روائى حتى القرن العشرين ، ولكن تنوعت وظائفها ومفاهيمها وخاصة بعد اكتشافات علم النفس التى فتحت لها طاقات واسعة بصدور كتاب « تفسير الاحلام » لفرويد ··

ولم تقتصر الرواية الانجليزية على الاحلام الوردية السعيدة بل تناولت ايضا الكوابيس المخيفة الزاخرة بالاشباح والمخلوقات القادمة من عالم جهنمى ، والعناصر السيكولوجية التى تنهض عليها رواية الكابوس هى الدم والليل والظـلام والصرخات المكتومة والمقابر الموحشة والارواح الشريرة التى تمس باذاها فى الحياة اليومية للناس لاقلاق راحتهم وحياتهم وتحويلها الى جحيم مقيم ··

ويقول النقاد ان هذه الروايات لا ترضى الا نوى الخيال الطفولى الذين يحسون فعلا بكل مخاوف الشخصيات التى تصارع من اجل الهروب من قبضة العدم المتمثل فى الارواح الشريرة ، اما الذين يملكون من النضج العقلى قدرا كافيا فانهم يأخذون هذه الروايات على محمل الفكاهة او التسلية او تزجية وقت الفراغ ·

ومن الروائيين الذين اشتهروا بهذا المفهوم الكابوسى مسز « شيللى » زوجة الشاعر الانجليزى المشهور – التى ابتكرت شخصية « فرانكنشتين » العالم المرعب الذى اخترع شخصية خرافية مدمرة لكى يحقق بها اغراضه الشريرة فى هذا العالم ·

ولهذه الروايات على القارىء مجرد تأثير سطحى يتمثل فى الخوف المؤقت ، لان القارىء لا يمكن ان يتعامل مع شخصية مثل هذه لا تنتمى الى عالمه بصلة ، بل قادمة من عالم الكوابيس لكى تبث الرعب والاحساس بالموت والتحلل · ولذلك لم تدخل روايات الرعب التراث العالمى للادب لان هدفها لم يتعد مجرد الاثارة المصطنعة والتسلية الرخيصة التى تقتل الوقت ·

الدراما الانجليزية

لعل شاعر الانجليز الاكبر شكسبير كان من الكتاب المسرحيين الذين استخدموا الاحلام فى تلقائية باهرة وعفوية خصبة لكى يثبت ان الكون

كله وحدة واحـــــدة مهمـــا احتوى في داخـــله على الصراعات والتناقضات ، لدرجة انه احال احدى

مسرحياته الى حلم قـــائم بذاته وهى مسرحية « حلم منتصف ليلة صيف » وقد لا يكون شكسبير واعيا بقواعد

علم النفس ومقاييسه الا انه اتبـــع نفس تكنيك الحلم بكل ما يحمله من جو اثيرى واطياف سارية . ولعـــل

حديث بوتوم في المسرحية يوضح لنا الاستخدامات الفنية للحلم في مسرح شكسبير بصفة عامة .

يقول « بوتوم » في المنظر الاول من الفصل الرابع :

« لقد حلمت حلمـــا يفوق كل ما

تعارف عليه البشر من احلام . ولذلك لا يمكن أن نطلق عليه الا اصطلاح « حلم بوتوم » فهو فريد في نوعه لانه ليس له نهاية ولا قاع . وسأتغنى به في نهاية المسرحية امام الدوق » .

وقد وجد شكسبير في الحـــلم امكانيات خصبة للايحاء بدلالات قد

يصعب على الموقف الواقعى الايحـــاء بها . ففي مسرحية « العاصفة » يقول « كاليبان » في المنظر الثـــانى من الفصل الثالث :

« عندما استغرقنى الحـــلم ... انداحت السحب وتفتحت السماء عن كنوز متلالئة .

على وشك أن تتساقط فوقى ، عندئذ استيقظت وتمنيت مرة الاخـــرى أن يستغرقنى الحلم ... »

ويرى شكسبير في الحلم معـــادلا موضوعيا للحياة نفسها ، يقـــول « بروسبيرو » في مسرحية «العاصفة» انه اذا كان الحلم يبدأ بعد النـــوم وينتهى قبله ، كذلك الحياة تبدأ بعد

العـــدم وتنتهى قبـــله . فالحلم لا يقتصر عند شكسبير على نواحى الحياة المشرقة بل يتوغل ايضـــا في

عالم الكوابيس وخاصة في مآسيه من امثال « يوليوس قيصر » و « هنرى الرابع » و « ريتشـــارد الثـــالث » و « روميو وجولييت » و « ماكبث » و « هاملت » و « عطيل » .

وغالبـــا ماكان الحلم تعبيرا عن قمة المأساة التى يصل اليها البطل كنوع من التنفيس عن البركان الذى اوشك أن ينفجر لكى يقضى عليـــه قضاء مبرما في نهاية المسرحية .

ولم يحدث أن انتج الادب الانجليزى بعد شكسبير كاتبا استخدم الاحـــلام بهذا التنويع مثـــله ، ومع اكتشافات

علم النفس في بدايات القرن العشرين حاول بعض كتاب المسرح ولوج عالم اللاوعى الذى يخضع لهواجس العقل

الباطن . ولذلك كانت الاحلام اقـــرب الى كوابيس وهلوسة الفيبوبة منهـــا الى العالم المثـــالى الرومانسى الذى جسده شكسبير في احلام شخصياته وهواجسها ، كما نرى في مسرحيـــة

ج . م . بارى « قبلة لسندريلا » عـــام ١٩١٦ ومسرحية كوفمـــان وكونللى « شحاذ على ظهر حصان » عام ١٩٢٤ ..

اما في مسرحية «الزيارة المدهشة» التى كتبها هـ . ج ويلز بالاشتراك مع سالت جون اريفـــن عام ١٩٢١ ، فتبدأ وتختم بالحلم كنوع من الانطلاق

عن الأحلام في الأدب الإنجليزي

من العالم المادى المحدود الى آفاق عالم ما وراء الطبيعة او ما فوق الطبيعة . ولكن الحلم - فى امثال هذه المسرحيات - غالبا ما يكون مقحما لان المؤلف يستخدمه لاغراض نفسية اكثر منها اهدافا فنية .

واذا كان الشعراء والادباء الرومانسيون فى انجلترا اتخذوا من الحلم مضمونا اساسيا للكثير من قصائدهم فذلك لانهم وجدوا فى الاحلام عالما رحبا يحقق فيه الانسان وجوده سواء بالثورة او بالهروب . وعلى سبيل المثال نجد الشاعر الانجليزى الرومانسى الكبير « كولردج » قد كتب قصيدة « قوبلا خان » بعد ان نام فى ظهيرة يوم من الايام وحلم بكل تفاصيلها التى دارت فى بلاد الفرس التى لم يحدث ان زارها بالفعل من قبل ... اى انه اعتبر الحلم عملا ادبيا قائما بذاته ليس فى حاجة الا ان يسجل دون تشكيل او صياغة جديدة

ولكن هذا الاتجاه هوجم اشد الهجوم وخاصة من الشعراء الرمزيين فقد قال الشاعر الفرنسى « مالارميه » ان اى شاعر ناضج يتحتم عليه ان يطرد الاحلام من حديقته حتى يستطيع القراء ان يلمسوا الاشياء بانفسهم .

وفى هذا القرن هاجم الفيلسوف الانجليزى « روجرفراى » استخدام الاحلام فى الادب ، واعلن ان الحلم بتشويشه وتشويهه مضاد لكل قيم التشكيل الجمالى والتناسق الفنى .

ومع ذلك لم يندثر الاتجاه الرومانسى الذى اهتم بالاحلام كمضمون اساسى للاعمال الادبية بل عاد الى الظهور بقوة فى اعقاب الحرب العالمية الاولى على شكل المدرسة السيريالية . فقد ادرك الناس ان العقل العملى والواقعى لم ينقذ البشرية من اهوال حرب احترقت العالم كله فى اتونها . ولا بأس من العودة مرة اخرى الى عالم الخيال اللاوعى والشطحات الحالمة . ولذلك تهدف الى تمزيق الحدود المألوفة للواقع المعروف والملموس عن طريق ادخال علاقات جديدة ومضامين غير مستقاة من الواقع التقليدى فى الاعمال الادبية . وهذه المضامين تستمد من الاحلام سواء فى اليقظة او فى المنام ، ومن تداعى الخواطر الذى لا يخضع لمنطق السبب والنتيجة ، ومن هواجس عالم الوعى واللاوعى على السواء ، بحيث تتجسد هذه الاحلام والخواطر والهواجس المجردة فى اعمال ادبية يرى القارىء ما يدور داخل عالمه الخاص بحيث تتحول الى تجربة جمالية ممتعة تعيد الى نفسه المشوشة الاحساس بالتوافق مع العالم الخارجى والتناغم مع البيئة المحيطة عن طريق الفهم والوعى العميق .

هكذا تتحول الاحلام الى احدى المضامين التى يستقى منها الاديب مادته . ومهما اغرق الاديب نفسه فى الاغراب والابهام ، فانه لا يزال يستلهم الواقع او يعيد تركيب جزئياته مرة اخرى فى اعماله . وهذا يؤكد بدوره وحدة هذا الكون برغم التناقضات الظاهرة بين الواقع والخيال ، بين الحقيقة والحلم ، بين الوعى واللاوعى . فالنتيجة النهائية فى الادب واحدة : وهى خلق العمل الادبى المتناسق الجميل الذى يبلور وحدة الكون من خلال الوحدة العضوية بين خلاياه التى قد تبدو متصارعة ومتناقضة لاول وهلة .

د. سوزان
اسكندر

الأحلام في شعر دانتي

يتخذ بعض الادباء من الاحلام وسيلة لتصوير عالم خيالي يريدون نقله الى القارىء ، او يلجأون من خلالها الى تصوير حقيقة يخشون الخوض فيهما صراحة .. ومؤلفات الكتاب والشعراء الايطاليين - وخاصة كتاب العصور الوسطى - تزخر بالاحلام التي يختلط مفهومها عندهم بمفهوم الرؤى التي طالما تحدثت عنها الاديان ووصفتها بانها هبة من الله لمختاريه من البشر يرون خلالها بالروح او بالعيان اشياء لا يراها سواهم ، وتتبئهم باحداث وامور مستقبلة ..

لعبت الاحلام دورا هاما في حياة الناس في العصور الوسطى باوربا لما اتسمت به هذه العصور من تخلف وانحطاط الفكر والعلوم والمعارف مما ادى الى ان التعاليم الدينية ذاتها ، كانت تقدم أحيانا على اساس تفسيرات خاطئة لبعض النصوص، وكان لهذا اثره في اشاعة جو من الخوف والرعب من الحياة الاخرة ... وهكذا كثرت الاحلام التي نقلت ابطالها الى العالم الاخر بعقابه وعذابه ..

كان دانتي اليجيري ١٢٦٥ - ١٣٢١ وهو ممن مهدوا للنهضة الايطالية - قد تاثر هو الأخر بهذه النظرة . فقد نشأ وتربى على افكار وتعاليم العصور



دانتي : رائد في الاحلام
كمعلم وفيلسوف ..

الوسطى ، وان كان قد خرج عن جمودها وتجاوزها . والكوميديا الالهية ذاتها هي في واقعها تسجيل لرؤيا استغرقت رحلتها سبعة ايام وتخللها العديد من الرؤى والاحلام .

ولا يفوتنا أن نذكر بهدف الادب في ذلك الحين ، فقد كان الاديب لا يهتم بتحقيق هدف فني فقط ، بل كان هدفه فنيا تعليميا ، وكان يقوم بدور المعلم لقرائه من أبناء عصره .. وعلى هذا فكثيرا ما كان الادباء يفضلون الكناية والرمز في كتاباتهم .

سجل دانتي بالشعر رحلته التي قام بها للعالم الآخر بممالكه الثلاث وهي الجحيم ، والمطهر ، والجنة – في « الكوميديا الالهية » . ويقوم دانتي بهذه الرحلة تحت قيادة فرجيليوس – الشاعر اللاتيني المشهور (وهو يرمز للعقل) ، ثم بياتريش (وهي ترمز لعلم اللاهوت) ثم القديس برنارد (ويرمز للتأمل).

ويحتوي هذا الديوان الشعري العظيم على معنى رمزي هام ، فرحلة دانتي ترمز الى رحلة الانسان وهو يسعى للتخلص من شروره والتكفير عنها، حتى يصل الى النعيم الحقيقي بعد مماته .

واذا ماتجولنا مع دانتي في ممالك « الكوميديا » الثلاث التي يبدؤها بالجحيم ، فاننا نلتقي بشخصيات عديدة تلقى مصيرها المحتوم وتتعذب عقابا لما اقترفته من آثام – دون أن يكون لها أي أمل في الخلاص .

أما في « المطهر » فنلتقي بنفوس الذين يتطهرون من ذنوبهم ، ويكفرون عنها حتى يوفوا مدة تطهرهم فينتقلون الى الجنة ...

واثناء رحلة دانتي في المطهر يشاهد أحلاما لها ظروفها وأحداثها



وأمدالها شكلا أو مكسوما ...

يروى لنا دانتى أول أحلامه أثناء رحلته فى « المطهر » فى المقطوعة التاسعة :

« غلبنى النعاس، فانثنيت على العشب
حيث كنا نجلس خمستنا .

وفى الساعة التى يبعث الطير فيها بشكواه الحزينة قبيل الصباح ،
وكأنه يتذكر الامه القديمة ،

وحين يسيح عقلنا متجولا ،
متحررا من قيد الجسد ومتصرفا عن الافكار ،
فتسيطر عليه الرؤى فيكشف الغيب او يكاد ،
بدا لى ان رأيت فى حلمى

عقابا محلقا بالسماء بأرياش من ذهب

ناشرا جناحيه ومتأهبا للهبوط ،

.....

.....

ثم تراءى لى وقد دار قليلا ،
ثم انقض كالبرق الرهيب

واختطفنى الى اعلى فبلغنا النار .
وهناك ، خيل لى انى أحترق معه ،

شد ما الهبنى ذلك الحريق
فلم يكن بد من ان ينقطع نومى ».

❋❋❋

يصحو دانتى من نومة مذعورا ، شاحب الوجه ، بارد الاطراف ، الا انه وجد الى جانبه من يهدىء من روعه ، بينما كانت الشمس قد ارتفعت فى افق السماء منذ اكثر من ساعتين..

« لا تخف »... هكذا! بدأ استاذه فرجيليوس يطمئنه ويشجعه، فقد وصل كلاهما الى نقطة طيبة فى رحلتهما ، فقد انتهيا من « جهنم » وبلغا باب المطهر . ها هو فرجيليوس يشرح لدانتى كيف وصل الى هذه النقطة .

« منذ قليل ، عند الفجر ، قبيل النهار
حينما انست روحك للنوم
فوق الازهار التى تزين المكان .
قدمت امرأة وقالت : انا لوتشيا :

دعونى اخذ هذا النائم !
فايسر له طريقه ».
وما ان وضح النهار ، حملتك
وجـــاءت بك الى أعلى ، واقتفيت انا اثرها .
وهنا وضعتك ، بعد ان ارشدتنى
عيناها الجميلتان الى هذا المدخـــل المفتوح
ثم مضت هى ومعها نومك ».

***

من الواضح ان ما رآه دانتى فى الحلم ورواه فى ابيات الشعر الاولى كان تجســـيداً لما احسه حين نقلته لوتشيا من اســـفل الى اعلى ، حتى وصل الى باب « المطهر » ...

وقد اجمع الشـــارحون والمفسرون لاشـــعار دانتى على ان « العقاب » و « لوتشيا » يمثلان مدلولا واحـــداوهو « النعمة » الالهية ، التى تتكفل الانسان لتعلو به فى آفاق المثـــل والروحيات ...

ويجنح البعض الى التمســـك بأن « لوتشيا » حسب مسماها بالايطالية يعنى « نعمة النور » اى نعمة معرفـــة ما هو صالح للانسان كيما يخلص من خطاياه. واغلب الظن ان هذا التفسير صـــحيح الا ان « المطهر » هو المكان الذى يمكن ان ينتفـــع « دانتى » او « الانسان » عموما من دروســـه التى تقدمها شخصياته ، او بتعبير اصـــح ارواح الموتى الموجـــودة به ، الا ان جميعهم يوجدون الى حين، وعلى رجاء الوصول ــ يومـــا ما ــ الى النعيم فعلى خلاف الجـــو السائد فى الجحيم،نجد ان المطهر بطبيعة مكانه ومعنـــاه هو مكان الامل. وان كان من يوجدون به قد اخطأوا الا انهم يشـــعرون ويكفـــرون عنها ، مقدمين « لدانتى » امثلة على ذلك .

اما اختيار دانتى « للعقاب » بالذات فذلك لان العقاب هو اسرع الطيـــور واقواها واعظمها قدرة على الطيـــران الى أعلى ، هذا الى جانب انه عقـــاب فريـــد من نوعه فريشه من ذهب ...

اما عن منطقة النار التى تحدث عنها فى الابيات التى اقتطفنـــاها فهى تعنى ــ حسب مفهوم دانتى ومفهـــوم عصره ومنطقه ــ النـــار التى تحيط بالارض بين منطقة الهواء وســـماء القمر . وكما نقل « العقـــاب » دانتى الى منطقة النار نقلته « لوتشيا » الى باب المطهر .

واما اللهب الذى احس به فى الحلم فانه يصور مشاعر دانتى تجاه العالم الالهى والامـــاكن الروحية التى تلهب اليه بالحب ، كما وانه يمكن اعتباره انعكاسا لاحساس حقيقى ، فقد كانت الشمس قد علت السماء وعست اشعتها المنبعثة عينى دانتى حتى ايقظتـــه من نومه .

بهذا الحلم وجـــد دانتى اطارا فنيا اراد ان يحمّـــل قراءه من خلاله



الى عالمه الخيالى الرمزى . فبعد أن يفيق دانتى من حلمه هذا يستطرد فى سرده فيحكى لنا كيف تقدم ليدخل « المطهر » واذا بالملاك الواقف على مدخله حاملا سيفه البراق يخط على جبهة دانتى سبع علامات ترمز الى الخطايا السبع الرئيسية — وقد خصص لها سبعة اماكن فى المطهر — ويقول له : « اعمل على غسل هذه الجروح وأنت بالداخل ».

والمقصود « بالجروح » الخطايا التى يجب على دانتى — وهو يرمز الى الانسانية — ان يغتسل او يتطهر منها قبل ان تصل الى الجنة الارضية، وهى أعلى مكان على جبل «المطهر».

❀❀❀

وفى المقطوعة التاسعة عشرة من « المطهر » وهى اول مقطوعة فيه تتناول البخلاء والمسرفين ، يرى دانتى حلما عجيبا مليئا بالرموز . ففى نهاية الحلمة عشرة كان التعب قد اخذ من دانتى كل مأخذ فخلد الى النوم ، وقبل الفجر بقليل يرى دانتى حلما ثانيا ، ويود ان يهيىء لحلمه هذا جوا سحريا فيتحدث عن الابراج والرمالين ، ويحدد الوقت الذى رأى فيه حلمه فيقول :

« فى الساعة التى لا تقوى فيها حرارة النهار
على اشاعة الدفء فى برودة القمر ،
وقد غلبتها برودة الارض ، وزحل احيانا ،

وحين يرى الرمالين نجوم الحظ الاكبر
طالعة فى الشرق ، قبيل الفجر ،
فى مسراها وقد خف ظلامه ،
تراءت لى فى الحلم انثى متلعثمة اللسان ».

فهو يحدد ساعة الفجر موعداً لحلمه . ويستعين فى ذلك بالرمالين الذين يرون فى تلك الساعة نجوم الحظ الاكبر التى تتكون — حسب اعتقاد البعض — من نجوم برجى الدلو والحوت ..

وبداية المقطوعة بهذا الشكل ومحاولة تحديد الزمان — كما يفعل دانتى فى مقطوعات اخرى ايضا — انما يدل على ان ثمة شيئا هاما على وشك أن يقوله ، وان حلما رمزيا يأخذ طريقه الى القارى .

« تراءت لى فى الحلم انثى متلعثمة اللسان ،

فى عينيها حول ، وفوق قدميها ملتوية،

يداها مبتورتان ، ولونها شاحب ».

هكذا يصف دانتى الانثى التى يراها فى حلمه ، يصفها بصفات لها مغزاها وتفسيرها ، وكأن دانتى يسترجع امرأة سفر الامثال (الاصحاح السابع

عدد ١٠ ـ ١٢) . فهى لمرأة شوهت الخطيئة هيئتها ، فالبخل وشـهوة الجسد حطما جسـدها وتركاها فى حالـة يرثى لها ، وكان دانتى يقول بهذا أن من يبتعد عن الطريق القويم ويسلك طريق الخطيئة فسوف يكون مآله لعثمة اللسان ، واعوجاج المسلك وسوء الاعمال ..

ورغم قبح الانثى وما يثيره منظرها فى نفس من يشـاهدها الا أن دانتى يصوب نظراته اليها فيكون لنظـرته وقع السحر عليها فتتبدل هيئتها ويراها دانتى وقد انطلق لسانها واسـتقام عودها واكتسى وجهها باللون الوردى الذى يوقظ الحب فى النفوس :

« اخذت ارمقها ، وكشـمس تبعث دفئها
فى أطراف اثقلها برد الليل ،

هكذا جعلت نظرتى منطلقا
لسانها ، ثم معتدلا قوامها
فى وقت قصير ، ووجهها الشاحب

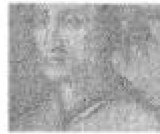
بلون الحب اكتسى ».

وتبدل حال هذه الانثى بهذا الشكل له دلالته الكبيرة ، وذلك ان النظـرة الشـهوانية تحول كل قبيح الى جميل وكل مكروه الى محبوب ، ويدلنا هذا على أن دانتى لـم يتخلص بعد من رباطات الجسد ، فهو مازال مرتبطـا ـ وهو فى المطهر ـ بشهوة الجسـد وبالرذائـل التى تمثلها تلك الانثى من بخل وجشع وشهوة جسدية .

وبعد أن يتبدل حال الانثى وينطلق لسـانها لا تكتفى بأن تقول له اطيب الكلام ولكنها تبدأ فى الغنـاء ، وكأنها تعلم قوته السحرية على روح دانتى التى طالما اخذت بالغناء .



نظرة دانتى الى بياتريس



« وبعد ان حلت عقدة لسانها على هذا النحو

بدأت تغنى ، حتى انه كان عســــيرا على
ان اجول عنها انتباهى ·

اخذت تشدو « انا ، انا عروس البحر الفاتنة ،
اسحر الملاحين فى عرض البحر

والعم باللـــذة التى ابعثهـــا فيمن يسمعنى ·

اجتذبت اوليسيس من طريقه ،
بغنائى ، فكل من يحايشنى

يندر ارتحـــاله عنى ، اذ ارضى كافة رغباته »·

تأخــذ تلك الانثى فى الغنــاء وتقول انها عروس البحـــر وتتغنى بمقدرتها على الرجال – وأى رجال! – فهى التى استطاعت أن تبعد اوليسيس العظيم عن رحلته فى البحـر ، وهنا يقع دانتى فى الخطأ ، اذ ان الساحرة « تشـــيرتش » هى التى اجتذبت اوليسيس كما ورد فى الاوديسه ، أو ربما اعتقد دانتى أن « تشـــيرتش » الساحره كانت مجموعة عرائس بحر، فربط بينها وبين الانثى التى ظهرت له فى حلمه ·

وما كانت الانثى تغلق فمها حتى رأى دانتى امرأة قديسة متحفزة لتدخل الاضـــطراب فى نفس تلك الانثى المخادعة · ولا تتمهل القديســـة ، بل تسارع الى نداء فرجيليـــوس معاتبة اياه لعدم تدخله لتخليص تلميذه دانتى من الاعجاب بتلك الانثى ·

ولقد ثار الجدل بين النقاد حول شخصية تلك القديسة : أهى لوتشـــيا أم بياتريش ، أم هى الفضـــيلة أم الفلسفة أم العقل ، ونحن نستبعد أن تكون رمزا للعقل لان فرجيليوس يرمز اليه وانما نرى انها قد تكون بياتريش



فرجيليو ودانتى

وذلك للهفتها على خلاص دانتي من شهوة الجسد ، ولسرعتها في انقاذه من مفاتن تلك الانثى ومن رباطات الجسد ، ولسرعتها في انقاذه من اجل أن يقوم دانتي برحلته هذه الى العالم الاخر .

وما أن يسمع فرجيليوس نداء تلك القديسة حتى يثبت نظره عليها كما لو كان يستمد منها العون والقوة ، ويمسك بالانثى المخادعة ويشق ملابسها من الامام فتتعرى بطنها امام دانتي وتفوح منها رائحة نتنة تزكم الانوف .. وهكذا نجد أن فرجيليوس كشف لدانتي بمعونة القديسة حقيقة تلك الانثى بخطاياها النتنة ، فهي ذات منظر جميل ولكنها من الداخل قبر نتن ، وهي صنع برن ولكنها خاوية لا تعطي ثمرا جيدا ، وما أن يشم دانتي هذه الرائحة الكريهة حتى يصحو من غفوته ، وينتهي حلمه ليواصل مسيرته مع فرجيليوس في المطهر .

❁❁❁

وحلم ثالث يرويه لنا دانتي في المقطوعة السابعة والعشرين من المطهر وهو حلم رمزي كسالفيه . واذا ماكنا نجد هذه الاحلام الاساسية الثلاثة في المطهر ، فان احلاما ورؤى كثيرة اخرى نقرؤها في كتاب هام اخر لذات الشاعر .

ويبدو أن الاحلام بالنسبة لدانتي ليست مجرد اطار فني فحسب ، بل انه تتوافر فيها صفات مميزة . فان من يقرأ احلام دانتي يجد انها تحدث جميعا في الفجر او قبيل الصباح .

ولقد اهتم دانتي في كل مرة بان يحدد ساعة رؤية الحلم وذلك لاعتقاده بان احلام الصباح هي احلام حقيقية وقد نوه عن هذا الاعتقاد اكثر من مرة في المقطوعة السادسة والعشرين من « الجحيم » ، ففي البيت السادس من هذه المقطوعة يقول :

« فاذا ما كان المرء يحلم بالحقيقة قرب الصباح

ويشير الى هذا ايضا في المقطوعة التاسعة من « المطهر » كما سبق وذكرنا

❁❁❁

ومما هو جدير بالذكر أن نظرة دانتي هذه للاحلام لا تمثل نظرته كاديب او شاعر ، ولكنها تمثل رايه كمعلم وفيلسوف . ففي كتابه المعنون « الوليمة » نقرأ له هذه السطور : « ان ما يكشف لنا في الاحلام لبرهان على خلودنا ، فان هذا الكشف لايمكن أن يتأتى لو لم يكن بنا جانب خالد » (الوليمة : ٢ : ٨ ـ ١٣) .

ويجدر بنا أن ننبه الى أن لفظ « المطهر » : يعني ـ حسب المفهوم اللاهوتي الكاثوليكي ـ مكان التطهر او حالة التطهر على حد سواء ، وبما أن المطهر مكان او حالة تقترن بالامل في الخلاص ، بوجود ارواح الموتى فيه مؤقت على خلاف « الجحيم » فعقابه ابدي لا امل فيه ، وعلى خلاف الجنة فهي الامل المحقق ونعيمها ابدي ، فانه ـ اي المطهر ـ اشبه بحياة الانسان على الارض اذا رغب الرجوع عن اثامه والتخلص منها . ولهذا فان ارتباط الاحلام بالمطهر ـ دون الجحيم والجنة ـ جاء موفقا وذلك لما تتسم به الاحلام والمكان بالامل المنشود .

عاطف مصطفى



أحلام تحققت فى حياتهم

الاحلام في حياة الانسان تشكل مرحلة هامة من التاثير والتاثر بما قد يراه من رؤى في نومه • وينعكس التاثير النفسى للحلم عند الكثيرين منا فرحا ، أوترحا ، تفاؤلا او تشاؤما •• تعال بنا نعرف الحلم الذى اثر فى حياة هذه الصفوة من كتابنا وأدبائنا

ورثت الصدق فى الاحلام : فكرى اباظة

يقول فكرى اباظه : كانت والدتى رحمها الله كثيرة الاحلام • وكان كل حلم من احلامها « علم » على رأى المثل الشائع ••• ذات مرة استيقظت منزعجة كل الانزعاج لان اخاها الضابط « توفيق » على السودان مريض جدا ، وبعد ساعة بالضبط وصلتنا برقية من الخرطوم بأنه سقط من على جواده وتوفى رحمه الله •

وحلمت مرة بأن أخى الاكبر « فؤاد » بالمستشفى • وفى الصباح كان المرحوم « فؤاد » يمر على المعرض الذى يشرف عليه فسقط فى حفرة عميقة وكسرت ساقه •• ومرة ثالثة استيقظت تمر على أولادها فى الغرف لتتأكد اننا موجودون • وسبب ذلك انها حلمت باننا طردنا جميعا من بلدتنا ومسقط راسنا « كفر أبو شحاته » ، والعجيب أن الحلم تفسر على هذا النحو كان والدى رحمه الله مدينا بدين كبير من « البنك العقارى الفرنسى » ، ووقعت حجوزات ورفعت دعوى نزع ملكية ، ولكن ميزة هذا الحلم الذى تحقق نوعا ما انها ذهبت فورا الى شقيقها فى بلدة أخرى وباعت أطيانها الخاصة ، ثم عادت وهى تصر على أن تشترى الارض المنزوع ملكيتها والتى قرر « كبراء » العائلة الاباظية أن نهاجر جميعا الى « المنيا » ، نشترى ارضا أيا كانت بعد سداد الدين ، ولما باعت أطيانها اشترت أرض والدى لكى نبقى فى مسقط رأسنا ولا نتشرد فى اقليم غير اقليمنا وبلدة غير بلدتنا ••

ويظهر اننى ورثت هذا الصدق فى الاحلام التى تتطور بعد النوم العميق الى حقائق ••

ففى سنة ١٩١١ حلمت بحورى حلما مزعجا ، وهو اننى قابلت سعد باشا زغلول وزير المعارف اذ ذاك



فكرى اباظة

ولم افهم ما هى علاقتى وانا صبى صغير برجل عظيم ووزير عظيم ! ولكن لما توجهت فى الصباح الى مدرسة السعيدية الثانوية لالتحق بها لم يجدوا لى شهادة ميلاد ، فسألنى وكيل المدرسة : اين شهادة الميلاد؟.. قلت : « اننى من سواقط القيد ..! اى ان والدى لم يقيد اسمى فى دفتر المواليد وكذلك العمدة الشيخ عطيه ابو عوض ، وهكذا قررت مدرسة السعيدية رفض طلب التحاقى بالمدرسة ، فشكوت لعمى « اسماعيل اباظه باشا » وتفضل رحمه الله فأمرنى بأن اسافر معه الى الاسكندرية ولما وصلنا اصطحبنى معه فورا الى سراى بولكلى حيث كانت الوزارة تمضى الصيف هناك ، ثم ذهبت معه الى حجرة كبيرة علمت انها حجرة سعد زغلول باشا وزير المعارف ، ولما دخلت انا وعمى ذكر له اننى من سواقط القيد وليست عندى شهادة ميلاد وان مدارس السعيدية رفضت ان التحق بها ابتدا ، وتكرم الرجل وطلب المدرسة بالتليفون وامرها بأن تقبل طلبى ! ولو لم احلم ، ولو لم يتحقق الحلم لضاع مستقبلى ولم اتمم تعليمى ..

وفى سنة ١٩١٥ حلمت حلما مزعجا خلاصته اننى « عسكرى » فى الجيش المصرى بنقله فى السودان، وعندما استيقظت ضحكت من سخافة الحلم ـ ولكن حدث اننى كنت وقتها طالبا بمدرسة الحقوق ، وكان من حق طلاب الجامعة ان يعفوا بحكم القانون من التجنيد ولكن لما اضربنا فى مدرسة الحقوق عن مقابلة السلطان حسين سنة ١٩١٥ ! تقرر فصلنا من المدرسة وكنت من بين المرفوتين ، وبهذا ضاع حقى فى الاعفاء !..وفى اليوم نفسه وصلنى اخطار بأن اتقدم الى ادارة «القرعة» لتجنيدى ، وتحقق الحلم وربما ذهبت جنديا الى دنقله بالسودان ، ولكن حدث ان السلطان حسين اصدر قرارا بالعفو عنا ، وهكذا عاد الى حق الاعفاء ونجوت من التجنيد .

ويستطرد شيخ الصحفيين فى سرد احلامه الفريدة فيقول : فى سنة ١٩١٩ حلمت حلما عجيبا هو الاخر، وهو اننى « تاجر حمير » والدهش اننى فى الصباح ـ صباح ليلة الحلم ـ كنت فى اسيوط القى نشيدى نشيد الثورة المصرية ١٩١٩ ـ فى كنيسة الاقباط فى اسيوط ، وقامت الثورة ، واتهمت بأن نشيدى كان السبب فى ذلك وبدأت السلطة العسكرية تجرى التحقيق وتطلب الحكم باعدامى من المحكمة العسكرية ولكن قبل ان تنتهى الاجراءات ذهبت الى مستر « ترك » الانجليزى الذى يملك اعطاء تصاريح للسفر الى القاهرة بالقطار الوحيد الذى يخصص للجنود البريطانيين اثناء الثورة ، وكان الرجل لاعب كرة قدم فمدحت فيه وقلت له :« اننى لعبت سنة بفرقة النادى الاهلى ، وانا اريد ان

أحلام تحققت فى حياتهم

أعود الى مصر . قال لى : وما هى وظيفتك ؟ قلت : « تاجر حمير » لأن أسيوط مشهورة بالحمير البلدى الصالحة للزراعة . وفعلا أعطانى التصريح باسمى وبوظيفة « تاجر حمير » واستطعت ان انجو من الاعدام وعدت الى القاهرة سالما ..

وفى سبتمبر ١٩٦١ حلمت اننى « المهدى المنتظر » والتى امر على جميع انحاء العالم واسوى واصفى مشاكلها ومن ضمنها مشكلتنا مع اسرائيل . واستيقظت فى الصباح فراقت لى فكرة اننى « المهدى المنتظر » . فكتبت مقالى المظلوم بعنوان الحالة « ج » وكتبت ان اسرائيل لو غيرت صبغتها الصهيونية وقبلت ان تندمج فى دولة فلسطينية عربية لانتهى المشكل . وكان اصلح لها ولنا . ولكن مع الاسف الشديد عرض امر هذا المقال على الرئيس المرحوم جمال عبد الناصر عرضا محرفا او لسبب آخر ليس هذا محل تفصيله . وفجأة فى صباح ليلة الحلم وانا مريض بالاسكندرية قرأت فى الاهرام ما خلاصته : « بما ان الاستاذ فكرى اباظة قد خرج على اجماع الدول العربية ، وبالرغم مما كنا تقدره . فقد قررنا اعفاءه من جميع مناصبه .. وظللت مشردا فى الشوارع تسعة اشهر بعد ان كنت رئيسا لمؤسستى الاهرام ودار الهلال وتحقق الحلم المزعج .

وبجانب هذه الاحلام المزعجة احلام كثيرة سعيدة ، ففى حلم من احلامى سنة ١٩٢٦ حلمت باننى اجول واصول فى مجلس النواب وان اسمى قد ارتفع للسماء كاتبا فى الاهرام ونائبا فى المعارضة فى مجلس النواب بصفتى ممثلا للأمة ، وسألت نفسى : لماذا لا ؟ — ورشحت نفسى فى الانتخابات ، ولكن الرجل العظيم سعد زغلول باشا قال : ان مثل فكرى اباظة يستحق ان ينفرد بدائرة لا يرشح فيها احد ، وان ينجح بالتزكية . وفعلا شاء الله أن يتحقق الحلم ، فدخلت مجلس النواب ، وعارضت سعد زغلول سياسيا وظللت نائبا زهاء ربع قرن .

ومن اطرف الاحلام التى رايتها فى نومى وتحققت : كنت من المعجبين كل الاعجاب بممثلة السينما الكبيرة « جريتا جاربو » وحلمت باننى قابلتها ، وتحدثت معها طويلا وتعددت مقابلاتى معها ، والمدهش ان الحلم تحقق فى سهرة من سهرات جامع باريس ، وجدت كل ابصار الجميع تتجه نحو سيدة جميلة ، واذ بها جريتا جاربو بالذات ، وشاء الحظ السعيد ان تجلس على مائدة بجوارى فعرفتها بنفسى بعد اعجاب دام عدة سنوات ، واخذت تسالنى بلهفة عن مصر وآثارها العظيمة ثم دعوتها الى عشاء فى اكبر مطاعم باريس وتفضلت باهدائى صورة كتبت عليها بخط يدها « صديقة الجامع ، جاربو » ! .. وعندى لها ثلاثمائة صورة ، ولا اظن ان ممثلة بلغت القمة مثل جريتا جاربو ، ثم لا اظن ان ممثلة ككوكب من كواكب السينما بل كوكب الكواكب خرجت من حياتها الفنية الطويلة العريضة ولم يخدش سمعتها خدش ، ولا جرح كبرياءها جرح ..

وأسائل نفسى بعد هذا .. أين ذهبت الاحلام المزعجة ؟ .. وأين ذهبت الاحلام السعيدة ؟ .. السؤال موجه الى العزيزة .. مجلة الهلال .

يراد بالحلم الآمال والأماني :

د . ابراهيم مدكور



د . ابراهيم مدكور

يقول الدكتور ابراهيم بيومى مدكور .. لعل من الخير أن نتفق أولا على معنى الحلم . ولاشك فى أن مدلوله الحقيقى هو الرؤى والصور الخيالية التى تعرض للنائم أثناء نومه . وبخاصة فى لحظات النوم الخفيف فى بدء النوم . أو قبيل الاستيقاظ . وهذه ناحية سيكولوجية سبق لى ان عالجتها فيما يتعلق بموقف بعض مفكرى الاسلام الذين يعدون الحلم بابا من أبواب التنبؤ بالمستقبل . ويربطون بينه وبين النجوم . وقد عنى علماء النفس بهذه الظاهرة ولهم فيها عدة مؤلفات لعل من ارقها وأقربها الى الروح الادبية ما كتبه برجسون فيلسوف فرنسا المعاصر منذ خمسين سنة مضت . وليس لى ماأضيفه فى هذه الناحية .

وقد يراد بالحلم فى الاستعمال الدارج الآمال والأمانى ، وما منا إلا وله أحلام يتحقق بعضها احيانا وقد لا يتحقق . الشباب عادة كثير الاحلام ، وقد كان من احلامى ان اضم الى الثقافة العربية ، الثقافة الغربية ، وحاولت ولما ابلغ العشرين ان اتعلم لغة اجنبية ، وقد اتجهت الى الفرنسية ، وتتلمذت فيها برجل فاضل ، كان هو محمود افندى عبد الوهاب ، ولم يتردد فى ان يعطينى بعض الدروس الخصوصية، وكنت اتوقع ان اكون بين مبعوثى مدرسة دار العلوم ، وبعثاتها فى الغالب تتجه نحو انجلترا ، ففكرت فى تعلم الانجليزية ، وان لم اتوقف عندها طويلا وفى عام تخرجى لم يكن لدار العلوم بعثة وفى العام التالى اعلن عن بعثة لها الى انجلترا . ووقع الاختيار على ، ولكن لظروف سياسية واعتبارات حزبية حينذاك لابد لى فيها استبدلت بعثة لندن بارسالى الى ليون ...

ويظهر ان حلمى القديم كان يشغل حيزا فى عقلى الباطن . ففضلت ان استقيل من وظيفتى وأن أسافر الى فرنسا لاتمم دراستى . وتحقق ذلك الحلم بعد لأى نحو بضع سنين ..

والحلم الكبير الذى كنت اذهب اليه ، فهو أنى كنت من دعاة اشتراك مصر فى الحرب العالمية الكبرى . وكانت دعوة لاقيت فيها شيئا مما لاقى المرحوم الدكتور أحمد ماهر على جلال قدره ، ولم يكن هدفى الا أن أرى جيشا مصريا يسهم فى تلك المعارك الدولية فتثبت حقوقنا الوطنية بالعمل لا بالقول ، ونذكى روح الجندية عند شبابنا ولكن لم يتحقق هذا الحلم حينذاك ، وعارضت قوى مختلفة على رأسها السراى ، ثم جاءت مشكلة فلسطين ، ودعوت مرة أخرى الى أن نعد لها قبل ان نسهم فيها وما اردت من هذا الاعداد

الا ان يكون لنا جيش مجاهد ، وشاء القدر وقتئذ مرة أخرى أن نسير وراء الهوى ، لا وراء العقل والمنطق وأن نشترك فى حرب فلسطين دون اعداد ودون تسليح ..

ويسعدنى أن أرى اليوم أن لمصر جيشها الذى تعتد به ، وتعول عليه، وبعد صراع طويل ، استطاع هذا الجيش أن يثبت وجوده ، وما أجدرنا أن نوطد دعائمه ونعزز أركانه مع ايماننا بضرورة السلام العادل .

أحلام تحققت فى حياتهم

احلامنا تعبر عنا : ابراهيم المصرى



ابراهيم المصرى

يحدثنا الاديب ابراهيم المصرى عن مفهومه للحلم وأحلامه التى تحققت فيقول : أن التأثرات والاضطرابات والانفعالات التى تغامرنا ونحن نعمل ونتحرك ونعيش فى اليقظة ، أى فى حياتنا اليومية ، هذه الاضطرابات والتأثرات والانفعالات هى التى تخلق أحلامنا ..

والسبب فى هذا يرجع الى الكبت، فالفرد منا قد يضطر فى حياته اليومية الى كبت الكثير من عواطفه ومشاعره ومشتهياته وغرائزه خشية أن يصطدم بقوانين المجتمع او بما اصطلح عليه الناس من اوضاع وتقاليد وعندئذ تتجمع تلك العواطف والمشاعر والمشتهيات فى وعيه الباطن وتولد فيه عقدا نفسية مستخفية ثم تلاحقه فى منامه ، وتظهر فى أحلامه وتتخذ فى الحلم صورا واشكالا ورموزا تعبر عن جوهر شخصيته ، وعن الاضطرابات والعقد النفسية التى كان قد اختزنها فى وعيه الباطن وهو يقظان .. فالتحليل النفسى الذى يقوم به اخصائى ماهر هو الذى يمكن أن يفسر الحلم ويفك أشكاله ورموزه، ويكشف للفرد الحالم عن اسباب اضطراباته الخفية ، وعقده النفسية ، ويعاونه على التخلص منها بفهم واضح ودقيق لها فأحلامنا تعبر عنا، وعما نكبته ونتحاشى به فى حالة اليقظة ، أى تعبر عن عمق شخصيتنا المستورة ، ولكنها قل أن تعبر عما سيقع لنا فى المستقبل ، ومع ذلك ففى الانسان قوة روحانية عجيبة ، تجعله فى أحيان كثيرة يشرف بهذه القوة الروحانية على ما سيقع له فى المستقبل وهذا الاشراف على المستقبل قد يحس به الانسان قد يحسه الانسان فى حالة اليقظة وهو يمكن أن يحس فى حلمه ، ويتخذ صورا واشكالا غريبة ، فيؤدى الى وقوع الشىء فعلا أى الى وقوع الشىء الذى اشرفت عليه النفس من قبل ، وماحدث

لن يؤكد هذا كله ...

كنت قد عرفت أيام شبابي امرأة رائعة الجمال ، وأحببتها حبا عنيفا. وكانت قد قربتني اليها فترة فسعدت. ثم حدث أن ألمت بالمرأة ضائقة مالية، فطلبت مني مبلغ عشرين جنيهـا ، ولكن المبلغ كان فـوق طاقتي ، فعجزت عن اجابتها اليه ، فتبرمت بي ، واتهمتني في صدق عاطفتي ثم أعرضت عني ونبذتني ، فثار ثائري، ورحت أبحث عمن يقرضني المبلغ ، ولكن على غير جدوى ، فتعذبت عذابا مريرا . بيد أني وأنا أتعـذب كنت أشعر رغم عذابي وفشلي أن قوة خفية في نفسي تشرف مع ذلك على المستقبل، ولا تفتأ تهتف بي أني سـأنجح وسأجد المبلغ المنشود . ولكن كيف ؟ ومن أين ؟ .. هذا ماكان يحيرني .

ولبثت ليلتين معذبا ومؤرقا أحلم أحلاما مشـوشة لا معنى لها . وفي الليلة الثـالثة وكنت اذ ذاك اقرأ الكثير في كتب التاريخ وعن حوادث الفرسـان في القرون الوسطى ـ حلمت حلما غريبا . رأيت نفسي في الحلم مرتديا ثيـاب فارس من أولئك الفرسان وممتطيا صهوة جواد أشهب ينطلق بي في حقل فسـيح ينهض في زاوية قصية منه كوخ فلاح ، فترجلت ودخلت الكوخ ، فأبصرته خـاويا الا من سرير من الجريد ، ومقعدين من القش وشبه « زير » كبير مكسو بغطاء « حلة » فأحسست ظمأ الى الماء فتحولت الى الزير ورفعت غطـاءه ، وهممت بأن اغتـرف منه بيدي حفنة ماء واشرب ، ولكني عندما نظـرت في جوف الزير لم أر ماء بل رأيت الزير مملوءا بحبـات من القمح فاستغربت وزايلني الظمـا ولبثت أتأمل القمح لحظة ، وأنا في غاية من الدهشة ، ثم تركت الكوخ وامتطيت الجـواد وشرعت انشو على ثـوب الفارس ثم استيقظت .

وفي الصباح وقع الشيء العجيب الذي كانت تشـرف عليه نفسي في اليقظـة ، وكنت مع ذلك أستبعد وقوعه وأحار في استحضاري اياه .

ارتديت ملابسي العادية ، وخرجت من البيت اذ كنت على موعـد مع المغفور له الاستاذ عبد القادر حمزة صاحب « البلاغ » الذي كان قد بعث في طلبي لاعمل في جريدته .

ذهبت اليه وتم اتفاقنـا ، وفجأة تطلع الى الرجل الذي كان يعلم بأني شاب رقيق الحال ويريد أن يشجعني ويعاونني ، وقال لي انه اعتزم أن يعهد الي بترجمة قصة كبيرة للبلاغ

ثم سـاقني الى غرفة جانبية وفتح خزانة حديدية ، ونقدني مقدما أجري على الترجمة ، وكذلك مرتب الشهر الاول من عملي في الجـريدة مبلغ ثلاثين جنيها فارتعشت أنا وذهلت . لاح لي حلمي ، نظرت الى الخزانة الحديدية وتذكرت « الزير » ونظرت الى الاوراق المالية وتذكرت حبـات القمح فازداد ذهولي واسـتطارني الفرح ، وشكرت الرجـل النبيل ، وأسرعت الى حبيبتي وأعطيتهـا العشرين جنيها فدهشت المرأة واكبرت في شهامتي وآمنت بصـدق حبي ، ووعدتني بالزواج . ولكنها ويالالحسرة تنكرت لي بعـد أن فـازت بنقودي واقترنت بكهل من أقاربها .. هـذا هو اشراف النفس على المسـتقبل ، مازج حلمي واقترن به ، وانمسح فيه وتحقق في الواقع . فهو الحلم الوحيد الذي تحقق في حياتي .. حلم جاءني بالمال ، ولكنه لم يحقق لي السعادة بامتلاك المـرأة الفـاتنة التي كنت أحبها .

أحلام تحققت في حياتهم

اتصال وجداني بيني وبين شوقي:

صالح جودت



صالح جودت

يقول صالح جودت : لعل أعجب حلم حزين أقلقني ، عندما صحوت في الصباح لماذا هو واقع بالفعل ، هو وفاة أمير الشعراء أحمد شوقي .
حلمت ذات ليلة أنه مات .

كان شوقي الى اخر يوم في حياته يروح ويجيء ولا شيء به ، وكان ليلة وفاته في زيارة لاحدى دور الصحف .

ورأيته في تلك الليلة يموت ... وفزعت من نومي ، وظللت أبكي حتى مطلع الصباح ، واهل بيتي يسألونني لماذا أبكي ، فأجبتهم بأن شوقي قد مات .

وعندما طلع الصباح ، تحول الحلم الى حقيقة ، وصدرت الصحف تنعى امير الشعراء ولا شك ان هذا الكشف الروحي كان نتيجة لاتصال وجداني قوى بيني وبين شوقي رغم أني لم ألتقي به ابداً ، ولكنني نشأت على عبادة شعره منذ طفولتي ، ولا أزال حتى الان احفظه عن ظهر قلب ، وأوثره على كل شاعر من القدامى و المحدثين .

حلم يحقق لي حفظ القرآن :

د . عبد العزيز كامل



د . عبد العزيز كامل

يقول الدكتور عبد العزيز كامل : الحلم في كثير من الاحيان امتداد للموضوعات التي يفكر الانسان فيها للكتابة قبل يقظته ،. ولهذا فكثير ما تكون قراءاتي في الليل وكتاباتي في الصباح الباكر حيث تتضح معالم الموضوع الذي أتناوله وأعالجه ، ذلك لانني أتابع التفكير وأنا نائم مما يسهل الكتابة واستمرارها ..

وبطبيعتى احلامى قليلة جدا ، لكننى اذكر حلما اثر فى حياتى ...

رأيت فيما يرى النائم عالما جليلا كنا نلتقى عليه دروسنا الدينية بالاسكندرية فسألته عن افضل الوسائل التى تعيننى على حفظ القرآن الكريم .. قال لى : لا تقتصر على مجرد الحفظ ، ولكن حاول دائما ان تفهم ما تقرأ ، وان تقسم الآيات التى تود حفظها الى وحدات أو الى مجموعات، كل مجموعة منها توضح معنى أساسيا ، فاذا حفظته فانتقل الى الذى يليه ، وحاول دائما ان تعيش الآية .

وقد كانت نصيحة العالم الجليل هى الاساس الذى سرت عليه فى حياتى ، وحفظت حفظ القرآن ووعيت كل دلالته واسراره بفضل هذا الحلم الذى اثر فى حياتى .

حياتى تحقق أحلامى

د . مصطفى محمود



د . مصطفى محمود

يقول د. مصطفى محمود : من اطرف الاحلام التى اتذكرها وأنا طالب بالثانوى فى طنطا ، فى ذلك الوقت كان هناك يا نصيب والتذكرة الرابحة تكسب خمسة عشر الف جنيه واذكر اننى رأيت فى الحلم التذكرة الرابحة - ودونت الرقم وهو عبارة عن ستة أرقام وفى اثناء السحب ، كانت الورقة الرابحة عبارة عن خمسة ارقام صحيحة كلها ما عدا خطأ فى الرقم العشرى ، وأرقام الالوف والمئات مضبوطة .. وكان هذا الحلم من اعجب الصدف الغريبة فى حياتى .

وحياتى كلها تحقق احلامى ، وما من شيء تمنيته الا وحققه الله سبحانه وتعالى وما انا فيه الان ما كان يمكن أن يتحقق الا بارادة الله جل شأنه .. وكل حلمى فى المستقبل أن يعود الاسلام الى سابق مجده وعظمته وترتفع راياته خفاقة ويعود علماؤنا كما كانوا فى عهود الاسلام الاولى روادا فى كل ميادين العلم بكل انواعه وفروعه ..وهنا يعود الاسلام كما كان فى الماضى يؤثر فى الحضارة العالمية والفكر الانسانى .

وهذا هو حلمى الاكبر الذى انرقبه .. وأمتنا العربية الاسلامية امامها الفرصة المواتية لتعيد مجدها وماهذا على الله ببعيد ..

أحلام تحققت في حياتهم

لم احلم بالاحداث الهامة :

د . رءوف عبيد



د . رءوف عبيد

يقول د . رءوف عبيد : منذ حوالى ثلاثين عاما كنت قاضيا بقنا، وحلمت انى كنت أركب عربية «حنطور» فى طريقى الى المحطة وجمح الجواد وخرج عن سيطرة السائق فصعدت العربة على الافريز . وفى اليوم التالى تحقق نفس الحلم ولكن بصورة مخففة جدا اذ جمح الجواد فعلا . وخرج عن سطوة السائق ولكن العربة لم تصعد الافريز .. وفى كثير من الاحلام احلم ليلا انني قابلت صديقا افترقت عنه منذ عشرات من السنين فاذا بى اقابل هذا الصديق بعد الحلم بيوم أو ببضعة أيام وبصورة لم تكن متوقعة أبدا من العقل الواعي .

وهناك ايضا ثلاثة احلام غريبة فى حياتى عن علاج روحى اذ كنت انام مريضا بمرض ما ثم احلم كما لو كنت خاضعا لصورة ما من صور العلاج مثل تصويب اشعة الى رقبتى او الى راسى ، وبعد ذلك الاحظ تحسين فورى فى المرض الذى كنت اشكو منه وليس لهذا التحسين من سبب واضح .. وفى مرة وجدت فى جسمى علامة حمراء واضحة كما لوكانت من اثر كى بالنار واعقبها شفائى المباغت من انفلونزا حادة كنت اشكو منها وحدثت هذه الواقعة منذ حوالى ٢٥ عاما واحيانا احلم احلاما سعيدة جدا كما لو كنت اشاهد زهورا جميلة او احضر حفلة رائعة ، او استمع الى موسيقى عجيبة ، وفى الصباح اسال نفسى ، هل بمقدور عقلى الخاص ان يكون من عنده مثل هذه المناظر او يؤلف هذه الموسيقى او يبعث فى حالة من البهجة غريبة كل الغرابة عن مشاق الحياة التى اعيش فيها باستمرار

وفى الحقيقة لقد قرات الكثير عن الاحلام واعتبر كل ما قيل عنها فى شان تفسيرها رجم بالغيب وافتراضات ارتجالية تمثل عجز العلم المادى ، وقصوره حتى الان واعتقد ان علم الانسان بعد ان نفض عن نفسه نهائيا اغلال الفلسفة المادية للوجود ، قد ينجح فى المستقبل فى القاء اضواء جديدة وكثيرة على الاحلام وعندما يحقق ذلك فسيكون قد كشف عن الكثير من خفايا العقل الانسانى وهو أعظم معجزة فى الوجود وأعقد لغز فيه حتى الان .

صفحة من التراث

ياقوت
صاحب معجم البلدان

ياقوت الحموى عالم موسوعى فذ ، فهو جغرافى ، رحالة ، واديب وهو احد واضعي اسس الحضارة العربية الاسلامية .

وقد جمع بين الجغرافية والادب وعلوم الشريعة واللغة العربية وغيرها، ولكنه برز كعالم جغرافى من ابرز جغرافيي العالم الاسلامي .

وياقوت هو ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله شهاب البغدادى وقيل ابن عبد الله الرومي الجنس ، ونسبته الى حماة وان كان بغدادى الدار .

ولد سنة ٥٧٥ هـ ببلاد الروم (بلاد الاناضول) ثم اسر وهو صغير من بلده فقيل له « الرومي » وقيل ان اباه عبد الله الرومي قد اسره الروم ، وعاش زمنا فى بلادهم ، حتى ولد له ياقوت هناك ، ثم اسره العرب وهو طفل فعاد الى وطن ابيه ، ثم اشتراه تاجر بغدادى يدعى « عسكر بن ابى نصر الحموى » فنسب ياقوت اليه او الى حماة ولذلك سمى « ياقوت الحموى » .

وقد افاد ياقوت من صحبته « عسكر بن ابى نصر الحموى » فقد عنى بتعليمه وتدريبه على الاسفار ، مما كان له اكبر الاثر فى زيادة معلوماته وقراءاته ، واقتناء الكتب وجمعها ونسخ بعضها .

وقد اطلق ياقوت من اسر تبعيته سنة ٥٩٦ هـ فكان ذلك فرصة ثمينة ليتمتع بحريته فى القراءة والاطلاع وحرية السفر .

كانت رحلته الاولى عام ٦١٠ هـ زار خلالها تبريز والموصل والشام ومصر .. وفى سنة ٦١٣ هـ خرج من دمشق الى حلب واربل وارمنية ومنها الى تبريز وايوان الشرقية .

وقد افادته كل هذه الاسفار فى تأليف كتابه المشهور معجم البلدان، حيث اتم التسويدة الاولى له عام ٦٢١ هـ ..

وكان ياقوت حين قدم دمشق قد اثار جدالا عنيفا فى احد اسواقها مع بعض غلاة الشيعة، فاخذ يناظرهم بعنف ، فسخطوا عليه ، وكادوا يقتلونه لولا انه اسرع بمغادرة دمشق قاصدا حلب ، وهناك بدأ منذ اول يناير سنة (٦٢٥ هـ ـ ١٢٢٨ م) يعمل على تهذيب معجم البلدان ، غير ان المنية عاجلته قبل ان يفرغ من عمله ، فكانت وفاته فى ٢٠ اغسطس عام (٦٢٦ هـ ـ ١٢٢٩ م) بخان عند احد ابواب حلب ، ولما يتجاوز الخمسين من عمره .

ويعد ياقوت عالما مسلما اسهم فى احياء التراث العربى الاسلامى وقد تميز بسعة الافق ووفرة الاطلاع ودقته ، وكان يؤثر السجع ويستخدم المحسنات البديعية ، ويستشهد بالشعر .

من تصانيفه : معجم البلدان معجم الشعراء ، المشترك وضعا المختلف صقعا ، المبدأ والمآل ، الدول اخبار المتنبي ، المقتضب فى النسب .

رحلة الشهر

الازدياد .. وابن زيدون

كلمة لطيفة ، هي « الازدياد » وقف امامها الادباء والشعراء المشاركة متسائلين عن معناها ، وهم ذاهبون الى مؤتمر الادباء ومهرجان الشعر الماضيين اللذين عقدا في الجزائر ٠

صادفتهم هذه الكلمة وهم يباشرون اجراء الدخول الى الجزائر ويملأون الاستمارات الخاصة بذلك ، وفيها « مكان وتاريخ الازدياد »٠٠٠

ولخبرتي السابقة في التعامل بهذه الكلمة ، اخبرتهم ان كلمة « الازدياد » في المغرب العربي ، معناها « الميلاد » وان المراد في الخانة المذكورة « مكان وتاريخ الميلاد »٠

ولعل هذه الكلمة ناشئة من ان ميلاد اي انسان، يعني ان العالم قد ازداد واحدا ٠

وكنت قد ذكرت في « رحلة الشهر » في عدد سابق ، ان المغرب الشقيق قرر الاحتفال بمرور الف سنة على ازدياد الشاعر الخالد ابن زيدون، وكان مقررا أن يكون الاحتفال ما بين ١٥ ابريل و ١٥ مايو الماضيين ٠ وقد نشرت يومئذ خطابا تلقيته من السيد « محمد أبا حنيني » وزير الثقافة المغربي ، يدعوني فيه للمشاركة في الفية ابن زيدون٠ وكان الخطاب قطعة فذة من الادب الرفيع ، مما حملني على نشره يومئذ حتى اشرك القارىء في المتعة بقراءته ٠٠

بيد انى تلقيت بعد ذلك من السيد « ابا حليقى » خطابا اخر ، يسيل رقة وعذوبة ، ينبىء فيه بتأجيل الالفية الى اليوم الخامس عشر من اكتوبر الحالى ، حيث يلتقى فى الحفل الكبير اربعة عشر باحثا واثنا عشر شاعرا من أعلام الدول العربية ، من بينهم محمد احمد المحجوب رئيس وزراء السودان السابق ، وعبد العزيز الرفاعى من السعودية ، وعزيزة هارون من سوريا ، ومحمد بهجة الاثرى وعبد الرزاق الهلالى من العراق ، و د· عبد المنعم خفاجى و د· احمد هيكل وصالح جودت من مصر ·

وألفية الفارابي

وفى هذا العام ايضا ، تحتفل ثلاث دول ، هى تركيا والعراق والاتحاد السوفييتى ، بمرور الف سنة على «ازدياد» الفيلسوف الخالد «أبو نصر محمد بن محمد بن أوزلغ بن طرخان الفارابى» الذى ولد بمدينة فاراب ، بجمهورية كازاخستان ، السوفييتية الان ·

كان الفارابى ، على علو كعبه فى الفلسفة ، زاهدا فى اعراض الدنيا ، لم يتزوج ولم يحفل بمال ، مكتفيا باربعة دراهم يجريها عليه سيف الدولة كل يوم ، بينما كان غيره من المشتغلين بالادب والثقافة عامة من معاصريه يتصارعون حول المغانم ، منتهزين فرص الصراع بين الدول وامرائها وولاتها ، ليتكسبوا بالمدح والقدح ·

اما هو ، فقد قضى جل حياته معتزلا الحياة ، باحثا عن الله ، متأملا فى ملكوته ·

الذين تضيق بهم نازك الملائكة

قرأت حديثا ممتعا للشاعرة العراقية الكبيرة نازك الملائكة فى صحيفة « الانوار » اللبنانية ، قالت فيه :

« أما موقفى من تراثنا العربى ، فهو اننى لا اسمح لقديمنا الجميل أن يطبع انتاجى بطابع القرن الثالث الهجرى مثلا ، وانما استوحى منه صورا معاصرة ، اريد لها أن تخصب انتاجنا الحديث ·

« ولهذا اجدنى اضيق ضيقا شديدا بصنفين من الادباء العرب المعاصرين :

« الصنف الاول ، صنف الذين يقلدون تراثنا القديم ، فيكتب شاعر معاصر على طريقة البحترى ، ويظن انه يبدع اثرا معاصرا .

« والصنف الثانى ، صنف الذين ينقلون الادب الغربى ـ خاصة الشعر ـ نقلا مباشرا ، بصوره واجوائه ، ويظنون انهم بذلك يجددون انتاجنا .

« هذان الصنفان يسقطان معا ضحية للتقليد ، وهؤلاء الادباء يقتلون شخصياتهم بهذه الوسيلة ، ويسيئون الى ادبنا العربى المعاصر اساءة بالغة ».



نازك الملائكة

إنجازات ضخمة للجنة الشعر

تضطلع لجنة الشعر بالمجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب فى هذا الموسم بعمل من اعظم الاعمال فى تاريخ الادب العربى وتأمل أن تنجزه قبل نهاية هذا الموسم .

ذلك هو كتابة تاريخ الشعر العربى فى مصر ، منذ الفتح الاسلامى ـ اى منذ تحول اللغة العربية الى مصر ـ حتى اليوم .

وسيصدر هذا التاريخ فى سلسلة موحدة من الكتب تحت عنوان « تاريخ الشعر العربى فى مصر » .

أما العصر الحديث ـ منذ عهد النهضة ـ فتتناوله سلسلة عنوانها « الشعراء الخمسة » تجمع كل خمسة شعراء متماثلى المدرسة فى جزء منها . وقد صدر الجزء الاول فى هذه السلسلة عن خمسة من شعراء الوطنية ، هم احمد الكاشف ، واحمد محرم ، واحمد نسيم ، وعبد الحليم المصرى ، وعلى الغاياتى .

ومن الظواهر العجيبة أن الاربعة الاوائل من هؤلاء الخمسة ، ينتمون الى ارومة تركية ، ومع هذا فانهم كانوا يلتهبون حماسة لمصر ويرفضون تبعيتها للدولة العثمانية التى كانت لها ذيول فى عهدهم فى سائر الدول العربية .

والى جانب هذا ، تحقق لجنة الشعر انجازين اخرين .

الاول ، هو تجميع اعمال الشعراء المصريين الذين نظموا باللغة الفرنسية ، لاصدارها فى كتاب يضم سيرة حياتهم .

والثانى، كتاب يضم سيرة الشعراء اليونانيين اللذين نشأوا فى مصر ، أو تأثروا بها ، وهم كثيرون ، ومنهم من بلغ مرتبة عالية ونال جائزة نوبل .

والكتاب الاخير ، يسهر عليه الان الاديب السكندرى الجهير نقولا يوسف ، الذى عاش هؤلاء الشعراء ووضع عنهم عدة دراسات لامعة .

عولجنا بالموسيقى فى الجزائر



د . محمد
عبد الوهاب

لا ازال حتى اليوم اعالج سكرات المحنة الصحية التى الت بى وانا اشارك فى الملتقى الاسلامى بمدينة تلمسان بالجزائر والتى نزفت فيها ربع دمى .

نقلت يومئذ الى مستشفى تلمسان ـ وهو كمستشفى قصر العينى عندنا تماما ـ ولاتزال تساورنى من ذكريات هذه المحنة ، لمحات ترسم ابتسامات عريضة فى اعماقى .

منها ان أول من عالجنى ، طبيبة سوفييتية ، لا تعرف العربية ولا الفرنسية ولا الانجليزية ، ولهذا لم يستطع احد منا أن يتفاهم مع الاخر بالمرة .

والثانى ، كان طبيبا جزائريا كبيرا ، اسمه الدكتور بابا احمد . وقد اكتشف بسرعة انه ـ فوق مكانته الطبية ـ اديب ومثقف من طراز نادر . وهكذا تركنا حديث المرض ، ومضينا نتحدث فى الادب والشعر والفلسفة .

اما الثالث ، فكان من اظرف الاطباء الذين قابلتهم فى حياتى ...

جاءنى ، بعد ان غادرت المستشفى ولزمت مخدعى بالفندق. وتفضل الاخ العزيز الاستاذ مولود قاسم وزير التعليم الاصلى والشئون الدينية ، فجاء بهذا الطبيب ـ واسمه الدكتور على صبرو ـ وامره الا يبرح الفندق حتى ابرح انا ارض الجزائر

وتقبل الدكتور صبرو هذا العناء بروح مرحة ، لانه فنان ، يحسن الغناء ، ويعشق صوتى عبد الوهاب وام كلثوم .

كان يدخل على كل يوم عشر مرات ، وهو يحمل فى كل مرة مقياس الضغط ، والسماعة ، وجهاز التسجيل ومعه شرائط عبد الوهاب وام كلثوم .

وكان صديقي الدكتور عثمان امين ، استاذ الفلسفة بجامعة القاهرة ، قد أصيب بحالة قريبة من حالتي • وكان يؤثر ان يترك غرفته ويجلس معي في غرفتي، والدكتور مسرو يعالجنا معا •• تارة بالدواء •• واخرى بصوتي عبد الوهاب وام كلثوم ، واستطيع ان اجزم بأن هذين الصوتين الكريمين كان لهما اثر اكبر من اثر الدواء في نجاتنا من المحنة بفضل الله •

صورة لتوفيق الحكيم

يسألني كثير من المقبلين على نظم الشعر ، كيف يشقون الطريق الى مستقبل واعد ؟

اقول لهم : اذا توفرت الموهبة، فالطريق سهل ، بشرط واحد ،هو أن يخلصوا للشعر كل الاخلاص ••• ان يجعلوه الحبيبة الاولى في حياتهم •

الهواية لا تتألق في يد صاحبها الا اذا احبها كل الحب ، واخلص لها كل الاخلاص •

انا ـ في شبابي ـ تعلقت بهواية التصوير ، ولكنى ـ على مر الزمن ـ لم احبها ولم اخلص لها •

وكانت النتيجة التي فشلت فيها فشلا ذريعا حتى الآن •

ومنذ اسابيع قريبة ، حملت الكاميرا وصورت توفيق الحكيم وهو جالس بمحله الاثير « بترو » على شاطيء الاسكندرية

وكانت النتيجة ، هذه الصورة المنشورة مع هذه الكلمة :

صورة فاشلة قطعا •• وانا اؤكد للقاريء ان توفيق الحكيم اجمل من هذا بكثير • ولولا ثقتي في محبته لي ، ما نشرتها ، لان من حقه ، بعد نشر هذه الصورة ، ان يجري خلفي بعصاه من « بترو » الى محطة الرمل ليؤنبني على هذه الصلة •



د • توفيق الحكيم ..
تصوير صالح جودت !

قــرأت هــذا الشــهــر

● راكبان على سفينة (كتاب اليوم)

نموذج حافل بالجاذبية في ادب الرحلات ، لكاتب من شباب الصحافة الواعدين ، هو الاستاذ حسين قدرى ، يروى فيه قصة رحلة ممتعة من البحر المتوسط الى المحيط الهندى فى بلاد تعيش فى احلامنا كالاساطير .

● اطباق شهية (دار الهلال)

يقولون أن الاكلة الشهية هى اسهل طريق تكسب به المرأة قلب رجلها .

و « كتاب حواء » الذى صدر اخيرا عن دار الهلال بعنوان « اطباق شهية » للسيدة بنظيرة نقولاء هو سلاح فى يد كل سيدة تفتح به قلب زوجها فتحا سلميا محببا ، وتسعد به أهل بيتها واحبابها .

● تاجوج :

« الى الذين احبوا فوفقوا فى حبهم فعاشوا فى نعيمه .. والى الذين احبوا فاخفقوا فى حبهم فتعذبوا فى جحيمه .. والى الذين لم تخفق قلوبهم بالحب فعاشوا فى بيداء وقفر من الحياة موحشين ... الى هؤلاء واولئك جميعا اهدى هذه القصة .

وبعد هذا الاهداء العاطفى ، يروى الكاتب والشاعر السودانى الموهوب قصة « تاجوج » .. مأساة الجمال والحب التى نشرها منذ ربع قرن ، ثم اعاد نشرها مرة اخرى ، لانها ـ كرواية ـ تمثل مرحلة انتقال فى الادب السودانى ، ولانها ـ كتاريخ ـ تروى احداثا شهدها السودان فيما بين القرنين السابع عشر والثامن عشر ... واخيرا لانها ـ كعمل ادبى شاعرى ـ ترسم لك صورا ملونة من مأساة حبيبين ... « تاجوج » و « المحلق » .

المؤلف : عثمان محمد هاشم

(الناشر : المطبعة الحكومية بالخرطوم)

● ص ٠ ج ●

محمد علي السنوسي

حطم المارد القيود

هتفت والشعور روحٌ وراحُ
ويكَ غرّد فقد أضاءَ الصباحُ

الصباح الذي له من منى النفس
إبلاج ومن هواها انفتاحُ

قف على قمة الزمان مع التاريخ
واهتف يهزك الارتياحُ

وتأمل شواطىء النيل والبشرى
على ضفتيه والأفراح

هدأت ثورة الخضم وقرت
ونجى بالسفينة الملاحُ

وثب العرب وثبةً في سماءٍ
يحصد البرق في مداها الرياحُ

إنها وثبة يرن صداها
عالياً ملؤها العلا والنجاحُ

هزت الغرب في محافله الكبرى
وقد خفقت من الشرق راحٌ

وعلت راية العروبة شماء
يزين السماء منها جناح

عالجت جرحها أساة بنيها
وانتهى من علاجه الجراحُ

ورواها دم الحياة شباب
دمه في ترابها نضاحُ

ودماءُ الشـــبّاب نورٌ ونارٌ
ومناها توثبٌ وجمـــــــــاح
عبرُوا عن مرادهم في (عبـور)
يدعمُ الحقَّ في سـناه الكفاحُ
طلبُوا الموتَ في ثراها ففازوا
بحياة كـــريمةٍ لا تُتاحُ
حطمَ الماردُ القيود فـــلا النيل
فرات ولا (الفــــرات) قراحُ
لا قنـــاة السويس حوضٌ ولا
(الجولان) روضٌ ولا الخليل مراحُ
واعتصمنا بعُروة الوحدة الوُثقى
وشدت على القـلوب الصفاح
وأضاءَت لنا الطريقَ معــــان
وأمان غرٌ وضــــاء وضاح
وأنطلقنا تهزُ أقدَامنـــا الأرض
ويطوى السماء منـــا جنــاحُ
نحن شعبٌ أضاءهُ النور والدنيا
ظلام تحتلهــــا الأشباح
كبرت في سمائنا الشمس إيمانا
وصلى على هـــداها الصّباح

● محمد علي السنوسي ●
● السعودية ــ جازان ●

عبد العال
الحمامصي

مع وفد أدباء السودان في القاهرة

● تأكيدا لروابط اخوة حميمة باركها الله منذ الأزل .. وتوثيقا لعرى محبة ستدوم – بإذن الله – الى الابد . قدم الى القاهرة وفد من رجال الادب والفن في السودان الشقيق بدعوة من وزارة الثقافة المصرية للالتقاء بأشقائهم الادباء في مصر . ومعايشة الحركة الادبية فيها . تحقيقا مبدئيا لهدف التكامل الثقافي بين شطري وادي النيل . وكانت الخطوة الاولى هي دعوة وفد من كبار ادباء مصر وشعرائها وفنانيها لزيارة السودان والمشاركة في مهرجانه الادبي في مطلع هذا العام . وهذا لقاء مع الوفد القادم من الجنوب في محاولة للتعرف على وجه الحركة الادبية في السودان الحبيب .

● الشعر الحديث .. مدرسة تقليدية ثانية ! ●

● محمد المهدى المجذوب ●

● رئيس وفد ادباء السودان

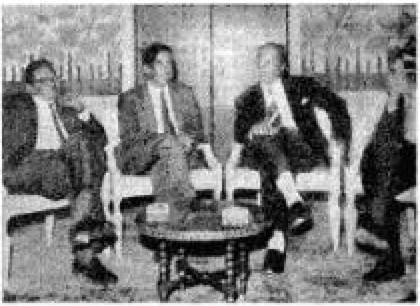
● نائب مدير عام ديوان المحاسبة بالسودان ●

● من كبار شعراء السودان من دواوينه المطبوعة : « نار المجاذيب » و « الشرافة والهجرة » . وله عدة دواوين غير مطبوعة هي : « منابر » و « تلك الاشياء » و « القسوة في الحليب » وثلاثية شعرية ذات خط درامي متكامل هي « البشارة – القربان – الخروج » .

● شاعر السودان الكبير محمد المهدى المجذوب يتحدث :

● الشعر الذي يسمونه العامودي انا ارفض له هذه التسمية . من جانبي افضل له تسمية أخرى أجدها اكثر صدقا عنه ومعه . افضل أن اسمي قصائد هذا الشكل بقصيدة « البحر المقفى » وهذا النوع من الشعر يحتاج الى قدرة خارقة من الاصالة والموهبة والمعاناة . فالقافية ليست تكرارا وانما هي المورد بين شطرين .. ضابط الايقاع ووسط البحر المتموج .. لا ارفض الشعر الحديث .. فوق هذا اتقبل الشعر في أي شكل يجيء .. وقد اتقبل نصا ما على انه شعر وان لم يلتزم بالبحر والقافية مادام ينطوي في داخله على فن يجعل ايقاع الصور داخله شعرا .

● الشعر الحديث لا يتعمق اعماق النفس ولا ينفذ الى الوجدان مثل قصائد البحر المقفى . ولكن



لقطة لمجموعة من الادباء السودانيين يتوسطهم الشاعر صالح جودت

الشعر الحديث الاكثر ملاءمة للحوار المسرحي واتساقا مع متطلبات الحركة فيه .

● اذا كانوا يطلقون على شعر « البحر المقفى » دائما تسمية الشعر التقليدى .. فانا اقول بأن اغلب اصحاب الشعر الحديث هم من مدرسة تقليدية ثانية . معظم الذين يكتبونه الان نجدهم يقلدون بداياته الاولى عند الرواد .. والذين يقلدون في الشعر الحديث نجدهم اضعف واقل اجادة من الذين يقلدون القصيدة العربية « القديمة » ويحكمون صنعها .

● الايقاع الجيد في الشكلين هو روح الشعر . وقل ان نظفر بهذا الا عند الشاعر الذى استوعب تراثه والم بمنجزاته. ولكن المدرسة التقليدية الثانية ـ مدرسة الشعر الحديث ـ اغلب شعرائها لا يلمون بالتراث بل يجهلونه !.

● بالنسبة لوضع الحركة الشعرية الان في السودان .. يمكنني ان اقول لك بأن الذين يكتبون شعر « البحر المقفى » عددهم الان قليل العدد ولكن غالبيتهم مبدعة واصيلة . والذين يكتبون الشعر الحديث عددهم كبير ولكن الابداع بينهم طفيف ومحدود .

● برغم ان شباب الادب في السودان بدأ يتجه الى انواع ادبية درامية غير الشعر .. الا أن هذه الانواع لم تزل بعد في بدايتها . ولم تستطع ان تنتزع من الشعر زمام المبادرة . مازالت القصيدة صاحبة القدح المعلى في مجال الادب عندنا .. وقد وصل التجويد بالشعر عندنا مع الثقافة المعاصرة الى مستوى رفيع بجانب الخصوصية التى يضيفها السودان الغني باساطيره على الابداع الشعرى بما يعطيه رضما متميزا في حركة الشعر العربي .

● ازمة النشر في السودان خانقة .. اغلب الاعمال الادبية ما زالت مخطوطة . ولكن الازمة بدأت تنفرج .. فقد خصصت وزارة الثقافة مؤخرا جانبا من ميزانيتها لنشر التراث الفكرى في السودان وطبع الجاهز للنشر من كتب كبار الادباء والشبان . وعلى مصر الشقيقة والاكثر امكانية أن تقوم بدور في هذا لنشر الادب السودانى تحقيقا ايجابيا للتكامل الثقافي وقد حان الوقت لان تلعب الجامعة العربية دورا في تحقيق التواصل بين قنوات العطاء الادبى في العالم العربى ان ذلك هو الطريق الاميز والوحيد لقيام علاقات وطيدة لاتخضع لتقلبات الظروف السياسية .

● اتمنى ان تقوم الدولة في مصر بتكريم واحد من خيرة رجالها هو الدكتور عبد المجيد عابدين ا قام به من جهود جبارة لترسيخ الاواصر الثقافية بين مصر والسودا

.. ولدوره في اثراء الحركة الادبية في السودان .. وتشجيعه لعدد كبير من ابناء السودان وأنا واحد منهم .

● عاشق النيل ●

● مبارك المغربي ●

● شاعر كتب المجموعات التالية: « عصارة قلب » مصر عام ١٩٥٤ وقدم له شاعر مصر الراحل عزيز اباظه واصدرته مطبعة مصر في القاهرة . لديه دواوين مخطوطة « الحان الكروان مع صحبة الاصدقاء » و « من الاناشيد » و « رجل من اهل الجنة » و « عاشق النيل » الذى يكتب له الان المقدمة الشاعر الكبير صالح جودت .

● يعمل في معهد الاحداث الجانحين وله مؤلفات في علم الاجتماع هي « الخطر الصغير » و « المتطفلون » صور من حياتهم ».

● كان احد الذين لعبوا دورا هاما في تنظيم مهرجان الاداب والفنون الذى اقيم في السودان في يناير الماضي من هذا العام . وقد كان حدثا فريدا في تاريخ السودان وقد اشتركت فيه لجنة من كبار الشعراء والفنانين في مصر .

● زار مصر عدة مرات . وتربطه صلة صداقة بأغلب ادبائها وشعرائها ورجال الفكر فيها ويؤمن ايمانا قاطعا باهمية التكامل الثقافي بين مصر والسودان تتويجا لوحدة الارض والتراث والمصير .

● هو الشيء الذى يخصني في هذا العالم ●

● محمد المكي ابراهيم ●

● مستشار بوزارة الخارجية السودانية .

● شاعر وناقد ادبي ●

● صدر له ديوان « أمتي » وتحت الطبع لديه ديوان « البرتقالة أنت » ودراسة ضخمة « الفكر السوداني أصوله وتطوره ».

● شاعرنا يتحدث قائلا :

● صنعتي شاعر قبل كل شيء.. اذا كنت اكتب الدراسات الادبية خدمة لحياتنا الادبية فان الشيء الذى يخصني والذى يعبر عني هو الشعر وحده . برغم الجذور العميقة الموغلة في تربة الواقع السوداني بالنسبة للشعر المقفى . ولكن القارىء عندنا لم يرفض الشعر الحديث .. انهما يتعايشان جنبا الى جنب ولكن القارىء السوداني يتقبله بشرط هو أن يبتعد عن الغموض والا يكون اصداء لاصوات اخرى . أن أوزان الشعر الشعبي المعاصر عندنا تأثرت بأوزان الشعر الحديث القائمة على التفعيلة المفردة

● حسبها انها لغة القرآن ●

● فراج الطيب السراج ●

● مدير مدرسة ابي روف الثانوية ـ ام درمان ●

● يقدم كل يوم برنامجا اذاعيا من اذاعة ام درمان بعنوان « لسان العرب » يعالج فيه قضايا اللغة العربية . وتقريب فهمها وتذوقها للجمهور المستمع . بجانب كشف ما تتضمنه هذه اللغة المطواعة من ضروب الابداع . وما يتوفر لها من امكانيات فريدة في ثراء التعبير بما يجعلها اللغة المميزة على سائر



وفد الادباء والشعراء السودانيين فى لقاء مع الاشقاء فى القاهرة ..

اللغات .. وحسبها انها لغة القرآن على حد تعبيره .

قدم ايضا برنامج من تراث العرب و « من القصص العربى » عن طريقهما قدم الى المستمع وعرفه بعديد من الشخصيات العربية الفذة التى تركت اثرا سواء فى الشعر او فى السياسة أو فى ساحات الفروسية والمعارك . وذلك فى صورة درامية .

● من انجح البرامج التى قدمها برنامج « فى محراب الشعر » والذى يقدم من خلاله أربعة شعراء افذاذ من عصور مختلفة .. ليدور بينهم او من خلالهم حوار ادبى ونقدى حول نماذج منشعر كل واحد منهم . ومن خلال الحوار تكتشف ملامح عصر كل واحد منهم .

● يقدم ايضا برنامج « يقولون » والذى يتعرض لتصويب الاخطاء اللغوية الشائعة . وبرنامج « رسالة النور » الذىيعرض منخلاله تاريخنا الإسلامى فى صورة درامية .

● له ديوان شعر لم ينشر بعد . وعديد الدراسات فى اللغة والنقد .

● أجهزة الإعلام تحاصر القصة ●

● أبو بكر خالد ●

● مدير مدرسة موسى الضو الثانوية العليا ●

● روائى وكاتب قصص ●

● من اعماله : « بداية الربيع » ـ رواية عام ١٩٥٨ ، « النبع المر » عام ١٩٦٥ ، « قصص سودانية » ـ مجموعة قصصية عام ١٩٥٧ ، و « جاء الصيف » عام ١٩٧٤.

● اعماله غير المنشورة : « تاجوج » « الاعواد الخضر » « القفز فوق الحائط القصيرة » ـ روايات .

● ابو بكر خالد يتحدث :

● القصة فى السودان تمر بما يشبه مرحلة ركود .. فالنافذة التى تطل منها القصة من المجلات والصفحات الادبية والمجموعات القصصية . وإغياب هذه المجلات الادبية وعدم اهتمام الصفحات الادبية بنشر القصة فان هذا يشكل خطورة على حركة القصة عندنا ويجعلها تعانى الركود لان النشر هو اكثر الفعاليات تاثيرا فى تنشيط الحركة الادبية واشاعة النتاج الابداعى .

● اذا كان هناك رأى يقول بان القصة فى العالم كله تقريبا وفى عالمنا العربى تعانى من هذا الركود بعد انتشار كبير وواسع المدى .. فاننى اعتقد أن السبب فى هذا ربما يكمن فى كون أجهزة الأعلام مثل الاذاعة والتليفزيون أصبحت تقدم المادة الدرامية التى تعتمد على شكل يقترب من شكل القصة . وقد أصبحت هذه المادة تستوعب الكثير من قدرات الفنانين .. بجانب الازمة يمكن أن نجد الحل باصدار المجلات الادبية المتعددة التى يجتذب اليها اصحاب الراغب بواسطة ما سوف تفجره من مناخ أدبى يدفع الفنان لان يشارك فيه .

● بالتأكيد تأثرت القصة فى

مع وفد السودان

السودان بالاتجاهات الحديثة الواردة من أوربا .. فالواقع أن الكاتب في أى بقعة من بقاع العالم لا يعيش في شرنقة منعزلة عما يحدث في العالم حوله . خصوصا في عصرنا هذا الذى أصبح فيه العالم – كما يقولون – مجرد قرية .. ولا يمكن لأديب أن يتحصن بما يبعده عن قابلية التأثر بهموم عصره والتيارات الفكرية والفنية التى تموج فيه . ولكن المهم أن يكون صادقا مع نفسه ومع واقعه ومع بيئته الخاصة مع هذا .

● مصر .. تصنع التاثير ●

● السر حسن فضل ●

● رئيس القسم الخارجي في صحيفة « الايام » السودانية .

● صحفي وكاتب روائي ينشر باللغة الانجليزية ●

● صدرت له في لندن رواية « أجمل ايامهم » بالانجليزية ●

● يكتب القصة القصيرة بالانجليزية أيضا ●

● السر حسن يقول :

● لا أعرف السر حتى الآن في كونى أكتب بالانجليزية ما لدى يقال فنا .. وجدت قدراتي الفنية تسوقني لهذا بدون توقف من جانبي لمعرفة الأسباب .. ربما يكون السبب هو توقى لتقديم السودان العربي الافريقى لأوربا .. وللعالم الافريقى الناطق بالانجليزية من حولنا .

● عندنا في السودان نهضة أدبية ممتازة .. وتربتنا خصبة بالعطاء . ولكن المشكلة في الاختناق لعدم النشر

● كل أنواع الأدب في السودان من شعر وقصة ورواية لا يمكن عزلها اطلاقا عن حركة الأدب في مصر .. ربما تكون لعواصم عربية أخرى تأثيراتها .. ولكن التأثير البالغ والفعال يفد من مصر دائما .

● العالم العربي والانكفاء على الذات ●

● عبد القدوس الخاتم ●

● مترجم بوزارة الخارجية السودانية ●

● ناقد أدبى ●

● عن الحركة الأدبية في السودان يقول :

● الحركة الأدبية تعانى الأمرين بسبب أزمة النشر ولا يمكن أن نصدر حكما قاطعا يحدد ملامح هذه الحركة ومداها في غيبة النصوص المنشورة . على أن المشهود به أن هناك تيارات فكرية عميقة الجذور تصطرع بدون أن تجد المصب الذى تتبلور فيه .. في الرواية أنجبنا الطيب صالح وفي الشعر نحن بخير عندنا محمد المهدى المجذوب ومحمد المكى ابراهيم ومحمد عبد الحى والتجاني يوسف بشير . وفي القصة عندنا أسماء جيدة فقد اكتشفنا باحساسنا الفطرى السليم التيارات التى كانت تمور في أحشاء الحركة الأدبية في مصر .

● النقد الأدبى في مصر أسهم في المناخ النقدى في السودان . جاءنا من عندكم أستاذ فاضل هو الدكتور عبد المجيد عابدين تدين له حركتنا الأدبية في السودان بالكثير .. السودان أيضا ساهم في الحركة النقدية في مصر .. ليتكم في مصر تبحثون عن أهمية دور ناقد سوداني

مغمور عاش بينكم وكتب في صحافتكم هو الناقد معاوية محمد نور . لقد اكتشف في الثلاثينات اشياء مذهلة من الثقافة العربية .. كان يكتب في « السياسة الاسبوعية » و « البلاغ » دراسات تتسم بالنضج والرؤية النقدية .. وارسى كثيرا من المفاهيم من خلال نقده لمسرح شوقي .. والعقلانية في شعر العقاد .. كما كان اول من اكتشف اقتباسات المازني من الشعر الانجليزي .. ومن سوء الحظ ان هذا الناقد توفي في السودان مبكرا بعد عودته من مصر اذ لم تستطيع البيئة السودانية ان تتقبله على علاته .

● الحركة الادبية في السودان مهما ابدعت . ومهما توفر لها من اصالة فبدون النشر لن تتمكن من ان تلعب دورها في السودان .. لانها مهما حاولت لن تستطيع ان تنقذ من الحيطان الصفيقة من ازمة النشر وازمة تجاهل السابقين في الوطن العربي لها . وازمة قلة التعاطف من العالم العربي مع هذه الاقسام الوافدة من الجنوب .. لقد كان لنا عون كبير في اخواننا في مصر ولكن الحركة الفكرية في العالم العربي تمر الان عموما بازمة انكفاء على الذات .

● هناك محاولات من جانب الدولة لحل الازمة . وجود هذا الوفد هنا في القاهرة جزء من محاولة الدولة لتحطيم الحواجز الموجودة . ولكن لا يحل قضية الادباء الا الادباء بمعنى ان كل الاجراءات مهما جاءت في الاتجاه الصحيح فانها لا تخلق الادب الصحيح ولكن تلاحق الافكار ينتج الفكرة العامة .

● السودان ارض الفنون الجميلة ●

● حسين جمعان عمر ●

● محاضر بكلية الفنون الجميلة بالخرطوم ●

● فنان تشكيلي . حصل على ماجستير كلية الفنون الملكية في لندن في علم التصميم الايضاحي .

● عن الحركة التشكيلية يقول :

● اعتقد ان حركة الفن التشكيلي في السودان – وهذا رايي الخاص – تعتبر من انضج الحركات الفنية في العالم العربي وفي افريقيا قاطبة .. قد تكون الحركة التشكيلية بارزة في نيجيريا . وقد تكون قسماتها متميزة في العراق . وقد تكون عراقتها متاصلة في مصر . ولكنها في السودان بالذات اكثر تفردا .

● تسالني عن سر هذا التفرق .. السر يكمن في هذا المزيج المدهش للحضارة الاسلامية العربية والنوبية والمسيحية . ان هذا المزيج هو الذي يطبع السودان بطابعه الخاص في كل شيء فكل هذه العناصر ساهمت في صهر القيم الجمالية التي تحفل كل منها في بوتقة واحدة . هذا بجانب التاثيرات المعاصرة في الفن التشكيلي .. ان انتاج الحركة التشكيلية في السودان لاتعنيه نظريات الفن . فالفنان عندنا يبدع تلقائيا ما يمثل ملامح الحياة السودانية حوله .. انه يتشرب واقعه ويصبغه لفنه . في شهر اكتوبر سيقام في القاهرة – كما اعلم – معرض للكتاب السوداني . واتمنى ان يكون للفن التشكيلي مكانه في هذا المعرض ليمكنك التحقق من صدق ما ذكرته لك عن الفن التشكيلي في السودان .

على باب الخطيئة

إدوار حنا سعد

قصة الفتى الغرير •
والمرأة الهلوك ••

هذا الليلُ ، فاستبد بنفسي
موعدٌ عاصفٌ بروحي وحسّي

نازعتني لـه ، ضراوةُ يومي
وتصدت لهـا غرارة أمسي

أنا في العاصف العتيّ شراعٌ
ليس يدري أيانَ .. أو كيف يرسي

وتمزقتُ .. بين رغبٍ ورهبٍ
وعلى بابهـا .. أفقت لنفسي

***

همسَ المخدعُ الأنيقُ الوردي
مرحباً بالصبا وبالحب ، عندي

وبريقُ الكأسين ، والخمر قالا
إن تقواك ، بيننا ، ليس تجدي

فدخلنا إليه ، كفنا بكف
من فتون الهوى ، وخدا لخد

وأنا حائرٌ ... أهمُّ وأخشى
وهي تخفي الهوى،لعوباً .. وتبدي

***

هدهدتني العطور والأنوارُ
خافتات .. وناوشتني النارُ

فإذا الغرفة الصغيرة تغدو
عالماً .. لا تحده الأبصار

وغيوما موردات الحـــــواشي

وسماءً لحظـهـــــــا الأسرارُ

وبحاراً إعصـــــارهن نسيمٌ

ورياضاً .. نسيمها إعصـــــارُ

***

وإذا عالمٌ جـديد مبــــاحُ

جللته الطيوفُ والأشـــباحُ

ويدٌ عانقت .. وأخـــرى تراخت

وأسى يَبتدي .. ونعمى تــــاحُ

أجريحٌ شـــفته كأس التـدانى

أم برىءٌ قد أثخنتـــه الجراح ؟

.. وانطوت قصــةٌ .. كأن رؤاها

حُلُمٌ .. واتباهةٌ .. وصــباحُ

***

شهدَ الفجــر مشفقاً .. ما أعانى

حين غادرت ســـاحة الشيطانِ

هــــارباً ينفثُ المرارةَ أفقى

وخجـولاً من كلِّ وجــهٍ يَرانى

ندمى صارخٌ على كلمــــــاتى

وحنينى معـربدٌ فى كيــــانى

صوحت جنتى ... وهيض جناحى

وعرتنى مآتم الإنســـــــان



● ادوار حنا سعد ●

● الاسكندرية ●

محمد
عبد الغنى
حسن

ثأر بين العرب والفرنجة
عقب غزوة الاسكندرية

اذا قلنا غزوة الاسكندرية لم ينصرف الذهن – لمن يقرأ التاريخ الاسلامى – الا الى غزوة ملك قبرص – الملك بطرس لوزجنان بن الملك هيو الرابع – لثغر الاسكندرية سنة ٧٦٧ هـ – سنة ١٣٦٥ م . وهى تلك الغزوة التى حدثت فى عهد السلطان المملوكى شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون

وقد أشارت اليها اجمالا أو تفصيلا كتب التاريخ المعاصرة لها أو المؤلفة بعدها ، مثل كتاب «النجوم الزاهرة» لابى المحاسن يوسف بن تغرى بردى المتوفى سنة ٨٧٤ هـ ، وكتاب « السلوك ، لمعرفة دول الملوك » للمؤرخ احمد بن على المقريزى المتوفى سنة ٨٤٥ هـ . ومثل كتاب « الالمام » الذى الفه محمد بن القاسم النويرى المالكى المتوفى بعد سنة ٧٧٥ هـ ، والذى كان معاصرا لتلك الحملة التى قادها بطرس ملك قبرص ، وحشد لها جموعا كثيرة من الفرنجة والبنادقة وأهل جنوة ، وأهل كريت – أو اقريطش – وغيرهم ، وكانت عدتهم – كما قدرها المؤرخ ابو المحاسن – تزيد على ثلاثين الفا . وقد حملتهم من جزيرة قبرص – مركز تجمعهم – الى ميناء الاسكندرية ، انواع من سفن ذلك العصر ، منها : الاغربة ، والقراقر ، والشوانى ، والاغاريط وغيرها .

واذا كان المؤرخ ابو المحاسن قد أوجز فى ذكر وقعة الاسكندرية بما لا يزيد على صفحتين من كتابه المشهور ، فان المؤرخ تقى الدين المقريزى قد اطال بعض الشىء فى بضع صفحات من كتابه ، فى وصف ما دار بين الفرنجة والمسلمين فى تلك الايام الثمانية العصيبة التى قضاها المغيرون فى الميناء يعيثون فسادا ، ويخربون الدور ، ويسرقون ما تصل اليه ايديهم من المتاع ، حتى ليصفهم المقريزى بقوله : (فنزل وقت الضحى من يوم الجمعة ملك قبرص – واسمه ربير بطرس بن ربوك – وشق المدينة وهو راكب ، فاستلم الفرنج الناس بالسيف ، ونهبوا ما وجدوه من صامت وناطق ، واسروا وسبوا خلائق كثيرة ، واحرقوا عدة اماكن ، وهلك فى الزحام بباب رشيد ما لا يقع عليه حصر " فاعلن الفرنج بدينهم



وانضم اليهم من كان بالثغر من النصارى ، ودلوهم على دور الاغنياء لاخذوا ما فيها . واستمروا كذلك يقتلون ، ويأسرون ، ويسبون ، وينهبون ويحرقون من ضحوة نهار الجمعة الى بكرة نهار الاحد . فرفعوا السيف ، وخرجوا بالاسرى والغنائم الى مراكبهم واقاموا بها الى يوم الخميس ثامن عشريته ، ثم اقلعوا ، ومعهم خمسة آلاف اسير . فكانت اقامتهم ثمانية ايام ...)

على ان المصدر الوحيد المعاصر لحملة ملك قبرص على الاسكندرية هو كتاب « الالمام بالاعلام ، فيما جرت به الاحكام والامور المقضية ، فى واقعة الاسكندرية » للمؤرخ الاسكندرى محمد بن القاسم النويرى الذى يعد شاهد عيان للحملة . فقد رآها بنفسه فى بعض المواقع ، وسمع كثيرا مما رواه الناس فى مواقع أخرى من الثغر ، وجمع كل ما سمعه ورآه فى كتابه الضخم الذى تحتفظ دار الكتب المصرية بنسخة خطية منه ، ثم اتيح له ان يطبع فى حيدر اباد الدكن بالهند منذ عام واحد بتحقيق المؤرخ المصرى المعاصر الدكتور عزيز سوريال عطية .

واذا كان النويرى هذا - هو غير النويرى صاحب كتاب نهاية الارب المشهور - قد أطال فى كتابه الخاص بهذه الواقعة بما جعله موضعا للنقد عند المؤرخين والباحثين حتى فى عصره ، وبما خرج بالكتاب عن قصده الى استطرادات لا محل لها ، ولا مقتضى لايرادها - فان تفصيل حوادث الواقعة ذاتها يعد وافيا بالغرض ، كما يعد مصدرا وثيقا لمن يودون ان يؤرخوا لهذه الحملة التى وقعت بعد انتهاء الحروب الصليبية ولهذا لا تعد فى تاريخ الحروب الصليبية التى امتدت نحو قرنين من الزمان وانتهت فى عهد السلطان « الاشرف خليل » الذى بعث بالجيش الذى اعده والده لفتح عكا التى كانت اخر مدينة حصينة بقيت بأيدى الصليبيين ، وانتهى الامر بان فتح جند الاشرف خليل مدينة عكا سنة ٦٩١ هـ ، وهزموا حصونها ، وتلا ذلك سقوط باقى المدن الصليبية فى الشام وانقراض دولتهم ..

ومن هنا نعرف ان واقعة الاسكندرية سنة ٧٦٧ هـ كانت بعد انتهاء الحملات الصليبية ببضعة وسبعين عاما . وانها لهذا لا تدخل فى نطاق الحروب الصليبية ، وان كان يبدو انها قصد بها ان تكون امتدادا لها ، او بعثا جديدا لبواعثها ... والا فما معنى اشتراك نصارى الفرنجة ، والروادسة - اهل رودس - والقبارصة ، والخرايطة - اهل جزيرة كريت والجنويين والبنادقة فيها ؟ .

وبالطبع لم يكشف جيش العدو المغير عن غرضه من هذه الحملة ، ولا الدوافع التى دفعته الى القيام بها . ويبدو انهم طرقوا المدينة المسالمة المطمئنة على حين غفلة - كما يقول صاحب النجوم الزاهرة - فى سبعين سفينة مختلفة الاحجام والاغراض . وان كان المقريزى - صاحب السلوك

ثأر

بين العرب والفرنجة

ـ يقرر أن أهل الثغر السكندري كان قد بلغهم منذ أشهر اهتمام الفرنج بغزوهم ، وأن الأمير صلاح الدين خليل بن عرام ـ متولي الثغر ، قد كتب بذلك الى السلطان الأشرف شعبان ونائبه الأمير ، يلبغا ، ولكن السلطان لم يهتم بالأمر ، ولا اهتم به الأمير ، جنغرا ، نائب الأمير ابن عرام الذي كان قد خرج الى الحج وأناب عنه ذلك الأمير ..

ومن عجب أن سلطان مصر الأشرف شعبان كان وقت نزول الحملة بالثغر غائبا عن القاهرة في بلدة سرياقوس ، كما كان ابن عرام غائبا عن مصر كلها في موسم الحج ، فوقع العبء كله على يلبغا : نائب السلطان من ناحية ، وعلى الأمير جنغرا نائب متولي الاسكندرية من ناحية أخرى .

ولما تحرك السلطان شعبان ومعه نائبه يلبغا متوجها الى الاسكندرية بعد أن عبروا النيل بالجيش المصري في غير تعبية ولا ترتيب ، لشدة ما دهمتهم المفاجأة ، كان الخبر قد وصل الى المغيرين بعد أن عبثوا في الاسكندرية قتلا ونهبا وأسرا ، فتركوها وعادوا الى مراكبهم بالبحر . ولعلهم عاموا على أمل العودة الى النزول الى البر مرة أخرى ـ على الرغم من شدة لقاء أهل الاسكندرية لهم ، وقسوة حملتهم عليهم ، أو لعلهم كانوا يقصدون ثغرا عربيا اسلاميا آخر . كما حدث بعد ذلك بزمن قليل حين ذهبوا الى طرابلس الشام ونزلوا بها وحملوا عليها حملة شديدة ...

ولم تكن واقعة الاسكندرية ، هينة على الرغم من قصر أيامها الثمانية فقد كان نضال الشعب قويا وعنيفا ورائعا . وكان للمرأة العربية من أهل الثغر دور هائل في المعركة على قدر ما واتتها امكاناتها ، ويكفي أن يصف المؤرخ المقريزي هذه الواقعة بقوله : (فكانت هذه الواقعة من أشنع ما مر بالاسكندرية من الحوادث ، ومنها اختلت أحوالها ، وافتضح أهلها ، وقلت أموالهم ، وزالت نعمهم . وكان الناس في القاهرة ـ مدة أعوام كثيرة ـ تجري على ألسنتهم جميعا : « في يوم الجمعة تؤخذ الاسكندرية » ، فكان كذلك ...)

وتوقع الفرنج أن المصريين والعرب سيهبون للأخذ بالثأر ممن اجترأ عليهم في مأمنهم ، واحتالوا بوسائلهم أن يتقربوا الى السلطان المصري من جديد ، وأن يبعثوا اليه برسلهم يشرحون له حسن موقفهم وطيب نياتهم ، وأنهم كانوا مخدوعين من الملك بطرس صاحب قبرص . ولقد حملوا رسلهم ـ فوق رسائل الاعتذار ـ هدايا نفيسة الى السلطان المملوكي شعبان . ومازالوا يحتالون حتى نزلوا البر وطلبوا المثول بين يدي السلطان ، فلما مثلوا قدموا اليه هدية ملك الفرنج اليه ، فأخذ السلطان الهدية وفرقها ـ بحضرتهم ـ فيمن بين يديه . ولم يأخذ لنفسه شيئا ... الا طستا وابريقا من الذهب ، وصندوقا لم يعرف ما فيه . وتضمنت الرسالة أنهم في طاعة سلطان مصر ، وأنهم مساعدوه على صاحب قبرص . وطلبوا تجديد الصلح ، وتمكين تجارهم من النزول بالثغر الاسكندري .. وأن تفتح كنيسة القيامة ـ أو القمامة ـ بالقدس ، بعد أن كانت أغلقت عقب واقعة الاسكندرية ...

وهنا أجابهم السلطان شعبان في حزم وصرامة واستعلاء (بأنه لا بد من غزو قبرس وتخريبهـا ...) ويختتم المقريزى وصف هذه السفارة بأن رسل الفرنج لم يجابوا واعيدوا الى بلادهم خائبين ...

●●●

ولم يكن هذا شأن الفرنج وحدهم في موقفهم من الواقعة واعتذارهم من حدوثها ، فقد جاء الى مصر ايضا رسل ملك جنوة ، ومعهم ستون أسيرا من اهل الاسكندرية ، ومعهم بعض الهدايا الثمينة للسلطان شعبان ، ولنائبه الامير يلبغا . وكان من اعتذار ملك جنوة انه جاهل تمام الجهل بأمر هذه الواقعة التى تعد مفاجأة له ، على الرغم من اشتراك جنود من الجنويين فيها ، وانه لم يعلم بها الا بعد وقوعها ! وانه مستقر على الصلح دائم في طلبه ...

وزكى ملك جنوة نفسه ايضا بأن الاسرى المصريين من اهل الاسكندرية الذين صاروا اليه ، واصبحوا في ملك يده ، هم ممن اسرهم ملك قبرس نفسه الذى عدهم غنائمه ، ووزعهم على ملوك الفرنجة ، فكان هؤلاء الستون اسيرا من نصيب ملك جنوة الذى يردهم الآن الى مصر بعد أن انصف لهم واحسن اليهم وكساهم ، واجرى لهم الرواتب من يوم صيرورتهم في ملك يده حتى بعث بهم الى سلطان مصر ...

والحق أن هؤلاء الاسرى المصريين قد اجمعوا على الشهادة بحسن معاملة ملك جنوة لهم ، كما اطبقوا جميعا بالاثناء عليه ...

والحق أن عواطف المصريين والعرب والمسلمين جميعا كانت تغلى لهذه الوقعة النادرة ، وخاصة بعد أن اتبعها العدو بالحملة على طرابلس الشام . وكان الرأى العربى الاسلامى العام ساخطا على الذى حدث من ملك قبرس . ومستعدا للأخذ بالثأر والانتقام من العدو بسرعة هائلة . وكان رد الفعل المباشر لوقعة الاسكندرية أن اخذ سلطان مصر ونائبه الامير يلبغا يتأهبان لغزو الفرنج وخاصة القبارسة في عقر دارهم ، وقبضت السلطات في مصر والشام على جميع من فيهما من الفرنج على اختلاف أجناسهم ودولهم ، ويقول المقريزى انه (احضر البطريق والنصارى ، والزموا بحمل اموالهم ، لفكاك اسرى المسلمين من أيدى الفرنج . وكتب بذلك الى البلاد الشامية ، وتتبعت ديار النصارى التى بأعمال مصر كلها ، والزم سكانها باظهار اموالهم واوانيهم وعوقبوا على ذلك ...)

وشمر العرب جميعا — وعلى رأسهم المصريون — عن ساعد الجد ليبنوا لمصر أسطولا عظيما يستطيع أن يشن الغارة في البحر المتوسط وفي بلاد الفرنجة وجزرهم ، ليأخذ بالثأر للاسكندرية وطرابلس الشام ،

ولما كان بناء مثل هذا الاسطول المتعدد القطع المختلف الانواع يحتاج الى قيم عليه مشهور بالانجاز وسرعة التنفيذ ، فقد عين الامير يلبغا لذلك المشروع الوزير فخر الدين ماجد بن قزوينة ، وهو من قبط مصر ، وقد تولى وزارة الشام اولا ، ثم نقل الى وظيفة مصر ، واضيف اليه الخاص ، كما يقول عنه المؤرخ ابن حجر في الجزء الثالث من كتابه : (الدرر الكامنة ، في اعيان المائة الثامنة) . والحق أن هذا الوزير المدبر كان حسن التدبير ، جيد الادارة لشئون المال في مصر ، فقد خلف بيوت المال في الدولة المصرية عامرة بالذهب والفضة ، وخلف الامراء عامرة بالغلال ، وان كان يؤخذ عليه انه جمع هذه الاموال من الظلم وكثرة

الانفة والاستطالة على الاكابر ، استنادا الى ما كان يمده به يلبغا من الجاه والمساندة .

وكان مقاول عملية بناء السفن المصرية المطلوبة للثأر والانتقام من العدو الامير علاء الدين يلبغا الذى يسمى « شاد العمل » أو متعهده ، كما كان بهاء الدين بن المفسر هو ناظر العمل . وندع المقريزى يصف لنا بعبارة ذلك العصر مدار العمل فى الاسطول المصرى الجديد قائلا :

(... فقدم للعمل مائة شينى — أى سفينة — ما بين غراب وطريدة ، برسم حمل الخيل ، فكان امرا مهولا ونودى بالقاهرة ومصر بحضور البحارة والنفاطة ، ومن يريد الجهاد فى سبيل الله الى بيت الامير يلبغا الاتابك للعرض ، واخذ النفقة للسفر فى المراكب . فاجتمع عدة من المغاربة رجال البحر ، وكتبت اسماؤهم ، وقررت لهم الجامكيات واقيمت لهم نقباء وقاموا فى مساعدة صناع المراكب . وكتب الى طرابلس ونحوها من بلاد الساحل بانشاء مراكب حربية ، وجمع رجالها ، فكان عملا جليلا ...)

●●●

ولما تمت صناعة قطع الاسطول المصرى الناشىء بأعدادها المائة احتفل بنزولها الى البحر فى مهرجان عظيم . وندع للمقريزى — أيضا وصف ذلك اليوم بعبارته حيث يقول فى موضع آخر من «السلوك» :

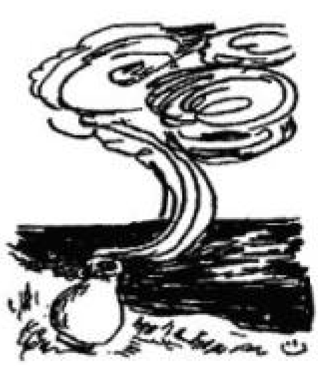
(وفى هذا الشهر كملت عمارة الشوانى البحرية ، وعدتها مائة قطعة ما بين غربان وطرايد ، فاستخدم الامير يلبغا لها من الرجال ما يكفيها ، وجمعهم ، ما بين مغاربة وتراكمين وصعايدة ، ورتب لهم رؤساء ونقباء ، وانفق فيهم الجامكيات المقررة ، وشحن الاغربة بالعدد الحربية وجميع آلات السلاح .

فلما تهيأت كلها فرقها الامير يلبغا على الامراء فتسلم كل أمير ما خصه من الشوانى وزينها بأعلامه ، واقام فيها الطبول والابواق وانزل بها عدة من مماليكه ، وقد البسهم آلة الحرب ، وامرهم بالسير فيها للغزو اذا سارت . ثم ركب السلطان والامير يلبغا وسائر امراء الدولة وأعيانها لرؤية الشوانى وقد كملت وتم أمرها وتهيأت رجالها .)

والحق أن اشتراك النجارين وعمال بناء السفن فى عملية بناء الاسطول المصرى عقب غزوة الاسكندرية وطرابلس الشام مباشرة يدل على مدى ما يفعله التعاون على البر وما يسوقه من النتائج الجميلة .. ولقد خرج المرسوم السلطانى المصرى الى بلاد الشام — وفى جملتها حلب — بأن يخرج جميع النجارين وكل من يعرف بمسك منشارا بيده — كما يقول المؤرخ ابن تغرى بردى ، ولا يصح ان يتخلف واحد عن هذه المهمة القومية الكبرى . وقد خرج المئات من هؤلاء الى جبل شغلان ، وهو جبل عظيم مرتفع يقع فى شمالى سورية اليوم ، بل يدخل جزء منه فى حدود الجمهورية التركية ، ويمتاز بما فى غابه من أشجار الصنوبر والقرو وغيره ، وهو على مقربة من انطاكية التى تقع فى تركيا اليوم .

. واخذ هؤلاء العمال يقطعون الالواح ، وينشرون الاخشاب اللازمة لصناعة المراكب ، ويحملونها من أقصى شمالى الشام الى قلب الديار المصرية ..

ولا نكران أن شعور العرب والمسلمين ازاء الغزاة قد حمل من



التعاطف والتضامن والتعاون ما يستحق أن يشار اليه في هذا المقام . كما أن ايمانهم بضرورة اخذ الثأر والانتقام من المعتدين اخذ يزداد يوما بعد يوم ، وخاصة بعد أن بلغتهم أنباء المقاومة المصرية والشامية التي ضربت أروع الامثال، وقد سجل المؤرخ ابن القاسم النويري الاسكندري كثيرا من مواقف البطولة الرائعة في النضال مما تركه الحديث عنه لكتابه الجليل المطبوع أخيرا بالهند .

وهنا نرى ملكا عربيا متحمسا هو السلطان أبو عبد الله محمد بن يوسف بن الاحمر ملك غرناطة في زمن الغارة على الاسكندرية ينهض بدافع من المشاركة الوجدانية العربية الاسلامية فيغزو بلاد الفرنجة المتاخمة لحدود مملكته بالاندلس . ولما كتب الله له النصر في عدة وقائع هناك ، وكتب له أن يفتتح مدينة (جيان) التي كانت مستعصية لقوة تحصينها ، أرسل الى السلطان عبد العزيز المريني ملك المغرب ومراكش والمقيم بمدينة فاس رسالة يبشره فيها بالفتح ، ويخبره بنجاح حملة الثأر لثغر الاسكندرية وطرابلس الشام يقول فيها : (... فنوينا أن نرفع بها متهشم جانب الاسكندرية ، ونقوم بفرض الكفاية عن الكافة المرضية ... واخربت الدور والقصور - يعني دور الفرنجة - والبيع والرباع الشهيرة، والحانات المطروقة ، والديورة المقصودة ، والقيامس الميسورة ، فسلطت النار على أعاليها ، والهدم على ما يليها ، وجللها الدخان ، وظللها الخسران ، ونادى منادى الحمية : يالثارات الاسكندرية !) .

***

والحق أن السلطان الاندلسي الشهم محمد بن يوسف بن الاحمر ملك غرناطة قد حز في نفسه ما وقع للاسكندرية حين بلغه نبأ ذلك من أحد الاسرى المصريين الذي حصل في يده بعد أن وقع في يد القبارسة والفرنجة المعتدين ، فلما عرض أمام ابن الاحمر وقص عليه أنباء وقعة الاسكندرية تأثر السلطان الاندلسي تأثرا بالغا ، وعبر عن حقده على القبارسة والفرنجة الطغاة ، وعلى عزمه على الثأر لمصر والشام ..

واذا كان ملك غرناطة قد ناب عن العرب جميعا في الاخذ بالثأر لهم من القبارسة وأعوانهم بما فعله مع ملوك الفرنجة المتاخمين لدولته في الاندلس ، فان بناء الاسطول المصري على نية الثأر والانتقام وخروجه الى البحر المتوسط ، وأعماله الاسر والقتل في السفن المعادية بقيادة البطل العربي المغربي المسلم ابراهيم التازي - كان كافيا لوقف الفرنجة عند حدهم ، وعودتهم الى الخضوع والمصالحة مع مصر زمانا طويلا ، الى أن جد بعد ذلك من الامور ما لا سبيل الى تناوله في هذا المقام الضيق ...

حسن فتح الباب

في ضياء القمر

ادعوكِ أن تهتدي خطى غربتي
وتحجبي الأشباحَ عن ليلتي
وتسكبي السلوانَ في مهجتي
وتمنحيني هدأةَ المستقر
فقدْ علا الأفقَ ضياءُ القمرْ

***

هيّا بنا يا أخت للمعبدِ
جنبا لجنب ويدا في يد
تستبق الخطوَ إلى الموعد
وبيننا وادي الهوى يزدهر
والقلبُ يشدو في ضياءِ القمر

***

هناكَ أنّا في الهوى نسعد
وأننا ـ أنتِ أنا ـ نخلد
كوكبنا في أفقهِ أوحد
ونحن في الأرضِ خيال عبرْ
إلفانِ هاما في ضياء القمرْ

***

نمضي وأنغامُ الهوى حولنا
وموكبُ الأحلامِ يمضي بنا
قدسيةَ الأطيافِ عُليا السنى
مستكلمات راقصاتِ السحرَ
تحثنا يهاديه ضياءُ القمرَ



حتى يَلْتَغنا الجنّةُ الضائعه

رَيّانةً أنفاسُها ضائعه

رَفيفُها في الروحِ ما أروعَه

إن لفّنا الصمتُ بها والذكر

على طريقٍ من ضياءِ القمر

***

تفشّنا سَاحُ الرؤى الضافره

كالطيرِ في أطيافِها الساحره

ونحنُ من موجاتها الزاخره

على شراعٍ سابحٍ في نهر

ينسابُ من فيضِ ضياءِ القمر

***

أسرى بنا في فلكٍ هائم

والكونُ في القمراءِ كالحالم

والحب في صدرٍ له راحم

يهمسُ بالنجوى كخفقِ الوتر

رؤيا ملاكٍ في ضياءِ القمر

***

وفي حِمى معبدنا الشامق

فاضت ينابيعُ الهوى الدافق

شِعْراً كهمسِ البلبلِ العاشق

أهديه قرباناً شوقي الزهر

إلى حبيبي في ضياءِ القمر

عبد الرضا علي

طه حسين والنقاد العراقيون

كان طه حسين امام مدرسة عقلية سطع نورها في ارض عربية كانت تشكو ستارا من ضبابية التخبط في البحث والمنهج ، ولم تكن حتى في تقليدها لمناهج السالفين تدنو من ابسط مقومات البحث العلمي الذي يقوم على اساس القسمة العقلية في الطرح والتناول والتعامل مع النص بفكر حي ومنهج واضح سليم ..

وليست التلمذة مقصورة على حضور الدرس والاستماع ومن ثم تسجيل الرسائل تحت اشراف العميد طه حسين والا لكانت مقتصرة على عدد محدود في عالم لا يعترف بالاقلية النزرة ، وانما التلمذة الحقة هي تلك الحركة الواسعة من الاتباع والمريدين في الاقطار العربية التي سارت على هدى طه حسين في البحث والتأليف والمنهج ، فائتمرت به ، واعتنقت نهجه ، وطبقت طريقته

فكان ان ظهر كتاب مبدعون تتلمذوا على طه حسين في منهجه دون أن تكون لهم ادنى قربى به ، وربما لم يكونوا قد تحدثوا معه ، أو حتى شاهدوه .

هناك مثلا الدكتور علي جواد الطاهر وهو من اساتذة الادب في جامعة بغداد ، تجده يعلن تلمذته على الدكتور طه حسين بكل فخر واعتزاز قائلا : « لم تكن تلميذا له في صف أو مدرسة أو في اي مكان محدود بسياج ، ولكنك كنت تلميذا له في كتبه ومقالاته ، تلميذا لاستاذ علمك معنى أن يكون الاديب مبدعا .. ولا تفرق تلمذة من هذا النوع تلمذة من ذلك النوع » (١)



---

(١) علي جواد الطاهر : نبأ ، مجلة (الاقلام) العراقية ، السنة التاسعة ١٩٧٢

وليس بعيداً عن الحقيقة ان قلنا ان كثيراً من العراقيين الذين كانوا يودون اكمال دراساتهم الادبية العالية في مصر ، كانوا مدفوعين برغبة التلمذة للعميد طه حسين ، سواء اكانت تلك التلمذة بالاستماع الى دروسه ، ام كانت بالعمل تحت اشرافه ، لانهم لم يرغبوا بدراسة الادب الا بعد ان ترك طه حسين فيهم من سحره وعبقريته وادبه المترفع ما ترك من اثر ...

ولست الغالي ان قلت ان طه حسين الاديب نفسه كان من بين الاسباب التي شجعتني ودفعتني الى شد الرحال الى مصر لدراسة الادب في جامعاتها قبل سنوات وسنوات فقد كنت احب أن اراه بعد ان قرأته، وان اعد من طلابه في الكلية الى جانب ما استفدته من مطالعة كتبه وآثاره، فقد خلبني ادبه ، واطربني نهجه ، وسحرتني شخصيته (١)تلك الشخصية الفذة التي كان لاسلوبها المتفرد في عالم الادب دليل على تأكيد الاصالة المبدعة المتجسدة في عبقرية الانسان حين يطرح نفسه من خلالها ، فنحن حينما نقرأ الايام فانما نقرأ ما في طه حسين ، انه الاسلوب الذي يحسه المتلقي في الاثر الادبي .

ولقد صدق من قال ان الاسلوب هو الرجل نفسه ، لان اسلوب طه حسين كان متميزاً واضحاً في كل اعماله، حتى انك لتحس ذلك ان كنت من قرائه في اي نص حتى وان كان ذلك بطريق المصادفة وبدون معرفة ان النص يعود له .

ومن الطبيعي ان يكون الاسلوب عاملاً مهماً من عوامل تلمذة الادباء عليه ، لانه كان يطرح عبقرية الرجل وشخصيته ولوازمه وطرق تفكيره ومعالجته ، انه اذن العامل الرئيسي في التلمذة التي حدت بالكثيرين الى اتباعه والتعلم منه ، ولهذا فمن الطبيعي أن يؤكد ذلك علي جواد الطاهر بقوله : « ولكن التلمذة الحقيقية تهيأت لنا من طريق واحدة، هي أسلوب طه حسين ، أي طه حسين كاملاً غير مجزأ يقدم نفسه خلال الحرف المبدع » (٢) لانه دليل على وعي تام بعبقرية طهحسين وتفرده واعجازه ، ولان اصالته كانت تنبع من مقدرته على شد القارىء اليه ومتابعته في استطراده وسخريته ومعالجاته التي كانت تستخدم اللغة الرصينة وسيلة في توصيل افكاره عبر اسلوب عرف بتفرده فيه ، حيث « كانت للرجل طريقة في الاداء ،انفرد بها ، اي انه صاحب اسلوب ، لم يكن مقلداً فيه ، ولا يستطيع احد ان يحاكيه دون ان ينقلب عمله الى نوع من العبث ، وقد حاول كثيرون، دون جدوى (٣) لان خصائص اسلوبه كانت قد كونتها ثقافته الواسعة بشقيها التراثي والغربي ، فعرف القديم وخبر اسراره واستقرأ الجديد وتمثله .

وعندما راح يعرض افكاره لم ينس الاعتماد على وسيلة للتوصيل فكانت لغته الحية مدعاة للاعجاب ، وذلك لانها كانت رصينة منتقاه بعد في كثير من الاحيان الى اعادة صورة

---

(١) مشكور الاسدي ، نقلا من جمال الالوسي ، طه حسين بين انصاره وخصومه - مطبعة الارشاد ، بغداد ١٩٧٣
(٢) علي جواد الطاهر ، نبأ ، مجلة (الاقلام) العراقية ص ٤
(٣) جلال الخياط ، طه حسين موقف واصالة ، مجلة « الاقلام » العراقية ، السنة التاسعة ١٩٧٤ .

الموسيقي العذب ، مستفيدا من لغة التنزيل العزيز (٢) في بحث الجزالة فيها وعلى الرغم من الاستعمال فقد بقي اسلوبه سهلا ، منسابا بشكل جميل ، لانه عندما يتناول الاثر بالدراسة ، فانما يتناوله بشكل يجعله قريبا من المتلقي ؛ انه يقترب فيقرب غيره .. ويكون وسيلة الوصل بين متباعدين زمنا وفكرا .. وسلاحه الاول في ذلك الاسلوب ، وانه قادر بهذا الاسلوب ان يؤنسن الاشياء اي يجعلها احيا اذ يمسها(٦».

وهنا تتجلى عبقرية الرجل ، حين يتحول اسلوبه الى نثر فني يقارب الشعر في خصائصه فيجعل المتلقي يعيش المتعة مرتين، مرة مع مناقشات طه حسين للقضايا الادبية ، ومرة اخرى مع اسلوبه الادبي المميز الذي يحاكي اجمل القطع النثرية الفنية والشعرية ، لانه ، سهل لين يجري متمهلا ويجري مترفقا ، جادا تارة ، وساخرا اخرى ، مستطردا قافزا مرددا معيدا ، همه ان يسيطر على انتباه القارىء او السامع »(٣) وتلك غاية لا تتأتى لغير طه حسين ، لانه يملك الوسيلة التي تطوع له انتباه المتلقي ، فقد تحبر بثقافته الواسعة ، النظرة المثلى لعالم المحاججة العلمية الواعية .

يعتبر طه حسين اول كاتب استطاع ان يجعل للنقد الادبي العربي الحديث



طه حسين و النقاد العراقيون

منهجا علميا يقوم عليه ، اذ وضع من خلال بحوثه الاولى لبناته الاساسية ، ثم شرع بعد ذلك يبني تلك الاسس الفنية بمنهجية تقوم على طريقة جديدة في البحث والتأليف ، جعلت الناقد بعد حين لا يقل موهبة عن صاحب الاثر الفني « شاعرا كان ام ناثرا ، ان لم يفقه في احيان كثيرة ... واصبح النقد المنهجي موهبة وقدرة لا يمتلكها الا من اوتي قدرة نافذة في تفسير وتحليل الاثر الادبي ، ومن ثم ادراك ما يعنيه النص وما يحمله

بحطه من معنى خارجي وداخلي . والوقوف على ابعاده ودقائقه . والتحدث عنه بلغة الخبير .

وقد اجمع النقاد العراقيون على ان الفضل في هذا يعود الى طه حسين ، اذ «كان الرائد الاول للنقد ، فرسم موازينه ، وعبد شرعته ومهد الدرب لمن جاء بعده ممن كتب في هذا الفن الرفيع واستطاع ان يعبد للاديبطريقة» (٤) وان يقرب بين النص والمتلقي ، فيفيد منه المنشىء والقارىء ، يفيد منه الاول ما سطره من ملاحظات تتعلق بالنص من حيث تبيان جوانبه الايجابية والسلبية . ويفيد منه الثاني بتحليل النص وتقريبه منه وجعله يتعامل مع الاثر بكل دقائقه التي لمست عليه « فطه حسين لم ينبذ اسلوبه الذي نشأ عليه ظهريا ، ولم يتعلم اسلوبا ادبيا فرنسيا ديكارتيا جديدا او يونانيا قديما، بل تعلم طريقة بحث جديدة(١. الجملة العربية البليغة ذات الجرس

(١) ابراهيم السامرائي ، « نظرة في لغة الدكتور طه حسين » .
(٢) علي جواد الطاهر ، نبا ، مجلة (الاقلام) لسنة ١٩٧٢ .
(٣) جمال الدين الالوسي ، طه حسين بين انصاره وخصومه .
(٤) المصدر السابق .

لانه فنان ، يتجلى فنه فى عطائه المتطور ، وهو الى هذا وذاك صاحب مدرسة فى عالم البحث الادبى قائمة بذاتها ولها مريدون وتلاميذ ، وكانت ايجابية حتى فى سلبية الآراء والكتب التى وقفت ضدها ، تناقش وترد ، فقد أحيت الحركة الادبية المعاصرة وكانت لها نتائج باهرة فى تاريخ الادب العربى الحديث ، (١)

ان طه حسين سيبقى علامة مضيئة فى تاريخ الادب العربى الحديث ، يشار اليه بالعبقرية والريادة فى كل ما انتج ، وفى ما انتج نقده ، لانه جعل للحركة النقدية اصالة بعد ان كانت لا تقوم الا على التقليد الاعمى لطرائق قديمة عقيمة العطاء، يرفضها العصر ويملها المتلقى .

وسيظل طه حسين شاخصا لاجيال قادمة ، لانه اديب فنان مجدد ، هو اديب فى لغته وأسلوبه ، وهو صاحب فن لانه مجدد ، اعاد للعبارة العربية صفاءها ونضارتها ، وهو صاحب مهارة فى انه استطاع الا يبتعد عن لغة الناس ولكنه اتى بفصيحة مشرقة عرفها المصريون فجاء بشىء جديد عز على كثير من ذوى الاقلام ان يأتوا بمثله (٢) ، لان تفرده معجزة ، ولا يطول المعجزة أحد ، وهو فيما يكتب يرضى فنه قبل ان يعنى بارضاء الغير من القراء ، ولا يأبه للنقاد ولا يرد عليهم ، حتى لقد رماه بعضهم بالاستعلاء والكبرياء »(٣) لانه يعرف جيدا ان تفرغه لكتابة بحث هو أجدى بكثير من انشغاله بالرد على الاخرين، على الرغم من ان تلك الكتابات المعارضة كانت باقلام ادباء اعلام ، ساهموا الى حد ما فى ترسيخ منهج طه حسين اذ جعلوه يؤكد علميته المتفردة من خلال ما يطرحه كل يوم من مؤلف او مترجم ، او بما كان له من فنون ادبية حديثة جعلته بارعا فى عالم الادب ، فكان له قصص وكان له حوار ، وكان له مقالة ادبية بارعة كان فيها للكلمة العربية اصالة (٤)

وظل طه حسين الهادم لكثير من المسلمات الموروثة ، (٥) حتى اخر لحظة من حياته الادبية ، فعرف القارىء القارىء العربى بالوان من الادب كان لها سطوة وتأثير ، فنزع عنه رداء القناعة والسذاجة والانغلاق وأسلمه فى اقرب مقبرة للتاريخ ليغزو الاشباح التى مازالت تعتقد انها تستطيع ان تحكم عالم الانسان فتحيله ميتا وهو حى (٦) .

ان طه حسين سيبقى ظاهرة ادبية مشرقة فى مسار الادب العربى الاصيل ، وستظل ريادته النقدية المتفردة عاملا محفزا للاجيال الادبية القادمة فى محاولاتها لمعانقة افاق الخلق والابداع والتجديد والتطور فى عالم الادب .

---

(١) جلال الخياط ، « طه حسين موقف واصالة »
(٢) ابراهيم السامرائى ، كتب النثر كروائع الشعر ، مجلة الهلال (المصرية) العدد الرابع ، ابريل ١٩٧٥ .
(٣) جمال الدين الالوسى ، طه حسين بين انصاره وخصومه .
(٤) ابراهيم السامرائى ، كتب النثر كروائع الشعر ، مجلة الهلال المصرية ابريل ١٩٧٥ .
(٥) جمال الدين الالوسى : طه حسين بين انصاره وخصومه .
(٦) جلال الخياط ، طه حسين موقف واصالة ، (الاقلام) العراقية ، السنة التاسعة ١٩٧٤ .

رستم كيلاني

قصة

وسقط القلم ..

عزيزي ...

عرفتك قبل أن القاك ... ورأيت صورتك قبل ان اشاهدك ، وعرفت صباك قبل ان يخاطب لساني لسانك

لقد عرفتك من خلال سطور قصصك التي قرأتها لك قبل ان احظى برؤياك ... عشت مع ابطالها وبطلاتها / وكنت - ومازلت ، وستظل - كاتبي المفضل ...

وشاء لي القدر ان اجد عند صديقتي « سهير » كتبك المهداة اليها ،وقد الححت عليها ان تقدمني اليك . فلقد كنت مشتاقة الى معرفتك ...

وفي لقاء قصير في المنتدى الذي اعتدت الجلوس فيه منذ فترة ، تم التعارف بيني وبينك ...

وتشينا لحظات .. نناقش اعمالك . وأبطال قصصك . واختيارك لتلك القصص التي تمتاز بتلك النزعة الانسانية المثالية ، ونظرتك للحياة بنظرات مطوعة بالتفاؤل والاستبشار ...

وكم كنت انسانا تقدر وتشعر ... رقيقا ، مهذبا ، فنانا ، عذب الحديث ...

وفي نفس تلك الليلة ... تعرفت اول مرة على « فريد » ، وقد قمت بتقديمه الي بكلمات كبيرة . تحمل فيه الصدق ، والاخلاص ... والاخوة المتبادلة ...

وقد سبق لي ان علمت من صديقتي « سهير » قبل التعرف عليك ، كل شيء عن قصة حبها الدفين مع « فريد » وعن صلتها الوثيقة به ...

كانت تحدثني كثيرا عنه . وعن مشاعرها الفياضة نحوه . وحبها الكبير له . وأملها الوحيد في الزواج منه ، حيث وعدها بذلك مرارا ، وقد خططا لمستقبلهما على الورق - على حد قولها - عش الزوجية ...

ولم تبارح مخيلتي هذه الصورة وانا اتحادث مع « فريد » ، اول مرة حيث قضينا جميعا وقتا طيبا ...

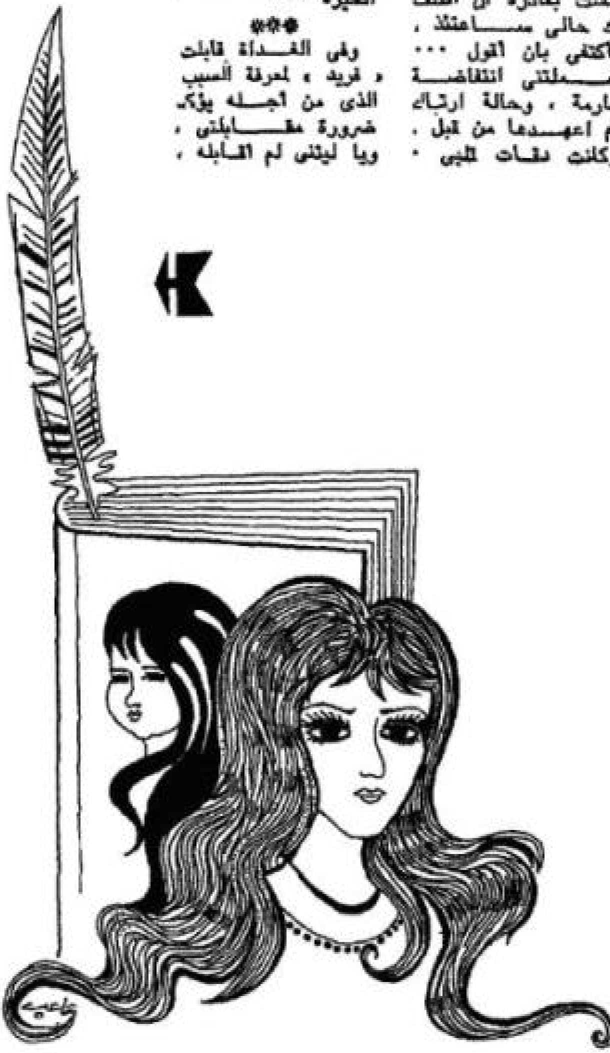
وفي الطريق ...

وبينما كنا سائرين ، دس « فريد » بين كتبي التي كنت احملها في يدي ورقة كتب فيها : (ضرورة مقابلتي في اليوم التالي لامر هام يخصنا جميعا ..)

اعذرني يا عـــزيزى فلست بقادرة أن أصف لك حالى ســـاعتئذ ، واكتفى بأن أقول ... شـــملتنى انتفاضـــة عارمة ، وحالة ارتباك لم اعهــدها من قبل ، وكانت دقات قلبى تتصـــارع ، والجمتنى الحيرة ...

❊❊❊

وفى الغـــداة قابلت « فريد » لمعرفة السبب الذى من أجــله يؤكد ضرورة مقـــابلتى ، ويا ليتنى لم اقابله ،



وسقط القلم

لقد حدثني حديثا غريبا ... جعلني من اول وهلة احتقره ، بل احتقر ذاتي ، والعن نفسي لانني رضيت مقابلته ، والجلوس معه ...

لقد حدثني عنك كثيرا .. عن اخلاقك .. عن ادبك .. عن اعمالك ، وافهمني في ختام حديثه انك تتعالى دائما في علاقتك مع الاخرين ، وانك لن تنظر الى انا ، الا لتتخذ مني مجرد بطلة لاحدى قصصك ...

وحاولت ان اثبت له ان كل ما يتصل بي وبك ما هو الا احترام متبادل واخوة وصداقة بريئة ...

وانتقل من الحديث عنك ... الى الحديث عن صديقتي « سهير » وتحدث عنها حديثا مؤسفا ، فقد نفى كل ما كانت تردده لكل صديقة عزيزة لديها عن تبادل حبه لها ، وعن الآمال والاحلام الوردية التي كانت تعيش فيها ، فاذهلت وجعلت أحدق فيه مستغربة ، وهالني امره الغريب .

واحسست وقتئذ بضآلتي ، وشعرت بانني أصغر رويدا .. رويدا ! ..

ولما اتم كلامه بهذه الصورة الوقحة ، بدا يبث لي حبه الكبير مرددا في تشابك انني انا الوحيدة التي اخذت لبه من أول لقاء ، وانا التي اعيش في خياله .. وانا .. وانا .. واحسست بكلماته فارغة كطبل اجوف ، لا تحمل أي معنى وتفتقد صدق الحرارة ...

صديقتي يا عزيزي .. بينما كان يحدثني هذا الحديث الذي يتصف بالرداءة ، كنت اتخيلك برجولتك ، وانت تتقدم بتقديمه الى اول مرة ، بكلماتك الكبيرة ذات الوصف الذي ثبت لي انه يفتقده ...

***

ولما عدت الى البيت في تلك الليلة .. ظللت ارقة ضائقة الصدر تزاحمني مشاعر كثيرة كانت تطوق جيدي ، وكنت احدث نفسي واسألها ... كيف اواجهك وكيف اواجه صديقتي « سهير » التي تحبه وتعتبره كل شيء في حياتها ، والذي يرتسم في خيالها عشها الجميل معه ؟ ..

ولم اخف عن صديقتي ما حدث من ذلك الانسان الذي توسمت فيه صفات الزوج المناسب لها ، وشرحت لها كل شيء ، وبينت لها انه ليس جديرا بأن يكون شريكا لحياتها ، وانها قد خدعت فيه ...

واقتنعت بحديثي ... ووددت ان اواجهك واصارحك انت ايضا ، ولكنني لم اجرؤ على ذلك ، ففضلت ان اكتب لك رسالة ... ورغم انني اعلم كم ستكون رسالتي هذه قاسية على نفسك ، ولكن اردت ان اخبرك مهما يكن الامر بكل ما حدث من صديق كنت تعتز به وتقدمه لكل انسان بانه رجل الصدق ، والاخلاص والاخوة المتبادلة ...

وعلى انا ... ويطيب لي ان اتحدث اليك عن اشياء لا استطيع ان اخفيها عنك ، واجدني مسوقة بدافع خفي لافضي بذات نفسي واطلعك على خوايا حياتي ...

انك لا تعرف انني

مريضة بمرض لا يرجى منه شفاء ، واكابد الشقاء من تلك الالام التى تحتل قلبى المريض ... اعيش حياة يائسة انتظر موتى فى كل لحظة تمر بى ...

ولما التقيت بك شعرت بحب الحياة خلال تلك السويعات القلال . وازحت خلفى مرضى ويأسى الذى عانيت منه الكثير ، وتلك الرؤية المظلمة التى كانت تحيط بى من كل جانب ... وشعرت بالامل يغمر نفسى كما شعرت معك بطمأنينة لم اشعر بها فى حياتى ..

ولكن سرعان ما تبدد ذلك الحلم القصير ... وعادت الى من جديد تلك الحواجز السميكة فانتابتنى اخلاط من وحدة وسكون ، ويأس، وملل وكآبة ، ومن الالم الذى يعتصر كل ذرة فى كيانى .. حتى اصبحت الحياة امامى قاتمة ، لا مؤنس الا وحشتى ولا انيس الا كآبته التى اصبحت هى العزاء الباقى لى ... فكلما ضاقت نفسى او شعرت بالوحدة والافتقار ، وبالوحدة القاتلة التى تمزق روحى - اسرع اليها التمس من خلال سطوره الانسانية

النادرة التى افتقدتها فى كثير من الناس

عزيزى ...

معذرة .. لقد اطلت كثيرا ، فاننى لن استطيع ان اكتب اليك اكثر مما كتبت لاننى اشعر بالم مروع يجتاحنى ويمزق جسمى النحيل ...

وفى ختام رسالتى هذه التى اكتبها لك لتكون اجابة عن سؤالك الذى حملته الى صديقتى « سهير » عن سبب غيابى الطويل ، وانقطاعى المفاجيء .

اطلب منك الدعاء لى بالشفاء ...

لا .. لا ... بل اطلب منك الدعاء لى بالرحمة من ذلك الداء الذى يمزق قلبى بالراحة الابدية ، فلقد اصبح املى فى الحياة ضعيفا جدا ...



عزيزى ...

لا غرابة فى ان ابعث اليك بهذه الرسالة التى تتضمن رسالة ...

لقد حضرت زائرة لصديقتى « احلام » حاملة اليها كتابك الجديد الذى اوصيتنى ان اقدمه اليها ...

وحينما ولجت باب غرفتها ، وجلست بجانبها على فراشها وجدتها تخط لك رسالة. وبينما كنت اقرأ ما تكتبه فى نهاية رسالتها، سقط القلم فجأة من بين اناملها ، وزمت شفتيها كأنما ارهقت نفسها بالكتابة والانفعال ، وعاودتها الحالة... الم عنيف يجتاح كل كيانها

وحاولت ان اقاوم واشد بها الالم ، وتحسست مكان علتها، وحاولت عبثا ان تكتم تأوهاتها القابضة على صفحات الرسالة التى تكورت بين اناملها دون ان تشعر ...

ولما همت بأن تمزقها باسنانها .. نزعتها من بين يدها ، وبعثت بها اليك كما هى ....

اتراني .. احسنت ؟ ام تراني اخطأت ؟؟ المخلصة

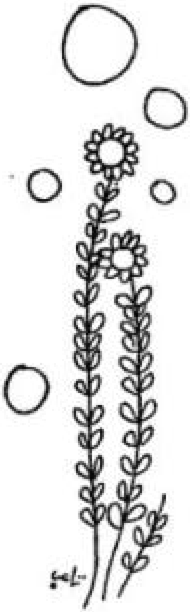
(سهير)

ابراهيم صبري

لقاء مع الحياة

لأمرٍ ما ... خفيِّ المدركاتِ
أحاط بيَ الهوى .. أسراً لذاتي
وقد كانَ الهوى أخلى سبيلي
وردَّ ليَ الغرامَ مقدراتي
فصار الصخرُ ألينَ من فؤادي
ونفسِي كالجبال الراسياتِ
وخِلْتُ الحبَّ معجزةً لقلبي
« وقد ولّى زمانُ المعجزات »
فلمْ تقوَ الحسان على استلابي
ولا حرّكنَ قلبيَ من سُبَاتِ
ولكنّي رأيتكِ ذاتَ صبحٍ
فلم يَقوَ الفؤادُ على الثباتِ
وناشدت الهوى رفقاً بقلبي
فلَمْ يصغ الهوى لتوسلاتي
وأبصرتُ الفؤاد ليثب شوقاً
ليحظى من عيونك بالتفات





وكانت لفتـــة .. لفتت طريقي
إلى حيث التقيت مع الحيــاة !
وعانقت الوجود بكل شـوقي
إلى ماض من الدنيــا وآت ..
الى ماض تمشى البعث حيـــا
ليدرك بعض حلو الذكـريات
وآت شق ستر الغيب عمدا
ليحيـا فى بهيج الأمنيـــات
ويلفى الأرض فردوســا لحبى
تظللهـــا سماء الأغنيـــات
وكل الخلق أطيــــار تغنى
لحسنك .. رائحـــات غاديات
تسبح بالجمــال .. وقد أحاطت
بعرس الحب .. فى أحلى صـلاة
ترى الـكون الفسيح يصير عشا
لقلبينا .. هنئ الأمســـيات
ملكت بك المساء هوى وأنسا
وحزت بك الهنـاء مع الغـداة
وأهمس .. والوجود يجيب همسى
إذا ناديت .. فالنعمى تـــواتى
فما خلق النعيم لغـــير قلبى
لأنى قد وجـدت لديك ذاتى !

محمد حسن

الجديد في المكتبة الغربية



لعبة الأحلام !
الكتاب : لعبة الاحلام
المؤلف : آن فاراداي

هذا كتاب فريد بين طوفان كتب الاحلام ، لانه يعلمك كيف تفسر حلمك بنفسك فالكتاب يحث القارىء على ان يبدأ اولا بدراسة احلامه ويناقشها ، ليخرج بالنتيجة السليمة والمنطقية .

ومن ثم فان الكتاب يقدم مجموعة من الارشادات ، بتسجيل الاحلام ، وماذا تفعل قبل ان تأوى للفراش ، وخلال الليل . والمؤلفة تؤكد اننا جميعا نحلم ، حتى ولو لم ننتبه لذلك ، ولذلك فان ما يسمى « النوم العميق بلا احلام » خرافة ، وانه لا ينبغي على الانسان ان يهمل احلامه ، لانها « افكار القلب والوجدان » ، وهي عبارة عن اشارات رقيقة لطيفة الى مكنون عواطفنا ، كثيرا ما نتجاهلها في زحام عالمنا المادى الغرق في الواقعية .

ولا شك ان فرويد زاد من غموض الاحلام ، بقوله ان رمزية الحلم تخفي المعنى عنا .. الا اذا تمت ازاحة الستار عن هذا الغموض من خلال جلسات التحليل النفسي الطويلة ، وحتى بعد ذلك ، قد يبدو ان الحلم متعلق بامور سرية «ملغزة» ومتعلقة بالجنس خلال فترة الطفولة . المؤلفة تخالف فرويد فيما ذهب اليه ، وتكاد تنكر نظريته تماما حين تقول ان من السهل تفسير رسالة الحلم ،



فرويد

بالبحث فيه عن رموز شعرية تعرفها ، مثل لمحة ، أو تورية ، أو تلاعب لفظي ، أو تشبيه شعري ، أو فولكلور ، أو اصطلاح مثل « طعنة في الظهر » ، أو لغة الجسد مثل « ألم في الرقبة » . والتفسير الصحيح هو ما يبدو منطقيا من وجهة نظر الحالم نفسه : من واقع رضائه شخصيا عن التفسير واقتناعه به ، لأن فرض الحل بواسطة محلل نفسي يفقد الحلم رسالته !

والكتاب عملي جدا ، وهو يؤكد ان جميع الاحلام لها علاقة وثيقة بحوادث اليوم السابق ، وان فيها « مفاتيح » تستحق الدراسة ، فهي قد تبين خطأ في تصرفنا ، اذا اغفلنا اشارة الحلم له ، قد نصاب بالضرر .. وعلى الحالم بعد ذلك ان يسأل نفسه : ماذا انت فاعل بعد ان فهمت حلمك ! والجواب : لا بد ان تستفيد بهذا الفهم في حياتك .... وهكذا فان الكتاب ينحو منحى حديثا ويتصح بالتأمل ، واليوجا ، ورحلات الاتصال الروحي بسكان الفضاء .. ويبدو ان المؤلفة ترى ان الاحلام تشبه جلسات الهلوسة او ما يسمى الآن « تجارب رحلات النفس » ، بل ان المؤلفة تمح « في حياء » الى نظرية تناسخ الارواح !

ولكن هذا تطرف يخرج بنا الى علوم ما وراء الطبيعة ، فحسب القارىء ان يفسر الغاز حلمه بما يفيده في حياته ، بدلا من الدخول في متاهات فلسفات معقدة ، فلا يفيد او يستفيد .

يهود لاخلاق لهم :
الكتاب : محنة الكياسة
المؤلف : جون موري كوديهي

ليس هذا كتاب سياسي وانما هو كتاب علمي ، هدفه فضح سلوك اليهود الغريب تجاه الاجناس والديانات الاخرى ، خصوصا الديانة المسيحية ، كتبه كاثوليكي ناضج (٥٣ سنة) ، وعالم استاذ يدرس علم الاجتماع في جامعة هانتر بنيويورك . وهو كتاب جرىء جدا ، لانه رغم نفوذ اليهود القوى في الولايات المتحدة ، وفي نيويورك بالذات ، التي سميت في يوم من الايام بالمدينة اليهودية ، يجاهر بكشفهم في معظمهم دون خوف من تهمة معاداة السامية ، وهي التهمة التي يلصقها اليهود بكل من يحاول الوقوف في طريق اطماعهم . ومع ذلك فالكتاب لا يعادي السامية ، وانما هو على احسن الفروض تحريض على الثورة على الافكار التي توارثتها الاجيال خلال المائة عام الاخيرة ، باعتبارها قضايا مسلم بها لا تقبل الجدل . الكتاب يشجع القارىء على مناقشة مفاهيمه . للخروج بآرائه وفهم سليمين لهذه الافكار .

وموري يسمى كتابه تأملات ، وهي فعلا تأملات ولكن لها وخز الابر... بل هو يتخذ اللفظ العبري ، فيسميها ميدراش ، والاسم مناسب ، لان الميدراش هو التفسير اليهودي التقليدي للتوراة ، وكما ان التلمود يقدم تفسيرا للنصوص المقدسة التي لا ينبغي أن تناقش ، كذلك فان كتاب موري يقدم تفسيرا علميا ناضجا للافكار التي لا ينبغي مناقشتها : تفسيرا لسلوك عمالقة اليهود المشتتين في الارض ، من امثال كارل ماركس وفرويد وأبي هوفمان . وكما ان تفسير الميدراش ينبع من مبدا طاغ ساحق ، فان الكتاب يرى ان طليعة المثقفين اليهود كانوا يعانون من عقدة يهوديتهم ، ويستحوذ عليهم القلق

المكتبة الغربية

طابع خجلا من يهوديتهم ·

على هذا الاساس ، فان كل واحد من اشهر عباقرة اليهود يعتبر نفسه « نبي داود » مثقف يصرع الكافر جوليات الجبار بمقلاعه · لماذا ؟ لان الامتصاص الحضاري الناجح يتطلب من اليهودي ان يكون مهذبا لطيفا ، يتقبل الكياسة العرفية لحضارة المسيحيين « الكفار » ، على حساب الحساسيات والتراث الديني لعالم الجيتو (حي اليهود) · ومن ثم فان الكياسة واللطف تخفي عداء مغلفا بغلاف انيق ، وهكذا فان ماركس وفرويد وغيرهما حين بقوا على اصرارهم على الخشونة ـ مع الكفار ـ التي تجرح وتعرى · صاغوا دستور مقاومتهم في رموز شفرية ، على شكل مناهج ونظريات علمية مستفيضة ، وكان رد فعلهم لمعاداة السامية في جيلهم ، هو تعرية النفاق المتاصل في جذور كل ما هو غير يهودي ، واحتقار كل من يخفي يهوديته خجلا ·· اي ان وراء الاناقة التي تبدو على اليهودي المهذب المثقف يكمن اليهودي العالي غير المهذب !

من هذا المنطلق شرح فرويد بنظريته الوقحة ، نظرية الكبت ولسان حاله يقول : في مقابل كبت اليدي ـ اليهودي ـ للبيئة اليهودية في اعماق نفسه لينتمي في مجتمع المسيحيين الكفار ويتفادى التفرقة وينبذ كواحد منهم ، فان هؤلاء الكفار يكبتون الآن ـ الغرائز الدنيا ـ الكامنة في اعماقهم ليبدوا مهذبين متحضرين !

ويناقش « موري » نظرية عقدة اوديب التي ابتدعها فرويد ، فيقول ان العنصر الحاسم في طفولة فرويد كان شعوره العميق بالعار حين اهان « الكفار » اباه في شوارع فيينا ، بسبب يهوديته ، ومن ثم صمم فرويد على الانتقام وفضح هؤلاء « الكفار » ·· بوضعهم على كرسي الاعتراف ، اي كرسي المحلل النفسي · وهكذا فان الدافع لنظرية التحليل النفسي دافع انتقامي لا علمي !

وهكذا ايضا فعل ماركس ، الذي يعد نبي اليهود الجديد لتحطيم المعتقدات والمؤسسات التقليدية والحضارية التي يعتز بها المسيحيون « الكفار » ، وليس ادل على هذا الحقد من مقاله عن السلوك الاقتصادي لليهود ، وهو المقال الذي اثار ـ ولا يزال يثير ـ جدلا عنيفا بين المثقفين باعتباره معاديا للسامية ، بينما هو في الحقيقة يصفع « المسيحيين الكفار » ·· ففي مقابل تصوير المسيحيين لليهودي بانه راسمالي عالمي يتخذ من المال الها فان المسيحيين ايضا يعبدون نفس الاله ، مع اخفائه بغلالة مهذبة تشبه ورقة التوت التي تغطي عورة ادم وهكذا فانه بشكل ملتو ، يصف المسيحيين بالوقاحة ، وان الكياسة التي يدعونها مجرد خداع !

وفاء للوطن
الكتاب : ثورة كوبا
المؤلف : هربرت ماتيوز

في سنة ١٩٥٩ ، وفي عنفوان ازمة صواريخ كوبا ، نشرت مجلة

ناشيونال ريفيو الامريكية ، رسما كاريكاتوريا لفيدل كاسترو متربعا على خريطة كوبا وهو يقول : « لقد انتصرت عملى بمعونة صحيفة نيويورك تايمز » ! .. وكان المقصود هو ناقد مرير للصحفى هربرت ماتيوز ، الذى نشر اول حديث للثائر كاسترو ، اجراه من مخبئه فى جبال سييرا مايسترا سنة ١٩٥٧ ، ونشر فى صحف العالم ـ خصوصا النيويورك

تايمز ـ ليعرفه بثورة كوبا ومبادئها . فى وقت اشاع فيه انصار ديكتاتور كوبا السابق باتيستا ، ان الثوار الذين يكافحهم فى بلاده شيوعيون !

ولكن ماتيوز لم يابه ابدا بالنقد ، بل بقى على وفائه لفيدل (اى الوفى) كاسترو ، ولثورة كوبا ، وخلال سنى ثورة كوبا اصدر ماتيوز عدة مؤلفات تناصر الثورة الكوبية ، وتشرح مبادئها ، وتشيد بها ، باعتبارها ابرز ثورة اجتماعية فى نصف الكرة الغربى ، قامت لتحرير شعب باسره من الظلم والفساد والاستبداد .

والكتاب يعتبر تحقيقا صحفيا ، اكثر منه بحثا علميا ، يروى من خلال عشر زيارات قام بها الصحفى لكوبا خلال مراحل الثورة ، ومن ثم فهو يصور تطور الثورة الكوبية ، ومنجزاتها ، ويصر على انها ثورة اجتماعية ، وثورة اجتماعية ناجحة .. خصوصا فى ميدان التعليم ، حيث هبطت بنسبة الامية من اكثر من ٢٤ ٪ الى مجرد ٣ر٩ ٪ ، وحيث نهض بتعليم المراة بحيث اصبح اكثر من نصف طلبة الجامعات ـ خصوصا كليات الطب من النساء .

ومع ذلك فالكتاب ليس بخورا كله ، فماتيوز ينتقد مركزية كاسترو الادارية ، وتقييده لحرية الصحافة وابقائه اكثر من ٢٠ الف مسجون سياسى فى المعتقلات .

ويفرد ماتيوز فصلا كاملا عن سياسة الوفاق الجديدة بين الولايات المتحدة وكوبا ، فيقول انها سياسة وطنية حكيمة سنتج عنها فك الحصار الاقتصادى عن كوبا .. مما سوف يترتب عليه تحسن الوضع الاقتصادى فى البلاد .

شيطان البيانو !

الكتاب : ليست

المؤلف : اليانور بيرين

يعتبر فرانز ليست نموذجا فريدا للفنان الرومانسى المغترب ، وان لم يكن ابدا فى عداد المنفيين او المشردين فلم يكن ليست مثل بايرون الذى غادر بلاده بسبب نبذ المجتمع له ، او شيللى الذى « تخيل » نفسه ثائرا مطاردا ، بل كان مثل شوبان الذى هاجر الى باريس ليجمع ثروة ، مع بقائه بولنديا يشعر بالحنين لبلاده حتى اخر لحظة من



فرانز ليست

المكتبة الغربية

حياته القصيرة .. ومع ذلك فلم تكن « لليست » جذور على الاطلاق . كان يتحدث بأربع لغات لا يجيد واحدة منها . عاطفيا : كان يعتبر نفسه مجريا . ثقافيا . كان يشعر انه فرنسي . ومع ذلك فقد بقى في المانيا اكثر ايام حياته !

والمعروف ان « ليست » ولد سنة ١٨١١ في قرية رايدنج غربي المجر . لاب مجرى وام نمسوية . واحرز شهرته كعازف بيانو في باريس . والف انضج مؤلفاته عندما كان قائد اوركسترا البلاط في وايمر .. وقضى السنوات الخمس والعشرين الاخيرة راهبا . يوزع وقته بين روما . ووايمر . وبودابست . حتى توفى في بايرويت سنة ١٨٨٦ .

والمؤلفة تتغاضى عن غراميات « ليست » العنيفه . او ماسمى شهوانياتهباعتبار ان العالم ارتكبمن الخطايا في حق « ليست » . اكثر مما ارتكب هو من خطايا . ومن خلال تحليل دقيق لمراسلاته مع « اول حب عظيم له » مع الكونتس مارى داجول اظهرته اكثر ادبا وتهذيبا مما يظن به .

وتثنى المؤلفة على « ليست » القليل الذى قدمه لثورة المجر سنة ١٨٤٨ . ولكنها تثنى تميز « ليست » بالاستقلال الغريب وعدم التورط . الذى يعد من المعالم الرئيسية لشخصيته . وهي تصفه بذى « القلب المصغرى » حينما تتناول تعامله مع ابطاله . مع انه لم يكن كذلك مع ابنة « حبه العظيم الثاني » . للاميرة ساين ويتجينشتين. ويبدو ان«ليست» كان من الناس الذين يغدقون محبتهم على البعيدين لا القريبين منه . ولا تتاجج مشاعره تجاه الناس والاماكن الا اذا كانوا على بعد معين منه !

وتغفل المؤلفة جوانب هامة من شخصية « ليست » : لا نرى مثلا سوى اشارة عابرة لحماس « ليست » للمؤلفين الروس . ولا نرى اشارة ـ ولو عابرة ـ لا عجابه بسان سان كذلك يغفل الكتاب رحلات « ليست » السنوية الشاقة ليودابست في كهولته . وبقائه شهورا في كل زيارة لتنظيم اكاديمية الموسيقى . وتدريس البيانو والتاليف الموسيقى. ولعل ذلك راجع الى توقف المؤلفة عن سرد قصة حياة الموسيقى العظيم بعد ان وصل الى روما وهو في الخمسين لانها تمر بخمسة وعشرين عاما من حياته بعد ذلك في صفحة واحدة !

والواقع ان « ليست » لم يلقب « بشيطان البيانو » عبثا . فهو يعتبر مع صديقيه شوبان وشومان . أمهر عازفي البيانو في القرن التاسع عشر .. وقد خرج « ليست » باتجاه جديد في التاليف الآلى سماه « الموسيقى المعبرة ذات المنهاج » . ومن هذا الاتجاه الجديد كانت سيمفونيتا « فاوست » و « دانتى » اللذان تحرر فيهما من التزام الصياغة المالوفة في مثل هذا النوع من المؤلفات الموسيقية ... ويعتبر « ليست » مبتدع « القصيدة السيمفونية » . وقد الف منها ثلاث عشرة قصيدة . أهمها التريلوف سنة ١٨٥٦ .

تذكرة طبية

د. صلاح عدس

الروماتيزم

هناك عدة افكار خاطئة شائعة تتعلق بموضوع الروماتيزم ، واولها الخطأ فى نفس التسمية ، اى فى استعمال كلمة « روماتيزم » اذ انه ليس هناك مرض واحد يسمى الروماتيزم وانما هناك مجموعة من الامراض تسمى الامراض الروماتيزمية .

كما يخطىء من يظن ان الروماتيزم مقتصر على المفاصل ، وانما هو يصيب معظم اجزاء الجسم ، فهناك الحمى الروماتيزمية ، والتهاب العضلات ، والتهاب المفاصل ، وروماتيزم القلب ، وروماتيزم الاعصاب ، بل وروماتيزم الجلد .

كما يخطىء من يظن ان اى الم فى اعضاء الحركة اى فى العظام او العضلات هو حالة روماتيزمية ، وذلك لان هناك عدة اسباب اخرى لمثل هذه الالام ...

ويخطىء ايضا من يظن ان الروماتيزم سببه المباشر هو الرطوبة ، وهو فى ذلك يشبه من يظن ان نوبة البرد سببها البرد ، لان سببها هو فيروسات خاصة ! .

كما يخطىء من لا يقدر اهمية الروماتيزم فيهمل فى علاجه ، خاصة فى الاطفال ، فقد يتسلل الى قلب الطفل اذا اهمل العلاج والراحة الكاملة ...

ويخطىء ايضا من ينتابه اليأس من العلاج وذلك لان الروماتيزم الان اصبح فى الامكان علاجه بعد اكتشاف العقاقير الحديثة ، ولكن الامر يتطلب الصبر والمثابرة حتى لا ينتكس المرض ، لان الروماتيزم بالذات يميل الى التكرار فى حدوثه .

ويعتبر الروماتيزم مرضا اجتماعيا لانه يتصل بالظروف الاقتصادية للناس وينتشر بين الطبقات التى تعانى من ضعف التغذية والازدحام فى المساكن الضيقة الرطبة ذات التهوية السيئة ، فكل هذه عوامل مهيئة للمرض ...

اما السبب المباشر فهو التهاب اللوز المتكرر ، لان الجراثيم الخاصة بالتهاب اللوز تفرز سموما فى الدم تحدث بعض التغييرات المرضية فى الانسجة مثل التهاب الكلى والروماتيزم ..

تذكرة طبية

فالروماتيزم يمثل كرد فعل شاذ من قبل الجسم تجـاه سموم الجراثيم الخاصة بالتهـاب اللوز .. أي أن الروماتيزم يعتبر نوعا من انـواع الحساسية الزائدة تجاه العدوى .. ولذلك اذا فحصت المفاصل المصابة بالتهاب روماتيزمي ، فانك لن تجد بها اي نوع من الجـراثيم تحت الميكروسكوب ...

وهذا يفسر لنا أيضا لماذا لا يصاب بالروماتيزم كل من ينتابه التهـاب اللوز ، فالسبب هو أن الروماتيزم رد فعل شاذ عند انسجة بعض الاشخاص تجاه سموم جراثيم التهاب اللوز ..

●●●

والروماتيزم ليس مرضا وراثيا ، وانما قد ينتشر في بعض العـائلات لاشتراك افرادها في الظروف البيئية السيئة ...

أي أن هناك عاملين رئيسيين في نشأة الامراض الروماتيزمية ، همـا العدوى والحساسية ... أما الحمى الروماتيزمية فيصحبها ارتفاع شديد في درجة الحرارة والام بالمفاصل مع احمرارها وتورمها وصـعوبة في الحركة . وهنا يخشى من تسلل المرض للقلب في حالة الاطفال ، لذا يلزم للطفل الراحة الكاملة ...

اما الالتهابات الروماتيزمية المزمنة بالمفاصل ، فهي عبارة عن التهاب المفاصل الكبيرة مثل الركبة والكتـف والعضد والساعد ، وتتميز بتنقلها من مفصل لاخر ، اذ ما تكاد تخف من مفصل حتى تبدأ في المفصل الاخر .

اما روماتيزم الاعصـاب فيتميز بارتجاف لا ارادي في اليدين ممـا يجعل الطفل المصاب لا يستطيع ان يمسك الاشياء باحكام فتسقط من يده الملعقة اثناء تناول الطعام ...

اما علاج الروماتيزم فيستخدم فيه البنسـلين والاسبرين والكورتيزون وغيره من هرمونات الغدة الكظرية ، هذا الى جانب التغذية الجيـدة وفيتامين « ج » وفيتامين « ب » المركب ...

وعمـوما يجب أن يكون عـلاج الروماتيزم طويلا ونشيطا ومتكررا أيضا خلال عام واحد بعد المرض ، لا أن يوقف المريض العـلاج بعد أن يشعر ببعض التحسن ..

اما الوقاية من الروماتيزم فهي امر في حيز الامكان

وهناك نوعان من الوقـاية نوع يتعلق بالشخص السليم كي لا ينتابه الروماتيزم ونوع اخر يتعلق بالمريض كي لا يعاوده الروماتيزم مرة اخرى .

اما وقاية السليم فتاتي بالابتعاد عن الاماكن المزدحمة السيئة التهوية كي لا يتعرض الشخص لالتهـابات

اللوز التى اذا حدثت عالجها بسرعة

كما تأتى الوقاية بالاهتمام بالتغذية والراحة والنزهة فى الهواء الطلق وممارسة الرياضة كى يرفع ذلك من المقاومة الجسدية .

واما وقاية المريض من تكرار حدوث المرض فتأتى باستئصال اللوز او تعاطى حقنة بنسلين طويلة الامد مرة كل شهر ...

هذه نبذة سريعة عن الامراض الروماتيزمية من حيث اسبابها وطرق العلاج والوقاية منها ...

لمعلوماتك :

● اذا كنت تتعاطى الاسبرين او الاسبوسيه لعلاج الروماتيزم بكثرة فيجب أن تستعمل معه فورا يعادله مثل سترات البوتاسيوم وذلك لان هذه المركبات مشتقة من حامض السلسليك مما يسبب زيادة الحموضة فى المعدة

● على المصاب بالسكر الاحتراز من استعمال مركبات الكورتيزون ، لانها تضاد مفعول الانسولين بالجسم وتشل عمله مما يزيد نسبة السكر فى الدم .

● استطاع العلماء تصميم عقل



اليكترونى يقوم بتشخيص الامراض ، وهو يتميز عن الطبيب الانسان بانه اكثر منه سرعة ، كما انه لا يتأثر بالعوامل النفسية مثل النسيان او سوء التقدير او التوتر .

● يستخدم الآن قلب صناعى ورئة صناعية وكلية صناعية وهى اجهزة اليكترونية تعمل اوتوماتيكيا وتؤدى وظائف تلك الاعضاء عندما يتوقف العضو الطبيعى ، مثلما يتطلب الامر اثناء اجراء جراحة بالقلب او الرئة او عندما تفشل الكلية فى عملها

● اذا كنت تعالج بالاستربتوميسين ثم شعرت بضعف فى سمعك فيجب أن توقف استعماله فورا وتخبر طبيبك كى يغير لك العلاج لان الاستربتوميسين له تأثير ضار على السمع

● ينصح المصابون بأمراض الكلى بعدم استعمال اقراص السلفا لانها تعمل على ترسيب الاملاح بها ...

● عرق « النسا » ليس له علاقة بالنساء كما هو شائع فهو ينطق بفتح النون ، لا بكسرها ، وهو اسم العصب الذى يغذى الساق والقدم ... والالتهاب الذى ينتاب تلك العصب يصيب الرجال والنساء على السواء .

● الجسم يحتاج فى اليوم الواحد الى جرام واحد من البروتينات لكل كيلو جرام من وزن الجسم ، اى ان الشخص الذى يبلغ وزنه ٧٠ كجم يحتاج فى اليوم الى ٧٠ جرام من البروتينات فقط .

● ممنوع التدخين تماما على كل مصاب بقرحة فى المعدة او نزلة شعبية او ذبحة صدرية او تصلب الشرايين ...

مع قراء الهلال ..

● نصر الدين عبد اللطيف ●

● ردود خاصة ●
الى ...

● احمد على ـ القاهرة .

ـ كتابات بغير مقابل ... واجبات عمل وحياتك !

... لك حق بالطبع تصدقنى ، خاصة وأن مدير البنك الدولى ، السيد : ر. ماكنمارا ـ تكلم عنى ... فقال فى التقرير السنوى للبنك ان فى العالم مليارين من القراء .. ثم اضاف وهو يضع تحت كلماته خطا ، كأنما يشير به الى شخصيا : ومن بين هذين المليارين ثمانمائة الف مليون فقير ، فقرا مدقعا ...

من الذى قال له اننى وصلت بالفعل ، اخيرا ، الى درجة « مدقع » ؟!

● عزيز فضلى حسان ـ بهتيم ●

ـ لم تترجم الشاهنامة الى العربية ، فيما اعلم ...

اما صاحبها ، او على الاصح ناظمها « الفردوسى » ، الذى تحتفل ايران هذه الايام بمرور ١٠٥٠ عاما على مولده ـ فهو ابو القاسم منصور بن فخر الدين ، ولد عام ٣٢٩ هجرية ،وكان شاعرا عظيما ، أمضى خمسة وثلاثين عاما من عمره فى نظم

« الشاهنامة » ، واخرجها فى قصص نظمت على هيئة ملحمة شعرية تضم حوالى ستين الف بيت ، ولا تدور الاحداث فى هذه القصص حول بطل واحد ، أو أسرة واحدة ، أو حول حرب أو موقعة واحدة ، بل انها تاريخ أمة الفرس ، منذ أساطيرها الاولى حتى الفتح الاسلامى ··· وبذلك جاءت « الشاهنامة » درة فى جبين الادب الفارسى ، وملحمة لا نظير لها عند مختلف أمم العالم ···

● الرحيل فى الدروب الثنائية ●
ديوان جديد للشاعر عبدالخالق فريد

ليست دروبك يا « ابولو » ثنائية
الغيد بين يمينه ولهى حانيه
احصيتهن فكن تسع عرائس
اللى يهن هواك نحو الهاويه
(لمياء) خلف (دلال) تزحم (نازكا)
و (وداد) بعد (منال) تزحف باكيه
وتشق (امال) الصفوف الى (منى)
وتعد عدتها لصد الغازيه
اما (سهام) فكم اصابت مقتلا
من (ناهد) ـ حرب الضرائر ضاريه
رفقا بهن ـ قد اقتتلن على فتى
ما زال يعبد قبلهن القافيه
ان لم تقاطعه القوافى بعدما
حاولت الصحون ، (رحن بداهيه ··)
● جورج صبداح ●

● مجدى محمد ياسين ـ الاسكندرية ●
ـ احييك باحسن من تحيتك ، التى افتتحت بها رسالتك ، حيث تقول ؟

« الاستاذ الفاضل ···· ساحر الشعر ـ بلاغ الفكر ـ باسم الثغر ـ فرى المرآة » ؟ ··

اما بعد هذه المقدمة الموسيقية ، فان كل ما ملأت به الصفحات من منظومات ، لا يجرى على اى وزن ولا اى بحر

مع قراء الهلال

من بحور الشعر ! ... وبالاضافة الى ذلك فان فى كل سطر من سطورها ـ فضيحة لغوية !

● فوزى كامل سليم ـ طنطا ●
ـ معك حق ... واقتراحك أن تقدم فى سلسلة هدايا « الهلال » من صور رجال الفكر والادب ، صورا لكبار الشعراء والادباء المعاصرين ومنهم صالح جودت ، ومحمد عبد الغنى حسن ، ومحمود حسن اسماعيل ، ونجيب محفوظ ، وحسين فوزى ، ويحيى حقى ـ اقتراح طيب ندرسه بالفعل ، للتنفيذ ..

محطات صغيرة

● احمد رماح ، طب اسيوط : فات موعد تقديم قصيدتك فى تحية ذكرى قاسم امين ● صالح السباعى ـ عدن : « نبض الحروف » كلمات شاعرية، جنى عليها خلوها من وزن الشعر ● منير عبد الغنى حموده ـ كفر الشيخ : صدقنى ... أن قراءة خمسة وعشرين عددا من الهلال والزهـــور ، لا تجعل قارئها شاعرا لا بأس به ، الا اذا كان هو من البداية شاعرا لا بأس به ! ... ● نادية مصـــطفى ـ باب اللوق : من الكتب التى تعلمك اوزان الشعر « العروض والقافية » للدكتور محمد بدوى المختون ° و « دراسات فى العروض والقافية » للدكتور عبد الله درويش ° و « موسيقا الشـــعر » للدكتور ابراهيم انيس ... ● طه امان ـ عدن « لا ... يا حبيبى » كلمات لا تجرى على اية قاعدة من قواعد الشعر القديم أو الجديد .. ●

● س ° س ـ كلية الزراعة ●
ـ بدون كسوف ، وبكل تهذيب ، ومن غير « واحد واربعين سيبا » : كتاباتك واعدة بشىء ما مع المستقبل ... وبالنسبة لقصتك وقصيدتك ، فان القصة ـ لا تصلح ... ولكن القصيدة الاولى ـ لا تصلح .. اما القصيدة الثانية ، فلا تصلح ! ...

● احمد نصر ابو غالى ـ دسوق ●
ـ القصائد الاربع مصابة بكسور فادحة ! ... انتفع ببعض كتب دراسة أوزان الشعر التى ذكرتها فى ردى هنا على رسالة سابقة ... استوقفنى ـ لا تغضب ـ واضــحكنى حتى

تعبيراتك الشعرية ، كقوله : « ابتاك يا قنديل ابكى المبدع » !··
و « صباك ياتاج الحنايا الزوى » ! ·· و « خضعت للاوم فى كوخ الهوى » !!

● كرم عدلى ــ الحدائق ●

لا يعجبك أن يصدر « الهلال » عددا خاصا عن الاحلام ؟·· انت حر ! ···

وتسألنى عن فائدة الاحلام ؟ ·· اقول لك : لا اعرف ··· ولكنى اظن أن فائدة الاحلام انها تسلى النائم وتبعد عنه الضجر !!

● ابراهيم ادهم ــ المعمورة ●

ــ صراحة ، لم اسأل نفسى ، ولم يسألنى احد قبلك : هل هناك صلة ما بين المواهب الذهنية وبين الخروج الى الحياة عند الميلاد بعينين مفتوحتين ؟ ··

ولكن ، وبصراحة ايضا ، لا تظن انك تقدم لى كنزا من المعرفة ، عندما تخبرنى بأن كلا من الفيلسوف الالمانى « كانت » والفلكى الايطالى « جاليليو » ، وصاحب تعاليم الدهاء السياسى « ماكيافيلى » ، والكاتب الفرنسى الشهير « فولتير » ــ قد ولد وعيناه مفتوحتان !

● عادل محمد وزوز ــ القدس ●

تحية لملاحظتك الذكية حول الوزن فى قصيدة « بنى النيل التى نشرها الهلال فى عدد ابريل الماضى ، واختلاف عدد من الابيات فى الوزن عن وزن بحر القصيدة، وهو مجزوء الوافر، بين الابيات المشار اليها من بحر الهزج ··· صحيح أن الهزج يشابه مجزوء الوافر ، ولكن فى حالة واحدة هى اذا كان البيت من البحر الهزج صحيح التفاعيل ، اما اذا أصابه « الكف » ــ وهو حذف السابع الساكن ــ فلا نستطيع ان نشابه بينهما ··

يسعدنا ــ وانت فى القدس العربية ــ ان تصلك اعداد الهلال ، ومرحبا بانتاجك شعرا ونثرا ··

مع قراء الهلال

● ثانية الاسماعيلى ـ النقى ●

ـ لم تنس الوعد بان يعنى « الهلال » اكثر بقضـــايا واهتمامات المرأة واكرر يا سـيدتى اننى لا احب ، ولو احببت فلن استطيع ... ـ ان اكون عدوا للمرأة ... ولكن ، ليسرنى ان قواعد لغتنا تميز بين الرجل والمرأة ، وان اللغات الاوربية تفضل المذكر على المؤنث ! .. لكن ـ ولعلها مظلومة تهمة ! ـ فان لفظة « الموت » فى معظم اللغـــات الاوربية : مؤنثة ، اما عندنا وفى لغتنا ، فان الموت : مذكر ! .. مبسوطة ؟!

« مختارات واسماء »

فى بريد الشعر

● ابو بكر العراقى ـ السعودية : رسالة تعارف «قصيدة» ● محمد عرموش ـ عمان : اين انت ● رضا عبد الرحمن هلال : سلوا القلب ● صالح عبد الخالق خليل ـ نيـــابة الاسكندرية : ذكريات وامـــل ● محمد الطاهر المبقلى ـ اسكندرية : الفتح المبين ● محمد حسين ابو العلا ـ القاهرة لا تصدق ● صالح عمر فرجانى ـ آداب القـــاهرة : حبيب خيالى ● محمد عباس امين ـ الرياض : الامل الضـــائع ● حمدى محمد عبد ـ كفر الشيخ : يا رب ● ابراهيم المحمدى خلف الله ـ تطور غريبة : الشجرة الخضراء ● حسن السلمان ـ العراق ، البصرة : صرخة فى عالم الصمت ● عبد الرزاق محمد عبد القادر ـ المنطقة الشرقية ، السعودية : حب وصدود ● سعيد البصرى النجـار ـ ابو كبير : الى حبيبتى ● بسيد احمد محمد ـ الوادى الجديد ، الخارجـــة : الامل والنصر ● مصطفى ابوماله ـ الدار البيضاء : الروح والقلـــــا ● عبد الرحيم محمد عبد ـ الزقازيق : بابل حزين ● حسن محمد على ـ سوهاج : تهنئة ● سيد احمد الهمشرى : روح الشاعر ● هدى على الطيبانى ـ المحلة الكبرى : ليل الفراق

● غيوم ... السعودية ، الطائف : مناجاة ناى ●

● عزيز منسى ـ الجيزة ●

ـ حمد الله على سلامة الوصـــــول من بريطانيا التى يحتفلون فيها هذه الايام بذكرى الكاتب الانجليزى الشـــهير الساخر « ج . ب . شو » ... ولعله فان « شو » قد ظفر من الادباء والمفكرين والمترجمين العرب ، بما لم يظفر بقطرة منه نظيره العربى العظيم : الجاحظ ...

لكن ، ومادمت تصر على أن تقدم في هذه المناسبة « صورة وتحية » لجورج برنارد شو ، فها أنا أحقق رغبتك وأقول لك :

الجاحظ ، هو أبو عثمان عمـــرو بن بحر ، ولد في البصرة عام ٧٧٥م ، وفي طفولته ويفاعته ، بعد وفاة والده ، كان يتعيش من عمله في بيع الخبز والسمك ، ويطلب العلم في ذات الوقت ... وقد استوعب الجاحـظ معـارف عصره في الفنون والأدب واللغة والحكمة . حتى تفتحت عبقريته ، وتوافرت له ثقـــافة موسوعية واسعة ، ومعرفة بآداب وتراث العرب واليـــونان والفرس والهنود وغيرهم ... وبلغت مؤلفـــاته ما بين كتب ورسائل ثلاثمائةوخمسين مؤلفا في مختلف مجالات العلم واللغة والتاريخ والفلسفة والسخرية وكل ما يتصل بالمعارف الانسانية في عصره وما بعد عصره ...

واليوم ، تمر ألف ومائتا عام على مولد هذا العربي العبقري، الأديب . الفيلسوف ، العالم والساخر العظيم : أبو عثمان عمرو ابن بحر ــ الجاحظ ... فلا يحتفل بذكـــراه أحد لا هنا ولا في بريطانيا ، ولا يسأل عنه أحد ، ولو ليطلب أن تقدم له في هذه المناسبة « صورة ، وتحية » .

● جميل طه حماد ــ رمل الإسكندرية ●

... أنت يلزمك شيخ عالم موســـــوعي ، عارف بالله ، واصل ، ومتصوف !

وأنا كما تعلم ــ وإذا لم تكن تعلم ، فاعلم ! ــ لا أملك شيئا من هذه المواصفات والمزايا كلها ! ..

فكيف أعرف الآن أن هذه الكلمات التي كتبها «كازانتزاكي» كأنها التقديم والاهداء على صدر قصته ، ومن أين نقلها ؟

كل ما أستطيع هو أن أنشر تلك المقولة ، من يعرفهـــا ويعرفنا بها ! .. :

« يقول الإله ...
من يبحث على يجدني
« ومن يجدني يعرفني
« ومن يعرفني ، أحبه ...
« ومن أحبه ، أفنيه » ..
« متصوف من القرن التاسع »

شركة الاسكندرية للمنتجات المعدنية

٧٢ شارع الشهيد جلال الدسوقي - الحضرة اسكندرية ت ٧٧٧٦١/٧٠٥٣٣ ص ب ٣٨٦ سكندرية

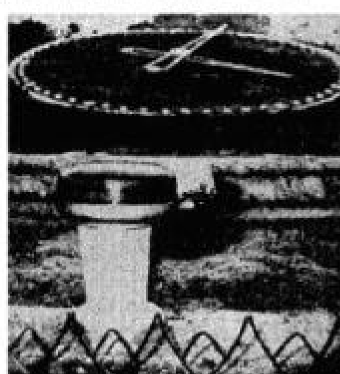


SILEC

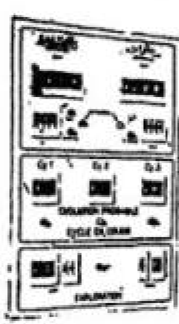
La Coopération Franco-Arabe dans le domaine de la Signalisation routière "SILEC" Paris "AMPCO" Alexandria

التعاون العربي الفرنسي في مجال تنظيم المرور الالكتروني بين شركة "سيلك" كبرى الشركات العالمية الفرنسية وشركة " امبكو" الاسكندرية للمنتجات المعدنية





أجهزة مرور ضوئية



جهاز تحكم الكتروني لتنظيم المرور

أطياف الغربة

اجيرى هوى القلب يا حلوة
على ناهديها يضج النعيـــم
وتسبح فى شفتيها الحيـاة
وتغفو على مقلتيها النجـوم
اجيرى هوى القلب انى اليك
لصاد مشوق لنار الجحيم
تعـذبنى ذاهب الامنيـات
وتصـهرنى نازعات الهموم
فحتام اشكو ليالى الغـرام
وحتام احرم طعم الكروم ؟
ايا رفة الالق الشـاعرى
ويا سبحة العطر بين الغيوم
لقد غاض صبرى ولم يبق لى
سوى خافق فى الرزايا مقيم
احبك يا طلة من حنـــان
ويا ذكريات غرامى القـديم
واهفو لحسنك مثل الفراش
على منبع النور لما يحـوم
فلا تمنعى عاشـــقا والها
اليك يزف الغـرام العظيم

● عبد الخالق فريد ●
● بغداد ●



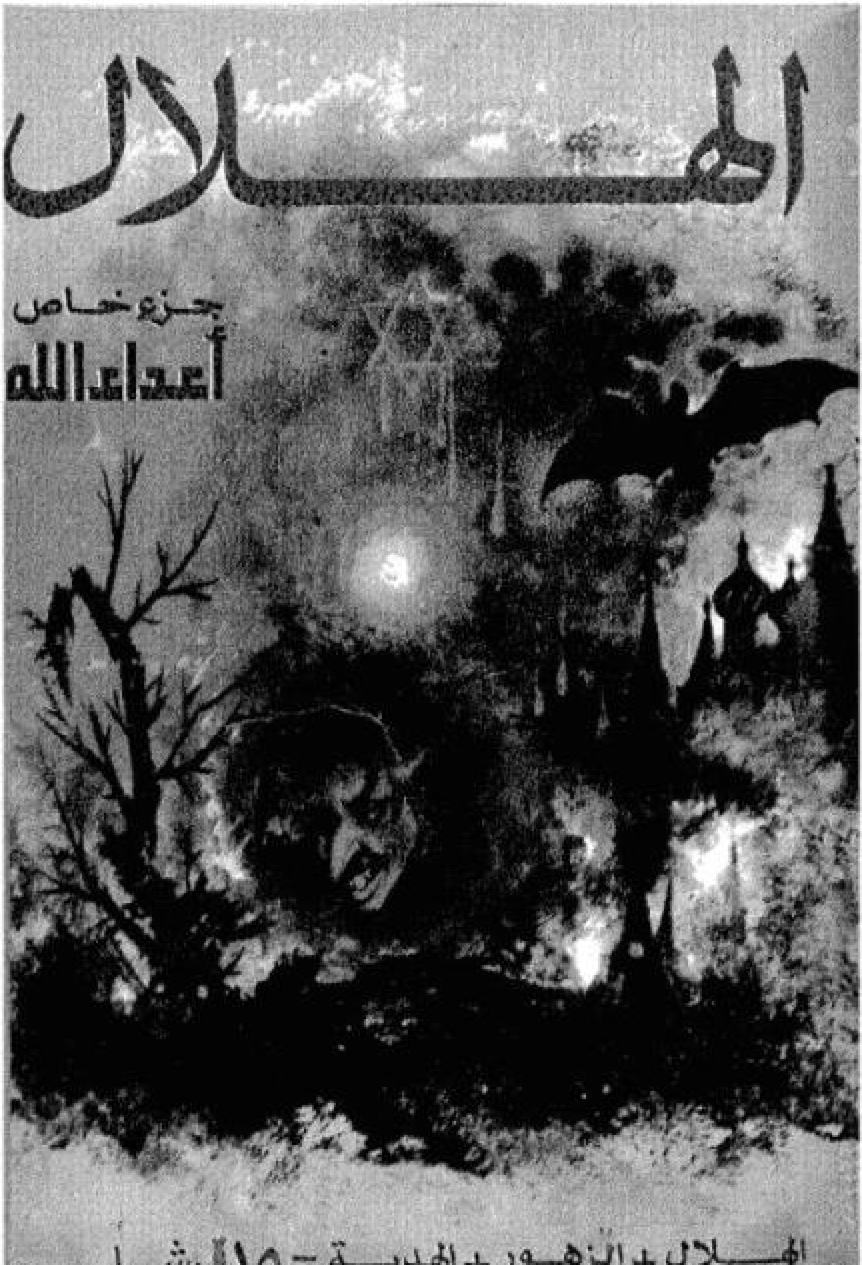
الأحـــلام . . .
للفنان : جمال قطب



لقطة بحرية اشتركت فى
حرب اكتوبر ١٩٧٣



لقطة تذكارية لاحدى القطع البحرية التي
شاركت في صنع النصر في معركة البطولة
والفداء في العاشر من رمضان، ٦ أكتوبر ١٩٧٣

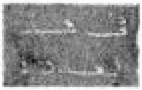

الهلال
جزء خاص
أعداء الله
الهلال + الزهور + الهدية = ١٥ قرشا

الهلال

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال — أسسها جورجى زيدان سنة ١٨٩٢ — العدد الحادى عشر — السنة الثالثة والثمانون — أول نوفمبر ١٩٧٥ ٢٨ شوال ١٣٩٥

شوال ١٣٩٥
نوفمبر ١٩٧٥

ثمن العدد : فى جمهورية مصر العربية ١٥٠ مليما
قيمة الاشتراك السنوى : ١٢٥، مقدما فى جمهورية مصر العربية وبلاد اتحاد البريد العربى والافريقى ١٥٠ قرشا صاغا . فى سائر أنحاء العالم ٦ دولارات أو ٢ جنيه والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية . فى الخارج بشيك مصرفى والأسعار الموضحة بالبريد العادى — ويضاف رسوم البريد الجوى والمسجل على الأسعار المحددة عند الطلب .
الإدارة : دار الهلال — ١٦ شارع محمد عز العرب — القاهرة
تليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)





عبد الحليم محمود د. وحيد رأفت د. ابراهيم مدكور

بسم الله الرحمن الرحيم



كلمة الهلال

اتمنى ان يجيء اليوم الذى يصبح فيه معنى الالتزام عند الشاعر والقاص والاديب والفنان ، هو الوطنية لا السياسة ...

اعنى ان يلتزم بوطنه ، وبعروبته ، وبانسانيته ، ولا شأن له بعد ذلك بالحزبيات ولا بالعنصريات ولا بالايديولوجيات

كان امير الشعراء احمد شوقى كذلك ...

كان صديقا لجميع الزعماء . وعلى الرغم من صلة النسب التى ربطته ببعض هؤلاء الزعماء من خصوم سعد زغلول ، فانه كان صديقا اثيرا عند سعد زغلول.

وقد حاولت جميع الاحزاب ان تكسبه فى صفها ، ولكنه رفض هذا الانتماء بكل اصرار ، وآثر ان يبقى وطنيا ، بعيدا عن السياسة

ولم ينجح العقاد ولا طه حسين — فى شبابهما — فى ان يسلكا سلوك شوقى . فقد انضم العقاد الى حزب الوفد المصرى بكل قواه ... ثم خرج عليه وعاداه بكل قواه .

وانضم طه حسين الى الاحرار الدستوريين بكل قواه ، ثم خرج عليهم وعاداهم بكل قواه

ولقد اتخذ العقاد وطه حسين السياسة احترافا ، فكانت لهما مصدر لقمة العيش وهما فى زهرة العمر. فلما تقدمت بهما السن ، تركا السياسة ، واخلصا لوجه الادب

ولا شك ان الادب الخالص قد خسر كثيرا خلال السنوات الطويلة التى استغرقت الرجلين فى

السياسة . ولو انهما انفقا تلك السنوات لوجه الادب وحده ، لكسب الادب اضعاف اضعاف ما انتجا

والاديب الوطني يستطيع أن يفيد وطنه وامته والانسانية جمعاء ، باكثر ما يفيدها الاديب السياسي الف مرة

كان المرحوم الدكتور زكي مبارك اديبا وطنيا ...
وذات يوم ، وقع حادث مؤسف في بغداد .. اذ اطلق طالب عراقي الرصاص على استاذ مصري ، في غضبة طارئة

وهاجت يومئذ الخواطر ، وشردت الاقلام الى حد ان بعضها طالب بسحب جميع الاساتذة المصريين من العراق ، وذهب البعض الاخر الى ابعد من ذلك ، فطالب بقطع العلاقات السياسية مع العراق !

وتصدى لها زكي مبارك بشجاعة رائعة ، وكتب عدة مقالات يناشد فيها الضمائر في البلدين ان تهدأ وتثوب ، وتدرك ان هذا حادث فردي ، وان كلمتي مصر والعراق اكبر من كل حدث ، وان الوشيجة بينهما اقوى من ان يقطعها مصرع فرد واحد ، ولا مصرع الف فرد ، سواء اكانوا من مصر ام من العراق

وسرعان ما استجابت الضمائر ، وهدأت الخواطر
اتمنى أن تصحو هذه الروح الايثارية ...

اتمنى ـ في النار التي يشعلها اعداء الامة العربية اليوم ليوقعوا الفتنة بين ابنائها ـ ان يتواصى الادباء والشعراء والقاصون والفنانون عامة على ان يتفرغوا للوطنية لا للسياسة ، ويجعلوا امتهم فوق جميع الاحزاب والتيارات والايديولوجيات ، حتى لا تسقط هذه الامة مرة اخرى سقطة التفرقة التي انتهت بها الى معلهمة سنة ١٩٦٧ ، وحتى تقف مرة اخرى وقفة النصر الذي حققه صفها الواحد سنة ١٩٧٣

صالح جودت

الغزو الفكرى وكيف نقاومه؟

د. وحيد رأفت

اذا كانت الاسرة الدولية قد نجحت بعد جهد جهيد بما وضعته من مواثيق عصرية فى ان تضع نهاية للغزو العسكرى ولو من الناحية النظرية البحتة ، بتحريم كل هجوم مسلح من جانب اية دولة على اقليم دولة اخرى بقصد الاستيلاء عليه كله او بعضه وضمه للدولة الغازية أو الفاتحة (١) ، فان الغزو الفكرى ما زال يتحدى القيود فضلا عن صعوبة تحديده وتعريفه .

ولعل من اوجه الشبه بين الغزو العسكرى والغزو الفكرى ، أن كلا منهما يحاول تغيير واقع بآخر . فالغزو العسكرى يرمى الى احلال سيادة محل الاخرى او استبدال سلطان بسلطان ، ولو الى حين .. والغزو الفكرى يهدف هو الآخر وعلى المدى الطويل ، الى احلال عقيدة دينية أو سياسية او اجتماعية او مجموعة من الافكار ، محل أخرى ..

وبينما يفترض الغزو العسكرى استخدام القوة المادية الغاشمة ، فان سلاح الغزو الفكرى هو الكلمة الذكية . وكما ان الاسلحة التى تلجأ اليها القوة لبلوغ غايتها هى فى تطور مستمر ، وقد تطورت فى عصرنا تطورا خطيرا ورهيبا ، فان وسائل نشر الكلمة او الفكر ، قد

---

١ ــ كان الغزو او الفتح من اهم الوسائل التقليدية لاكتساب الاقاليم وقيام الدول والامبراطوريات عبر التاريخ وذلك الى بداية هذا القرن العشرين حيث بدأ الضمير العالمى يستنكر ويتشكك فى شرعيته لا سيما منذ قيام عصبة الامم بعد الحرب العالمية الاولى ، ثم باعلان ميثاق هيئة الامم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية ، والذى يمنع اعضاء هذه المنظمة العالمية من استخدام القوة او التهديد بها فى علاقاتهم الدولية ضد سلامة الاراضى والاستقلال السياسى لاية دولة .

ولا يعترف بشرعية الفتح اى بضم اراضى الغير نتيجة للغزو والقهر العسكرى.

تطورت بالمثل تطوراً كبيراً ، منذ اختراع الطباعة ، وانتشار الصحف والمجلات ، وظهور الاذاعة المسموعة والمرئية ، وغيرها من وسائل الاتصال اللاسلكى على مسافات خيالية عبر محطات الفضاء والاقمار الصناعية .

ولا ننس أن عبد الناصر أسقط حلف بغداد ، وأرهق الاستعمار البريطانى فى الجنوب العربى ، وحرك الجماهير فى معظم ارجاء الوطن العربى ، بالكلمة المذاعة على الهواء

والغزو الفكرى قديم قدم الحضارة ذاتها . وبدون ان نذهب بعيدا فى الماضى السحيق ، الم يكن نجاح الديانات السماوية التى نادت بالتوحيد والبعث والثواب والعقاب ، فى تحويل المجتمعات الاولى البدائية، والتى كانت ترى فى كل شىء الها تخافه وتتملقه وتسترضيه ، غزوا لافكار جديدة مستنيرة ومؤمنة ونصرا لها على الباطل العتيق الموروث !.. والم يكن انتصار المسيحية على الوثنية فى معاقلها الحصينة داخل الامبراطورية الرومانية القديمة وخارجها ، وانتشار تعاليم المسيح بن مريم فى العالم بأسره . غزواً فكريا أعظم اثرا من اى غزو عسكرى وعاه التاريخ ؟ ..

ثم الم يكن بزوغ فجر الاسلام فى شبه الجزيرة العربية الجرداء فى القرن السادس الميلادى ايذانا بغزو فكرى جديد اتخذ فى مبتراته الاولى شكل الدعوة الوديعة المسالمة ، قبل أن يلجأ المسلمون الى السيف لنشر تعاليم دينهم وليحققوا بفتوحاتهم امبراطورية اسلامية مترامية الاطراف، لا تشمل اجزاء كبيرة من آسيا وافريقيا فحسب ، بل وكادت تطبق على غرب أوربا ، لولا ان تصدى لهم شارل مارتل عام ٧٣٢ من الميلاد فى موقعة بواتييه أو « بلاط الشهداء » الفاصلة ، فتراجع الفاتحون الى الاندلس واقاموا فيها حضارة من اروع الحضارات الاسلامية ؟ ..

ثم الم تكن الافكار الجديدة التى نادى بها مارتين لوثر فى المانيا وكلفن الفرنسى فى سويسرا فى القرن السادس عشر الميلادى ، بغية الحد من طغيان بابوات روما والقضاء على البدع والفساد فى الكنيسة الكاثوليكية وقتذاك ، غزوا دينيا أفرادى الى انقسام المسيحية على نفسها الى كاثوليك وبروتستانت ، واغرق اوربا فى القرن السابع عشر فى حروب ضارية امتدت الى ثلاثين عاما ، بين انصار المذهب الكاثوليكى واتباع الاصلاح الدينى ، وما لبثت أن اختلطت فيها السياسة بالدين ، واصبح مبتغهم الغالب الحفاظ على التوازن الاوربى ، وان كانت قد انتهت باستقرار البروتستانتية فى عدد من دول اوربا وفى شمالها بنوع خاص ؟ ..

والا يذكرنا ذلك من بعض الوجوه بالحروب الصليبية فى القرون

الغزو الفكرى

الوسطى ، التى بدات هى ايضا بفكرة دينية متزمته اطلقها فى اواخر القرن الحادى عشر الميلادى راهب متعصب هو بطرس الناسك ، بحجة استرداد الاماكن المقدسة ومدينة القدس من ايدى المسلمين، ثم ما لبثت أن تحولت الى حروب عنصرية استعمارية ،غايتها تقسيم بلاد الشام بين الامراء الصليبيين واتباعهم ، الذين وفدوا الى الشرق العربى المسلم من اوربا المسيحية ؟

ومع مرور الزمن خفت حدة الصراعات من اجل الدين دون ان تنقرض تماما حتى فى وقتنا هذا ،يشهد بذلك الاقتتال المرير بين البروتستانت والكاثوليك فى مقاطعات ايرلندا الشمالية ، وعمليات الارهاب والانتقام التى يقوم بها كل فريق ضد الفريق الآخر مما جعل الحياة جحيما فى مدنها الكبرى ،بل وانتقل الارهاب الى العاصمة البريطانية ذاتها .

وكذلك المعارك الطائفية الدامية والمجردة من الانسانية احيانا ، بين المسيحيين والمسلمين فى لبنان مما يهدد بتخريب اقتصاد هذا البلد الشقيق ، والقضاء على وحدة ترابه والتعايش الأخوى بين مواطنيه الذى كان مضرب الامثال !

ولكن هذه وتلك ظواهر شاذة فى عصرنا الذى انتقل فيه الصراع الحقيقى بين الافكار من المجال الدينى الى مجالات اخرى لا تمت بصلة كالمجال السياسى والاقتصادى. فلم تقم حرب اوروبية من اجل الدين بعد حرب الثلاثين عاما فى القرن السابع عشر الميلادى .

وكان اندلاع الثورة الفرنسية الكبرى فى أواخر القرن الثامن عشر ايذانا بمولد عالم جديد مختلف تماما عن سابقه ، تحركه وتسوده افكار جديدة استمدت اصولها من كتابات فلاسفة ومفكرين كبار امثال لوك ، ومونتسكيو وروسو ، وديدرو ، ما لبثت ان قلبت الاوضاع السياسية والاجتماعية القائمة رأسا لعقب . لقد حاولت أوربا المحافظة ، او الرجعية حسب تعبير عصرنا الحالى، ممثلة فى بريطانيا العظمى والنمسا وبروسيا وروسيا القيصرية ، أن توقف انتشار تلك الافكار الجديدة ووأدها ان استطاعت ، ولو بغزو فرنسا الثورة او فرض الحصار من حولها . ولكن هيهات ! .. لقد خرقت تلك الافكار الحصار بفضل الجيوش الفرنسية المنتصرة والحروب النابليونية التى هزت العروش وغيرت خريطة اوربا . وعلى انغام النشيد الثورى الفرنسى « المارسييز » ، وفى ظل العلم الثورى الفرنسى المثلث الالوان ، غزت تلك الافكار الثورية

الجديدة شتى أنحاء أوربا وجاوزتها إلى ما وراءها ، وقضت على الكثير من الأفكار والنظريات السابقة التي كانت تسيطر حتى على مقدرات الشعوب ، كنظرية التفويض الإلهي التي طالما استمد منها الملوك جبروتهم وسلطانهم المطلق ، وعلى التمييز بين المواطنين طبقيا ، أو تبعا لحسبهم ونسبهم أو جاههم ، وعلى القيود والأغلال التي كانت تكبل حقوق الفرد كإنسان وكمواطن . وأحلت محلها أفكارا ومفاهيم جديدة تنادي بأن الشعب مصدر السلطات جميعا ، وبضرورة الفصل بين هذه السلطات من تنفيذية وتشريعية وقضائية وحظر تركيزها في جهة واحدة ، وبحق الشعوب المتحررة في اختيار حكامها وعزلهم متى أساءوا التصرف ، وبأن للفرد كإنسان وكمواطن حقوقا مقدسة كالحرية الشخصية ، وحرية العقيدة وحرية الفكر والتعبير عنه ، وحرية التملك ، وحرية العيش بأمان في حرمة مسكنه ، وأنه لا يجوز المساس بهذه الحريات إلا وفقا للقوانين التي يضعها الشعب بواسطة نواب يختارهم لتمثيله في البرلمانات والمجالس النيابية المختلفة .

والحق أنه كان إعلان حقوق الإنسان الذي أقرته الثورة الفرنسية الكبرى في الثالث من سبتمبر سنة ١٧٩١ ووقعه الملك لويس السادس عشر قبل إلغاء الملكية ، غزوا فكريا معنويا وترددت أصداؤه في جميع دساتير العالم بعد ذلك !

ولقد ظلت هذه الأفكار سائدة طوال القرن التاسع عشر ، وفي كنفها نمت وازدهرت فئات التجار والصناع وأرباب المهن الحرة الذين يتكون منهم ومن ملاك العقارات ما يعرف بالطبقة البورجوازية التي ورثت بعد الثورة الفرنسية الكبرى ، ما كان للنبلاء أو الطبقة الأرستقراطية من نفوذ ومكانة في مجتمع ما قبل الثورة . كما اتخذت الاستثمارات في التجارة والصناعة في شكل مؤسسات فردية وعائلية أو شركات وطنية مختلطة . وشجع على هذا الازدهار والانتعاش ترك الاقتصاد حرا ، وعدم تدخل الدولة في استثمار رءوس الأموال في مختلف أوجه النشاط الاقتصادي بما في ذلك هذه التجارات وعمليات التصدير والاستيراد ، إلا في أضيق الحدود .

وقد بلغ هذا النظام الرأسمالي البورجوازي قمته في أوائل هذا القرن ، بحيث أخذ يصطدم بأفكار جديدة يقال لها (التقدمية) ، ظلت تختمر وتتفاعل منذ منتصف القرن الماضي تنتظر الفرصة الصالحة للانفجار . ومن أبرز خصائصها أنها لا تستهدف تغيير ملامح « السلطة » داخل الدولة وحفظ التوازن بين فرعيها التنفيذي والتشريعي ، بل تبتغي تغيير مفهوم الدولة ذاتها ككل بتطويرها من جهاز تكاد تنحصر وظائفه في الدفاع وتصريف الشئون الخارجية وحفظ الأمن والاستقرار في الداخل والقضاء بين الناس وتأمين الحقوق والحريات التقليدية السياسية للمواطنين إلى جهاز شامل كامل قادر على خلق مجتمع

جديد تماما ، تزول فيه الفوارق بين الطبقات التي تولد الاحقـــاد والصراعـــات ، ويمتنع فيـــه استغلال الانسان لاخيه الانسان . وسبيل ذلك القضـــاء على الملكية الخاصة لوسائل وادوات الانتـــاج وتحـــويل ملكيتهـــا الى الدولة والسـيطرة الكاملة على الانتاج والاستهلاك والتوزيع والتصـــدير والاستيراد . وبالتالى على جميع دقائق الاقتصـــاد القومى حيث تحل الادارة الحكومية للحياة الاقتصادية محل ادارة الافراد والشركات الحرة . فلا مـــكان فى هذا المجتمع الجديد للابتكار الحر او للمؤسسات والمشروعات الحـــرة او للملـــكية والاستثمارات الخاصة ، الا فى اضيق الحدود التي تســمح بها الدولة ولا فضل لمواطن على مواطن فى هذا المجتمع الا بالعمـــل ، فالعمل واجب على كل مواطن قادر ، ومن لا يعمل لا ياكل ! .. وهو ما نص عليـــه صراحة دستور الاتحاد الســوفييتي الصادر فى ٥ ديسمبر ١٩٣٦ فى مادته الثانية عشرة ، والدساتير اللاحقة له . وهكذا يتحول معظم المواطنين القـــادرين فى هـذا المجتمـع الى « اجراء » يعتمدون فى كسب قوتهم وارزاقهم على الدولة ومؤسســـاتها وشركاتها ، او على ما يعـــرف فى تعبيرنا الراهن بالقطاع العام .

ولقد اخذت هذه الافكار الجديدة فى التبلور منذ منتصف القـــرن الماضى حينما اصـــدر كارل ماركس اليهودى الاصـــل ، والاب الروحى للشيوعية او الاشتراكية العلمية كما يسميها ، هو وزميله وصديقه فريدريك انجلز ، بيانهما الشهير الى شيوعيى العالم عام ١٨٤٨ ، وحثا فيه الطبقة العاملة او البروليتـــاريا (طبقة الاجراء) فى جميع دول العالم الى الاتحـــاد لنيل حقوقهـــم وفرض ارادتهم . ثم حينما اصـــدر هو وصـــديقه وزميله فردريك انجلز فى عام ١٨٦٧ الجزء الاول من مؤلفهما الضـــخم عن « راس المال » والذى حاول فيه شرح نظريتهـــا وافكارهما حول التفسير المادى او الاقتصـــادى للتـــاريخ ، واهمية العمل فى تقييم السلع المصنعة ، ونظرية القيمة وفائض القيمة ، وعن الصراع الطبقى ، وعن اهمية طبقة الاجراء ، او البروليتاريا ودورها فى القضاء على الراسمالية والمجتمع الراسمالى . هذه النظريات والافكار التى قادتهما الى التنبؤ بانهيار البورجوازية الراسمالية بتاثير ما فى النظام الراسمالى من متناقضات حتى حد قولهما ، والصراع الطبقى الذى سوف يزداد شدة وعنفا بانتشـــار التصـــنيع وتكاثر عدد الاجـــراء العاملين فى المصانع والذين يكونون طبقة البروليتاريا ومركز الثقـــل فى هـــذا الصراع ، وعن حتمية تولى هذه البروليتاريا مقاليد الحكم فى دول العالم الصناعى اولا ، كمرحلة انتقـــالية هى مرحلة التحـــول الى الاشتراكية العلمية ، قبل بلوغ آخر



مراحل الطريق الطويل الى الشيوعية العالمية الكاملة .

وخلافا لما تنبأ به كارل ماركس وانجلز فى دراستهما ، وجدت هذه الافكار الثورية أول تطبيق عملى لها لا فى البلاد المتقدمة صناعيا كبريطانيا والمانيا ، بل فى بلد زراعى متخلف صناعيا هى روسيا القيصرية او ما يعرف الان بالاتحاد السوفييتى ، عندما تفجرت فيها الثورة البلشفية فى اكتوبر ونوفمبر ١٩١٧ ، فقسمت هذه الثورة الاجتماعية الكبرى ، العالم المعاصر الى شطرين رأسمالى وشيوعى ، أو اذا شئنا الى رأسمالى واشتراكى استنادا الى ان الشيوعية بمعناها العلمى الدقيق والتى تختفى فيها الملكية الخاصة ، وتذوب الطبقات ، وتقسم الارزاق وفقا لشعار « من كل حسب قدرته ولكل حسب حاجته » وتنصهر فيها جميع الدول فى مجتمع موحد « سعيد » يدار وفقا للمبادىء الماركسية وعلى يد قيادة الطبقة العمالية أو البروليتاريا ، هذه الشيوعية المنشودة لم تتحقق بعد ولن اتحقق فى المستقبل المنظور ، وانما الذى تحقق عملا وفى بعض الدول ، هو صورة مخففة منها تحت اسم الاشتراكية العلمية ، لا تلغى فيها الملكية الخاصة او الطبقية كليا ، ولا توزع الارزاق فيها على الناس حسب حاجة كل منهم ، بل حسب العمل الذى يؤديه كل فرد وفى حدود الامكانات المتاحة للدولة بل ولقد اصبح التعايش بين الدول الرأسمالية والدول الاشتراكية امرا مقبولا ، فلم تدفن الاشتراكية الرأسمالية كما تنبأ البعض . كما اصبح الوفاق بين المعسكرين او الكتلتين ممكنا ومحققا فى الوقت الحاضر بعد ان ايقنت دول كل كتلة ان التنافس المستمر بينهما فى التسلح النووى والباهظ التكاليف سوف يؤدى اذا ما مضى فى تصاعده الى صدام رهيب يحطم الحضارة ويقضى على العالم .

ولكن التهادن العسكرى وحتى الوفاق السياسى بين الشرق والغرب لم يضع حدا ، بل ولا ينتظر ان ينهى كل الصراع الفكرى بين الكتلتين . وهو على اية حال أهون الشرين . واذا كان الحماس الذى ابدته الدول الكبرى الرأسمالية فى التصدى للشيوعية والذى بلغ ذروته فى السنوات الاولى التى اعقبت اندلاع الثورة البلشفية فى روسيا عام

الغزو الفكرى

١٩١٧ . قد قتر الآن بعد أن نجح النظام الشيوعي في تثبيت الدعائم في تلك الدولة العظمى ، وانتقل منها الى دول عديدة في اوروبا وآسيا وسائر العالم . فان هذا النجاح للحركة الشيوعية . او للاشتراكية العلمية التي تقوم على نظام الحزب الواحد هو الحزب الشيوعي . قد فتح شهيتها لابتلاع دول جديدة على حساب الكتلة الرأسمالية . تشهد بذلك احداث البرتغال بعد سقوط الحكم اليميني فيها في ابريل عام ١٩٧٤ . ونشاط الاحزاب الشيوعية المحموم في كل من ايطاليا واليونان وحتى في اسبانيا ترقبا لزوال حكم الجنرال فرانكو . المتهم بالفاشية . وايضا الزحف الشيوعي المستمر في جنوب شرقي آسيا بعد انسحاب القوات الامريكية من آخر معاقلها فيها . وانهيار الحكم اليميني في فيتنام الجنوبية بعد هزيمتها العسكرية الساحقة .

وها هي الحركة الشيوعية العالمية ، مخلصة لمبادئها التي من بينها السعي بكافة الوسائل للسيطرة على العالم والقضاء على الرأسمالية ونظمها ، تتحين الفرص للتسلل الى افريقيا مستفيدة من ضعف حكومات الدول الافريقية الحديثة العهد بالاستقلال . والى قلب الشرق الاوسط مستغلة من جهة النزاع العربي الاسرائيلي وما احدثه ويحدثه من خلخلة وبلبلة في المنطقة، ومن جهة اخرى حاجة بعض الدول العربية الملحة الى السلاح والمال والقروض . لمواصلة تحرير اراضيها المحتلة منذ الخامس من يونيو ١٩٦٧ ولاستخلاص الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني من ايدي الصهاينة وفقا لقرارات الامم المتحدة العديدة بهذا الشأن .

وبعد أن حقق الاتحاد السوفييتي بفضل هذه الظروف المختلفة وجودا مستتبا في الشرق الاوسط لم يحلم به قبل عام ١٩٥٥ . فصار له اسطول ضخم في البحر الابيض المتوسط ينافس الاسطول السادس الامريكي . وصداقات عديدة في المنطقة تعززها معاهدات ثنائية عقدت مع بعض دولها كمعاهدة الصداقة والتعاون المصرية السوفييتية الموقعة سنة ١٩٧١ . والمعاهدة السوفييتية العراقية . المماثلة الموقعة بعد ذلك بعام (كمقابل جزئي للسلاح السوفييتي الذي تسلمته هذه الدول والقروض السوفييتية التي تراكمت عليها) . بعد هذا التحول غدا الشرق الاوسط وشعوبه العربية بوجه خاص مهيأ لغزو فكري رتيب لدواته ووسائله . برامج الاذاعة الناطقة باللغة العربية من موسكو وسائر عواصم اوروبا الشرقية . والمطبوعات والنشرات التي توزعها بسخاء سفارات هذه الدول في العواصم العربية .

والاتصالات المنظمة التى تقوم بها هذه السفارات واعضاء الاحزاب الشيوعية المحلية ، وتناقش فيها خطط العمل وترسم استراتيجية المستقبل • بل واصبح لهذه الاحزاب الشيوعية المحلية التى يتبع بعضها موسكو، والبعض الاخر بيكين وقلة منها تدعى الاستقلال عن هذه وتلك صحف ومجلات تسيطر على ادارتها وتحريرها تلك الاحزاب ، وتبث من خلالها دعايتها ودعوتها • فى ظل من سيادة القانون ، وتحت ستار حرية الرأى والفكر التى كفلتها بعض الدساتير العربية لجميع المواطنين • وهذه الصحف والمجلات فى مصر معلومة للكافة ، وقد لفت نشاطها انظار الجميع عندما وجهت حملاتها مؤخرا ضد بعض رجال الدين وفضيلة شيخ الجامع الازهر بوجه خاص ، ضمن استراتيجيتها الاعلامية العامة ، لزعزعة الثقة فى الاديان السماوية ، افيون الشعوب فى نظر ماركس ولينين !

وتحاول الدول الشيوعية كالاتحاد السوفييتى وسائر دول حلف وارسو، تحصين نفسها وشعوبها ضد الغزو الفكرى الغربى ، ووسائل الاعلام الرأسمالية ، بما تفرضه من عراقيل وقيود صارمة على حرية السفر والانتقال منها واليها ، ومصادرة الصحف والمجلات والمطبوعات الغربية ومنع دخولها او تسربها الى اراضيها، وبالتشويش على البث الاذاعى من العواصم الغربية او من محطات الاذاعة « الحرة » التى يوجد بعضها فى اماكن متفرقة حول العالم الشيوعى ، ويستمع اليها البعض بشغف زائد فى دول الكتلة الشرقية رغم كل تشويش • وقد اخذ تاثير هذه العراقيل والقيود يخف بفضل طرق البث الجديدة عبر المحطات الجوية والاقمار الصناعية ، ونتيجة لظهور الاجيال الصاعدة من الشباب فى الاتحاد السوفييتى نفسه فى اوربا الشرقية ، من هذا الستار الحديدى المفروض عليهم منذ عهد لينين وستالين ، وتطلعهم الى الخروج من عالمهم المغلق للوقوف على ما يجرى فى سائر انحاء المعمورة ، ومطالبة فئات المثقفين من بينهم ، بسياسة الكبارى المفتوحة وقنوات الاتصال الحرة بين الشعوب رغم اختلاف عقائدها السياسية والاجتماعية والاقتصادية • وكان هذا من جملة المسائل التى تناولها مؤتمر الامن الاوربى المنعقد فى صيف هذا العام فى هلسنكى عاصمة فنلندا ، بين الغرب والشرق ، والذى فتح بابا يعبر من خلاله الفكر الاوربى الغربى الى دول اوربا الشرقية بينما لا تعرف دول العالم الحر اصلا مثل هذه القيود والسدود ، ولا تفرض على شعوبها تلك الرقابة الصارمة على حرية الفكر ووسائل الاعلام ، لذلك كانت وستظل هدفا للدعاية الشيوعية والغزو الفكرى اليسارى القائم على تملق طبقة العمال والفلاحين واستعدائهم على طبقة الملاك ، والذى يجد فى السخط والحسد والحقد ، والغرائز الانسانية التى لا يخلو منها اى مجتمع بشرى ، مادة ووقودا لبث هذه الافكار اليسارية • والحقد حسب قول الزعيم الشيوعى تروتسكى هو اسهل معاول

الغزو الفكرى

الصراع الطبقى . ولكن خطر هذه الدعاية الهدامة على الدول الغربية الغنية ، جد محدود ، بل ولا يكاد يؤبه له ، لما تتمتع به هذه الدول من استقرار ، ووعى ، وارتفاع فى مستوى المعيشة تحسدها عليه الطبقة العاملة فى الدول الشيوعية ، فضلا عن انتشار التعليم والثقافة

فى هذه الدول الغربية الغنية . بعكس الحال بالنسبة للدول العربية فما زالت الامية متفشية فيها ، وما زال بعضها يعانى الامرين من مخلفات حكم فردى متسلط افقدها الوعى والتقدير السليم للاشياء ،

وجعلها رغم عودة الحرية لشعوبها بحاجة الى فترة نقاهة طويلة لكى تستمد وعيها واتزانها وهذا هو حال مصر فى الوقت الحاضر لما يتحمله شعبها من معاناة بسبب الظروف القاسية التى فرضتها وتفرضها حروب أربع خلال اقل من ثلاثين عاما كلفتنا الاف الملايين من الجنيهات ، وكثافة سكانية رهيبة لا يلوح فى الافق مخرج منها او علاج لها ، يقابلها موارد محدودة تنوء تحت هذا الطوفان البشرى

المتزايد ، وديون عرقنا فيها تستنفد اقساطها وفوائدها ثلث الدخل القومى فى تقدير البعض . زد على ذلك ان بعض ترابنا ما زال يحتله العدو . وان الخلاف الذى بيننا وبين الاتحاد السوفييتى حول امور معينة ، او بيننا وبين بعض الحكومات العربية الحزبية حول الاتفاق الثانى لفك الارتباط بين القوات المصرية والاسرائيلية فى سيناء ، كل هذا قد يستغل لتعكير الجو وبث دعايات مغرضة هدامة ، للنيل من صمودنا ونشر الفرقة والتمزق بين شعبنا .

فلنكن اذن على حذر لمجابهة اى غزو فكرى من هذا القبيل من اية جهة يأتى . ولا شك رغم كل تلك الصعاب والمشاكل والازمات التى تنوء بحملها الجبال ، ان ايمان هذا البلد بالله الواحد الاحد ، واعتزازه بتاريخه الحضارى الذى تمتد جذوره فى الماضى لالاف السنين كفيلان باجتياز هذه الصعاب والمشاكل والازمات بامان وان مصر الخالدة التى تردد ذكرها فى الكتب السماوية الثلاثة التوراة والانجيل والقرآن ، وكانت دائما مقبرة الغزاة ،

مصر الحريصة على حريتها واستقلالها اللذين كافحت من اجلهما اجيال من المصريين لاجلاء الغاصب او المستعمر او الطامع عن ترابها مهما طالت مدة احتلاله له ... مصر هذه التى لم تستسلم للغزو العسكرى لن تنقاد ولن تستسلم لاى غزو فكرى ، بل وسوف تحتفظ بافكارها وفلسفتها النابعة من ارادتها الحرة وتراثها الروحى ، وسوف تنبذ اى فكر دخيل لا يمت بصلة الى حقيقة معدنها او طبيعة سجايا شعبها .

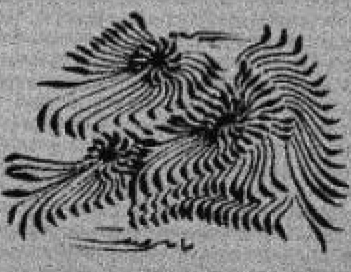
د. سيد
نوفل

أعداء الله

في القرآن

القرآن الكريم هو كتاب الاسلام المجيد ، ودستور الحضارة الانسانية المثلى . رفعت أحكامه على العالم الوية الحرية والعدل والسلام قرونا ، ولا تزال تضيء للدنيا سبيل الهدى والخير والرشاد وتتعلق بها الامال في مستقبل انسانى أعظم اشراقا ، وأوفر حرية وعدلا ورخاء . وفي الدين الاسلامى تقوم الحضارة البشرية على اساس معرفة الانسان بنفسه ، واداء دوره الرفيع في الكون ، والاعتصام في هذا الاداء بمبادىء العزة والاخاء والتعاون والتقوى ... فقواعد الخلق هي دعاماته الاساسية التي لا يمكن ان يستقر نظام اقتصادى ولا اجتماعى سليم على غيرها ...

ومن هنا كانت وحدة المبادىء في امور الدين والدنيا ، واختفاء جميع مظاهر الوصاية الدينية ، اذ لا واسطة بين العبد وربه ، والناس جميعا سواسية ، والعبادات الصحيحة هي سبيل المعاملات الصادقة ..



ومن هنا كانت الحرية الذاتية التي كرم الله بها الانسان ، حرية تجعل العقل صاحب الكلمة العليا في كل امر من امور الدين والدنيا جميعا . بل ان التدبر والتأمل هما سبيل الايمان

الصحيح المستند الى العقل والبينة ، ولا ايمان للمقلدين التابعين ممالك ايمانهم بغير تأمل ولا تمحيص ..

أعداء الله في القرآن

واذا ما اخذت البشرية بمبادىء الاسلام ، واعتصمت بأحكامه كما بينها القرآن ، فذلك سبيلها الى الله ومحبته والى صلاح الدنيا والآخرة .. والذين يكفرون بالدين ، او يحرفون كلمه عن مواضعه، او يقفون في سبيل تنفيذ احكامه – او يشايعون البغي والعدوان والفساد فأولئك اعداء الله الذين استفاض القرآن الكريم في التحذير من شرهم المستطير وفسادهم المدمر للكيانات الخلقية والاقتصادية والاجتماعية ، التي جمعها الاسلام في كيان واحد مترابط متكامل ...

اعداء المؤمنين اعداء الله

واذا كان المؤمنون حزب الله ،وهو وليهم ونصيرهم ، وكفى به وليا ونصيرا – فان اعداء المؤمنين هم أعداء الله وملائكته وكتبه ورسله .

ولهذا حذر الله المؤمنين من موالاة الكافرين ، فان الايمان يتناقض مع هذه الموالاة اشد التناقض .. ومن يؤمن بالله ورسوله ثم يخص الموالاة للكافرين اعداء الله ورسوله والمؤمنين، ، انما يضل عن سبيل الايمان اشد الضلال .. ذلك بأن الكفار قد حاربوا حرية العقيدة في المسلمين فأخرجوهم من ديارهم لانهم آمنوا بالله وتحرروا من الشرك وسموا الى مقام الاسلام ، ولايخافون في المسلمين ومعاداتهم العداء لومة لائم .. ولهذا فلا قرابة بين المسلمين والمشركين ، وان التقوا في الانساب والارحام . فالايمان ابعد مايكون عن الكفر في الدنيا ، والله سبحانه يباعد بين الكافرين والمؤمنين في الآخرة . ومثل ابراهيم والمصدقين برسالته أروع مثل . فقد تبرأوا من قومهم ، ولم يملك الخليل لابيه من الله شيئا سوى طلب المغفرة برا ووفاء بالابوة . فالمؤمن مع الله طوال حياته، والى الله مرجعه ومصيره بعد مماته

وفي ذلك يقول الله سبحانه في مطلع سورة الممتحنة :

« يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوي وعدوكم أولياء ، تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم ان تؤمنوا بالله ربكم ، ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي ، تسرون اليهم بالمودة وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل .. ان يثقفوكم يكونوا لكم اعداء ، ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون . لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم ، يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير . قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله ، كفرنا

بكم ، وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا ، حتى تؤمنوا بالله وحده الا قول ابراهيم لأبيه لأستغفرن لك ، وما أملك لك من الله من شيء ، ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير ٠٠ »

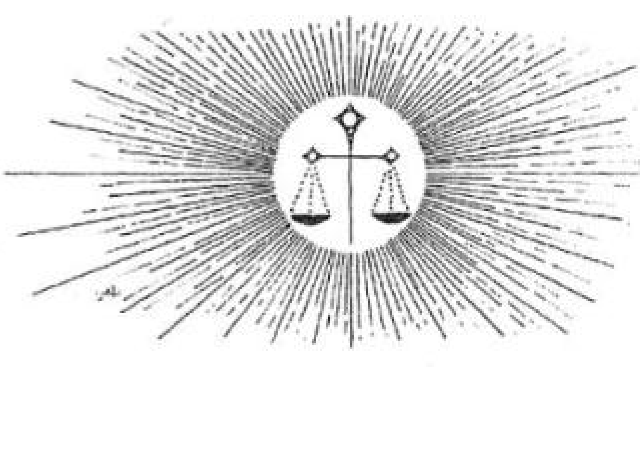
وفي مقام حديث الله عن الطغاة المستبدين ، من قبل الاسلام ، الذين عملوا لابادة المؤمنين ، وأنزلوا بهم العذاب الوانا، وعد الله المؤمنين الذين نال الاذى من نفوسهم أعمق منال أن يهلك عدوهم ويرثهم ويجعلهم خلفاء الله في أرضه لينظر سبحانه كيف تكون سيرتهم في الحياة ، ويجزيهم بما يعملون ٠٠٠

«قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ٠ قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا ، قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون ٠٠ »

وتسير الامور حسب سنة الله في الكون ، وينتصر آل موسى على من ساموهم سوء العذاب وعلوا في الارض ٠٠ لكنهم يفتنون عن طاعة الله وعبادته وحده ، فيعبدون العجل الذهبي سفها وكفرانا بآلاء الله وحسن جزائه ٠ وحينئذ ينالهم « غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا ٠ وكذلك يجزي المفترين ٠٠ » ٠

اشد الناس عداوة لله

وأشد الناس عداوة للمؤمنين ولله ، هم المشركون ومن والاهم من أهل الكتاب في مقاومة الدعوة الاسلامية والانتصار للوثنية ٠ فهم في الواقع انما يقاومون حركة الحياة في تقدمها ، وحركة الضمير الانساني في مسيرة



أعداء الله في القرآن

نحو النضج والاكتمال .. والشرك في جوهره انما هو انكار لرسالة الانسان ودوره في الحياة التي جاء الاسلام لاعلاء كلمتها . فعبادة الاحجار وما اليها من الاصنام والاوثان انما هي اهدار للانسان وعقله وكرامته . كما ان حياة المشركين وسيرتهم تمثل حياة دون حياة سائر الحيوان ، ومسيرة تزرى بكل انسان . تمثل قتل الاب لولده في وأد البنات ، تمثل الاستغلال بأبشع معانيه في الربا الفاحش ، رتمثل استباحة الاقوياء لجهود الضعفاء وأموالهم وجميع حقوقهم . تمثل استعلاء القوة المادية على جميع معاني الاخاء والتعاون الانسانيين بل استجابة هذه المعاني استباحة منكرة ..

وأهل الكتاب ، وخاصة اليهود ، والذين عرفوا محمداً ورسالته معرفتهم بأبنائهم ، وتنكروا لمبادىء اليهودية الحقة ، وظاهروا الوثنية على الحنيفية السمحاء ، وباعوا الدنيا بالاخرة – أهل الكتاب المظاهرون للكافرين هم أشد من المشركين عداء لله ولدينه وللمؤمنين ، وأخطر على دعوته من جميع المناوئين .

ولهذا لم يكن عجبا أن يقدمهم الله على المشركين في عداء المؤمنين حزبه ودعاة دينه . « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا » .

ولقد بلغ اليهود في بلاد العرب هذا المبلغ من عداء الله والمؤمنين ، حفاظا على سلطانهم الموهوم بين العرب ، والقائم على دعوة التوحيد والمعرفة بالله والكون معرفة تنأى عن مهاوى الوثنية والشرك والجهالة ، لكنهم مع ذلك سلكوا سلوكهم المهين في مظاهرة المشركين على المسلمين ، وجمع القبائل الوثنية المناوئة لدعوة الاسلام في حرب شاملة ضد المسلمين ، وادعائهم بهتانا أن الشرك خير من التوحيد .

وقد ضاق الرسول ذرعا بنقض اليهود من بنى قينقاع في المدينة للعهود مع المسلمين ، ومحاربة المسلمين من الداخل على حين يحاربهم المشركون القرشيون وحلفاؤهم من الخارج ...

وفي موقف اليهود المناقض لدعوة التوحيد التى تقوم عليها اليهودية ، نزل قوله تعالى : الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب ، يؤمنون بالجبت والطاغوت ، ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين امنوا سبيلا . أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا .. » .

ولهذا لم يكن بد من اخراج الرسول لبني قينقاع من المدينة ، ومن اجلاء بني النضير عن ديارهم القريبة من المدينة .. لكن يهود بني النضير لم يستكينوا ، وانما جمعوا قبائل المشركين في جيش من عشرة آلاف لمهاجمة المسلمين ، مصورين لهم أن يهود بني قريظة الذين كانوا لا يزلون بالمدينة سيتولون طعن المسلمين من الخلف اثناء مهاجمة المشركين لهم ..

لكن الرسول والمسلمين حفروا خندقا حول المدينة ، وتحصنوا بها ، ولم يستطع يهود بني قريظة التحرك ضدهم من الداخل وادرك المشركون ان دخول المدينة غير ميسور لهم ، وانه لا مناص من العودة تهيؤا لفرصة اخرى أنفى إمتالا .. لكن زعماء اليهود الذين حشدوهم حالوا بينهم وبين العودة ، واكدوا لهم انهم سيحركون يهود بني قريظة من الداخل ضد المسلمين ، وبهذا يتيسر للمشركين اقتحام المدينة ، وتحقيق اوهامهم الباطلة في القدرة على اطفاء نور الله الذى يابى الا ان يتم نور الاسلام ولو كره المشركون ومن يحركهم من بغاة اهل الكتاب ..

وتحرك بنو قريظة من الداخل ، وقطعوا المدد والميرة عن جيش المسلمين وأعلنوها حربا سافرة عليهم . وفزع المسلمون، وخاضوا أعمالا بطولية ضد الغزاة من الخارج والمتآلبين من الداخل .. لكن السياسة التى اتبعها الرسول للتفريق بين قبائل المشركين المهاجمة ، ووعد بعضها بنصيب من ثمرات المدينة .. هى التى اضعفت هجومهم حتى اشتدت رياح الشتاء العاصفة فاقتلعت حصون المشركين وأهلكت من شرعهم وأبلهم وخيلهم ، فكروا على اعقابهم خاسرين .. وحينئذ لم يجد الرسول الكريم بدا من القضاء على بني قريظة، واقتلاع اصولهم الشريرة وفروعهم الخبيثة من المدينة . وبهذا استقر الاسلام فيها وتوطد من بعد ذلك فى شبه الجزيرة لينشر فى أرجاء العالم اعلام الحق والهدى والسلام ..

المنافقون أعداء الله

والمنافقون من شر أعداء الله فى القرآن الكريم . فالنفاق من خصال الكفر والشرك .. والمنافقون أخوان الكافرين وأعوانهم . والكفر والنفاق صنوان متصلان متلازمان ، وتوأمان متشابهان متلاقيان . ومن بذر الله النفاق فى قلبه لزمه الى يوم القيامة، الا من تاب سبحانه عليه . والمنافقون والمنافقات والمشركون والمشركات جزاؤهم



فى الآخرة نار جهنم خالدين فيها أبدا ، وجزاؤهم فى الدنيا مجاهدة المسلمين لهم حتى هزيمتهم الماحقة التى وعد الله بها رسوله الصادق الامين ...

وقد فصل الله شرورهم ، وسوء مصيرهم فى الدارين ، فى سبعة وثلاثين موضعا من كتابه الكريم ، كلها مدنية ...

وذلك بأن شرور المنافقين قد أخذت تظهر وتتفاقم بعد أن أخذ الاسلام يسود فى المدينة ، وتتسع انتصاره فى شبه الجزيرة تمهيدا لتجاوزها الى أرجاء المعمورة حينذاك .

وكان حديث الافك من عمل المنافقين . وكان من عمل المنافقين الفتنة التى أثيرت عقب عودة الرسول بجيش المسلمين ، أو جيش العسرة ، من حدود الشام ، بعد مصالحة أمير أيله والبلاد المجاورة آخذين على النبى ، صلى الله عليه وسلم ، تقديم السلام على الحرب بعد وعثاء السفر الطويل ودون مغنم مادى . متناسين قول الله سبحانه فى المشركين « وان جنحوا للسلم فاجنح لها » ومتناسين أن الرسول ظل ثلاثة عشر عاما يدعو للاسلام بالحسنى ، ولم يلجأ للقتال الا دفعا للفتنة والبغى والعدوان .

والحق أن هذا السلام الذى أثار المنافقين كان مطلع انتصارات اسلامية كبرى ، اكمل الله بها الاسلام فى شبه الجزيرة ، ومهد للمرحلة العالمية المجيدة ..

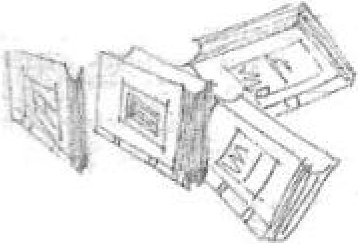
وكذلك المرابون المستغلون

ومن أعداء الله الذين عنى القرآن بمقاومة شرورهم المستغلون للغير ولثمرات عمله بغير حق ومن أجل هذا حرم الاسلام الربا الفاحش لذلك الذى يأخذ فيه المرابى أضعاف ما يقرض لذوى الحاجة . وسوى بين المرابين والكافرين وحشرهم نار الجحيم . ووصف هوانهم فى الدنيا والآخرة ، وأعلن عليهم الحرب من الله ورسوله .. وشرط قبول توبتهم برد أموال الربا الى أصحابها ...

قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة ، واتقوا الله لعلكم تفلحون . واتقوا النار التى أعدت للكافرين .. »

« الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ، ذلك بأنهم قالوا : انما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا ، فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله ، ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون »

أعداء الله فى القرآن



« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين . فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ، وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » .

وتفسير ذلك يسير . ذلك بأن النظام الاقتصادي الإسلامي كما أسلفنا يقوم على الأساس الخلقي الذي ينكر الاستغلال والبغي ، ويدعو إلى التعاون والإخاء الإنساني . لكنه مع ذلك لا يحول دون وضع النظم الملائمة لكل عصر ، ويتقبل اجتهادات المجتهدين في هذا المجال ، بحكم عالمية الإسلام ، واستمراره إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ولعلنا نذكر أن الربا الفاحش كان السبيل إلى استعمار مصر والهند وغيرهما ، وأنه كان سبيل الاستعمار البريطاني للقضاء على الاقتصاد المصري في عهد الامتيازات الأجنبية الذي انتهى عام سبعة وثلاثين من هذا القرن ، وأدى إلى نهب ثروات المصريين والقضاء على بنائهم الاقتصادي والاجتماعي ...

مواجهة أعداء الله

والقرآن الكريم ، شأنه في علاج المشاكل البشرية ، رسم النهج السليم لمقاومة أعداء الله ، ووعد المسلمين بما تحقق لهم بعد من نصر وإعلاء لكلمة الله .. وقد فصلته سورة الأنفال .

ويتلخص النهج السمح فيما يأتي :

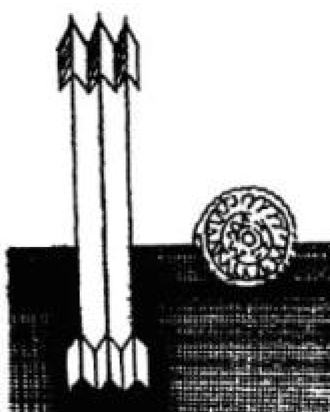
أولا ـ اللجوء إلى المصالحة والتعاهد على الكف عن الأذى للمسلمين ومحاربة دعوة الله .

ثانيا ـ محاربة ناقضي العهود حتى ينكلوا عن غرورهم ويثوبوا إلى عهودهم .

ثالثا ـ إعداد القوة القتالية إرهابا لمن يذهبون للخيانة وتحذيرا من مغبة طغيانهم . فإن جنحوا للسلم جنح إليها المسلمون وإن كانوا مخادعين فلا مناص من مقاتلتهم ، والله ناصر المسلمين عليهم مهما زاد عدد أعدائهم وفاقت عدتهم ... ولاريب أنه منهج حكيم ، وتوجيه أبدي خالد على الزمان .

فضيلة الإمام الأكبر
شيخ الأزهر
د. عبد الحليم محمود

الشيوعية عدوة الله وعدوة الإنسان



يقول الرئيس الراحل جمال عبد الناصر : يقول نصا ، يقول حرفيا ، في المقدمة التي كتبها لكتاب « حقيقة الشيوعية » :

كل ما كسبه الشيوعيون من شيوعيتهم (أنهم صاروا الآن في جهاز الإنتاج العام وكانوا بقرا ذوى ارادة) .

• كفروا بالدين : لأن الدين في عرف الشيوعية خرافة !!

• وكفروا بالفرد : لأن الفرد في دين الشيوعية لا كيان له ولا حقيقة لوجوده ، وانما الكيان للدولة !!

• وكفروا بالحرية : لأن الحرية نوع من ايمان الفرد بذاته ، وليس للفرد في النظام الشيوعي ذات ولا ارادة !!

• وكفروا بالمساواة في نظام الدولة ، لأن الدولة في الدستور الشيوعي طبقات تنتظم في هرم يتربع على قمته فرد، ويحتشد ملايين الشعب في القاعدة !!

(فلتؤمن الشيوعية بما تشاء .. ولتكفر بما تشاء .. فليس يعنينا ما تؤمن به وما تكفر .. وانما يعنينا أن نؤكد ايماننا بديننا الذى تدين الله عليه ، ونترسم دستوره فيما نعمل

لانفسنا ولقومنا .

كل ما بيننـا وبين الشيوعيين فى مذهب الحكم ، أو فى مذهب الحياة ،

أن للشيوعيين دين .. ولنا دين .. ولسنا تاركين ديننا من أجـل دين الشيوعية !!

لقد ضاق جمال عبد الناصر بنزعة التخريب تارة ، والقلاقل التى تحدثها الشيوعية فى مصروفى كل قطر عربى، وضاق بهـذا الارتباط الوثيق بين الشيوعية والصهيونية .

وسنعود الى حديث جمـال عبد الناصر بعد قليل .

ومن الخير أن نتبين الآن شيئاً من تاريخ الشيوعية بمصر ، ومن أعمالها فى مصر من واقع سجلات القضاء ،

يقول كتاب « حقيقة الشيوعية » :

« يتزعم هذه المنظمات الشيوعية فى مصر بعض الاسرائيليين ، يقيم أكثرهم فى الوقت الحاضر بالخارج ، وهم من اليهود الذين كانوا فى مصر واعتقلوا فى أثناء حرب فلسطين ، ثم ابعد بعضهم ، وطلب بعضهم التصريح له بمغادرة البلاد بصفة نهائية ، فسمح له بذلك ، ويقيم بعضهـم فى الوقت الحاضر بفرنسا، وبعضهم فى ايطاليا وبعضهم فى اسرائيل » .

وقد ضبطت فى بعض القضـايا الشيوعية فى مصر أوراق وتقـارير ومكاتبات تثبت أن النشاط الشيوعى فى مصر يدار من الخارج ، فقد عثر بتاريخ ١٩٥٣/١١/٣ بمسكن بعض المتهمين بالشـيوعية على كثير من التقارير الواردة اليـه من « هنرى كورييل » تحوى تعليمات للشيوعيين فى مصر .. كما عثر مع « ناعومى كانيل » الاسرائيلية التى قبض عليها فى اليوم نفسه على تقارير شيوعية واردة لها من الخارج ، وبعضها من اسرائيل ...

وضبط بالقـاهرة فى يوم ١٩٥٤/١٠/٤ مع مخبريت فيتاكوهين ــ وهو اسرائيلى كذلك ــ تقارير عن النشاط الشيوعى فى مصر كانت معـدة لارسالها للخارج ..

وعثر مع زميله « جوزيف دايفد اوزمو » ــ الاسرائيلى أيضا ــ على كثير من التقـارير الواردة لهم من « هنرى كورييل » فى تواريخ مختلفة وتحوى توجيهات للشيوعيين فى مصر

وقد ضبطت السلطات الايطاليـة « بميلانو » فى أواخر سنة ١٩٥٠خلية شيوعية يكونهـا بعض الاسرائيليين

الشيوعيه عدوة الله

الذين كانوا يقيمون فى مصر ثم غادروها واقاموا هناك ، وثبت من الاوراق المضبوطة انهم كانوا يديرون بعض المنظمات الشيوعية فى مصر ، وانهم على صلة بالهيئات الشيوعية فى كل من ايطاليا وفرنسا، كما تبين انهم عملاء من الاسرائيليين يقيمون فى فرنسا ويعملون لتصيد الشبان المصريين الذين يسافرون اليها لطلب العلم ·

وقد اعترف احد الاشخاص الذين قبض عليهم فى احدى القضايا الشيوعية فى مصر انه اقام باوربا نحو ستة اشهر متنقلا بين النمسا وايطاليا وفرنسا على نفقة الشيوعيين هناك وبتوصية من الاسرائيلى « هنرى كورييل » ·

وتصدر المنظمات الشيوعية فى مصر نشرات تتضمن مهاجمة نظام الحكم والقائمين على رأس الحكومه ، وهدفها تعبئة الشعور العام ضد الحكومة ، والعمل على قلب نظام الحكم ، واقامة حكومة شيوعية تخضع لتوجيهات موسكو الصهيونية

وينفذ الشيوعيون الخطة الشيوعية التى تقضى بالتسلل الى مختلف الطوائف والهيئات بالطرق الآتية :ـ

(١) التسلل الى الاتحادات والنقابات المهنية والعمل على السيطرة عليها ، ثم توجيهها توجيها يلائم الاغراض الشيوعية العالمية ·

(٢) التغلغل فى منظمات الطلبة والعمل على تزعم تكتلاتهم واستدراج اكبر عدد منهم للايمان بالشيوعية كوسيلة للاصلاح ·

(٣) تكوين جبهات مع الهيئات المعارضة للحكومة يكون لها برنامج متفق عليه وهدفها القضاء على نظام الحكم ·

وهذا التخطيط لا يزال العمل به سائرا حتى الان · وان فى المظاهرات الاخيرة وفى الحركات التخريبية ما يثبت كل ما قيل عن التسلل فى كل محيط يمكنهم التسلل اليه ·

ونعود الى حديث جمال عبد الناصر : انه يقول عن الشيوعيين ··

« لقد كفروا بالدين ، لان الدين فى عرف الشيوعية خرافة » ·

ولقد بدا الكفر بالدين مع ماركس،

منذ ابتداء الشيوعية ، فقال ماركس عنده المشهورة : « ان الدين أفيون الفقراء » . أى انه يخدرهم ويعدهم ويمنيهم ويتحدث اليهم عن الله ، وعن الحساب والنعيم فى الآخرة ، وهو من هذا الجانب عامل تخدير يتم فى الجو الاجتماعى .

ولقد تلقف « لينين » هذه الكلمة لكارل ماركس وأعلن أن هذه الكلمة هى حجر الزاوية فى الفلسفة الماركسية فيما يتعلق بالدين ، انه يقول حرفيا :

« لقد قال « ماركس » ان الدين هو افيون الفقراء وهذا حجر الزاوية فى الفلسفة الماركسية جميعهـا من ناحية الدين ، وتعد الماركسية الديانات جميعها والكنائس وكل انواع التنظمات الدينية آلة لرد الفعل البرجوازى الذى يستهدف الاستغلال بتخدير الطبقـة العاملة » .

وفى المقدمة التى كتبت لكتاب لينين ما يلى نصا :ـ « الالحاد جـزء طبيعى من الماركسية لا ينفصل عنها » . تتابع اقوال الشـيوعيين عن الدين يقول « لوناشارسكى » الذى كان يوما ما وزيرا للتعليم فى حـكومة الشيوعيين :

« نحن نكره المسيحية والمسيحيين ، وحتى أحسن المسيحيين خلقا ، العدم فى أعدائنا وهم يبشرون بحب الجيران والعطف والرحمة ، وهـذا يخالف مبادئنا . والحب المسيحى عقبة فى سبيل تقدم الثورة ، فليسقط حبنـا لجيراننا ، فان ما نريده هو الكراهية والعداوة وحين ذاك نستطيع غـزو العالم » .

ان تبشير المسيحية ـ أو ـ بتعبير آخر ـ تبشير الأديان بحب الجيران والعطف والرحمة يثير الكراهية فى نفس الشيوعى : إذ أنه لا يعرف إلا الحقد والكراهية والعداوة وبهـذه الكراهية والعداوة يستطيع ـ فيمـا يزعم ـ غزو العالم .

ويتحدث عن الشيوعية بكلمـات قليلة حاسمة ، انه يقول : « الماركسية هى المادية ، وهى من ثم معادية للدين » .

اما البرنامج الذى وضع للمؤتمـر الدولى الشيوعى السادس الذى عقـد فى سنة ١٩٢٨ م فانه يقول حرفيا :

« ان الحـرب ضـد الدين ـ وهو أفيون الشعوب ـ تشغل مكانا هاما بين أعمال الثورة الثقافية ، ويـلزم ان تستمر هذه الحـرب باصرار وبطريقة منتظمة » .

ولا يكاد « لينين » يمل الحديث عن الاديان ووجوب تحطيمها ، انه يتحدث عنها بمناسبة وبدون مناسبة .

ولقـد كتب فى يوم خطابا الى الكاتب الروسى مكسيم جوركى يقـول فيه :

« ان البحث عن الله لا فائدة فيه ومن العبث البحث عن شيء لم تفقده في مكانه ... تخبئه فيه ، ويقولون ان تزرع لا تستطيع أن تحصده ، وليس لك اله لانك لم تزرعه بعد ، والآلهة لا يبحث عنها ، وانما تزرع : يخلقها البشر ، ويلدها المجتمع ».

ومن اجل هذه العداوة الواضحة بين الشيوعية والدين ، يقول الامير فهد في نظرة عميقة ، وفي فكر يثبته الشيوعيون بأقوالهم وأفعالهم؛ يقول : « ان الشيوعية تعادي كل نظام يغايرها ، وتحاربهم بنفس العنف والقسوة والقوة التي تحارب بها النظام الرأسمالي ، وأعنف ضربة وجهتها الشيوعية لم تكن موجهة الى النظام الرأسمالي ، لان له قوة مادية تقف في وجه الشيوعية . بل كانت موجهة الى الاسلام في الدول الاسلامية التي احتلتها مثل بخارى وطشقند والقرم والقوقاز ، وفتكت بالمسلمين وقضت على الاسلام فيها ، والشيوعية ضالعة في ضرب الاسلام في كل الاقطار ، وعملت بالحرب الثقافية والفكرية بالصحف ورسائل ، وكتيبات ملأتها بالطعن في الاسلام ورسوله الكريم ـ محمد ـ صلى الله عليه وسلم لتشكك الناشئة المسلمة في

الشيوعية
عـدوة
الـلـه

دينها تمهيدا لتحويلها الى الشيوعية».

واذا جئت الى التطبيق العملي فيما يتعلق بالصلة بين المباديء الشيوعية والدين فاننا نقص من واقع تحقيق النيابة والقضاء بمصر ، ان بعض الشيوعيين تحدث عن الجو الشيوعي فيما يتعلق بالصلات الجنسية فقال أمام القضاء :

ان في الجو الشيوعي ما يسمى :
« رجال الدولة » وما يسمى « نساء الدولة » ، وكشفت هذه القضية عن ان « ميري روزنتال » وهي احدى المتهمات كان لها في مصر زوجان تختلف الى كليهما وتقاسم كلا منهما الفراش حين تشاء ، او حين يشاء هو ، ولم تنكر هي انها « زوجة » لكل منهما ، ولم ينكر احد منهما انها « زوجته » ، ولم تر ولم ير احدهما في ذلك عيبا لانهم جميعا « شيوعيون » .

وهذا المثل في التطبيق نمر عليه مرورا ، فهذا النوع من الصلة الجنسية المتحللة شائع في الجو الشيوعي بصورة لا تحتاج الى دليل ولكن عن الاخلاق بوجه عام يقول « هارولد كوكس » :

« لم تنشأ الشيوعي لكي يسمو بالطبيعة البشرية ويعلو بها ، وانما نشأ ليحطم الرأسمالية »

« ومن اجل ان يصل الى هذا الغرض ، فهو يشجع او هو يقاوم كل



سلوكه ويسمه الناس من قبل بأنه اجرامى » .

« ان الشيوعية تحض على نزعات هى غاية فى الاسفاف . ومن اجل ان توثق لهذه النزعات تجنح الى استثارة عواطف وانفعالات اشد اسفافا . وهى انفعالات الحسد والحقد التى تثير ضرامها فى قلوب الجماهير » .

والاساس الاصيل فى هذا التحلل الاخلاقى اعلن عنه لينين فى وضوح حيث نسف الاخلاق نسفا .

انه كما كفر بالدين .. فقد كفر بالاخلاق . ولقد كفر بهما فى وحدة لا انفصام لها انه يقول فى خطابه الذى القاه فى المؤتمر الروسى لاتحاد الشبان الشيوعيين فى ٢ اكتوبر ١٩٢٠ : « الحقيقة عن اننا قواعد الاخلاق اننا ننكر ماتدعيه البرجوازية من أن مبادىء الاخلاق هى اوامر من عند الله . فنحن بالطبع لا نؤمن بالله ونعلم تمام العلم ان الاكليروس والملاك والبرجوازية نسبوا الامور الى هذا الاسم : « الله » لتحقيق مآربهم الاستغلالية » .

« نحن لا نعتقد فى الاخلاق الازلية ، ونعد لكل الاقاصيص الخرافية التى ترمى الى فرض اخلاق او لا هراء » .

انه لا اخلاق للشيوعيين . وكل وسيلة الى هدفهم مباحة . ولكن الفكرة التى نحب أن نقف عندها هى ما يقوله الاستاذ « دى جوير » :

« لقد نسج الشيوعيون نظرية فى السرقة سموها : تعويض المحرومين .

لقد تحدثنا عن العقيدة وتبين لنا فى وضوح ان الشيوعيين ملحدون كافرون .

وتحدثنا عن الاخلاق وتبين لنا فى وضوح صدق ما يقوله « هارولد كوكس » : « ليس من تعاليم الشيوعية شىء مثالى أو رفيع : انها تستثمر جميع النزوات ، وجميع الرذائل : كالحسد ، والغيرة ، والشهوة . انها تشجع - او على الاقل - تجيز الاتلاف والشطط ، والخلاعة والادمان

الشيوعية عدوة الله

ان غايتها السلب والنهب » ٠

وانطلاقا هنا من واقعهم الحاضر ومن نظريتهم التي نسجوها من السرقة ٠٠٠

والان جاء دور الحديث عن الاقتصاد :ـ

ان الشيوعيين حينما يستولون على بلد فانهم يستولون مباشرة على كل ثروة البلد ، على العمارات ، وعلى الارض الزراعية ، وعلى الاموال في البنوك ، وعلى الشركات والمتاجر ، ويجردون الافراد من كل ما يملكون قهرا ، ومن يبدو عليه محاولة المعارضة زجوا به في السجن أو نفوه أو اعدموه،وهم دائما يثيرون الرعب في أول الامر ، وذلك بالقتل بالعشرات بل بالمئات ، بل الالاف ، ويثيرون بذلك الرعب في كل قلب ، والخوف في كل نفس ، ويعيش الناس مقهورين يرهق وجوههم القتر، وترهقها الذلة ، انه لا ملكية في الوضع الشيوعي ٠

وكما كفرت الشيوعية بالدين ٠٠ وكما نزلت بالاخلاق الى درجة انه : « ليس في تعاليم الشيوعية شيء مثالي أو رفيع »

فان اقتصادها يتعارض تماما مع وجهة النظر الاسلامية ٠٠

ان الاسلام شرع للمال : لقد شرع للملكية الفردية ، وللتجارة ، وللبيع والشراء ، وتاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وامتلك ، وكانت له ابل والغنام ، ولقد امتلك الصحابة رضوان الله عليهم ، وكانت لهم اموال منكسب حلال طيب ينفقون منها فيما يرضى الله ورسوله وبعضهم كان من اصحاب الملايين ، وكانوا ينفقون على الجهاد في سبيل الله ويتصدقون ٠

ماذا فعل عثمان رضي الله عنه ؟

لقد جهز جيشا بأكمله هو جيش العسرة ، واشترى بئر رومة بمبلغ طائل، وذلك ليسقى المسلمين منه دون مقابل ، وكان ينفق في الليل ، وينفق في النهار : سرا وعلانية ، حتى لقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه : « اللهم ارض عن عثمان فاني عنه راض » ٠٠

ولقد قال فقهاء الاسلام : « أن المال المزكى لا يعتبر اكتنازا » ٠٠

ولقد شرع الاسلام للميراث ، والميراث يوزع الثروة فتصبح مقسمة بين مجموعة من الافراد ذكورا واناثا

يعيشون منها ، ويتصدقون ويهبون.

ومآثر عبد الرحمن بن عوف والزبير وطلحه في الانفاق في سـبيل الله لا تحصى .

وبعض كبار المالين بشرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ، كما بشر بعض الذين لامال لهم بالجنة ايضا

ومقيـاس الرفعة عند الله هي التقوى :

« ان اكرمكم عند الله اتقاكم ».

اما كون سيدنا عمر رضى الله عنه اخذ من هذا شطر ماله ، ومن ذاك بعض ماله ، فانه ما اخـذ الا من الولاة الذين جوز فيهم احتمـال ان تكون الولاية يسرت لهم بعض الثراء ، اما غير الولاة والحـكام فانه لم يتعرض لهم .

من كل ذلك نتبين أن :

١ ـ الشيوعية وليدة الصهيونية ، ان الصهيونية هي التي اخترعتهـا وانشاتها واخذت ترعاها .

٢ ـ الشيوعية تتعارض جذريا مع الاسلام كما يتعارض الكفر والايمان ، ذلك ان الشيوعية ملحدة والاسـلام دين

٣ ـ تتعارض الشـيوعية مع الاسلام في الاخلاق :

ان للاسـلام اخلاقه القائمة على الرحمة ، والعدل والانصاف ، وحب الجار ، والبر بالانسانية اجمع .. اما الشيوعية فانها تقوم على اثارة الكراهية والبغض والعـداوة ، بل والحرب بين الطبقات ..

٤ ـ يتعارض الاسلام مع الشيوعية جذريا في الاقتصاد :

وذلك ان الاسـلام يقر الملكية الفردية ، ولا يضع في طريقها عقبات ما دامت في اطار المبادىء الاسلامية .

اما الشيوعية فقد نسـفت الملكية نسفا .

٥ ـ الاسـلام يحترم الفرد ، ويحتفظ له بحقوقه ، ويحافظ على كرامته . في حدود مبادىء الوحي .

اما الشيوعية فانها لا تقيم الفرد في سجل تقديرها ...

وهذا التباين والتعـارض بين الشيوعية والاسـلام أصبح الآن من الوضوح بالقدر الكافي لكل من درس الشيوعية والاسلام .. ومن كل ذلك نتبين في النهاية أن :

الشـيوعية عدوة الله وعدوة الانسان .

الرأسمالية و الشيوعية ومشاكل الإنسان المعاصر

● د. إبراهيم مدكور ●

وأوضح ما تكون هذه الظواهر في مذهبين عرفا في أخريات النصف الأول من القرن الماضي، وقدر لهما أن يشغلا العالم إلى اليوم، ونعني بهما الرأسمالية والشيوعية، والحق أن هناك أغنياء وفقراء منذ أن خلق الله الأرض ومن عليها، وهناك في تاريخ البشرية ثروات طائلة اختص بها نفر معين، وهناك من أولعوا

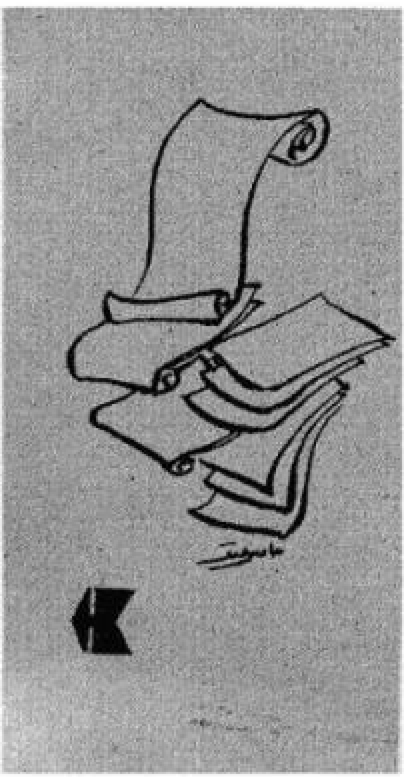
ليس ثمة شيء أضر بالمذاهب والنظريات الاجتماعية من أن تعد قوالب متحجرة وصيغا جامدة لا تقبل التعديل ولا التبديل، ذلك لأنها تنصب أساسا على الإنسان وهو في حركة مستمرة وتطور دائم. وإذا تتبعنا تاريخ هذه المذاهب وجدنا أنها تبدأ غالبا في صورة بسيطة مختصرة، ثم لا تلبث أن تقلع وتنمى، وتتطور ويتسع مداها، وربما عز على منشئيها وأوائل القائلين بها أن يتعرفوها في الصورة التي انتهى إليها التلاميذ والأتباع. ويسيء إلى هذه المذاهب أمر آخر هو التحزب الأعمى والتعصب الجامح، فيتخذ منها أنصارها أحيانا عقيدة يحلون باسمها ما يحلون ويحرمون ما يحرمون، ودينا يكفرون كل من يخرج عليه، والحزبية العمياء بغيضة في كل شيء، وربما طغى شرها على خيرها. ويزداد خطر هذه المذاهب أيضا إن اختلطت بالسياسة، واتخذ منها الحكام شعارا يعتزون به، ونظاما في الحكم يعولون عليه، فيفرضونه على الناس فرضا، ويسوقونهم إليه سوقا، ولا يترددون في أن يستخدموا في سبيله ألوانا من العنف والاستبداد.

بجمع المال والتفانى فى الحصول عليه وعدوه هدفهم الوحيد فى الحياة . هناك باختصار عقليات وميول جبلت على حب المال وضم الدرهم الى الدينار ، واشتهرت بالحرص والتدقيق فى الحساب والمعاملة . هناك اخيرا من سموا ، ولا يزالون يسمون الراسماليين . اما ان تجد داعيا او مصلحا ينادى بالراسمالية ويدعو الى ان يحظى الراسماليون بالرفاهية والعيش الناعم وحدهم ، فهذا مالا سبيل اليه ولسنا فى حاجة ان نشير الى ان الاديان السماوية كلها حببت فى البذل والعطاء ، ودعت الاغنياء الى معونة الفقراء، والاقوياء الى نصرة الضعفاء .

والتسمية نفسها من صنع خصم الراسمالية الاول ، فقد عرفت وانتشرت يوم ان وضع كارل ماركس كتابه الشهير : « راس المال »

ومن الغريب ان حملة ماركس المنهجى هذا الكتاب انما اصبحت « البورجوازية » ولعلها كانت تساوى فى نظره الراسمالية ومهما يكن من امر فانه شاء ان يكشف فى كتابه هذا عن مساوىء الراسمالية ، وكانى به لم ير فيها حسنة ما ، وبالغ انصاره ومؤيدوه فى ذلك ما وسعهم .

ومن اهم ماخذه على الراسمالية انها اعتبرت العمل والجهد الانسانى سلعة تباع وتشترى بابخس الاثمان. ومكنت رب العمل من التحكم فى المنتجين الحقيقيين والعمال ، وقضت بان يبقى الاغنياء دائما اغنياء ، والفقراء دائما فقراء . وقد تاثر ماركس فى هذا دون نزاع بالنهضة الصناعية الحديثة التى مكنت افرادا من تكوين ثروات كبيرة ، وانشاء مصانع استخدموا فيها عمالا عديدين قبلوا منهم من قبلوا ورفضوا منهم من رفضوا ، وحققوا على حسابهم



الرأسمالية و الشيوعية

ارباحا طائلة ، ولم يعنوا بالخدمات الصحية ولا بالمساعدات الاجتماعية

ومن بين عمالهم من قضى حياته كلها راضيا بالكفاف ان وجده ·

وانضم الى هذا غنائم الاستعمار

وما اكثرها ، وقد وقفت هي الاخرى على الاشراف والنبلاء · والاقطاعيين والامراء · وكان للملكية الزراعية ايضا شأن في هذه التفرقة الطبقية ،

توارثها الاغنياء جيلا بعد جيل ، واستطاعوا عن طريقها أن يسهموا في المنشآت الصناعية ·

ولا شك في أن عمل الفرد ومجهوده كان دعامة الانتاج منــــذ أن خلق الانسان ، فعول اولا على ذراعه وقدمه

على سمعه وبصره ، على أنفه ولمسه في طلب العيش وكسب قوت يومه · ولعله استخدم اخاه الانسان قبل أن

يستخدم الحيوان ، فاستعان بابنــه وزوجه قبل أن يكتشــــف عن قوى الطبيعة ، ويوم أن كشــــف عنها لم

يستغن عن جهده وعمله ومن الثابت أن اقتصاد القرون الوسطى والتاريخ القديم قام على عمل الانسان ، وعول

عليه أيضا اقتصاد التاريخ الحديث، برغم ما اخترع فيه من عدد وآلات · واقتصادنا المعاصر على ضخامتــه

وتعدد مناحيــــه ، على مخترعاته ومبتكراته ، على حركتــــه الذاتية وأوتوماتيكيته ، على حاسبــــاته

والكترونياته ، لا يزال للانسان فيــه مكان فسيح ، لا سبيل له أن يستغني عنه · ولكن من الخطأ أن يقال مع

الماركسيين أن العمل هو عنصر الانتاج الوحيد ، كلا ان له عناصر اخرى من مواد أولية وخامات ، من أجهــزة

ومحركات ، وبدونها لا زرع ولا ضرع

لا صنع ولا ابداع ، بل لا حياة ولا حركة · وفقدت فكرة : « العمل سلعة»

ما كان لها من سحر وتأثير واصبحت لا تستولي على جماهير العمال ذلك الاستيلاء القديم · حقا أن هنالك ازمات اقتصادية تبطىء بسير الانتــاج أو

تعترض طريقه ، وهنــــاك عاملون وعاطلون ، ولكن أصبح للعــاطلين

حقوق ربما كانت أدعى للرعاية من حقوق العاملين ·

ولا أظن أن أحدا اليوم يتفق مع ماركس على أن رأس المال شر كله ·

حتى ولا الماركسيون انفسهم اذ لولاه ما كانت مظاهر الحضارة قديمـــا

وحديثا في الشرق والغــرب ولولاه ما زرع حقل ولا اقيم مصنع ولولاه

ما غاص الانسان في أعماق البحار، ولا حلق في أجواء الفضاء ، ولولاه ما كشف اختراع ولا صنعت آلة ،ولولاه

ما استطاع انسان القرن العشرين أن يصعد الى القمر أو الى المريخ ·

وقد يفهم رأس المال فهما خاطئا ، فيـــراد به تلك الدراهم والدنانير

المكتنزة وتلك القناطير المقنطرة من الذهب والمودعة في خزائن البنوك المركزية ، ان هذه تعد ثروة معطلة ان لم تبحث على ثقة هي أساس التبادل والتعامل وما لاذن المصرف ، او للشيك أو لورق البنكنوت من قيمة ذاتية ؟ انها جميعها مجرد رموز لمعنى عظيم هو أساس التبادل بين الافراد والجماعات . وهناك أشخاص لا يكادون يحملون معهم نقدا يذكر ، ومع ذلك يحصلون على كل ما يريدون وعمليات التبادل الكبرى ليس فيها قبض ولا دفع ، وانما هي عقود تمضى وأوامر تعطى ، وهناك امضاءات تساوى مئات الملايين من الجنيهات. ولم يبق لتسلم النقد ذلك البريق واللمعان ، ولا تلك اللهفة التى كنا نحس بها يوم أن يقع فى أيدينا قدر من العملة الذهبية – فغريزة حب المال نفسها في ضعف وتراجع مستمر ، وفقد رأس المال كثيرا مما كان له من هيبة وسلطان ، واضحى مجرد وسيلة من وسائل الانتاج ، وخفى عشاقه الاعلان عنه والمباهاة به .

والآن : أين الرأسمالية واين الرأسماليون ؟ لا أظن ان من اليسير ان نتحدث عنهم في البلاد النامية ، تلك التي تشكو الفقر والفاقة وتعانى من مستوى معيشة ضئيل ، ولم تعرف حتى الآن المصانع الضخمة ولا الانتاج الكبير . حقا ان فيها اغنياء وفقراء وتلك مسائل نسبية، ومع هذا لم يحظ رأس المال فيها بتلك التفرد الذى كان قد حظى به في البلاد الصناعية ابان القرن التاسع عشر وفي اوائل هذا القرن. ودعامة الثروة فيها هي الملكية الزراعية ، وقد امتد اليها مبدأ التحديد والتقسيم ، واصبح نظام الاصلاح الزراعى امرا مسلما به في كثير من البلاد النامية ، وتترقبه تلك التي لم يطبق فيها بعد ، ولا مناص من ان تتقبله ان دعت اليه حاجة .

اما البلاد المتقدمة ففى وسعنا ان نقرر أن شموع الرأسمالية فيها بدأت تنطفىء وأن جامها اخذ يتضاءل . لجأت منذ زمن في مؤسساتها الانتاجية والاستهلاكية الى نظام الشركات المساهمة ، وهى ضرب من الاشتراكية المفتوحة للجميع . وبهذا اختفى الشخص الطبيعى الذى كان مصدر التحكم والسيطرة وحلت محله شخصية معنوية تكاد تكون مجرد رمز وشاركه في تصريفها مجلس الادارة والاعضاء المنتخبون . وهم يخضعون جميعا لقرارات الجمعية العمومية للمساهمين ولا سبيل لان يحتفظوا بمراكزهم في تحمل العبء والمسئولية الا ان ادوا واجبهم على وجهه ، وحققوا عملا له قيمته وسوقه – ذلك لانهم يخضعون أيضا لميدان المنافسة الحرة ، وما اقساه . وشملت الدولة هذه الشركات برعايتها ، فوضعت التشريعات المنظمة لها واشرفت على مدى اخذها بها واحترامها لها . ولم تقنع بهذا بل راقبت الانتاج والاستهلاك عامة ، فوضعت للمنتجات الصناعية والزراعية مواصفات خاصة والزمتها بخدمات اجتماعية وشرائط صحية لحماية

العمال . وتدخلت في الاجور والاسعار وفي الارباح ايضا أن دعت الحاجة ، وحمت المستهلكين من جشع التجار والسماسرة المعلنين والمختفين وفرضت ما فرضت من ضرائب ورسوم ، وربما زادت حصتها من ذلك على حصة المساهمين والمنتجين . وتوسعت في الملكية العامة وادارة المنشآت الكبرى، واصبحت تنافس الملكيات الخاصة، وبرز للقطاع العام وجود الى جانب القطاع الخاص .

فهل في ظروف كهذه نستطيع أن نتحدث عن رأسمالية بحتة ؟ لا شك في انها محاولة ترمى الى الملاءمة بين العمل ورأس المال ، وضرب من المؤاخاة بين القطاع العام والقطاع الخاص . ويكفى أن نشير الى بعض بلاد اوربا ذات المجد الصناعى القديم، كانجلترا وفرنسا والمانيا ، ففيها تيارات اشتراكية واضحة وسائدة يساندها المجددون والتقدميون . ولا يستطيع أن يقف في طريقها المعتدلون والمحافظون ، وخضعت لها الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية خضوعا ملحوظا . والولايات المتحدة التي تعد المثل الاول للرأسمالية تعمل

الرأسمالية و الشيوعية

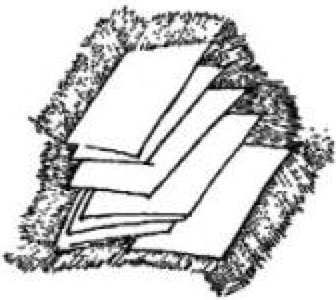
وتعمل في عنف وقوة ، ويقوم مجدها دون نزاع على العمل والانتاج ، بقدر ما يقوم على ما توافر لديها من ثروات طبيعية ، ولولا العمل ما كشف عن هذه الثروات ولا افيد منها . ولعمالها شأن ملحوظ ولنقاباتهم نفوذ كبير ، ويحظون بمستوى معيشة يعز تحقيقه في بلاد اخرى . واصحاب رءوس الاموال هم في الحقيقة قوى محركة وعقول خلاقة تحرص على أن تفتح ابواب عمل جديدة ، ويسمون بحق رجال اعمال . والثروات الموروثة لا تقوى وحدها على مقاومة التطورات والاحداث ، وهي عرضة للزوال .

تلك هي الرأسمالية ، فاين نحن من الشيوعية ؟ واين نجدها ، انا ان اخذناها بالصورة التي صورها بها كارل ماركس ، فلا اظن انا نجدها في مجتمع ما . الف اقامها على دعائم ثلاث اساسية هي :

(١) الغاء الملكية الخاصة الغاء تاما واستيعاب الملكية العامة لوسائل الانتاج جميعها .

(٢) تدخل الدولة في شئون المجتمع صغيرها وكبيرها .

(٣) تضامن القوى العاملة في العالم بأسره . وذلك فيما يبدو خيال مفرط وايديولوجية مغالية ، وقد ادرك ماركس نفسه هذه المغالاة ، وعدها من الامال البعيدة . وقنع بدرجة دنيا من الشيوعية هي الاشتراكية . واعتبرها مرحلة أولى من مراحل التطور الشيوعي ، وباسمها نشأت جمهوريات روسيا الاشتراكية واتحادها . ولم يقف هذا القلق على تلاميذه من بعده .



امثال لينين وتروتسكي ، وقد ادخل على المذهب عدة تعديلات ، واصبحنا امام شيوعيات لا شيوعية واحدة ، ومن بينها ما اقر الملكية الخاصة وشرع لها ، وليوغسلافيا فى ذلك تجربة رائدة ، وتدخل الدولة المفرط فى شئون الافراد صادف صعابا شتى ، ومن اسرف فيه اضطر الى التخفيف منه . وتضامن القوى العاملة فى العالم بأسره امل حلو ، وليس من اليسير تحقيقه ، ويحول دونه اختلاف بيئات هذه القوى ، وتباين اوطانها وميولها واتجاهاتها ، ولم يوجه التوجيه السليم لبث روح التعاون والتفاهم بين العاملين ، وبعكس هذا اريد به احيانا ان يكون سلاح دعاية وحملات سياسية .

ومن سوء حظ المذهب الشيوعى انه اقترن منذ البداية بفكرة الكفاح والخصومة ، واثار معركة طاحنة بين طبقات المجتمع تهدف الى ان تحل « البروليتاريا » محل رب العمل فطبع بطابع صراع لازمه واتسم به صراع فى الداخل ، وصراع فى الخارج قادة الشيوعية وروادها متصارعون فيما بينهم ، يطغى بعضهم على بعض ، ويحاول كل واحد منهم ان يستاثر بالسلطة دون سواه ، مع انهم يقولون بالقيادة الجماعية .

وفى الخارج عرفت الشيوعية بمحاربتها للمذاهب والنظم الاخرى ، ورفضت التعاون معها ، حتى مع الاشتراكية التى تمت اليها بنسب، وان قبلت ذلك ، فكثيرا ما يكون على دخن ، او لرغبة فى التغلب على خصم آخر . ومن اوضح صور هذا الصراع النزاع بين روسيا والصين ، وهما جبهتان شيوعيتان تقفان وجها لوجه، وكم توسطت بينهما حمائم السلام دون جدوى . ويرجع قدر غير قليل من النزاع فى العالم الى الصراع بين مؤيدى الشيوعية ومعارضيها ، ويمكن ان يقال بوجه عام ان هذا المذهب لم يبرهن على انه رسول سلام ، وداعية تفاهم ووئام .

وازالة الفوارق بين الطبقات هدف صوبت اليه الاشتراكية قبل الشيوعية وفيه ما يحقق مبدأ المساواة والعدالة الاجتماعية ، وما يرفع من شأن الانسان ، وهو وسيلة من وسائل تكوين المجتمع السعيد . وفى تحديد الدخول والملكيات ، ورفع مستوى المعيشة ما يعين على ذلك ، واذا لم نستطع ازالة الفوارق جملة ، فلا اقل من ان نقرب مسافة الخلف بين الغنى والفقير،والمهم ان يشعر الانسان بكرامته المادية شعوره بكرامته الروحية .

وقد خطت الشيوعية فى ذلك خطوات صاحبها ما صاحبها من عقد

الرأسمالية و الشيوعية

ومرارة ، ولم تسلم من استغلال للنفوذ ، ومحاولات غير بريئة للانتقام وهناك من يستبعد تطبيق هذا المبدأ بصورة تامة ، لان الافراد سيختلفون دائما بفروقهم الطبيعية ، ولن يعز على القادة فى أى نظام أن يحققوا لانفسهم واشياعهم مغانم ليست فى متناول الجميع .

ففى الشيوعيات المعاصرة صمود للملكية الخاصة ، وفيها تحرز من التوسع فى تدخل الدولة فى شئون الافراد والهيئات وفيها طبقية ملحوظة تبعا للنظام نفسه الذى يفرق بين الحكام والحاكمين ، بين القادة والمقودين . وقد يكون فى ذلك شىء من رواسب الماضى ، أو من عدوى الرأسمالية ، وهو على كل حال يتعارض مع مثل الشيوعية الاعلى . واختلطت الشيوعية ايضا بالرأسمالية فى أمور أخرى هامة كالربح ، والمنافسة ، والاستعمار ، ذلك لانها ، وهى أصلا نظام اقتصادى ، لم تستطع اغفال عاملى الربح والمنافسة ، وكل همها أن تنتج ، وتنتج بوفرة سواء حققت ربحا أم لا . ولعلها كانت تحرص على محاربة التعطل وعلى تحقيق انتاج يسد حاجاتها فى الداخل . وما كان لها ، وهى لا تزال فى بدء الطريق ، أن تسعى الى منافسة الصناعات العريقة . ويوم أن اتجهت نحو الاسواق الخارجية كان لا بد لها أن تتأثر بالاسعار العالمية ، وأن تحسب حساب الارباح والخسائر وتدخل فى دوامة المنافسة عن قصد أو غير قصد ، وان حرصت فى معاملاتها التجارية على الاخذ بنظام الاتفاقات الثنائية وتبادل السلع . واضطر بعض مفكريها وبعض الاقتصاديين فيها الى التسليم بعامل الربح ، ودعوا الى اعداد العدة للمنافسة فى الاسواق الخارجية . ولن تتردد بعض البلاد الشيوعية فى الدخول فى المناقصات العالمية ان وجدت السبيل الى ذلك . وكثيرا ما تتهم الشيوعية بالاستعمار والامبريالية . ونصبت نفسها سندا لطلاب الاستقلال والحرية وتفننت فى هتك ما سمته الاستعمار الجديد الذى يهدف خاصة الى تصريف الانتاج وكسب أسواق جديدة ، الا انها لم تتردد فى أن تسهم فى ذلك بنصيب ملحوظ ، وأن تسعى جاهدة الى بسط نفوذها وتوسيع أسواقها .

وفوق ذلك لم تستطع الشيوعيات المعاصرة حتى الآن ان ترفع مستوى معيشة الفرد بدرجة محسوسة ، وذلك امل حلو طالما عززته به دعوتها . ولا يزال مستواه فيها دون مستوى نظيره فى البلاد المتقدمة ، ولا تحمل مثلا مقارنة مستوى معيشة الفرد فى روسيا بمستوى معيشته فى الولايات المتحدة . وكان هذا الهدف لا يخلو من الشيوعيين بقدر كاف من العناية ، ولا يبدو فى رأس قائمة اهتماماتهم ، ويطغى المجتمع عندهم دائما على الفرد وحقوقه . مع أن المذهب الشيوعى يقرر نظريا انه يؤمن بالانسان ، وانه حريص على أن يرفه عنه ويحمى حقوقه ، وانه يحل مشاكل الحياة جميعها ، ويزعم انه داعية توفيق شامل ، فيوفق بين الانسان وأخيه الانسان ، بين الفرد والدولة ،

بين الفكر والارادة ، وأنه يرمي باختصار الى خلق انسان جديد . فهل حقق فعلا هذه الوعود والآمال ؟

أخشى ما أخشاه أن يكون قد انتهى الى عكس ذلك كله ، فقد حرم الانسان ، وهو جسد وروح ، من غذائه الروحى ، وشاء أن يقف به عند المادة وحدها ، وهى ليست كل شيء فى الحياة ، والاستمساك بها هبوط بالانسان عن معانى انسانيته السامية والجدلية المادية التى قال بها ماركس كفيلة بأن تقضى على كل حقيقة ، وأن تهدم كل أصل ومبدأ . والتدين حاجة ماسة للفرد والمجتمع ، والايمان ركن ركين يلجأ اليه المرء فى أوقات اليأس والشدة ، وليت الشيوعية تسمح أن تكون دينا ، اذن لكملت نقصا ولسدت حاجة . ومن الغريب أنها

وهى التى تحارب التأليه والتدين ، تقود الى عبادة الاشخاص وتقديسهم ، والامثلة على ذلك معروفة ، ويكفى أن نشير الى ستالين بين الاموات ، والى ماوتسى تونج بين الاحياء ، وأقصى ما تنتهى اليه هو الدكتاتورية ، وهى والحرية ضدان لا يجتمعان بحال . ولن نتحدث عن الظلم والاستبداد ،

ولا عن التعذيب والتشريد ، فقد أتت الشيوعية من ذلك ما لم تأته الهتلرية ولا الفاشية .

ألعلنا نستطيع بعد كل ما تقدم أن نقرر أن الرأسمالية ، التى عرض لها ماركس بالنقد والتجريح لا وجود لها اليوم ، وحلت محلها اشتراكية تعتد برأس المال والعمل معا ، فتجمع بينهما وتقرب العامل من رب العمل ، وتقيم علاقاتهما على أساس من المساواة والتضامن . انها اشتراكية رأسمالية تعتد بالاخلاق والدين ، وتحتفظ بالقيم والمثل العليا . تقدس حرية الفرد

واستقلاله ، تصون حقوقه وتمكنه من أداء واجباته . تمقت الطائفية والتفرقة العنصرية والدينية ، وتدع كل فرد حرا فى ايمانه ومعتقداته ، وتحاول ما استطاعت أن تقضى على الفوارق بين الطبقات . فهى أشبه ما يكون بحركة اصلاح مسالمة تنفذ الى مختلف البيئات والمجتمعات ، وقد صادفت فى نصف القرن الاخير نجاحا ملحوظا .

والشيوعية أو الشيوعيات التى نراها اليوم ليست هى التى نادى بها ماركس فى القرن الماضى بل تطورت هى الاخرى ، وخطت خطوات متعددة . حدث دون نزاع من سلطان الرأسمالية واخذت عنها ما أخذت ، ونفحت بعض المبادىء الاشتراكية نفحة قوية ، فحاربت ظلم الانسان لاخيه الانسان ، وابرزت عيوب الطبقية ، ووقفت الى جانب الشعوب الضعيفة والمهضومة .

الا أن ما اتسمت به من عنف وتطرف أحيانا لم يبعث على الطمأنينة ولم يقابل بالرضا التام ، هذا الى أن دعوتها اقترنت دائما برغبة فى بسط النفوذ واستبداد السلطان ، وبدت وكأنها حركة سياسية قبل أن تكون دعوة اجتماعية واصلاحية ، وكما يقولون ما دخلت السياسة فى شيء الا أفسدته . وأعدى أعدائها الطغيان

ومحاربة الحرية ، وفى سبيل الحرية يضحى الانسان بكل نفع ومغنم . فهل ينتهى بها التعايش السلمى المنشود الى سلام ومهادنة ، فتستطيع أن تأخذ وتعطى ، وأن تعامل أنصار المذاهب

الاخرى على قدم المساواة . ولعلها بعد ذلك تصبح هى الاخرى صورة من صور الاشتراكية الصحيحة التى تنادى بالتآخى والسلام ، وتنشد الرفاهية والاستقرار للجميع .

المسلمون تحت حكم روسيا

د. محمد الشرباصي

يقول الشاعر احمد شوقى عليه رحمة الله تعالى : « حديث الافاعى طويل المدى » . فكيف بالافاعى اذا كانت حمراء رقطاء ، لا ضابط لها ولا ضمان ولا ارعواء ؟

ان بداية الجرم الروسى ضد الاسلام والمسلمين عميقة الجذور ، طويلة المدى ، مر عليها قرون وأجيال .

وان شبح الجريمة ما زال قائما يتشبث بمسيرته الطاغية وزحفه الوبيء ، وان اختلفت لديه الوسائل والاساليب ، وما اظن هذا الشبح ــ او هذا الكابوس ــ بقابل ان يتخلى عن مكانه ، أو يخفف من بهتانه ، وان النهاية غير معروفة الاجل ، وليس بالهين او السهل ان نتوقع لها حدا تقف عنده راضية ، وان كنا موقنين بان الايمان والعزم من اهل الحق كفيلان بفرض النهاية فى الوقت المناسب : « ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء من عباده، وهو العزيز الرحيم » .

لقد ابتلعت روسيا الصليبية القيصرية ، ثم روسيا الحمراء الملحدة ، بلادا واقطارا اسلامية ، واسعة شاسعة ، ضمتها الى رقعتها باسم العدوان والتجبر ، وبقوة الحديد والنار ، وهذه الاقطار تزيد فى السعة اضعافا على مساحة اوربا مجتمعة ..

ابتلعت روسيا من بلاد الاسلام دول القرم ، والقوقاز ، والتركستان ، وسيبيريا ، والاورال ، وغيرها .

وليتها ابتلعتها وابقتها بعد ابتلاعها على كيانها وشخصياتها ، بل عملت بكل بشع ، وفى ظل كل الفزع ، على اذابتها او ابادتها ، وازهاق روح الاسلام فيها ، وازالة شخصيتها الاجتماعية والثقافية .

ولقد دخل الاسلام القوقاز ، وانتشر فى التركستان وما حولها منذ صدر الاسلام ، وفى عهد الامويين ، فالاسلام قديم اصيل فى الاقطار التى ابتلعتها روسيا ، وسحقتها سحقا .

ومن بين البلاد التى ابتلعتها

« سيبيريا » الواسعة التي كانت في الأصل بلادا اسلامية ، وكان اسمها قبل هذا الابتلاع هو « صيبرى » ، فحرفه المبتلعون الجشعون الى « سيبيريا » ، وكان يحكمها « المغول » أولئك الذين عانوا الاسلام أولا قدر ما استطاعوا ، ثم اجتذبهم الاسلام بروحه ونوره ، فصاروا من أقوى الناس اعتزازا بالاسلام ، وغيرة عليه ، وجهادا من أجله .

وكان الأمير « باطو بن جنكيز خان » أول من أقام دولة المغول هذه ، وبلغ من قوته وسيادة دولته ، أن « بارسلوف » دوق روسيا الأعظم كان مضطرا الى أن يقسم يمين الولاء أمام الأمير « باطو » تعبيرا عن خضوعه — مع بقية أمراء روسيا — لسلطة ذلك الأمير .

ثم شهدت دولة المغول الاسلامية على يد الابتلاع الروسى محنة تعجز على الوصف والتصوير ، فقد ظلوا يقاومون الدب الروسى البشع أكثر من نصف قرن ، وكان السلطان « كوجم » آخر من أدار هذه البلاد باسم الاسلام ، وتكالب عليه طغيان الروس ، فكسروه وسلبوه بلاده ، ولقد عارضوا لتسويغ طغيانهم واخفاء جريمتهم ، أن يسكت على احتلالهم لوطنه ، وأن يمشى في ركابهم تابعا لهم ، وكان يستطيع — بعد أن فقد الحكم والجيش والوطن — أن يوافق أو يتابع ، ولكنه أبى واستعصم .

وحينما عرضوا عليه ذلك العرض اللئيم الخسيس ، قال للطغاة — وهو محطوم مكسور — : انى لا أقبل عيش الأسير ، ولأموت الذليل ، وانى لست حزينا لفقد أملاكى وأموالى ، بل ان حزنى لهؤلاء التعساء الذين يعيشون داخل أغلال الاستعباد الروسى .

ومات ذلك الحاكم المسلم شهيدا .

ونال الشهادة كذلك من ورائه ابنه « على » .

عليهما رضوان الله تعالى .

***

واذا كانت الجزرة الاستعمارية البشعة التى قامت بها روسيا لابتلاع دول اسلامية من حولها ، قد شملت البلاد التى تقع بين حدود « منغوليا » و « بحر » قزوين » من ناحية ، و « سيبيريا » حتى افغانستان من ناحية أخرى ، فان « افغانستان » المسلمة لم تنج من بغى روسيا وطغيانها عليها ، فقد أخذت تناوشها واتفقت فى الوقت نفسه مع « بريطانيا » صاحبة التاريخ الأسود مع العرب والمسلمين — على تقسيم « ايران » الاسلامية منطقتى نفوذ بينهما ، تختص روسيا نفسها بمنطقة فى الشمال ، وتأخذ بريطانيا لنفسها منطقة فى الجنوب ، وللدب الروسى مع السبع البريطانى ، أن يفعلا فى ظلام ما يشاءان ، وساعدت الظروف روسيا الاستعمارية على المضى — فى توقح — فى ابتلاعها لدول الاسلام بجوارها .

ويقول بعض المؤرخين لذلك التكتم؟

« وساعد على ذلك أن آسيا الصغرى — سواء من حيث موقعها الجغرافى ، أو من حيث ظروفها الأخرى — كان يكتنفها ستار من الظلام ، فبدت كما لو كانت جزءا متمما لأملاك روسيا الأسيوية التى لم يكن يعرف عامة الأوربيين عنها فى ذلك الوقت الا القليل .

ومن جهة ثانية فان الاستعمار عن طريق البر ، أو الاستعمار من الباب للباب ، لم يكن لافتا للنظر كاستعمار البلاد النائية التى تقع فيما وراء البحار .

ومن جهة ثالثة فان معظم شعوب

المسلمون تحت حكم روسيا

آسيا وافريقيا التي كان لها وعي سياسي أو قومي ، كانت الحملات القومية في هاتين القارتين كلهـا منصبة على بيان مساوىء الاستعمار الاوربي وحده .

وبينما كانت روسيا في غفلة من الناس الى البلاد الاسلامية التي تشغل اواسط القارة الاسيوية ، دون أن تلتفت اليها الانظار .

وهكذا كان من حسن حظ روسيا القيصرية – شأنها في ذلك شأن روسيا السوفيتية الآن – انها لم تكن مضطرة الى ركوب البحر في توسعها الاستعماري ، على خلاف ما كانت عليه حال الدول الاستعمارية الاخرى ، التي كانت مضطرة بحكم موقعها الجغرافي ، الى البحث عن مستعمرات لها فيما وراء البحار ، في بلاد لا تربطها بها روابط الجوار الجغرافي .

لذلك كان توسع الروس في أواسط آسيا يجري في ذلك الوقت بعيدا عن أعين الناس ، رغم انه كان استعمارا بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى .

وأما المسلمون انفسهم في سائر بلاد العالم فانهم لم يشعروا بوطأة هذا الاستعمار الخفي ، ولم يدركوا ما سوف يكون له من اثر في حياة نيف واربعين مليونا من اخوانهم المسلمين ، يعيشون تحت ظل روسيا القيصرية ، لانهم كانوا في شغل شاغل بشئونهم الخاصة ، يحاولون استخلاص انفسهم وحرياتهم من براثن استعمار آخر اكثر وضوحا ، وأشد نكاية ، ابتلوا به من ناحية الغرب ، ولان مصالحهم العليا من ناحية اخرى كانت في يد دولة منهارة وخلافة كانت هي نفسها تلفظ آخر انفاسها ، ولها من مشاغلها السياسية والعسكرية ، ما كان له اثر مدمر على الشعوب الاسلامية عامة ، تلك هي الدولة العثمانية .

ولم تلجا روسيا في احتلال البلاد الى الاساليب الاستعمارية والمستحدثة بل اعتمدت كل الاعتماد على جحافلها وجيوشها ، وعلى ما تستطيع تلك أن توقعه بالناس من قتل وفتك ، وسلب ونهب .

كان احتلالا يمثل الاستعمار في ابشع صوره ، وينزع الى انزال الشعوب المستعمرة منزلة العبيد .

ولم يستسلم المسلمون في تلك البلاد لسلطان الروس مع ذلك ، بل جعلوا يقاومون ويستبسلون ، محتملين في ذلك كل انواع التضحية وهم يحاولون رد هذا الطغيان عن بلادهم وأوطانهم . ففي بلاد الشركس والقوقاز استمر جهادهم على اشده حتى سنة ١٨٦٤ م ، الى أن وقع زعماؤهم المجاهدون ومن بينهم الامام (شامل) في قبضة الروس » .

وان الحرب التي دارت واستطالت بين القوقاز الاسلامية وروسيا الاستعمارية ، قد انتزعت من الروس انفسهم الاعتراف بشجاعة المسلمين المجاهدين من أبناء القوقاز المسلمة ، وثباتهم ثباتا عجيبا وطويلا امام الزحف الدموي الروسي ، فهذا « كارل ماركس » بذاته يمجد هذه البطولة على الرغم من أنفه ، فيقول للعالم :

« يا شعوب العالم ، ليكن قتال القوقازيين من اجل حرياتهم درسا لكم ، فتعلموا منهم فن الدفاع عن الحرية القومية » .

ربما هو ذا « فامبيف » المؤرخ

الروس يقول مضطراً الى الاعتراف :

« لولا الحرب القوقازية التى عاقت تقدمنا ، لاستطاعت الجيوش الروسية أن تحتل الشرق بأجمعه ، من مصر الى اليابان ، وهى تسير على نغمات فرقها الموسيقية » .

ثم يقرر المؤرخ الروسى نفسه ، ويعترف ببشاعة الجرم الروسى فى ساحة الاحتلال والاستعمار ، فيقول :

« ولم يكد يستتب الأمر لروسيا فى منطقة القوقاز ، حتى اخذت تسير جيوشها نحو التركستان وغيرها من البلاد الاسلامية فى أواسط آسيا ، الى أن تم لها فى النهاية اخضاع المنطقة كلها ، ومنذ ذلك الحين اخذت تستخدم أساليبها الاستعمارية التقليدية ، لتقويض كيان تلك البلاد ، فعمدت الى تقييد الحريات الى ادنى حد ممكن ، واستغلت كل ما فيها من موارد من القطن والمعادن ، استغلالا سافرا ، لا يمنعها من ذلك مانع » .

وهذه مثلا مدينة « طشقند » الاسلامية التى ابتلعتها روسيا سنة ١٨٦٥ م ، يعترف فاتحها الروسى « تشرنايف » على الرغم منه بشجاعة المجاهدين المسلمين فيها . فيقول فيما يقول :

« أن المدينة كانت مستعدة بأكياس الرمال فى جميع الشوارع ، وكانت المقاومة عنيفة جدا ، وقد مات كثير من الناس وهم يهاجموننا جماعات أو فرادى ، ولم يستسلم أحد قط ، فقد فضل الكل الموت على أسنة الرماح ، وعانى جنودنا الكثير وهم يجتازون الشوارع فى وجه قتال مر ، ولم نضع ايدينا على مجتمع أو ناد ، الا بعد أن سبحت جنودنا فى بحار من الدماء » .

وهكذا شهد الروس بأنفسهم على أنفسهم .

« وشهد شاهد من أهلها » .

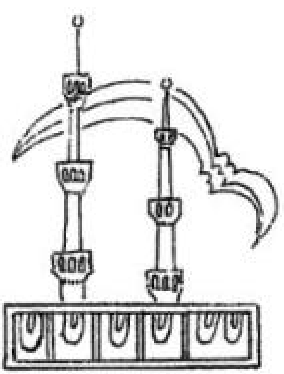
والفضل ما شهدت به الاعداء .

ولقد كان عزيزا جدا على أبناء الاسلام أن يبتلع الدب الروسى الكاسر الفاجر ، بلاد « التركستان » لأن هذه البلاد تمين المسلمين بالكثير العزيز ، فهى — بجوار مفاخرها الاخرى — منبت الاعلام من علماء الاسلام ، فهى بلد : البخارى والترمذى والنسائى ، وبلد الزمخشرى والنسفى ، وبلد الجرجانى والتفتازانى والسكاكى ، وبلد الفارابى وابن سينا ، وبلد البيرونى والماتريدى والخوارزمى والسرخسى والجوهرى .. الخ .

انها منبت هؤلاء الاعلام الائمة ، وأولئك ابائى وهؤلاء أخوتى فى الاسلام ، وانه لعزيز على نفس المؤمن أن ينتهى هذا المنبت ليكون لقمة سائغة فى أشداق الدب الروسى الغشوم .

●●●

ولقد كانت روسيا الاستعمارية تطمع منذ القديم فى احتلال « الاستانة » وهى دار الخلافة



الاسلامية ، حتى تتحكم فى العالم الاسلامى كله ، عن طريق تحكمها وسيطرتها على عاصمة المسلمين جميعا ، تلك العاصمة التى ينظر اليها ابناء الاسلام كلهم نظرة الاجلال والاكبار ، وكان اكبر مطمع للقيصر أن يستولى على دار الخلافة ، حتى تصير ضمن امبراطوريته الروسية الكبرى .

●●●

ولقد اورد امير البيان الامير شكيب ارسلان فى الجزء الثالث من كتاب « حاضر العالم الاسلامى » خلاصة وافية لكتاب « مائة مشروع لتقسيم تركيا » وهو الكتاب الذى الفه الوزير الرومانى « دجوفارا » ، وجاء فيه أن المشروع الثامن والاربعين من هذه المائة هو المشروع المنسوب الى بطرس الاكبر الروسى ، وتاريخه سنة ١٧١٠م كما ذكر ان « كاترينا » امبراطورة روسيا كان لها اكثر من مشروع لتمزيق تركيا وهى زعيمة المسلمين يومئذ ، وكان فولتير ، يوصى فردريك ملك بروسية بعدم معارضة كاترينا فى مشروعاتها المتعلقة بالاستيلاء على القسطنطينية عاصمة تركيا . ولا شك أن تقسيم تركيا هو اخبث خطوة نحو اضعاف المسلمين .

وقد تنبه الى ذلك الامير شكيب ، فاورد هذه العبارة فى الجزء الاول من كتاب حاضر العالم الاسلامى :

« من الحق لولا ثقل حمل الروسية على ظهر العثمانيين ، وكونهم اصبحوا من عداوة الروس بحالة لا يملكون معها تنفسا ولا بسطا ، لما كان يمكن فرنسا الاستيلاء على الجزائر ، ولا على تونس ، ولا ايطالية دخول طرابلس ولا انكلترا احتلال مصر والسودان ، بل كانت الدولة العثمانية بأمنها ناحية الروسية تقدر على حماية هذه البلدان ، ولا سيما فى بداية الامر ، فالروسية هى التى كانت سبب سقوط الشرق ، وواسطة تقسيمه بين الدول الاستعمارية » .

●●●

ومن مآسى روسيا الاستعمارية فى حق الخلافة الاسلامية وفى حق المسلمين بعامة تلك الحرب التى دارت بين روسيا وبين الدولة العثمانية — دولة الخلافة الاسلامية — وتعرف هذه الحرب باسم « حرب القرم » التى كانت بين سنتى ١٨٥٣ و ١٨٥٥ م .

وقد اشترك الجيش المصرى المسلم مع الجيش التركى المسلم فى هذه الحرب ، بدافع من الاخوة الاسلامية والرابطة التى تجمع بين شعب تركيا وشعب مصر من ناحية الدين ولقد كتب الامير عمر طوسون عن تلك الحرب كتابا سماه : « الجيش المصرى فى الحرب الروسية المعروفة بحرب القرم » ، ونشر هذا الكتاب سنة ١٩٣٦ م .

وشبه جزيرة القرم تعد منذ القدم من البلاد الاسلامية ، ويرجع ذلك التاريخ الى القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) . والرابطة بين القرم ومصر قديمة . ويذكر التاريخ أن الملك المنصور « قلاوون » سلطان مصر ، ارسل الى القرم سنة ١٢٨٧ م مهندسا والفى دينار لاقامة مسجد هناك .

وعندما بدرت بوادر الطمع الاشعبى عند الدب الروسى فى تركيا عن طريق « حرب القرم » طلب

المسلمون تحت حكم روسيا

السلطان العثماني عبد المجيد من عباس الاول ، والى مصر أن يرسل نجدة من الجنود المصريين ، فارسل الوالي اسطولا بقيادة أمير البحر « حسن الاسكندراني » ، وارسل كذلك جيشا بقيادة الفريق « سليم فتحي » وارسل اموالا ومساعدات اخرى ٠

وفي سنة ١٢٦٩ هـ (١٨٥٣) جهز والى مصر جميع اللوازم لجيش النجدة ، واخذوا المعدات من « دار الصناعة بالاسكندرية » ، وسميت السفن التي سافرت باسم « سفن الجهادية » نسبة الى الجهاد الذي يفرضه الدين عند الحاجة ٠ وكانت روسيا قد بدات بالعدوان ، فاحتلت ولاية « ملدافيا » وولاية « فلاخيا » ، فاعلنت تركيا المسلمة الحرب على روسيا في الرابع من شهر اكتوبر ١٨٥٣ م ثم صدر بشأن هذه الحرب « فرمان همايوني » من السلطان العثماني ، جاء فيه بعد مقدمته التي وردت بصدر الترجمة ، وهو موجه الى والى مصر :

« انه كما هو معلوم للجميع ، أن قبول مطلب دولة الروسيا باكملها ، فيما يختص بمسالة الامتيازاتالدينية فضلا عن انه يمس حقوق الحكومة ، واستقلال سلطنتنا السنية ، فانه سيكون ـ معاذ الله تعالى ـ موجبا لانواع الضرر في الحال والاستقبال ، ولذلك ، ولان الدولة المشار اليها قد اتخذت ايضا تدابير عسكرية الغرض منها التهديد ، فمن جهة دولتنا العلية ايضا ، ارسلت قوة عسكرية الى حدودنا الشاهانية بجهات الاناضول والروم ايلي من قبيل التحفظ والاحتياط ٠

مع بذل اكبر مجهود في سبيل المحافظة على الصلح والسلم اللذين حافظنا عليهما دائما معززين ومحترمين ، طبقا لاصول وشعائر الاصلاح ومراعاة العهد من جهة اخرى، ومع اننا اقترحنا مشروع نظام وتعديل هذا الخصوص وبذلنا الجهد في اتخاذ كل الوسائل الكتابية ، فلم يكن لذلك اى تاثير ٠

واخيرا قد عبر الجيش الروس نهر (بروت) الذى هو راس الحدود ، واحتل مملكتي (الافلاق) ، و (البغدان) اللذين هما ميراثي الشاهاني ، واستولى عليهما ، ومع كل هذا فان حكومتنا السنية ، وان كانت سعت بحسن النية في المحافظة على الصلح والسلم ، بقصد اصلاح ذات البين ، الا انه لم يمكن ذلك ٠

ولهذا قد دعى جميع الوكلاء الفخام ، والوزراء العظام ، والصدور الكرام ، والعلماء الاعلام والامراء العسكريين ، وسائر مامورى سلطنتنا السنية ، الى بابنا العالي ، وعقد به مجلس عمومي في اليومين الثاني والعشرين والثالث والعشرين من شهر ذى الحجة الشريفة ٠

ولما جرى فيه بحث المصلحة بكل اطرافها وابداء الملاحظة فيها ، تبين انه من حيث أن دولة الروسيا رفضت مشروع النظام الذى وافقت عليه دولتنا العلية ، فان هذا النزاع لن يمكن حسمه بطريق الصلح ، ولذلك ولان الروسيا نقضت العهد باعتداء جيوشها على ممالكنا المحروسة ، كما هو معلوم للجميع ، وانه ليس من الموافق ايضا دوام هذا الحال ، فقد تقرر باجماع الاراء اختيار جانب الحرب ، واتخاذ التدابير العسكرية توكلا واعتمادا على عون الله

تعالى وعنايته ، واستمدادنا لامداد روحانية الحضرة النبوية ، مستعينين بنصرة الله تعالى .

وصدرت ايضا فتوى شرعية بذلك من طرف شيخ الاسلام ، ولدى عرض الامر على ذاتنا الشاهانية والاستئذان قد رأينا من المناسب اجراء المقتضى لذلك بموجب المجلس العمومي والفتوى الشريفة ، واصدرنا خطنا الهمايوني بذلك .

وبمقتضاه المنيف قد أبلغ الامر الى قيالقنا الهمـــايونية بالروم ايلى والاناضول ، والى جميع ممالكنـــا المحروسة الشاهانية باذاعة اوامرنا الملوكانية الخاصة ، وبما ان المسئولية في هذه المادة واقعة كلها على دولة الروسيا ، فقد دعونا وابتهلنـــا الى الله تعالى بقلوب مخلصة ان ينصر عساكرنا الشاهانية بحوله وقوته . وهو خير الناصرين

فانت أيها الوالي المشار اليه ، عند وصول فرماني الملوكي الجليل المعنون عليه أن تعلن ذلك لاهالي جميـــع الجهات الواقعة تحت ادارتك وتفيهم وأن تنبه عليهم وتفهمهم بأن يشتغلوا جميعا بالدعاء بنصرة دولتنا العلية كما هو مفروض عليهم . ويواظبوا على ذلك .

هذا ، وبما أن هذه الحرب ضـد دولة أرادت الاعتــداء على حقوق دولتنا العلية واســتقلالها ، بدون أى حق أو ســبب ، ولم يطرأ أى تغيير على العلاقات الودية التي بين سلطتنا العلية وبين ســائر الدول المتحابة ، فيجب عدم وقوع أى تعرض او سوء معــاملة من أحد لتجــار ورعايا هذه الدول الموجودين بالممالك المحروسة بقصد التجارة والسياحة ولكافة رعايانا من مختلفي الاديان . الذين نعد شرعا أرواحهم وأعراضهم وأموالهم كأرواحنـــا وأعراضنـــا وأموالنا .

وأن يكونوا على الدوام مشمولين بالعدل والامن والراحة ، طبقـــا لاحـــكام الشريعة المنيفة المطهرة . وحاصل الكلام انه كما سبق أن أعلنا انه لايجوز شرعا ولا عقلا ، أن يكون رعايا دولتنا العلية الذين لهم علاقة دينية مع دولة الروسيا مسئولين عن أعمال الدولة المشار اليها المطـوحة، لان دعوى هذه الدولة هي لاجل نفوذها ومصالحها فقط وحيث أن الامتيازات الدينية التي منحت من قبل اجدادى العظام لهؤلاء الرعـــايا قد تقررت وتوسعت تحت حماية دولتنـــا العلية الخاصة منذ مئات السنين .

وهم ايضا يعلمون بأن تمســك دولة الروســيا الآن بحق حمــاية الامتيازات المذكورة سيكون ســببا بضعف عقائدهم الدينية ، وحيث أن من أسباب الانتصار أن يعيش جميع رعايانا على اختلاف أجناســهم مع بعضهم بحالة حســـنة ، وألا يحقر أحدهم صغير الآخر ولايهينه ولايضره بأى حـــال ولا في أى مكان ، وأن يبذلوا جميعا بالاتحاد والاتفـاق كل ما في وســـعهم في خدمة الوطن العامة .

فليفهم الجمهور كل ذلك تفصيلا ، وأبلغ جهته في الا يحدث من أحـد ما يخالف رضائنا الهمايوني ، وليفهم كل شخص إجيــدا من الآن ، انه قد سبق أن قرر المجلس العمومي، وأيده المجلس العمومي هذه المرة أيضـــا ،

ان من يأتي فعلا مغايرا للتنبيهات المشروعة المشروحة ، عن يجهل أو غفلة أو لأغراض شخصية ، سيكون مسئولا عن عمله ، ويعاقب عقابا شديدا . فليعلموا بموجبه . وعلى كل حال اهتم واعتن بإجراء ما يلزم لذلك بمرأيكم ورويتكم ، واعلم ذلك واعتمد على علامتنا الشريفة .

تحريرا في أوائل شهر محرم الحرام ، سنة سبعين ومائتين وألف» .

●●●

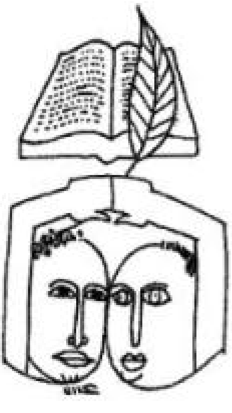
وهذا صحفي انجليزي محايد ، قد رافق الحملة المصرية الاسلامية التي حاربت الروس البغاة على المسلمين في أرض الاسلام ، نقل عن أحد جنود الحملة قوله :

« الحمد لله ، والشكر له جلا جلاله الم يقل على لسان نبيه عليه السلام : « سلم تسلم » ، أي توجه الى الله وحده ، واترك أمر نفسك اليه ، وهو يحميك ، فهو راعي الرعاة وحافظ الحفظة » .

ويقول الصحفي المرافق : ان قوة هؤلاء المجاهدين كامنة في البعد عن الغدر ، وكل حولهم مستقر في جلدهم على احتمال الشدائد ، وكل سلاحهم ايمان راسخ ، ويقين بالله متين ، يتعصبون لدينهم ، ويغالون بمعتقدهم وتعصف بهم العواصف وهم ثابتون ، لانهم على اله السموات والارض معتمدون ، وتتزعزع الجبال وهم لا يتزعزعون، لانهم برب العالمين مؤمنون لا يرهبون الموت في الحرب ، بل يرغبون فيه ويقتحمون عليه ، لأنه خاتمة المتاعب ، ومفتاح لباب جنة النعيم .

لقد كان المسلمون الذين دزحوا تحت نير الدب الروسي يجاهدون بقوة الإيمان ، ونية الشهادة واخلاص النضال لوجه الله ، وهذا هو الشاعر عبد الله فكري يقول في هؤلاء المجاهدين وفي جهودهم :

لقد جاء نصر الله ، وانشرح القلب
لأن بفتح «القرم» هان لنا الصعب
بقد تلت الاعداء في كل جانب
وضاق عليهم من فسيح الفضا رحب
بحرب تشيب الطفل من فرطهولها
يكاد يذوب الصخر، والصارم العضب
اذا رعدت فيها المدافع أمطرت
كئوس منون قصرت دونها السحب
تجرع « آل الاصفر » الموت أحمرا
وللبيض في مسودها ما تهم تهب
تراهم سكارى الظبي في رءوسهم
غناء، ومن صرف المنايا لهم شرب
اذا وقعت ذات البروج ، وأبصروا
بها السور يشكو السجنة انفطر القلب
وان هز لدن الرمح غصن قوامه
فكل دم فيهم الى قده صب
وما أحمر خد السيف الا وأصبحت
رقابهم شوقا لتقبيله تصبو
وقد غرهم من قبل كثرة جيشهم
فلم يغن عنهم ذلك الجيش والركب
وولوا يبغون الفرار بعسكر



تحكم فيه القتل والأسر والسلب
وأين يسومون النجـــاة وخلفهم
تسابقت الخيـــل المسومة الشهب
ولو سلموا من مرهف السيف، أوخلوا
بأنفسهم يوما لأفناهم الرعـــب
فقد راعهم من آل عثمـــان دولة
مجيدية ، دانت لها الترك والعرب
وجاء بشير النصر يشدو مؤرخـا
لقد جاء نصر الله وانشرح القلب

وقد نظم الشاعر هذه الابيـــات يصف فيها موقعة « سباستبول » من معارك هذه الحرب ، وقد انتصر فيها الاتراك والمصريون على الروس سنة ١٢٧٢ هـ (١٨٥٥ م) .

●●●

وسارت الثورة الشيوعية الحمراء على سنن أســـلافها ، مع مزيد من المخـــادعة والمداهنة ، ومن كيد الشيطان الخبيث ، ففي أواخر سنة ١٩١٧ - وهي أولى سنوات الثورة الشيوعية الروسية - أحس قادة تلك الثورة بأنهم في حاجة الى قـــوى المسلمين الواقعين تحت استعباد روسيا ، ليســـيروا مع الثورة ويؤيدوها ، وإذن فلا بد من مخادعة هـــؤلاء ، ليفتلوا لهم في الذروة والغارب كما يقول المثل القديم .

فأصدر قادة هذه الثورة البلشفية - ومن بينهم لينين وســـتالين - أصدروا في السابع من ديسمبر سنة ١٩١٧ نداء باسم « مجلس قوميسيرى الشعب البلشفي » موجها الى الشعوب الاسلامية في روسيا ، ليســـاعدوا الثورة ، ويقفوا معها ضد أعدائها في الداخل والخارج .

المسلمون تحت حكم روسيا

وما كان هؤلاء القادة البولشفيون بمخلصين لهؤلاء المسلمين، فيمـــا يقولون ويوجهون من نداء ورجاء ، ولكنهم عن مصلحتهم يبحثون . ولقد كان هذا اعترافا صريحا واضحا بأن أسلافهم - على عهد القياصرة قبل الثورة الحمراء - قد ظلموا المسلمين وطغوا عليهم ، وسلبوا خيـــراتهم ، ولكن المسلمين أيضا قد ذاقوا العذاب ألوانا على أيدي هؤلاء الثوار الحمر واشترك الاسلاف والاخلاف متواطئين على حرب الاسلام والتنكيـــل بالمسلمين ، وقديما قـــالوا : لا تلد الحية الا حية ! ..

وهذا هو النداء المخادع ، بل هذا بعض أو جزء منه :

« أيها المسلمون في روسيا ، أيها التتر على شواطىء الفـــولجا وفي القرم .

أيها الكرغيز والســـارتيون في سيبيريا والتركستان .

أيها التتر والاتراك في القوقاز .

أيها الشيشيين .. أيها الجبليون في أنحاء القوقاز .

أنتم يا من انتهكت حـــرمات مساجدكم وقبوركم ، واعتدى على عقائدكم وعاداتكم ، وداس القياصرة والطغاة الروس على مقدساتكم .

ستكون حرية عقائدكم وعاداتكم ، وحرية نظمكم القومية ، ومنظماتكـــم الثقافية مكفولة لكم منذ اليوم ، لا يطغى عليها طاغ ، ولا يعتدي عليها معتد .

هبوا الآن فابنوا حيـــاتكم القومية كيف شئتم ، فأنتم أحرار لا يحـــول بينكم وبين ما تشتهون حائل . ان ذلك من حقكم قاطبة .

واعلموا أن حقوقكم شأنها شـــأن حقوق سائر أفراد الشعب الروسي ، تحميها الثورة بكل ما أوتيت من عزة وقوة ، وبكل ما يتوافر لها من وسائل

جند الشداء ، ومجالس للعمال ، ومندوبين عن الفلاحين .

والآن فشدوا أزر هذه الثورة ، وخذوا بساعد حكومتها الشرعية .

أيها المسلمون في الشرق ، أيها الفرس والأتراك والعرب والهندوس ، أنتم جميعا يا من وطىء الأوروبيون القراصنة أرضكم ، وتاجروا بأرواحكم وأملاككم وحرياتكم قرنا بعد قرن .. أنتم جميعا يا من يحاول اللصوص الذين أشعلوا نار الحرب أن يقتسموا بلادكم بينهم .. اخلعوا عن أعناقكم نير هؤلاء اللصوص ..

أولئك الذين يستعبدون أهلكم ، ويستبيحون دماءكم وأرواحكم ، فإن من المستحيل عليكم بعد الآن أن تظلوا قابعين لا تحركون ساكنا في وقت تهز فيه الحرب عرش النظام القديم ، وتشتعل فيه نفوس العالم كله حنقا على الغاصبين المستعمرين ، وتمتد فيه شرارة الغضب فتصبح ثورة تأتي على كل شيء .

حذار أن تضيعوا وقتكم دون أن تلقوا عن كاهلكم نير المستعبدين والظالمين الذين استبدوا بكم وبأوطانكم إياكم أن تدعوهم يسلبونكم ما أوتيتم من خير بعد اليوم . وعليكم من اليوم أن تشيدوا صرح كيانكم بأنفسكم وبطريقتكم الخاصة ، وفق ما تحبون وتختارون ، فإن من حقكم أن تفعلوا ، وإنكم لفاعلون ، وها هو مستقبلكم في أيديكم .

أيها الرفاق ، أيها الإخوة : لنتقدم سويا في عزم وصلابة نحو سلم عادل ديموقراطي ..

إن رايتنا تحمل معها الحرية للشعوب المظلومة في أرجاء العالم .

أيها المسلمون في روسيا ..

أيها المسلمون في الشرق.. إننا ونحن نسير في الطريق الذي يؤدي بالعالم إلى بعث جديد نتطلع إليكم لنلتمس عندكم العطف والعون .. : .

ألا ما أعذب الكلام يوما أمر العمل ... ألا ما أعرض الدعوى ، وما أهول الحقيقة .

إن روسيا الشيوعية التي قالت هذا الكلام الحلو المعسول الخداع ، هي التي أذاقت المسلمين في روسيا وفي الشرق صنوف البلايا والنكبات .. إن الثورة الحمراء التي وعدت المسلمين في ظلها جنات النعيم هي ذاتها التي اعتدت في سنة ١٩١٨ بجبروتها وطغيانها على الولايات الإسلامية الأربع التركستانية منها القوقاز، والتي كان يقال لها « بلاد الطاغستان » ، وألحقتها بحكومة موسكو ، وابتلعتها ابتلاعا ناقضة بذلك عهودها ووعودها

واندفعت الجيوش الروسية المدربة المزودة بالأسلحة القوية الحديثة من طائرات ودبابات ، ومدافع ومصفحات على احتلال الأقطار الإسلامية المحرومة من السلاح والعتاد ، ويسرد المؤرخ المسلم نور محمد خان جانبا من سلسلة الجرائم الشيوعية في ابتلاع البلاد الإسلامية ، فيذكر أنه في إبريل سنة ١٩١٨ أصدر « لينين » أمرا بالزحف على البلاد الإسلامية دون إنذار سابق ، فأخذت الدبابات تحصد المدن حصدا ، وتدك الحصون والقلاع والطائرات تمطر البلاد سيلا من قنابلها ، دون تمييز بين عسكريين ومدنيين .

وفي نهاية هذا العام كان الروس قد استولوا على جمهورية « أيديل أورال » ، وشمال القوقاز وحكومة « نخوقند » في تركستان ، واقتصر الاستيلاء على شبه جزيرة القرم لعنف المقاومة فيها

وفي سنة ١٩١٩ استولت بحيلها ... على جمهورية « [illegible] »

وفي إبريل سنة ١٩٢٠ انتهت من

المسلمون تحت حكم روسيا

احتلال القرم ، ثم استأنفت الهجوم على جمهورية اذربيجان ، واستطاعت اخضاعها .

ثم حاصرت جمهورية « خيوه » من ثلاث جهات ، فدافع عنها اهلها التركمان دفاع المستميت ، ولكنها سقطت في نهاية عام ١٩٢٠ .

وفي سنة ١٩٢١ استأنف الروس الهجوم على « جمهورية بخارى » ، ودار بينهم ومن اهلها قتال مرير ، ودافع احفاد « البخارى » عن وطنهم بكل ما لديهم من بأس ، فلما انهزمت جيوشهم المنظمة شنوا حرب العصابات نحو عشر سنين ، ولكنهم فشلوا في احراز النصر لعدم وجود اية مساعدة خارجية من العالم الاسلامى .

واخذ الشيوعيون يلغون معالم الاقطار الاسلامية بشتى الوان التعذيب والارهاب ، من تجويع وتشريد ، وتهجير جماعي مفروش بالحديد والنار ، الى ازهاق للحريات الى كبت للشعور الديني ، الى حركة استئصال بشرى ، الى اغتصاب للحقوق والثروات والخيرات ، الى استيلاء على المناجم الاسلامية العديدة ، الى تقسيم للارض ، وتفتيت للاقطار الاسلامية حتى ان الرفيق « كالينين » كتب تقريرا عن مجاعة القرم ، استشهد به كتاب « الاسلام في مواجهة الزحف الاحمر » للاستاذ محمد الغزالي ، وهو كتاب افادنا كثيرا في هذا المجال ، وفي هذا التقرير الاعداد المفجعة المرعبة التي تبين عدد الذين ماتوا جوعا من المسلمين ، ويقول التقرير ايضا : « ان اكل لحم الانسان لم يكن من الحوادث التي يستغرب لها ، او تعد عجيبة في بابها » !

وحسبنا ان نعلم ان سكان «القرم» كانوا سنة ١٩١٧ خمسة ملايين مسلم ، فاصبحوا في سنة ١٩٤٠ على ايدى القتل والابادة اقل من نصف مليون ، او بتعبير اخر اقل من عشر السكان ، والقرم نموذج له اشباه ونظائر .

ولقد تقدمت « جماعة الكفاح الاسلامى » بالقاهرة الى « مستر تريجفلي » سكرتير هيئة الامم بشكوى مطولة مبكية ، ضمنتها قائمة بجانب من المجازر والجرائم التى ارتكبها الشيوعيون ضد المسلمين في الثلاثينات والاربعينات من هذا القرن ، ونقتطف بعضها ، والبعض بالبعض اكتفى كما يقولون :

١ ـ قتل الشيوعيون سنة ١٩٣٤ في التركستان وحدها مائتاالف مسلم من اعضاء الحكومة المحلية والعلماء والمثقفين والتجار والمزارعين .

٢ ـ ما بين سنتى ١٩٣٢ ، ١٩٣٤ مات ثلاثة ملايين تركستانى جوعا ، نتيجة لاستيلاء الروس على محصولات البلاد ، وتقديمها الى الصينيين الذين انقلوهم الى تركستان لاضاعة معالم الشعب المسلم .

٣ ـ في القرم طمسوا معالم الاسلام بما فيها الجوامع الاثرية في مدينة « باغجه سراى » عاصمة القرم الجميلة ، مثل « جامع نمان » وجامع « طوزبازار » وجامع « اصقالوبو » وغيرهما .

٤ ـ هدموا في مدينة « زغرب » جامعا عظيما شيده المسلمون رمزا لوحدة عنصرى الشعب الكرواتى .

٥ ـ اغلقوا فى مدينة « سرايفو » الاكاديمية الاسلامية العليا للشريعة الاسلامية ، وجميع المدارس الدينية ، باستثناء واحدة فقط ، ابقوا عليها للدعاية .

٦ ـ قتلوا رجـــال الدين ، او نفوذهم ، او حكموا عليهم بالاشغال الشــاقة ، او منعوهم حقوقهم السياسية والانسانية ومن رجال الدين الذين قتلوهم قاضى القضاة ، ومفتى بخارى ، والشيخ «عبد المطلب داملا» .. والشيخ « محصـــوم متولى » والشيخ « عبد الاحـــدداد خان » ، والشــيخ « الحاج ملا يعقوب » ، و « الشيخ ملا عبد الكريم » وغيرهم كثيرون كثيرون .

٧ ـ كانوا يحرقون المصـــاحف الكريمة فى الميادين العامة سخرية من القرآن المجيد والاسلام الحنيف .

٨ ـ قتلوا كثيراً من الزعماء فى التركستان الشرقية سنة ١٩٣٤ ، فى طليعتهم « الحاج خوجه نياز » رئيس الجمهورية و « مولانا ثابت » رئيس الوزراء ، « وشريف حـــاج » قائد مقاطعة الثا ، و «عثمان اوران» قائد مقاطعة كاشغر ، و « يونس ئك » وزير الدولة ، و « الحاج ابو الحسن » وزير التجارة ، و « طاهر بك » رئيس مجلس النواب ، و « عبد الله داملا » وزير الاشغال ، وغيرهم كثيرون .

٩ ـ وفى ١٩٢٨ قتلوا فى القرم « ولى ابراهيم » رئيس الجمهورية مع جميع وزرائه ، وفى سنة ١٩٣٠ قتلوا « محمد قوباى » رئيس جمهورية القرم مع هيئة وزرائه جميعا ، وفى سنة ١٩٣٧ قتلوا « الياس طرحان » رئيس الجمهورية رميا بالرصـــاص ، مع أعضاء حكومته .

١٠ ـ منعوا المسلمين من التمتع بالنظم الاسلامية فى دائرة الاحوال الشخصية فى جميع انحاء الاتحاد السوفيتى ، حسبى حسبى ! ...

حديث الاقاصى طويل المدى ..

كانت الشـــكوى دامية ومفـــزعة ومرعبة ودامية ، ولكن هيئة الامم لم تحرك ساكنا ، والكفــــر كله أمة واحدة ! .

●●●

ما اشد الوان العذاب التى لقيهـا المسلمون داخل الاقطار الاسلامية . التى ابتلعتها روســيا القيصرية ، واستمرت فى ابتلاعها ، بل والحقت روسيا الشيوعية .

واذا كان هؤلاء المسلمون الاشقاء قد ذاقوا الخسف والعسف على ايدى الصليبية الغربية ، فقد ظلوا يذوقون هذا الخسف وذاك العسف على ايدى الشيوعية الملحدة الطاغية التى تزعم ان الله خرافة ـ تعالى الله عن ذلك الافك علوا كبيــرا ، والتى تزعم أن الدين مخدر الشعوب وافيون الامم والتى ترنو فى شعاراتها انه لا بد من مقاومة الدين ... الخ .

واليوم .. ما اشبه اليوم بالبارحة فقد استحدثت الشيوعية الكافــــرة للملايين من المسلمين الرازحين تحت جبروتها الاحمر بعض المظاهـــــر الخارجيـــــة التى يبدون بها امام الناظـــرين غير المتبصرين ، وكأنهم يتمتعون بحرية دينية فى ممارستهم شعائرهم الاسلامية ، وغاية ذلك ان تمكن افرادا منهم من اداء فريضـــة الحج ، او لا تمنعهم اداء فريضـــة الصلاة .

ولكنهم ما زالوا محرومين من اعز شيء فى حياة الانسان ، وهو الشعور بالحرية والاستقلال فى بلادهم التى بناها اجدادهم بالدم والعرق والعزم ، على اساس من الايمان واليقين .

يا طول ما يلقى هؤلاء المؤمنـــه على ايدى الملحدين . كان الله لهم ومعهم ! ..

الشقاء ضد الإنسان في الأدب العالمي

علي أدهم

من الكلمات المأثورة عن الناقد البريطاني ليزلي ستيفن قوله لاشيء أقل شاعرية من التفاؤل ، لان جوهر وظيفة الشاعر هو تنسيق احزان الكون ويتجه الى تأكيد ذلك قول الحكيم الاسكندناوى سورين كسيركجارد « ان الشاعر مخلوق غير سعيد تكربه آلام عميقة ، وقد كونت شفتاه بحيث أن تنهداته تشبه الموسيقى الساحرة » وفى المعتقدات الاورفية القديمة ان زوس كبير الآلهة الاولمبيين خلق الآلهة من ابتساماته وخلق البشر من دموعه ، ومن ثم يعتبر الحزن الموضوع الاصيل للشعر الذى يتناول حياة الانسان .

واذا آثرنا مجافاة المبالغة قلنا ان الحزن اقوى اثارة للشعور من السرور ، ومن الملحوظ أن شعر الرثاء وشعر الغزل اقرب الى طبيعة الشعر وتأثيره من ضروب الشعر الاخرى ، وذلك لان الرثاء يصف ما يلم بالنفس من لواعج الحزن ومرارة الألم لفقد عزيز أو وقوع كارثة ، وشعر الغزل كثيرا ما يتحدث عما يعانيه المحبون من روعات الفراق ومعاناة الهجر والقطيعة وأرجح ان بابى الغزل والرثاء فى ديوان الحماسة الذى يضم مجموعة من جيد المختارات الشعرية فى الادب العربى جمعها ابو تمام هما اقرب ابواب الديوان الى طبيعة الشعر والشاعر البريطانى الكبير شلى يقول فى ابياته المشهورة « الى قبرة » « ننظر الى ما قبل وما بعد ، ونذوب أسى لما هو غير كائن ، وأخلص ضحكاتنا يشوبها الحزن ، وأجمل اغانينا هى التى تروى أشد الافكار حزنا » .

والنظرة التشاؤمية الغالبة على الكثيرين من كبار الشعراء العالميين في آداب الامم المختلفة مردها الى الاعتقاد بغلبة الشر على الخير في اكثر نواحي الحياة الانسانية . وقد مثل هذه النزعة في الادب العربي الى حد كبير أبو العلاء المعري والمتنبي الى حد ما . كما مثلها في الادب الايطالي جياكومو ليوباردي . وفي الادب الفرنسي الفرد دي فني وفي الادب الانجليزي اللورد بيرون .

ويعزى الكثير من الشر الحادث في الحياة الى الدور الخطير المنسوب الى الشيطان أو ابليس في الحياة البشرية وهناك ثلاثة من كبار الشعراء العالميين مثلوا هذا الدور الذي يلعبه الشيطان في حياة الانسان ومحاولة الشيطان تغليب الشر وهزيمة الخير وايقاع النفس الانسانية في شباك مقاصده السيئة . وأهدافه المدمرة . وقد تمثل ذلك في الفردوس المفقود لملتون وقابين للورد بيرون . وفاوست لجوته . وفي غير ذلك من الطرائف الادبية الخالدة الاقل شهرة من الآثار الادبية الفلسفية المذكورة .

واتخذ ملتون من سفر التكوين خلفية لمنظومته الحماسية . وقد حاول ملتون ان يصف في الفردوس المفقود عالما قد ساد فيه الشر الذي يقضي على الانسان . ولكنه لم يتعرض لمكانة الله من ناحية ولم يجعل للشر الانتصار على الخير في النهاية . والصفة الغالبة على شيطان ملتون هي الكبرياء والتمرد والعناد والنقمة . وكان باعث تمرده وخروجه على الطاعة أن الرب الاله — كما في سفر التكوين — حينما خلق آدم ووضعه في جنة عدن وأوصاه بأن يأكل من جميع شجر الجنة غير شجرة معرفة الخير والشر. وخلق حواء وأحضرها الى آدم . وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التي عملها الرب فأغرت حواء بالاكل من شجرة المعرفة المحرمة وكانت نتيجة ذلك اخراج آدم وحواء من الجنة الى الارض. وولدت حواء قابين لآدم وولدت له بعد ذلك أخاه هابيل . وحدث بعد أيام ان قابين قدم من ثمار الارض قربانا للرب . وقدم هابيل قربانا . فنظر الرب الى هابيل وقربانه . ولم ينظر الى قربان قابين . وأغاظ ذلك قابين وجعله يقتل أخاه هابيل .

ويشير ميلتون الى تمرد الشيطان وخروجه على الطاعة لانه لم يقبل ان يكون ابن الله اعلى منه شأنا وأعز مكانة . وانحاز الى جانب الشيطان فريق من الملائكة . وقد كانت خطيئة آدم وحواء باعثها خديعة الحية لهما . اما الشيطان وحزبه من الملائكة الذين تبعوه في تمرده فقد نبذوا الطاعة . ولم يفكروا في طلب الغفران . وهو يصور الشيطان في صورة بغيضة جديرة بالكراهية . وهي يظهر بحماسة وبطولة في محاولته تحقيق غاياته الشريرة . وذوق ميلتون الشعري لايجعله يصور الشيطان قذرا ملطخا بالسواد . فهو ليس زعيما موفور الحظ من الخسة والسفالة . ولذلك يستجيب أصحابه لدعوته ويؤثرون الانضمام الى صفه على معاونة الانسان . ويبدو عليه جلال الكبرياء والشجاعة وروعة حب الاستقلال . والاجتراء على الله والمراجعة . فهو جدير بأن يسمى « أمير الظلام » وشجاعة هذا الخارج على الطاعة أشد تأثيرا لانها ممتزجة بالبطولة والاقدام على الكبائر بغير تردد . والعاطفة الغالبة عليه هي انه لايقبل منافسا ويخضع اتباعه جميعهم لارادته وهو يمثل الشر القوي تمثيل وتحديه للعقل . ويرفض باحتقار اية نصيحة تقدم له

الشيطان

ويحض على الاعتدال ، ويمضي في طريقه دون أن يتراجع في عناد وتصميم مسترسلا في طريق الهلاك والدمار . وهو في تنظيم خططه لايغيب عنه انه سيهزم في النهاية ، ولايجهل سقوطه من القمة العالية التي كان يحتليها ، لكنه لا يبالي الهزيمة ما دام مصرا على المقاومة . ولايرى اي لون من الوان المجد والفخار في الخضوع والطاعة . وهو يستغل كل كنوز طبيعته اللانهائية في متابعة اهدافه الشريرة . وهو لن يصنع الخير ، وانما يجد المتعة الوحيدة في الاساءة والانغماس في الشر . لان هذا السلوك يناقض ارادة الله الذي يعمل هو واتباعه على مقاومته، ويستشعر ان البؤس سيقضي عليه . ولكن الخضوع في تقديره اشد ايلاما له من البؤس والشقاء . ولو كان هذا التصميم والاعتزام والاصرار على الخلاف والمقاومة وضعت جميعها في سبيل الطاعة وطلب تحقيق الغايات السامية لكان قد أصبح جديرا بالمكانة التي كان يشغلها . ولكن فعاله قد زادت قلبه سوادا لانها يسرت له الانطلاق في طريق الضلال والمعصية، والانسان نفسه الذي خلقه الله على صورته قد يختار الطريق الاعوج لتحقيق أهدافه فيهبط الى الحضيض .

والفكرة الرئيسية في الفردوس المفقود هي ان الشر يقضي على نفسه، وأن الخير هو الذي يبقى ويدوم ، وأن الشيطان يحتمل المعاناة ولكن في النهاية يقضي اللطف الالهي على كل اعماله ، ويجعل كل ما اتخذه حقده خيرا ونعمة . وتشمل الرحمة الانسان الذي تعرض لغوايته، ويبوء الشيطان باللعنة .

ويقر الشيطان قابين على الكفر ويزيد ثورته اشتعالا ، وحينما يسمع حديث الشيطان يقول : « انك تتحدث الي عن اشياء طالما جالت بنفسي ، وخطرت ببالي . واني اسير الطرف حولي فيبدو لي اني لا شيء في الوجود ، على حين تجيش بنفسي افكار كأنما تحاول بسط سلطانها على الاشياء . وقد كنت احسب في وحدتي ان الحزن نصيبي ، وقد لان جانب ابي وريض جماحه ، ونسيت امي الفعل الذي اقتادها الى المعرفة وعرضها للعنة الله وغضبه . ولم أصادف من قبل من يقاسمني الشقاء ، ويرثي لبلواي .

فهل تتجلى ثمرة هذا الشك القوي . ويعلن قابين تحديه الصريح وانضمامه الى حزب الشيطان وسيره تحت لوائه ؟ ان الشيطان يعتمد على كبريائه التي لا تستذل ولا تنحني صعدتها ولا تخمد جذوتها ، ويتعزى بحبه للحق ، وايثاره الحق على السعادة والنعيم ، ويوحي الشيطان الى قابين كراهيته للخضوع فيقول : « اني ارفض السعادة التي تسومني الخسف ، وتحمل كل من يلوذ بي الذل ، والهوان » .

ولكن « عادة » — زوجة قابين وشقيقته — ترهب الشيطان ولا تطمئن اليه وتقول له « اني ارى على محياك علامات الهم وآيات الشقاء ، فلا تجعلنا مثلك محزونين ، واني سأذرف الدمع من اجلك »

فيجادلها الشيطان قائلا « لو تعلمين اي بحار من الدمع الغزار ستراق ويجرى طوفانها ، وكم من الناس الذين سيخرجون من ذريتك

سيلحس بهم الجحيم . ولكن « عادة » بعيدة المنال عليه . فلا يؤثر في نفسها حديثه . فيزين لقابين رفض الخضوع واعلان الثورة .

ويدرك الشيطان ان سبب تردد قابين في اعلان عصيانه هو عجزه عن احتقار ما يحب وما يكره لضيق افقه وقلة درايته وجهله بحقارة عالمه وضآلة شأنه . فيأخذ على نفسه مهمة تلقينه دروس الازدراء واستصغار الاشياء . وينتقل به في الفضاء غير المحدود تنقل الضياء في الارجاء حتى تختفي عن ناظريه الجنة . وتصير الارض كالهباء . ويرى عوالم جديدة . ويمر مجهولة بها جنات وحيات واناس . ويطوف به حتى يقوى شعوره بعظم المجهول وضآلة امره . ثم تدور بينهما هذه المحاورة !

الشيطان : والآن اعيدك الى عالمك . وستكاثر به ذرية آدم . وستأكل وتشرب وتجاهد وتكابد وترتعد وتضحك وتبكي وتتألم ثم تموت في النهاية !

قابين ـ ولاية غاية قد رأيت الاشياء التي كشفت لي عنها واطلعتني عليها ؟

ـ الشيطان : الم تطلب المعرفة ؟ الم اطلعك بما اطلعت عليه ان تعرف نفسك ؟

قابين : ـ واأسفاه ! يتراءى لي انني لاشيء .

ولكن الواقع ان مأساة قابين ليست في هذا الشعور بالنقص وهوان الامر . ولا شيئية النفس . وانما هي في شعوره بالتناقض بين ترامي الافكار وبعد طموحه والاحساس بلا شيئية نفسه . وهو يصارح الشيطان بذلك في قوله : « لقد اريتني الاشياء من وراء خلقتي . ومن فوق مداركي . ولكنها ايسر من طموحات نفسي . واهون من تصورات فكري .

ويحاول قابين ان يلعب دور الشيطان . ولكنه يعجز عن ذلك . وفي ثورة هوجاء يخضب الارض بدماء اخيه . ويرتكب اول جريمة في تاريخ الانسان . وها هو قابين يتألم ويتألم لوجود الشر الذي يشوب الحياة ويغشى الاشياء . ثم اخذ يشتد شكه ويستفحل خطره حتى اصبح يشك في وجود الخير . ودراما قابين تبين في اوضح صورة ان بيرون من انصار الشيطان الذي يأبى ويؤثر المعرفة على السعادة وراحة البال . وخلاصة حكمته ان على الانسان ان يفكر ويتأمل ويصبر اذا بلغه في سبيل ذلك من مرير «الألم وعارم الحزن» . والانسان لا يرتفع الى ذروة الكرامة الانسانية العزيزة الا بالبحث عن المعرفة والجري وراء الحق وايثار ذلك على كل شيء .

ولا يقدم لنا بيرون في دراما قابين صورة معركة خاسرة او ظافرة بين الشيطان وقابين فقابين لا يصده الشيطان باستمالته الى ناحيته . وانما يجد قابين في الشيطان صدى لثورته والتصميم على الانكار . وقابين يتخذ الشيطان فيها قدوته وان كان في محاولته ان يمثل دور الشيطان يتجاوز حدود قدرته .

ومن الاساطير التي شاعت في اواخر العصر الوسيط اسطورة الدكتور فاوست . وقد تناولها الشاعر البريطاني مارلو كما تناولها بعض الكتاب الالمان فكتبوا عنها كتبا مختلفة من زوايا عدة . وصاغوها صياغة تمثيلية . وقد استرعت هذه الاسطورة نظر الشاعر الالماني الكبير جوته منذ مطالع حياته الادبية واستأثرت بتفكيره فترة طويلة من حياته . ولا نزاع في ان جوته

الشيطان

قد تاثر فى تناوله لهذه الاسطورة بما كتب عنها قبل عهده وبما اثاره ليبنتز من النقاش بين انصار الخير والقائلين بغلبة الشر فى الحيـــاة ولا يمكن ان تصاغ نظريته فى احسن من الصيغة الاســـلامية المعروفة « ليس فى الامكان ابدع مما كان » وقد ظهرت هذه النظرية فى القـــرن السابع عشر ، ووضع فولتير قصـــة كانديد ســـاخرا من هذا المذهب ، هادما له ، مقـــارنا بين الخير والشر مصورا لما بينهما من الجهاد العنيف فى حياة الناس ووجود الاشـــياء ، وانتهى الى النتيجة المشهورة « ليعش كل منا بحديقته » .

وقد ظهر فى فرانكفـــورت الواقعة على نهر المين ســـنة ١٥٨٧ كتاب تاريخ الدكتور فاوستاس الســـاحر المشهور ، والاســـتاذ فى « الفن الاسود » وكان مؤلفه بروتســـتانتيا شـــديد المحافظة ، وقد جمع الكتاب مجمـــوعة من النوادر المختلطة عن الدكتور فاوســـتاس ، واعاد كاتب آخر لوثرى المذهب ســـنة ١٥٩٩ كتابة الكتاب واضاف اليه تحذيرا من الســـحر وملاحظات اخرى ، وعرف الكتاب فى انجلترا ، واتخذه الشاعر البريطانى مارلو اساســـا لكتابة ماساته عن الدكتور فاوســـتاس ، وفاوســـت الذى عرف من الدراما الشـــائعة كان استاذا فى جامعة ويتنبرج ، لم يقنع بحظه من المعرفة الواسعة ، وضاق بها ، واعلن انه سيتجه الى السحر ، وقد نهته عن ذلك طبيعتـــه الصـــالحة ولكن الجانب الخبيث فى عبقريته دفعه دفعـــا الى ممارسة الســـحر ، وفى ذلك الوقت وهو يعانى هـــذه الازمة اعلن له خادمه (?) وجنر حضور طالبين سلماء الكتاب الذى كان يريده لدراســـة السحر وعرف منه طريقة استحضار الارواح ، ومال الى اســـتخدام اسرعها تلبية لمطـــالبه ، وتعهد الشيطان ــ مفستو فوليز بالاستجابة لكل ما يطلبه ، واتفقا على ان يقوم الشـــيطان بخدمته وتلبية رغباته مدة اربعة وعشرين عاما يصـــبح بعدها فريسة لقوى الجحيم .

والدكتـــور فاوستاس شـــخصية حقيقية اقتحطيها اضراء الاسطورة والخرافة ، وقابله المصـــلح الدينى ميلانكتون وتحـــدث معه ، ومعـــروف ان الاتفاق بينه وبين الشيطان تم فى رطيخ القريبـــة من ويتنبرج فى ٢٣ اكتوبر ســـنة ١٥٢٨ وقد قرأ جوته ما كتب الشـــاعر مارلو ، وتركت القصة فى نفســـه اثرا قويا وامضى جانبا كبيرا من حيـــاته فى انجاز كتابتها ونظمها .

وتبدا الرواية المسرحية بمقدمتين ، مقدمة وقعت احداثهـــا فى الارض ومقدمة ثانية وقعت احـــداثها فى الســـماء ، وتتنـــاول المقدمة الاولى مناقشة بين الشاعر ومدير المسرح ، وهى تتضمن تجربة جوته نفســـه حينما كان يشرف على مسرح ويمار والمقـــدمة الثـــانية تمثـــل الله فى محادثة مالوفة مع مفستوفوليز عن اخلاق فاوســـت ، يثير فيهـــا مفســـتوفوليز الشكوك حول اخلاق فاوســـت ويأذن له الله فى محاولة استغوائه ، وحمله على الانحراف عن طريق الفضيلة والاستقامة .

وتبدا المنظومة الشـــعرية قبيل عيد القيامة فى حجرة الدكتور فاوســـت بالجامعة ، وقد استولى الملل والضيق على نفس فاوست وســـئم المعكوف

على الدراسة والتوفر على طلب المعرفة . ويشعر بأنه قد أسرف فى الاعراض عن طلب المتعة والانغماس فى البحث عن اللذة . وعبثا يلجأ الى السحر . وحتى الارواح التى

كان يستدعيها ويأمرها صارت تزدريه . ويدخل عليه خادمه ومساعده وجنر وهو يعانى هذه الحالة النفسية، ويلقى نظرة على ما حوله بعد أن يستبعد وجنر فيقع بصره على قارورة سم نسيها على الرف منذ سنوات . فيرحب بها وهو فى هذه الحالة السيئة من الاجهاد والضيق . ويعتبرها وسيلة للخلاص .

ولكن حينما يدنى الكأس من فمه ترن فى أذنيه أصوات فرق المرتلين فى الاحتفال بعيد القيامة . فتخطر فى باله أفكار أقل جفاء وأكثر لينا .

وتختفى الشكوك التى ألمت بنفسه فى منتصف الليل . ويحضر فى اليوم التالى الاحتفال بعيد القيامة ومعه وجنر . ويهدأ قلب الاستاذ وهو يشارك الجماعة فى ابتهاجها بالعيد

على حين كان وجنر ينظر اليهم باحتقار ويقول ان الدراسة الحقة للانسان هى العكوف على قراءة المجلدات الضخمة . ويحاول اثبات نظريته وفاوست غير مصغ اليه . وقد

وجد التفاته الى جرو أسود اللون يتبعه . ويراه وجنر جروا عاديا . ولكن سيده يلمح شيئا غير عادى فى الجرو الذى يتبعه الى حجرته حيث يختبىء وراء الموقد . ويأخذ فاوست فى ترجمة أجزاء من الكتاب المقدس . ويبدأ أن ذلك يثير أعصاب ضيفه الجرو .

ويلاحظ الحكيم اعتراضات الجرو الشيطانى فيستعين بالرقى والعزائم ويختفى الجرو بعد الكثير من العزائم

والرقى . ويقف فى مكانه مفستو فوليز فى ثوب طالب علم رحالة . ومن سوء حظه أن الجرو وقد هاجه الانفعال وثب على النجمة المخمسة الموضوعة على مدخل حجرة الساحر فلا يستطيع الشيطان الخروج دون اذن .

ويطلب صاحب الحجرة الفيلسوف من زائره الجديد أن يوالى زياراته . ويعمل مفستو فوليز على تنويم فاوست . ويستدعى الفيران لتقرض المدخل ويجد الشيطان سبيلا للخروج . ويعود فى اليوم التالى وقد ارتدى حلة قرمزية ووضع على رأسه قبعة من ريش ديك ويقدم لفاوست كل ما يطلب من متع الدنيا . ولكن العلامة المتعب لا يثق فى قدرة هذه المتع على ادخال السرور على نفسه . ويقول انه واثق الثقة كلها أن هذه المتع لن يكون لها سيطرة على نفسه وانه ليس فى طوق مفستو فوليز أن يستذل جسده وروحه بغوايته فى أى وقت من الاوقات . .

ولكن الشيطان الماكر يقبل الرهان، ويمضى العقد بالدماء . ويستعد فاوست للرحلة . ويظل مفستو فوليز فى حجرة الدراسة . ويخرج الاثنان معا الى حانة أورباخ . ولا يعجب ما بها من اللهو لوق العالم المفكر فاوست . ويزور معه مطبخ الساحرة كيتشن . ويأخذان منه شرابا سحريا يجدد قوى فاوست . وبينما كان مفستو فوليز يجدد معرفته بالساحرة لمح فاوست فى مرآة صورة الفتاة الحسناء التى ستلعب دورا هاما فى حياته المقبلة . وفى اليوم التالى يلقى الحسناء مرجريت فى أحد شوارع نورمبرج، ويعرض عليها أن يسير فى حراستها . فترفض ذلك وتمضى فى طريقها فيطلب فاوست المعونة من مفستو فوليز . ويخبره

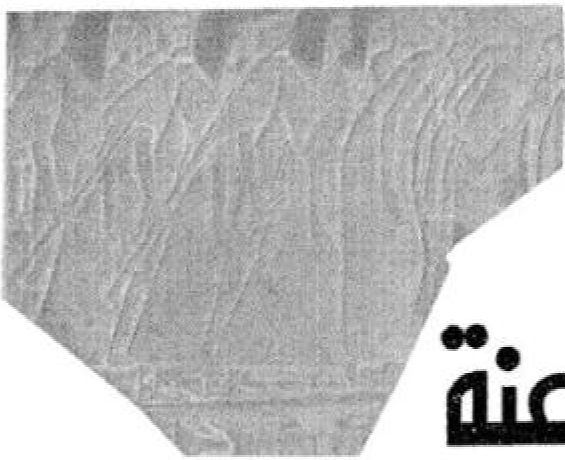
الشيطان

صاحبه انها فتاة بريئة في افكارها واعمالها ، وانه ليس له سلطان على مثل هذه الفتاة البريئة ، ولكنه يوافقه على ان يهيىء له الاجتماع بها في حجرتها، وبينما كانت مرغريت مشغولة بتسوية ضفائر شعرها في حجرتها الصغيرة وهي تفكر لاهية في هذا الفارس الحسن الصورة الذي تقابلها عند باب الكنيسة، وتخرج من حجرتها، ويدخل فاوست وفي صحبته مستر فوليز ويضع الاخير حليا في علبة صغيرة ، ويخرجان حينما تدخل مرغريت حجرتها .

وسرعان ما تكشف العلبة ، ويشتد سرورها بها وتتخذها للزينة ، ولكن والدتها تكشف وجود العلبة وتأخذها، ويسوء ذلك مرغريت ، وتلتقي بعد ذلك مرغريت فاوست ، وتقع تحت تأثيره ، ويستولي عليه الندم وتوبيخ الضمير ويفكر في علاقته الجديدة بمرغريت ، ويشعر بغواية الشيطان، ويفكر في خطورة مسلكه ، ويصمم على تركها مهما يكلفه ذلك ، ولكن مستفوليز قد اوقعه في شباكه ، وتسأل مرغريت صاحبها المتيم بحبها عن عقيدته الدينية ، وتحزن حينما لا تسمع اجابة حاسمة ، ويلوم مستوفوير على ذلك ، ويطلب فاوست منها ان تلقاه في حجرتها عند منتصف الليل حيث يكونان بعيدين عن الانظار ، ويعطيها جرعة منومة لتقدمها الى والدتها حتى لا يتاح لها التدخل في اجتماعهما المنتظر، وتوافق مرغريت على ذلك وتجيب طلبه ، وتبلغ اخاها فالنتين اخبار علاقتها بفاوست ، فيثير ذلك غضبه ، ويتحدى فاوست ويسقط قتيلا في المبارزة ، ويموت بين ذراعي شقيقته ، ويعرف فاوست بعد ذلك ان مرغريت في السجن لانها قتلت طفلها منه ، ويوجه اللوم الشديد لمستوفوليز ، ولكنه يواجهه قائلا « من الذي حطم حياتها وأفسد عليها أمرها ؟ » ويحز ذلك في نفس فاوست وينال منه ، وينوي ان لا يتركها في هذه الاساة ، ويأمر مفستوفوليز بأن يحمله الى المدينة التي سجنت بها ، ولكن صاحبه يذكره بمصرع فالنتين وأن سلامته تقتضي ان لا يذهب الى المدينة ، ولكن فاوست يصمم على ذلك ، ويرافق مفستوفوليز على ثقله ، ويدخل فاوست الى السجن منفردا ، وحينما يفتح الباب يعرف ما سببه من الاسى والحزن لمرغريت وهي لا تعرفه عندما تقدم منها وتخاله الجلاد وتطلب متوسلة منه المهلة حتى الصباح ، ولكنها حينما تسمع صوته تنسى كل شيء ولا تعرف الا وجوده ، ثم تتراكم السحب على عقلها ويسمع منها البائس فاوست ما ابتلاها به حبه لها ، ويحاول ان يقنعها بالهرب معه ولكنها لا تعي مناقشته لها ، وتقترب تباشير الصبح ، ويخبره مفستو فوليز ان بقاءه غير ممكن ، وتموت مرغريت مستسلمة لحكم الله .

وترينا الرواية خطر الانغماس الاناني في طلب المعرفة والاغراق المحض في طلب المتعة ، فالعالم المنفرد في صومعته واللاهي المسرف في طلب المتعة كلاهما هدف لاغواء الشيطان والوقوع في شباكه ومخالبه .

وقد تناول الكثيرون من الكتاب والشعراء اسطورة فاوست من جوانب مختلفة وكلها تقوم على عداوة الشيطان للانسان وعمله على التنكيل به واستدراجه الى الخطيئة



د. سيد كريم

الفراعنة والشيوعية

ان عظمة مصر تتجلى فى تاريخ حضارتها ومدنيتها التى استمرت خمسة الاف عام ، عاشتها امة عظيمة موحدة ثابتة منطلقة تخطو دائما نحو التقدم والارتقاء ..

فالمصرى كان اول من شق طريق الحضارة، وعلى هذا الطريق وضع اول تجاربه الانسانية التى ارست نظم المجتمع، وقواعد الحكم، ومسار الشعور السياسى بمختلف ابعاده بايجابياته وسلبياته . انتصر مرة وتعثر اكثر من مرة .. كان من الطبيعى خلال مسيرته عبر ذلك الطريق الطويل الا تكون هناك تجربة من تجارب الحكم لم يسلك دروبها او مبدا من المبادىء السياسية لم يخض اغوارها او نظام اجتماعى لم يمارس الدوران فى تشكيلاته ...

وعلى هذا الطريق سارت عدة شعوب مقتفية آثار اقدامه، ومنه اخذت الكثير من مقومات الحضارة التى يعيشها العالم الان ، والتى اثبتت الا جديد تحت الشمس ..

الفراعنة والشيوعية

● الفراعنة والشيوعية ●

قامت الثورة الشيوعية الاولى فى التاريخ فى مصر القديمة عام ٢٢٨٠ ق٠م فى أعقاب الاسرة السادسة واطلق عليها الفراعنة اسم « ثورة الرعاع » ، فقد انتهز زعماء

الشيوعية فرصة انشغال الجيش فى الدفاع عن حدود البلاد واخذوا يعملون على تنظيم صفوفهم وبث دعوتهم وجمع السلطة فى ايديهم ٠

وقد ساعدهم على ذلك ان الملك ببى الثانى عاش قرنا كاملا وحكم البلاد ٩٤ سنة ، فكانت شيخوخته

الطويلة حافزا لهم على التمادى والتمهيد للثورة ، فعندما تولى ابنه الحكم خلعه الثوار فى السنة الاولى من اعتلائه العرش ، واختلف المؤرخون فى مصيره ٠

بدأت الثورة بمجموعة من المنشورات والشعارات كانت الاولى من نوعها فى العالم القديم ، نص احدها المنقوش على احدى اوريحات

الاوستراكا : « الارض لمن زرعها .. والحبوب لمن احترفها ... ليس للسماء وصاية على الارض » !

نادى الثوار بانه ليس هناك سيد ومسود ، وليس هناك رئيس ومرءوس ، الجميع سواء والجميع احرار ... ليست هناك محاكم او سجون لان القوانين والاحكام ضد الحرية ، وليس هناك تشاريع تلزم الناس بالسماء لان الاله لا وجود له ...

وبدأت الثورة بهجوم الرعاع على مخازن الحكومة فقتلوا حراسها واستولوا على ما كان بها ونهبوا الاسواق والتجار واستولوا على محتوياتها ، واعتدوا على السكان وطردوا الموظفين من دواوين الحكومة

استولى الفلاحون على محاصيل الاراضى وثمار البساتين واستولى قطاع الطرق على المواشى الموجودة بالقرى ٠

فتحت ابواب السجون ليخرج اللصوص والمجرمون للاشتراك فى الثورة ، واغلقت المحاكم بعد

ما طاردوا القضاة ، واغلقت المعابد وشنت الكهنة ، واغلقت المعاهد وبيوت الحياة ، واعتقل العلماء والمثقفون ، وسارت البلاد بخطوات

واسعة نحو التفكك والانحلال وتسلل البدو والليبيون الى بلاد الدلتا لينشروا الخوف والذعر بين الناس ، اما مناطق الصعيد فقد انقسمت الى ولايات استقلت عن بعضها البعض ، وتحولت الى نوع من الاقطاع الشيوعى ، وحاول كل حاكم أن يستقل بالسلطة وينادى بنفسه أميرا او ملكا ، وحاول كل منهم الانقضاض على الاقاليم والولايات المجاورة ليضمها الى ملكه ، فسادت الفوضى ٠

وقد نجح الحكيم ايبوور فى وصف الثورة واحداثها فى بردية التى تعتبر من ادق سجلات تاريخ الثورة الشيوعية الاولى التى عاصر احداثها وتطوراتها ٠

وقد وصف مانيتون الثورة بأن مصر حكمها سبعون حاكما لسبعين يوما واطلق عليهم فى قوائمه بالاسرة السابعة ، وهو ما فسره بعض المصادر بأن مجلس الثورة كان مكونا من سبعين عضوا اتفقوا على ان ينفرد بالحكم كل واحد منهم لمدة يوم على التوالى ، وقد وصفهم الكاهن نفرايهو بقوله « ذهب ملك عادل ليحل محله سبعون حاكم يملأ الشر قلوبهم » .

ووصفهم ايبيور الحكيم بقوله : « لقد اصبح يجلس على كرسى العرش سبعون فرعون بدلا من فرعون واحد .. وكانوا دائما على خلاف فيمن يعلو صوته على الاخرين » كما ذكر بعض المؤرخين ان مدة حكم الاسرة السابعة قد استمر سبع سنوات حلت محلها الاسرة الثامنة التى قامت خلال حكمها الثورة الشيوعية الثانية ، وذكر مانيتون ان ملوكها كان عددهم ٢٧ ملكا من ملوك منف استمرت مدة حكمهم ١٤٦ سنة .. وقد اختلفت اسمائهم وعددهم ومدة حكمهم فى مختلف البرديات وقوائم الملوك ، فذكرت بردية تورين انهم كانوا سبعة ملوك حكم كل منهم سنة واحدة ، بينما ذكرت قائمة ابيدوس انهم كانوا ١٧ ملكا ، وقد تعمد مؤرخو الفراعنة الذين وضعوا قوائم للملوك وبرديات التاريخ الزمنى لحضارة الفراعنة ـ تعمدوا اسقاط اسماء ملوك تلك الاسرات وعددهم وتاريخهم الزمنى لعدم شرعيتهم لانهم كانوا من اعداء الاله ، ولما سارت الية البلاد وحضارتها العريقة بخطوات واسعة نحو التفكك والانحلال ولم يظهر من بين ملوك الاسرة الثامنة باكملها سوى اسم « ابيى » الذى اراد التشبه بملوك الفراعنة فبنى لنفسه هرما ، ثم اسم نفركارحور فى احد مقابر منف . كذلك اسم مرايب او خيتى مؤسس الاسرة التاسعة وهو من امراء اهناسيا ، واطلق عليه لقب الدكتاتور الدموى ، وقد اصيب بالجنون فى اخر ايامه ، وقيل ان احد اتباعه القاه للتماسيح . وبظهور الاسرة العاشرة كما ذكر مانيتون بدأت مرحلة جديدة من مراحل ثورة التصحيح التى حاول فيها الحكام التقرب من الشعب وازالة الكثير من اثار الشيوعية بالسماح باقامة الشعائر الدينية المحدودة ، ومحاولة اعادة الامن للبلاد ، وفتح المحاكم ، ولكن البلاد تعرضت لسوء حظهم الى موجة جديدة من موجات القحط والمجاعة حين توقف فيضان النيل لمدة ٧ سنوات للمرة الثالثة التى كان اولها مع بدء الثورة الاولى ، وكان التدهور الاقتصادى سببا فى انطلاق الاقاليم على سلطة الحكام وظهور نوع جديد من الاقطاع الشيوعى والحروب الاهلية بين مختلف الاقاليم مما مهد لقيام امراء طيبة بحملة تطهير البلاد من بقايا الشيوعية بظهور الاسرة الحادية عشرة .

● يعتبر عصر تلك الثورة الشيوعية بمختلف مراحلها وتوالى اسراتها ، من الالغاز التاريخية التى اكتنفها الغموض واكتفى المؤرخون القدماء بتسميتها بعصر الاضمحلال او الظلام الحضارى .

وقد عزى « برستد » تلك الفجوة فى « الضمير السياسى لحضارة الفراعنة » الى عدة عوامل من بينها ما سبق ذكره من اسقاط اسماء الملوك والحكام وذكر عددهم الحقيقى او التاريخ الزمنى لحكمهم

من قوائم الملوك وبردياتهم ، لعدم الاعتراف بشرعية حكمهم أو وجودهم السياسي والديني ، وعدم اعتراف ملوك الفراعنة والكهنة المؤرخين بهم أو بالعائلات التي ينتسبون اليها .

هذا بجانب عامل اساسي هام وهو تزييف التاريخ الذي وصموا به في بداية حكمهم واستيلائهم على السلطة وهو الاعتداء على المقدسات والمتون السرية ووثائق اسرار المعرفة التي

كانت تحتفظ بها المخازن السرية بالمعابد والاهرام وبيوت الحياة ودور العدالة وقيامهم باتلافها واحراقها ، والتي تعتبر اكبر جناية ارتكبت في حق الحضارة وتاريخها وتراثها ، ذلك بالاضافة الى ما قاموا به من تزوير تراث ما خلفه من سبقهم

من ملوك الاسرة السادسة من امجاد عمرانية وفنية حاولوا نسبتها الى انفسهم بازالة اسماء مؤسسيها ووضع اسمائهم عليها . لم يكتفوا بالاستيلاء على القصور وتحفها ونقائشها ومباني الحياة وروائعها

المعمارية واطلاق اسمائهم عليها بل امتدت الى المقابر نفسها ليعتدوا على حرماتها ويلقوا ما بها من موميات في الخلاء ليحتلوها لانفسهم بعد كتبوا اسماءهم على ابوابها وتركوا تاريخ اعمال من سبقوهم المسجل على جدران المقبرة ليضاف الى اعمالهم

ودارت مسيرة الثورة ليتخذ الخلف من الحكام قدوة من السلف يسير بمقتضاها ـ فتبادلوا القصور .. وتبادلوا القبور .. وتبادلوا التاريخ . وهكذا دارت عجلة التاريخ في حلقات مفرغة ، فكان امينا في وصف عصرهم بالاضمحلال والعقم الحضاري ونسب اليهم تزييف التاريخ الذين اغفل اعمالهم بعدما اسقطوا اسماءهم من قوائمه بايديهم .

وقد فسر المؤرخ موللر اختفاء موميات حكام اسرات ذلك العهد الى النهايات الغامضة التي واجهها كثير منهم في صراعهم على السلطة .. كما ان محاربة الشيوعية للاديان والعقيدة وعدم الاعتراف بالخلود

والعالم الاخر ومنعهم التحنيط لارتباطه بعقيدة الخلود الدينية مما كان سببا في سرعة تحلل جثثهم التي لم تحنط وزوال معالمها خاصة بعدما كانت تخرج من مقابرها ليحتلها خلفاؤهم وعندما اصبحت مقابرهم مشاعا يمتلكها كل منهم في حياته ليغتصبها غيره بعد وفاته .

● برديات تاريخ الثورة ●

رغم ما اكتنف عصر الثورات الشيوعية في مصر القديمة من غموض وما صادفه المؤرخون ورجال الاثار في مختلف العصور من عقبات في تسجيل تاريخ ذلك العهد ، فقد

وصلتنا اكثر من بردية وصفت احداث الثورة في مختلف مراحلها ، وجدت معظمها في مقابر كهنة طيبة واهناسيا وهما المنطقتان اللتان قاومتا الشيوعية ولم تتمكن من السيطرة عليهما وهي المناطق التي هرب اليها رجال الدين والحكماء واهل المعرفة

الفراعنة والشيوعية



بعد اغلاق معابدهم ومعاهدهم ، وقد وجد ضمن البرديات التى كشفتهـا حفريات طيبة اكثر من بردية سجلوا

فيها تاريخ الثورة التى عـاصر كل منهم مرحلة من مراحلها ووصـف احداثها ووقائعها ٠

من اهم البرديات التى وصلتنـا كاملة وسليمة برديات الحكيم ايبيور

الذى كان مستشارا للملك بيبى الثانى اخر ملوك الاسرة السادسة الذىقامت

فى عهده الثـورة والتى عاصرها ايبيور وسجل احداثها وتطوراتهـا

فى اربـع عشرة بردية يحتفظ بها متحف ليدن فى هولندا ، وقام اكثر من عالم وباحث من علماء الاثريات

بترجمتها وتحليلها تحليلا ، والتى امكن منها تحديد معالم الشيوعيـة كاول تجربة من نوعهـا فى تاريخ الحكم فى مصر القديمة وانتقلت منها الى العالم الحديث ٠

ومن البرديات التى وصفت الثورة او بعض مراحلها التى وجدت متفرقة فى بعض مقابر طيبة واهناسـيا برديات الكاهن نفرايهو الذى ختـم بردياته فى وصف الثـورة بنبوءة ظهـور قائد منقذ من ابناء الصعيد سيحـرر البلاد ويعيد لها مجدها

ويدعو الىعبادة الاله اسمه«امنحت» وهى النبوءة التى تحققت بظهـور القائد سحبت اب رع من ابناء طيبه ويذكر بعض المؤرخين انه اطلق على نفسه اسم « امنحمت » الاول تيمنـا بنبوءة نفرايهو ٠

ومن بين برديات الثـورة التى القت ضوءا على اكثر من جانب من جوانب عصر الاضمحـلال وتاريخ الثـورة برديات كل من الكاتب خع خبرورع سنب والكاهن الحكيم سنب حـوتب وخيتى بن دو اوف ٠ كما

تحتفظ بعض المتاحف بمقاطعومقتطفات من برديات الثـورة ومعظمها لا يختلف كثيرا عمـا ورد فى برديات الحكيم ايبيور ٠

اذا استعرضنا تجربة الثـورة الشيوعية ومراحل تطورها لتحـديد معالمها وما تبلور عنها من مبادىء مما امكن اسـتخلاصه من برديات تاريخها العاصر ، نجـد انها بدأت بالشعارات والمنشـورات التى كانت

الفراعنة والشيوعية

الشرارة الاولى لما ظهر فى التاريخ الحديث من ثورات مماثلة . نادت اول الشعارات بتأميم الملكيات وتوزيع الثروات الخاصة والعامة

وجعلها مشاعا للجميع وكل ما يملكه الاغنياء يوزع على الفقراء حتى يصبح الجميع اغنياء ولا يكون هناك فقراء . لقد فتح تطبيق تلك التجربة

المجال امام الصراع بين القدرة والقوة والذى انتصرت فيه القوة على الاغتصاب ، على القدرة على الانتاج والتى وصفها الحكيم ايبيور بقوله :

« توقفت يد العامل والصانع وتحركت يد قاطع الطريق .

نفد ما كان بالمخازن بعد توزيعه على الناس .

توقف الانتاج واغلقت الاسواق والمخازن خاوية

استيقظ الناس من تخمة الامس ليجدوا بطونهم خاوية .

لا يجدون غذاء اليوم ، والغد ... تساوى الجميع فى الجوع .. وعاد الجميع للفقر » .

ان الفوضى التى عمت المدن وتسببت فى انهيارها الاقتصادى انعكست على القرى نفسها . نادت الثورة بأن الارض لمن زرعها وقامت بتوزيعها

على الفلاحين الذين كانوا يعملون بها . ولكن الفلاحين فشلوا الاستيلاء على المحاصيل والمواشى والدواجن وجميع ثروات القرية التى اقتسموها فيما

بينهم كل حسب قوته وسطوته ، ورفضوا استلام الاراضى عندما علموا انهم سيقومون بالعمل فيها وزراعتها كما كانوا فى الماضى ، لان الملكية فى نظرهم هى ان يعمل غيرهم لحسابهم

كما كانوا يعملون بالامس لحساب المالك فتركوا الاراضى بعدما سلبوا خيراتها وهاجروا الى المدن بحثا عن الرزق السهل والوفير . لما سمعوا

من ان المدن وخيراتها ونفائسها اصبحت ملكا مشاعا لسكانها ، واضطرت السلطات الى جمع الفلاحين والعمال الزراعيين وتشغيلهم بالسخرة والتهديد بالسلاح ...

ولم تستمر تلك التجربة طويلا حيث لازمها سوء الحظ عندما توقف فيضان النيل سبع سنوات تفشى فيها القحط وعمت المجاعة التى وصفها المؤرخ رع حتب بان القرى قد تحولت الى مقابر

بعدما هجرها سكانها ، وان الجثث ملات المزارع الجافة ولم تجد من يدفنها وتركت للذئاب والضباع التى زحفت عليها من الصحارى ، وان الناس كانوا يعبرون النيل مشيا على الاقدام ، كما تعرض الاصلاح الزراعى لمجموعة من التجارب خلال

الاسرتين التاسعة والعاشرة جمعت بين انظمة المزارع التعاونية والمزارع الجماعية والتى انتهت باستقلال حكام المقاطعات بادارتها لحسابهم الخاص وعودة نظام الاقطاع الزراعى .

● الثورة والاديان ●

فى مقدمة تعاليم الثورة الشيوعية الاولى الثورة على الدين واغلاق

المعابد ، ومنع الشعائر الدينية وحرق المقدسات وتشريد الكهنة .. وقد

وصفها الحكيم ايبيور بقوله :

وانهم لم يحترقوا بالاله ـ كانوا يتانون بان الاله قد مات . فاغلقوا المعابد وحرقوا التشاريع والقسمات .

وفى بردية اخرى من برديات طيبة يصفها بقوله :

« ان من نادوا بموت الاله فى السماء وحرقوا تعاليمه المقدسة وحطموا تماثيله ، اصبحوا يرتدون زى الكهنة ويمثلون الهة الشر التى تعيش بينهم فى الارض . فرضوا على الشعب ان يقدم لهم القرابين التى كان يقدمها للالهه واطلقوا البخور فى قصورهم بدلا من اطلاقها فى المعابد للاله ـ فهم الذين يمنحون ويمنعون لا اله السماء » . .

وتروى احدى برديات اساطير طيبة ان احد ملوك الاسرة السابعة نادى بان الاله قد مات ومات من كانوا معه فى السماء من رسله وجنوده . وانه يتحدى الاله ان كان موجودا ان ينزل اليه فى الارض ليثبت له وجوده ويريه قوته . وتكمل الاسطورة القصة بان الملك كان يتنزه ليلا فى حديقة قصره المطل على النيل يحيط به اعوانه وحراسه فاذا بتمساح ضخم يخرج من بين اعشاب البردى ويسحبه وهو يصرخ ليختفى به فى قاع النهر ..

وقد شلت المفاجأة حركة اعوانه وحراسه الاشداء ..

ويلجأ اعوان الحاكم الى استدعاء الكاهن الاكبر من السجن ويطلبون منه اظهار قوته وبركاته فى انقاذ الحاكم او البحث عن جثته .. وهنا يدور حوار ذكى فى الاسطورة بين الكاهن ورجال الحاكم الغريق يقول لهم الكاهن ـ ان ما نقوم به من دعاء وطقوس وتراتيل وما نقدمه من قرابين والنور هو وسيلة التقرب والاتصال بالاله ومخاطبته لنستمد منه القوة فى اعمالنا وفى وجودنا .

قلتم للناس ان الاله قد مات فى السماء ، وحرمتم الايمان به فكيف نلجأ وندعو من لا وجود له ؟ .. وان كان ما زال موجودا فكن يستمع الى من ينكر وجوده ! .

وان كنتم لا تؤمنون بالخلود والعالم الاخر الذى تصعد اليه الارواح وتقولون ان الروح تفنى مع الجسد فى الارض ـ فروح الحاكم ستفنى مع جسده كما قال ، وستبقى فى قاع النهر او جوف الارض ، ولن تذهب الى عالم الخلود وجوار اوزوريس اله السماء الذى تنكرتم له .. فالحاكم هو رب اله السماء الذى تحداه طالبا منه ان يثبت وجوده وقوته » .

وقد حاول بعض المؤرخين ربط تلك الاسطورة بتاريخ الملك خيتى مؤسس الاسرة التاسعة الذى وصفه التاريخ بانه كان دكتاتورا دمويا اصيب بالجنون فى اخر حياته ومات موتة غامضة وقيل ان احد اتباعه القاه للتماسيح .

لقد حاربت تلك الثورة الدين والعقائد باغلاق المعابد وحرق المقدسات وتعاليم الدين واغلقت معاهد العلم (بيوت الحياة) الملحقة بالمعابد . فهاجر كهنة منف وكثير من اهلها الى الجزيرة العربية وهم الذين اطلق عليهم اسم جرهم (وهى كلمة مصرية قديمة معناها مهاجرين مصر) وهاجر منف وهم

الذين بنوا الكعبة ونقلوا اليها تماثيل منف الثلاث (اللات والعزة ومناة) وهي اليه وأيزيت ومني الهة الخير والخصب والتناسل . وكانت الكعبة صورة من معابدهم الجنائزية التى تتمثل في هرم ميدوم ..

كما لجا البعض الاخر الى مدينة طيبة وهى المدينة الوحيدة التى قاومت الشيوعية بفضل موقعها الحصين وحافظت على العقيدة، ومنها خرجت القوى التى حررت البلاد من الشيوعية وعهد الاضمحلال بعدما استمر ما يقرب من ١٥٠ سنة .

يصف احد كهنة طيبة الثورة على الدين فى احدى برديانه التى ترجع الى الاسرة الثامنة بقوله :

« خيم الظلام على بيوت الاله ، وتوقفت الصلوات والتراتيل ،

تنكر الناس للاله وتركوا عبادته

عبدوا حكامهم ، وعبد الحكام انفسهم ..

حل الظلم شريعة شياطين الشر .

محل ماعت شريعة الهة الخير والعدالة

فحلت الشاريع خرجت من وحل الارض

محل تشاريع نزلت من نور السماء فشلوا فى حكم الشعب

لانهم فشلوا فى حكم انفسهم

جعل لهم الاله عدوا من انفسهم ومن عبيدهم » .

● الثورة على العدالة ومذبحة القضاة ●

كان فى مقدمة تعاليم تلك الثورة الشيوعية التى نسبتها شعاراتها الى

تحرير الشعب ، القضاء على العدالة واغلاق المحاكم والسجون ، مع تشريد

القضاة واعتقالهم والافراج عمن فى السجون وتحريرهم ، حتى يمكن اطلاق

يد الثورة فى التخلص من اعدائها ومعارضيها بغير محاكمة ، وهى التى

وصفها الحكيم رع سنب بقوله : « لا مكان » لشريعة السماء وأحكامها مع شريعة الارض وظلمها »

كما ان عدم اعتراف الشيوعية بالاله والدين قد اعتبر ان « القضاة يحكمون بشريعة اله لا وجود له ، اله

انتهى وجوده بانتهاء خلق الكون ، لذا فاحكام الشريعة تعتبر باطلة وانها وضعت لخدمة الخالق ، وان عدالة السماء تتعارض مع عدالة الارض » .

ولما كان القضاة ينتمون الى طبقة العلماء والمثقفين من الكهنة المبجلين، وكانت لهم مكانة مقدسة فى نظر الشعب فقد وصفهم رجال الثورة بانهم من الطبقات المميزة التى حللت نمازهم وثرواتهم وحرموا من حقوقهم المدنية .

وقد ورد وصف الثورة على العدالة فى جميع برديات الثورة ومختلف مراحلها فوصفها الحكيم ايبيور بقوله :

« ان ماعت (رمز الصدق والحق والعدالة) تركت سماء البلاد التى كانت ترفرف عليها باجنحتها .

ان قضاة البلاد طردوا من حول

الارض ، طردوا من بيوت العدالة ، وثائق الحكم قد سلبت واصبح المكان السرى مكشوفا · طرحت سجلات المحاكم وتشاريع القضاء ارضا ، وصار الناس يطأونها بالاقدام فى الساحات العامة ـ اغلقت المحاكم والعدالة قد نبذت ليحل محلها الظلم

وفى برديات سنب حوتب وصف مماثل اذ يقول :

كره الحكام القوانين ، أصبح كل لسان يحكم وكل لسان يتكلم تحولت الكلمات الى السنة من نار فى قلب الانسان · نار تحرق كل شىء ·

تحرق الحق والعدالة ـ صاح سادة الرعاع لتسقط العدالة ولا مكان لماعت ·· خرج المجرمون واللصوص ليجلسوا على منصة القضاء المقدسة ·

وفتحت ابواب السجون ليدخلها القضاة الابرياء ·

من كانوا يجلسون على الارض فى ظلمات السجون · جلسوا على المنصات العالية ·

ومن كان يجلس عاليا فى النور ، انتقل الى ظلام السجون ·

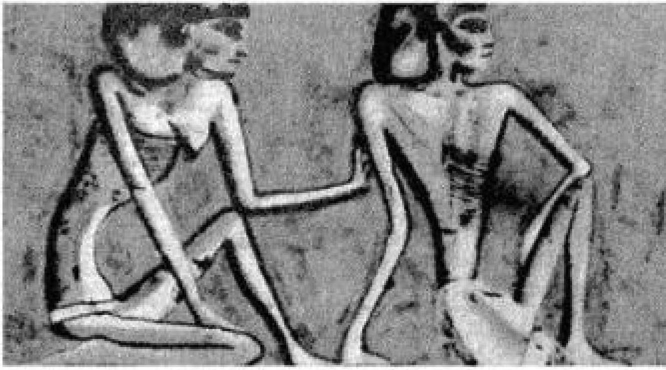
نبذوا العدالة قربانا للشياطين الشر فاشتعلت نيران الظلم لتلتهم كل شىء » ·

اهل الثقة واهل المعرفة

فى مقدمة الاعمال التى ارتبطت بمبادىء الثورة الشيوعية محاربة المثقفين من اهل العلم والمعرفة ، لا فى الادارات الحكومية فحسب بل فى مختلف نواحى الحياة العامة ، وقد فسر مؤرخو ذلك العصر الثورة على المثقفين على أنها نوع من الصراع الطبقى لان اهل المعرفة من علماء واطباء وادباء وحكماء وفنانين وخبراء كانوا يعتبرون فى مصر القديمة من الطبقات المميزة التى لها مكانتها واحترامها فى المجتمع وعند الشعب ، وكانت تصل فى بعض الاحيان الى درجة التقديس ··· كما كان معظمهم ينتمى الى طبقة الكهنة المبجلين نظرا لانتسابهم وانتماء معاهدهم الى « بيوت الحياة » او المعاهد العلمية التى تعتبر جزءا من المعبد وتدار تحت اشرافه ·

كما خشى رجال الثورة من امكان سيطرة المثقفين على الشعب مما يهدد كيان الثورة ومبادئها· بدأت الحملة على المثقفين كما وصفها المؤرخون المعاصرون للثورة بطرد الموظفين من اهل الخبرة من المكاتب الحكومية ليحل محلهم اهل الثقة من الرعاع وامتدت الحملة الى جميع اهل المعرفة من حكماء واطباء وقضاة وفنانين وادباء ، حتى فنانى الشعب فى مختلف فنون الحياة ، كما استمرت الحملة لتشمل خبراء الحرفيين وفنانيهم الذين نهبت مصانعهم وحرموا من مزاولة مهنهم مما كان له الاثر الباشر فى هجرة الكثير من اهل العلم والمعرفة والفنانين والصناع الهرة الى خارج حدود مصر ، مما لعب دورا معروفا فى انتقال الكثير من جذور المعرفة واسرارها فى مختلف العلوم والفنون الى البلاد الاخرى التى انتقلت اليها شعلة الحضارة المصرية بعدما خبت فى أرض مصر ·

كان دور الشيوعية فى زوال العلم والمعرفة والتخلص من



الفراعنة والشيوعية

اصحابها هو التفسير المباشر للصحبة عهدها بعهد الاضمحلال الذى انهارت فيه الحضارة ولم تترك اى تراث حضارى او اثر فنى على صفحات تاريخها سواء فى العمارة او النحت والتصوير بل اندثرت عظمة مصر فى علوم الطب والفلك والطبيعيات والرياضيات بعدما كانت قد وصلت الى قمة ازدهارها فى الدولة القديمة التى انتهت بعصر الاهرام . واضطرت مصر بعد تحررها ان تبدأ من الحضيض لتبنى حضارة الدولة الوسطى وتستعيد امجادها .

● قصور الشعب وقصور الثقافة ●

كان فى مقدمة المبادىء التى نادت بها ثورة الرعاع وأطلقتها ضمن شعاراتها شيوعية الاسكان . . صبح قصور الاثرياء ، ومساكن الطبقات المميزة ومحتوياتها ملكا لرجل الشارع . وخرج سكانها ليسكنوا الخرائب والطرقات . والقصور الاقطاعيين فى القرى يسكنها الفلاحون ويسكن اصحاب القصور فى حظائر مساكن الفلاحين .

ولما كان بكل قرية او اقطاعية قصر واحد بجواره مائتا بيت للفلاحين ، فقد قام فيها ما سمى بثورات القرى عندما نشب النزاع والصراع بين الفلاحين حول طريقة توزيع الاراضى والمحاصيل والمواشى او مكاسب الثورة فيما بينهم ومن له الحق فى سكنى القصر واستبدال بيته به كما وعدوه .

وحلت الثورة مشكلة القصور وتمليك الاراضى بأن عينت فى كل قرية حاكما يمثل الثورة يسكن فى

القصر كممثل للشعب ، واعتبرت الارض مشاعا يشترك كل الفلاحين في زراعتها على ان تسلم محاصيلها ومنتجاتها الى حاكم القرية ليعطي كل فلاح حصته تبعا لعمله ويرسل الباقي الى مخازن الدولة لتموين سكان المدن .

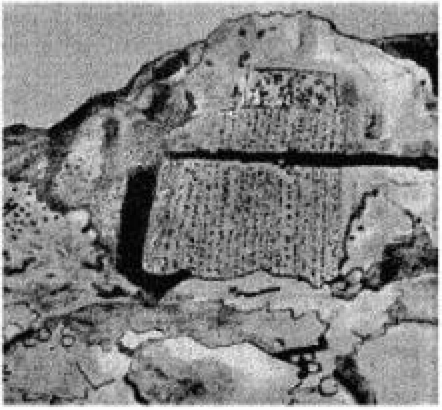
كان من سوء حظ الثورة ان اصيبت البلاد بقحط حيث توقف فيضان النيل سبع سنوات فهرب الفلاحون من المزارع بعدما انتشرت المجاعة ... فقامت الثورة الشيوعية الثانية ، التي هاجم فيها الفلاحون حكام القرى والاقاليم الذين اطلقوا عليهم اسم اقطاعي الرعاع ، واطلق على تلك الثورة اسم الثورة الدموية حيث قتل الفلاحون والثوار سكان القصور الجدد ونهبوا ثرواتهم التي ادعوا انهم اغتصبوها من عرقهم ومن الشعب .

وقام قادة الثورة الجديدة او ثورة التصحيح بتنفيذ المبادىء والشعارات التي نادت بها الثورة الاولى ولم تلتزم بها فحولوا قصور الاقطاعيين الى قصور للشعب بان يصبح القصر ملكا لسكان القرية باجمعهم ويقوم بخدمتهم ، فحولوا القصر الى دار لاجتماعات اهل القرية وناد للترفيه عنهم ومدرسة لثقافتهم ومستوصف لعلاجهم ومنتدى للاحتفال بافراحهم واعيادهم ، واطلقوا عليه اسم قصر الشعب ...

لم يذكر التاريخ مدى نجاح تجربة قصور الشعب التي لم تستمر طويلا خاصة عندما رفض الفلاحون امتلاك الاراضي للعمل فيها وتسليم محاصيلها الى الحكومة فهربوا من المزارع وهاجروا من قراهم وذهبوا سعيا وراء الرزق في المدن مما اضطر الحكام الى الغاء الملكية الزراعية وتسخير الفلاحين والعمال الزراعيين في اصلاح الاراضي بعدما بار اكثرها ودمرها الجفاف والقحط .

● ان تلك التجارب هي التي وضعت المبادىء التي سارت على ضوئها الحركات الشيوعية في العصر الحديث ، والتي اكدت قول الكاتب المؤرخ اميل لودفيج في استعراضه للتجارب الانسانية في حضارة مصر الفرعونية وهو : « لا جديد تحت الشمس » ...

كما عبر عنها برنارد شو بقوله : « التاريخ يعيد نفسه .. ويكرر اخطاءه ، لضعف ذاكرة الشعوب » .





الفراعنة والشيوعية

● برديات الكاهن نفرايهو ●

عثر عليها البروفيسور جولنشف وهي محفوظة في متحف لينتجراد - كان نفرايهو كما ورد تضمن القلب الكاهن المرتل لمعبد هليوبوليس وصاحب النبوءات الصادقة والتي تنبأ فيها بنهاية الشيوعية وظهور « المنقذ » امنمحتب الذي سحرر البلاد ويفتح المعابد ويعيد الايمان الى قلب مصر.

وهي النبوءة التي تحققت فعلا واطلق الكهنة على المنقذ اسم امنمحت الاول مؤسس الاسرة الحادية عشرة عام ٢١٣٤ ق ٠ م٠

وترجع برديات نفرايهو الى عام ٢١٣٩ في اواخر الاسرة العاشرة كما ينسبها بعض المؤرخين الى نهاية الاسرة التاسعة ، ومن برديات في وصف الثورة - وهي الثورة الشيوعية الثانية ، البردية الثالثة ونصها :

« انتبه يا قلبي ٠٠ واذرف الدمع على هذه البلاد في كل تبغشتاك لقد اصبحت البلاد خرابا ٠٠ لا احد يهتم بها وكانها لا تهم احدا ٠٠ الا انهم اهلها وأبناءها - ليس هناك من يتحدث عنها او يذرف الدمع السخين على ما وصلت اليه ، وما اصبح فيه اهلها كيف اضحت هذه البلاد ٠٠ وكيف امست ؟

ان الشمس قد غربت ولم تعد تشرق ليرى الناس ما حل بها سوف

اريك هذه البلاد ذليلة يائسة وحزينة ان ما لم يكن ليحدث ابدا - قد حدث

سوف اريك الابن وقد اصبح عدوا ، والاخ وقد اصبح خصما والابن يقتل اباه .. اصبحت الوجوه غريبه عن بعضها البعض اين الوجوه التى كان يعلوها البشر والطمانينة والرضا تعيش فى ظل عدالة الاله التى تجدد علاقتها ببعضها البعض ، اين اختفت لتحل محلها ذئاب جائعة وضباع عطشى للدماء ، لقد اختفى حاكم عادل يحمل رسالة السماء الى اهل الارض ليحل محله سبعون حاكما يملا الشر قلوبهم .

انتبه يا قلبى ... لقد حلت اللعنة ... وولى كل ما هو طيب لقد جف نهر النيل .. حتى ليستطيع المرء ان يعبره ماشيا، وجفت الارض وتحولت الى شقوق وجحور وهجرها زارعوها .. تحولت اعياد الحصاد، الى ماتم ...

لم تعد المراكب تسير فى النهر تستقبل النسيم باشرعتها وتحمل الخيرات من الشمال والجنوب .

ان المخازن والاسواق قد اصبحت مهجورة وخاوية لا يجد الناس ما يشترونه منها ولا يملكون ما ينقلوه اليها

سوف اريك هذه البلاد وكيف اصبحت وقد خضعت للشقاء .. ان ارض يتاح المقدسة قد دنستها اقدام اعدائها من اهلها ومن الغزاة والمتسللين الذين وطئت اقدامهم ارضها .

لقد ظهر الاعداء فى مصر ممن اتوا لحماية الحكام او تسللوا لضعف الحكام .

لقد تسلل الليبيون فنهبوا القرى والبلاد غرب النهر ونهب البدو الاسيويون مناجم الذهب والمعادن والاحجار وخيرات سيناء .

لقد اصبحت الافواه ملاى بعبارات الاستجداء

كل الاعمال الطيبة قد ولت وكل الاشياء الطيبة قد اختفت ، الارض يعمها الخراب واملاك المرء تنزع منه وتعطى للغريب .. سوف اريك المالك يعانى الحاجة والغريب وقد استولى على ماله . اصبح المصرى غريبا فى بلده

ان حدود البلاد تضاءلت والارض تضاءلت والاملاك تضاءلت والحكام تضاءلوا ...

القمح اصبح نادرا ، ولكن المكيال كبير وجامع الضرائب يصر على ان يجعله طافيا

محاصيل البلاد ان وجدت لا تذهب الى مخازن الشعب بل الى اعداء البلاد من اهلها وممن نزحوا اليها ليسلبوا خيراتها .. سوف اريك ارض مصر وهى ترسف فى الاغلال العبودية وبيوت الالهة فى هليوبوليس وقد اغلقت ولم تعد مستقرا للالهة . لقد خرج الايمان بالالهة من قلوب الناس وخرجت معها تعاليم الالهة وعدالة السماء لتحل محلها تعاليم الشر وظلم الارض التى فرضها الحكام الذين نصبوا انفسهم الهة للشعب .

لقد رحلت ماعت الهه العدالة والحق ، فتبعها الهه الخير والخصب والنعم والرزق ... جنود الاله ورسله فى الارض

الفراعنة والشيوعية

فسيطر الشر ، وانتشر الظلام ، وعم الظلم ، وجف النهر

● برديات الحكيم ابيبور ●
٢٢٩٠ ق ٠ م (١٤ بردية ـ متحف ليدن ـ هولندا)

● حقا انه لكذلك !

لقد غضبت السماء وحلت اللعنة • غربت الشمس فانتشر الظلام وارتفعت السنة اللهب لتحرق كل شيء• سيحدث شيء كما لم يحدث فى اى زمن او فى اى عهد من العهود الماضية •

ان لهب النيران يرتفع ويعلو ليحرق كل شيء على ارض مصر ، انظروا لقد تجاسر الثائرون من الرعاع فحرموا البلاد من عرشها المقدس ، واصبح الناس يظهرون العداء للملك الذى جعل الارضين فى سلام • وكانت رعايته تشمل كل من يعيش فوق ارض مصر وتحت سمائها المقدسة •

لقد نصبوا العداء للصقر المقدس الذى يحمى تاج مصر بقوة من الاله رع رب السماء

ان الحية المقدسة قد اخرجت من جحرها •• واسرار العرش فى دلتا مصر وصعيدها قد فقدت قدسيتها ودستور الحكم المستمد من السماء قد فقد قوته•

انظروا : ان قصر الحكم قد اسقط فى ساعة وقد وطأت الاقدام العرش والمقدسات والحرمات

انظروا : لقد غادر فرعون البلاد ، وتركها ليحكمها الرعاع • ومن كان يدفن كالنسر المقدس وضعت جثته فى الحفرة

انظروا : ان عصابة قليلة من الرعاع •• سلبت البلاد ملكيتها والعرش قدسيته والبلاد امنها وحريتها

● حقا انه لكذلك •

لقد غضبت السماء • وحلت اللعنة• وغربت الشمس فارتفعت السنة اللهب لتحرق كل شيء

لقد امتلأ الارض بالعصابات كالذئاب الجائعة حتى ليذهب الرجل الى حرث حقله حاملا درعه • وحامل القوس يسير به مشدودا ، فالمجرمون فى كل مكان

لقد تغيرت الوجوه وعلاها الشحوب وكساها الخوف وكلها غريبة عن بعضها ••• ليس بينها وجه من وجوه الامس ، خرج الرعاع من الجحور ليحتلوا كل مكان وينهبوا كل شيء•

انظروا الى النهر وقد نضب ماؤه ولا احد يذهب للحرث فالكل يريد ان يستولى على المحاصيل ، لا ان يزرع الارض ، لا اعرف ماذا حدث للبلاد والناس !

● حقا انه لكذلك :

تشتتت العائلات وتوقف العمل واصبحت النساء عاقرات. تخلى الاله انوبيس عن رعاية أهل البلاد بعدما اصبحوا جنوداً فى رعاية عدو الاله .

● حقا انه لكذلك :

اصبح الرعاع يملكون أجمل الاشياء ، من كان يرتق نعليه فيما مضى ، أصبح صاحب ثروة ...

ومن كان بالامس صاحب ثروة ، اصبح يمشى حافى القدمين ! ..

ومن لم يكن فى مقدوره ان يقيم حائطا أصبح يملك فناء مسورا ومن ليس فى مقدوره ان يصنع لنفسه تابوتا اصبح يملك قصرا ، ومن كان يستجدى شربة ماء ، اصبح لا يشرب الا الجعة الفاخرة .

من لم يكن يملك مايقيه الشمس .. اصبح يتمتع بظل وفير

ومن كانوا يملكون الملابس الفاخرة اصبحوا فى خرق بالية لا تستر أجسامهم العارية ..

ومن لم يكن يمتلك ثورا ، اصبح يملك قطعانا

ومن لم يكن يملك حفنة قمح ، اصبح يملك اجرانا ...

ومن كان يبحث لنفسه عن صدقة أصبح يمنح الصدقات

ومن لم يكن له خدم واتباع ، اصبح رب جوار وعبيد

ومن كان سيد قومه اصبح ينفذ اوامر غيره من اسياده الجدد

ومن كان له بيت يأويه ، اصبح فى العراء تحت رحمة العواصف ، اصبح الغنى يمشى الليل وهو ظمآن يبحث عن غذاء لاولاده ...

ومن كانت لا تشاهد وجهها الا فى الماء اصبحت صاحبة مرآة ..

ومن كان يجهل العزف على العود ، أصبح يملك أحسن القيثارات ..

ومن كان لا يغنى له أحد ، أصبح يجد الثناء الجم لدى آلهة الغناء ، ومن يشعون له الاناشيد والدعاء ويعودون بآثره .

● حقا انه لكذلك

لقد عمت المجاعة ... ورفرفت بجناحيها على الارضين

انظروا ... اصبح الناس يأكلون الحشائش ، ويعيشون على الماء حتى الطيور لم تجد ما تأكله من فاكهة واعشاب وحشرات ، اصبح الناس يخطفون القاذورات من أفواه الخنازير .

اصبح الناس يجوبون انحاء البلاد بغير اتجاه كالاسماك فى البركة ، يطاردها الخوف واليأس وعدم الثقة فى اى شخص ، او اى شيء انتشر الوباء فى كل مكان ، وصار الدم يصبغ كل ارض .

● حقا انه لكذلك :

اصبحت الرميات تتكلم دون ان يقترب منها انسان ، لقد نهبت قبور الاموات وسرقت اكفانهم

لقد أصبح منظر الناس كمنظر طير « جم » الاغبر .

خلت البساتين من تغريد الطيور ليحل محلها نعيق البوم والغربان، ولم

يبق معلقا في السماء سوى النسور التي تحوم حول الجثث ، كانت الجثث من الكثرة بحيث تعذر دفنها فكانوا يلقون بها في النهر كالحيوانات الميتة .

وفي الحق لقد دفن الكثير في النهر حتى اصبح قبرا ...

● حقا انه لكذلك :

صار الناس يقدمون على الانتحار بطيب خاطر هربا من الجحيم، واصبحت التماسيح في تخمة من كثرة ما كان الناس يلقون بانفسهم اليها عن طيب خاطر ...

● حقا انه لكذلك :

اصبح اللصوص يختبئون في الخرائب والمخابيء حتى اذا اتى المسافر ليلا انقضوا عليه وسلبوا مايحمل وسرقوا امواله ، ويضرب بالعصا حتى تخمد انفاسه او يذبح ظلما .

ان الرجل ليذبح بجوار اخيه فيتركه وحيدا لينجو بنفسه

● حقا انه لكذلك :

اصبحت الارض تدور كعجلة صانع الفخار فتبدلت اقدار الناس وقيم الحياة .

من كان في اعلى اصبح في اسفل ومن كان في اسفل اصبح في اعلى استبدلت العجلة عاليها بسافلها

● حقا انه لكذلك :

التهمت النيران البوابات والدور والجدران ، تحطمت الاعمدة وتيجانها والتماثيل الجميلة المصنوعة من الديوريت والاليستر والتحف النفيسة والقى بها في ابار المقابر .

انظروا : لقد نهبوا القصور والمنازل وخربوها ، حرم منها الغنى ، ولم يستفد منها الفقير

كسروا خزائن العاج والابنوس وحطموا صناديق الاخشاب الثمينة .. لم يدركوا قيمتها فالقوا باخشابها في الحريق .

اقتلعوا الاشجار من جذورها كاعواد الكتان وتحولت البساتين الجميلة خرائب لا حياة فيها بعد ما ماتت ثمارها باشجارها التي تحملها انظروا لقد تحول مجرى النهر المقدس المبروك من النماء والقاذورات شرب منها الناس بعدما كانوا يشربون من مائه المقدس الذى كان يحمل الخير لهم ولاراضيهم .

● حقا انه لكذلك : لقد اصبحت سفينة الجنوب تتقاذفها دوامة من تيارات الشر ، خربت المدن ، وتحولت مصر العليا الى صحراء قاحلة تعوى فيها ضباع الخراب التي لم تترك شيئا الا اتت عليه ، اعتدت على الاحياء وانتهكت حرمة الاموات .

● حقا انه لكذلك : لقد اصبحت الارض ملأى بالعصابات فالرجل العظيم يغتصب الناس متاعه وما يحتفظ به رب البيت في بيته اصبح للرعاع الحق في مشاركته فيه .

الفراعنة

والشيوعية

لقد اصبحت المخـــازن خاوية وحراسها يلقون على الارض ــ تهب الرعاع ثروات الاغنياء فاصبح الذين يملـــكون لا يملـــكون .. والذين كانوا محرومين من كل شيء اصبحوا يتمتعون باجمل الاشياء ... واندرها حتى ان لم تكن ذات نفع لهم ، فكانوا لا يعرفون قيمتها ولا يمكنهم الانتفاع بهـــا

● حقا انه لكذلك : ان الذين كانوا ينامون على الاسرة اصبحوا يفترشون الارض والذى كان ينام فى الاوساخ اصبح يمتلك سريراً وغطاء

ان الذهب واللازوردى والياقوت والفضة اصبحت تقطع صدور الجوارى بينما تجوب الشريفات والنبيلات ارجاء البلاد متسولات وهن يقلن « ليت عندنا شيئا نأكل » .

ان اولاد البلاط اصبحوا يتجولـون فى خرق بالية كالمشردين لا تكاد تستر اجسامهم ، واولاد الحكام يلقون فى الطرقات .

ان خزائن المصاغ المصـــنوعة من خشب الابنوس والتوابيت المصـــنوعة من الاخشاب الثمينة قد تحطمت لتتحول الى اسرة للنوم

● حقـــا انه لكذلك : ان من لم يعرفوا الاله او يعترفوا بوجـــوده اصبحوا يقدمون القرابين ويطلقـــون البخور التى اغتصبوها من المعابـــد وممن كانوا يقدمونها للخير، يطلقونها فى قصورهم بعدما نادوا ان الاله قد مات وان بيدهم مقدرات البشر

انظروا ـــ ان الاهرام قد اصـــبحت خاوية مما كان يحتفظ به فى خزائنها السرية المقدســـة من اسرار المعرفة والغيب والعلوم المقدسة ، لقد سلبوا ما كان بها من وثائق مقدســة كانت وديعة السماء لاهل مصر .

انظروا ـــ ان سقوط مجلس الحكام ومجمع الحكماء سيفتح ابواب البلاد امام الاعداء الذين يتربصـــــون بها ليجدوا من الفوضى سبيلا للســيطرة على الارض الطاهرة .

● حقا انه لكذلك : لقد طـــرد الموظفـــون العموميون من مكاتبهم واخرج موظفو القصور الملكية واهل الخبرة من وظائفهم .

انظروا ـــ ليس موظف فى مركـــز عمله الحقيقى ، وليس هنـــاك مختص يعمل فى دائرة اختصاصه او تخصص مهنته ، انهم يعملون جميعا كالقطيع من الماشية ليس لها راع .

انظروا ـــ ان الارض لا تجـد من يحرثها او يزرعها بعد ان اغتصـــبت من سيدها ليصبح لها الف سيد

انظروا ـــ ان المواشى تسير بغير راع و صاحب ، ليس هناك من يهتم بها ، ويقوم كل من يقابل احـــداها بختمها باسمه .

انظروا ـــ ان الناس لا يذهبون الى الحكمـــاء والعلمـــاء ورجال الدين ليستشيروهم فى امور دينهم ودنياهم فقد اصبح اسياد الشعب اصحـــاب القوة هم الذين يبدون الرأى والمشورة وهم وحدهـــم اهل الحكمة والمعرفة ، وهم يجهلون معرفة القراءة والكتابة..

انظروا ـــ لقد توقف الفنانـــون عن العمل وسرق اعداء البلاد تحفها الفنية .. لقـــد اختفى محبو الفنون ومن يقدرون الفن ويحتفظون بتحفه وسلبت تحفهم الفنية لتكدس فى بيـــوت من لا يفهمونها او يقدرون قيمتها .

الفراعنة
والشـيوعيـة

لقد ذهب من كانت تصنع لهم التماثيل لتخليد ذكراهم ويتبارى الفنانون فى رسم اللوحات التى تزين مقابرهم ليقوم أعداء الشعب بتحطيمها والقائها فى ابار المقابر واتلاف الخرائب .

انظـــروا : ان من زرع الارض لم يجن ثمارها ، وذهبت محاصيلها الى من هو اقوى منه ليغتصبها لنفسه .

حقا انه لكذلك : لقد اتى البـــدو بالقواسهم وحرابهم من الخارج واختفى المصريون من كل مكان .

ان بناة الاهرام قد تحولوا الى عمال فى خدمة اسيادهم الجدد .

انظروا ، ان من كانوا فى سفينة الاله ، تشتتوا فى الارض ..

انظروا : لقد توقفت الصناعات فلم يعد هناك صانع يعمل فالذى لا يصنع يغتصب انتاج من يصنع والعدو يحرم البلاد من حرفها لقد ترك صاحب كل حرفة حرفته التى يتقنها وخرج ليتجول مع الرعاع بحثا عن حفنة من القمح او الشعير .

انظروا : اصبح الناس لا يبحـــرون شمالا الى بيبلوس ، فمن اين لنا خشب الارز من اجل مومياتنا ؟

● حقا انه لكذلك : لقـــد اختفى الذهب الذى يحتاج اليه الصناع فى حرفهم وصناعاتهم اليدوية _ كما اختفى من كانت تصنع لهم المصـــاغ وادوات الزينة فمن يحتاج اليها اليوم او يتزين بها يغتصبها ممن كانت عنده .

انظروا : لم يحضر اهل الواحـــات يحملون البقول والبهارات ومحاصيلهم الطازجة والطيور والدواجن والماشية بعدما نهب البدو والليبيون خيـــرات الواحات وسلب الرعاع وقطاع الطرق ما كان منها فى طريقه الى البلاد .

حقا انه لكذلك : ان جزيرة الفنتين وتينيس وبلاد النوبة قد توقفت عن دفع الضرائب عندما انتقلت الفوضى ووباء الفقر اليها . فامتنعت عن ارســـال المحاصيل والفحم والقمح الى بيت المال ومخـــازن الحكومة التى كانت تمون الشعب .

انظروا : ماذا سيصنع بيت المال من غير مال ... وماذا سيصنع الشعب بعدما اصبحت خزائن بيت المال ومخازنه خاوية ، لم يتركوا شيئا للغـــد ؟ ما كان فى مخازن بيت المال نهبه اعــداء الشعب وقتلوا حراسه .

انظروا : ان الاطفال يقتلون امام اهلهم ، وابناء النبلاء والاغنيـــــاء يخطفون ويبعدون عن ذويهم ليطردوا فى الصحراء او يعملوا فى خـــدمة الرعاع حتى اذا كبروا نسوا اصلهم وطبقات اهلهم ولن تعود لهم سطـــوة بعد ان يتعودوا على الذل والفاقة .

انظروا : ان من يسير بملابس نظيفة يضرب وتمزق ملابســـه حتى وان كان من عـــامة الشعب ... ان اهل مصر الذين كانوا يتميزون عن اهل البـلاد المحيطة بهم بحسن زينتهم وملابسهم ومتاعهم اصبحوا يحسدون اهل البدو والاسيويين والمغيرين على ما يســـتر اجسادهم . اصبح المصرى يستجدى

الاجنبي بعدما كان الاجنبي يحسد المصري على ما هو عنده .

انظروا : لقد ترك صناع مصر المهرة حرفهم وحل الاسيويون في شمال الدلتا محل صناع مصر وفنانيها .

● حقا انه لكذلك : ان ماعت (رمز الصدق والحق والعدالة) اختفت من سماء مصر التي كانت ترفرف عليها بجناحيها

انظروا : ان قضاة البلاد طردوا من طول الارض .. طردوا من بيوت القضاء .

انظروا : لقد سلبت وثائق العدل واصبح المكان السرى مكشوفا ، وطرحت سجلات المحاكم ارضا وألقيت القضاء في الوحل وصار الناس يطأونها بالاقدام في الساحات العامة والرعاع يبعثرونها على قارعة الطريق

خرج اللصوص من السجون لينصبوا انفسهم حكاما وقضاة على الشعب فشردوا الاشراف وسلبوا حريتهم .. ان رجال العدالة يهرولون دون ان يكون لهم عمل ويهربون خوفا من البطش

انظروا : لقد هوجمت الادارات العامة ونهبت قوائمها والقيت اسرار التعاويذ السحرية وصارت عديمة الاثر - فقدت قدسيتها لان الناس حفظوها في اذهانهم .

● حقا انه لكذلك : لقد ذبح الموظفون المصريون وسلبت دفاترهم ولم يعد لكبار الموظفين كلمة مسموعة

انظروا : لقد اتلفت سجلات جباة الضرائب بعدما اصبحت مخازن غلال مصر وما بها من ثروات ملكا مشاعا للثوار ومخازن الملك اصبحت خاوية بعدما نهبها الثوار وحرمت مما يجبى لها من شعير وقمح ودجاج واسماك واختفى ما كان بها من النسيج الابيض والتيل الجميل والمعادن النفيسة والزيوت والعطور والمحاصيل الجميلة التى كانت توزع وتهدى الى من يستحقونها في المناسبات والاعياد وبيوت الاله

انظروا : لقد توقفت الاسواق واغلق التجار حوانيتهم فلم يجدوا ما يبيعونه او يشترونه - اختفت اشرعة السفن التى كانت تحمل الخيرات فوق سطح النهر او التى تحمله من البلاد البعيدة - لقد هربت بضائع البلاد الى خارجها بعدما كانت تتدفق اليها من الاركان الاربعة .

● حقا انه لكذلك : لقد قضى على الفرح فلم يعد احد يشعر به

الحزن والاسى ينتشران في انحاء البلاد

حل الانين محل الغناء والعويل محل الضحك والحزن محل الفرح والالم محل الاعياد

انظروا : ان المغنيات في البيوت تحولت الحانهن واغانيهن وموسيقاهن الشكوى الى الهة الموسيقى وصمت ترتيل المنشدين والقائم موسيقى للعابه

لقد حل عويل النائحات محل غناء المغنيات

● حقا انه لكذلك : لقد تنكر الناس لالهتهم وسخروا منها كما طمعهم اسيادهم الجدد . ويقول البعض ، آه لو عرفت اين يوجد الاله .. لضحيت به قربانا للثورة ، .

● حقا انه لكذلك : لقد اصبحت البلاد لا عاقل لها وفى حاجة الى من يحميها من شر نفسها وشر اهلهـــا

انظروا : لقد نشر طائر الحـــداد اجنحته على ارض مصر لتخيم عليها الحزن والالم وارتفع ضـــجيج طبول الفوضى على انغام قيثارات الامان .

انظروا : لقد فقدت القلوب الامل ، والالســـنة النطق والمعدة الغذاء .

لا فرق بين الحى والميت . اصـــبح الانسان غريبا فى بلده بلد اجداده . غريبـــا بين قومه . غريبا بين اهله فانقطعت الصلة بينه وبين كل منهم .. حتى بينه وبين الهته وعقيدته

انظروا : لقد سقط شعر الانســـان من الاهوال

انظـــروا : لقد اختفى الاشراف والنبلاء واهل الخير . اختفت طبقات الشعب التى قسمها الاله فى المراتب والارزاق والنعم .. ارادوا ان يساووا الجميع فى المـــكانة والثروة والرزق فتساووا فى الفقر وســـوء الحال والحظ

انظروا : لقد تساوى الغنى والفقير الكبير والصغير فى قولهم « ليتنى لم اعش لارى ما حدث وما وصلنا اليه »

الصـــغير يقول لماذا انجبنى ابواى والشكوى عمت البلاد باكملها ولانهاية ترى لها

● حقا انه لكذلك : لقد اصـــبح الناس لا امل لهم فى الحيـــاة بعد ان عمت الفوضى البـــلاد طـــوال تلك السنوات

انظروا : ان الرجـــل يقتل داخـــل اسوار بيته وهو ساهر للدفاع عن اهل بيته . فاذا كان قويا وامكنه الدفـــاع عن اهل بيته . بقى على قيد الحياة واحتفظ بزوجته وبيته .

انظروا : ان الخدم الذين بقـــوا على ولاء لاوليـــــاء نعمتهم كانوا يخرجون خلسة الى الطرقات ليتسولوا لاسيادهم

الطريق مغلق ومن يغادر بيته . فلا يعود اليه

ان السفن التى كانت تجلب المـــؤن كل يوم او تحمل الصـــيد الوفير الى الاســـواق وتحمل النـــاس والمواشى والمحاصـــيل وتنتقل كل يوم مع شروق الشمس ، قد تحطمت واغرقت بعدما اغتصب الرعاع ما بها ونهبـــوا حتى اشرعتها واخشـــابها لانها اصبحت ملكا مشاعا لهم كما اقنعوهم فلم تعد تحمل لهم غذاء يومهم وغدهم

انظروا : ان مكاسب الثورة الزائفة قد تكشفت . اصبح الجميع لا يجدون لقمة العيش وشاركهم الفقر فى مساكنهم فتنضب مئاه ويتركوا الارض بمحاصيلها هجرها اهلها وزارعوها .

اصبح الفقراء ينهبون بعضـــــهم البعض او من اصبح منهم على قـــدر من الثراء المغتصب .

الفراعنة
والشـــيوعيـــة

جاءت المجاعة واصبح الانسان لايحصل على قوته الا بقتل جاره والجثث لا تجد من يواريهـا الثرى وتترك في العراء ولا فرق بين الانسان والحيوان

انتظروا : لقد أصبحت البلاد لا عائل لها ، وفي حاجة الى من يحميها من شر نفسها ، وشر أهلها ٠

● حقـا انه لكذلك : ان الملك ولاغادر البلاد التي كان يرعاها ويحميها بقوة اله السماء ، لسعيد قرح القلب لما وصلت اليه البلاد وما دفعته ثمن لجحودها وتجبرها وتنكرها لالهتها ٠ وما وضعته لها الالهة من تعاليم لنشر الحق والعدالة والخير والارزاق

ماذا ستقول عنا البلاد البعيـــدة عندما تـــرى ما حل بأرض مصر وما وصلت اليه حالتها ؟

هل ستحتفظ لنا تلك البلاد بالولاء والاحترام ؟

تلك البلاد التي كانت بالنسبة لنا الماء والخيرات ، وكنا بالنســبة لها السيد الذي تدين له بالولاء ٠٠٠

اصبحت تنظر الينا كالعبـــد الذي يتسول منها طعامه وكساءه

لقد فقد أسياد البلاد هيبتهم ، فقدت البلاد هيبتها ، وفقـدت سيادتها على جاراتها فاصـــبحت مطمعا للقبائل المغيرين التي هبت رياحهم من الجهات الاربع

● حقا انه لكذلك : مازال هناك من ينادي بتعاليمك وينفذ أوامرك ٠٠ لازال هناك من يدين لك بالولاء ويؤمن بوجـــود الاله ولكن لا زال الجميع يعارضون بعضهم البعض

اذا اجتمع ثلاثة على رأى وساروا في طريق واحد لخالفني واحد منهم أو اختاله معارضوه

ايها الملك العظيم لقد تركت شعبك ورعاياك عليه ليصل الى تلك الحالة، لقد خدعت نفسك عندما ظننت بانهم لن يجرءوا على تحطيمات أو تعاليم الاله

ايها الملك العظيم : ان البلاد تنتظر عودتك حاملا اليها العدالة والامـــان والاستقرار والخيرات

● لتعود السفن تمخر عباب النهر قاصده الى وجهتها وهي تستقبل نسـيم الحرية وتنقل الخيرات والمحاصــيل والثمار والاخشاب والعطور التي حرم منها الناس طوال تلك السنوات

● لتعود الشباك مثقلة بالطيـور والاسماك من خيرات البحيرات والبرك

● لتعود الى الايادى اعمالها التي تباركها الالهة فتبنى الاهـــرام وتقيم المساكن وتصنع الفنون وتحرث الارض وتجنى الثمار وتزرع الاشجار المقدسة التي تعبـــر عن الشكر للاله الخالق والتقرب الى اعتابه

● لتعود الفرحة للقلـــوب ويحيى الناس تحت السعادة ويقيمون الاعيـاد تبركا بالاله وزوال الارواح الشريرة

الفراعنة والشيوعية

● لتعود للأشراف والنبلاء وكبار القوم وعلمائه مكانتهم عند مواطنيهم ليشاركوهم أفراحهم وأعيادهم ويوزعون عليهم الخيرات ويتزينون بأجمل الثياب والمصاغ والعطر ويرتدى الناس كبارهم وصغارهم كسوة الاعياد والافراح · وتعلو أنغام الموسيقى وأصوات الغناء وتنساب تراتيل الدعاء فى أرجاء المعابد ويتصاعد البخور وتقدم القرابين للآلهه والصدقات للمحتاجين وتعود البلاد لأهلها المخلصين ·

● لتعود العدالة والحرية والنور الى نور العدالة فينام الانسان وبيته مفتوح ، ويجد فراشه وغطاءه ومستدراسه – لا يفكر فى رزقه ورزق بيته الذى امتلأ له ، بمنحه له الاله كلما أشرق نور وجهه على الأرض ·

● انه لجميل ان تزهر الاشجار وتتزين حدائق المنازل بالزهور وكل ماهو جميل ويجد كل انسان ظلا فى حديقته يرقد فوق أريكته – والا ينام خلوى المعدة وفى العراء بغير غطاء· ينام وهو مطمئن على نفسه وبيته واولاده

● انه لجميل ان يتجمع شمل العائلة وتعود كما كانت فيحمى الرجل بيته وزوجته واولاده ليبنى بيته ويزينه ويفرشه فتعرف الزوجة زوجها والرجل أبناءه ويعود الاحترام بين الجميع

● سيعود الامن الى البلاد ··ويعود رجال الامن الى عملهم بعدما تعرضوا للقتل · سيعودون لحماية الناس لا لحماية اعداء الناس

● سيعود لمصر جيشها الذى سيحمل سلاحه ضد أعداء الوطن بعدما كان يحمله ضد أهل بلده

● سيقول النوبيون اننا فى حاجه الى حمايتكم· سيطلب الاعداء حمايتنا ويرسلون لنا الخيرات والجزية بعدما كنا نطلب حمايتهم ويسلبوننا كل ما نملك

● ستعود الهيبة للوطن والمكانة المقدسة لمصر أرض الاله عندما يعود التاج ويأخذ الثعبان المقدس مكانه على جبهة لابسها فيحمى الوطن من كل شر

ان الشر الذى يسكن القلوب لا يلبث ان يحطمها ، ولا يبقى الا الخير الذى يحتفظ به قلب المؤمن · ان قلبه لم يحمل الا الخير الذى امره به الاله لكنك تخليت عن رسالته المقدسة خوفا من ظلمة الغد ، كان هناك ملك وكان كبير السن ، وعند الوداع كان وريثه طفلا غير ناضج – لم يتمكن من فتح فمه ليتكلم او نادره ليلقى تعاليمكم ·

نهاية الشيوعية

رغم ان عصر الاضمحلال قد استمر ١٤٧ سنة من عام ٢٢٨١ – ٢١٣٤ق.م من الاسرة السابعة الى الحادية عشرة فالشيوعية ومبادئها لم تتمكن من السيطرة على البلاد باكملها وقد قويت شيئا فشيئا اسرة الامراء الحاكمين فى طيبه وبدأت منذ ذلك الحين عظمة تلك المدينة الخالدة الصيت ، وكان موقعها الجغرافى يفسر مكانتها التاريخيه بواديها الخصب الذى تحيط به الاغوار والجبال وتحمى حدوده من المغيرين من شمال الوادى او جنوبه او الصحراء الشرقية .

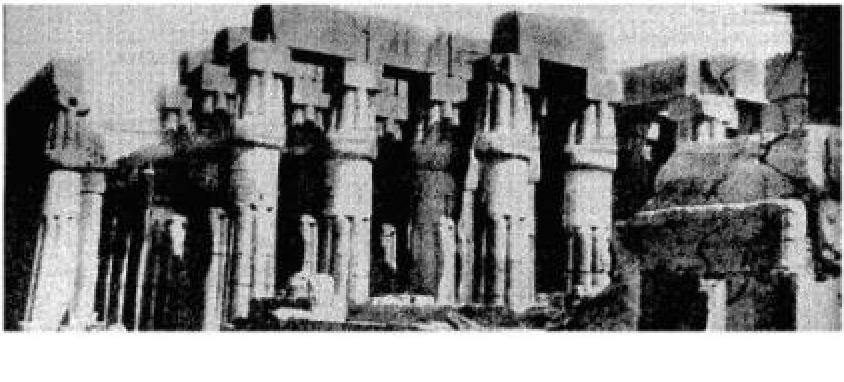
وتولت أسرة طيبة الحكم وجمع شمل البلاد بعد كفاح طويل قسم بين حكام طيبه وحكام اهناسيا وعلى يد منتوحتب الثانى رجعت الى مصر وحدتها وجعل منها أمة واحدة، ولكن مراكز القوى من انذاب الشيوعية على اختلاف عناصرها استمرت فى تدبير المؤامرات واستمرت الاضطرابات والمناوشات وظهر كثير من الحكام ممن لم يكن لهم حق شرعى حاولوا تمزيق الوحدة حتى ظهر امنمحت الاول الذى اعاد شمل الوحدة وحرر البلاد واسس الاسرة الثانية عشرة التى تعتبر بداية الدولة الوسطى .

● العلم والايمان ●

ان كانت مصر الفرعونية اول من رفع شعارات الشيوعية التى نادت « الارض لمن زرعها ... والحرفة لمن احترفها .. ولا وصاية للسماء على الارض » وهى الشعارات التى سارت بمقتضاها واقتفت خطواتها الثورات المماثلة التى قامت فى انحاء العالم على مختلف عصوره ، فمما هو جدير بالذكر ان شعار « العلم والايمان » كانت مصر اول من رفعه لتؤكد انه لا جديد تحت الشمس ، وهو الشعار الذى اتخذه حكام طيبة كرمز لثورة التحرير من الشيوعية «عهد الاضمحلال ودعوا فيه لاعادة العقيدة وفتح المعابد وفتح بيوت الحياة او معاهد العلم والمعرفة .

فالايمان والعلم كانا اساس حضارة مصر الخالدة فى مختلف عصورها الذهبية . والتخلى عنهما كان السبب المباشر فى انحلال حضارتها وانطفاء شعلتها وتردبها فى عهد الاضمحلال .

طيبة .. دعوة للعلم والايمان فى معارك التحرير واعادة بناء الحضارة ...



رحلة الشهر

ألفية ابن زيدون

على الرغم من الرقة البالغة فى خطاب الدعوة الذى تلقيته من الاستاذ الكبير محمد باحنينى ، وزير الثقافة المغربى ، للمشاركة فى الاحتفال بمرور الف سنة على ميلاد ابن زيدون ، الشاعر والعاشق والسفير والوزير والمجاهد والثورى ..

اقول ... على الرغم من الرقة البالغة فى هذا الخطاب الذى تميز باسلوب شاعرى رفيع ، مما هيأ لى الجو النفسى الذى تلقت فيه القصيدة « ابن زيدون » المنشورة فى هذا العدد . فقد شاءت قسوة الظروف أن تمنعنى من السفر الى العاصمة المغربية والمشاركة فى هذه الالفية التى عقدت فى الخامس عشر من الشهر الماضى ، والتى اسهمت فيها اسماء كثيرة من اقطاب الادب والشعر فى العالم العربى بأسره .

ولا يخفف من اسفى على حرمانى من شرف المشاركة فى هذا الحفل ، الا اننى بعثت الى الاستاذ باحنينى بالقصيدة ، لتسجل فى كتاب المهرجان .

ونأمل ان ننشر فى الاعداد القادمة من « الهلال » بإذن الله ، ماتيسر لنا الحصول عليه من القصائد والدراسات التى طرحت فى هذا المهرجان الكبير .

لقاءات القاهرة والخرطوم

سعدنا فى الشهر الماضى بأكثر من ليلة قضيناها مع تلك الصفوة العزيزة من الأدباء والشعراء والفنانين الذين قدموا من السودان الحبيب الى وطنهم الشمالى ، مصر ، وقضوا زهاء اسبوع كانوا خلاله موضع الترحيب والتكريم من وزارة الثقافة والاعلام ، ومن ادباء مصر الذين احتفوا بهم فى ليلة حلوة بدار الادباء وقد نشرنا على صفحات هذا العدد من « الهلال » بعض ما ظفرنا به من نتاج أشقائنا شعراء السودان الذين أسعدونا بزيارتهم ٠

وقد جاءت هذه الزيارة ، ردا لزيارة شعراء مصر للعاصمة المثلثة فى مطالع هذا العام ، حيث التقوا مع اخوتهم من كتاب الادب فى السودان ، فى مهرجان تغنى فيه الجميع بأدب النيل ، وأدب العبور ٠

وإننا اذ نتوجه بأجمل الشكر لوزارتى الثقافة فى عاصمتى النيل على ان هيأتا هذين اللقاءين السعيدين ، نأمل أن تتكرر هذه اللقاءات كل سنة ، كجزء اساسى من برنامج التكامل الفكرى بين شطرى النيل ٠

وننتهز هذه الفرصة لنؤكد لاخوتنا فى الجنوب أن صفحات « الهلال » مفتوحة للأقلام السودانية الناضجة ، وصفحات « الزهور » هى الاخرى مفتوحة للأقلام السودانية الواعدة

أحمد زكى "مع الله فى السماء"



المغفور له
د. احمد زكى

فقدت مصر فى منتصف الشهر الماضى عالما من اجل علمائها واديبا من أعظم ادبائها ، هو المغفور له الدكتور احمد زكى ، رئيس تحرير زميلتنا « العربى » الكويتية ، التى تسلمها وليدة ، فشبت على يديه قوية مشرقة ، واجتازت حدود الاقليمية ، واصبحت مشعلا باهرا من مشاعل الفكر فى العالم العربى بأسره ٠

عرفت استاذنا الدكتور احمد زكى منذ سنوات طويلة ، اذ كنت مراقبا للبرامج الثقافية بالاذاعة المصرية ، ودعوته الى القاء حديث كل اسبوع ، فاستجاب مشكورا ٠

وراعنى منه ، منذ اول حديث من هذه الاحاديث عنوانه ،

رحلة الشهر



وكان « عندما يسدل الليل على الغاب ستاره » .

وبدا لي العنوان كأنه مطلع قصيدة شعرية حالمة .

وقرأت الحديث — قبل اذاعته — فاذا هو أبدع مزاج وقعت عليه في حياتي من الأدب الخالص والعلم العميق معا ، تدرج فيه من بمخيلة السامع رويدا رويدا الى الحديث عن الغابة وما يعيش فيها من مختلف مخلوقات الله وكيف تتعايش او تتعاطف أو تتصارع .

وكان عنوان الحديث الثاني « ياعيني » ...

وبدأها بكلمة « ياعيني » وكيف يقولها الانسان عند الاعجاب بالجماليات . كالترجيع الحلو . وكالنغم العذب ... ثم كيف يقولها من باب الاسترحام حين يواجه مشهدا أو حديثا يثير الاشفاق ...

ثم تدرج بسهولة اخاذة الى الحديث عن العين ، وجوهرها وعجيبة صنعها الالهي ومدى تباين اشكالها والوانها .. الخ

هذه صور لا أزال اذكرها منذ نحو ثلاثين سنة ، واذكر كيف ان جماهير المستمعين قد شدت اليها حتى لقد اصبح حديثه الاسبوعي معلما شديد الجاذبية من معالم برامج الاذاعة .

وقد تولى الدكتور احمد زكي امر مجلة « الهلال » في فترة من فترات حياته شهدت المجلة فيها عهدا من ازهر عهودها ، كما اسهم في « كتاب الهلال » بأكثر من كتاب ، اشهرها عمله العلمي الروحي الجليل « مع الله في السماء » .

وانتهى به المطاف ، بعد جهاده في كثير من المناصب والمواقع ، الى رئاسة تحرير مجلة « العربي » . واقام بالكويت وطال به المقام ، وكان له — بعد ملحمة سنة ١٩٦٧ — موقف وطني مسجل على صفحات « العربي » حرمه من القدوم الى مصر فترة ليست بالقصيرة ، حتى زالت الغمة سنة ١٩٧٠ .

وقد اعياه الجهد وتوالت عليه الوان من الادواء في السنوات الاخيرة ، فكان يقول لي كل صيف انه قرر ان يتقاعد ويستريح ويلزم بيته بالمعادي ، ثم لا يلبث ان يعاوده الحنين الى العمل ، فيعود الى الكويت .

رحمه الله رحمة واسعة

لقد كان صوفي الروح ، عاش طول حياته مع الله في الارض ، حتى آن له ان يستجيب لدعوة الداعي ، ويعيش مع الله في السماء .

والى ان يتهيأ لنا ان نطرح على قراء « الهلال » دراسة وافية عن سيرته واعماله الجليلة ، نكتفي اليوم بهذه النبذة من حياته التي نشرت يوم ذهابه للقاء الله !



كانت حياة الدكتور احمد زكي حافلة بالكفاح والمفاجآت والمواقف الوطنية المشرفة . فما كاد يتخرج في مدرسة المعلمين العليا عام ١٩١٤ ويشتغل بالتدريس بضع سنوات . حتى اندمج في ثورة ١٩١٩ . كان ناظرا لمدرسة وادي النيل الثانوية، وخرج طلبة المدرسة ثائرين ليحرقوا احدى دور الصحف المسائية المتعاونة مع الانجليز ، وعندما دهم الانجليز المدرسة لينكلوا بالطلبة ، لم يكن بالمدرسة تلميذ واحد ، كان الدكتور زكي قد اخفاهم جميعا في ابراج المدرسة وسراديبها !

عمل الدكتور زكي في عشرات الوظائف وتعددت مواهبه وقدراته .. اشتغل بالازهر ، ثم رحل الى انجلترا لاستكمال دراسته درس واعد بحوثا قيمة في جامعات ليفربول ومانشستر ولندن بانجلترا وجراتس بالنمسا ، حصل على بكالوريوس العلوم في الكيمياء عام ١٩٢٢ ودكتوراه في الفلسفة في الكيمياء عام ١٩٢٤ ، ثم دكتوراه في العلوم في الكيمياء عام ١٩٢٨ من جامعتي ليفربول ولندن .

عمل استاذا للكيمياء العضوية المساعد بكلية العلوم (القاهرة) عام ١٩٢٨ ثم استاذا للكيمياء ورئيسا لقسم الكيمياء حتى عام ١٩٣٦ ، ثم عميدا للكلية مرتين عام ١٩٣٣ ، ١٩٣٦ .

تقلد عددا من الوظائف العامة والهامة، فعمل مديرا لمصلحة الكيمياء حتى عام ١٩٤٧، ثم انتدب لإدارة مصلحة الصناعة في نفس الوقت . وتم تعيينه سكرتيرا عاما لمجلس (فؤاد الاول) الاهلي للبحوث عام ١٩٤٥ ثم مديرا للمجلس ثم وكيلا للوزارة برئاسة مجلس الوزراء في ١٩٤٧ حتى ١٩٥٢ . ثم اختير في يوليو ١٩٥٢ وزيرا للشئون الاجتماعية ، ثم مديرا لجامعة القاهرة في اغسطس ١٩٥٣ ، ثم وكيلا مساعدا لوزارة التربية ١٩٥٧ .

قام الدكتور زكي بعشرات الرحلات للخارج وزار معظم بلدان العالم ومثل مصر في عشرات المؤتمرات العلمية ..

كان الدكتور احمد زكي يجمع الى جانب ذهن العالم الدقيق موهبة الاديب المرهف .. فنظم الشعر وكتب وترجم عددا من المؤلفات الادبية والفكرية . كان يكتب ابحاثه العلمية بلغة الاديب ، بينما تزخر كتاباته الادبية بفيض لا ينضب من العلم .

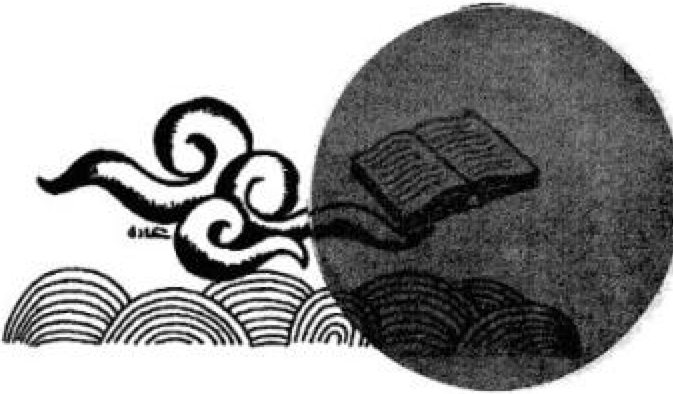
نشأ في بيت محافظ ، وكان لوالده علم بالدين واللغة والفقه ويجيد الفرنسية في الوقت نفسه ، وقد اخذ من والده الكثير من حب للادب وروح المعرفة . فحفظ مثلا ديوان المتنبي في الثالثة عشرة من عمره . وسياسيا تربى في مدرسة الحزب الوطني ، التحق بالحزب يوم وفاة زعيمه مصطفى كامل . وقف الى جانب المرأة وحقها في المساواة . دافع عن اشتغال الطلبة بالسياسة ، لان السياسة ممتزجة بكل فروع الحياة !. آمن بالديموقراطية الى ابعد الحدود . عمره ٨١ سنة .

صالح جودت

قيلت فى الاحتفال الذى أقيم فى الشهر الماضى بالعاصمة المغربية ، الرباط ، فى ذكرى مرور الفسنة على ميلاد الشاعر الخالد ابن زيدون الذى كانت قصة حبه للأميرة «الولادة بنت المستكفى» أجمل غراميات الأندلس ، والذى أسهم فى انشاء أول جمهورية فى التاريخ العربى ، هى جمهورية الجهاورة بقرطبة

ابن

تظـل تعيش من عصر لعصر كأنك لا تُرد لأى عمـر
نزلتَ أبا الوليـد بكل قلب وعشتَ خريدة فى كل صدر
وطفتَ بكل مملكة لتحيـا وتذكر فى المحافل خير ذكر
وقر بك المطاف هنـا ، وأنعمْ بأندلس الجـديدة من مقـر
بهـا ملك هو الحَسن المفدى أبو العهـد المتهـل بكل خير
وتسبه الجلائل حين ينمَى لأشرف عترة وأجـل طهـر
عرفت أباه فترةً أن دعـانى الى إيوانه وأعـز قـدرى
وأكرمنى بظل حماه شـهرا أحب لخاطرى من ألف شهر
وأنعم بالوسـام فزان صدرى وقلدنى الحسـام فشد أزرى



زيدون

وأسرف في تواضعه كأني   أنا الملك المثقف وذاك قصري
وكيف يقلد الشعراء ملكا   وكل قصورهم أبيات شعر ؟
ولكن زاد من زهوي يقيني   بأن رضاه تكريم لمصر

***

أيا أيام أندلس سلاما   على مثلك بناه فتى لمصر
تمهده الطموح بكل بذل   وبدده الجموح لكل شكر
وأسلمت الطوائف كاهليها   لمركب كل مفتون وغمر
وما الملك الكبير بمستتب   ولا العهد الوثير بمستقر

ابن زيدون

إذا متت المطامع والدنايا ... على الإيثار للوطن الأبرّ

***

سألتك يابن زيدونَ التمس لي ... إذا شطّ الحديث جميلَ عذر
فإني قد رأيتك في الليالي ... تمور مع الحوادث أي غور
وتهدم دولة وتقيم أخرى ... وتلعب في السياسة كل دور
فآونة تعيش ربيب ملك ... وآونة تعيش رهينَ أسر
خذلتَ بني أمية حين هانوا ... وهاموا بالتهتكِ والتعري
ولجوا في مباذلهم وأمست ... درا تيجانهم أقداح خمر
وناصرتَ الجماورة الموالي ... وما كانوا ذوي نسب وصهر
ولكن قريشكَ الى عزاهم ... أواصرُ عفة وذيول طهر
وعهد لا يشاب بأي بغي ... وحكم لا يشاب بأي قهر
فهل حفظوا الجميلَ إذ استقروا ... وهل جازوكَ عن بذل بشكر
وهل ذكر ابن عبدوس ليالي ... لقائكما على عسر ويسر ؟
أجل ، إن الشدائد خير درس ... « جزى الله الشدائد كل خير »

***

ذكرتك يابن زيدون ولما ... يزل من داء عهدك بعض سكر
فقد أهوت على قومي المآسي ... وأوهت كثرة النكسات صبري

وحسبك أن ترى الأيام تنمى   فلسطين السليبة كل فجر
وحسبك أن ترى شعبا عزيزا   يعيش بلا منى وبلا مقرٍّ
أضعناه ونحن على خلاف   كأيام الطوائف مستمر
فبات كِتابنا يدعو علينا   وبات ترابنا يرنو ويُزرى
وحين توالت النكبات قمنا   الى الجلى بأقدام المُصرِّ
دعونا العُرب فانتفضوا وهبوا   الى ساح الفداء كيوم حشر
كأن على الرمال دماء حج   وأن على القناة صلاة عصر
وما كانوا بمتخذين عُذْرا   فقد محت الهزيمة كل عذر
وزودنا الجِهاد بكل مهر   وأعددنا العتاد ليوم ثأر
وأنزلنا الرجال جسور زحف   وحولنا الجبال رءوس جسر
وترجمنا الصيام الى عبور   بإيمان الجماعة يوم بدر
فليتكَ يا بن زيدون بهذا   نصحتَ القوم في رشد وبرِّ
اذن لحفظت أندلسا علينا   فما هانت ولا لانت لكفر
وهاأنذا أقر بذنب قومى   ويعفو الله عن ذنب المُقرِّ

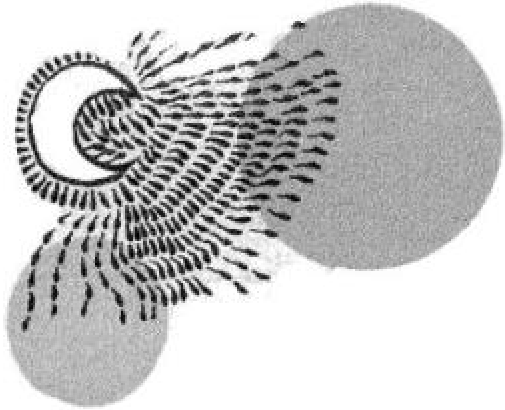
***

سماحا يا بن زيدون وعفوا   اذا انطلق الحديث بغير حصر
وخضنا في معامعه كأنا   أشاوس قمة وولاة عصر
وما فينا وحقك من كميٍّ   مكرٍّ في المعارك أو مِفرٍّ
ولسنا في السياسة أهل نهى   ولسنا في الرياسة أهل أمر
ولسنا معشر الشعراء إلا   هُواة جواهر ورُواة دُرِّ

وما جئنا لنذكر المآسي ... فقد جئنا لنطرب أو لنطري
لهاتِ أبا الوليد لنا وحدّث ... عن الوله الذي يَسري فيَثري
وعن « ولادة » وشباك طرف ... وقعتَ بها فمالك من مفر
وعن شقراء إذ تخطو وتسطو ... على أعصى القلوب بغير ثأر
وإذ تهتلّ سافرة لعرس ... وإذ تختال في تلع وكبر
كأن بياضها لمعات شمس ... وموجة شعرها شلالُ تبر
وفي آماقها راووق حان ... وفي أعماقها طاغوت بحر
تمر بروض قرطبة فتلقى ... صفوف العاشقين على الممر
فتخطر بينهم بغرور أنثى ... تقول وصوتها بالحب يغري
« أنا والله أصلح للمعَالي ... وأمكن عاشقي من لثم ثغري »
وتلمح في الصفوف فتى عليه ... سمات غضنفر وعيونُ صقر
أجل ، وهو الوجيه بغير وجه ... أجلْ ، وهو الوزير بغير وزر
أجلْ ، وهو الفقيه بكل فن ... وذو القِدْح من شعر ونثر
يطالع حسنها ، ويناظريه ... رؤى الظمآن في أعماق بئر
فتسأل أن يواصلها بليل ... فإن الليل يكتم كلَّ سر
فيا بنتَ الخليفة لا تدلّي ... عليه بما افتتنتِ ولا تغتري
فما هو دون عترتك انتسابا ... ولا دون الملوك علوَّ قدر
هو القرشي في نسب المعالي ... أبعدَ قريش من شرف وفخر

***

أراوية الزمان أثر علينا ... سلاف محبة ورشاش عطر



ولا تسم ابن زيدون ملاما   فللشعراء يغتفر التجرى
حكايته الشجية فى هواها   تؤرق مضجعى وتثير جمرى

فانى عشتها أيام طيشى   وكنت أظن لم تحدث لغيرى
نقمت على ابن عبدوس لأنى   دركت بمثله فى شرخ عمرى
أباح سرورى واغتاض ودى   وغال أميرتى ووشى بوكرى

وضقت بشؤمه فى كل أمر   وذقت بلؤمه ألوان غدر
ولولا خشيتى لوم الأعادى   رويت حكايتى وفضحت سرى

فلا تسل الرصافة عن حديث   بأركان الخمائل مستتر
فما سمعته أو حفظته إلا   جنان تحتها الأنهار تجرى

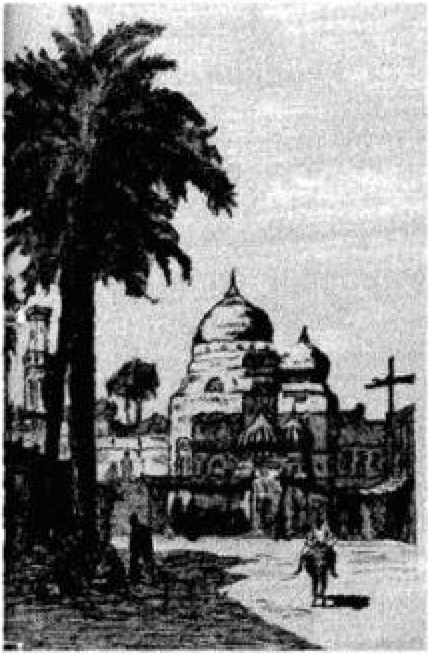
وحسبك أنها شهدت غراما   أليفا فى التدثر والتعرى
وحسبك أنها ثرت لقاحا   يشيع عبيره فى كل زهر
وحسبك أنها سمعت نشيدا   يطيب سماعه فى كل عصر
وحسبك أنها قد جمعتنا   على حب وأغنية وشعر

من أدب الرحلات

شاهنده كريم

مصر كما وصفها ناصر خسرو في كتابه سفرنامه

الاضرحة الشيعية في القاهرة



يروى الرحالة الفارسي ناصر خسرو الذي زار مصر سنة احدى واربعين واربعمائة هجرية (١٠٤٦ ميلادية) في وصف مدينة القاهرة التي افرد لها جانبا شيقا في كتابه « سفر نامه » . ان آخر مدينة يصل اليها المسافر من الشام الى مصر هي القاهرة وتسمى القاهرة المعزية ، ويقال للمعسكر الفسطاط ، ويروى ان احد ابناء امير المؤمنين الحسين بن علي رضي الله عنهما ، وهو المعز لدين الله استولى على بلاد المغرب حتى الاندلس ، ثم سيرجيشا نحو مصر . وكان لا بد لهذا الجيش ان يعبر النيل وكان هذا امرا غير مستطاع ، اولا : لان النيل عظيم الاتساع ، وثانيا : لانه مملوء بالتماسيح التي تجذب الى قاعه في الحال كل من يعبر ..

ويقال انه في الطريق قرب مدينة مصر طلسم يحمي الانسان والدواب من هذا الشر ، ولكن اثره يبطل على مسافة رمية من المدينة فلا يجرؤ احد ان يقترب من النيل .

قيل ان المعز ارسل جيشه فنزل حيث القاهرة اليوم وقد أمر جنوده قائلا : « حين تصلون الى النيل ينـزل الى الماء أمامكم كلب أسود فيعبر النهر ، فاتبعوه واعبروا آمنين » ٠

قيل وقد بلغ هذا المكان ثلاثون ألف فارس كلهم خدم المعـز وقد انطلق الكلب سابحا امامهم وهم فى أثره ، وعبروا من غير حادث ٠ وكانت هذه الحادثة سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ثم حضر السلطان الى مصر عن طريق البحر فأفرغت السفن التى حضر بها قرب القاهرة ، واخرجت من المـاء وتركت ، وقد رآها الرحـالة ناصر خسرو بعد أن مضى عليها حـوالى ثمانون عاما ٠ وقال أن تلك السفن كان عددها سبعا وكان طول الواحدة مائة وخمسين ذراعا وعرضها سبعين

وحين دخل المعـز لدين الله مصر تقدم له بالطاعة قائد الجيش الـذى ولاه خليفة بغداد، ونزل المعز بالجيش فى هذا الموضع الذى هو القـاهرة اليوم ، وقد سمى المعسكر بالقـاهرة لان ذلك الجيش كان قاهرا ، وقد أمر المعز بألا يتجول أحد من جيشـه فى هذه الصحراء وأن يشيد كل من أفراد حاشيته بيتا ، وهكذا بنيت المدينـة التى قل نظيرها ٠

وقدر الرحالة أن بالقاهرة مالايقل عن عشرين الف دكان كلهـا ملك السلطان وكثير منهـا يؤجر بعشرة دنانير مغربية فى الشهر وليس بينهـا ما تقل اجرته عن دينارين ٠

اما الاربطة والحمامات والابنيـة الاخرى فكثيرة لا يحدها الحصر وكلها ايضا ملك السلطان اذ ليس لاحد أن يملك عقارا أو بيتا غير المنـازل وما يكون قد بناه الفرد لنفسه ، وسمعت أن للسلطان ثمـانية آلاف بيت فى القاهرة ومصر وأنه يؤجرها للنـاس برغبتهم ثم يتقاضاهم الاجر كل شهر ولا يجبر أحدا على شىء ٠

ويقع قصر السلـطان فى وسـط القاهرة وهو طلق من جميع الجهات ولا يتصل به أى بناء وكل ما حوله فضاء ويحرسـه كل ليلة ألف رجل وخمسـمائة فارس ، ويبدو هذا القصر من خارج المدينة كأنه جبل لكثرة مافيه من أبنية مرتفعة وهو لا يرى من داخل المدينة لارتفاع أسواره ويقال ان بداخله ثلاثين الف انسى ٠

وللقصر عشرة أبواب فوق الارض فضلا عن أبواب أخرى تحتها وأسماء أبوابه الظاهرة : باب الذهب ، باب البحر ، باب السريح ، باب الزهرية ، باب السـلام ، باب الزبرجد ، باب العيد ، باب الفتوح ، باب الصرية ـ وهذا القصر مكانه الان مسـجد الحسين وخان الخليلى ، وكان يعرف بالقصر الشرقى الكبير ٠

ويجلب ماء الشرب من النيل وينقله السقاءون على الجمال وعددها اثنان وخمسـون الف جمل عدا ما يحمله السقاؤون على ظهورهم فى قرب جلدية و جرار نحاسية وذلك فى الحارات الضيقة التى لا تسير فيها الجمال

المدينة مليئة بالمنازل التى يصـل ارتفاع بعضها الى اربعة طوابق وهى من النظافة والبهاء بحيث يقـول الرحالة بانها تبدو وكأنها بنيت من الجواهر الثمينة من الحصى والآجر او الحجارة ، وقد غرست الاشجـار

مصر

كما وصفها ناصر خسرو

فوق اسطح بعض منها . والبيوت تبتعد عن بعضها في تخطيط واضح فلا تعلو أشجار بيت على سور بيت آخر .

وتنتشر البساتين والاشجار بين القصور وتسقى من ماء الآبار . وقد كانت لقصر السلطان بساتين لا نظير لها وقد نصبت السواقي لريها .

وتغمر المياه الوادي بأجمعه في الصيف كأنه بحر ، عدا حديقة السلطان هذه لأنها كانت على مرتفع .

ويرى المسافر خارج المدينة ناحية الغرب ترعة كبيرة تسمى « الخليج » حفرها والد السلطان وله على شاطئها ثلاثمائة قرية ، ويبتدىء « فم الخليج » من مدينة مصر (الفسطاط) ويمر بالقاهرة ويدور بهما مارا بقصر السلطان ، وقد شيد على رأسه قصران أولهما قصر اللؤلؤة وثانيهما الجوهرة .

وبين مدينتي مصر والقاهرة أقل من ميل ، والاولى في الجنوب والثانية في الشمال الشرقي ، ويمر النيل بهما ويرتبطان عن طريق بيوتهما وبساتينهما .

وفي القاهرة اربعة جوامع ، أي المساجد التي تقام بها صلوات الجمعة والجماعة والاعياد ، وهي الازهر ، وجامع المعز ، وكان خارج القاهرة على شاطىء النيل ، وجامع الحاكم بأمر الله ، وجامع النور .

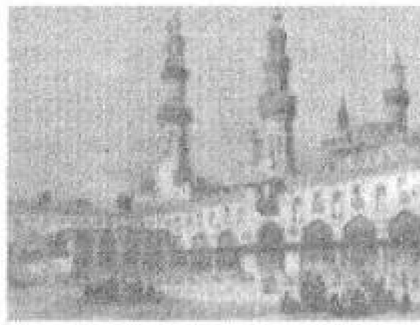
وكان للسلطان حديقة أخرى تسمى « حديقة عين شمس » وتبعد فرسخين عن القاهرة ، وهناك عين ماء عذبة يقال ان البستان تسمى بها ، وقد رأى الرحالة بالقرب منها بناية قديمة بها اربع قطع من الحجارة الثبوبية طول كل منها ثلاثون ذراعا ، وكان الماء يقطر من رؤوسها ولا يدرى أحد ما هي ... وفي الحديقة شجرة البلكان ويقال ان أباء هذا السلطان اتوا ببذرتها من بلاد المغرب وزرعوها في الحديقة ، ولا يوجد غيرها في جميع الآفاق حتى في بلاد المغرب نفسها ، ومع ان لهذه الشجرة حبا الا انه لا ينبت حينما يزرع ، واذا نبت فلا يخرج منه الزيت .. والبستانيون يشذبون غصون هذه الشجرة بالتمهل حينما تكبر ويربطون زجاجة عند موضع كل قطع ليخرج منه الدهن كالصمغ ، وحين ينفذ ما بها من دهن تجف ويحمل البستانيون غصونها الى المدينة ويبيعونها . ولحاؤها سميك وطعمه كاللوز حين يقشر ، وينبت في جذعها أغصان جديدة في السنة التالية فيعملون بها كما فعلوا في السنة الغابرة ...

ولمدينة القاهرة عشر محلات وهم يسمون المحلة « حارة » وهي حارات برجوان وزويلة والجودرية والامراء والنبالة والروم والبطالية وقصر الشرق وعبيد الشامعة ..

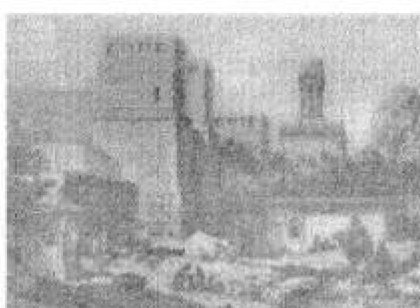
ثم يعود الرحالة ليصف مدينة مصر (الفسطاط) فيقول أن بها سبعة

جوامع غير جوامع القاهرة • ويروى انه سمع من تاجر ثقة ان بمصر دورا كثيرة فيهـا حجرات للاستقلال (للايجار) ومساحتها ثلاثون ذراعا في ثلاثين ذراعا وتسـع ثلاثمائة وخمسين شخصا كان بها الكثير من الاسواق التي تضاء شوارعها دائما بالقناديل •

صحن الجامع الازهر وتظهر به حلقات الدارسين ..



مشهد من جامع الحاكم الذي يتصل الضلع الشمالي لسور القاهرة بين بابي النصر والفتوح



ومدينة مصر مشـيدة على ربوة خشية فيضان الماء عليها ، وهـذه الربوة كانت مغطاة في وقتها باحجار كبيرة جدا ولكنهـا كسرت وسويت وكانت مصر تبدو كالجبل حين ينظر اليها من بعيد •

وبمصر بيوت مكونة من اربعة عشر طابقا ، وبيوت من سبعة طوابق ويقول الراوى سمع ان شخصا غرس حديقة على سطح بيته المكون من سبعة ادوار وحمل اليها عجلا صغيرا يسهل حمله ثم رباه حتى كبر ونصب على السطح ساقية فكان هذا الثور يديرها ليرفع الماء من بئر الى السـطح – وكان بهـذه الحديقة شـجر النارنج والموز وغيـرهما ، وبها الثمرات كلها ، كما زرع فيهـا الورد والريحان وانواع الزهور الاخرى •

وفي وسط سوق مصر جامع يسمى « باب الجوامع » شيده عمـرو بن العاص ايام امارته على مصر في زمن الخليفة عمر بن الخطاب ، وهـذا المسجد قائم على اربعمائة عمود من الرخام ، ويغطي الرخـام الابيض جدرانه ، ومكتوب عليه بخط جميـل ... وتحيط الاسواق بالجـامع من جهاته الاربع وعليها تفتح ابوابه ، ويقيم به المدرسون والمقرئون ، ولا يقل من فيه في اى وقت عن خمسة آلاف طالب من طلاب العلم الغرباء والكتاب الذين يحررون الصكوك والعقود •

وقد اشترى الحاكم بأمر الله هذا المسجد من أبناء عمـــرو بن العاص بمبلغ مائة الف دينار ، وأشهد على ذلك كل أهل مصر ثم أدخل عليـــه عمارات كثيرة وعجيبة منها ثريا لهـــا ستة عشر جانبـــا طول كل جانب منها ذراع ونصـــف ودائرتهـــا اربـــع وعشرون ذراعـــا .. ويوقدون فى هذه الثـــريا التى بلغ وزنها خمسةوعشرين قنطارا سبعمائة قنديل ، وذلك فى ليالى المواسم ... ويقال انه حين تم صنعها لم يتسع لها اى من أبواب الجامع فخلعوا بابا وادخلوها منه ، ثم ردوا البـــاب مكانه ...

ويفرش الجامع بعشر طبقات من الحصير الجميل الملون بعضـــها فوق بعض ، وتضاء جوانبه بأكثر من مائة قنديل .

وفى هذا الجـــامع مجلس قاضى القضاة ، وعلى الجانب الشـــمالى للجامع سوق تسمى سوق القناديل ولا يعرف مثله فى أى بلد ، وفيه كل ما فى العالم من طرائف ، وهنـــاك معروضات من الاوعية والامشـــاط والسكاكين ، كما يعمل به العـــاملون المهـــرة المتفرغون لنحت البللور فى غاية الدقة وهم يحضرونه من المغرب.
وقيل انه ظهر حديثا عند بحـــر القلزم (السويس) بللورا صخريا الطف واكثر شفافية من بللور المغرب وتوجد كذلك انياب الفيلة التى جلبت من زنجبار وكان وزن كثير منهـــا يربو على مائتى رطل... كذلك احضر

مصر
كما وصفها ناصر خسرو

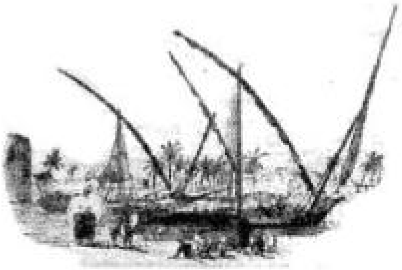
جلد البقر من الحبشة وهو يشـــبه جلد النمر ، ويصنعون منه النعال .

وقد جلبوا من الحبشة أيضا طائرا كبيرا ابلقا به نقط بيضـــاء وعلى رأسه تاج مثل الطاووس .

وتنتج مصر عسلا وسكرا كثيرا ، ويصنعون بمصر الفخار من كل نوع ومنه ما هو شفاف وخفيف بحيث اذا وضعت يدك عليه من الخارج ظهرت من الداخل ، وتصنع منـــه الاكواب والاقداح والاطباق ، وهم يلونونهـــا بالوان جميلة وكثيرة وتمتاز بأنهـــا تبدو من كل جهة بلون مختلف ، كما يصنعون بمصر قوارير كالزبرجد فى الصفاء والنظافة ويبيعونها بالوزن.
وسمع الرحالة من بزاز (نســـاج) أن وزن الدرهـــم الواحد من الخيط يشترى بثلاثة دنانير مغربية .

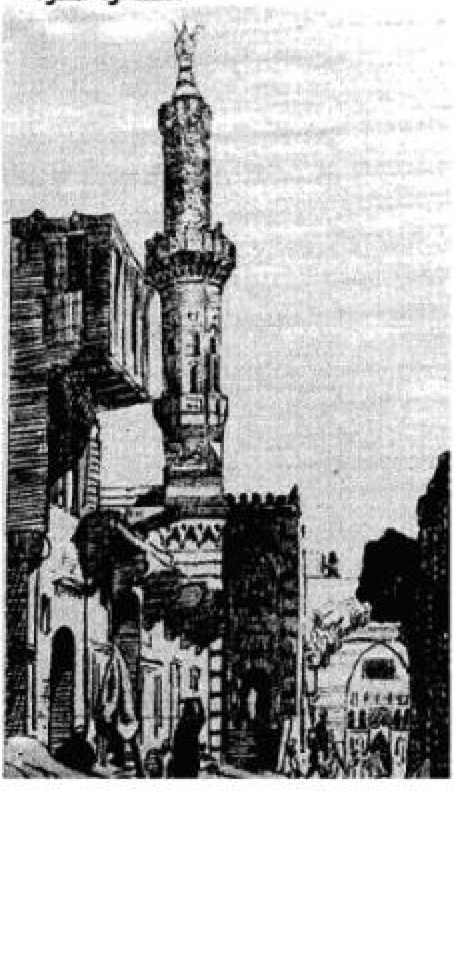
وتجار مصر يصـــدقون فى كل ما يبيعونه واذا كذب احدهم على مشتر كان يوضع على جمل ويمسك جرســـا بيده ويطوف به فى المدينة وهو يدق الجرس وينادى قائلا « لقد كذبت .. وها انا أعاقب ... وكل من يقول الكذب فجزاؤه العقـــاب » — ويعطى التجار فى مصر من بقالين وعطارين وغيرهم الاوعية اللازمة لما يبيعون من زجاج او خزف او ورق حتى لا يحتاج المشترى ان يحمل معه وعاء .

ويستخرجون فى مصر زيـــتا للمصـــابيح من بذور الفجل واللفت يسمونه « الزيت الحار » والسمسم هناك قليل وزيته عـــزيز اما زيت



مراكب المقطع كما تبدو في النيل « فم الخليج »

أحد مساجد القاهرة المعزية



الزيتون فرخيص ، والفستق أغلى من اللوز ، ولايزيد سعر عشرة أطنان من اللوز المقشور على دينار واحد .

ويركب أهل السوق وأصحاب الدكاكين الحمر المسرجة في ذهابهم وإيابهم الى السوق من البيوت وفي كل حي وعلى رأس كل شارع حمير كثيرة عليها براذع مزينة يركبها من يريد نظير أجر زهيد ، وقيل انه يوجد خمسون ألف بهيمة مسرجة تزين كل يوم وتكرى ولايركب الخيل الا الجند .

وكان الناس جميعا يثقون بالسلطان فلا يخشون الجواسيس ولا الغمازين معتمدين على أن السلطان لا يظلم أحدا ولا يطمع في مال أحد . ويروى ناصر خسرو أنه رأى أموالا يملكها بعض المصريين لو ذكرها أو وصفها لما صدقه الناس في فارس ، أما عن الأمن فيقول انه لم ير مثله في أي بلد من قبل ..

ولا ينسى الرحالة أن يصف جزيرة الروضة الحالية فيروى أنه شاهد أمام مصر جزيرة وسط النيل كان عليها مدينة في وقت ما ، والجزيرة غربي مدينة مصر وبها مسجد جمعة وحدائق وكانها صخرة وسط النهر تقسمه الى فرعين كل منهما في اتساع نهر جيحون ، ولكنه بطيء في جريانه وبين الجزيرة ومصر جسر يتكون من ست وثلاثين سفينة .

كما يقع جزء من مدينة مصر على جانب النيل الآخر ويسمونه «الجيزة» وبها مسجد لصلاة الجمعة ولكن ليس بها جسر ولذا يعبر الناس اليها بالزوارق أو المعابر وهي كثيرة في مصر أكثر مما في بغداد أو البصرة .

• محمد المهدي المجذوب •

من شهداء
معارك السويس
عام ١٩٥١

أم صابر

صباح إلى الشمس شمسا جديدة ... تنفض عن روحي خواء المقابر
كست كل شيء لونه بعد حيرة ... وقد طمس الألوان جهل الزواجر

أقمنا من الأهرام والموت غافل ... على رملها يحصي حطام الأداهر

وقد نفخوا في بوق فرعون سره ... تسربه البطحان فوق المنابر

بني النيل ردوني الى أم صابر ... لأحياء بحر ثائر غير صابر
تسابق ظل الموت في غير هيبة ... تحث له خطو القوى المبادر

بقية قوم أنسوا الظلم جيرة ... يسقون كبر النفس لمع البواتر

حمت أرضها زوجا وعرضا وأسرة ... وحسبنا أبيا طاهرا في المغادر

وما صائد يرمى حصانا ولم يجد ... سوى دمه بين الصقور الكواسر
الى السيف شعب النيل خوضوا بحدة ... صقور المنايا واحكموا في المصائر

دعوا السلم تلعب مزقة بعد مزقة ... فما السلم الا في لهيب المحاذر

اليضوا قتالا من حقود مريرة ... ولا تمسكوا ارغامها في السرائر

ابيدوا الى أن يلفظ السيف حده ... وحتى تطير الهام قبل البواتر

بني وطني شعري بشير وروعة ... من المطلق يستوجب ايمان شاعر
اما حمل الهادي الى القدس مكة ... وأعلى ضياء الفجر فوق المنائر

امتنها القصوى جسوم وكبة ... على البحر امس جامدا في المعابر
فيا موجة من غمرة النيل حرة ... تساور صغرا مثلهم الأظافر



سرى دمك الخلاق دوما وشارة ونصرا حسيس الهدى والمآثر
جل الجون ميزانا فللشمس كفة والبدر اخرى ما ولا غير جائر

***

سمعت عجوز الحي في الليل حولها سوامرة تتلو كتاب المقابر
تردد ان العلم لله كلما روت خبرا قد رث بين الخواطر
تقول ، ويصحو صوتها بعد نومة واروع ما تحكى صدور المحاجر
لقد كان قوم عبروا البحر شرقه وغربا على هام الطيور الكواسر
اذا نزلوا ارضا احلت عرامها ودان لهم من غابها كل ساحر
يتالون ما شاءوا قعودا وان مشوا فللارض انفاس الضعيف المحاذر
على اللهب الوهاج يسرون ليلهم ولله عصروا كرم النجوم الزواهر
وما جل شيء عندهم كل جنة شياطينهم فيها لها ضحك فاجر
نسوا الله نسيانا جهولا فالفوا عقولهم تلقى غيه البصائر
وبينا هم في غمرة العجب زارهم مع الصبح رجز قاهر كل قاهر
اساطيلهم ـ والبحر لله ـ صورة معلقة في دائرات الاداهر
بهامات فرعون ـ وبل بيل ـ ذامنا فما اعتبرت او فكرت في المقادر
اذا فجروا في ظلمة العقل ذره فهل حذروا ومضى الهوى في المحاجر
الى الليل عند برايها القلب وانتظر صباحك واسمع طرقات الدياجر
فيا حلما ولى مع السحر زيفه وان علقت اشباحه بالخواطر
نجوت فاما عشت فالطب مهاتي لدى الموت ما انت به ام صابر

أبوبكر خالد

• قصة •

كلاب القرية

عندما هبطت تلك القرية الساحلية كنت اسمع الكثير من القصص ، عن فتياتها وعن ندرة الرجال .. وبعد وصولي كنت على وشك ان اكذب كل ما سمعت ، فالمدرسة التي اعمل بها تحوم حولها اعداد من الفتيات الفقيرات المعطلات من الحسن ، وهن يحملن صفائح الماء الى بيوتهن

ووضح لي ان كل ما سمعته ، قد لونه خيال الراوي واكسبه خصوبة لا اساس لها من الواقع الى ان رأيت حطره .. كفلقة المانجو الناضجة .. وكانت تلتحم مع الاخريات خارجات المدرسة في طريقها للبوتكي . كانت دائما تحمل صفيحتها ، واراها على البعد وهي تعزف لحنا في سيرها يطيش له صوابي ، فما ان تقترب حتى تحبس انوثتها في مشية عسكرية صارمة ، وتشمخ بانفها في كبرياء عجيب ... لا تلتفت ابدا ، ولا يستطيع انسان ان يثيرها بقوله مع الاخريات يلاطفن ويتضاحكن ، ويعلمون يلقي بالتحية في نزق . وهي تسير وسطهن تحيط بها هالة يحسها كل من ينظر لها .

وكان احد الاصدقاء لا ينس ما تثيره في نفسه ويقول وهو يتبعها بنظراته النهمة ، لم تبق سوى ايام قلائل وتشح البئر ويعز الماء ويسهل صيد الفتيات . كان يقول ذلك ويرسل ضحكة مضطربة .

ومضت الايام وكنت اخرج فراشي امام بيتي والذي بني بطريقة استطيع منه الاشراف على جميع الداخليات . وكانت مدرستنا تشبه حدوة هائلة من الاسمنت غرزت في تلك الرمال التي لم تألف مثل هذا اللون من البنيان . ظلت على ظهر تلك الربوة تشد الاعين من المسافات البعيدة بلونها الابيض ..

وكنت اجد لذة بالغة عندما يتحلق حولي الصغار يسألونني عن الترام والنيل والسينما والوان الحياة عند اهل البحر .. كانوا يدفنون ارجلهم الصغيرة في الرمال ويتطلعون الي في شغف ، وكنت اتحايل لارجاعهم للمذياع . ولكنهم دائما كانوا يفضلون مجلسي هذا .. بل كثيرا ما كنت اجد بعضهم قد سرقه النوم .

وكانت هذه هي احدى المتاعب التي ترهقني كثيرا في تلك المدرسة ، اذ كان علي دائما ان اتجول في كل الاماكن القريبة من المدرسة لاتأكد ان بعض التلاميذ لم يهربوا من اسرتهم بعد جرس النوم الاخير فقد علمت من تجربتي انهم جميعا يفضلون النوم على الرمال الجميلة خاصة في الليالي المقمرة والتي حرموا منها يوم ان حضروا لهذه المباني الضخمة الصماء ، التي يختنقون بجدرانها السميكة وارضها الحجرية الصماء ..

وفي هذه الليلة بدأ طلبتي يوجهون لي أسئلة لا تتعلق بالبحر وحياة أهله ، وكان بدأ هذه الاسئلة طالب كبير ، وشحبت بسحنته لتتغير وبنبرة صوته ترتجف وهو يقول :

– ياستاذ انا بخرف واحدة قمت ...

واكتفى بأن اشار باصبعه للمقابر التي تجاور المدرسة وعندما خال صمتي تبرع آخر واقسم بأنه كان ذاهبا ليشرب ، فوجد شيطانا هناك فرجع خائفا وقرأ « سورة يس » حتى الصباح .

والحقيقة انني كنت اسمع قصصا كثيرة ومتنوعة ومن طلبة



كلاب القرية

مختلفين ، وكنت اعلم ان عمال المدرسة يزرعون الخوف في قلوب الاولاد بقصص الناس الذين ينهضون في عتمة الليل من المقابر ليشربوا ماء الداخليات ... وكنت اعرف أن عمال المدرسة يبررون اهمالهم في حراسة الماء حيث تتدفق الابقار والماعز في اواخر الليل لتشرب الماء حيث لا سور للمدرسة يحول دون دخولها ولا أبواب تمنع من الوصول لمكان الماء . وكنا في تلك الايام نعاني ضيقا عنيفا في الماء ، وكنت احضر الماء للمدرسة باذن خاص ، وكنا نبصر الاسر تحضر للبئر لمجرد الشرب وبعضهم يحضرون من القرى المجاورة ويقضون ليلتهم حول الدونكي ليتسنى لهم حمل الماء في الصباح .

ـ ياستاذ ..

وتجاهلت هذا السؤال كنت اتمنع عدم الاهتمام بمراقبة قبة السماء التي تبدو قريبة كانها على وشك ان تتكفيء على الارض .

وهذه المرة وجدت نفسي اضيق باسئلة الطلبة واطلب منهم الرجوع لحلقة الذباع ... ورايتهم ينتزعون ارجلهم من الرمال في يأس ، ويأخذون طريقهم غير مقتنعين بتهربي الذي لم يعرفوا له سببا وكنت ارجو ان اخلو لنفسي ... كان علي ان أوقف عبث العمال، ولحظتي تلك سأقدم لطلبتي دليلا ملموسا يغنيهم عن كل شرح .

وعندما انطفأ نور المدرسة سكنت الداخليات لهدوء متقطع . ثم غرقت في الصمت .. وجعلت اتقلب في فراشي وقد تلاشت رغبتي في القراءة والنوم وزحف قمر القرية الهائل . وسرعان ما دبت الحياة في اطراف القرية ، وبدأت الطبول تتخافته بادىء الامر . وككل غريب تثقل عليه وطأة الذكرى جعلت احلم والنسائم تحمل لي اغنيات الاهالي الذين انبثوا جماعات ترقص وترفع عقائرها باغنيات لا افهمها ولكنها تنفذ لاعماقي ... وامتدت يد صغيرة توقظني : ـ

ياستاذ ...

ورفعت راسي لاجد تلميذا صغيرا يشير في هلع الى اخوانه الذين تجمعوا بالقرب منه .

وعرفت كل شيء . وتهشت وانا الاخر قد تاثرت بخوفهم ... ولكنني كنت اعلم انهم يضعون لي في رؤوسهم صورة اسطورية، وانني القادر على كل شيء ولو كان شيطانا نهض من المقابر في اخريات الليل ! .

وتقدمتهم لمكان الماء بعد ان ارسلت بعضهم لايقاظ العمال والغفير ، وفي لحظات حضر العمال ولكنهم تسمروا بعيدا ، ورفضوا ان يتقدموا خطوة واحدة ، ووقف خلفهم التلاميذ وعيونهم يدور فيها تساؤل كبير . واخذت طريقي وانا احمل عصا

وانا اعلم انني ساجد بقرة او عنزا ، وقبل ان اضع رجلي داخل الحجرة مرق في سرعة كلب هائل !!

وهبط الامان على قلبي ، وتنفست الصعداء والتفت ، في سخرية للعمال ثم رفعت الفانوس الصغير فلمحت عنزا قد رفعت رجليها الاماميتين وادخلت راسها في الزير وهي تشرب آمنة ....

وعندما اقتربت من العنز وقفت فجاة وانا ابصر فتاة قد تجمعت في ركن الحجرة وهي تحاول ان تخفي جرتها التي ملأتها بالماء .. وعندما نهضت واقتربت مني تراجعت خائفة ، وقلبي اوشك ان يفلت مني ، فقد كانت « مطر » الصبية الحسناء التي كانت تشغل احلامي لا تشاركها في ذلك واحدة من الكثيرات اللاتي كن يحمن حولي .

وخرجت سريعا وخرجت خلفي « مطر » وفر العمال الواهمون في دهشة بليدة ، وعلى حين فجاة اندفع الخفير وتناول جرة الماء من راسها وهشمها على الارض وامسك بشعرها وانهال عليها ضربا .. وصرخت فيه غاضبا ، فكف فجاة وهو يعتذر لي ويؤكد انه ان لم يفعل ذلك الان يظل سيل البنات الذي يتدفق آخر الليل لسرقة الماء ... اما مطر فقد هربت لاتلوى على شيء .لم اكن في حالة تسمح لي بالحديث . امرت الطلبة بالرجوع لاسرتهم



واتخذت طريقي لفراشي ، وعندما عاد الصمت مرة اخرى ، كانت تنهش صدري انـ..الات لا حد لها يملؤني حنق على هذا الخفير ، وكنت ابصرت بعين خيالي « مطر » صاحبة الانف الشامخ وهي تجري كانها صبي شقي تورط في اثم كبير ، ثم الح شعرها المقبوض وعينيها الجميلتين وقد امتلأتا بالخوف ...وتقلبت في فراشي . وحاولت جهدي ان افرغ ما يصعد في راسي لانام بلا جدوى ..

وخيل الي انني اسمع حركة ، فرفعت راسي فلم ار شيئا ... وبعد فترة تأكدت ، هذه المرة ان ثمة شيئا يتحرك وفي مكان قريب جدا فحبست انفاسي كانني اخشى ان انبه على شيء ولبثت ارصد الحركة وهي تقترب وتتضح ، الى ان تأكدت ان اقداما تقف خلف راسي فاغمضت عيني وخياشيمي قد امتلأت برائحة انثى اوشكت الا تصعد

كلاب القرية

فراشي، وعند ذلك سمعت صوتا خافتا يقول :

ـ ها ... ها ...

ولم اتحرك وسمعت الصوت يعوده هاء ياها

ورفعت راسي، وفجأة قفزت كالملدوغ ... ووجدتها امامي ... « مطر » بلحمها وعظمها ... قطعة الثلج التي احالت حياتي لجحيم ... ووقفت مشدوها

وانا التفت ، وقد ارهقني خوف لم اعرفه قبل ذلك ... وصارت تظهر صفيحة فارغة في يدها ثم همست :

ـ ها ...

واشارت لزير الماء القابع القريب ولما لم تجد اعتراضا بدأت تصب الماء .

في صفيحتها في خفة اللص وحرصه ، حتى لا يصدر صوتا ،وعندما فرغت من حمل الماء همست : ـ

ـ اها ... مع ...

واكملت كلمتها بابتسامتها الساحرة وهي ترفع الصفيحة لرأسها والقت طرف ثوبها الذي امسكته بأسنانها . فبرز صدرها بكنوزه الفاخرة ... وتناولت طرف الثوب وهي تضغط على صدرها وخرجت . ووجدت نفسي اسير خلفها .. خاصة وان مشيتها العسكرية كانت قد لانت وتكسرت ، وعندما انتبهت لنفسي كانت المباني البيضاء تسطع بعيدا تحت ضوء القمر ... وصرت شبه ملزوم و « مطر » تتأود وتهز أعطافها وصرتها لي فتح حبيب .

وعندما هبت نسمات الصباح افترقنا . وعدت وحيدا ... كان وجهي محتقنا . ينضح عرقا رغم النسمات اللطيفة وشعرت بخوف وانا اسمع حركة كلاب تقترب ... ولم تمض برهة حتى وجدت نفسي محاطا بالكلاب . كانها كانت تقسم طريقي وتتبعني ... واحكمت حلقتها حولي وصارت تتحرش بي وتنبحني بطريقة زلزلت كياني كله واطارت ما تبقى لي من صواب ...

وفي خوف اقتحمت حصارها وانطلقت في سرعة هائلة حتى وصلت بيتي كالعاصفة ، واستيقظ الخفير على جلبة الكلاب ، ولمحته يجول حول المباني بحثا عن شيء . ولعل بصره وقع علي وانا اهرب فجاءني ليبرهن على حراسته ، وقال اتسمع خطوات اللص المسرعة والذي لم يستطع ان يفعل شيئا سوى الهرب لان كلاب القرية كعادتها شاركت في مطاردة اللص ...

● ابو بكر خالد ●
● السودان ●

ابن جبير

صاحب "تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار"

هو ابو الحسين احمد بن جبير الاندلسي ولد بمدينة بلنسية بالاندلس في سنة ٥٤٠ هجرية . ونشأ منذ صغره ينهل من كتب الادب والفقه تماما كما كان يفعل ابوه ابو جعفر احمد بن جبير . ثم تنقل ابن جبير في مدن الاندلس والمغرب ..

وانتقل ابن جبير الى غرناطة ولبث فيها يكتب ويدرس حتى دخل في خدمة صاحب « غرناطة » ابي سعيد ابن عبد المؤمن .

وقد اراد ابن جبير الرحيل الى بلاد المشرق في رحلة للحج ، وسافر معه في هذه الرحلة ابو جعفر بن حسان وكان من رجال الطب والعلم والادب ، وعبر الرجلان البحر الى « سبتة » بالشاطىء المغربي ووجدا عنده سفينة من سفن مدينة « جنوة » تريد الاقلاع الى « الاسكندرية » فركب فيها يوم الخميس من شوال واقلعت السفينة من الثغر المراكشي ، وكان الفصل في الخريف فتمايلت السفينة وعبث بها الموج ، ومرت الرحلة بأهوال وعواصف شديدة وصفها ابن جبير فقد كان يسجل يوما فيوما ما يقع له خلال السفر وما يشاهده اثناء ذلك على عادة ارقى الكتاب والمؤلفين .

وقد وصف ابن جبير وصوله الى الاسكندرية والاجراءات التي اتبعت في الميناء وصفا شائقا ، حافلا بمثل ما يحدث الآن من تفتيش الحقائب وما تزودوا به في رحلتهم ، كما وصف الثغر الاسكندرية وذكر بعض اخبارها واستعرض المدارس والمساجد والمنارات في كتابه الممتع « تذكرة بالاخبار عن اتفاقات الاخبار » كذلك وصف الحالة العامة خلال حكم صلاح الدين فراى اهل البلد في غاية من الترفيه واتساع الاحوال .

ثم رحل الى القاهرة فوصف الآثار فيها والمشاهد ، والمساجد ، كما تحدث عن الابنية والجند والخلجان والنيل والقناطر، وذكر الايام والاشهر لارتحاله وسفره وعودته ، واثبت حال الانواء والطقس والشمس والقمر . وسجل الاشهر العربية والغربية معا .

وغادر ابن جبير مصر ، قاصدا الحج ، فركب البحر ، ووصف منه ما لم يصف قبله واصف .

وابن جبير فضله كبير على ادب الرحلة ، فقد استطاع في القرن الثاني عشر للميلاد أن يقول ما لم يقله كاتب قبله ، وبذلك خط الطريق ، وكان علما في هذا الادب خالدا على الزمان تبعه من بعده فقلده ابن بطوطة .

وابن جبير من اوائل من كتبوا الرثاء ، وقد كان ذلك نادرا في عصره وله في ذلك ديوان سماه « نتيجة وجد الجوانح في تأبين القرين الصالح » وهو جملة مراث لزوجته التي كان حبه لها شديدا .

وبوفاة زوجته شد الرحال الى الشرق ليتسى ويتعزى ، وكانت رحلته الى مكة ثم القدس « ثم الاسكندرية ، وفيها وافته المنية وهو في الرابعة والسبعين من العمر ، يوم الاربعاء ٢٧ شعبان سنة ٦١٤ هـ بعد أن خلد في ادبنا العربي ما كتب عن هذه الرحلة « ...

تحية للأشقاء

بسم الزمان فهلل
وتلق فاتنة المحيا
وتمن ما طاب الهوى
فلقد اتيح لك الرجو
غيداء جملها الصبا
هذى ديار الكرما
هذا هو الروض الأنيـ
حييتك منه روائع
فتطلعت منه نفائس الأ
وعلى رباه صدحت بلا

***

جئناك يا مصر العزيـ
جئناك فى وفد الثقا
نشتار من شهد الثقا
نزجى لك الشوق النبيـ
نزجيه من أرج الجنو
فى رعشة النسيم القليـ
فى السيسبان يميل من
فى النخل يعلو شامخا
فى كل ما شف الحبـ
أنا على رغم المدا
صنوان ذابهما بلو
لعمى لنا الرحمن فى
فى النيل يجرى دافقا
فى الحب ... فى الهم فى
فى العناد .. فى الاسلام
فى كل عيش مخضل
تتبدل الدنيا وند

***

يا مصر يا أمل العرو
لولاك ما عزت شمو
لولاك ما خرجت فلو
لولا بنوك الثائرو
ما انجاب ليل الظلم عن

واشد القصيد ورتل
فل فى الوشاح المخمل
لك ... أى سعد مقبل
ع ... وكنت غير مؤمل
فحكت عروسة المحفل
ـه وقبلة المتبتل
ـث يزف عطر المنزل
تحيى سنى المتخيل
ازهار ... لم تتمهل
نغم الشجى المرسل

***

ـسرة ... الحبيب الاول
فة حل ارحب منزل
ـه حلاوة المتعلل
ـل الى حماك الانبل
ـب بكل سحر منهل
ـل .. وفى حفيف السنبل
نسم الصبا المتغزل
جذلان يبسم من عل
ـب جوى. والفرى بالمغل
كالطود ... لم تتحول
ـغ النائى ..دون توسل
ـها من نماه المجزل
مثل الرحيق السلسل
الكفاح الواحد المتكتل
فى صلة الجوار الامثل
فى كل خطب مشكل
ـن فعالك ـ لم تتبدل

ـبة ... يا سلاح العزل
ـب الشرق بعد تذلل
ـل الغاصب المتسلل
ـن على العدو الموغل
صبح اغر محجل

مبارك
المغربي

ولا جلا شمس الضو
ولا زهت الربيـا
تجتاز آفاق السحا
يا مصر يا هبة السما
يا دار احلامي ومل
كم من لقاء كان لي
القى لبانات الهوى
وابث للربيع النضير
الزهي بصحبة جهيد
يا للزمان وقد مضى
هو بيننا في شعره

***

ناداه ركب الخالد
من معشر زانوا الحجى
الحافظين العهد في الـ
والراكبين الهول في
كم موقف مستبسل
ومآثر مشهودة
لا غرو ان اصبحت للـ
بطل العبور تحية
من خدنك الجلد الجسو
من اهلك الادنين من
كم موقف لك هزهم
بكما يلوذ النيل من
وتعود امجاد الحمى
سيرا ولا تنيا وند
ما عن حقوق العائد
لن تستريح نفوسنا
وسوائم الاعداء تر
تهفو لصوت راعد
تهفو ليوم النصر في
يا مصر يا اغل اما
تيهي بمجد حافل
انا على العهد الذي
ولنا الوفاء .. لغيرنا

ل عن الحياض الهمل
بجبينها المتهلل
ب - كماتشاء - وتعتلي
ر ... وبهجة المتامل
في فتنتي وتغزلي
بالامس عند « النيل »
بين المروج الحفل
ر جوى الفؤاد المثقل
عف اللسان مكمل
« بعزيز » قوم مفضل
وشعوره ... لم يرحل

ين فسار دون تمهل
بالصدق غير مؤول
زمن الغفول الحول
ليل الخطوب الاليل
لهم ... ورأى فيصل
بين الخصوم المثل
فصار اكرم موئل
ضاعت كريح الشمال
ر ... وشعبنا المتاصل
الزكي والوفي معقل
هزا ... وكم من مقول
شر الصوادى المنزل
كالامس في ازهى حلى
ن - فتاكما - لا تاتلي
ين لثارهم من تعدل
والنيل لا ينجلي
عى في الاديم المهمل
بين الصفوف مجلجل
جيش الخلاص الجحفل
لينا والعين المائل
بالتضحيات مؤثل
عشنا له .. لم نعدل
دى النيل .. للمستقبل

أم كلثوم بين الشبيبي الكبير

عبد الرزاق الهلالي

الشبيبي الكبير هو الشاعر العراقي الفحل ، المغفور له ، الشيخ محمد جواد الشبيبي ، هذا الشاعر الذي لقبه العراقيون بلقب (الشبيبي الكبير) تمييزاً له عن بقية ابنائه من الشعراء ، وفي مقدمتهم المرحوم الشيخ محمد رضا الشبيبي والمرحوم الشيخ محمد باقر الشبيبي .

فلقب ، استاذنا المرحوم الدكتور زكي مبارك، وفق ما سنبينه بعد حين .

اما « ابو كلثوم الوفدى » فهو الشيخ محمد باقر نفسه ، منحه هذا ونحن اذ نقدم لقراء (الهلال) الاغر ، هذا المقال ، لا نريد ان ندخل في البحث عن حياة الشبيبي الكبير وادبه وشعره ، او حياة ابنه الشبيبي الصغير ، لان صفحات حياة كل منهما قد فصلت تفصيلا وافيا في دراستين قيمتين ، صدرتا في بغداد منذ سنوات (١) ، وعليه فاننا سوف نقصر بحثنا في هذا المقال ، على موقف كل منهما من المطربة الكبيرة (المرحومة) أم كلثوم ، حين زيارتها للعراق عام ١٩٣٢ ، وعلى ما قاله كل منهما من شعر بمناسبة هذه الزيارة ، رغبة منا في ايقاف القارىء ، على بعض الصور الادبية في العراق ، وبعد وقوفه عليها، على الفرق الكبير ، بين موقف كل من هذين الشاعرين ، وهما يسجلان مشاعرهما واحاسيسهما عند الترحيب بهذه المطربة الكبيرة . ثم لنوقفه بعد ذلك على السبب الذي حمل الدكتور مبارك رحمه الله على ان يمنح الشيخ محمد باقر الشبيبي ، لقب (ابو كلثوم الوفدى) في سنة ١٩٣٦ . كل هذا ستوضحه التفاصيل الاتي بيانها :

● قمرية الدوح ●

لقد اطلق الشاعر الكبير الشيخ جواد الشبيبي ، لقب (قمرية الدوح) على أم كلثوم ، لانه ، عندما نظم قصيدته الميمية ، التي جاوزت الستين بيتا ، جعل مطلعها هذا البيت:

---

١ : هما: ١ ـ الشاعر الثائر الشيخ محمد باقر الشبيبي لكاتب هذا المقال بغداد ١٩٦٥

٢ ـ الشبيبي الكبير تأليف الاستاذ محمود الحمادي بغداد ١٩٧٢ .

وابنه "أبي كلثوم الوفدي"

قمرية الدوح يا ذات الترانيم   مع النسور على ورد الردى حومي

وقد كان المفترض ، أن يسلك في قصيدته هذه ، المسلك الذي سلكه كبار شعراء العراق وهم يرحبون بأم كلثوم، ولكنه سلك غير ذلك فقد انتهز مناسبة زيارتها للعراق ، لا ليعرب لهـا عن مشاعره نحوها ونحو فنها الرفيع بل ليسجل لها في قصيدته أحاسيسه ومشاعره الوطنية وآلامه التي تعتمل في قلبه بسبب ما حل بالشعوب العربية والاسلامية من مصائب ونكبات ، فرسم بريشة الرسام الماهر حال تلك الشعوب في هذه القصيدة . فكيف رحب بأم كلثوم اذن ؟ قال مخاطبا اياها :

قمرية الدوح يا ذات الترانيم   مع النسور على ورد الردى حومي

سيرى مع الجحفل الجرار خافقة   وسابقي فوقه سرب القشاعيم

وناوحي أمة الشكوى فقد رزئت   بالدهما بالطاغين الطغاميم

وذكريها عهود العرب ماضية   فإن عهد المواضي غير منصوم

خلت بلاده من قوم فوارسهم   ملء البسيطة من فرس ومن روم



أم كلثوم



الشيخ محمد باقر الشبيبي

وهكذا ، بعد أن يسترسل في تذكيرها بما حل بالدول الاسلامية ، يعرج على العراق ، فيصف لها ما حل بأبنائه من جور وظلم فيقول :

غريدة الدوح ما في الدوح من ثمر … الا تعاليل محزون لمهموم
هيرى الى الافق الأعلى فليس على … وجه الثرى وكر طير غير مهدوم
ماذا العواصم من ضيق ومن نوب … اشتملته في الليالي والدياميم

ولكنه ، وهو يخاطب هذه الفنانة الكبيرة ، عند زيارتها للعراق ، لم يشأ أن يهمل ذكر اخوانه من أبناء العروبة ، بل راح يخاطبهم في قصيدته قائلا :

سكان جلق ذات البرج بمالكم … يعارض من فتوق السحب مسجوم
ومنبت الزهر زهر الفضل في حلب … لا زلت تلمع في شيح وقيصوم
ويا حواضر لبنان الجسور في … بحر بمثل هموم الشعب ملغوم
ويا نزولا على الخرطوم زاحمكم … في مورد النيل عذبا الف خرطوم
منه من الغرب وانتصت موارده … فليت لا عرمت الا بمحسوم
الله ميلاتها درسا يعرفنا … سوء البلاغه منها والخواتيم

اما أزمة بالانشقاق الذي حدث بين صفوف قادة حزب الوفد المصري ، فقد أعرب عنه مخاطبا مصر قائلا :

يا مصر قولي لوفد العز مذ لبسوا … تلك الصواري من قوم ومن قوم
ليس (الصعيد) صعيديا (فراعنة) … لنا اختلافهم ولا (الفيوم) فيومي
كونوا من الذهب المسبوك سلسلة … ابريزها غير مفصوم وموصوم

ويذهب هذا الشيخ الكبير ، في مخاطبته لام كلثوم ، الى أبعد الحدود لا يقول لها ، ان شرف الأمة العربية لم يكن شرفا يطيبه الطرب والغناء ، لا لا يطيب ذلك الا بعد أن يعود لها عزها وسالف مجدها ، لا يقول :

غريدة الدوح قومي والتفري أمما … مظلومة الصوت في أوطانها قومي
ما في العراق الا استقرية بلغة … الان تصيغ لابكار الاناغيم

ولكنه مع هذا يقول :

إن صبية تلك الطوق تذكرها … بذكريات احتفالات وتكريم
ان هاله للعرب الامجاد ملكهم … وحصنوا الارض بالبيض المقاليم
ان ترجعهم الى امجاد ملكهم … فالان ، انت اصدحي يا ام كلثوم

وقبل أن يختم هذه القصيدة الوطنية الجياشة المشاعر والاحاسيس ، يبدي وجهة نظره في (الغناء) وفي قدرة الشعب على تقبله فيقول :

سيان للهائمين المحزون في وطن … ترنيمة الورق او تمساية البوم .

قالوا الغناء ، غذاء الروح ينعشه — وان يكن غير مشروب ومطعـــوم
فتحاملوا هذا الارواح ان جنيت — وارشدونا لروح غير مالـــسوم
متى يكون علاج للغشني ، بغشني؟ — وشارب السم هل يشفى بمسموم؟!

***

تلك هي قصيدة الشبيبي الكبير ، وهذا هو ترحيبه بمطـربة الشرق ، ام كلثوم ، حين زيارتها للعراق ، فكيف وقف منها ابنه الشـــيخ محمد باقر اذن ؟!

● هلا ايتها القادة ●

ليس من شك في أن موقفه سيأتي مغايرا لموقف أبيه ، ذلك الشيخ الذى كان قد ناهز السبعين بينما هو لما يزل يحوم حول سن الاربعين ، فقد رحب بأم كلثوم ترحيب الشـــاب الذى ملك الحب والشوق مشـــاعره ، فلا عجب اذا ما رأيناه يخاطبها قائلا :

هلا ايتها القـــادة — تغني لي على العادة

ثم يقول :

تطلعت الى الجسم — وقلبي دائـــم الخفق
فأبصرتـــه في السرب — وشـــاهدته في الأفق
فمن ســـواك كالطير — ومن أنت من الخلـــق
أمن عائـــلة البلبـــل — أم من مجمع الورق ؟

***

على الشاطيء صيداح — متوقـــه له يامبلة



الشيخ جواد الشبيبي



د. زكي مبارك

سأرعى النجم للصبح | واحيي الليل في الحفلة
فأهــلا قبلة الليل | ومرحى جارة الرمـلة
وبوركت على السير | وحييت على الرحـلة

والموتر هذه القصيدة عديدة ،ولئن كان انشقاق حزب الوفـد وقتئذ قد آلزم اباه ، كما رأينـــا ، فانه اعتبر هذا الخلاف والانشـقاق حادثة كبرى اذ يقول :

عجبنا ام كلثــــوم | من الحادثــة الكبرى
لماذا انقسم الوفد ؟ | ومن ذا بيت الامرا ؟
الا من يجمع الشمل | الا من يطرد الشرا ؟
فـذى حترك يامصر | وذى الكيد والمكرا

ثم يختم هذه القصيدة ، بذكر هـواه وقلبه الذى اذابه الوجد قائلا :

سلى قلبي عن الحب | فقد ذاب من الوجـد
وكم لاب على الروض | وكم حام على الورد
سلبنى شاحب اللون | فمن سـهد الى سهد
خذى قلبى للوقـد | فانى فى الهوى وقدى

نعم ، هكذا انهى قصـــيدته ،بالحديث عن حبه ، وعن هواه نحو حزب الوفد المصرى ، وهو كما نرى ختام ، يغاير الصـورة التى ختم بها ابوه قصيدته .

ابو كلثوم الوفدى

واذا كان الشيخ محمد باقر الشبيبي رحمه الله وفدى الهوى حسبما قال هو عن نفسه ، فى قصيدته تلك ، فيطيب لنا بهذه المناسبة ، أن نبين للقراء ، ان استاذنا المرحوم الدكتور زكى مبارك ،كان قد منحه فى ســنة ١٩٣٩ ، لقب (ابو كلثوم الوفدى) حين كتب عنه على صفحات مجلة (الرسالة القاهرية فى عددها الصادر يوم (٤ ديسمبر) مقالا عنوانه (ابو كلثوم الوفـدى) قال فيه : (لم يكن الشيخ باقـــر الشبيبى ، اول المفتـونين باغاريد ام كلثوم ، ولكن هيامه بها قد اتصـــل بنزعة نبيلة هى الجزع من الانشقاق الذى وقع فى الوفد سنة ١٩٣٢ وخرج به على الزعامة ثمانية اعضاء واشار الدكتور فى مقالة هذا الى اجتمـاع نادى القلم العراقى فى (الرصـافة) والقائه قصيدته الهمزية الرائعة التى مطلعها :

وقفت على بغـداد والقلب موجع | فهل فرجت كربى وهل ابرأت دائى

ثم ذكر اختيار الشـيخ محمد باقر الشبيبى للاجابة على قصيدته هذه ،



شعرا في الاجتماع الذي سيعقد في منزلة في (الزوية) ويقول (واجتمعنا في الزوية في مساء معتدل النسيم ، ودجلة تصغي الينا ، في توقد وترقرق والاخوان ينتظرون قصيدة السيد باقر الشبيبي .. فهتف البلبل :

وفاء بعهدي او نزولا على وعدي ... وقفت احيي معشري وذوي ودي
وقفت احيي عصبة عربية ... بها نستبين الرشد حقا ونستهدي

فاهلا بكم في روضة الحب والصفا ... واهلا بكم عند المسرة او عندي

ويعجبني في (الرصافية) شاعر ... به مثل ما بي من حنين ومن سهد
به من هوى ليلى رسيس من الهوى ... وبي لهيب لاينطفي من هوى هند

وما كاد يصل الى هذا الحد ، حتى حدثني القلب ، بانه سيتحدث عن ام كلثوم والوفد لان القافية (دالية). فقلت : اراهن انه ستعلن انضمامك الى الوفد .

فضحك ضحكة كادت تزلزله من مكانه ثم مضى يقول :

اماناً لها من داء وجدي فانني ... اخاف عليها ان داء الهوى يعدي
وتذكرني عهد الصبا في قصيده ... سلام على عهد الصبا في ربى نجد
هواه على اجراف دجلة واقد ... واما هوى قلبي فللنيل والوفد

فصاح الاعضاء ، صحت فراسة الدكتور زكي مبارك في الرفد ، فهل تمنع في ام كلثوم ؟ فمضى الشاعر ينشد :

فلا تحسبوه شارد القلب وحده ... ولاتحسبوني سادرا في الهوى وحدي
سهيدان هذا للكواكب عينه ... واخر مفتول الوريد على الزند

قتيلان اما من لقاء مطامع ... الثيح واما من لقاه على وعد
فاما قتيل من جنى الشهد يشتكي ... واما صريع يشتكي من جنى الورد

صريع الغواني لا تلمني فانني ... صريع اغاني ام كلثوم لا دعد
سلام على تلك الاغاريد انها ... اغاريد من وحي الصبابة والوجد

■■■

اما بعد فهذا حديث (ابي كلثوم الوفدي) اعزه الحب ، ورعته هذه العروبة المصرية العراقية).

وبعد ؟

فلعل القارىء الكريم ، قد وقف على ما اثارته رحلة ام كلثوم الى العراق من مشاعر واحاسيس في نفوس عدد من كبار الشعراء فيه ، وهي بلا شك مشاعر ، حرية بالتسجيل والحفظ والدراسة ، ارجو ان اكون قد كشفت بمقالي هذا ، عن لوحة جميلة من الواح الشعر العربي في العراق في الثلاثينات ، خدمة للشعر والفكر والحقيقة ، ومن الله التوفيق .

● بغداد ●

● عبد الرزاق الهلالي ●

حيي الأحباب

د. سراج نطيب السراج

حيي الاحباب هاتانا الـــوب … اليك وفي الضلوع هوى مذيب
وكنت عل النوى حلما وضيئا … يضاحكني اذا عبست كـــروب

اراك عل المدى النائي قريبـــا … وانت على المدى حب قريب
هـــواه منـــذ مس الحب قلبي … له ما بين احشـــــائي دبيب

يؤرقني فافتني الليل سـهدا … كما يقضي ليـــاليه الحريب
ويجرى الدمع سحاحا سـخينا … اذا غنى لالـــف عندليـــب

اهيـــب به رويدك ان قـــلبي … كقلبك قد نأى عنـــه الحبيب
وان تك انت في ايك غـــريب … فـــاني ذى اهل غـــريب

اليس احبتي عني بعيـــــدا … فعيشي دونهم قفـــر جديب
وهل يهنـــا بعيش مطمئن … فتى في اهلـــه فرد غـــريب

وهل يهنـــا بعيش مطمئن … اسيـــر للهـــوى قلق كئيب
تنازعه الصـــبابة نضو عشق … يزايله واحيـــانا يثـــوب

يرفرف في الضلوع رفيف طير … رمته في حبـــائلها الخطـــوب
فمذ عرف الهوى امسى عصيا … اناديه فيســـــدر لا يجيب

وكيف يجيب من تاهت خـــود … خلوب الحسن فاتنة لعـــوب
تمايس في برود الوشي عجبـــا … كما يتمـــايس الرشـــا الربيب

وترنو فالقلـــوب لها نهـــاب … تصيب شـــغافها فيما تصيب
اقول له رشادك بعض هـــذا الوجيب فليس يجديك الـــوجيب
ولا يجدى نحيبك فقـــد الف … وهل يسترجع الالف النحيب



فيمضى لايبـــال قـــول لاح ... ويقحم ليس يثنيـــه اللهيـب
وهل يثني المحـب لهيب نار ... ونيران الهـوى روض خصيب
وكيف ينـال منيته هيـوب ... وما نال التى يوما هيـوب

فبشرى أيهـــا القلـب للعنى ... وبعدا يا عناء ويا لغـــوب
فها هى ذى الامـــانى الغـوال ... تنيل ولا عذول ولا رقيـب

وها هى ذى الرؤى رفت وضاء ... كما يبتسم الثغر الشنيب
اليست بارض مصر ومصر حلم ... تمنى أن تعـــانقه القلوب

اليست مصر مذ كانت ضفافا ... يحن الى مشـــارعها الاديـب
اليست مصر مذ كانت عرينـــا ... منيعـــا لا يحـوم عليه ذيب

به اســـد اذا ماريـــع هبت ... فرج تزلزلها الكون الرحيب
ودكت بالقنـــا الارض دكـــا ... فلا بقيـا عليـــه ولا هروب

ولكن التبـــار له مصـــير ... ولكن التبـــاب له نصيب
وما يوم العبور الضخم ينسى ... اذا ذكر التقحم والـــولوب

الم تشـــهد به الاعـــداء يوما ... له الولدان من هول تشيب
تآزر فيه جنـــد الله صـــفا ... ركينا لا يبـــال ما ينـــوب

يكبر فالقنـــــــــه دوى رعـــد ... ويضرب فالقتال دم صـــبيب
وهل يوما بغير السيف يحمى ... يعـــود لاهلـه حق ســليب

فمـــا امسى عـــلو الله الا ... ولله ســـدت باوجهه الدروب
وخيـــل الله والفئة تنـــادى ... اباة العـــرب حى فتستجيب

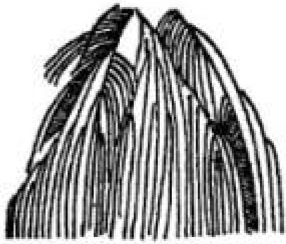
كتائب لاتهاب الموت شعث ... شعارهم التوثب والهبوب
يخوضون اللظى يسلا اذا ما ... جبان القوم هالته الحروب
تنافح عن ثرى حر زكى ... كما يحمى الشرى ليث غضوب
يقودهم رئيس المعى ... شديد الباس مقدام اريب
سديد الرأى اروع هبرزى ... جرىء القلب للعليا طلوب
يذود عن العروبة كل باغ ... بتدبير يصيب ولا يخيب
برأى محنك وبسيف طب ... بامر الحرب منصله خضيب
اقام على التقى والعلم صرحا ... من العلياء ليس له ضريب
به مصر تسنمت الثريا ... وقد وقفت لها ترنو الشعوب

***

احييه وافديه وتفدى ... نصير العرب شبان وشيب
احييه بشعر عبقرى ... ينمنم وشيه سحر خلوب
بشعر بنت يعرب قد نمته ... فصاح كأنه در رطيب
اذا غنى الاغن به رخيما ... تواثبت القلوب وضاع طيب
اليست مصر مبعثه ومصر ... هى الالهام والنبع الوهوب
اذا نضب البيان فمصر غيث ... عميم صوبه غدق سكوب
فمن علم الى ادب مصفى ... الى فن عجائبه ضروب
وحسبك ما تسمع من بيان ... يرقرق سحره لبق لبيب
تنزه عن رطانات تفشت ... كيان الشعر الا غفل الرقيب
وهل الشعر هلهلا سداه ... ولحمته سميج او مجيب
وهل يصغى الى غث هجين ... متى قد اطرب السمع النعيب
وليس الشعر الفاظا مراضا ... يرتق فى اسرتها الشحوب
واين الشعر لا لفظ رشيق ... يهش له ولا معنى مصيب
حمى الاحباب هاكها السوب ... اليك وفى الضلوع شج شبوب
يتوق الى اللقا ويكاد وجدا ... اذا ذكرت له مصر يذوب
من السودان احمل حب شعب ... يساقى الحب صفوا لا يشوب
يصون لك المودة صون حر ... ويرعى العهد ان الغدر حوب
كلانا شعب وادى النيل مهما ... تغرض والترى واش مريب
اليس النيل والفصحى رباطا ... يوشج ما الشمال وما الجنوب
سيرعى الله وحدتنا وتبقى ... بقاء النيل ليس لها نضوب

عثمان محمد هاشم

في مطلع الفتح



اعود يا مصر مشتاقا ومرتاحا   الى لقاك فالقى الروح والراحا
رضعت فيك افاويق الهوى زمنا   بين السياسة بالحب الذى باحا
فما تشكيت من سجن المت به   وما خلعت بيرق خلب لاحا
امضيت اكثر عمرى فيك مبتهجا   يحوطنى من بنيك العطف لواحا
فى مطلع الفتح جاءت من بنيك لنا   جحافل العلم حفاظا وشراحا
فانقذوا الشعب من جهل ومن خطر   يقوده الكفر والتبشير مجتاحا
والان تهوى الى مغناك افئدة   من الجنوب تعب العلم اقداحا

❋❋❋

لم انس وفدك للاعلام حين شدوا   وحولوا القطر بالانشاد افراحا
واسمعوا من رقيق القول اعذبه   فذكرونى بحلو الشعر وضاحا
وهللوا الشعر فنا فى قصائدهم   فابدعوا القول اوصافا واقداحا
شهدت فيك عبور الجيش منتصرا   يحيل جيش بنى صهيون اشباحا
هان العبور لهم اذ كان كل فتى   فى الجو نسرا وتحت الماء تمساحا
ظنوا بان بنى مصر وقد صبروا   تلك السنين نسوا ثارا وارواحا
وما دروا ان من تحت الرماد لظى   يشبه الغيظ للاعداء لفاحا
قضوا على جمعهم قتلا وما تركوا   بالحصن معتديا منهم وسفاحا
ما احوجوا مصر ان ترفع منقبة   عن الرجاء لدجيانوس مصباحا
فكلهم رجل لباك حين دعا   داعى الجهاد فكان النصر مفتاحا
حيتك يا مصر ازهار الربيع ضحى   وباكرتك سحاب المزن سحاحا
فانت ريحانة الدنيا وبهجتها   وانت عطر الربا فى الكون فواحا
وبارك الله فى السادات مابرحت   طول اياديه تولى الشعب اصلاحا
هنى وجمع اشتات العروبة فى   صف وكان كريم النفس سماحا
وقاد مصر الى النصر التى كسبت   به العروبة والاسلام ارباحا
فجاء ابناؤها بالبشر واعتمروا   كنانة الله زوارا وسواحا
تحية لك يا مصر العزيزة من   اقصى الجنوب بطيب عاطر فاحا

محمد حسن

الجديد في المكتبة الغربية



● خيطات الشيطان ●

الكتاب : قوى الشر
المؤلف : ريتشارد كافنديش

هذا بحث علمي عن كل شر اصاب الانسان ، وليس مجرد رواية للخرافات والاساطير ، فمنذ آدم وحواء ، يطارد الجبابرة الخرافيون ، والسحرة ، ومصاصو الدماء ، والشياطين ، وابليس نفسه ـ بنى الانسان ...
والمؤلف عالم غيبيات بريطاني، يبرهن بدقة توقف شعر الرأس ، على أن الثقافات المختلفة ابتكرت وطورت مجموعة مبادىء شاملة عن الشر ، ثم بعد ذلك ، وفي هجوم مضاد ، طورت مجموعة مبادىء للخير ... ولكن قصص الشر واساطيره كانت دائما اكثر اثارة وجاذبية من قصص الخير !

وكافنديش ينقب في معين لاينضب من الاساطير : يفتح صندوق باندورا المرأة التي ارسلها الاله زيوس غضبا على الجنس البشرى وعقابا، بعد ان سرق بروميثيوس النار ،

ومن ثم اعطاها علبة ، ما ان فتحها بروميثيوس بدافع الفضول ، حتى انطلقت منها مختلف الشرور ، فعمت بنى البشر ... وكأنما عثر كافنديش

على هذا الصندوق الرهيب ، وفتحه ليخرج لنا منه الوانا عجيبة من الاساطير ...

من هذا القبيل اسطورة افريقية قديمة تقول ان « دنيا الظلام » تقع في جذور الارض ، حيث يهدد الليل بين جنبيه النوم واخاه الموت واسطورة اخرى تقول ان الكهنة الايرلنديين القدماء استحضروا

« بمؤاخاتهم » للجن ، وفي لقــاء بين كاهن وجنية صــغيرة جميلة ، سئلت عن البشر، فقالت انها تكرههم لانهم قوم كاذبون متقلبون طماعون ..

ولايترك كافنديش شــعبا على خريطة العالم دون ان يروى اساطير شروره، فيجد الشر كامنا في الجنس تارة ، وفي التوجس من مخلوقات شريرة تنهش او تمتص الحياة تارة اخرى ، أو من القبضــة الموتى على الاحياء في احيان كثيرة ...

ولكافنديش في عالم الســحر جولات ، يروى لنا « مبــارزة » بالسحر الاسود بين ساحرين عظيمين في سنة ١٩٠٠ ، ارسل الاول فتيانا من الشر، على كلاب الثــانى فصرع بعضها واصاب بالمرض البــاقى ، فانتقم الثانى بتسليط العفريت بيلز باب واتبــاعه ، التســعة والاربعين على الاول ، يؤرقونه ويشــيعون الرعب في حياته .

وليس للشر زمن : في سنة ١٩٦٩ حاكمت محكمة سويسرية خمسة رجال وامراة بتهمة قتل شابة اثناء ممارسة شعائر اخراج الجن من جســدها ، فضربوها بالعصى ، والسوط وقضيب من المطاط حتى فارقت الحيــاة ..

ومنذ شــهور أصيبت حفيدة الفيلسوف البريطاني برتراند راســل بالجنون ، فانتحرت حرقا لاعتقادها بان عفريتا من الجن سكن جسدها .. وعالم جليــــل فقأ عيني زوجته لان الشيطان يطل منهما !

ورغم قسوة الشر وما ينطــوى عليه من رعب ، فان له قدرة عجيبة على الهام الاساطير الرائعة الجميلة المثيرة في آن معا ... مثل اسطورة الشــيطانة التي تظهــــر عقب الحروب فتغسل بقع الدم من ملابس واسلحة الرجال على حافة الينبوع وسرعان ما تقوم حرب جديدة فيموت اصحاب هذه الملابس والسلاح بعد استخدامه .

... واسطورة سكاندنافيه تقول ان نهاية العالم ســوف تحدث عندما يطبق طقس جليــدى على الارض ، ويلتهم قرص الشمس ذئب رهيب !

● اسطوره المحرر : ●

الكتاب : جورج صاند
المؤلف : تيرنيس تيلد

في عصر حافل بغرابة الاطــوار ، تظل جورج صــــاند اكثر غرابة واثارة ... ففي القرن التاســع عشر ، كما الحــال الان ، كانت صورتها العامة هي صورة الثــائرة على التقاليد ، صــورة امراة تدخن السيجار ولا تتردد في ارتداء ملابس الرجال ، صورة المتحررة الى اقصى حدود التحرر .. حتى في الجنس .

وهي صورة المراة التي وصــفها ديستويفسكى بأن « مجدها عظيم وثقتنا في عبقريتهــا عظيمة ، لذلك ننتظر منها شيئا عظيما لم يســمع به أحد »، وصــــورة الكاتبة التي وصــفتها الناقدة اليزابيث براونتج بانها « اول عبقرية نســائية في كل عصر واوان »!

ولدت صاند باســم أورور دوبان سنة ١٨٠٤ ، نفس العام الذى توج فيه نابليون امبراطورا . ابوها كان ضابطا وسيما ســليل اسرة نبيلة ، وامها سيدة خفيفة الروح من عامــة الشــعب . وتلقت صــاند تربية ارستقراطية في قصر جدها الريفى ، فكان تعليمها تقليديــا في مدارس الراهبات ، ولكنها كانت متمــردة ، وكثيرا ما اضطرها عمها الاســقف الى الركوع طالبة الصــفح لانهــا « تركب الخيــل ، وتغنى ، وتحلق

الرصاص من مسدسها ».

ويحاول المؤلف ان يخلص المرأة من الهالات الاسطورية التي جسدتها في جورج صاند ، ويبذل في ذلك مجهودا خارقا ، ويجعل يصمبر واستاذية لا تخلوان من استمتاع القصاص . ومن ثم يتابعها منذ جاءت باريس سنة ١٨٣١ فارة من زواج فاشل تم في الثامنة عشرة ثم تراها في السادسة والعشرين اما لطفلين احدهما غير شرعي ، تلاحقها الاشاعات لتضعها في فراش كل مؤلف وفنان وموسيقي وثائر في عصرها . ولكن المؤلف يقصر مغامراتها العاطفية فيما لا يزيد عن عشرين ، وهكذا يستبعد غرامياتها مع ليست ، وبلزاك ، وفلوبير ، ثم يتناول هذه الغراميات في اسهاب ، فيروى علاقاتها بماريميه ، والفريد دى موسيه ، وفردريك شوبان ، وتورجنيف ... وجراح ايطالي ، ومحامين فرنسيين ، ومجموعة من الشباب من مختلف الجنسيات ، دخلوا بيتها كمعلمين لابنيها موريس وسولانج .

ولقد كان لعواطف صاند نمط غريب ، يبدأ بثورة جنسية لافحة ، تتدرج الى خوف على المحبوب من الهلاك حبا ، وهذا النمط واضح في رسالة لها الى طالب الطب جون صاندو ، الذى اتخذت اسمه بعد ذلك مع بعض التعديل تقول : « انه لدعاة للندم الخيف ، ان نرى من نحن على استعداد ان نهب حياتنا في سبيله يذوى ويموت بين ذراعينا ويستهلك نفسه يوما بعد يوم » ..

وما حدث لصاند حدث لشوبان وللشاعر دى موسيه، الذى استمرت علاقاتها به ثماني سنوات ، كتبت له في اواخرها تقول :« لابد أن أعاني الالم في سبيل من احب ، لابد الطاقة الزائدة والحساسية المفرطه ، الكامنة في اعماقي » !

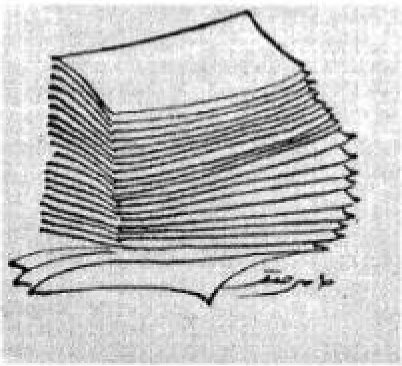
ولاضطرار صاند الى انكار الجنس مدفوعة بخوف لامبرر له على من تحب يتحول حبها الى عناية مفرطة، وامومة عفة ، وكثيرا ما ادى هذا الحرمان الذى فرضته على نفسها الى تحطيم الحب . وكما يبدو في رسائلها ويومياتها ، فان هذا القسط من الاستهلاك العاطفى والحرمان ، يستمر مع الاخرين حتى يصبح قصة مملة معادة للحذر من الافراط والحب الافلاطونى ، لذلك فان حياة صاند تشكل تحديا واغراء لا يقاوم لهواة التحليل النفسى ، ولسوء الحظ يقع المؤلف في هذا الفخ ، فيصفها بالماسوشية العاطفية ، ويصف كبتها للجنس بأنه « سعر حورى » .. أى رغبة في اللذة من المطة بحيث يصعب على انسان فان ان ينالها . ولو أن المؤلف حاول ان ينصف الكاتبة الاسطورية من تعقيداتها، الا ان حكمه هذا لا ينصفها على الاطلاق .

ولقد كانت اول رواية لصاند ، وهى « انديانا »، التى تروى قصتها: قصة زوجة تعسة تحاول الفرار من أسر الزواج ، نجاحا ساحقا في باريس ، اغضب فيكتور هيجو ، فصاح في النقاد : تقولون ان انديانا هى احسن كتاب ، ماذا تقولون الآن عن نوتردام دى باري ؟ ». والواقع ان صاند كانت تعانى في عملها نفس المشكلة التى عانتها في حبها ، فهى مثل بلزاك وديكنز ودستويفسكى ، تعتبر من رقيق الادب في القرن

التاسع عشر ، تحاول دائما أن تفي كتاباتها حاجة الدائنين.وكانت النتيجه انتاجا غزيرا : حوالي ٦٠ رواية ، و٢٥ مسرحية ، وترجمة شخصية ، ومجموعة من المقالات تكفي دستة مجلدات ضخمة • أما مراسلاتها ، التي لايزال بعضها يكتشف حتى الآن ، فيمكن أن تملأ ٢٥ مجلدا ضخما • وصاند تعد من انصار الحركة الرومانسية المتحمسين ، وكتاباتها تتفجر بالثورة السياسية والجنسية •

وكانت صاند تتميز بجرأة يعجز عنها الرجال : عندما انهارت الجمهورية في فرنسا سنة ١٨٤٨ ، طلبت مقابلة لويس نابليون ، رغم علمها انها ايضا مهددة بالنفي ، وامكنها خلال المقابلة ان تنقذ عددا كبيرا من اصدقائها من السجن والنفي •••

وفي سنواتها الاخيرة ، اعتزلت صاند قليلا ، واقامت في قصرها الريفي في نوهان ، لايؤنس وحدتها سوى زيارات الاصدقاء وافراد الاسرة •• وكتابة القصص لاحفادها وبعض المناظرات الادبية مع فلوبير• وقد توفيت صاند في السادية



والسبعين ، ورثاها تورجنيف في رسالة لفلوبير قائلا : « أي رجل شجاع كانت ، وأي امرأة طيبة »!

● مولد زعيمة ●

الكتاب : مرجريت ثاتشر من الطفولة الى الزعامة

المؤلف : جورج جاردينر

منذ فازت السياسية البريطانية مرجريت ثاتشر بزعامة حزب المحافظين ، صدرت عدة كتب عنها اكتسحت السوق البريطانية ، ليس بسبب عملها السياسي بقدر رغبة القارئات في معرفة كل شيء عنها•• وهكذا شأن النساء في كل زمان ومكان !

وهذا واحد من اهم الكتب التي صدرت عنها ، مؤلفه عضو برلمان بريطاني محافظ ، جديد في اسلوبه لانه مبني على عدد كبير من التسجيلات مع السياسية واسرتها • والمؤلف يرى أن اهمية مسز ثاتشر في السياسة البريطانية اليوم تبرر الاهتمام بكيف تعمل ، وكيف تتصرف، وكيف وصلت الى هذا المنصب الهام ، ويرى رغم ما احيط بها من دعاية ـ انها ابعد ما تكون عن مجرد ست بيت لاحدى ضواحي لندن ، فان خلفيتها المستقلة ، المنشقة عن كنيسة انجلترا في البدايات ••• ابوها واعظ منهجي من اتباع الحركة الدينية الاصلاحية التي قادها في اكسفورد عام ١٧٢٩ ، تشالز وجون ويلز محاولين احياء كنيسة انجلترا ـ اصبح بعد ذلك عمدة جرانتهام • وكان ينتظر من ابنائه ان يمارسوه في ادارة محل بقالته ـ اعطى ابنته شعورا قويا بوجوب استغلال مواهبها وفرصها الى اقصى حدود الاستغلال ، ومن ثم نشأت متفقة الى اقصى حدود التفاهم ، وعمليه الى اقصى الحدود ، ومن ثم

المكتبة الغربية

النحت في الجمع بين مهنتها – اولا كباحثة كيماوية ، وبعد ذلك كمحامية في شئون الضرائب ووزيرة – وعملها السياسي مع الزواج والامومة .

وهي ليست لها فلسفة سياسية وان كانت لديها رغبة بسيطة وحيوية ، هي حفز طموح الطبقات العاملة للرقي الى مصاف الطبقة الوسطى ، لان غريزة ونشاط الطبقة الوسطى هي الكفيلة بمواجهة التدخل المضطرد للدولة في الاقتصاد العام . ومنذ سنة ١٩٦٨ ، حينما القت خطابا لفت اليها النظر في مؤتمر حزب المحافظين ببلاكبول ، وهي تندد بالتدخل المضطرد للدولة ، واستمرت بعد ذلك في التحذير من ان المزيد من التاميم سوف يضع على عاتق الدولة عبئا مالبا هي غير قادرة او مستعدة له ... وفازت بزعامة حزب المحافظين لتمسكها بهذا الراي!

ويركز الكتاب على علاقة مسز تاتشر بمستر ادوارد هيث ، زعيم حزب المحافظين السابق ، فقد بدأت هذه العلاقات طيبة منذ تعرفت به في الايام المبكرة لعملها السياسي ، وصوتت لصالحه كزعيم للحزب سنة ١٩٦٥ ، وايدها هو ورقاها لمنصب الوزارة، ولكن بعد انتخابات سنة ١٩٧٤ ، عندما بدا ان هيث لايريد ان يعترف باخطائه السياسية والاقتصادية ، تدهورت علاقتها به . في ذلك الوقت كان مستر كيث جوزيف من اشد نقاد هيث، واكثرهم فرصة لخلافته ، فكانت من اكبر أنصاره في جميع الاجتماعات السياسية لحكومة الظل فيما بين شهرى فبراير واكتوبر . وبعد انتخابات اكتوبر بدا أن فرص كيث لزعامة الحزب قد ضاعت . في ذلك الوقت نفسه جعل هيث تاتشر متحدثة باسم حكومة الظل للشئون الاقتصادية اعطاها فرصة لتلمع في البرلمان ، كما سبق أن لمع هو منذ تسع سنوات على يد سير اليك دوجلاس هيوم .

وكانت فرصة لم تفلتها مسز تاتشر ، فرمت بكل ثقلها السياسي ضد وزير الاقتصاد العمالي ، وساعدتها موهبتها غير العادية وحيويتها وحماسها في السيطرة على كل تفصيل من تفاصيل التشريعات المعقدة ، الامر الذى أدى الى سيطرتها على زعامة المعارضة في البرلمان ، مما اسعد زملاءها البرلمانيين ، الذين وجدوا فيها اخيرا القائد الذى افتقدوه ... وساعدها في ذلك مستر ايرى نيف ، احد قادة المعارضة البارزين ، الذى يكره هيث لاحتقاره البادي للبرلمان ، الامر الذى جعله يسخر مهاراته البرلمانية غير العادية كمدير غير رسمي لحملتها الانتخابية ... وكان المؤلف نفسه من المشتركين لصالحها في الحملة !

والكتاب مع ذلك لا يتنبأ بوضوح بما ستكون عليه السياسية تاتشر ، ولكنه يبرز ذكاءها المفرط وحسن استغلالها للفرص التي تعرض لها .. وهي مواهب طبيعية للنجاح في عالم السياسة !

● المحترف ! ●

الكتاب : همفرى بوجارت
المؤلف : ناثانيال بينشلي

لعل أغرب ما في حياة اشهر ممثلي الاربعينات والخمسينات ، همفرى دي فورست بوجارت هي انه أصبح ممثلا ..

هكذا نخرج من كتاب بيشلى . فوالد بوجارت كان طبيبا ، وهو كان فنانا يرسم لوحات لمجلة ازياء، وبعد ذلك جنديا مسرحيا ، قبل أن تقوده المقادير الى المسرح ، فى بحثه عن عمل يرتزق منه بعد الحرب العالمية الثانية ... ومن ثم كان أول دور « مجرد رئيس خدم يابانى يدخل أحد المناظر ليقول كلمة واحدة ولكنه ادى الدور بجهد واضح وبعد تدريب « شاق »، وبعد الاشتراك فى مسرحيتين بعد ذلك ، قال المخرج الامريكى ألكسندر وولكوت : « انه لايصلح للتمثيل على الاطلاق »!

ومع ذلك ثابر بوجارت ، وظل « فى متناول اليد » فترة طويلة ، حتى أصبح فى حكم العاطلين الميئوس منهم ، الى ان ظفر بدور « الدوق مانتى »، رجل العصابات الهارب فى رواية روبرت شيروود « الغابة المتحجرة »، حيث برزت مواهبه الخارقة فى عالم العنف ، وهى الموهبة التى اهلته بعد ذلك لكثير من هذه الادوار، حتى لعب فى سنة ١٩٤١ بطولة « غابات سييبريا » ، بعد ان رفض كل من جورج رافت وبول مونى لعب الدور . وفى نفس العام كان « الاختيار الثانى » بعد جورج رافت فى بطولة « صقر مالطة »... ثم نجح بعد ذلك نجاحا مذهلا فى افلام العنف ، بحيث اصبح الاختيار الاول !

ولكن بوجارت لم يقتنع بذلك، لقد اراد ان يكون بطلا رومانتيكيا لا مجرد رجل عصابات أو جندى محارب أو شرطى . ماهــــر . وكانت عملية تحويله صعبة حقا ، ولكنه سخر « مواهبه العنيفة فى ميدان الحب ، فكان المحبوب الشاغب الذى يأمر ويصرخ وأحيانا يصفع محبوبته . لقد أبرز بوجارت الرجولة الخشنة ، رغم قصر قامته عن أغلب ممثلات عصره اللامعات مثل انجريد برجمان ، وأودرى هيبورن ، ولورين باكال. وكان أول دور له من هذا النوع فى « كازابلانكا »، حيث كان السيناريو يكتب يوما بيوم ، وكل من عمل فى الفيلم يتنبأ له بالفشل ... خصوصا لفشل بطله القصير . ولكنه لدهشة الجميع نجح الفيلم نجاحا مذهلا ، مما اهل البطل القصير بعد ذلك لسلسلة من افلام الحب ... العنيف !

ووراء الشاشة كان بوجارت هو نفس الشاغب ، يستحث الناس ويلحسهم ، عربيدا هوايته افساد الحفلات وتدبير المقالب ، واحراج الناس بوضعهم موضع التجربة ... ولكنه كان صديقا مخلصا لمن يصمد لتجاريبه . ومع ذلك لم يخل الامر من أن يتجرع من نفس الكأس: دعاه كارى جرانت يوما الى موقع العمل فى الفيلم « الهدف طوكيو »، ليقوم بدور الممثل جون فورسايف ، بينما فورسايف فى الاستوديو يتمنى ان تنشق الارض وتبتلعه من الغيظ ... وفجأة واجه كارى الاثنين ، وطالب فورسايف ان يمثل نفس الدور ، ثم احرج بوجارت طالبا ابداء رأيه، فقال بوجارت : « احدنا مثل الدور تمثيلا رديئا » !

ولكن الممثل المحترف « الناجح » فشل فى ثلاث زيجات ، بكى فى حفل الزوج فى كل منها ، قبل أن ينجح فى الزيجة الرابعة ، ويصبح رب بيت فخور بزوجته وابنه !

نافذة الحسناء

حسن
كامل
الصيرفي

● لعلها تشير الى الظلام
ان يتبدد لينفذ النور
الى قلب الشاعر ..

نافذة الحسناء ... ها هي المنيرة
المح خلفها الخواطر الكثيرة
وراءها قد هدأت أميرة
تسرح الذوائب النثيرة
ضفيرة ... ضفيرة ... ضفيرة
أو علها في غفوة قريرة
قد مهد الليل لها سريرة
أو ربما سافرت الأميرة
في رحلة صيفية قصيرة
لكنها ... لكنها منيرة ... !

***

نافذة الحسناء ... مسرح الجمال
وراءها تبدو عرائس الخيال
تسبح في لهو ، وفي دلال
ملفعات بالرقيق من ظلال
توحي الى الشاعر والمثال
دنيا خلود ، لا دنى زوال
وحي قصيد ، او سنا تمثال

***

قد سهرت بنورها شعوره
وحركت بروحها شعوره
والهمته الف الف صورة !



نافذةُ الحسناءِ ... فِكرةٌ تلوحُ
لِشاعرٍ ... شُعورُهُ جَمُوحُ
خَيالُه المُجَنَّحُ المَشبُوحُ
في طُهرِهِ كأنَّهُ المَسيحُ ...
يَطوِي الليالي فكرةً الفسيح
بوَحْيِها ... بسِرِّها يَبُوحُ
لهُ المعاني جَسَدٌ ورُوحُ

***

يَصُوغها جَليًّا لهذه الأميرَهْ
تلمعُ كالعَسجدِ في الظهيرةْ
فتخطفُ الأبصارَ والبَصيرَهْ !

***

نافذةُ الحسناءِ ... فكرةٌ وصورهْ
وغرفةُ الحسناء ، هذه المُنيرةْ
يغشيها جمالُ هذه الأميرهْ
فتّانةٌ ... ساحرةٌ ... مثيرهْ
النجمُ منها يستمدُّ نورَهُ
كأنها وسطَ الضحى جزيرَهْ
رياضُها الأنيقةُ النضيرهْ ...
يثوي الخيالُ عندها عبورَهُ
فينطلقُ الموجُ له هديرَهُ :
قفْ عندها ، واستأذنِ الأميرهْ !

د. صلاح عدس

تذكرة طبية

أمـــــراض

أمراض الكلى متعددة وأهمها: الحصاة ، والالتهابات ، والتشوهات الخلقية ، والاورام ، كما قد تصاب الكلى نتيجة للحمل ...

والاعراض العامة التى تدل على اصابة الكلى متعددة هى الاخرى ، واهمها : الالم ، وازدياد البول او نقصانه ، وحرقان البول ، وارتفاع درجة الحرارة والتورم او الاوديما ، وارتفاع ضغط الدم ، والتسمم بالبولينا فى الدم نتيجة لفشل الكلى ، والانيميا ، ووجود دم او تغيرات اخرى فى البول ، وغير ذلك من الاعراض التى تختلف باختلاف المرض ...

اما الالم فيكون مرضحيا على جانبى العمود الفقرى ، وقد يمتد الى اسفل عند ثنية الفخذ الداخلية والقضيب مما يدل غالبا على وجود مغص كلوى بسبب حصاة فى الحالب ... اما ازدياد البول وحرقان التبول فيحدث غالبا فى امراض الكلى او التهابات المثانة او قناة مجرى البول ...

وارتفاع درجة الحرارة نادرا ما يقترن بأمراض الكلى فيما عدا حالات تجمع الصديد فى الكلى وبعض الالتهابات الاخرى ...

اما التورم أو الاوديما فتنتج عن تجمع سائل تحت الجلد وتتميز الاوديما فى حالات الكلى بأنها تصيب الوجه بالتورم وخاصة تحت العينين ولا سيما فى الصباح بعد الاستيقاظ من النوم ...

والتهابات الكلى قد تكون ناتجة عن الاصابة المباشرة بالجراثيم ، او ناتجة عن الحساسية تجاه بعض الجراثيم وسمومها دون ان تصل اليها هذه الجراثيم بنفسها ، ويشبه ذلك تماما ما يحدث فى حالة الروماتيزم اذ ان الجراثيم المسببة لالتهاب اللوز وسمومها مثلا قد تؤدى حساسية الجسم تجاهها الى الاصابة بالروماتيزم او الاصابة بالتهاب فى الكلى ...

اما التشوهات الخلقية فمن امثلتها ضآلة حجم الكلية او وجود اكياس تتضخم وتضغط على نسيج الكليتين مما يسبب خللا فى وظائفهما ..



الكلى

اما الحصاة فتنشأ من مختلف الاملاح المترسبة وهناك عدة عوامل تسهم في تكوين الحصاة منها سوء التمثيل الغذائي والتهابات المجارى البولية وكذلك الالتهاب المزمن في الكلية وحوضها ، وكذلك اختلال عملية مرور البول في مجاريه ...

وتظهر الاصابة بالحصاة على شكل نوبات من الام المغص الكلوى وقد يحدث ايضا قيء وارتفاع في درجة الحرارة وزيادة البول او امتناع نزوله ، وقد يظهر ايضا دم في البول بسبب الجرح الذى يحدث من جراء مرور الحصاة ...

وعموما لكى نتاكد من تشخيص امراض الكلى يجب عمل فحص للبول واشعة لتصوير الجهاز البولى ..

اما علاج امراض الكلى فيختلف باختلاف الحالة المرضية ...

وعموما تستعمل المضادات الحيوية مثل البنسلين

كما تستعمل بعض المستحضرات التى تساعد على ازالة انقباض الحالبين ، وكذلك المستحضرات التى تساعد على تحريك الحصيات الصغيرة في المجارى البولية وطردها مع البول ... اما الحصاة الكبيرة فتعالج بالجراحة .. وتعالج الاوديما بالادوية المدرة للبول ، كما تستعمل ايضا الادوية الخاصة بعلاج الضغط المرتفع في حالات امراض الكلى ..

ويستعمل ايضا جهاز الكلية الصناعية وهو جهاز اليكترونى أوتوماتيكى يقوم بوظيفة الكلية في حالة فشلها وتسمم الدم بالبولينا ، اى ان هذا الجهاز يقوم بتنقية الدم من البولينا واستخلاص البول ...

كما امكن زراعة الكلية بنقلها من شخص سليم الى شخص مريض بفشل الكلية المزمن ...

واخيرا نتكلم عن طرق الوقاية من امراض الكلى وهى تشمل وقاية السليم حتى لا تنشأ المشكلة اصلا ، كما تشمل ايضا وقاية المريض حتى لا تتفاقم الحالات الحادة وتتحول الى حالات مزمنة وحتى لا ينتكس المريض

اما وقاية الشخص السليم فتأتى برفع مقاومة الجسم بالتغذية والرياضة البدنية وتجنب الاجهاد وعلاج التهاب اللوز او استئصالها حتى لا تسبب جراثيمها التهابا بالكلى وكل هذا يسرى ايضا على وقاية المريض حتى لا ينتكس الى جانب معالجة حالته علاجا كاملا ...

معلومات

● لا تتماد في استعمال الاقراص المنومة فقد يكون لها تاثير سيىء على صحة جسمك واعصابك لانها تسبب نوعا من التعود يشبه الادمان وقد لا تعطى اثرها الا بزيادة الجرعات..

● امكن اختراع بنكرياس اليكترونى يقوم اتوماتيكيا بقياس نسبة السكر في الدم وافراز الانسولين اللازم ، وفي ذلك بشرى لمرضى السكر

د. عبده
بدوى

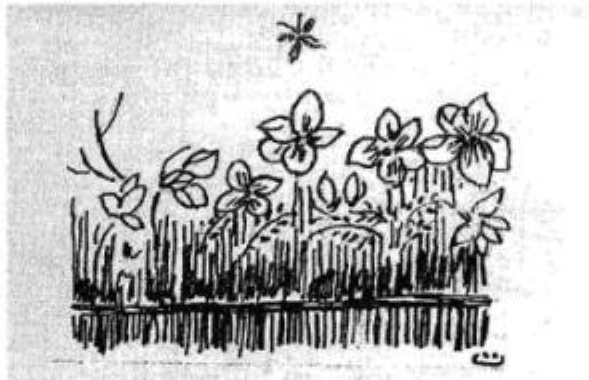
حدود من الياسمين..

قالت ـ وفى نبراتها غضبٌ يضاحكه حنين
وتمدُّج طِفْل أحسُّ له على قلبي رنين ـ
بيتى تراك نسيتَهُ من بَعْدِ خمس من سنين
فلقد نظمناه معاً والعمر أنضر ما يكون ؟!

.. إنى لمحتك من ستائر حجرتى تهبُ الظنون
لم تستمع لنداء بيتى وهو ينبض فى السكون
نادتك شرفته المطلة مثل عشٍّ فى الغصون
والباب أجهش واستدار على بقايا من أنين
وحديقتى التفتت وفى أعماقها شىء حزين
والمشور دار لكى تدور من الشمال إلى اليمين
.. ما كنت تخطىءُ جنّتى والليل باللقيا ضنين
والآن تقبل مثل طفلٍ جاء من أقصى القرون !!

***

فمددتُ كفّى أرفعُ الخُصَل المضيئة فى الجبين



وأشدُّ فى « زُهَيْرِيَّةٍ » .. قد خبأت بعض الجفون
وهتفتُ : إنى كنتُ أحلمُ بالوداعة فى العيون
فتبعتُ قلبى أحنو داركًفى شرود المغرمين
فوجدتُ أنك كلُّ ما لمحته عينى من فتون
فى نجمة ،وفراشةٍ ، وصدًى لِشىء لا يبين
وبرعشةٍ عادتْ تهزُّ القلب من تحت الغضون
فالبيتُ كان بغربتى آملى ، وفى ليلى شجون !

***

قالتْ : مغالطةٌ مطرَّزةٌ بأزهار اليقين
وتضاحكتْ .. ثم استمعتْ لصوتها بين اللحون
لتعيد شيئًا ظلَّ فى قلبى وفى عمرى دفين :
إنى سأزرعُ ها هنا مِنْ أجل حبّك ياسمين
لاتخطُ بَعْدُ عيونه إلاَّ الى عشىّ الأمين !

قصة
الحب داخل المدينة

عزمي لبيب

أحس أن قلبه يدق، يدق كالمطرقة. بدت دقاته عالية حتى لقد ظل برهة يخاف أن يسمعه! .. لاحظ أنه يسرع في خطاه، وفكر: أن الفكرة التي كانت منذ أيام ممكنة، أصبحت الآن فكرة حقيقية مسيطرة ... أخرج تصريح الاجازة من جيب سترته، قرأه ربما للمرة الألف، التاريخ، والساعة والمدة المصرح بها .. أخيرا حصل على الاجازة. خيل اليه انه ينتقل فجأة من الجبهة الى المدينة. شوارعها المشجرة، المتوازية الممتدة، تنتهي دائما عند شاطىء البحر .. تتعانق أغصان الأشجار، تحت قرص الشمس، على جانبي الطريق، تلقي ظلالها على مسطحات متساوية .. الفرحة تطل من كل العيون. كأن الناس المنبهرة بالنصر .. يتزاحمون، يسرعون، على البعد يتبادلون الابتسام والتهاني.

انتبه على صوت أحد زملائه في الكتيبة، يردد بصوت واضح:

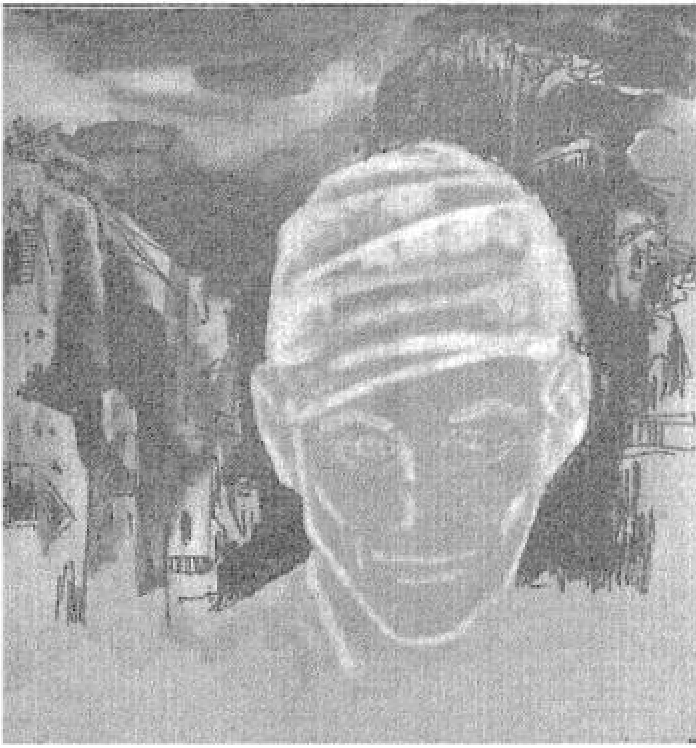
— صاعقة، صاعقة.

استدار ونظر الى الخلف، استمر صدى الصوت يردد في الفضاء الفسيح، نفس الكلمات بنفس الحماس. انتفخ صدره بهواء الصبح المنعش. تشابكت الكلمات في أذنيه .. شعر أن كلمات زملائه تربت على كتفيه وعلى وجنتيه: أسبوعين أجازة.. تمنياتنا الطيبة لك، ان الاجازات تجدد النشاط، وتحقق اللقاء .. الآن حظ سعيد!.

ارتسمت على شفتيه ابتسامة عريضة، كشفت عن سعادته .. أراد أن يعلن لهم أن الصباح مشرق .. سينطلق اليها بسرعة القذيفة .. منذ أيام الجامعة لقد مضت أعوام وأعوام، منذ أن أقسمت له: لن يتم زواجنا الا بعد النصر .. سأنتظرك!

تذكر كلماتها عندما ضمها الى صدره مودعا .. همست في أذنه: سأفكر فيك دائما، كلما أشرقت الشمس، وعندما يطل القمر. سأكون معك في كل لحظة .. سأنتظر دائما عودتك هنا: أمام البحر، عند مدخل المستشفى ..

أراد أن يقول لهم كلاما كثيرا .. يتشابك الآن، في ذهنه الماضي والحاضر، ورغبته العارمة، ولهفته في تحقيق اللقاء. أراد أن يقول لهم: كم بنينا بيوتا من الرمال على الشاطىء. ستبني — أنا وهي — بيتا حقيقيا .. اكتفى بأن رفع ذراعه اليمنى ولوح بها للجميع .. وعندما صعد الى



العربة (الجيب) عاد ينظر ناحيتهم شامخا · مرة أخرى تبادلوا الابتسامات والأماني الطيبة ·

تحركت العربة ببطء · ثم سارت تتبع الطريق المحدد بالأسهم والعلامات الخضراء · مخترقة حقول الألغام بحذر شديد · كان السائق يقظا ، رغم صغر سنه ، يبدو انه يعرف الطريق جيدا · ومع هذا يغمره احساس بالتوجس والخوف ، لم يلمسه أيام المعارك الضارية ··

قال بصوت خافت كأنما يحدث نفسه :

ـ أنا في اجازة ، ولمدة أسبوعين ··

كان ضروريا ان يقول هذا الكلام للسائق

نظر السائق اليه وابتسم :

ـ اجازة طيبة ، وحظ سعيد !

انحرفت العربة ـ مسرعة ـ على شكل دائرى · عندئذ بدت الدشم المنهارة، وفوارغ القنابل الثقيلة ، تجرى مذعورة الى الخلف · هو فقط ينطلق الى الامام · وعندما بلغت العربة الطريق الرئيسى الممهد ، اسرعت بشكل ملحوظ · ونظر الى ساعته ·· انه



يقطع الصحراء الفسيحة من العمق ! .. اخذ يحدق في اسفلت الطريق الممتد وقد استمر يختفي تحت عجلات العربة مترا مترا . هتف في اعماقه: وكل متر يقربني من الهدف ..

فاجأه السائق عند تغيير السرعة بعد المنحنى ، ضغط على الفرامل بقوة ثم اندفع الى الامام . تلفت حوله يستكشف المكان . بينما انشغلت اصابع يده في جيب سترته ، فأخرج تصريح الاجازة وقدمه للسائق وهو يتساءل .

ـ تتفضل سيجارة .. هل بلغنا محطة السكة الحديد ؟

ارتسمت ابتسامة عريضة على وجه السائق وقهقه بالضحك . ضحك هو ايضا دون ان يعرف تماما لماذا يضحك هكذا

.. عندئذ جاء اثنان من رجال الشرطة العسكرية وطلبا الاوراق لهما على

المجائر وهو يرده سعيدا ؟

ـ اتفضل . اجازة مدة اسبوعين .. نعم ! ماذا ؟

التقط السائق الموقف وقدم لهما تصريح الاجازة واخذ علبة السجائر .. وضج المكان بالضحك ، الضحك المغلف بالبهجة وحسن القصد ..

وسمح لهما بالسير . كان الوقت ظهرا والشمس تسقط عمودية على كل شيء .. لم يكن امامه سوى الصحراء الفسيحة تعلوها السماء الزرقاء . اخذ يصغي لدوران الماكينة الرتيب يتشابك مع دوران العجلات فوق الطريق الممهد .. ملأ رئتيه بالهواء ورفع رأسه الى اعلى . ارتسمت ابتسامة سعيدة على شفتيه ... عندئذ بدت العربة وقد ابطأت في السير ، كأنما تستعد للوقوف ..

قال السائق بصوت متزن :

ـ لقد وصلنا بحمد الله .. محطة السكة الحديد .

ـ شكرا لك .

وقفز خارج العربة ، لوح له بذراعه ، واتجه رأسا ناحية محطة السكة الحديد .. كانت المحطة الصغيرة .. غارقة لضوء الشمس . وقد توقف قطار الخط الفرعي

بدأ عدد من عربات السكة الحديد على الرصيف المقابل .. كان الرصيف خاليا . صعد الى القطار وجلس بارتياح . كل شيء يسير بطريقة منتظمة وفي خط مرسوم ..

وسرح في افكاره : الحمد لله بالرمل والبحر والشاطيء ... كان ذلك ليلا .. هل

تذكرين ؟ ليلة ذهبت مع كتيبة الجامعة الى الجبهة بالطبع اتذكر ! كان ذلك في المساء .. كنت في ملابسك العسكرية ، حين بلغنا محطة السكة الحديد ..

القطار يتحرك ببطء من ساحة المحطة . لم يشعر به الا بعد ان التحمت العجلات بالقضبان واسرعت ... تفر من المسافة ..

الصق وجهه بالزجاج . بدت اعمدة البرق تصاحب القطار ، تتأرجح الى اعلى والى اسفل . تخرج الطيور من بين الاسلاك ترفرف منشرحة .. ثم جاءت الاراضي الزراعية والحقول . كان المنظر مألوفا مريحا .. هكذا الريف . كان هناك فلاحون ينظرون الى

القطار ويلوحـــــــون بايديهم ..

وتذكــر أمه .. ما زالت تحتفظ له بمفرش منقوش بمربعات خضراء وبيضـــاء متوازية .. وعسل النحل ، وزغاليل الحمام والفطير المثلث .. ويمر القطار بأرض

مستوية منبسطة . سمع صوته يردد : انا آسف يا أمى ينبغى ان اذهب الى المدينة أولا . البحر وبوابة المستشـــفى ..

وجاءت قرية أخـــرى وثالثة . الابقـــار والاغنام تتحـــرك فى كسل وقت الظهيرة ..

خيل اليه ان أمه تشعل الفرن الآن، وتصب الماء الدافىء فوق الدقيـــق .

اخرج علبة الســـجائر واشعل واحدة . خرج الدخان المحتـــرق من فمه طويلا . الشـــوق وفرحة اللقاء . اصوات

تعلو فى اذنيه متضخمة مليون مرة .. احضان وقبلات وزغاريد . أمى .. هذا صوت أمى ، تعالى بالاحضـــــــان يا غالية ..

ــ أهلا ولدنا العزيز .. مرحبا مرحبـــا ! رفعت رأسنا ! .

ويدفن رأســـــه فى صـــدرها .. تتوقف الكلمات . تتعـــالى

احاسيس الود المتدفقـــة بالحنان . وتميل عليـــه أمه تسأله :

ــ بعد العشاء ،تحكى لى عن كل بطولاتك ..

يبتســم ، ثم ينحنى يقبل يدها . تســـأله بدهشة :

ــ لم يتغير فيك شىء! كيف طاردت الصهاينة؟

ــ كانوا يجـــرون امامنا كالخراف !

وتضـــحك أمه وتنظر اليه فخورة، وتسترسل:

ــ كانت كلمة اللـــه أكبر ، هى الطلقـــة المميتة ، يا أمى ..

ــ متعك الله بالعافية .. البلد كلها فرحانة، الدنيا كلها . لكن فرحة الام ...

وتوقفت عن الـــكلام

ــ كنا فى الجبهـــة ياأمى،ننام بعين واحدة تظل الثانية ســـاهرة ترقب حركـات الجرذان داخل المصيدة ... كنا نحاصرهم من كل جانب

.. ادركوا مرة واحدة، انهم داخـــــل جهنم الحقيقية .. كان همهم الوحيد ان ينســـحبوا فقط .

ارتسمت على وجهه ابتســـامة عريضة ، عندما وجد نفسه يصل

الى هذا الجـــانب من التفكير ... فى هـــذه اللحظات ، ارتفع صوت صـــفير القطار الحاد يثقب اذنيه .. بـــدء ــ بقسوة ــ تلك المشـــاعر

التى كان يعيشها منذ لحظة ... وفتح عينيه على اتساعهما ، واجهه الحاضر بكل ما يحمل من آمال ورغبـــات وأمـــان ... نظر الى القضـــبان الحديدية .. القضبان التى توصله الى المدينـــة ... الى العمل والامن والامول واليها ... عـــاد يحس

بذلك الاحساس الشجى ... هذا الاحســـاس الذيطالما خالجه ملايين المرات عندمـــا كان فى الجبهة . ظن انه يهمس

بهـــذه الكلمـــــات : **عندما اصل الى المدينة ... عندمـــا تلتقى ،**

ستبنى ــ على الفور ــ بيتنا الحقيقى ...تمتد أمامه حديقة صـــغيرة

تتوسطها شجرة ياسمين ... انه الشىء الوحيد البـــاقى الذى لم يتحقق ... لتذكـــر عندما كان

في الجبهة ، ان هذه الفكرة كانت تسيطر عليه في كل لحظة وفي كل لفتة ، ومع كل ظلمة·· رفع يده ولمس الجرح الغائر فوق حاجبه ·· عاد يغوص في ذكرياته القريبة ·

سألته الممرضة بحنان :

– العين عليها حارس ما سبب هذه الاصابة؟

– شظية طائشة ،



عند معبر مثلا ···
عادت تسأله وهي تبتسم :

– هل هذا اول وسام تحصل عليه ؟

اجابها باعتزاز وفخر :

– هناك آخر ، في الصدر ···

ثم اردف بسعادة :

– بعد ان تم لنا العبور ، كنت انا اول من رفع العلم فوق سيناء

قالت بإعجاب :
لك ان تفخر يابطل المعارك ···
وابتسمت له ·· وابتسم لها ··
ظلت الابتسامة تتراقص على وجنتيه ، وعلى كتفيه وداخل صدره ··

ادرك على نحو ما ان القطار يبطيء في السير · كأنما يشارك – بعدم سرعته – في تداعي افكاره الطموحة ·· استطاع ان يتبين اسماء المحطات التي لم يتوقف عندها القطار · مرت عليه اشياء كثيرة لم يستطع التعرف عليها ، اشياء غير محددة لا هي منازل ولا قرى ولا مرتفعات · غمره احساس حلو وذكريات واضحة · لم تكن اكثر من احساس بالعودة ·

لم يستغرق الامر اكثر من بضع دقائق حتى ظهرت المدينة على البعد·· اشعل سيجارة ثم وقف وهيأ نفسه للحظة اللقاء المنتظر تطلع حوله بسعادة فسمع احدهم كأنما يحادثه :
– لم نصل بعد · فالمحطة في وسط المدينة·

وقال آخر :

– ربما نقلوها ،

الافضل ان نسأل ···
فتح باب الديوان ورأى في الممر الضيق اناسا متعجلين · نظر اليه احدهم وهو يسرع في خطواته ، فتساءل بدوره :

– الا يصل القطار الى وسط المدينة ؟

أجاب الرجل باقتضاب :

– لا ···

– لم لا ؟

– لانه لا يصل الا الى هنا !

نظر الى ظهر الرجل المسرع ولم يكترث لاى شيء · ربما فعلوا ذلك من باب الحذر · وهبط مسرعا مع آخرين ··· سمع صوت حذائه الثقيل يصطدم بأرض

الشارع · عبر الى اليمين خلف الرصيف· وأسرع يستقبل الشارع

وكأن الرصيف يتحرك تحت قدميه كأى شيء حي ·· نظر الى المنازل

على الجانب الاخر من الطريق، وكانت سليمة، ونظر الى النوافذ · لكنها كانت جميعها مقفلة !!

طبعا ، هذه اوامر الدفاع المدني· لكنه مع ذلك لم يكن يتوقعه · سلك الطريق مسرعا ·

ورأى دكان خبز ليس فيه خبز · وتبع ذلك دكان بدال كبير · وكان مغلقا · ثم وصل الى دكان مصنوعات جلدية · وتذكره جيدا · طالما وقف معها أمام زجاج المعرض يتطلعان الى الموديلات وينتقيان الحذاء الانيق · ثم واصل السير · كانت فكرة واحدة تشغل ذهنه عن أى شىء آخر · التفت الى دبابة متفحمة تقف بجانب الرصيف، وعبر أخرى وثالثة · فى كل مرة كان يقرأ بالأحرف العبرية اسم الكتيبة والرقم · لم يهتم ! لقد تركه فى الجبهة الاف الدبابات محطمة ومتفحمة · ونظر حوله البيوت واقفة غير متهارة ! والسقوف غير مهدمة ! وبدت السماء خلف البيوت زرقاء داكنة · وانتهى به الشارع الى ميدان صغير · وعلى الناصية رأى أول بيت منهار ·· لم يفكر فى أمره، لكتفى بنظرة عابرة الى الانقاض وأسرع مارا بها · هذا المنزل دمر منذ وقت بعيد · ونظر الى اسم الشارع · ثم التقى بأول ناصية تمرك ·· ظهرت منازل كثيرة · لم يبق منها غير أساسات منتصبة سوداء · كانت أسياخ



من الحديد المسلح معلقة ملتوية · ذاتها حيات تزحفن بين الانقاض · وزاد الدمار !!

وظل يحملق ويحملق أعمدة المصابيح الكهربائية ملتوية على نفسها وبلا مصابيح · جذوع الاشجار وقد احترقت فروعها الكبيرة والصغيرة ·· كانت المدينة التى يحبها منذ طفولته قد تغيرت · الى حد انه لا يعرف كيف يجد طريقه · استمر يحملق فى مساحات من الدمار · لقد اعتاد ان يسترشد بواجهات المنازل ولم تعد هناك واجهات ··· أين الجامع ؟ خلف الجامع توجد المستشفى ··· على البعد لمح المئذنة ترتفع الى أعلى · قطع الطريق بزاوية حادة متجها ناحية الجامع وقد ركز نظره صوب هلال المئذنة · مر ببعض العمال يرفعون الانقاض من وسط الشارع · جاهد ان يتعرف على الطريق بنفسه · لم يصل الى شىء محدد ·· تملكه الخوف والرهبة ! كيف يمكنه الوصول الى المستشفى ؟ مازال هلال المئذنة يرتفع امامه الى أعلى · وسار يتعثر بين الشوارع والاطلال متنقلا قدر استطاعته · لم يعد يعرف اين هو ·

سأل أحد رجال الشرطة العسكرية عن الطريق الى المستشفى الاميرى ··· فالتم نحوه الرجل واشار بيده وتمتم بصوت خافت :

– هناك ··· هناك على الناصية ·

وتقدم آخر بخطوات ثابتة وسأله :

– هل تبحث عن أحد ؟

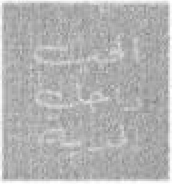
– نعم ··· عن مساعدة حكيمباشى المستشفى ·

ثم أردف بصوت مرتفع :

– الدكتور حسام ، مدير المستشفى ··

– هل انت فى اجازة ؟

– نعم ، أجازة لمدة



اسبوعين ...

– المستشفى لا يعمل الآن ، نقل إلى المستشفى العربي ...

– ماذا ؟!

– اتمنى لك حظا سعيدا في الاجازة ...

أخرج علبة السجائر واشعل واحدة . خرج الدخان المحترق من فمه طويلا مرتجفا ... تملكته الحيرة . سار مهموما على طول رصيف لم يره من قبل ... ادرك انه لم يحقق شيئا ... مرت بجانبه سيارة مسرعة ولم يشعر بها . دهمه احساس بالبرودة . وكأنه وحيد خارج العالم . تلفت خلفه يراقب الطريق حتى لا يفلت منه مرة أخرى . خرجت سيارة مرسيدس ببطء وتوقفت بجانبه . تقدم نحو السائق وسأله باهتمام:

– أين أنا الآن ؟ في أي شارع ؟

انحنى صاحب السيارة له مبتسما وفتح الباب واشار بيده قائلا :

– اتفضل ، اتفضل ... الى اين تريد ان تذهب ؟

جلس بجانبه غير مصدق ... ثم سارت السيارة بهدوء . عاد يسأله بصوت رزين :

– الى اين تريد ان تذهب ؟

قال ساهما حزينا :

– انني ابحث عن المستشفى الاميرى ...

ثم اضاف كمن يحدث نفسه :

– لم اكن اتصور ان المدينة دمرت بمثل هذه الصورة ...

انه شيء يختلف عن الجبهة ..

– نعم ، يختلف كثيرا ...

– في الجبهة ، الصحراء ممتدة وفسيحة والارض مكشوفة ...

– اجل ، لذلك كانوا يفرون أمامنا رغم يرفعون أيديهم الى أعلى

– هنا ، وجدوا المجال فسيحا لضرب المدينة بالطيران ، بعد ان فشلوا في غزوها ثلاث مرات .

وسكت الرجل مرة واحدة ، والتفت الى الطريق . وران بينهما الصمت . كلاهما يدفن احزانه داخل نفسه ولا يريد ان يفصح عنها .

– ضربوا وأبور المياه والمدارس والمستشفيات

– قاطعه مذعورا :

– والمستشفيات ؟ .

– اجل كل بيت، وكل شارع ، عندما انكسرت محاولاتهم في الجبهة ،

امام صلابة الرجال ، طوقوا حى الاربعين، وعندما فشلوا تراجعوا ... ثم جاء الطيران ودمر المدينة هكذا .

وسأله فجأة :

– ايمكن ان يرقد موتى تحت هذه الانقاض؟

– كلا ، هذا غير ممكن ... كان الناس في منتهى اليقظة وحسن التصرف .

– اذن ، سوف اجدها ...

ادار الرجل وجهه نحوه بقلق وتساءل :

– ماذا .... ماذا تقول ؟

كان متعبا جدا . ظل طوال اليوم يبحث ويسأل ولم يصل الى نتيجة مرضية ... انكمش في ركن السيارة وراح يفكر . بينما اخذ المساء يتساقط بطيئا حزينا ...

وحدة الوادى

في اللقـــاء الكبير بوفد ادباء
السودان في دار الأدباء بالقاهرة

د . محمد عبد المنعم خفاجي

فى اجتماع الوادى وفى افراحه   امل لاح بين ضوء صباحه
الهوى والوفاء واللحن يسرى   نغما كالعبير بين بطاحه
والمساء الجميل جمع شملا   منه زاد المنى سنا اصباحه
من رحيق الصفاء والحب بات   الليل سكران من معتق راحه
صادح الطير فى دجى الليل غنى   بتراتيل الشـوق فى ادواحه
والطيور انسابت تغرد فى الافـ   ـق ، وتهفو للنور من مصباحه
وانتشينا فالكون يضحك من اعـ   ـماقه هازجا ، ومن ارواحه
عاد للروض والضفاف هزار   كان قبلا فى الروض من صداحه
ها هنا يلتقى اخ باخيـــه   بالمنى فى غـدوه ورواحه
كل اتراح النيل ولت سراعا   وارتقى النيل النصر فى افراحه
زورق النهر قاده اليأس والحيـ   ـرة حتى اهتدى الى ملاحه
كل مجد للنيل والعرب كانت   وحدة الشعب دائما من سلاحه
وحد الدين بيننا اخوة والـ   ـفكر كان الإخاء من مفتاحه
وتشابهنا امة وشبابا   وجمال الضفاف حسن ملاحه
طار للوادى فى ذرى المجد ذكر   سار مجد الشعبين فوق جناحه

***

مرحبا اخوة الكفاح ومجد النـ   ـيل فى الدهر دائما من كفاحه
مرحبا اخوة النضال واتحاد   الشعب فى الوادى الحر سر نجاحه
ومعا دائما ، مع الاخوة الاحـ   ـرار منا ، يبض النضال سماحه
وباعماق الود حييت قومى   من مسامح فى الندى صباحه
وبكل الوفاء فى مهرجان الـ   ـنور للوادى ليله وصباحه
انا مجدت اخوتى ورفاقى   لم اكن فى الندى من مداحه
علم الله اننا اخوة التـ   ـاريخ والدين الحق فى اوضاحه
برئت مصر اليوم من كل مكروه   والشعب قد شفى من جراحه

معارك أدبية

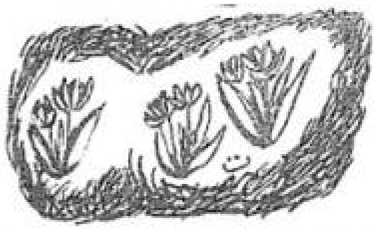
رشاد علي أديب

حول رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري

ذكر الأديب الكبير الدكتور عبد المنعم خفاجي في مقالته الممتعة بعنوان (الملائكة والجن في الأدب العربي القديم) المنشورة في الهلال عدد أيار (مايو) عام ١٩٧٥ في الصفحة ١٠١ ما نصه : (وللمعري رسالة في الملائكة وهي مفقودة) .

أقول إن رسالة الملائكة للمعري موجودة وغير مفقودة والدليل على ذلك أن المرحوم الأستاذ كامل كيلاني نشر موجزًا منها في احدى عشرة صفحة في الجزء الثالث من « رسالة الغفران » المطبوع في المطبعة التجارية الكبرى عام ١٩٢٥ من صفحة ٣٢ حتى صفحة ٤٣ ، وقد كتبها فيلسوف الشعراء وشاعر الفلاسفة جوابا على مسائل صرفية ألقاها إليه بعض الأفاضل وهي مقتضبة وأولها (ليس مولاي الشيخ بأول رائد ظعن في الأرض العارية فوجدها من النبات قفرا ، ولا آخر شائم ظن الخير بالسحابة فكانت من قطر صفرا) .

كما نشرها بتمامها منقحة ومصححة العلامة الهندي الأستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي الأستاذ بجامعة « علي كره » الإسلامية في آخر كتابه القيم : « أبو العلاء وما إليه » المطبوع في المطبعة السلفية سنة ١٩٤٥ هجرية ، وتقع في ٢٦ صفحة من صفحة ٣ حتى صفحة ٢٨ ، وأولها : (ليس مولاي الشيخ أدام الله عزه بأول رائد ظن في الأرض العازبة فوجدها من النبات قفرا ، ولا آخر شائم ظن الخير في السحابة فكانت من قطر صفرا) وقد أشار الناشر في شرحه إلى أن كلمة (ظن) الواردة في المقدمة صوابها (ظعن) أي كما أوردها الأستاذ الكيلاني .. وأما الخلاف في روايتي الأرض العارية والأرض العازبة فالأخيرة هي الصواب وهي رواية الأستاذ الميمني، وهو مشهور بالتحقيق والتدقيق وحسبه مفخرة أنه صوب بعض أقوال المرحوم الدكتور طه حسين في كتابه (ذكرى أبي العلاء) حتى اشتهر عميد الأدب



العربي ان يثبت تصـــــويبه في كتابه (تجديد ذكرى ابي العلاء) لانه رأى الحق في تصويبه ٠

وقد ذكر الاستاذ الميمني انه عانى كثيرا في تنقيح رســـالة الملائكة من التحريف والتصحيف والاغــلاط ، ومع هذا فقد بقي متحيرا في تصويب بعض الاخطاء واشار الى أن بخزانة (ليدن) في هولاندا نسخة من رسالة الملائكة ، وتمنى لو ان بعض المحققين المستعربين أن يقابل نسخته عليها ليتضـــح وجه الحقيقة ، كما أنه يتبين له من فحوى الرسالة انها الفت نحو سنة ٤٣٥ هجرية تقريبا ٠

هذا وان الكتب المذكورة جميعها في مكتبتي ٠

٭٭٭

وعلى ذكر فيلسوف المعرة أرى من المناسب ان اتطرق الى المهرجانات العظيمة التي اقيمت له بمناسبة مرور الف سنة على ولادته في البلاد العربية ومنها المهرجان الكبير الذي اقيم له في فندق السياحة والاصطياف (الكازينو) في اللاذقية وقد اشترك فيه عـــدد من العلماء والاعلام والشعراء الكبار واقام لهم محافظ اللاذقيـــة في ذلك الحين العلامة الامير مصطفى الشهابي ، مأدبة غداء فخمة في (الفرلق) وهو متنزه لطيف للغاية يقع على طريق اللاذقية الى مصطاف كسب الجميل ويحتوي ذلك المتنزه البديع على اشـــجار حراجية كثيفة حتى لتكاد في بعض جوانبه لاتظهر السماء لاكتظاظ الادواح الباسقة

وبعد ان انهوا غداءهم وانتشوا من تلك المناظر الخلابة انحدروا الى اللاذقية واجتمعوا في باحة الفنــدق السمارية الفسيحة ، وتوارد المدعوون ببطاقة شخصية موقعة من قبل رئيس المجمع العلمي العربي الاستاذ محمـــد كرد علي، وقد حضر المهرجان ثم افتتحه الامير الشهابي بخطبة ترحيبية بليغـة وموجزة ، وتبارى من بعده المحاضرون والشعراء ، والقى بدوي الجبل قصيدة رائعة هذا مطلعها :

حلبي الندى كرامة للـــــسراح   عجبا اسكرتنا وانت الصـــــاحي

وانشد عمر ابو ريشة قصيدة بارعة مطلعها :

ملعب الدهر لو ملكنا هـــدانا   لبلغنـــــا من الحيـــاة منـــانا

معارك ادبية

وقد بدأت الحفلة في الساعة السابعة عشرة من يوم الجمعة ٢٩ ايلول سنة ١٩٤٤ وكنت أعددت لمهرجان المعرى الالفي قصيدة بعنوان (شاعر الحكماء وحكيم الشعراء) على طريقة اللزوميات تتضمن حياته وفلسفته وأدبه ومؤلفاته ، وعدد أبياتها مائة وخمسة واربعون مؤلفة من تسعة وعشرين مقطوعة على عدد حروف الهجاء من الهمزة الى الياء ، وكل مقطوعة تتألف من خمسة ابيات ، وهذه المقطوعة الاولى ابتداء من قافية الهمزة :

علا بنبوغه اى اعتلاء ... حكيم المشرقين ابو العلاء
لنبوغ أنجبته ربيب فضل ... ونبل لم يشابا بالطلاء
وارض معرة النعمان حاطت ... ولادته الكريمة بالولاء
ولكن الزمان رماه طفلا ... ببادية العمى امضى بلاء
فعاش منغصا وحجاه يهمى ... بفلسفة وآراء صلاء

وهذه هي المقطوعة الاخيرة المنتهية بقافية الياء :

تجلى في فتوته ابيا ... وبرهن عن نباهته صبيا
ورف تكلؤه بين البرايا ... فضاء شذى ولم يمكث خبيا
وصاحب كل شهم ألمعى ... ولم يصحب كسولا أو غبيا
وسلسل ذهنه الوقاد وحيا ... فأوشك ان يكون به نبيا
تلقى العيش فذا عبقريا ... ولاقى الحتف حرا يعربيا

وهذه القصيدة لم اقدمها الى لجنة المهرجان ولم انشرها لطولها وغرابة اسلوبها بالتزام ما لا يلزم اقتداء بالمعرى ، ولاحتوائها على الفاظ لغوية فى قوافى الثاء والخاء والذال والظاء والغين .

وانى لاحيى الاديب الكبير الدكتور عبد المنعم خفاجى الطيب تحية ، راجيا ان يتقبل منى ما اوردته عن رسالة الملائكة قبولا حسنا وما غايتى وغايته الا الوصول الى الحقيقة وله فى الادب العربى الباع الطويل والفضل الكبير

● جبلة - سورية ● ● رشاد على اديب ●



هدية العدد
صورة
أحمد لطفي السيد

● ولد في قرية « برقين » بمحافظة الدقهلية في ١٥ يناير عام ١٨٧٢ ؛ درس في القاهرة ، وحصل على ليسانس الحقوق عام ١٨٩٤ .

● عين كاتبا بالنيابة العمومية بوزارة الحقانية (العدل) في أول يوليو عام ١٨٩٢ ورقي الى « مساعد نيابة » في ٢١ مايو عام ١٨٨٦ . ثم عين وكيلا للنيابة في ٩ سبتمبر عام ١٩٠٠

● قدم استقالته من وزارة الحقانية للعمل بالسياسة في ٧ نوفمبر عام ١٩٠٥ .

● اسهم في تأسيس حزب الامة عام ١٩٠٦ وتولى رئاسة تحرير صحيفة « الجريدة » واستمر في هذا العمل الى عام ١٩١٤ .

● وفي شهر مايو عام ١٩١٥ عين رئيسا لنيابة بني سويف ، ثم عين في ١٦ سبتمبر عام ١٩١٥ مديرا لدار الكتب ، واستمر في هذا المنصب حتى ١٥ نوفمبر عام ١٩١٨ .

● في ١١ مارس عام ١٩٢٥ عين مديرا للجامعة المصرية .

● عين وزيرا للمعارف في ٢٧ يونيو عام ١٩٢٨ .

● في ٣١ يوليو عام ١٩٣٠ عاد - مرة أخرى - مديرا للجامعة المصرية .

● استقال في ٩ مارس ١٩٣٢ من منصب مدير الجامعة احتجاجا على نقل عميد كلية الاداب حينئذ - الدكتور طه حسين - من الجامعة الى وزارة المعارف ، بدون موافقة الدكتور طه والجامعة .

● وفي يوليو عام ١٩٣٨ عاد للمرة الثالثة - مديرا للجامعة .

● في ٢٥ نوفمبر عام ١٩٤٠ عين عضوا بمجمع اللغة العربية .

● في ٣١ يناير عام ١٩٤٥ عين رئيسا لمجمع اللغة العربية .

● في عام ١٩٤٦ عين وزيرا للخارجية ونائبا لرئيس الوزراء وعضوا بمجلس الشيوخ .

● في عام ١٩٥٨ نال جائزة الدولة التقديرية في العلوم الاجتماعية .

● ترجم للفيلسوف الاغريقي « ارسطو » اهم مؤلفاته : « الاخلاق - السياسة - الطبيعة - الكون والفساد » .

وقد جمع مقالاته وخطبه واحاديثه في عدة كتب هي « المنتخبات - صفحات مطوية من تاريخ الحركة الوطنية - تأملات » .

● توفي في ٥ مارس عام ١٩٦٣ عن عمر يناهز الحادية والتسعين .

● قال عنه العقاد : « كان هذا الرجل الممتاز بشخصيته وخلقه فكرة في حياة ، أو حياة ملكتها الفكرة في خاصة شأنه وعامة عمله وقوله ، واخالنا اليوم في مكانه الوحيد بين مفكري العصور حين نقول انه في عصرنا هذا زميل عربي لارسطو اليوناني تجدد مع الزمن في مدرسة الثورة الفرنسية » .

مع قراء

الهلال..

● نصر الدين عبد اللطيف ●

● كمال سيد أحمد ـ الجيزة ●

ـ هذه المساحة المتاحة لنا من صفحات « الهلال » اكتبها ، يا أخي للتعارف والحب والمعرفة لا للسخرية كما تقول أو التحدي

أو التحدي... ولا تتفاخر على بهذه المقتطفات المقتبسة والمعادة عن أفلاطون ، لتقيها أخطاء في الترجمة وفي

الصياغة ، بل وفيها أيضا ما يناقض زعمك في التقديم والختام أنها حصيلة معرفة « احاطة وشمول » بأفلاطون ..
ولو أنني شئت السخرية أو التحدي ، لاقترحت عليك أن تضيف إلى معلوماتك عن أفلاطون ، أن اسمه الحقيقي ليس أفلاطون،

وانما : « ارستوكليس » ...وقد كان منذ حداثته عريض الكتفين والجبهة ، ولذلك أطلق عليه مدرس الألعاب الرياضية

الذي كان يدربه اسم أفلاطون ـ ومعناها : العريض ـ فأصبحت اسما له وعلما عليه ! ..

أما أعظم المواقف في حياته ـ وذلك ما لم تشر إليه سيادتك ! ـ فهي دفاعه المجيد عن أستاذه سقراط ... كذلك،

وبالمناسبة ، فان من أعمق وأصدق مأثورات أفلاطون قوله : « غاية الأدب أن يستحي المرء من نفسه » ! ...

● س. س. ـ كلية الزراعة
● للقصة ، وكتاب القصة ، موعد قريب مع « الهلال من

النقد » فى الزهور ، وبالطبع ستكون فرصة للشعراء الذين تتالين من قصورهن فى تقدمهم ، ليستريحوا على فترة يمكن ان تعتبر بينى وبينهم ، مؤقتا : ـ « اتفاقية فك الاشتباك » !

● الاسئلة كثيرة كاثرة ، ولكنى شغلت المساحة المتاحة لى هنا بمسرحيتى القصيرة : ثوب واحد لكل النساء ، ـ اعجبتك ؟ ..

● الشىء الذى توعد بكتاباتك ، هو ما يمكن ان تحققه الموهبة ، اذا ساندتها المعرفة والتجربة ، فحاولى ـ بجد ـ ان تعرفى شيئا من اوزان الشعر ، واستمرى ...

● الرسم بديع جدا ـ صورتك ؟ .. ام صورة لوجه من اعضاء الجمعية العمومية ، فى بيتكم : الخوالف والخوتة الاربعة عشر ؟!

● يوسف عزيز ـ رمل الاسكندرية ●

ـ لا اظن ان جيل العصر من القراء تنجح بينهم فكرتك فى اعادة طبع ونشر الترجمات القديمة من روايات شارلس جارفس ، وساباتينى ، وديماس ، وغيرها من « الروائع » التى نشأت انت عليها كما تقول وتعلمت منها ...
على اى حال لقد قدمت اقتراحك الى استاذنا رئيس التحرير ...

ويبقى بعد ذلك نقلك لما اكتب فى بعض ردودى هنا .. والحق انه ليس تبسطا ولا خلطا ولا سطحية ، ما تلحظ من اهتمامى باللمسات الشخصية فى حياة كبار المفكرين والعلماء واهل الفن والانباء .

واذا كنت انت ، مثلا ، تعرف الروائى العظيم اسكندر ديماس (الاب) من كتاباته ، فلا شك انك سوف تعرفه اكثر من مثل هذه اللمحة الانسانية الفريدة فى واقع حياته .. فى ايام البداية الصعبة ومراحل الكفاح الشاق ، ظل اسكندر ديماس يبذل الجهد والمحاولات المضنية لدى الناشرين ومديرى

المسارح لكي يقبل شيء أي شيء من انتاجه . وأخيرا واتته الفرصة وقبلت مسرحيته ملكة السويد ... كريستينا ، لتمثل على خشبة المسرح الفرنسي . وتم بالفعل اختيار الممثلين لأدوارها . وبدأت التدريبات ...

وفي هذه الفترة بالذات ، والمؤلف الشاب يضع قدميه سعيدا على أعتاب النجاح والمجد . ظهر مؤلف آخر ، هو رجل عجوز أفنى زهرة شبابه من أجل الوصول إلى خشبة المسرح ولكنه لم يوفق أبدا . وقدم مسرحية موضوعها أيضا حياة الملكة السويدية ..

وهنا برز نبل الكاتب الانساني اسكندر ديماس ، فقد أصر على أن يسحب مسرحيته ليفسح المجال للمؤلف العجوز في فرصة العمر ، وقال وهو يسحب مسرحيته باسما وفي رضا وسماحة : « لندع هذا الزميل المسكين يستمتع في الحياة برقصة مرحة قبل الرحيل ! » .

● ردود سريعة ●

● عبد الرحيم محمد – الزقازيق : « يا الهي » ، أجود من كل ما سبق ، ضاعف الجهد واستمر ...

● بسام عبد الفتاح محمد : لا يضيف هذا البحث جديداً لا يعرفه الدارسون عن شاعر الزهد والزندقة أبي العتاهية

● على محمد منصور – القاهرة : في قصيدتيك « عيوننا الثلاث » و « محاولة فاشلة للهروب من مدن الزيف الشوكي » ما يشجع المحب للشعر على أن يحاول ويحاول ، حتى ولو جاءت النتيجة لا جيدة ولا جديدة !

● صالح البيومي – شبرا الخيمة : قصيدة التهنئة والتأييد ، طيبة ... ولكنها – للعلم ، وصلت متأخرة ! .

● محمد عثمان – ايتيال : بمثل هذا الاصرار والمثابرة ، قد تتوافر وتفيد التجربة ، وقد يسبق غير الموهوب صاحب الموهبة !

● ع . محمد الصادق - تبسة الجزائر : كلامك ، يا أخي المبجل جميل ، بالغ الرقة والعذوبة ... ولكنه ، لانعدام الوزن لا يدخل في حساب الشعر عموديا ، أو حرا ، أو أحدث !

● محمد عبد الفتاح - طنطا : أسعدني أنك لم تتعب نفسك في اختيار عناوين لقصيدتيك - ويسعدني أيضا أن أغفل مثلك !
.. أن فيهما - في القصيدتين - من الكسور والفضائح اللغوية ، ما يجعلنا نتجاوزهما على اخفاء أمرهما ، ابتغاء المثوبة وحسن الجزاء ، عند الله ومن القراء !

● ماجد سليم الصـــالحي - الاردن ●

- لم تتناول حياته ودوره في عالم الشعر والأدب حتى الآن ، وفيما أعلم ، دراسة للماجستير أو رسالة للدكتوراه .. لكأني محب معجب به مثلك وربما أكثر منك ... فالحق أني مفتون بصاحب تلك الشخصية الجذابة المهيبـة والفريدة في تاريخ أدبنا العربي : الأصمعي ...

ولا يهم ، يا أخي ، أن لا تكون هنـاك مناسبة لذكـرى مولد أو رحيل لنتحدث عن الأصمعي ... فان في حياته الخصبة الحافلة عالما ، أديبا ، لغويا ، وراوية - مناسبات دائمة ومتجددة للحديث عنه والمهم أن يكون الحديث اضافة تكشف وتجلو الشخصية الفـذة في تلك الفترة اللامعة من حياة العرب والأدب العربي ...

والأصمعي ، واسمـه الكامل أبو سعيد عبد الملك بن قـريب ابن عاصم الأصمعي - من أبناء حي بني أصمع بالبصرة ، ولد عام ١٢١ للهجرة (٧٤١ ميلادية) وكان في مراحل الطفولة واليناع خفيف الروح متدفق الحيوية ، طلق اللسان ، عذب الصـوت طموحا ... وبفضـــل ذكائه الوقاد ، وذاكرته الحـــافظة ، وتنقله بين حلقات العلمـــاء ، ورحلاته في البوادي الشاسعة - ازدهـرت ملكاته وتزايدت ثروته العلمية والأدبية ومحفـــوظاته من القصائد والأراجيز ، والأخبار والنوادر والحكم والأمثـــال ، والأنساب واللهجات وأصـبح بغزارة علمه وأدبه وبطريقته

ترقه ، عالما جليلا نقادة ورواية يخلب الالباب بمعارفه ونوادره واشعاره ... وكما قال عنه ابو فراس : كان يأتى بالنادرة فى مناسبتها فسورا ، كأنها كانت تجول على شفتيه ، او كأنه هو الذى اوجد تلك المناسبة ليرصعها بنادرته ... وتتدفق طرائف النص والاشعار ، وبدائع الحكم والامثال فى حديثه كأنها تمور فى رأسه ، وكان يتحاشى جارح القول واللفظ ، ويلجم اهل اللجاجة والخصام بأسئلته المعجزه ، وأجوبته المسكته !!

● نادية اسعد طولان ــ المعادى ●

ــ .. ولماذا العجل ، ياسيدتى ، والمساحة المتاحة لى محدودة ، وبريد « الهلال » عظيم ؟

ان هذه الصفحات المخصصة حاليا ، لرسائل وأسئلة القراء لا تكفى لان تكون معهد تدريب وتوجيه لهواة فنون الكتابة ومن تتعثر خطواتهم فى المحاولات الاولى على الطريق ! .

ولو اننى تفرغت لواجب استقبال كل قصة وكل قصيدة بالحفاوة والرعاية ، وانطلقت ابصر بقواعد الفن، واشرح ، واصلح ، ثم اقدم للنشر .. ــ الخ ، لطال بى المدى وضاق المجال ، و .. استغنوا عن خدماتى هنا فى « الهلال » !

المهم الآن ان محاولة قصتك التى هى اول تجربة لك فى الكتابة منذ تخرجك وبعد خمس عشرة سنة حياة زوجية ــ ليست كما يحس ويلمح من تكتبيه لها روعة ولا « تحفة » .. كما انها لا تنبيء عن موهبة كانت نائمة ولا تكشف عن كنز دفين !

وصحيح ان المواهب فى عالم الافكار والكلمات ، ليس لظهورها مواعيد او مناسبات .. وصحيح انها تظهر فى مختلف الاعمار ، بغير اختيار وعند الشباب او العجائز او الكهول ..

ولكن الموهبة ــ هبة .. وممارسة علم ، وتجربة ! ..

وهى لا تولد بمرور الايام والسنوات فى حياة الزوجات ! ولا توجد بالنشر والتشجيع فى الصحف والمجلات !

.. كما انها ـ صديقتي ـ لاتعيش على حوار المجاملات في الاسئلة والاجابات .. بل لعلها تموت بالمجاملات ! .
و .. لا عزاء للسيدات !

● فريد عبد الحميـــــد ـ القناطر ●

ـ ...ستة اسئلة مرة واحدة وفي التاريخ يا ظالم، وانا وحيد مشغول ، و .. فقير تاريخيا؟ على اى حال فقد كانت معى عناية الله وانا اكتب التفتتني الى ما في رسالة عزيزة للماجستير ما اجيب به فاقول لك : الجمعيـــة الادبية التى انشـــاها الادباء العرب في امريكا الشـــمالية ، هى الرابطة القلمية ، .. والتى انشاها الادباء العرب في امريكا الجنوبية ، هي « العصـــبة الاندلســـية » .. اما عنترة فيعتبر من الشعراء الجاهليين ، والفرزدق من الامويين ، ولبيد من المخضرمين .. واخيرا ، فان الفيلسوف العربى الذى يشتهر في العالم بانه « المعلم الثانى » بعد ارسطو فهو ابو نصر محمد الفارابى ...

هل تسمح ، يا اخ فريد ، لامتحان القبول في جمعيــــة « اختبر معلوماتك » ؟!

● جمال محمد توفيـــق ـ السيدة زينب ، القاهرة ●

ـ من حسن الحظ ان كتابتك على الصـــفحة من الوجهين ، وخطك الردىء والمتعجل ـ يتيح لى لحظات طيبة مع القصـــة لا اقرؤها ولا افهمهـــا ، ولااتكلم عنها !

اما بالنسبة لاستفسارك عن الاعداد المطوية من « الهلال وبعض مطبـــوعات الدار ، فتتفضل مكرما ، وانت بجـــار تسكن قريبا من الدار ، بزيارة لقسم التوزيع الطـــابق الاول ، ولا داعى لان اذكرك بما حدث يوما لشاب ـ في مثل سنك من اســـبرطة ـ عندك فكرة عن اسبرطة ؟ ناولته امه الاسبرطية السيف ، فتناوله ثم قال : « انه قصير يا اماه ! .. فقالت :

.. تقدم خطوة فيطول ! ..

شركة الاسكندرية للمنتجات المعدنية

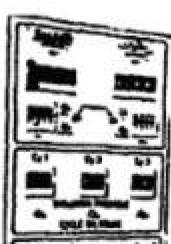
٧٢ شارع الشهيد جلال الدسوقي - الحضرة اسكندرية ت ٧٧٧٦١/٧٠٥٣٣ ص ب ٢٨٦ اسكندرية

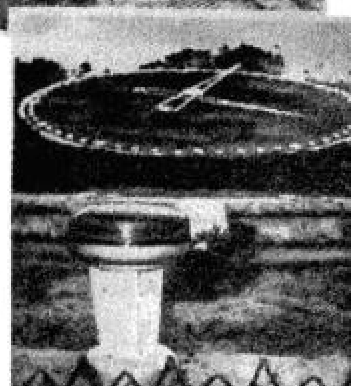




La Cooperation Franco-Arabe dans le domaine de la Signalisation routière "SILEC" Paris "AMPCO" Alexandria

التعاون العربي الفرنسي في مجال تنظيم المرور الالكتروني بين شركة "سيلك" كبرى شركات العالم الفرنسية وشركة "امبكو" الاسكندرية للمنتجات المعدنية





جهاز التحكم الكتروني لتنظيم المرور

فكرة الفنان

عش بالشعور ، وللشعور ، فانمـــــا
دنياك كون عـــواطف وشـــعور
شيدت على العطف العميق ، وانهـــا
لتجف لوشـــــيدت على التفكير
وتظل جـامدة الجمـــال ، كئيبـة
كالهيكـــل ، المتهـدم ، المهجـــور
وتظـــل قاسـية الملامح ، جهمـــة
كالمـوت ، مقفـــرة ، بغير سرور
لا الحب يرقص فوقهـــا متغنيـــا
للناس ، بين جداول وزهـــور
متورد الوجنـــات ســـكران الخطى
يهتز من مرح ، وفرط حبـــور
متكللا بالـــورد ، ينثر للـــورى
اوراق ورد « اللـــذة » المنضـــور

● ابو القاسم الشابى ●





مشهد من الأزهر الشريف ، حصن الإسلام ، والأمين على مبادىء الرسالة المحمدية ، جهاداً في سبيل الله ، ضد أعداء الله . . .

اقرأ داخل العدد : مقال الإمام الأكبر شيخ الأزهر


الهلال
جزء خاص عن
أمهات الكتب
الهلال + الزهور
+ الهدية = ١٥ قرشا

الهلال

ذو القعدة ١٣٩٥
ديسمبر ١٩٧٥

مجلة شهرية تصدر من دار الهلال — أسسها جورجى زيدان سنة ١٨٩٢ — العدد الثانى عشر — السنة الثالثة والثمانون — أول ديسمبر ١٩٧٥ — ٢٨ ذو القعدة ١٣٩٥

ثمن العدد : فى جمهورية مصر العربية ١٥٠ مليما
قيمة الاشتراك السنوى : ١٢٥٠ مليما فى جمهورية مصر العربية وبلاد اتحاد البريد العربى والافريقى ١٥٠ قرشا صاغا . فى سائر انحاء العالم ٦ دولارات أو ٢ جنيه والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال . فى جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية . فى الخارج بشيك مصرفى والاسعار الموضحة بالبريد العادى — وتضاف رسوم البريد الجوى والمسجل على الاسعار المحددة عند الطلب .
الادارة : دار الهلال — ١٦ شارع محمد عز العرب — القاهرة
تليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

في هذا العدد



د. سيد نوفل د. سيد كريم د. احمد الحوفى

بسم الله الرحمن الرحيم



كلمة الهلال

دعاء..

لى حبيبٌ لستُ أخشَى فيه عيْنَ الرُّقباءِ
أتمنّاهُ ولا يمنعُنى عنهُ حيائى ...
هوَ فى الشدّةِ عونى وهوَ فى الليلِ ضيائى
وعليهِ صلواتى ، ولمغناهُ دعائى

***

يا حبيبَ الله والنّاس ويا نورَ السّماء ...
يامجيرى من مصيرى يا أميرَ الأنبياء
يا شفيعى يومَ لا يسألُ عنّى شفعائى

صالح جودت

أنا غنيتُ بذكراك صباحي ومسائي
وبذكراكَ انتشتْ روحي وأبدعتْ غنائي
وبنجواك ازدهتْ نفسي وتاهتْ خيلائي
وعلى بابكَ يا أحمد ألقيتُ رجائي
كلما عانيتُ ، ناديتكَ ... فالتراحُ شفائي
يا بشيرَ المسلمين المؤمنين الأتقياءِ
ان تكنْ عنّي رضياً ، فأنا في السعداء
يا حبيبَ الله والناس ، ويا نور السماء ...



بالحب والاعزاز استقبل المواطنون الزعيم القائد
بعد عودته من رحلة السلام وفى الصورة الثانية
.. القائد البطل أنور السادات يتقبل هدية
الخريطة لمصر التى التقطها القمر الصناعى .



رحلة الحق والعدل والسلام

في رحلته من اجل الحق والعدل والسلام ، زار الرئيس انور السادات فرنسا ، والولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا خلال نوفمبر الماضي واوصل كل وجهات النظر العربية معبرا بحق عن آمال طال الامد لكي يعرفها العالم ..

وعلى امتداد ايام الرحلة سمع الملايين في انحاء العالم وشاهدوا الرجل الذي صنع معجزة العبور .. رأوه شامخا عملاقا ، ينادي بالسلام ويدعو الى نصرة الحق من فوق منبر الامم المتحدة ، وامام الكونجرس الامريكي

لقد حققت هذه الرحلة التاريخية نتائج بالغة الاهمية ، واستقبلت جماهير الشعب الزعيم القائد عند عودته الوطنه الحبيب استقبالا عبر عنه الرئيس البطل ، بتلك الكلمات المضيئة : ان بسمة الحب على الشفاه ، واشراقة الامل على الوجوه ، هي خير ما يمكن ان اسعد به بعد عودتي الى ارض مصر الغالية ».

د. سيد نوفل

من طبيعة الجدل وصناعة الكلام ، توجيه العناية الى الالفاظ ودلالاتها ، او التوجه نحو فن البلاغة ، وجد هذا فى تاريخ البلاغة اليونانية ، وفى تاريخ البلاغة العربية على سواء. فالسوفسطائيون اليونانيون كان لهم اكبر الاثر فى تاريخ البلاغة اليونانية . والمتكلمون العرب كان لهم اكبر الاثر فى تاريخ البلاغة العربية .. و « البيان والتبيين » ، الذى اراه اول كتاب فى تاريخ البلاغة العربية ، من عمل ابى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتكلم ، وموجه الفكر والادب العربيين لعدة قرون منذ نهاية القرن الثانى الهجرى وصاحب الاثر الباقى على الزمان فى لغتنا القومية والوان ادبها المتنوعة ..

البيان والتبيين للجاحظ

الجدل وعلم الكلام اوضح ما يكونان فى جميع كتب الجاحظ ، مع روعتها الفكرية والعلمية والادبية .. فهو يفتتح « البيان والتبيين » بجدل طويل بارع مفيد حول البلاغة والخطابة ، والاحتجاج لرأى صاحبيهما على رأى صاحب الصمت والسكوت ، وايراد واف أمين لما يمكن ان يقال ترجيحا لكلا الرأيين ...

وكتاب «الحيوان» يالالفحص متناظران

شتى بين صاحب الكلب أو صاحبته وصاحب القط ، أو بين صاحب الديك وصاحب الكلب، أو بين صاحب الحمام وصاحب الديكة، أو بين صاحب الدبكة وصاحب الغربان، أو بين غيرهما من كل

محتج لحيوان ، مفضل له على ما عداه · وكذلك النملة تجد لها صاحبا متحمسا ، يؤثرها على غيرها، ويطنب

في ذكر مزاياها وفضائلها، ويستشهد بآي الذكر الحكيم من سورة النمل في القرآن الكريم ···

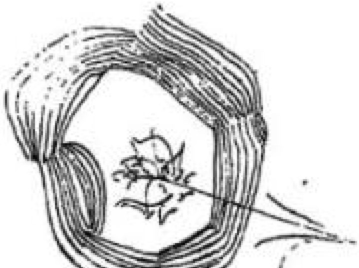
وكتاب المحاسن والاضداد أبـرز كتب الجاحظ دلالة على جدله ، فهو يعرض محاسن الشيء ومساوئه ··· بل ان الجدل ، والقصد الى تعليمه

للناس ، ظاهر في رسائله الادبية · ففي رسـالة التربيع والتدوير التي يهجو فيها الوزير أحمد بن عبدالوهاب

يداعبه برفعـه وخفضه ، وان كان الخفض والرفع معا للسـخرية يستهدفان ···

ومن فتنة الجاحظ ، واقتنـاعه بطريقة المتكلمين وفكـرهم ، تمنى

اجتماع العلم والكلام عنصرين متكاملين في فكر المتكلم والعالم معا ·· وقال :



« وما احوجنا واحوج جميع المرضى الى ان يكون الاطباء متكلمين ، والى

أن يكون المتكلمون علماء · فـان الطب لو كان من نتائج حذاق المتكلمين ومن تلقيحهم له ، لم نجد في الاصول التي يبنون عليها من الخلل ما نجده »

ومن هنا صح وصف ابن العميـد لكتب الجاحظ بانها « تعلم العقل اولا والادب ثانيا » · ·

اغراض الكتاب واثره

ومن أواخر مؤلفات الجاحظ الكثيرة كتابه : « البيـان والتبيين » ، وقد

قصد به التعريف بالبيان والبلاغة والخطابة ، وذكر محاسنها ومساوئها وشرح فنونها والـوانها ، وان يعين

الوزراء والكتاب وسائر المثقفين لذلك العصر فيما يتكشفون من تفوق في فن الادب ···

وفي هذا الكتاب عناية بالناحيـة التطبيقية من عيوب النطق ، وارتفاع الصوت وانخفاضه ، ومظهر الخطيب والشاعر ، ومن الايجاز والتكـرار

والاطناب ، ومن الاشارة والتلميح ·· كما عني بتعريف البيان والبـلاغة وفنونهما ، واللفظ والمعنى ، والنظم

والاعجاز · ووجه عنايته الاولى الى ايراد الشواهد والامثـال من الادب المعاصر له والسابق لعهده ·

ومعاصرو الجاحظ من تلاميذه، ومن اتوا بعده من الكتاب والادبـاء والمؤلفين ، قد تاثروا بالجـاحظ وكتابه : « البيـان والتبيين » أعظم تاثير ··

ويكفي ان نشير الى كتاب « الكامل »

البيان والتبيين

للمبرد ، « وأدب الكاتب » لابن قتيبة « وأدب الكتاب » للصولي ، و « كتاب الكتاب » لابن درستويه . ويكفي أن نذكر « الصناعتين » لأبي هلال العسكري ، و « العمدة » لابن رشيق و « سر الفصاحة » لابن سنان ..

وليس أبو هلال إلا شارحا للجاحظ ، جامعا للمتفرق عنده ، وقد تحدث عن كتاب « البيان والتبيين » بعد أن أورد طرفا من تخليط بعض المحدثين في علم البلاغة فقال : « ووقفت على موقع هذا العلم من الفضل ، ومكانه من الشرف والنبل . ووجدت الحاجة اليه ماسة ، والكتب المصنفة فيه قليلة . وكان أكبرها وأشهرها كتاب « البيان والتبيين » لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . وهو لعمري كثير الفوائد ، جم المنافع » . (١)

البيان ووسائله عند الجاحظ

ويعرف الجاحظ البيان تعريفا عاما فقال : « انه اسم جامع لكل شيء كشف قناع المعنى وهتك الحجب دون الضمير ، حتى يفضي السامع الى حقيقته ويلم بما فيه » .

وشرح هذا وعلل له بأن مدار الامر « وغاية القائل والسامع ، انما هو الفهم والافهام . فبأي شيء بلغت الافهام وأوضحت عن المعنى ، فذلك هو البيان » .

وعرفه في هذا الموضع نفسه تعريفا آخر ، فقال : « انه الدلالة الظاهرة على المعنى الخفي ، وان البيان بهذا المعنى هو الذي دعا اليه الله ، ونطق به القرآن . وبذلك تفاخرت العرب ، وتفاضلت أصناف العجم .. » .

ومهد لهذا التعريف بذكره « ان المعاني مستورة مكنونة وموجودة في معنى معدومة ، لا يعرف الانسان ما في ضمير أخيه الانسان منها . وحياتها في ذكر الناس لها واخبارهم عنها واستعمالهم اياها ، وبهذا تقرب من الفهم وتظهر وتؤلف . وأقدار المعاني وظهورها متصلة بأقدار الدلالات ووضوحها ، والاشارات وصوابها ، والايراد وحسنه .. » .

وبعد أن يورد هذا وذاك ، يذكر أصناف الدلالات من « لفظ واشارة وعقد وخط وحال ، اذ جميعها تدل وجميعها تبين » .

وفي هذا ، نرى نزعة الجاحظ الى تمام الافهام وحسن التجلية للمعاني كما ان حديث الجاحظ الاريب عن المعاني وموتها وحياتها ، وحظ الالفاظ بخاصة والدلالات بعامة في البيان عنها – فيه تفكير وعمق .

وذكر الجاحظ في معرض الحديث

---

(١) الدكتور سيد نوفل : البلاغة العربية في دور نشأتها ، مصر ١٩٤٨ ص ١٧٠ – ١٧٤

عن البيان مســائل بعيدة عن علم البيــان المتأخر . فعرض للتلاؤم الالفاظ والحروف والغرابة وما اليها مما يذكر في باب البلاغة . ومعروف ان هذه المسائل وضعت اخيرا في باب الفصاحة ، وجعل البيان علما خاصا ببحوث التشبيه والمجــاز والكناية

ويلاحظ كذلك ان الجاحظ جعــل عنوان كتابه « البيان والتبيين » واورد فيه أمورا متنوعة متصلة بالبــلاغة والخطابة ، وضمنه نثرا ونظما ..

وهذا كله من البيان عنده . وعقــد بابا خاصا للبيان تحــدث فيه عن البلاغة ...

ومن هنا يتأكد ان الفــرق بين البلاغة والبيان لم يكن ظاهرا حينئذ بل ان الترادف بينهما ظل موجودا الى العصور المتأخرة . فيسمــون العلوم الثلاثة علوم البلاغة او البيان ويسمون البلاغة براعة وبيانا وفصاحة ايضا .

على ان بعض بحوث البيان بالمعنى الاصطلاحي كانت معروفة عندهم ، وكان يطلق عليها اسم « البديع » .

فالجاحظ يقول : وكان العتــابي يحتذي حذو بشار في البديع . ولم يكن في المولدين اصوب بديعــا من بشار وابن هرمة . والبديع هنا اسم شامل للمجاز وما اليه من الصــور البيانية . ويتبين هــذا من ايراد الجاحظ لابيات منها :

هو ساعد الدهر الذي يتقى به
وما خير كف لا تنــوء بساعد

وتعليقه عليه بقوله : « قوله هم ساعد الدهر انما هو مثل ، وهــو الذي يسميه الرواة « البديع » . وقد قال الراعي :

هم كاهل الدهر الذي يتقى به
ومنكبــه ان كان للدهر منكب

وقد جاء في الحديث « موسى الله احد ، وساعد الله اشــد » والبديع مقصور على العرب ، ومن اجله فاقت لغتهم كل لغة ، واربت على كل لسان .. والراعي كثير البديع في شعره ، وبشار حسن البديع ، والعتابي يذهب شعره في البديع .

وكذلك تحدث الجاحظ في اسهاب عن التشبيه ، والمجاز ، والاستعارة ، والمثل بمعنى المجاز او مقابل الحقيقة والكناية بمعنى عام .

الايجاز عند الجاحظ

ورأى الجاحظ في الايجاز يمثــل حقا فكره المتطور وعقله الرائد . لقد عنى العرب في الجاهلية بالايجــاز واعتبــروه البلاغة الحقة . واتى الاسلام فاستحسنه الكتاب وتفننوا فيه ، حتى ود بعضهم لو ان الكــلام كله توقيعات . واغلب الظن ان الامية في الجاهلية والاعتماد على الذاكرة كان من دواعيه ، كما اقتضــاه تدوين

الرسائل في الاسلام ، اذ يتطلب قراطيس كان الحصول عليها شاقا . يروى أن عمر بن عبد العزيز كان اذا طلب منه كتابه قراطيس ، امرهم بالايجاز والاكتفاء بما عندهم منها ، ففى الايجاز بلاغة وقصد . ويضاف الى هذا انقطاع طائفة من الادباء للكتابة ، وما يؤدى اليه الانقطاع والتخصص من التفنن في الايجاز المطلوب بل والاسراف فيه احيانا .

اما الجاحظ فقد ورد الايجاز عنده بمعنى حذف الفضول . واحترز مما قد تدلهذه العبارة عليه من ان الايجاز يعنى قلة اللفظ على الاطلاق ، فنص على ، انه لا يعنى الاختصار ولا قلة عدد الحروف واللفظ ، وقد يكون الباب من الكلام من اتى عليه فيما يسع بطن طومار فقد اوجز . فالحذف لما لا يكون سببا في اغلاق المعنى وما يحدث التكرار بذكره ، والخطل في ايراد ما لا حاجة اليه لوضوحه » .

وشرح هذا في صدر الجزء السادس من كتاب الحيوان ، فقال بعد ان عدد ما ذكره من انواع الحيوان والطيور والحشرات : « وقد بقيت ابواب توجب الاطالة وتخرج الى الاطناب . وليستجاطالة مالم تجاوز مقدار الحاجة ... وانما الالفاظ على اقدار المعانى ، فكثيرها لكثيرها ، وقليلها لقليلها ، وشريفها لشريفها ، وسخيفها لسخيفها . والمعانى المفردة البائنة بصورها وجهاتها تحتاج من الالفاظ الى اقل مما تحتاج اليه المعانى المشتركة والجهات الملتبسة . ولو جهد جميع اهل البلاغة ان يخبروا من دونهم عن هذه المعانى بكلام وجيز ، يغنى عن التفسير باللسان والاشارة باليد والراس ، لما قدروا عليه . وقد قال الاول : اذا لم يكن ماتريد فارد مايكون . وليس ينبغى أن يسوم اللغات ما ليس في طاقتها ، ويسوم النفس ما ليس في جبلتها . ولذلك صار يحتاج صاحب كتاب المنطق الى أن يفسره ممن طلب من قبله علم المنطق ، وان كان المتعلم رقيق اللسان حسن البيان . الا انى لاأدع على حال ان النفوس اذا كانت الى الطرائف احن وبالنوادر اشغف ،والى قصار الاحاديث أميل وبها أصب ، انها خليقة لاستثقال الكثير وان استحقت تلك المعانى الكثيرة ، وان كان ذلك الطويل انفع ، وذلك الكثير أرد » .

ثم فسر الايجاز تفسيرا واسعا بمعنى اداء حاجة المعنى ، سواء أكان ذلك الاداء في الفاظ كثيرة ام قليلة . ثم قرر ان هناك معانى مشتركة مبهمة تحتاج الى ايضاح واسهاب في التعبير عنها ، كما ان هناك معانى مفردة يكفيها قليل اللفظ . وهو يعتذر عن البسط والاسهاب ، ويقول انهما امر لامناص منه ، ولاسبيل الى ما سوى الرضا منه ،ثم يتحدث عن اللغة وطبيعتها، والنفس وجبلتها ، حيثما يناسب ما



عهد فيه من الربط بين الادب وحال النفس .

والاسهاب عنده لغو ، يكون خطلا وهذرا حين يفضل عن مقدار الاحتمال ويدعو الى الملل ، اذ للكلام غاية ولنشاط السامعين نهاية » .

« وليس التكرار عيا مادام لحكمة ، كتقرير المعنى او خطاب الغبي او الساهي ، كما ان ترداد الالفاظ ليس بعي مالم يجاوز مقدار الحاجة ويخرج الى العبث . وهذا القرآن قد ردد قصة موسى وهود وهارون وشعيب وابراهيم ولوط وعاد وثمود ، كما ردد ذكر الجنة والنار وغيرهما ، لانه خاطب جميع الامم من العرب واصناف العجم ، واكثرهم غبي غافل او معاند مشغول الفكر ساهي القلب .

« وضبط الحاجة الى الترداد والتكرار غير ممكن ، لانه امر يتصل باقدار المستمعين ومن يحضر الحديث من العامة والخاصة » .

البيان والبلاغة والفصاحة

واتى البيان عند الجاحظ بالمعنى الفني ، او ما هو قريب منه ، فكان بمعنى البلاغة ، كما سبق ذكره ، حين يضع البيان مرادفا لها ، ويذكر ما في البلاغة الشوبة بالتكلف ، والبيان الممزوج بالتعمل ، من لائمة ومذمة .

ويظهر هذا المعنى في قول جعفر بن يحيى ، وقد سئل ما البيان : « أن يكون الاسم يحيط بمعناك ، ويجلى عن مغزاك ، وتخرجه من الشركة ، ولا تستعين عليه بالفكرة . والذى لابد منه : أن يكون سليما من التكلف ، بعيدا من الصنعة ، بريئا من التعقيد ، غنيا عن التأويل » .

ثم يعلق الجاحظ على هذا بقوله : وهذا هو تأويل قول الاصمعي : « البليغ : هو من طبق المفصل ، واغناك عن المفسر » ، فيجعل ما قيل في البيان تأويل ما قيل في البلاغة . كما يظهر في قوله عند تكلمه عن صناعة البلاغة ، وكتب الأعاجم فيها : « فمن قرأ هذه الكتب عرف غور تلك العقول ، وعرف اين البيان والبلاغة ، واين تكاملت تلك الصناعة » .

وفي قوله عند التكلم عن البلاغة : « وكان صاحب المنطق نفسه يكره

اللسان غير موصوف بالبيان • وهم يزعمون أن جالينوس كان أنطق الناس ، ولم يذكروه بالخطابة ولا بهذا الجنس من البلاغة »• فهو في هذه العبارة وضع البلاغة والخطابة والبيان في أوضاع متساوية ، مقابلا بينها وبين المنطق •

والأمثلة عديدة على الجمع بين البلاغة والبيان ، جمعا فيه معنى المرادفة •

واستعمل البيان كذلك في المعاني

البيان والتبيين

التي استعملت فيها البلاغة :

فأتى مقابلا للعي في قوله : سحبان مثل في البيان، وباقل مثل في العي ، وفيما رواه من قول حميد ابن ثور الهلالي :

اتانا ولم يعد له سحبان وائل
بيانا وعلما بالذي هو قائل
فما زال عنه اللقم حتى كأنه
من العي لما أن تكلم باقل

وفي قول زيد بن علي جوابا لمن سأله : الصمت خير أم الكلام :

« أخزى الله المساكتة فما أفسدها للبيان وأجلبها للحصر ! والله للمماراة أسرع في هدم العي من النار في يبس العرفج ، ومن السيل في الحدور »•

وفي قول الجاحظ : « البيان بصر ، والعي عمى »، وفي قول يونس بن حبيب : « ليس لعيي مروءة ولا لمنقوص البيان بهاء »•

وفي قوله عن الكتاب : « ان شئت كان ابين من سحبان وائل، وان شئت كان اعيى من باقل »•

وفي قوله : « كسد العي والجهل، وقامت سوق البيان والعلم »•

والوجه فيه معنى الخطابة أو الحديث ، كالبلاغة • فتراه يعقد فصلا عنوانه : « في صفة من يقدر على الابانة » يذكر فيه الصفات التي تتصل بالقدرة على الخطابة ، من نحو القوة في الموقف وزيادة القريحة وتوضيح المعاني وتخير الألفاظ وتجنب الغريب •

ويتحدث عن حاجة البيان الى سهولة المخرج ، وجهارة الصوت ، وتكميل الحروف ، واعطائها حقها من الظهور ، والاشارة باليد والرأس ، كما يذكر لوازم الخطابة في باب البيان •

ويتحدث عن اخراج الحروف والالثاء ، ومقومات النطق ، وعيوب اللسان ويفصل القول فيها •

اما الفصاحة فقد اتت كذلك مرادفة للبيان والبلاغة فى مواضع كثيرة ، وعطفت على البلاغة فى قوله من كلام مستهجن رواه بعض الكتاب فى كتبهم : « فان كانوا قد رووا هذا الكلام ، لانه يدل على فصاحة فقد باعده الله من صفة البلاغة والخطابة ». كما عطفت على البيان فى قوله : « فلو اننا لم نجعل لمحمد صلى الله عليه وسلم فضيلة فى نبوة ولا مزية فى البيان والفصاحة لكنا لانجد بدا من ان نعلم انه كواحد من الفصحاء ».

وعطف الافصاح على البيان عطف تفسير فى قوله : « ومدح الله القرآن بالبيان والافصاح وحسن التفصيل والايضاح ، وبجودة الافهام وحكمة الابلاغ ».

وقد تأتى بمعنى مطلق النطق الذى يفصل بين الانسان والحيوان ، فيدخل فيها كل تعبير بأى لغة من اللغات . ومن هذا قوله : « والانسان هو الفصيح وهو الناطق ... ».

وقوله : « والانسان فصيح وان عبر عن نفسه بالفارسية او الهندية او بالرومية ، وليس العربى اسوأ فهما لطمطمة الرومى من الرومى لبيان لسان العربى . فكل انسان من هذه الوجهة يقال له فصيح ».

غير ان الفصاحة عنده كان لها بعد هذا معنى مستقل يميزها عن البيان والبلاغة ومطلق النطق . تلك هو الاداء اللفظى الكامل من حيث مخارج الحروف والبعد عن اللكنة واللحن والعجمة .

وبعد ، فان الجاحظ بكتابه «البيان والتبيين» يعتبر مؤسس علم البلاغة العربية وما يتصل بها مما سمى بعد : البيان والمعانى والبديع ...

لقد جمع ما يتعلق بفنونها من كلام سابقيه ومعاصريه ، واضفى عليه من شروحه واضافاته وقدمه فى بيانه الفذ البارع ...

وقد زالت بعض الموضوعات التى اثارها فى هذا الميدان ، وعدل بعض ما اورده تعديلا كليا او جزئيا . لكنه فتح بابا لم يسبق اليه ، وظهرت آثاره واضحة فى مناهج المؤرخين لهذا العلم من بعده ، وظلت المسائل التى تحدث عنها ، والامثلة التى اوردها مناط البحث ومدار الشرح والتأويل ...

ولو قدر لنهج الجاحظ الادبى ان يسود دون منازع ، ما انتكس علم البلاغة العربية على يد السكاكى واضرابه من الاعاجم ، الذين اثقلوا كاهله بالفلسفة والايغال فى الابواب والاقسام ، وجردوه من روحه الوضاءة اللهمة ...

ولهذا لم يجد المحدثون بدا ، حين اتجهوا الى تطوير علوم اللغة ، من الرجوع الى الجاحظ ، يطلبون منه العون لاحياء علم البلاغة . وقد وجدوا عنده نعم العون، ونعم المصدر الفياض الخصيب .

الغزالي

إحياء علوم الدين

د. أحمد الشرباصي

كان القدر المسعد يريد ان يربط حياتي وفكري بحجة الاسلام الامام ابي حامد الغزالي رضي الله عنه ، فقد قرأت له وقرأت عنه وانا فتى ناشيء في اول دراستي الازهرية منذ قرابة نصف قرن ، ثم طالعت كتابه الكبير الخطير « احياء علوم الدين » ، وانتفعت به كثيرا وطويلا في كتابتي وخطابتي ، ابتداء من عهدي بالجامع الصغير في قريتي « البجلات » خلال الثلاثينيات من هذا القرن العشرين الى الجامع الازهر في الخمسينيات ، الى « جامع الرفاعي » في الستينيات والسبعينيات ، الى غير ذلك من اماكن الكتابة والمحاضرة .

وفي سنة ١٩٦٦ ـ أي منذ عشرة اعوام من حاضرنا ـ اخرجت لي دار الهلال كتابا عنوانه « الغزالي والتصوف الاسلامي » . ولعل القيب يطوى في الغد بقية او بقايا من الحديث .

والغزالي رجل اوسع القابه شهرة لقب « حجة الاسلام » ، ثم يليه لقب « مجدد القرن الخامس » في تاريخ الاسلام ، وهو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي المشهور بالغزالي ، وقد ولد ببلدة « طوس » سنة خمسين وأربعمائة ، ويقال انه ولد في قرية « غزالة » من قرى طوس ، والخطب في هذا الخلاف يسير .

وقد نشأ فقيرا ، وفقد أباه وهو ما زال في صباه ، ودخل احدى المدارس الدينية بطوس ، ثم انتقل الى جرجان حيث درس الفقه ، ورحل الى نيسابور من أجل العلم ايضا ، واتصل بالوزير السلجوقي « نظام الملك » ، وتولى التدريس في المدرسة النظامية ببغداد .

وفي سنة ثمان وثمانين واربعمائة تعرض الغزالي لأزمة روحية فكرية استمرت لديه شهورا ، حيث تعرض للقلق والاضطراب والشك . ثم ارتحل الى الشام حيث اعتزل الناس قرابة عامين قضاهما في الاعتكاف والزهد . ثم رحل الى بيت المقدس ، حيث بدأ تأليف كتابه الجليل : « احياء علوم الدين » ، واتمه في دمشق .

وحج الغزالي ، وتنقل في البلاد ، ثم عاد الى التدريس في المدرسة

النظامية . ثم عاد الى وطنه وقضى فيه اواخر ايامه . ثم لحق بربه سنة خمس وخمسمائة **.
رضوان الله عليه .

هذا تعريف عاجل خاطف لابد منه بين يدى الحديث عن كتابه « احياء علوم الدين » . وهو أعظم كتب الغزالي حجما ومكانة ، وهو اوسعها شهرة ، وقد تغنى به كثيرون ، وتحامل عليه كثيرون ، واعتدل فى نقده كثيرون ، واشتط فى ذمه كثيرون

وقد طبع عدة طبعات ، ووضعت له شروح وتلخيصات ، وترجم الى الفارسية والالمانية والتركية والاوردية. وللغزالي كتاب سماه « كيمياء السعادة » الفه بالفارسية ، وهو كتاب كبير ، وكأنه ترجمه لكتاب « أحياء علوم الدين » .

ولقد وصفت كتاب احياء علوم الدين آنفا — منذ قليل — بانه كتاب « كبير وخطير » وانا اعنى مدلول هذين اللفظين على سعته . فكتاب الاحياء اكبر كتب الغزالي حجما بلااستثناء ، وهو ايضا اخطر كتبه اثرا ومكانة ، ولعله لم يحظ كتاب بمثل ما حظى به كتاب الاحياء من الانتشار، ومن التأييد ، ومن الانتقاد ، فى وقت واحد .

ولذلك قلت عنه فى كتابى « الغزالي والتصوف الاسلامى » :

كتاب احياء علوم الدين هو أوسع كتب الغزالي شهرة ، واعلاها مكانة ، وادلها على طريقته فى المزج بين الفقه والتصوف ، وبين التفكير والتهذيب - واذا كان هناك من تحامل على هذا الكتاب وطعن فيه لانه يحوى بعض الاحاديث الضعيفة ، أو بعض القصص التى تحتاج الى نظر ، او لونا من المبالغة فى بعض الزهديات أو الاخلاقيات فان كثيرين قد اغرموا بهذا الكتاب وهاموا به حبا ، حتى كتبوا نسخه بايديهم ، وتبركوا بهذا الكتاب ، وقالوا فيه من عبارات التمجيد ما يعد نوعا من المبالغة او الاسراف فى المدح ، وهذا مثلا النووى يقول : « لو عدمت كتب الاسلام — والعياذ بالله — وبقى الاحياء ، لاغنى عما ذهب ».

ولم تقتصر العناية الكبيرة بهذا الكتاب على السابقين ، بل نرى المتأخرين من الائمة والعلماء يواصلون هذه العناية به ، حتى طبع جملة طبعات ، وترجم الى عدة لغات . وهذا هو الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده يزوره الشيخ محمد مصطفى المراغى ، وهو يهم بالسفر الى السودان لتولى القضاء هناك ، ويوصيه الامام فيكون الكتاب الوحيد الذى يسال الامام عنه هو « الاحياء » حيث يقول للشيخ المراغى متأكدا : هل صحبت معك كتاب احياء علوم الدين للغزالي ؟.

والسيد محمد رشيد رضا صاحب « مجلة المنار » و « تفسير المنار » ، والتلميذ الاكبر للاستاذ الامام، وخليفته من بعده ، وناشر علمه فى الافاق يؤكد اكثر من مرة أن أعظم كتاب الرغيه هو « الاحياء » ، ويقول ان هذا الكتاب هو « استاذه الاول » . وقد انتفع السيد رشيد رضا انتفاعا كبيرا بنصوص الاحياء حين تكلم عن الغزالي فى مجلة المنار ، فنقل الكثير من هذه النصوص خلال هذا الحديث ، حتى كان كلام السيد يغرق احيانا بغلته بين

كلام الاحياء بكثرته .

وقد بدأ الغزالي تأليف كتابه في القدس سنة تسع وثمانين وأربعمائة ، وروى انه كان يؤلفه في بيت موجود بالجهة الشمالية الشرقية لقبة الصخرة بالقدس ، وقد اخذت لهذا المنزل ، صورة ، وامامه الاستاذ امين الريحاني والدكتور اسحاق موسى الحسيني ، وقد نشر الاستاذ محمد لطفي جمعه هذه الصورة في كتابه : « تاريخ فلاسفة الاسلام » ، ثم اتم الغزالي كتابه في دمشق .

وكثر المختصرون لكتاب الاحياء ، والملخصون له والمعلقون عليه ، والباحثون فيه ، واول من اختصره هو شقيق الغزالي : ابو الفتوح احمد ابن محمد الغزالي المتوفى بقزوين سنة عشرين وخمسمائة ، وسماه : « لباب الاحياء » . ثم اختصره آخرون بعد ذلك ، وممن لخصه في العصر الحديث الشيخ جمال الدين القاسمي في كتابه : « موعظة المؤمنين من احياء علوم الدين » ، وقد لخصه القاسمي استرشادا برأى الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، اذ قال للقاسمي وهو يزوره « ان اعظم كتاب للوعظ والارشاد هو كتاب الاحياء او جرد ولخص لخصلرا حسنا » واستجاب القاسمي لاقتراح الامام . وقام محيي الدين صبري الكردي بطبعه .

واول من نعرف من الشارحين لكتاب الاحياء هو السيد محمد بن محمد الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى ، حيث شرحه في كتاب سماه : « اتحاف السادة المتقين بشرح اسرار احياء علوم الدين » . ويقع في عشرة اجزاء ضخمة .

●●●

ويتبين لنا الدافع الذى دفع الغزالي الى تأليف كتابه من المقدمة التى جاءت في طبعة لجنة نشر الثقافة الاسلامية سنة ١٣٥٦ هـ . حيث جاء في تلك المقدمة انه كان لتعريب الثقافة اليونانية وغيرها من الثقافات الاعجمية في العصر العباسي اثره الرجعي في الحركة الفكرية الاسلامية ، وزاد الخطر في اواخر القرن الثالث الهجرى ، ثم اخذ يزحف بمساويه على ما اوجده الاسلام من خلق روحي فاضل ، وآداب اجتماعية سامية .

وما فتح القرن الخامس الهجرى صفحاته ، حتى كانت موجة سادية الحدة تأتي على بنيان الدين الاسلامي من القواعد ، ففي هذا القرن تمكن بعض اعداء الملة الحنيفية السمحة من نفث سمومهم في تيار الافكار العامة ، بما اخذوا ينشرونه من افكار خاطئة اثيمة ، مهدوا لها تمهيدا باطنيا وضعوا اسسه بتفكير خبيث اضلوا به كثيرا من القائمين بالشئون العلمية ، واوجدوا في الاوساط المثقفة نوعا من الجدل السوفسطائي صرف اغلب اهل العلم والرأى عن سبيل الهدى ، وكاد يؤدى بمجموع الامة الاسلامية في مهاوى الهلاك .

في هذا الظرف العصيب ، وفي وسط تلك الزوبعة المائية وقف الغزالي يناضل عن تعاليم الاسلام ، فأخذ في تأليف كتبه وفي طليعتها «احياء علوم الدين» . ولقد ألفه بعد أن نضج عقله واستوى تفكيره وقر قراره ، وبعد أن درس الفلسفة وعرف ما عند أهلها، وأدرك مواطن النقد لها ، وبعد أن عرف طريق التصوف ، وقرأ كتب المتصوفة من امثال ابي طالب المكي ، والحارث المحاسبي ، والجنيد ، وأبي يزيد البسطامي ، وقد اعتز الغزالي بكتابه، وذكر في طالعته انه يمتاز عما كتب غيره في هذا المجال بخمسة امور هي :

١ ـ حل ما عقدوه ، وكشف ما اجملوه .

٢ ـ ترتيب ما بددوه ، ونظم ما فرقوه .

٣ ـ ايجاز ما طولوه ، وضبط ما قرروه .

٤ ـ حذف ما كرروه ، واثبات ما حرروه .

٥ ـ تحقيق أمور غامضة اعتاصت على الافهام .

ولعل من حق الغزالي ان يفخر بعلمه وبضاعته ، وكيف لا وهذا هو العقاد يتحدث في كتابه «التفكير فريضة اسلامية» عما كتبه ، وعما لم يكتبه ، وعما يريد ان يكتبه فيطول فيما يقول :

« .. الفت عن ابن سينا وعن ابن رشد ، وهما اكبر فلاسفة اللغة العربية في المشرق والمغرب ، وبقي كتاب عن الغزالي الفيلسوف الذي يصارع الفلاسفة ، والفقيه الذي يؤدب الفقهاء ، والمتصوف الذي يكشف عن عالم الخفاء ، كما يكشف عن عالم الشهادة .

« وليس في المشرق والمغرب من هو ارجح فكرا ، وأصفى عقلا ، وأقوى ايمانا من هذا الامام الجليل ، ولولا اتساع الافق الذي تطمحنا اليه الكتابة عنه ، لبدأت بترجمته ونقده قبل ابن سينا وابن رشد وغيرهما من حكماء المشرق والمغرب » .



وقد قسم الغزالي كتابه الى اربعة ارباع :

ربع العبادات ، وفيه يتحدث عن قواعد العقائد ، والطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج ، وعن قراءة القرآن الكريم ، والاذكار والدعوات .

وربع العادات ، وفيه يتحدث عن آداب الاكل والزواج والكسب ومعاشرة الناس ، وآداب السفر والسفر ، والامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وأخلاق النبوة على صاحبها الصلاة والسلام .

وربع المهلكات ، وفيه يتحدث عن النفس والشهوات والآفات .

وربع المنجيات ، وفيه يتحدث عن طائفة من الفضائل ، مثل الصبر ، والشكر ، والرجاء ، والتوكل والاخلاص ، والمراقبة ، والتفكر ، وذكر الموت .

ويعلل الغزالي تقسيم كتابه الى أرباع الاربعة بقوله :

« وانما حملني على تأسيس هذا الكتاب على اربعة ارباع امران :

احدهما - وهو الباعث الاصلي - أن هذا الترتيب في التحقيق والتفهيم كالضروري ، لان العلم الذي يتوجه به الى الاخرة ينقسم الى علم المعاملة ، وعلم المكاشفة ، واعني بعلم المكاشفة ما يطلب منه كشف المعلوم فقط واعني بعلم المعاملة ما يطلب منه مع الكشف العمل به .

والمقصود من هذا الكتاب علم المعاملة فقط ، دون علم المكاشفة ، التي لا رخصة في ايداعها الكتب ، وان كانت هي غاية مقصد الطالبين ، ومطمع نظر الصديقين ، وعلم المعاملة طريق اليه ، ولكن لم يتكلم الانبياء صلوات الله عليهم مع الخلق الا في علم الطريق والارشاد اليه .

واما علم المكاشفة فلم يتكلموا فيه الا بالرمز والايماء على سبيل التمثيل والاجمال ، علما منهم بقصور افهام الخلق عن الاحتمال ، والعلماء ورثة الانبياء ، فما لهم سبيل الى العدول عن نهج التأسي والاقتداء .

ثم ان علم المعاملة ينقسم الى علم ظاهر ، اعني العلم باعمال الجوارح ، والى علم باطن ، اعني العلم باعمال القلوب ، والجاري على الجوارح اما عادة واما عبادة ، والوارد على القلوب التي هي بحكم الاحتجاب عن الحواس من عالم الملكوت ، اما محمود واما مذموم ، فبالواجب انقسم هذا العلم الى شطرين ، ظاهر وباطن ، والشطر الظاهر المتعلق بالجوارح . انقسم الى عادة وعبادة ، والشطر الباطن المتعلق باحوال القلب واخلاق النفس انقسم الى مذموم ومحمود ، فكان المجموع اربعة اقسام ، ولا يشذ نظر في علم المعاملة عن هذه الاقسام .

الباعث الثاني : اني رأيت الرغبة من طلبة العلم صادقة في الفقه الذي صلح عند من لا يخاف الله سبحانه وتعالى ، المتدرع به الى المباهاة والاستظهار بجاهه ومنزلته في المنافسات ، وهو مرتب على اربعة

إحياء علوم الدين
الغزالي

ارباع ، والمتزيي بزي المحبوب محبوب، فلم ابعد أن يكون تصوير الكتاب بصورة الفقه تلطفا في استدراج القلوب .

***

والغزالي ــ في العادة ــ يبدأ الموضوع من موضوعات كتابه بمقدمة فيها تذكير وعظة ، وفيها سجع وصنعة ، فهي شبيهة بمقدمة الخطب المنبرية ، فيها حمد وتسبيح ، وثناء على الله عز وجل ، وصلاة وتسليم على رسوله صلى الله عليه وسلم وفيها اشارات ورموز الى حقائق الموضوع الذي سيعرضه .

وبعد هذه المقدمة يورد الآيات القرآنية المتعلقة بالموضوع ، ثم يسوق الاحاديث النبوية الواردة في هذا المجال ، وفي العادة يطلق الغزالي على هذه الاحاديث كلمة «الأخبار».

ثم ينتقل الى ايراد الكلمات الواردة في الموضوع عن الصحابة ــ وفي طليعتهم الخلفاء الراشدون الاربعة ، وينقل كذلك عن التابعين ، وهو يسمي هذه الكلمات باسم « الآثار ».

ثم يفيض في التحليل والتفصيل ، بروح صوفية مدققة متعمقة ، ويمدّ نفسه في هذه الناحية ، حتى تتغلب الصبغة الصوفية على غيرها من الالوان والنزعات .

وهو يسمي ابواب كتابه كتبا، ويبدأ كل كتاب منها ــ كما اشرت ــ بمقدمة كأنها فاتحة خطبة منبرية ، فهو مثلا يفتتح كتاب « قواعد العقائد » بهذه المقدمة :

« الحمد لله المبدىء المعيد ، الفعال لما يريد ، ذي العرش المجيد ، والبطش الشديد ، الهادي صفوة العبيد ، الى المنهج الرشيد ، والمسلك السديد ، المنعم عليهم بعد شهادة التوحيد بحراسة عقائدهم من ظلمات التشكيك والترديد ، السالك بهم الى اتباع رسوله المصطفى واقتفاء آثار صحبه الاكرمين المكرمين بالتأييد والتسديد المتجلي لهم في ذاته وافعاله بمحاسن اوصافه التي لا يدركها الا من ألقى السمع وهو شهيد ، المعرف اياهم انه في ذاته واحد لا شريك له ، فرد لا مثيل له ، صمد لا ضد له ، منفرد لا ند له ، وانه واحد قديم لا اول له ، ازلي لا بداية له ، مستمر الوجود لا آخر له ، ابدي لا نهاية له ، قيوم لا انقطاع له ، دائم لا انصرام له ، لم يزل ولا يزال موصوفا بنعوت الجلال ، لا يقضى عليه بالانقضاء والانفصال ، بتصرم الآباد وانقراض الآجال ، هو الاول والآخر ، والظاهر والباطن ، وهو بكل شيء عليم ».

وهو يفتتح « كتاب اسرار الطهارة » بقوله :

« الحمد لله الذي تلطف بعباده فتعبدهم بالنظافة ، وأفاض على قلوبهم تزكية لسرائرهم انواره والطافه ، وأعد لظواهرهم تطهيرا لها الماء المخصوص بالرقة واللطافة ، وصلى الله على النبي محمد المستغرق بنور الهدى اطراف العالم واكنافه ، وعلى آله الطيبين الطاهرين صلاة تنجينا بركاتها يوم المخافة ، وتنتصب جنة بيننا وبين كل آفة ».

وهو يكثر من التشقيقات والتفريعات والتقسيمات ، ويفتن في ذلك افتنانا عجيبا ، ونحن نراه ــ على سبيل المثال ــ يتحدث عن الطهارة ، فيجعلها اربع مراتب :

الاولى : تطهير الظاهر عن الاحداث، والاخباث ، والفضلات .
الثانية : تطهير الجوارح عن الجرائم ، والآثام .
الثالثة : تطهير القلب عن الاخلاق المذمومة ، والرذائل الممقوتة .
الرابعة : تطهير السر عما سوى الله تبارك وتعالى .
ثم يشرع بعد ذلك فى تبيان كل مرتبة من هذه المراتب بتفصيل وتحليل .

***

وللفقه نصيب فى كتاب « الاحياء » والغزالى فقيه شافعى ، ويظهر فقه الشافعى بوضوح فى القسم الاول من كتابه ، عندما يتحدث عن الطهارة والصلاة والصوم والزكاة ، والحج ، ولكنه يمزج الفقه بالتصوف وبالاخلاق، ويعنى عناية واضحة باستنباط الاسرار والحكم الموجودة فى كل فريضة او عبادة .

ولقد افضت فى الحديث عن هذه الناحية فى كتابى : « الغزالى والتصوف الاسلامى » ومما قلته ان الغزالي حينما يتحدث عن الصلاة ـ مثلا ـ يربط بين احكامها واعمالها وصبغة التصوف ، فهو يتحدث عن خفايا آدابها ودقائق سنتها واسرار معانيها ، ويقول ان ذلك مهمل فى كتب الفقه : « ونحن كاشفون من دقائق معانيها الخفية ما لم تجر العادة بذكره فى فن الفقه » .

وهو يفعل مثل هذا حين يتحدث عن اسرار الصوم وشروطه الباطنه ، فانه يربط بين عبادة الصوم المفروضة وبين المعانى الصوفية ، فيقول : « اعلم ان الصوم ثلاث درجات : صوم العموم، وصوم الخصوص ، وصوم خصوص الخصوص ، اما صوم العموم فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة ، كما سبق تفصيله ، واما صوم الخصوص فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام ، واما صوم خصوص الخصوص فصوم القلب عن الهمم الدنية والافكار الدنيوية ، وكفه عما سوى الله عز وجل بالكلية » .

وحينما يبحث الغزالى فريضة الحج يحرص على الخطة نفسها ، وهى ربط العبادات المفروضة بالمعانى الصوفية ، فثوبا الاحرام فى الحج شبيهان بالكفن ، والخروج من البلد توجه الى الله ، وقطع للعلائق مع الناس ، ودخول الميقات كالخروج الى ميقات القيامه ، والاحرام والتلبية اجابة لنداء الله تعالى ، والطواف بالبيت صلاة وتشبه بالملائكة الحافين من حول العرش ، وليس المقصود هنا طواف الجسم ، بل المقصود طواف القلب ، واستلام الحجر الاسود مبايعة لله تعالى على الطاعة ، والسعى بين الصفا والمروة اظهار للاخلاص فى خدمة المولى سبحانه ، فالساعى يذهب ويجيء استعدادا لاى خدمة ، والوقوف بعرفة كالوقوف فى الحشر يوم القيامة ، ورمى الجمار اظهار للرق والعبودية وقهر الشيطان .

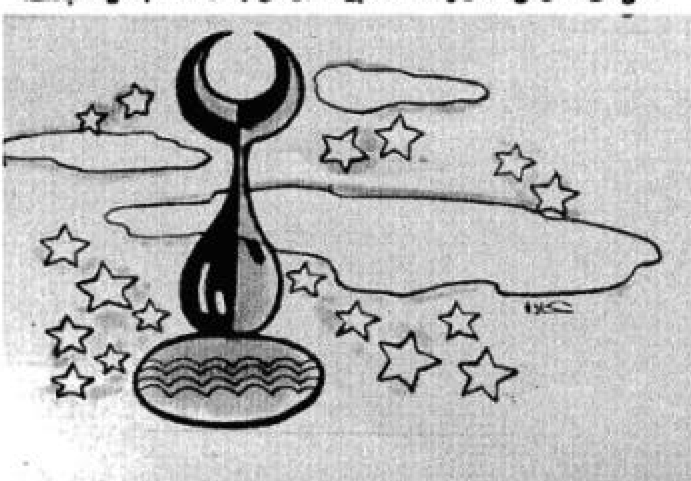
وهو يرى أن أول أعمال الحج هو فهم موقع الحج من الدين ، ثم الشوق اليه ، ثم العزم عليه ، ثم قطع العلائق المانعة منه ، ثم شراء ثوب الاحرام ، ثم شراء الزاد ، واكتراء الراحلة ، ثم الخروج ، ثم السير في البادية ، ثم الاحرام من الميقات بالتلبية ، ثم دخول مكة ، ثم استتمام الافعال .

وبعد ان يذكر هذه الاعمال يبدأ في تحليلها وربطها بالمعاني الصوفية. ففي شرح معنى « الفهم » يقول انه لا وصول الى الله سبحانه وتعالى الا بالتنزه عن الشهوات ، والكف عن اللذات ، والاقتصار على الضروريات والتجرد لله عز شأنه في جميع الحركات والسكنات .

وفي شرح معنى « العزم » يطالب الحاج بأن يجعل عزمه خالصا لوجه الله سبحانه بعيدا عن شوائب الرياء والسمعة .

وفي شرح معنى « قطع العلائق » يطالب بالتوبة الخالصة لله تعالى ، ورد كل المظالم والحقوق ، وقطع علاقة القلب بالدنيا ، وهكذا ...
ويظهر أن توسع الغزالي في عملية الربط بين العبادات والمعاني الصوفية قد بدا في نظر بعض الباحثين امرا لم يخل من شطط في مناصرة التصوف ، واجحاف بمكانة الفقه ، فقال هذا البعض : « على الرغم من أن الغزالي كان فقيها ممتازا ، واصوليا مرموق المكانة ، فقد أنزل الفقه من المكانة التي كان يحتلها بين سائر العلوم ، وجعله خادما للتصوف وتابعا له ».

وبعض هذا القول قد يحتاج الى مراجعة ، فان الغزالي لم يقصد - فيما نفهم - أن يجحف بمكانة الفقه ، بل على العكس قد أراد أن يزيده رفعة وسموا ، بأن يبعث فيه الروح والحياة ، فهو لم يشأ أن يبقى الفقه مجموعة من الاحكام المتحجرة الجامدة الشكلية الخالية من التأثر والانفعال والحيوية، فعرض هذه الاحكام محفوفة بأضواء من التصوف الذي لا يهتم بالاشكال والظاهر فقط ، بل يعنى بالارواح والبواطن ويرى ان كل عمل لا يتحرك فيه القلب مع الجارحة لا يكون عملا كاملا مستحقا لجزيل الثواب ، وان اسقط تبعة العقاب عنه لمجرد أدائه اداء شكليا .
على أن الغزالي قد يفرط في التحقيق الفقهي في بعض ما كتبه في العبادات،



مثل ما فعله عندما تكلم عن « صلاة رجب » ، أو صلاة الرغائب » وهي صلاة غير ثابتة ، والحديث الذي أورده فيها « رزين » في كتابه حديث موضوع .

ومثل كلامه عن « صلاة ليلة النصف من شعبان » وتسمى صلاة الخير ـ فإن الحديث المذكور فيها حديث باطل .

ومثل صلاة التسابيح ، والصلوات التي ذكرها منسوبة الى أيام الاسبوع .

ومهما كانت الأخطاء التي نقلت عند الغزالي في هذا المجال ، فإننا لا نستطيع أن ننكر على ابن خلدون ما ذكره ـ وهو يتحدث عن الفقه والتصوف ـ من أن الغزالي رحمه الله قد جمع في كتابه « احياء علوم الدين » بين ذكر الاحكام الفقهية ، وذكر أحكام الورع والاقتداء ، وانه أوضح آداب المتصوفة وسننهم ، وشرح اصطلاحاتهم في عباراتهم ، حتى صار « علم التصوف » علما مدونا ، بعد أن كانت الطريقة عبادة فقط ، وكانت أحكامها تؤخذ عن صدور الرجال .

ومن الطرائف في كتاب الاحياء ما تحدث به الغزالي عن «القصص»، وهو يرحب بها اذا كانت صادقة وأمثلة فيقول : « فان كانت القصة من قصص الانبياء عليهم السلام فيما يتعلق بأمور دينهم ، وكان القاص صادقا صحيح الرواية ، فلست أرى به بأسا ، فليحذر الكذب وحكايات أحوال تومىء الى هفوات ، أو مساهلات يقصر فهم العوام عن درك معانيها ، أو عن كونها هفوة نادرة مردفة بتكفيرات متداركة بحسنات تغطي عليها ، فان العامي يعتصم بذلك في مساهلاته وهفواته ، ويمهد لنفسه عذرا فيه ، ويحتج بأنه حكى كيت وكيت عن بعض المشايخ وبعض الاكابر ، فكلنا بصدد المعاصي، فلا غرو ان عصيت الله تعالى فقد عصاه من هو أكبر مني ، ويفيده ذلك جراءة على الله تعالى من حيث لا يدري . فبعد الاحتراز عن هذين المحذورين فلا بأس به ، وعند ذلك يرجع الى القصص المحمودة ، والى ما يشتمل عليه القرآن ، ويصح في الكتب الصحيحة من الاخبار .

ومن الناس من يستجيز وضع الحكايات المرغبة في الطاعات، ويزعم أن قصده فيها دعوة الخلق الى الحق، فهذه من نزغات الشيطان ، فان في الصدق مندوحة عن الكذب ، وفيما ذكر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم غنية عن الاختراع في الوعظ » .

ومن الموضوعات التي تعرض لها الغزالي في كتابه « الاحياء » «الشعر»، وهو هنا يقول :

« وأما الاشعار فتكثيرها في المواعظ مذموم ، قال الله تعالى : « والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون » وقال تعالى : « وما علمناه الشعر وما ينبغي له » . وأكثر ما اعتاده الوعاظ من الاشعار ما يتعلق بالتواصلات بالعشق وجمال المعشوق ، وروح الوصال وألم الفراق،

إحياء علوم الدين
الغزالي

ولقد استشهد الغزالي بكثير من الابيات الشعرية في كتابه «الاحياء» ولو جمعنا ما فيه من ابيات لتكون منها ديوان لطيف الحجم من الشعر ، ومن الابيات التي استشهد بها :

وراعي الشاة يحمي الذئب عنها ... فكيف اذا الرعاة لها ذئاب ؟

وقول الشاعر :

يا معشر القراء ، ياملح البلد ... ما يصلح الملح اذا الملح فسد ؟

وقول الشاعر :

ياواعظ الناس قد اصبحت متهما ... اذ عبت منهم امورا انت تأتيها
اصبحت تنصحهم بالوعظ مجتهدا ... فالموبقات لعمري انت جانيها
تعيب دنيا وناسا راغبين لها ... وانت اكثر منهم رغبة فيها !

وقول الشاعر :

عرفت الشر لا ... للشر لكن لتوقيه
ومن لا يعرف الشر ... من الناس يقع فيه

⁂

ولعل اكبر الماخذ التي وجهها الناقدون الى كتاب « الاحياء » هو عدم تدقيق الغزالي في رواية الاحاديث النبوية وهذا عيب فتح عليه الكثير من الهجوم وقد قال الامامان ابن تيمية وتلميذه ابن القيم : « بضاعة الغزالي في الحديث مزجاة » اي قليلة .

واذا كان بعض الناقدين او الحاملين على الغزالي قد توسعوا في تجسيم هذا العيب ، فان مما لاشك فيه ان كتاب «الاحياء» تكثر فيه الاحاديث الضعيفة ، وكذلك توجد فيه احاديث لا اصل لها ، واحاديث نص علماء الحديث على انها موضوعة .

ومن العجيب ان اول حديث استشهد به الغزالي في كتابه «الاحياء» حديث روى باسناد ضعيف ، وهو الحديث الذى ذكره في المقدمة ، وجاء فيه : « اشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله سبحانه بعلمه » .

ومن الاحاديث الموضوعة في الكتاب ما روى عن ابي ذر : « حضور مجلس علم افضل من صلاة الف ركعة ، وعيادة الف مريض ، وشهود الف جنازة ... » الخ .

ومن فضل الله على قراء كتاب «الاحياء» ان قيض لهم عالما جليلا لتمحيص حال الاحاديث النبوية التي استشهد بها الغزالي في كتابه ولا يمكن لقارئ «الاحياء» ان يسير على هدى دون ان يستنير بهذا التمحيص .

ذلك العالم الجليل هو زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي ، الذى ولد بمصر سنة خمس وعشرين وسبعمائة ، واشتغل بعلم الحديث النبوي وتبحر فيه ، حتى صار علما من اعلامه .

وقد الف كتابه النفيس الذى سماه « المغني عن حمل الاسفار في الاسفار في تخريج ما في الاحياء من الاخبار » عزا فيه الاحاديث الى مخرجيها ، مع الاشارة الى درجتها وما قيل فيها .

ان كتاب « احياء علوم الدين » هو ابرز كتب الغزالي وادلها على عقليته وشخصيته ، وهو برغم عيوبه والماخذ عليه ، كنز ثمين ، اختلطت جواهره ولآلئه ببعض الاوشاب والاخلاط . والكنز مليء بالكثير الغزير ، اذا توقيت ما فيه من شطحات في الاخبار والروايات .

وعلى الله قصد السبيل

د. أحمد الحوفي



(١) تمهيد

ليس من التعصب في شيء ، ولا من التزيد في قليل او كثير أن نشيد بجهود العرب في فن التراجم والسير ، وأن نعلن في كثير من الثقة والاطمئنان انهم سبقوا الغرب الى هذا الفن بعدة قرون .

وذلك لأن كتاب التراجم العرب عنوا بالشعب كما عنى المؤرخون بالساسة والملوك ، فأرخوا لطوائف من الناس ليسوا من السياسة ولا من الملك في شيء ، وانما هم نحاة اوشعراء او كتاب او قضاة او مفسرون او محدثون او قواد او مؤرخون او اطباء او متصوفة او اصحاب مذاهب وآراء ، او ممن يجمعهم قرن او بلد أو وصف معين، كما نرى في الطبقات الكبير لابن سعد (٢٣٠ هـ ـ ٨٤٤ م) وفي طبقات الشعراء لابن سلام (٢٣١هـ ـ ٨٤٥ م) وفي طبقات النساك لابن سعيد الاعرابي (٣٤١ هـ ـ ٩٥٢ م) وفي الاغاني لابي الفرج الاصفهاني (٣٥٦ هـ ـ ٩٦٦ م) وفي اخبار القضاة المصريين لمحمد بن يوسف الكندي (٣٧٥ هـ ـ ٩٨٥م) وفي كتابي معجم الشعراء وأشعار النساء للمرزباني (٣٨٤ هـ ـ ٩٩٤ م) وفي تاريخ الصوفية للنسوي (٣٩٦ هـ ـ ١٠٠٥ م) وفي تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٤٦٣ هـ ـ ١٠٧٠م) وفي تاريخ حكماء الاسلام لظهير الدين البيهقي (٥٦٥ هـ ـ ١١٦٩ م) وفي معجم الادباء لياقوت (٦٣٦هـ ـ ١٢٢٨م) وفي انباه الرواة للقفطي ٦٤٦ هـ ـ ١٢٤٨ م)وفي عيون الانباء في طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة (٦٦٨ هـ ـ ١٣٦٩ م) وفي نكت الهميان في نكت العميان لصلاح الدين الصفدي (٧٦٤ هـ ـ ١٣٦٢ م) وفي طبقات الشافعية للسبكي (٧٧١ هـ ـ ١٣٦٩م)

وفي طبقات الحنفية لعبد القـــادر القرشي (٧٧٥ هـ – ١٣٧٣ م) وفي بغية الوعاة للسيوطي (٩١١ هـ – ١٥٠٥ م) وفي كثير من مئات الكتب التي جال مؤلفوها في هذه الميـــادين جولات ، فخطوا بهذا الفن خطـوات فسيحات .

وبهذا تفوقوا على الغــربيين لا بالسبق وحده ، بل بكثرة المؤلفـــات ووفرتهـــا وشـــمولها وتنوعهـــا وعنايتها بأعلام كل علم أو فن أو عصر أو مصر أو مدينة ، مع التدقيق في ضبط الاعلام ، والحفاوة بالنســـاء المشهورات ، وتحقيق سنوات الوفاة، وتحري سن الميلاد على قدر المستطاع، ومع تسجيل المعالم البارزة من حيـــاة المترجم لهم ، وذكر مؤلفاتهم كلها أو أكثرها ، والتمثيل بنماذج من شعرهم ونثرهم .

على أن العرب سبقوا الى الترجمة الذاتية ، سواء أكانت تسجيلا لحيـــاة كاتبها أم يوميـــات يدون فيها أبرز أعماله ، فكتب بعضهم تراجم حياتهم بأقلامهم كما فعل ابن سينا المتوفى سنة (٤٢٨ هـ – ١٠٣٦ م) وأسامة ابن منقذ (٥٨٤ هـ – ١١٨٨ م) اذ دون في كتابه الاعتبار يوميات قص فيها أحداث بطولته ، وعمارة اليمني (٥٦٩ هـ – ١١٧٣ م) في كتـــابه النكت المصرية ، والعماد الاصفهاني (٥٩٧ هـ – ١٢٠٠ م) في مقـــدمة كتابه البرق الشامي ، ولسان الدين بن الخطيب (٧٧٦ هـ – ١٣٧٤ م) في كتابه الاحاطة في تاريخ غرناطة، وابن خلدون (٨٠٨ هـ – ١٤٠٣ م) في كتابه التعريف الذي فصل فيه تاريخه ورحلاته وصلاته واحداثه وقصائده، والسخاوي (٩٠٢ هـ – ١٤٩٦ م) في كتابه الضوء اللامع في أعيان القرن التـــاسع ، والسـيوطي (٩١١ هـ – ١٧٠٥ م) في كتابه حسن المحاضرة ، وهناك عشرات غير هـــؤلاء دونوا تاريخهم بأقلامهم ...

وبهذا كانت التراجم الذاتية العربية أسبق من الغربية بقرون ، لأن انجلترا بدأت تعرف التذكرات اليومية وتعتبرها نواة الترجمة الذاتية منذ كتب صموئيل بيبس مذكراته (١٦٣٣ – ١٧٠٣م) وفي الزمن نفسه ظهرت بضع تراجـم كتبها ايزاك والتون ... ولأن فرنسا لم يكن لها عهد بهذه اليوميات حتى كتب ريتز مذكراته سنة ١٦٧٢ م .

(٢) تعريف بالمؤلف

اما مؤلف الكتاب فهو أحمد بن محمد ابن ابراهيم بن أبي بكر بن خلكان قاضي القضاة ، وكنيته شمس الدين، وكنية ابيه شهاب الدين .

ولد بمدينة اربل (على وزن اثمد) وهي بالشاطىء الشرقي من دجلة على مقربة من الموصل ، سنة ٦٠٨ هـ – ١٢١١ م) فتعلم بها أول الأمر ، اذ درس البخاري على الشـيخ الصالح ابن هبة الله سنة ٦٢١ هـ ، ثم انتقل الى الموصل ودرس على الامام كمال الدين بن يونس ، ثم شخص الى حلب سنة ٦٢٦ هـ وأقام بها سنتين حضر فيهما دروس الشيخ بهاء الدين أبي المحاسن يوسف بن شداد وتفقه عليه، وقرأ النحو على موفق الدين أبي البقاء يعيش بن علي النحوي .

● طبع في باريس سنة ١٨٣٨ – ١٨٤٢ وفي جوتنجن ١٨٣٥ – ١٨٤٣ وفي مصر مرات منهـــا طبعة بولاق ١٢٩٩ هـ – ١٨٨١ م وطبع أخـــيرا بتحقيق الاستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد في ستة أجـــزاء سنة (١٣٦٩ هـ – ١٩٥٠ م) بمطبعـــة السعادة بالقاهرة .



ولم يلبث ان اتجه الى دمشق سنة ٦٣٣ فسمع من على بن الصلاح ، ولبث هناك اربع سنوات ، انتقل بعدها الى القاهرة سنة ٦٣٧ ، وحينئذ بدأ يتولى المناصب ، فناب عن قاضى القضاة بدر الدين السنجارى، ثم ولى قضاء المحلة ، ثم عين قاضيا للقضاة بالشام سنة ٦٥٩ ، ومكث فى هذا المنصب الكبير عشر سنوات الى ان عزل سنة ٦٦٩ ، فعاد الى مصر ولبث بها سبع سنوات ثم اعيد بعدها الى وظيفته بالشام ، حتى عزل سنة ٦٨٠ ثم توفى بدمشق فى شهر رجب سنة (٦٨١ هـ ـ ١٢٨٢ م) ودفن بالصالحية .

ويذكر ابن العماد الحنبلى فى شذرات الذهب ان شمس الدين كان موسوما بجمال الصورة ، معروفا بفصاحة المنطق وغزارة العقل وثبات الجاش ونزاهة النفس .

وينقل عن الذهبى انه كان اماما فاضلا متقنا ، عارفا بمذهب الشافعى، حسن الفتاوى ، جيد القريحة ، بصيرا بالعربية ، علامة فى الادب والشعر وأيام الناس ، كثير الاطلاع ، حلو المذاكرة ، وافر الحرمة من اشراف الناس ، كريما ، جوادا ، ممدحا .

ومما ذكره ابن العماد الحنبلى من فضائله انه لم يكن يستطيع احد ان يتناول فى مجلسه أخر بغيبة ، واستدل بحادثة تدل على كلفه بصيانة سمعة الناس وحمايتهم من التشهير .

ولابن خلكان شعر رقيق منه قوله :

ياسادتى انى قنعت وحقكم
فى حبكم منكم بايسر مطلب
ان لم تجودوا بالوصال تعطفا
وقصدتم هجرى وفرط تجنبى
لا تحرموا عينى القريحة ان ترى
يوم الخميس جمالكم فى الموكب

(٣) تعريف بالكتاب

متى الفه ؟ ...

لم يحدد فى المقدمة الزمن الذى الفه فيه ، ولكنه حدد زمن ترتيبه فقال انه تم فى سنة ٦٥٤ هـ بالقاهرة .

وحينما نرجع الى خاتمة الكتاب يتبين لنا ان هذا الترتيب لم يكن اخر تعديل فى الكتاب ، وانه عاوده بالتنقيح والتكميل ، لانه قال : اننى تركت مصر قاصدا الى الشام فى خدمة ابى الفتح بيبرس سنة ٦٥٩ هـ لتقلد احكامها (يقصد المرة الاولى) ثم فصلت بعد عشر سنين ، وعدت الى مصر سنة ٦٦٩ ، ومكنتنى فراغى من مراجعة كتب كنت أوثر الوقوف عليها، وأخذت منها حاجتى ، وتممت الكتاب سنة ٦٧٢ بالقاهرة . ويفهم من المقدمة انه افنى سنوات فى جمع مادة الكتاب وتكوين مسوداته ، وانه نقحه مرات حتى اكمله

ولاشك أن رحلاته وتنقله من قطر الى قطر ، واطلاعه على كثير من كتب التراجم والتاريخ ، واتصاله بكثير من العلماء ، كل هذا كان معينا استقى منه المعارف التى سجلها فى زمن طويل .

(٤) موضوعه

سجل فى هذا الكتاب تاريخ جماعة من الفضلاء عددهم ثمانمائة وستة وعشرون

فيهم الملك والامير والوزير والشاعر والكاتب والعالم والمؤلف والطبيب والفيلسوف، وكل من له شهرة ونباهة

من رجال ونساء مسلمين وغير مسلمين ولم يترجم للصحابة والتابعين الا لقليل منهم تدعو الحاجة الى ذكرهم لمعرفة احوالهم ، ولا لأحد من الخلفاء اكتفاء بالمؤلفات الكثيرة التي تناولتهم .

وقد كانت كتب التراجم قبله تقتصر على نوع معين من الناس لا تعدوه ، كالصحابة أو التابعين أو المفسرين أو المحدثين أو الشعراء أو الفقهاء أو النحاة أو اعلام بلد معين .

فلما الف كمال الدين الانباري المتوفى سنة (٥٧٧ هـ ـ ١١٨١ م) كتابه نزهة الالباء في طبقات الادباء، خالف هذا المنهج في ناحيتين :

الاولى:أنه ترجم لأشخاص لا تجمعهم رابطة معينة من ثقافة او زمن او اقليم، وان اولى علماء اللغة والنحو والادب عناية خاصة .

الثانية انه رتب الاعلام طبقا لتاريخ الوفاة لا طبقا لحروف الهجاء.

ثم جاء ياقوت الحموي المتوفى سنة (٦٢٦ هـ ـ ١٢٢٨ م) فألف كتابه ارشاد الاريب او معجم الادباء،



ترجم فيه لمئات من المؤلفين في اللغة والنحو والقراءات والتاريخ والادب المنثور ، ورتب اسماءهم ترتيبا هجائيا دقيقا مراعيا الحرف الأول وما بعده الى الرابع ، فان اتفق الاسمان رجع الى اسم الوالد ، وعني بتحري زمن الميلاد والوفاة قدر جهده .

اما ابن خلكان فلم يحبس كتابه على طائفة معينة يجمعها علم أو وصف ، او على طوائف محددة يجمعها اقليم او عصر ، بل جعله عاما يضم كل ذي شهرة .

(٥) منهجه

١ ـ رتب الكتاب ترتيبا هجائيا ، فبدأه بالاعلام التي اولها همزة ، وختمه بالاعلام التي اولها ياء ، فابراهيم قبل جمال الدين ، وعبد العزيز قبل محمود ، غير انه راعى أول الاسم وثانيه فقط ، ولهذا ذكر مسلم بن الحجاج النيسابوري قبل مسعود بن مسعود ، وذكر هذا قبل مسعود بن عبد العزيز ، بل لم يراع الحرف الثاني احيانا ، فقدم همام بن غالب بن صعصعة على هلال بن المحسن الصابي ،ولم يراع اسم الأب اذا اتفقت أسماء المترجم لهم ، فقدم الوليد بن عبيد البحتري على الوليد بن طريف بن الصلت الشيباني

لكن هذا الترتيب الهجائي على ما فيه اسهل من الترتيب على سني الوفاة ، وايسر في العثور على العلم المراد ، ولكنه لم يسلم من مشقة يعانيها الباحث ، لان المؤلف صرف النظر عن الكنى والالقاب ، كما فعل اكثر مؤلفي المعاجم التاريخية في تلك العصر ، واعتبر الاعلام هي الاساس ، فذكر ابا تمام في حرف الحاء لان اسمه حبيب ، وابن سناء في حرف الحاء لان اسمه الحسين ، وأبا الاسود الدؤلي في حرف الظاء لان اسمه ظالم ، والشريف الرضي

في حرف الميم لان اسمه محمد ، وصلاح الدين الايوبي في حرف الياء لان اسمه يوسف ، والفراء النحوي في حرف الياء لان اسمه يحيى ، وهكذا .

كذلك لم يراع تجانس الاعلام المتلاحقة ، فالفقيه يعده شاعر ، ومؤرخ بعده سلطان ، ومتكلم بعده كاتب الخ ... فان حدث تجانس كان سببه ان اوائل الاسماء من حرف واحد ، وقد فطن الى هذا كما ذكر في المقدمة ، ولكنه تغاضى عنه . ولم يراع تفاوت العصور ، فعلم من القرن الاول بعده علم من القرن الرابع ، وعلم من القرن السابع بعده علم من القرن الثاني ، وهكذا .

وقد تتلاحق اعلام من قرن واحد ، لان اوائلها متفقة الحروف ، ولم يغفل هو عن هذه المفارقة ، ولكنه صرف النظر عنها .

واذا كان في هذا الترتيب تعمية وتصعيب وتضييع لوقت الباحثين حتى ليخيل الى الانسان احيانا ان ابن خلكان لم يترجم للعلم الذي يريده ، لان كثيرا من الاعلام معروفون بكناهم او بالقابهم ، وليسوا معروفين باسمائهم ، ولان التنقيب عن علم معين يقتضي كثيرا من الجهد ، فقد تدارك ذلك الاستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد بالفهارس التي الحقها بالكتاب ، فرتب الاعلام كلها ترتيبا هجائيا دقيقا ، وذكر الكنى والالقاب والنسب في مواضعها ، وامام كل منها اسم صاحبه ، ووضع فهرسا للزمان رتب فيه أعيان كل قرن ترتيبا هجائيا ، وصنع فهرسا للفنون التي اشتهر بها هؤلاء الاعيان ، فللفقهاء فهرس ، وللشعراء فهرس ، وهكذا .

٢ ـ وابن خلكان حريص على ضبط الاعلام المحتاجة الى ضبط حتى تسلم من التحريف والتصحيف، وقد ضبطها ضبطا معجميا بالحروف لا بالحركات لان الحركات كثيرا ما تختلف وتوقع في الخطأ ، مثل قوله في ترجمة ابي نصر محمد بن جهير انها بفتح الجيم وكسر الهاء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء ، وقال السجستاني انها بضم الجيم ، وهي غلط ، يقال رجل جهير بين الجهارة اي ذو منظر ، ويقال ايضا جهير الصوت بمعنى جهوري الصوت .

ومثل ابي نصر محمد بن طرخان، فقال : طرخان بفتح الطاء المهملة وسكون الراء وفتح الخاء المعجمة وبعد الالف نون .

ومثل ابي عبيدة معمر بن المثنى ، فانه قال : معمر بفتح الميمين بينهما عين مهملة وفي آخره الراء ، والمثنى بضم الميم وفتح الثاء المثلثة وتشديد النون المفتوحة وفي آخره ياء مثناة من تحتها .

وقال في ترجمة ابي الوليد معن ابن زائدة الشيباني ان احد اجداده اسمه المطلب بضم الصاد المهملة وسكون اللام وآخره الباء الموحدة .

كذلك دقق في ضبط النسبة ، سواء اكانت الى شخص أم الى بلد كقوله : فيروزاباذ بكسر الفاء وسكون الياء المثناة التحتية وضم الراء المهملة وواو ساكنة وزاي مفتوحة والف ساكنة وباء موحدة والف بعدها ذال معجمة بلدة بفارس



قاله الحافظ السمعاني في كتاب الانساب ، وقال غيره هي بفتح الفاء .

وقال : الابيوردي بفتح الهمزة وكسر الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الواو وسكون الراء وبعدها دال مهملة ، وهذه النسبة الى ابيورد وهي بليدة بخرسان خرج منها جماعة من العلماء وغيرهم .

وقد يشرح معنى الكلمة كقوله في ابن بابشاذ : بابشاذ معناه السرور، وقوله في ترجمة ابن التعاويذي : هذه النسبة الى كتابة التعاويذ وهي الحروز ، وقوله في ترجمة ابن تومرت ، ان هذه كلمة بربرية ، وقوله في ترجمة ابي الفضل بن العميد حينما جاء ذكر ابي حيان التوحيدي : لم ار احدا ممن وضع كتب الانساب تعرض الى هذه النسبة ، لا السمعاني ولا غيره ،ولكن يقال ان اباه كان يبيع التوحيد ببغداد ، وهو نوع من التمر بالعراق ، وعليه حمل بعض من شرح ديوان المتنبي قوله :

يترشفن من فمي رشفات
هن فيه احلى من التوحيد

وقوله في ترجمة البحتري : هذه النسبة الى بحتر وهو أحد اجداده .

***

٣ ــ وهو يذكر اسم الشخص واسم ابيه وجده او اجداده ، ونسبه ومولده ان وقف عليه ، ويتحرى زمن الوفاة ، ويورد الاراء المختلفة في المولد والوفاة ، كقوله في ترجمة ابن التعاويذي : كانت ولادته في العاشر من رجب يوم الجمعة سنة تسعشرة وخمسمائة ، وتوفي في ثاني شوال سنة ربع وقيل سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ببغداد ، وقال ابن النجار في تاريخه : مولده يوم الجمعة ، وتوفي يوم السبت ثامن عشر شوال .

وقوله في ترجمة ابي عبد الله نافع مولى ابن عمر . توفي سنة سبع عشرة ، وقيل سنة عشرين ومائة .

وقوله في ترجمة البحتري : كانت ولادته سنة ست وقيل خمس ومائتين وتوفي سنة اربع وثمانين وقيل خمس وثمانين ، وقيل ثلاث وثمانين ومائتين ، وقال ابن الجوزي : توفي البحتري وهو ابن ثمانين سنة ، والله اعلم بالصواب ، وكان موته بمنبج وقيل بحلب ، والاول أصح .

وقد يعقب على الروايات المختلفة بترجيح احداها ، كما رجح في تاريخ وفاة ابن رشيق القيرواني انه سنة ثلاث وستين واربعمائة ، وقال، ان هذا أصح من الرواية الثانية التي وجدها بخط بعض الفضلاء .

وكما قال في ترجمة ابي مسلم معاذ بن مسلم الهراء النحوي انه توفي سنة تسعين ومائة ، وقيل في السنة التي نكب فيها البرامكة وهي سنة سبع وثمانين ومائة ، وهو الاصح .

فاذا لم يستطع تعيين زمن الوفاة صرح بانه عجز ، كقوله في ترجمة المعتمد بن عباد : واما ابو بكر بن اللبانة فما رايت تاريخ وفاته في شيء من الكتب ، ولا رايت من يعلم ذلك ،لكن رايت في كتاب الحماسة التي صنفها ابو الحجاج يوسف البياسي ان ابن اللبانة قدم ميورقة في اخر شعبان سنة تسع وثمانين واربعمائة ومدح ملكها مبشر بن سليمان بابيات ، وعقب ابن خلكان بقوله: وكنت اظن انه مات قبل المعتمد ، لاني ما رايت له فيه مرثية الى ان رايت ما قاله البياسي .

***

٤ ــ ثم يورد المعالم البارزة من حياة المترجم وثقافاته واساتذته

وتلاميذه واخلاقه واحداثه وصلاته بغيره ومزاياه ٠

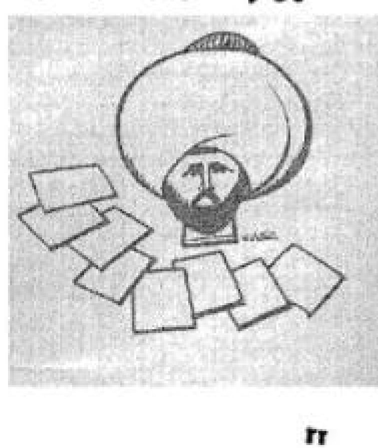
ويشفع اليها احيانا ملامح من اوصافه الجسدية وصفاته النفسية ، كما يذكر مؤلفاته ان كان من اصحاب التاليف ، ونماذج من شعره او نثره ان كان من ارباب الادب ، وكثيرا ما يستطرد الى ذكر بعض ما قيل فيه من مدح أو هجاء ، كما نجد في ترجمة المعتمد بن عباد، وابى عبد الله محمد بن تومرت، وهبة الله بن الشجرى ٠

●●●

٥ ــ واحيانا يضيف الى ما ذكره من شعر المترجم دراسة أدبية نقدية يفضى فيها برأيه ، ويتتبع المعنى وتنقله ، ويبين ما في النص من محاكاة او اضافة او تجديد ، كما نجد مثلا في ترجمته لابن خفاجة والاشهبى وسالم خاسر والحريرى والبحترى ، مثل قوله في ترجمة أبى المظفر محمد بن احمد الابيوردى:

وله من قصيدة :

فسد الزمان فكل من صاحبته
راج ينافق او مداج حاقد





واذا اختبرتهم ظفرت بباطن
متجهم وبظاهر هشاش

وهذا المعنى مأخوذ من قول ابى تمام الطائى من قصيدة أجاد فيها كل الاجادة :

ان شئت أن يسود ظنك كله
فأجله في هذا السواد الاعظم
ليس الصديق بمن يعيرك ظاهرا
متبسما عن باطن متجهم

وهذا الضرب كثير في تعقيبات ابن خلكان ٠

ولا شك أن نزوعه الادبى كان الباعث له على الاحتفال بالشعر تدوينا ونقدا وتعقيبا ، وكان الموجه له الى الاطالة في تراجم الشعراء والكتاب ، حتى بلغت الحد الذى لم تبلغه تراجم العلماء وغيرهم الا قليلا منهم ٠

●●●

٦ ــ واحيانا يربط بين كبار العلماء والشعراء والملوك في سنى ميلادهم او وفاتهم ، كما ذكر في ترجمة أبى الفرج الاصفهانى انه في عام ست وخمسين وثلاثمائة مات عالمان كبيران وثلاثة ملوك كبار ، فالعالمان هما أبو الفرج وأبو على القالى ، والملوك هم سيف الدولة بن حمدان ، وكافور الاخشيدى ، ومعزّ الدولة بن بويه ٠

وقوله في ترجمة أبى عبيدة معمر بن المثنى ، : كانت ولادته في

شهر رجب الفرد سنة عشر ومائة فى الليلة التى توفى فيها الحسن البصرى رضى الله عنه ٠

***

٧ ـ وقد ترجم القليل من النساء مثل بوران بنت الحسن بن سهل ، وتقية بنت غيث الارمنازى ، ورابعة العدوية ، وزبيدة بنت جعفر بن المنصور ، وسكينة بنت الحسين ، ونفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن على ٠

٨ ـ وهو الى هذا كله لم يتبع طريقة السند التى اتبعها بعض المؤرخين متأثرين برواة الحديث النبوى الشريف ، ولم يسجع كما كان يسجع كتاب عصره ، بل عبر فى اسلوب مرسل بعيد من التكلف ٠

٩ ـ ومن مزاياه انه لم يقتصر على التحقيق والتدقيق بل شفع اليهما امانته العلمية ٠

(٦) قيمته

١ ـ هو ذخيرة لدارسى العلوم والآداب والتاريخ واللغة والاجتماع، جمع فيه مؤلفه خلاصة ما أودع العلماء قبله فى تراجم الرجال والنساء ، وقد ضاع كثير مما كتبوه ، فتكفل كتاب وفيات الاعيان ببقائه ٠

ثم انه اضاف الى ما نقله عنهم ما سمعه من مخالطيه ، وما عرفه هو عن معاصريه ٠

٢ ـ لهذا احتفى به لاحقوه ، فنقلوا منه كثيرا ، وذيلوا عليه ، فمن الذين اختصروه ابنه موسى ، وهذا المختصر فى المكتب الهندى بلندن ، ومنهم البارزى ومختصره فى مكتبة باريس ، ومنهم ابن حبيب ومختصره فى مكتبة برلين ، ومنهم وجدى بن ابراهيم المتوفى سنة ١١٢١ هـ ومختصره بدار الكتب بالقاهرة ٠

ومن الذين ذيلوا عليه الموفق فضل الله بن فخر الصقاعى فى كتابه (تالى وفيات الاعيان) ترجم فيه لمن توفى بمصر والشام من سنة ٦٦٠ الى ٧٢٥ هـ ومن هذا الكتاب نسخة فى باريس ، ومحمد بن شاكر الكتبى فى كتابه (فوات الوفيات) ذكر فيه ما فات ابن خلكان من تراجم ، وترجم فيه للفضلاء الذين جاءوا بعد ابن خلكان الى عصره هو ، فبلغت كلها نحو خمسين وخمسمائة ، مرتبة على حروف الهجاء ، وبعضها ذكره ابن خلكان، وقد طبع بمصر سنة ١٢٨٣ هـ ثم طبع ثانية سنة ١٢٩٩ فى مجلدين ٠

وممن اختصره تاج الدين المقريزى ٧٤٣ هـ ، وذيل عليه ثلاثين ترجمة وفضل ابن الاثير عليه ٠

٣ ـ وقد ترجمه الى الفارسية يوسف بن عثمان سنة ٨٩٥ هـ وترجمته بالمتحف البريطانى ٠

وترجمه الى الفرنسية دى سلان فى القرن التاسع عشر الميلادى ، ونشر بعضه مع ترجمة لاتينية فى لندن سنة ١٩٠٨ م ٠ وترجم الى التركية سنة ١٨٦٣ م ٠

***

٤ ـ ولبعض المستشرقين رأى فى الكتاب ينبىء عن تقدير واعجاب ، فقد وصفه المستشرق الانجليزى نيكلسون فى كتابه تاريخ العرب الادبى بانه اول كتاب فى التراجم العربية الفه مسلم ٠

وجاراه فى هذا الرأى المستشرق الانجليزى « جب » ٠

ولا شك انهما توسعا فى الحكم توسعا اغفل ابن الانبارى ، وجار على سبق ياقوت الحموى ، ولعلهما نظرا الى تعدد الشخصيات التى ترجم لها ابن خلكان فقضيا له بالسبق واختصاه بالتقدير ٠٠

محمد عبد الغني حسن

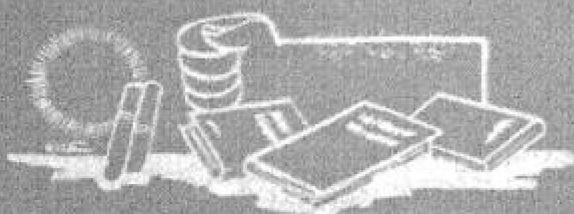
طبائع الاستبداد

رائد كتب

●● لا نعدو الصواب اذا قلنا ان كتاب « طبائع الاستبداد » لعبد الرحمن الكواكبي هو اول صيحة في العصر الحديث انطلقت في اجواء الشرق العربي ، لتوقظ النوام ، ولتحرر ارقاء العقول والاجسام في العالم الاسلامي الحديث من ربقة الاسار والطغيان ولتنبه الحكام والرؤساء الى واجباتهم قبل الرعية التي ولاهم الله أمرها ، كما تنبه المحكومين الى حقهم في الحياة الحرة الكريمة تحت ظلال حكم عادل واع صالح لا طغيان فيه ، ولا اثرة تسوده ●●

اذا كان كتاب مثل مقدمة ابن خلدون يعد رائدا في كتابة التاريخ وفلسفته في القرن الرابع عشر الميلادي الى اليوم ، لم ينسج على منواله ، ولم ينسج على مثاله ، فان كتاب « طبائع الاستبداد » يعد رائدا في كتب الاصلاح وحركات التحرير للامم في القرن العشرين . ويعده الاستاذ مارون عبود : (موقد نار اليقظة العربية) .

واذا كان هذا الداعية المصلح الجديد ، الوافد على مصر ، منزل الاحرار ، من حلب ، قد شد انتباه الناس بافكاره الجديدة الجريئة ، وبطريقة معالجته لموضوع الاصلاح وتحرير الانسان العربي المسلم من قيود الحكام الطغاة المستبدين ، فانه — في الوقت نفسه — قد لفت الانظار باسلوبه الطليق المتحرر — كافكاره — من كل زخارف اللفظ والمحسنات البديعية ، فقد اتجه رأسا الى الاداء ، وحسن البيان ، وابلاغ المعنى من اوجز طريق واقربه الى الدقة والسلامة اللغوية ، ذلك الاسلوب الذي قال فيه عباس محمود



التحرر والوعى فى العصر الحديث

العقاد : (.. وصلبت عبارته فى نسق مرسل واضح ، يقرر الواقع ، ويتتبع المشاهدة ، ويتبسط فيما يراه بالفكر . كما يتبسط فى وصف ما يراه بالعيان) .

وقد جاء كتاب « طبائع الاستبداد » - حين صدر سنة ١٩٠٢ م - على نحو فى التأليف لم يألفه الناس من قبل ، وفى عصر كان السلطان العثمانى عبد الحميد متحكما فى كل شيء فى الدولة العثمانية وأطرافها وولاياتها ، وكان واضعا عينه وارصاده على حركات الناس وسكناتهم ، بل حتى على همسات شفاههم ... وكان الكواكبى جريئا فى معالجة موضوع « الاستبداد » - ولو أنه يمس السلطان عبد الحميد ويمس كل حاكم ظالم فى تلك الحين - ويشتمل « طبائع الاستبداد » على مقدمة وتسعة فصول ، ففى المقدمة يكشف لنا هذا المؤلف المصلح عن اهتماماته ، وعن غرضه من تأليف كتابه ، فقد شغلته مسألة انحطاط الشرق عموما ، والمسلمين على الخصوص ، وأخذ يبحث عن داء الشرق ودوائه ، حتى تأكد له واستقر عنده أن أصل الداء هو الاستبداد السياسى ، وأن دفع الداء وعلاجه يكون بالشورى الدستورية .

ويتضح من المقدمة أن فكرة الكواكبى لم تكن طارئة عليه ، ولكنه كان مهموما بها ثلاثين عاما ، فلم يتصور سببا للانحطاط إلا عالجه ، وكان كلما فرغ من تحليل علة انتهى الى غيرها ، فإن العلل متكاثرة .. ومن أجل هذا غادر وطنه « حلب » وسار يضرب فى آفاق الأرض سائحا ، ويلحظ ، ويدرس . وينفى الكواكبى أنه يقصد ظالما بعينه أو أمة أو حكومة بذاتها ، وإنما أراد بيان طبائع الاستبداد ، وما يفعل فى الناس والشعوب ، وتشخيص مصارعه ، حتى ينتبه الغافلون من العرب والمسلمين الى مورد الداء الدفين ، ويعلموا أنهم المتسببون فيما حاق بهم ، فلا يلوموا أقدارهم ، ولا يعتبوا على غيرهم ، وإنما يعتبون على الجهل ، وفقد الهمم ، والتواكل وبهذا يستدركون شأنهم ويصلحون أمورهم قبل فوات الأوان .

طبائع الاستبداد

وفي الفصل الاول يعرف الكواكبي (بالاستبداد) عند اللغويين ، و « الاستبداد » عند أهل السياسة . ويسوق أمامنا بعض مترادفات للفظة الاستبداد ، مثل : الاستعباد ، والاعتساف ، والتسلط ، والتحكم — كما يسوق بعض مترادفات للفظة المستبد ، مثل الطاغية ، والجبار ، والحاكم بأمره ، والحاكم المطلق . أما مترادفات المستبد بهم فمنها : الاسرى ، والاسراء ، والمستصغرون ، والبؤساء ، والمستنبتون . ويضع في مقابلهم الفاظ : الاحرار ، والاباة ، والاحياء ، والاعزاء ...

وحين يفرغ من تعريف الاستبداد بالترادف والتقابل اللغوى ، يعرفه بالصفة ، قائلا : انه صفة للحكومة المطلقة العنان فعلا أو حكما ، التي تتصرف في شئون الرعية كما تشاء ، بلا خشية حساب ، ولا عقاب . ويلاحظ الكواكبي أن « الاستبداد » لا يجد طريقه الى الحكومات البدوية التي تتألف الرعية فيها من عشائر متنقلة ، ترحل متى وجدوا من حكومتهم حيفا أو ضيما . وهنا تظهر مزية البداوة على التمدن والحضارة .

وبعد أن يفرغ الكواكبي من هذا يلجأ الى الفاظ وعبارات طائفة رائعة في تعريف الاستبداد والمستبد ، ويقول إنه أخذها من أقوال حكماء ، ولكنها غير منسوبة عنده الى حكيم معين ...

وفي الفصل الثاني يحدثنا الكواكبي عن الاستبداد والدين ، فينقل عن الفرنجة قولهم ان الاستبداد السياسي متولد من الاستبداد الديني ، وانهما حاكمان قويان ، احدهما في مملكة الاجسام ، والاخر في عالم القلوب .

فكثير من الاديان تدعو الناس الى خشية قوة عظيمة هائلة لا تدرك العقول كنهها ، وهذه القوة تهدد بالمصائب في الدنيا عند بعض الديانات ، وبالعذاب والقهر في الاخرة عند أديان اخرى . ثم تفتح هذه الديانات أبوابا للامل في النجاة من العذاب ، بالالتجاء الى الاحبار والكهنة ، التماسا للمغفرة والرضوان . ويصف الكواكبي وسائل هؤلاء الكهان في اذلال النفوس ، وامتهان الاتباع .

وبعدها ينتقل الى الاستبداد السياسي ، وما يفعله المستبدون السياسيون ، فهم يسترهبون الناس بالتعالي والتشامخ ، ويذللونهم بالقهر وسلب الاموال ، حتى يخضعوهم لهم ، ولا يجدوا مخلصا الا الزلفى اليهم اتقاء لشرهم ... وهنا يختلط الامر على العوام والبسطاء ، بين الاله المعبود بالحق ، والمستبد المطاع بالقهر . فلا يرون لانفسهم حقا في مراقبة الحاكم المستبد ، لانتفاء النسبة بين عظمته وضآلتهم . ومن هنا تراهم يخلعون عليه صفات كصفات الاله المعبود ، من أمثال : ولى النعم ، وجليل الشأن ، وعظيم القدر ..

ويرى الكواكبي ان الاسلام مناف لطبيعة الاستبداد ، وانهما لا يلتقيان .. فقد جاء بعد اليهودية والمسيحية ، مؤسسا على الحكمة والعزم ، هادما للتشريك ، محكما لقواعد الحرية السياسية . كما ان القرآن — وهو دستور الاسلام — مشحون بتعاليم

تقضي بإماتة الاستبداد – وإحياء العدل والمساواة ، حتى في القصص القرآني ، كقول بلقيس ملكة سبأ تخاطب أشراف قومها : (ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون) • ومن هنا لا مجال لرمي الاسلام بالاستبداد مع تأسيسه على الشورى ، كما في بعض الآيات • ولكن دخل الفساد بتضليل بعض العلماء الذين مالأوا الاستبداد ، وتزلفوا الى المستبد ، فحرفوا الكلم عن مواضعه ، وغيروا مفهوم اللغة ، وطمسوا على العقول ، حتى كاد الناس ينسون لذة الاستقلال ، وعزة الحرية •••

•••

وفي الفصل الثالث يتحدث الكواكبي عن الاستبداد والعلم ، فيقرر انه ليس من غرض المستبد ولا مصلحته أن تتنور الرعية بالعلم ، اذ لا يخفي على المستبد – مهما كان غبيا – انه لا استعباد الا ما دامت الرعية حمقاء ، تخبط في ظلمات الجهل •

والمستبد لا يخشى علوم اللغة ، والأدب ، ولا العلوم الدينية المتعلقة بالمعاد ، المختصة بما بين العبد وربه ، لاعتقاده انها لا ترفع غباوة ولا تزيل غشاوة • وانما يتلهى بها المتهوسون الذين يسخرهم المستبد في تأييد أمره ، لقاء انه يضحك عليهم بشيء من التعظيم • ويسد أفواههم بلقيمات من فتات مائدة الاستبداد •••

وانما ترتعد فرائص المستبد من العلماء المشتغلين بالحكمة النظرية ، والفلسفة العقلية ، وحقوق الأمم ، وطبائع الاجتماع ، والسياسة المدنية ، والتاريخ المفصل ، والمقدرة على الخطابة الأدبية ، ونحو ذلك من العلوم التي تكبر النفوس ، وتوسع العقول ، وتعرف الانسان مدى حقوقه ، ومدى غبنه فيها ، وكيف يطلبها وينالها ، وكيف يصونها ؟ والمستبد يخاف من هؤلاء العلماء الصالحين الواعين المرشدين ، لأنهم يكشفون ظلمه وسرقاته •

أما العلماء الذين امتلأت رءوسهم بمحفوظات كثيرة كأنها مكتبة مقفلة فلا يحسب لهم المستبد حسابا ، والصراع دائم بين الحاكم المستبد والعلماء المستنيرين ، فهم يسعون في تنوير العقول ، والمستبد يجتهد في اطفاء نورها ، والعوام الجهال ، مجتذبون الصراع بين الطرفين •

ولغة الأمة – كما يلاحظ الكواكبي – فيها دليل على عراقة الأمة في الاستعباد ، أو تأصلها في السيادة والحرية • فقلة ألفاظ التعظيم ، وندرة عبارات التفخيم في العربية ملحوظة في الأدب العربي ، كما أن الأدب الفارسي مشحون بعبارات تدل على التذلل للأمراء والحكام • وكذلك اللغة التي ليس فيها بين المتخاطبين الا : أنا ، وأنت ، غير اللغة التي تزدحم بعبارات : سيدي ، مولاي ، عبدكم •••

وينتقل الكواكبي الى دور الاسلام العظيم في الأمر بالعلم والحض عليه • ولكن تأخر المسلمين كان نتيجة للاستبداد الذي استهان بالعلم وقلل من شأنه ، حتى رجع بالأمة الى الأمية •••

وحين يحدثنا الكواكبي في الفصل الرابع عن الاستبداد والمجد ، فانه يقرر أن الاستبداد يضغط على العقل فيفسده ، ويلعب بالدين فيفسده ، ويحارب العلم فيفسده ، ويغالب المجد فيفسده ، ويقيم مقامه التمجد ••• والمجد هو احراز المرء مقام حب واحترام في القلوب ، وهو مطلب طبيعي شريف لكل انسان ، ولا ينال الا بنوع من البذل في سبيل

الجماعة ، فاذا كان المبذول مالا سمي مجد الكرم ، واذا كان المبذول علما نافعا مفيدا سمي مجد الفضيلة ، واذا كان المبذول نفسا سمي مجد النبالة ، وهو ارفع درجات المجد ، واليه تتوق النفوس الكبار . اما « التمجد » فهو محاولة القربى من المستبد بالعمل والتعاون معه ، او بوسام ينال ، او لقب يخلع .. والمستبد يتخذ المستبدين سماسرة لتغرير الامة باسم خدمة الدين او حب الوطن ، او توسيع المملكة ، او تحصيل منافع عامة ... والمتمجدون اعداء للعدل ، انصار للجور ، فلا دين لهم ولا شرف عندهم ، ولا رحمة لديهم ، وهم العصابة التي تعين المستبد على الظلم ، ومنهم الوزراء والقواد والموظفون والعمال .. والحكومة المستبدة يتجلى استبدادها في كل فروعها وادواتها ، من المستبد الاعظم نفسه ، الى الشرطي ، بل حتى الى كناس الشوارع . ولا يكون كل صنف الا من اسفل اهل طبقته اخلاقا ... لان وسائل التمجد والزلفى الى كبيرهم تنسيهم كل القيم الكريمة .. وهنا ينتهي الامر الى ان يكون اسفلهم طباعا هو اعلاهم وظيفة وقربا ... ولن تقاد الامة خير مقادة الا بالحكماء العقلاء المتنورين الابرار ...

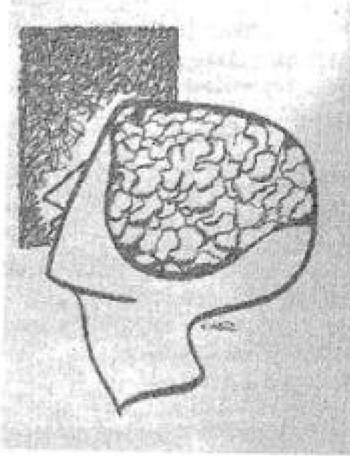
●●●

وفي الفصل الخامس يعالج الكواكبي موضوع الاستبداد والمال .

ويلاحظ الرجل ان النوع الواحد في الحيوان عموما لا يأكل بعضه بعضا على حين ان الانسان يأكل الانسان! كما في بعض القبائل المتخلفة ، والانسان كثيرا ما يخطف اللقمة من فم اخيه ... وتبدو نزعة الكواكبي الاشتراكية هنا . فهو يرى ان الرجال تقاسموا مشاق الحياة قسمة ظالمة . فان اهل السياسة والدين وعددهم لا يتجاوز خمسة في المائة يتمتعون بنصف ما يتجمد من دم البشر او زيادة ، وينفقونه في الرفاهية والاسراف والملذات والملاهي ، ولا يفكرون في ملايين من الفقراء يعيشون في بيوتهم في ظلام . ومن اهم وظائف الحكومات العادلة انها تعمل على تقريب المسافات بين افراد الشعب ، فلا غنى فاحش ، ولا فقر مدقع مفرط . وهذه المفارقات كانت قائمة الى عهد الكواكبي ، حتى في اكثر البلاد الاوربية تمدنا . ولعل الكواكبي اول من تنبه من مفكري العرب الى قوانين تحديد الملكية الزراعية في الصين ، وقد جعل هذا موضوعا للفخر عند دولة يتهمها الغربيون باختلال النظام .

ولقد فطن الكواكبي الى اثر الحكومات المستبدة في خلق جماعة من المتمولين ، تسهل لهم الحصول على الثروة بالسرقة من بيت المال ، وبالتعدي على الحقوق العامة ، وباغتصاب ما في ايدي الضعفاء الذين لا حول لهم ولا قوة . ويكفي الواحد من هؤلاء المتمولين المجردين من الوجدان ، والدين ، والحياء ، ان يتصل بباب الحاكم المستبد ، ويتقرب من اعتابه ، ويتوسل الى ذلك بالتملق وشهادة الزور ، وخدمة الشهوات ، والتجسس ، ليسهل له الحصول على الثروة الطائلة ، التي هي في الاصل ثروة الشعب ومن دمه .

طبائع الاستبداد



وفي الفصل السادس يتناول الكواكبي موضوع الاستبداد والاخلاق فيرى أن الاستبداد يفسد أحسن الاخلاق ، ويشوه أسلم الفطر ، ويجعل المرء حاقدا فاقدا حب وطنه ، ضعيف الحب للاسرة ، مختل الثقة في الصداقة . فالاستبداد يغير القيم ، ويقلب الاوضاع . فكم مكن بعض الملوك الاولين من التلاعب بالاديان تأييدا لاستبدادهم فاتبعهم الناس . وقد غير الاستبداد حقائق الاشياء تمويها على العقول ، فسمى طالب الحق فاجرا ، وتارك الحق مطيعا ، والمشتكي المتظلم مفسدا ، والنبيه المدقق ملحدا .

وفي الفصل السابع يحدثنا الكواكبي عن الاستبداد والتربية ، فالحكومات العادلة المنتظمة تتولى ملاحظة تربية افراد الامة منذ اللحظة التي يتكونون فيها في ظهور الاباء . وذلك بسن قوانين الزواج ، والعناية بالقوابل والاطباء ثم يفتحون الملاجىء وبيوت الايتام .. ويعدون القضاء ، والمدارس على اختلاف مراتبها ، ثم يؤمنون العمل لكل عاجز ، ويتيحون الفرصة لكل عامل .

اما الحكومات المستبدة فلا تعنى بتربية الافراد ، ولا يهمها ذلك في كثير او قليل ، بل تتركهم همـلا بدون رعاية ، وقطيعا بغير عناية . والاباء انفسهم لا يشغلون انفسهم بتربية ابنائهم لانهم ان زودوا اولادهم بالعلم ، جنوا عليهم بتقوية احساسهم بسوء الحالة ، وارهاف مشاعرهم بادراك الظلم الواقع عليهم فيزيدونهم شقاء ، ويزودونهم بلاء . ولهذا يفضل الاباء في الحكومات المستبدة ان يتركوا اولادهم هملا ، تجرفهم البلاهة الى حيث تشاء ...

وفي الفصل الثامن نجد معالجة لموضوع الاستبداد والترقي . والترقي الحيوي الذي يتدرج فيه الانسان بفطرته وهمته هو الترقي في الجسم صحة وتلذذا ، والترقي في القوة بالعلم والمال ، والترقي في النفس بالفاخر والخصال ، والترقي بالاسرة استئناسا وتعاونا ، وترابطا وتكافلا . والترقي بالعشيرة تناصرا عند الطوارىء ، واخيرا الترقي بالانسانية ، وهو نهاية المطاف .

وقد يبلغ الاستبداد بالامة ان يحول ميلها الطبيعي ، من طلب الترقي ، ومحاولة التسامي والترفع ، الى طلب التدني والتسفل . بحيث لو دفعت الامة الى العلوم والرفعة لابت على نفسها ذلك ، ولتألمت كما يتألم الاجهر من النور . وسبيل الانسان هو الرقي ما دام جانحا الاندفاع والانقباض فيه متوازيين كتوازن الايجابية والسلبية في الكهربائية . وسبيله القهقرى ان غلبته الطبيعة او المزاحمة . ثم ان الاندفاع اذا غلب فيه العقل النفس

طبائع الاستبداد

كانت الوجهة الى الحكمة ، وان غلبت النفس العقل كانت الوجهة الى الزيغ .

●●●

ويختم الكواكبي فصول كتابه « طبائع الاستبداد » بالفصل التاسع وموضوعه الاستبداد والتخلص منه . وهنا يطرح مباحث لتشقيق الطالعين ، فيبحث اولا عن الامة والشعب ، ويتساءل : هل هي ركام مخلوقات نائمة ، او جمعية عبيد لمالك متغلب ، وظيفتهم الطاعة والانقياد ولو كرها ؟ او هي قوم جمع بينهم روابط دين او جنس او لغة ووطن ، وحقوق مشتركة وجامعة سياسية اختيارية ؟ لكل فرد حق اشهار رايه فيها تطبيقا للقاعدة الاسلامية التي هي اسمى وابلغ قاعدة سياسية وهي : (كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته) .

ويبحث ثانيا عن الحكومة ، ويتساءل : هل هي سلطة امتلاك فرد لجمع ، يتصرف في رقابهم ، ويتمتع باعمالهم ، ويفعل فيهم بارادته ما يشاء ؟ او هي وكالة تقام بارادة الامة لاجل ادارة شئونها المشتركة العامة ؟

ويبحث ثالثا عن ماهية الحقوق العمومية ، ويتساءل : هل هي حقوق آحاد الملوك ، ولكنها تضاف للامم مجازا ، أو بالعكس هي حقوق جموع الامم ، وتضاف للملوك مجازا ، ولهم عليها ولاية الامانة والنظارة على مثل الاراضي والمعادن ، والانهار والسواحل ، والقلاع والمعابد ، والاساطيل والمعدات وولاية الحدود ، والحراسة على مثل الامن العام ، والعدل والنظام ، وحفظ الدين وصيانة الاداب ، والقوانين والمعاهدات والاتجار ، الى غير ذلك مما يحق لكل فرد من الامة أن يتمتع به ، وأن يطمئن عليه ؟

وتمتد المباحث الفرعية في هذا الفصل الختامي الى خمسة وعشرين مبحثا ، تدور حول التساوي في الحقوق الشخصية ، ونوعية الحكومة ووظائفها ، وحقوق الحاكم ، وطاعة الامة ، وتوزيع التكاليف ، واعداد المنعة ، والرقابة على الحكومة ، وحفظ الامن العام ، وحفظ السلطة في القانون ، وتأمين العدالة القضائية بين المتقاضين جميعا ، وحفظ الدين والاداب ، وكيفية وضع القوانين ، وما هو القانون ، وما هي قوته ، وكيف توزع الاعمال والوظائف ، والتقسيم بين السلطات ، والترقي في العلوم والمعارف ، والتوسع في الزراعة والصناعة والتجارة ، والسعي في العمران ، والسعي في رفع الاستبداد .

●●●

هذه هي بحوث كتاب « طبائع الاستبداد » وموضوعاته . ولقد عالجها الكواكبي الداعية الى الاصلاح والتحرر والسيادة ، على طريقة التحليل ، والتشريح ، وفلسفة التاريخ ، وبيان الاسباب والمسببات ، والملاحظة الواعية الدقيقة لاحوال الحكام والحكومات والشعوب في

القديـــــم والحديث ، وفي الشرق والغرب ، على نهج غير مســـبوق في الفكر العربي والتأليف العربي ، الا ما كان من المؤرخ ابن خلدون في مقدمته ، ومن الوزير ابن المغربي في كتابه : (السياســة) وغيرهما من العرب الذين اشار اليهم الكواكبي في مقدمة طبائع الاستبداد .

وقد طال عهـــد الناس في عصر الكواكبي بهذه الدراســات التحليلية الرصينة ، حتى ظنوها في اول الأمر حين نشرت متفرقة في صحيفة (المؤيد) بغير توقيع من كتابــات الاســتاذ الامام الشيخ محمد عبده ، لانه كان هو الاقدر من رجــال الاصــلاح المســلمين على خــوض مثل هذه الموضوعات . ولكن الجفـــاء الذى كان بين الشيخ على يوسف صاحب المؤيد وبين الاســتاذ الامام لم يدع لهذا الظن مجالا . فلما عرفوا بعد ذلك انها لحنيف مصر الوافد : عبد الرحمن الكواكبي اكبروه واجلوه .

وبلغ من عمق دراسة الكواكبي في كتابه هذا ان الناس استكثروها عليه، وظنوه اخذها من مؤلفات اجنبية . وقد استشهد الكواكبي نفسه في كتابه بعبارة نسبها الى (الفيارى المشهور) .. ومن هنا تسرب الظن ان الكواكبي اخذ كتابه من كتاب للفيارى هذا ، وهو من مفكرى ايطاليا في القــرن الثامن عشر . وقد اثار المرحـــوم الدكتور احمد امين هذه القضـــية ، وتساءل كيف وصلت اراء الفيارى الى الكواكبي ولم يكن يعرف غير اللغة العربية ؟ وليس من الصعب ان تكون هذه الاراء واشباهها قد ترجمت الى التركية التى كان يتقنهـــا الكواكبي ، فأخذها وتمثلها وعدلها بما يناســب البيئة الشرقية ، والعقلية الإسلاميـــة كما يقول احمد امين في كتابه (زعماء الإصلاح الحديث) .

ولقد اختار الكواكبي لكتـــــابه طبائع الاستبداد باســـلوبا فريدا متميزا . وعلى الرغم من ســـهولة اسلوب الكواكبي ووضوحه وأدائه بلا تكلف ولا زخرفة فقد وجهت اليه بعض انتقادات ، فلم يسلم من الوقوع في بعض أخطاء اللغة والنحو ، ولم يسلم من مآخذ التعبيرات الصحفية المرسلة التى كانت تشيع في صحافة اخريات القرن التاســـع عشر واوائل القرن العشرين . والرجل معذور على كل حال ، فانه لم يكن لغويا ولا نحويا ولا مشتغلا بقضايا اساليب الفصاح، وانما كان مصلحا دينيا واجتماعيا لا يهمه من الالفاظ والعبـــارات الا الابلاغ والبلاغ .

ولقد بلغ من قصـــد الايضـــاح والوضوح عند الكواكبي انه لجأ كثيرا الى التشبيهات التى توضح فكرته ، وتبسط نظريته ، كقوله : (كالغنم تلتف على بعضها اذا ذعرها الذئب ، وقوله : (فلو كان المستبد طيرا لكان خفاشا يصطاد هوام العوام في ظلام الجهل) ، وقوله : (الاقوام كالاجام ان تركت مهملة تزاحمت اشجارها) وقوله : (الانسان في نشأته كالغصن الرطب) ، وقوله : (وعندئذ يصير الاستبداد كالعلق ، يطيب له المقـــام على امتصاص دم الامة) ..

ومن عجائب الامور ان هذا الشيخ الديني والمصلح السياسي كانت تفوته احيانا صحة الاستشهاد بايات القرآن الكريم فيأتي بها على غير وجهها ، كقوله :(اذا اردنا اهلاك قرية امرنا مترفيها) وصواب الاية : (واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيهـــا) . وكقوله : (وكرمنـــا بنى ادم) ، وصوابها : (ولقد كرمنا بنى ادم) .

وهى سقطات ليس يتوقع حصولها من رجل حصل على قدر غير قليل من الثقافة الدينية ، ولكنها تدل - على كل حال - على ان العصمة لله الذى تفرد بالكمال .

العقد الفريد لابن عبد ربه

ـ ١ ـ

كانت الحملة الاسلامية فى شبه جزيرة ايبريا ، المدخل الجنوبى الغربى لاوربا ، أروع عمل حربى عرفه تاريخ العصور الوسطى . ففى خلال سنوات سبع تم فتح شبه الجزيرة ، وقدر للحضارة العربية ، بعد نصر يبدو كأنه أسطورة أن تستقر فيهـا وتزدهر . وأن يصبح لها بعد قليل طابعها المميز ، على الرغم من أصولها الشرقية .. وأن تصبح قرطبة عاصمة الدولة الجديدة مركز الثقافة فى أوربا ، وبؤرة التحضر ، فكانت مدينة مرصوفة الطرق ، مضاءة الشوارع ، تزخر بالحمامات العامة ، فى الوقت الذى كانت فيه جامعة اكسفورد ـ مثلا ـ ترى فى الاستحمام عادة وثنية ينبغى الابتعاد عنها .

وكان لها احدى وعشرون ضاحية، ولها سبعون دارا للكتب ، ويتجاوز سكانها المليون عددا ، عامرة بالمدارس والمساجد ، كعبة العلم والادب ، واليهـا الرحلة فى رواية الشعر ، ومنها كان علماء الاندلس، واليها يقصد علماء المشرق ، ممن يرومون الشهرة ، او يبغون الثروة، او يريدون ان يضيفوا الى علمهم جديدا .

وكان المجتمع الاندلسى بعامة ، والقرطبى بخاصة ، حضريا مترفا ، بلغ فيه الذوق العام قدرا عاليا من الرقة وتذوق الفنون الجميلة ، يطرب للموسيقى ، ويهتز للانشاد الجميل ، والغناء الحلو ، وتأسره الطبيعة بجمالها . وتميزت حضارته بأنها تعشق المياه الجارية ، والجنان الخضرة ، والبحيرات المتصلة ،

والانوار المتثرة ، في عصر الحصون والاسوار والعصور المظلمة .

ولقد وصفتها بحق راهبة المانية شاعرة ، من القرن العاشر الميلادي في قصيدة لها ، بانها : « جوهرة العالم المتألقة ، مدينة حديثة رائعة ، زهوة بمتعتها ، ذائعة بمباهجها ، مختالة بثقافتها ، فاضت بينابيع المعرفة السبعة ، وطبق اسمها الافاق ، ابد الدهر ، بما احرزت من نصر متواصل » .

في قرطبة هذه ولد ابن عبد ربه ، ذات يوم من عام ٢٤٦ هـ ـ ٨٦٠ م ، وبها عاش طول حياته ، وفيها توفي عام ٣٢٨ هـ ـ ٩٤٠ م

ـ ٢ ـ

يذكر المؤرخون في التعريف بنسبه انه : « ابو عمرو شهاب الدين احمد ابن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير بن سالم القرطبي » . ولا نعرف شيئا كثيرا عن اسرته او طفولته ،

ولكن يمكن ان نتصور انه كعامة الاطفال على ايامه ذهب الى المدرسة الابتدائية ، وكان التعليم في قرطبة شائعا ومجانيا ، فحفظ سورا من القرآن ، وقصائد من الشعر ، ودرس قليلا من النحو ، وشيئا من اللغة ،

وبعضا من شعائر الدين ، وتعلم جانبا من الرياضة ، والكتابة والقراءة . وكان ذلك هو منهج التعليم في المرحلة الابتدائية بمدارس الاندلس ، على ما يذكر ابن خلدون .

فاذا تجاوز سن الطفولة الى مرحلة الشباب ، درس الشائع في عصره من ادب وتاريخ ولغة ، وفقه وتفسير وحديث ، على جلة العلماء في المدينة ، فكان من اساتذته : محمد بن وضاح ، وبقي بن مخلد ، ومحمد بن الحارث

الخشني . وعن تحصيله يقول ابن خلكان : « كان من العلماء المكثرين من المحفوظات والاطلاع على اخبار الناس » .

وقد التحق الى بلاط الامير محمد ابن عبد الرحمن الداخل شابا فتيا ، ولازمه طوال مدة امارته (٨٥٢ ـ ٨٨٦ م) ، وترك هذا فيه ابلغ الاثر .

فقد كان الامير واقعا تحت تأثير اعاظم شخصيتين في قرطبة في ذلك الوقت : يحيى بن يحيى الفقيه ، وزرياب المغني ، فجاء ابن عبد ربه موزع القلب بين هذين الامرين :

كان فقيها دارسا ، وبهذا اللقب عرف تكريما له على طريقة عصره ، وكان صاحب لهو يطرب ويشرب ويعشق . واذا كان مؤرخو عصره قد مروا بالجانب الثاني من حياته

سراعا ، ورعا منهم او اجلالا له ، فقد اعترف هو بانه يحب سماع الموسيقى والاغاني ، على طريقة اهل المدينة ، وانه يشرب النبيذ جريا على مذهب اهل العراق .

وقد دافع عن الغناء في « عقده » : « ان كانت الالحان مكروهة ، فالقرآن والاذان احق بالتنزيه عنها ، وان كانت غير مكروهة فالشعر احوج اليها » .

وقد حار المتأخرون من علماء الشرق والمغرب في أمره ، ازاء التناقض من خبره ، فبينما يصفه مواطنه صاحب كتاب « بغية الملتمس » بانه : « كانت له ديانة وصيانة » ، ويقول عنه ياقوت الحموي في

« ارشاد الاريب » : « وكانت لابي عمرو بالعلم جلالة » ، نجد فيما وصلنا من شعره ، ومن الملامح العامة « لعقده » ، انه صب من

العقد الفريد لابن عبدربه

المباهج الحسية لعصره ، وشاركه فيما كان يجرى حوله من شرب ولهو وطرب ٠

ولا تناقض بين الروايتين فيما أرى ، فاحداهما تصفه شابا مقبلا على الحياة ، اخذا من مباهجها بقدر واسع ، والاخرى تتحدث عنه شيخا مدبرا عن الدنيا ، زاهدا فيها ، يحاول ان يتزود لاخرته باوفى نصيب ، ولقد عمد في اخريات ايامه الى اشعاره في الغزل والطراب فمحصها ، وتقضها بمثيلها في المواعظ والزهد، وسماها «الممحصات» وجعلها على اعاريض تلك وقوافيها ٠

وقد لازم ابن عبد ربه بعد الامير محمد ابنه المنذر ، ثم أخاه عبد الله من بعد ، وعبد الرحمن الناصر اخيرا ، وكان معهم جميعا شاعر البلاط ونديمه ، وقال في غزوات الناصر وانتصاراته شعرا كثيرا ، وخصه بارجوزة ذكر فيها كل سنة من مغازيه على حدة ، ولكن ليس في شعره أو « عقده » ما يدل على انه شخصيا كان يشارك في الحروب ، او يسهم فيها بنصيب ، مقاتلا او مدافعا، او مقويا لعزائم الجنود ٠

— ٣ —

كان ابن عبد ربه كاتبا وشاعرا ووشاحا ٠

وفي مجال الكتابة لا نعرف له نثرا وصلنا ، يمكن ان نستدل به على مكانته في هذا الفن غير مقدمات لابواب « عقده » ، وهي تمتاز بوضوح العبارة ، ودقة الاسلوب ، وازدواج الجملة ، والخلو من الغريب والبعد عن التكلف والتعقيد ٠

وتنسب اليه المصادر الاندلسية انه كان وشاحا ، ويذهب بعضها الى انه مبتدع فن التوشيح، والاحتمال الاول ممكن والثاني بعيد ، ذلك ان الموشحات ابتدعت في ايامه ، وعلى يد زميل له شاعر واعمى في بلاط الامير عبد الرحمن ، هو مقدم بن معافى القبرى فمن المرجح أن ابن عبد ربه سابقه منافسة ، وواكبه اعجابا ، ولكن موشحات الاثنين ضاعت كلها ، ربما لانها كانت عمل رائد في خطواته الاولى ، لم تبلغ الغاية تجويدا واتقانا ، فنسيها الناس مع روائع الموشحات التى اغرقت الاندلس بعد ذلك بمائة عام ٠

اما شعره فكان موضع اعجاب الناس وتقديرهم ، قال عنه الفتح ابن خاقان في «مطمح الانفس» : « انه حجة الادب ، وان له شعرا انتهى منتهاه ، وتجاوز سماك الاحسان وسهاه » ٠

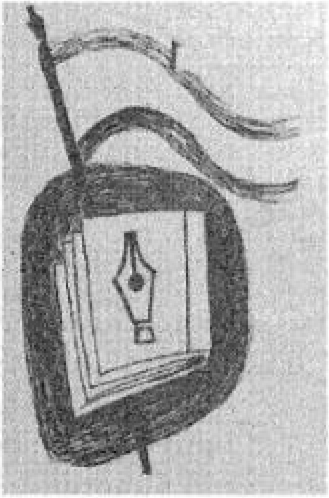
ويروى ياقوت في « معجم الادباء » أن ابا الوليد بن عسال لقى المتنبي في مسجد عمرو بن العاص ، وأن المتنبي قال له : أنشدني لمليح الاندلس ، يعني ابن عبد ربه ، فانشده :

يا لؤلؤا يسبي العقول انيقا
ورشا بتقطيع القلوب رفيقا
ما أن رأيت ولا سمعت بمثله
درا يعود من الحياء عقيقا

وإذا نظرت الى محاسن وجهه
أبصرت وجهك فى سناه غريقا
يا من تقطع خصره من رقة
ما بال قلبك لا يكون رقيقا

فاستعاده المتنبى ، ثم صفق بيديه وقال : « يا ابن عبد ربه لقد يأتيك العراق حبوا » .

وقد ذكر ابن خلكان فى « وفيات الأعيان » : « أن له ديوان شعر جيد » ، وذكر الحميدى فى كتابه « البغية » : انه كان فى نيف وعشرين جزءاً . وقد ضاع ديوانه ، ولم يصلنا من شعره الا ما أورده فى « العقد » ، وما رواه له الثعالبى فى « يتيمة الدهر » ، وهو قدر يكفى للحكم على شاعريته وإراها فى مستوى معظم شعراء الاندلس ، ملمقة ، ذات عرض بارع ، ووقع موسيقى حلو ، وخيال جيد ، وبساطة جميلة ، لا ترتفع به الى مستوى الشاعر الفحل ، كما لا تهبط به حيث



الشعر ساقط ، والشعراء أراذل .

وله أرجوزة تاريخية ، فيما شهد من حكم الناصر وأحداثه ، وإذا كان النقاد العرب ، ومفهومهم للشعر يقف عند الجانب الغنائي منه ، يرونها نظما لا أهمية له ، فإن المستشرقين الاسبان يرونها ، وغيرها من مثيلاتها الاصل الذى احتذاه شعر الملاحم الاسبانى فيما بعد .

ـ ٤ ـ

وقد شهر ابن عبد ربة بكتابه « العقد الفريد » ، وليس له بين أيدينا كتاب آخر ، وإن كان حاجى خليفة فى فهرسه : « كشف الظنون » ذكر أن له مؤلفا ثانيا اسمه : « اللباب فى معرفة العلم والآداب » .

ولم ترد اليه أية اشارة أخرى فى مصدر آخر ، ولم يعثر له على أثر . ومن هنا يظن أن « اللباب فى معرفة العلم والآداب » ليس الا جزءاً من « العقد » نفسه ، أورده المؤلف تحت عنوان « الياقوتة فى العلم والأدب » .

بقى لنا الآن من تراث الأديب الاندلسى كتاب « العقد » وحده ، وليس ذلك بالحيء القليل ، فهو يمثل الآن فى حياتنا الثقافية والأدبية المرتبة التى تلى كتاب « الأغانى » .

وقد درج الناس على تسميته بالعقد الفريد دون شك يراودهم فى أن زيادة لحقت اسمه ، أو تحويراً أصابه ، الى أن كتب المستشرق الألمانى بروكلمان مادة « ابن عبدربه » فى دائرة المعارف الاسلامية ، فأوضح أن كلمة « الفريد » أضافها المتأخرون ، دون أن يستطرد الى ذكر ما يسلك رأيه ، وإن يكن من الواضح الآن أن العالم الألمانى قرر ذلك اعتمادا على أن جميع المصادر

الولية ، لا يرى فيها «العقد» منعوتا بالفريد ، وكان الوحيد الذى أورده منعوتا هو الابشيهى فى كتابه « المستطرف من كل فن مستظرف » ، ومع ذلك فان من الصعب الجزم بأن هذه الكلمة اضيفت فيما بعد ؛ واصعب منه تحديد الزمن الذى اضيفت فيه ، وتعدد من اهملها . وتفرد من أوردها ، لا يقوم وحده دليلا كافيا على نفى او الاثبات ، وبخاصة أن كلمة « الفريد » توجد فى كل المخطوطات التى بين ايدينا .

وقد قسم صاحب العقد كتابه الى خمسة وعشرين كتابا ، اى فصلا او بابا ، فى خمسة وعشرين فنا ، ثم تصور عقده مؤلفا من خمس وعشرين جوهرة كريمة ، اثنتا عشرة فى جانب واثنتا عشرة اخرى فى جانب ، وجعل للعقد واسطة ، لكنه لم يسم الا الاثنتى عشرة الاولى ، فاللؤلؤة والفريدة والزبرجدة والجمانة ، والمرجانة والياقوتة ، والجوهرة والزمردة ، والدرة واليتيمة ، والعسجدة والمجنبة ، واما الاثنتا عشرة التى فى الجانب الآخر ، فهى نفسها التى فى الجانب الاول مكررة ، على نحو ما نرى فى الرسم .

وشملت هذه الكتب نظم الحكم ، تحت اسم السلطان ، والحروب ومدار امرها ، والاجواد والاصفاد ، والوفود ، ومخاطبة الملوك ، والعلم والادب ، والامثال ، والمواعظ والزهد ، والتعازى والمراثى ، والنسب وفضائل العرب ، وكلام الاعراب ، والاجوبة ، والهدايا والفكاهات والملح ، والطعام والشراب ، وطبائع الانسان وسائر الحيوان وتفاضل البلدان ، والمتنبئون والممرورون والبخلاء والطفيليون ، والنساء وصفاتهن ، وعلم الالحان واختلاف الناس فيه ، وأعاريض الشعر وعلل القوافى وفضائل الشعر ومقاطعه ومخارجه ، وايام العرب ووقائعهم ، واخبار زياد والحجاج والطالبيين والبرامكة ، والخلفاء وتواريخهم وايامهم ، والتوقيعات والفصل واخبار الكتبة ، والخطب .

ـ ٥ ـ

من استيعاب مادة العقد يبدو أن مؤلفه كان يهدف الى وضع دائرة معارف صغيرة ، تفى بمطالب الاديب على النحو الذى كان يطلب منه فى ذلك العصر ، من الالمام بطرف من كل علم ، فهو يعرض لكل ضروب المعرفة فى عصره ، على النحو الذى ازدهرت عليه فى المشرق ، على يد الجاحظ والمبرد وابن قتيبة وآخرين .

وكان « عيون الاخبار » لابن قتيبة من اوضح المصادر المشرقية اثرا فى العقد الفريد ، فقد كان الكتاب رائجا فى المغرب الاسلامى ، وتميز مؤلفه بين معاصريه ، ومن سبقهم ، بتنظيم مؤلفاته ، وتسلسل افكاره ، يسوق الباب ثم يتبعه بما هو قريب اليه او متناسب له ، وهو المنهج نفسه الذى سلكه ابن عبد ربه فى العقد ، بل اخذ ابن عبد ربه جانبا كبيرا من مادة « عيون الاخبار » ونقلها الى كتابه .

العقد
الفريد
لابن
عبدربه

يعترف بذلك احيانا ، ويسكت احيانا أخرى .

كما افاد مما حكاه أبو عبيدة في « النقائض » و « أيام العرب »، ومن الجاحظ في « البيـــان والتبيين » ، فنقل عنه فصولا في العتاب واستنجاز الوعد ، والاعتذار وكتابة الرسائل . وأخذ عن « الكامل » للمبرد الكثير من اخبار الخوارج ، وعن الطبرى من كتابه « تاريخ الامم والملوك » ، وعن ابن سلام الجمحى من كتابه « طبقات فحول الشعراء » ، وآخرين كثيرين .

واورد كثيرا من الآيات القـــرآنية والاحاديث، وأخذ عن التوراة والانجيل وتمثل بكثير من الحكم الفارســـية والهندية ، واقتبس من ارسطو ، وهي معارف توجد متناثرة بكثـــرة في المصادر الشرقية التي افاد منها .

لكن ابن عبد ربه لم يقف عنـــد المصادر الشرقية وحدها، وانما عرض لتاريخ الاندلس حتى زمنه ، وخص عبد الرحمن الناصر بأرجوزة أورد فيها مآثره ، ولكن حظ الاندلس اذا قيس بما خص الشرق العربي قليل ، وهي ملاحظة لم تغب عن الاقدمين انفسهم . فقد رووا أن الصاحب بن عباد حين قرأ « العقد » قال : « هذه بضاعتنا ردت الينا » .

ـ ٦ ـ

وقد أورد ابن عبد ربه منهجه في تأليف الكتاب واضحا في مقدمته ، فهو :

يختار ، ويحسن الاختيار ، وينتقي جواهره من خير ما في الادب ، ومن جوامع الكلم ، وان له : « تأليـــف الاخبار ، وفضل الاختيار ، وحسن الاختصار ، وفرش في صدر كل كتاب، وما سواه فمأخوذ من افواه العلماء، ومأثور عن الحكمـــــاء والادباء ، واختيار الكلام أصعب من تأليفه » .

وانه نقل نظائر الكلام ، واشكال المعاني ، وجواهر الحكم ، وضروب الادب ، ونوادر الامثال ، ثم قرن كل جنس منها الى جنسه ، فجعله بابا على حدة ، ليستدل الطالب للخبـــر على موضعه من الكتاب ، ونظيره في كل باب .

وانه تخير من جملة الاخبـــار ، وفنـــون الآثار ، اشرفها جوهـــرا، واظهرها رونقا ، والطفهـــا معنى ، وأجزلها لفظا ، واحسنها ديبـــاجة ، واكثرها طلاوة وحلاوة .

وانه حذف الاســـانيد من اكثر الاخبار ، طلبا للاستخفاف والايجاز ، وهربا من التثقيل والتطويل ، لأنهـــا أخبار وحكم ونوادر ، لا ينفعهـــــا الاسناد باتصـــــاله ، ولا يضرها ما حذف منها .

وانه نظر في بعض الكتب الموضوعة فوجدهـــا غير متصرفة في فنـــون الاخبار ، ولا جامعة لجمل الآثـــار ، فجعل العقد كـــــافيا جامعا لاكثر المعاني التي تجرى على افواه العامة والخاصة ، وتدور على السنة الملوك والســــوقة ، وحلى كل كتـــاب منها بشواهد من الشعر ، تجانس الاخبار في معانيها ، وتوافقها في مذاهبها ، وقرن بها غرائب من شـــعره ، ليعلم النـــاظر في كتابه أن للمغـــرب على قاصيته ، وبلده على انقطاعه حظا من المنظوم والمنثور .

ـ ٧ ـ

يعد العقد واحدا من المصـــــادر الهامة لتاريخ الحياة العربية بجوانبها المختلفة ، سياسية واجتماعيـــــة

العقد الفريد لابن عبدربه

واقتصادية وثقافية ، فهو يضم بين صفحاته مادة وافرة من الاخبار والقصص والوثائق التى تعين على تصور حركة تطور المجتمع العربى ·

فكتاب السلطان – مثلا – يعطى صورة واضحة عن سياسة عمر ، رقابته لعماله ، والرسائل المتبادلة بينه وبينهم فيما يتصل بالثراء الفاحش الذى اصابوه فجاة ، بعد أن تولوا الولاية ، فى هذا القطر أو ذاك ، من الامبراطورية الاسلامية الشاسعة · وفى كتاب الحرب حديث طويل عن فرسان العرب فى جاهليتها واسلامها ، وانفرد باخبار ليست فيما وصلنا من المصادر الاخرى ، كمشاورة المهدى لاهل بيته ووزرائه فيما يتصل بحرب خراسان · واخبار زياد والحجاج والطالبيين تحتوى حقائق يعز العثور عليها فى مكان آخر ·

وقد سلمت اخبار « العقد » ، نسبيا ، من التشويه والتحريف والبتر ، ومن هنا يمكن الاعتماد عليه فى المقابلة بين النصوص المختلفة عند تحقيق ونشر المصادر التى اخذ عنها ، أو التى نقلت عن رواة استند اليهم ، وهو ما فعلته دار الكتب المصرية عندما حققت « عيون الاخبار » لابن قتيبة ، فقد الحقت به زيادات كثيرة نقلتها عن « العقد » ، وصححت عنه كثيرا من الاخطاء التى وجدتها فى مخطوطات « عيون الاخبار » ، عند مقابلة نصوصها بما اورده العقد عنها ·

وقد نقل عن « العقد » كثيرون جاءوا بعده ، وافادوا من مادته الوفيرة مثل : الابشيهى فى كتابه « المستطرف من كل فن مستظرف » ، واعترف بذلك فى مقدمة كتابه ، وابن خلدون فى تاريخه ، والقلقشندى فى كتابه « صبح الاعشى » والبغدادى فى « بخزانة الادب » وغيرهم ·

وعلى الرغم من المكانة التى يحتلها « العقد » فى التراث العربى ، كان حظه من الترجمة الى اللغات محدودا ، فلا نعرف له ترجمة الى اية لغة اجنبية ، شرقية او غربية ، وان كان من المعروف أن مستشرقا فرنسيا نقل منه الى الفرنسية كثيرا من النصوص التى تتصل بعرب الجاهلية ، ونشرها فى باريس اعوام ١٨٣٦ – ١٨٣٨ ·

كذلك اعتمد المستشرق الاسبانى خوليان ريبيرا على الكتاب الاول منه ، والخاص بالسلطان ، فى بحثه عن : « أصول القضاء فى أرغون » ، والذى استهدف فيه بيان تاثير النظم السياسية والقضائية والادارية لمسلمى الاندلس فى مثيلاتها بممالك الشمال الاسبانية المسيحية ·

— ٨ —

وقد اختصر « العقد » قديما

الاول : أبو اسحاق ابراهيم بن

عبد الرحمن الوادى آشى القيسى ، المتوفى عام ٥٧٠ هـ = ١١٧٤ م ، وهو الحلبى من وادى آش ، مدينة جميلة ، تقع فى مقاطعة غرناطة باسبانيا الآن .

والثانى : جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم الانصارى الخزرجى الشهير بابن منظور ، صاحب معجم « لسان العرب » ، والمتوفى عام ٧١١هـ = ١٣١١ م .

واختصر حديثا مرتين :

الاولى عندما عهدت لجنة من اساتذة دار العلوم الى اختصاره ، استجابة لرغبة وزارة المعارف اذ ذاك ، فاختارت بعض كتبه ، وانتقت من هذه بعض اخبارها ، وسمته « مختار العقد » ، ونشر عام ١٩١٣ ، والثانية تمت من عشرة أعوام عندما نشرت وزارة الثقافة بعض مختاراته فى سلسلة كانت تشرف على اصدارها .



وقد طبع العقد عدة مرات فى مصر : طبع فى مطبعة بولاق للمرة الاولى سنة ١٢٩٢ هـ = ١٨٧٥ م ، وفى المطبعة العثمانية عام ١٣٠٢ هـ = ١٨٨٤ م ، وفى المطبعة الشرقية عام ١٣٠٥ هـ = ١٨٨٧ م ، وطبع ثانية فى المطبعة نفسها سنة ١٣١٦هـ = ١٨٩٨ م ، وفى المطبعة الازهرية سنة ١٣٢١ هـ = ١٩٠٣ م ، وفى المطبعة الجمالية ١٣٣١ هـ = ١٩١٢م ، ونشره مصطفى محمد عام ١٣٥٣ هـ = ١٩٣٤ م .

ثم طبعته المكتبة التجارية لمصطفى محمد طبعة أخرى بتحقيق محمد سعيد العريان عام ١٣٦٢ هـ = ١٩٤٣ م ، وجاء فى ثمانية اجزاء . ولكن أجود الطبعات وأنقها ، وأحسنها تنظيما تلك التى أصدرتها لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٣٥٩ هـ = ١٩٤٠ م ، بتحقيق الاساتذة : أحمد أمين ، وأحمد الزين ، وابراهيم الابيارى . وان كان اكتشاف عدد من مخطوطات العقد فى مكتبات الغرب ، لم تكن معروفة من قبل ، يجعل من المفيد اعادة تحقيق العقد ، فى ضوء ما تتضمنه هذه المخطوطات من جديد .

هذا وقد قام الاستاذ محمد شفيع ، استاذ اللغة العربية فى جامعة بنجاب بالهند باصدار كتاب عن العقد الفريد فى جزأين : أحدهما فهرس تحليلى للنسخ المطبوعة فى مصر ، والثانى تصحيحات وتعليقات ومقارنات بينها ، وقد نشرهما فى كلكتا عام ١٩٣٥ - ١٩٣٧ .

تاريخ الأمم والملوك

على أدهم

كتاب « تاريخ الامم والملوك » للامام الحجة والفقيه المحدث العلامة الكبير محمد بن جرير الطبرى ، من الكتب العظيمة الاهمية فى التراث الاسلامى ، وقد كان الطبرى من كبار العلماء الافذاذ ، والشخصيات النادرة بين العلماء والباحثين فى الحضارة العربية الاسلامية ... امتاز بغزارة العلم ، وسعة المعرفة وتنوعها ، وكان قدوة فى سمو اخلاقه ، وقوة شخصيته ، والتفانى فى طلب العلم ، والتوفر على البحث ، فى نزاهة وموضوعية ، وترفع عن الجرى وراء المطالب الدنيوية ، والمآرب المادية ... وموجز القول انه كان مثاليا فى علمه واخلاقه ، وصدقه ووفائه ، وتفرغه للبحث والتاليف بعزيمة لا يعتريها الكلال ، ولا ينال منها مرور الايام وتبدل الاحوال .

ولد الطبرى سنة اربع أو أول سنة خمس وعشرين ومائتين ، وكان مولده فى مدينة آمل ، وهى قصبة طبرستان ،

وقد روى لنا الطبرى نفسه سبب تسميته المنطقة التى نشأ بها « طبرستان »

فقال : « جئت الى ابى حاتم السجستانى ، وكان عنده حديث عن الاصمعى عن ابى زائدة الشعبى فى القياس ، فسألته عنه ، فحدثنى به ،

وقال لى ابو حاتم من اى بلد أنت ؟» فقلت « من طبرستان » . فقال : « ولم سميت طبرستان ؟ » فقلت : « لا أدرى » .. فقال : « لما افتتحت

وابتدىء ببنائها كانت ارضــا ذات شجر ، فالتمسوا ما يقطعــون به الشجر ، فجاءوهم بهذا الطبر الذى يقطع به الشجر ، فسمى الموضع (١) به » .

واشتهرت فى حداثته بفرط تعلقه بطلب العلم منذ حداثة سنه . وقال عن نفسه فى خلال حديثه مع احـد اصحابه : « حفظت القرآن ولى سبع سنين ، ورأى لى ابى فى النوم انتى بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان معى مخلاة مملـــوءة حجارة وأنا ارمى بين يديه ، فقال له المعبر : انه ان كبر نصح فى دينه ، وذب عن شريعته ، فحرص ابى على معونتى فى طلب العلم ، وانا حينئذ صبى صغير » .

ولمح ابوه فيه ذكاء الفطنة، وتوقد الخاطر ، وقوة الذاكرة ، والاخلاص فى طلب العلم ، والجد فى تحصيله، فبذل جهده ليهيىء له اسباب ذلك ، ويعينه على الفراغ للتحصـــيل ، والتنقل فى الاقطار طلبا للاستزادة من المعرفة ، والتوسع فى الدراسة .

وبدأ الطبرى يتلقى العلم فى بلده فسمع الحديث وكتبه ، ثم سافر الى مدينة الرى بعد ان اخذ ما وسعه من شيوخ امـل ، وكانت الدراســـات الفقهية مزدهرة بالعـــراق فى تلك الفترة ، وقد تزعمت المدن الثــلاث الكبار بغــداد والبصرة والكـــوفة النشاط العلمى والادبى ، وبدا له ان يشخص الى بغداد ليسمع من عالمهـا الامام احمد بن حنبل ، ولم يتحقق له ذلك ، لان ابن حنبل توفى قبل وصوله الى بغداد ، ولما علم بوفاته وهـــو على مقربة منها ، انصرف عنهـــا ، واتجه الى البصرة ليسمع من علمائها، ولما ارتوى من ينابيعها انتقـــل الى واسط ليسمع من شيوخها ويكتـــب عنهم .

وحداه بعد ذلك طلب المعرفة على الرحيل الى الكوفة ليسمع من علمائها، وفى طليعتهم ابو كريب من كبار علماء الحديث ، ولم يقتنع بما حصـــل من العلم والمعـــرفة فى الرى والبصرة وواسط والكوفة فاتجه الى بغـــداد يدرس بها القراءات ، وتلقى فقــه الامام الشافعى ، واعتزم بعد ذلـــك الرحلة الى مصر ليستوعب ما عنـــد علمائها ، وعرج وهو فى طريقه الى مصر على الشام ، واقام فى بيروت مدة ، ولما قضى منها حاجته قصـــد مصر ، وكان ذلك فى سنة ٢٥٣ هجرية فى اوائل عهد احمـــد بن طولون ، وقضى مدة فى الفسطاط ، ثم خطر له ان يعود الى الشام ليستكمل الاخـــذ عن علمائها ، فلما ادرك غايته عاد الى مصر سنة ٢٥٦ هجرية ، ولقى الكثير من علماء مصر فى تلك الحقبة، وكانت مصر حينذاك حافلة بهم ..

وعرف وهو بمصر بسعة المعـــرفة

---

(١) وفى كتاب « المعـــرب » للجواليقى صـــفحة ٢٢٨ ان معنى « الطبر » بالفارسية الفأس ، وكـــانت طبرستان يحيط بها الشجر فلم يوصل اليها حتى قطع الشجر بالفئوس

تاريخ الأمم والملوك

وغزارة الاطلاع ، وآثر بعد ذلك العودة الى بغداد بعد أن قضى فترة في طبرستان ، وقد ظل مقيما في بغداد منقطعا للبحث والتدريس والتأليف حتى ادركته الوفاة ٠٠٠

ويوضح لنا هذا التنقل الكثير في الحواضر الاسلامية ما بذله الطبري من الجهد ، وما احتمله من الشاق في تحصيل العلم ، وتوطيد الدراسة ، وتأصيل الثقافة ، والوقوف على مختلف التيارات الفكرية التي كانت سائدة في عصره في العالم الاسلامي ، وقد مكنه ذلك الجهد المبذول من أن يبلغ في عدة علوم شرعية وأدبية مختلفة غاية ما يستطيع تحصيله المتخصصون في كل فرع منها على حدة ، مع تمكنه وسعة احاطته بغيرها حتى شهد له رجال عصره بالسبق والتقدم وفيهم الكثيرون من كبار العلماء في الادب والنحو واللغة والشريعة ، قال عنه مواطنه وكاتب سيرته عبد العزيز بن محمد الطبري : « كان (١) أبو جعفر قد نظر في المنطق والحساب والجبر والمقابلة وكثير من فنون أبواب الحساب وفي الطب ، واخذ منه قسطا وافرا يدل عليه كلامه في الوصايا ، وكان عازفا عن الدنيا ، تاركا لها ، ولاهلها ، يرفع نفسه عن التماسها ، وكان كالقارىء الذي لا يعرف الا القرآن ، وكالمحدث الذي لا يعرف الا الحديث ، وكالفقيه الذي لا يعرف الا الفقه ، وكالنحوي الذي لا يعرف الا النحو ، وكالحاسب الذي لا يعرف الا الحساب ، وكان عالما بالعبادات، جامعا للعلوم ، واذا جمعت بين كتبه وكتب غيره وجدت لكتبه فضلا على غيرها » ٠

وقال عنه في موضع آخر : « كان أبو جعفر من الفضل والعلم والذكاء والحفظ على ما لا يجهله أحد عرفه لجمعه من علوم الاسلام ما لم نعلمه اجتمع لاحد من هذه الامة ، ولا ظهر من كتب المصنفين ، وانتشر من كتب المؤلفين ما انتشر له ، وكان راجحا في علوم القرآن والقراءات وعلم التاريخ من الرسل والخلفاء والملوك واختلاف الفقهاء مع الرواية ٠٠ وكان له قدم في علم الجدل يدل على ذلك مناقضاته في كتبه على المعارضين لمعاني ما اتى به ، وكان فيه من الزهد والورع والخشوع والامانة وتصفية الاعمال وصدق النية وحقائق الافعال ما دل عليه كتابه في آداب النفوس ، وكان يحفظ من الشعر للجاهلية والاسلام ما لا يجهله الا جاهل به »٠

ويروى عبد الله بن أحمد الفرغاني في كتابه المعروف بكتاب الصلة (٢)

---

(١) معجم الادباء لياقوت جزء ١٨ صفحة ٦٠ ، ٦١ ٠
(٢) معجم الادباء لياقوت جزء ١٨ صفحة ٤٤ ٠



د . أحمد امين

«ان قوما من تلاميذ ابن جرير حسبوا أيام حياته منذ بلغ الحلم الى أن توفى وهو ابن ست وثمانين ، ثم قسموا عليها أوراق مصنفاته فصار منها على كل يوم أربع عشرة ورقة ، وهذا شيء لا يتهيأ لمخلوق الا بحسن عناية الخالق » .

وذكر له ياقوت فى معجمه بعض أبيات من الشعر تصور اباءه وقناعته وهى تمتاز بالصدق وان لم تكن من الطبقة العالية فى الشعر ، منها قوله :

اذا اعسرت لم اعلم رفيقى
واستغنى فيستغنى صديقى
حيائى حافظ لى ماء وجهى
ورفقى فى مطالبتى رفيقى
ولو انى سمحت ببذل وجهى
لكنت الى الغنى سهل الطريق

ومع طول معاناته للدراسات الجدية ومعالجة التأليف فى المسائل العميقة التى تستغرق الجهد ، وتعنى النفس وترهق الاعصاب ، ظل محتفظا بهدوء النفس ، وصفاء الخاطر ، وطيبة القلب ، وقد ترك اثرا جميلا فى نفوس عارفيه وتلامذته واضرابه ومنافسيه .

وصفه تلميذه عبد العزيز بن محمد بقوله (١) كان أبو جعفر ظريفا فى ظاهره ، نظيفا فى باطنه ، حسن العشرة لمجالسيه ، متفقدا لأحوال أصحابه ، مهذبا فى جميع أحواله ، جميل الادب فى مأكله وملبسه ، وما يخصه فى أحوال نفسه ، متبسطا مع اخوانه ، حتى ربما داعبهم أحسن مداعبة ، وربما جيء بين يديه بشيء من الفاكهة فيجرى فى ذلك المعنى مالا يخرج من العلم والفقه والمسائل حتى يكون كاجد جد ، واحسن علم ، وكان اذا اهدى اليه مهد هدية مما يمكنه المكافأة عليه قبلها وكافأه ، وان كانت مما لا يمكنه المكافأة عليه ردها واعتذر الى مهديها ..

وكان صاحب هذه النفس النبيلة ، والروح السامية ، والهمة العالية ، رجلا أسمر الى الادمة ، اعين نحيف الجسم ، مديد القامة ، ولم يغير شيبه حتى وافته المنية يوم السبت لاربع بقين من شوال سنة ٣١٠ هجرية وقد فرغ من تصنيف كتابه العظيم فى

(١) معجم الادباء لياقوت جزء ١٨ صفحة ٨٧ ..

التاريخ سنة ٣٠٣ هجرية ، وقطعه على آخر سنة ٣٠٢ ، وربما كان الطبرى والجاحظ وابن حزم الظاهرى اغزر المؤلفين انتاجا فى تاريخ الادب العربى برمته ..

وعلم الطبرى الواسع ، ومعرفته الغزيرة ، ودموبه على التحصيل والاطلاع مع ثقته بنفسه ، وعلو همته

جعله يقدم على تفسير القرآن ، وهو عالم بخطورة هذا الاقدام ، وما

يستلزم من نواحى المعرفة ورسوخ القدم ، والتمكن وسعة الذرع ولما هم بتفسير القرآن قال لاصحابه :

« اتنشطون لتفسير القرآن ؟ .. » فقالوا : « كم يكون قدره ؟ » فقال: « ثلاثون الف ورقة » فقالوا : « هذا مما يفنى الاعمار قبل تمامه .. » فاختصره

فى نحو ثلاثة الاف ورقة ، وقد وفق فى تفسيره ، وحاز اعجاب العلماء الاعلام، وظفر بتقديرهم العالى

وقد اضطره تفسيره للقرآن الى مراجعات تاريخية كثيرة ، وأرجح انها اوحت اليه فكرة كتابة تاريخ

العالم ، ولما انتوى ذلك بعد فراغه من التفسير شاور أصحابه فقال لهم

« اتنشطون لتاريخ العالم من آدم الى وقتنا هذا ؟ » فقالوا : « كم قدره ؟ »

فذكر نحوا مما ذكره فى التفسير ، فاجابوه بمثل ذلك ، فقال « انا لله !

.. ماتت الهمم ! » فاختصره فى نحو ما اختصر التفسير ...

***

وقد افاد الطبرى من المواد التى جمعها مؤرخو القرن الثانى الهجرى، وانتفع بحركة النقل من اللغات الاجنبية

تاريخ الأمم والملوك

التى بدأت فى ذلك القرن ، واستعمل طريقة الاسناد التى جرى عليها رواة الحديث ، وقد تأثر بطريقتهم فى كتابة

التاريخ ، واستطاع ان يجمع فيه مجموعة كبيرة من مختلف الروايات والاخبار التاريخية استوعبت كل ما

تقدمها ، وقد تمكن من ان يربطها بعضها ببعض ببراعة فائقة ، واخذ عليه ما اخذ على اكثر مؤرخى العرب

جميعا ، وهو انهم لا يتجاوزون فى أغلب الاوقات السرد الحولى ووصف

الاحداث ، ولم يفكر الطبرى كثيرا فى تعليل الحوادث ، ولم يحاول

التوسع فى تعرف اسبابها الظاهرة او الخفية، ولم يعمل على كشف البواعث العميقة المستخفية التى تعمل وراء

التغيرات الاجتماعية الظاهرة ، والوقعات التاريخية المأثورة .

وهو فى روايته للحوادث يكتفى بذكر الاسباب المباشرة ، معولا على الاسناد ، مكتفيا بذلك ، دون أن يعرض النص نفسه على تفكيره

الخاص ، ويزنه بميزانه ، ويخضعه لبحثه وتحليله ، وهو يصارحنا بذلك فى بساطة مستحبة فيقول فى مقدمة

كتابه « وليعلم الناظر فى كتابنا هذا ان اعتمادى فى كل ما أحضرت ذكره فيه بما اشترطت انى راسمه فيه انما هو على ما رويت من الاخبار



جورجي زيدان

التي انا ذاكرها فيه ، والاثار التي انا مسندها الى رواتها فيه ، دون ما ادرك بحجج العقول ، واستنبط بفكر النفوس ، الا اليسير القليل منه اذ كان العلم بما كان من اخبار الماضين ، وما هو كائن من انباء الحادثين غير واصل الى من لم يشاهدهم ، ولم يدرك زمانهم ، الا باخبار المخبرين ، ونقل الناقلين دون الاستخراج بالعقول ، والاستنباط بفكر النفوس ، فمهما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه ، او يستبشعه سامعه من اجل انه لم يعرف له وجها في الصحة ، ولا معنى في الحقيقة ، فليعلم انه لم يؤت في ذلك من قبلنا ، وانما اتي من قبل بعض ناقلين الينا ، وانا انما ادينا ذلك على نحو ما ادي الينا » .

وهذه هي الطريقة التي انتقدها ابن خلدون في مقدمته ، وحمل عليها وقال في التنديد بها : « ان الاخبار اذا اعتمد فيها على مجرد النقل ولم تحكم اصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والاحوال في الاجتماع الانساني ولا قيس الغائب منها بالشاهد والحاضر بالذاهب ، فربما لم يؤمن العثور ومزلة القدم ، والحيد عن جادة الصدق ، وكثيراً ما وقع للمؤرخين والمفسرين وائمة النقل المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا او سمينا ، لم يعرضوها على اصولها ولا قاسوها باشباهها ، ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات ، وتحكيم النظر والبصيرة في الاخبار ، فضلوا عن الحق ، وتاهوا في بيداء الوهم والغلط ، ولا سيما في احصاء الاعداد من الاموال والعساكر اذا عرضت في الحكايات ، اذ هي مظنة الكذب ، ومطية الهذر ، ولابد من ردها الى الاصول ، وعرضها على القواعد » .

وقد اخذ ابن خلدون على الطبري ذهابه الى ان غزوات التبابعة ملوك اليمن وجزيرة العرب ، قد امتدت الى افريقية والمغرب ، وقال ان هذه الاخبار بعيدة عن الصحة ، وعريقة في الوهم والغلط ، وانها اشبه باحاديث القصاص الموضوعة ، وذلك لان ملك التبابعة انما كان بجزيرة العرب وقرارهم وكرسيهم بصنعاء اليمن .

والاسلوب الذي اتبعه مؤرخو

العرب بوجه عام في اكثر مؤلفاتهم التاريخية كان يضطرهم من بادىء الامر الى ممارسة نوع خاص من النقد

التاريخي ، وذلك لان التاريخ كان عندهم قائما على الثقة بالشاهد الاول ،

والاعتماد على صدق روايته ، وصحة ادراكه ، واستقامة اخلاقه ، وقد

استلزم ذلك بذل مجهود ضخم في تحرى سير امثال هؤلاء الرجال الذين يصح الاعتماد على اقوالهم ، والاخذ

برواياتهم ، وكان على المؤرخ ان يشعر نفسه الاطمئنان الى هؤلاء الرواة بعد التحقق والتثبت .

والظاهر انه كان يجد ان الرواة ونقلة الاخبار والحفاظ أهل للثقة والرجوع الى اقوالهم متى عرفوا

باستقامة الاخلاق وسلامة العقيدة ، والبعد عن الشبه والريب ، واشتهروا

برجاحة العقل والسمعة الطيبة وحسن السيرة ، اما نقد الرواية في ذاتها وتحقيقها فقد قصروا فيه تقصيرا

واضحا ، والنقد التاريخي بالمعنى الحديث لم يعرفه الواقدى ولا الطبرى ولا ابن قتيبة أو المسعودى ، ولم يقدر

اهميته سوى ابن خلدون ، فهو الذى عرف مداه ، وادرك طبيعته ، والواقع ان الحاجة كانت ماسة الى ممارسة هذا النوع من النقد التاريخي في

القرن الثاني والقرن الثالث الهجريين فقد اختلط بروايات هذين القرنين التاريخية الكثير من الاوهام والخزعبلات والاكاذيب المصنوعة ، والاقاويل المزيفة ، وكان للعصبيات المختلفة والاغراض السياسية والفرق المتنافرة اثر واضح في ترويج بعض

الروايات ، واذاعة طائفة من الشائعات واختلاق ضروب من الاكاذيب .

●●●

وقد كان الطبرى رجلا واسع المعرفة غزير العلم مستقل التفكير ، واني لارجح ان مثل هذا الرجل كان يغربل الروايات والاقاويل في صمت

وسكون فينفي ما يداخله فيه الشك ، ويثبت ما يطمئن اليه ويراه جديرا بالثقة والتصديق ، فليس هو خابط

عشواء ولا حاطب ليل ، فقد اعتمد على وثائق كثيرة واحاديث وروايات واخبار ممحصة الى حد ما ، وفيها ما يدل على دقة النظر وصدق الحكم ،

وقد اجاد عرضها واحسن تنسيقها حتى اغنت عن الرجوع الى ما كان قبلها ، واصبحت مادة يستمد منها المؤرخون ، ويعتمدون عليها ، ويسيرون في اضوائها ، وقد عبد الطريق لمن جاء بعده من كبار مؤرخي الاسلام مثل المسعودى صاحب

مروج الذهب وابن مسكويه مؤلف كتاب تجارب الامم وابن الاثير واضع كتاب الكامل وابي الفداء كاتب كتاب المختصر في تاريخ البشر وابن خلدون نفسه مؤلف كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر .

تاريخ الأمم والملوك

وأسلوب الطبرى في كتابه عربي

اصيل يجمع بين السهولة والجزالة والوفاء بالغرض من اقرب سبيل ، وفي تصويره للحوادث وضوح وقوة، وقد مكنته سعة اطلاعه على الادب واشعار العرب من ان يرصع كتابه بمجموعة صالحة من القصائد الشائقة،

والمقطوعات البارعة ، والخطب البليغة ، والاقاويل الحكيمة ، وهو لا يعرضها في بذخ واسراف ، وانما

يذكرها في مناسباتها ، وينزلها منازلها اللائقة فيضيء بها جوانب التاريخ ، ويجلو غوامض الحوادث :

وهو يؤرخ للحوادث سنة سنة ، ولكل سنة تاريخها القائم بذاته ، وهو

يذكر ما وقع فيها من الاحداث ، وتعرف هذه الطريقة بطريقة التاريخ

بالسنين ، ولم يتبع المؤرخ اليعقوبي الذي عاصره هذه الطريقة الحولية

بل اتبع طريقة الموضوعات ، وقد اتبع المسعودي طريقة اليعقوبي ، وقد

انتقد الطريقة الحولية المؤرخ الكبير ابن الاثير لانها تقطع اوصال الاحداث ولا تمكن من استيفاء تصويرها

تصويرا متصلا فتاتي الحادثة متقطعة مما لا يعين على سهولة فهم الاحداث وتبين ارتباطها بعضها ببعض »

●●●

ويبدأ كتاب الطبري بخطبة ويتبعها تمهيد يتلوه التاريخ ويشمل

تاريخ الخلق منذ البدء حتى سنة ٣٠٢ هجرية ، وهو في التمهيد يتحدث عن

الزمان ومعناه ومقداره من بدئه الى نهايته معتمدا على احاديث يرويها ، ويذكر راي اليهود واليونانية من النصارى وراي المجوس واختلاف

الاخباريين في تقدير المدة من بدء الخلق حتى الهجرة النبوية، ثم يذكر في روايته للتاريخ البشري خروج آدم

من الجنة وما وقع في عهده من الاحداث وما ولدته له حواء من بنين

وبنات ، ثم تكاثر ذريته وانتشارها في الارض وحوادثهم حتى عهد نوح ، ثم يؤرخ للمملكة الفارسية وملوك الطوائف

ويتحدث عن ملوك الفرس حتى مقتل يزدجرد اخرهم في عهد الخليفة عثمان

ابن عفان ، وينتقل بعد ذلك الى السيرة النبوية والفتوح الاسلامية واخبار

الامويين والعباسيين حتى صدر عهد الخليفة المقتدر ، فلا يتحامل على الامويين ولا يحابي العباسيين ·

وقد اخذ عليه انه عني بتاريخ الحركة الاسلامية في الشرق ولم يعط الحركة الاسلامية في المغرب ما تستحقه من العناية ··· ومهما يكن من الامر فان كتاب الطبري في مجموعه يعد من اوفى المراجع ، واكثرها احاطة

بالروايات المختلفة، سواء في التاريخ القديم او التاريخ الاسلامي ·

●●●

ويقول المؤرخ العلامة جورجي زيدان في الجزء الثاني من كتابه عن «تاريخ آداب اللغة العربية» عن كتاب

الطبري في « اخبار الرسل والملوك » : انه عمدة المؤرخين

ومرجعهم في التحقيق حتى الان ، وان القوم تغالوا في اقتنائه حتى كان منه في خزانة العزيز الفاطمي صاحب

مصر ٢٠ نسخة منها واحدة بخط المؤلف ، وعني به المستشرقون عناية خاصة وترجم المستشرق نولدكه الى

تاريخ الأمم والملوك

اللغة الالمانية الجزء الخاص بتاريخ الساسانيين ، كما ترجم بعض اجزاء الكتاب الى اللاتينية وترجم كله الى التركية وهو يعد فى تاريخ الفرس اكبر حجة بين المستشرقين فى العصر الحديث ، كما اعتمد عليه المؤرخون القدامى والمحدثون •

ويقول عنه الدكتور احمد امين فى الجزء الثانى من ضحى الاسلام (١) « وهو جرىء فى قول الحق، ويتعرض لذكر اشياء قد لا يرضى عنهـا العباسيون، وهم الخلفاء ذوو السلطة، وان اخذنا عليه شيئا فهو انه يكثر من ذكر الحروب والوقائع الحربية وسير الخلفاء ، ولا يعرض الالماما لذكر الاحداث الاجتماعية والمسائل الاقتصادية » •

ويقول عنه المستشرق جيب فى كتابه « دراسات عن حضارة الاسلام » (٢) كان الطبرى اولا من رجال الحديث وعلماء الدين ، وقد قصد بكتابه فى التاريخ استكمال تفسيره للقرآن وذلك ببيان تاريخ الاسلام مستوفى مجتمعا ومحققا كما فعل فى التفسير، والكتاب الذى وصل الينا على ما يبدو مختصر عن الخطة التى كان ينوى اتخاذها فى تاليفه •• ونواحى الضعف فى الكتاب كما وصل الينا ـ كما كان منتظرا ـ مصدرها تفضيله الاخذ عما جمعه المؤرخ سيف من الاخبار المشكوك فى صحتها على الرجوع الى الواقدى لان المحدثين كانوا يشتبهون فيه ، ولكن الى جانب هذه العيوب فان للكتاب مزاياه الايجابية التى تمثل فى الاعتماد عليها وشمولها نهاية عصر ، وقد اعتمد عليه جميع الذين جاءوا بعده والذين بداوا حيث توقف » •

وقد اشار اليه الاستاذ العلامة روبرت فلنت فى كتابه القيم عن « تاريخ فلسفة التاريخ » حين تصدى لكتابة التاريخ عند المسلمين فقال عنه « (٣) يمكن ان يعد كتاب الطبرى اول تاريخ عام من وجهة النظر الاسلامية ، وقد بدا بالخليقة وانتهى بسنة ٣٠٢ هجرية (٩١٤ ميلادية) وقد وضع تصنيفه على اوسع مدى والجز ببراعة وقدرة وبجهد غير مقصر ، ومعلومات غزيرة ، وحكم مستقل ، واسلوب جذاب ، واشتمل الكتاب على مجموعة من الاخبار المأثورة ، والوثائق الكثيرة ، وهى مع كثرتها حسنة الاختيار والتنسيق وقد كانت دراسة التاريخ العام قد اهملها المسلمون الاوائل وتحاشوا تقديم الخوض فيها باعتبارها غير شرعية وخطيرة ، ولكن بمضى الزمن تغلبوا على هذه العقبة ، وبعد كتاب الطبرى اصبحت كتابة التاريخ العام من الاشياء المألوفة ، وهو بهذه المثابة من الرواد فى هذا الاتجاه الهام •••

(١) ضحى الاسلام الجزء الثانى صفحة ٢٠٤ •
(٢) صفحة ١١٨ من كتاب دراسات فى حضارة الاسلام •
(٣) صفحة ٨٢ من كتاب تاريخ فلسفة التاريخ لروبرت فلنت •

يا شاعري

• فوزي عطوي •



سيان ، للبك في نهاري هاجري
ام طيف حبك ، في الليالي زائري
يتحدثون ! .. وانت ادرى بالذي
يتحدثون ، انا عبرت بخاطري !
من انت ؟ ود الحاسدون لواهتدوا
ولانت ، لو علموا ، ضياء الناظر
فلذا العتك ، تمتمت تيساءلة
ورنا العبير الى الربيع الزاهر :
« يا شاعري ! » وودت لو رجعته
نغما يتمتم ، عاتبا : « يا شاعري ! »
طوفت في جزر العيون ، مسائلا
عن موجة رفت لجفن ساهر ،
فقرات في عينيك ما كتب الهوى
ولثمت نمنمة الجمال الآسر !
اشقى نساء الارض اهمالي لها ،
منذ ائتلقت على سطور دفاتري
لم تغنني امراة عنداك اروقها ،
اني ربيت على هواك الطاهر !
اوحيت لي ، في الحب ، ما اوحيته
فالعبقرية بعض ذوب مشاعري ،
ازريت بالاقلام ، فانسالت الى
قلمي تبايع ، كابرا عن كابر ،
فالناثرون يدلقون معاطفي ،
والشاعرون يجررون مازري !

الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى

د. محمد أبو الأنوار

يعجب مؤرخ الحياة الفكرية والثقافية فى تاريخ العربية كيف أنها تميزت بهذا الصبر العجيب وتلك الاحاطة الواسعة عندما عرضت لتراثها تجمعه وتستظهره - وأكثر ما يعجبه من كثرة ما يرى من صبر على الجمع والتقصى للتراث، وعلى التحقيق والتدقيق الحرى ..

والكتاب موضوع هذا المقال يعد الضخم موسوعة « خبرية » روى فيها مؤلفها من الأخبار ما لا يدخل تحت حصر فيما تصدى اليه من موضوع كتابه ، وشغل هذا الرجل بموسوعته تاريخ آداب العربية زمنا على نحو لا يشاركه فيه انسان آخر ..

وحسبنا قبل البحث والدرس أن نقدم شذرات مما حفظها التاريخ لنا عن هذا الكتاب القيم ؛ يقال ان أبا الفرج أهدى نسخة كتابه الاغانى الى سيف الدولة بن حمدان فكافأه سيف الدولة عنها بألف دينار ، وبلغ ذلك الصاحب بن عباد فقال : « لقد قصر سيف الدولة ، وأنه ليستحق أضعافها اذ كان مشحونا بالمحاسن المنتخبة والفقر الغريبة .

فهو للزاهد فكاهة وللعالم مادة وزيادة وللكاتب والمتأدب بضاعة وتجارة .. ولقد اشتملت خزانتى على مائة ألف وسبعة عشر ألف جزء مجلد ما فيها سميرى غيره ، ولقد عنيت بامتحانه فى أخبار العرب وغيرهم .. ففاز بالسبق فى جمعه وحسن وضعه وتأليفه » .

وابن خلكان يحكى أن الصاحب بن عباد كان يستصحب فى أسفاره حمل ثلاثين جملا من كتب الأدب فلما وصل اليه كتاب الأغانى لم يكن بعد ذلك يستصحب غيره لاستغنائه به عما سواه .



ويقول ابو القاسم عبد العزيز يوسف كاتب عضد الدولة لم يكن كتاب الاغاني يفارق عضد الدولة في سفره ولا حضره .

ويقول ياقوت الحموي : ولعمري ان هذا الكتاب جم الفوائد عظيم العلم جامع بين الجد والبحث والهزل اللحت ومن ادراك قيمة هذا الكتاب . رغب بل تسابق القادرون من اهل العلم والحكام في اقتنائه ونسخه .

يقول ياقوت الحموي : قرأت على ظهر جزء من نسخة لكتاب الاغاني لابي فرج : حدث ابن عروس الموصلي وكان المترسل بين عز الدولة وبين ابي تغلب بن ناصر الدولة وكان يخلف ابا تغلب بالحضرة قال : كتب ابو تغلب وامر بابتياع كتاب الاغاني لابي الفرج الاصبهاني . فابتعته بعشرة آلاف درهم . فلما حملته اليه وقف عليه ورأى عظمة وجلالة ما حوى قال : لقد ظلم وراقه المسكين وانه ليساوي عندي عشرة الاف دينار .

ولو فقد لما قدرت عليه الملوك الا بالرغائب .. وامر ان تكتب له نسخة اخرى يخلد عليها اسمه .

ويروي صاحب نفح الطيب ان الحكم المستنصر احد خلفاء بني امية بالاندلس بعث في كتاب الاغاني الى مصنفه ابي الفرج الاصفهاني . وكان نسبة في بني امية وارسل اليه الف دينار من الذهب العين .

من ابو الفرج الاصفهاني ؟! (١)

الكلام عن المؤلف هنا هو المدخل الهام للتعرف على الكتاب في مادته وطريقته . وهذا الرجل هو : علي ابن الحسين بن محمد بن احمد بن الهيثم بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الله بن مروان بن محمد بن مروان بن الحكيم بن ابي العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الاموي .

(١) راجع في الكلام عنه : معجم الادباء لياقوت . وفيات الاعيان لابن خلكان . عيون التواريخ لابن شاكر. الفهرست لابن النديم . الكامل لابن الاثير . نفح الطيب للمقري . مقدمة ابن خلدون . الجمهرة لابن حزم . المنتظم في تاريخ الامم لابن الجوزي. يتيمة الدهر للثعالبي . كشف الظنون . صاحب الاغاني للدكتور محمد احمد خلف الله . منهج ابي الفرج الاصفهاني في كتاب الاغاني داود سلوم ...

الأغانى

ومن هذه السلسلة نرى أن نسبة ينتهى الى مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية . وقد ولد أبو الفرج سنة ٢٨٤ . وتوفى على أرجح الآراء سنة نيف وستين وثلاثمائة . ويذهب كثرة من الباحثين والدارسين الى انه ولد باصبهان ونشأ وتربى ببغداد ولكن مولده باصبهان ليس موضع اتفاق ... ويعجبنى فى هذا السياق الملاحظة التاريخية الدقيقة العالمة التى قدمها الدكتور محمد احمد خلف الله فى كتابه « صاحب الاغانى » وهى تكشف بوضوح ان اسرتى ابى الفرج من جهة ابيه وأمه كانتا تقيمان بمدينة « سر من رأى » وهناك أخبار تعارض القولان الاسرتين كانتا معا فى اصبهان .

اما لقب الاصبهانى فى اسم الرجل فمرجعه ان ابا الفرج قد ورث هذا اللقب عن الاسرة ، خاصة وان هذا اللقب كان يعرف به عمه وابن عمه وجده وكذلك والده ، ومرجع علاقة الاسرة باصبهان يتبينه الباحث عندما يعرف ان اصبهان كانت من المواطن التى استقر فيها بعض الامويين من نسل الخلفاء عند اضمحلال الدولة وبعد انحلالها، وانها ايضا كانت من المواطن التى لاهلها تعلق بالامويين ومحبة لهم .

اما مدينة « سرمن رأى » فكانت اسرة ابيه من اوائل الاسر التى عمرتها ، وكان يحيى بن محمد بن ثوابه جد ابى الفرج لامه واحدا من الكتاب بها ، وهكذا كانت اسرتا الاب والام معا فى « سرمن رأى » وقد جاءت اسرة الاب من اصبهان ، ولكن اسرة الام جاءت من قرية النيل التى ذكرها البحترى فى هجائه لآل ثوابة . وفى « سرمن رأى » كانت المصاهرة وكان ميلاد ابى الفرج ...

ولا عجب فى ان المولود الجديد « بسرمن رأى » يكون مؤرخ الغناء فى كتابه الاغانى فقد كانت هذه المدينة تزخر بحركة غنائية شديدة حتى كان الناس بها احزابا فى هوى الغناء وأهله فمنهم من يتعصب « لعريب » ومنهم من يفضل «شارية» ولكن الغناء فى عصر ابى الفرج كان قد تحول مع الخلفاء والوزراء والكتاب الى بغداد .

اما موطن النشأة والتربية الاولى فكان الكوفة ، وفيها كان محمد بن الحسين الكندى خطيب مسجد القادسية كما يصفه ابو الفرج فى كتابه الاغانى مؤدبا ومعلما له، ومما تنبغى العناية بالاشارة اليه هنا

ان كتاب ابى الفرج مقاتل الطالبيين، انما يعتمد على ثقافته الكوفيه، وابو الفرج يأخذ فيه عن شيوخ الكوفيين من امثال أحمد بن محمد بن سعيد الهمذانى، ومحمد بن الحسين الكندى وعلى بن العباس المقانعى ، والبلخى وغيرهم ٠

واذا عرفنـــــا ان ابا الفرج قد اخرج كتابه « مقاتل الطالبيين » سنة ٣١٣هـ كما ينص هو فى مقدمتـــه ، عرفنا ان تحوله عن الكـــوفه الى بغداد ربما كان بعد ذلك وربما كان بين سنة ٣٠٠ وسنة ٣١٣ كما يستفاد من سياق اخر ، ولا عجب ان نجد هـــذا الاموى يؤلف عن الطالبيين كتابه ويتعـــاطف معهم ٠ لان الحب نشـــا بين الامـــويين والطالبيين بفعل المحن السياسية التى جمعت بينهما فيها كراهية العبـــاسيين ومظالمهم للاسرتين ٠ مع ملاحظة ان ابا الفرج كان قد ورث تشيعه عن اسرته لامه تلك الاسرة التى نالها الاضطهـــاد لتشيعها ، وعلى اية حال فان التشيعه ليس تشيع العقائدى المناضـــل بل تشيع الميل المـــوروث فى اسرة ابيه والهوى الغالب فى اسرة امه، وسوف تعلم من خلائق شـــخصيته انه كان صاحب اهتمامات وخلائـــق لا يتوقف صاحبها لمذهب عقائـــدى يتوفر عليه ويعمل له ٠

وينبغى الا يغيب عن الذهـــن هنا ان الكوفة كانت انذاك بيئة المجـــان والخلعاء من المغنين والشـــعراء ، وان الغناء قد اســـتقر بها قبل ان يستقر ببغـــداد ، والكوفه قامت فى موقع تلم به الاديرة من كل جانب ٠ ومن ثم كان الخمـــارون والخمـــارات وما الى ذلك من لهو وعبث وزندقة، وقد عنى اسحاق الموصلى فى كتابه عن الموسيقى بأحاديث قيان الحجـــاز والكوفه ، وكان عمر بن ابى ربيعه يلم بها ليسمع غناء جاريتين محسنتين فى الغناء ، والقصد من توضيح هذه الناحية عن بيئة الكوفة القول بان ابا الفرج قد تأثر بهذه البيئة تأثرا كبيرا فيما يتصل بالمجانة والعنـــاية بفن الغناء ٠

اما حياته ببغـــداد فالدلائل كما يشير هو فى الاغانى انها كانت بعد سنة ثلاثمائه حيث يقول فى ترجمته لابى شراعه : « وابو فياض بن ابى شراعة احـــد الشـــعراء والرواة قدم علينا بمدينة السلام بعد سنة ثلاثمائة فكتب عنه اصحابنا ٠٠٠ ولقيتى فلم القه ٠٠٠ » وكما سبق القول لعل الرحلة اليها بعد سنة ٣١٣ او قبلها٠

والى جانب الحياة العلمية المتنوعة ببغداد التي امدت ابا الفرج بثقافة واسعة تأخذ من كل فن بطرف حيث نراه يتردد على شيوخ المحدثين واللغويين والكتاب والشعراء والاخباريين والوراقين يهمنا بصفة خاصة النص على انه تأثر كثيرا بما يجري في مدارس المغنين والندماء والجلساء ، واى مدارس تلك التي تأثر بها ، انها ساحات الدور والقصور لدى الخلفاء ، والوزراء والاثرياء ، وكذلك بيوت

الأغاني

من اتخذ تربية المغنين والمغنيات والقيان صناعة وتجارة اوقفا وهواية وصاحب الاغاني يروى لنا طرفا من ذلك في مواطن شتى .

من هذه الصلة الوثيقة لابي الفرج بفن الغناء وما يتصل به من لهو ومتعة كانت ثقافته الموسيقية الواسعة وكانت عنايته بالتأليف عن الغناء والمغنين وكان من أعظم ثماره في هذا السبيل كتابه الاغاني .

لمحات من سماته النفسية والاخلاقية

ان التيارات الخلقية التي تحيط بحياة أبي الفرج توضح لنا انه لم يكن متدينا وانه كان مختلطا بحياة أستاذه وصديقه جحظة ، والوزير ابو محمد المهلبي ، وكذلك القاضي الاينجي والقاضي والتنوخي ،وهم في جملتهم يحيون حياتين : حياة ظاهرة للناس فيها الجد والعفاف وحياة مستورة عامرة بالفسق والفجور ، وكان ابو الفرج من اولئك الذين يتخلعون ويتهتكون ، من اولئك الذين يشغفون بالخمر وبالغلمان وله في الاغاني حكايات عن هواه باللهو والشراب .

وابو الفرج الى جانب هذا الخلق سريع الغضب يغضب لاتفه الاشياء ، ويضيق بأيسر الامور ، وهذا المزاج ربما يقبل من اصحاب التبعات الفكرية الثقيلة حيث تكون لهم حساسية خاصة لا يدركها من حولهم ، ولكن الذى لا يعذر فيه هو انه بذيء اللسان هجاء شديد الفحش اذا رغب في ذلك ، لدرجة ان الوزير المهلبي الح عليه في ساعة لهو وشراب ان يهجوه ، وأبو الفرج يمتنع واخيرا استجاب فقال جملة واحدة شديدة البذاءة والفحش طلب اليه المهلبي وهو مخصور ان يكف والا فان الفرقة واقعة بينهما لا محالة .

ولم يكن أبو الفرج حسن المظهر بل كان اكولا لا يغسل ثيابه حتى تونه على البلى ، فيما يروى عنه، والعجيب انالوزير المهلبي وهو شديد

المبالغة فى النظافة والتأنق الى المدى الذى كان يأكل بالملعقة على المائدة مرة واحدة ثم يدفع بها الى غلام يجاوره ويأخذ غيرها انيقة نظيفه ، ومع ذلك فان ابا الفرج كان جليسه

بل نديمه الذى استولى عليه . وكان الوزير يحبه ويطيق كل خلائقه ، ولكن هذه العلاقات الحميمة وثراء

البيئة الفنية والخلقية كانت من اكبر الدوافع والحوافز التى جعلت أبا الفرج يؤلف كتابه الاغانى وجعلته

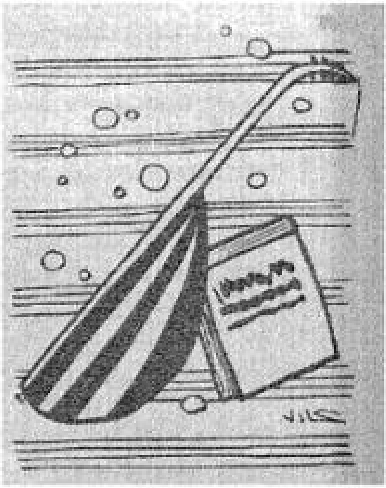
أيضا خبيرا بحياة المجانة فيما

يرويه ويحكيه ويعلق عليه فى هذا الكتاب .

الكتاب ونظرات حوله

(١) موضوع الكتاب

يؤرخ هذا الكتاب عن طريق



الرواية وحشد الاخبار للشعر العربى الذى غناه المغنون قديما وحديثا مع العناية بنسبة كل شعر الى صاحبه

وصانع لحنه وبيان طريقته من الإيقاع والاصبع الذى نسب اليه لون الطريقة ونوع الصوت ، وما يتصل بذلك كله من اشتراك المغنين .

واساس الغناء المختار هو المائة صوت التىاختارها ابراهيم الموصلى

للخليفة هارون الرشيد ، وزاد أبو الفرج من باب الاستطراد فى العرض

غيرها مما ليس منها منبها الى ذلك، واهتم أبو الفرج فى كل ذلك بذكر

الاصوات وما عرض لها ، وشرح

ابعادها شرحا يعتمد فيه على الاصطلاح الفنى المعروف فى عصره

بما يدل دلالة واضحة على ان ابا

الفرج متبحر فى دراسة أصوات الموسيقى عالم بطرائقها القديمة والحديثة .

ثم حشد تبعا لذكر الاصوات كل مايتصل بأخبار المغنين والشعراء

والملوك والسوقة دون الوقوف عند

ابعاد الموسيقى والغناء ، ولذا جاء

كتابة حافلا بأخبار الشعراء والادباء والكتاب والوزراء والعلماء والسوقة،

موضحا من خلال الاخبار المتنوعة

ابعاد العبرات الاجتماعية والسياسية والثقافية على كل مستوى ارتفع او هبط .

ولذا كان كتاب الاغانى موسوعة فى اخبار الادب العربى ، والحياة

العربية ، وان كان الباحث دائمـــا يتحرى الصواب فيما يأخذ ويدع ، ولكن ابا الفرج امده بالاخبـار كلها حتى ما كان يراه هو نفسه مكذوبـا وذلك في جملته يهدى الباحث ويغير له ، وان كان احيـــانا يجعل تبعته ثقيلة ومهمته في التحرى والتدقيق والتحليل شاقة ٠

واساس التقسيم عند ابى الفرج يقوم على الاصـــوات وليس على الاشـــخاص ولكنه بعد الكلام عن الاصوات يتبع ذلك اخبار الشـــاعر

الأغاني

الذى قال الشعر والمغنى الذى غنى الصوت او اللحن المختار دون قاعدة فنية او تاريخية في عرض وتصنيف الغناء او الاصوات ٠

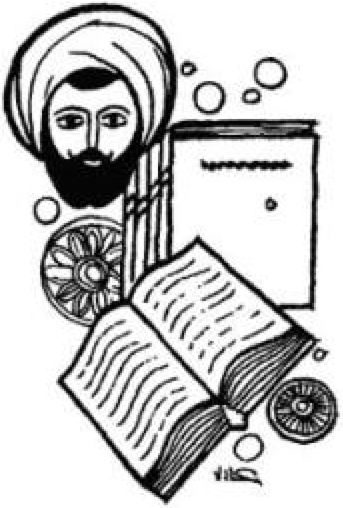
وابو الفرج يدرك منذ البدايـــة منزعه في ترتيب الكتـاب وانه على غير قاعدة فنية او تاريخية ، ويشرح هذا المسلك ويدافع عنه حيث يقول : « ولعل من يتصفح ذلك ينكر تركنا تصنيفه ابوابا على طرائق الغنـاء او على طبقات المغنين في ازمـــانهم ومراتبهـــم او على ما غنى به من شعر شاعر والباحث على ما نحوناه علل »٠

واخذ في تعداد بعضها، واهمها :

أن الاصوات المختارة كان شعراؤها من المتأخـــرين وحينئذ فلا مفهـوم للعرض التاريخى الذى يحفظ للسابق سبقه ، ومنها أن الاغانى قلما يأتى منها شيء ليس فيه اشـــتراك بين المغنين في طرائـــق مختلفة لا يمكن معها ترتيبها على الطرائق او الاسس الفنية ، وهو يرى في الوقت نفســه لو أنه التزم اخبار الصوت الواحد وما غنى فيــه ومــا يتعلـــق به من اخبار لطال الموقف وســـئم منه القارىء ، وكذلك لو وقف عند جميع ما غنى به من شعر الشاعر الواحـد في السياق الواحد ، أو كما تقـــول عبارته : « فلو اتينا بما غنى به من شعر شاعر منهم ولم نتجاوزه حتى نفـــرغ منه لجــــرى هـــــذا المجـــرى ، وكانت للنفس عنـــه نبـوة ، وللقلب منه ملة وفى طبـــع البشر محبة الانتقـــال من شيء الى شيء ٠٠٠ واذا كان هذا هكذا فما رتبناه احلى واحسن ليكون القـــارىء له بانتقـــاله من خبر الى غيره ومن قصة الى سواها ومن اخبـار قديمة الى محدثة ومليك الى ســوقة وجد الى هزل انشط لقراءته واشهى لتصفح فنونه لا سيما والذى ضمناه اياه احسن جنسه وصفو ما ألف في بابه ولباب ما جمع في معناه »٠

(٢) علاقة الكتاب بمكان وصـــلات مؤلفه في مجتمعه

يحدد ابو الفـــرج الباحث له على



تأليف هذا الكتاب فيقول : « والذي بعثني على تأليفه أن رئيسا من رؤسائنا كلفني جمعه ، وعرفني أن الكتاب المنسوب الى اسحاق مدفوع أن يكون من تأليفه وهو مع ذلك قليل الفائدة .. » ويروي أبو الفرج في ذلك أسانيد وروايات تؤكد أن الكتاب المنسوب الى اسحاق الموصلي ليس له .

ويبدو هنا أمران . أولهما : أن الوزير المهلبي هو ذلك الرئيس الذي طلب الى أبي الفرج تأليف ذلك الكتاب فاذا أضيف الى ذلك عناية أبي الفرج بذكر أخبار المجانة والاسراف فيها فان ذلك بغير شك مما يرضي ذوق المهلبي ومزاجه ، وكذلك أذواق أصحاب أبي الفرج من بطانة المهلبي كالقاضي الايذجي والقاضي التنوخي ، وهو في الوقت نفسه يرضي أذواق الطبقة المترفة التي دانت بحياة اللهو والمتعة وهكذا تكشف لنا مادة الكتاب صلته بمزاج مؤلفه ومزاج من يحجزونه عنه ويثيبونه عليه ، وتلك ظاهرة لا يخلو منها عصر من العصور .

وثاني الأمرين : أن نوع المادة وطريقة عرضها يوضحان طبيعة المزاج الثقافي والعلمي الذي غلب على شخصية أبي الفرج وهي شخصية الرواي وليست المؤرخ . الراوي الذي يجمع لك ما يتصل بالموقف أو الشخص أو المناسبة ، وهو يقص عليك كل ما قيل حتى لو كان يرى أو يعتقد كذب ما يرويه وقد ينبهك اليه أو يقيم الدليل على فساده ، ولكنه في النهاية يذكر لك كل شيء لتعرف وتمحص وتختار ولتكون على علم بكل مكتوب على الموقف أو المناسبة أو الشخص ، وهذه الظاهرة ظاهرة الرواية والتجميع تدلنا على المزاج العلمي واللون الثقافي الغالب على شخصية أبي الفرج .

(٣) ابرز الملاحظات حول الكتاب

(أ) ــ لقد نص أبو الفرج عندما حدثنا عن الأسباب التي جعلته يعرض الكتاب على أساس الأصوات دون أساس فني في التقديم والتأخير ودون أساس تاريخي بالنسبة للشعراء والمغنين ــ على أن ذلك أنسب وأيسر وأشهى للقارىء حتى لا يسأم الاطالة وكثرة الحشو في الكلام عن الشخص الواحد أو الصوت الواحد .

ويلزم من هذا بالضرورة ان أبا الفرج يعرض حياة الاشخاص فى مناسبات مبعثرة فهو يجزىء ما يروى عن الشخص الواحد لان الشاعر الواحد قد يؤخذ من شعره اكثر من قطعة للغناء واكثر من صوت ، وما دامت الاصوات هى الاساس فى العرض فان أبا الفرج بالضرورة سيذكر مع كل صوت ما يلائمه من الاخبار ولذا نراه ترجم لبعض

الأغانى

الشعراء فى اكثر من مناسبة واكثر من موضع

ويلزم من هذا العيب التكرار بالضرورة لان الصوت الواحد تتصل اخباره بكثير من المغنين والشعراء والامراء وغيرهم ، وبالتالى فان أبا الفرج يعود الى الكلام عن الشخص او الموقف كلما جاءت مناسبة مع كل صوت .

(ب) هناك ملاحظة تتصل بطبيعة المادة التى قصها ابو الفرج وهذا أمر يكثر الحديث حوله والتعليق عليه بل التمسك به عند ارادة اهدار قيمة الرواية او الخبر الذى يقدمه ابو الفرج ، وهذه مسألة تحتاج الى تفصيل وتركيز :

اولا : يبدو ابو الفرج أمام القارىء - لا سيما المحقق للاخبار والناقد لها والمؤرخ على نحو خاص - وهو يجمع بين الغث والسمين والصادق والكاذب . والحق ان المسألة كما سبقت الاشارة اليها راجعة عنده الى انه حريص على ان يذكر كل ما قيل ولو كان باطلا ويجمع ما ذكر ولو كان كذبا ، وهو كثيرا ما يورد الخبر ولا يصدقه ويرويه ويرده ، وكثيرا ما يدل على ما يناقضه او ينقضه ، ولكنه من وجهة نظر تاريخية يجمع للقارىء كل ما قيل حقا كان او باطلا ، وكأنما يرى ان هذا مفيد لمن يدرس تواريخ الامم فى عاداتها وافكارها ولمن يدرس الحياة الفكرية والاخلاقية والاجتماعية لان الكذب والتزوير فيما يحكى ويقال يحمل امارات وسمات ودلالات لا تفلت من يد المؤرخ الذى يعنى برصد الملابسات والدلالات المتشعبة حول الموقف او الحادثة ،

فهذه الظاهرة عنده مع انها غير محمودة من جانب الا انها ذات دلالة وفائدة من جانب اخر لان المادة التى يقصها تصور كل شىء حقا كان او باطلا حول الخبر الموقف او الشخص فتكشف عن حظه مما كان ومما قيل .

ثانيا : ولع من ولع ابي الفرج بالحرص على تسجيل كل ما يتعلق بالخبر من روايات واخبار وتعليقات انه نقلب الى النساخ اكمال او اثبات ما وصل اليهم ان لم يكن قد وصل اليه ، وهو في ذلك حريص على دعم مادة الكتاب طبقا لمنهجه وخطته ولكن خطر هذه الفكرة انه ربما تزود النساخ او الخطاؤا عند الاضافة ولم يفطنوا ما يطابق مراده ، وقد يضيفون بغير اشارة منهم الى ان هذا من صنعهم ، ويبدو أن الذي تعرض له الكتاب من هذا القبيل قليل غير مؤثر ٣٠

ثالثا : طبيعة التوثيق عند ابي الفرج وكذلك التعليقات التي يدلي بها حول الخبر او النص تجعل ابا الفرج صاحب منهج في التوثيق والنقد والبصر العلمي بما يقوله ويرويه ·

وهنا نلاحظ جملة امور تلفت نظر القارىء للكتاب : ·

كان ابو الفرج يروي النصوص الشعرية بالفاظها اذا لم تكن غناء فاذا كانت غناء رواها كما غنت حيث كان المغني يغير بعض الكلمات او تغيير له ٣١

كان ابو الفرج اذا نقل من كتاب يحرص على الالفاظ والمعاني ، وفي روايته عن الشيوخ او في روايته خبرا مفردا كان يلتزم نفس القاعدة، وقد راجع عليه الدكتور محمد احمد خلف الله ـ في بحثه القيم « صاحب الاغاني » ـ كثيراً من النصوص المنقولة او المنسوبة الى الشيوخ فوجده يلتزم اللفظ والمعنى، وهو في احايين اخرى كان يذكر الاخبار مختصرة وبالفاظ من عنده، وينص على كمال المعنى وينبه القارىء الى ذلك كله ·

ويتصل بما نحن فيه تعليقات ابي الفرج على خطأ الفكرة او الخبر او الرواية بالدليل التاريخي فضلا عن جانب الثقة بالرواة او الشك فيهم ، وكثيرا ما يعتمد على وسائل البحث والنظر العقلي ، وملابسات العصر والبيئة ، وكل ذلك يدل على انه صاحب بصر بالنقد التاريخي ، وذلك امر ليس بالكثير على رجل اتسعت حياته لهذه الموسوعة الضخمة في تراث العربية فضلا عن غيرها من المؤلفات الاخرى ·

وكثيرا ما يعتمد في النقد التاريخي على الدراسة الفنية وهذا موقف لا يستغرب من اديب تواقة اذ الاعتماد عليه في اثبات الخبر او النص او رده تقوم يحسب له في ميزان البصر الفني والتحليل التاريخي ايضا ولكن كل هذه السمات لا تنقل الرجل من مصاف الرواة الى مصاف المؤرخين بل هي حلة يضاف اليه ويعرف به مكانه بين الرواة ·

■ فاروق خورشيد ■

ألف ليلة وليلة

وألف اتجاه واتجاه

كتب الناشر (ليونارد ٠ س سمثرز) في مقدمته للطبعة التي قام بنشرها بالانجليزية لالف ليلة وليلة عام ١٨٨٥ ، كتب يقول : « في معالجتي للحصول كاملة من النص مع مراعاة العديد من ملاحظات المترجم الانثروبولوجية، رسخ في ذهني ان هذا الكتاب ليس فقط كتابا كلاسيكيا ، بل هو كتاب علمي وانثروبولوجي ايضا ، وانه لابد ان يحظى باهتمام اكبر من الاهتمام الذي تحظى به مجرد قصة تقرأ للمتعة » ٠

والترجمة التي تحدث عنها الناشر هي ترجمة الكابتن سير (بيرتون) التي تعد اضخم ترجمة ظهرت في الغرب رغم العديد من التراجم التي ظهرت لالف ليلة وليلة ٠ فالترجمة في عشرة اجزاء يليها ملحق في سبعة اجزاء اخرى ٠

والحقيقة ان الملاحظات التي يتحدث عنها الناشر والتي ملأت الكتاب هي تعليقات مطولة تتناول بعض الظواهر الاجتماعية التي دلت عليها قصص الكتاب والتي تعكس واقعا اجتماعيا عاشته البلاد الاسلامية في فترات زمنية بذاتها ٠٠ وهو يلقي الترجمة بفصل طويل عن الادب العربي وعن المعلومات التي ظهرت عن الليالي من خلال دراسات المستشرقين الذين اهتموا بالكتاب قبله والمترجمين الذين تصدوا لتقديم الكتاب الى اللغات الاوربية المتعددة ٠ فالواقع ان هذه الدراسات عرفت طريقها الى الدراسات الفولكلورية والادبية منذ عام ١٧٠٤م حين بدأ (انطوان جالان) في نشر ترجمته الفرنسية لالف ليلة وليلة على اجزاء تتخاطفها الايدي في باريس فور طبعها حتى انتهى منها عام ١٧١٧ م ٠٠ فمنذ ظهرت هذه الترجمة الفرنسية في اوربا والترجمات تتوالى الى كل اللغات الاوربية والناشرون يقبلون على نشر هذه الترجمات التي اعيد طبعها اكثر من مرة لما تلاقي من نجاح شعبي كبير في كل لغة نقلت اليها ٠٠٠

ومع هذا النجاح الذي لاقته الف ليلة وليلة كعمل قصصي شعبي عالمي يجد صداه القوى في الشرق والغرب

على السواء • بدأت الدراسات والتحقيقات العلمية ، وبدأت محاولات الوصول الى اقدم المخطوطات للتعرف على الاصول الاولى للكتاب ، كما بدأ البحث عن المصادر الحقيقية للقصص العديدة المختلفة المنبع والاتجاه في داخل الكتاب ...
وبرزت الى جوار اسم (جالان) اسماء (جوتييه) و (برسفال) و (دولاكروا) مترجمين ومعقبين على الف ليلة وليلة في نصها الفرنسي ، كما برزت أسماء (فون هامر) و (لويل) و (هابتج) و (جريله) و (ليتمان) في الالمانية • و (ليتمان) هو صاحب الترجمة الالمانية الامينة التي لم تعتمد على نسخة (جالان) الفرنسية، وانما اعتمدت على أصل عربي مطبوع في كلكتا ..

اما في الانجليزية فتبرز اسماء (سكوت) و (كورنر) و (لين) و (جون بين) ثم اخيرا (بورتن) الذي وقفنا عند ترجمته في اول هذا المقال • والواقع ان وقوفنا على هذه الترجمة بالذات كان لما ساقه المترجم من تبرير لتعليقات الانثروبولوجية الكثيرة التي ملأ بها ترجمته ، اذ بررها بان الانجليز في امس الحاجة الى معرفة الشرق في حياته الاجتماعية لتسهل عليهم مهمتهم فيه ، ومهمة الانجليز في عام ١٨٨٥ في الشرق كما هو معروف مهمة استعمارية محضة ...

فالمعرفة اذن ليست لذات المعرفة ، والتعليقات العلمية والانثروبولوجية والادبية التي شغلت حيزا كبيرا في هذه الطبعة الفخمة لم تكن لوجه العلم والمعرفة ، وانما كانت خدمة لاهداف استعمارية لم يبخل عليها المترجم بكل الجهد والوقت والمال الذي تتطلبه امثال هذه الدراسة ..
ويقول الدكتور فؤاد حسنين على ص ١٥٥ من كتابه القيم (قصصنا الشعبي) : « هناك نفر من العلماء الاجانب ما كاد يطلع على الترجمة التي نشرها (انطوان جللند) - يقصد ترجمة جالان - عام ١٧٠٤ م حتى ذهب يفترض مختلف الفروض حول هذه القصص ، واخذ يشكك القراء في عبقرية العربي وخياله الخصب ، وهذا ليس بمستبعد على الغربيين ، فقد كانوا في ذلك العصر خاصة يحملون كل ضغينة وحقد للعنصر السامي ، وكانوا يهاجمونه بمختلف الوسائل ، وشق عليهم أن تكون هذه الثروة القصصية في اللغة العربية وثمرة من ثمار الحضارة الإسلامية ..

والدراسات العديدة التي قام بها المستشرقون والتي عرضتها الدكتورة سهير القلماوي في كتابها القيم « الف ليلة وليلة » ، والذي نالت عليه اجازة الدكتوراه ، تؤيد هذا الاتجاه وتثبته بما لا يدع مجالا للشك ، ويقول الدكتور فؤاد حسنين : « اتجه بعض علماء السنسكريتية من الاوروبيين في ذلك الوقت الى القول بأن الف ليلة وليلة ترجمة لقصص هندية ، والهنود آريون فهذه الثروة اذن آرية ... وكان على رأس هذه الجماعة من العلماء (شليجل) و(جولد ميستر)• ثم ظهرت جماعة أخرى من الاوروبيين أيضا ومن المهتمين بالدراسة الهندية امثال (فيبر) و (جراى) و (شربنتيه) وانضم اليهم بعض علماء اللغات السامية امثال (مللر) و (استرب) و (ليتمان) وقرروا رأيا وسطا وهو أن هذه القصص عربية فارسية أو بتعبير آخر سامية آرية .. »
والواقع ان اساءة المؤرخين العرب هي السبب الاصلي الذي استند اليه المستشرقون في محاولة اخراج الف ليلة وليلة من الموروث الاسلامي

ألف ليلة وليلة

الى موروثات الشعوب الاخرى التى ترتبط بسبب او باخر بالشعوب الاوروبية كالهند وفارس وهما من الاسرة الهند ـ اوروبية ، أو بمعنى اخر من الشعوب الارية التى تلتقى مع الشعوب الاوروبية فى النسب فى زعم من قسموا الشعوب طبقا لاسطورة نوح واولاده الثلاثة الذين انحدرت منهم اصول شعوب الارض فقد اورد المسعودى فى مروج الذهب فى الجزء الرابع ان كتابا اسمه الف ليلة وليلة ترجم منذ ايام المأمون او المنصور عن الفارسية . وقد عثر المستشرق (هامر) النمساوى على هذا النص فأقام الدنيا واقعدها عن الاصل الفارسى لالف ليلة وليلة ، وتبعه غيره من المؤرخين والدارسين بحيث أصبح هذا الاصل مسلمة معترفا بها لاتناقش علميا ، وانما الذى يناقش هو مدى تأثير هذا الاصل على الصورة الحالية للكتاب ، ومدى ارتباط هذا الاصل الفارسى بغيره من القصص الهندية والفارسية ...

هذا كله والأصل الفارسى المشار اليه لم يعثر عليه احد ، ولم يظهر لا عند الفرس ولا عند غير الفرس من الشعوب الاخرى ... وانما الذى ظهرت قصص متفرقة تتفق فى روحها العام او فى بعض جزئياتها الاساسية او الفرعية مع واحدة او اكثر من قصص الليالى . أما الف ليلة وليلة كاملة وكما هى . أو هزار افسانه كما قال عنها المسعودى فلم تظهر مخطوطة فارسية حتى الان ... بل ان المستشرق (لين) يذهب الى أن الف ليلة وليلة التى بين أيدينا غير الف ليلة وليلة او هزار افسانة التى ذكرها المسعودى ...

والواقع أن نص المسعودى لا يمكن فهمه الا اذا رجعنا الى نص اخر فى كتاب عربى هام اخر هو الفهرست لابن النديم . فقد ذكر ابن اسحاق النديم الف ليلة وليلة وذكر أيضا كتاب هزار افسانه . وقد أنتبه المستشرقون الى نص ابن النديم ولكنهم لم يستفيدوا منه الا من حيث كونه تعضيدا لنص المسعودى حول الاصل الفارسى لالف ليلة وليلة، رغم أن نص ابن النديم يوضح حقيقة الموقف بالنسبة للكتاب وصورته الفارسية . ثم بالنسبة لما تم حيال الكتاب فى المراحل الاولى لدخوله الى العربية .

يقول محمد بن اسحاق النديم فى صفحة ٤٢٢ من طبعة المطبعة التجارية وفى مستهل المقالة الثامنة من الجزء الثامن من كتابه : « أول من صنف الخرافات ، وجعل لها كتبا ، وأودعها الخزائن ، وجعل بعض ذلك على السنة الحيوان ، الفرس الاول . ثم اغرق فى ذلك ملوك الاشغانية . وهم الطبقة الثالثة من ملوك الفرس . ثم زاد ذلك واتسع فى ايام ملوك الساسانية ، ونقلته العرب الى اللغة العربية . وتناوله الفصحاء والبلغاء فهذبوه ونمقوه . وصنفوا فى معناه ما يشبهه . فأول كتاب عمل فى هذا المعنى : كتاب هزار افسانة . ومعناه الف خرافة ».

ونص ابن النديم واضح فى مصدر

ادب (الخرافات) كادب متكامل ، الفت فيه المؤلفات ، ووضعت في الخزائن ، واهتم بها الملوك ، فعنده ان هذا المصدر هو الفرس ، وان هذا اللون من الادب انما عرفته الحضارة الاسلامية بشكله الواسع المنظم الذي يجعله أدبا قائما بذاته عن طريق دخول الفرس الى الاسلام ، وتحولهم الى الدين الاسلامي ، داخلين فيه بكل موروثاتهم الحضارية القديمة ، وبكل مكونات هذه الحضارة العريقة من علم وفن وادب · فحين دخل الفرس الاسلام اصبحوا جزءا منه يتفاعل مع العرب ليكون ما يسمى بالحضارة الاسلامية · وليس عجيبا أن يتصارع العنصران على سيادة الدولة سياسيا وفكريا وفنيا منذ اللحظات الاولى ، فتصبح قضية الشعوبية من أخطر القضايا التي واجهت الامة الاسلامية وهي في مرحلة هضم مكوناتها لخلق البنيان الواحد ، وليس عجيبا ان تصبح قضية عرب وعجم ، من القضايا التي واجهت الانسان المسلم منذ مطالع التكون الاسلامي الاول ··· فالعرب عرفوا الحضارة الفارسية قبل الاسلام ، واخذوا عنها واستفادوا منها وقلدوها وحاكوا العديد من نتائجها وخاصة في الميدان الاجتماعي والفني ، فاذا ما جاء الاسلام اندمج الشعبان اندماجا كليا ليسهم كل منهما بنصيب في بناء الصرح الجديد المشترك · وليقدموا للعالم شيئا جديدا هو مزيج من جهدهما مع جهود الشعوب الاخرى التي دخلت الاسلام وكونت ما عرفه العالمباسم الحضارة الاسلامية ·

الا أن نص ابن النديم لا يعني ان العرب لم يعرفوا الف ليلة وليلة او هزار افسانة قبل الاسلام ، فليس هناك ما يبرر هذه المسلمة التي أخذ بها المستشرقون دون الوقوف عندها وقفة المناقش المتفحص ، كما أخذ بها الدارسون العرب دون تمهل أو امعان نظر ··· فالعرب أخذوا عن الفرس الكثير من الفاظ الحضارة ، ودخلت الالفاظ الفارسية ذات الاستعمال الاجتماعي والحضاري الى القاموس العربي ، وتعربت وأصبحت الفاظا عربية مستعملة وان عرف أصلها الفارسي ولم ينكر ··· والعرب عرفوا أيضا قبل الاسلام عن طريق الاحتكاك ، والتجارة بل والحروب الكثير من العادات الفارسية والعقائد الفارسية والاساطير الفارسية ·

وهناك نص ذكره ابن هشام في الجزء الاول من السيرة النبوية (ص ٣٠٠) من طبعة الحلبي يقول « وكان النضر بن الحارث من شياطين قريش ، وممن كان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينصب له العداوة ، وكان قد قدم الحيرة ، وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس ، وأحاديث رستم واسبنديار ، فكان اذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا فذكر فيه بالله او حذر قومه · مما أصاب من قبلهم من الامم من نقمة الله · خلفه في مجلسه اذا قام· ثم قال : انا والله يامعشر قريش أحسن حديثا منه ، فهلم الي ، فأنا احدثكم أحسن من حديثه ، ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم واسبنديار ، ثم يقول بماذا محمد أحسن حديثا مني ؟ »

وهذا النص الذي أوردناه من ابن هشام يؤيده نص اخر ذكره الهمداني في كتابه (الوشي المرقوم) يقول : « لم يصل الى أحد خبر من الأخبار

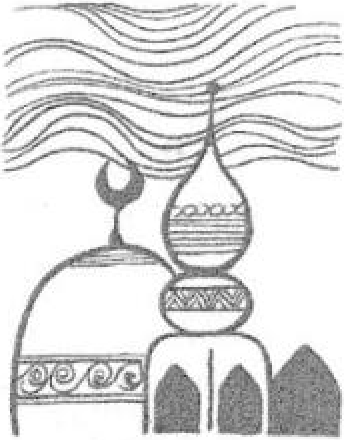
العرب والعجم الا من العرب ، وذلك لان من سكن مكة احاط بعلم العرب ، العاربة واخبار اهل الكتاب ، وكانوا يدخلون البــلاد للتجارات فيعرفون أخبار الناس . وكذلك من ســكن الحيرة وجاور الاعاجم علم اخبارهم وايام حمير وسيرها في البــلاد . وكذلك من سكن الشام خبر بأخبـــار الروم وبني اسرائيل واليونان . ومن وقع بالبحرين وعمان فعنه أتت اخبار السند وفارس . ومن سكن اليمن علم اخبار الامم جميعـا لانه كان في ظل الملوك السيارة » .

بهذا النص يحدد الهمداني مصادر الثقافة العربية المتعددة ، فالعــرب لم يكونوا بمعزل عن الحياة الفكرية للشعوب التي جاورتهم، وبالتالي فان حكايات هذه الشعوب واخبار ملوكها وأبطالهــا وقصص ســمارها لم تكن بعيدة المنال عنهم . وجــزء هام من مصــادر الحكايات عن العرب كانت الحكايات الفارسية ، ومادام العرب قد عرفوا قصص رستم واسبنديار ، فهم قد عرفوا الاساطير الفارسية القديمة وكذلك موروثهم من حكايات وقصص ... وليس من سبب يدعو الى أن تتأخر معرفتهم بألف ليلة أو هــزار انسانة اذا كان الاسسان يلتقيان على كتاب واحد الى ما بعد الاســلام .

فنص الهمداني وكذلك نص ابن هشام يرجحان معرفة العرب بقصص الفرس قبل الاسلام ، اما نص ابن النديم فهو يورد عبارة « ونقلتــه العرب الى اللغة العربية ، وتناوله الفصــحاء والبلغاء فهذبوه ونمقوه ، وصنفوا في معناه ما يشبهه » وهي عبارة صريحة في معرفة العرب القديمة بخرافات الفرس وفي محاكاتهم هذا النوع من الادب ومن تدخلهم في صياغته تهذيبا وتنميقا ، ثم في قدرتهم على هــذا النوع من التاليف . ثم تأتي عبارته التي يقول فيها « فأول كتاب عمل في هذا المعنى : « كتاب هزار انسانة » لتدل على سبق المعرفة القديمة بالكتاب وبالتالي سبق تناوله تهذيبا وتنميقا، وسبق التاليف في معنــاه وفيما يشبهه .

ونحن نريد ان نظل بهذا على أن ترجمة الكتاب لم تتأخر حتى عــصر المنصور اى في القرن الثامن الميلادى كما قال (بران) وكمــا لاحظت الدكتورة سهير القلماوى في تعقيبها على ما قاله بقولها (ولعله يقصــد عصر دخولها الى العربية) فنحن لا نوافق الاستاذ (بران) كما لانوافق الدكتورة سهير القلماوى في تأخــر معرفة العــرب بألف ليلة حتى عصر المنصور ، وانما نحن نذهب الى انه دخل المحفوظ العربي مما نقلــوه عن الاخرين قبل هذا بزمن طويل جدا ، وانه عندما وصل عهد المنصور كان قد تم هضمه عربيا واسلاميا ، بحيث اصبح جزءا من التراث العربي الفكرى والوجداني ، وبذلك جزءا من التراث الاسلامي الحضارى . فابن النــديم ينص على انه اول كتاب عرفه العرب من كتب الاسمار والخرافات ونقلوه عن الفــرس ، ثم هو حين نص على ان العــرب نقلته الى اللغــة العربية لم يحدد زمنا معينا لهذا النقــل ، ثم ان الكتب القديمة نصت على اسماء مترجمي من عاصروهم واسماء الكتب

ألف ليـــلة
ولـيـــلة



التي قاموا بترجمتها من غير العربية من اللغات ، فقد نص اصحاب هذه الكتب على ان ابن المقفع ترجم كليلة ودمنة ، بل ان ابن النديم يقول في (اسماء الكتب التي الفها الفرس) ما نصه : « كتاب رستم واسبنديار ترجمة جبلة بن سالم ، كتاب بهرام شوبين ، ترجمة جبلة بن سالم » .. اما الف ليلة ، او هزار افسانه الذي ذكره ابن النديم او المسعودي فلم ينص احد منهما على اسم مترجمه ،

وهذا يرجح ان الكتاب كان قد ترجم قبل عصريهما بزمن طويل . ويؤيدهذا قول ابن النديم ص ٤٢٣ من الفهرست : « ويحتوى على الف ليلة وعلى دون المائتى سمر ، لان السمر ربما حدث به في عدة ليال ، وقد رأيته بتمامه دفعات . وهو في الحقيقة كتاب غث بارد الحديث ». فما دام ابن اسحاق النديم قد رآه كاملا وقرأه بل وحكم عليه هذا الحكم القاسي ، فلا بد ان الكتاب كان قد اكتمل في صورة من صوره ، وتم فيه ما تم في غيره من كتب الاسمار أي « نقله العرب الى اللغة العربية ، وتناوله الفصحاء والبلغاء فهذبوه ونمقوه » . واصبح الكتاب كاملا تتداوله الايدى ومع هذا فليس أحد يعرف من صنعه ولا من ترجمه ولا من أضاف اليه او نمقه ... لكن ظل غدا كتابا شعبيا متداولا يدخل في عداد التراث الشعبي ويعبر عن الروح الشعبية وتنطبق عليه قواعد كتب الفولكلور المعروفة من انها مجهولة المؤلف ضائعة النسب ويحق عليها من حيث مستوى حكم رجال البلاغة والادب وقواعد الكتابة قول ابن النديم « وهو بالحقيقة كتاب غث بارد الحديث » .

فالف ليلة وليلة لكن يكاد يكون الكتاب الشعبي الاول الذى جمع محفوظات الشعب العربي من الاسمار والخرافات أو من القصص . وهذه المحفوظات جاءت اما من موروثهم القديم في العصر الجاهلي وما سبقه واما من كل ما نقل اليهم من ماثورات الشعوب التي عرفوها واحتكوا بها كشعوب الهند وفارس واليونان ومصر وغيرها .

وهذا النحو في الاستفادة من كل الأثور القصصي في بناء الاعمال القصصية الجديدة نحو مألوف ، مفهوم فالقصة موروث انساني ، يجد فيه الانسان نفسه وتجاربه واشواقه ايا كان مؤلفها الاصلي أو ايا كان موطن تاليفها الاصلي ، ولعلها بهذا أسرع الاعمال الفنية ذوبانا في ضمائر المتلقين ، واكثرها قدرة على ان تتلاءم في كل بيئة جديدة تنزلها مع طبيعة هذه البيئة وروحها ، لتصدر معبرة عنها هي قدر ما عبرت عن بيئتها الاولى التي نشأت فيها .

وهذه الحقيقة اساس لعمل عالم الفولكلور ، فهو يحاول من خلال النص الموجود امامه أن يستخرج الاثار البيئات الاجتماعية والجغرافية

والتاريخية التي تظهر في النص او التي تركت بصماتها على النص .

والف ليلة وليلة تحمل بصمات هندية وفارسية ويونانية وفرعونية وعربية قديمة . كما تحمل ايضا بصمات بيئات جديدة تكونت بعد الاسلام في مصر والعراق والشام ، وذلك في الاجزاء التي يسميها المستشرقون بالاجزاء المصرية أو البغدادية .

فتاليف القصص اعتمادا على كل ما وصل القاص من ماثورات عمل طبيعي ومعروف ، واعتمادالكاتب على كل ما سبقه من تراث شيء شائع لا يحتاج الى كل هذا العناء فيمحاولة نسبة الكتاب مرة الى الهند ومرة الى فارس ، ثم مرات عديدة الى غيرهما من الشعوب ليمكن لمستشرق أو لاخر أن ينزع الكتاب من مكانه في الموروث الحضاري العربي ليدخله في موروث شعب آخر .

والاستدلال على بعد الزمن بمعرفة العرب لالف ليلة وليلة والذي اعتماده على نص ابن النديم ينفي ما تواضع عليه المستشرقون من اعتبار الكتاب من نتاج العصر العباسي ، وينفي ايضا القضية التي اقام عليها (فون جرونيباوم) احكامه علىالف ليلة في كتابه (حضارة الاسلام) من ترجمة الاستاذ عبد العزيزجاويد ، حيث يقول في ص ٣٧٢ « تطورت المجموعة الضخمة من الحكايات والخرافات المعروفة بالف ليلة وليلة في اصقاع مختلفة من العالم الناطق بالعربية بين قرابة ٩٠٠ م و ١٥٠٠ م . وتطمس اللغة واللون المحلي معالم العنصر الاجنبي للشطر الاكبر من مادة الكتاب طمسا فعليا » .

فالكتاب قد بدأت معرفة العرب له قبل هذا كما قلنا ، كما ان العنصر الاجنبي امتص وتمثل وتم هضمه ولم يعد الا مجرد اشاراتلمصادره الاصلية ربما في الكتاب خلق عربي جديد ، امتلأ بالروح العربي واصبح تعبيرا عن الوجود الحضاري العربي الذي امتدت له يد الاسلام بعد هذا فلونته بلونها ومنحته فلسفتها ورؤيتها . ولكن هذا التطور الفني والاجتماعي والتاريخي الطبيعي لا يرضي الاستاذ (جرو نيباوم)فهو يستمر في حديثه عن الكتاب قائلا : « ان روح الاسلام راحت تشيع فيحكايات يهودية الاصل أو بوذية أو هلينستية ، وحلت النظم الاسلامية والآداب الاسلامية والعلوم الاسلامية في هدوء محل الاوضاع الثقافية للمادة الاصلية ، واضفت على الكتاب تلك الوحدة في الجو التي هي من أبرز ما تتسم به الحضارة الاسلامية من خصائص ، والتي تمنع المشاهد لا محالة من ان يلحظ لاول وهلة ذلك التجميع المرقش للعناصر غير المتجانسة التي تتركب منها تلك الحضارة » .

وعلى الرغم مما في عبارة (جرونيباوم) من سم تقطر به الكلمات والحروف الا أن الحقائق لا يمكن تغييرها أو انكارها . فماذا كانت تكون الف ليلة وليلة ان لم يعمل فيها العقل العربي المبدع ، والوجدان الاسلامي الخلاق ؟ لا تحسب الا انها

كانت ستصبح شيئًا اخر غير الف ليلة ، شيئًا نعرفه موجوداً في البقايا الفولكلورية لبعض الشعوب التي لم تجد من يحفظ المعنى الانساني الشامل فيها ليجعل منها تقفة حضارية واضحة

ان المستشرق (جروتيباوم) يجهد نفسه في فصل بعنوان (يونان في الف ليلة) ليثبت ان هناك الكثير من الآثرات الهلينستية فيها . والمجهود متعسف ومضنٍ . والحكايات الهلينستيني يشاره فيها غيره من بقــــايا لحكايات من الموروث الهارنيستيني يشارة فيها غيره من الموروثات العالمية القديمـة الاخرى ، بل يلغ به الامر الى حد اعتبار مجرد تشابه الفكرة دليلا على الاصـل الهليني للحكاية العربية المشابهة لها ، فيقول عن رحلات السندباد في ص ٣٧٨ : « ان الفكرة مهما تكن منطقة اختراعها كان اول ظهور ادبي لها في اللغة الاغريقية ، ثم تناولها القاص الشرقي فتوسع فيها واعطاها شكلا غير الشكل الذى اعطاها اياه المؤلف الكلاسيكي » .

والفكرة في السندباد هي الرحلة الى المجهول دائما ، والغربة من رحلة الى رحلة ، وهذه الفكرة ليست وقفا على الاغريق فقد سبقهم اليهـــا المصريون القدماء وامتلأت بهـــا قصصهم . والواقع ان التفـــات الدارسين الى الاصول الفرعونية لالف ليلة وليلة التفات غير جاد ،فلا نكاد نجـد الا (نولدكه) الذى يلتفت الى ان قصص الشطار والسحر فيها اصول فرعونية ، رغم أن نظـرة سريعة الى ما قدمه الاستاذ سليم حسن في كتابه الادب المصري القديم من نماذج قصصية يؤكد وجود تأثيرات واضحة في الف ليلة وليلة بالكثير من الافـكار بل والحوادث التي وردت في هـــذه القصص . ولكن اصرار (جروتيباوم) وغيره من المستشرقين على البحث عن أصول اغريقيـة في الف ليلة وليلة مرجعه في الحقيقة الى موقف يتخذونه من الحضارة الاسلامية كلها بوجـه عام . وهذا الموقف يتلخص في عدة نقاط :

الاولى : ان الحضارة الاسلامية لم تقدم جديدا للانسانية بل هي اقتصرت على القيام بدور الناقل للحضـارات القديمة دون اضافة جوهرية ، هناك تغيير في الشـكل حقا ولكن هـذا التغيير لا يعتبر اضافة حضارية ، بل قد يعتبر معوقا حضـاريا ويقـول (جروتيباوم) في تحديد واضح(ص ١٠٥) « اجتمعت عناصر هنـدية وفارسية ويهـودية ويونانية وبابلية ومصرية فضلا عن عناصر عربيـة أصيلة،فاصبحت كلا واحدا على أيدى أساتذة مجهولين يرجع اليوم الفضل في تلك الجزالة الهائلة التي ينطوى عليها مجموع الف ليلة وليلة. وراعت اللغة العربية من حيث الظاهر ، والروح الاسلامي من حيث الداخل توحيد هذه الخطوط المتعددة وتتولي حبكها لبساط فاتن يخطف الابصار . وان الف ليلة في تآليفها بين كل ما هو مختلف وكل ما هو متفاوت لاشبه الاشياء بمثال مصغر للحضارة الاسلامية بوجـه الاجمال » .

المسألة الان ان الجهود التي اتسمت بانها جهود علمية مخلصة ، انما هي تحاول عن طريق المنهج العلمي انكار كل الاضافات التي قدمتها الحضارة العربية والاسلامية الشامخة للبشرية عن طريق العطـاء الفني والوجداني الذى يعبر عن الانسان بواسـطة الكلمة . فلماذا اضـفنا الى هذه القضية مجموع القضايا التي اطلقها المستشرقون على الادب العربي الرسمـي والذى تجعل منه ادبا شكليا ، يهتم بالتفاصيل ولا يستطيع النظرة الشمولية التي هي الوسيلة الاولى للابداع الحق

اكتملت لنا صورة تلمر علمن استمد أسبابه من المواقف التعصبية العرقية والدينية على السواء ٠

والحقيقة ان كل الحضارات تقوم على هـــذه العناصر المتباينة التى ترثها عن الحضـــارات المنهارة التى سبقتها والتى تأتى هى لتحل محلها فى قيـــادة التقدم البشرى ، ولكن الحضارات الجديرة بهذا الاســم لا تقوم بالتوفيق بين هذه العناصر ، وانما هى تقوم بهضم هذه العناصر وتمثلها وافرازها عطاء جـــديدا متميزا ، يضيف اليها عنصر الزمن الجـــديد الذى هو امتداد لعصـــر الحضارات القديمة ، كما تضـــيف اليها روح الانســـان الجديد الذى تمكن من قهر الحضـــارات القديمة التى لم تعد البشرية تحتاجها والتى اقتلت عليها بحكم عناصر الاختيار الطبيعى هذه الحضـــارة الجديدة الوالـــدة ٠ الا ان الموقف كما نقول موقف تعصـــبى لبس الثوب العلمى وهو يذكرنا بقول (آرنولدتوينبى) فى كتابه (الحضارة فى الميزان ص٣٩) من الترجمة العربية : « منذ قرون طويلة كان اسلافنا يرون فى الاسلام خطرا مخيفا يتهددهم قبل أن يسمع الناس بالشـــيوعية ٠ ففى القرن الســـادس عشر وهو الزمن القريب منا نسبيا ، كان الاسلام يبعث فى قلوب الغرب من الهوس ما تبعثه الشيوعية فى القرن العشرين ٠ وهذا يرجع فى جوهره الى اســـباب واحدة ٠ ذلك ان الاسلام كان يعتبر كالشيوعية ــ حركة مناهضة للغرب وبدعة دينية مخـــالفة لديانة الغرب فى الوقت نفسه ٠ وكان الاســـلام يستخدم ــ كالشيوعية ــ ســـلاحا روحيا لا يمكن مقاومته بالاســـلحة المادية » ٠

والثانية من هذه النقـــاط ان الانســـــان العربى ــ فى زعـــم « جروفنبـــاوم » ــ غير قـــادر على الابداع وعلى هذا فكل ما هو ابداع من تراثه لا بد من ارجـــاعه الى عناصر أخرى تنتسب الى حضـــارات اقامتهـا اجناس اكثر امتيازا ٠٠٠ والواقع ان هذا الاتجاه قد رسب فى اذهان المستشرقين واقاموا دراساتهم وبحوثهم فى الشـــعر والادب على اساسه ، وقد ســـاعدهم على هذا موقف رجال الدين المنغلق على ذاته والمســـطح فى نظرته الى الامور ، هذا الموقف الذى طبق المعـــايير الاخلاقية الصـــــارمة على الفن فاستنكر وانكر كل ماهو خـــروج على القواعد المناسبة للمعنى الخلقى الجامـــد الذى تصـــوروا أن الدين يفرضـــه ، وهذا الموقف فى الحقيقة تسبب فى انهيار الحضارة الرومانية بعد دخولها المســـيحية وبعد تمكن رجال الدين من فرض ســـيطرتهم الكهنوتية والكنســـية على الفكـــر والفن ، ولعله أيضا تسبب ــ حين بعدت الشقة الزمنية بظهور الاسـلام وفهم روحه الاولى ــ فى تحـــكم اصحاب العقليات الغبية غير الفاهمة او القادرة على الخلق فى عصور تخلف الحضارة الاسلامية على السيطرة على الفكر والفن باسم الدين ٠ وهذه العقلية هى التى اجازت كل ما هو مسطح من انتاج فنى ، وهى نفسها التى رفضت كل ما هو خـــلاق وابداعى فى انتـــاج الفكر والعقل الاســـلامى ، فادت لا الى تغيير صورة الحضارة الاسلامية وحسب ، بل ادت ان اصـــــبح الدين الاسلامى معوقا حضـــاريا بعد ان

ألف لــيــلة
ولــيــلة

كان هو الدافع الحضارى الجديد والخطير الذى خرج به العرب من الجزيرة العربية ليقيموا اعظم حضارة شهدتها القرون الوسطى واستمرت الى مطالع ظهور الحضارة الغربية ...

هذه العقلية هى التى حكم بها المستشرقون على العقل العربى ، رغم ان اصحابها ليسوا بالضرورة من العرب ، بل ليسوا فى الحقيقة ممثلين حقيقيين للعقلية الاسلامية التى امتصت ما سبقها من حضارات بصدر رحب واسع واضافت اليها البعد الاسلامى الروحى الذى يتحدث عنه توينبى فى الفقرة التى نقلناها عنه . وهذه العقلية وسيادتها الفردة وسيادة احكامها على الفن ، سهلت على المستشرقين ان يرجعوا كل اشراق الى غير العرب حتى ليقول (ليتمان) عن الف ليلة فيما نقلته عنه الدكتوره سهير القلماوى (ص ٢٣) : « ان القصص التى يقل فيها السجع والشعر اصلها غير عربى على الارجح ، وان يكن كثير من القصص الواضح اصله الهندى او الفارسى قد حشد فيه شعر وسجع » . وهكذا يصل الامر الى حد الاعتماد على الصياغة فى تقرير الاحكام عن هذا الكتاب العظيم ، رغم ان (ليتمان) وغيره يعرفون تماما ان الصورة التى وصلتنا من الف ليلة وليلة مرت باكثر من صياغة فى اكثر من مرحلة زمنية وانها تمت بشكلها الحالى على الارجح فى القرن الحادى عشر . كما ان الباحثين يذهبون فى استنتاجاتهم الى ان هذه الصياغة صياغة مصرية

وقد رسبت هذه الاحكام فى اذهان الدارسين العرب انفسهم واخذوها اخذ المسلمات حتى يشرحها الدكتور محمد غنيمى هلال فى كتابه (الادب المقارن) من عداد القصص العربى تماما فيقول فى ص ٢٢٣ من الطبعة الثالثة لهذا الكتاب : « وقصص الف ليلة وليلة مدينة قطعا فى نشاتها الى اصول هندية وفارسية كما قلنا ، فهى تدخل فى عداد القصص المترجمة فى الاصل » .

والحقيقة ان الف ليلة وليلة تعكس عكس كل الاحكام التى قيلت عن العقلية العربية فهى تثبت قدرة هذه العقلية على الابداع الفنى الكامل والرائع ، كما تثبت قدرة هذه العقلية على الخلق وعلى اعادة الخلق من جديد ... وما قيل من اثار للحضارات الاخرى انما هو دليل على ان الحضارة الاسلامية انما جاءت لتنقل البشرية نقلة جديدة الى امام ، فهى لم تبن من فراغ، وانما هى احترمت عقل الانسانية وفكرها وابداعها ، فاستغلت كل ما هو صالح من نتاجه لتضيف اليه روحها وفكرها ورسالتها الجديدة الى البشرية ... واذا كان العالم ظل منذ ترجمة (جالان) لالف ليلة وحتى الآن يعيش فى احلام الانسان والمرأة ومخاوفه من خلال قصصها وخيالها وحبكتها الفنية فهذا دين كبير على هذا العالم الجديد ولهذه الحضارة الغربية الحديثة يجب ان يؤديه حبا واحتراما لاصحاب الفضل فيه .

ان وجود الاثار البابلية والفارسية والهندية والافريقية والمصرية فى هذه الموسوعة الفنية الضخمة لا يشكل باعتراف كل الدارسين الا جزءا واحدا من اجزائها اما الجزء الاخر منها فادب قصصى جديد كل الجدة يعبر عن مجتمعات اسلامية متاخرة اما عاشت فى بغداد واما عاشت فى القاهرة ، وقد التفت المستشرقون الى هذا الجزء الاخير

ولكنه لم يحظ باهتمامهم او دراساتهم واكتفوا بان جنبوها بحوثهم المضنية عن الاصول التى اخذت منها حكايات وتقول الدكتورة سهير القلماوى عن عمل المستشرقين فى هذا الجزء ص ٢٧ : « يلكر (اولسيتريب) فى صدد هذا الجزء الذى لا يجدى فى درسه البحث عن

مشابهاتهفى الاداب القديمة ان (لين) قد ذكر انه كله مصرى ، ولكنه يرى، كما قد راى (نولدكه) من قبل ، ان هذه القصص تحمل ولا شك آثار الاخراج المصرى او التحسينات المصرية . ولكن بغداد موطن الرشيد نواة اجتمعت حولها الاصول لكثير من هذه القصص التى مازال اثر هذا الاصل واضحا فيها . لذلك يقسم (اوليستريب) الجزء الباقى الى مجموعتين الاولى بغدادية والثانية مصرية كما فعل (نولدكه) من قبل و (ليتمان) وغيره من بعده .

وهذا موقف غريب ممن اجهدوا انفسهم فى البحث وراء كل شخصية وكل اسم وكل حرف فى الجزء التاريخى من الليالى . فهو من الثابت ، اما ان هذا الجزء الواقعى من الليالى يرتبط بتراث الشعب اما المصرى او البغدادى او الشعب العربى كله ، فكان لا بد من البحث المماثل فيه عن مدى ارتباطهبموروث هذا الشعب او هذه الشعوب ، واما انه خلق قصصى مبدع فكان لا بد من الوقوف عنده وتحليله ودراسة خصائصه والخروج منها باحكام عن اصول القصة العربية الواقعية وعن ملامحها الفنية ، اذ هى بهذا القسم من القصص القريبة بكثير وازهى بهذا وبما احدثته من استهواء عند المثقفين الغربيين عن ظهورها احد التيارات التى اثرت ولا شك فى ابداعهم القصصى الواقعى حين بداوا يحاولون الابداع فيه .

ولكن هذا الاهمال المتعمد لهذا الجزء انما يوضح ان المستهدف من هذهالدراسات لا العلم الخالص وانما العلم المغرض الذى كان (بيرتون) اوضح من عبر عن استهدافه فيما نقلنا عنه فى صدر المقال . وقد لفتت هذه الظاهرة المتجنية عند كل المستشرقين الدكتورة سهير القلماوى لفتا قويا حتى تقول فى شبه لوم فى صفحة (٣٦) : « وارى بهذه المناسبة ان الاحظ شيئا على بحث كثير من المستشرقين فى هذا الميدان

وهو قولهم هذه ظاهرة لا تلائم الطبيعة العربية او الامة الاسلامية ، فانهم ، ولناخذ المستشرق (لين) مثلا ، قد اسرفوا فى الحكم على الطبيعة العربية والامة الاسلامية . لانهم جعلوا اساس حكمهم الفكرة العامة التى اخذوها من كتب الادب العربى وكتب الدين . وهذا الاساس للحكم غير كاف . فالذى لا شك فيه ان نواحى من الحق ما تكون بهذا الموضوع ، موضوع الادب القصصى ، لم تصدر فى كتب الادب ولا فى كتب الدين » .

ولسنا نريد فى الحقيقة الا ان نضع هذا الكتاب فى مكانه الحقيقى على قمة موروثنا من المكتبة القصصية العربية والعالمية معا ، والا ان نلفت انه رغم هذه المكانة الشهيرة فان الدراسات الفنية والنقدية والفولكلورية العربية ما زالت مقصرة فى حقه تقصيرا مخجلا ومعيبا ...



رحلة الشهر

في العدد القادم

صالح جودت

يلتقي بقرائه في رحلة الشهر
كما عوّدهم كل شهر

د. عبد الواحد علام

العمدة

لابن رشيق..

لم تكد تشرق شمس القرن الخامس الهجرى حتى كان النقاد العرب فى المشرق قد خطوا خطوات واسعة فى سبيل تكوين النظرية النقدية ، والناظر فيما خلفه هؤلاء النقاد من تراث نقدى يستطيع أن يقف على هذه الحقيقة جلية واضحة ، بحيث يمكن القول ان النقد الادبى عند العرب قد أخذ شكل النظرية النقدية بانتهاء القرن الرابع الهجرى ، ففى هذا القرن ، والقرن الذى سبقه ، حاول عدد من المهتمين بدراسة الادب ونقده استخلاص الاسس والاصول التى ينبغى ان يقوم عليها نقد الشعر ..

وسواء أصابوا فيما ذهبوا اليه أم أخطأوا ، فان الامر المحقق هو أن النقد فى هذين القرنين قد نما وترعرع واستوى على عوده بفضل توافر العديد من النقاد واللغويين والمتكلمين على النظر فى الشعر ، وبفضل الروافد الثقافية غير العربية التى راحت ترفد الفكر العربى بصفة عامة ، فضلا عن تطور فن الشعر العربى تطورا بالغا على يد النابهين من الشعراء من أمثال أبى تمام والمتنبى وابن الرومى وأبى نواس وغيرهم ، وقد كان هذا التطور وحده مجالا فسيحا للنقد الادبى فى القرن الرابع على وجه الخصوص ، ولا أدل على ذلك من ان أهم أثرين نقديين ظهرا فى هذا القرن كانا يدوران حول « الموازنة بين أبى تمام والبحترى » و « الوساطة بين المتنبى وخصومه »

واذا كان النقد الادبى فى المشرق قد أرتقى مكانة سامقة فى القرنين الثالث والرابع الهجريين على النحو الذى ألمحنا اليه ، فقد كان الامر جد مختلف فى المغرب العربى ، اذ لم تشهد مثل ذلك النشاط النقدى الموفور وان كان بعض القوم على معرفة بالمذاهب الشعرية المشرقية ، وعلى

دراية بالتيارات النقدية التى زخرت بها آثار المشارقة .

على أن هذا لا يعنى أن المغـــرب العربى لم يعرف النشاط النقدى ، فقد كان هناك بعض من شغلوا بالنقـــد الادبى ، بيد انهم قلة قليلة لا نكاد نذكر منهم الا « ابا عبد الله القزاز » الذى الف كتابا فيما أخـــذ على أبى الطيب ، و « عبد الكريم النهشلى » صاحب كتاب « الممتع فى علم الشعر وعمله » .

وهكذا تشرق شمس القرن الخامس فى المغرب دون أن يكون لهذه البقعة من العالم العربى دور يعتـــد به فى صياغة النظرية النقدية فى النقـــد العربى القديم ، اذ كانت ذخيرة هذه المنطقة فى النقد أقـــرب الى الاحكام الجزئية المتفرقة والاخبار المبعثرة ، منها الى النظرة الشـــمولية – بغض النظر عن خطئها او صوابها – التى تكون فى النهاية ما يسمى بالنظرية النقدية لدى العرب القدماء .

ويجيء « ابن رشيق » (١) فيلفت الانظار بكتابه « العمدة » الذى يعد الميلاد الحقيقى لنهضة نقدية وفكرية شاملة فى المغرب العربى .

والكتاب يقع فى جزءين كبيرين نالا وصاحبهما اهتمام عدد من القدامى والمعاصرين وعنايته ، فقام بعضهم باختصاره والتنبيه على أغلاطه (٢)



---

(١) أبو على الحسن بن رشـــيق القيروانى . ولد سنة ٣٩٠ هـ على ارجح الاقوال بالمسيلة ، وتعلم فيها بعضا من علوم العربية ، ثم رحل الى القيروان وعاش فيها أكثر عمره واليها ينتسب، ثم غادرها الى احدى مدن جزيرة صقلية حتى توفى سنة ٤٦٣ هـ وقيل ٤٥٦ هـ . وله غير كتاب العمدة الذى اشتهر به كتب ورســائل اهمهاكتاب « انموذج الزمان فى شعراء القيروان » ورسالة « قراضـــــة الذهب فى نقد اشعار العرب » وقـد طبعت فى القاهرة سنة ١٩٢٦ .راجع فى ترجمته : معجم الادباء ١١٠/٨، انباه الرواة ٢٧٧/١ ، شذرات الذهب ٢٩٧/٣ ، وفيات الاعيان ١٦٤/٤

(٢) من بين من اختصر « العمدة » « الأعلم الشنتمرى » ، و « موفـــق البغدادى » .

كما عني آخرون بتحقيقه ونشره ، ولا يكاد يخلو كتاب يؤرخ للذوق النقدي والبلاغي من حديث عن كتـــاب ابن رشيق ، فضلا عن الدراسات المستقلة التي دارت حول ابن رشيق محاولة التعريف به وبعصره وبثقافته (١)

ويلفت النظر أن الكتاب في طبعتين نشرتـا في مصر ، يحمـــل عنوانين مختلفين ، فالأولى بعنوان : « العمدة في صناعة الشعر ونقده » والأخرى بعنوان : « العمدة في محاسن الشعر وآدابه » وإن كانت الطبعـــة الأولى تذكر في نهاية الجزء الثاني من الكتاب « تم كتاب العمدة في محاسن الشعر وآدابه » وهي بهذا تتفق مع الطبعـــة الأخرى التي قام بتحقيقها العالم المحقق المرحوم الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد ، ونشرتها المكتبة التجـارية بالقاهرة .

العمدة
لابن رشيق

وعلى الرغم من أن التسمية الأولى هي التي لقيت وما زالت تلقى الرواج في الأوساط الأدبية والثقافية ، نرى التسمية الأخرى هي الصحيحة ، فإن أقدم النسخ المودعة بدار الكتب المصرية وهي التي يرجع تاريخ نسخها إلى عام ٧٦٩ هـ تحمل عنوان : « الجزء الأول من العمدة في محاسن الشعر » ويحمل الجزء الثاني العنوان نفسه ، ويختتم بعبارة « كمل كتـــــاب العمدة في محاسن الشـعر وآدابه » . ويذكر ابن رشـــيق في خطبة الكتـــاب أنه جمـع فيه أحســـن ما قال سابقوه « ليكون العمدة في محاسن الشعر وآدابه » (٢) .

أما محتويات الكتاب فتشهد على صحة ما ذهبنا إليه ، فابن رشيق في معظمه يطوف في أرجـــاء بعيدة عن صناعة الشعر ونقده ، وبصفة خاصة

(١) من هذه الدراســات كتاب « بساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق » للأستاذ حسن حسني عبد الوهاب ، طبع بالمطبعـــة التونسية سنة ١٣٣٠ هـ ، وكتـــاب « ابن رشيق » للأستاذ « عبد العزيز الميمني » الأستاذ بالكلية الشرقية في لاهور ، وكتاب « حياة القيروان وموقف ابن رشيق منها » للدكتور عبد الرحمن ياغي ، نشر دار الثقافة ببيروت ، وكتاب « ابن رشيق الناقد الشاعر » للأستاذ عبد الرءوف مخلوف ، سلسلة أعلام العـرب ، نشر المؤسسة المصرية العامة ، القاهرة ، وكتاب « ابن رشيق القيرواني » من سلسلة نوابغ الفكر العربي ، دار المعارف ، القـــاهرة ، ودراسة في مجلة المجمع العـــلمي بدمشق في المجلدات : ١ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ١٠ . كما أن لابن رشيق ديوان شـــعر جمعه وبوبه الدكتور عبد الرحمن ياغي ، ونشرته دار الثقافة ببيروت .

(٢) العمدة : ١/٣

فى الجزء الثانى ، حيث تطالعنا أبواب تتحدث حديثا مسهبا فى أصول النسب وبيوتات العرب ، وما يتعلق بالانساب ، وذكر الوقائع وأيام العرب ومعرفة الملوك ، والعتاق من الخيل ، وذكر منازل القمر ، ومعرفة الاماكن والبلدان ، الى غير ذلك من أمور (١) لا علاقة لها بالشعر ونقده وصناعته .

ولعل ناشر الكتاب فى طبعته الاولى أراد له الذيوع والانتشار ، فكتب عليه « فى صناعة الشعر ونقده » وتلك عبارة قادرة على جذب القارىء الى الكتاب ، وبث فيه روح الحرص على اقتنائه . أليس كتابا فى صناعة الشعر ونقده ؟ وأين من هذا كونه فى محاسن الشعر ، أو فى محاسنه وادابه ؟ ويدعم ذلك أن الناشرين لم يكونوا يرون فى ذلك الصنيع عيبا،بل كانوا كما سبق يبغون من ورائه ذيوع الكتاب وانتشاره ، وليس صنيع ناشر كتابى عبد القاهر الجرجانى : « أسرار البلاغة » ودلائل الاعجاز » عنا ببعيد .

والكتاب يحتوى على مادة ضخمة تدور حول موضوعات شتى ، ولكن لا يخلص لابن رشيق من هذه المادة الغزيرة الا النزر اليسير ، ولا يجد الباحث عناء فى استخلاص تلك النتيجة ، اذ لا يكاد يجيل النظر فيه حتى تطالعه النقول الكثيرة من ابن سلام وقدامة والآمدى ، والجرجانى ، والنهشلى وغيرهم ، بل ان ابن رشيق نفسه قد كفى الباحثين مشقة البحث عن مصادره حين صرح فى خطبة الكتاب انه ـ بعد أن وجد الناس مختلفين حول الشعر ، فبوبوه أبوابا مبهمة ، ولقبوه ألقابا متهمة ، وذهب كل واحد منهم فى جهة ـ جمع أحسن ما قاله كل واحد منهم فى كتابه .

واذا كان الكتاب يحوى هذه المادة الغزيرة التى بوبها ابن رشيق فى أكثر من مائة باب ، فانه لم يكن دقيقا فى هذا التبويب ، اذ كثيراً ما يفتتح الحديث عن موضوع خاص عاقدا له بابا من الابواب ، ولكنه يعود بعد أبواب أخرى الى الحديث عن الموضوع السابق عاقدا له بابا جديدا ، وعلى سبيل المثال نراه يخصص للاوزان والقوافى بابين فى الجزء الاول ، ولكنه يعود فيعقد بابين آخرين قرب نهاية الجزء الثانى للحديث عن الزحاف وأحكام القوافى ، وهو يقحم بابا للحديث عن المفاضلة بين أبواب لا صلة لها بتلك الباب ، وكان الوضع الطبيعى له أن يكون بين الابواب التى أفردها للحديث عن البلاغة وهو يفرق الحديث تفريقا عن صور الاطناب ، وكان الاجدر به أن يجمعها فى نسق واحد . ويطول بنا الحديث لو تتبعنا صنيع ابن رشيق فى تصنيف مادة كتابه .

ويغلب على طريقة ابن رشيق أيضا الاستطراد ، وهو سمة من سمات التأليف وبخاصة فى عصوره المتقدمة

---

(١) انظر الجزء الثانى ، الصفحات : ١٥٤ ـ ٢٠٢

بيد أن ابن رشيق كان يلجأ الى ذلك كثيراً ، ولعل فى رفعه كتابه الى ابى الحسن على بن ابى الرجال ما كان يدفعه الى ذلك دفعا ، اذ كثيراً ما نراه يخرج الى حديث لا صـلة له بموضوع بابه ليورد شعراً او رأيا لابى الحسن هذا ، بل نراه يعقد بابا للحديث عن الشعراء الكتاب – وهو فى رأيى باب مقحم – لكى يلج منه الى الحديث عن شعر السيد الرئيس ابى الحسن (١) ٠

•••

بعد تلك النظرة فى كتاب العمـدة من حيث منهج صاحبه وطريقته، نعود فننظر فى مادة الكتاب محـاولين الوقوف على مدى تأثيره فى الحركة البلاغية والنقدية ٠

ويمكن تقسيم الكتاب ثلاثة اقسام: قسم يندرج تحت ما يعرف بالادب فى مفهومه العام ٠ ويشغل هذا القسم حديثه عن الشعر وأهميته ومنافعـه ومضاره والتكسب به، كما يدخل فيه الجزء الذى سبقت الاشارة اليه ،وهو الحديث عن الانسـاب والوقائع وما شاكل ذلك ، ويكون هذا القسم جزءا كبيرا من الكتاب حتى ليكاد يقارب نصفه ٠ وليس لابن رشيق فى هذا القسم الا التبويب والتصنيف ، فهو فى حقيقة امره مجمـوعة من اراء السابقين واشعارهم ، وان كان يدل ابلغ دلالة على رحابة الثقـافة التى كان يصدر عنها ابن رشيق ٠

وقسم يدخل فى دائرة النقد الادبى، وهو تلك الابواب المتفرقة التى يتحدث فيها عن مفهوم الشعر وموضوعاته ، والسرقات الشـعرية ، والمطبوع والمصنوع من الشعراء ، وموقف النقاد من قضية اللفظ والمعنى وبناء القصيدة الى غير ذلك من مبـاحث هى من صميم النقد الادبى ٠

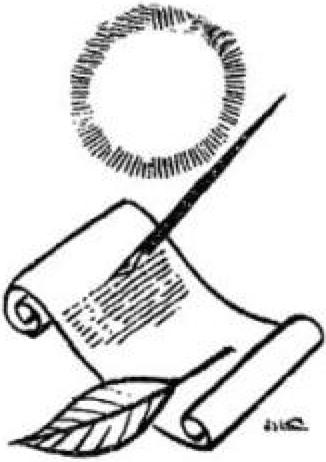
أما القسم الاخير فابواب كثيرة فى مباحث التشبيه والاستعارة والتجنيس والمطـابقة ، الى غير ذلك من الوان البديع التى اكثر ابن رشيق من ذكرها والى القسمين الاخيرين ترجع قيمـة الكتاب ، ومن ثم نخصهما بما بقى من هذه الدراسة ٠

العمدة

لابن رشيق

وأول ما يطالعنا من القسم الخاص بالنقد الادبيمحاولة ابن رشيق تحديد مفهوم الشعر ، فيعقد بابا للحديثعن « حد الشعر وبنيته » يرى فيه ان هذه البنية تتكون من اربعة اشياء هى اللفظ والوزن والمعنى والقافية، ويأخذ فى تفصيل القـــول فيها مستشهدا بالاراء الكثيرة التى وقع عليهـا من سابقيه ٠ ومع تأثر ابن رشـيق بمن سبقه تأثرا بينا وبخاصة قدامة بن جعفر يلمح المتتبع لارائه المبثوثة فى ثنايا كتابه شيئا فيه بعض الجـدة

(١) انظر : العمدة : ٢/٨٨ – ٩٠



حين يرى انه اذا لم يكن لدى الشاعر توليد معنى او اختراعه او استظراف لفظ وابتداعه كان اطلاق اسم الشاعر عليه مجازا لا حقيقة ولم يكن له الا فضل الوزن » وليس بفضل عندي مع التقصير » وحين يرى أن الشعر « ما اطرب وهز النفوس وحرك الطباع » وأن هذا هو « باب الشعر الذي وضع له وبني عليه لا ماسواه » فهو بذلك يبتعد كثيرا عن قدامة الذي وقف بالشعر عند حد اللفظ والوزن والمعنى والقافية ، كما ان ابن رشيق يورد كثيرا من النصوص الشعرية مبينا فيها الجيد والرديء ، وكأنه بهذا يرى ان مواجهة القارىء الشعر تجعله قادرا على الوقوف على حقيقته ، او لعلها تقربه منها .

ويقف ابن رشيق من قضية اللفظ والمعنى موقفا معتدلا ، فلا يفضل احدهما على الاخر ، بل هما مترابطان ترابط الجسم بالروح . ومع أن ابن رشيق ينظر في هذا الى الماضي فانه يبقى له فضل الشرح والتفصيل، وان كان يبدو ميله الى جانب المعنى في تعليقه على بعض النصوص التي يوردها . وقد كنا نود لو أن النقاد العرب سلكوا طريقا آخر في تناول هذه القضية فابتعدوا عن هذه الثنائية في التناول على نحو ما ذهب اليه عبد القاهر الجرجاني فيما بعد . ولم يلتفت ابن رشيق الى مبدأ الوحدة في القصيدة ، ومن ثم أخذ في تحليل بناء القصائد الجاهلية .

وهو تحليل سبقه اليه ابن قتيبة، ولكن ابن رشيق يضيف الى ذلك رسم الطريقة المثلى في رأيه للشعراء المحدثين . فيذكر أن من الواجب اجتناب البدء في القصائد بما كان يبدأ به الجاهليون » ولا سيما اذا كان المادح من سكان بلد الممدوح يراه في أكثر أوقاته ، فما أقبح ذكر الناقة والفلاة حينئذ . وتلك نظرة شاذة تخالف ما ذهب اليه ابن قتيبة من أنه ليس للمتأخر من الشعراء أن يخرج عن مذهب المتقدمين فيقف على منزل عامر او يبكي عند البنيان المشيد «لأن المتقدمين وقفوا على المنزل الداثر والرسم العافي (١) .

وكان يمكن لابن رشيق أن يطور فكرته السابقة فيدعو الى تماسك القصيدة وخلوصها لغرض واحد ، ولكنه يخرج علينا برأي غريب حين يرى أن « أولى الشعر بأن يسمى تخلصا ما تخلص فيه الشاعر من معنى الى معنى ثم عاد الى الاول

(١) انظر : الشعر والشعراء ، ٣٢/١ .

واخذ في غيره ثم رجع الى ماكان فيه (١) فاى عمل ـ فضلا عن ان يكون عملا فنيا ـ ذلك الذى يشكل على الطريقة التى يدعو اليهـا ابن رشيق ؟ . فاذا جمعنا الى رأيه السابق ذلك الرأى الذى يذهب فيه الى استحسان « أن يكون كل بيت قائما بنفسه لا يحتاج الى ما قبله ولا الى ما بعده وما سوى ذلك فهو عندى تقصير » (٢) ، وذكره لابيات كثيرة على أن هذا الغزل بيت قاله العرب وذلك أمدح بيت الى غير ذلك ، وعدم قبوله المخمسات والمسمطات لانهـا تدل ـ في نظره ـ « على عجز الشاعر

العمدة
لابن رشيق

وقلة مراقبه وضيق عطنه » (٣) ولو اذا جمعنـا ذلك كله ادركنا مدى استمساك ابن رشيق بنظام القصيدة الجاهلية .

●●

ويصور حديث ابن رشـيق عن اغراض الشعر نظرة النقد الادبى الى الشـاعر ، وهى نظرة تصـادر عاطفة الشعراء مصادرة تكاد تكون تامة ، فالشاعر الفطن الحاذق في رأى ابن رشيق هو من « ينظر في احـوال المخاطبين فيقصد محابهم ويميـل الى شهوتهم وان خالفت شهوته ويتفقد ما يكرهون سماعه فيتجنب ذكره » (٤) وقد جعل من هذه العبارة مبدأ طبقه بإخلاص في دراسته لاغراض الشعر . فاذا مدح الشاعر فعليـه أن يقصر مدحه على طائفة خاصـة هى الملوك والوزراء والكتاب والقواد والقضاة وعليه أن يمدح كل شخصية منهـا بصفات معينة لا يتجاوزها الى غيرها. فاذا كان الممدوح ملكا لم يبال الشاعر كيف قال فيه ولا كيف أطنب ، وذلك محمود وسواه المذموم (٥) أما من كان دون هذه الطبقات التى ذكرها فلا يرى ابن رشيق لمدحه وجها (٦) . وكل ما لا يليق بالمحبوب فهو في النسيب مكروه ، ومن ثم كان مطلبهم الدائم من الشعراء أن يتماسكوا في الصبابة. وأما العتاب فأفضله « ما يمازجه الاستعطاف والاستئلاف » .

وقد ادت هذه النظرة العجيبة الى الشـعر الى احكام فيهـا كثير من الشطط ، فيفضل ابن رشيق عتـاب البحترى على عتاب المتنبى، لان الاول يقول :

وما كان سخطك الا الفراق
الافن النمو والنجى الفلويا
ولو كنت اعلم ذنبا لـمـا
تخالجنى الشك في ان اتوبا
سأصبر حتى الاقى رضـا
ك اما بعيدا واما قريبا

أما قول المتنبى :

(١) العمدة ١٥٨/١ (٢) ١٧٥/١ (٣) ١٢٠/١ (٤) ١٤٩/١ .
(٥) ١٠٣/٢ (٦) ١٠٨/٢

يا أعدل الناس الا في معاملتي
فيك الخصام وانت الخصم والحكم
اعيذها نظرات منك صادقة
ان تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

فهو في ذاته « غاية الجودة » غير أنه من جهة الراجب والسياسة غاية في القبح والرداءة » (١) وبسبب الغاء عاطفة الشاعر الخاصة لا يرى ابن رشيق فرقا بين الرثاء والمدح « الا أن يخلط بالرثاء شيء يدل على أن المقصود به ميت مثل كان أو عدمنا به كيت وكيت أو ما يشاكل هذا ليعلم أنه ميت » (٢) ٠

وقد عقد ابن رشيق بابا للسرقات اعتمد فيه اعتمادا يكاد يكون تاما على من سبقه من النقاد ، وبصفة خاصة الحاتمي في حلية المحاضرة، على أنه يعود الى قضية السرقات في رسالته « قراضة الذهب » التي وضعها بعد تاليف العمدة فيحدد مفهومها والمقصود منها بطريقة أكثر وضوحا وأقل اعتمادا على سابقيه ٠

●●

بقي الحديث عن القسم الاخير الذي يشغل حيزا كبيرا من الكتاب ٠ وفيه نراه يعقد بابا للبلاغة فيذكر عديدا من تعريفاتها لدى السابقين والتي نرى الجزء الاكبر منها في البيان والتبيين للجاحظ ، كما عقد بابا للايجاز بناه بالنقل المباشر عن الرماني ، وتحدث عن التشبيه والاستعارة حديثا جمع فيه الآراء الكثيرة التي قيلت فيهما ، حتى إذا ما بدأ الحديث عن فنون البديع أفاض فيه افاضة بالغة ٠

ويبدو من حديث ابن رشيق عن هذه الفنون أن المصطلحات الخاصة بها لم تكن عرفت طريقها نحو التحديد معرفة تامة ، ومن ثم نراه يعرض للالتفات على أنه الاعتراض تارة والاستدراك تارة أخرى ثم يعرج على تعريف ابن المعتز له وهو التعريف الذي عرف به الالتفات فيما بعد ٠ كما يبدو الخلط واضحا في صور الاطناب وادخال « الحشو » فيها ٠

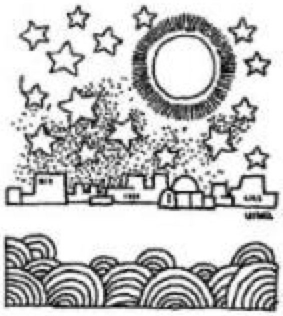
ومع أن ابن رشيق يكثر من النقل في هذا القسم نراه في مواطن كثيرة صاحب رأي يمكن التعويل عليه ، مثل رأيه في التشبيه والغلو والمبالغة وغير ذلك من الآراء المبثوثة في ثنايا هذا القسم ٠ وأخيرا تبدو عنايته بالنصوص الشعرية وتحليلها في هذا القسم جلية واضحة ٠

وأخيرا يبقى لكتاب العمدة أنه أول كتاب في المغرب العربي حاول صاحبه الاسهام في تطور النظرية النقدية عند العرب ، كما حاول في اخلاص الاسهام في تطور علوم البلاغة معتمدا في كثير من الاحوال على ذوقه النقدي وان كان لنا بعض المآخذ عليه كما سبقت الاشارة الى ذلك فان ذلك لا يقلل من قيمة الكتاب بوصفه علامة واضحة في التفكير العربي ٠

---

(١) ١٢٢/٢ ، (٢) ١١٧/٢

روحية القليني



لا تصدقني

لا تصدقني اذا ما قلت يوما
او شعورا صادق الحس تهادى
او حديث العين صمتا وحنينا
او لقاء بين قلبين احبا
او عتابا منك او منى تبدى
او اذا عنى تشاغلت قليلا
او اذا الهاتف قد راح يغنى
لا تصدقنى اذا ما كنت غضبى
ثم ابكي فى عناد مثل طفل
كيف انسى انها قصة عمرى
كيف انسى والذى يسمع شعرى
يلتقى فيه بفيض من حنان
كيف انسى من باحلامي وفكرى
لا تصدقنى وصدق ما تراه
لا تصدقنى وصدق همس قلبى
انا لا اكذب لكن كبريائى
انا لا اكتب حرفا فيه نبض
دون وحى منك دفاق المعانى

اننى انسى لياليك الجميله
فى حنان كالنسيمات البليله
كان للنجوى والحب دليله
فى ظلال من احاسيس نبيله
مثل انسام تهادين عليله
كم يضل القلب لا يدرى سبيله
وصداه الحلو ما اشجى هديله
يستبد الوهم لا املك حيله
لم يجاوز بعد احلام الطفوله
انت فى اعماقها رمز البطوله
لا يرى الا وحيا ووسيله
ووفاء وابا ورجوله
لم اجد لى من ارى العمر مثيله
من انس يومى ولم اظهر قليله
انت فيه خفقة الحب الاصيله
لقنت عينى سرا لن اقوله
كانسياب النهر يسرا وسهوله
باسمات وارفات كالخميله

من أمهات الكتب
"المقدمة"
لابن خلدون

ولد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون بمدينة تونس في رمضان عام ٧٣٢ هـ الموافق مايو ١٣٣٢ م ، وتتلمذ على ابيه ثم على أساتذته من كبار علماء الاندلس الذين هاجروا الى تونس ، فحفظ القرآن ودرس قراءاته وعلومه، وعلوم اللغة والدين والفلسفة والمنطق .

في سن التاسعة عشرة اختير لشغل وظيفة في ديوان الكتابة ، وفي سن الواحدة والعشرين اتيحت له جولة في انحاء الديار المغربية ، وبعد ذلك ظل يترقى في مناصب الكتابة حتى عين كاتبا لبعض الامراء مما دفعه أن يتصل بالسياسة عن كثب ويراقب تياراتها ويشارك فيها .

وقد جره العمل بالسياسة الى التعرض للسجن والاضطهاد .

ورغم ان الريبة كانت توقع بينه وبين بعض الحكام ، الا أن مغريات السياسة كانت تجتذبه من جديد ، وكان دائم التنقل بين بلاد المغرب ، ثم قام برحلة الى الاندلس .. وبعد ذلك اعتزل بقلعة بني سلامة بمقاطعة وهران من بلاد الجزائر ، فقضى في معتزله اربع سنوات كانت اخصب سني حياته الفكرية دون بعدها كتابه المعروف باسم (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر) .

بعد أن صمم ابن خلدون على أن يعتزل السياسة استأذن السلطان في السفر الى الحج ، ووصل الى الاسكندرية عام ٧٨٤ هـ (١٣٨٢ م) ثم لم يلبث أن بارحها الى القاهرة ليقيم بها مؤجلا الحج . وقد وجد ابن خلدون في ساحة الازهر العتيد حقلا خصبا يغرس فيه بذور عبقريته، فاتسعت حلقات درسه ، وكثر طلابه وازداد اقبالهم على ما عنده من علم وافر ..

وعينه السلطان برقوق في مناصب التدريس ثم في منصب قاضي قضاة المالكية فاصلح القضاء وعمل على تحقيق العدالة بين الناس ، وظل ابن خلدون ينتقل ما بين مناصب القضاء والتدريس مبديا آيات ذكائه وعلمه حتى مات في رمضان عام ٨٠٨ هـ (مارس ١٤٠٦ م) ودفن بباب النصر بالقاهرة

أما مقدمة ابن خلدون ، فقد أرخ فيها لطبيعة العمران في الخليقة ، وقد صدرها بخطبة الكتاب ، ومقدمة في فضل علم التاريخ ومذاهبه ، واغلاط المؤرخين ، ثم تتابع الموضوع في ستة أبواب : الاول في العمران البشري ، والثاني في العمران البدوي والامم الوحشية ، والثالث في الدول والخلافة والملك ، والرابع في العمران الحضري ، والخامس في الصنائع والمعاش والكسب، والسادس في العلوم واكتسابها وتعلمها .

واول طبعات ظهرت للمقدمة طبعتان ، صدرتا عام ١٨٥٨ احداهما في مصر باشراف الشيخ نصر الهوريني وعنها صدرت كل الطبعات المتداولة في العالم العربي اليوم والثانية في باريس باشراف المستشرق كاترمير ، وبينهما اختلاف بحيث تزيد طبعة باريس احد عشر فصلا غير موجودة في طبعة مصر ،وتزيد الاخيرة فصلا لم يوجد في طبعة باريس .

د. شفيع السيد



نهج البلاغة

المنسوب للإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

قد يتبادر الى ذهن القارىء العـــادى عند قراءته ، أو سماعه لاسم هذا الكتاب ، انه يحتوى على دراسة للبلاغة العربية في مباحثها المعروفة .. ولكن تصفح الكتاب والاطلاع عليه سرعان ما يبعد هذا الخاطر ويبين أن البلاغة هنـــا

ليست الا اداء المعـــانى والافكار بأسلوب جزل وعبارات محكمة رصينة .. وهذا ما نراه ماثـــلا بين دفتى الكتابالذى نتحدث عنه، فهو مجموعة مختارة من الخطب ، والمواعظ والحكم على مستوى عال من الجزالة والقوة

وهو بهذا الاعتبار يعد ـ عنـــد صاحب التسمية ـ « نهجا » ملموسا، وطريقا عمليا لمن رام اكتساب البلاغة فى القول ، والارتقاء فى مدارجهـــا العليا .

ولا يكاد الدارس يفرغ من دفع هذا الخاطر السريع حتى يواجه بأمر آخر، هو نسبة المادة التى احتواها الكتاب فالشـــائع بين جمهور المثقفين فى العربية أن هذا الكتاب من كلام الامام على كرم الله وجهه ، قام الشريف الرضى (٣٥٩ ـ ٤٠٤ هـ) بجمعـــه وتصنيفه على هذا النحو ، وقد أشار الرضى فى المقدمة الى أنه قام بهـــذا الجهد استجابة لرغبة بعض أخـــوانه

واصدقائه الذين أعجبهم ما نقله من محاسن كلام الامام على فى المواعظ والحكم ، والامثال ، والاداب ، فى أحد فصول كتاب كان قد عزم على تأليفه فى « خصائص الائمة عليهم السلام يشتمل على محاسن أخبارهم، وجواهر كلامهم » ولكنه بعد أن انتهى

من خصائص الامام على حالتحوائل الايام عن اتمام بقية الكتـــاب ، وكان آخر ما كتبه من فصـــوله هو ذلك

الفصل المشار اليه ، فلما اطلع عليه هؤلاء الاصحاب سألوه أن يبدأ بتأليف كتاب « يحتوي على مختار كلام أمير المؤمنين عليه السلام في جميع فنونه ومتشعبات غصونه ، من خطب وكتب، ومواعظ وأدب » .

وقد جاء الكتاب في ثلاثة أقسام رئيســـية : هي الخطب والاوامر ، والكتب والرسائل ،والحكم والمواعظ. واعتذر الرضي عما جاء به من تكرار بعض الالفاظ أو المعاني باختـــلاف الروايات التي عرضت له اختـــلافا شديدا ، فربما اتفق الكلام المختـــار في رواية فنقل على وجهه ثم وجد بعد ذلك في رواية أخرى موضوعا غير وضعه الاول ، اما بزيادة مختارة ، أو بلفظ أحسن عبارة ، فتقتضي الحـــال أن يعاد ، استظهارا للاختيار ، وغيرة على عقائل الكلام ، وربما بعد العهد أيضا بما اختير أولا ، فأعيد بعضه سهوا أو نسيانا لا قصدا واعتمادا.

على أن الاهم من ذلك كله ، والذي ألمحت اليه في صدر الفقرة السابقة، هو موضوع النسبة الصحيحة للمادة التي احتواها الكتاب، فعلى الرغم مما هو شائع من نسبة ما جاء بالكتاب الى الامام علي ، واقتصـــار دور الشريف الرضي على الاختيار والجمع والتصنيف فقط ، فان هذه النســـبة لم تـــكن موضع للتســـليم والقبـــول من جميع العلمـــاء والدارسين ، فذهب بعضـــهم الى أن الكتاب ليس من كـــلام الامام علي ، وانما هو موضوع عليه وان الذي وضعه هـــو الشريف الرضي نفسه . وكان منهـــج الرضي في تسجيل النصوص من العوامـــل التي استثمرا اليها في تأييد وجهة نظرهم ، ذلك انه في الاعم الاغلب من الاحيـــان يورد النصوص منســـوبة الى الامام علي ، دون توثيقها بذكر المصـــادر التي سبقته الى روايتها ، أو الشيوخ الذين روى عنهم .

وقد يمكن الرد على ذلك بأن الرضي سلك هذا المسلك فعـــلا في تأليف كتابه ، لكنه في بعض الاحيان كان يشير الى المصـــادر والرواة الذين سبقوه الى رواية بعض الخطب ، أو المواعظ والحكم ، ومن ذلك مثـــلا ما جاء في تعليقه على احدى الخطب التي جاء فيها : « أيها الناس ، انا قد أصبحنا في دهر عنـــود ، وزمن كنود، يعد فيه المحسن مسيئا ويزداد الظالم عتوا ، لا ننتفع بما علمنا ، ولا نسأل عما جهلنا ، ولا نتخـــوف قارعة حتى تحل بنا ... الخ » فقد علق عليها بقوله :« أقول:هذه الخطبة ربما نسبها من لا علم له الى معاوية وهي من كلام أمير المؤمنين عليـــه السلام الذي لا يشك فيه ، وأين الذهب من الرغام ! وأين العذب من الاجاج ! وقد دل على ذلك الدليـــل الخريت ، ونقده الناقد البصير عمرو بن بحـــر الجاحظ ، فانه ذكر هذه الخطبة في كتاب « البيان والتبيين » وذكـــر من نسبها الى معـــاوية ، ثم قال : هي بكلام علي عليه الســـلام أشبه ، وبمذهبه في تصـــنيف الناس ، وفي الاخبار عما هم عليه من القهـــر والاذلال ، ومن التقية والخوف أليق » .

ومنه أيضا ما أشار اليه في بعض المواطن من نقله عن المقتضب للمبرد، وكتاب المغازي لسعيد بن يحيى الاموي وتاريخ ابن جرير الطبري ، وذكره لأسماء بعض الرواة في مواضـــع

نهج البلاغة

اخرى .. ومن المحتمل حينئذ ان يكون قد نقل عن مصادر اخرى لكنه لم يشر اليها ومن المحتمل ايضا انه كان يعد نفسه من حفظة تراث الامام ورواته ، والقائمين عليه ، باعتبار نسبته الى البيت العلوى ، فهو ابو الحسن محمد بن ابى أحمد الحسين بن موسى بن محمد ابن موسى بن ابراهيم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن ابى طالب كرم الله وجهه ، ومن ثم لم يجد ما يدعوه الى توثيق رواياته فيما صدر عن الامام من اقوال وخطب ، لأنه هو المرجع الامين على ذلك التراث فضلا عما اشتهر به الامام من بلاغة القول ، ورصانة العبارة ، على نحو لا تستبعد معه نسبة تلك النصوص اليه ، من حيث تركيبها اللغوى وتشكيلها البيانى .

***

بيد ان هناك شبهة اخرى اثارها المنكرون لنسبة « النهج » الى الامام على ، وتتمثل فى اشتمال الكتاب على ما يسىء الى صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويعد مغمزا عليهم ، وطعنا فى نزاهتهم ، وخاصة الخلفاء الراشدين الثلاثة ابا بكر وعمر وعثمان . فقد جاء فى الخطبة المعروفة بالشقشقية قوله : « اما والله لقد تقمصها فلان (فى رواية ابن ابى الحديد : ابن ابى قحافة) ، وانه ليعلم ان محلى منها محل القطب من الرحا ، ينحدر عنى السيل ، ولايرقى الى الطير ، فسدلت دونها ثوبا ، وطويت عنها كشحا ، وطفقت ارتئى بين أن اصول بيد جذاء ، او اصبر على طخية عمياء ، يهرم فيها الكبير ، ويشيب فيها الصغير ، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه ، فرأيت أن الصبر على هاتا احجى ، فصبرت وفى العين قذى ، وفى الحلق شجا ، ارى تراثى نهبا ، حتى مضى الاول لسبيله ، فادلى بها الى فلان (فى رواية ابن ابى الحديد : ابن الخطاب) بعده :

شتان ما يومى على كورها
ويوم حيان اخى جابر

فيا عجبا بينا هو يستقيلها فى حياته ، اذ عقدها لآخر بعد وفاته ، لشد ما تشطرا ضرعيها ! .. ثم يقول : فصبرت على طول المدة ، وشدة المحنة ، حتى اذا مضى لسبيله جعلها فى جماعة زعم انى احدهم ، فيالله وللشورى متى اعترض الريب فى مع الاول منهم ، حتى صرت اقرن الى هذه النظائر لكنى اسففت اذ اسفوا ، وطرت اذ طاروا ، فصغى رجل منهم (يشير الى سعد بن ابى وقاص ، وعند ابن ابى الحديد انه يعنى طلحة بن الزبير) لضغنه ، ومال الاخر لصهره (يقصد عبد الرحمن ابن عوف) مع هن وهن .

الى ان قام ثالث القوم (يشير الى عثمان بن عفان) نافجا حضنيه ، بين نثيله ومعتلفه وقام معه بنو ابيه يخضمون مال الله خضم الابل نبتة الربيع ، الى ان انتكث فتله ، واجهز عليه عمله ، وكبت به بطنته .. الخ » .. والحق انها شبهة قوية تدفع الباحث

المسلم الى التوقف والشك – على الاقل – فى نسبة هذه الخطبة وما كان على شاكلتها ، الى الامام على، تنزيها له عن الهبوط الى هذا المستوى وتصوير قضية الخلافة بأنها كانت مسرحا للتآمر بين صحابة رسول الله

اولئك الذين حملوا عبء الدعوة الاسلامية فى عهدها الاول واشربت ارواحهم من نبعها الصافى ، والتفت افئدتهم حول صاحبها محمد عليه الصلاة والسلام حقبة غير قصيرة من الزمان .

ومما يغذى هذا الشك ما اشرت اليه من نسبة الشريف الرضى – بجامع الكتاب – الى البيت العلوى فهذه النسبة ، فى تقديرى ، سلاح ذو حدين ، فهى من جهة يمكن ان تعد سندا صحيحا ، الى حد كبير ، لقبول ما اثر عن الامام على من اقوال وخطب ، للاعتبار الذى ذكرته من قبل



وهو ولاية الفرع على تراث الاصل ، وحفاظه له ، وحرصه عليه، لاسيما اذا كان هذا التراث من الاشياء التى يتفاخر بها الفرع ويتعاظم ، وهى من ناحية اخرى ، يمكن ان تكون مدعاة للشك ، ودافعا الى الاتهام بالتحيز والتعصب ، وبخاصة فى مثل الظروف السياسية التى مرت بها سلالة البيت العلوى والمتشيعون له ، فالمعروف فى تاريخ الدولة الاسلامية ان ابناء هذا البيت والمنتمين اليه كانوا يتطلعون

الى الخلافة ، ويعملون لذلك بكل جهودهم بدعوى قرابة الدم ، واصرة الرحم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزاد حرمانهم منها – على ايدى الامويين اولا ، وابناء عمومتهم العباسيين ثانيا – رغبتهم فيها ، وتعاطف معهم عدد كبير من المسلمين فى مختلف الامصار الاسلامية ، وانطلقت الدعوة الشيعية تنادى بحق

آل البيت فى الخلافة ، وتمجيد على رضى الله عنه ، وتفضيله على سائر الصحابة ، ومنهم ابو بكر وعمر ، وانه كان احق من ابى بكر فى ولاية المسلمين بعد الرسول عليه السلام ، بل ان بعضا منهم غالى فى تقديره له حتى رفعه الى مستوى من اصطفاهم الله بالوحى ، ومن هؤلاء الرضى

نفسه فى مقدمته للكتاب ، فقد علل سبقه رضى الله عنه فى مضمار البيان وتفوقه على كل من عداه من الخطباء والبلغاء بأن كلامه ، عليه السلام الكلام الذى عليه مسحة من العلم الالهى وفيه عبقة من الكلام النبوى ، ورجل يصدر عنه مثل هذا القول لا

يكون بمنجاة من الزلل ، ولا يؤمن جانبه فى التقول على على رضى الله عنه بما يوافق هوى الشيعة ويؤيد دعواها، والذى ييسر عليه تلك المهمة انه كان شاعرا فحلا يمتلك طاقة

بيانية عظيمة .

وقد قال عنه بعض واصفيه : كان شاعرا مفلقا ، فصيح النظم ضخم الالفاظ قادرا على القريض، متصرفا في فنونه : ان قصد الرقة في التسيب اتى بالعجب العجاب ، وان اراد الفخامة وجزالة الالفاظ في المدح وغيره اتى بما لا يشق له فيه غبار ... وان قصد الرائي جاء سابقا ، والشعراء منقطعة الانفاس ... وكان مع هذا مترسلا ، كاتبا بليغا ، متين العبارات ، سامي المعاني » ، فمن اليسير على مثله اذن ان يؤلف من الكلام ما يشاكل كلام علي رضي الله عنه في جزالة الالفاظ ، ومتانة السبك .

ونحن لا نجزم بهذا لكنه احتمال قائم في ظل الظروف التي اوضحناها ومهما يكن فقد لقي « نهج البلاغة» اهتماما كبيرا من العلماء والباحثين في القديم والحديث ، فقاموا بشرحه والتعليق عليه ، حتى اناف على الاربعين باللغتين العربية والفارسية، ومعظم هذه الشروح قام بها رجال من الشيعة ، تعبيرا عن تقديرهم الشديد للامام علي ، وولائهم له . ومن الشروح في القديم ما كتبه القطب الراوندي وابن ابي الحديد ، وابو الحسن البيهقي ، والامام فخر الدين الرازي ، ومنها في العصر الحديث شرح الامام محمد عبده ومحمد نائل المرصفي .

ولا يتسع المجال هنا للتعريف بكل شروح الكتاب على فرض وجودها جميعا وسهولة الحصول عليها، هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى فان هناك منهجا اساسيا تلتقي عنده كل تلك الشروح ، هو بيان معاني المفردات اللغوية ، وتفسير بعض التراكيب ، والاشارات التاريخية ، والخلاف بينها يكمن في الايجاز والاختصار بما يحقق الهدف ويوضح المراد ، او الاطناب والاستطراد من موضوع الى اخر لادنى ملابسة ، وهو خلاف جد يسير يسوغ لنا معه الاكتفاء بالحديث عن بعضها والتعريف به عن التعريف بالاخرين .

***

ولعل شرحي ابن ابي الحديد . والامام محمد عبده كافيان في هذا المقام ، فاولهما يمثل الشروح القديمة والاخر يمثل العصر الحديث ، وايضا فان روح ابن ابي الحديد تنزع الى التشيع ، على حين ان الامام محمد عبده يمثل التفكير الاسلامي المعتدل، وبهذين الاتجاهين كليهما نحسن التعريف بالكتاب وشروحه تعريفا اقرب ما يكون الى الكمال .

لقد عددت شرح ابن ابي الحديد (عز الدين ابو حامد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين) ممثلا للشروح القديمة لكنه، في حقيقة الامر اوفى الشروح قاطبة في القديم والحديث كتبه استجابة لرغبة مؤيد الدين ابي طالب محمد بن احمد بن العلقمي وزير المستعصم بالله اخر خلفاء العباسيين ، وقضى في تاليفه اربع سنوات وثمانية اشهر تمتد من غرة رجب سنة ٦٤٤ هـ الى اخر صفر سنة ٦٤٩ هـ .

نهج البلاغة

والكتاب يقع في عشرين جـزءا (حققه الأستاذ محمد أبو الفضل ابراهيم ونشرت طبعته الأولى سنة ١٣٧٨ هـ – ١٩٥٩ م) • وترجع ضخامته ، بالقياس الى النص الذى يدور حوله ، الى انه يعكس ثقافة الرجل بكل جوانبها اللغوية والادبية والعقائدية والتاريخية ، فقد عاش في العصر العباسي الثاني مابين عامى ٥٨٦ و ٦٥٥ او ٦٥٦ هجرية (على اختلاف في الروايات) ، وهو عصر ازدهرت فيه الحضارة الاسلامية ، وحفل بكثير من الشعراء ، والكتاب وكانت نشأته بالمدائن ، احدى البيئات الشيعية المتطرفة ، فتتلمذ على شيوخها ، ودرس المذاهب الكلامية فيها ، وتأثر اول الامر بنزعة التشيع المتطرفة التى كانت تسود موطن نشأته ، ثم خفت هذه النزعة عنده ، بعد انتقاله الى بغداد حاضرة الخلافة ، واختلاطه بعلمائها ومفكريها ، واصبح – كما يقول المؤرخون – معتزليا جاحظيا بعد ان كان شيعيا غاليا • وكان الى جانب ذلك فقيها اصوليا ، كما كان اديبا ناقدا متضلعا في علوم العربية، عارفا بأخبار العرب ، راويا لاشعارها وأمثالها ، كما كان يحسن القول ، ويجيد التصرف فيه ، وقد ترك آثارا مكتوبة في كل هذه المجالات •

بكل هذه الحصيلة الفكرية والثقافية ، على تنوعها واتساع اطرافها ، تناول ابن ابي الحديد « نهج البلاغة » ليخصبه ويضيف اليه عطاء وفيرا ، فهو حين يتصدى للنص لا يتناوله بجملة واحدة ، وانما يتناوله على فقرات ، يبدأ بذكر الفقرة ، ثم يتلوها بالشرح ، فيعرض لتفسير المفردات اللغوية ، وقد يطعم تفسيره بنصوص اخرى شعرا او نثرا ويكشف ما في النص من مسائل النحو والتصريف ، والوان المعاني ، وفنون البيان والبديع ، ليس ذلك فقط ، بل انه قد يستطرد الى عرض مباحث بلاغية برمتها ، واذا كان النص يشير الى حدث تاريخي التقط الخيط من اوله ، وراح يفصل القول في ظروفه واخباره ورواياته المختلفة ، واذا كان في النص ما يتصل بموضوع فقهي او قضية من قضايا علم الكلام خاض في الموضوع ، واورد آراء العلماء فيه ، وحينئذ يغلب عليه استخدام اسلوب الفقهاء الجدليين من تصور الاسئلة ، وتقديم الاجابات عنها •

ومع هذا الذى اوضحناه من ثقافة ابن ابي الحديد الفنية، وامتلاكه لناصية البيان فانه فيما نرى ، لم يتحل بتواضع العلماء ، وركبه الغرور والعجب ، وطفق يزهى – في مقدمة الكتاب – بحسن صنيعه وبلوغه غاية الكمال ، وتفرده عما سواه ، فيقول : « فخرج هذا الكتاب كاملا في فنه ، واحدا بين ابناء جنسه ممتعا بمحاسنه ، جليلة فوائده ، شريفة مقاصده ، عظيما شأنه ، عالية منزلته ، ومكانه • ولا عجب ان يتقرب بسيد الكتب الى سيد الملوك ، وبجامع الفضائل الى جامع المناقب ، وبواحد العصر الى اوحد الدهر ، فالاشياء بامثالها اليق ، والى اشكالها اقرب ، وشبه الشيء اليه منجذب ونحوه دان ومقترب »••

وكنا نربأ بابن ابي الحديد ان يطرى كتابه على هذا النحو ، وكان

نهج البلاغة

عليه أن يدع ذلك للقراء الذين يأتون من بعده في مختلف العصور . على انه لم يقتصر على مدح عمله والثناء عليه ، بل راح يقتصر بشرح ابن الراوندي (سعيد بن هبة الله بن الحسن ٥٧٣ هـ) وهو الشرح الوحيد الذي كان قد سبقه ، ويشير الى أن اشتغاله بعلم الفقه ، وانحصار تفكيره فيه ، حيث كان فقيهاً من فقهاء الشيعة الإمامية ، يجعل من العسير على مثله فهم النصوص وشرحها ، والوقوف على مراميها وكشف أسرارها البيانية ويعلن صراحة انه سيناقش رأيه في مواضع يسيرة ، ويهمله في مواضع أخرى كثيرة لقلة الفائدة ، وقد انجز ابن ابي الحديد ، في ثنايا الكتاب ، هذا الذي صرح به في المقدمة .

ويستطيع القارىء ان يدرك من الفقرة السابقة ، التي نقلناها عن ابن ابي الحديد في مدح شرحه والثناء عليه مدى ما يكنه من تعظيم لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه ، فهو « سيد الملوك » و« جامع المناقب » و« اوحد الدهر » وذلك مظهر من مظاهر روح التشيع التي كان الرجل ينزع اليها، ومن مظاهرها ايضا ما يذكره في فصل لاحق للمقدمة تحدث فيه عن الامامة والتفضيل والبغاة والخوارج، وصرح فيه باتفاقه مع شيوخه البغداديين على تفضيله رضي الله عنه على جميع الصحابة، ومنهم ابو بكر وعمر وعثمان ، وأن الافضلية تعني الاكثر ثواباً والاجمع لمزايا الفضل والخلال الحميدة .

ويدافع من هذه الروح كذلك تناول موضوع نسبة الكتاب الى الامام علي ، ويرد على الذين قالوا ان الكتاب كله او بعضه منحول عليه ، قد وضعه قوم من فصحاء الشيعة ، وانه ربما كان للرضي دور في ذلك . ويتلخص رده في أن الكتاب اما ان يكون كله منحولاً أو بعضه، والاحتمال الاول باطل بالضرورة . في رأيه ، لتواتر اسناد بعضه الى علي كرم الله وجهه ، اذ روى كثير من المحدثين والمؤرخين ، الذين ليسوا من الشيعة ، كثيراً مما جاء في الكتاب . اما الاحتمال الثاني وهو انتحال بعضه ، فيناقضه ما يتسم به الكتاب كله من وحدة وتناسق بين اجزائه يدعوان الى القول بوحدة المؤلف ، فانت ، اذا تأملت نهج البلاغة وجدته كله ماء واحداً، ونفساً واحداً ، واسلوبا واحداً كالجسم البسيط الذي ليس بعض من ابعاضه مخالفاً لباقي الابعاض في الماهية ، وكالقرآن العزيز ، اوله كوسطه واوسطه كآخره ، وكل سورة منه وكل آية مماثلة في المأخذ والمذهب والفن والطريق والنظم لباقي الآيات والسور .

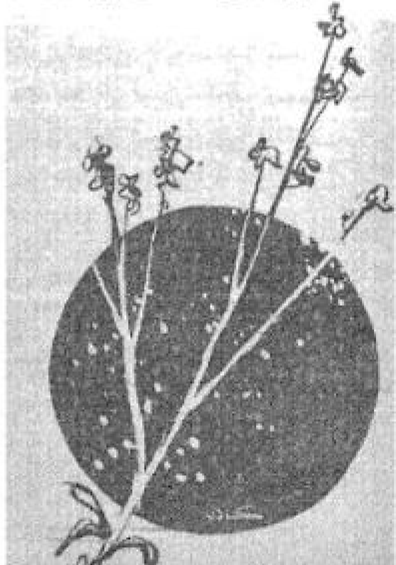
ولو كان بعض نهج البلاغة منحولاً ، وبعضه صحيحاً ، لم يكن ذلك كذلك ، فقد ظهر لك بالبرهان الواضح ضلال من زعم أن هذا الكتاب او بعضه منحول الى أمير المؤمنين عليه السلام »، وقد سبق

أن عرضنا جوانب الرأى فى هذه القضية .

وفيما يتصل بشرح الاستاذ الامام محمد عبده (أصدرته دار الشعب ١٣٨٨ هـ — ١٩٦٨ م فى ستة أجزاء من سلسلة « كتاب الشعب » بتحقيق الاستاذين محمد احمد عاشور، ومحمد ابراهيم البنا) فانه يشكل — فى رأى الباحث فى تاريخ الاستاذ الامام — جزءا من المهمة الكبرى التى كان يجاهد فى سبيلها ، وهى مهمة البعث والاحياء لشريعة الاسلام، ولغة العرب فى أنظف عصورهما ، وأصفى مواردهما ، ومن خلال سعيه لتحقيق هذه المهمة أعجب بما فى الكتاب — حيث قرأه — من روعة البيان ، وسمو المعانى ، وجزالة التعبير لكنه رأى أن اكتمال الفائدة منه لاتتأتى الا بتقريبه من مدارك الشباب بشرح الغامض من ألفاظه ، وتوضيح الصعب من تراكيبه ، وتعيين المراد من اشاراته ، كل ذلك بأسلوب موجز يقف عند حد الوفاء بالغرض . ومع علمه مسبقا بأن كثيرا من جلة العلماء قد سبقوه الى شرح الكتاب فان فرصة الاطلاع على أى منها لم تتيسر له ، اللهم الا شذرات متفرقة قرأها متفرقة فى بعض الكتب ، ومن ثم اختط لنفسه المنهج الذى أوضحت ، معتمدا فى ذلك على المشهور من كتب اللغة ، والمعروف من صحيح الاخبار ».

ولم يتعرض الاستاذ الامام للقضية « النهج » الاساسية ، وهى صحة نسبته الى الامام على كرم الله وجهه أو انتحال بعضه عليه ، وانما قبله على أنه صحيح النسبة اليه . كذلك لم يقحم نفسه فى موضوع الامامة — على نحو ما فعل ابن أبى الحديد مثلا — واكتفى « بتفسير العبارة وتوضيح الاشارة » تاركا للقارىء وحده الرأى فى هذا الموضوع ، بعد الالتفات الى أصول المذاهب المعلومة فيها ، لأنه لم ينقد من الكتاب « الا ما تعلق منه بسبك المعانى العالية فى العبارات الرفيعة، فى كل ضرب من ضروب الكلام » .

ومع الجهد الكبير الذى بذله الاستاذ الامام فى شرح النهج والتعليق عليه كان جم التواضع ، حين أعلن أنه « لا يعد شرحه هذا فى عداد الشروح ، ولا يذكره كتابا بين الكتب ، وانما هو طراز للنهج وعلم توشى به أطرافه » ، وتلك لعمرى سمة العلماء الكبار الذين لا يتباهون بعلمهم، مهما بذلوا من جهد، وحققوا من نتائج .



● عبد المنعم الأنصاري ●

أصداء

بعض ما كان لى سجل الطغاه ... مظهر الفجر أدركه فمحاه

***

حينما هجر اللحن قيثارتى ... تاركا فى دمى رعشة من أساه
بت فى شرفة ارجوانية ... والمدى راهب مطرق فى صلاة
ويد تسرق النور من جبهة ... عرف المجد فى نورها مبتداه
نكست مسحة الذل كبر الجباه ... فجاة وطوى الرعب سخط الإباه

***

قدر بالغ رغم انفى مداه ... ان يرى صاحبى بعض مالا اراه

***

ذبل الورد فى جنتى وشذاه ... لم يزل يهب النبت دفء الحياه
كل ما كان فى بدئه كلمة ... ربما لم تكن كلمة منتهاه
فاذا اليم فى ثورتى .. وانا ... غارق فيه ضيعت طوق النجاه
وانا العشب والنار مجنونة ... وانا الارض ظمآنة والمياه

***

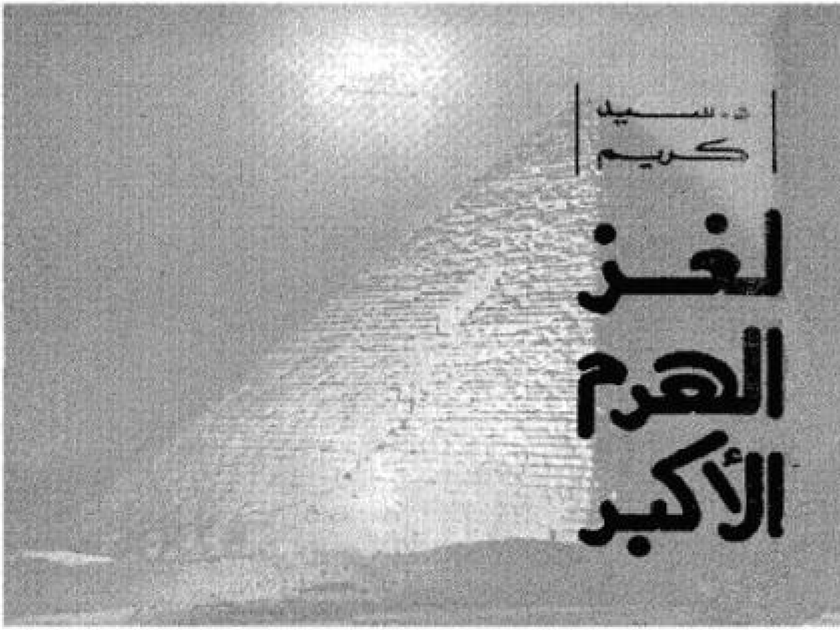
الدماء التى ، فى القميص الذى ... راية تحتها يتوارى الجناه

***

ـ ومحاسن موتاكم اولى ـ ... قولة لم تزل فوق بعض الشفاه
وبذور الاسى ضيعت فى الثرى ... صبرها فى انتظار دماء العصاه
يا بذور الاسى ليس فينا دم ... جيلنا انضب المجرمون دماه

***

من ترى يخرج الحى من ميت ؟ ... وله تنحنى هامتى ؟ من تراه ؟؟



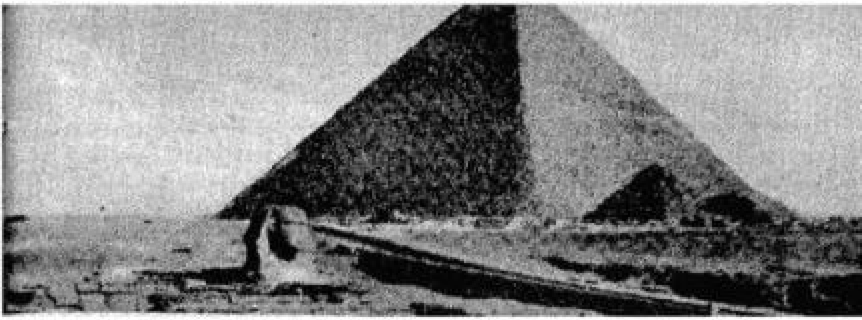
الهرم الأكبر ... أعظم عجائب الدنيا السبع واخلدها على الاطلاق. محا الزمن آثار العجائب الست الأخرى واحتفظ بتفاصيل تاريخ كل منها كاملا.

بينما بقى الهرم الأكبر وحده قائما يتحدى الزمن .. يحتفظ بصفحات تاريخه مطوية تحيط بها الألغاز ويكتنفها الغموض .. وصفه المتنبي عندما قام بزيارته وحاول قراءة افكاره وكشف اسراره بقوله :

بناء يخاف الدهر منه وكل ما على ظاهر الأرض يخاف من الدهر

وصفوه بانه اكبر صرح فى التاريخ بنى كمقبرة لملك واحد ووصفه البعض الآخر بانه مرصد لعلوم الفلك والتنجيم وسجل لتاريخ البشرية والعالم فى ماضيه وحاضره ومستقبله.

اختلفوا فى اسم من بناه ،واختلفوا فى تاريخ بنائه وطريقة انشائه. كما اختلفوا فى الغرض الذى بنى من اجله فتاهت الحقيقة ... وبقى الهرم الأكبر لغزاينتظر من يحله.



● وصف الهرم ومواصفاته

يوصف الهرم الاكبر من الناحية المعمارية بانه تكوين انشائي هرمي الشكل منتظم الاضلاع يرتكز بقاعدته المربعة على هضبة صخرية ترتفع بمقدار ٥٩٫٦ مترا عن سطح البحر و ٤٩٫٦ مترا عن سطح النيل ·

تشغل مساحة قاعدته ٥٢ الف متر مربع وهي المساحة التي تماثل المساحة التي تغطيها اكبر خمس كاتدرائيات في العالم ، وارتفاع الهرم ١٤٦ مترا اي ارتفاع ناطحة سحاب مكونة من ٤٨ طابقا ···

وتكون تدريجه الهرمي من ٢٠٣ مدماك او مصطبة حجرية من الحجر الجيري والرملي المستخرج من محاجر الضفة الشرقية للنيل · يتراوح ارتفاع كل مصطبه من ٥٦ ـ ٧٠ سم ·

يبلغ مجموع عدد احجاره ٢٫٦٠٠٫٠٠٠ حجر وزن كل منهما ٢½ طن يصل وزن بعضها عند القاعدة الى ١٥ طنا. كما يصل وزن كل حجر من احجار الجرانيت التي تتكون منها طبقات سقف غرفة الملك الى ٧٥ طنا ، اي وزن قاطرة من قاطرات السكة الحديد الحديثة ، نقلت جميعها من محاجر اسوان ·

يبلغ وزن الهرم باكمله ٧ ملايين طن كما يبلغ حجمه ٢٫٦٣٢٫٠٠٠ متر مكعب ·

ذكر نابليون ان احجار الهرم الاكبر تكفي لبناء سور ارتفاعه ٣ امتار وعرضه متر ويحيط بفرنسا باكملها ·

كما ذكر نيوتن ان احجاره تكفي لبناء حزام عرضه قدم يطوق الكرة الارضية بأجمعها عند خط العرض الذي يمر بالهرم او يغطي ثلثي خط الاستواء ·

● من الذي بنى الهرم الأكبر ؟

اصطلحت المراجع الحديثة لتاريخ مصر على ان الذي بنى الهرم الاكبر هو الملك خوفو ثاني ملوك الاسرة الرابعة بينما اختلف قدماء المؤرخين على اسمه وظهرت مختلف الاسماء التي لا تمت لبعضها بصلة ·

لقد خلا الهرم نفسه من اسم خوفو او اي اسم آخر لا على جدرانه او ضمن متونه ونقوشه او في غرفة الدفن او على تابوته كما جرت العادة في مختلف الاهرام الاخرى المعاصرة ·

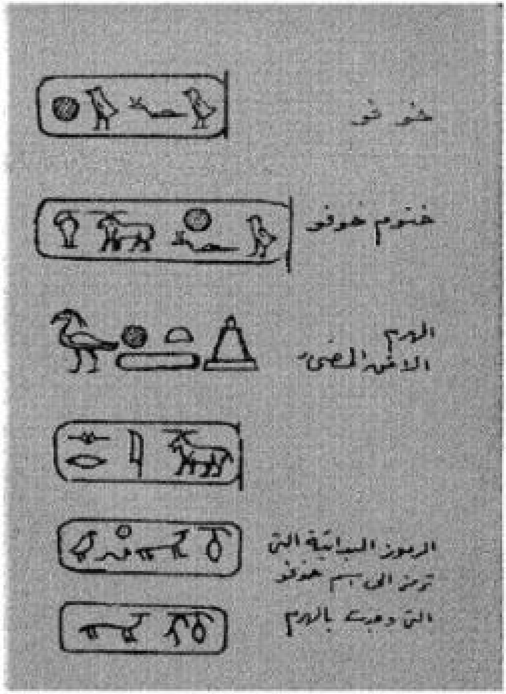
لم يرد اسم خوفو الذي اكتشف مصادفة الا ضمن بعض النقوش التي تركها عمال المحاجر على ظهور الكتل

الجرانيتية غير المصقولة والتي نقشت بطريقة بدائية وتحمل اسم خوفو وخنوم خوفو · وقد نفى بعض الباحثين الأثريين علاقة كلمة خوفو باسم الملك حيث ترجمت خوفو بمعنى جل جلاله ، وخنوم هو الاله معبود الشمس لجزيرة الفنتين · وتتفق تلك النظرية مع النتائج التي توصل بها كل من Davidson, Wyse من أوائل الباحثين الذين قاموا بدراسة الهرم الأكبر في أوائل القرن التاسع عشر بالإضافة الى بحوث اندريه بوشمان الحديثة والتى رجحت ان الهرم الاكبر قد بني كرمز للاله خنوم معبود الفنتين وان غرفة الدفن والتابوت الخالية من اى رموز او نقوش تشير لاسم الملك ، ما هي الا المقبرة الرمزية لروح الاله · كما تدل جميع القرائن من حيث أبعاد الغرفة وشكلها وأبعاد التابوت نفسه الذى لا يسمح بوضع المومياء بداخله بجانب اتجاه وضع التابوت الذى يتعارض مع تقاليد الدفن واتجاه المومياء ، كذلك وجود فتحات للتهوية بالغرفة · وتؤكد جميعها ان تلك الغرفة لم تكن غرفة الدفن لمومياء ملك من الملوك او حتى المقبرة الرمزية « للكا » أو قرين روحه مما رجح نظرية عدد من الباحثين الذين استبعدوا فكرة ان الهرم الأكبر كان مقبرة للملك خوفو اسوة بالاهرام الاخرى ·

● المؤرخون ·· والهرم الأكبر

وصف هيرودوت (٤٣٠ ق · م) الهرم الاكبر في كتابه الثاني من كتبه التسعة بقوله « وقال الكهنة انه حتى عهد الملك « رامبسينيتوس » كان يسود مصر كلها نظام تام ، ويعمها رخاء عظيم ، ولكن حكم البلاد من بعده كيوبس الذى ساقها الى البؤس اذ بدأ باغلاق المعابد ومنع المصريين من التضحية ، ثم امرهم جميعا بالعمل من اجله فاجبر البعض على جر الاحجار من المحاجر الموجودة بالجبل العربي حتى النيل · وأمر الاخر باستلامها بعد نقلها في السفن عبر النهر وجرها الى الجبل المسمى بالجبل الليبي · وكانوا يشتغلون في مجموعات من مائة الف رجل تعمل كل منها ثلاثة اشهر ولقد مرت عشر سنوات انهكت فيها قوى الشعب لانشاء الطريق الذى جروا عليه الاحجار · وهذا عمل في نظرى لا يقل عن تشييد الاهرام وهو طريق طوله خمسة (استاد) وعرضه عشرة أبواع وعلوه في أقصى ارتفاعه ثمانية أبواع وهو مبني من حجارة مصقولة حفرت عليها صور · وقد انقضت عشر سنوات في بناء هذا الطريق وبناء الغرف التي تحت الارض في التل الذى تقوم عليه الاهرام وقد بنى هذه الغرف واتخذها مقابر لنفسه في جزيرة تنقل اليها مياه النيل بواسطة قناة · واستغرق بناء الهرم نفسه عشرين عاما وهو مربع طول كل ضلع من اضلاعه ثمانية بلثرا وارتفاعه مثل ذلك · وهو مبني من حجر مصقول يلتصق بعضه ببعض تمام الالتصاق

● يصف مانيتون الكاهن والمؤرخ المصرى (٢٨٠ ق·م) الهرم الأكبر وتاريخ بنائه وصفا مخالفا لهيرودوت الاغريقي بقوله « قام ببناء الهرم الاكبر الملك سوفيس الاول الملقب باسم بروبتوس العظيم وهو الملك الثامن والعشرون من ملوك الفراعنة الذين حكموا مصر من وقت مينا مؤسس الاسرة الاولى وكان من أنصاف الالهة من ملوك منف الذين جمعوا بين الحكمة والمعرفة المقدسة وكان له الفضل في كتابة احد فصول كتاب الموتى المقدس وكان مصلحا ومثقفا وساحرا منع



الصخرة ووزع الارض على الفلاحين وملكها لهم كما أوقف الكثير من المزارع والخيرات على معابد الاله خنوم وان الناس كانوا يتسابقون في التطوع لبناء هرم الاله بعد الانتهاء من مواسم الزرع والحصاد . وانشأ لنفسه معبدا ومحرابا خاصا بجوار الهرم واعد لنفسه قبرا على شكل جزيرة تحت هضبة الاهرام تصلها مياه النيل من نفق خاص وحكم مصر ٦٣ عاما وكان عهده عهد رخاء ساعد ورثته على أن يبني كل منهم هرما ضخما لنفسه، وهو ما يتعارض تماما مع ما ذكره هيرودوت كما أن اسم « رامبسينيتوس » الذي خلفه خوفو في الحكم ورد اسمه في قوائم ملوك الاسرات على انه رمسيس الثالث وهو من ملوك الاسرة العشرين التي تولت الحكم بعد خوفو بالفي سنة .

ويصف المؤرخ ديودورس الصقلي ٥٦ ق.م) الهرم الاكبر وهو أول من وصفه بأنه احد عجائب الدنيا السبع التي كانت قائمة واقدمها جميعا وتذكر أن الذي بناه هو الملك « خمبريس » ثامن ملوك منف من عبدة اله الشمس ويصف الهرم بأنه اقيم كمحراب مقدس للاله ويصفه بأن كل ضلع من اضلاع قاعدته المربعة يبلغ طوله ٧٠٠ قدم مصرى وارتفاع الهرم ٦٠٠ قدم وان جميع ابعاده ومقاساته ترتبط بعلوم الفلك التي كان يتقنها كهنة منف ويعتبرونها من الاسرار المقدسة

ويقول ديودورس أن الملك خمبريس طلب من ورثته أن يدفن في قبر خاص في مكان سرى وانه حكم خمسين سنة

ويذكر المؤرخ سترابون الاغريقي (٢٤ ق م) أن الذي بنى الهرم الاكبر « خميس » وانه سخر مائتي الف عامل لمدة عشرين سنة لبناء الهرم ليكون قبرا له وان عصره كان عصر استبداد وفساد .

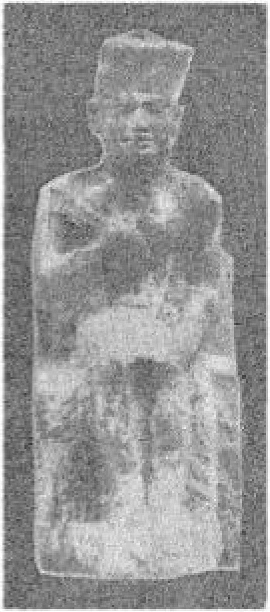
ثم يأتي المؤرخ بليني الروماني (٦٥م) ليصف الهرم الاكبر بأنه « استعراض طائش للثروة الملكية التي اراد بها الملك أن يستهلك كنوزه حتى لا يتركها لخلفائه أو خصومه الكثيرين من المتآمرين » كما ذكر أن الذي بنى الهرم يدعى « الملك سابس » وانه سخر ٣٦٠ الف عامل لبناء الهرم واستغرق بناؤه خمسا وعشرين سنة ولا يعرف احد مكان جثته التي سرقها الناس من مقبرته انتقاما منه لطغيانه

كما ذكر المؤرخ سترابون المقدوني (٣٦ ق . م) أن الذي بنى الهرم الاكبر ملك يدعى رامبس ووصفه المؤرخ اراتوستين باسم سارليس وستشللو يصف باني الهرم الاكبر باسم

الملك كوخوس والمؤرخ افريكانوس (١٧٠ م) باسم سوفيس وهكذا لم يتفق اثنان من مؤرخي العصور القديمة على اسم الملك او حقيقة شخصيته .

● ماذا قال مؤرخو العرب ؟

كان الهرم الاكبر موضع اهتمام كثير من مؤرخي وكتاب العرب ابتداء من القرن الثامن الميلادى وكان العرب انفسهم أول من اكتشف مدخل الهرم ووصلوا الى داخله في عصر الخليفة المأمون عام ٨٤٠ م فكشفوا ممراته وقاعاته السرية بما عثروا عليه من وثائق قديمة . وقد أجمع مؤرخوهم على مر العصور على أن الذى بنى الهرم الاكبر يدعى سوريد وهو اسم ليست له علاقة بمختلف الاسماء التي ذكرها مؤرخو الاغريق والرومان والمصريين القدماء . ويرتبط تاريخ الهرم وفرعون الذى قام ببنائه بأسطورة تناقلها جميع مؤرخي العرب وكان أول من ذكرها المؤرخ جلال الدين السيوطي في حسن المحاضرة بقوله : أن جماعة من أهل التاريخ قالوا ان الذى بنى الهرم الاكبر هو سوريد بن سلهوق بن شرياق ملك مصر . وسبب ذلك انه رأى في منامه كأن الارض انقلبت باهلها وكان الناس هاربين على وجوههم . وكان الكواكب تساقطت ويصدم بعضها بعضا بأصوات هائلة فاغمه ذلك وكتمه ، ثم رأى بعد ذلك كان الكواكب الثابتة نزلت الى الارض في صورة طيور بيض وكأنها تخطف الناس وتلقيهم بين جبلين عظيمين وكان الجبلين انطبقا عليهم وكان الكواكب النيرة مظلمة . فانتبه مذعورا وجمع رؤساء الكهنة من جميع أعمال مصر فاخبروه بأمر الطوفان العظيم فامر ببناء الاهرام وملأها طلسمات وعجائب وأموالا وخزائن



الملك خوفو ــ تمثال من العاج يختلف في الشكل والطابع والنحت عن بقية تماثيل ملوك بناة الاهرام .

وكتب فيها جميع ما قالته الحكماء وجميع العلوم الغامضة وأسماء العقاقير ومنافعها ومضارها وعلم الطلسمات والهندسة والطب وكل ذلك مفسر لمن يعرف كتاباتهم ولغاتهم . واحضروا لها الصخور من جهة أسوان وجعل ابوابها تحت الارض بأربعين ذراعا . فلما فرغ منها كساها ديباجا ملونا من فوق الى أسفل وجعل لها عيدا يحضره اهل مملكته كلها . ثم عمل في الهرم الغربي ثلاثين مخزنا مملوءة بالاموال الجمة والآلات والتماثيل المصنوعة من الجواهر

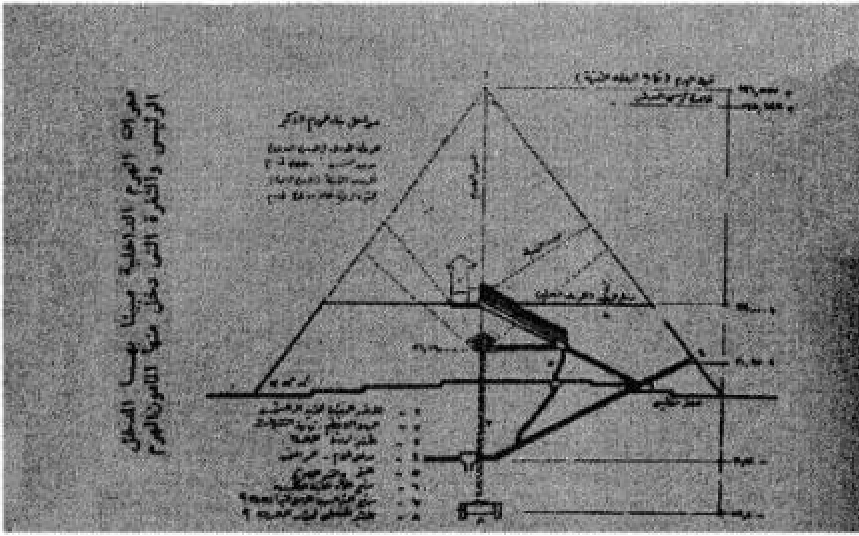
النفيسة والات الحديد الفاخر والسلاح الذى لا يصدأ والزجاج الذى ينطوى ولا ينكسر والطلسمات السحرية والسرية الغريبة ، واصناف العقاقير المفرده والمؤلفة والسموم القاتلة وغير ذلك ، وعمل فى الهرم الشرقى اصناف القباب الفلكية والكواكب وبروج التنجيم وما صنع اجداده من تماثيل . وجعل فى الهرم الملون اخبار الكهنة فى توابيت من صوان اسود ، مع كل كاهن مصحفه وفيها عجائب صنعته وحكمته ، وسيرته وما عمل فى وقته وما كان وما يكون من اول الزمان الى اخره وجعل لكل هرم خازنا يقتل من يقترب منه » .

كما ذكر ابن الحكم (٨٢٠ م نفس القصة عن تاريخ الهرم واضاف اليها « أن الملك سوريد جمع كهنة مصر وكان عددهم ١٣٠ كاهنا وكان كبيرهم يدعى اكليمون فقص عليهم الحلم باكمله . فقام اكليمون ورجاله باستقراء الكواكب فى السماء وتحركاتها وفسرها بعلم التنجيم الذى كان يعرف اسراره فذكر له أن الاله سيغمر الارض بطوفان عظيم يأتى عليها ويخرب كل ما عليها وحدد له ميعاده بعد ثلاثة اجيال من الزمان ـ فأمر سوريد ببناء ثلاثة اهرام وتوصيلها بقنوات تحت الارض تصلها بالنيل وامر كل كاهن من الكهنة المبجلين من اهل المعرفة ، أن يجمع كل منهم أسرار معرفته ووثائقها السرية المقدسة ، وبنى لكل واحد منهم صومعة فى الهرم يحفظ بها تابوته المصنوع من الصوان الاسود واسرار معرفة الوجود الكونية لتحفظها للاجيال القادمة بعد زوال الطوفان وشروق شمس الحياة فى الارض » .

وقد وردت نفس القصة مع



العرب أول من دخلوا الهرم الاكبر .. وهذه لقطة لعلماء المأمون داخل الهرم الكبير بمدرجات مستقلة التى تمثل السموات السبع



تغييرات خفيفة فى « مروج الذهب » لابى الحسن المسعودى (٩٥٠ م) الكاتب والمؤرخ القبطى الذى تحتفظ جامعة اكسفورد بمخطوطاته التى وصفيها الهرم بقوله : « ان الهرم الاكبر يحتفظ بالحكمة والمعرفة المقدسة لمختلف الفنون والعلوم من هندسة وفلك ورياضيات والعلوم الطبيعة والكونية ، لخدمة الانسانية واجيالها القادمة لتبقى ابد الدهر - فهو يحوى معرفة اسرار الفلك ، وحركة الكواكب والافلاك فى دوراتها ومداراتها وما يرتبط بها من احداث تاريخ العالم فى الماضى والحاضر ونبوءات المستقبل . فالهرم وشكله قد خطط بدقة متناهية من حيث ابعاده ومقاساته وجميع تفاصيله مما يعبر عن القواعد الاساسية للقوانين الطبيعة .

كما وردت أوصاف مماثلة ضمن مخطوطات المؤرخ العربى ابن فضل الله العمرى (المسالك والممالك) كما كان للمقريزى المؤرخ المصرى (١٣٦٠ - ١٤٤٢ م) الفضل فى جمع اقوال كثير من مؤرخى العرب القدماء عن الهرم الاكبر فى كتابه الخاص عن تاريخ الاهرام .

ومن اشهر مؤرخى العرب الذين قاموا ببحوث مطولة عن الاهرام وتاريخها الرحالة والمؤرخ اعبد اللطيف البغدادى (١١٦٢ - ١٢٣١م) وكان من المهتمين بعلوم الفلك فركز دراسته على علاقة الهرم الاكبر بعلم الفلك القديم ، وفى سرد لقصة تاريخ الهرم نفسه لم يختلف عما ذكر كل من ابن الحكم والسيوطى الا انه اختلف فى ذكر أسم بناة الهرم وكان مما قاله « الهرم الاكبر بناه الملك اغاثوديمون والثانى بناه هرمس وكانا بالنسبة للمصريين بمثابة رسل الله الشمس مما كان سبباً فى تحول الهرم الاكبر الى كعبة يزورها الفراعنة ويقدمون لها القرابين » . كما ذكر فى وصف الهرم ايضا ، كانت واجهاته مكسوة بحجارة ملساء عليها نقوش



مدخل الهرم الاكبر ويظهر فوقه اله الشمس المضيء في الافق

وطلاسم لم اجد في مصر من يعرف عنها شيئا ويمكنه تفسيرها • وهي كتابات كثيرة تملأ الوف الصفحات لمن يريد نقلهـــا » • كما ذكر ان قراقوش هو الذى ازال حجر الكسوة لاستعماله في بناء قلعة صلاح الدين واسوارها (١١٦٩ ـ ١١٩٦ م)

● ويشــــير الرحالة الكاتب ابو الصلت الاندلسي فيما نقله عن وثائق علمــاء الاقباط عن مخطوط قديم وجد في احدى مقابر ابو هرمس نصه :

« انا ســــوريد بنيت الاهرام في ستين سنة • أن من يأتي من بعدي ويدعي قوتي فليحاول ان يهدمها لا ان يبني مثلها في ستمائة سنة ، مع ان الهدم اسهل من البناء • ولقد كسوتها بالحرير المنقوش من يدعي انه يبني مثلهـــا ان يكســـوها بالحصير » •

كما ذكر عالم الفلك عبد الرشـــيد الباقوري (١٤١٢ م) ان الذى قام ببناء الهرم الاكبر ملك يدعى دامون وانه من علي بناء الهرم الاكبر تبعا لدراســـاته الفلكية ٣٩٤١ عاما وان الهرم تم بناؤه قبل الطوفان العظيم بـ ٣٥٠ سنة وان علماء الفلك من أهل منف الذين حددوا ميعـــــاد الطوفان وربطوا احداث العـــالم بقبة السماء ودورة الافلاك هم الذين قاموا بتصميم الهــرم الاكبــر كمحراب للاله ومرصد لعلوم السماء ليحفظوا فيــــه وثائق المعرفة الكونية بأسرار الوجود حتى لا يجرفها ويمحـــوها الطوفان لتبقى خالدة أبد الدهر ويسترشد بها السلف بعد ما تعود الحياة للأرض من جديد •

● وقد ورد ذكر لغز الهرم الاكبر في مخطوطات كتاب العرب فيما روى في تاريخ احمد بن طولون (٨٧٥ م) أن رجاله وهم يحفرون حول الهـــرم الاكبر بحثا عن أبواب كنوزه السرية وجدوا في الحفر لوحا من المرجان نقشت عليه سطور باليونانية القديمة فأحضروا من يعرف ذلك القلم فاذا هي أبيات شعر ترجمت فكان فيها :

انا بانى الاهرام فى مصر كلها
ومالكها قدما بها والمقدم

تركت بها اثار علمى وحكمتى
على الدهر لا تبلى ولا تتثلم

وفيها كنوز جمة وعجائب
وللدهــر لين مرة وتهجم

وفيها علومى كلها غير اننى
ارى قبل هذا ان اموت فتعلم

ستفتح اقفالى وتبدو عجائبى
وفى ليلة فى اخر الدهر تنجم

ثمان وتسع واثنان واربع
وسبعون بعد المئين فتسلم

ومن بعد هذا جزء تسعين برهة
وتلقى البرابى صخرها وتهدم

تنير فعالى فى صخور قطعتها
ستبقى واقفى قبلها ثم تعدم

قيل فجمع أحمد بن طولــون أهل العلم والحكماء وامرهم بحساب هذه المدة وفك رموزها فلم يقدروا على تحقيق ذلك فيئس من فتحها . وقيل انه استدعى احد علماء الاقباط فقام بتفسيرها بقوله « انها ترمز الى علم الارقام احد اسرار الهرم الكونيــة وعلاقتها بتاريخ العالم واحداثه ما كان وما سوف يكون من وقت بنــاء الاهرام وحدوث الفيضان أى الطوفان العظيم الى نهاية العالم وليس هناك بين رهبان التنجيم اليوم من يمكنــه فك طلاسمها ومن أوتى منهم العــلم بتفسيرها لن يؤذن له بافشاء اسرارها فامره باعادتها الى مكانها فى مقبرة احد كهنة طيبة حيث وجدت .

أما اسم سوريد الذى اجمع مؤرخو العرب على أنه فرعون مصر الذى قام ببناء الهرم الاكبر فقد حاول الكثير من باحث فى العصر الحــديث الكشف عن مصدر الاسم فتذكر مارشام ادامز انه ورد فى اسفار اليهود والكابالاه ضمن ما ورد عن الهرم الاكبر وعلاقته باسرار الكون باسم هرم سيراد أو فرعون سيراد . وسيراد معناها مصر بينما تفسر بحوث بورشان أن الاسم



الواجهة الشمالية للهرم ويظهر بها المدخل الرئيس وتحته الثغرة التى فتحها المأمون للدخــول الى الهرم

مشتق من اسم الاله خنوم اله الشمس الذى يرمــز له الفراعنة بالجدى واسمه باللغة الفــرعونية سريت أو سيرد .

لقد اقتصرت بحوث وكتاب العــرب عن الهرم الاكبر ابتداء من القــرن الرابع عشر على ماذكرهمؤرخو العرب وما ورد فى وثائق مؤرخى الاغريق ومن أهم البحوث التى ظهرت فى ذلك الوقت بحوث كل من العالم الفرنسى بالدنسيل فى القرن الرابع عشر وبحوث « البراميدولوجيا » للعالم البريطانى جريفز فى القرن السابع عشر .

لم يظهر الاهتمام الفعلى بالاهرام الا بعد الحملةالفرنسية١٧٩٩واهتمام نابليون بونابرت بتاريخ مصر وآثارها وكان لهالفضل فى اعداد اولموسوعة مصــورة عن تاريخ مصر وآثارها اشترك فى وضعها مجموعة من علماء الاثار وقد حظى الهرم الاكبر بجزء

كبير من دراساتهم التي تركزت بصفة خاصة على الناحية الهندسية والانشائية التي شملت قياساته وأبعاده الداخلية والخارجية .

وبعد الحملة الفرنسية بدأت تحملة العلماء من جميع انحاء العالم خاصة بعد فك رموز اللغة المصرية القديمة بعد اكتشاف حجر رشيد .

تميزت تلك المرحلة باهتمام العلماء من مختلف نواحي التخصص ممن كرسوا حياتهم في دراسة الهرم الاكبر كل منهم من زاوية تخصصه التي حاول بواسطتها تفسير اللغز . فظهرت بحوث عالم الفلك البريطاني هوارد فيس H. Wyse عام ١٨٣٧ ثم تبعه من علماء الفلك كل من ريتشارد بروكتور R. Proctor عام ١٨٨٠ وبيانزى سميث Piatzi Smith عام ١٨٥٦ والذى اتفقت بحوثهم على ان الهرم الاكبر مرصد فلكي .

كما ظهرت عام ١٨٦٥ بحوث جون تيلور عالم الطبيعيات J. Taylor ومن علماء الرياضيات الذين كانت لبحوثهم ضجة عالية بحوث كل من رالستون سكينر Ralston Skinner عام ١٨٧٥ وجون انجار J. Edgar عام ١٨١٠ واشترك في تحقيقها العلامة نيوتن .

كما ظهرت بحوث كل من لاجرانج الفرنسي Lagrange عام ١٨٩٣ وتبعه كل من دافيدسون ١٩٢٠ Davidson الذين تركزت دراستهم بالاشتراك مع بحوث بيانزى سميث على علاقة الهرم بالكتب السماوية والعقائد والتنجيم

● اسم الهرم

ان أول لغز في الغاز الهرم الاكبر هو ـ اسم الهرم نفسه ـ الذى اصطلح الكتاب والمؤرخون على تسميته باسم بيراميد واجمعوا على أنه مأخوذ من الاسم الذى أطلقه عليه مؤرخو الاغريق القدماء وهو Pyramis وجمعها Pyramides وبيرا معناها النار أو الضوء وميس أو ميدس معناها المقاييس .

لقد تعرض كثير من الباحثين للكشف عن اسم الهرم في مختلف المصادر والوثائق القديمة التي سبقت الحضارة الاغريقية القديمة فذكر العالم فولناى أن الاسم الاغريقي منقول عن الفينيقيين القدماء الذين اطلقوا عليه اسم Pur-middoh أى بيت النور كما ذكر ادلر أن الاشوريين اطلقوا عليه اسم Pi-rama أى الصرح المرتفع .

وورد اسم في الكابالاه اليهودية تحت اسم Bour-a-mit أى قبو الموتى وهو من الاصطلاحات المصرية القديمة المنقولة عن الفراعنة . فماذا أطلق عليه قدماء المصريين الذين بنوا الهرم نفسه ؟

هل تمكنوا من بناء الاهرام وعجزوا عن تسميتها ليتركوا للاجيال تسميتها؟

ان الاسم ، اسم ورمز للهرم ورد في كتاب هرمس (تحوتى) عن اسرار المعرفة تحت اسم Pmer--Ousi ومعناه بيت اسرار الوجود .

كما ورد في متون الاهرام ووثائق كتاب الموتى للحكيم المصري اسبيراموس Per-m-us أى مصدر الاسرار السماوية وفي برديات الاسرة الخامسة بمقابر الاهرام وردت رموز شكل الهرم تحت اسم برامیت Per-m.it أى بيت الخلود

كما ذكر ماسبيرو في بحوثه ان الشكل الهرمي اطلق عليه قدماء المصريين اسم Peri-m-usi أى. كتلة تقابل المثلثات وهو ما اشار اليه عالم الرياضيات اينشتين الذى ذكر

أن اليهـــــود نقلوا ذلك الاسم عن المصريين في وثائق الكابلاه السرية مع ما نقلوه من أسرار رياضيات الهرم الأكبر وعلاقتها بعـــلوم الطبيعيات والفلك وسر الأرقام ٠

من ذلك نرى أن اسم الهرم قـــد نسب خطأ الى الاغريق بينما هو اسم مصري قديم ـ بل لقد كان المصريون أكثر دقة عندما أطلقوا على الهرم أكثر من اسم متقارب في النطق ومختلف في المعنى تبعا لنوع الهرم وشكله والغرض من بنائه ٠

ان ذلك الخطأ الذي نسب فيه اسم الهــــرم الى الاغريق من الاخطاء الشائعة التي رددها مؤرخو الاغريق لتاريخ مصر القديم ورددها معهـــم الناس على مر العصور حتى اعتبرها كثير من كتاب العصر الحديث من الحقائق التاريخية الثابتة ، كما هي الحال أيضا في اسم مصر نفسها Egypt الذي رجعوا به الى « جيبتوس » الذي أطلقه مؤرخو الاغريق على مصر بينما يرجع الاسم أصلا الى الاســـم الذي أطلقه الفراعنة على أرض مصر قبل عهد الاسرات وقبل ظهــــور الاغريق بثلاثة آلاف سنة وهو اسم « جب ـ بتاح » أو جبتاه أي أرض الاله بتاح وتذكر برديات وثائق « اتى » أن اله المعرفة وحامل سر الحرف والكلمة والاسماء أطلق على أرض مصر اسم « جب بتاح » نسبة الى خالقها ـ أي الارض المقدسة التي ستحظى برسالته كما ورد نفس الاسم في متـــــون هيليوبوليس ٠

وهو أيضا نفس الخطأ الذي ورد في تفسير اسم النيل ومصدره حيث نسب أيضـــا الى الاغريق الذي أطلق عليه مؤرخوهــــم «نيلوس» فاســـم النيل قد ورد بجذوره في أقدم مراجع الفراعنة وبردياتهم ، فكلمة ني ـ آل فرعونية ومعناها النهر وجمعها نيلو أي الانهار وكان يطلق على الدلتا لمجموعة أنهارها كما وردت كلمة ال ـ نيل التي أطلقت على نيل الوجه القبـــلي ومعناها النهر الأزرق وكلمة نيل هي التي تطلق على النيلة أو الصبغــة الزرقاء ٠

● متى بني الهرم الأكبر ؟

كما اختلف المؤرخـــون والاثريون على تحديد اسم من بنى الهرم الاكبر فقد اختلفوا بالمثل في تحديد التاريخ الزمني لبنائه ٠

حدده البعض بما أمكن استخلاصه من المتون والوثائق القديمة ٠ وحدده البعض الآخر بمختلف نتائج بحوث علوم الفلك والرياضيات والميثولوجيا وما ورد بخصوصه في تاريخ الاديان كما لجأ بعض علماء العصر الحديث ـ عصر التكنولوجيـــا ـ الى مختلف الوسائل الالكترونية الحديثة في تقدير العمر الزمني للآثار والمخلفات الاثرية٠

لقد أجمع معظم المؤرخين الذين أتوا بعد مانيتون على أن الهرم الاكبر يعود تاريخ بنائه الى ملوك الاسرة الرابعـة ولكنهم اختلفوا مرة أخرى في تحديد التاريخ الزمني لعصر تلك الاسرة ٠

كان للمؤرخ المصري مانيتون، أول من وضع قائمة كاملة للملوك الذين حكموا مصر وقسمهم الى عهود وأسرات وحدد التاريخ الزمني لحكم كل منهم ٠٠

فكان أول من حدد تاريخ الهرم الاكبر عام ٤٨٣٩ ق٠م

والى بعده تيودوروس ليحدد تاريخ بنائه ٥٤٠٠ ق٠م

شامبليون مؤرخ الحملة الفرنسية ٤٨٦٠ ق٠م



بروكتور عالم الفلك ٥٥٠٠ ق٠م
ماكنوتن عالم الرياضيات
٤٧٤٨ ق٠م
٣٥٠٠ ق٠م
دافيسون
بيانزى سميث ٢٣٥٠ ق٠م
برستد (المتحف البريطانى)
٢٩٠٠ ق٠م
انجلباخ (المتحف المصرى)
٢٧٢٣ ق٠م
ابجار (الآثار المصارية)
٢١٤٠ ق٠م

من ذلك نرى أن الفارق الزمنى فى عمر الهرم الأكبر وصل الى ما يقرب من ٣٥٠٠ سنة وهو ما يقرب من عمر الحضارة المصرية فى نظر الكثير من مؤرخى العصر الحديث ‥ وكان بدوره أكبر لغز من ألغاز الهرم الأكبر ٠

وقد خرج أندريه بوشان العالم الفرنسى فى آخر بحوثه « سر الهرم الأكبر » على ضوء البحوث التكنولوجية الحديثة بنتيجة جديدة أثبت فيها أن الهرم بنى عام ٤٧٦٦ ق٠م ويتفق مع التاريخ الذى حدده المؤرخ المصرى القديم مانيتون وهو بداية الأسرة الرابعة ٠

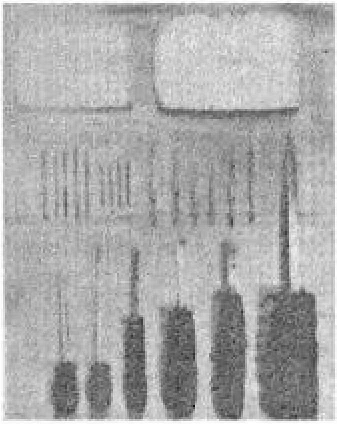
أما الفارق الزمنى فقد فسره العالم البريطانى جون تيلور بما ورد فى البحوث الأولى التى قام بها عالما الفلك ريتشارد بروكتور وبيازى سميث والتى بنى على أساسها نظرية جديدة وهى أن الهرم بنى على مرحلتين الأولى منهما عام ٥٦٠٠ ق٠م كمرصد للشمس قام ببنائه علماء كهنة عين شمس عند بداية الأسرة الأولى وقام بتكملته ملوك الأسرة الرابعة عام ٤٧٦٦ ق٠م ٠

● كيف بنوا الهرم الأكبر ؟

ان كميات المواد التى استخدمت فى بناء الهرم والتى بلغ حجمها ٢ مليون و ٦٢ الف متر مكعب ووزن أحجاره ٧ملايين طن، وصل وزن بعض أحجاره الجرانيتية ٧٥ طنا للحجر الواحد وطريقة نقل تلك الأحجار سواء من



ثقوب الاوتاد والاسافين التى استعملت فى قطع صخور الجرانيت بالمحاجر



الادوات البرونزية التى استعملت فى قطع الاحجار وصقلها . . .

محاجر جبل القطم بالضفة الشرقية أو من محاجر أسوان عبر النيل ومن شاطىء النيل الى هضبة الاهرام بجانب المهارة والدقة المتناهية فى صنعة قطع الاحجار وتشكيلها مع ما ارتبط بطريقة الانشاء من النواحى الهندسية والرياضية بل والفلكية ، ما زالت جميعها من الالغاز التى لم تجد لها حلا او جوابا مقنعا .

وقد تمكن علماء الرياضيات من اكتشاف وحدات القياس التى استعملها قدماء المصريين فى تصميم الهرم الاكبر وحسابات انشائه وهى البوصة الهرمية المقدسة والذراع الهرمى وتختلفان عن الوحدات المماثلة التى استعملت فى مختلف الاهرام الاخرى .

ويبلغ طول كل ضلع من اضلاع قاعدة الهرم ٤٤٠ ذراعا هرميا وارتفاعه ٢٨٠ ذراعا .

لم يترك بناة الهرم اية اثار او معلومات يستدل منها على طريقة بناء الهرم او الآلات التى استخدمت فى بنائه وكل ما وصل الينا وتناقله المؤرخون نقل عن الوصف الذى ورد فى كتاب هيرودوت الذى يصف فيه بناء الهرم بقوله :

« بنى أولا على هيئة سلالم يسميها البعض درجات والبعض الآخر مصاطب وبعد تشييده بهذا الشكل رفعوا الاحجار الباقية بواسطة آلات مصنوعة من ألواح خشبية قصيرة . وكانوا يرفعون الاحجار من الارض الى الطبقة الاولى من الدرجات ، وبعد رفع الحجر الى هذه الطبقة كان يوضع على آلة أخرى قائمة على الطبقة الأولى ومنها يرفع الى الدرجة الثانية ليوضع على آلة أخرى . وكانت هناك آلات بعدد الدرجات أو لعلها كانت آلة واحدة سهلة الحمل كانوا ينقلونها من طبقة الى أخرى كلما جروا حجرا .

ومن الواجب التحدث عن الطريقتين لا يقال بكلتيهما تم أولا بناء أعلى جزء من الهرم ، ثم بعد ذلك بنوا الاجزاء السفلى التى على الارض » .

ويصف هيرودوت أن الطريق الذى

الطريق لتجر عليه الاحجار عمل لا يقل عن تشييد الهرم نفسه وقد استغرق عشر سنوات في بنائه واستغرق بناء الهرم نفسه عشرين سنة اشتغل فيها مائة الف عامل بالسخرة في مجموعات تعمل كل منها ثلاثة أشهر . ويأتي المؤرخ ديودورس ليصف طريقة بناء الهرم بأنهم صنعوا لمصاطب منحدرة سحبت عليها الاحجار كما ذكر وصفا طريفا لبناء تلك المنحدرات سمعه من المصريين انفسهم – كما يقول – وهو انهم رصوا الممرات المرتفعة بالملح والنطرون الصلب حتى تتحمل ثقل الاحجار ، كما تساعد على انزلاقها وتم رش أسطحها بمواد شمعية تساعد على سهولة انزلاق الصخور والجرارات والزحافات – ولم يشرح دورها في منع انزلاق الزحافات والعمال انفسهم الى أسفل المنحدر – كما وصف فكرة استعمال الملح والنطرون بجانب الصلابة وتحمل الضغط انه بعد ما تم بناء الهرم بأكمله فتحت مياه الفيضان لتغمر تلك الممرات والمنحدرات فتذوب في مياهه فينكشف الهرم بأكمله . ولم يذكر بطبيعة الحال كيف تصل مياه الفيضان الى ارتفاع الهرم أو حتى منسوب الهضبة . أما عن عدد العمال الذين عملوا بالسخرة فقدر عددهم بـ ٣٦٠ الف عامل عملوا لمدة عشرين سنة بالتوالي وهم الذين قدر ديودورس عددهم بمائة الف والمؤرخ افريكانوس بمائتي الف .

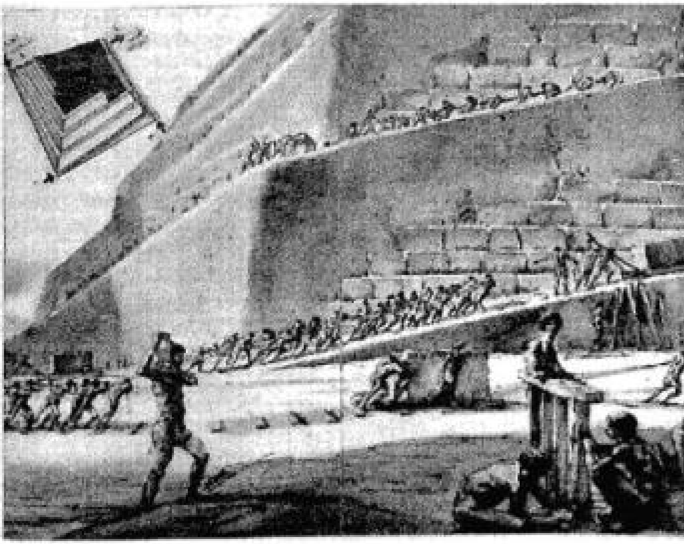
كما يختلف ديودورس مع هيرودوت في طريقة نقل الاحجار من مصطبة الى أخرى وذلك باستعمال الزحافات المصنوعة من الخشب والتي يجرها العمال بالحبال السميكة .

بينما يذكر المؤرخ ستشلو نقلا عن وثائق مانيتون قصة الممرات بأنها بنيت من البلاطات الحجرية وقوالب الطوب التي أهديت للعمال بعد الانتهاء من بناء الهرم ليشيدوا بها مساكنهم الجديدة بعد نقل الطوب والحجارة الى قراهم كما ذكر البعض الاخر من المؤرخين انها استخدمت في بناء مدينة « خنت كاوس » أو مدينة عمال بناء الاهرام .

ولقد كانت تلك النظريات جميعها موضع بحث كثير من علماء الهندسة والانشاء وصدرت نتائج بحوثهم في مجموعة من المؤلفات فندت كل نظرية من النظريات المذكورة واثبتت بعدها عن الحقيقة ، ابتداء من وسائل جر الاحجار التي ثبتت استحالة نقلها على الزحافات الخشبية وعدم تحملها لضغط الاحجار وزنتها وضغط الزحافات على أرضيات الممرات والمنحدرات واسطحها العلوية كذلك عدم تحمل الاخشاب للاحتكاك بما يساعد على سرعة احتراقها .

كما أن المنحدر اللازم لبناء الهرم للانتقال من الوادي الى قمة الهرم لا يقل طوله عن الفي متر حتى تسمح زاوية ميله وانحداره بنقل الاحجار وسحبها الى كامل الارتفاع . وفي هذه الحالة سيبلغ حجم مباني المنحدر ستة امثال حجم مبنى الهرم نفسه . بالاضافة الى أن عرض المنحدر سيأخذ في الضيق كلما ارتفع مع ارتفاع الهرم حتى يصل عرضه الى ما لا يزيد عن ثلاثة امتار عند بلوغه المصطبة العليا وهو ما لا يسمح عمليا بنقل الاحجار أو مرور حامليها وجراريها كما أنه لا يمكن تماسك الطريق وحوائطه أو جدرانه الساندة على هذا الارتفاع الشاهق وهو ما يهدم النظريات التي تفتق عنها خيال المؤرخين من الاوصاف التي سمعوها من المترجمين ونقلوها عنهم ورددها الاثريون والكتاب في مختلف العصور واعتمدوا على الاجتهاد في تفسيرها بمختلف الصور .

لقد حاول علماء التكنولوجيا الحديثة حل لغز الممرات والمنحدرات



فوجدوا ان الطريقة العملية الوحيدة التي يرجح ان يكون قدماء المصريين قد لجأوا اليها والتي تتفق مع امكانات العصر هي نظرية الممرات الدائرية او اللولبية التي تحيط بكل مصطبة من جهاتها الاربع وتكون ميولها في هذه الحالة بسيطة جدا بحيث تسمح بسحب الأحجار بأقل مجهود .وتبدأ الممرات كل منها من احد أركان الهرم ثلاثة منها للصعود ونقل الاحجار والمعدات والعمال والرابعة لنزول العمال كما هو مبين في اللوحة المرفقة والمنظور البياني .

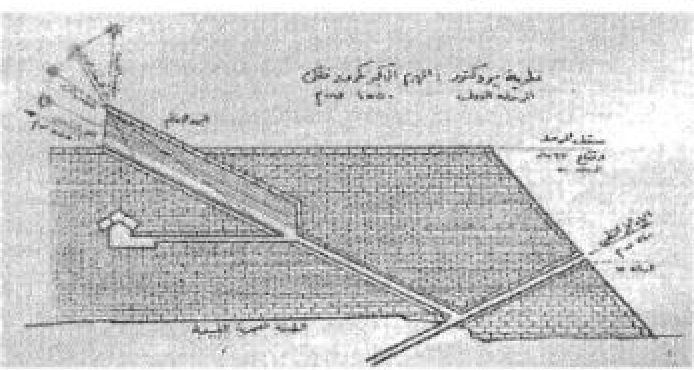
ولما كانت عملية بناء الهرم ابتداء من قطع الاحجار بالمحاجر ونقلها الى موقع الهرم ثم نحتها ورفعها وتثبيتها في مواقعها قد اعتمدت كلية على المجهود البشرى كما اجمع المؤرخون والاثريون .. فقد خضعت تلك الناحية الى الدراسات العلمية وبحوثها الخاصة بعلاقة الطاقة البشرية والمجهود الجسمانى التي تحتاج اليها لتنفيذ ذلك العمل . فيما يختص بطبيعة العمل والجهد اللازم لاتمامه وعدد العمال والزمن اللازم له ـ بصرف النظر عن استحالة تنفيذ بعض الاعمال اعتمادا على المجهود البشرى وعامل السخرة، فأجمعت نتائج البحوث التي قام بها عدد من العلماء من مختلف الدول بأن الهرم الاكبر يحتاج تنفيذه الى ١٠٠ الف عامل . وهو الحد الاقصى لعدد العمال الذين يمكنهم العمل في وقت واحد بالتناوب وخلال فترة زمنية لا تقل عن خمسين سنة، وهو ما يتعارض مع ما ذكره كل من هيرودوت ١٠٠

الف عامل وستراپون ١٢٠ الفا والفريكانوس ٢٥٠ الفا وديودوروس ٣٦٠ الفا وحددوا جميعا مدة البناء بعشرين سنة ٠

ولما يتعلق بالالات التى استعملها بناة الهرم فى قطع الاحجار وتشكيلها وصقلها فشاع استعمال الادوات والالات البرونزية التى وجد الكثير منها فى المحاجر ومقابر اسرات الدولة القديمة وكان للمصريين القدماء خبرة خاصة فى رفع صلابة معدن البرونز والاسلحة الحادة للادوات ٠ كما توصل بعض الاثريين الى اثبات استعمال المناشير والبريمة المعدنية فى قطع الاحجار الضخمة والصلبة بعدما اكتشف وجود اثارها على أسطح بعض الاحجار بمحاجر سينا واسوان ٠ كما كانوا يستعملون مع المناشير والمثاقب برادة احجار الدولوريت والبازلت والكوارتز التى تعمل على سهولة شق الصخور الصلبة ٠ كما استعمل حجر الصوان والبازلت الصلب مع برادة انواع مختلفة من الاحجار الكريمة فى صناعة اسلحة المثاقب او الحفارات لفصل الكتل الجرانيتية ومعالجتها بمساعدة الاوتاد والخوابير الخشبية كما ثبتت معالجة بعض الاحجار الجرانيتية بالتسخين والتبريد المفاجىء مع استعمال انواع مختلفة من المواد الكيماوية ٠ اما الطرق التى اتبعها القدماء فى صقل الجرانيت والبازلت التى احتفظت بلمعانها وبريقها الوف السنين فلم يتوصل احد الى كشف اسرارها بعد ٠

بينما دارت بحوث المؤرخين القدماء عن طريقة بناء الهرم الاكبر حول وسائل البناء المادية والطاقة البشرية ، فقد ورد ذكر بناء الاهرام فى المتون المقدسة فى احدى برديات كتاب الموتى ، ان الاله تحوت اله العلم والمعرفة واسرار الكون ، اوحى الى خدام معبد الشمس ببناء صرح الاله الهرمى الشكل ليكون تجسيداً للكتاب المقدس وكشف لهم عن اسرار القوة التى تجعلهم يسخرون الحجارة لتتحرك طوع امرهم ليعلو بها الهيكل المقدس الذى يحمى عرش الاله ٠

لقد وردت اوصاف مماثلة فى الكابالاه التى ذكرت اوصافا مماثلة نسبتها الى القوى الكونية السحرية التى كانت تتحرك بها الاحجار بقوى فقد الوزن وهى نفس القوى



السرية التى قام بها صرح سليمان ورفع عليه عرشه • وورد فى كتبهم السرية أن أسرار تلك العلم موجودة فى الهرم الاكبر وعلومه السحرية ومنها ما اطلقوا عليه صفة رياضيات الكون •

ويصف المؤرخ المسعودى الذى تحتفظ جامعة اكسفورد بمخطوطاته دور السحر أو العلوم المقدسة فى نقل الاحجار بقوله : « كان الحجر يوضع فوق اوراق من البردى عليها نقوش سحرية فاذا طرق على الكتلة الحجرية انتقلت وحدها مسافة طلقة سهم (١٥٠ ذراعا هرميا) وهكذا ينتقل الحجر على مراحل حتى يصل الى موقع الهرم وكانت لهم طرق سحرية مماثلة ترتفع بواسطتها الاحجار الضخمة الى الارتفاعات العالية لتحتل المكان المعد لها فى هيكل المبنى ولا يظهر اى تخدش أو أثر لآلات أو روافع على اسطحها او احرفها •

أن تلك البرديات وما فيها من طلاسم ورموز كان ينظر اليها فى الماضى على أنها نوع من اساطير السحر ، بدأ العلماء فى اكثر من معهد بدراستها وتحليل مضمونها وفك رموزها على ضوء العلوم الالكترونية الحديثة حيث يؤكد البعض معرفة المصريين القدماء لكثير من القوى الاشعاعات والموجات الصوتية والضوئية بانواعها وسيطرتهم على الكثير منها والتى كانوا يستخدمونها فيما اطلقوا عليه العلوم الكونية المقدسة •

● رياضيات الهرم الأكبر

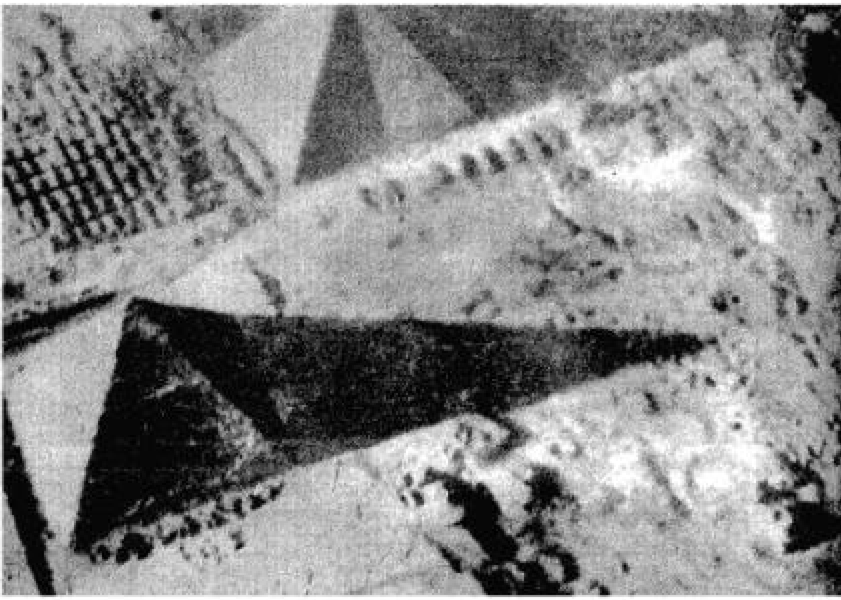
لما كانت الرياضيات ترتبط ارتباطا وثيقا بالفلك الذى يعتبره الفراعنة مصدر جميع العلوم الرياضية فلقد جذبت نتائج بحوثهم عن علاقة شكل الهرم وتكوينه الهندسى بقبة السماء ومدارات كواكبها فى دوراتها الهندسية المنتظمة وعلاقتها بالزمن ، جذبت اهتمام العلماء لمعرفة سر تركيبه الهندسى وكشف الغرض الذى واجهه المعماريون والانشائيون فى تصميمه وابعاده التكوينية الهندسية التى تعتبر فى نظرهم عبارة عن معدلات هندسية لها دلالتها • فقام عالم الرياضيات البريطانى جون تيلور عام ١٨٥٩ بدراسة الهرم الاكبر على ضوء ماذكره علماء اليهود فى كتبهم السرية عن العلوم السرية التى يحتفظ باسرارها الهرم الاكبر ومن بينها علاقة الابعاد والاشكال بالزمن واسرار علم الارقام فى الرياضة الكونية • وكانت اول نظرية أن معادلة رياضية نسبوها الى الهرم (نظرية ط) Pi Theory اى علاقة قطر الدائرة بمحيطها تق : ط ١ : ٣,١٤١٥٩ التى كان علماء الرياضيات فى الماضى ينسبونها الى علماء الاغريق • وقد كانت تلك النظرية ممثلة بدقة وباختلاف النسب الشكلية فى الكثير من الاشكال التكوينية للهرم تبدأ من علاقة محيط الهرم اى مجموع اضلاعه الاربعة الى ارتفاعه كما وجد انه اذا رسمت دائرة نصف قطرها يساوى ارتفاع الهرم لوجد أن محيطها يساوى المحيط الربع للقاعدة الهرم اى ان نصف قطرها وهو ارتفاع الهرم الى نصف محيط الدائرة يمثل نفس النظرية المذكورة •كما وجد أن تلك النظرية موجودة ايضا فى العلاقة بين ارتفاع سقف غرفة الملك ومجموع اضلاع الغرفة او محيطها كذلك فى ابعاد التابوت وعلاقة ارتفاعه بمحيط اضلاعه بل وجدت نفس النظرية ممثلة فى ابعاد كثير من مثلثات ميول المنحدرات والممرات واسطح الهرم او زاوية ميل اضلاع الهرم نفسه مع قاعدته والتى تبلغ ٥١ ، ١٤ ، ٥١ ، ٥١ …

ويذكر علماء اليهود في كتابهم السرى الخاص بسر الارقام ان الرقم الدال على نظرية ط وهي ١٤١٦ر ٣ يرمز الى اسم الخالق كما ورد فى التوراة وقد استغرقت بحوث تيلور خمس عشرة سنة عن الهرم الاكبر وحده وقام بعده عالم الرياضيات رالستون سكينر عام ١٨٧٥ ببحوث مكملة اصدر عنها موسوعته المشهورة « الهرم الاكبر مصدر المقاسات وعلوم الرياضيات » وكان له الفضل فى الكشف عن وحدة القياس التى استعملت في تصميم الهرم الاكبر وهى البوصة الهرمية المقدسة وظهرت بعد بحوث سكينر بحوث لاجرانج Lagrange عالم الرياضيات الفرنسي عام ١٨٩٢ فكانت تلك المراجع الثلاثة هى نقطة الانطلاق في البحوث التى قام بها كثير من علماء العصر الحديث والتي تتمخض كل يوم عن اسرار جديدة لعلاقة الهرم بعلوم الرياضات والهندسة ٠

كما كان للعلامة نيوتن دور هام فى اثبات صحة كثير من نظريات الهرم الاكبر وعلاقة الابعاد بالزمن والرياضات الكونية التى ورد ذكرها فى التوراة وكتب اسرار علماء اسرائيل المقدسة ٠ لقد بدا كشف اسرار رياضات الهرم باكتشاف وحدات القياس والتى ورد فى متون الاهرام انها انزلت بمعرفة الاله تحوت لكهنة معبد الشمس وهى البوصه الهرمية المقدسة وتساوى ١,٠٠٠١ بوصة بريطانية والكوبيت او الذراع الهرمى ويبلغ ٢٥ بوصة ثم تم اكتشاف وحدة اخرى اخيرا وهى القامه الفلكية والتى وجد انها ارتفاع الهرم الاكبر نفسه كوحدة للقياس فى حساب ابعاد الكواكب ٠ وقد ثبت أن البوصة المقدسة التى ورد فى المتون القديمة انها تبلغ ١ : ٥٠٠ مليون من قطرى الكون انها تبلغ بكل دقــة تبعــا



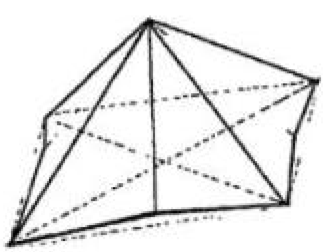
ثلاث لقطات للواجهة الجنوبية للهرم الاكبر صورها الاستاذ أندريه بوشان بالاشعة تحت الحمراء فى الساعة السادسة من مساء يوم ٢١ مارس ١٩٣٤ خلال ١٥ ثانية التى وضحت بها الظلال الخاطفة الضلع الاوسط بالواجهة ٠

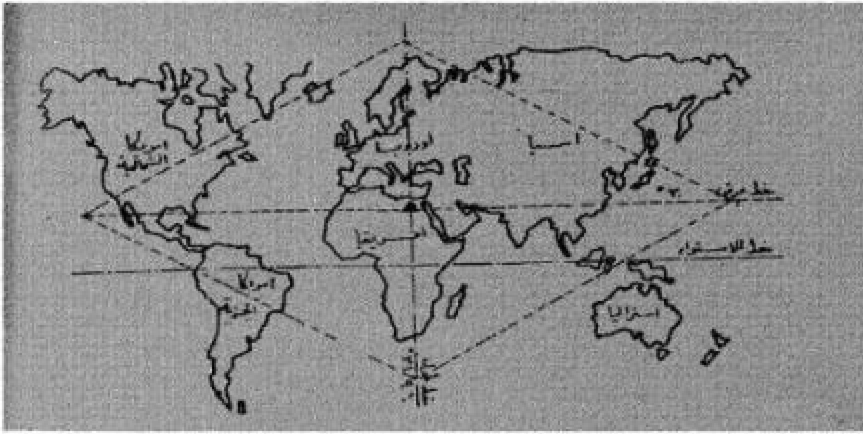


لقطة نادرة للهرم الأكبر تم تصويرها في تمام الساعة السادسة مساء يوم ٢١ مارس ١٩٣٠ كشفت حقيقة الأضلاع الثمانية .. « تصوير سلاح الطيران البريطاني »

للبحوث الالكترونية الاخيرة ١ : ٥٠٠ مليون في طرفي القطبين اى محور الارض .

كما فسرت ما ذكره القدماء على ان بعد الشمس عن الهرم ١٠٠ مليون قامة ـ فاذا علمنا ان ارتفاع الهرم من قاعدته الى طرف قمته التى كان يطلق عليها كرسى الاله ١٤٩,١ مترا وان بعد الشمس عن الارض قد ثبت انه ١٤٩,١ مليون كيلومتر .. وهى احدى النظريات التى كشفها نيوتن ـ واكد بها دقة الحسابات الفرعونية التي حيرت علماء الفلك والرياضيات فيما كان يستخدمه قدماء المصريين من الالات واجهزة فاقت فى دقتها الاجهزة الالكترونية الحديثة خاصة عندما استخدموا القامة الهرمية ـ اى ارتفاع الهرم ـ فى تحديد ابعاد القمر والنجم القطبي ونجم الشعرى اليمانية وابعاد الكواكب السيارة





وارتباطها بالحركة والزمن .. لقد تمخضت تلك الدراسات التى قام بها علماء الرياضيات خلال اكثر من قرن من الزمان عن مجموعة ضخمة من المؤلفات حوت ما لا يدخل تحت حصر من النظريات والمعادلات نذكر منها على سبيل المثال .

● موقع الهرم : ثبت انه مركز ثقل اليابسة أى القارات الخمس بالضبط

● موقع الهرم على سطح الكرة الارضية ... ويقع على قمة مثلث يمتد ضلعاه الى كل من القطب الشمالى ومركز محور الارض وتمثل ابعاده وزواياه ابعاد الهرم نفسه التى تعبر عن نظرية ط

● اتجاه محور الهرم فى اتجاه القطب المغناطيسى وليس للاتجاهات الاصلية .

● محيط قاعدة الهرم (مجموع اضلاع قاعدته) ٣٦٥٢٤٣٦ بوصة هرمية وتعبر عن الدورة الزمنية للشمس بكل دقة والتى حددت السنة الشمسية بـ ٣٦٥ يوما وربع يوم بفارق عدة دقائق عن التقويم المعمول به فى العالم وقد ثبت فلكيا وعلميا صحة التقدير الفرعونى القديم .

● وزن الارض = ١٠٠ مليون مرة وزن الهرم

كما حددت رياضيات الهرم ابعاد الكرة الارضية وابعاد مدارها ويعلق عالم الرياضيات لاجرانج على نتائج تلك البحوث المثيرة بقوله « ان الهرم الاكبر كتاب مغلق على اسرار الرياضيات الطبيعيه والكونية كل ما توصلنا اليه من تلك رموزه هو قراءة ما هو مسطور على غلافه » ويضيف تيلور « المعرفة بالرياضيات والهندسة ومختلف العلوم التى تجمعت لتبنى الهرم تؤكد علاقتها وارتباطها واتساعها الى معرفة سماوية فوق مستوى البشر » .

● النظرية الفلكية

الهرم الاكبر مرصد فلكى كونى

كان فى مقدمة من قاموا بدراسة الهرم الاكبر بعد الحملة الفرنسية مجموعة من علماء الفلك البريطانيين . بدأت ببحوث كل من هوارد فيس عام ١٨٣٧ وتبعه بياتزى سميث ببحوثه التى ظهرت عام ١٨٦٥ واجمعت بحوثهما للفلك والتنجيم والعلوم المرتبطة بهما وأكدا فى

دراستهما التي شملت عدة مؤلفات وجداول ومخططات تثبت علاقة الهرم وتفاصيله وابعـــاده بعلوم الفلك ونظرياته القديمة واثبتا عدم علاقته بالاسرة الرابعة وان الذى قام ببنائه كهنة معبد أون (هليوبوليس) فى الاسرة الثـــانية وهو ما يفسر قول المؤرخ مانيتـــــون عن بناة الهرم « انهم قوم غربـــاء اتوا من الشرق والهالشىء ليكون مرصـــدا للتنجيم الذى كان يعتبر جـزءا من العقيدة الدينية ومكملا لبيت المعرفة المقدسة واسرار الوجود .

وقد قاما بتحديد تاريخ بناء الهرم بالوســائل الفلكية حيث تركـــزت بحوثهمـــــا على اتجاه ممر مدخل الهرم الذى كان وضـــعه متجها الى النجم القطبى Alfha Draconis الذى كان يعتبر نواة الفلك القديم وامكنهما من ذلك تحديد تاريخ بناء الهرم من حساب من قيــاس درجة انحرافه عن الممر تبعا لانحراف محور الارض الذى يقدر بدقيقة و ٣٨ ثانية كل قرن والتى ظهر منها أن الهرم قد بنى عام ٤٧٨٩ ق . م

ثم ظهرت بحوث العالم البريطانى ريتشارد بروكتـــــور عام ١٨٨٠ م الذى قضى ما يقرب من ربع قــرن فى دراسة علاقة الهرم كمرصـــد فلكى بما ورد فى وثائق علم الفلك والمتون والعقائد فى مختلف الاديان التى ورد ذكر الهرم فى وثائقهـــا مع مقارنتها بعلـــــــوم الفلك والتنجيم الحديثة وتتلخص نتائج البحوث التى توصل اليها والتى قـــام بمراجعتها مــاك نوتون من علمـــاء العصر الحديث ومجمـوعة من علماء الرياضيـــات والانشاء بأن الهرم الاكبر قد انشىء على مرحلتين الاولى منهما كمرصـــد للفلك والتنجيم لاله الشـــمس الذى ذكرت المتون القديمة فى كتاب هرمس « ان الاله تحوت امر ببنائه بمعرفة سماوية فى موقع اختـــاره على الهضـــبة الغربية لتحفظ به أسرار الكون الســـماوى ويتلقى به كهنة الشـــمس رســـالة الاله » .

كما اثبت بروكتور ان قاعة الرصــد كانت الممر الصاعد أو البهو العظيم الذى يتجه نحو شروق نجم Sirius أو الشـــعرى اليمـــانية وهو النجم الذى حدد به قدماء المصريين التقويم الشمسى والسنة الشــمسية للعالم اجمع .

وبذلك امكن تحديد تاريخ بنـــاء المرصـــــد الذى وجد انه يرجع الى ٥٢٠٠ ــ ٥٦٠٠ ق.م. وهو يتفـــق مصادفة مع التاريخ الذى حـــدده مانيتون لبداية التقويم التحوتى الذى حدده مرصد كهنة الشـــمس وبدأ فى عصر الملك تحوت ثانى ملوك الاسرة الاولى ابن الملك مينا والذى يذكـــر بعض المؤرخين انه اطلق على نفسه اسم تحوت تيمنا باسـم الاله تحوت الذى وهبه سر المعرفة المقدسة .

ويصف بروكتور الهـــرم فى تلك المرحلة انه كان يرتفع عن ســـطح الارض الى منسوب المداك الخمسين من درجاته الحالية (٤٣ مترا)بحيث ينتهى الممر الصـــــاعد والجاليرى الكبير وكان سطحه بمنسوب أرضية غرفة الملك الحالية فكانت الشـــمس والكواكب وخاصة نجم ســـيريوس يحـــدد لهم دورة الفلك والتاريخ بزوايا سقوط اشعته على ارضـــية الممر وحوائطه .

وقد ثبت من مراجعة طريقة انشاء الهرم ووضـــع الداميه وابعادها ما يتفق مع نظرية بنـــائه على مرحلتين بفاصل زمنى يقرب من ٨٠٠ ســـنة وهما المرحلة الاولى ــ الملك تحـــوت (حرمحـــــا) ٥٥٥٧ ق.م (الاسرة الاولى)

المرحلة الثانية ــ الملك خوفـــــو (ســـوفيس) ٤٨٣٦ ق.م (الاسرة الرابعة) اى فى العامين الاول و٧٢٩ من التقـــويم التحــــوتى (جداول

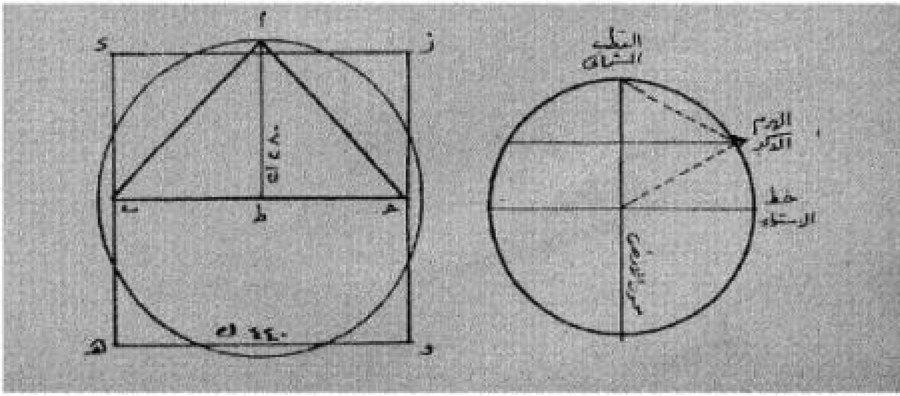
مانيتون) وقاعدة الهرم كمرصد فلكي ليست مربعة تماما كما ان أسطحها الثلاثة ليست مسطحة بل يتكون كل منها من مثلثين متقابلين أي أن الهرم مكون من ثمانية اضلاع يدخل محور خط تقابلهما بمقدار ٩٢ سم عن الخط المستقيم لضلع الواجهة وكان أول من كشف تلك الظاهرة المؤرخ دافيد سون عام ١٩٢٠ وشرحها في كتابه « الهرم الأكبر والرسالة المقدسة »، وذكر ان ذلك الفاصل في الواجهات لا يمكن مشاهدته بالعين المجردة الا في ساعة معينة من السنة وهي الساعة السادسة مساء يوم الاعتدال الربيعي (يوم عبور الشمس خط الاستواء Time of the Equinoxes ٢١ مارس ـ

وقد قام سلاح الطيران البريطاني بتصوير تلك الظاهرة عام ١٩٣٠ فظهر الفاصل واضحا في الواجهة الجنوبية ـ كما قام الأستاذ اندريه بوشان بتصويرها في نفس الميعاد عام ١٩٣٤ في عدة لقطات سريعة حيث ذكر ان الظاهرة لا تستغرق اكثر من دقيقتين .

وذكر دافيد سون أن تلك الظاهرة كانت معروفة لقدماء المصريين وقد ورد في احدى برديات كهنة منف « ان الناس كانوا يقدسون ذلك اليوم ويذهبون فيه الى سفح الهرم ليشاهدوا الاله وهو يجلس على عرشه فوق قمة الهرم »

فاذا جلس الانسان في منتصف القاعدة البحرية ونظر الى قمة الهرم في تلك اللحظة لوجد قرص الشمس يظهر وكأنه جالس على قمة الهرم حيث كانوا يضعون رمزا لكرسي العرش . وكان الهرم او المرصد باكمله يعتبر كمزولة كونية ضخمة تغطي واجهاته مجموعة من الرموز والخطوط البيانية كما كسيت ارضية الواجهة الشمالية بتبليطات من الجص الاملس كانت تستغل للتقويم بتحرك ظلال الهرم عليها طوال الوقت والتي وجد أن عرضها يتفق مع ارتفاع المبنى عندما كان مرصدا فلكيا وقبل أن يتحول الى صرح هرمي .

اما فكرة تحويل المرصد الى هرم فقال بعد ان قام بمهمته في جمع اسرار المعرفة وعلوم الحياة بداخله وتسجيل تاريخ العالم من الخليقة الى البعث عن طريق التنجيم بواسطة الفلك ورسائل القبة السماوية (كما ورد في نصوص المتون القديمة وكتب الموتى) لتفسرها اسطورة النبوءة التي قيل ان الهرم الاكبر بني من اجلها ـ وهي حماية مقتنيات العقيدة واسرار الكون من الطوفان العظيم وهي الاسطورة التي ورد ذكرها في وثائق مؤرخي العرب والمخطوطات القبطية القديمة وبعض العقائد الدينية .





هدية العدد
مي زيادة

● ولدت في الناصرة سنة ١٨٨٦ وتعلمت في لبنان . عاشت في مصر أديبة وكاتبة ، واسمها الحقيقي ماري الياس زيادة

● بدأت حياتها الادبية في سن السادسة عشرة ، وكانت كتاباتها الاولى باللغة الفرنسية ، ونشرت ديوانها « أزهار الحلم » في عام ١٩١١ ..

● بدأت الكتابة باللغة العربية سنة١٩١٥بعد أن لفتت انظار الكثيرين من أدباء مصر ولبنان ، بعد أن تتلمذت على أستاذ الجيل احمد لطفي السيد ، والشيخ مصطفى عبدالرازق ومارست الكتابة في مجلة الزهور التي كان يصدرها انطون الجميل ، وظلت تكتب في الاهرام والهلال والمقتطف .

● انطلقت من تراث الفلسفة الإسلامية وكل ما يتعلق بها من فنون وآداب وعلوم وتاريخ ، لثقافتها العربية الاصيلة ، وبفضل دراستها الواسعة اتسع افق تفكيرها ، وحلقت روحها في كل واد فيه من المعرفة قبس ، ومن اليقين شعاع ، سالمة متجولة في كل ميادين الفكر العربي والغربي دون أن تتخلى عن عروبتها .

● يجمع اسلوبها بين موسيقى الشعر وفصاحة النثر وبلاغته .... ويعتبر أسلوبها شعرا منثورا ، ولو أنها قيدته بالقوافي والاوزان لكان شعرا .

● ظل صالونها من الادبي مرتقا لكبار الادباء والمفكرين في مصر والعالم العربي الى ان اغلقته بعد اصابتها بصدمة عنيفة اثر وفاة والديها .

● كانت مي مصدر الهام ادباء كثيرين ، لما كانت تتسم به من جمال واتزان وأسلوب فريد في الحياة ، وقد حرك هذا وجدانهم فكتبوا الكثير عنها ، ودبجوا لها الرسائل الادبية ، وأسدوا الى الادب العربي أيادي بيضاء ، واضافوا اليه صحفا باهرة ، والفضل في هذا راجع الى مي التي عاشت وحيدة ، وماتت في عزلة موحشة .

● من هؤلاء الذين اتصلت بهم مي طه حسين ، والعقاد والرافعي والمازني وكانت اقوى علاقاتها ما ربطها بالمهجر ، اذ اتصلت بجبران خليل جبران منذ عام ١٩٢١ الى عام ١٩٣١ حيث مات بعد مرض طويل .

● من انتاجها : سوانح فتاة ، غاية الحياة ، كلمات واشارات ، المساواة ، ظلمات واشعة ، الصحائف بين المد والجزر، الرسائل، الخيال على الصخرة الى جانب العديد من المقالات الادبية ، فضلا عن شعر قالته بالفرنسية

● بعد حياة حافلة بالاشراق والتألق ، اختطفت يد المنون « مي » في يوم الاحد ١٩ اكتوبر سنة ١٩٤١ بعد أن ادت للادب العربي رسالة عظيمة الاثر لها في نفس كل اديب عاصرها او الذي تم من انفاسها العبقة اعمق الاثر . وانطوت صفحات الدهر لامرأة عربية عرفتها منتديات الادب في النصف الاول من قرننا العشرين .

الاتجاهات المعاصرة في الشعر الإنجليزي

د. صلاح عدس

اذا اردنا دراسة الاتجاهات المعاصرة فى الشعر الانجليزى فيجب اولا ان نتعرف على الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية فى القرن العشرين ، لان تلك الظروف هى بمثابة الارضية التى انبتت تلك الاتجاهات الشعرية .

وتبدأ دراستنا هذه بالشاعر « ت. س . اليوت » وأستاذه « أزرا باوند » والشاعر « ييتس » وهؤلاء لمعوا تماما فى العقد الاول والعقد الثانى من هذا القرن ..

ثم بعد ذلك شعراء الثلاثينيات وهم « اودن » و « سبندر » و « لويس ماكنيس » و « سيسيل داى لويس » وهؤلاء من اصحاب الشعر الاجتماعى ، وقد ظهر معهم فى نفس الفترة حركة سيريالية يمثلها «دايلان توماس» و «جورج باركر» ... ثم ظهرت الرومانسية الجديدة فى الاربعينيات على يد « كاثلين رين » و «ادوين موير» ... واخيرا الشعراء الذين ظهرت اسماؤهم منذ الخمسينات حتى الآن ومن امثلتهم « كينجزلى ايميس » و « فيليب لاركن » و (كوفمان) وهم من أصحاب الحركة المضادة للكنيسة «اليوت» وغيرهم من أصحاب الحركات الاسبطانية والسيريالية ، وكذلك بعض التابعين لكنيسة «اليوت» فليس هناك الآن مذهب محدد فى الشعر وانما هناك حركات مختلفة يمثلها بعض الشعراء الشبان فى انجلترا ..

● ظروف القرن العشرين ●

لقد شهد القرن العشرون حربين عالميتين ، ومعدلا سريعا فى التغييرات الاجتماعية نتيجة للتحول من الزراعة الى الصناعة بعد الانقلاب الصناعى (١٨٧٠ - ١٩٠٢) وانهيار الارستقراطية بقيمها الاجتماعية وانهيار الزراعة كاسلوب فى الحياة والتنظيم الاجتماعى ، وجاءت الحرب العالمية الاولى بمثابة نهاية للعالم القديم ، وقد انعكس ذلك فى الادب مثلا فى نعى « توماس هاردى » وغيره للماضى ذلك العهد الذهبى ، وفى رثاء « اليوت » للمجتمع الاوروبى المعاصر الذى اغرقته المادية وضاعت فيه القيم الروحية .. ففى ظل الراسمالية سادت اخلاقيات السوق



ت . س . اليوت



ا زراباوند



توماس هاردى

التجارية والمنافسة جو المدينة مما جعل الانسان تنخفض قيمته فى حدود تبادل المنفعة الاقتصادية فهو يقاس بمقدار ما يملك واصبح الشعار السائد فى العلاقات الاجتماعية هو « انا وبعدى الطوفان » ! ..

وقد ظهرت مجموعة من النظريات العلمية التى أسهمت فى تقويض الافكار القديمة المرتبطة بالمجتمع الزراعى وعلى رأسها النظرية «النسبية» عند اينشتين التى هزت المطلقات القديمة باثباتها ان الزمان نسبى وان المكان نسبى ، بل هزت البديهيات الراسخة ...

كما ظهرت نظرية التحليل النفسى عند فرويد التى اكدت اهمية الجنس، وبذلك هزت اخلاقيات العصر الفيكتورى التى كانت تنكر الاعتراف بالجنس بل وتحرمه ، حتى أن « د. هـ. لورانس » حين كتب انذاك روايته « عشيق الليدى تشاترلى » وعبر فيها عن اهمية الجنس قدموه للمحاكمة ومنعوا نشر روايته تلك فى انجلترا ..

وفى مجال العلم ايضا ظهرت « السيبرنتيكا » التى تعتبر احدث العلوم او علم المستقبل بما لها من تطبيقات مثل العقول الالكترونية والصواريخ الموجهة وسفن الفضاء والاجهزة الاوتوماتيكية ، حتى انه يمكننا أن نسمى النصف الثانى من القرن العشرين باسم عصر السيبرنتيكا أى عصر الاوتوماتيكية ، ولعله كان لذلك اثر فى ازدهار القصة العلمية ..

اما فى مجال الفلسفة فقد انتهى عهد الصروح الميتافيزيقية بعد «هيجل» و « برادلى » وشهد القرن العشرون الفلسفات التحليلية عند « برتراند راسل » و « جورج مور » و (ويتجنشتين) وتطبيقا لفلسفاتهم تلك فى مجال الاخلاق نجدهم يوجهون صدمة للمجتمع القديم بمطلقاته الاخلاقية ، فهم يرون ان الاحكام الاخلاقية بتحليلها لغويا نجدها مجرد تعبير عن مشاعر ، وأنه لا يمكن الحكم عليها بالصحة او الخطأ ...

كما شهد القرن العشرون ايضا الفلسفة « للبراجماتية » عند « وليم جيمس » و « جون ديوى » والتى تجعل من الفائدة العملية اساسا لصحة أو

خطا اى فكرة وهى بذلك تقدم صيغة فلسفية للعلاقات القائمة فى المجتمع الامريكى اى المجتمع الصناعى الرأسمالى ...

وكذلك ظهرت « الوجودية » التى تعكس السأم والقلق فى المجتمع الغربى وتؤكد فكرة الحرية الفردية ...

أما من الناحية السياسية فقد شهد القرن العشرون ظهور غاندى فى أسيا وتحرير الهند وباكستان وحركات التحرير فى افريقيا وانحسار الاستعمار وتقلص الامبراطورية التى كانت لا تغرب عنها الشمس ، مما كان له اثر فى نشأة حركة الساخطين عند « جون أوسبورن » وخاصة فى مسرحيته « انظر وراءك فى سخط » ، كما شهد القرن العشرون ثورة روسيا ، وظهور هتلر فى المانيا ، وموسولينى فى ايطاليا ، وانتشار الحركات الاشتراكية فى العالم .

ونجد أنه فى أعقاب اليأس بعد الحرب العالمية الاولى والحرب الاهلية فى اسبانيا سنة ١٩٣٧ ، والكساد الاقتصادى فى الثلاثينيات والاضطراب الاجتماعى ، ونتيجة لذلك كله ـ نشأت الرغبة فى الانفصال التام عن الماضى بكل قيمه ... وفى هذا المناخ ظهرت حركات مثل الدادية وحركة السريالية فى الفن التشكيلى عند « بيكاسو » و « ماكس ارنست » و « سلفادور دالى » وكذلك حركة المستقبلية ، وحركة « اللامعقول » فى المسرح عند « يوجين اونيسكو » و « صمويل بيكيت » ... وكذلك « اللامنتمى » عند « كولن ويلسون » ، فقد كانت كل هذه الحركات بمثابة تأكيد للتعبير الفردى كرد فعل ضد الديكتاتورية الفاشية والنازية التى تحاول صب الجميع فى قالب واحد ... ورأى البعض الاخر فى الماركسية ملجأ باعتبارها تقدم حلولا جاهزة وهذا يفسر لنا سر الميول اليسارية عند شعراء الثلاثينيات ..

● ييتس ● (١٨٦٢ – ١٩٣٩)

كتب « ييتس » عدة دواوين أهمها ديوان « الهيمات البرية فى كول » ، و « جزيرة بحيرة اينسفرى » ، و « البرج » ، و « الرياح بين أعواد القصب » ، و « جولات أويزين » ، و « قصائد اخيرة » ، و « السلم المتعرج » ...

ونجد دواوينه الاولى تسودها نغمة الحزن والاكتئاب ، فنسمعه مثلا يقول فى قصيدة عنوانها « سقوط الأوراق » :

الخريف يغطى الاوراق الصفراء
وقد تعبت ارواحنا الحزينة
فلنرحل الآن لان زمن العواطف
قد نسينا ...

وقد كان له فى شبابه قصة غرام فاشل مع الممثلة « مودجون » التى تزوجت شخصا آخر ، ولكننا نلحظ فى دواوينه الاخيرة نغمة مغايرة تسودها البهجة وتنبض بالحياة والعواطف والجنس فبينما كانت اشعاره الاولى عبارة عن قصائد حالمة عبر فيها عن هروبه الى أرض الجنيات بعيداً عن عناء هذا العالم وخشونته ـ فقد كان فى شبابه منغمسا فى السحر والفلسفة الميتافيزيقية ـ نجده فى شيخوخته يتطرق موضوع الجنس الى اشعاره حتى انه كتب عدة قصائد عن عاهرة تدعى « كريزى جين » ما كان ليكتبها فى شبابه . وبينما يتحدث فى اشعاره عن « فتيات يجلسن على الشاطىء ويفهمن ما يعنيه الظلام ».

ولعل سبب التغير الذى طرأ على شخصيته وانعكس فى اشعاره هو عملية « زرع خصية القرود » تلك العملية الجراحية ذات الاثر الهرمونى التى اجريت له بعد الستين من عمره، فأعادت اليه الشباب والحيوية وملأت شعره بنغمات الجنس والمرح والبهجة بسبب الهرمونات ، وذلك بعد نغمة الحزن والاكتئاب التى سادت دواوينه الاولى ولنقرأ تلك الابيات التى تفيض بالمرح اذ يقول :

طف بالريف والمدن
والتقف بكل عاشقين الى السرير
والتقف بكل الاخرين الى الارض

أظن انه يتضح ما فى تلك الابيات من بهجة تناقض تماما الكآبة التى تظهر فى الابيات التى نقلناها من قبل من قصيدة « سقوط الاوراق »، ومع ذلك فلم يكن « ييتس » شاعر الجنس أو شاعر الاحلام والاساطير فقط وانما كتب أيضا شعرا سياسيا واعيا بقضايا عصره مثلما فى قصيدة « عيد الفصح » التى كتبها عام ١٩١٦ يصور فيها الاضطرابات السياسية فى وطنه « ايرلندا » بعد أن هزته البطولة المأساوية للثائرين فيها ، فنراه يقول فى نهاية تلك القصيدة :

ان كل شىء قد تغير
تغير تماما
وولد جمال رهيب

فالجمال الرهيب هنا هو رمز لبطولات الثوار ...

● ازراباوند ●

كان ازرا باوند استاذاً لاليوت من حيث التكنيك الشعرى ، وكانت اهم دواوينه هى « اناشيد بيزا »، و« القناع»، و« ريبوستس » ، (لماذا احب القراء) ، و « الاناشيد » ...

وقد حدث خلال الحرب العالمية ان راح يلقى أحاديث اذاعية من راديو روما خلال الحرب الفاشية ثم نقل بعد ذلك الى الولايات المتحدة عام ١٩٤٦ حيث حوكم بتهمة الخيانة ثم أودعوه فى مستشفى الامراض العقلية. ولنسمع له تلك الابيات :

القاك على لحقة
كانها عصفور كانت تدفعه الريـاح الى جدار

وانهم يتحدثون عن نساء « سوينبرن »
وعاهرات « بودلير » ...
فهنا نرى مثالا للاشارات الادبية التي تميز بها التكنيك الشعرى عند باونـد ومن بعده « اليوت » ...

● ت . س . اليوت ●

كان اليوت كلاسيكيا في الادب ، ملكيا في السـياسة ، كاثوليكيا في الدين ، مثاليا في نزعته الفلسفية .. وتتميز اراؤه النقـدية بمهـاجمة الرومانسية في الشـعر ، ومهاجمة الانطباعية في النقد ، ومهـاجمة نقد الادب بمقاييس خارجة عنه مثل البحث عن شخصية الكاتب وراء انتاجه او مقاييس خلقية او اجتمـاعية ... هذا الى جانب دعوته الى الموضـوعية في النقد وفي الانتـاج الادبي نفسـه ، ودعوته الى الكلاسيكية والارتبـاط بالتقاليـد الفنية والمـاضى الادبي ، ودعوته الى المعادل الموضـوعي أي تصوير مجموعة من الاشياء او موقف او سلسلة احداث كي يعكس الاديب بذلك احساسه في شكل فني ...

وكانت اهم كتبه في النقـد هي : « مقالات مختـارة » و « الغـابة المقدسة » او مقالات في الشـعر والنقد ...

وربما يذكر له في مجـال المسرح الشعرى هو دفاعه عن الشـعر في الدراما ومحاولة احيـاء المسرح الشـعرى . وكانت اهم مسرحياته الشعرية : مسرحية « جريمة قتل في الكاتدرائية » ، ومسرحية « عودة لقاء العـائلة » و « حفل الكوكتيـل » ، و« الكاتب المؤتمن » .

أما في الشعر فقد تاثر بأزرا باوند كما تاثر بدانتي والشعر الفلسفي في الكوميديا الالهية حيث تتفـاعل الفكرة الفلسفية مع الاحسـاس الشعرى ، وتاثر كذلك بالشعر الميتـافيزيقي عند « جون دون » في القرن السابع عشر ، كما تاثر بشعراء الرمزية في فرنسا في القرن التاسـع عشر وخاصـة « بودلير » و « لافورج » ...

واشهر قصائد اليوت هي : « الارض الخراب » و « الرجال الجوفـون » و « اغنية الحب لالفريد بروفرول » و « أربع رباعيات » و « صـورة

وليم جيمس



سلفادور دالى



سيدة » ، و (خواطر في ليلة عاصفة) و « الفتاة الباكية الصغيرة » ، وقصيدة « صلاة مستر اليوت في صبيحة يوم الأحد » ، وقصيدة « بير بانك ومعه بايديكار – بلشتاين ومعه سيجارته » ، وقصيدة « الرجل الهرم » « جيرنيتون » .

ويتميز التكنيك الشعري عند اليوت بثقافته الواسعة التي تتضح فيما ينبث بين أبياته من أفكار فلسفية من الشرق والغرب والمسيحية والديانات القديمة في مصر وبابل وآشور ... كما نجده يكتفي بالاقتضاب والرمز والاشارة ويعمد الى الانتقال المفاجيء وكل هذا يسبب الغموض في شعره ...

كما يتميز التكنيك الشعري عند اليوت باستعمال الحوار واستعمال الاساطير والاقتباس من الآداب الأوربية والفلسفات العالمية لفقرات كاملة بلغتها الأصلية ... هذا الى جانب الاشارة الى أبيات من التراث الشعري .. وكل هذا قد سبب الصعوبة والتعقيد في شعره بعد سلاسة وبساطة من قبله من الرومانسيين ... كما يتميز التكنيك الشعري عند اليوت بتكثيف صور جزئية من الحياة اليومية وكان يرمي من وراء ذلك الى الكشف عن زيف الحياة في المدينة ، فنسمعه مثلا في « الأرض الخراب » يقول :

ماذا نعمل غدا
وماذا سنعمله دائما
الحمام الدافيء في العاشرة صباحا
واذا أمطرت السماء
فالسيارة المغلقة تستقلها في الساعة الرابعة
وسنلعب مباراة شطرنج
ثم نحاول جذب النوم الى العيون المرهقة

فهو يصور هنا من خلال تلك الصور الجزئية ما في الحياة الآلية في المدينة من رتابة وتكرار وسأم وملل ...

وهو يصور في الأرض الخراب كارثة العالم الاوروبي من خلال الرمز والاسطورة فيقول :

ثم جئت الى قرطاجنة
اننا نحترق .. نحترق .. نحترق ..
ياالهي انقذني الى الخارج
ياالهي المتزعزع
نحترق

وهكذا نجد قصيدة « الأرض الخراب » بمثابة رثاء للمجتمع الاوروبي ونعي وشهادة وفاة له .. فالأرض الخراب هي أوروبا بعد الحرب العالمية الأولى حيث سادت المادية وخنقت القيم الروحية ...

● شعراء الثلاثينيات ●

ان شعراء الثلاثينيات هم « سيسيل داي لويس » و « أودن » ولويس ماكنيس » ، و « ستيفن سبندر » .. ولقد تأثر هؤلاء باليوت من حيث الشكل وبالماركسية من حيث المضمون أما « سيسيل داي لويس » فيتميز بروح الفكاهة وأهم دواوينه « مجموعة القصائد » و « الحان افتتاحية الى الموت » و « الكلمة فوق الجميع » و « زيارات لايطاليا » ...

أما « أودن » فيتضح في شعره الى جانب تأثره فترة طويلة بالماركسية

تأثره أيضا بالتحليل النفسى عند فرويد ... وقد عبر فى شعره عن قضايا العصر مثل الكساد الاقتصادى وظهور النازية والفاشية والحرب الأهلية الاسبانية وكانت أهم دواوينه هى : « قصائد »، و « الخطباء »، و « رقصة الموت »، و « أنظر أيها الغريب »، و « وفى زمن آخر »، و « رسالة العام الجديد »، و « عصر القلق »، و « مجموعة القصائد القصيرة » ....

وقد برع « أودن » فى كتابة القصة الشعرية مثلما فى قصيدته «فيكتور» التى يصور فيها شابا مستقيما يكتشف خيانة زوجته فيقول :

فكر فيكتور ناحية الجبال
الجبال التى يغطيها الثلج
وصاح : أراض عنى أنت يا أبتى ؟
فجاءته الاجابة بالنفى ...
وأخيرا يصاب فيكتور بالجنون فنرى « أودن » يقول :
ربتوا على كتف فيكتور
ولكنهم بعيدا فى عربة
فجلس ساكنا كحزمة من العشب
قائلا : أنا ابن الانسان
وراح يصنع امرأة من الطين
وهو يقول :
أنا البداية والنهاية
ستأتى لكى أدين الأرض ذات يوم

وهنا نلاحظ اقتباسات « أودن » من الكتاب المقدس وهو فى ذلك يتبع تكنيك اليوت ...

أما لويس ماكنيس فتلمح فى شعره نفس الاتجاه اليسارى ونراه فى قصيدة « صلاة قبل الميلاد » يحدثنا بلسان جنين يخاطب العالم المعاصر مستنكرا ما فيه من استبداد فيقول :

هذا عن الشعراء ذوى الاتجاه الاجتماعى فى الفترة ما بين عام ١٩٣٠ وعام ١٩٤٠ وقد ظهر فى نفس الفترة حركة سيريالية يمثلها « دايلان توماس» وكذلك « جورج باركر » الذى يقول فى احدى قصائده :

أى أحلام الصيف الجامحة ما حزنك ؟
أى أحلام الشتاء الجامحة ما بهجتك ؟
أيها اليوم المقدس ...
أيها اليوم المقدس البالغ القصر
ورغم كل ذلك الطول
كانت قبل أول ليل أيها اليوم المقدس
حبيبتى حبيبتى .. أما من يقظة من ذلك السرير الطويل
أو ذلك النوم

حبيبتي حبيبتي ...
انما القلب هنا كي يؤخذ
ونحن يمكننا ان نأخذ
ولكننا لا نستطيع ان نستبقى
ونحن نستطيع ان نأخذ
ولكننا لا نستطيع ان نستبقى ...

● الرومانسية الجديدة ●

شهدت الاربعينيات حركة رومانسية جديدة يمثلها الشاعر « أدوين موير » والشاعر « كاثلين رين » الذى يقول فى قصيدته « العالم » :

انه يشتعل فى الفراغ
ولا شيء يرفعه
ومع ذلك فهو يسافر
اذ يسافر فى الفراغ
الاشتعال يرفعه
لا شيء ساكن
مشتعلا يسافر
الفراغ يرفعه
ومع ذلك فهو لا شيء
لا شيء وهو يسافر
فراغا مشتعلا
يرفعه السكون

● الخمسينيات وما بعدها ●

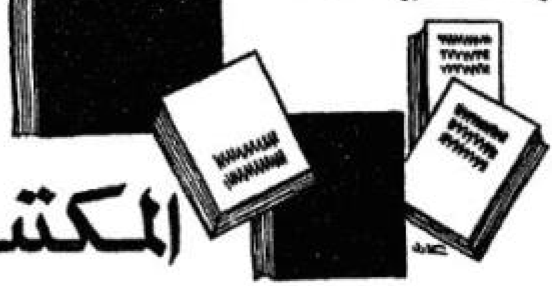
هناك الان فى الشعر الانجليزى امتدادات للشاعر اليوت ، وهناك أيضا اتجاهات معارضة لتكنيك اليوت منذ الخمسينيات يمثلها « كنجزلى ايميس » و « فيليب لاركن » و « كوفمان » وهم يدعون الى العودة الى البساطة والتلقائية باعتبار الشعر نابعا من القلب الى القلب وتصويرا للانسان البسيط فى حياته اليومية وفى ذلك ثورة ضد حشو الشعر بالفلسفة والرموز والاساطير لان ذلك يجعل الشعر غامضا معقدا ... وهؤلاء الشعراء الجدد يرفضون استعمال الاشارات الادبية والفنية الى قصائد اخرى او لوحات او أعمال موسيقية مشهورة .. وهم يقولون ان «الارض الخراب» لاليوت و «الاناشيد» لازرا باوند ما هى الا الغاز يصعب فهمها .. اذ ما الداعى لان يعرف قارىء الشعر التاريخ والفلسفة وعلم النفس والانثروبولوجيا والاساطير الفرعونية واليونانية والفينيقية ، وأن يلم باللغات الاجنبية ... ما الداعى لكل هذا التحذلق ...

واخيرا يمكننا ان نقول أن هناك عدة اتجاهات متباينة فى الحركة الشعرية الان منها الاستبطانية ومنها السريالية وغير ذلك ...

وليس هناك مايمكن تسميته بمدرسة واحدة يمكن تحديد ملامحها الا انه يمكن تبين تيارين احدهما يسير فى اتجاه تكنيك اليوت وآخر يسير فى الاتجاه المضاد ..

محمد حسن

الجديد في



المكتبة الغربية

نهضة عملاق !

الكتاب : الحرية عند منتصف الليل

المؤلف : لارى كولينز ودومينيك لا بيير

المتتبعون لاحداث استقلال دولتى شبه القارة الهندية ، يعلمون أنه عندما دقت الساعة منتصف ليل يوم ١٤ اغسطس سنة ١٩٤٧ ، انتهى عهد وبدأ عهد .. انتهى عهد الاستعمار البريطانى بعد ٣٤٧ عاما ، وبدأ عهد الحرية ، عندما رد البريطانيون فى تلك الساعة شبه القارة الى اهلها ..

ويقول المؤلفان فى هذه الرواية ـ فهى أشبه بالرواية منها بكتب التاريخ الرصينة ـ ان لورد لويس مونتباتن ، نائب الملك البريطانى فى الهند ، كان قد حدد لهذا الحدث يوم ١٥ اغسطس ، الذى يوافق الذكرى الثانية لتسليم اليابان فى المحيط الهادى ، ولكن « فيالق » من قراء الطالع الهنود احتجوا ، لان كل طالع فى ذلك اليوم كان ينبىء بحدوث كارثة ، ومن ثم قدم الموعد ١٢ ساعة .. ولكن يبدو أن النجوم لم تخدعها هذه الحيلة !

وهكذا نرى من اول وهلة ان المؤلفين يلجأن الى اسلوبهما المشهور فى بعث الحياة نابضة فى احداث التاريخ ، بحيث يفارقه الجمود ، ويصبح قصة حية مشوقة .. وهكذا خلق المؤلفان من الصراع الدينى ، ونزاع الحدود ، والتضحيات السياسية ، عرضا غنيا من الالوان والاشكال والاحداث .. ولكن بعث الحيوية فى التاريخ ينطوى على بعض التضحيات فى الدقة وسير الاحداث ، لان مولد شعب ليس مجرد مادة للميلودراما ، لان المستوى الانسانى والتاريخى اعمق من هذا بكثير .



جواهر لال نهرو

في سنة ١٩٤٧ ـ كما يقول المؤلفان ـ كانت الهند ساحة للمتناقضات : كان ٣٠٠ مليون هندوكي ، و١٠٠ مليون مسلم يكرهون المحتل البريطاني أقل البلا ـ كما يزعم المؤلفان ـ من كره أحدهما للآخر . كان في كلكتا أكثر من ثلاثة ملايين فقير هندي ، كل منهم يشبه هيكلا عظميا متحركا . وكان في الهند ٥٦٥ مهراجا يرفلون في نعيم الثروة والجاه والسلطان غير المحدود ، وسط اغلبية من الشعب تعيش في فقر مدقع وجوع يبلغ احيانا حد المجاعة . وكان قصر نائب الملك في نيودلهي يستخدم أكثر من ٥ آلاف خادم و٤١٨ بستانيا ، في وقت كانت فيه بريطانيا تعاني من آثار الحرب العالمية الثانية الأزمات والديون : كان اللحم نادرا ، والطعام واللباس بالبطاقات .. ولهذا السبب قررت حكومة كلمنت أتلى العمالية ان تتخلى عن كاهلها عبء استعمار الهند .. ولكن المشكلة كانت ان « حمامات الدم التي سوف تلي خروج البريطانيين من الهند سوف تكون أسوأ من حمامات الدم التي سوف تحدث لو استمر الوجود البريطاني هناك ... كان الموقف شديد التعقيد ، بل ميئوس منه ! » .

ويركز المؤلفان على « الرءوس » التي مهد نضالها للاستقلال ، الذي اسفر عن تحرير خمس سكان العالم ، مع تركيز اشد على اللورد مونتباتن ، باعتباره أكبر مصادر مادة كتابيهما ، ومن ثم يضفيان عليه ثوب البطولة الاسطوري ، ولا غرابة من وجهة نظرهما ، فهو حفيد الملكة الاسطورية فيكتوريا .. يصوره المؤلفان موزعا بين « عز » منصب نائب الملك وجاهه ، و « ذل » التنازل عنه في سبيل المبدأ والعودة الى الوطن الفقير .. ويلعب خيال المؤلفين العبقري هنا ، فيصور الصراع بكثير من التفاصيل ـ غير التاريخية ـ وقليل من الدقة التاريخية وان اسفر كل ذلك عن قراءة مشوقة تشبه الروايات !

يلي ذلك ثناء كثير على جواهر لال نهرو ، زعيم حزب المؤتمر الهندي ، وأول رئيس لوزراء الهند بعد الاستقلال .. واذا كان لا بد أن يكون في كل رواية شرير ، فان المؤلفان يضحيان بالواقعية والانصاف والدقة وحقائق الموقف ـ مع تحامل واضح ـ ليجعلا محمد علي جناح في ثوب هذا الشرير ، فيصورانه زعيما متعصبا للجامعة الاسلامية ، يصر على تقسيم الوطن الى شطرين : هند وباكستان ، ويوردان على لسانه قولا مشكوكا فيه ، وهو « ستقسم الهند أو تدمرها » !

ولعل أجمل صورة في الكتاب هي صورة المهاتما غاندي ، الرجل

النحيل الضئيل الذى جعلت شخصيته الجبارة من باقى العمالقة التزاما .. هذا المتصوف الضئيل الجسم صارع المحتل ثلاثين عاما ، بالصيام تارة، وبالمقاومة السلبية تارة أخرى ، ووصفه السياسى البريطانى المشهور ونستون تشرشل « بالفقير الهندى النصف عار » وكان لاتباعه فى مرتبة القديس .. وهنا أيضا لاينسى المؤلفان حبكة القصة ، فيرقعان الفقير الهندى النصف عار فى المتناقضات ، ولا ينسيان أيضا كيف يخرجانه من الورطة : يسأله اتباعه « كيف تنادى بشيء امس ، ثم تعود فتنادى بشيء مختلف اليوم » ؟ ويرد غاندى : « لاننى تعلمت شيئا جديدا اليوم » !

وهكذا يصوره المؤلفان فى صورة الباحث عن المعرفة دائما ، الذى لا يتوقف عن طلب العلم حتى اصبح اخيرا روح الهند وضميرها . واجمل ما فى القصة واشدها اثارة ، منظره وهو يمارس اعمالا لا تقوى جيش بأسره على القيام بها .. يحول بجسده النحيل دون حدوث مذبحة بين المسلمين والهندوس فى شوارع كلكتا . ولكن غاندى لا يمكن أن ينقذ جميع الارواح ، حتى روحه هو لم يستطع ان ينقذها من مخبول اندس بين اتباعه ليغتاله .. وبعد اغتياله حدثت مذابح لانظير لها فى التاريخ .

ويصور الكتاب مشاكل ما بعد الاستقلال ، وكيف تعانى الشعوب من خيبة الامل بعد تحقيق الاهداف . كان الاستقلال هو كل شيء ، فاذا به بعد الاستقلال يصغر عن لا شيء . حينما تتقشع هالات الاستقلال ، يصطدم الشعب بمشاكل الواقع . وفى مواجهة هذه المشاكل يطالب نهرو – كما يزعم المؤلفان – نائب الملك باستعادة سيطرة البريطانيين على بلاده مرة أخرى .. يطالب بالاحتلال ، وهو أمر غير معقول طبعا ، ولكنه يبدو معقولا اذا عرفنا ان المؤلفين يتبنيان وجهة نظر المستعمر فى الكتاب كله ، ولا يهمهما من الاستقلال ومصير الشعب الهندى الا مجرد « حبكة القصة » ..

والحوادث والمفارقات الطريفة ، واعجابهما الشخصى بكل ما هو بريطانى ، ومن ثم يعطيان الحقيقة بغلالات كثيفة ، ويصوران المستعمر فى صورة الملاك المفترى عليه ، لا المجرم المسئول عن المتاعب والمصاعب والالام التى تواجه الشعوب المستعمرة بعد الاستقلال .

ولا شك ان قضايا الشعوب تستحق علاجا اكثر دقة وانصافا من مجرد رسم لوحة تعجبك الوانها ، او كتابة قصة طريفة تعجبك مفاجآتها .. وان كانت التناقضات لا تنقص شبه القارة الهندية . وهكذا فان فى « الحرية عند منتصف الليل » عدة اخطاء ، ولكن الهند نفسها ليست احدى هذه الاخطاء !

صراع الفلاسفة !

الكتاب : جيمس وجون ستيوارت ميل : الابن والاب فى القرن التاسع عشر

المؤلف : بروس مازليتش

جون ستيوارت ميل (١٨٠٦ – ١٨٧٣) فيلسوف بريطانى اسهم فى تقدم التجريبية البريطانية الموروثة عن لوك وهيوم ، وجعل من علم

النفس اساسا للفلسفة ، وقدم بحوثا منطقية هامة في الاستقراء ، فضلا عن اضافات قيمة الى مذهب المنفعة في الاخلاق ، ومواقف ليبرالية في الميدان السياسي والاجتماعي .

ومنذ اجيال والمؤرخون يتسلون باستخدام علم النفس في تفسير تراجم عظماء الرجال ، وهاهو كتاب – بعد اكثر من قرن – يحاول ان يجرع الفيلسوف البريطاني من نفس الكأس : يركز على عقدة أوديب بين الاب والابن ، ، أي تحيز الاب ضد الابن ، خاصة التأثير النفسي لثقافة الاب وسيطرته التربوية على الفيلسوف الشاب ، وهي العلاقة التي يعكسها بصدق جون ستيوارت ميل في كتابه « ترجمة شخصية » ، وهو الكتاب الذي استلفت نظر عدد كبير من « الفرويديين » .

ولو ان اكتشاف الصراع الاوديبي فيجسد الليبرالية المنفعية ليس اكتشافا حديثا ، الا ان المؤلف يفعل اكثر من مجرد ابراز الاكتشاف .. هو هذا يتوسع في دراسة الاكتشاف ، ويحدد

جون ستيوارت



ابعاده في ضوء التحليل التاريخي ، بل واكثر : هو يبذل محاولة شجاعة ومدعمة بالاسانيد لوضع مشكلة رد فعل جون ستيوارت ميل العاطفي والفكري ازاء السيطرة الابوية – المزعومة – في الاطار الدقيق والعام للتغيير الاجتماعي في تلك الحقبة في بريطانيا عموما ، فهو يفترض أنه ولو ان التجارب النفسية لاسرة ميل اثرت تأثيرا بالغا في شكل وطريقة اسهامهما في التحليل والفهم الاجتماعي ، الا أن طريقة ادراكهما ومعالجتهما لمشاكلهما الشخصية ذات اثر بالغ ايضا ، لانه في اللحظات الحاسمة في التاريخ تصبح امكانية التغيير بين جيل وجيل هي اداة التغيير الاجتماعي الاولى .

وفي هذا الصدد ، يرى الاستاذ المؤلف ان « الميلزيين – نموذج للمخطط العام الذي ابرزه هوارد ولف في دراسته عن « الآباء البريطانيين وابنائهم فيما بين ١٧٧٣ و ١٩١٣ » حيث اصبحت علاقة اواخر القرن الثامن عشر الابوية الرتيبة بين الاب والابن ، مشكلة تعالج بطريقة جديدة ، لان التغييرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية الهبت الصراع بين الاجيال ، والتناقض السيكولوجي اعطى شكلا ومعنى للتغيير الاجتماعي الكبير .. باختصار : كان القرن التاسع عشر هو عصر أوديب ، باعتباره عصر تمرد الابن على الاب !

ومعظم الكتاب لايستخدم هذا القبيل من العموميات طبعا ، بل يبذل جهدا يسترعي النظر في اعادة دراسة آراء ميل الاب وميل الابن ، من واقع معتقداتهما الشعورية واللاشعورية ، ومواقفهما في الاسرة، وبحثهما عن ذاتهما .. وهو بهذا الشكل يبرز اراءهما في الاقتصاد ، ونظم الحكم ، والاصلاح الاجتماعي

والتركيب الطبقي ، والاستعمار ·· ويرجعها الى الضغوط النفسية التي عاناها · والنتيجة تفتح للقارىء آفاقا جديدة لفهم الاثنين · ومع ذلك تبقى الحقيقة ، وهي أنه رغم عيوب التحليل النفسي وأخطائه فيما يختص بالتطبيق على الاحياء الذين يمكن سؤالهم واعادة سؤالهم ، فان هذه العيوب تزيد حينما يطبق التحليل النفسي على الاموات الذين لا يمكن اعادة سؤالهم للتحقق من صدق ما تم التوصل اليه من نتائج ·

وقد لا يرجع الخلاف الفكرى بين الاب والابن الى عقدة أوديب ، بقدر ما يرجع الى عقدة أخرى ، أو لا عقد على الاطلاق ·· ولو أن التفسير السيكولوجي يظل مثيرا لخيال القارىء رحبا في مخيلته ، الامر الذى يجعل هذا الكتاب شبيها بتسالى الصالونات المثقفة المترفة

البطل الاسطورى :
الكتاب : محمد علي
المؤلف : ويلفريد شيد

لقد جاء هذا الكتاب في وقته ·· فالملاكم العبقرى محمد علي يكثر من الحديث عن الاعتزال في هذه الايام ، خصوصا قبل كل مباراة فاصلة ، ثم يعود بعد الانتصار فيؤجل الاعتزال · لقد صرح في شهر أكتوبر الماضي ، وقبل ان يتغلب على جو فريزيار بانه يلاكم منذ ٢١ عاما ، « وقد بدأت أضيق بهذه الرياضة » · ولكنه أجل اعتزاله حتى « يصفى » فريزيار وجورج فورمسان ، وكين نورتون ··· وربما قد تمت تصفية فريزيار ، وبقى فورمسان ونورتون ،

الجديد في المكتبة الغربية

واذا صح كلامه هذه المرة ، فسيعتزل في نهاية هذا العام ··

والواقع انه لم يسبق ان تربع على عرش الملاكمة مثل هذا الزمن الطويل ، ما عدا اربع سنوات تحالفت عليه سلطات بلاده لرفضه الحرب في فيتنام ، ولكنه صمد وصبر وكافح حتى أسترد عرشه ، ولا غرابة في ذلك فمحمد على ليس ملاكما عاديا ، انه بطل ابطال العالم في الملاكمة ، الرجل الاسطورة ·· معجزة الله التي خلقها للبطولة ، وبطريقة فريدة لا يمكن لمدرب ان يجرؤ على تعليمها لمن يدربهم ، انه يلعب ويداه مسترخيتان تحت حزامه ووجهه مكشوف للخصم ، ولو لعب ملاكم غيره بهذه الطريقة لكان هدفا مكشوفا ولسهل القضاء عليه في دقائق ، ولكن محمد على يكسب كل مباراة دون اصابة تذكر ، بفضل سرعة التلبية الفريدة لذراعيه اللتين تتحركان في الوقت المناسب تماما ، وفي سرعة مذهلة ، لتلقى ضربة او تسدد ضربة قاضية ·· هو لذن بطل رياضي فذ ، ترك بصماته واضحة على تكنيك اللعبة ، باسلوبه المبتكر : يرقص كالفراشة ، ويلدغ كالنحلة !

ولا شك ان فضل محمد على على رياضة الملاكمة لا ينكر ، ليس فقط لانه البطل الذى لا يقهر ، بل لانه اعطى اللعبة من الحيوية والبقاء ما جعلها تشغل الناس والدنيا ، بعد أن كانت مجرد رياضة محدودة الشعبية ، فلا غرابة اذا قام واحد من أبرز كتاب امريكا ، وهو ويلفريد شيد ، الكاتب الذى يتميز بالذكاء ، وخفة الروح ، وأناقة الاسلوب ، بتأليف كتاب عن بطل ابطال العالم ·

والكتاب نفسه يعد رد اعتبار لاعظم ملاكم عرفته حلبات الملاكمة الامريكية والعالمية ، بعد محاولات لتجريده من اللقب واسدال ستار من



محمد على .. الملاكم العبقرى

النسيان عليه ، لانه رمز لمناصرة الزنوج ، وداعية للسلام ، وتجسيد للثبات على المبدأ رغم كل العذابات التى لاقاها

ومن الكتاب نعرف ان ما وصل اليه محمد على لم يأت عن طريق الصدفة والعفوية ، وانما هو نتاج صبر ومران ، واهم من كل ذلك : ايمان لا حدود له بالله ، وبدينه الاسلامى ، الامر الذى جعله يتخلى عن اسمه المسيحى « كاسيوس كلاى » ، ليتخذ اسما اسلاميا يعتز به ويصر عليه دائما ، هو محمد على ، فهو لا يعتبر نفسه مجرد رياضى ، بل مبشر اسلامى ، وصاحب رسالة ، وشهيد فى سبيل القيم والمبادىء التى يؤمن بها ويرفع شعارها . وبفضل هذا الايمان وهذه المبادىء ، استطاع وهو الصبى الملون المعدم ، ان يجتاز كل الحواجز والقيود التى وضعها المجتمع الامريكى امامه ، وان يحقق ما وصل اليه من نجاح ، وهو الذى كانت اقصى امانيه — فى صغره — ان يجمع بضعة الوف من الدولارات ، فاذا به فى اوج مجده ، يدفع هذا المبلغ « التافه » بقشيشا

وفى الكتاب لمحات انسانية تبرز شخصية تجمع المتناقضات : فهو « الصخرة الآدمية » احيانا واحيانا اخرى أرق من النسيم .. هذا الوحش الكاسر على الحلقة ، له قلب طفل وديع ، وهو عموما شخصية اجتماعية ودودة تكسب كل يوم مزيدا من الاصدقاء والمعجبين . يعشق الاطفال ، لدرجة انه نسى النصر بعد مباراته الفاصلة فى زائير ليمضى عدة ساعات يلاطف الاطفال ويتحدث اليهم .. والواقع ان محمد على مع الاطفال يكون فى احسن حالاته ، ويشعر انه اسعد انسان فى العالم ، وتحس انت ببعض شخصيته وحنانه !

ورغم الثروة الطائلة والشهرة ، ومئات المعجبات به وبفنه . ويجسده التناسق الجميل ، لم ينحرف الى مغامرات او علاقات آثمة كغيره من نجوم الرياضة والسينما ، الذين تملأ فضائحهم صفحات الصحف والمجلات كل يوم .

ولقد قام فهيد بعمل ممتاز فى ١٥٠ صفحة ، ومن خلال اسلوبه الفريد ، يروى قصة حياة محمد على ، والطريق الطويل الذى سلكه الى البطولة الخارقة .. ولم يلبس شيئا ، ولم يغفل شيئا ، حتى حياته الخاصة غاص فيها حتى الطفولة ، وصور صعوبة الوقوف على القمة وسط خضم التحدى والتحديين . وفى الكتاب ٢٠٠ صورة ملونة وغير ملونة ، تصور البطل فى جميع اطوار حياته .

هذا كتاب غير عادى ، عن بطل غير عادى .. رغم محاولات المتحيزين والحاقدين !

معارك ادبية :

فى العدد القادم

احمد السمرة

سمراء

سلافة المرجان روى المنى
الى نعيم فوق جفن السنا
ولت ليالي البعد ما اطفأت
نجما ولا اذوت لنا سوسنا
ضفافنا خضر الروابي هفت
تضرعت كيما ترى خطونا
دروبنا الزرقاء مجدافنا
تستخير الامواج مأمننا
كنا حكايا مزهر صابيء
بأمسنا غنى وغنى بنا

***

سمراء يا نعمى على خافقي
رفت فما اغنى وما اقتنى
عيونك النجلاء حان الرؤى
فيها انبعاث البعث ، فيها الجنى
تشامخ السحر عريقا بها
واورق الدفء بها واغتنى
فيها منى تحدو براح المنى
من خمرها الوسنان صبي لنا
ثم اسالي عنى افاويقها
في نشوتي - يا دميتي - من انا



انا ، وهل ينبيك الا انـــــــا
من سلسل العشق ومن لحنـــا
انا اخضلال الشوق في برعم
يبني الهوى من عطره موطنـــــا
انا اختلاج النور في نجمـــــة
ترمي بكفيهـــا سرار الــــدنى
انا ائتلاق الصـــفو في بسمة
كم اسكرت من خمرها اعينـــا

***

اســـائل العينين ما لهفتـــــي
والحلن والنـــعمان عندي هنـــا
وما احتشـــاد الوجد في مسمعي
وانت لحن في دمي دندنـــــا
لا .. لن اخاف البعـــد يا حلوتي
الوصل والفجر لنــــا المنـــا
فــالحب ريان الصـــبا ناغــم
من شرفة النجوى دلالا رنـــا
يلون الاحـــــلام في وهمنـــا
ســـكرى تساقي المبسم الليـنـا
فما صـــبا قلبي ضـــلالا ، ولا
تهاون الحب ولا هــــيمونا

مع قراء الهلال..

● نصر الدين عبد اللطيف ●

● حسان ابراهيم – العباسية ●

– لست أذكر أننا عرضنا من قبل فى هذا الباب لمشكلات العواطف والقلوب ... ولعلك سهوت أو تعجلت فأخطأت رسالتك العنوان ...

لكن ، ومادام يهمك كما تقول رأيى ، فرأيى أن مشكلتك لاحل لها ، لأنها ليست مشكلة ! ..

وليس صعبا كما تتصور أن تأخذ بالحزم جموح تلك النحلة الفاخرة ذات الشعر الكستنائى البديع .. فحاول ، ولا تكسفنا معك نحن أبناء جنسك الخشن ! ..

دع الماضى يمضى . وانطلق ... لا تلتفت كثيرا أو طويلا الى الوراء حتى لا تتعثر ، وقد تقع ، و ... تنقطم رقبتك ! ..

***

● الاستاذ احمد عبد اللطيف بدر – بورسعيد ●

– انها السرعة ، والسرعة آفة العمل الصحفى، كما يعرف بالطبع استاذنا الجليل وشاعرنا المقدور ، فنحن نكاد نكتب ما نكتب خطفا ! ..

واذا كان المجال هنا لم يتسع لملاحظاتك أو تصويباتك القيمة ، فان الامر كما تقول تماما : « من نصح ينصح »، و « فوق كل ذى علم عليم »..

ومع العهد ، وثيقا ، بأن اتوخى الصحيح والامثل – بدقة – فيما اكتب ، فاننى سعيد لاهتمامك بما تقرأ من « تعقيباتى المجتهدة » ... وبما سألت لى من الخير والفتوح ...

● فؤاد سيد احمد ●

ـ ذلك بيت من الشعر الجميل للشاعر المهجرى « الياس ابو شبكه » ··· ولكن السياق والمعنى يكون اجمل واكمل ببيتين سابقين من ذات القصيدة ، وبحيث تقرأ الابيات الثلاثة كما يلى :

حسبي الكئوس ولاتبقى على مهج
موج الشباب على خديك يصطخب
حسبي الكئوس فهذا العصر عصر طلا
أما السكارى فهم ابناؤه النجب
لا تقنطي ان رايت الكاس فارغة ··
حسبي ففي كل عام ينضج العنب!

***

● م · صالحي ـ الجزائر ●

ـ لم اكن اعرف ، لولا ان صادفتني اخيرا في قراءاتي ما يفيد انها عربية فصيحة ـ كلمة : مجلة ··· اننا نطلقها الان على الصحف التى تصدر اسبوعيه أو شهريه او فصليه او موسمية ··· ولكنها ليست كلمة عصرية كما قد يتبادر الى الذهن لاول وهلة ···

واصل اشتقاقها في اللغة من : جل الشيء ، اى عظم قدره وارتفع شأنه ··· وقالوا في ذلك ، يقول ابو عبيده : « كل كتاب عند العرب : مجلة »، وحدث ابن الاعرابي عن ناسه، انه كانت في يده كراسه ، فلقى اعرابيا ، فسأله : ما المجلة ؟ ··· فاجابه : التى في يدك ··· ، كذلك قالوا ان شعر امية بن ابى الصلت ـ وكان شعره زاخرا بالحكم ـ مجلة ابن ابى الصلت ···

وفي عصرنا الحديث ، اختار الرواد من رجال الصحافة تسمية الصحف الاسبوعية والشهرية باسم « المجلة » ، فشاعت الكلمة بهذا المعنى الجديد او « المتجدد » ولم يعد لها مدلول سواه ···

***

● مصطفى احمد منير ـ رمل الاسكندرية ●

ـ اوافقك على أن الرحلات الفضائية الى القمر قد فتحت هذه الايام مجالا جديدا خصبا لفنون الاعمال الادبية قصصا وشعرا ···

وارجو أن توافقني على ان هذا المجال موجود قبل هذه الايام بزمن بعيد ، منذ أن حقق جاليلو ارصاده الرائعة للقمر ، وبعد أن كتب الفلكي الالماني يوهان كبلر كتابه الشهير عام ١٦٣٤ ·

ولعل اشهر الرحلات الفضائية في عالم الادب ، هي الرحلة التي وصفها جول فيرن في روايته التي الفها عام ١٨٦٥ « من الارض الى القمر » …

ورغم ان الكثير في هذه الرواية كان يقصد به الهجو ، الا انها تعتبر عملا ادبيا هاما، اذ انها اول رواية ترتكز على المبادىء العلمية السليمة … كان فيرن يعلم انه اذا جرى اطلاق جسم الى خارج نطاق الارض بسرعة للافلات من جاذبية الارض ، فهو لابد ان يصل الى القمر … وهكذا صنع فيرن بخياله مدفعا هائلا، واطلق منه ابطال قصته وهم داخل قذيفة ذات تجهيز خاص ـ اعتبرت فيما بعد نموذجا بدائيا لكبسولة المركبة الفضائية ابوللو …

ويطول المدى لو انني استطردت واكملت … فانا احبها : الرحلات القمرية ، في الفضاء ، وفي الادب … وحديثها يستغرق الصفحات ، والساعات والليالي ! ..

***

● سلمان عون الماجد ـ عمان ●

ـ الثناء والود لك ، ولن يعطى مثلك منحة من طرائف الاصمعي …

قال الاصمعي : اختصم اعرابيان الى بعض الولاة في دين لاحدهما على صاحبه ، فجعل المدعى عليه يحلف بما يعن له ، فقال له المدعي : دعني من هذه الايمان واحلف بما الوكه لك : « لا ترك الله لك خفا يتبع خفا! .. ولا ظلفا يتبع ظلفا ! .. وحتك من اهلك ومالك حت الورق من الشجر ! .. و … » : فقاطعه المدعى عليه مسلما: لا، لا … خذ حقك ، ولا احلف لك ! ..

مختارات واسماء ..

في بريد الشعراء ..

من قصيدة «كابوس الوحدة»: مصطفى الطريبق ـ المغرب ـ القصر الكبير :

حينما صد حبيبي وقلى
جهم الكون بعيني واكفهر !
وارتمى القلب باحضان الضياع
يتلظى ، والحنايا تعتصر …..
واذا الوحدة كابوس رهيب
ليس يبقي من هنا او يذر !
أسف القلب على ذاك الزمان
ويكت عيني بدمع كالمطر !

من مقطوعة « حيرى مع الزمان» كتبتها : س · س ـ كلية الزراعة :

اتذكر يا حبيبى ·· تلك الليالى القمرية
يوم عدنا من رحلتنا الماضية
وشاءت الاقدار ··· وماشئنا ·
عجبا لهذا الزمان ····
وخشت الاقدار ··· وتمنينا ·

اما من شيء احببناه ـ نلقاه ؟ !

جف القلب ! ··· زاد الزهد !
ورضينا بما كتب لنا ···

●●●

● من مقطوعة الى « الزهور » : ممدوح نجيب حسب ـ علوم اسيوط :

ومجلتى انت « الزهور » ، وانت اجمل مشتل
ورسائلى حملت اليك على الطريق فضائلى
أرسلت ودى ··· وانتظرت الرد منك لترسلى
ارفضتنى ؟·· اهملتنى ·· اهملت كل رسائلى
مع أننى اصبو اليك ، وانت لا ·· لا تسألى !

●●●

● من قصيدة : خريف قلب ـ شعر حماد احمد صبيح ـ قطاع غزة ـ دير البلح :

··· وتروبين حقولى اليوم كالطير الغريب
ويمتلك حنين ، وحنان لا يغيب
كيف صلت الحب ذكرى فى السنين الخاليات
وحقولى اسكرتهما الريح من خمر المسرات
فاغفرى لى ان جفوت الوصل نفسا وربيعا
وطويت الليل ، ليل الهجر عريا وصقيعا !

●●●

● من قصيدة : الجرح الذى لا يندمل ـ شعر : معصومة المهدى ـ البحرين :

لقد ساق ربى الى الهوى
ولكن بلا قطرة من أمل !
وعذب قلبى بجرح الثرى
فلا هو يخفى ولا يندمل !
رفيق الهموم خليل الجوى
به الحزن يعدو شموخ الجبال
فكم من بلاء عليه انطوى
وكم من عذاب به قد كمل !

● قافلة الذكريات ـ أحمد حمد حســـن علي ـ قنـــا ● العصفور السجين : أنور احمد راشد ـ شبين القنــــاطر ● عذابات الانسان : مشهور عبد الله ـ ســـوهاج ● زيدونا هيجرا : ج · الامين ـ طنطا ● أطلال في حياتي : حمدى محمد عبد ـ الشمارقة ، كفر الشيخ ● نقرتان على وتر القلب : جلال سعد محمد مصطفى ـ منشية الاوقاف ، دمنهـــور ● علمتني ثورتي : سالي توفيق ـ الجزائر ، سوق اهراس ● الوفاء ··· : ابراهيم خليل نعيم ـ غربية ● عاصفة · و : رسالة النصر : م · الازهر ميزاره ـ الجزائر ● مركب الانسان : عمار جحيدن ، جامعة الازهر ● صفحة من كتاب الرحلات : عزت الطيرى ـ زراعة أسيوط ● قد رأيت يا انقاذى ··· : بوصـــاحة حســن ـ سوق اهراس ، الجزائر ● أجراس الذكرى : الحسين عيسه ـ الدارالبيضاء، المغرب الاقصى ●يا حبيبي ···:عبدالرحيم محمد عبد الرحيم ـ الزقازيق ● يا فؤادى لا تدعى : على منصور ـ هنيلة ● في الحياة : حمدى رمضان ـ الفيوم ● بسمة بلادى : عفاف سيد أحمد ـ الزوايين ● عن ٦ اكتوبر : حسن محمد على عبد الرحمن ـ سوهاج ● تأمل فيه : فيصـــل محمد موسى ـ الخرطوم ● أنا وليلى ومصباحى الفازى : ابراهيم المحمـــدى خلف الله ـ غربية ●

●●●

● فرج أمين دريالة ـ منوف ●

ـ ليس ، والله ، من قبيل « التعالم » و « التعالى » ما أنصح به لك ولكل من يحاول الشعر ويكتب لى ـ أن يلم بالعروض ، علم أوزان الشعر العربي ···

ان العروض لا يخلق شاعرا ، ولكنه يكمل ادوات الشاعر ، وزنا ، وموسيقى ، وسلامة أداء ···

ولقد كان للعروض معارضون قبلك منذ مئات السنين ، بينهم الجاحظ العظيم ··· كذلك كان للعروض ايضا ضحايا ، بينهم العالم النحوى أبو جعفر النحاس المصرى ، ففى سنة قبح فيهـــا ولم يفض ماء نهر النيل ، كان ابو جعفر يجلس يوما على درج مقياس النيل ، يقطع أبياتا من الشعر وزنا بالتفاعيل ، ومر به رجلان فسمعاه يتكلم بكلام غير مفهوم : مستفعلن ، فعولن ·· الخ ··· فتوهما انه يسحر للنيل ، وغضبا ، فدفعا به فجأة الى النهر فسقط ، و ···· غرق !

●●●

● طاهر سعيد عزت ـ النيل ●

ـ لم يتح لى واليـــوم جمعة واجـــازة ، وانا فى بيتى اكتب للقراء (منتهى الاجتهاد !) ـ أن أراجع مكتبة الفهارس فى

الدار لاسأل وأقول لك هل صدر من مطبوعات الهلال قبل الان مؤلف بعنوان : « كازانوفا ـ أمير العشاق » ؟

وكما فهمت من رسالتك فأن السؤال يمهد لتقديم كتاب جديد ألفه صديق لك عن كازانوفا ، ويعرضه للنشر فى سلسلة كتاب الهلال .. ولكنى لم أفهم حرصك الظاهر والشديد على اخفاء اسم الكاتب ، وعنوان الكتاب ، والمعلومات التى لا بد منها لدراسة عرضك والرد عليه ..

والى ان تكتب ، اذا شئت ، هذه المعلومات ، فان السؤال الذى يطرح نفسه ـ والحق انني الذى اطرحه ! هو : ماذا تظن أنه قد بقى للعصر من كازانوفا سينجالت جوفاني جاكومو بعد كل ما كتب هو نفسه عن نفسه .. وبعد كل ما كتبه عنه، منذ وفاته فى نهاية القرن الثامن عشر ، عرضـا وتحليلا ، وتمثيلا لشخصيته ولسيرة حياته الحافلة بالمغامرات ، والسجن والتجسس ، والقمار ، و .. والغش أيضا ؟!

لقد كان ، غفر الله له ـ (هل قرات مذكراته الشهيرة التى تحكى غرامياته ؟) ـ قمارا عقليها !

ورغم انه ألف وكتب ببراعة وتنوع ، من الشعر الى اللاهوت ، فانك لا تسعى اليه الان ـ وهذا رأى شخصى ـ فى تراث الخالدين .. ولكنك قد تعثر عليه فى مقعد متواضع بالصفوف الخلفية وراء العشاق العظام فى التاريخ .

ولا تغفنها ذكرى الخلود ان تسمع اسمه يتردد فىمناسبة عصرية ، فلعل ذلك من تقاليع السياحة التى تحمست لها أخيرا بلدية احدى المدن فى ايطاليا ، فأعلنت أنها تدعو كل من يحمل اسم أحد المشاهير فىتاريخ الحب ، ليحضر الى المدينة وينزل ضيفا يكرم ويحتفى به بغير حساب ..

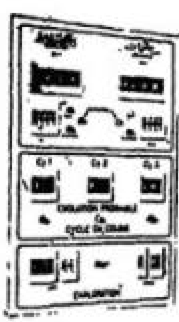
ومع الجموع التى توافدت على المدينة ، كان هناك نحو مائتى شخص يحمل كلمنهم اسم « كازانوفا » ورحبت بهم البلدية فى فندق تعلوه لافتة ضخمة كتب عليها « هنا يعقد مؤتمر الكازانوفات » ..

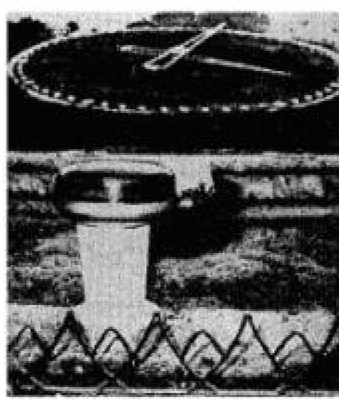
واقبل الرجال والنساء والعشاق من كل مكان ، يتزاحمون شوقا وفضولا للحفاوة بمن يحملون اسم امير العشاق

وكانت المفاجأة ان جميع « الكازانوفات » الحاضرين : كانوا ممن تجاوزوا سن الستين ، وان كل عجوز منهم كانت تصحبه العجوز زوجته .. !


AMPCO







خواطر في الصداقة

● الصديق والشقيق ●

انا لا ارى الا المـــودة حجـــة
يدلى بهـا فى الغاشيات صديقى
هى منة كبـــرى ، وطب ناجع
فى دفع نائبة ووعشـة ضـيق
ولرب خـــل ناصـح مترفق
اهدى وانفع من اخ وشـــقيق

● مودة القريب ●

يارب ذى رحم فى سمعه صمم
يلقاك حين يجد الجـد معتذرا
ورب خـــل وفى فى مواثقـــه
يفديك بالروح لا منـا ولا كدرا
فاحفظ مـــودة من يولى مـــودته
اكرم به موئلا فى الخطب مدخرا

● محمد مصطفى الماحى ●

● الغلاف الأول ●



أمهات الكتب .. لوحة
للفنـــان : جمال قطب

● الغلاف الأخير ●



لغز الهـــرم الأكبر
اقرأ المقال ص ١٠١

